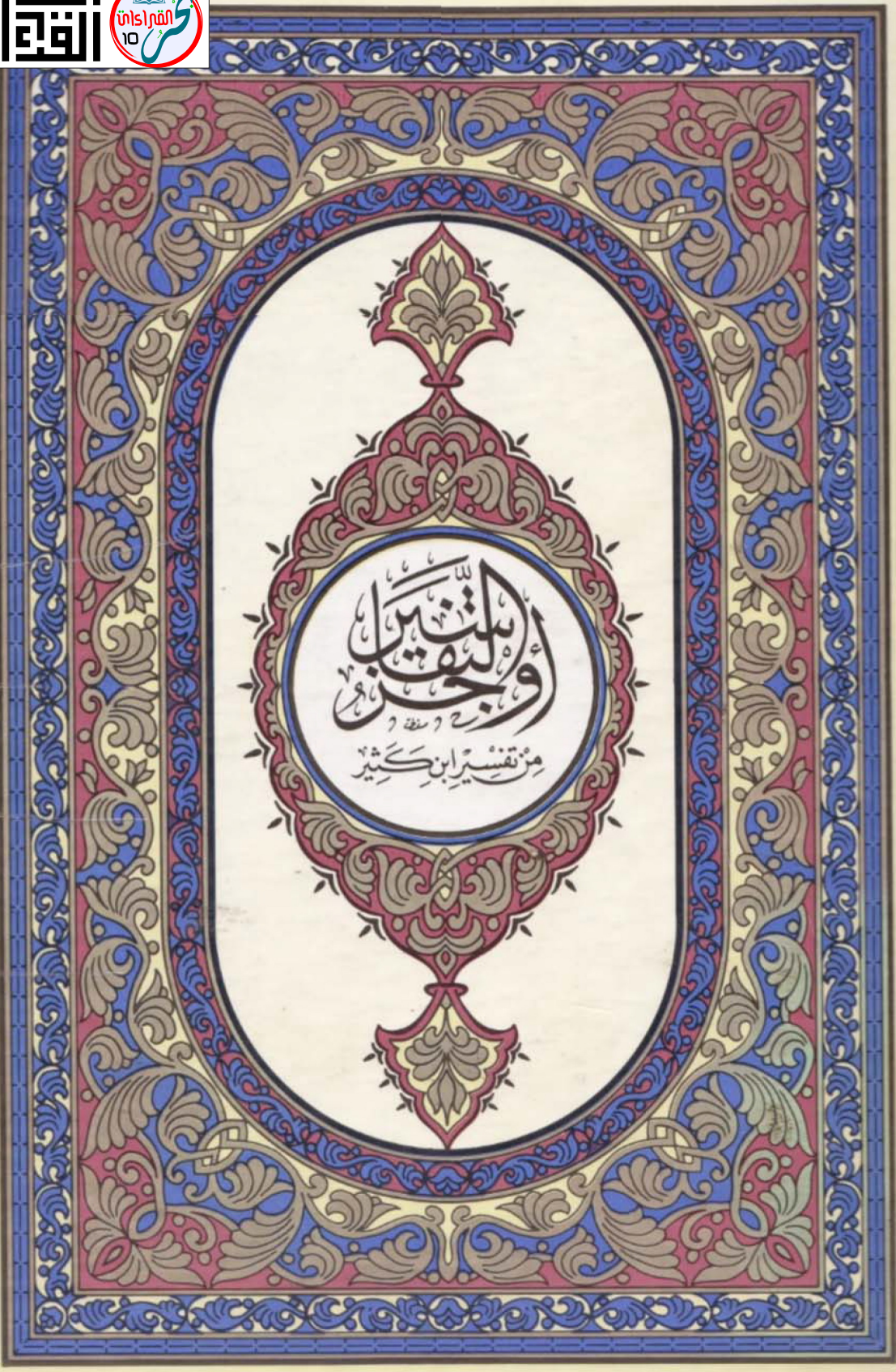


وَاللَّهُ بِمَا
تَعْمَلُونَ
خَبِيرٌ
مَنْ تَفْسِيرُ
ابْنِ كَثِيرٍ



رَفَعُ

عبد الرحمن النجدي

أسكنه الله الفردوس

www.moswarat.com

القرآن الكريم

بالرسم العثماني

وبهامشه

أجزاء التفسير

من تفسير ابن كثير

للإمام والحافظ عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي
المتوفى سنة ٧٧٤ هـ

اختصار الشيخ

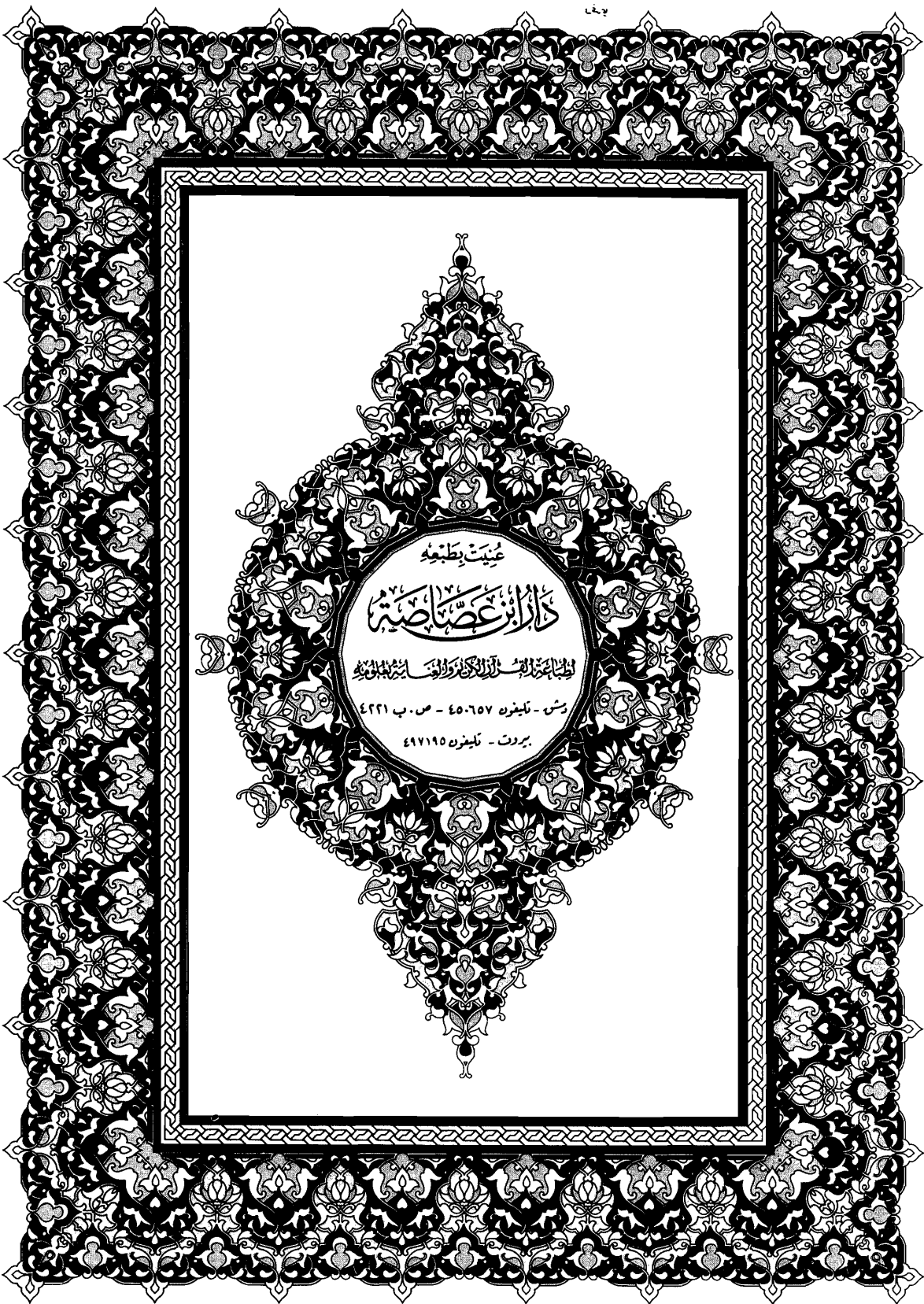
خالد عبدالرحمن العاكف

الدرس في إدارة الوثائق والعلوم

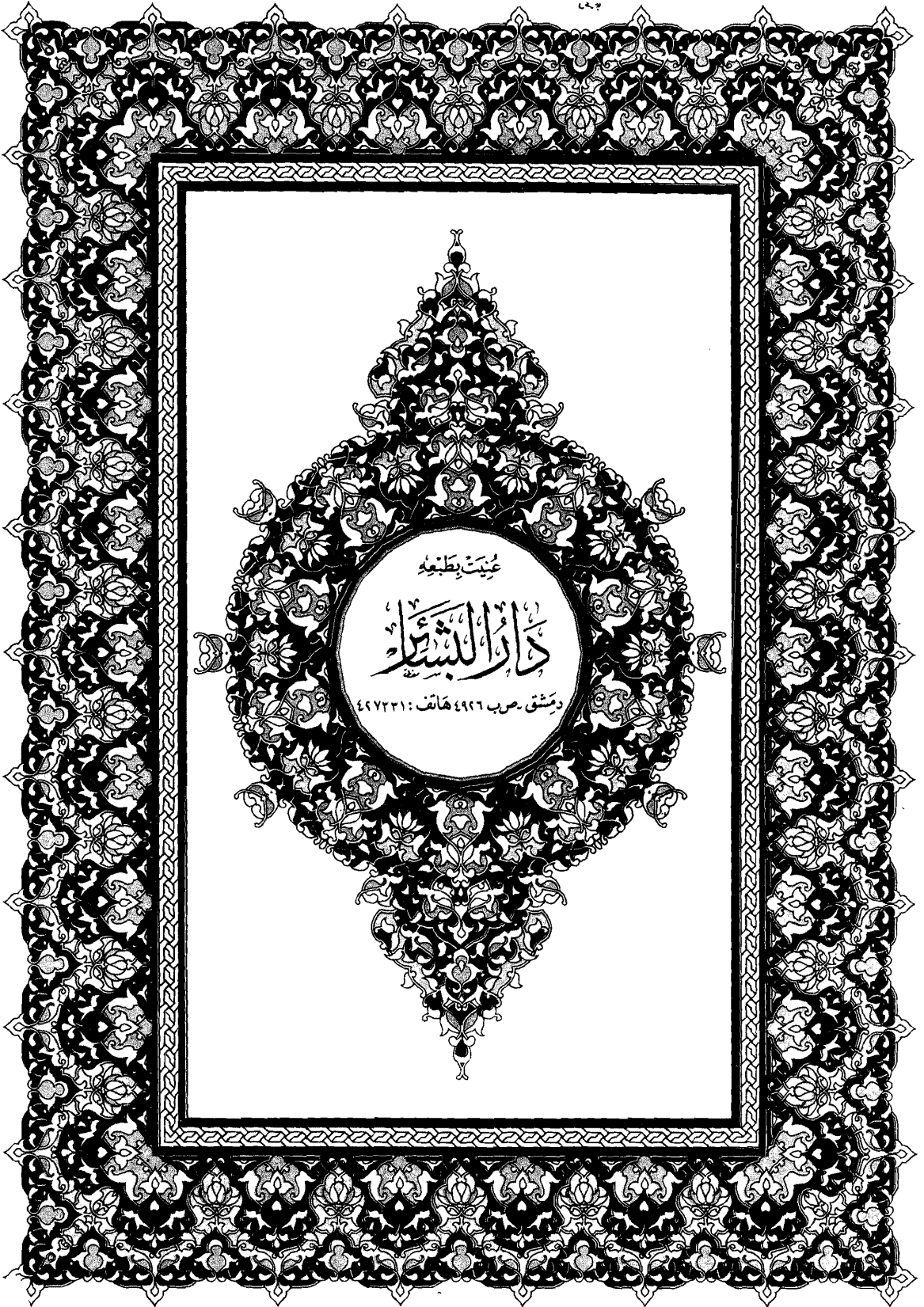
مجموع الطقون محفوظ

الطبعة الأولى

١٤١٣ هـ - ١٩٩٢ م



عَنْبِيَّتْ وَطَبِيعُهُ
 قَدَّارُ الزَّعْبِيَّتِ اصْبِيْرًا
 طَبِيعَةُ الزَّعْبِيَّتِ وَالزَّعْبِيَّتُ وَالزَّعْبِيَّتُ وَالزَّعْبِيَّتُ
 رَسْم - تَلْبِيْوْن ٤٥٠٦٥٧ - ص. ٠١٠٢٢٢١
 بَرْدَت - تَلْبِيْوْن ٤٩٧١٩٥



عَيْتِ بِطَبْعِهِ
دَارُ التَّحْقِيقِ
دمشق، صرب ۱۹۴۶ هـ / هاتف: ۴۴۷۳۳۱

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المقدمة

الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم ؛ الذي نزل القرآن الكريم على أشرف وختام المرسلين ، والذي جعله حجة الإسلام على العالمين ، إلى يوم الدين .

والصلاة والسلام على سيدنا محمد رسول الله الأمين ، الذي بلغ ما أوحى إليه من الذكر الحكيم ، فكان به صاحب الدين القويم ، والصراف المستقيم ، الذي دعا من خلاله إلى مناجح رب العالمين ، فضلى الله عليه وآله وصحبه أجمعين ومن تبعه من أمته إلى يوم الدين .

وبعد :

روى الإمام مسلم في صحيحه في كتاب الجنة :

أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يروي عن ربه تبارك وتعالى أنه قال : ﴿ إِنَّمَا بَعَثْتُكَ لِأَتَّبِعِكَ ، وَأَتَّبِعِي بِكَ ، وَأَنْزَلْتُ عَلَيْكَ كِتَابًا لَا يُغْسِلُهُ الْمَاءُ ، تَقْرُؤُهُ نَأْمًا وَيَقْظَانًا ﴾ .

فهذا الكتاب الكريم كلام رب العالمين محفوظ من الزوال والاندثار حتى يرث الله الأرض ومن عليها ، حيث يرفعه الله تعالى إليه ؛ فمنه خرج وإليه يعود .

هذا الكتاب العظيم الذي تكفل الله تبارك وتعالى بحفظه ورعايته فيما أخرج به عن ذلك في قوله الحق : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ ؛ قد شرف به أمة نبيه ورسوله ومصطفاه وحبيبه محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، فجعلها صاحبة الشأن العظيم بوراثة هذا الكتاب الكريم عن رسول رب العالمين ، وذلك فيما بينه في أي الذكر الحكيم حيث يقول سبحانه : ﴿ وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ هُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ إِنَّ اللَّهَ بِعِبَادِهِ لَخَبِيرٌ بَصِيرٌ . ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمَنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمَنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمَنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ إِذْ بَدَأَ اللَّهُ ، ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ ﴾ ؛ فأخرج سبحانه في هاتين الآيتين من سورة فاطر : أن هذا الكتاب الذي أوحاه إلى رسوله الكريم محمد عليه الصلاة والسلام هو الحق المصدق لما أنزل من قبله من الوحي على إخوانه الأنبياء والمرسلين ؛ اصطفى لوراثته أمة لتكون به خير أمة أخرجت للناس تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر وتؤمن بالله ، فكانت كما أراد الله تعالى لها فسعدت به في دينها ودنياها وآخرتها ، وذلك هو الفضل الكبير .

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم [فيما رواه الحاكم بسند صحيح] : « إِنَّ اللَّهَ أَهْلَيْنِ مِنَ النَّاسِ ؟ ! قَالُوا : مَنْ هُم يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ : « أَهْلُ الْقُرْآنِ !! هُمُ أَهْلُ اللَّهِ وَخَاصَّتُهُ » يَا هَتَاءَ مَنْ كَانَ مِنْهُمْ ، وَنَالَ هَذَا الشَّرْفَ الْعَظِيمَ وَالتَّسَبُّبَ الْكَرِيمَ !! ..

فما أحق الأعمار أن تقضى بتلاوته ! وما أجدد الأيام أن تمضي على مناجحه ! وما أحرى الناس أن يسبوا على هديه ! وما أجمل العقول أن تستثير بثوره !

هذا .. ولما كان الاهتمام بالقرآن الكريم من الواجبات الإسلامية ؛ فقد قمت بالسعي نحو تحقيق هذا الواجب الشريف بالمشاركة مع مدير دار « ابن عصاصة لطباعة القرآن الكريم ، وعلومه » حفظه الله تعالى ورعا ، الذي حمل أمانة خدمة كتاب الله عز وجل وتفسيره وعلومه ، فبدل ماله وجهده وخرته في سبيل هذا العمل المرور ، فأصدر العديد من طبعات المصحف الشريف ، ذات الخلل القشبية ، التسمية بالعناية والضببط والإتقان ، ثم اتجهت رغبته إلى إصدار طبعات من المصاحف الشريفة الموشاة بالهوامش التفسيرية والتعليقات العلمية ، مع ذكر الأحاديث النبوية عند العديد من المناسبات القرآنية ؛ وذلك لتحقيق أكبر قدر ممكن لإفادة القارىء . وكان من بالغ السرور توتي دار « البشائر » العامرة بإدارة الأستاذ « عادل عساف » حفظه الله تعالى ورعا ، نشر ما يصدر من هذه الأعمال المباركة ، فقامت بنشر أولها ألا وهو « أوجز التفاسير في اختصار تفسير ابن كثير » رحمه الله تعالى . هذا وأني قد قرنت القول بالعمل ، والأمانة بالفعل ؛ فبسر الله تبارك وتعالى لي سلوك هذا السبيل النبيل ، وهون علي مشاقه ومتاعبه ، فساهمت فكننت من المكرمين بفضل رب

العالمين في اختصار « تفسير القرآن العظيم » للإمام الحافظ إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي ؛ فأتى معي بأوجز عبارة وأسهلها وأوضحها وأبينها ، وكيف لا يكون ذلك والكلام كلام الإمام ابن كثير بالحرف الواحد ، فلم آت بشيء ابتكرته ولا بأمر ابتدعه ، سوى أنني قمت باختصار أوضح تفسيراته وأبين تأويلاته ، فنقلتها بكل أمانة ودقة ، وأثبتها بكل دراية ورؤية ، فأتى بحمد الله تعالى [أوجز التفسير في اختصار تفسير ابن كثير] ، بغیر إخلال ولا تقصير ، ولا تعقيد ولا تعسير ، فجاء بفضل الله تعالى بأوضح عبارة وأجمل إشارة إلى معاني كلام الله القدير ؛ فكان بحق كرامة أكرمتمنيها العزيز الجليل ، بأن جعلني من العاملين في مضمار خدمة معالم التنزيل ، فله الحمد والشكر على هذا الفضل الجزيل ..

ولقد قدمت بين يدي هذا التفسير بحثاً هاماً في مجال علوم القرآن وعلم التفسير ، من مقدمات من أصول التفسير وقواعده ، ثم ذكرت ترجمة الإمام الحافظ ابن كثير ، ومنهج في تفسيره ، ثم ذكرت الحطة المنهجية التي سلكتها في اختصار هذا التفسير الكبير ، ثم عقبته بذكر أهم قواعد التجويد والترتيل . ثم أعقبته ذلك بذكر مجمل « تاريخ جمع القرآن وتدوينه » ثم ألحقته هذا التفسير بتاريخ نزول سور القرآن الكريم .

وإني لأتوسلُ إلى الله تبارك وتعالى بأحب شيء إليه (وهو كلامه الكريم) أن يمنَّ عليَّ بالمهداية والتوفيق والثبات على الحق ، وأن يُجيبني مواطن الخطأ والخطأ ؛ وأن يجعل عملي هذا خالصاً لوجهه الكريم ، وأن لا يجعل ما عجلته لي من فضله الكريم في هذه الدنيا منقصة فيما أتبعه عنده من الأجر الجزيل يوم لا ينفع مالٌ ولا بَنُونَ إلا مَنْ أتى الله بقلب سليم .. ربنا آتينا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار .

ربنا عليك توكلنا وإليك أنبنا وإليك المصير ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ، وهو حسبنا ونعم الوكيل ، ونعم المولى ونعم النصير ..

رب اغفر لي ولوالدي رب ارحمهما كما ربياني صغيراً .

خادم القرآن الكريم
خالد بن عبد الرحمن العك
المدرس في إدارة الإفتاء العام
بدمشق

دمشق : سحر يوم الجمعة / الخامس من شهر ذي الحجة ١٤٠٦ هـ
الموافق لـ / ٩ آب / ١٩٨٦ م

الحطة المنهجية في هذا المختصر

تتلخّص الحطة المنهجية في اختصاري لتفسير الإمام ابن كثير على الشكل التالي :

أولاً: التقيّد بطريقة ابن كثير في تفسيره للآيات الكريمة ؛ فهو إمّا يُفسّر الآية تفسيراً إجمالياً ، وإمّا يُفسّرها تفسيراً تفصيلياً ، يُجزئُ الآية من خلاله . وعلى هذا سَيُختصاري باطراد .

ثانياً : المحافظة على عبارة ابن كثير في تفسيره أو في مروياته ؛ إلا ما دعت إليه ضرورة الاختصار لربط العبارات بعضها مع بعض ، مع مراعاة موقع الكلمة من الجملة من حيث الإعراب ، وهذا يسيرٌ جداً بالنسبة لعامة الاختصار .

ثالثاً : قَصُرُ العبارات المطوّلة على قدر ما تُؤدّي به المقاصد التفسيرية ، والأغراض البيانية ، والمعاني القرآنية ؛ من غير تخلّل في أصل التعبير ، أو بُعْدٍ عن المراد .

رابعاً : حذف الأبحاث التي يتطرّق إليها في عرض أقوال السلف والفقهاء ، فيما يتوسّع فيه من التفسير والتفصيل حول الآيات الكريمة .

خامساً : الاقتصارُ على ذكر الآيات والأحاديث المتعلقة بالآية المراد تفسيرها . وحذف ما سوى ذلك . مع الاعتماد على الصحيح من الأحاديث .

سادساً : الالتزامُ بذكر أصح الوجوه وأوضح الروايات والأقوال في التفسير .

سابعاً : إتمام تفسير ما يحتاج إلى تفسيره ، ممّا لم يتعرّض له ابن كثير من الآيات ، أو لجانب من جوانبها ، على أن يكون ذلك من تفسير الإمام القرطبي حصراً ، من دون العزو إليه عند النقل . وتمييزه عن الأصل وضعته ضمن هذا الشكل [....] .

هذا هو مجملُ الحطة المنهجية لاختصار تفسير الإمام ابن كثير ، المُسمّى بـ (تفسير القرآن العظيم) البالغ أربع مجلدات كباراً . وبالله تعالى التوفيق .

وقد وضعت لهذا المختصر مقدمات هامة من علوم التفسير ، وأبحاثاً مقتضية من علم التلاوة والتجويد ، وتاريخ جمع القرآن وتدوينه ، ونحو ذلك من الفوائد ، وقد ألحقت بهذا التفسير « تاريخ نزول سور القرآن الكريم » وجعلته قبل فهرس السور ، إتماماً للنفع إن شاء الله تبارك وتعالى .

المدخل إلى التفسير

مُقَدِّمَاتُ هَامَةٌ مِنْ أُصُولِ التَّفْسِيرِ وَقَوَاعِدِهِ
وهي تتمثل فيما يلي :

- ١ - مكانة علم التفسير والعناية به .
- ٢ - نشأة علم التفسير وقواعده .
- ٣ - علوم القرآن وعلم التفسير .
- ٤ - استمداد علم التفسير .
- ٥ - أنواع التفسير وأقسامه .
- ٦ - تأويل القرآن الكريم .
- ٧ - الفرق بين التأويل والتفسير .
- ٨ - أحسن طرق التفسير .
- ٩ - غرض المفسر من تفسيره للقرآن الكريم .
- ١٠ - القراءات القرآنية والتفسير .
- ١١ - الإعراب وعلاقته بالتفسير .
- ١٢ - التفسير بالمقول والمعقول .
- ١٣ - أسباب الاختلاف في التفسير .
- ١٤ - معرفة قصص القرآن الكريم والفائدة منه .
- ١٥ - أثر الأخبار الإسرائيلية في التفسير .
- ١٦ - تاريخ نزول سور القرآن الكريم

هذه هي أهم المقدمات المستخلصة من أصول التفسير وقواعده نقدّمها بين يدي هذا التفسير ؛ لتكون عوناً للقارئ على إدراك مقاصد التفسير ووظيفة المفسر ، وبالله سبحانه الهداية والتوفيق ، ومنه العون والرشاد ..

مقدمات هامة من علم التفسير وأصوله

— ١ —

مكانة علم التفسير والعناية به

إن مثل من يقرأ القرآن ومن يعلم تفسيره أو لا يعلم، مثل قوم جاءهم كتاب من صاحب لهم ليلاً، وليس عندهم مصباح، فتدخلهم لمحبي الكتاب روعة لا يدرون ما فيه، فإذا جاءهم المصباح عرفوا ما فيه^(١).

وروى الحاكم عن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: «إن هذا القرآن مأدبة الله في أرضه، فتعلموا من مأدبته ما استطعتم»^(٢).

وروى ابن ماجه بإسناد صحيح أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: «إن لله أهلين من الناس»، قالوا: يا رسول الله من هم؟ قال: «هم أهل القرآن، أهل الله وخاصته»^(٣).

فالمفسرون لكتاب الله تعالى هم الجديرون لأن يكونوا أهل الله وخاصته؛ لأنهم هم أعلم الناس بكتاب الله تعالى، فهم الذين يبينون عن الله سبحانه وعن رسوله صلى الله عليه وآله وسلم ما يحتاج إلى بيان من آيات القرآن الكريم.

وإن أول ما يجب تدوينه من [علوم القرآن] علم التفسير؛ إذ هو الأصل في فهم القرآن وتدبره، وعليه يتوقف استنباط الأحكام الشرعية، ومعرفة الحلال من الحرام^(٤).

وإن شرف علم التفسير لا يخفى على كل ذي بصيرة. وقد أجمع العلماء أن تفسير القرآن من فروع الكفاية، ومن أجل العلم الشرعية.

فأشرف صناعة يتعاطاها الإنسان تفسير القرآن الكريم؛ لأن علم التفسير قد حاز الشرف من جهات ثلاث: من جهة الموضوع، ومن جهة الغرض، ومن جهة شدة الحاجة إليه؛ أما من جهة موضوعه، فلأن موضوعه تفسير كلام الله تعالى، الذي هو ينبوع كل حكمة ومعدن كل فضيلة، وأصل كل كمال وإحسان. وأما من جهة الغرض؛ فلأن الغرض منه هو الاعتصام بالعرفوة الوثقى، والوصول إلى السعادة الأبدية التي لا تنفنى، إذ به معرفة مراد الله سبحانه من كلامه المنزل على نبيه صلى الله عليه وآله وسلم، ومعرفة مواضع أمره فتوحي، ومواضع نهيه فتجتنب. وأما من جهة شدة الحاجة إليه؛ فلأن كل كمال ديني أو دنيوي، عاجلي أو آجلي مفتقر إلى العلوم الشرعية والمعارف الدينية، وهي متوقفة على العلم بكتاب الله تعالى.

وعلى هذا فإن للتفسير مكانة رفيعة بين العلوم الشرعية، ينبغي الاهتمام به والعناية بشأنه، من دراسته وتفهمه وإدراك مقاصده وغاياته وأغراضه.

— ٢ —

نشأة علم التفسير وقواعده

منذ البداية لتزول القرآن الكريم على النبي صلى الله عليه وآله وسلم، أثار القرآن أفكار العرب واستلقت انتباههم نحو ما جاءهم به من جديد في العقيدة والدين والأخلاق والتشريع، وإضافة إلى ذلك ما جاءهم به من جديد برع عقولهم وأخذ بألبابهم بأساليبه التعبيرية

(١) زاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي ج ١ / ٤٠.

(٢) الترغيب والترهيب ج ٢ / ٣٥٤.

(٣) الترغيب والترهيب ج ٢ / ٣٥٤.

(٤) المدخل لدراسة القرآن الكريم لـ د. محمد أبو شبة / ٣١.

والبيانية ، بما لم يعهده من قبل ، فتعلقت قلوب المؤمنين به ، وأسماعهم بروعة وبلغ نظمه . فكانوا كثيراً ما يحتاجون إلى بيانه وإيضاحه ، فيسألون النبي صلى الله عليه وآله وسلم عن ذلك فيُجيبهم عليه ، حتى إن بعضهم قال : يا رسول الله إنك لتأتينا بالكلام من كلام العرب ما نعرفه ونحن العرب حقاً؟! فقال : «إن ربِّي علمني ففعلتُ» .

وعلى هذا فإن نشأة علم التفسير ترجع إلى عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، فقد كان جميع الصحابة يرجعون إليه في تفسير ما غمضَ وتوضيح ما صعُبَ عليهم فهمه وإدراكه؛ فهذا أعرابي يسمع قول الله تعالى : ﴿وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ﴾ [الأنعام ، ٨٢] ، فيقول مستائلاً أمام النبي صلى الله عليه وآله وسلم : وأينما لم يظلم نفسه؟! فيفسر النبي صلى الله عليه وآله وسلم له الآية بأن معنى الظلم في الآية (الشرك) مستشهداً بآية أخرى من القرآن الكريم : ﴿إِنَّ الشُّرْكَ لظُلْمٌ﴾^(١) ، [لقمان ، ١٣] .

ولقد أوكلَ الله تعالى إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم مهمة بيان القرآن ، فقال سبحانه : ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِيُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل ، ٤٤] . قال أبو عبد الرحمن السلمي : كان الذين يُقرئوننا القرآن ؛ كعثمان بن عفان وعبد الله بن مسعود وغيرهما أنهم كانوا إذا تعلموا من النبي صلى الله عليه وآله وسلم عشرَ آياتٍ لم يجاوزوها حتى يتعلموا ما فيها من العلم والعمل . قالوا : فتعلمنا القرآن والعلم والعمل جميعاً^(٢) .

ولم يكن تفسير القرآن يُدَوَّن في عهد النبوة كعلم مستقل ، وإنما كان يُروى مع ما كان يُروى من السنة النبوية .

وفي عهد الصحابة كان الاهتمام كبيراً بتناقل الروايات التي فسر النبي صلى الله عليه وآله وسلم من خلالها آيات القرآن الكريم ، والروايات التي تذكر الناسخ من المنسوخ من القرآن ، وكذا أسباب النزول؛ فانتسخت حركة علم التفسير بين الصحابة ، غير أنهم واجهوا أمامهم آيات كثيرة لم يُفسرها النبي صلى الله عليه وآله وسلم من قبل ، فلم يكن منهم أن يتركوها مبهمّة غير موضحة لجيل التابعين ، فأخذوا في تفسيرها على هدي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم . فنتج عن ذلك ثروة كبيرة وهائلة من أقوال الصحابة في التفسير ، وعلى رأس هؤلاء عبد الله بن عباس وأقرانه ومن اشتهر بتفسير القرآن من الصحابة الكرام .

وفي عهد التابعين اتسعت دائرة التفسير وامتدت حركته لتشمل أقطار البلاد الإسلامية التي دخل أهلها في دين الله أفواجاً أفواجاً ، وبلغ فيهم العلماء والفقهاء والمحدثون والمفسرون وأهل اللغة وغيرهم ، فعلا شأن التفسير بينهم ، وأولوه اهتمامهم وعنايتهم ، فنشأ فيهم علماء متخصصون في التفسير ، مثل : مجاهد ، وعكرمة وعطاء بن أبي رباح ، والحسن البصري وقادة وأبي العالية ، والقرظي وزيد بن أسلم والضحاك ومقاتل بن حيان ومقاتل بن سليمان ، والسدي وغيرهم .

وفي عهد تابعي التابعين أخذ دور التصنيف والتدوين والتأليف يتسع في الانتشار حتى شمل جميع جوانب العلوم الشرعية والعربية وسواها من سائر العلوم ، فدوّنت كتب السنة والتفسير والقراءات والفقه ، وغيرها من العلوم .

وفي عهد التدوين بلغ علم التفسير مبلغاً كبيراً وعظيماً لدى العلماء جميعاً ، إلى أن جاء الإمام الحافظ الحجة أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد الطبري ، المجهت المطلق ، من أهل طبرستان المولود سنة / ٢٢٤هـ / والثوفي سنة / ٣١٠ / فوضع كتابه الكبير في تفسير القرآن الكريم في ثلاثين جزءاً من القطع الكبير ، الذي سماه بـ [جامع البيان في تفسير القرآن] ، والذي ضمنه عامة أقوال النبي صلى الله عليه وآله وسلم في التفسير ، وكذا أقوال الصحابة والتابعين وتابعيهم . وسلك فيه طريقة فريدة في تفسير القرآن الكريم : يبدأ بذكر المعنى اللغوي ، ثم يستشهد على ذلك المعنى بالأشعار ، ثم يُعقبه بذكر الآثار ويرجح بينها ، ويتوسع في بيان الآيات وارتباطها فيما بينها .

وهذا يرسم الإمام الطبري المنهج الواضح الصحيح لتفسير القرآن ، مع استيعابه الواسع الشامل للتفسير بالماثور عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم والسلف الصالح . فهو لهذا أصل كبير في التفسير ، ومنهج واضح للمفسرين .

— ٣ —

علوم القرآن وعلم التفسير

علوم القرآن :

هي جميع العلوم والمعارف المتصلة بالقرآن ؛ وهي كثيرة جداً ، فإتينا تبلغ حدَّ عَدَدِ كَلِمِ القرآنِ نفسه ، قال القاضي أبو بكر بن العربي في كتابه قانون التأويل :

(١) من هذا أخذ علماء التفسير منهج التفسير وأصوله وقواعده ، التي رسمها عليه الصلاة والسلام لهم ، حيث فسّر القرآن بالقرآن ، فكانت هذه الطريقة النبوية أولى مناهج التفسير .

(٢) ذكره الإمام ابن تيمية في مقدمته في أصول التفسير ص ٦ . وهذا الخبر أقدم نص تاريخي عرفنا به الطريقة التي كان يتعلم بها الصحابة القرآن الكريم .

(إن علوم القرآن خمسون علماً وأربعمائة وسبعة آلاف علم وسبعون ألف علم ؛ على عدد كليم القرآن^(١) .

وقد حصرها العلماء ضمن ضوابط عامة بلغت الخمسين علماً إلى المائة على ما توسع فيه أهل العلم . كما أوضحها الإمام السيوطي في كتابه «الإتقان في علوم القرآن»^(٢) .

وعلى هذا فإن علم التفسير واحدٌ من علوم القرآن الكريم ، إلا أنه يشتمل على علوم كثيرة من علوم القرآن ، كما هو موضَّح في أصول التفسير وقواعده^(٣) .

علم التفسير :

علم التفسير هو ما يُعرف به فهم كتاب الله العزيز ، وبيان معانيه ، واستخراج أحكامه وحكمه .

واستمداد ذلك من علم اللغة والنحو والإعراب والتصريف ، وعلم البيان ، وأصول الفقه ، وعلم القراءات ، وأسباب النزول ، والناسخ والمنسوخ . وقد أكثر فيه العلماء من الموضوعات ، وكلهم يقتصر على الفن الذي يغلب عليه .

الأسباب الموجبة للتفسير :

إن أهم الأسباب الموجبة لتفسير القرآن نبيتها فيما يلي :

١ - كمالُ علم المتكلم ، فلعظم شأن التكلم سبحانه فإنه جمع المعاني الكثيرة والدقيقة في اللفظ الوجيز ، وهذا ما يجعل النصَّ غير واضح لكثير من الناس ، فيُقصد بالتفسير إظهار تلك المعاني الخفية .

٢ - احتمالُ اللفظ القرآني لمعاني متعددة ؛ كما في المجاز ، والمشترك ، ودلالات النظم القرآني على أساليب الخطاب المتعددة الكثيرة ، ودلالات الألفاظ القرآنية إبهاماً ووضوحاً على الأحكام ؛ فيحتاجُ إلى بيان الغرض المقصود من النصِّ وترجيحه .

٣ - حاجةُ اللفظ إلى البيان ، كاللفظ الغريب والمغرب والمجاز والمترادف ، والاستعارة ، والتشبيه .

٤ - حاجةُ النصِّ إلى بيان أحكامه : من العام والخاص ، والمُجمل والمُبين ، والمؤوَّل والمفهوم ، والمطلق والمقيّد .

فإذا علِمَ هذا فإن القرآن الكريم نزل بلسان عربي مبين في عهد أفصح العرب ، ومع ذلك كانوا يعلمون ظاهراً ، أما دقائق باطنه فإنما كانت تظهر لهم بعد البحث والنظر والتأمل ، مع سؤالهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم في الأكثر . كما سأل الأعرابي عن قوله تعالى : ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ ﴾ ، [الأنعام ، ٨٢] ، ففسره النبي صلى الله عليه وآله وسلم بالشرك ، واستشهد له صلى الله عليه وآله وسلم بقوله تعالى : ﴿ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾ ، [لقمان ، ١٣] ، وكفصة عدي بن حاتم لما نزل قوله تعالى في الصيام : ﴿ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ﴾ ، [البقرة ، ١٨٧] ، فقال عدي : يا رسول الله إني أجعل تحت وسادتي عقلاً أبيض وعقلاً أسود ؛ أعرف بهما الليل من النهار؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : «إنما هو سواد الليل وبياض النهار» !! . وغير ذلك ممَّا سألوها عنه^(٤) .

ثم إن تفسير القرآن يكون بعضه من قبيل بسط الألفاظ الوجيهة وكشف معانيها ، وبعضه يكون من قبيل ترجيح بعض الاحتمالات على بعض لبلاغته ولطف معانيه ، ولهذا فإنه لا يُستغنى عن علم التفسير ، ويُرجع إليه في فهم الآيات القرآنية^(٥) .

— ٤ —

استمداد علم التفسير

يُستمدُّ علمُ التفسير من العلوم التالية :

علم القراءات القرآنية . علم السُّنن والآثار . أصول الفقه . علم اللغة العربية . علم العقيدة .

(١) الإتقان في علوم القرآن ، للحافظ السيوطي ج ٢ / ١٢٨ /

(٢) ج ١ / ٣ - ٤ /

(٣) للمؤلف .

(٤) مستخلص من كتاب أصول التفسير وقواعده للمؤلف ص ٣٩ - ٤٢ .

(٥) عن البرهان في علوم القرآن للزركشي ج ١ / ١٣ - ٢١ /

أما علم القراءات القرآنية :

فالمراد به معرفة الوجوه التي تلقفتها الصحابة من القراءات التي قرأ بها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم . وقد نُقلت هذه القراءات نقلاً متواتراً ، وهي عشر قراءات ، وهناك أربع قراءات شواذ . وأكثر ما يُحتاج إلى القراءات (المتواترة منها والشاذة) في مجال التفسير حين الاستدلال بالقراءة على تفسير نظيرها ، ويكون ذلك لقصده الترجيح لأحد المعاني القائمة ، أو لاستظهار المعنى ، فذكر القراءة - ولو كانت شاذة - كذكر الشاهد من كلام العرب ، لأنها - أي : القراءة الشاذة - تُعتبر حُجَّةً لغويةً ، واعتبارها شاهداً من شواهد اللغة الفصحى ؛ لكون قارئها ما قرأ بها إلا استناداً لاستعمالٍ عربي صحيح .

وأما القراءات المتواترات فمعانيها من معاني وجوه القرآن بدون أي فارق أو تمييز .

وأما علم السنن والآثار :

فالمراد به ما نُقل عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من بيان المراد من آي القرآن ، في مواضع الإجمال والإشكال ، وما نُقل عن الصحابة من الآثار الذين شهدوا نزول الوحي من بيان سبب نزول أو ناسخ ومنسوخ ، وتفسير مبهم وتوضيح واقعة من كل ما طرقتهم فيه الرواية عما شاهدوه وسمعوه في حضرة النبي صلى الله عليه وآله وسلم من أمور وأحوال تتعلق ببيان معاني القرآن .

ومعنى كون سبب النزول مادة من مواد التفسير ، باعتباره يُعين على تفسير المعنى وفهم المراد . وإن كان يُعتبر عموم لفظ الآية لا خصوص السبب .

وأما أصول الفقه :

فلكونه معيناً على فهم وإدراك وجوه الدلالات للنظم القرآني ، وفهم وإدراك حالات وضوح الألفاظ القرآنية وإبهامها ، ودلالاتها على الأحكام ؛ في واضح الدلالة : الظاهر ، والنص ، والمفسر ، والحكم ، وفي مبهم الدلالة : الخفي ، والمشكل ، والجمل ، والمتشابه ، وفي دلالة الألفاظ على الأحكام : دلالة العبارة ، ودلالة الإشارة ، ودلالة النص ، ودلالة الاقتضاء .

وقد عَدَّ الإمام الغزالي أصول الفقه من جملة علوم القرآن ، فلا جرم أن يكون مادة من مواد علم التفسير^(١) .

أما علم اللغة العربية :

فالمراد به معرفة مقاصد العرب من كلامهم وأساليبهم ومناحيهم في الخطاب ، وأدب لغتهم ؛ فإن القرآن الكريم كلامٌ عربي . فكانت اللغة العربية الطريق الوحيد لفهم معانيه وإدراك مقاصده ، وإدراك دلالاته ، وبدون ذلك يقع الغلط وسوء الفهم .

والمقصود من علم اللغة العربية ؛ مجموع علم اللسان العربي ، وهي : فن النحو والإعراب والتصريف والمعاني والبيان ، وغير ذلك . ولعلمي المعاني والبيان مزيد اختصاص بعلم التفسير ؛ لأنهما وسيلة لإظهار خصائص البلاغة القرآنية ، وما تشتمل عليه الآيات من تفاصيل المعاني وإظهار وجه الإعجاز ، ولذلك كان هذان العلمان يُستيان في القديم علم دلائل إعجاز القرآن .

أما علم العقيدة :

فهو لمعرفة ما يجب لله تعالى من صفات الكمال ، وتنزيه الذات الإلهية عن صفات النقص ، وكذا معرفة ما يجب للأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، وما يستحيل عليهم ، وما يتعلق بأمر الاعتقاد بالله تعالى وكتبه وأنبياؤه ورسله وملائكته ، واليوم الآخر وبالقدر خيره وشره ، وجميع ذلك وغيره مرتبط بآيات العقيدة والإيمان التي هي أصل في هذا العلم - أي : وإن كانت الآيات القرآنية أصل علم العقيدة إلا أنه لا بد من اعتبار علم العقيدة بتفصيلاته وإيضاحاته حول أمور العقيدة والإيمان علماً من علوم التفسير .

— ٥ —

أنواع التفسير وأقسامه

ترجع أنواع التفسير وأقسامه إلى التقسيم الذي وضعه ابن عباس حيث قال .

(التفسير على أربعة أوجه : وجه تعرفه العرب من كلامها . وتفسير لا يُعذر أحدٌ بجهلته . وتفسير يعلمه العلماء وتفسير لا يعلمه إلا الله تعالى) .

(١) انظر أصول التفسير وقواعده ، للمؤلف من ٢٦٥ - قواعد التفسير في بيان دلالات النظم القرآني - إلى ص ٣٢٠ ، وص ٣٢١ - قواعد التفسير في حالات وضوح الألفاظ القرآنية وإبهامها على الأحكام - إلى ص ٤١٦ .

وهذا تفصيل هذه الوجوه :

١ - فأما الذي تعرفه العرب من كلامها ؛ فهو الذي يُرجع فيه إلى لسانهم ، وذلك من طريق علم النحو والإعراب ، والتصريف ، والغريب ، وغير ذلك .

فما كان من التفسير راجعاً إليه فسبيل المفسر التوقف فيه على ما في اللغة العربية . فمن لم يكن عالماً بمخائيق اللغة العربية فلا يحقُّ له أن يُقدم على تفسير القرآن الكريم .

٢ - وأما ما لا عُذْرُ لأحدٍ بجمله ؛ فهو ما يتبادر الأفهام إلى معرفته وإدراك مضمونه من غير عتاء في الفهم ولا مشقة في البحث ، وهذا آيات الأمر والنهي ، والحلال والحرام ، وآيات العقيدة والإيمان ، قال الإمام الزركشي : (فهذا القسم لا يختلف حكمه ولا يتيسر تأويله ، إذ كلُّ أحدٍ يُدرك معنى التوحيد من قوله تعالى : ﴿ فاعلم أنه لإلهٍ إلا الله ﴾ ، وأنه لا شريك له في ألوهيته ، ويعلم كلُّ أحدٍ بالضرورة أن مقتضى قوله تعالى : ﴿ وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وأطيعوا الله ورسوله ﴾ ، هو الالتزام بما أمر الله سبحانه .

٣ - وأما ما يعلمه العلماء ؛ فذلك في أمور الاجتهاد والاستنباط من الآيات في الأحكام الشرعية ، وفي بيان معاني القرآن وإظهار مقاصده ، قال الإمام الزركشي : (وكلُّ لفظٍ - في الآيات - احتمل معنيين فصاعداً ؛ فهو الذي لا يجوز لغير العلماء الاجتهاد فيه ، وعلى العلماء إعمال الشواهد والدلائل وليس لهم أن يعتمدوا مجرد رأيهم فيه)^(١) .

٤ - وأما الذي لا يعلمه إلا الله تعالى ؛ فإنه لا يجوز لأحدٍ أن يخوض فيه ، وهو ما يجري مجرى علم الغيب ، كآيات المتضمنة لأخبار الساعة والقيامة وأحوال الآخرة ، وكذا الإيمان بالغيبيات كالملائكة والجن ، والجنة والنار ، وغير ذلك مما يتعلق بالإيمان والعقيدة . وكذا الأحرف المتقطعة في أوائل السور ، والآيات المتشابهات التي لا مَسَاغُ فيها لتفسير ولا تأويل ، وإتاما الواجب فيها الإيمان بها على مراد الله تعالى .

- ٦ -

تأويل القرآن الكريم

التأويل لغةً : من الأول وهو الرجوع ؛ آل الشيء يؤول أولاً ومآلاً : رجع . وأوّل إليه الشيء : أرجعه .

والتأويل ، في الاصطلاح : التدبّر ؛ أوّل الكلام وتأويله : تدبّره . وأوّلُه وتأويلُه : فسّره . وقوله عزّ وجلّ : ﴿ ولما يأتيهم تأويله ﴾ ، [يونس ، ٣٩] ؛ أي : لم يكن معهم علمٌ تأويله ، وهذا دليلٌ على أن علم التأويل ينبغي أن ينظر فيه .

وفي حديث ابن عباس : (اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل) ؛ المراد بالتأويل نقل ظاهر اللفظ عن وضعه الأصلي إلى ما يحتاج إلى دليل لولاه ما ترك ظاهر اللفظ .

قال أبو منصور : يُقالُ أُلْتُ الشيءُ أوّلهُ إذا جمعتُه وأصلحتُه ، فكان التأويلُ جمعُ معاني ألفاظٍ أشكلتْ بلفظٍ واضحٍ لا إشكالٍ فيه .

قال الليثُ : التأوّلُ والتأويلُ : تفسيرُ الكلام الذي تختلف معانيه ، ولا يصح إلا ببيانٍ غير لفظي .

وأما قولُ الله عزّ وجلّ : ﴿ هل ينظرون إلا تأويله يوم يأتي تأويله ﴾ ، [الأعراف ، ٥٣] ؛ فقال أبو إسحاق : معناه هل ينظرون إلا ما يؤولُ إليه أمرهم من البعث . قال : وهذا التأويلُ هو قوله تعالى : ﴿ وما يعلم تأويله إلا الله ﴾ ، [آل عمران ، ٧] ؛ أي : لا يعلم متى يكون أمرُ البعث وما يؤولُ إليه الأمرُ عند قيام الساعة إلا الله ، والراسخون في العلم يقولون آمناً به ، أي آمناً بالبعث ، والله أعلم . وقال غيره : أعلم الله جلّ ذكره أن في الكتاب الذي أنزله آياتٌ محكماتٌ هن أم الكتاب ، لا تشابه فيها فهي مفهومة معلومة ، وأنزل آياتٍ أُخرَ متشابهات تكلم فيها العلماء مجتهدين ، وهم يعلمون أن اليقين الذي هو الصواب لا يعلمه إلا الله ، وذلك مثل المشكلات التي اختلف المتأولون في تأويلها ، وتكلم فيها من تكلم على ما أداه الاجتهادُ إليه .

وروي عن مجاهد : ﴿ هل ينظرون إلا تأويله ﴾ ، [الأعراف ، ٥٣] قال : جزاءه . ﴿ يوم يأتي تأويله ﴾ قال : جزاؤه . قال أبو عبيد : التأويلُ : المرجعُ والمصيرُ ؛ مأخوذاً من آل يؤول إلى كذا ، أي : صار إليه . وقال الجوهري : التأويلُ تفسير ما يؤولُ إليه الشيء^(٢) .

(١) البرهان في علوم القرآن ج ٢ / ١٦٤ .

(٢) لسان العرب ج ١١ / ٣٢ - ٣٤ .

الفرق بين التأويل والتفسير

التفسير : في اللغة : الكشف والإظهار ، ومنه قوله تعالى : ﴿ وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ﴾ ، [الفرقان ، ٣٣] ؛ أي : بياناً وتفصيلاً .

والتفسير يُستعملُ في الكشف الحِسِّي ، وفي الكشف عن المعاني المعقولة .

والتفسير : علمٌ يعرف به فهم القرآن الكريم وإدراك معانيه ، والكشف عن مقاصده ومراميه ، واستخراج أحكامه وحكمه ، وتوضيح معنى الآية ، بذكر معناها وشأنها وسبب نزولها ، بلفظ يدلُّ عليه دلالة ظاهرة .

والتأويل : صرف اللفظ عن معناه الظاهر إلى معنى يحتمله ، إذا كان المُخْتَمَلُ الذي يراه موافقاً للكتاب والسنة .

والفرق بين التفسير والتأويل : (أَنَّ التفسيرَ يتعلَّقُ بالرواية ، والتأويلُ يتعلَّقُ بالدُّرْية) .

وهذا القول هو أصح الأقوال في الفارق بينهما ؛ وذلك لأنَّ التفسير معناه : الكشف والبيان ، والكشف والبيان عن مراد الله لا ينجز به إلا إذا ورَدَ عن الله تعالى أو رسوله صلى الله عليه وآله وسلم ، أو عن الصحابة الذين شهدوا نزول الوحي ، وأمَّا التأويل فملمحوظ فيه ترجيح أحد احتمالات اللفظ بالدليل ، والترجيح يعتمد على الاجتهاد .

أحسن طرق التفسير

من المقرَّر في أصول التفسير :

(أَنَّ من أراد تفسير القرآن الكريم طلبه أولاً من القرآن نفسه ؛ فما أجمل منه في موضع فقد فسَّر في موضع آخر ، وما اختصر منه في موضع فقد بسط في موضع آخر . فلزم من المُفسِّر أن ينظر في القرآن نظرة فاحصة مُدقِّق ، ثم يجمع الآيات المتعلقة في الموضوع الواحد ، ثم يُقارن بعضها بعضاً ، ليتجلَّى له المقصود بشكل بَيِّن . فإن لم يجد تفسيره في القرآن طلبه من السنة النبوية ؛ فإنها شارحة للقرآن وموضحة له ، وقد قال الإمام الشافعي : (كلُّ ما حكم به رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلم فهو ممَّا فهمه من القرآن) ، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : «ألا إني أوتيت القرآن ومثله معه» ، يعني السنة النبوية . فإن لم يجد تفسيره في السنة ، بحث عن أقوال الصحابة في التفسير ، فقد كانوا أدرى بكتاب الله تعالى بعد النبي صلى الله عليه وآله وسلم ؛ لأنهم عايشوا نزول الوحي ، وشهدوا أسباب النزول . وقد ذكر الحاكم في المستدرک أنَّ تفسير الصحابة الذين شهدوا الوحي والتنزيل ، له حكم المرفوع إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، لأنه عليه الصلاة والسلام بيّن لأصحابه معاني القرآن قولاً وعملاً وتقريباً ، كما بيّن لهم ألفاظه وأحكامه ، كما قال الله تعالى : ﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ ﴾ ، [النحل ، ٤٤] .

فإن لم يجد التفسير في أقوال الصحابة ؛ طلبه من أقوال التابعين ، فهم الذين نقلوا إلينا علوم ومعارف الصحابة . فإن لم يجده في أقوال التابعين ؛ طلبه من اللغة العربية ، فإنَّ القرآن الكريم نزل بلغة العرب . روى الإمام البيهقي في كتابه (شُعَبُ الإِيمَان) عن الإمام مالك أنه قال : (لا أوتي برجل غير عالم بلغة العرب يُفسِّر كتاب الله إلا جعلته نكالا) .

تلك هي أحسن طرق التفسير وأصحُّ سبله ؛ فلا يجوز لأحد أن يتناول تفسير القرآن الكريم إلا عن طريقها ومن خلالها .

غرض المُفسِّر من تفسيره للقرآن الكريم

غرض المُفسِّر هنا أن يعلم المقاصد الأصلية التي جاء بها القرآن الكريم ، وهي تبلغ ثمانية أمور :

أولها : إصلاح الاعتقاد ، وتعليم العقائد الصحيحة . وهذا أعظم سبب لإصلاح الخلق .

ثانيها : تهذيب الأخلاق . و سُئِلت عائشة عن خلق رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقالت : (كان خُلُقُهُ القرآن) .

ثالثها : التشريع ، وهو الأحكام العامة والخاصة ، من العبادات والمعاملات والأحوال الشخصية .
 رابعها : سياسة الأمة ، وهو باب عظيم في القرآن ، القصد منها صلاح الأمة وحفظ نظامها .
 خامسها : القصص والأخبار السالفة عن الأمم السابقة بما يصلح أحوال الناس ، بما فيها من العبر .
 سادسها : التعليم بما يُناسب حالة عصر المخاطبين ، بما يُؤهلهم لتلقي الشريعة ونشرها .
 سابعها : المواعظ والحكم والتبشير والإنذار والتحذير ، بما جاء في آيات الوعد والوعيد .
 ثامنها : الإعجاز القرآني للدلالة على صدق رسالة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وأن هذا القرآن تنزيلٌ من رب العالمين ؛ إذ التصديقُ يتوقف على دلالة المعجزة بعد التحدي . والقرآن الكريم معجز بلفظه ومعناه .
 ففرضُ المفسر : بيان هذه الجوانب في تفسيره للقرآن الكريم .

— ١٠ —

القراءات القرآنية والتفسير

لقد اعتنى المفسرون بذكر القراءات في تفاسيرهم ما بين متوسّع ومقتصر ، وذلك لما للقراءات من أثر بارز في تفسير القرآن الكريم ، وتوجيه المعاني القرآنية ، وقد تقدمت الإشارة إلى هذا في (استمداد علم التفسير) .

وللقراءات حالتان :

الحالة الأولى : وهي تتعلق بوجوه النطق والتلاوة والترتيل ، كمقادير المدّ والإمالات ، والتخفيف والتسهيل والتحقيق والجهر والهمس ، والعتّة والإدغام والإخفاء ، إلى غير ذلك ممّا يتعلّق بعلم التجويد ، وهذا لا علاقة له بالتفسير لا من قريب ولا من بعيد .

الحالة الثانية : وهي التي تتعلق بحروف الكلمات القرآنية وحركاتها ، بحيث يختلف المعنى لاختلاف الحرف أو الحركة . وهذه الجهة هي التي لها مزيد التعلّق بالتفسير ، لأن ثبوت أحد اللفظين في قراءة قد يبيّن المعنى المراد عن نظيره في القراءة الأخرى ، أو يثير معنى آخر ، ولأن اختلاف القراءات في ألفاظ القرآن يكثر المعاني في الآية الواحدة ، نحو قوله تعالى : ﴿ حَتَّى يَظْهَرْنَ ﴾ [البقرة ، ٢٢٢] ، بسكون الطاء وضمّ الهاء ، والقراءة المتواترة الأخرى : ﴿ حَتَّى يَظْهَرْنَ ﴾ ، بفتح الطاء المشدّة والهاء المشدّة . وأيضاً كقوله تعالى : ﴿ أَوْ لَمَسْتُمُ النِّسَاءَ ﴾ [النساء ، ٤٣] ، والقراءة المتواترة الأخرى : ﴿ أَوْ لَمَسْتُمُ النِّسَاءِ ﴾ .

فبتعدّد وجوه القراءة للآية الواحدة تكثر معانيها ؛ فيعين بعضها على تفسير بعض .

وفي مجال التفسير لا يشترط في القراءة التي يُستعان بها على إيضاح معنى الآية أن تكون متواترة ، فالقراءة المشهورة أو الشاذة مقبولة في التفسير ؛ بل هي أقوى من أحاديث الأحاد الصحيحة في هذا الشأن .

ولهذا نرى المفسرين يكثرون من إيرادها ، والاستشهاد بمعانيها ودلالات ألفاظها .

— ١١ —

الإعراب وعلاقته بالتفسير

إنّ من فوائد معرفة إعراب القرآن الكريم معرفة المعنى الذي يتضمّنه النصّ ؛ لأن الإعراب يُعيّن المعاني ، ويُوقف على أغراض المتكلّم . ويجب على المفسر أن ينظر في الكلمة القرآنية ، وصيغتها ومحلها في حالة الرفع والنصب والجرّ والسكون ، ممّا له علاقة بعلم النحو والإعراب والصرف . ولهذا نجد كثيراً من المفسرين يُشيرون في تفاسيرهم إلى الحالات الإعرابية للآيات القرآنية ، على اختلاف بينهم ما بين مُكثّر ومُقلّ .

ولهذا كان علم النحو والإعراب من علوم التفسير [كما تقدم في : استمداد علم التفسير] ؛ لأنه به تتضح كثير من معاني القرآن . ثم بمعرفته تستقيم قراءة القارئ ، فلا يقع منه لحنٌ أو خطأ في قراءته .

روى أبو عُبيد عن يحيى بن عتيق ، قال : قلتُ للحسن : يا أبا سعيد ، الرجلُ يتعلّم العربية يلتمسُ بها حُسْنَ المنطق ، ويُقيمُ بها قراءته ؟ قالَ : حَسَنٌ يا ابنَ أخي فتعلّمها ؛ فإن الرجلَ يقرأ الآيةَ فيعيبُ بوجهها فيهلك فيها .

ويقول العلامة القيسي في مقدمة كتابه (مشكل إعراب القرآن) : (بمعرفة الإعراب تُعرف أكثر المعاني ، وينجلي الإشكال ، وتظهر الفوائد ، ويُفهم الخطاب ، وتصحُح معرفة حقيقة المراد) .

ويقول العلامة العُكري في مقدمة كتابه (إملاء ما مرَّ به الرحمن من وجوه إعراب القرآن) : (وأقومُ طريقَ يسُلكُ في الوقوف على معناه - أي : القرآن الكريم - ويُتوصل به إلى تبيين أغراضه ومغزاه ، معرفة إعرابه واشتقاق مقاصده ، من أنحاء خطابه ، والنظرُ في وجوه القرآن المنقولة عن الأئمة الأئمة) .

- ١٢ -

التفسير بالمقول والمعقول

التفسير بالمقول :

هو التفسير بالقراءات والسنة وآثار الصحابة وأقوال التابعين والأئمة المتبوعين ، قال العلامة الزركشي : (إن تفسير القرآن الكريم قسبان : قسمٌ ورَدَ تفسيره بالنقل ، وقسمٌ لم يرد . والأول : إمَّا أن يرد عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، أو الصحابة أو رؤوس التابعين ، فالأول يُبحث فيه عن صحة السند ، والثاني ينظر في تفسير الصحابة ، فإن فسروه من حيث اللغة فهم أهل اللسان فلا شك في اعتياده ، أو بما شاهدوه من الأسباب والقرائن ، فلا شك فيه)^(١) .

وقال الحافظ ابن كثير في مقدمة تفسيره : (إذا لم نجد التفسير في القرآن ولا في السنة ؛ رجعنا في ذلك إلى أقوال الصحابة ، فإنهم أدرى بذلك ؛ لَمَا شاهدوه من القرآن والأحوال التي اختصوا بها ؛ لما لهم من الفهم التام والعلم الصحيح والعمل الصالح)^(٢) .
ولقد تضافرت جهودُ الصحابة والتابعين ومن بعدهم من العلماء العاملين ، للكشف عن معاني القرآن العظيم وأسواره العظيمة ، وليبيان إعجازه وروعة نظمه وبيدع لفظه ، ولإيضاح حكمه وأحكامه ، وغيره ومواعظه .

ومن التابعين من تلقى جميع التفسير عن الصحابة ، كما قال مجاهد : عرضتُ المصحفَ على ابن عباس ، أوقفه عند كل آية منه ، وأسأله عنها ، ولهذا قال الإمام الثوري : إذا جاءك التفسيرُ عن مجاهدٍ فحسبكَ به^(٣) .

ومن التفسير بالمقول التفسير باللغة العربية ، وقد تقدمت الإشارة إلى هذا في (استمداد علم التفسير) .

والتفسير بالمعقول :

هو التفسير الذي يعتمد على الفهم العميق ، والإدراك المركز لمعاني الألفاظ القرآنية ، وذلك يقوم على الاجتهاد في فهم النصوص القرآنية ، وإدراك مقاصدها ومرامها من مدلولاتها ودلالاتها ، بعد معرفة المفسر لكلام العرب ومناحيهم في القول ، ومعرفة وجوه دلالة الألفاظ العربية التي توضح معاني القرآن الكريم ، بعد معرفة المفسر لوجوه القراءات وروايات السنة والآثار عن الصحابة والتابعين المتعلقة بالآيات المراد تفسيرها .

ولقد جاءت آياتٌ تنصُّ على جواز التفسير بالمعقول منها قول الله تعالى : ﴿ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ ﴾ [النساء ، ٨٢] ، وقوله تعالى : ﴿ كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ ﴾ [ص ، ٢٩] ، وقوله تعالى : ﴿ لَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ ﴾ [النساء ، ٨٣] ، ففي هذه الآيات الكريمة حثٌّ من الله تعالى على تدبُّر القرآن والاعتبار بآياته والانتعاض بعظاته ، كما دلَّت الآية الأخيرة على أن في القرآن ما يستنبطه أولو العلم باجتهادهم ويصلون إليه بإعمال عقولهم .

- ١٣ -

أسباب الاختلاف في التفسير

إن من أهم ما يجب معرفته في هذا الشأن هو أن يعلم المطلع على تفسير القرآن الكريم من خلال كتب التفسير ، وخاصة المطولة منها ؛ أنَّ كلام الله تبارك وتعالى ذو معاني كثيرة ووجوه عديدة ، وهذا من وجوه إعجازه ؛ فقد جاء كلام الله في القرآن بالألفاظ اليسيرة ذات

(١) الإقتان في علوم القرآن ، للسويطي ج ٢ / ١٨٣ .

(٢) تفسير الإمام ابن كثير ج ١ / ٣ .

(٣) مقدمة في أصول التفسير ، لابن تيمية / ٧ .

المعاني الكثيرة ، فحين نرى تعدُّد الأقوال عند المفسرين حول الآيات القرآنية ؛ فإنَّما يعني ذلك كثرة توارد تلك المعاني على أذهان أولئك المفسرين ، كل حسب طاقته الفكرية ، ومدى إدراكه العقلي لتلك المعاني المتعدِّدة للآية الواحدة .

ثم إنَّ كثيراً من اختلاف المفسرين في تفاسيرهم للقرآن الكريم ما يعود إلى اختلاف ثقافتهم ومعارفهم .

والحقيقة في هذا الموضوع أنَّ اختلاف المفسرين في تفسيرهم للقرآن هو اختلاف تنوع لا اختلاف تضاد أو تضارب أو تعارض ، وذلك لأنَّ كلَّ واحدٍ يُعبِّر عن المعنى الذي يتبدَّى له بعبارة غير عبارة صاحبه ، تدل على معنى في المُسمَّى غير المعنى الآخر ، مع اتحاد المُسمَّى ؛ بمزلة الأسماء المتكافئة التي بين المترادفة والمتباينة .

أو أن يذكر كلُّ منهم من الاسم العام بعض أنواعه على سبيل التمثيل وتنبية المستمع على النوع ، لا على سبيل الحدِّ المطلق للمحدود في عمومته وخصوصه ، مثل سائل أعجمي سأل عن مُسمَّى الحيز ؛ فأري رغيفاً ، ثم قيل له هذا هو الحيز ، فالإشارة إلى النوع لا إلى هذا بعينه ، فإنَّ للحيز أشكالاً وأنواعاً .

ولاختلاف المفسرين أسبابٌ تُشِير هنا مجملها ، وتُحِيل في تفصيلها إلى مصدرها ، وهي :

- ١ - اختلاف القراءات ، بتعدُّد وجوهها .
- ٢ - اختلاف وجوه الإعراب في الآية .
- ٣ - اختلاف أهل اللغة في معنى الكلمة الواردة في الآية .
- ٤ - اشتراك اللفظ بين معنيين فأكثر .
- ٥ - احتمال الإطلاق والتقييد في الآية .
- ٦ - احتمال العموم والخصوص في كثير من ألفاظ الآيات .
- ٧ - احتمال الحقيقة والمجاز في الآية .
- ٨ - احتمال الإضمار أو الاستقلال فيها .
- ٩ - احتمال الحذف أو الزيادة في أداء اللفظ للمعنى .
- ١٠ - احتمال التقديم والتأخير في كثير من الآيات .
- ١١ - احتمال النسخ أو عدمه في بعض الآيات .
- ١٢ - اختلاف الروايات الواردة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، أو عن الصحابة أو التابعين ، وهذا يعود لتعدُّد المعاني في الآية التي وردت فيها تلك الروايات^(١) .

- ١٤ -

معرفة قصص القرآن والفائدة منه

قال الله تعالى : ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ ﴾ [يوسف ، ٣] . والقصة : هي الخبرُ عن حادثةٍ غائبةٍ عن المُخْبِر عنها . وهي من القصص - بالفتح - اتباع الخبر بعضها بعضاً .

وأصلُ القصة في اللغة : المتابعة . قال الله سبحانه : ﴿ وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ ﴾ [القصص ، ١١] ، أي : التَّبَعِي أثرُهُ . وقال سبحانه : ﴿ فَأَرْزُقْنَا عَلَى آثَارِهَا قَصَصًا ﴾ [الكهف ، ٦٤] ، أي : اتِّبَاعًا . وإنما سُمِّيَت الحكاية قصصاً ؛ لأنَّ الذي يقصُّ الحديثُ أو الخبرُ يذكرُهُ شيئاً فشيئاً .

وإنَّ للقصص القرآني عبراً كثيرة وفوائد عديدة ، نذكر هنا أهمَّها :

أولاً : لقد اشتمل القرآن على تلك القصص التي لا يعلمها إلا الراسخون من أهل الكتاب ، وكان ذلك تحدياً عظيماً لهم ، وإثباتاً لصدق رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على أنَّ هذا القرآن ليس من عند البشر ، وإنَّما هو تنزيلٌ من حكيم حميد ، قال الله تعالى : ﴿ تلك من أنباء الغيب نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا ﴾ [هود ، ٤٩] ، وذلك أن قوم النبي صلى الله عليه وآله وسلم أميون لا يعلمون علم أهل الكتاب .

(١) انظر بحث أسباب الاختلاف في التفسير في (مقدمة أصول التفسير لابن تيمية) أو : (أصول التفسير وقواعده للمؤلف ص ٨٣ - ٩٠) .

ثانياً : إن أسلوب القصص القرآني أن لا يتعرض إلا إلى حال أصحاب القصة ، من رسوخ الإيمان أو ضعفه ، أو الطاعة أو المعصية ، ليُظهر موضع العبرة منها ، تثبيتاً للمؤمنين وتأكيداً في نصرهم وتأييدهم ، وتخديلاً للكافرين في تفريرهم وتوبيخهم .

ثالثاً : ما فيها من عظم الفائدة من معرفة ترتيب المسببات على أسبابها من الخير أو الشر ، والتعمير أو التخریب ، لتتقى الأمة وتحذر من عاقبة المفسدين والظالمين ، قال الله تعالى : ﴿ فَلَئِنْ يَبُوءْتَهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوا ﴾ ، [النمل ، ٥٢] . وما فيها من فائدة ظهور المثل العُلَيَّا في الفضيلة وزكاء النفوس ؛ أو عكس ذلك .

رابعاً : موعظة للمشركين والكافرين وتهديدهم بما لِحَقَّ الأمم التي عانَدت رُسُلَهَا ، وَعَصَتْ أُوَامِرَ رَبِّهَا حتى يَرَعُوا عن غلوائهم ، وَيَتَعَطَّوْا بمصارع نُظُرَائِهِمْ ، قال الله تعالى : ﴿ فَاقْصُصْ الْقِصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ ، [الأعراف ، ١٧٦] ، وقال سبحانه : ﴿ لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب ﴾ ، [يوسف ، ١١١] .

إلى غير ذلك من الفوائد الجمّة التي يُدرِكها من تَمَعَّنَ وتعمَّقَ في أسرار القصص القرآني .

- ١٥ -

أثر الأخبار الإسرائيلية في التفسير

مِنَ المفسرين مَنْ أدخل في تفسيره أخباراً إسرائيلية نقلها عن مُسَلِّمَةَ أهل الكتاب ، أو عَمَنَ نقلَ عنهم ، فمنهم من نقدَها وقدَّ أباطيلها ، ومنهم مَنْ ذكَّرها ولم يعقَّبَ عليها . والذين ذكروها على علَّتها أكثر من الذين نقدوها .

ولذلك تركت رواية الأخبار الإسرائيلية في كتب التفسير أثرًا سلبيًا إزاء روح القرآن الكريم وهدية ، فما من مسلم ذي عقلٍ نَبِيْرٍ يقبل بمحتويات تلك القصص الإسرائيلية ، التي غالبًا أشبه بالأساطير . وهناك كثير من الشكوك تدور حول تلك الأخبار الإسرائيلية ؛ هل هي مختلفة مصطنعة ؟ أم فيها من الدسائس على أنبياء الله تعالى ما قد سَوَّه مضمونها ، وجعل روايتها محظوراً ؟! ..

والحال في كلا الأمرين لا يليق بجلال القرآن الكريم وهدية المستقيم .

فكان الواجب تزيت كتب التفسير عن حشوها بتلك الأخبار الإسرائيلية التي نقلها إلينا مسلمو أهل الكتاب ، والحال أننا لا نعرف مدى صحة ثبوتها فيما لو لم يكن فيها ما يخالف شريعة الإسلام وعقيدته وهدية .

ولقد وضع لنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قاعدة لتلك الأخبار الإسرائيلية فقال : (لا تُصَدِّقُوا أَهْلَ الكِتَابِ ولا تُكذِّبُوهم)^(١) ، أي : فيما لا يخالف الإسلام لا تُكذِّبُوهم ، وفيما يخالف الإسلام لا تُصَدِّقُوهم .

وأما قوله صلى الله عليه وآله وسلم : (حَدِّثُوا عن بني إسرائيل ولا حَرَجَ)^(٢) ، فمعناها فيما يتعلق بماضيهم ، للعبرة والانتعاض ، لا للاستشهاد بها على ما جاء في قصص القرآن ، فإنَّ الحَقَّ لا يُفسَّرُ بما يُشْتَبه بثبوته وصحته .

ولقد وَضَعَ العلماءُ المُحَقِّقُونَ ضوابطَ للتحدُّثِ عن بني إسرائيل ، نُجْمِلُها فيما يلي :

أولاً : ما جاء عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم فيما يحكيه عن بني إسرائيل ، بالسند الثابت عنه صلى الله عليه وآله وسلم ، فهذا المقبول الذي لا يجوز رَدُّهُ أو عَدْمُ قبوله .

ثانياً : ما عُلِمَ تناقضه - من القصص الإسرائيلية - للإسلام عقيدةً وشريعةً وهدياً ، أو ما يُناقض الحقائق الثابتة ؛ فهذا ما لا يجوز قبوله ولا روايته ، إلا للتنبيه على بطلانه .

ثالثاً : ما عُلِمَ من الأخبار الإسرائيلية عدم تعارضها مع حقائق الإسلام ، فهذا لا نُصَدِّقُه ولا نُكذِّبُه ، وتجوز روايته وحكايته .

والأغلب من القسم الثالث مما ليس فيه كبير فائدة ، فيمكن الاستغناء عنه ، وكفى ما جاءنا عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم من أخبارهم ، على ما جاءنا في القرآن الكريم من قصصهم ، وكفى بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وآله وسلم معلماً وهدياً ومرشداً .

(١) رواه الإمام أحمد في مسنده ج ٤ / ١٣٦ .

(٢) رواه البخاري في صحيحه كتاب الأنبياء / ٥٠ .

ترجمة الإمام ابن كثير

هو الإمام الحافظ : عماد الدين أبو الفداء ، إسماعيل بن عمرو بن كثير البصري - نسبة إلى بصرى الشام - ثم الدمشقي ، الفقيه الشافعي ، والحدث الثقة ، والمفسر الكبير .

قدم دمشق وهو ابن سبع سنين ، سمع من ابن الشحنة والآمدني وابن عساكر ، وغيرهم من الأئمة الحفاظ ، كالحافظ المزي الذي لازمه وقرأ عليه تهذيب الكمال ، وصاهره . وأخذ عن الإمام الحافظ ابن تيمية ، وقُتِبَ بِحُجَّتِهِ وَامْتِنَحَنَ بِسَبِيهِ وَأُوذِيَ .

كان مولده سنة / ٧٠٠ هـ / وتوفي في شعبان سنة / ٧٧٤ هـ / وقُبر في مقبرة الصوفية بدمشق عند شيخه ابن تيمية - رحمهما الله تعالى - وكان قد كُفِّ بصره في آخر عمره .

وكان الإمام ابن كثير رحمه الله تعالى على مبلغ عظيم من العلم ، خصوصاً في الفقه والحديث والتفسير والتاريخ . فكان من مُحدِّثي الفقهاء .

قال عنه الحافظ الذهبي : الإمام المفتي المحدث البارع ؛ فقيه متفتن ، ومحدث متقن ، ومفسر نقال - أي كثير الرواية والنقل - وله تصانيف مفيدة .

قال الحافظ بن العماد الحنبلي : كان كثير الاستحضار ، قليل النسيان جيّد الفهم . انتهت إليه رئاسة العلم في التاريخ والحديث والتفسير . وهو القائل :

تَمُرُّ بِنَا الْأَيَّامُ تَتَرَى وَإِنَّمَا نُسَاقُ إِلَى الْأَجَالِ وَالْعَيْنُ تَنْظُرُ
فَلَا عَائِدَ ذَلِكَ الشَّبَابُ الَّذِي مَضَى وَلَا زَائِلَ هَذَا الْمَشِيبِ الْمُكْدَرُ

ومن مصنفاته :

التاريخ المُسمَّى بالبداية والنهاية ، والتفسير ، وكتاب في جمع المسانيد العشرة ، واختصر تهذيب الكمال ، وأضاف إليه ، وطبقات الشافعية ، وشرع في أحكام كثيرة حافلة كتب منها مجلّدات إلى الحج .

وذكره ابن قاضي شعبة في طبقاته . كانت له خصوصية بابن تيمية ، ومناضلة عنه ، واتباع له في كثير من آرائه وكان يُفتي في مسألة الطلاق برأيه^(١) .

(١) شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، لابن العماد ، ج ٦ / ٢٣١ - ٢٣٢ .

منهج ابن كثير في تفسيره

لقد سلك الإمام ابن كثير في تفسيره منهجاً فريداً مُتميّزاً عن باقي المفسرين حيث سلك فيه أحسن طرق التفسير ، وذلك كما أوضحه في مقدمة تفسيره ، فيقول :

(أحسن طرق التفسير : أن يُفسَّرَ القرآنُ بالقرآن ، فما أجهل في مكانٍ فإنه قد بُسط في موضعٍ آخر . فإن أعيانك ذلك فعليك بالسنّة ، فإنها شارحة للقرآن وموضحة له ، بل قد قال الإمام الشافعي رحمه الله تعالى : كل ما حكم به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فهو مِمّا فهمه من القرآن) .

(والغرضُ أنك تطلُبُ تفسيرَ القرآن منه ، فإن لم تجده فمن السنّة ، كما قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لمعاد بن جبل حين أرسله إلى اليمن : « فِيمَ تحكّم ؟ » قال : بكتاب الله ، قال : « فإن لم تجد ؟ » قال : بكتاب الله عليه وآله وسلم ، قال : « فإن لم تجد ؟ » قال : أجتهد رأيي ، فضرب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في صدره ، وقال : « الحمد لله الذي وفق رسول الله لما يرضي رسول الله » ، وهذا الحديث في المسند والسنن بإسنادٍ جيّد) .

ثم قال : (وحيثُ إذا لم نجد التفسيرَ في القرآن ولا في السنّة رجعنا في ذلك إلى أقوال الصحابة ، فإنهم أدركوا ذلك إما شاهدوه من القرائن والأحوال التي اختصّوها بها ، ولما لهم من الفهم التام ، والعلم الصحيح ، والعمل الصالح) .

(وإذا لم نجد التفسيرَ عن الصحابة ، فقد رجع كثيرٌ من الأئمّة في ذلك إلى أقوال التابعين) .

ويتلخص منهجه فيما يلي :

أولاً : يذكر الآية أو الآيات المراد تفسيرها ، ثم يأخذ في تفسيرها إمّا بشكلٍ جمل ثم يأخذ بتفصيلها ، وإما بتفصيلها مباشرة ، وهو في كلا الحالتين يذكر فيها ما تحتاج إليه من بيان وإيضاح بإسهاب وتوسّع .

ثانياً : يُفسِّرُ القرآنَ بالقرآن ، فيذكر جميع الآيات التي لها علاقة أو ارتباط بالآية التي يُفسِّرُها . مع ذكره للقراءات في ذلك .

ثالثاً : يُفسِّرُ القرآنَ بالسنّة ، فهو يسوق الروايات بأسانيدِها ويتعدّد طرقها ، موضحاً وجه الارتباط بين الآية والأحاديث التي يُفسِّرُها الآية .

رابعاً : يذكر أقوال الصحابة في تفسيرهم للآية ، ويُكثر من النقل عنهم .

خامساً : كما يذكر أقوال التابعين ومروياتهم في التفسير باستفاضة .

سادساً : اهتمامه بالتفسير اللغوي للآيات الكريمة مع ذكر الشواهد في ذلك .

سابعاً : استنتاجه لكثير من الأحكام الشرعية المستفادة من الآيات القرآنية أو الأحاديث النبوية الشريفة في معرض سياقها في التفسير .

ثامناً : ذكره لأقوال الفقهاء المتعلقة بآيات الأحكام .

تاسعاً : يعقّد فصلاً مطوّلاً يذكر فيها أقوال المفسرين في بسط ما ذكره في تفسيره للآية .

عاشراً : يذكر المسائل والأنواع المتعلقة بموضوع تفسير الآية ، بتفصيل ووضوح .

حادي عشر : يذكر الأحاديث النبوية ، وآثار الصحابة المتعلقة بتلك المسائل والأنواع .

ثاني عشر : يعقد فصلاً خاصة لأقوال السلف والتابعين ، لإيضاح أقوالهم الفقهية واجتهاداتهم الشرعية ويوازن بينها بالدليل والبرهان .

ثالث عشر : ينهج في بيان العقيدة منهج السلف بكل دقة وروية . وهذه ميّزة اختص بها عن سواه ، حيث لم يتعرّض للمسائل الكلامية .

هذا ما توصلت إليه من بيان منهج الإمام ابن كثير في تفسيره للقرآن العظيم ؛ من مُقدّمته ، وواقع تفسيره . والله تعالى أعلم .

القواعد الهامة في علم التجويد والترتيل

— ١ —

تعريف علم التجويد ومعناه

التجويد لغة : التحسين ، يُقال جَوَّدْتُ الشيءَ إذا حَسَّنْتُهُ .
والتجويد اصطلاحاً : هو علم يعرف منه تلاوة كلام الله عز وجل القرآن الكريم حسب ما أنزل على النبي الكريم صلوات الله وسلامه عليه بإعطاء كل حرف حقه من الصفات والمدود والترقيق والتفخيم من غير تكلف بالنطق ولا تعسف .
غايته : بلوغ النهاية في إتقان لفظ القرآن الكريم على ما تلقى من الحضرة النبوية .
طريقة الأخذ به : التلقي من أفواه العارفين بطرق القراءة . وصون اللسان عن اللحن والخطأ في كتاب الله عز وجل .
فضل تجويد القرآن الكريم : هو من أشرف العلوم الشرعية ، حيث أنه يتعلّق بأشرف الكلام .
حكمه : أنه فرض كفاية . والعمل به فرض عين على كل مسلم ومسلمة من المكلفين .
قال ابن الجزري :

معرفة التجويد حتم لازم	من لم يجود القرآن آثم
لأنه به الإله أنزلا	وهكذا منه إلينا وصلا
وهو أيضاً حلية التلاوة	وزينة الأداء والقراءة
وهو إعطاء الحروف حقه	من صفة لها ومستحقها
ورد كل واحد لأصله	واللفظ في نظيره كمثل
مكتملاً من غير ما تكلف	باللفظ في النطق بلا تعسف
وليس بينه وبين تملكه	إلا رياضة امرئ بملكه

وامثالاً لأمر الله تعالى ﴿ ورتّل القرآن ترتيلاً ﴾ سورة المزمل (٤) وإجماع الأمة على وجوبه .

— ٢ —

تعريف علم الترتيل ، ومعناه

الترتيل في اللغة : هو الترسل في القراءة والتبيين .
موضوعه : الكلمات القرآنية وحروفها . فإنه يبحث عن كيفية التلفظ بها ومخارجها وصفاتها كالترقيق والتفخيم والإخفاء والإظهار والإدغام والإقلاب وغير ذلك .
واضعه : أئمة القراءات . وقيل : واضعه حفص الدوري رحمه الله .
ثمرة التجويد : صون اللسان وحفظه من اللحن والخطأ في لفظ القرآن الكريم والأمن من اختلاط بعض الأحكام ببعض حيث قال الرسول الكريم صلى الله عليه وآله وسلم : « خيركم من تعلم القرآن وعلمه » أخرجه البخاري في صحيحه ، وقال : « إن هذا القرآن جبل الله

والتور المبين والشفاء النافع . عصمة لمن تمسك به ونجاة لمن اتبعه . اتلوه فإن الله يأجركم على تلاوته كل حرف عشر حسنات ، أما إني لا أقول ﴿الم﴾ حرف ولكن ألف حرف ولام حرف وميم حرف » أخرجه الحاكم . وقال : « الماهر بالقرآن مع السفرة الكرام البررة » رواه البخاري .

— ٣ —

مراتب تلاوة القرآن الكريم وأركانها

لتلاوة القرآن الكريم ثلاثة مراتب وهي الترتيل والحدرد والتدوير .

١ - الترتيل : في اللغة مصدر رتل الكلام إذا أحسن أداءه ، وهو الترسل في القراءة والتبين بغير تقصير وفي الاصطلاح : قراءة القرآن الكريم على مكث وتفهم من غير عجلة بل القراءة بتؤدة واطمئنان وإعطاء الحروف حقها من المخارج والصفات .

وهو الذي نزل به القرآن الكريم ، قال الله تبارك وتعالى : ﴿ وقرآنًا فرقناه لتقرأه على الناس على مكث ونزلناه تنزيلاً ﴾ سورة الإسراء (١٠٦) .

وقال جل شأنه : ﴿ ورتل القرآن ترتيلاً ﴾ سورة المزمل (٤٠) ، أي تلبث في قراءته وتمهل ، وافضل الحروف ، وهذا مما يُعين على تدبر القرآن وتفهمه .

وإن مرتبة الترتيل هي أفضل المراتب وأحسنها .

٢ - الحدرد : وهو إدراج القراءة وسرعتها مع مراعاة أحكام التجويد وقواعده ، ولا بد فيه من مراعاة المدود والقطع والوصل مع الحدرد من بتر حروف المد وذهاب الغنة فهو خطأ واضح .

٣ - التدوير : وهو التوسط بين الترتيل والحدرد .

فلا يجوز الخروج عن هذه المراتب الثلاث بالتطويل الزائد مثلاً عن الترتيل ، أو بالسرعة الزائدة عن الحدرد فكلاهما إخلال يخرجها عن الأداء الصحيح .

فليختار القارئ إحدى المراتب الثلاث التي توافق طبعه ويخف بها لسانه .

— ٤ —

أركان ثبوت القراءة الكريمة

للقراءة الكريمة أركان ثلاثة تثبت بها :

أولاً : أن توافق القراءة رسم المصحف العثماني الشريف ، فلا بد للقارئ من معرفة شطر منه كالمقطوع والموصول ، والمخدوف والثابت من حروف المد . وما كتب بالناء المبسوطة والهاء المربوطة . ليعرف كيف يقف .

ثانياً : أن توافق القراءة وجهاً نحوياً من الإعراب . ولا يجب على القارئ تعلم النحو على الصحيح . ولو تعلمه لكان أحسن .

ثالثاً : صحة السند وهو أن تؤخذ القراءة عن القراء المتقين الذين اتصل سندهم بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم ، فإذا اختل ركن من هذه الأركان الثلاثة كانت القراءة شاذة .

— ٥ —

تعريف المد وأنواعه

المد : لغة هو المط والزيادة ، تقول العرب : مددتُ مداً أي زدت زيادة ، وقال سبحانه وتعالى : ﴿ ويُمددكم بأموال وبنين ﴾ سورة نوح (١١) أي يزدكم .

والمد اصطلاحاً : هو إطالة الصوت بحرف من حروف المدّ ، وحروف المدّ ثلاثة وهي الألف الساكنة المفتوح ما قبلها . والواو الساكنة المضموم ما قبلها . والياء الساكنة المكسور ما قبلها . وسُميت هذه حروف المد لامتداد الصوت بها بسهولة وعدم كلفة ، مثل ﴿ نوحياً ﴾ من قوله تعالى ﴿ من أنباء الغيب نوحيها إليك ﴾ سورة هود (٤٩) .

أقسام المد : ينقسم المدّ إلى قسمين أصلي وفرعي .

فالمدّ الأصلي : ويسمى بالمد الطبيعي وهو الذي لا تقوم ذات الحروف إلا به ولا يتوقف على سبب من همزة أو سكون ، بل يكفي فيه وجود أحد حروف المدّ الثلاثة .

المدّ الطبيعي : سمي طبيعياً ، لأن صاحب الطبع السليم لا ينقصه عن حده ولا يزيد عليه ، وأحرفه أحرف المد الثلاثة المتقدمة ، ويمد بمقدار حركتين .

الحركة : وهي بمقدار ما يقبض الإنسان أصبعه أو يسطها بحالة وسطى .

ويلاحظ بالمد الأصلي (الطبيعي) أربعة مدود وهي مد العوض ومد الصلة الصغرى ومد البدل ومد التمكن .

١ - مدّ العوض : هو مد في حالة الوقف عوضاً عن تحتين في حالة الوصل ، وهو يقع عند الوقف على التنوين بالنصب مثل قوله تعالى ﴿ غفوراً . رحياً . علياً . حكياً ﴾

أما إذا وقفنا عليها فقرأ ﴿ غفوراً ﴾ ﴿ رحياً ﴾ فقد آل التنوين بالنصب إلى ألف ساكنة قبلها مفتوح ، لذلك أخذت حكم المد الطبيعي ، فتمد مثله بمقدار حركتين .

٢ - مدّ الصلة الصغرى : هو مد هاء الضمير إذا وقعت بين حرفين متحركين مثل ﴿ إنّه يعلم ﴾ ﴿ ماله يتزكى ﴾ ﴿ على رجمه لقادر ﴾ فإشباع الضمة على هاء الضمير يجعلها واواً ساكنة قبلها مضموم فقرأ ﴿ إنّه يعلم ﴾ (مالهو يتزكى) (بهي بصيراً) فإشباع الكسرة على هاء الضمير تصير ياءً ساكنة قبلها مكسور ، لذلك أخذت في الأمثلة السابقة حكم المد الطبيعي ، فتمد بمقدار حركتين مثل المد الطبيعي .

ولو كان قبل هاء الضمير حرف ساكن فلا تمد مثال ذلك ﴿ منه ، إليه ﴾ إلا في قوله تعالى ﴿ فيه مهنأناً ﴾ سورة الفرقان (٦٩) فقرأ (فيهي مهنأناً) مع أن قبل هاء الضمير حرف ساكن فهي تمد كمد الصلة الصغرى بمقدار حركتين وهي شاذة عن القاعدة .

ولو كان بعد هاء الضمير حرف ساكن فلا تمد مثل ﴿ كما علمه الله ﴾ البقرة (٢٨٦) .

ويستثنى من قاعدة الصلة الصغرى قوله تعالى ﴿ وإن تشكروا يرضه لكم ﴾ فلا تمد مع أنها واقعة بين متحركين فقرأ كما تكتب ﴿ يرضه لكم ﴾ بدون مد ، وهي من سورة الزمر (٧) .

٣ - مدّ البدل : هو أن يأتي قبل حرف المدّ همز .

وقد يقع في أول الكلمة مثل ﴿ آمنوا ﴾ ﴿ أوتوا ﴾ ﴿ إيماناً ﴾ ويقع أيضاً في وسط الكلمة مثل ﴿ المؤودة ﴾ ﴿ فأوى ﴾ ويمد بحركتين كالمد الطبيعي .

وسمي بدلاً لأن حرف المد في هذه الحالة مُبدلٌ عن همزة ساكنة ، فأصل كلمة آمنوا ﴿ آمنوا ﴾ وأصل كلمة أوتوا ﴿ أوتوا ﴾ وأصل كلمة إيماناً ﴿ إيماناً ﴾ فأبدلت همزة الثانية الساكنة بحرف مناسب لحركة همزة الأولى فصارت في المثال الأول ألفاً ساكنة ﴿ آمنوا ﴾ وفي المثال الثاني واواً ساكنة ﴿ أوتوا ﴾ وفي المثال الثالث ياءً ساكنة ﴿ إيماناً ﴾ ولذلك سمي هذا بمدّ البدل .

٤ - مدّ التمكن : وهو يقع عند اجتماع ياءين أو لامهما ساكنة والثانية مكسورة مثل ﴿ حُييم ﴾ ﴿ التَّيِّين ﴾ ويمد بمقدار حركتين كالمد الطبيعي . وسمي بمد التمكن لأن الشدة الحاصلة من اجتماع الياءين مكنته من المد . وأما كلمة ﴿ وليي ﴾ فتمد الياء الأولى إذا وقف على الياء الثانية .

والمد الفرعي : هو الذي يتوقف على سبب الهمز أو السكون فإن أتى بعد المد الطبيعي همزة أو سكون زيد المد فيه عن المد الطبيعي . فالمد الفرعي الذي هو بسبب الهمز : وهو أن يأتي حرف المد وبعده الهمز ، همزة ، فإن وقع اجتماعهما في كلمة واحدة فهو مدّ المتصل وإن وقع في كلمتين فهو مدّ المنفصل .

١ - مد المتصل : هو أن يأتي حرف المد وبعده الهمز في كلمة واحدة مثل ﴿ جاء ﴾ ﴿ جئى ﴾ ﴿ تبوء ﴾ فيجب مده في حالة الوصل خمس حركات وفي حالة الوقف تجوز الزيادة إلى ست حركات ، لمرض السكون بالوقف وهذا لا يكون إلا إذا اجتمعت الهمزة والمد في آخر الكلمة وقد أجمع القراء على وجوب مده زيادة على المد الطبيعي .

٢ - مَدَّ المنفصل : هو أن يجتمع حرف المد والهمز في كلمتين فيأتي المد في آخر الكلمة الأولى ويأتي الهمز في أول الكلمة الثانية ولذلك سمي بالمد المنفصل ، ومثال ذلك ﴿ إنا أعطيناك الكوثر ﴾ ﴿ يا أيها ﴾ .

ويُمد بمقدار خمس حركات جوازاً . وإنما كان مده جائزاً لا واجباً لعدم اتفاق القراء على وجوب مده .

حيث أوجب البعض مده بأربع أو خمس حركات ، والبعض الآخر أوجب القصير فيمد بمقدار حركتين فقط .

ولكن هناك ملاحظة جديرة بالاهتمام وهي الالتزام بحالة من المد أو القصير في تلاوة واحدة فلا يمد المنفصل في آية مثلاً خمس حركات وفي آية ثانية يمد المنفصل بحركتين في تلاوة واحدة .

المد الفرعي بسبب السكون : هو أن يأتي حرف المد وبعده حرف ساكن وهو نوعان : المد العارض للسكون والمد اللازم ويلحق بالمد العارض للسكون مد اللين .

١ - مَدَّ العارض للسكون : هو أن يأتي بعد حرف المد حرف متحرك ، ويُوقف عليه بالسكون مثل ﴿ الحسنات ﴾ ﴿ الحساب ﴾ ﴿ الذين ﴾ ﴿ المتقين ﴾ ﴿ يعملون ﴾ . فقد جاءت حروف المد وهي الألف والياء والواو في الأمثلة السابقة ، وبعدها حرف متحرك يمكن الوقوف عليه بالسكون فالوقف هذا يسمى مد عارض للسكون ، ويجوز في مده ثلاثة أوجه : الطول وهو ست حركات والتوسط أربع حركات والقصير حركتين .

٢ - مَدَّ اللين : هو إطالة الصوت بالواو والياء الساكنتين المفتوح ما قبلهما والمتحرك ما بعدهما ، ويوقف عليه بالسكون مثال ذلك ﴿ خوف ﴾ ﴿ بيت ﴾ .

ويمد في حالة الوقف كالعارض للسكون على الأوجه الثلاث ولا يمد في حالة الوصل كما لو قرأ مثلاً ﴿ فلا خوف عليهم ﴾ .

مد اللازم : هو أن يأتي بعد حرف المد حرف ساكن سكوناً لازماً سواء كان في حالة الوقف أو حالة الوصل ، مثال ذلك ﴿ الحاقّة ﴾ ﴿ الطامة ﴾ ﴿ ق ﴾ ﴿ ن ﴾ ﴿ الَمْ ﴾ .

فقد جاء بعد حرف المد في كل من الحاقّة والطامة حرف ساكن سكوناً لازماً ، لأن الحرف المشدد هو عبارة عن اجتماع حرفين من جنس واحد أولهما ساكن والثاني متحرك ، فالحاقّة هي عبارة عن (الحاقّة) والطامة (الطاممة) .

وأما الحروف المذكورة ﴿ ق ﴾ ﴿ ن ﴾ ﴿ الَمْ ﴾ في أوائل السور فهي تقرأ (قاف) (نون) (ألف لام ميم) ويمد بمقدار ست حركات وجوباً باتفاق القراء .

ويقسم المد اللازم إلى قسمين : مد لازم كلي ، ومد لازم حرفي .

١ - المد اللازم الكلمي : وهو الذي يقع في الكلمة مثل ﴿ الصّاحّة ﴾ ﴿ الطامة ﴾ وهو نوعان : مد لازم كلي مثقل ومد لازم كلي مخفف .

٢ - المد اللازم الكلمي المثقل : وذلك حين يأتي في الكلمة حرف مد وبعده حرف مشدّد مثل ﴿ الحاقّة ﴾ ﴿ الطامة ﴾ .

٣ - المد اللازم الكلمي المخفف : وذلك حين يأتي في الكلمة حرف المد وبعده حرف ساكن/ غير مشدّد/ سكوناً لازماً ، ولا يوجد في القرآن الكريم على قراءة حفص إلا في موضعين من سورة يونس وهما قوله تعالى ﴿ الآن وقد كنتم ﴾ ﴿ الآن وقد عصيت ﴾ (٥١) و(٩١) .

٤ - المد اللازم الحرفي : هو الذي يقع في حرف من أوائل السور والأحرف الواقعة في أوائل تسع وعشرين سورة من القرآن الكريم مثل ﴿ الَمْ . المصّ . الرّ . طسّم . حَم ﴾ إلخ وتشتمل على ثلاثة عشر حرفاً وهي : (ل م ص ر ك ه ي ع ط س ح ق ن) وهي بالنسبة للمد على نوعين .

فنوع من الحروف السابقة تُمدّ بمقدار ست حركات ، وهو المد اللازم الحرفي بنوعيه المثقل والمخفف ، وحروفه (ن ق ص ع س ل ك

(م) ، مجموعة في قولك (نقص عسلكم) فهي تمد مدّ اللين ، وذلك في قوله تعالى ﴿ كَبِهَيْصٍ ﴾ وقوله ﴿ حَمِ عَسَقٍ ﴾ غير أن حرف العين يمد ست حركات أو أربعة كما قال الشاطبي (وفي عين الوجهان والطول فضلاً) .

والنوع الثاني من الحروف السابقة تمد بمقدار حركتين كالمد الطبيعي ، وهي بقية الأحرف (ح ي ط ه ر) المجموعة في قولك (حمي طهر) وإن المد اللازم الحرفي على نوعين حرفي منقل وحرفي مخفف .

فالمد اللازم الحرفي المنقل : هو أن يأتي في حرف من أوائل السور حرف مدّ وبعده حرف مشدد مثل ﴿ السّم ﴾ فالمدّ في اللام مدّ لازم حرفي منقل لحيء حرف المد وهو الألف وبعده حرف مشدد فهي تقرأ (ألف لام ميم) .

والمد اللازم الحرفي المخفف : وذلك حين يأتي في حرف من أوائل السور حرف مدّ بعده حرف ساكن سكوناً لازماً مثل ﴿ ق ﴾ ﴿ ن ﴾ وحرف الميم من ﴿ السّم ﴾ فالمد فيها مدّ لازم حرفي مخفف لحيء حرف المد فيها وبعده حرف ساكن سكوناً لازماً ، فهي تقرأ (قاف) (نون) (ميم) .

- ٦ -

أحكام النون الساكنة والتنوين

النون الساكنة : هي النون المسكّنة مثل ﴿ إن ﴾ ﴿ من ﴾ ﴿ كنتم ﴾ .

التنوين : هو نون ساكنة تتبع آخر الاسم لفظاً وتفارقه خطأً ووقفاً وهو ضمتان أو كسرتان مثل ﴿ علياً ﴾ ﴿ علم ﴾ ﴿ عليهم ﴾ وذلك عند وصل الكلمة بما بعدها فإن وقفنا عليها لم نأت بالتنوين وإنما نقف عليها بألف ساكنة فنقول ﴿ علياً ﴾ وذلك في حالة النصب وفي حالتي الرفع والجر فنقف على حرف ساكن مثل ﴿ علم ﴾ .

والتنوين إنما يظهر عند وصل الكلمة بما بعدها فنقول (عليمن حكياً) (عليمن شكور) (عليمن بالظالمين) وللنون الساكنة والتنوين بالنسبة لما يقع بعدها من حروف الهجاء أربعة أحكام : وهي الإقلاب والإظهار والإدغام والإخفاء .

١ - الإقلاب : هو قلب النون الساكنة أو التنوين ميماً مع الغنة ، بمقدار حركتين وذلك عند حرف الباء فقط مثال ذلك ﴿ من بعد ﴾ فتقرأ (م بعد) ﴿ وسميع بصير ﴾ فتقرأ (سميعم بصير) وهكذا .

٢ - الإظهار : هو النطق بكل حرف من مخرجه من غير غنة وذلك إذا وقع بعد النون الساكنة أو التنوين حرف من حروف الخلق وهي حروف الإظهار وعددها ستة حروف وهي الهمزة والهاء والعين والحاء والغين والخاء مثال ذلك ﴿ من آمن ﴾ ﴿ حكيم علم ﴾ ﴿ أنعمت ﴾ ويسمى إظهاراً حلقياً فيجب إظهار النون الساكنة أو التنوين مستقلة عن الحرف الذي بعدها من حروف الإظهار المبينة من غير غنة .

٣ - الإدغام : هو إدخال حرف ساكن بحرف متحرك حيث يصيران حرفاً واحداً مشدداً من جنس الثاني ، وذلك إذا وقع بعد النون الساكنة أو التنوين حرف من حروف الإدغام الستة المجموعة بلفظ (يرملون) .

مثال ذلك ﴿ من ربهم ﴾ فقد اجتمعت النون الساكنة وبعدها حرف الراء المتحركة فتدغم النون مع الراء بحيث يصيران حرفاً واحداً مشدداً من جنس الثاني فتقرأ (مرّبهم) وكذلك قوله تعالى ﴿ من لدنا ﴾ فتقرأ (ملّدنا) فهي على التحقيق (مرّزّبهم) (مل لدنا) فدغمت من غير غنة ويسمى إدغاماً كاملاً لذهاب الحرف والصفة معاً ، ووجه حذف الغنة مع اللام والراء المبالغة في التخفيف ، ويستثنى إدغام النون في الراء من قوله تعالى ﴿ من راق ﴾ فإنه يسكت عليها سكتة لطيفة بدون تنفس ولا يأتي الإدغام مع السكت. وتنقسم حروف الإدغام الستة المجموعة بلفظ (يرملون) إلى قسمين :

أولاً : إدغام بغنة : وحروفه (الباء . والواو . والميم . والنون) وهي مجموعة بلفظ (يومن) مثال ذلك ﴿ فمن يعمل ﴾ فتقرأ (فميعمل) مع الغنة بمقدار حركتين .

ثانياً : إدغام بلا غنة : وحروفه اللام والراء فقط ، مثل ﴿ من ربهم ﴾ و﴿ من لدنا ﴾ كما مر ذكرها .

ولا يقع الإدغام إلا في كلمتين فإذا اجتمعت النون الساكنة مع حرف من حروف الإدغام في كلمة واحدة فلا تدغم وإنما تظهر ويسمى (إظهاراً شاذ) ومثال ذلك (دنيا) (صنوان) (قنوان) وهناك موضعان في كتاب الله تعالى لا يجب الإدغام فيهما مع كونهما

متحققين مع القاعدة العامة ، وإنما يجب فيها الإظهار دون الإدغام وهما قوله تعالى ﴿يَسْ وَالْقُرْآنَ الْحَكِيمَ﴾ وقوله ﴿نَ وَالْقَلَمَ﴾ فقد اجتمعت فيها النون الساكنة مع الواو في كلمتين على اعتبار أنهما تقرآن (ياسينَ وَالْقُرْآنَ الْحَكِيمَ) و(نون والقلم) فيجب الإظهار فيها استثناءً من القاعدة ، وذلك برواية حفص والله أعلم .

الغنة : هي صوتٌ يخرج من الخيشوم لا عمل للسان فيه وتمتدّ بمقدار حركتين ، ومن أبرز مواضعها النون والميم المشددتان مثال ذلك ﴿ثُمَّ﴾ ﴿إِنْ﴾ ﴿عَمَّ﴾ ﴿الْجَنَّةُ﴾ .

٤ - الإخفاء : هو لغة الستر . واصطلاحاً : النطق بحرف ساكن خال من التشديد وهو على حالة بين الإظهار والإدغام مع بقاء الغنة وهو أن يأتي بعد النون الساكنة أو التنوين حرف من حروف الإخفاء وهي خمسة عشر حرفاً (ص ذ ث ج ش ق س ك ض ظ ز ت د ط ف) وهي مجموعة في أوائل كلمات هذا البيت :

صف ذا ثنا جود شخص قد سما كريماً ضع ظالمأ زذ في تقى ذم طالباً قترى

فإذا جاء التنوين أو النون الساكنة وبعدها حرف من حروف الإخفاء سواءً كان التقاء النون الساكنة وحرف من حروف الإخفاء في كلمة واحدة أو في كلمتين وجب إخفاء النون بالنطق بها على حالة بين الإظهار والإدغام من غير تشديد مع الغنة بمقدار حركتين مثال ذلك للنون الساكنة مع الصاد ﴿منصوراً﴾ ﴿لئن صبرتم﴾ .

ومثال التنوين مع الكاف ﴿علواً كبيراً﴾ ﴿ومع القاف﴾ ﴿علمٌ قدير﴾ وهكذا بقية الحروف .

-٧-

أحكام الميم الساكنة

للميم الساكنة بالنسبة لما يأتي بعدها من حروف الهجاء ثلاثة أحكام : (إدغام متماثل) و(إخفاء شفوي) و(إظهار شفوي) .

١ - **الإدغام المتماثل :** ويسمى بالإدغام الشفوي وهو إذا جاء بعد الميم الساكنة حرف الميم فقد وجب إدغامهما معاً بغنة فيصيران ميماً واحدة مشددة مثل ﴿هَمْ مَا يَشَاعُونَ﴾ ﴿لَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ﴾ ﴿عَلَيْهِمْ مَوْعِدَةٌ﴾ .

٢ - **الإخفاء الشفوي :** وهو إذا جاء بعد الميم الساكنة حرف الباء فقد وجب إخفاء الميم عنده بغنة مثل ﴿فأَحْكَمْتُمْ بَيْنَهُمْ﴾ ﴿تَرْبِيَهُمْ بِحِجَارَةٍ﴾ ، وسمي إخفاءً شفويًا لخروج حرفه (الباء) من الشفّة .

٣ - **الإظهار الشفوي :** هو إذا جاء بعد الميم الساكنة بقية حروف الهجاء ، عدا الميم والباء فيجب إظهار الميم من غير إدغام ولا إخفاء ولا غنة ، مثال ذلك ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ﴾ ﴿يُؤْتِكُمْ أَجْرَكُمْ﴾ ، وأشد ما يكون الإظهار الشفوي وضوحاً عند حرف الواو والفاء مثل ﴿فَهُمْ فِي رَحْمَةِ اللَّهِ﴾ وقوله تعالى ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ .

-٨-

الإدغام وأحكامه وأنواعه

الإدغام : هو إدخال حرف بآخر .

وأنواعه بحسب الصفة ينقسم إلى ثلاثة أقسام : (إدغام متماثل) و(إدغام متجانس) و(إدغام متقارب) .

١ - **الإدغام المتماثل :** هو أن يتحد الحرفان في المخرج والصفة ، وبلي أحدهما الآخر سواءً اجتمعا في كلمة واحدة أو في كلمتين كاجتماع التاء مع التاء : في قوله تعالى ﴿فَمَا رِحْتُم بِتِجَارَتِهِمْ﴾ أو اجتماع الباء مع الباء : في قوله تعالى ﴿أَنْ اضْرَبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ﴾ واجتماع الواو مع الواو : في قوله تعالى ﴿أَوُوا وَنَصَرُوا﴾ واجتماع الكاف مع الكاف : في قوله تعالى ﴿يُدْرِكُكُمْ الْمَوْتُ﴾ والميم مع الميم مثل : ﴿فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾ واللام مع اللام مثل ﴿قُلْ لَهُمْ﴾ والذال مع الذال ﴿إِذْ ذَهَبَ﴾ إلى غير ذلك ، فتدغم التاء بالتاء والباء بالباء والكاف بالكاف إلخ . ويلفظان كالحرف المشدد من غير غنة لعدم وجود أحد طرفي الغنة فيها .

وأما اجتماع الميم مع الميم في مثل قوله تعالى ﴿فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾ وقوله ﴿لَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ﴾ فتدغم الميم مع الميم مع الغنة لوجود الميم وهو حرف غنة .

- ٢ - الإدغام المتجانس : هو أن يتحد الحرفان في المخرج ويختلفان في بعض الصفات ، ويلى أحدهما الآخر فيجيب الإدغام في المواضع التالية : كاجتماع الدال الساكنة مع التاء مثل ﴿ لَقَدْ تَقَطَّعَ ﴾ و﴿ مَهَّدَتْ ﴾ و﴿ قَدَّ تَيْنَ ﴾ و﴿ عَدَّتْ ﴾ .
- وكذلك في اجتماع التاء الساكنة مع الدال مثل ﴿ أَنْقَلْتُ دَعْوَا اللَّهِ رَبِّهِمَا ﴾ و﴿ أُجِيبْتُ دَعْوَتِكُمَا ﴾ وفي اجتماع التاء الساكنة مع الطاء مثل ﴿ هَمَّتْ طَائِفَةٌ ﴾ و﴿ آمَنْتْ طَائِفَةٌ ﴾ .
- وكذلك في اجتماع الطاء مع التاء في مثل قوله تعالى ﴿ بَسَطْتُ ﴾ مع بقاء صفة الإطباق في الطاء .
- وأيضاً في اجتماع الدال الساكنة مع الطاء مثل ﴿ إِذْ ظَلَمُوا ﴾ وكذلك في اجتماع التاء الساكنة مع الدال مثل ﴿ يَلْهَثُ ذَلِكَ ﴾ واجتماع الباء الساكنة مع الميم مثل ﴿ ارْكَبْ مَعَنَا ﴾ .
- ٣ - الإدغام المتقارب : هو أن يتقارب الحرفان في المخرج أو الصفة ، ويلى أحدهما الآخر فيجيب الإدغام من هذا النوع في موضعين .
- الأول : في اجتماع اللام الساكنة مع الراء مثل ﴿ وَقُلْ رَبِّ ﴾ و﴿ بَلِّ رَفَعَهُ اللَّهُ ﴾ .
- الثاني : هو اجتماع القاف الساكنة مع الكاف ﴿ أَلَمْ تَخْلُقْكُمْ ﴾ .

- ٩ -

أحكام اللام المعرفة

- لام المعرفة أربعة أحكام : التفضيم والترقيق والإدغام والإظهار .
- ١ - تفضيم اللام في لفظ الجلالة : إن ضم ما قبلها أو فتح مثل ﴿ قَالَ إني عَبْدُ اللَّهِ ﴾ و﴿ مِنْ اللَّهِ ﴾ .
- ٢ - وترقُّقٌ فيها سوى ذلك مثل ﴿ بِسْمِ اللَّهِ ﴾ و﴿ آمَنْتُ بِاللَّهِ ﴾ .
- ٣ - وتدغم اللام المعرفة : إذا جاءها بعدها أحد الحروف التالية وهي (ط ث ص ر ت ض ذ ن د س ظ ز ش ل) وعددها أربعة عشر حرفاً وهي مجموعة في أوائل كلمات هذا البيت :
- طَبُّ ثَمِ صَلِّ رَحِمًا تَقَرُّ ضَفْ ذَا يَتَمُّ دَعُ سَوْءَ ظَنُّ زُرُّ شَرِيْفًا لِلْكَرَمِ
- وتسمى هذه اللام باللام الشمسية مثل ﴿ التَّوَابِ ﴾ ﴿ الطَّامَةِ ﴾ نسبة إلى لام الشَّمْسِ المدغمة ، ويلها حرف مشدد .
- ٤ - وتظهر اللام المعرفة : إذا جاء بعدها حرف من بقية الحروف وهي : (أَبْ غَ حْ جْ كْ وِ حْ فْ عْ قْ يْ مْ هْ) وهي مجموعة في قولك ﴿ اِبْغِ حَجَّتْ وَخَفَّ عَقِيمَه ﴾ ومثال ذلك ﴿ القَمَرِ ﴾ ﴿ العَلِيمِ ﴾ وتسمى هذه اللام باللام القمرية نسبة إلى لام القمر .
- أما اللام التي تقع في أول الفعل أو في أول الاسم الموصول فإنها لا توصف بكونها شمسية ولا قمرية لأنها من بنية الكلمة مثل ﴿ التَّقَاتِ ﴾ ﴿ التَّقَى ﴾ ﴿ أَلْهَاكُم ﴾ ولام الموصول مثل ﴿ الَّذِي ﴾ ﴿ الَّذِي ﴾ إلى غير ذلك .

- ١٠ -

أحكام الراء وأحوالها

- للراء ثلاثة أحكام التفضيم والترقيق وجواز الوجهين : وإنما تأخذ حكمها بحسب موقعها من حركة الكسر أو الفتح أو الضم أو السكون .
- تفضيم الراء : تفضيم الراء في خمسة مواضع :
- ١ - إن ضمت أو فتحت مثل ﴿ غُرْبًا أُتْرَابًا ﴾ .
- ٢ - إن سكنت وكان قبلها ضم أو فتح مثل ﴿ الْقُرْآنِ ﴾ و﴿ الْعَرْشِ ﴾ .
- ٣ - إن سكنت وكان قبلها كسر عارض مثل ﴿ لِمَنْ ارْتَضَى ﴾ .
- ٤ - إن سكنت وقفاً وكان قبلها ساكن وقبل الساكن ضم أو فتح مثل ﴿ وَالْمَعْرِ ﴾ و﴿ الشُّكْرِ ﴾ .
- ٥ - إن سكنت وكان قبلها كسر أصلي وبعدها حرف استعلاء غير مكسور ، مثل ﴿ قُرْطَاسٍ ﴾ و﴿ مِرْصَادٍ ﴾ وحروف الاستعلاء مجموعة في قولك ﴿ خَصَّ ضَغْظَ قَطِّ ﴾ وهي الحروف المفخمة .

ترقيق الراء : ترقيق الراء في أربعة مواضع :

- ١ - إن كسرت مثل ﴿ رجال ﴾ .
- ٢ - إن سكنت وكان قبلها كسر أصلي مثل ﴿ فرعون ﴾ .
- ٣ - إن سكنت وكان قبلها ياءً ساكنة مثل ﴿ قدير ﴾ ﴿ خبير ﴾ .
- ٤ - إن سكنت وفقاً وكان قبلها ساكن وقبل الساكن كسر مثل ﴿ السحر ﴾ .

جواز التفخيم والترقيق في الراء : وذلك في موضعين :

١ - إذا سكنت وكان قبلها كسر أصلي وبعدها حرف استعلاء مكسور ، مثل ﴿ كلُّ فَرْقٍ كالطُّودِ العظيم ﴾ فجاز فيها التفتيم لوقوعها ساكنة قبل حرف القاف والقاف حرف من حروف الاستعلاء .

وجاز التريق أيضاً لأن حرف الاستعلاء وإن كان يناسبه التفتيم لكنه جاء مكسوراً والكسر يضعف التفتيم .

والموضع الثاني إذا جاءت ساكنة في آخر الكلمة وقد سبقها حرف استعلاء ساكن وهو مسبوقة بحرف مكسور مثل ﴿ مصر ﴾ و ﴿ قطر ﴾ والمرجح التفتيم في ﴿ مصر ﴾ لانفتاحها حالة الوصل ﴿ اهبطوا مصر إن شاء الله آمين ﴾ ، والمرجح التريق في ﴿ قطر ﴾ لكسرها حالة الوصل ﴿ وأرسلنا له عين القطر ومن الجن ﴾ .

وفي تفخيم الراء المتطرفة وترقيقها وفقاً ورد الخلاف في المواضع التالية :

- ١ - في قوله تعالى ﴿ فأسر بأهلك ﴾ سورة هود آية (٨١) وفي قوله تعالى ﴿ فأسر بعبادي ﴾ سورة الدخان (٢٣) .
- ٢ - وفي قوله تعالى ﴿ واللليل إذا يسر ﴾ في سورة الفجر (٤) .
- ٣ - وفي قوله تعالى ﴿ أن أسر بعبادي ﴾ في سورة طه (٧٧) وقال بعضهم :

ورقق القــــراء راء قطــــر في حالة الوقف لأجل الكسر
وجاز تفخيم وعكس ثبتا في راء مصر فاحفظنه يا فتى

وورد الخلاف أيضاً في راء ﴿ فَرْقٍ ﴾ غير أنها وقعت في وسط الكلمة وهي في قوله تعالى ﴿ فكان كلُّ فَرْقٍ كالطُّودِ العظيم ﴾ بترجيح التفتيم على التريق شريطة أن يقرأ بقصر مدّ المنفصل ، وإلا فالأرجح التريق وهذه الآية في سورة الشعراء (٦٣) .

حكم الألف الساكنة : من حيث تفخيمها أو تريقها ، فإنها تتبع ما قبلها في التفتيم والترقيق .

وبعد هذا العرض الموجز لأهم قواعد التجويد والترتيل نسأل الله تعالى أن يوفقنا لتلاوة كلامه على النحو الذي يرضاه عنا ، وأن يتقبل منا تلاوتنا وعباداتنا وأن يجعلها خالصة لوجهه الكريم ، وأن يعلمنا ما جهلنا من أحكام كتابه الكريم ، وأن يوفقنا للعمل بما علمنا ، إنه سميع مجيب .

تاريخ

جمع القرآن الكريم وتدوينه

ليس في الوجود كتابٌ سماويٌّ وصلَ إلى ذُرْوَةِ التوثيقِ العليا كالقرآنِ الكريمِ ، الذي كُتِبَ على أصحِّ أسلوبِ التدوينِ ، وعلى أدقِّ قواعدِ الضبطِ ، في مصحفٍ لا يأتيه الباطلُ من بين يديه ولا من خلفه ، والذي ظلَّ ينتقلُ إلينا بطريقِ معجزِ البشرِ عن مثله لغيره . فقد كان نقله بوسيلتينِ مقترنتينِ دائماً وأبداً : الحفظُ في الصدورِ ، والرسمُ في السطورِ مُتداولاً ليلاً نهاراً على طولِ وعرضِ الأمةِ الإسلاميةِ في كلِّ زمانٍ ومكانٍ .

* * *

وهذا الشكلُ الرائعُ الذي لا نظيرَ له في وجودِ البشرِ اكتسبَ نقلُ القرآنِ الكريمِ صفةَ التواترِ الذي يفيدُ القطعَ واليقينَ الحارمَ في أنّ هذا القرآنَ قد وصلَ إلينا من غيرِ زيادةٍ ولا نقصانٍ ، ونحنُ نقرؤه الآنَ بنفسِ الضبطِ والإتقانِ اللذينِ كانَ يتسمُّ بهما في حضرةِ رسولِ الله صلى الله عليه وآله وسلم ، في حينِ تلقيه وأدائه على حدِّ سواءِ .

* * *

وما ذلكُ إلا من رعايةِ الله تبارك وتعالى لكلامه العظيمِ الذي استودعه في مصاحفِ الأمةِ ، قال سبحانه : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ [الحجر : ٩] . فكانَ حفظُ الله تعالى للقرآنِ الكريمِ النعمةَ الكبرى التي أنعمَ بها سبحانه على الأمةِ الإسلاميةِ ، فحفظَ لها به إسلامها وعقيدتها وشريعتهَا وآدابها وأخلاقها ولغتها وحضارتها . ولولا حفظُ القرآنِ الكريمِ لما كانتِ الأمةُ العربيةُ بل الأمةُ الإسلاميةُ خيراً بعدَ أثرٍ . فهي محفوظةٌ من الزوالِ والاندثارِ بحفظِ القرآنِ الكريمِ .

* * *

ولقد مرَّ توثيقُ النصِّ القرآنيِّ المجيدِ بخمسِ مراحلٍ من مراحلِ الرعايةِ والعنايةِ ، والضبطِ والإتقانِ في حفظه ورسمه وجمعه وتدوينه وتحملتهِ وأدائه وضبطِ قراءتهِ .

كتاب الوحي من الصحابة

اتخاذ الكتاب المتخصصين بالكتابة العربية لكتابة القرآن الكريم وذلك :

لما كان من حُرُصِ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على كتابته وتدوينه . فقد اتخذَ عليه الصلاة والسلام لذلك كتاباً متخصصين بالكتابة العربية وقواعد إملائها حسبما كان في ذلك الوقت من الاصطلاحات التي تتعلق بالخط العربي الأصيل .
وقد كان وجود الكتابة في العرب قبيل الإسلام ، إرهاباً لبعثة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، ليجتمع للقرآن الكريم الرسمُ في السطور إلى الحفظ بالصدور ، وبذلك يتبَّه للقرآن من دواعي الحفظ والرعاية ما لم يتبَّه لغيره ، ويتحقق وعد الله تعالى بحفظه ورعايته .

* * *

كتاب الوحي :

لقد كان لرسول الله كتابٌ يكتبون له ، فمنهم من كان يكتبُ بشكل عام ، ومنهم من كان يكتب له الوحي بشكل خاص ، وقد كان هؤلاء على رتبة عالية من الأمانة والثقة بالإضافة إلى كونهم حاذقين في الهجاء والكتابة ، وقد اشتهر منهم في كتابة الوحي : أبو بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعلي ، وعبد الله بن سعيد بن أبي سرح ، وهؤلاء من كتبه الوحي المكِّي ، وقد زاد عليهم من انضم إليهم من الأنصار وهم : أبي بن كعب وهو أولُ من كتب بالمدينة له عليه الصلاة والسلام ، وزيدُ بن ثابت وهو أكثرهم كتابة للوحي المدني ، ثم انضم إليهم : الزبير بن العوام وخالدُ وأبانُ ابنا سعيد بن العاص بن أمية ، وعبدُ الله بن رواحة ، وعمرو بن العاص ، وخالدُ بن الوليد ، والأرقمُ بن الأرقم . (انظر فتح الباري ٩ / ١٨ ، والأسماء واللغات للنووي ١ / ٢٩) .

* * *

كيفية الكتابة بين يديه عليه الصلاة والسلام :

قال زيدُ بن ثابت رضي الله عنه : (كنتُ أكتبُ الوحيَ عند رسولِ الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وهو يُملئ عليّ ، فإذا فرغْتُ قال : « اقرأ » ، فأقرأه ، فإذا كان فيه سقطُ أقامه ، ثم أُخرُجُ به إلى الناس) رواه الطبراني بسندٍ رجاله موثقون .
وقال ابنُ عباس وعثمانُ رضي الله عنهما : (كان رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلم كما يأتي عليه الرمانُ وهو نُزُل عليه السُّور ذوات العَدَدِ ، فكان إذا أنزل عليه شيءٌ منه دعا بعضُ من كان يكتبُ فيقولُ : ضَعُوا هذه الآيات في السورة التي يُذكرُ فيها كذا وكذا ، وإذا نزلتُ عليه الآيةُ يقولُ : ضَعُوا هذه الآية في السورة التي يُذكرُ فيها كذا وكذا) . (رواه الترمذي وقال : هذا حديث حسن) .

حفظ الصحابة للقرآن الكريم

استحفاظ النبي عليه الصلاة والسلام أصحابه للقرآن :

روى البخاري ومسلم عن عبد الله بن عمرو بن العاص أنه قال : سمعت النبي صلى الله عليه وآله وسلم يقول : « خُذُوا الْقُرْآنَ مِنْ أَرْبَعَةٍ : مِنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ ، وَسَالِمٍ - بْنِ مَعْقِلٍ ، مَوْلَى أَبِي حذيفة - وَمُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ ، وَأَبِي بَرٍّ كَعْبٍ » .
وقد كان جميع الصحابة يتبادرون إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم وإلى من سمّاهم من الحفظة يأخذون منهم القرآن ويحفظونه ، كل على قدر طاقته .

وقد استطاع استجماع القرآن كله غير هؤلاء الأربعة وهم : أبو بكر الصديق ، وعمر بن الخطاب ، وعثمان بن عفان ، وعلي بن أبي طالب ، وعبد الله بن عمر ، وعبد الله بن عمرو بن العاص ، وأبو زيد عمّ أنس بن مالك ، وأبو الدرداء ، وأبو أيوب الأنصاري ، وعبادة بن الصامت ، وطلحة ، وحذيفة ، وأبو هريرة ، وسعد بن عبيد ، ومن النساء الصحابيات : عائشة وحفصة وأم سلمة : أزواج النبي صلى الله عليه وآله وسلم .

وليس في هذه التسمية للحصر ، فقد ثبت في الصحيح أنّ يوم بُرِّ مَعُونَةٌ قُتِلَ مِنَ الْأَنْصَارِ سَبْعُونَ ، كانوا يُسَمِّونَ الْقُرَاءَ ، وكانت هذه الغزوة في السنة الرابعة للهجرة .

هذا بالإضافة إلى من حفظ أجزاء القرآن من الألوف المؤلفة الذين لا يُحصىون .

وقد كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يستقرئ بعض أصحابه للقرآن ، ففي الصحيحين عن عبد الله بن مسعود قال : قال لي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « اقرأ عليّ » ، فقلت : يا رسول الله اقرأ عليك ، وعليك أنزل ؟ قال : « نعم ، إني أحب أن أسمعه من غيري » .

حتى بلغ من عنايته عليه الصلاة والسلام في تحفيظ أصحابه كلام الله تبارك وتعالى أن كان يرغبهم في حفظه فيقول لهم ، كما في صحيح ابن حبان : « تَعَلَّمُوا الْقُرْآنَ ، وَاقْرَأُوهُ ، فَإِنَّ مِثْلَ الْقُرْآنِ لَمَنْ تَعَلَّمَهُ فَقَرَأَهُ كَمِثْلِ جِرَابٍ مَخْشُوٍّ وَسِكَاً يَفُوحٌ رِيحُهُ فِي كُلِّ مَكَانٍ ، وَمَنْ تَعَلَّمَهُ فَيَرَقُدُ وَهُوَ فِي جَوْفِهِ ، مَثَلُهُ كَمِثْلِ جِرَابٍ أَوْكِيٍّ عَلَى مِسْكِ » . ويقول كما في الصحيحين : « خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ » ويقول كما في المستدرک بإسناد صحيح : « مَنْ قَرَأَ الْقُرْآنَ فَقَدْ اسْتَدْرَجَ التَّبَوَةَ بَيْنَ جَنبَيْهِ غَيْرَ أَنَّهُ لَا يُوحَى إِلَيْهِ » . ويقول كما في مسند أحمد بإسناد رجاله ثقات : « اقْرَأُوا الْقُرْآنَ وَلَا تَغْلُوا فِيهِ ، وَلَا تَجْفُوا عَنْهُ وَلَا تَأْكُلُوا بِهِ ، وَلَا تَسْتَأْتِرُوا بِهِ » ، ويقول فيما رواه الترمذي بسند صحيح : « الَّذِي يقرأ الْقُرْآنَ وَهُوَ مَاهِرٌ بِهِ مَعَ السَّفَرَةِ الْكِرَامِ الْبَرَّةِ ، وَالَّذِي يقرؤه وَهُوَ عَلَيْهِ شَاقٌّ لَهُ أَجْرَانِ » . ويقول فيما رواه الحاكم بسند صحيح : « إِنَّ اللَّهَ أَهْلِينَ مِنَ النَّاسِ ، قَالُوا : مَنْ هُمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ : أَهْلُ الْقُرْآنِ ، هُمْ أَهْلُ اللَّهِ وَخَاصَّتُهُ » . ويقول فيما رواه ابن حبان في صحيحه : « يُقَالُ لِصَاحِبِ الْقُرْآنِ : اقْرَأْ وَارْقُ ، وَرَكَّلْ كَمَا كُنْتَ تَرْتَلُّ فِي الدُّنْيَا ، فَإِنَّ مِثْلَكَ عِنْدَ آخِرِ آيَةٍ تَقْرؤها » . وفي صحيح ابن حبان أيضاً : « عَلَيْكَ بِتِلَاوَةِ الْقُرْآنِ ، فَإِنَّهُ نُورٌ لَكَ فِي الْأَرْضِ وَدُخْرٌ لَكَ فِي السَّمَاءِ » . ويقول فيما رواه الحاكم بسند صحيح : « إِنَّ الَّذِي لَيْسَ فِي جَوْفِهِ شَيْءٌ مِنَ الْقُرْآنِ كَالْيَبْتِ الْخَرِبِ » .

وكان عليه الصلاة والسلام يرشدهم إلى ما يُقَوِّي حفظ القرآن ، فيقول فيما رواه البخاري ومسلم : « إِنَّمَا مِثْلُ صَاحِبِ الْقُرْآنِ كَمِثْلِ الْإِبِلِ الْمَعْتَلَةِ ، إِنْ عَاهَدَ عَلَيْهَا أَمْسَكَهَا ، وَإِنْ أَطْلَقَهَا ذَهَبَتْ » . ويقول فيما رواه ابن نصر في كتابه قيام الليل : « إِذَا قَامَ صَاحِبُ الْقُرْآنِ فقرأه بِاللَّيْلِ وَالتَّهَارِ ذِكْرَهُ - أَيْ بَقِيَ حَافِظًا لَهُ - وَإِنْ لَمْ يَقُمْ بِهِ نَسِيَهُ » .

حفظ الصحابة للأحاديث النبوية

مَنَعَ النَّبِيُّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ كِتَابَةَ غَيْرِ الْقُرْآنِ مِنْ أَحَادِيثِهِ الشَّرِيفَةِ :

فقد روى الخطيبُ البغدادي في تقييد العلم أن أبا سعيد الخدري قال : (جَهَّدْنَا - أَي : بذلنا جُهدنا - بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم أن يأذن لنا في الكتابِ فأبى) ، وفي رواية : (استأذنا النبي صلى الله عليه وآله وسلم في الكتابة فلم يأذن لنا) .
وروى مسلمٌ عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : « لا تُكْتُبُوا عَنِّي ، وَمَنْ كَتَبَ عَنِّي غَيْرَ الْقُرْآنِ فَلْيَمُحُهُ » .

وفي تقييد العلم للخطيب البغدادي أن أبا هريرة قال : خرَّج علينا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ونحن نكتب الأحاديث فقال : « ما هذا الذي تكتبون ؟ » ، قلنا : أحاديث نسمعها منك ، قال : « كتاب غير كتاب الله ؟! أُنذرون ما ضلَّ الأمم قبلكم إلا بما اُكتُبوا مِن الكُتُبِ مع كتاب الله تعالى » .

فهذا النهي من الرسول عليه الصلاة والسلام توقفت الصحابة عن كتابة الحديث واتجهوا به إلى تمكيبه في الأذهان والفكر خشية نسيانِهِ . واقتصروا بالكتابة على القرآن الكريم خشية اختلاطه بما ليس منه ، وذلك جِئطة في العناية والرعاية التي فرضها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في ذلك الحين .

إلا أنه عليه الصلاة والسلام قد أجازَ لبعض أصحابه على الخصوص بكتابة أحاديثه الشريفة ، وذلك كما رواه الترمذي في سننه [ص ١٢٥] عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال : (كُنْتُ أَكْتُبُ كُلَّ شَيْءٍ أَسْمَعُهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أُرِيدُ حِفْظَهُ ، فَهَبْتِي قَرِيشَ ، وَقَالُوا : تَكْتُبُ كُلَّ شَيْءٍ سَمِعْتَهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بَشَرٌ يَتَكَلَّمُ فِي الْغَضَبِ وَالرَّضَا ؟! فَأَمْسَكْتُ عَنِ الْكِتَابِ ، فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ، فَأَوْمَأَ بِإصْبَعِهِ إِلَى فِيهِ وَقَالَ : « اكْتُبْ فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا خَرَجَ مِنْهُ إِلَّا حَقًّا » .

وروى الإمام أحمد في مسنده عن أبي هريرة : (أَنَّهُ لَمَّا فَتَحَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ مَكَّةَ قَامَ الرَّسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وَخَطَبَ فِي النَّاسِ ، قَامَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْيَمَنِ يُقَالُ لَهُ : أَبُو سَاهٍ ، فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، اكْتُبُوا لِي - أَي : ما قد سمعته من قوله عليه الصلاة والسلام - فَقَالَ : « اكْتُبُوا لَهُ ») .

وفي الإصابة وفتح الباري [١ / ٢١٧] ، أن أبا هريرة رضي الله عنه كان يقول : (ما مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أَحَدٌ أَكْرَهَ حَدِيثًا عَنْهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ - إِلَّا مَا كَانَ مِنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو ، فَإِنَّهُ كَانَ يَكْتُبُ وَلَا أَكْتُبُ) .

وفي طبقات ابن سعد [٧ / ٤٩٤] ، عن إسحاق بن يحيى عن مجاهد أنه قال : (رَأَيْتُ عِنْدَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو صَحِيفَةً ، فَسَأَلْتُهُ عَنْهَا ، فَقَالَ : هَذِهِ الصَّادِقَةُ ، فِيهَا مَا سَمِعْتُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ، وَلَيْسَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ فِيهَا أَحَدٌ !!) .

ففي هذه الأحاديث والآثار في هذا الموضوع ، أن نهي النبي صلى الله عليه وآله وسلم عن كتابة أحاديثه مع القرآن ، إنما كان خوف الالتباس والاختلاط ، وأن النبي - والله أعلم - كان لصرف همم الصحابة للاشتغال بالقرآن الكريم وتدوينه وتوثيق نصه وتوكيد لفظه ، وترك الحديث للممارسة العمليَّة ، لأنهم كانوا يُطَبِّقُونَ هَدْيَهُ فِيهِ ، فَيَرَوْنَ فِيَتَبِعُونَ ، وَيَسْمَعُونَ فِيَتَبِدُونَ .

وإلى جانب هذا سمح عليه الصلاة والسلام لمن كان يأمن منه اختلاط القرآن بغيره أن يُدَوِّنَ الحديث كعبد الله بن عمرو بن العاص ، وذلك لما كان يراه عليه الصلاة والسلام من عبد الله ، فقد روى النسائي بسند صحيح أن عبد الله بن عمرو قال : (جَمَعْتُ

القرآن، وقرأت به كل ليلة، فبلغ النبي صلى الله عليه وآله وسلم ذلك، فقال: «اقرأه في شهر»، قلت: أستطيع أكثر من ذلك... كما أنه عليه الصلاة والسلام أباح لمن يصعب عليه حفظ حديثه، أن يستعين بالكتابة، حتى إذا حفظ المسلمون القرآن الكريم وميزوه عن الحديث بطبيعتهم وسليقتهم الإسلامية نسخ النبي بالإباحة عامة.

فقد روى مسلم عن ابن عباس أنه قال: (لما اشتد بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم وجعه قال: «إثوني بكتاب أكتب لكم كتاباً لا تضلوا بعده»، قال عمر: إن النبي صلى الله عليه وآله وسلم غلبه الوجع - وهو يريد بذلك أن يستعفيه - وعندنا كتاب الله حسبنا، فاحفظوا وكثر اللغط، قال: «قوموا عني، ولا يبينني عندئذ التنازع». فقوله عليه الصلاة والسلام هذا هو واضح في أنه كان يريد أن يُعلم عليهم شيئاً من سنته الطاهرة. فيفهم من دلالة ذلك أنه أباح ما كان محظوراً على الصحابة ومن بعدهم من كتابة الحديث الشريف بشكل عام، والله أعلم.

تدوين القرآن الكريم في عهد أبي بكر

جمع القرآن وكتابته في عهد الخليفة الصديق

لما التحق رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالرفيق الأعلى، ورجعت نفسه الطاهرة إلى ربها راضية مرضية، تولى أمر الأمة أبو بكر الصديق رضي الله تعالى عنه، وكان ذلك في السنة الحادية عشرة من الهجرة، فظهر مسلمة الكذاب الذي ادعى النبوة زوراً وبهتاناً، يطمع في حكم العرب، وكان يتخذ ادعاء النبوة وسيلة لذلك، فثار إثر وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على الخليفة الصديق، فجهز له أبو بكر جيشاً لمحاربتيه.

ولما دارت رحى الحرب، وكانت المعركة حامية الوطيس، استشهد فيها كثير من الصحابة، وكان من بينهم ما يقرب من السبعين من حفظة القرآن الكريم، فهال ذلك جميع المسلمين، وعز الأمر على عمر بن الخطاب، فدخل على أبي بكر وأخبره الخبر، وأشار عليه بجمع القرآن، قيل أن يستحجر القتل بباقي القراء في معارك قادمة، وما زال أبو بكر عليه ذلك حتى أقره.

روى البخاري أن زيد بن ثابت قال: (أرسل إلي أبو بكر مقتل أهل اليمامة - أي: حين مقتلهم - فإذا عمر بن الخطاب عنده، فقال أبو بكر: إن عمر بن الخطاب أتاني فقال: إن القتل استحرج - أي: اشتد - يوم اليمامة بقراء القرآن، وإني أخشى أن يستحرج القتل بالقراء في المواطن، فيذهب كثير من القرآن، وإني أرى أن تجمع القرآن. فقلت لعمر: كيف تفعل شيئاً لم يفعله رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؟ فقال عمر: هو والله خير، فلم يزل يراجعني حتى شرح الله صدري لذلك، ورأيت في ذلك الذي رآه عمر.

قال زيد: قال أبو بكر: إنك شاب عاقل لا نتهمك، وقد كنت تكتب الوحي لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فتشيع القرآن فاجمه، - قال - فوالله لو كلفوني نقل جبل من الجبال ما كان أثقل علي مما أمرني به من جمع القرآن.

قلت: كيف تفعلان شيئاً لم يفعله رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؟ قال: هو والله خير. فلم يزل أبو بكر يراجعني حتى شرح الله صدري للذي شرح له صدر أبي بكر وعمر. فتشيع القرآن أجمع من العسب واللخاف وصدور الرجال، حتى وجدت آخر سورة التوبة مع أبي خزيمه - أي: ابن أوس بن زيد - الأنصاري لم أجدتها مع غيره، ﴿لقد جاءكم رسول من أنفسكم...﴾ إلى آخر السورة [التوبة: 128]. فكانت الصحف عند أبي بكر حتى توفاه الله، ثم عند عمر في حياته، ثم عند حفصة بنت عمر.

وقوله: (حتى وجدت آخر سورة التوبة مع أبي خزيمه)، ليس معناه إثبات الآية بحفظ الواحد، لأن زيداً كان قد سمعها وحفظها وعلم موضعها في سورة التوبة من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فكان ذلك زيادة في التوثيق والتحرير والتأكيد.

وفي رواية، (ففقدت آية كنت أسمعها من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، لم أجدتها عند أحد، فوجدتها عند رجل من

الأنصار ، وهو خزيمَةُ بْنُ فَاكَةَ بْنِ ثَابِتِ بْنِ ثَعْلَبَةَ ، الذي كان يُعْرَفُ بِذِي الشَّهَادَتَيْنِ لكَثْرَةِ تَصْدِيقِهِ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ، والآيةُ هي قولُهُ تَعَالَى : ﴿ مِنْ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ .. ﴾ [الأحراب : ٢٣] . فقوله ، (ففقدتُ آيةً كنتُ أسمعُها من رسولِ اللَّهِ ..) يُبَيِّنُ لَنَا أَنَّهُ كَانَ لَا يَكْتُبُ إِلَّا مِنْ مَعِينٍ مَا كُتِبَ بَيْنَ يَدَيْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ لَا مِنْ جَرْدِ الْحَفِظِ دُونَ الْكِتَابَةِ . (انظر الإِتقان في علوم القرآن ١ / ٥٨) .

وهكذا . مضى زيدٌ رضي الله عنه يجمعُ القرآنَ الكريمَ فيما تفرَّقَ بينَ أيدي المسلمين من أجزاءه وسوره من المُسَنَّفِ وَاللَّحَافِ وَالصَّحَافِ وَالألواحِ ، ومن أفواه الرجالِ ، في مصحفٍ واحدٍ ، بمحضورٍ ومشهدٍ وعلمٍ جميعِ الصحابةِ الذين عاصروا نزولَ الوحي وراقفوا حوادثَهُ ووقائعَهُ ، فأتى جمعُ هذا المصحفِ على غايةٍ من البيانِ والرعايةِ والإِتقانِ .

وقد امتازَ هذا الجمعُ الذي حقَّقَ المرحلةَ الثانيةَ لتوثيقِ النصِّ القرآني الكريمِ بالميزاتِ التاليةِ :

أولاً : أَنَّهُ كُلُّ مَنْ كَانَ قد تَلَقَّى عن رسولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ شيئاً مِنَ الْقُرْآنِ أتى وأدلى به إلى زيدٍ .

ثانياً : أَنَّهُ كُلُّ مَنْ كَتَبَ شيئاً في حضرتهِ عليه الصلاةُ والسلامُ مِنَ الْقُرْآنِ أتى به إلى زيدٍ .

ثالثاً : أَنَّهُ زِيداً كَانَ لَا يَأْخُذُ إِلَّا مِنْ أَصْلٍ قد كُتِبَ بَيْنَ يَدَيْ النَّبِيِّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ .

رابعاً : أَنَّهُ الْجَمْعُ بَعْدَ الْمَقَارِنَةِ بَيْنَ الْمَحْفُوظِ فِي الصُّدُورِ وَالْمَرْسُومِ فِي السُّطُورِ وَالْمَقَابِلَةِ بَيْنَهُمَا لَا بِمَجْرَدِ الْاعْتِمَادِ عَلَى أَحَدِهِمَا .

خامساً : أَنَّهُ زِيداً كَانَ لَا يَقْبَلُ مِنْ أَحَدٍ شيئاً حتى يشهدَ مَعَهُ شَاهِدَانِ عَلَى سَمَاعِهِ وَتَلْقِيهِ عَنِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ، فيكونُ بذلكَ قد تَمَّ هذا التدوينُ عن طريقِ الأداءِ الجماعيِّ ، والثلاثةُ أَقْلُ الْجَمْعِ .

سادساً : أَنَّهُ تَرْتِيبُهُ وَضَبْطُهُ عَلَى حَسَبِ الْعَرِضَةِ الْأَخِيرَةِ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قَبْلَ التَّحَاوِيهِ بِالرَّفِيقِ الْأَعْلَى .

هذا .. وقد كان يشارك زيداً في هذه المهمةِ العظيمةِ عمرُ بْنُ الْخَطَّابِ ، فَمَنْ عُرِفَ بِالنَّبِيِّ أَنَّ أَبَا بَكْرٍ قَالَ لِعَمْرٍ وَزَيْدٍ : (أَقْعَدْنَا عَلَى بَابِ الْمَسْجِدِ ، فَمَنْ جَاءَ كَمْ بِشَاهِدَيْنِ عَلَى شَيْءٍ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ فَانْكُتِبَاهُ) . قال الحافظُ السخاويُّ في (جَمَالِ الْقُرْآنِ) : (المرادُ أَنَّهُمَا يشهدانِ على أَنَّ ذَلِكَ الْمَكْتُوبَ كُتِبَ بَيْنَ يَدَيْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ، أو المرادُ أَنَّهُمَا يشهدانِ على أَنَّ ذَلِكَ مِنَ الْوُجُوهِ الَّتِي نَزَّلَ بِهَا الْقُرْآنُ) . (الإِتقان ١ / ٥٨) .

روى ابنُ أبي داودَ في كتابهِ (المصاحفِ) أَنَّ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ قَالَ : (أعظمُ النَّاسِ أجراً في المصاحفِ أبو بكرٍ ، رحمةُ اللَّهِ على أبي بكرٍ هُوَ أَوْلُ مَنْ جَمَعَ الْقُرْآنَ بَيْنَ اللَّوْحَيْنِ) .

* * *

مصاحف الصحابة

وقد كان بعضُ الصحابةِ يكتُبُ القرآنَ في مصحفِهِ من تلقاءِ نفسه ، فمن تلكِ المصاحفِ : مصحفُ عبدِ اللَّهِ بنِ مسعودٍ ، ومصحفُ أبي بنِ كعبٍ ، ومصحفُ عبدِ اللَّهِ بنِ عمرٍ ، ومصحفُ زيدِ بنِ ثابتٍ . وكلُّهم قرؤوا القرآنَ الكريمَ وحفظوه على رسولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ، إِلَّا أَنَّ زَيْدَ بْنَ ثَابِتٍ كَانَ آخِرُهُمْ عَرَضاً عَلَى النَّبِيِّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ، إِذْ كَانَ ذَلِكَ فِي عَامِ وَفَاتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ . وقد كانتْ هذه المصاحفُ وعمامةُ الصُّحُفِ الَّتِي كُتِبَتْ فِي زَمَنِ نَزُولِ الْوَحْيِ فِي خِدْمَةِ هَذَا الْمَصْحَفِ الَّتِي جُمِعَ عَلَى عَهْدِ الْخَلِيفَةِ الصَّادِقِ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ .

المصحف العثماني وجمعه

الجمع الثاني واستنساخ مصاحف الأمصار في عهد أمير المؤمنين عثمان بن عفان

لما امتدّت الفتوحات الإسلامية في زمن أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه ، واتسعت رقعة الإسلام ، وانتشر الصحابة في أقطار الأرض وأمصارها ، واختلط العرب بغيرهم من الأمة الإسلامية . وأصبح أهل كل بلد ومضرب من العالم الإسلامي يتلقون القرآن الكريم عن من رُهِط إليهم من رُهِط رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فكان أهل الشام يقرؤون بقراءة أبي بن كعب ، وأهل الكوفة يقرؤون بقراءة عبد الله بن مسعود ، وهكذا كل بلد يقرأ بقراءة من حلّ به من الصحابة .

فكان بين تلك القراءات التي تحملها الصحابة عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فروق في وجوه أداء القرآن لاشتغالها على الأخراف السبعة التي كانت رُخصه من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لقبائل العرب في قراءة القرآن بلغاتهم ولهجاتهم التي جرت عادتهم باستعمالها ، ونص هذه الرخصة قد بلغ رتبة التواتر ، وهو قوله صلى الله عليه وآله وسلم : « إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف ، فاقروا ما تيسر منها » . (فتح الباري للمحافظ ابن حجر ٢١/٩) .

وقد كان وُزود هذه الرخصة بعد الهجرة ؛ وذلك بعد أن دخل الإسلام من القبائل المختلفة ، بلهجات ثمانية يصعب على كل منها تقليد غير لهجتها ، على ما فهم من الأموي ، ولذلك نجد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول : « إني بعثت إلى أمة أميين ؛ منهم الغلام والحارثم والشيخ العاسبي والعجوز » . وقد تنبه ابن قتيبة لاختلاف لهجات العرب التي كانت سبباً في اختلاف قراءاتهم فقال : (ولو أن كل فريق من هؤلاء أمر أن يزول عن لغيته ، وما جرى عليه اعتياده طفلاً ونائشاً وكهلاً ، لاشتد ذلك عليه ، وعظمت المحنة فيه ، ولم يمكنه إلا بعد رياضة للنفس طويلة ، وتذليل للسان ، وقطع للمادة) . وهذا ما قرره المحافظ ابن الجزري فقال : (كانت العرب الذين نزل القرآن بلغتهم ؛ لغاتهم مختلفة ، وألسنتهم شتى . فلو كلفوا العُدول عن لغتهم ، والانتقال عن ألسنتهم لكان من التكليف بما لا يَسْتَطَاع) . (تفسير الطبري ٣٥/١ ، والريهان ٢٢٧/١ وتأويل مشكل القرآن لابن قتيبة ٣٠ والنشر في القراءات العشر ٢٢/١) .

في سنة ٢٥ للهجرة ، ما بين السنة الثانية والثالثة من خلافة أمير المؤمنين عثمان ، وبعد خمس عشرة سنة من التحاق رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالرفيق الأعلى .

فُتِحَتْ أرمينية على يد أهل الشام والعراق ، وكان حذيفة بن اليمان - صاحب سيرة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم - على أهل المدائن ، وهي من جملة أعمال العراق ، فكان من الغازين في أرمينية .

فتنازع أهل الشام والعراق ؛ أهل الشام يقرؤون بقراءة أبي بن كعب ، فيأتون بما لم يسمع به أهل العراق ، وهؤلاء يقرؤون بقراءة عبد الله بن مسعود ، فيأتون بما لم يسمع به أهل الشام ، فخطأ بعضهم بعضاً . (فتح الباري ١٤/٣/٩) .

فكان ومن رأى ذلك الخلاف أمين سيرة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حذيفة رضي الله عنه ، فسمع ناساً من أهل حمص يزعمون أن قراءتهم خير من قراءة غيرهم ، وأنهم أخذوا القرآن عن المقداد ، ورأى أهل البصرة يقولون مثل ذلك ، وأنهم قرؤوا على أبي موسى الأشعري ، فغضب حذيفة حين رأى ذلك واحمررت عيناه ، فقام في الناس خطيباً : فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : (هكذا كان من قبلكم اختلفوا ، والله لأرأسن إلى أمير المؤمنين) . وجاء فرعاً إلى المدينة ، ولم يدخل بيته حتى أتى عثمان ، فقال له : (يا أمير المؤمنين أدرك هذه الأمة قبل أن يختلفوا في الكتاب اختلاف اليهود والنصارى) . (فتح الباري ١٤/٩) .

وقد صادف ذلك أنّ اختلافاً مثله وقع في المدينة بين مُتعلّمي القرآن ومُعلّميهِ ، فصاعظم ذلك في نفسهِ ، فخطبَ الناسَ فقالَ : (أنتم عدي تخطفون وتلجنون ١٩ فَمَنْ نَأَى عَنِّي مِنْ أَهْلِ الْأَمْصَارِ أَشَدُّ فِيهِ اخْتِلافًا ، وَأَشَدُّ لِحْنًا .. ثم قالَ : اجتمعوا يا أصحابَ مُحَمَّدٍ فَاجتَبُوا لِلنَّاسِ إمامًا - أي : مُصحفًا يكونُ إمامًا - فلَمَّا اجتمعَ الصحابةُ عندهُ ذكروهم في أمر اختلاف الناس في القراءة ، وقالَ : فقد بلغني أنّ بعضهم يقولُ : إن قراءتي خيرٌ من قراءتِك ، وهذا يكاد أن يكون كُفْرًا ١٩ فقالوا لهُ : فما ترى ؟ قالَ : أرى أن نجمع الناسَ على مُصحفٍ واحدٍ ، فلا تكون فرقةٌ ولا اختلافٌ ، فقالوا لهُ : نعمَ ما رأيتَ ١١ فأرسلَ أميرُ المؤمنينَ عثمانَ إلى أم المؤمنين حفصةَ رضي الله عنها ، أن أرسلَ إلينا بالِصُحُفِ تَسْحُفُهَا في المصاحفِ) . (تفسير الطبري ٢١/١ فتح الباري ١٥/٩) .

وفي (المرشد الوجيز) لأبي شامة المقدسي : (أن عثمانَ لما أرادَ أن يجمعَ المصحفَ خطبَ فقالَ : أُعزِّمُ على كلِّ رجلٍ منكم كان معه من كتاب الله عز وجل شيءٌ لما جاء به ، قال : فكان الرجلُ يجيءُ بالورقةِ والأدبيرِ - أي : الجلد - فيه القرآن ، حتى جمعَ من ذلك شيئاً كثيراً . ثم دخلَ فدعاهم رجلاً رجلاً يُناشِدُهُ : أسمعتهُ من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وهو أمُّهُ عليك ؟ فيقولُ : نعم . فلَمَّا فرغَ من ذلك قالَ : مَنْ أَكْتَبَ النَّاسَ ؟ قالوا : كاتِبَ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم زيدُ بنُ ثابتٍ ، قالَ : فَأَيُّ النَّاسِ أَعْرَبُ ؟ - أي : أفصحُ - قالوا : سعيدُ بنُ العاصِ - وكان سعيدٌ أشبهَ لهجةَ برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم - ، قال أمير المؤمنين عثمان : فليملر سعيدٌ وليكتبَ زيدٌ ، فكتبَ مصاحفَ فرَّقَها في الناسِ) . (المرشد الوجيز ٦٥) .

ثم ضمَّ إليهما : عبد الله بن الزبير ، وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام ، ثم قالَ للرهبان القريشيين الثلاثة (سعيد وعبد الله وعبد الرحمن) : (إذا اختلفتم أنتم وزيدُ بنُ ثابتٍ في شيءٍ من القرآن ، فاكتبوه بلسانِ قريش ، فإنما نزل بلسانهم - أي : غلبه - ثم احتاجوا إلى مَنْ يساعدهم في الكتابة ، وذلك لاستنساخِ عدّة مصاحفٍ تُرسلُ إلى الأمصارِ ، فانضمَّ إلى جماعة زيدٍ جماعةٌ أخرى) . (فتح الباري ١٥/٩ - ١٦) .

وقد عمد هؤلاء الكتّابون في كتابة المصحف وتوثيق نصّه الكريم على ما استقرت عليه العرصةُ الأخيرةُ التي عارضَ بها النبي صلى الله عليه وآله وسلم جبريل مرتين قبل وفاته .

قال أبو عبد الرحمن السلمي : - وكان قد أخذ القرآن عن عثمان وعلي وابن مسعود وزيد وأبي - : (قرأ زيدُ بنُ ثابتٍ على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في العام الذي توفاه الله فيه مرتين ، وإنما سميت هذه القراءة قراءة زيد بن ثابت ، لأنه كتبها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وقرأها عليه ، وشهد العرصة الأخيرة ، وكان يُعزِّي الناسَ بها حتى مات ، ولذلك اعتمده أبو بكر وعمر في جموعه ، وولاه عثمانُ كَتَبَ المصاحفِ ، رضي الله عنهم أجمعين) ولذلك أتى الجمعُ الأخيرُ كاملاً وتاماً والله الحمد . (المرشد الوجيز ٦٩) .

هذا . وإن حصل ما شهدت به الأخبارُ المتقدمةُ ، وما صرحت به أقوالُ الأئمة ، أن جمع القرآن على ما هو عليه الآن كان في زمن النبي صلى الله عليه وآله وسلم بإذنه وأمره ، وأن جمعه في الصُحُفِ خشيةً دثورهِ بقتل قُرَائه كان في زمن أبي بكر رضي الله عنه ، وأن نسخته في المصاحفِ حملاً للناسِ على اللفظِ المكتوبِ حين نزوله بإملاءِ المنزولِ إليه صلى الله عليه وآله وسلم ، ومنعاً من قراءة كلِّ لفظٍ كان رُخصةً قبل زمن عثمان رضي الله عنه ، وكان أبا بكرٍ كان غرضه أن يجمع القرآن مكتوباً مجتمعاً غير مفرقٍ على اللفظ الذي أملاه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على كتبةِ الرحي ليُعلمَ ذلك ، ولم بكل ذلك إلى حفظ من حفظه خشيةً فئاتهم بالشهادة ، واختلاف لغاتهم في حفظهم على ما كان أبيض لهم من قراءته على سبعة أحرف ، فلما وليَ عثمانُ وكثُر المسلمون وانتشروا في البلاد وخيف عليهم الفساد من اختلافهم في قراءاتهم لاختلاف لغاتهم حملهم عثمان على ذلك اللفظ الذي جمعه زيدُ بنُ ثابتٍ ، وبقي ما عداه ، ليجمع الناسَ على قراءة القرآن على وفق ما نزل على النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، وعلى وفق ما كانت عليه العرصة الأخيرة ، لا كما رُخص للناس من قراءة القرآن على لهجاتهم من قبل .

فقد اتضح بما ذكرناه معنى ما فعله كل واحدٍ من الإمامين : أبي بكرٍ وعثمان رضي الله عنهما ، وتبين أن قصد كل واحدٍ منهما غير قصد الآخر ، فأبو بكر قصد جمعة في مكان واحد ، ذُخراً للإسلام والمسلمين ، وعثمان قصد أن يقتصر الناس على تلاوة القرآن على اللفظ الذي كتبَ بأمر النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، ولا يعتدوا إلى غيره من اللهجات التي كانت مباحة لهم ، المناهية لخط المصحف الذي تضمن أصول ما كتبت بحضرة النبي صلى الله عليه وآله وسلم على مقتضى العرصة الأخيرة .

الرسم العثماني للمصحف الشريف

من المقطوع به نقلاً وعقلاً : أن القرآن الكريم كُتِبَ جميعه بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وأن الذين اتخذهم من أصحابه لكتابة القرآن حين نزوله كانوا على قدر رفيع من الثقة والعناية والرعاية والضبط والإتقان ومعرفة الكتابة العربية معرفة جيدة ، وأن ما أُنشئ من رسم النص القرآني بين يديه عليه الصلاة والسلام كان على غاية من قبول الله تبارك وتعالى له ، إذ لو كان من هؤلاء وعلى رأسهم زيد بن ثابت خلط أو حبط ، أو عدم إتقان وضبط ، لأخبر الله نبيه بذلك فاتخذ غيرهم ممن هو أجود وأحسن وأضبط . أما وأنه لم يكن شيء من ذلك . فإننا نقطع بأن القرآن الكريم قد كُتِبَ بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على مُراد الله سبحانه ، وذلك لأنه سبحانه وتعالى يأتي أن يُكْتَبَ كلامه على حالة تتنافى مع قدسيته وجلاليته ، ويُوضَّح ذلك أكثر : أن الوحي كان مستمراً في النزول ، والكتابة مُصاحبة له ، فلو حصل خطأ في الكتابة ، أو سهو في مرسوم الكلمات القرآنية ، لبُني الوحي على ذلك ، لأن سوء الكتابة ينتج عنه سوء القراءة ، فهل كان شيء من ذلك حتى يُتاح لأولئك المتقولين على رسم المصحف الشريف الذي تولى كتابته كاتب الوحي الأمين زيد بن ثابت ، الذي كان يكتب الوحي لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، ثم من بعده كتب القرآن لأبي بكرٍ أولاً ولعثمان ثانياً ؟ وهل كان الصحابة على قصر الباع في عدم إدراك السوء في الكتابة ، أو التصغير في تحسينها ، حتى جاء المنصفون بالتقدي والتوجيه والتصويب للرسم العثماني في المصحف الشريف ؟!

إن الواجب المؤكّد على المسلمين عامة ، وعلى علمائهم خاصة أن يقفوا في وجه من يطعن برسم المصحف العثماني ، الذي تمّ على يدي زيد بن ثابت كاتب الوحي ، وأن على الناس أن يضربوا بأقوالهم عُرض الحائط ، وليتقوا بالرسم الذي أُطلق عليه (الرسم العثماني) نسبةً لأمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه

وذلك لأن كتابته أثبت على وفق ما قرأه عليه الصلاة والسلام في الكتابة التي ثمت بين يديه عليه الصلاة والسلام ، ثم كان الإقرار العام التام من غير إكراه ولا إجبار من جميع الصحابة الذين لا يخافون في الله لومة لائم ، ثم انتهى الإقرار وامتد إلى التابعين وتابعي التابعين ، فلم يخالف أحد منهم في هذا الرسم ، ولم يرد أن أحداً منهم فكّر في استبدال مرسومه بمرسوم غيره حتى في عهد ازدهار التدوين والتأليف ، فكان الجميع على احترامه واتباعه ، وعدم إحداث أيّ تغيير فيه .

قال الحافظ أبو عمرو الداني في كتابه (المقنع في معرفة مرسوم مصاحف أهل الأمصار ١١٤) : (فإن سأل سائل عن السبب الموجب لاختلاف مرسوم هذه الحروف الزوائد في المصاحف ؟ قلت : السبب في ذلك عندنا : أن أمير المؤمنين عثمان بن عفان لما جمع القرآن في المصاحف ، ونسخها على صورة واحدة ، وأثر في رسمها لغة قريش دون غيرها مما لا يصح ولا يثبت نظراً للأمة ، واحتياطاً على أهل الملّة ، وثبت عنده أن هذه الحروف من عند الله عز وجل كذلك منزلة ، ومن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مسموعة ، وعلم أن جمعها في مصحف واحد على تلك الحال غير مُتمكّن إلا بإعادة الكلمة مرتين ، وفي رسم ذلك كذلك من التخليط والتغيير للمرسوم ما لا يخفاء به ، ففرقتها في المصاحف لذلك ، فجاءت مثبتة في بعضها ، ومحدوفة في بعضها ، لكي تحفظها الأمة كما نزلت من عند الله عز وجل ، وعلى ما سمعت من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، فهذا سبب اختلاف مرسومها في مصاحف أهل الأمصار .

وفي المقنع ١١٨ : (عن أبي عبيد قال : هذه الحروف التي اختلفت في مصاحف الأمصار مثبتة بين اللوحين ، وهي كلها منسوخة من الإمام الذي كتبه عثمان ، ثم بعث إلى كل أقرن مما نسح بمصحف ، وهي كلها كلام الله عز وجل) .

وقد سئل الإمام مالك : (رأيت من استكتب مُصحفاً اليوم ، أتري أن يكتب على ما أحدث الناس من الهجاء اليوم ؟ فقال : لا أرى ذلك ، ولكن يكتب على الكتبيّة الأولى) ، قال أبو عمرو الداني : (ولا مخالفة له في ذلك من علماء الأمة) .

الرسم العثماني وقواعد الإملاء

هل رسم المصحف توقيفي؟

ذهب جمهور العلماء إلى أن رسم المصحف الذي كتبه في زمن عثمان على يدي كاتب الوحي ، (زيد بن ثابت) توقيفي لا يجوز مخالفته في كتابة المصاحف وطبعها ، واستدلوا بما يلي :

أولاً : إن القرآن الكريم كتبه كلُّه بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وكان عليه الصلاة والسلام يُعَلِّمُ على كاتب الوحي ، ويُرشدُه في الكتابة بوحى من جبريل عليه السلام (ناظر الوحي) زوى الطبراني بسند رجاله ثقات عن زيد بن ثابت أنه قال : (كنتُ أكتبُ الوحيَ عند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو يُعَلِّمُني ، فإذا قرأتهُ قال : « اقرأ » ، فأقرأه ، فإذا كان فيه سقط أقمه ، ثم أخرج به إلى الناس) .

ثانياً : إطباق القراء جميعاً على قواعد رسم المصحف الذي أجمع الصحابة جميعاً على وجوب اتباعه وعدم مخالفته ؛ وإجماعهم لم يأت هكذا ، وإنما كان على دراية واضحة في أن رسمه توقيفي من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حسماً يقتضي النص الكرم . ولذلك نجد نصوص العلماء صريحة في وجوب التقيد به وعدم مخالفته ، ففي (الكتاب) لابن درستويه ٧ : (وجدنا كتاب الله جل ذكره لا يُقاسُ هجاؤه ، ولا يُخالَفُ خطُّه ، ولكنه يُتَلَقَى بالقبول على ما أودع المصحف) . وقال الإمام أحمد : (يجرم مخالفة خط مصحف عثمان في واو أو ياء أو ألف أو نحو ذلك) . وقال الحافظ البيهقي في شعب الإيمان : (من كتب مصحفاً ينبغي أن يحافظ على الهجاء الذي كتبوا به تلك المصاحف ، ولا يُخالِفهم فيه ، ولا يُغيِّرُ ما كتبوه شيئاً ، فإنهم كانوا أكثر علماً ، وأصدق قلباً ولساناً ، وأعظم أمانةً ، فلا ينبغي أن نظن بأنفسنا استدراكاً عليهم) .

ثالثاً : إجماع القراء قاطبة على أن الرسم العثماني يَحْتَمِلُ وجوه القراءات المتواترة عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، ولذلك شرط علماء الأصول (في القراءات المتواترة) أن تكون موافقة للرسم العثماني . ولهذا نجد جميع القراءات العشرة المتواترة مطابقة للرسم العثماني كل المطابقة إذا كان على شكله الأول من غير تشكيل ولا تنقيط .

رابعاً : لو كان الرسم العثماني غير توقيفي عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، لكان تقريرياً منه عليه الصلاة والسلام ، وهذه حجة شرعية لا مفر منها ، لأنه صلى الله عليه وآله وسلم كان يُشَرِّفُ على كتابة المصحف بنفسه فإن كان فيه سقط أقمه ، كما قال زيد بن ثابت فيما تقدم وتقريره عليه الصلاة والسلام كقولهِ وفعلهُ على حد سواء .

الرسم العثماني وخصائصه

وللرسم العثماني للقرآن الكريم خصائص كثيرة ، نُجمل بعضها فيما يلي :

أولاً : اختصاصه بترتيب الآيات في مواضعها من السور ، ثم ترتيب السور في مواضعها من المصحف الشريف ، وأن ذلك توقيفي من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن جبريل عن رب العالمين سبحانه وتعالى ، وقد نص الحافظ السيوطي (في الإتقان) على أن أحاديث ترتيب الآيات في السور ، وترتيب السور في المصحف ، متواترة عن الصحابة عن رسول الله عليه الصلاة والسلام .

ثانياً : اختصاصه بقواعد الرسم السبعة وهي : الحذف ، والزيادة ، والمهمزة ، والتبدل ، والوصل ، والفصل ، وما فيه قراءتان فُكِّب على إحداها . وذلك يقتضي وجوب أخذ القرآن وتلقي تلاوته عن طريق المشافهة ، وبذلك يتحقق اتصال السند من المقرئ المعلم إلى رسول الله عليه الصلاة والسلام ، إلى رب العالمين سبحانه وتعالى ، ولا يتحقق اتصال السند إلا عن طريق التلقي المباشر : قارئ عن قارئ . إلى نهاية السند إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، ومن غير تلقي تلاوة القرآن مُشافهة عن المقرئين يقع تالي القرآن في اللحن والخطأ في تلاوته وذلك حرام .

ثالثاً : احتمال جميع وجوه القراءات المتواترة عن رسول الله عليه الصلاة والسلام ، حتى أصبح من شروط كون القراءة متواترة موافقتها للرسم العثماني ، والقراءة المخالفة له تُعتبر من الشواذ ، كما هو مبين في كُتُب القراءات المُعتبرة .

رابعاً : تضمُّنه أسرار التنزيل الحكيم ، فمثلاً :

قوله تعالى ﴿ وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴾ [الداريات : ٤٧] ، ياتين ، وذلك للإيماء إلى قدرة الخالق تبارك وتعالى التي بنى بها السماء وأنها لا تُشبهها قوة ذلك على حد القاعدة المشهورة : (زيادة المبنى تدل على زيادة المعنى) .

وقوله تعالى ﴿ وَيَذُحُّ الْإِنْسَانَ بِالشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ ﴾ [الإسراء : ١١] ، وقوله ﴿ وَيَمْحُ اللَّهُ الْبَاطِلَ ﴾ [الشورى : ٢٤] ، وقوله ﴿ يَوْمَ يَذُحُّ الدَّاعِ ﴾ [القمر : ٦] ، وقوله ﴿ سَنَذُحُّ الزُّبَانِيَةَ ﴾ [اقرأ : ١٨] ، فإنها رُسمت في المصاحف العثمانية بغير واو ، وفي ذلك سرٌ دقيق لمن أعمن النظر فيها ، فالسرُّ في حذفها التنبيه على سرعة وقوع الفعل وسهولته على الفاعل ، وشدة قبول المتأثر به في الوجود . أما سرُّ الحذف في الأولى : فلإشارة إلى أن الإنسان يُسارع إلى الدعاء بالشَّرِّ ، كما يُسارع إلى الخير ، بل إثبات الشرِّ إليه من جهة ذاته أقرب إليه من الخير ولا سيما عند الغضب ، وأما سرُّ الحذف في الثانية : فلإشارة إلى سرعة ذهاب الباطل واضمحلاله ، وأما سرُّ الحذف في الثالثة : فلإشارة إلى سرعة الدعاء وسرعة إجابة الداعين . وأما سرُّ الحذف في الرابعة : فلإشارة إلى سرعة الفعل وإجابة الزُّبانية .

وقوله تعالى ﴿ بِأَيْدِيكُمْ الْمُتَوَنُّونَ ﴾ [القلم : ٦] . أي : الذي فتته الشيطان ، فزيادة الباء ﴿ بِأَيْدِيكُمْ ﴾ للإشارة إلى أن الذي فتته الشيطان هم المشركون ، وفتنه بلغت بهم الغاية ، وتجاوزت الحد ، وأن المتوتين هم ، لا أنت ، لأنك رسول الله ، فمن رماك به فقد رجع على نفسه بالضلال ، وبذلك يتوافق الرسم والمعنى ، والكلام في ظاهره ترديد بين أمرين ، وهو في الحقيقة يُراد به ما ذُكر ، وهو لَوْنٌ بين ألوان الحجاج في القرآن الكريم .

وقوله تعالى ﴿ تَاللَّهِ لَتُنْفُتُنَّ نَذُكْرُ يُوسُفَ ﴾ [يوسف : ٨٥] بزيادة ألف تفتن للإشارة إلى كثرة ذلك ، وأن يعقوب عليه السلام ما كان ينفك عن ذكر ابنه يوسف .

وقوله تعالى : ﴿ وَأَنْتَ لَا تظلمُوا فِيهَا وَلَا تَنْضَحِي ﴾ [طه : ١١٩] بزيادة ألف تظلمو للدلالة على دوام عدم الظمأ ، واستمرار الري في الجنة .

وقوله تعالى : ﴿ قُلْ مَا يَتَّبِعُونَ بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ ﴾ [الفرقان : ٧٧] ، بزيادة ألف يعبؤ للإشارة إلى مبالغة عدم عناية الله سبحانه بمن لا يعبدُهُ ، ولا يتضرع إليه .

وهكذا . جميع الأحرف التي وردت في الرسم العثماني زيادة على أصل الكلمة القرآنية فيها من الأسرار ما يشير إلى أن هذا الرسم إما توقيفي وإما تقريري عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم .

وكذلك الحذف في الآيات التالية وأمثالها :

قوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعَاجِرِينَ ﴾ ، [سبأ : ٥] فحذف أَيْفَ سَعَوْا ، للإشارة إلى أنه سعي باطل لا يصح أن يكون له ثبات في الوجود ، وأنهم لن يحصلوا منه على طائل يتحدون به .

ومثل ذلك في قوله تعالى : ﴿ وَجَاءُوا بِسِحْرٍ عَظِيمٍ ﴾ [الأعراف : ١١٦] وفي : ﴿ فَقَدْ جَاءُوا ظُلْمًا وَزُورًا ﴾ [الفرقان : ٤] ، وفي ﴿ وَجَاءُوا آبَاءَهُمْ عِشَاءً يَتَسَوَّوْنَ ﴾ ، ﴿ وَجَاءُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ ﴾ [يوسف : ١٦ و ١٨] وفي : ﴿ وَغَوَّوْا عَثُورًا كَبِيرًا ﴾ [الفرقان : ٢١] كل ذلك للدلالة على أنه باطل ولا أثر له يُذكر في الوجود . والله أعلم .

الرسم العثماني واللغة التي اختيرت له

اللغة التي كتب بها القرآن الكريم :

روى البخاري في صحيحه في كتاب (فضائل القرآن - باب نزول القرآن بلسان قريش والعرب) عن عثمان بن عفان أنه قال للرहित الذين كلّفهم بكتابة المصحف : (إذا اختلفتم أئتم وزيد بن ثابت في عريّة من عريّة القرآن فاكتبوها بلسان قريش ، فإن القرآن أنزل بلسانهم ، ففعلوا) .

واللسانُ معناه : اللهجة التي تخص كل قبيلة من القبائل العربية ، وإلا فإن الله سبحانه قال : ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا ﴾ [يوسف : ٢] . فبدى أن كتابته في المصحف إنما هي باللغة العربية والحط العربي .

فأصبح معنا : أن اللغة التي كُتبت بها القرآن الكريم هي اللهجة التي اختيرت له من قبل رب العالمين تبارك وتعالى . فإن قول عثمان : (بلسان قريش) ليس بجائله الرأي والاختيار ، فتعين أنه كان بتوقيف من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وعلى هذا ... فلا تجوز كتابة القرآن بغير لهجة قريش .

وفي (فتح الباري) للحافظ ابن حجر : (أن عمر بن الخطاب كتب إلى ابن مسعود : إن القرآن نزل بلسان قريش ، فأقرئ الناس بلغة قريش ، لا بلغة هذيل) .

وقول عمر وعثمان : (بلسان قريش) معناه : أن القرآن نزل أولاً بلغة قريش ثم أُنسخ في قرائته وكتابه على ما رُخص به من اللهجات العربية الأخرى التي جعلها الله تعالى تسليلاً وتيسيراً لهذه الأمة الأمية التي لا عهد لها بالقراءة ولا بالكتابة .

أو أن معنى قولهما : أنه أنزل غالباً بلهجة قريش ، لأنها كانت أم العرب ، وأن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من قريش ، وهذه القبيلة سُميّت بهذا الاسم لأنها من قريش الذي هو من ولد إسماعيل عليه السلام ، وأولاد إسماعيل أفضح من أولاد يعقوب بن قحطان ، الذي تفرع منهم أهل اليمن وغيرهم من أهل العرب .. إذ قحطان إما هو ابن هود ، أو : ابن فخشذ بن سام بن نوح عليه السلام ، كما في لسان العرب ، لابن منظور .

وهنا يواجهنا سؤال وهو : ما هذه اللهجات العربية التي رُخص بها لقارئ القرآن في عهد النبوة ؟ والجواب كما يلي :

في الصحيحين أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : « أقرئني جبريل عليه السلام على حرف واحد ، فراجعته ، فلم أزل أستزيده ، حتى انتهى إلى سبعة أحرف » . [البخاري - فضائل القرآن - ٥ ، ومسلم - مسافرين - ٢٧٢] .

قال في لسان العرب [٩ / ٤١] : (وكلُّ كلمة تُقرأ على الوجوه من القرآن تُسمى حرفاً ، تقول : هذا في حرف ابن مسعود أي : في قراءة ابن مسعود .. والحرف : القراءة التي تُقرأ على أوجه ، وما جاء في الحديث من قوله عليه الصلاة والسلام : « نزل القرآن على سبعة أحرف ، كلها شافٍ كافٍ » ، أراد بالحرف : اللغة ، قال أبو عبيد وأبو العباس : (نزل على سبع لغاتٍ من لغات العرب ، قال : وليس معناه أن يكون في الحرف الواحد سبعة أوجه ، هذا لم يُسمع به ، قال : ولكن يُقال : هذه اللغات متفرقة في القرآن ، فبعضه بلغة قريش - وهو الغالب - وبعضه بلغة هذيل .. وهكذا سائر اللغات . ومعانيها في هذا كله واحد) .

ولهذا . نجد الكثير من الروايات الثابتة عن الصحابة في رجوعهم إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حين يسمعون من أحدهم قراءة لم يكونوا سمعوها من قبل ، فلنصغ إلى بعضها ، فإنها تجلية لهذا الأمر :

ففي صحيح البخاري [فضائل القرآن ٥ و ٢٧] . أن عمر بن الخطاب قال : (سمعت هشام بن حكيم يقرأ سورة الفرقان في حياة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، فاستمعت لقراءته ، فإذا هو يقرأ على حروف كثيرة لم يُقرئها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، فكذت أساوره في الصلاة ، فتصبرت حتى سلمت ، فليته بردائه فقلت : من أقرأك هذه السورة التي سمعتك تقرأ ؟ قال : أقرئها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقلت : كذبت ، فإن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قد أقرئها على غير ما قرأت ، فانطلقت به أقوده إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، فقلت : إني سمعت هذا يقرأ سورة الفرقان على حروف لم تُقرئها ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لعمر : أرسله - أي : اتركه - فأرسله عمر ، فقال له هشام : أقرأ يا هشام ، فقرأ عليه القراءة التي سمعته يقرأ ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : كذلك أُنزلت ، ثم قال : أقرأ يا عمر ، فقرأت القراءة التي أقراني ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : كذلك أُنزلت ، إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف ، فاقروا ما تيسر منه) .

وفي صحيح مسلم [كتاب المسافرين ٢٧٣ و ٢٧٤] : أن أبي بن كعب قال : (كنت في المسجد ، فدخل رجلٌ فجلس ، فقرأ قراءة أنكرتها ، ثم دخل آخر ، فقرأ قراءة سبوى قراءة صاحبه ، فلما قضينا الصلاة دخلنا جميعاً على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقلت : إن هذا قرأ قراءة أنكرتها عليه ، ودخل آخر فقرأ سبوى قراءة صاحبه ، فأقرأهما رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم . فقرأ ، فحسن النبي صلى الله عليه وآله وسلم شأنهما ، فسقط في نفسي من التكذيب ، ولا إذ كنت في الجاهلية ، فلما رأى النبي صلى الله عليه وآله وسلم ما قد غشيني ضرب في صدري ، ففصت عرقاً ، وكأنما أنظر إلى الله عز وجل قرعاً - أي : خوفاً - فقال : يا أبي إن ربي أرسل إلي أن أقرأ القرآن على حرف ، فرددت إليه أن هوّن على أمي ، فرد إلي الثانية : اقرأ على حرفين ، فرددت إليه يهون على أمي فرد إلي في الثالثة : اقرأ على سبعة أحرف ، ولك بكل ردةٍ ردتكها مسألة تسألنيها فقلت : اللهم اغفر لأمتي ، وأخرت الثالثة ليومٍ يرغب إلي الخلق كلهم حتى إبراهيم صلى الله عليه وسلم) .

وفي مسند أحمد [٢ / ٢٨٦ و ٣٠٠] بسندٍ صحيح : عن أبي الجهم (أن رجلين اختلفا في آية من القرآن قال هذا : تلقنتها من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، فقال الآخر : تلقنتها من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فسألا النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال : « القرآن يُقرأ على سبعة أحرف فلا تماروا في القرآن ، فإن مرأه في القرآن كُفر ») . والمرأه : الجدال على سبيل الشك والريبة .

هذا . وقد اختلف العلماء في معنى قوله عليه الصلاة والسلام في نزول القرآن على سبعة أحرف ، حتى وصلت أقوالهم في ذلك إلى خمسة وثلاثين قولاً . قال الإمام البغوي صاحب (شرح السنة) : (أظهر الأقاويل وأصحها وأشبهها بظاهر الحديث : أن المراد من هذه الحروف : اللغات ، وهو أن يقرأ كل قوم من العرب بلغتهم ، وما جرث عليه عادتهم من الإدغام والإظهار والإمالة والتفخيم والإشمام والإتمام والهمز والتلين ، وغير ذلك من وجوه اللغات إلى سبعة أوجه منها) .

ثم قال : (ولا يكون هذا الاختلاف داخلاً تحت قوله تعالى : ﴿ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافاً كثيراً ﴾ ، [النساء : ٨٢] إذ ليس معنى هذه الحروف أن يقرأ كل فريق بما شاء مما يوافق لفته من غير توقيف ، بل كل هذه الحروف منصوطة ، وكلها كلام الله عز وجل ، نزل بها الروح الأمين على النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، يدل عليه قوله عليه الصلاة والسلام : « إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف » . ففعل الأحراف كلها منزلة ، وكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يعارض جبريل عليه السلام في كل شهر رمضان بما يجتمع عنده من القرآن ، فثبت الله فيه ما شاء ، وينسخ ما يشاء ، وكان يعرض عليه في كل عرضة وجهها من الوجوه التي أباح الله له أن يقرأ القرآن به ، وكان يُجوز لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بأمر الله تعالى أن يقرأ ويُقرئ بجميع ذلك ، وهي كلها متفقة المعاني وإن اختلفت بعض حروفها) .

المصاحف وتنقيطها

ضبط الحركات للآيات وتنقيط المصاحف العثمانية

للتنقيط معاني: جاء في لسان العرب في مادة (نقط) : (النقطة واحدة النَّقْطِ ، والنَّقَاطُ : جمع نقطة . ونَقَطَ الحَرْفَ يُنْقِطُهُ نَقْطًا : أَعَجَمَهُ) . هذا من حيث اللغة .

أما من حيث الاصطلاح فلها معنيان متقاربان :

الأول : نَقَطَ الإعجام : وهو نَقَطَ الحروف في سِمَتِهَا ، للتفريق بين الحروف المشبهة في الرسم ، كنقطة الباء بنقطة من تحتها ، ونقط التاء باثنتين من فوقها ، ومثلها التاء بثلاث .

الثاني : نَقَطَ الإعراب ، أو نقط الحركات ، وهو للتفريق بين الحركات المختلفة في اللفظ ، كنقطة الفتححة : بنقطة من فوق الحرف ، ونقطة الكسرة : بنقطة من تحت الحرف ، ونقطة الضمة : بنقطة أمام الحرف أو بين يديه . (كتاب النقط للمحافظ أبي عمرو الداني ١٢٤ - ١٢٥) .

وقد جعل الأقدمون النوعين مُشترَكين في الصورة بجعلهما نقطاً مُدَوَّراً من حيث اشتراكهما في المعنى و الغاية ، لتفريق الحروف المتشابهة في الرسم ، بحيث كان النقط يفرق بينها ، كالتفريق بالحركات المختلفة بعضها من بعض . قال المحافظ أبو عمرو الداني في كتابه (المحكم في نقط المصاحف) ص ٤٣ : (إن اصطلاحهم على جعل الحركات نقطاً كنقط الإعجام قد يتحقق من حيث كان معنى الإعراب التفريق بالحركات ، وكان الإعجام أيضاً يفرق بين الحروف في الرسم ، وكان النقط يفرق بين الحركات المختلفة في اللفظ ، فلما اشتراكا في المعنى أشرك بينهما في الصورة) .

وقد أحدث المسلمون من التابعين هذين النوعين من النقط لضبط ألفاظ القرآن الكريم ، ولصونه من الخطأ في الكتابة ، ومن اللحن في القراءة .

أما النوع الأول من النقط : فهو المدوّر ، وُسْمِي نَقْطًا لكونه على صورة الإعجام الذي يُرسم نُقْطًا مدوِّرة . وهذا النوع هو الذي استعمله النقط وأصحاب القراءات لضبط المصاحف ، وهو من وضع (أبي الأسود الدؤلي) على القول الأصح .

وأما النوع الثاني : فهو الشكل ، وهذا النوع هو الذي استعمله النحويون وعلماء اللغة لضبط الشعر وألفاظ اللغة ، وهو من وضع الخليل بن أحمد ، وقد أخذ من أشكال الحروف . فالضمة واو صغيرة الصّورة في أعلى الحرف ، لتلا تلتبس بالواو المكتوبة ، والكسرة بآء تحت الحرف ، والفتحة ألف مبطوحة فوق الحرف .

وأما سبب إحداث تنقيط المصاحف : فهو فساد الألسنة في اللغة العربية ، ووقوع اللحن في قراءة القرآن الكريم . فكان ذلك داعياً إلى صون القرآن من التحريف والتزييف في كتابته وتلاوته .

وقد اتفق المؤرخون على أنّ العرب في عهدهم الأولى لم تعرف اصطلاحات التنقيط في كتاباتهم التي كان يكتبها كتابهم ، وحتى مجيء الإسلام . فكان الصحابة رضي الله عنهم ينطقون بالقرآن الكريم واللغة العربية بألفاظ مضمونة خارج دقيقة الحركات الإعرابية بحسب سليقتهم وفطرتهم العربية من غير لحن ولا غلط ، وذلك إما كان متأصلاً في نفوسهم من الفصاحة والبلاغة .

فلاستقامة ألسنتهم وسلامة نطقهم ، لم يكونوا بحاجة إلى معرفة القواعد الإعرابية ، ولهذا ... لما كتبت المصاحف في عهد النبوة كانت مجردة من الشكل والنقط ، واعتماداً على هذه الأصول وتلك السليقة .

فلما اتسعت رقعة الإسلام واختلط العرب بالعجم ، وتآخروا في الإسلام وتناسبوا وتصاهروا ، وتولّد من هؤلاء الآباء وتلك الأمهات أولاداً أخذوا شيئاً من لغة الأب و شيئاً من لغة الأم ، واتسع الأمر على طول وعرض الأمة الإسلامية ، فضعفت الفطرة العربية ، ودخل اللحن في الكلام ، وحدثت حوادث نبّهت المسلمين إلى القيام بحفظ القرآن الذي هو أصل الدين ومنبع الحق المبين ، من أن يتطرق إلى قارنه وتاليه شيء من اللحن أو الخطأ .

وكان ممن تنبه إلى ذلك والى البصرة (زياد) فسأل أبا الأسود الدؤلي أن يضع للناس علامات تدل على الحركات والسكنات . فحدث أن سمع أبو الأسود قارئاً يقرأ قول الله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ ﴾ ، بجر (رسوله) فأزعجه ذلك وقال : عز وجه الله أن يقرأ من رسوله ، وذهب إلى زياد والى البصرة ، وقال له : قد أجبك إلى ما سألت ، فجعل للفتحة نقطة فوق الحرف ، وللكسرة نقطة أسفله ، وللضمة نقطة بين الحرف والذي قبله ، وللتنوين نقطتين .

وسار الناس على هذا المنهج مدة ، ثم بدؤوا يزيدون ويتكرون ، فجعلوا علامة للحرف المشدد كالقوس ، ولألف الوصل جرة فوقها أو تحتها أو وسطها على حسب ما قبلها من فتحة أو كسرة أو ضمة ، حتى كان عهد عبد الملك بن مروان ، ثم اضطروا إلى وضع النقط الذي هو الإعجام للباء والتاء والثاء .. ثم التبس النقط بالشكل فميزوا بينهما باللون والرسم ، إلى أن تم الوضع على ما هو معهود اليوم . وقد اشتهر في عملية الشكل والإعجام للكلمات القرآنية : أبو الأسود الدؤلي . وتلميذاه : نصر بن عاصم الليثي ، ويحيى بن يعمر العدواني ، وخليل بن أحمد ، وابن سيرين . وكانوا على درجة عالية من العلم والورع والدين .



١ - تاريخ نزول سور القرآن الكريم

١ - سورة الفاتحة

تاريخ نزولها ووجه تسميتها :

اختلف العلماء في تاريخ نزول الفاتحة ، فقيل إنها نزلت بمكة بعد سورة المدثر ، وهو قول أكثر العلماء ، وقيل إنها نزلت بالمدينة ، وهو قول مجاهد ، وقيل إنها نزلت مرتين: مرة بمكة ومرة بالمدينة ، وسبب ذلك التنبيه على شرفها وفضلها ، وإذا كانت قد نزلت بعد سورة المدثر فهي خامسة سور القرآن في النزول ، وقد نزلت بذلك في مرتبتها كفاتحة للكتاب بعد المناسبات التي اقتضت سبق السور الأربع لها ، وبهذا تكون من السور التي نزلت فيما بين ابتداء الوحي والهجرة إلى الحبشة .
وقد سُمّيت هذه السورة بهذا الاسم لأن القرآن افتتح بها في مصحف عثمان ، وهو المصحف الذي اعتمد على ترتيبه جمهور المسلمين ، وتبلغ آياتها سبع آيات .

٢ - سورة البقرة

تاريخ نزولها ووجه تسميتها :

نزلت سورة البقرة بعد سورة المطففين ، وهي أول سورة نزلت بالمدينة ، وأطول سورة في القرآن ، فيكون نزولها فيما بين الهجرة وغزوة بدر .
وقد سُمّيت هذه السورة بهذا الاسم لأن قصة بقرة بني إسرائيل ذكرت فيها ، وتبلغ آياتها ستاً وثمانين ومائتي آية .

٣ - سورة آل عمران

تاريخ نزولها ووجه تسميتها :

نزلت سورة آل عمران بعد سورة الأنفال ، وكان نزولها في السنة الثالثة من الهجرة بعد غزوة أحد ، فتكون من السور التي نزلت فيما بين غزوة بدر و صلح الحديبية .
وقد سميت هذه السورة بهذا الاسم لذكر قصة آل عمران فيها . وهي قصة امرأته وابنتها مريم ، ويدخل فيها قصة عيسى أيضاً ، وتبلغ آياتها مائتي آية .

٤ - سورة النساء

تاريخ نزولها ووجه تسميتها :

نزلت سورة النساء بعد سورة المتحنة ، وقد نزلت سورة المتحنة عقب صلح الحديبية ، وكان صلح الحديبية في السنة السادسة من الهجرة ، فيكون نزول سورة النساء فيما بين صلح الحديبية وغزوة تبوك .
وقد سميت هذه السورة بهذا الاسم لأن كثيراً من الأحكام التي ذكرت فيها تتعلق بالنساء ، وتبلغ آياتها ستاً وسبعين ومائة آية .

٥ - سورة المائدة

تاريخ نزولها ووجه تسميتها :

نزلت سورة المائدة بعد سورة الفتح ، وكان نزول سورة الفتح بعد صلح الحديبية في السنة السادسة من الهجرة ، فيكون نزول سورة المائدة فيما بين صلح الحديبية وغزوة تبوك .
وقد سميت هذه السورة بهذا الاسم لأنه ذكر فيها حديث المائدة التي أنزلت من السماء على حواريجي عيسى عليه السلام ، وتبلغ آياتها عشرين ومائة آية .

٦ - سورة الأنعام

تاريخ نزولها ووجه تسميتها :

نزلت سورة الأنعام بمكة بعد سورة الحجر ، وقد نزلت سورة الحجر بعد ثلاث سور من سورة الإسراء ، وكان الإسراء ، قبل الهجرة إلى المدينة بسنة ، فتكون سورة الأنعام من السور التي نزلت بين الإسراء والهجرة .

وقد سميت هذه السورة بهذا الاسم لأنه فصل فيها حكم الأنعام من الإبل والبقر والضأن والمعز ، وتبلغ آياتها خمساً وستين ومائة آية .

٧ - سورة الأعراف

تاريخ نزولها ووجه تسميتها :

نزلت سورة الأعراف بعد سورة ص وقبل سورة الجن ، وكان نزول سورة الجن في رجوع النبي صلى الله عليه وآله وسلم من الطائف ، وكان قد سافر إليها سنة عشر من بعثته ليعرض الإسلام على أهلها ، فيكون نزول سورة الأعراف فيما بين الهجرة إلى الحبشة والإسراء .

وقد سميت هذه السورة بهذا الاسم لقوله تعالى في الآية - ٤٨ - منها : ﴿ ونادى أصحاب الأعراف رجالاً يعرفونهم بسيماهم قالوا ما أغنى عنكم جمعكم وما كنتم تستكبرون ﴾ وتبلغ آياتها ستاً ومائتي آية .

٨ - سورة الأنفال

تاريخ نزولها ووجه تسميتها :

نزلت سورة الأنفال بعد سورة البقرة ، وكان نزولها بعد غزوة بدر ، وكانت غزوة بدر في السنة الثانية من الهجرة ، فتكون سورة الأنفال من السور التي نزلت بين غزوة بدر وصلح الحديبية .

وقد سميت هذه السورة بهذا الاسم لقوله تعالى في أولها : ﴿ يسألونك عن الأنفال قل الأنفال لله والرسول ﴾ - الآية والأنفال هي الغنائم ، وتبلغ آياتها خمساً وسبعين آية .

٩ - سورة التوبة

تاريخ نزولها ووجه تسميتها :

نزلت سورة التوبة بعد سورة المائدة ، وكان نزولها في ذي القعدة أو ذي الحجة من السنة التاسعة للهجرة ، وكان النبي صلى الله عليه وآله وسلم أرسل أبا بكر في أخريات ذي القعدة ليحج بالناس ، فنزلت هذه السورة بعد سفره وفيها نيد العهود لجميع المشركين الذين لم يوفوا بعهودهم ، فأرسل بها علياً ليبلغها الناس في يوم الحج الأكبر . فلاحق أبا بكر في الطريق ، ثم بلغها الناس في ذلك اليوم ، ثم نادى: لا يحج بعد العام مشرك ، ولا يطوف بالبيت عريان . فتكون سورة التوبة من السور التي نزلت بين غزوة تبوك ووفاة النبي صلى الله عليه وآله وسلم .

وقد سميت هذه السورة باسم التوبة لأنه ذكر في الآيتين - ١١٧ ، ١١٨ - توبة الله على النبي والمهاجرين والأنصار الذين اتبعوه في ساعة العسرة من بعدما كاد يزيغ قلوب فريق منهم ، وعلى الثلاثة الذين خلفوا في غزوة تبوك ، وتبلغ آياتها تسعاً وعشرين ومائة آية .

١٠ - سورة يونس

تاريخ نزولها ووجه تسميتها :

نزلت سورة يونس بعد الإسراء ، وكان الإسراء قبل الهجرة بسنة ، فتكون سورة يونس من السور التي نزلت بين الإسراء والهجرة .

وقد سميت هذه السورة بهذا الاسم لذكر قصة يونس فيها ، وتبلغ آياتها تسعاً ومائة آية .

١١ - سورة هود

تاريخ نزولها ووجه تسميتها :

نزلت سورة هود بعد سورة يونس ، وقد نزلت سورة يونس بعد الإسراء وقبيل الهجرة ، فيكون نزول سورة هود في ذلك التاريخ أيضاً .

وقد سميت هذه السورة بهذا الاسم لذكر قصة هود فيها ، وتبلغ آياتها ثلاثاً وعشرين ومائة آية .

١٢ - سورة يوسف

تاريخ نزولها ووجه تسميتها :

نزلت سورة يُوسُفَ بعد سورة هود ، وقد نزلت سورة هود بعد الإسراء وقبيل الهجرة ، فيكون نزول سورة يوسف في ذلك التاريخ أيضاً .

وقد سُميت هذه السورة بهذا الاسم لأنها نزلت في قصة يوسف مع أبيه وإخوته ، وتبلغ آياتها إحدى عشرة ومائة آية .

١٣ - سورة الرعد

تاريخ نزولها ووجه تسميتها :

نزلت سورة الرعد بعد سورة محمد ، وقد نزلت سورة محمد بعد سورتين من سورة النساء ، وكان نزول سورة النساء فيما بين صلح الحُدَيْبِيَّةِ وغزوة تبوك ، فيكون نزول سورة الرعد في ذلك التاريخ أيضاً ، وعلى هذا تكون سورة الرعد من السُور التي نزلت بالمدينة ، وقيل إنها نزلت بمكة ، لأنها تجرِي في أغراض السُور التي نزلت بها ، وقال الأصم : إنها مدنية بالإجماع . وكأنه لم يَقم وزناً لهذا القول ، ولا شيء في أن تجرِي بعض السور المدنية في أغراض السور المكية ، لأن المشركين الذين نزلت فهم السور المكية لم ينقطع أمرهم بعد الهجرة ، وكان كثير منهم يحيط بالمدينة ، وكانت دعوتهم لا تزال قائمة ، ومما يؤيد أن هذه السورة مدنية قوله تعالى في الآية - ٣١ - منها : ﴿ ولا يزال الذين كفروا تصبيهم بما صنعوا قارعةً أو تحلّ قريبا من دارهم حتى يأتي وعد الله إن الله لا يخلف الميعاد ﴾ .

وقد سُميت هذه السورة بهذا الاسم لقوله تعالى في الآية - ١٣ - منها : ﴿ ويسخّر الرعدُ بحمده ﴾ وتبلغ آياتها ثلاثاً وأربعين آية .

١٤ - سورة إبراهيم

تاريخ نزولها ووجه تسميتها :

نزلت سورة إبراهيم بعد سورة نوح ، وهي من السور التي نزلت بمكة بعد الإسراء ، فيكون نزولها مثلها بعد الإسراء وقبيل الهجرة ، وعلى هذا تكون من السور المكية ، وقيل إنها من السور المدنية ، وقد قال الإمام فخر الدين الرازي : اعلم أن الكلام في أن هذه السورة مكية أو مدنية طريقه الآحاد ، ومتى لم يكن في السورة ما يتصل بالأحكام الشرعية فنزلها بمكة والمدنية سواء ، إنما يختلف الغرض في ذلك إذا حصل فيه ناسخ ومنسوخ ، فيكون فيه فائدة عظيمة .

وقد سميت هذه السورة بهذا الاسم لذكر قصة إبراهيم بمكة فيها ، وتبلغ آياتها اثنتين وخمسين آية .

١٥ - سورة الحجر

تاريخ نزولها ووجه تسميتها :

نزلت سورة الحجر بعد سورة يوسف ، وقد نزلت سورة يوسف بعد الإسراء وقبيل الهجرة ، فيكون نزول سورة الحجر في ذلك التاريخ أيضاً .

وقد سميت هذه السورة بهذا الاسم لذكر قصة أصحاب الحجر فيها ، وهم ثمود قوم صالح عليه السلام ، وتبلغ آياتها تسعاً وتسعين آية .

١٦ - سورة النحل

تاريخ نزولها ووجه تسميتها :

نزلت سورة النحل بعد سورة الكهف ، وهي من السور التي نزلت بعد الإسراء وقبيل الهجرة ، فيكون نزول سورة النحل في ذلك التاريخ أيضاً ، وقيل إنها من السور المدنية .

وقد سميت هذه السورة بهذا الاسم لقوله تعالى في الآية - ٦٨ - منها : ﴿ وأوحى ربك إلى النحل أن اتخذي من الجبال بيوتاً ومن الشجر وما يعرشون ﴾ وتبلغ آياتها ثمان وعشرين ومائة آية .

١٧ - سورة الإسراء

تاريخ نزولها ووجه تسميتها :

نزلت سورة الإسراء بعد سورة القصص ، وقد كانت حادثة الإسراء في السنة الثانية عشرة من البعثة ، فيكون نزول سورة الإسراء في

هذه السنة .

وقد سُمِّيت هذه السورة بهذا الاسم لابتدائها بقوله تعالى : ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى﴾ وتبلغ آياتها إحدى عشرة ومائة آية .

١٨ - سورة الكهف

تاريخ نزولها ووجه تسميتها :

نزلت سورة الكهف بعد سورة الغاشية ، وهي من السور التي نزلت بعد الإسراء وقبيل الهجرة ، فيكون نزول سورة الكهف في ذلك التاريخ أيضاً .

وقد سُمِّيت هذه السورة بهذا الاسم لذكر قصة أصحاب الكهف فيها ، وتبلغ آياتها عشرًا ومائة آية .

١٩ - سورة مريم

تاريخ نزولها ووجه تسميتها :

نزلت سورة مريم بعد سورة فاطر ، وقد نزلت سورة فاطر بعد تسع عشرة سورة من سورة النجم ، وسيأتي أن سورة النجم نزلت عقب الهجرة الأولى للحيشة ، وقد كانت الهجرة إلى الحيشة في السنة السابعة من البعثة ، فتكون سورة مريم من السور التي نزلت بين الهجرة وحادثة الإسراء .

وقد سُمِّيت هذه السورة بهذا الاسم لذكر قصة مريم فيها ، وتبلغ آياتها ثمانين وتسعين آية .

٢٠ - سورة طه

تاريخ نزولها ووجه تسميتها :

نزلت سورة طه بعد سورة مريم ، وقد نزلت سورة مريم فيما بين الهجرة إلى الحيشة وحادثة الإسراء ، فيكون نزول سورة طه في ذلك التاريخ أيضاً .

وقد سميت هذه السورة بهذا الاسم لابتدائها به ، وتبلغ آياتها خمسًا وثلاثين ومائة آية .

٢١ - سورة الأنبياء

تاريخ نزولها ووجه تسميتها :

نزلت سورة الأنبياء بعد سورة إبراهيم ، وقد نزلت سورة إبراهيم بعد الإسراء وقبيل الهجرة ، فيكون نزول سورة الأنبياء في ذلك التاريخ أيضاً .

وقد سُمِّيت هذه السورة بهذا الاسم لأنه اجتمع فيها على قصرها كثير من قصص الأنبياء ، فسميت سورة الأنبياء باسمهم ، وتبلغ آياتها اثنتي عشرة ومائة آية .

٢٢ - سورة الحج

تاريخ نزولها ووجه تسميتها :

نزلت سورة الحج بعد سورة التور ، وقد نزلت سورة التور بعد سورة الحشر ، وكان نزول سورة الحشر فيما بين صلح الحديبية وغزوة تبوك^(١) فيكون نزول سورة الحج في ذلك التاريخ أيضاً ، وعلى هذا تكون من السور المدنية ، وهو المشهور في تاريخ نزولها .

وقيل إن سورة الحج من السور المكية ، وقد استثنى من ذهب إليه هذه الآيات (١٩ و ٢٠ و ٢١ و ٢٢ و ٢٣ و ٢٤) فذهب إلى أنها نزلت بالمدينة .

وقد سميت هذه السورة بهذا الاسم لما ورد فيها من الكلام على الحج ، وتبلغ آياتها ثمانين وسبعين آية .

(١) قد سبق أن الحق أن سورة الحشر نزلت قبل صلح الحديبية .

٢٣ - سورة المؤمنون

تاريخ نزولها ووجه تسميتها :

نزلت سورة المؤمنون بعد سورة الأنبياء ، وقد نزلت سورة الأنبياء بعد الإسراء وقُبيل الهجرة ، فيكون نزول سورة المؤمنون في ذلك التاريخ أيضاً .
وقد سُميت هذه السورة بهذا الاسم لقوله تعالى في أولها : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴾ وتبلغ آياتها ثمانى وعشرون ومائة آية .

٢٤ - سورة النور

تاريخ نزولها ووجه تسميتها :

نزلت سورة النور بعد سورة الحشر ، وقد نزلت سورة الحشر فيما بين صلح الحُدَيْبِيَّةِ وغزوة تبوك^(١) فيكون نزول سورة النور في ذلك التاريخ أيضاً .
وقد سُميت هذه السورة بهذا الاسم لقوله تعالى في الآية - ٣٥ - منها : ﴿ اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ وتبلغ آياتها أربعاً وستين آية .

٢٥ - سورة الفرقان

تاريخ نزولها ووجه تسميتها :

نزلت سورة الفرقان بعد سورة يس ، ونزلت سورة يس بعد سورة الجن ، وكان نزول سورة الجن في رجوع النبي صلى الله عليه وآله وسلم من الطائف ، وكان قد سافر إليها سنة عشر من بعثته ، فيكون نزول سورة الفرقان في السنة العاشرة من البعثة ، وتكون من السور التي نزلت فيما بين الهجرة إلى الحبشة والإسراء .

وقد سميت هذه السورة بهذا الاسم لقوله تعالى في أولها : ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا ﴾ .

٢٦ - سورة الشعراء

تاريخ نزولها ووجه تسميتها :

نزلت سورة الشعراء بعد سورة الواقعة ، وقد نزلت سورة الواقعة بعد سورة طه ، وكان نزول سورة طه فيما بين الهجرة إلى الحبشة والإسراء ، فيكون نزول سورة الشعراء في ذلك التاريخ أيضاً .
وقد سُميت هذه السورة بهذا الاسم لذكر الشعراء في قوله تعالى في الآية - ٢٢٤ - منها : ﴿ وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ ﴾ وتبلغ آياتها سبعاً وعشرين ومائتي آية .

٢٧ - سورة النمل

تاريخ نزولها ووجه تسميتها :

نزلت سورة النمل بعد سورة الشعراء ، وقد نزلت سورة الشعراء فيما بين الهجرة إلى الحبشة والإسراء ، فيكون نزول سورة النمل في ذلك التاريخ أيضاً .
وقد سميت هذه السورة بهذا الاسم لورود اسم النمل في قوله تعالى في الآية - ٨١ - منها : ﴿ حَتَّىٰ إِذَا أَتَوْا عَلَىٰ وَادِي النَّمْلِ قَالَتْ غَمَّةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ ﴾ وتبلغ آياتها ثلاثاً وتسعين آية .

٢٨ - سورة القصص

تاريخ نزولها ووجه تسميتها :

نزلت سورة القصص بعد سورة النمل ، وقد نزلت سورة النمل فيما بين الهجرة إلى الحبشة والإسراء ، فيكون نزول سورة القصص في ذلك التاريخ أيضاً .

(١) قد سبق أن أُلْحِقَ أن سورة الحشر نزلت قبل صلح الحديبية .

وقد سميت هذه السورة بهذا الاسم لأنه جاء في قوله تعالى في الآية - ٢٥ - منها : ﴿ فلما جاءه وقصَّ عليه القصص ﴾ وتبلغ آياتها ثمانين آية .

٢٩ - سورة العنكبوت

تاريخ نزولها ووجه تسميتها :

نزلت سورة العنكبوت بعد سورة الروم ، وقد نزلت سورة الروم في السنة التي انتصر الفرس فيها عليهم ، وكان ذلك قبل الهجرة بسنة ، فيكون نزول سورة العنكبوت في هذه السنة مثلها ، وتكون من السور التي نزلت فيما بين الإسراء والهجرة إلى المدينة . وقد سُمِّيَتْ هذه السورة بهذا الاسم لورود اسم العنكبوت في قوله تعالى في الآية - ٤١ - منها : ﴿ مثل الذين اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كمثل العنكبوت اتَّخَذَتْ بَيْتًا ﴾ وتبلغ آياتها تسعاً وستين آية .

٣٠ - سورة الروم

تاريخ نزولها ووجه تسميتها :

نزلت سورة الروم بعد سورة الانشقاق ، وكان نزول سورة الروم في السنة التي هزمهم الفرس فيها ، وكان ذلك قبل الهجرة بسنة ، فتكون من السور التي نزلت فيما بين الإسراء والهجرة إلى المدينة . وقد سميت هذه السورة بهذا الاسم لقوله تعالى في أولها : ﴿ أَلَمْ نُعَلِّمِ الرُّومَ ﴾ وتبلغ آياتها ستين آية .

٣١ - سورة لقمان

تاريخ نزولها ووجه تسميتها :

نزلت سورة لقمان بعد سورة الصافات ، وهي من السور التي نزلت بمكة بعد الإسراء ، فيكون نزول سورة لقمان بعد الإسراء وقبيل الهجرة . وقد سميت هذه السورة بهذا الاسم لورود قصة لقمان فيها ، وكان من الحكماء الأقدمين ؛ ولم يرد اسم حكيم غيره في القرآن الكريم ، وتبلغ آياتها أربعاً وثلاثين آية .

٣٢ - سورة السجدة

تاريخ نزولها ووجه تسميتها :

نزلت سورة السجدة بعد سورة غافر ، وقد نزلت سورة غافر بعد الإسراء وقبيل الهجرة ، فيكون نزول سورة السجدة في ذلك التاريخ أيضاً . وسميت هذه السورة بهذا الاسم لقوله تعالى في الآية - ١٥ - منها : ﴿ إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِرُوا بِهَا حَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴾ وهي من الآيات التي تنسُّ السجدة عند قراءتها ، وتبلغ آياتها ثلاثين آية .

٣٣ - سورة الأحزاب

تاريخ نزولها ووجه تسميتها :

نزلت سورة الأحزاب بعد سورة آل عمران ، وكان نزولها بعد غزوة الأحزاب ، فيكون نزولها في أواخر السنة الخامسة من الهجرة ، وتكون من السور التي نزلت فيما بين غزوة بدر وصلح الحديبية . وقد سميت هذه السورة بهذا الاسم لذكر غزوة الأحزاب فيها ، وتبلغ آياتها ثلاثاً وسبعين آية .

٣٤ - سورة سبأ

تاريخ نزولها ووجه تسميتها :

نزلت سورة سبأ بعد سورة لقمان ، وقد نزلت سورة لقمان بين الإسراء والهجرة ، فيكون نزول سورة سبأ في ذلك التاريخ أيضاً . وقد سميت هذه السورة بهذا الاسم لورود قصة أهل سبأ فيها ، وكانت سبأ مدينة من المدن القديمة في اليمن ، وكانت عاصمة دولة قديمة به ، وقد خربت عند انهيار سد مأرب بسبب سيل العرم ، وتبلغ آياتها أربعاً وخمسين آية .

٣٥ - سورة فاطر

تاريخ نزولها ووجه تسميتها :

نزلت سورة فاطر بعد سورة الفرقان ، وقد نزلت سورة الفرقان فيما بين الهجرة إلى الحبشة والإسراء ، فيكون نزول سورة فاطر في ذلك التاريخ أيضاً .

وقد سُميت هذه السورة بهذا الاسم لقوله تعالى في أولها : ﴿ الحمد لله فاطر السماوات والأرض ﴾ فسُميت باسم فاطر الذي ابتدئت به بعد ذكر اسم الحمد ، ومثل هذا يكفي في تسميتها به ، وتبلغ آياتها خمساً وأربعين آية .

٣٦ - سورة يس

تاريخ نزولها ووجه تسميتها :

نزلت سورة يس بعد سورة الحجر ، وكان نزول سورة الحجر في رجوع النبي صلى الله عليه وآله وسلم من الطائف ، وكان قد سافر إليها سنة عشر من بعثته ليعرض الإسلام على أهلها ، فيكون نزول سورة يس فيما بين الهجرة إلى الحبشة والإسراء .

وقد سُميت هذه السورة بهذا الاسم لابتدائها بالقسم بهذين الحرفين اللذين سميت بهما وتبلغ آياتها ثلاثاً وعشرين آية .

٣٧ - سورة الصافات

تاريخ نزولها ووجه تسميتها :

نزلت سورة الصافات بعد سورة الأنعام ، وقد نزلت سورة الأنعام بعد الإسراء وقبيل الهجرة ، فيكون نزول سورة الصافات في ذلك التاريخ أيضاً .

وقد سميت هذه السورة بهذا الاسم لابتدائها بالقسم به ، والمراد به الملائكة التي تقف صفوفاً للعبادة ، أو تُصَفُّ أجنحتها في الهواء منتظرة وصول أمر الله إليها ، وتبلغ آيات هذه السورة ثنتين وعشرين ومائة آية .

٣٨ - سورة ص

تاريخ نزولها ووجه تسميتها :

نزلت سورة ص بعد سورة القمر وقبل سورة الأعراف ، وقد نزلت سورة الأعراف فيما بين الهجرة إلى الحبشة والإسراء ، فيكون نزول سورة ص في هذا التاريخ أيضاً .

وقد سُميت هذه السورة بهذا الاسم لابتدائها بالقسم به ، وتبلغ آياتها ثمانين آية .

٣٩ - سورة الزمر

تاريخ نزولها ووجه تسميتها :

نزلت سورة الزمر بعد سورة سبأ ، وقد نزلت سورة سبأ بعد الإسراء وقبيل الهجرة ، فيكون نزول سورة الزمر في ذلك التاريخ أيضاً . وقد سميت هذه السورة بهذا الاسم لقوله تعالى في آخرها : ﴿ وسيق الذين كفروا إلى جهنم زمراً ﴾ الآيات إلى قوله : ﴿ وسيق الذين اتقوا ربهم إلى الجنة زمراً ﴾ وتبلغ آياتها خمساً وسبعين آية .

٤٠ - سورة غافر

تاريخ نزولها ووجه تسميتها :

نزلت سورة غافر بعد سورة الزمر ، وقد نزلت سورة الزمر بعد الإسراء وقبيل الهجرة ، فيكون نزول سورة غافر في ذلك التاريخ أيضاً .

وقد سميت هذه السورة بهذا الاسم لقوله تعالى في أولها : ﴿ غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ﴾ وتبلغ آياتها خمساً وثمانين آية .

٤١ - سورة فصلت

تاريخ نزولها ووجه تسميتها :

نزلت سورة فصلت بعد سورة غافر ، وقد نزلت سورة غافر بعد الإسراء وقبيل الهجرة ، فيكون نزول سورة فصلت في ذلك التاريخ أيضاً .

وقد سُميت هذه السورة بهذا الاسم لقوله تعالى في أولها : ﴿ كِتَابٌ فَصَّلْتَ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ وتبلغ آياتها أربعاً وخمسين آية .

٤٢ - سورة الشورى

تاريخ نزولها ووجه تسميتها :

نزلت سورة الشورى بعد سورة فصلت ، وقد نزلت سورة فصلت بعد الإسراء وقبيل الهجرة ، فيكون نزول سورة الشورى في هذا التاريخ أيضاً .

وقد سميت هذه السورة بهذا الاسم لقوله تعالى في الآية - ٣٨ - منها : ﴿ وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴾ وتبلغ آياتها ثلاثاً وخمسين آية .

٤٣ - سورة الزخرف

تاريخ نزولها ووجه تسميتها :

نزلت سورة الزخرف بعد سورة الشورى ، وقد نزلت سورة الشورى بعد الإسراء وقبيل الهجرة ، فيكون نزول سورة الزخرف في ذلك التاريخ أيضاً .

وقد سُميت هذه السورة بهذا الاسم لقوله تعالى في الآية - ٣٥ - منها : ﴿ وَزُخْرُفًا وَإِنْ كُلُّ ذَلِكَ لَمَّا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةُ عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ وتبلغ آياتها تسعاً وثمانين آية .

٤٤ - سورة الدخان

تاريخ نزولها ووجه تسميتها :

نزلت سورة الدخان بعد سورة الزخرف ، وقد نزلت سورة الزخرف بعد الإسراء وقبيل الهجرة ، فيكون نزول سورة الدخان في ذلك التاريخ أيضاً .

وقد سُميت هذه السورة بهذا الاسم لقوله تعالى في الآية - ١٠ - منها : ﴿ فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ ﴾ وتبلغ آياتها تسعاً وخمسين آية .

٤٥ - سورة الجاثية

تاريخ نزولها ووجه تسميتها :

نزلت سورة الجاثية بعد سورة الدخان ، وقد نزلت سورة الدخان بعد الإسراء وقبيل الهجرة ، فيكون نزول سورة الجاثية في ذلك التاريخ أيضاً .

وقد سُميت هذه السورة بهذا الاسم لقوله تعالى في الآية - ٢٨ - منها : ﴿ وَتَرَى كُلُّ أُمَّةٍ جَائِيَةً كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَى إِلَى كِتَابِهَا الْيَوْمَ تُحْزَنُونَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ وتبلغ آياتها سبعاً وثلاثين آية .

٤٦ - سورة الأحقاف

تاريخ نزولها ووجه تسميتها :

نزلت سورة الأحقاف بعد سورة الجاثية ، وقد نزلت سورة الجاثية بعد الإسراء وقبيل الهجرة ، فيكون نزول سورة الأحقاف في ذلك التاريخ أيضاً .

وقد سميت هذه السورة بهذا الاسم لقوله تعالى في الآية - ٢١ - منها : ﴿ وَادْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنْذَرَ قَوْمَهُ بِالْأَحْقَافِ ﴾ وتبلغ آياتها خمساً وثلاثين آية .

٤٧ - سورة محمد ﷺ

تاريخ نزولها ووجه تسميتها :

نزلت سورة محمد بعد سورة الحديد ، وقد نزلت سورة الحديد بعد سورة الزلزلة ، ونزلت سورة الزلزلة بعد سورة النساء ، وكان نزول سورة النساء فيما بين صلح الحديبية وغزوة تبوك ، فيكون نزول سورة محمد في هذا التاريخ أيضاً .
وقد سُميت هذه السورة بهذا الاسم لقوله تعالى في الآية - ٢ - منها : ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَمَّنُوا بِمَا أُنزِلَ عَلَيَّ مُحَمَّدٍ ﴾ الآية ، وتبلغ آياتها ثمان وثلاثين آية .

٤٨ - سورة الفتح

تاريخ نزولها ووجه تسميتها :

نزلت سورة الفتح بعد سورة الجمعة ، وكان نزولها في الطريق عند الانصراف من الحديبية في السنة السادسة من الهجرة ، فتكون من السور التي نزلت فيما بين صلح الحديبية وغزوة تبوك .
وقد سُميت هذه السورة بهذا الاسم لقوله تعالى في أولها : ﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا ﴾ وتبلغ آياتها تسعاً وعشرين آية .

٤٩ - سورة الحجرات

تاريخ نزولها ووجه تسميتها :

نزلت سورة الحجرات بعد سورة المجادلة ، ونزلت سورة المجادلة بعد سورة المنافقون ، وقد نزلت سورة المنافقون في غزوة بني المصطلق في السنة الخامسة من الهجرة ، فيكون نزول سورة الحجرات فيما بين صلح الحديبية وغزوة تبوك .
وقد سُميت هذه السورة بهذا الاسم لقوله تعالى في الآية - ٤ - منها : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُتَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ وتبلغ آياتها ثمان عشرة آية .

٥٠ - سورة ق

تاريخ نزولها ووجه تسميتها :

نزلت سورة ق بعد سورة المرسلات ، وقد نزلت سورة المرسلات بعد تسع سور من سورة النجم ، ونزلت سورة النجم بعد الهجرة الأولى للحبيشة ، وكانت هذه الهجرة في السنة السابعة من البعثة ، فيكون نزول سورة ق في ذلك التاريخ أيضاً ، وتكون من السور التي نزلت فيما بين الهجرة إلى الحبيشة والإسراء .
وقد سُميت هذه السورة بهذا الاسم لابتدائها بالقسم به ، وتبلغ آياتها خمساً وأربعين آية .

٥١ - سورة الذاريات

تاريخ نزولها ووجه تسميتها :

نزلت سورة الذاريات بعد سورة الأحقاف ، وقد نزلت سورة الأحقاف بعد الإسراء وقبيل الهجرة ، فيكون نزول سورة الذاريات في ذلك التاريخ أيضاً .
وقد سُميت هذه السورة بهذا الاسم لقوله تعالى في أولها : ﴿ وَالذَّارِيَاتِ ذُرُوءًا ﴾ وتبلغ آياتها ستين آية .

٥٢ - سورة الطور

تاريخ نزولها ووجه تسميتها :

نزلت سورة الطور بعد سورة السجدة ، وقد نزلت سورة السجدة بعد الإسراء وقبيل الهجرة ، فيكون نزول سورة الطور في ذلك التاريخ أيضاً .
وقد سُميت هذه السورة بهذا الاسم لقوله تعالى في أولها : ﴿ وَالطُّورِ ، وَكِتَابٍ مَسْطُورٍ ﴾ وتبلغ آياتها تسعاً وأربعين آية .

٥٣ - سورة النجم

تاريخ نزولها ووجه تسميتها :

نزلت سورة النجم بعد سورة الإخلاص ، وكان نزولها بعد الهجرة الأولى للحبيشة ، وكانت هذه الهجرة في السنة السابعة من البعثة ، فلما نزلت هذه السورة أشيع أنه نزل فيها بعد قوله : ﴿ أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّى ، وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَى ﴾ تلك الغرائب العلى ، وإن شفاعتهن لترجى ، وأن قريشاً أسلمت في تلك الشائعة ، وكان هذا من إلقاء الشيطان في مسامح المشركين ، فرجع مهاجروا الحبيشة حين أشيع ذلك بينهم ، فرأوا أن قريشاً لا تزال على كفرها ، وبهذا تكون سورة النجم من السور التي نزلت فيها بين الهجرة إلى الحبيشة والإسراء . وقد سُميت هذه السورة بهذا الاسم لقوله تعالى في أولها : ﴿ وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى ﴾ وتبلغ آياتها ثنتين وستين آية .

٥٤ - سورة القمر

تاريخ نزولها ووجه تسميتها :

نزلت سورة القمر بعد سورة الطارق ، وقد نزلت سورة الطارق بعد سورة البلد ، ونزلت سورة البلد بعد سورة ق ، وكان نزول سورة ق فيما بين الهجرة إلى الحبيشة والإسراء ، فيكون نزول سورة القمر في ذلك التاريخ أيضاً . وقد سُميت هذه السورة بهذا الاسم لقوله تعالى في أولها : ﴿ اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ ﴾ وتبلغ آياتها خمساً وخمسين آية .

٥٥ - سورة الرحمن

تاريخ نزولها ووجه تسميتها :

نزلت سورة الرحمن بعد سورة الرعد ، وقد نزلت سورة الرعد فيما بين صلح الحديبية وغزوة تبوك ، فيكون نزول سورة الرحمن في ذلك التاريخ أيضاً . وقد سُميت هذه السورة بهذا الاسم لافتتاحها به في قوله تعالى : ﴿ الرَّحْمَنُ ، عَلَّمَ الْقُرْآنَ ﴾ وتبلغ آياتها ثمانى وسبعين آية .

٥٦ - سورة الواقعة

تاريخ نزولها ووجه تسميتها :

نزلت سورة الواقعة بعد سورة طه ، وقد نزلت سورة طه فيما بين الهجرة إلى الحبيشة والإسراء ، فيكون نزول سورة الواقعة في ذلك التاريخ أيضاً . وقد سُميت هذه السورة بهذا الاسم لقوله تعالى في أولها : ﴿ إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ ﴾ وتبلغ آياتها ستاً وتسعين آية .

٥٧ - سورة الحديد

تاريخ نزولها ووجه تسميتها :

نزلت سورة الحديد بعد سورة الزلزلة ، وقد نزلت سورة الزلزلة بعد سورة النساء ، وكان نزول سورة النساء فيما بين صلح الحديبية وغزوة تبوك ، فيكون نزول سورة الحديد في ذلك التاريخ أيضاً . وقد سميت هذه السورة بهذا الاسم لقوله تعالى في الآية - ٢٥ - منها : ﴿ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنْفَعَةٌ لِلنَّاسِ ﴾ وتبلغ آياتها تسعاً وعشرين آية .

٥٨ - سورة المجادلة

تاريخ نزولها ووجه تسميتها :

نزلت سورة المجادلة بعد سورة المنافقون ، وقد نزلت سورة المنافقون بعد غزوة بني المصطلق في السنة الخامسة من الهجرة ، فيكون نزول سورة المجادلة فيما بين صلح الحديبية وغزوة تبوك . وقد سُميت هذه السورة بهذا الاسم لقوله تعالى في أولها : ﴿ قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا ﴾ وتبلغ آياتها ثنتين وعشرين آية .

٥٩ - سورة الحشر

تاريخ نزولها ووجه تسميتها :

نزلت سورة الحشر بعد سورة البينة ، وقد نزلت سورة البينة فيما بين صلح الحديبية وغزوة تبوك ، فيكون نزول سورة الحشر في ذلك التاريخ أيضاً ، والحق أنها من السور التي نزلت فيما بين غزوة بدر و صلح الحديبية ، لأنها نزلت في غزوة بني النضير ، وكانت هذه الغزوة في السنة الرابعة من الهجرة .

وقد سميت هذه السورة بهذا الاسم لقوله تعالى في الآية - ٢ - منها : ﴿ هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ ﴾ وتبلغ آياتها أربعاً وعشرين آية .

٦٠ - سورة المتحنة

تاريخ نزولها ووجه تسميتها :

نزلت سورة المتحنة بعد سورة الأحزاب ، وكان نزولها بعد صلح الحديبية في السنة السادسة من الهجرة ، فتكون من السور التي نزلت فيما بين هذا الصلح وغزوة تبوك .

وقد سميت هذه السورة بهذا الاسم لقوله تعالى في الآية - ١٠ - منها : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمْ الْمُؤْمِنَاتُ مِهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنوهُنَّ ﴾ وتبلغ آياتها ثلاث عشرة آية .

٦١ - سورة الصف

تاريخ نزولها ووجه تسميتها :

نزلت سورة الصف بعد سورة التغابن ، وقد نزلت سورة التغابن بعد سورة التحريم ، ونزلت سورة التحريم بعد سورة الحجرات ، ونزلت سورة الحجرات فيما بين صلح الحديبية وغزوة تبوك ، فيكون نزول سورة الصف في ذلك التاريخ أيضاً .

وقد سُميت هذه السورة بهذا الاسم لقوله تعالى في الآية - ٤ - منها : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَانَهُمْ بِنَاءٍ مَرْصُورٍ ﴾ وتبلغ آياتها أربع عشرة آية .

٦٢ - سورة الجمعة

تاريخ نزولها ووجه تسميتها :

نزلت سورة الجمعة بعد سورة الصف ، وقد نزلت سورة الصف فيما بين صلح الحديبية وغزوة تبوك ، فيكون نزول سورة الجمعة في ذلك التاريخ أيضاً ، وقد سميت هذه السورة بهذا الاسم لقوله تعالى في الآية - ٩ - منها : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ﴾ وتبلغ آياتها إحدى عشرة آية .

٦٣ - سورة المنافقون

تاريخ نزولها ووجه تسميتها :

نزلت سورة المنافقون بعد سورة الحج ، وكان نزولها بعد غزوة بني المصطلق في السنة الخامسة من الهجرة ، فتكون من السور التي نزلت فيما بين صلح الحديبية وغزوة تبوك .

وقد سميت هذه السورة بهذا الاسم لقوله تعالى في أولها : ﴿ إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ ﴾ وتبلغ آياتها إحدى عشرة آية .

٦٤ - سورة التغابن

تاريخ نزولها ووجه تسميتها :

نزلت سورة التغابن بعد سورة التحريم ، وقد نزلت سورة التحريم بعد سورة الحجرات ، ونزلت سورة الحجرات فيما بين صلح الحديبية وغزوة بدر ، فيكون نزول سورة التغابن في ذلك التاريخ أيضاً .

وقد سُميت هذه السورة بهذا الاسم لقوله تعالى في الآية - ٩ - منها : ﴿ يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ ذَلِكَ يَوْمُ التَّغَابُرِ ﴾ وتبلغ آياتها ثمانى عشرة آية .

٦٥ - سورة الطلاق

تاريخ نزولها ووجه تسميتها :

نزلت سورة الطلاق بعد سورة الإنسان ، وقد نزلت سورة الإنسان بعد سورة الرحمن ، ونزلت سورة الرحمن فيما بين صلح الحديبية وغزوة تبوك ، فيكون نزول سورة الطلاق في ذلك التاريخ أيضاً .
وقد سميت هذه السورة بهذا الاسم لقوله تعالى في أولها : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ ﴾ وتبلغ آياتها ثني عشرة آية .

٦٦ - سورة التحريم

تاريخ نزولها ووجه تسميتها :

نزلت سورة التحريم بعد سورة الحجرات ، وقد نزلت سورة الحجرات فيما بين صلح الحديبية وغزوة تبوك ، ، فيكون نزول سورة التحريم في ذلك التاريخ أيضاً .
وقد سميت هذه السورة بهذا الاسم لقوله تعالى في أولها : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ ﴾ وتبلغ آياتها ثني عشرة آية .

٦٧ - سورة الملك

تاريخ نزولها ووجه تسميتها :

نزلت سورة الملك بعد سورة الطور ، وقد نزلت سورة الطور بعد الإسراء وقبيل الهجرة ، فيكون نزول سورة الملك في ذلك التاريخ أيضاً .
وقد سميت هذه السورة بهذا الاسم لقوله تعالى في أولها : ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمَلِكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ وتبلغ آياتها ثلاثين آية .

٦٨ - سورة القلم

تاريخ نزولها ووجه تسميتها :

نزلت سورة القلم بعد سورة العلق ، وقد كانت سورة العلق أول ما نزل من القرآن ، فيكون نزول سورة القلم فيما بين ابتداء الوحي والهجرة إلى الحبشة .
وقد سُميت هذه السورة بهذا الاسم لقوله تعالى في أولها : ﴿ ق ، وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴾ وتبلغ آياتها اثنتين وخمسين آية .

٦٩ - سورة الحاقة

تاريخ نزولها ووجه تسميتها :

نزلت سورة الحاقة بعد سورة الملك ، وقد نزلت سورة الملك بعد الإسراء وقبيل الهجرة ، فيكون نزول سورة الحاقة في ذلك التاريخ أيضاً .
وقد سُميت هذه السورة بهذا الاسم لقوله تعالى في أولها : ﴿ الْحَاقَّةُ ، وَالْحَاقَّةُ ، وَمَا أَحَدَرَاكَ مَا الْحَاقَّةُ ﴾ وتبلغ آياتها ثنتين وخمسين آية .

٧٠ - سورة المعارج

تاريخ نزولها ووجه تسميتها :

نزلت سورة المعارج بعد سورة الحاقة ، وقد نزلت سورة الحاقة بعد الإسراء وقبيل الهجرة ، فيكون نزول سورة المعارج في ذلك التاريخ أيضاً .
وقد سُميت هذه السورة بهذا الاسم لقوله تعالى في الآية - ٣ - منها : ﴿ مِنْ اللَّهِ ذِي الْمَعَارِجِ ﴾ وتبلغ آياتها أربعاً وأربعين آية .

٧١ - سورة نوح

تاريخ نزولها ووجه تسميتها :

نزلت سورة نوح بعد سورة النحل ، وقد نزلت سورة النحل بعد الإسراء وقبيل الهجرة ، فيكون نزول سورة نوح في ذلك التاريخ أيضاً .
وقد سُميت هذه السورة بهذا الاسم لقوله تعالى في أولها : ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ أَنْ أَنْذِرْ قَوْمَكَ مِن قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾
وتبلغ آياتها ثمانى وعشرين آية .

٧٢ - سورة الجن

تاريخ نزولها ووجه تسميتها :

نزلت سورة الجن بعد سورة الأعراف ، وكان نزولها في رجوع النبي صلى الله عليه وآله وسلم من الطائف ، وكان قد سافر إليها ليدعو أهلها في السنة العاشرة من البعثة ، فيكون نزول سورة الجن فيما بين الهجرة إلى الحبشة والإسراء .
وقد سُميت هذه السورة بهذا الاسم لقوله تعالى في أولها : ﴿ قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قرآنًا عجباً ﴾ وتبلغ آياتها ثمانى وعشرين آية .

٧٣ - سورة المزمل

تاريخ نزولها ووجه تسميتها :

نزلت سورة المزمل بعد سورة القلم ، وقد كان نزول سورة القلم فيما بين ابتداء الوحي والهجرة إلى الحبشة ، فيكون نزول سورة المزمل في ذلك التاريخ أيضاً .
وقد سُميت هذه السورة بهذا الاسم لقوله تعالى في أولها : ﴿ يَا أَيُّهَا الْمَزْمُلُ ، قُمْ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ وتبلغ آياتها عشرين آية .

٧٤ - سورة المدثر

تاريخ نزولها ووجه تسميتها :

نزلت سورة المدثر بعد سورة المزمل ، وكان الوحي قد انقطع بعد بدء نزوله مدة لم يتفق المؤرخون عليها ، وأرجح أقوالهم أنها كانت أربعين يوماً ، وقد نزلت سورة المدثر بعد انقضاء هذه المدة ، فيكون نزولها فيما بين ابتداء الوحي والهجرة إلى الحبشة .
وقد سُميت هذه السورة بهذا الاسم لقوله تعالى في أولها : ﴿ يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ، قُمْ فَأَنْذِرْ ﴾ وتبلغ آياتها ستاً وخمسين آية .

٧٥ - سورة القيامة

تاريخ نزولها ووجه تسميتها :

نزلت سورة القيامة بعد سبع سُور من سورة النجم ، وكان نزول سورة النجم فيما بين الهجرة إلى الحبشة والإسراء ، فيكون نزول سورة القيامة في ذلك التاريخ أيضاً .
وقد سُميت هذه السورة بهذا الاسم لقوله تعالى في أولها : ﴿ لَا أَسْأَلُكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾ وتبلغ آياتها أربعين آية .

٧٦ - سورة الإنسان

تاريخ نزولها ووجه تسميتها :

نزلت سورة الإنسان بعد سورة الرحمن ، وكان نزول سورة الرحمن فيما بين صلح الحديبية وغزوة تبوك ، فيكون نزول سورة الإنسان في ذلك التاريخ أيضاً .
وقد سميت هذه السورة بهذا الاسم لقوله تعالى في أولها : ﴿ هَلْ أُنَبِّئُكَ عَلَىٰ الْإِنْسَانِ حِينَ مَنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَّذْكُورًا ﴾ وتبلغ آياتها إحدى وثلاثين آية .

٧٧ - سورة المرسلات

تاريخ نزولها ووجه تسميتها :

نزلت سورة المرسلات بعد سورة الهَمزة ، وقد نزلت سورة الهمة بعد سورة القيامة ، وكان نزول سورة القيامة فيما بين الهجرة إلى الحبشة والإسراء ، فيكون نزول سورة المرسلات في ذلك التاريخ أيضاً .

وقد سُميت هذه السورة بهذا الاسم لقوله تعالى في أولها : ﴿ المرسلاتِ عزفاً ﴾ وتبلغ آياتها خمسين آية .

٧٨ - سورة النبأ

تاريخ نزولها ووجه تسميتها :

نزلت سورة النبأ بعد سورة المعارج ، وقد نزلت سورة المعارج بعد الإسراء وقبيل الهجرة ، فيكون نزول سورة النبأ في ذلك التاريخ أيضاً . وقد سُميت هذه السورة بهذا الاسم لقوله تعالى في أولها : ﴿ عمّ يتساءلون عن النبأ العظيم ﴾ وتبلغ آياتها أربعين آية .

٧٩ - سورة النازعات

تاريخ نزولها ووجه تسميتها :

نزلت سورة النازعات بعد سورة النبأ ، وقد نزلت سورة النبأ بعد الإسراء وقبيل الهجرة ، فيكون نزول سورة النازعات في ذلك التاريخ أيضاً .

وقد سُميت هذه السورة بهذا الاسم لقوله تعالى في أولها : ﴿ والنازعاتِ عزفاً ﴾ وتبلغ آياتها ستاً وأربعين آية .

٨٠ - سورة عبس

تاريخ نزولها ووجه تسميتها :

نزلت سورة عبس بعد سورة النجم ، وقد نزلت سورة النجم فيما بين الهجرة إلى الحبشة والإسراء ، فيكون نزول سورة عبس في ذلك التاريخ أيضاً .

وقد سُميت هذه السورة بهذا الاسم لقوله تعالى في أولها : ﴿ عبس وتولى ، أن جاءه الأعمى ﴾ وتبلغ آياتها ثنتين وأربعين آية .

٨١ - سورة التكوير

تاريخ نزولها ووجه تسميتها :

نزلت سورة التكوير بعد سورة المسد ، وقد نزلت سورة المسد بعد سورة الفاتحة ، ونزلت سورة الفاتحة فيما بين ابتداء الوحي والهجرة إلى الحبشة ، فيكون نزول التكوير في ذلك التاريخ أيضاً .

وقد سُميت هذه السورة بهذا الاسم لقوله تعالى في أولها : ﴿ إذا الشمسُ كورت ﴾ وتبلغ آياتها تسعاً وعشرين آية .

٨٢ - سورة الانفطار

تاريخ نزولها ووجه تسميتها :

نزلت سورة الانفطار بعد سورة النازعات ، وقد نزلت سورة النازعات بعد الإسراء وقبيل الهجرة ، فيكون نزول سورة الانفطار في ذلك التاريخ أيضاً .

وقد سُميت هذه السورة بهذا الاسم لقوله تعالى في أولها : ﴿ إذا السماء انفطرت ﴾ وتبلغ آياتها تسع عشرة آية .

٨٣ - سورة المطففين

تاريخ نزولها ووجه تسميتها :

نزلت سورة المطففين بعد سورة العنكبوت ، وهي آخر سورة نزلت بمكة ، فيكون نزولها بعد الإسراء وقبيل الهجرة .

وقد سميت هذه السورة بهذا الاسم لقوله تعالى في أولها : ﴿ وئيل للمطففين ﴾ وتبلغ آياتها ستاً وثلاثين آية .

٨٤ - سورة الانشقاق

تاريخ نزولها ووجه تسميتها :

نزلت سورة الانشقاق بعد سورة الانفطار ، وقد نزلت سورة الانفطار بعد الإسراء وقبيل الهجرة ، فيكون نزول سورة الانشقاق في ذلك التاريخ أيضاً .

وقد سُميت هذه السورة بهذا الاسم لقوله تعالى في أولها : ﴿ إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ ﴾ وتبلغ آياتها خمساً وعشرين آية .

٨٥ - سورة الروع

تاريخ نزولها ووجه تسميتها :

نزلت سورة الروع بعد سورة الشمس ، وقد نزلت سورة الشمس بعد سورة القدر ، ونزلت سورة القدر بعد سورة عبس ، وكان نزول سورة عبس فيما بين الهجرة إلى الحبشة والإسراء ، فيكون نزول سورة الروع في ذلك التاريخ أيضاً .

وقد سميت هذه السورة بهذا الاسم لقوله تعالى في أولها : ﴿ وَالسَّاءِ ذَاتِ الْرُوعِ ﴾ وتبلغ آياتها ثنتين وعشرين آية .

٨٦ - سورة الطارق

تاريخ نزولها ووجه تسميتها :

نزلت سورة الطارق بعد سورة البلد ، وقد نزلت سورة البلد بعد سورة ق ، وكان نزول سورة ق فيما بين الهجرة إلى الحبشة والإسراء ، فيكون نزول سورة الطارق في ذلك التاريخ أيضاً .

وقد سُميت هذه السورة بهذا الاسم لقوله تعالى في أولها : ﴿ وَالسَّاءِ الطَّارِقِ ﴾ وتبلغ آياتها سبع عشرة آية .

٨٧ - سورة الأعلى

تاريخ نزولها ووجه تسميتها :

نزلت سورة الأعلى بعد سورة التكوير ، وكان نزول سورة التكوير فيما بين ابتداء الوحي والهجرة إلى الحبشة ، فيكون نزول سورة الأعلى في ذلك التاريخ أيضاً .

وقد سُميت هذه السورة بهذا الاسم لقوله تعالى في أولها : ﴿ سَبَّحَ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى ﴾ وتبلغ آياتها تسع عشرة آية .

٨٨ - سورة الغاشية

تاريخ نزولها ووجه تسميتها :

نزلت سورة الغاشية بعد سورة الذاريات ، وقد نزلت سورة الذاريات بعد الإسراء وقبيل الهجرة ، فيكون نزول سورة الغاشية في ذلك التاريخ أيضاً .

وقد سُميت هذه السورة بهذا الاسم لقوله تعالى في أولها : ﴿ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثَ الْغَاشِيَةِ ﴾ وتبلغ آياتها ستاً وعشرين آية .

٨٩ - سورة الفجر

تاريخ نزولها ووجه تسميتها :

نزلت سورة الفجر بعد سورة الليل ، وقد نزلت سورة الليل بعد سورة الأعلى ، ونزلت سورة الأعلى فيما بين ابتداء الوحي والهجرة إلى الحبشة ، فيكون نزول سورة الفجر في ذلك التاريخ أيضاً .

وقد سُميت هذه السورة بهذا الاسم لقوله تعالى في أولها : ﴿ وَالْفَجْرِ لَيَالٍ عَشْرٍ ﴾ وتبلغ آياتها ثلاثين آية .

٩٠ - سورة البلد

تاريخ نزولها ووجه تسميتها :

نزلت سورة البلد بعد سورة ق ، وقد نزلت سورة ق فيما بين الهجرة إلى الحبشة والإسراء ، فيكون نزول سورة البلد في ذلك التاريخ أيضاً .

وقد سُميت هذه السورة بهذا الاسم لقوله تعالى في أولها : ﴿ لا أقسمُ بهذا البلدِ ﴾ وتبلغ آياتها عشرين آية .

٩١ - سورة الشمس

تاريخ نزولها ووجه تسميتها :

نزلت سورة الشمس بعد سورة القدر ، وقد نزلت سورة القدر بعد سورة عبس ، ونزلت سورة عبس فيما بين الهجرة إلى الحبشة والإسراء ، فيكون نزول سورة الشمس في ذلك التاريخ أيضاً .

وقد سُميت هذه السورة بهذا الاسم لقوله تعالى في أولها : ﴿ والشمسُ وضحاها ﴾ وتبلغ آياتها خمس عشرة آية .

٩٢ - سورة الليل

تاريخ نزولها ووجه تسميتها :

نزلت سورة الليل بعد سورة الأعلى ، وقد نزلت سورة الأعلى فيما بين ابتداء الوحي والهجرة إلى الحبشة ، فيكون نزول سورة الليل في ذلك التاريخ أيضاً .

وقد سُميت هذه السورة بهذا الاسم لقوله تعالى في أولها : ﴿ والليلُ إذا يغشى ﴾ وتبلغ آياتها إحدى وعشرين آية .

٩٣ - سورة الضحى

تاريخ نزولها ووجه تسميتها :

نزلت سورة الضحى بعد سورة الفجر ، وقد نزلت سورة الفجر فيما بين ابتداء الوحي والهجرة إلى الحبشة ، فيكون نزول سورة الضحى في ذلك التاريخ أيضاً .

وقد سُميت هذه السورة بهذا الاسم لقوله تعالى في أولها : ﴿ والضُّحى ، والليلُ إذا سَجى ﴾ وتبلغ آياتها إحدى عشرة آية .

٩٤ - سورة الشرح

تاريخ نزولها ووجه تسميتها :

نزلت سورة الشرح بعد سورة الضحى ، وقد نزلت سورة الضحى فيما بين ابتداء الوحي والهجرة إلى الحبشة ، فيكون نزول سورة الشرح في ذلك التاريخ أيضاً .

وقد سُميت هذه السورة بهذا الاسم لقوله تعالى في أولها : ﴿ ألم نشرح لك صدرك ﴾ وتبلغ آياتها ثماني آيات .

٩٥ - سورة التين

تاريخ نزولها ووجه تسميتها :

نزلت سورة التين بعد سورة البروج ، وقد نزلت سورة البروج فيما بين الهجرة إلى الحبشة والإسراء ، فيكون نزول سورة التين في ذلك التاريخ أيضاً .

وقد سُميت هذه السورة بهذا الاسم لقوله تعالى في أولها : ﴿ والتَّينَ والزَّيتون ﴾ وتبلغ آياتها ثماني آيات .

٩٦ - سورة العلق

تاريخ نزولها ووجه تسميتها :

سورة العلق أول ما نزل من القرآن عند جمهور المفسرين ، وذهب آخرون إلى أن الفاتحة هي أول ما نزل منه . ثم سورة العلق .

وقد سُميت هذه السورة بهذا الاسم لقوله تعالى في أولها : ﴿ اقرأ باسم ربك الذي خلق ، خلق الإنسان من علق ﴾ وتبلغ آياتها تسع عشرة آية .

٩٧ - سورة القدر

تاريخ نزولها ووجه تسميتها :

نزلت سورة القدر بعد سورة عبس ، وقد نزلت سورة عبس فيما بين الهجرة إلى الحبشة والإسراء ، فيكون نزول سورة القدر في ذلك التاريخ أيضاً .

وقد سُميت هذه السورة بهذا الاسم لقوله تعالى في أولها : ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ﴾ وتبلغ آياتها خمس آيات .

٩٨ - سورة البينة

تاريخ نزولها ووجه تسميتها :

نزلت سورة البينة بعد سورة الطلاق ، وقد نزلت سورة الطلاق فيما بين صلح الحديبية وغزوة تبوك ، فيكون نزول سورة البينة في ذلك التاريخ أيضاً .

وقد سُميت هذه السورة بهذا الاسم لقوله تعالى في أولها : ﴿ لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنْفَكِينَ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ ﴾ وتبلغ آياتها ثمان آيات .

٩٩ - سورة الزلزلة

تاريخ نزولها ووجه تسميتها :

نزلت سورة الزلزلة بعد سورة النساء ، وقد نزلت سورة النساء فيما بين صلح الحديبية وغزوة تبوك ، فيكون نزول سورة الزلزلة في ذلك التاريخ أيضاً .

وقد سُميت هذه السورة بهذا الاسم لقوله تعالى في أولها : ﴿ إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ﴾ وتبلغ آياتها ثمان آيات .

١٠٠ - سورة العاديات

تاريخ نزولها ووجه تسميتها :

نزلت سورة العاديات بعد سورة العصر ، وقد نزلت سورة العصر بعد سورة الشرح ، ونزلت سورة الشرح فيما بين ابتداء الوحي والهجرة إلى الحبشة ، فيكون نزول سورة العاديات في ذلك التاريخ أيضاً .

وقد سميت هذه السورة بهذا الاسم لقوله تعالى في أولها : ﴿ وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا ﴾ وتبلغ آياتها إحدى عشرة آية .

١٠١ - سورة القارعة

تاريخ نزولها ووجه تسميتها :

نزلت سورة القارعة ، بعد سورة قُرَيْش ، وقد نزلت سورة قُرَيْش بعد سورة التين ، ونزلت سورة التين فيما بين الهجرة إلى الحبشة والإسراء ، فيكون نزول سورة القارعة في ذلك التاريخ أيضاً .

وقد سُميت هذه السورة بهذا الاسم لقوله تعالى في أولها : ﴿ الْقَارِعَةُ ، مَا الْقَارِعَةُ ﴾ وتبلغ آياتها إحدى عشرة آية .

١٠٢ - سورة التكاثر

تاريخ نزولها ووجه تسميتها :

نزلت سورة التكاثر بعد سورة الكوثر ، وقد نزلت سورة الكوثر بعد سورة العاديات ، ونزلت سورة العاديات فيما بين ابتداء الوحي والهجرة إلى الحبشة ، نزول سورة التكاثر في ذلك التاريخ أيضاً .

وقد سُميت هذه السورة بهذا الاسم لقوله تعالى في أولها : ﴿ أَلَمْ يَكُنْ الْتَّكَاثُرُ ﴾ وتبلغ آياتها ثمان آيات .

١٠٣ - سورة العصر

تاريخ نزولها ووجه تسميتها :

نزلت سورة العصر بعد سورة الشرح ، وقد نزلت سورة الشرح فيما بين ابتداء الوحي والهجرة إلى الحبشة ، فيكون نزول سورة العصر في ذلك التاريخ أيضاً .

وقد سُميت هذه السورة بهذا الاسم لقوله تعالى في أولها : ﴿ وَالْعَصْر ، إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ ﴾ وتبلغ آياتها ثلاث آيات .

١٠٤ - سورة الممزة

تاريخ نزولها ووجه تسميتها :

نزلت سورة الممزة بعد سورة القيامة ، وقد نزلت سورة القيامة فيما بين الهجرة إلى الحبشة والإسراء ، فيكون نزول سورة الممزة في ذلك التاريخ أيضاً .

وقد سُميت هذه السورة بهذا الاسم لقوله تعالى في أولها : ﴿ وَيَلْ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لِمَزَةٍ ﴾ وتبلغ آياتها تسع آيات .

١٠٥ - سورة الفيل

تاريخ نزولها ووجه تسميتها :

نزلت سورة الفيل بعد سورة الكافرون ، ونزلت سورة الكافرون بعد سورة الماعون ، ونزلت سورة الماعون بعد سورة التكاثر ، وكان نزول سورة التكاثر فيما بين ابتداء الوحي والهجرة إلى الحبشة ، فيكون نزول سورة الفيل في ذلك التاريخ أيضاً .

وقد سُميت هذه السورة بهذا الاسم لورودها في قصة أصحاب الفيل ، وتبلغ آياتها خمس آيات .

١٠٦ - سورة قريش

تاريخ نزولها ووجه تسميتها :

نزلت سورة قريش بعد سورة التين ، وقد نزلت سورة التين فيما بين الهجرة إلى الحبشة والإسراء ، فيكون نزول سورة قريش في ذلك التاريخ أيضاً .

وقد سميت هذه السورة بهذا الاسم لقوله تعالى في أولها : ﴿ لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ ﴾ وتبلغ آياتها أربع آيات .

١٠٧ - سورة الماعون

تاريخ نزولها ووجه تسميتها :

نزلت سورة الماعون بعد سورة التكاثر ، وقد نزلت سورة التكاثر فيما بين ابتداء الوحي والهجرة إلى الحبشة ، فيكون نزول سورة الماعون في ذلك التاريخ أيضاً .

وقد سميت هذه السورة بهذا الاسم لقوله تعالى في آخرها : ﴿ وَيَتِمَعُونَ الْمَاعُونَ ﴾ والماعون هو الزكاة ، وقيل العارية ، وقيل ما لا يحل منعه مثل الماء والملح والنار وأشياء ذلك ، وتبلغ آياتها سبع آيات .

١٠٨ - سورة الكوثر

تاريخ نزولها ووجه تسميتها :

نزلت سورة الكوثر بعد سورة العاديات ، وقد نزلت سورة العاديات فيما بين ابتداء الوحي والهجرة إلى الحبشة ، فيكون نزول سورة الكوثر في ذلك التاريخ أيضاً .

وقد سميت هذه السورة بهذا الاسم لقوله تعالى في أولها : ﴿ إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ﴾ وتبلغ آياتها ثلاث آيات .

١٠٩ - سورة الكافرون

تاريخ نزولها ووجه تسميتها :

نزلت سورة الكافرون بعد سورة الماعون ، وقد نزلت سورة الماعون فيما بين ابتداء الوحي والهجرة إلى الحبشة ، فيكون نزول سورة الكافرون في ذلك التاريخ أيضاً . وكان رهط من قريش ذهبوا إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقالوا له : يا محمد ، هلّم اتبع ديننا وتبع دينك . فنزلت هذه السورة في شأنهم .

وقد سُميت هذه السورة بهذا الاسم لقوله تعالى في أولها : ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ ، لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ﴾ وتبلغ آياتها ست آيات .

١١٠ - سورة النصر

تاريخ نزولها ووجه تسميتها :

نزلت سورة النصر بعد سورة التوبة ، وهي آخر ما نزل من القرآن بالمدينة ، وكان نزولها في حجة الوداع بمعى ، فيكون نزولها في السنة العاشرة من الهجرة . وكان هذا بعد أن أتم النبي صلى الله عليه وآله وسلم دعوته ، وأخذ الناس يدخلون أفواجا في دينه .

وقد سُمِّيت هذه السورة بهذا الاسم لقوله تعالى في أولها : ﴿ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ﴾ وتبلغ آياتها ثلاث آيات .

١١١ - سورة المسد

تاريخ نزولها ووجه تسميتها :

نزلت سورة المسد بعد سورة الفاتحة ، وقد نزلت سورة الفاتحة فيما بين ابتداء الوحي والهجرة إلى الحبشة ، فيكون نزول سورة المسد في ذلك التاريخ أيضاً .

وقد سُمِّيت هذه السورة بهذا الاسم لقوله تعالى في آخرها : ﴿ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ ﴾ وتبلغ آياتها خمس آيات .

١١٢ - سورة الإخلاص

تاريخ نزولها ووجه تسميتها :

نزلت سورة الإخلاص بعد سورة الناس ، وقد نزلت سورة الناس بعد سورة الفلق ، ونزلت سورة الفلق بعد سورة الفيل ، وكان نزول سورة الفيل فيما بين ابتداء الوحي والهجرة إلى الحبشة ، فيكون نزول سورة الإخلاص في ذلك التاريخ أيضاً .

وقد سُمِّيت هذه السورة بهذا الاسم لما فيها من طلب إخلاص الدين لله تعالى ، وتبلغ آياتها أربع آيات .

١١٣ - سورة الفلق

تاريخ نزولها ووجه تسميتها :

نزلت سورة الفلق بعد سورة الفيل ، وقد نزلت سورة الفيل فيما بين ابتداء الوحي والهجرة إلى الحبشة ، فيكون نزول سورة الفلق في ذلك التاريخ أيضاً .

وقد سميت هذه السورة بهذا الاسم لقوله تعالى في أولها : ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ﴾ والفلق الصبح لأن الليل ينفلق عنه ، وتبلغ آياتها خمس آيات .

١١٤ - سورة الناس

تاريخ نزولها ووجه تسميتها :

نزلت سورة الناس بعد سورة الفلق ، وقد نزلت سورة الفلق فيما بين ابتداء الوحي والهجرة إلى الحبشة ، فيكون نزول سورة الناس في ذلك التاريخ أيضاً .

وقد سميت هذه السورة بهذا الاسم لقوله تعالى في أولها : ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ﴾ وتبلغ آياتها ست آيات .

سورة الفاتحة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قال الإمام الحافظ ابن كثير: قال الله تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّحِيمِ﴾ والاستعاذة هي الالتجاء إلى الله تعالى، والالتصاق بجنبه من شر كل ذي شر. وإن الشيطان لا يكفه عن الإنسان إلا الله تعالى.

١: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ وفي الحديث: «إِذَا قَلْتَ بِسْمِ اللَّهِ تَصَاغَرَ - أَي الشَّيْطَانُ - حَتَّى يَصِيرَ مِثْلَ الذَّبَابِ» ﴿اللَّهُ﴾ عَلَّمَ عَلَى الرَّبِّ تَبَارَكَ وَتَعَالَى وَهُوَ اسْمٌ لَمْ يُسَمَّ بِهِ غَيْرُهُ تَعَالَى ﴿الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ اسْمَانِ مُشْتَقَّانِ مِنَ الرَّحْمَةِ عَلَى وَجْهِ الْمِبَالِغَةِ، وَ﴿رَحْمَنٌ﴾ أَشَدُّ مِبَالِغَةً مِنَ ﴿رَحِيمٍ﴾ قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ ذَكَرَ الْاسْتِوَاءَ بِاسْمِهِ الرَّحْمَنُ؛ لِيَعْتَمَّ جَمِيعَ خَلْقِهِ بِرَحْمَتِهِ، وَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾ فَخَصَّصَهُمْ بِاسْمِهِ الرَّحِيمِ؛ فَدَلَّ أَنَّ الرَّحْمَنَ لَجَمِيعِ خَلْقِهِ، وَالرَّحِيمِ [مَخْصُوصٌ] بِالْمُؤْمِنِينَ ٢: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ ثَنَاءٌ أَثْبَتَ بِهِ عَلَى نَفْسِهِ، وَفِي ضَمْنِهِ أَمْرٌ بِعِبَادَتِهِ أَنْ يُثْنُوا عَلَيْهِ، فَكَأَنَّهُ قَالَ: قُولُوا الْحَمْدَ لِلَّهِ ﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ رَبِّ الْجَنِّ وَالْإِنْسِ. وَالْعَالَمِينَ: أَلْفُ أُمَّةٍ، فَسَنَاءَةٌ فِي الْبَحْرِ، وَأَرْبَعِمِائَةٍ فِي الْبَرِّ ٣: تَقَدَّمَ الْكَلَامُ عَلَيْهِ فِي الْبِسْمَةِ ٤: ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ لَا يَمْلِكُ أَحَدٌ مَعَهُ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ حُكْمًا كَمَلَكِهِمْ فِي الدُّنْيَا. وَيَوْمَ الدِّينِ: يَوْمَ الْحِسَابِ لِلخَلَائِقِ، وَهُوَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ يَدِينُهُمْ بِأَعْمَالِهِمْ. وَالدِّينُ: الْجَزَاءُ وَالْحِسَابُ، قَالَ تَعَالَى: ﴿أَنْتَ سَاءَ كَمَا دِينُونَ﴾؟ مَجْرِيُونَ مَحْسَبُونَ ٥: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ الْعِبَادَةُ فِي الشَّرْعِ عِبَادَةٌ عَمَّا يَجْمَعُ كَالَ الْحُبِّ وَالخُضُوعِ وَالخَوْفِ. أَي لَا نَعْبُدُ إِلَّا إِيَّاكَ، وَلَا نَتَوَكَّلُ إِلَّا عَلَيْكَ، وَهَذَا هُوَ كَالَ الطَّاعَةِ. وَالْفَاتِحَةُ سُرُّ الْقُرْآنِ، وَسِرُّهَا هَذِهِ الْكَلِمَةُ: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ فَالْأَوَّلُ تَبَرُّؤٌ مِنَ الشَّرِكِ، وَالثَّانِي تَبَرُّؤٌ مِنَ الْحَوْلِ وَالقُوَّةِ، وَالتَّفْوِضُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى. وَقَدَّمَ ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ عَلَى ﴿إِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ لِأَنَّ الْعِبَادَةَ لَهُ سُبْحَانَهُ هِيَ الْمَقْصُودَةُ، وَالِاسْتِعَانَةُ وَسَبِيلَةٌ إِلَيْهَا، وَالِاهْتِمَامُ وَالْحَرَمُ تَقْدِيمُ مَا هُوَ الْأَهَمُّ فَالْأَهَمُّ ٦: لَمَّا تَقَدَّمَ الثَّنَاءُ عَلَى الْمَسْئُولِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى نَاسَبَ أَنْ يُعَبِّقَ بِالسُّؤَالِ. وَهَذَا أَكْمَلُ أَحْوَالِ السَّائِلِ أَنْ يَمْدَحَ مَسْئُولَهُ، ثُمَّ يَسْأَلُ حَاجَتَهُ وَحَاجَةَ إِخْوَانِهِ الْمُؤْمِنِينَ بِقَوْلِهِ: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾؛ لِأَنَّهُ أَنْجَحَ لِلْحَاجَةِ، وَأَنْجَحَ لِلِإِجَابَةِ. وَالْهُدَايَةُ هُنَا الْإِرْشَادُ وَالتَّوْفِيقُ. أَي أَهْمُنَا، أَوْ وَقَفْنَا، أَوْ أَرْزَقْنَا، أَوْ أَعْطَانَا [الْهُدَايَةَ وَالتَّوْفِيقَ لَهَا] وَ﴿الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ هُوَ الْقُرْآنُ، وَالْإِسْلَامُ. أَي اسْتَمَرَّ بِنَا عَلَيْهِ، وَلَا تَعَدَّلَ بِنَا إِلَى غَيْرِهِ ٧: ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ مَفْسَّرٌ لِلصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ. أَي طَرِيقَ مَنْ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ بِطَاعَتِكَ وَعِبَادَتِكَ؛ مِنْ الْمَلَائِكَةِ وَالنَّبِيِّينَ وَالصَّادِقِينَ وَالشَّهِيدَاءَ وَالصَّالِحِينَ، وَهَمَّ الْمَذْكُورُونَ فِي سُورَةِ النَّسَاءِ حَيْثُ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصَّادِقِينَ وَالشَّهِيدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾ ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ غَيْرِ طَرِيقِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ؛ وَهَمَّ الْبُهُودِ ﴿وَالصَّالِحِينَ﴾ وَهَمَّ النَّصَارَى، وَجِئْتُ بِ(لَا) لِتَأْكِيدِ النِّفْيِ لِيُجْتَنَّبَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا. وَطَرِيقَةُ أَهْلِ الْإِيمَانِ مُشْتَمِلَةٌ عَلَى الْعِلْمِ بِالْحَقِّ وَالْعَمَلِ بِهِ، وَالْبُهُودِ فَقَدُوا الْعَمَلَ، وَالنَّصَارَى فَقَدُوا الْعِلْمَ؛ وَلِهَذَا كَانَ الْغَضَبُ لِلْبُهُودِ وَالضَّلَالُ لِلنَّصَارَى، لِأَنَّ مَنْ عَلِمَ وَتَرَكَ اسْتِحْقَ الْغَضَبِ، بِخِلَافِ مَنْ لَمْ يَعْلَمْ. وَكُلُّ مِنَ الْبُهُودِ وَالنَّصَارَى ضَالٌّ مَغْضُوبٌ عَلَيْهِ، وَلَكِنْ أَحْصَى أَصْوَافَ الْبُهُودِ الْغَضَبِ. وَيُسْتَحَبُّ لِمَنْ يَقْرَأُ الْفَاتِحَةَ أَنْ يَقُولَ بَعْدَهَا: آمِينَ وَمَعْنَاهُ: اللَّهُمَّ اسْتَجِبْ.

سورة الفاتحة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
 الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ١
 الرَّحِيمِ ٢
 مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ ٣
 إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ٤
 أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ٥
 الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ
 عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ٦

وَالَّذِينَ آمَنُوا

كَمَدِينُونَ؟ مَجْرِيُونَ مَحْسَبُونَ ٥: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ الْعِبَادَةُ فِي الشَّرْعِ عِبَادَةٌ عَمَّا يَجْمَعُ كَالَ الْحُبِّ وَالخُضُوعِ وَالخَوْفِ. أَي لَا نَعْبُدُ إِلَّا إِيَّاكَ، وَلَا نَتَوَكَّلُ إِلَّا عَلَيْكَ، وَهَذَا هُوَ كَالَ الطَّاعَةِ. وَالْفَاتِحَةُ سُرُّ الْقُرْآنِ، وَسِرُّهَا هَذِهِ الْكَلِمَةُ: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ فَالْأَوَّلُ تَبَرُّؤٌ مِنَ الشَّرِكِ، وَالثَّانِي تَبَرُّؤٌ مِنَ الْحَوْلِ وَالقُوَّةِ، وَالتَّفْوِضُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى. وَقَدَّمَ ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ عَلَى ﴿إِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ لِأَنَّ الْعِبَادَةَ لَهُ سُبْحَانَهُ هِيَ الْمَقْصُودَةُ، وَالِاسْتِعَانَةُ وَسَبِيلَةٌ إِلَيْهَا، وَالِاهْتِمَامُ وَالْحَرَمُ تَقْدِيمُ مَا هُوَ الْأَهَمُّ فَالْأَهَمُّ ٦: لَمَّا تَقَدَّمَ الثَّنَاءُ عَلَى الْمَسْئُولِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى نَاسَبَ أَنْ يُعَبِّقَ بِالسُّؤَالِ. وَهَذَا أَكْمَلُ أَحْوَالِ السَّائِلِ أَنْ يَمْدَحَ مَسْئُولَهُ، ثُمَّ يَسْأَلُ حَاجَتَهُ وَحَاجَةَ إِخْوَانِهِ الْمُؤْمِنِينَ بِقَوْلِهِ: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾؛ لِأَنَّهُ أَنْجَحَ لِلْحَاجَةِ، وَأَنْجَحَ لِلِإِجَابَةِ. وَالْهُدَايَةُ هُنَا الْإِرْشَادُ وَالتَّوْفِيقُ. أَي أَهْمُنَا، أَوْ وَقَفْنَا، أَوْ أَرْزَقْنَا، أَوْ أَعْطَانَا [الْهُدَايَةَ وَالتَّوْفِيقَ لَهَا] وَ﴿الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ هُوَ الْقُرْآنُ، وَالْإِسْلَامُ. أَي اسْتَمَرَّ بِنَا عَلَيْهِ، وَلَا تَعَدَّلَ بِنَا إِلَى غَيْرِهِ ٧: ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ مَفْسَّرٌ لِلصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ. أَي طَرِيقَ مَنْ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ بِطَاعَتِكَ وَعِبَادَتِكَ؛ مِنْ الْمَلَائِكَةِ وَالنَّبِيِّينَ وَالصَّادِقِينَ وَالشَّهِيدَاءَ وَالصَّالِحِينَ، وَهَمَّ الْمَذْكُورُونَ فِي سُورَةِ النَّسَاءِ حَيْثُ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصَّادِقِينَ وَالشَّهِيدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾ ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ غَيْرِ طَرِيقِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ؛ وَهَمَّ الْبُهُودِ ﴿وَالصَّالِحِينَ﴾ وَهَمَّ النَّصَارَى، وَجِئْتُ بِ(لَا) لِتَأْكِيدِ النِّفْيِ لِيُجْتَنَّبَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا. وَطَرِيقَةُ أَهْلِ الْإِيمَانِ مُشْتَمِلَةٌ عَلَى الْعِلْمِ بِالْحَقِّ وَالْعَمَلِ بِهِ، وَالْبُهُودِ فَقَدُوا الْعَمَلَ، وَالنَّصَارَى فَقَدُوا الْعِلْمَ؛ وَلِهَذَا كَانَ الْغَضَبُ لِلْبُهُودِ وَالضَّلَالُ لِلنَّصَارَى، لِأَنَّ مَنْ عَلِمَ وَتَرَكَ اسْتِحْقَ الْغَضَبِ، بِخِلَافِ مَنْ لَمْ يَعْلَمْ. وَكُلُّ مِنَ الْبُهُودِ وَالنَّصَارَى ضَالٌّ مَغْضُوبٌ عَلَيْهِ، وَلَكِنْ أَحْصَى أَصْوَافَ الْبُهُودِ الْغَضَبِ. وَيُسْتَحَبُّ لِمَنْ يَقْرَأُ الْفَاتِحَةَ أَنْ يَقُولَ بَعْدَهَا: آمِينَ وَمَعْنَاهُ: اللَّهُمَّ اسْتَجِبْ.

سورة البقرة

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:
«البقرة سنم القرآن وذروته. نزل مع كل آية
منها ثمانون ملكاً، واستخرجت: ﴿الله لا إله
إلا هو الحي القيوم﴾ من تحت العرش،
فوصلت بها، رواه الإمام أحمد.

١: ﴿الم﴾ الحروف المقطعة التي في
أوائل السور: هي مما استأثر الله بعلمه.
[فمرد] علمها إلى الله تعالى. ومجموع
الحروف المذكورة في أوائل السور بحذف
المكرر منها أربعة عشر حرفاً، يجمعها قولك:
(نص حكيم قاطع له سير). وكل سورة
اقتبحت بالحروف فلا بد أن يذكر فيها
الانتصار للقرآن، وبيان إعجازه وعظمته،
وهذا معلوم بالاستقراء، وهو الواقع في تسع
وعشرين سورة، ولهذا يقول تعالى: ﴿الم﴾
ذلك الكتاب لا ريب فيه، ﴿الم﴾ الله
لا إله إلا هو الحي القيوم نزل عليك الكتاب
بالحق مصدقاً لما بين يديه، ﴿التص﴾
كتاب أنزل إليك فلا يكن في صدرك حرج
منه، ﴿الم﴾ كتاب أنزلناه إليك لتخبر
الناس من الظلمات إلى النور بإذن ربهم،
﴿الم﴾ تنزيل الكتاب لا ريب فيه من رب
العالمين ﴿حتم﴾ تنزيل من الرحمن الرحيم،
وغير ذلك من الآيات الدالة على هذا: ٢:
﴿ذلك الكتاب لا ريب فيه﴾ هذا الكتاب
هو القرآن لا شك فيه أنه نزل من عند الله.
وهذا خير ومعناه النبي، أي: لا ترتابوا فيه

﴿هدى للمتقين﴾ نوراً للمتقين الذين يجذرون
من الله عقوبته واتقوا ما حرم الله عليهم، وأدوا ما افترض عليهم ٣: ﴿الذين يؤمنون بالغيب﴾ أن يكونوا موصوفين بالإيمان بالغيب قولاً واعتقاداً
وعملاً. والإيمان كلمة جامعة للإيمان بالله وكتبه ورأسه، وتصديق الإقرار بالفعل. والغيب المراد هنا: أن يؤمنوا بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم
الآخر، وحبته وناره ولفائه، ويؤمنوا بالحياة بعد الموت وبالبعث؛ فهذا كله غيب ﴿ويقومون الصلاة﴾ بفروضها، والحفاظ على مواقيتها ووضوئها
وركوعها وسجودها، وخشوعها والإقبال عليها فيها ﴿وهم مازقاهاهم ينفقون﴾ زكاة أموالهم. ونفقة الرجل على أهله. وهذه الأموال ودائع عندك
يا ابن آدم يوشك أن تفارقها ٤: ﴿والذين يصدقون بما جئت به من عند الله، وما جاء به من قبلك من المرسلين لا يُفركون بينهم ولا يجهلون
ما جاؤوهم به من ربهم، ﴿وبالآخرة هم يؤمنون﴾؛ بالبعث والقيامة والحجة والنار والحساب والميزان ٥: ﴿أولئك﴾ المتصفون بما تقدم من الإيمان
بالغيب وإقام الصلاة والإنفاق من الذين رزقهم الله، والإيمان بما أنزل الله إلى الرسول ومن قبله من الرسل، والإيقان بالدار الآخرة، وهو مستلزم
الاستعداد لها من الأعمال الصالحة وترك المحرمات ﴿على هدى﴾ على نور وبيان وبصيرة من الله تعالى ﴿وأولئك هم المفلحون﴾ في الدنيا
والآخرة، والمدركون ما طلبوا عند الله بأعمالهم وإيمانهم؛ من الفوز بالثواب، والخلود في الجنة، والنجاة من العقاب.

سورة البقرة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
 ١ الَّذِي كُنْتُ لَارِيْبَ فِيهِ هُدًى
 ٢ الْمُتَّقِينَ ٣ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ
 ٤ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ٥
 ٦ وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمِمَّا أُنزِلَ مِنْ
 ٧ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ٨ أُولَئِكَ عَلَى
 ٩ هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ١٠

سورة البقرة

٦: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ عَطُوا الْحَقَّ وَسَتَرُوهُ ﴿سِوَاءَ عَلَيْهِمُ أُنذِرْتَهُمْ﴾ سِوَاءَ عَلَيْهِمْ إِذْ نَادَىٰ ﴿أَمْ لَمْ يُؤْمِنُوا﴾ بِمَا جِئْتَهُمْ بِهِ وَهُمْ أَهْلُ النَّارِ ٧: ﴿خَتَمَ اللَّهُ﴾ طَبَعَ اللَّهُ ﴿عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾ بِالذَّنْبِ، فَحَفَّتْ بِهِ مِنْ كُلِّ نَوَاحِيهِ ﴿وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ وَعَلَىٰ أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ﴾ فَهَمْ لَا يُبْصِرُونَ هُدًى وَلَا يَسْمَعُونَ، وَلَا يَفْقَهُونَ وَلَا يَعْقِلُونَ. وَالغِشَاوَةُ: الْغِطَاءُ يَكُونُ عَلَى الْبَصَرِ ٨: الْفِتَاكُ هُوَ إِظْهَارُ الْخَيْرِ وَإِسْرَارُ الشَّرِّ، وَهُوَ أَنْوَاعٌ: اعْتِقَادِيٌّ؛ وَهُوَ يُخَلِّدُ صَاحِبَهُ فِي النَّارِ، وَعَمَلِيٌّ؛ وَهُوَ مِنْ أَكْبَرِ الذَّنْبِ نَبَهَ اللَّهُ سَبْحَانَهُ عَلَى صِفَاتِ الْمُنَافِقِينَ لِئَلَّا يَغْتَرَّ بِظَاهِرِ أَمْرِهِمُ الْمُؤْمِنُونَ ٩: ﴿يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾ بِإِظْهَارِهِمْ مَا أَظْهَرُوهُ مِنَ الْإِيمَانِ مَعَ إِسْرَارِهِمُ الْكُفْرَ يَعْتَقِدُونَ أَنَّ ذَلِكَ نَافِعُهُمْ ﴿وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ وَمَا يَغْتُرُّونَ بِصَنِيْعِهِمْ هَذَا وَلَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ، وَهُمْ غَيْرُ شَاعِرِينَ وَلَا دَارِينَ ١٠: فِي قُلُوبِهِمْ شُكٌّ، فَزَادَهُمُ اللَّهُ شُكًّا وَهَذَا مَرَضٌ فِي الدِّينِ، وَلَيْسَ مَرَضًا فِي الْأَجْسَادِ، وَهُمْ الْمُنَافِقُونَ، وَالْمَرَضُ: الشُّكُّ الَّذِي دَخَلَ لَهُمْ فِي الْإِسْلَامِ ١١: الْفَسَادُ: هُوَ الْكُفْرُ وَالْعَمَلُ بِالْمَعْصِيَةِ. فَمِنْ عَصَى اللَّهُ فِي الْأَرْضِ، أَوْ أَمْرٌ مَعْصِيَتِهِ فَقَدْ أَفْسَدَ فِي الْأَرْضِ، لِأَنَّ صَلَاحَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاءِ بِالطَّاعَةِ قَالَ سَلْمَانُ الْفَارِسِيُّ: لَمْ يَجِيءْ أَهْلُ هَذِهِ الْآيَةِ بَعْدُ. أَرَادَ بِهَذَا أَنَّ الَّذِينَ يَأْتُونَ بِهَذِهِ الصِّفَةِ أَعْظَمُ فِسَادًا مِنَ الَّذِينَ كَانُوا فِي زَمَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ١٢: أَلَا إِنَّ

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سِوَاءَ عَلَيْهِمْ أُنذِرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾ خَتَمَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ وَعَلَىٰ أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٧﴾ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ ءَأَمَّنَّا بِاللَّهِ وَيَأْتُونَ الْآخِرَ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۖ إِنَّمَا تُكْذِبُونَ ﴿١٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِن لَّا يَشْعُرُونَ ﴿١٢﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَأَمِنُوا كَمَا ءَامَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا ءَامَنَ السُّفَهَاءُ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِن لَّا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾ وَإِذَا قِيلَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوا ءَأَمَّنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيْطَانِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ﴿١٤﴾ اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١٥﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَتِ تِجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ﴿١٦﴾

٣

هذا الذي يزعمون أنه إصلاح، هو عين الفساد، ولكن من جهلهم لا يشعرون بكونه فساداً ١٣: السفية: هو الجاهل القليل المعرفة بمواضع المصالح والمضار. وقد تولى الله سبحانه جواربهم في هذه المواطن كلها فقال: ﴿أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ﴾ فأكد وحصر السفاهة فيهم ومن تمام جهلهم أنهم لا يعلمون بمخالفة في الضلالة والجهل وذلك أوردى العمى والبعد عن الهدى ١٤: أظهِرُوا لَهُمُ الْإِيمَانَ وَالْمَوْلَاةَ وَالْمُضَاغَةَ غُرُورًا مِنْهُمْ لِلْمُؤْمِنِينَ وَنِفَاقًا لِيُشْرِكُوهُمْ فِيهَا أَصَابُوا مِنْ خَيْرٍ وَمَغْتَمٍ. وَإِذَا انصرفوا إلى شياطينهم من المنافقين واليهود والمشركين ﴿قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ﴾ عَلَى مِثْلِ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ ﴿إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ﴾ بِالْقَوْمِ نَلْعَبُ بِهِمْ. وَجَوَابًا لَهُمْ وَمَقَابِلَةً عَلَى صَنِيعِهِمْ قَالَ سَبْحَانَهُ: ١٥: ﴿اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾ بِجَزَاءِ الْاِسْتِهْزَاءِ وَمَعَابِهِمْ عَقُوبَةُ الْخِدَاعِ، وَكَأ قَالَ تَعَالَى: ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾، ﴿وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ يَمُدُّهُمْ وَيُبْعِلِي لَهُمْ وَهُمْ فِي كُفْرِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ ١٦: ﴿اشْتَرُوا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَىٰ﴾ أَخَذُوا الضَّلَالَةَ وَتَرَكُوا الْهُدَى. وَبَدَّلُوا الْهُدَى ثَمَنًا لِلضَّلَالَةِ ﴿فَمَا رَبِحَتِ تِجَارَتُهُمْ﴾ وَصَفَتْهُمْ فِي هَذِهِ الْبَيْعَةِ ﴿وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾ رَاشِدِينَ فِي صَنِيعِهِمْ ذَلِكَ. خَرَجُوا مِنَ الْهُدَى إِلَى الضَّلَالَةِ، وَمِنَ الْأَمْنِ إِلَى الْخَوْفِ.

الآية: ٧ قال رسول الله ﷺ: وَإِنَّ الْعَبْدَ إِذَا أَخْطَأَ خَطِيئَةً لَبِثَ فِي قَلْبِهِ لَكَّةٌ سُدَّاءُ، فَإِذَا هُوَ نَزَعَ وَاسْتَفْتَرَ وَتَابَ، صَقِلَ قَلْبُهُ، وَإِنْ عَادَ زِيدَ فِيهَا حَتَّى تَعَلَّقَ قَلْبُهُ، وَهُوَ الرَّأْيُ الَّذِي ذَكَرَ اللَّهُ: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَقَالَ: هُنَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ ج ٤٣٤/٥.
الآية: ٩ هذا الفتاك فشا في جماعة عبد الله بن سلول في المدينة، وفي بعض أهل الكتاب من اليهود. ولم يكن بين المهاجرين نفاق؛ لأنهم هاجروا وتركوا أموالهم وأهلهم رغبة فيما عند الله في الدار الآخرة.

مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ
 ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ ﴿١٧﴾ صُمُّ
 بُكُمْ عَمَىٰ فَهَمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿١٨﴾ أَوْ كَصَيْبٍ مِنَ السَّمَاءِ فِيهِ
 ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصْبَعَهُمْ فِيهِ إِذَا نَهَمُوا مِنَ الصَّوْعِ
 حَذَرَ الْمَوْتِ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ ﴿١٩﴾ يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطِفُ
 أَبْصَارَهُمْ كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا
 وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَرِهِمْ إِنَّا اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ
 شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ
 وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ
 الْأَرْضَ فَرَشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ
 بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ
 تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾ وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا
 فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ
 إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا
 النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴿٢٤﴾

١٧: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا
 فلما أضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم﴾
 شبههم سبحانه في اشتراهم الضلالة بالهدى،
 وصيرورتهم بعد البصيرة إلى العمى؛ بمن
 استوقد ناراً فلما أضاءت ما حوله وأبصر بها
 وتأتس بها، فبينما هو كذلك إذ طُفئت ناره
 وصار في ظلام شديد لا يُبصر ولا يهتدي،
 وهو مع هذا أصم لا يسمع، وأبكم لا ينطق،
 ولو كان ضياءً لما أبصر، كذلك هؤلاء
 المنافقون في استبدالهم الضلالة عوضاً عن
 الهدى، واستحبابهم العمى على الرشد ١٨:
 ﴿صُمُّ بُكُمْ عَمَىٰ فَهَمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾
 لا يسمعون الهدى، ولا يعقلونه، ولا يرجعون
 إلى هدى الإسلام ١٩: ﴿أَوْ كَصَيْبٍ مِنَ
 السماء فيه ظلمات ورعد وبرق﴾ هذا مثل
 آخر للمنافقين؛ يظهر لهم الحق تارة ويشكون
 تارة أخرى، فقولهم في حال شكهم كصيب
 فيه ظلمات ورعد وبرق ٢٠: ﴿يَكَادُ الْبَرْقُ
 يَخْطِفُ أَبْصَارَهُمْ كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ
 وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا﴾ لشدة ضوء
 الحق ظهر لهم الإيمان، ثم تعرض لهم الشكوك
 فوقفوا حائرين، وهكذا. قال مجاهد: أربع
 آيات من أول سورة البقرة في نعت المؤمنين،
 وآيات في نعت الكافرين، وثلاث عشرة في
 المنافقين ٢١: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ
 الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ
 تَتَّقُونَ﴾ ثم شرع تبارك وتعالى في وحدانية
 ألوهيته بأنه تعالى هو المنعم على عباده

بإسباغهم عليهم النعم الظاهرة والباطنة بعدما
 أخرجهم من العدم إلى الوجود ٢٢: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ فَرَشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ﴾
 جعل لهم الأرض مهداً موطأةً مثبتة بالرواسي الشامخات، وأنزل من السماء ماءً فأخرج لهم به من أنواع الزروع والثمار، ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ
 تعلمون﴾، وفي الصحيحين عن ابن مسعود: قلت يا رسول الله: أي الذنب أعظم عند الله؟ قال: «أن يجعل لله ندباً وهو خالقك»، وهذا حماية
 لجناب التوحيد. وقال ابن عباس: الأنداد: هو الشرك أخفى من ديب النمل ٢٣: ثم شرع تعالى في تقرير النبوة بعد أن قرر أنه لا إله إلا هو
 فقال: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا﴾ محمد صلى الله عليه وآله وسلم ﴿فَاتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ﴾ من مثل ما جاء به من القرآن ﴿وَادْعُوا
 شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ أعوانكم، يساعدونكم على ذلك ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ ٢٤: ﴿فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا﴾ لن لنفي التأيد في المستقبل؛
 أي: ولن تفعلوا ذلك أبداً وهذه معجزة أن هذا القرآن لا يعارض أبداً الأبدية ودهر الدهرين. وكذلك وقع الأمر، لم يعارض من لدنه إلى زماننا
 هذا، والقرآن كلام الخالق سبحانه، وكيف يشبهه كلام الخالق كلام المخلوقين؟ قال الله تعالى ﴿الرَّكَّابُ أَحْكَمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾.

الآية: ٢٠ روى الحاكم في مستدركه والبيهقي عن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: «يجمع الله الناس يوم القيامة» إلى أن قال: «فيعطون نورهم على قدر أعمالهم، وقال: فمنهم من يُعطى نوراً مثل الجبل بين يديه، ومنهم يُعطى نوراً فوق ذلك، ومنهم من يُعطى نوراً مثل النخلة بين يديه، ومنهم من يُعطى دون ذلك بيمينه، حتى يكون آخر من يُعطى نوراً على إبهام قدميه يُضيء مرة ويطفأ مرة إذا أضاء قَدَمُ قَدَمَهُ، وإذا طغى قام». الحديث/المستدرک ج ٣٧٦/٢ وقال الحاكم صحيح على شرط الشيخين وأقره الذهبي./
 ومنهم من يُطفأ نورُهُ بالكليّة، وهم الخُلص من المنافقين الذي قال الله فيهم: ﴿يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انظُرُونَا نَقْتِسَبْ مِنْ نُورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا =

وَبَشِّرِ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ
تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ
رُزِقُوا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا
وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٥﴾

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي﴾ أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَا بَعُوضَةً فَمَا
فَوْقَهَا فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ
رَبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ
بِهَذَا مَثَلًا يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا
وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ ﴿٢٦﴾ الَّذِينَ يَتَقَضُونَ عَهْدَ
اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ
وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٢٧﴾

كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ
ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٨﴾ هُوَ
الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى
السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٩﴾

فسقوا فأضلهم الله على فسقهم ﴿٢٧﴾: ﴿الذين يتقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل ويفسدون في الأرض أولئك هم الخاسرون﴾ هذه صفات الكفار. العهد الذي نقضه الفاسقون هو وصية الله إلى خلقه وأمره بإياهم بما أمرهم به من طاعة الله، ونبيه عما نهاهم عنه في كتبه وعلى لسان رُسُلِهِ، ونقضهم ذلك هو تركهم العمل به. [والآية توضح هذا] ٢٨: ﴿كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتًا فأحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم ثم إليه ترجعون﴾ كيف تجحدون وجوده وكنتم عندما فأخرجكم إلى الوجود؟ قال ابن عباس: كنتم أمواتًا في أصلاب آبائكم، لم تكونوا شيئاً حتى خلقكم، ثم يميتكم موتة الحق، ثم يحييكم حين يعثبكم ٢٩: ﴿هو الذي خلق لكم مافي الأرض جميعاً ثم استوى إلى السماء فسواهن سبع سموات وهو بكل شيء عليم﴾ لما ذكر تعالى دلالة من خلقهم ذكر دليلاً آخر مما يشاهدونه من خلق السموات والأرض ﴿ثم استوى إلى السماء فسواهن سبع سموات﴾ قصد: فخلق السماء سبعاً. وتفصيل هذه الآية في سورة ﴿حتم السجدة﴾؛ ﴿ثم استوى إلى السماء وهي دخان أي: مثل الدخان إشارة إلى أنه لا تماسك لها﴾ فقال لها وللأرض اتبيا طوعاً أو كرهاً قالتا أتينا طائعين. فقضاهن سبع سموات في يومين ﴿الآية.

= نوراً﴾ وقال في حق المؤمنين: ﴿يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يسعى نورهم بين أيديهم وبأيمانهم بُشِّرَاكم اليوم جنات تجري من تحتها الأنهار﴾ الآية، وقال تعالى: ﴿يوم لا يخزي الله النبي والذين آمنوا معه نورهم يسعى بين أيديهم وبأيمانهم يقولون ربنا اقم لنا نورنا واغفر لنا إنك على كل شيء قدير﴾.

٢٥: لما ذكر تعالى ما أعدّه لأعدائه الكافرين من العذاب والنكال عطفَ بذكر حال أوليائه من المؤمنين الذين صدقوا إيمانهم بأعمالهم، فقال: ﴿وبشِّر الذين آمنوا وعملوا الصالحات أن لهم جنات تجري من تحتها الأنهار كلما رزقوا منها﴾ من الجنة ﴿قالوا هذا الذي رزقنا من قبل﴾ مثل الذي كان بالأمس ﴿وأتوا به متشابهاً﴾ يؤتى أحدهم بالصفحة من الشيء فيأكل منها ثم يؤتى بأخرى فيقول: هذا الذي أتينا به من قبل؟ فقول الملائكة: اللون واحد والطعم مختلف. ﴿وهم فيها أزواج مطهرة﴾ من القدر والأذى، ﴿وهم فيها خالدون﴾ وهذا هو تمام السعادة، فإنهم مع هذا النعيم في مقام أمين من الموت والافتقار، فهم في نعيم سرمدتي أبدتي ٢٦: ﴿إن الله لا يستحي أن يضرب مثلاً ما بعوضة فما فوقها فأما الذين آمنوا فيعلمون أنه الحق من ربهم وأما الذين كفروا فيقولون ماذا أراد الله بهذا مثلاً﴾ إن الله لا يستنكف أن يضرب مثلاً ما كان صغيراً أو كبيراً، و(ما) ههنا للتقليل. أخبر تعالى أنه لا يستصغر شيئاً يضرب به مثلاً ولو كان كالبعوضة، فهو لا يستنكف عن خلقها وكذلك لا يستنكف عن ضرب المثل بها، ﴿وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون﴾ يضلُّ به كثيراً﴾ المؤمنين فيزيد هؤلاء ضلالة إلى ضلالتهم، ويزيد أهل الإيمان هدىً إلى هداهم ﴿وما يضلُّ به إلا الفاسقين﴾

وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً
 قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ
 نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ
 ﴿٣٠﴾ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَكَةِ
 فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٣١﴾ قَالُوا
 سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ
 ﴿٣٢﴾ قَالَ يَتَادَمُ أَنْبِئُهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ
 أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا
 تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٣٣﴾ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَكَةِ اسْجُدِي
 لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ
 ﴿٣٤﴾ وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا
 حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٣٥﴾
 فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا
 بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ ﴿٣٦﴾
 فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿٣٧﴾

٣٠: يخبر تعالى بامتثاله على بني آدم بتوبته
 بذكركم في الملائكة قبل إيجادهم ﴿إني﴾
 جاعلٌ في الأرض خليفة ﴿قوماً﴾ يخلف بعضهم
 بعضاً، ﴿قالوا﴾ أتجعل فيها من يفسد فيها
 ويسفك الدماء؟! علموا ذلك بعلم
 خاص، وقول الملائكة هذا ليس على وجه
 الاعتراض على الله؛ فإنهم لا يسألونه شيئاً لم
 يأذن لهم فيه، وإنما هو سؤال استعلام
 واستكشاف عن الحكمة في ذلك، فقال
 الله تعالى مجيباً لهم عن هذا السؤال: ﴿إني﴾
 أعلم ما لا تعلمون ﴿من المصلحة﴾ الراجعة في
 خلق هذا الصنف على التي ذكرتموها مالا
 تعلمون أنتم أني سأجعل فيهم الأنبياء والرسل،
 ويوجد فيهم الصديقون والأولياء والشهداء
 والمقربون والعلماء الخاشعون ٣١: هذا مقام
 ذكر الله تعالى فيه شرف آدم على الملائكة بما
 اختصه من علم أسماء كل شيء دونهم. وهذا
 كان بعد سجودهم له، وإنما قدم هذا الفصل
 على ذلك لمناسبة ما بين هذا المقام وعدم
 علمهم بحكمة خلق الخليقة حين سألوا عن
 ذلك، فأخبرهم تعالى بأنه يعلم مالا يعلمون،
 ولهذا ذكر الله هذا المقام عقيب هذا لبيان لهم
 شرف آدم بما فضل به عليهم في العلم حيث
 علمه سبحانه أسماء كل شيء؛ ذراتها وصفاتها
 وأفعالها. [ومن هذا نعلم أن كل علم علمه
 بنوه كان هو على علم به عليه السلام]
 ﴿فقال﴾ أنبئوني بأسماء هؤلاء إن كنتم
 صادقين ﴿٣٢﴾: ﴿قالوا﴾ سبحانك لا علم لنا
 إلا ما علمتنا ﴿٣٣﴾ وهذا تقديس وتزوية من

الملائكة لله وأنهم لا يعلمون شيئاً إلا ما أعلمهم ٣٣: ﴿قال﴾ يا آدم أنبئهم بأسمائهم ﴿الآية﴾، فلما ظهر فضل آدم عليه السلام على الملائكة في
 سرده ما علمه الله، قال الله تعالى: ﴿ألم أقل لكم إني أعلم غيب السموات والأرض، وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون﴾ فكان الذي أبدوه
 قلوبهم: ﴿أتجعل فيها من يفسد فيها...﴾ وكان الذي كتموه قلوبهم: لن يخلق ربنا خلقاً إلا كنا أعلم منه وأكرم. فعرفوا أن الله فضل عليهم آدم في العلم
 والكرم ٣٤: وهذه كرامة عظيمة من الله تعالى لآدم امتن بها على ذريته حيث أخبرهم أنه تعالى أمر الملائكة بالسجود لآدم. وثأماً أمر الله الملائكة
 بالسجود لآدم دخل إبليس في خطاهم لأنه كان قد تشبه بهم، فلماذا ذم في مخالفة الأمر. وكان من أشد الملائكة اجتهاداً وأكثرهم علماً، فلذلك
 دعاه إلى الكبر، وكان من حيي يُسمون جنّاً. وكان له سلطان سماء الدنيا ولسطان الأرض. ﴿فسجدوا إلا إبليس أبى وكان من الكافرين﴾،
 فكانت الطاعة لله، والسجدة لآدم سجدة تحية وسلام وإكرام ٣٥: يُخبر تعالى عما أكرم به آدم، وأنه أباح له الجنة. وسياق الآية يقتضي أن
 حواء خلقت قبل دخول آدم الجنة. ﴿ولا تقربا هذه الشجرة﴾ هذا امتحان لآدم ٣٦: إنما نُسب ذلك إلى الشيطان لأنه تولى إغواءها حتى
 أكلا من الشجرة. ﴿مستقر﴾ قرار ﴿ومتاع﴾ أرزاق وآجال ﴿إلى حين﴾ إلى وقت مؤت ٣٧: هذه الكلمات مُفسرة بقوله تعالى: ﴿قالا ربنا
 ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين﴾.

الآية: ٣٠ وقد ثبت في الصحيح أن الملائكة إذا سعدت إلى الرب تعالى بأعمال عباده، يسألم وهو أعلم: كيف تركتم عبادي؟ فيقولون: أتيناهم وهم يضلون وتركتناهم وهم
 يضلون. وذلك لأنهم يتعاقبون فينا ويجمعون فينا صلاة الصبح وفي صلاة العصر، فيمكث هؤلاء ويصعد أولئك بالأعمال كما قال عليه الصلاة والسلام: «يُرْفَعُ إِلَيْهِ عَمَلُ اللَّيْلِ قَبْلَ عَمَلِ
 النَّهَارِ، وَعَمَلُ النَّهَارِ قَبْلَ عَمَلِ اللَّيْلِ» فقروم: أتيناهم وهم يضلون وتركتناهم وهم يضلون من تفسير قوله هم: ﴿إني أعلم ما لا تعلمون﴾ / ابن كثير ج ١/ ٦٩١.

٣٨: ﴿قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ يخبر تعالى عما أنذر به آدم وزوجته وإبليس حين أهبطهم من الجنة، والمراد الذريه أنه سينزل الكتب ويبعث الأنبياء والرسل ٣٩: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ خالدون فيها لا محيد لهم عنها ولا محيص. وهم أهلها فلا يموتون فيها ولا يبعثون.

٤٠: ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ﴾ يقول تعالى أمرأ بني إسرائيل بالدخول في الإسلام، ومهيجاً لهم بذكر أبيهم إسرائيل وهو نبي الله يعقوب عليه السلام. والنعمة التي أنعم بها عليهم أن جعل منهم الأنبياء والرسل وأنزل عليهم الكتب ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِي﴾ الذي أخذته عليكم للنبي صلى الله عليه وآله وسلم إذا جاءكم ﴿أَوْفُوا بِعَهْدِكُمْ﴾ فمن أتبعه غفر الله له ذنبه وأدخله الجنة وجعل له أجرين ٤١: ﴿وَأَمَّا بِنَا أَنزَلْنَا مِصْرًا لِمَا مَعَكُمْ﴾ يعني به القرآن الذي أنزل على محمد صلى الله عليه وآله وسلم الذي يبدونه مكتوباً عندهم في التوراة. ﴿وَلَا تَكُونُوا أَوْلَىٰ كَافِرٍ بِهِ﴾ من بني إسرائيل. ﴿وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ لا تعاضوا عن الإيمان بآياتي بالدنيا وشهواتها فإنها قليلة فانية ﴿وَيَا أَيُّهَا فَاتِقُونَ﴾ يتوعددهم فيما يتعمدونه من كتاب الحق ٤٢: يقول تعالى ناهياً لليهود عمّا كانوا يتعمدونه من تلبيس الحق بالباطل:

الْحَقِّ

﴿وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ

الْبَاطِلِ

سُورَةُ النِّعَمِ

قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٨﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٣٩﴾ يَبْنِي إِسْرَائِيلَ أَذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أَوْفُوا بِعَهْدِكُمْ وَإِتَىٰ قَارِهُبُونَ ﴿٤٠﴾ وَعَا مَنُوبًا أُنزِلَتْ مِصْرًا لِمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوا أَوْلَىٰ كَافِرٍ بِهِ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِتَىٰ فَاتِقُونَ ﴿٤١﴾ وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعَاْمُونَ ﴿٤٢﴾ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ ﴿٤٣﴾ أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٤٤﴾ وَأَسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ ﴿٤٥﴾ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلْقَوْنَ رَبَّهُمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿٤٦﴾ يَبْنِي إِسْرَائِيلَ أَذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٤٧﴾ وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤٨﴾

٧

وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ يعني: محمداً صلى الله عليه وآله وسلم ٤٣: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾ أمرهم أن يصلوا مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأن يدفعا الزكاة إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأن يكونوا مع الراكعين من أمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم ٤٤: ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنفُسَكُمْ﴾؟ كان بنو إسرائيل يأمرون الناس بطاعة الله ويخالفون، فغيرهم الله عز وجل بذلك، وذمهم على هذا الصنيع ونههم على خطيئهم في حق أنفسهم. قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ. كَثِيرٌ مِّمَّنْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ﴾ ٤٥: ﴿وَأَسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾ يقول الله تعالى أمرأ عبيده فيما يؤملون من خير الدنيا والآخرة بالاستعانة بالصبر والصلاة. وكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إذا حزبه أمرٌ صلى. [والصبرُ نصفُ الإيمان]، وإِنَّهُمَا مَعُونَتَانِ عَلَى رَحْمَةِ اللَّهِ ٤٦: ﴿الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلْقَوْنَ رَبَّهُمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ إن الصلاة لثقلية إلا على الخاشعين الذين يعلمون أَنَّهُمْ مُحْشَرُونَ إِلَيْهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَلَمَّا أَيْقَنُوا بِالْمَعَادِ سَهَّلَ عَلَيْهِمْ فَعَلَ الطَّاعَاتِ وَتَرَكَ الْمُنْكَرَاتِ ٤٧: يُذَكِّرُهُمْ تَعَالَى بِسَالِفِ نِعْمَةِ عَلَى آبَائِهِمْ وَأَسْلَافِهِمْ مِنْ إِرْسَالِ الرَّسْلِ مِنْهُمْ وَإِنزَالِ الْكُتُبِ عَلَيْهِمْ، وَتَفْضِيلِهِمْ عَلَى أَهْلِ زَمَانِهِمْ. [فَإِنْ أَسْلَمُوا دَخَلُوا فِي خُطَابِ اللَّهِ هَذِهِ الْأُمَّةُ] كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله ولو آمن أهل الكتاب لكان خيراً لهم ٤٨: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا﴾ لما ذكركم بنعمه أولاً عطف على ذلك التحذير من طول نعمة يوم القيامة؛ يوم لا يعني أحد عن أحد، ولا يؤخذ منهم فداءً، ولا لهم ناصر يتقدمهم من عذاب الله ﴿وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾.

وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِّنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿٤٩﴾ وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ فَأَنْجَيْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَأَنْتُمْ نَنْظُرُونَ ﴿٥٠﴾ وَإِذْ وَعَدْنَا مُوسَىٰ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ أَخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ ﴿٥١﴾ ثُمَّ عَفَوْنَا عَنْكُمْ مِّنْ بَعْدِ ذَلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٥٢﴾ وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَىٰ الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿٥٣﴾ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يُقَوْمِ إِنِّي كُنْتُ ظَالِمًا لِّنَفْسِي أَنفَسِكُمْ يَأْتِيخَاذِكُمُ الْعِجْلَ فِتْوَىٰ إِلَىٰ بَارِيكُمْ فَاقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِنْدَ بَارِيكُمْ فَنَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿٥٤﴾ وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَىٰ لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَىٰ اللَّهُ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنْتُمْ نَنْظُرُونَ ﴿٥٥﴾ ثُمَّ بَعَثْنَاكَ مِنَ الْبَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٥٦﴾ وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّاءَ وَالسَّلْوَىٰ كُلًّا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٥٧﴾

٤٩: ﴿وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ﴾ اذكروا يا بني إسرائيل نعمتي عليكم إذ خلصتكم من آل فرعون وقد كانوا يُذَبِّحُونَ سُوءَ الْعَذَابِ، بذبح الأبناء وترك البنات. ﴿وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ﴾ نعمة واختبار ﴿مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾ نعمة عظيمة عليكم من ربكم ٥٠: ﴿وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ فَأَنْجَيْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ﴾ وبعد أن أنقذناكم من آل فرعون وخرجتم مع موسى، وخرج فرعون في طلبكم خلصناكم منهم، وأغرقناهم وأنتم تنظرون ليكون أشقى لصدوركم ٥١: ﴿وَإِذْ وَعَدْنَا مُوسَىٰ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ أَخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ﴾ اذكروا نعمتي عليكم في عفوي عنكم لما عبدتم العجل بعد ذهاب موسى لميقات ربّه ٥٢: ﴿ثُمَّ عَفَوْنَا عَنْكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ وكان ذلك بعد خلاصهم من فرعون وإنجائهم من البحر ٥٣: ﴿وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَىٰ الْكِتَابَ﴾ التوراة ﴿وَالْفُرْقَانَ﴾ يفرق بين الحق والباطل ﴿لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ ٥٤: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنِّي كُنْتُ ظَالِمًا لِّنَفْسِي أَنفَسِكُمْ يَأْتِيخَاذِكُمُ الْعِجْلَ فِتْوَىٰ إِلَىٰ بَارِيكُمْ فَاقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ﴾ هذه صفة توبته تعالى على بني إسرائيل من عبادة العجل. أمر موسى قومه عن أمر ربّه عزّ وجلّ أن يقتلوا أنفسهم، فجعل يقتل بعضهم بعضاً، يقتل من لم يعبد العجل من عبده، ومن قُتِلَ كانت له توبة

٥٥: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَىٰ لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَىٰ اللَّهُ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ﴾ اذكروا نعمتي عليكم في بغيي لكم بعد الصَّعِقُ إِذْ سَأَلْتُمْ رَبِّي جَهْرَةً عَيْنًا مَا لَا يُسْتَطَاعُ لَكُمْ وَلَا لِأَمْثَالِكُمْ. وذلك حين أخذتهم الصاعقة فماتوا. قام موسى يبكي ويدعو ربّه ويقول: رَبِّ مَاذَا أَقُولُ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ إِذَا أَتَيْتُهُمْ وَقَدْ أَهْلَكْتَ خِيَارَهُمْ؟ كما قال الله عنه: ﴿لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُمْ مِنْ قَبْلِ وَآيَاتِي أَتَهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السَّفَهَاءُ مِنَّا﴾!؟، فذلك قوله تعالى: ٥٦: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَاكَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ كان موتهم عقوبة لهم، فبعثوا من بعد الموت ليستوفوا آجالهم ٥٧: لما ذكر تعالى ما دفعه عنهم من النقم شرّح يذكّرهم أيضاً بما أسبغ عليهم مِنَ النِّعَمِ، فقال: ﴿وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ﴾ وهو السحاب الأبيض، ظلّلوا به في التيه ليقبم حرّ الشمس. وقالوا: يا موسى أين الطعام؟ أنزل الله عليهم المَنَّاءَ، فكان يسقط عليهم سقوط الثلج أشدّ بياضاً من اللبن وأحلى من العسل. وأمّا السَّلْوَى: فطائرٌ يُشَبَّهُ بِالسَّمَانِيِّ، كانوا يأكلون منه، ﴿كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾ أمرٌ بإباحة وإرشاد وامتنان، ﴿وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ أمرناهم بالأكل ممّا رزقناهم وأن يعبدوا ربّهم، فخالفوا وكفروا وظلموا أنفسهم، هذا مع ما شاهدوه من الآيات البيّنات والمعجزات القاطعات.

الآية: ٥٤ روى مسلم أن رسول الله ﷺ قال: «والذي نفسُ محمد بيده لا يسمع في أحدٍ من هذه الأمة يهوديٍّ ولا نصرانيٍّ ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلتُ به إلا كان من أصحاب النار» صحيح مسلم ج/٩٣/١.
الآية: ٥٧ المَنَّاءُ: يعمّ جميع ما منّ الله به على عباده من غير تعب ولا زرع، ومنه قول رسول الله ﷺ: «الكأمة من المَنَّاءِ الذي أنزل الله على بني إسرائيل، وماؤها شفاء للعين»، وفي رواية عند مسلم: «من المَنَّاءِ الذي أنزل الله على موسى» تفسير القرطبي ج/٤٠٦/١.

٥٨: ﴿وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا﴾ يقول تعالى لائماً لهم على نكولهم عن الجهاد ودخولهم الأرض المقدسة لما قدموا من بلاد مصر بصحبة موسى. ﴿سُجَّدًا﴾ رُكْعَاءً، فدخلوا رافعي رؤوسهم خلاف ما أمرُوا. ﴿وقولوا حِطَّةً﴾ استغفروا - وقولوا - احطط عَنَّا خطايانا، أي: أن أفرؤوا بالذنب ﴿نغفر لكم خطاياكم﴾ هذا جواب الأمر؛ أي: إذا فعلتم ما أمرناكم فغفرنا لكم الخطيئات ﴿وسيزيد المحسنين﴾ بالחסنات ٥٩: ﴿فبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِنْ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ ﴿سُجَّدًا﴾ وقولوا حِطَّةً فدخلوا على أستانهم رافعي رؤوسهم واستهزؤوا فقالوا: حِطَّةٌ في شعيرة؛ ولهذا أنزل الله بهم بأسه وعذابه ﴿فأنزلنا على الذين ظلموا رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ﴾ غضباً وعذاباً ﴿بما كانوا يفسقون﴾ ٦٠: ﴿وَإِذْ اسْتَسْقَى مُوسَى لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَا عَشَرَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرِبَهُمْ كَلُوا﴾ ﴿واضربوا﴾ من هذا الماء ﴿ولا تغفروا في الأرض مفسدين﴾ ولا تقابلوا التعم بالعضيان فتسلبوها ٦١: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نَصْرَكَ عَلَى طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِيهَا وَبَصِلَهَا أَلَّذِي هُوَ أَذْيُ بِاللَّذِي هُوَ خَيْرٌ أَهْبَطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُمْ مِمَّا سَأَلْتُمْ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذَّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءَ وَعِغَابٌ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾

الذين

وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةً نَغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَتَكُمْ وَسَيَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾ فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿٥٩﴾ وَإِذْ اسْتَسْقَى مُوسَى لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَا عَشَرَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرِبَهُمْ كَلُوا وَاشْرَبُوا مِنْ رِزْقِ اللَّهِ وَلَا تَعْتَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٦٠﴾ وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نَصْبِرَ عَلَى طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِيهَا وَبَصِلَهَا أَلَّذِي هُوَ أَذْيُ بِاللَّذِي هُوَ خَيْرٌ أَهْبَطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُمْ مِمَّا سَأَلْتُمْ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذَّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءَ وَعِغَابٌ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿٦١﴾

مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِيهَا وَبَصِلَهَا﴾ واذكروا نعمتي عليكم واذكروا ضجركم وسؤالكم موسى استبدال ذلك بالطعمة من البقول ونحوها، والفوم ونحوه من الخنطة والخبز. ﴿قال أتستبدلون الذي هو أدنى﴾ من هذه الأطعمة الدنية مع ما هم فيه من الطعام الهنيئ ﴿بالذي هو خير؟!﴾ فيه تقييد لهم وتوبيخ على ما سألو ﴿أهبطوا مِصْرًا﴾ من الأمصار، ﴿وضربت عليهم الذلة والمسكنة﴾ وضعت عليهم وأمرها بها شرعاً وقدرًا، أي: لا يزالون مُسْتَدْلِينَ، فمن وجدهم استدلَّهم وأهانهم. ﴿وبأواؤا بغضب من الله﴾ استحقوا الغضب من الله ﴿ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله﴾ هذا بسبب استكبارهم عن اتباع الحق وكفرهم بآيات الله ﴿ويقتلون النبيين بغير الحق﴾ ولا كفر أعظم من هذا؟! ﴿والأبياء يقتلون على الحق لا بالحق؛ لأنهم معصومون من فعل ما يُسبب قتلهم بالحق. وكل نبي أمر بقتال لم يقدر على الوصول إليه أحد من الكفار، ومن لم يُؤمَّر بالقتال يمكن أن تصل إليه يد القتل الكفرة﴾. ﴿ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون﴾ وهذه علة أخرى في مجازاتهم بما جوروا به أنهم كانوا يعصون ويعتدون، [أي: يعصون الله ويعتدون على أنبيائه وأوليائه].

الآية: ٦١ عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله يرضى لكم ثلاثاً، ويكره لكم ثلاثاً، يرضى لكم أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئاً، وأن تعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا، وأن تخاصموا من ولأه الله أمرم، ويكره لكم قيل وقال وكثرة السؤال وإضاعة المال» صحيح الجامع الصغير ج ١/٣٨٥.

الآية: ٦١ قال الإمام القرطبي في تفسيره عند هذه الآية: ولم يأت نبي قط بشيء يُوجب قتله، ولم يقتل نبي قط من الأنبياء إلا ما لم يُؤمَّر بقتال، وكل من أمر بقتال نصير. ومعلوم أنه لا يقتل نبي بحق، ولكن يقتل على الحق. ج ١/٤٣٢/.

إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرِينَ
 مِنَ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ
 عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٦﴾ وَإِذْ
 أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ
 بِقُوَّةٍ وَأَذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٦٧﴾ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ مِمَّنْ
 بَعَدَ ذَلِكَ فَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَكُنْتُمْ مِنَ
 الْخَاسِرِينَ ﴿٦٨﴾ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدُوا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ
 فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ ﴿٦٩﴾ فَجَعَلْنَاهَا نَكَالًا لِمَا
 بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٧٠﴾ وَإِذْ قَالَ
 مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبُحُوا بَقَرَةً قَالُوا أَنَتَّخِذُنَا
 هُزُؤًا قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴿٧١﴾ قَالُوا
 ادْعُ لِنَارِكَ يَبِينُ لَنَا مَا هِيَ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا فَارِضٌ
 وَلَا يَكْرَعُونَ ابْيِّنْ ذَلِكَ فَأَفْعَلُوا مَا تَأْمُرُونَ ﴿٧٢﴾ قَالُوا
 ادْعُ لِنَارِكَ يَبِينُ لَنَا مَا لَوْ نُهَاهَا قَالَتْ إِنَّهُ يَقُولُ
 إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَوْنُهَا تَسُرُّ النَّاظِرِينَ ﴿٧٣﴾

١٠

٦٦: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا﴾
 والتصارى والصابين من آمن بالله واليوم
 الآخر وعمل صالحاً فلهم أجرهم عند
 ربهم ﴿لما بين تعالى من خالف أوامره
 وارتكب زواجه وتعدى الحرام وما أحل بهم
 من النكاح نية تعالى على أن من أحسن من
 الأمم السالفة وأطاع فله السعادة الأبدية ﴿ولا
 خوف عليهم ولا هم يحزنون﴾، والذين
 هادوا: أتباع موسى، والتصارى أتباع عيسى،
 والصابون: قوم كانوا في الموصل يقولون:
 لا إله إلا الله، وليس لهم كتاب ولا نبي وهم
 موحدون ٦٧: ﴿وإذ أخذنا ميثاقكم ورفعنا
 فوقكم الطور خذوا ما آتيناكم بقوة واذكروا
 ما فيه لعلكم تتقون﴾ [عاد الخطاب إلى بني
 إسرائيل]، يذكر تعالى بني إسرائيل ما أخذ
 عليهم من العهود والمواثيق بالإيمان به، أنه لما
 أخذ عليهم الميثاق رفع الجبل فوق رؤوسهم
 ليؤثروا بما عوهدوا عليه في التوراة ٦٨: ﴿ثم
 توليتم﴾ بعد هذا الميثاق، ﴿فلولا فضل الله
 عليكم﴾ بتوبته عليكم ﴿ورحمته﴾ بإرسال
 النبيين ﴿لكنتم من الخاسرين﴾ في الدنيا
 والآخرة ٦٩: ﴿ولقد علمتم﴾ يا معشر
 اليهود ما حل من البأس في ﴿الذين اعتدوا
 منكم في السبت﴾ فتحبوا على اصطبياد
 الحيتان في يوم السبت ﴿فقلنا لهم كونوا قردة
 خاسئين﴾ مسخهم الله إلى صورة القردة
 ٧٠: ﴿فجعلناها نكالا﴾ عبرة لما حولها من
 القري ﴿لما بين يديها﴾ من محضرتها من
 الناس ﴿وما خلفها﴾ من الأمم ﴿وموعظة﴾

للمتقين الذين من بعدهم إلى يوم القيامة ٦٧: ﴿وإذ قال موسى لقومه إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرَةً قَالُوا أَنَتَّخِذُنَا هُزُؤًا قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ كان رجل من بني إسرائيل غنياً فقتله قريبه ليرثه، ثم ألقاه على الطريق فنادى موسى في الناس: من عنده علمٌ بيينه لنا، فقالوا له: أنت نبيُّ الله فسألنا ربك أن يبين لنا القاتل، فأوحى الله: ﴿إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرَةً﴾ فجذبوا بقرَةً: ﴿أنتخذنا هُزُؤًا﴾؟ قال أعودُ بالله أن أكون من الجاهلين ٦٨: ﴿قالوا ادع لنا ما هي﴾ أخبر الله تعالى عن تعنت بني إسرائيل وكثرة سؤالهم لرسولهم، ولما ضيقوا على أنفسهم ضيق الله عليهم، ولو أنهم ذبحوا أي بقرَةً كانت لوقعت الموقع عنهم. ولكنهم شدوا فشدَّ الله عليهم، ﴿قال إنه يقول إنها بقرَةٌ لا فارض ولا يكرُّ﴾ لا كبيرة ولا صغيرة ﴿عوان بين ذلك فافعلوا ما تؤمرون﴾ ٦٩: ﴿قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما لونها﴾؟ قال إنه يقول إنها بقرَةٌ صفراءُ فاقع لونها﴾ صافية اللون ﴿تسرُّ الناظرين﴾ تُعجب الناظرين.

الآية: ٦٥ يتدون بالحيلة: رما الشباك للحيتان في يوم السبت، ثم أرجوها في الماء، فاستخرجوها بعد ذلك، فطبخوها فأكلوها أو تحمَّ أكله؛ أكلة أسرعت في الدنيا العقوبة، وأسرعت في الآخرة العذاب. والله سبحانه مسح الذين استحلوا محارمه بالحيل فردة وخنازير. /إعلام الموقعين ج٣/١٥٩.

إن الحيل المحرمة مخدعة لله تعالى، ومخدعة الله حرام، قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «لَعَنَ اللَّهُ الْمُحْلِلَ وَالْمُحْلَلَّ لَهُ»، وقال: «لَعَنَ اللَّهُ الْيَهُودَ، حَرَمَتْ عَلَيْهِمُ الشُّحُومَ، فَجَعَلُوهَا [أي أذابوها] وباعوها وأكلوا منها»، والله سبحانه ذمَّ أهل الخداع والمكر، ومن يقول بلسانه ما ليس في قلبه، وأن في قلوبهم مرضاً، فحقيق بمن أتقى الله وخاف نكاله أن يجدر استحلل محارم الله بأنواع المكر والاحتيال، وأن يعلم أنه لا يخلصه من الله ما ظهره مكرًا وخديعة من الأقوال والأفعال.

ولا يجوز أن تسب إلى إمام حيلة لإسقاط التكاليف الشرعية لأن ذلك قاذح في إمامته، وذلك يتضمن القدح في الأمة حيث التمسث بمن لا يصلح للإمامة. /إعلام الموقعين

٧٠: ﴿قَالُوا اذْع لَنَا رَبِّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ؟﴾ [إن البقرة تشابه علينا] لكثرتها فميز لنا هذه البقرة وصفها لنا ﴿وإنا إن شاء الله لالمهتدون﴾ إليها ٧١: ﴿قال إنه يقول إنها بقرة لا ذلول﴾ إنها ليست مذلة بالحرارة ﴿تثير الأرض ولا تسقي الحرث﴾ ولا معدة للسكري، ﴿مسلمة﴾ هي مكرمة حسنة صحيحة لا عيب فيها و ﴿لا شية فيها﴾ ليس فيها لون غير لونها، ﴿قالوا الآن جئت بالحق﴾ الآن بينت لنا ﴿فبجوها وما كادوا يفعلون﴾ مع هذا البيان والإيضاح ما ذمها إلا بعد الجهد والتعب ٧٢: ﴿وإذ قتلتم نفساً فادارأتم فيها﴾ اختلقت واختصمت فيها. [هذا متمد في المعنى على جميع ما ابتدأ به من شأن البقرة]. ﴿والله مخرج ما كنتم تكفون﴾ تغيبون ٧٣: ﴿فقلنا اضربوه ببعضها﴾ من أعضاء البقرة فالمعجزة حاصلة به ﴿كذلك يحيى الله الموتى ويريكم آياته لعلكم تعقلون﴾، فضربوه فحي فقام فقال: قتلي فلان، ثم عاد ميتاً. وقد نبه تعالى على قدرته وإحيائه الموتى بما شاهدوه من أمر القتل ٧٤: يقول تعالى توبيخاً لبني إسرائيل وتقریباً لهم على ما شاهدوه من آيات الله تعالى وإحيائه الموتى: ﴿ثم قست قلوبكم من بعد ذلك﴾ كلة ﴿فهي كالحجارة﴾ التي لا تلين ﴿أو أشد قسوة﴾، صارت قلوبهم قاسية لا علاج لقسوتها، ﴿وإن من الحجارة لَمَا يتفجر منه الأنهار﴾ وإن منها لَمَا يتفق فَيخرج منه الماء وإن منها لَمَا يهبط من

قَالُوا اذْع لَنَا رَبِّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ إِنَّ الْبَقْرَةَ تَشْبَهُ عَلَيْنَا وَإِنَّا إِن شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ ﴿٧١﴾ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقْرَةٌ لَا ذَلُولٌ تُثِيرُ الْأَرْضَ وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَا شِيَةَ فِيهَا قَالُوا أَأَلَّنُ جِئْتُ بِالْحَقِّ فَذَبُّوهُمَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ ﴿٧٢﴾ وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَرَأْتُمُوهَا فِيهَا وَاللَّهُ مُخْرِجُ مَا كُنْتُمْ تَكْفُونَ ﴿٧٣﴾ فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٧٤﴾ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنْ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنْ مِنْهَا لَمَا يَشَقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنْ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٧٥﴾ وَإِذْ الْقَوَالِيدِ إِذْ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَا بِبَعْضِهِمْ إِلَى بَعْضٍ قَالُوا أَتُحَدِّثُونَهُمْ بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَاجُّوكُمْ بِهِ عِنْدَ رَبِّكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٧٦﴾

خشية الله ﴿وإن من الحجارة لألین من قلوبكم عما تُدعون إليه من الحق﴾ ﴿وما الله بغافل عما تعملون﴾. [في هذا تهديد ووعيد لهم من الله تعالى] ٧٥: ﴿أفطمعون﴾ أي المؤمنون ﴿أن يؤمنوا لكم﴾ أن ينفذ لكم اليهود من بعد ما قست قلوبهم ﴿وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ثم يحرفونه﴾ يجعلون فيها الحق باطلاً والباطل فيها حقاً ﴿من بعد ما عقولهم﴾ فهموه على بصيرة ﴿وهم يعلمون﴾ أنهم مخطئون في تحريفه ٧٦: ﴿وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا﴾ أن صاحبكم رسول الله ولكنه إليكم خاصة ﴿وإذا خلا بعضهم إلى بعض قالوا أتحدثونهم بما فتوح الله عليكم﴾ لا تحدثوا العرب بهذا وتقررون بأنه نبي ﴿ليحاجوكم به عند ربكم﴾ ليكون لهم حجة عليكم ﴿أفلا تعقلون﴾؟! قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم: كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قد قال: «لا يدخلن علينا قسبة المدينة إلا مؤمن»، فقال رؤساؤهم من أهل الكفر والنفاق: اذهبوا فقولوا آمنا، وكفروا إذا رجعت إلينا، فكانوا يأتون المدينة بالكفر ويرجعون إليهم بعد العصر. وكانوا يقولون إذا دخلوا المدينة: نحن مسلمون؛ ليعلموا خير رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأمره، فإذا رجعوا رجعوا إلى الكفر، فلما أخبر الله نبيه صلى الله عليه وآله وسلم قطع ذلك عنهم، فلم يكونوا يدخلون.

الآية: ٧٤ ومن أسباب قسوة القلب مارواه الترمذي أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «لا تكفروا الكلام بغير ذكر الله، فإن كثرة الكلام بغير ذكر الله قسوة للقلب، وإن أبعد الناس من الله القلب القاسي» قال الترمذي: هذا حديث حسن /ج/ ٤/٦٠٧.

٧٧: ﴿أَوَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ﴾ من كفرهم بمحمد صلى الله عليه

وآله وسلم وهم يجحدونه مكتوباً عندهم في التوراة؟ ﴿وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ حين قالوا لأصحاب محمد صلى الله عليه وآله وسلم: أمنا ٧٨:

﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾ ومن أهل الكتاب أميون لا يدرون ما في الكتاب إلا أمانى بالظن،

لا يفقهون من الكتاب شيئاً ولكنهم يتخرصون الأكاذيب وهم يجحدون نبوتك بالظن ٧٩: ﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُمُونَ الْكِتَابَ

بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيُشْتَرَوْا بِهِ ثَمناً قليلاً فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون﴾ هؤلاء صنف آخر

من اليهود، وهم الدعاة إلى الضلال. والويل: الهلاك والدمار. وهو واد في جهنم أنزل في اليهود لأنهم حرقوا التوراة، زادوا فيها ما أحبوا،

وعوا منها ما كرهوا، وعوا اسم محمد صلى الله عليه وآله وسلم من التوراة، ولذلك غضب الله عليهم ﴿ليُشْتَرَوْا بِهِ ثَمناً قليلاً﴾ [كانت

للأحبار رياسة ومكاسب فخافوا إن يتبنا صفة محمد صلى الله عليه وآله وسلم أن تذهب رياستهم وماكلهم، فمن ثم غيروا] ﴿وويل لهم

مما يكسبون﴾ من الكذب والبهتان [وكرر الويل تليظاً لفعالهم] ٨٠: ﴿وقالوا لن تمسنا النار إلا أياماً معدودة﴾ يقول الله تعالى إخباراً عن اليهود فيما ادعوه لأنفسهم من أنهم لن تمسهم النار إلا أياماً معدودات، ثم

ينجون منها، فردَّ الله عليهم ذلك بقوله: ﴿قُلْ

أَتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْداً﴾ بذلك ﴿أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ من الكذب والافتراء عليه؟! ٨١: ﴿بَلَى مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَاطِبَةُ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ ليس الأمر كما تشتهون، بل من ﴿كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَاطِبَةُ﴾ بمثل ما كفرتم به ﴿فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون﴾ ٨٢: ﴿والذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون﴾

من آمن بما كفرتم، وعمل بما تركتم من دينه فلهم الجنة خالدين فيها، يُخبرهم أن الثواب بالخير والشر مُقيم على أهله أبداً لا انقطاع له ٨٣: ﴿وإذ أخذنا ميثاق بني إسرائيل لا تعبدون إلا الله وبالوالدين إحساناً﴾ يُذكر الله تعالى بني إسرائيل بما أمرهم به من الأوامر وأحذه ميثاقهم على ذلك وأنهم تولوا عن ذلك كله وأعرضوا عمداً وهم يعرفونه ويذكرونه، فأمرهم تعالى أن يعبدوه ولا يُشركوا به شيئاً، وبهذا أمر جميع خلقه، ولذلك خلقهم. ﴿وقولوا للناس حسناً وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة﴾ ثم توليتهم ﴿إلا قليلاً منكم وأنتم معرضون﴾ وأمرهم أن يقولوا للناس حسناً بعدما أمرهم بالإحسان إليهم بالفعل. وأمرهم بالصلاة والزكاة. ثم أخبر أنهم تولوا عن ذلك وتركوه وراء ظهورهم إلا القليل منهم. [أي: ومن أسلم

وآمن].

أَوَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٧﴾

وَمِنْهُمْ أُمِّيُونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٧٨﴾

فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُمُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيُشْتَرَوْا بِهِ ثَمناً قليلاً فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ ﴿٧٩﴾

وَقَالُوا لَنْ نَمَسَّنَا النَّارَ إِلَّا أَيَّاماً مَعْدُودَةً قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْداً فَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ وَأَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨٠﴾

بَلَى مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَاطِبَتُهُ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٨١﴾

وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٨٢﴾ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلاً مِّنْكُمْ وَأَنتُمْ مُّعْرِضُونَ ﴿٨٣﴾

الآية: ٧٨ قال مجاهد في هذه الآية: أناس من اليهود لم يكونوا يعلمون من الكتاب شيئاً، وكانوا يتكلمون بالظن بغير ما في كتاب الله، ويقولون هو من عند الكتاب، أماني يتمونها. / تفسير ابن كثير ج ١/١١٧.

الآية: ٨٣ جاء رجل إلى النبي ﷺ، فقال: أبأيتك على الهجرة والجهاد، ابني الأجر من الله تعالى، قال: «فهل لك من والديك أحد حي؟» قال: نعم، بل كلامها، قال: «فتبني الأجر من الله تعالى؟» قال: نعم، قال: «فارجع إلى والديك، فأخبرني صحتها». متفق عليه. / رياض الصالحين/١٥٩.

٨٤: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَرْزَاقَكُمْ وَأَنْتُمْ تَشَاهِدُونَ﴾ يقول الله تعالى منكرًا على اليهود الذين كانوا بالمدينة وما كانوا يُعانونه من القتال مع الأوس والخزرج، وكانت يهود المدينة ثلاث قبائل (بنو قينقاع وبنو النضير) حلفاء الخزرج، و(بنو قريظة) حلفاء الأوس، فإذا نشب بينهم قتالٌ قاتل كل فريق مع حلفائه، فيقتل اليهودي أعداءه، وقد يقتل يهودياً من الفريق الآخر، ويخرجونهم من بيوتهم وينتهبون ما فيها، وذلك حرام عليهم في كتابهم، ثم إذا وضعت الحرب أوزارها استفكوا الأسارى من الفريق المغلوب عملاً بحكم التوراة، ولهذا قال تعالى: ﴿أَقْتَرِمُونِ بَعْضُ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بَعْضٌ﴾ [وذلك كما في الآية]: ٨٥: ﴿ثُمَّ أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِنْكُمْ مِنْ دِيَارِهِمْ تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِم بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَإِنْ يَأْتُوكُمْ أُسَارَى فَذَاهِبُوا بِهِمْ وَجِزَاءُ مَنْ يَعْمَلْ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِنْ أَرَادْتُمْ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِأَلْأَخْزَى مِنَ الْآخِرَىٰ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ﴾ فما جزاء من يفعل ذلك منكم إلا خزي في الحياة الدنيا ويوم القيامة يُرَدُّونَ إِلَىٰ أَشَدِّ الْعَذَابِ ﴿جَزَاءٌ عَلَىٰ مَخَالِفْتِهِمْ يُضِعُّهُ اللَّهُ وَأَمْرُهُ﴾ ﴿وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ ٨٦: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ﴾ واختاروها ﴿فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ﴾ لا يفتقر عنهم ساعة واحدة ﴿وَلَا هُمْ يُبْصِرُونَ﴾ وليس لهم ناصر يُنقذهم مما هم فيه من العذاب الدائم السرمدي، ولا يُجبرهم منه ٨٧: ﴿وَلَقَدْ

وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنْفُسَكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنْتُمْ تَشَاهِدُونَ ﴿٨٤﴾ ثُمَّ أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِنْكُمْ مِنْ دِيَارِهِمْ تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِم بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَإِنْ يَأْتُوكُمْ أُسَارَى فَذَاهِبُوا بِهِمْ وَجِزَاءُ مَنْ يَعْمَلْ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِنْ أَرَادْتُمْ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِأَلْأَخْزَى مِنَ الْآخِرَىٰ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴿٨٥﴾ وَأُولَٰئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُبْصِرُونَ ﴿٨٦﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَقَفَّيْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيْتَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَىٰ أَنْفُسُكُمْ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴿٨٧﴾ وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾

آتينا موسى الكتاب وقفيينامن بعده بالرسول وآتينا عيسى ابن مريم البيئات وأيدناه بروح القدس ﴿ينعت تبارك وتعالى بني إسرائيل بالعتو والعدا والمخالفة والاستكبار على الأنبياء، وإنما هم يتبعون أهواءهم، فذكر تعالى أنه آتى موسى التوراة فحرقوها وخالفوا أمرها، وأرسل الرسل والنبيين من بعده يحكمون بشريعته، حتى ختم أنبياء بني إسرائيل بعيسى بن مريم، فعاملوا الأنبياء أسوأ معاملة فريقياً يكذبونه، وفريقاً يقتلونه، وما ذلك إلا لأنهم يأتونهم [بأحكام الله] المخالفة لأهوائهم وآرائهم [وأشنع ما صنعوا مع أنبيائهم فظالمهم التي فعلوها مع عيسى الذي أيدته الله بجزائره، وما قالوه في أمه الطاهرة البتول]، قال الله تعالى: ﴿أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَىٰ أَنْفُسُكُمْ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾ وهذا ٨٨: ﴿وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ﴾ لا تفقه ولا تعي، ﴿بَلْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ﴾ طردهم الله وأبعدهم من كل خير، ﴿فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ﴾ قليل منهم من يؤمن بمحمد صلى الله عليه وآله وسلم.

الآية: ٨٨ عن أنس رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: قال الله تعالى: يا ابن آدم إنك ما كنت بالحق إلا ابناً لآدم لو بلغت ذنوبك عنان السماء، ثم استغفرتني غفرتك لك، يا ابن آدم لو أتيتي بقراب الأرض خطايا، ثم لقيتني لا تشرك بي شيئاً، لأتيتك بقرابها مغفرة. رواه الترمذي وقال: حديث حسن. وعن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن شئتم أنباتكم ما أول ما يقول الله عز وجل للمؤمنين يوم القيامة، وما أول ما يقولون له؟ قلنا: نعم يا رسول الله! قال: «إن الله عز وجل يقول للمؤمنين: هل أحببتم لقرابي؟ فيقولون: نعم يا ربنا!! فيقول: لم؟ فيقولون: رجونا غفرك ومغفرتك، فيقول: قد وجبت لكم مغفرتي!!» رواه أحمد. وحسنه المنذري الترمذي ج/٢٦٨.

٨٩: ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ﴾ اليهود ﴿كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾ وهو القرآن الذي أنزله على محمد صلى الله عليه وآله وسلم ﴿مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ﴾ من التوراة، ﴿وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ وقد كانوا قبل مجيء الرسول صلى الله عليه وآله وسلم بهذا الكتاب يستنصرون بمجيئه على أعدائهم المشركين إذا قاتلهم، يقولون: إنه سيبعث نبي في آخر الزمان نقلكم معه قتل عاد وإرم، ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ﴾ فلما بعث الله رسوله من قريش كفروا به، فقال لهم معاذين جبل وبشر بن البراء وداود بن سلمة: يا معشر يهود اتقوا الله وأسلموا، فقد كنتم تستفتحون علينا بمحمد صلى الله عليه وآله وسلم ونحن أهل شرك، وتخبرونا بأنه مبعوث وتصفونه بصفته؟! فقال سلام بن مشكم أخو بني النضير: ما جاءنا بشيء نعرفه، وما هو بالذي كنا نذكر لكم ﴿فَلَعَنَهُ اللَّهُ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ اليهود ٩٠: ﴿بِمَا اشْتَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ﴾ بأن باعوا به أنفسهم من الكفر ﴿بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾ على محمد ﴿بِغِيَابٍ﴾ من الحسد والكرامية ﴿أَنْ يُزَالَ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾ بأن جعل الله النبي من غيرهم ﴿فَبَاؤُوا بِغَضَبِ عَلَى غَضَبٍ﴾ بما استوجبوا الغضب بتضييع التوراة، وبكفرهم بهذا النبي الذي بعثه الله إليهم ﴿وَاللَّكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾ في الدنيا والآخرة ٩١: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ﴾ لليهود وأمثالهم من أهل الكتاب ﴿آمِنُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾ على محمد

وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعَنَهُ اللَّهُ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٨٩﴾
بِسْمَا اشْتَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ أَنْ يَكْفُرُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ بَعِيًّا أَنْ يَنْزِلَ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ فَبَاءُوا بِغَضَبٍ عَلَى غَضَبٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٩٠﴾
وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا تُلُونَا بِمَا أَنْزَلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ مِنْ قَبْلُ إِنْ كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴿٩١﴾ وَلَقَدْ جَاءَكُمْ مُوسَىٰ بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ أَخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ ﴿٩٢﴾
وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَاءَ آتِنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَأَسْمِعُوا قَالُوا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأَشْرَبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ قُلْ بِسْمَا يَأْمُرُكُمْ بِهِ إِيْمَانُكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴿٩٣﴾

الآية: ٨٩ روى مسلم في صحيحه ج ٥٢/١ عن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله، ويؤمنوا بي، وبما جئت به، فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماهم وأموالهم إلا بحقها، وحسابهم على الله». وروى أيضاً ص ٣٥ أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: «مَنْ قَالَ: لا إله إلا الله، وكفر بما يُعبد من دون الله، حَرَّمَ مَالَهُ وَدَمَهُ، وَحَسَابُهُ عَلَى اللَّهِ» وروى أيضاً ص ٥٦ عن رسول الله ﷺ أن مَنْ قَالَ: «أَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَأَنَّي رَسُولُ اللَّهِ، لا يَلْبِقِي اللَّهُ جَمِيعاً، غَيْرَ شَاكٍّ فِيمَا، إِلاَّ دَخَلَ الْجَنَّةَ». وروى أيضاً ص ٥٧ أن رسول الله ﷺ قَالَ: «مَنْ قَالَ: أَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَأَنَّ عِيسَى عَبْدُ اللَّهِ ابْنُ مَرْيَمَ، وَكَلِمَةُ أَقْلَاهَا إِلَى مَرَمٍ وَرُوحٌ مِنْهُ، وَأَنَّ الْجَنَّةَ حَقٌّ، وَأَنَّ النَّارَ حَقٌّ، وَأَدْخَلَهُ اللَّهُ مِنْ أَيِّ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ شَاءَ».

٩٤: ﴿قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمْ الدَّارُ الآخِرَةُ عِنْدَ اللَّهِ خَالِصَةً مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَتُّوا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ ادعوا بالموت على أي الفريقين أكذب، فأبوا ذلك على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ٩٥: ﴿وَلَنْ يَمْتَنُوهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيَهُمْ﴾ يعلمهم بما عندهم من العلم بل والكفر بذلك، ولو تمتوه يوم قال لهم ذلك ما بقي على الأرض يهودي إلا مات. ولرأوا مقاعدهم من النار ﴿وَلَنْ يَمْتَنُوهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيَهُمْ﴾ لأن الحياة عندهم عزيزة عظيمة لما يعلمون من سوء ما لهم بعد الموت، ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾ ٩٦: ﴿وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاتِهِمْ﴾ على طول العمر لما يعلمون من ما لهم وعاقبتهم عند الله الخاسرة؛ لأن الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر ﴿وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾ وهم أحرص من المشركين ﴿يُودُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ يود اليهودي ﴿لَوْ يُعَمَّرُ﴾ يحب طول الحياة، ﴿وَمَا هُوَ بِمُرْخِزِجِهِ مِنَ الْعَذَابِ أَنْ يُعَمَّرَ﴾ فما ذاك بمغيبه من العذاب ولا منجيه منه ﴿وَاللَّهُ بَصِيرٌ﴾ بما يعملون ٩٧: ﴿قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ بِرِيهِ وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ هذه الآية نزلت جواباً لليهود إذ زعموا أن جبريل عدو لهم وأن ميكائيل ولي لهم، وقالوا: إن ميكائيل ينزل بالرحمة والغيث، وجبريل ينزل بالعذاب والنقمة فأنزل الله: ﴿قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾

قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمْ الدَّارُ الآخِرَةُ عِنْدَ اللَّهِ خَالِصَةً مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَتُّوا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٩٤﴾ وَلَنْ يَمْتَنُوهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿٩٥﴾ وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاتِهِمْ وَمِمَّا يُعْزِجُهُمْ مِنْ الْعَذَابِ أَنْ يُعَمَّرَ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٩٧﴾ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ ﴿٩٨﴾ وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَمَا يَكْفُرُ بِهَا إِلَّا الْفَاسِقُونَ ﴿٩٩﴾ أَوْ كَلَّمَا عَاهَدُوا عَهْدًا لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠٠﴾ وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠١﴾

الله ﴿فهر رسول من رسل الله، ومن كفر برسول يلزمه الكفر بجميع الرسل، ولذلك قال تعالى: ٩٨: ﴿من كان عدوًّا لله وملائكته ورسله وجبريل وميكال فإن الله عدوٌّ للكافرين﴾ ومن كان الله عدوًّا فقد خسر الدنيا والآخرة، وفي الحديث الصحيح: «من كنت خصمه خصمته» ٩٩: ﴿ولقد أنزلنا إليك يا محمد آياتٍ بيناتٍ﴾ واضحات على نبوتك ﴿وما يكفر بها إلا الفاسقون﴾ [أي: اليهود] ذكروهم بالمهد الذي أخذ عليهم، فقالوا: والله ما عهد إلينا في عهد، وما أخذ علينا ميثاقاً، فأنزل الله ذمهم بنذهم العهد فقال تعالى ١٠٠: ﴿أو كلما عاهدوا عهداً نبذوه فریق منهم بل أكثرهم لا يؤمنون﴾ فليس في الأرض عهداً يُعاهدون عليه إلا نقضوه ونبذوه، يُعاهدون اليوم وينقضون غدًا ١٠١: ﴿ولما جاءهم رسولٌ من عند الله مصدقٌ لما معهم نبذ فريقٌ من الذين أوتوا الكتاب كتاب الله وراء ظهورهم كأنهم لا يعلمون﴾ لما جاءهم محمد صلى الله عليه وآله وسلم عارضوه بالتوراة فخاصمهم بها، فاتفقت التوراة والقرآن، فنبذوا التوراة، وأخذوا بكتاب أصف وسحر هاروت وماروت، فلم يوافق القرآن، فنبذوا علمهم وكنموه وجحدوا به، [ولهذا قال سبحانه:]

الآية: ٩٤ قال ابن جرير في تفسيره: بلغنا أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «لو أن اليهود تمتوا الموت لماثروا ولرأوا مقاعدهم من النار، ولو خرج الذين يهاولون رسول الله ﷺ وهم وفد نصارى نجران [لرحموا ليجدون أملاً ومالاً] والمباهلة أن يقوم الداعي فيقول: اللهم إن كنت كاذباً، أو كنت على الكفر، فأنزل في عذابك]. وعن الحسن في قول الله: ما كانوا ليعتموه بما قدمت أيديهم، قال ابن عباس بن منصور: لو أنهم أحبوا الموت حين قبل لهم تمتوا الموت، أتراهم كانوا يميتين؟ قال: لا والله ما كانوا ليعتموه وقد قال الله صامحت: ﴿ولن يمتنوه أبداً بما قدمت أيديهم والله عليم بالظالمين﴾. الآية: ٩٧ كان رسول الله ﷺ يُقرن بين جبريل وإسرافيل في دعائه، ففي الصحيح أنه ﷺ كان إذا قام من الليل يقول: «اللهم رب جبرائيل وميكائيل وإسرافيل، فاطر السموات والأرض، عالم الغيب والشهادة أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون، اهدني لما اختلف فيه من الحق بإذنك، إنك تهديني إلى صراط مستقيم» [ابن كثير ج ١/١٣٢].

١٠٢: ﴿وَاتَّبِعُوا مَا تَلُوا الشَّيَاطِينَ عَلَى مَلِكٍ

سليمان﴾ قال ابن عباس: كان آصف كاتب سليمان، وكان يعلم الاسم الأعظم، وكان يكتب كل شيء بأمر سليمان ويدفنه تحت كرسيه، فلما مات سليمان أخرجته الشياطين، فكتبوا بين كل سطرين سحراً وكفراً، وقالوا: هذا الذي كان سليمان يعمل بها، قال فأكفره جهال الناس وسبوه، ووقف علماء الناس فلم يزل جهال الناس يسبونهم حتى أنزل الله على محمد صلى الله عليه وآله وسلم ﴿وَاتَّبِعُوا مَا تَلُوا الشَّيَاطِينَ عَلَى مَلِكٍ سُلَيْمَانَ، وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هُنُوتَ وَمُرُوتَ وَمَا يَعْلَمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلْقٍ وَلَيْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿١٠٣﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَمَثُوبَةٌ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ خَيْرٌ لَّو كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿١٠٤﴾ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا آنظُرْنَا وَاسْمَعُوا وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٠٥﴾ مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِّنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿١٠٥﴾

الآخرة [ولذلك ذمهم الله تعالى بقوله]: ﴿وليس ما شروا به أنفسهم لو كانوا يعلمون﴾ (١٠٣): ﴿ولو أنهم آمنوا بالله ورسوله، واتبأوا الحارم﴾ ﴿لمثوبة﴾ خير ﴿من عند الله لو كانوا يعلمون﴾ (١٠٤): ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا وقولوا انظرونا واسمعوا وللكافرين عذاب أليم﴾ نهي الله تعالى المؤمنين أن يتشبهوا باليهود في مقامهم وفعالهم، وكانوا يُعانون من الكلام ما فيه تورية لما يقصدونه من التقيص، يقولون: راعنا ويورون بالرعونة- عليهم لعائن الله- فهي الله عنها وقال: ﴿وقولوا انظرونا واسمعوا وللكافرين عذاب أليم﴾ (١٠٥): ﴿ما يودُّ الذين كفروا من أهل الكتاب ولا المشركين أن ينزل عليكم من خير من ربكم﴾ يبين بذلك تعالى شدة عداوة الكافرين من أهل الكتاب والمشركين، ونبه تعالى على ما أنعم به على المؤمنين من الشرع التام الكامل الذي شرعه لنبية صلى الله عليه وآله وسلم حيث يقول تعالى: ﴿والله يخص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم﴾.

(١) لقد استمر اليهود دهوراً يهيمون سيدنا سليمان بالسحر والكفر، حتى جاء القرآن فبرأه الله تعالى بهذه الآيات الكريمة مما اقترأه اليهود عليه.

الآية: ١٠٣ أخرج البخاري في صحيحه أن عمر بن الخطاب كتب: (أن اقتلوا كل ساحر وساحرة)، قال بجملة من عبدة: فقلنا ثلاث سواحر. وأخرج البخاري ومسلم عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «اجتنبوا السبع الموبقات» قالوا: يا رسول الله! وماهن؟ قال: «الشرك بالله، والسحر، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، والتولي يوم الزحف، وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات»، وروى الزبير بإسناد جيد عن عمران بن حصين قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «ليس منا من تطير أو تطير له [أي تشام بالشئ]، أو تشام الناس له فصدهم] أو تكهن أو تكهن له [أي ذهب إلى الكاهن فصدقه] أو سحر أو سحر له [أي ذهب إلى الساحر وأجره وصدق شعوذته] ومن أنى كانها فصده بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد صلى الله عليه وآله وسلم./الترغيب ج ٤/٣١ - ٣٣.»

١٠٦: ﴿ مَا تَسْخَعُ مِنْ آيَةٍ ﴾ مَا تَبْتُ
 خَطَّهَا. وَبَدَّلَ حُكْمَهَا ﴿ أَوْ نَفْسَهَا ﴾ أَوْ
 تَرَكَهَا لَا يُبَدِّلُهَا ﴿ نَأَتْ بِعِجْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلَهَا ﴾
 فِي الْحُكْمِ بِالنِّسْبَةِ إِلَى مَصْلَحَةِ الْمَكْلُوفِينَ، مِنْ
 تَخْفِيفٍ أَوْ رَخِصَةٍ، أَوْ أَمْرٍ أَوْ نَهْيٍ ﴿ أَلَمْ تَعْلَمْ
 أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ ١٠٧: ﴿ أَلَمْ
 تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مَلِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾
 الْآيَةُ؛ فَكَمَا أَنَّ الْمَلِكَّ لَهُ بِلَا مَنَارِعَ، فَكَذَلِكَ
 لَهُ الْحُكْمُ بِمَا يَشَاءُ ١٠٨: ﴿ أَلَمْ تَرِيدُونَ أَنْ
 تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَى مِنْ قَبْلُ ﴾
 نَبِيَّ اللَّهِ تَعَالَى الْمُؤْمِنِينَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ عَنْ كَثْرَةِ
 سُؤَالِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ عَنْ
 الْأَشْيَاءِ قَبْلَ تَفْصِيلِهَا. وَهَذَا جَاءَ فِي
 الصَّحِيحِ: «إِنَّ أَعْظَمَ الْمُسْلِمِينَ جُرْأً مَنْ
 سَأَلَ عَنْ شَيْءٍ لَمْ يُحْرَمْ، فَحُرِّمَ مِنْ أَجْلِ
 مَسْأَلَتِهِ»، وَفِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ: «ذُرْوِي
 مَا تَرَكَتُمْ فَإِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بِكَرَّةِ
 سُؤَالِهِمْ وَاخْتِلَافِهِمْ عَلَى أَنْبِيَائِهِمْ، فَإِذَا أَمَرْتُمْ
 بِأَمْرٍ فَاتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ، وَإِنْ نَهَيْتُمْ عَنْ
 شَيْءٍ فَاجْتَنِبُوهُ» ﴿ وَمَنْ يَبْدُلِ الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ
 فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴾ مَنْ يَشْرِكُ الْكُفْرَ
 بِالْإِيمَانِ فَقَدْ خَرَجَ عَنِ الطَّرِيقِ الْمُسْتَقِيمِ إِلَى
 الْجَهْلِ وَالضَّلَالِ ١٠٩: ﴿ وَوَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ
 الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّوكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا
 حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ
 الْحَقُّ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ ﴾
 يُحَدِّثُ تَعَالَى عِبَادَهُ عَنِ سُلُوكِ طَرِيقِ الْكُفْرِ
 مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ، وَيُعَلِّمُهُمْ بِعَدَاوَتِهِمْ لَهُمْ فِي
 الْبَاطِنِ وَالظَّاهِرِ، وَمَاهُمْ مُشْتَمَلُونَ عَلَيْهِ مِنْ

الشَّيْءِ

الْبَيْتِ

سُورَةُ النِّعَةِ

﴿ مَا نَسَخَ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأَتْ بِخَيْرٍ مِمَّا أَوْمَرَتْهَا ﴾
 أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠٦﴾ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ
 مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ
 وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٠٧﴾ أَمْ تَرِيدُونَ أَنْ تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ
 كَمَا سُئِلَ مُوسَى مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَتَّبِدَلِ الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ
 فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴿١٠٨﴾ وَكَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ
 الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّوكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا
 مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْفُوا
 وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ
 ﴿١٠٩﴾ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَمَا تَقَدَّمُوا لَأَنْفُسِكُمْ
 مِنْ خَيْرٍ يَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ
 ﴿١١٠﴾ وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصْرِيًّا
 تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ
 صَادِقِينَ ﴿١١١﴾ بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ
 فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١١٢﴾

الْحَسَدِ لِلْمُؤْمِنِينَ مَعَ عِلْمِهِمْ بِفَضْلِ نَبِيِّهِمْ، وَيَأْمُرُهُمْ بِالْعَفْوِ وَالِاحْتِمَالِ حَتَّى يَأْتِيَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ١١٠: ﴿ وَأَقِيمُوا
 الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَمَا تَقَدَّمُوا لَأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ يَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ ﴾ يُحْتَمُّ تَعَالَى عَلَى الْإِسْتِغْثَالِ بِمَا يَنْفَعُهُمْ وَيَعُودُ عَلَيْهِمْ عَاقِبَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ إِقَامِ
 الصَّلَاةِ وَإِتْيَانِ الزَّكَاةِ، حَتَّى يُبَكِّنَ لَهُمُ اللَّهُ النَّصْرَ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقْرَأُ الْأَشْهَادُ، ﴿إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ لَا يَغْفُلُ عَنْ عَمَلٍ عَامِلٍ وَلَا يَضِيعُ
 لَدَيْهِ، وَلَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فَيَجْزِيهِمْ بِالْإِحْسَانِ وَإِلِيسَاءِ مِثْلَهَا ١١١: ﴿ وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصْرِيًّا ﴾ يُبَيِّنُ
 تَعَالَى اغْتِرَارَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى بِمَا هُمْ فِيهِ حَيْثُ ادَّعَتْ كُلُّ طَائِفَةٍ مِنَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى أَنَّهُ لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ عَلَى مِلَّتِهِمَا، فَأَكْذَبَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى
 بِمَا أَخْبَرَهُمْ مُعَذِّبُهُمْ بِذُنُوبِهِمْ ﴿ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ ﴾ الَّتِي تَمْتَوُّهَا بِغَيْرِ حَقٍّ ﴿ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ ﴾ حُجَّتِكُمْ وَبَيِّنَتِكُمْ عَلَى ذَلِكَ ﴿ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ فَبِمَا
 تَدْعُوهُ ١١٢: ﴿ بَلَى مَنْ أَسْلَمَ ﴾ أَخْلَصَ ﴿ وَجْهَهُ ﴾ دِينَهُ ﴿ وَهُوَ مُحْسِنٌ ﴾ كَانَ عَمَلُهُ خَالِصًا لِلَّهِ وَحْدَهُ وَمُوَافِقًا لِلشَّرِيعَةِ ﴿ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا
 خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ ضَمِنَ لَهُمُ تَعَالَى عَلَى ذَلِكَ تَحْصِيلَ الْأَجُورِ، وَأَمْنَهُمْ مِمَّا يَخَافُونَ مِنَ الْمُخْذَرِّ.

الآية: ١٠٨ معنى الكلام: التوبيخ. فقد سأل كفار قريش النبي صلى الله عليه وآله وسلم أن يأتي بالله والملائكة قبيلاً. وأن ينزل عليهم من السماء كتاباً يقرؤونه. وأن يجعل لهم الصفا
 ذعباً. /القرطبي ج ٢/ ٧٠.

الآية: ١١٠ أخرج البخاري والنسائي عن عبد الله قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «أبكم مالٌ وارثه أحب إليه من ماله؟ قالوا: يا رسول الله! ما منّا من أحدٍ إلّا ماله
 أحبُّ من مالٍ وارثه، قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «فإنَّ ماله ما قدَّم، ومال وارثه ما أخَّر» ولفظ النسائي: «مألك ما قدَّمت، ومال وارثك ما أخَّرت». /القرطبي ج ٢/ ٧٣.

وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتْ النَّصْرَى عَلَى شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصْرَى لَيْسَتْ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ وَهُمْ يَتَّبِعُونَ الْكَيْتَابَ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١١٣﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسْجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذَكَّرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَى فِي خَرَابِهَا أُولَئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١٤﴾ وَاللَّهُ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ فَأَيْنَمَا تَوَلَّوْا فَوَجْهُ اللَّهِ إِلَهُكُمْ وَإِلَهُكُمْ عَلَيْهِ ﴿١١٥﴾ وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحٰنَهُ بَلْ لَهُ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ كُلُّ لَّهُ قَلْبٌ ﴿١١٦﴾ بَدِيعَ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ وَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿١١٧﴾ وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ أَوْ تَأْتِينَا آيَةٌ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِثْلَ قَوْلِهِمْ تَشَبَهتْ قُلُوبُهُمْ قَدْ بَيَّنَّا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿١١٨﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَا تُسْئَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ ﴿١١٩﴾

١١٣: يُبَيِّنُ اللهُ تَعَالَى تَنَاقُضَهُمْ وَتِبَاغُضَهُمْ وَتَعَادِيَهُمْ. وَهَذَا الْقَوْلُ يَقْتَضِي أَنْ كَلَامًا مِنْ الطَّائِفَتَيْنِ صَدَقَتْ فِيهَا رَمَتْ بِهِ الْأُخْرَى، وَلَكِنْ ظَاهِرُ الْآيَةِ يَقْتَضِي ذَمَّهُمْ فِيمَا قَالُوهُ مِنْ عِلْمِهِمْ بِخِلَافِ ذَلِكَ، ﴿وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ﴾ وَهُمْ يَعْلَمُونَ شَرِيْعَةَ التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ كُلِّ مِنْهُمَا قَدْ كَانَتْ مَشْرُوعَةً فِي وَقْتِ وَلِكِنَّمَا تَجَاخَدُوا فِيمَا بَيْنَهُمْ كَفْرًا وَعِنَادًا ﴿كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ﴾ وَقَالَتِ النَّصَارَى مِثْلَ قَوْلِ الْيَهُودِ، بَيْنَ هَذَا جَهْلُ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى فِيمَا تَقَابَلُوهُ مِنَ الْقَوْلِ ﴿فَاللَّهُ يَحْكُمُ﴾ بِفَصْلِ ﴿بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ بِقَضَائِهِ الْعَدْلِ ﴿فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ ١١٤: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسْجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذَكَّرَ فِيهِ اسْمُهُ﴾، [هَذِهِ الْآيَةُ تَشْمَلُ الْيَهُودَ الَّذِينَ لَجُّنَا عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى بْنِ مَرْيَمَ، وَالْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ أَخْرَجُوا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ مِنْ مَكَّةَ، وَمَنَعُوهُ مِنَ الصَّلَاةِ فِي الْكَعْبَةِ؛ فَأَيُّ خَرَابٍ أَعْظَمَ مِمَّا فَعَلُوا؟] ﴿أُولَئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ﴾ هَذَا خَيْرٌ مِنْهُ الْطَلَبُ؛ لِأَنَّ كَلِمَةَ هُوَ إِذَا قَدَّرْتُمْ عَلَيْهِمْ مِنْ دَخُولِهَا، وَلَمَّا فَتَحَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ نَادَى فِي الْعَامِ الْقَابِلِ: «أَلَا لَا يَجِئَنَّ بَعْدَ الْعَامِ مُشْرِكٌ»، ﴿لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ عَلَى مَا تَنَهَكُوا مِنْ حُرْمَةِ الْبَيْتِ مِنْ نَصَبِ الْأَصْنَامِ حَوْلَهُ وَدَعَا غَيْرِ اللَّهِ عِنْدَهُ ١١٥: هَذَا فِيهِ تَسْلِيَةٌ لِلرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وَأَصْحَابِهِ الَّذِينَ أَخْرَجُوا مِنْ مَكَّةَ،

وَفَارَقُوا مَسْجِدَهُمْ، وَاسْتَقْبَلُوا بَيْتَ الْمَقْدِسِ سَبْعَةَ عَشَرَ شَهْرًا بَعْدَ الْهَجْرَةِ ﴿فَأَيْنَمَا تَوَلَّوْا﴾ وَجْهَهُمْ ﴿فَوَجْهُ اللَّهِ﴾ فَهَنَّاكَ وَجْهِي أَسْتَجِيبُ لَكُمْ دَعَاءَكُمْ ﴿إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ يَسِعُ خَلْقَهُ بِالْكَفَايَةِ وَالْإِفْضَالِ، عَلِيمٌ بِأَعْمَالِهِمْ لَا يَغِيبُ عَنْهُ شَيْءٌ ١١٦: اشْتَمَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ وَالَّتِي تَلِيهَا عَلَى الرَّدِّ عَلَى النَّصَارَى، فَأَكْذَبَهُمْ فِي دَعْوَاهُمْ: أَنَّ اللَّهَ وَلَدٌ، فَقَالَ تَعَالَى: ﴿سَبْحٰنَهُ﴾ تَزَهَّ عَنْ ذَلِكَ عَلَوًّا كَبِيرًا ﴿بَلْ لَهُ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ﴾ فَكَيْفَ يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ؟ وَلَا مُشَارِكٌ فِي عِظَمَتِهِ وَكِبَرِيَّاتِهِ وَبَلِيسَ لَهُ نَظِيرٌ ﴿كُلُّ لَّهُ قٰتِلُونَ﴾ مَقْرُونٌ لَهُ بِالْعَبُودِيَّةِ ١١٧: ﴿بَدِيعُ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ﴾ خَالَفَهُمَا عَلَى غَيْرِ مِثَالٍ سَبَقَ، وَالْمَعْنَى: هُوَ الَّذِي أَبَدَعَ الْمَسِيحَ عِيسَى مِنْ غَيْرِ وَالِدٍ بِقُدْرَتِهِ ﴿وَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ يُبَيِّنُ سَبْحٰنَهُ كَمَا لَقْدَرْتَهُ وَعِظَمَ سُلْطَانَتِهِ، وَأَنَّهُ إِذَا قَدَّرَ أَمْرًا فَيَكُونُ عَلَى وَفْقٍ مَا أَرَادَ، كَمَا قَالَ سَبْحٰنَهُ: ﴿إِنْ مِثْلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمِثْلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تَرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ ١١٨: إِنْ الْقَائِلِينَ ذَلِكَ هُمْ مُشْرِكُو الْعَرَبِ، [قَالُوا:] يَا مُحَمَّدُ إِنْ كُنْتُ رَسُولًا مِنَ اللَّهِ كَمَا تَقُولُ، فَقُلْ لِي وَكَلِّمْنَا حَتَّى نَسْمَعَ كَلَامَهُ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ هَذِهِ الْآيَةَ ﴿كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِثْلَ قَوْلِهِمْ تَشَبَهتْ قُلُوبُهُمْ﴾ اشْتَبَهتْ قُلُوبَ مُشْرِكِي الْعَرَبِ قُلُوبَ مَنْ تَقَدَّمَ فِي الْكُفْرِ وَالْعِنَادِ [كَالْيَهُودِ] ﴿فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَىٰ أَكْبَرَ مِنْ ذَلِكَ فَقَالُوا أَرَأَيْتَ اللَّهُ جَهْرَةً﴾ ﴿قَدْ بَيَّنَّا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ بِمَا لَا يَجْتَازُ مَعَهَا إِلَى سَوَالِ آخِرِ ١١٩: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ بِالْحَقِّ وَالنَّارِ ﴿وَلَا تُسْأَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ﴾ لَنْ تُسْأَلَ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ.

الآية: ١١٦ وفي الحديث القدسي المروي في صحيح البخاري: (أن الله عز وجل يقول: وشميتي عبدي، ولم يكن له ذلك؛ وأما شمتي إياي فقول له: إن لي ولداً، فسبحاني أمي أتخذ صاحبة أو ولداً). وفي الصحيحين: (لأحد أصبر على أدنى سمعة من الله، إنهم يعملون له ولداً وهو يرزقه ويغاضبه). تفسير ابن كثير ج ١/١٠٦.

١٢٠: وليست اليهود يا محمد ولا النصارى براضية عنك أبداً ﴿حَقِّي تَتَّبِعْ مِلَّتَهُمْ﴾ ما يُرضيهم ويوافقهم ﴿قَالَ﴾ يا محمد ﴿إِنْ هُدَى اللَّهُ هُوَ الْهُدَى﴾ هو الدين الصحيح الكامل ﴿وَلَيْنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ الخطاب مع الرسول والأمر لأمتيه فيه تهديد ووعيد شديد للأمة عن اتباع طرائق اليهود والنصارى ١٢١: هم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وإن حق تلاتوته أن يُجَلَّ حلاله ويُحَرَّم حرامه، ويقراه كما أنزله الله، ولا يتأول منه شيئاً على غير تأويله، ويؤمن بمتشابهه، ويكفل ما أشكل عليه إلى عالميه، ﴿أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ﴾ حق الإيمان ١٢٢: تقدم نظير هذه الآية في صدر السورة، وكُرِّرت ههنا للتأكيد والحث على اتباع الرسول الذي يجدون صفته واسمه في كتبهم ١٢٣: حذرهم تعالى من كتاب صفته صلى الله عليه وآله وسلم، وكتاب ما أنعم به عليهم ١٢٤: نبه تعالى على شرف إبراهيم خليله عليه السلام، وأن الله تعالى جعله إماماً للناس يُقتدى به في التوحيد حين قام بما كلفه الله من الأوامر والنواهي ﴿فَأَتَمَّهُمْ﴾ وهي التي ابتلى الله بهن إبراهيم فأتتهن: فراق قومه في الله. ومحاجته غمرد في الله وصبره على قذفه إياه في النار. وذبح ابنه حين أمره الله بذلك. فلما مضى على ذلك قال سبحانه: ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾ قال ومن ذُرِّيَّتِي ﴿فَكَلَّ نَبِيٌّ أَرْسَلَهُ اللَّهُ فَمَنْ ذَرِيَّتِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ﴾ قَالَ

الجزء الثاني

وَلَنْ نَرْضَىٰ عَنْكَ الْيَهُودَ وَلَا النَّصْرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنْ هَدَىٰ اللَّهُ هُوَ الْهُدَىٰ وَلَئِنْ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٢٠﴾ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ أُوْلَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ ۗ وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ ۗ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخٰسِرُونَ ﴿١٢١﴾ يٰۤاَيُّهَا الَّذِيْنَ اٰذْكُرُوْا نِعْمَتِيَ الَّتِيْ اَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ ۗ وَاِنِّيْ فَضَّلْتُكُمْ عَلَيِ الْعٰلَمِيْنَ ﴿١٢٢﴾ وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِيْ نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنْفَعُهَا شَفَعَةٌ ۗ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿١٢٣﴾ وَاِذْ اٰتٰنَا اِبْرٰهِيْمَ رُبِّيْ بِكَلِمٰتٍ فَاَتَمَّهُنَّ ۗ قَالَ اِنِّيْ جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ اِمَامًا ۗ قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِيْ ۗ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِيْ الظَّالِمِيْنَ ﴿١٢٤﴾ وَاِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَاٰمَنًا وَاَتَّخِذُوْا مِنْ مَّقَامِ اِبْرٰهِيْمَ مُصَلًّوٓى وَاَعٰهَدْنَا اِلٰى اِبْرٰهِيْمَ وَاِسْمٰعِيْلَ اَنْ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِيْنَ وَالْعٰكِفِيْنَ وَالرُّكَّعِ السُّجُوْدِ ﴿١٢٥﴾ وَاِذْ قَالَ اِبْرٰهِيْمُ رَبِّ اجْعَلْ هٰذَا اِمْنًا وَاَرْزُقْ اَهْلَهُ مِنْ الثَّمَرٰتِ ۗ مَنْ اٰمَنَ مِنْهُمْ بِاللّٰهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ۗ قَالَ وَمَنْ كَفَرَ ۗ فَاَمِعَهُ قَلِيْلًا ثُمَّ اَضْرَطُّهُ ۗ اِلَىٰ عَذَابِ النَّارِ وَاَبْسَ الْمَصِيْرَ ﴿١٢٦﴾

لا ينال عهدي الظالمين ﴿ لا أجعل إماماً ظالماً يُقتدى به، ولا عهد لظالم في ظلمه، أن تُطيعه، فليس لظالم عهد ١٢٥: ﴿وإذ جعلنا البيت مثابة للناس﴾ لا يقضون منه وطراً يأتونه ثم يرجعون إلى أهلهم ثم يعودون إليه ﴿وأمننا﴾ من العدو، وقد كانوا في الجاهلية يُتخطف الناس من حولهم وهم آمنون. وفي هذه الآية يذكر تعالى شرف البيت أن جعله مثابة للناس، أي جعله محلاً تشتاق إليه الأرواح وتحن إليه، وتردد إليه كل عام ﴿واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى﴾ الحجر الذي جعله الله رحمة، فكان يقوم عليه ويناوله إسماعيل الحجر، لما ارتفع البناء ﴿وعاهدنا إلى إبراهيم وإسماعيل أن طهرا بيتي للطائفين والعاكفين﴾ أمرهما أن يطهرا من الأوثان والرقت والزور والرجس للطائفين، وهم الذين أتوه من الأمصار، والعاكفين الذين أقاموا عنده، ﴿والركع السجود﴾ وهم المصلون ١٢٦: [كانه عليه السلام يحجر دعاءه] على المؤمنين ذون الناس، فأنزل الله: ﴿ومن كفر﴾ أيضاً ﴿فأتمته قليلاً﴾ أخلق خلقاً لا أرزقهم؟ أمتعه قليلاً ﴿ثم أضطره﴾ إلى عذاب النار وبس المصير ﴿بعد متاعه في الدنيا، ومعناه: أنه تعالى يُنظرهم ويمهلهم ثم يأخذهم أخذ عزيز مقتدر.

الآية: ١٢٠ هذا الخطاب موجة إلى النبي ﷺ والمقصود به أمته، وفيه تحذير شديد للأمة من اتباع اليهود والنصارى. قال رسول الله ﷺ: «لنبتن سنة من كان قبلكم باعاً باع، وذراعاً بذراع، وشراً بشير، حتى لو دخلوا في حُجر صب لدخلت فيه» قالوا: يارسول الله اليهود والنصارى؟ قال: «فمن إذن؟!». /رواه ابن ماجه وهو صحيح ج ١٣٣٢/٢.
الآية: ١٢٦ قال رسول الله ﷺ في دعائه للمدينة: «اللهم اجعل بالمدينة ضعفي ما جعلته بمكة من البركة». رواه البخاري ومسلم. وفي رواية عندهما: «أن إبراهيم حرم مكة ودعا لها، وحرمت المدينة كما حرم إبراهيم مكة ودعوت لها في مدها وصاعها». /تفسير ابن كثير ج ١/١٧٣.

١٢٧: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ﴾ القواعد: جمع قاعدة، وهي السارية والأساس، أي: واذكر يا محمد لقومك بناء إبراهيم وإسماعيل البيت وهما يقولان: ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ (١٢٨): ﴿رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمِينَ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ (١٢٨) ﴿رَبَّنَا وَأَبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (١٢٩) ﴿وَمَنْ يَرْغَبْ عَن مِّلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾ (١٣٠) ﴿إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (١٣١) ﴿وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ (١٣٢) ﴿أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتَ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِن بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ (١٣٣) ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (١٣٤)

٢٠

الملة وهي الإسلام ﴿إِبْرَاهِيمَ بَنِيهِ وَيَعْقُوبَ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ أحسنوا في حال الحياة والزموها هذا ليرزقكم الله الوفاة عليه؛ فإن المرء يموت غالباً على ما كان عليه، ويبحث على ما مات عليه ١٣٣: يقول تعالى محتجاً على المشركين وعلى الكفار من بني إسرائيل بأن يعقوب لما حضرته الوفاة وصى بنيه بعبادة الله وحده لا شريك له، [وفي هذا يقول تعالى]: ﴿أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتَ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِن بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهًا وَاحِدًا، نوحده بالالوهية ولا نشرك به شيئاً﴾ ونحن له مسلمون ﴿حَاضِعُونَ وَمَطْمِئُونَ ١٣٤﴾: ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ﴾ مضت ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ وهذا جاء في الأثر: «مَنْ بَطَأَ بِهِ عَمَلُهُ لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ».

(١) جاء في صحيح البخاري قصة إبراهيم عليه السلام في إسكانه زوجته هاجر وابنه إسماعيل بالوادي المبارك: (قال يا إسماعيل إن ربك عز وجل أمرني أن أبنى له بيتاً، فقال: أطع ربك عز وجل، قال: إنه قد أمرني أن أتعينني عليه، فقال: إذن أفعل، قال فقام إبراهيم بنو إسماعيل بناوله الحجارة ويقولان: ربنا تقبل منا﴾ حتى ارتفع البناء وضعت الشيخ عن نقل الحجارة، فقام على حجر المقام فجعل يناوله الحجارة، ويقولان: ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾.

الآية: ١٣١ أي: أمره الله تعالى بالإخلاص له والاستسلام والانقياد، فأجاب إلى ذلك طامعاً.

الآية: ١٣٢ فإن المرء يموت غالباً على ما كان عليه ويبحث على ما مات عليه.

الآية: ١٣٣ روى البخاري ومسلم عن أبي موسى قال: قلت يا رسول الله! أي المسلمين أفضل؟ قال: «مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدُوهُ». وروياً عن عبد الله بن عمرو بن العاص عن النبي ﷺ قال: «المسلم مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدُوهُ، وَالْمُهَاجِرُ مَنْ هَجَرَ مَاتِي اللَّهِ عَنْهُ». /الترغيب ج٣/ ٥٢١ - ٥٢٣.

١٣٥: ﴿وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا﴾ [قالت اليهود ذلك] وقالت النصارى مثل ذلك فأنزل الله: ﴿قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا﴾ لا نزيد ما دعوتنا إليه من اليهودية والنصرانية، بل نتبع مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا، أي: مستقيماً. والحنيف الذي يؤمن بالرسول كلهم من أولهم إلى آخرهم. والحنيفة: شهادة أن لا إله إلا الله ١٣٦: ﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نَفْرَقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ أرشد الله تعالى عباده المؤمنين إلى الإيمان بما أنزل إليهم بواسطة رسوله محمد صلى الله عليه وآله وسلم مُفَصَّلًا، وما أنزل على الأنبياء المتقدمين مجملًا. ونص على أعيان من الرسل، وأجل ذكر بقية الأنبياء، وأن لا يُفَرَّقُوا بين أحدٍ منهم؛ بل يؤمنوا بهم كلهم والأسباط: حفدة يعقوب الاثني عشر وهم القبائل في بني إسرائيل ١٣٧: ﴿فَإِنْ آمَنُوا﴾ أهل الكتاب وغيرهم ﴿بِمِثْلِ مَا آمَنَ بِهِ فَقَدْ اهْتَدَوْا﴾ أصابوا الحق ﴿وَإِنْ تَوَلَّوْا﴾ عن الحق ﴿فَأِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ﴾ فسينصرك عليهم وهو السميع العليم ١٣٨: ﴿صِبْغَةَ اللَّهِ﴾ دين الله الرُّمُومَا ذلك ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ﴾! ١٣٩: يُرْشِدُ اللَّهُ تَعَالَى نَبِيَّهِ صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ إِلَى دَرَجَةِ مَجَادَلَةِ الْمُشْرِكِينَ ﴿قُلْ أَتَحَاجُّونَنَا فِي اللَّهِ﴾؟ أَتَنَازِرُونَنَا

وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٣٥﴾ قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نَفْرَقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٦﴾ فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنَ بِهِ فَقَدْ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١٣٧﴾ صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ ﴿١٣٨﴾ قُلْ أَتَحَاجُّونَنَا فِي اللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَلِنَا أَعْمَلْنَا وَلَكُمْ أَعْمَلَكُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُخْلِصُونَ ﴿١٣٩﴾ أَمَرَ نَقُولُونَ إِنْ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ كَانُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى قُلْ أَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ وَمَنْ أظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ شَهَادَةً عِنْدَهُ مِنَ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٤٠﴾ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٤١﴾

في توحيد الله والإخلاص له وهو ربنا وربكم المتصرف فينا وفيكم لا شريك له ﴿ولنا أعمالنا ولكم أعمالكم﴾ نحن برآء منكم وما تعبدون ﴿ونحن له مخلصون﴾ في العبادة والتوجه ١٤٠: ﴿أَمْ تَقُولُونَ إِنْ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ كَانُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى﴾! أنكر تعالى عليهم دعواهم أن إبراهيم ومن ذكر بعده من الأنبياء كانوا على اليهودية أو النصرانية ﴿قُلْ أَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ﴾ بل الله أعلم قال تعالى: ﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمَ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ ﴿وَمَنْ أظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ شَهَادَةً عِنْدَهُ مِنَ اللَّهِ﴾! كانوا يقرؤون في كتاب الله الذي أتاهم: إن الدين الإسلام، وإن محمداً رسول الله، فكتموا شهادته عندهم ﴿وما الله بغافل عما يعملون﴾ تهديدهم ووعيد شديد، أي: إن علمه محيط بعملكم وسيجزيك عليه ١٤١: ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ لهم أعمالهم، ولكم أعمالكم، وليس يُعني عنكم انتسابكم إليهم من غير متابعة منكم لهم، حتى تكونوا منقادين مثلهم لأوامر الله واتباع رسول رب العالمين، صلوات الله وسلامه عليه وعلى جميع أنبياء الله أجمعين.

الآية: ١٣٦ قال البخاري: الأسباط قبائل في بني إسرائيل.

قال ابن عباس: كل الأنبياء من بني إسرائيل إلا عشرة: نوح، وهود، وصالح، وشعيب، وإبراهيم، وإسحاق، ويعقوب، وإسماعيل، ومحمد صلى الله عليه وآله وسلم. الآية: ١٣٩ قال رسول الله ﷺ: إن الله تعالى يقول: أنا خير شريك، فمن أشرك معي شريكاً فهو لشريكي، يألئها الناس! أخليصوا أعمالكم لله تعالى، فإن الله تعالى لا يقبل إلا ما خلص له، ولا تقبلوا هذا لله وللرحم، فإنها للرحم وليس لله منها شيء، ولا تقبلوا: هذا لله ولوجهكم، فإنها لوجهكم وليس لله تعالى منها شيء. رواه الضحاك النهري والدارقطني/القرطبي ج ١٤٦/٢.

﴿ سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَدَهُمْ عَن قِبَلِهِمُ الَّذِي كَانُوا عَلَيْهِمْ قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١٤٢﴾ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّن يَنْقَلِبُ عَلَى عَقْبَيْهِ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضَيِعَ إِيمَانَكُمْ إِن كُنْتُمْ بِاللَّهِ بِالنَّاسِ لِرَأْوٍ وَرَّحِيمٍ ﴿١٤٣﴾ قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَإِن الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ وَمَا اللَّهُ بِغَفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٤٤﴾ وَلَئِن آتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ وَمَا أَنتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتِهِمْ وَمَا بَعْضُهُمْ بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ وَلَئِن آتَبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ مِّن بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذًا لَمِنَ الظَّالِمِينَ ﴿١٤٥﴾

١٤٢: المراد بالسفهاء ههنا أبحار اليهود، والمنافقون، والمشركون. والآية عامة في هؤلاء كلهم صلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم بعد الهجرة- إلى بيت المقدس سبعة عشر شهراً وكان يُعجبه أن تكون قبلة قبل البيت. وكان يُكثر النظر إلى السماء ينتظر أمر الله، فأنزل الله: ﴿قد نرى تقلب وجهك﴾ الآية [ولمّا] قال السفهاء، وهم أهل الكتاب: ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها فأنزل الله: ﴿سيقول السفهاء من الناس﴾ إلى آخر الآية ١٤٣: إنّما حولناكم إلى قبلة إبراهيم عليه السلام واختارناها لكم لتجعلكم خيار الأمم؛ لتكونوا يوم القيامة شهداء على الأمم والوسط ههنا الخيار والأجود روى الإمام أحمد: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «يُدعى نوح يوم القيامة فيقال له: هل بلغت؟ فيقول: نعم فُدعى قومه، فيقال لهم: هل بلغتكم؟ فيقولون: ما أتانا من نذير، وما أتانا من أحدٍ فيقال لنوح: من يشهد لك؟ فيقول: محمدٌ وأمتُهُ»، قال: فذلك قوله تعالى: ﴿وكذلك جعلناكم أمةً وسطاً﴾ ﴿وما جعلنا القبلة التي كنت عليها﴾ الآية؛ إنّما شرعنا لك يا محمد التوجه أولاً إلى بيت المقدس ثم صرفناك عنه إلى الكعبة؛ ليظهر حال من يتبعك ويطيعك، ممن هو مرتد عن دينه، وإن كان هذا الوجه لأمرًا عظيمًا في النفوس إلا على الذين أيقنوا بتصديق الرسول، وأن الله يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد ١٤٤: كان أول ما نسخ من القرآن القبلة، وذلك أن

رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لما هاجر إلى المدينة أمره الله أن يستقبل بيت المقدس ففرحت اليهود، فاستقبلها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بضعة عشر شهراً، وكان يُحب قبلة إبراهيم، فكان يدعو وينظر إلى السماء، فأنزل الله ﴿قد نرى تقلب وجهك في السماء﴾ إلى قوله: ﴿فولوا ووجوهكم شطرة﴾ وشطره: قبلة قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «البيت قبلة لأهل المسجد، والمسجد قبلة لأهل الحرم، والحرم قبلة لأهل الأرض في مشارقها ومغاربها من أمتي» ﴿وان الذين أوتوا الكتاب ليعلمون أنه الحق من ربهم﴾ اليهود الذين أنكروا استقبالكم الكعبة وانصرفكم عن بيت المقدس، يعلمون هذا في كتبهم، ولكنهم يتكاثرون ذلك بينهم حسداً وكفراً، ولهذا تهددهم تعالى بقوله: ﴿وما الله بغافل عما يعملون﴾ ١٤٥: يُخبر تعالى عن كفر اليهود وعنادهم ومخالفتهم ما يعرفون من شأن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وأنه لو أقام عليهم كل دليل على صحة ما جاءهم به لما تبعوه وتركوا أهواءهم. ثم حذّر تعالى عن مخالفة الحق الذي يعلمه العالم إلى الهوى؛ فإن العالم الحجّة عليه أقوم من غيره، ولهذا قال مخاطباً الرسول، والمراد به الأمة.

الآية: ١٤٣ روى الإمام أحمد أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: «يحيى النبي يوم القيامة ومعه الرجلان وأكثر من ذلك فدعى قومه، فيقال لهم: هل بلغتكم هذا؟ فيقولون: لا، فيقال له: هل بلغت قومتك؟ فيقولون: نعم، فيقال: نعم، فيقال: من يشهد لك؟ فيقول: محمد وأمتُهُ، فيقال لهم: هل بلغ هذا قومتك؟ فيقولون: نعم، فيقال: نعم، فيقال: وما علمكم؟ فيقولون: جاءنا نبياً فأخبرنا أنّ الرسل قد بلغوا». /تفسير ابن كثير ج ١/ ١٩٠.

١٤٦: يخبر تعالى أن العلماء من أهل الكتاب يعرفون صحة ما جاءهم به الرسول صلى الله عليه وآله وسلم كما يعرف أحدكم ولده. قال القرطبي: ويروى عن عمر أنه قال لعبد الله بن سلام: أتعرف محمداً كما تعرف ولدك؟ قال: نعم وأكثر!! نزل الأمين من السماء على الأمين في الأرض، بنعته عرفته، وإني لا أدري ما كان من أمه ١٤٧: ثبت تعالى نبيه صلى الله عليه وآله وسلم والمؤمنين، وأخبرهم بأن ما جاء به الرسول هو الحق الذي لا مزية فيه ولا شك ١٤٨: ﴿ولكل وجهة﴾ يعني بذلك أهل الأديان؛ لكل قبلة يرضونها، ووجهة الله حيث توجه المؤمنون [لأنه سبحانه هداهم] إلى القبلة التي هي القبلة. وهذه الآية شبيهة بقوله تعالى: ﴿لكل جعلنا منكم شرعةً ومنهاجاً ولو شاء الله لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فَمَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ﴾ ١٤٩: هذا أمر ثانٍ من الله تعالى باستقبال المسجد الحرام من جميع أقطار الأرض ١٥٠: هذا أمر ثالث باستقبال المسجد الحرام فامتثل أمر الله في ذلك، فهو صلوات الله وسلامه عليه مطيع لله في جميع أحواله، وأمنه تبع له ﴿فلا تخشَوْهُمْ وَخَشَوْنِي﴾ لا تخشوا شبهة الظلمة المعتنين، وأفردوا الخشية لي ﴿ولأنتم نعمتي عليكم﴾ فيما شرعت لكم من استقبال الكعبة لتكمل لكم الشريعة من جميع وجوهها ﴿ولعلمكم تهتدون﴾ إلى ما ضلت عنه الأمم؛ هديناكم إليه وخصصناكم به، ولهذا كانت هذه

الَّذِينَ آتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٤٦﴾ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴿١٤٧﴾ وَلِكُلِّ وُجْهَةٍ مَوْلَاهَا فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمْ اللَّهُ جَمِيعًا إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٤٨﴾ وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِنَّهُ لَلْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٤٩﴾ وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي وَلَا تَمِمْ عَلَىكُمْ وَأَنَّكُمْ لَتَكُونُونَ ﴿١٥٠﴾ كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِنْكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ ﴿١٥١﴾ فَادْكُرُونِي أذْكُرْكُمْ وَأَشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ ﴿١٥٢﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٣﴾

الأمة أشرف الأمم وأفضلها ١٥١: يُدْكُرْ تعالى المؤمنين ما أنعم به عليهم من بعثة محمد صلى الله عليه وآله وسلم يتلو عليهم آيات الله البيّنات ويطهرهم من رذائل الأخلاق وندس النفوس، ويخرجهم من الظلمات إلى النور، ويُعَلِّمُهُمُ الْقُرْآنَ وَالسُّنَّةَ، ويعلمهم ما لم يكونوا يعلمون ١٥٢: ﴿فادْكُرُونِي﴾ فيما أوجبه لكم على نفسي؛ ﴿أذْكُرْكُمْ﴾ بمغفرتي وفي الحديث الصحيح: [قال رسول الله]: «قال الله تعالى: ﴿من ذكّرني في نفسه ذكرته في نفسي، ومن ذكّرني في ماله ذكرته في مالي﴾» ﴿واشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ﴾ أمر تعالى بشكره (وهي عن كفران نعمه) ١٥٣: لما فرغ تعالى من بيان الأمر بالشكر شرع في بيان الصبر والإرشاد والاستعانة بالصبر والصلاة؛ فإن الصبر إمّا أن يكون في نعمة فيشكر عليها، أو في نقمة فيصبر عليها. وبين تعالى أن أجود ما يُستعان به على المصائب الصبر والصلاة. وكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إذا حزبه أمر صلى والصبر صبران: فصبرٌ على ترك المحارم، وصبرٌ على الطاعات والصبر الثالث: هو الصبر على المصائب.

الآية: ١٥٤: عن عبد الله بن عمرو أن رسول الله ﷺ قال: «يُغْفَرُ لِلشَّهِيدِ كُلِّ ذَنْبٍ إِلَّا الدَّيْنَ» رواه أحمد ومسلم، صحيح الجامع الصغير ج ١٣٤٩/٢.

الآية: ١٦٠: عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «يقول الله تعالى: أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه حين يذكرني، والله لله أفرح بتوبة عبده من أحدكم يجد ضالته بالفلاة، ومن تقرب إلي شراً تقربت إليه ذراعاً، ومن تقرب إلي ذراعاً تقربت إليه باعاً، وإن أقبل إلي يمشي أبليت إليه أهزول». رواه مسلم/صحيح الجامع ج ١٣٥٢/٢.

وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمُوتَ بَلْ أحيَاءٌ وَلَكِنْ
لَا تَشْعُرُونَ ﴿١٥٤﴾ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ
وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ
﴿١٥٥﴾ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ
﴿١٥٦﴾ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ
هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾ ﴿١٥٧﴾ إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِن شَعَابِرِ اللَّهِ
فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ
بِهِمَا وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٥٨﴾ إِنَّ الَّذِينَ
يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّتَهُ
لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ
﴿١٥٩﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنَّا فَاُولَئِكَ أَتُوبُ
عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿١٦٠﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ
كُفَّارٌ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ
﴿١٦١﴾ خَالِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ
﴿١٦٢﴾ وَاللَّهُمُّ لِلَّهِ وَحْدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾

١٥٤: يخبر تعالى أن الشهداء في برزخهم أحياء يرزقون، كما جاء في صحيح مسلم: «إن أرواح الشهداء في حواصل طيور خضر تسرح في الجنة حيث شاءت ثم تأتي إلى قناديل معلقة تحت العرش»، الحديث. وإن الشهداء قد خصوا بالذكر في القرآن تشريفاً لهم وتكرماً وتعظيماً ١٥٥: أخبر تعالى أنه ينلي عبادة يختبرهم ويمتنحهم، كما قال تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ﴾ فتارة بالسراء وتارة بالضراء من خوف وجوع ﴿ونقص من الأموال﴾ بذهاب بعضها ﴿والأنفس﴾ كموت الأقارب والأحباب ﴿والثمرات﴾ بالأغلة المزراع كعاداتها وكل هذا وأمثاله مما يختبر الله به عباده؛ فمن صبر أتاه ومن قطع أحل به عقابه، ولهذا قال تعالى: ﴿وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾ ١٥٦: ثم بين تعالى من الصابرون الذين شكرهم فقال: ﴿الذين إذا أصابهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون﴾ تسلوا بقوله هذا عما أصابهم وعلموا أنهم مُلْكُ الله يتصرف في عبيده بما يشاء، فأحدث لهم ذلك اعترافهم بأنهم عبيده، وأنهم إليه راجعون في الدار الآخرة ولهذا أخبر تعالى عما أعطاهم على ذلك فقال: ١٥٧: ﴿أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة﴾ نساء من الله عليهم ﴿وأولئك هم المهتدون﴾، قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «لا يصيب أحداً من المسلمين مصيبة فيسترجع عند مصيبته، ثم يقول: اللهم

أجرني في مصيبي واخلف لي خيراً منها؛ إلا فعل ذلك به» ١٥٨: بين الله تعالى أن الطواف بين الصفا والمروة من شعائر الله؛ أي: مما شرع الله تعالى لإبراهيم في مناسك الحج ﴿فمن تطوع خيراً﴾ زاد في طوافه بينهما على قدر الواجب ﴿فإن الله شاكرٌ عليم﴾ يثب على القليل الكثير؛ علم بقدر الجزاء فلا يبخس أحداً ثوابه، ﴿وإن تلك حسنة يضاعفها﴾ ١٥٩: وهذا وعيدٌ شديد لمن كتم ما جاءت به الرُّسُل من الدلالات البينة، من بعد ما بينه الله تعالى في كتبه نزلت في أهل الكتاب، كتموا صفة محمد صلى الله عليه وآله وسلم ثم أخبر أنهم يلعنهم كل شيء على صنيعهم ١٦٠: ﴿إلا الذين تابوا﴾ رجعوا عما كانوا فيه ﴿وأصلحوا﴾ أعمالهم ﴿ويتوبوا﴾ للناس ما كانوا يكتمونه ﴿فأولئك أتوب عليهم وأنا التواب الرحيم﴾ [أي: لمن تاب منهم] ثم أخبر تعالى عمن كفر به واستمر به الحال إلى مماته فقال: ١٦١: ﴿إن الذين كفروا وماتوا وهم كُفَّارٌ أولئك عليهم لعنة الله والملائكة والناس أجمعين﴾ ١٦٢: ﴿خالدين فيها﴾ في اللعنة في نار جهنم، التي ﴿لا يخفف عنهم العذاب﴾ لا ينقص ﴿ولا هم ينظرون﴾ ساعة واحدة ولا يفر بل هو متواصل، نعوذ بالله من ذلك ١٦٣: يخبر الله تعالى عن تفرده بالإلهية وأنه لا شريك له، ثم ذكر دليل تفرده بالإلهية بخلق السموات والأرض وما فيهن فقال:

الآية: ١٥٦: أخرج مسلم عن أبي سعيد وأبي هريرة أنهما سمعا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: «ما يصيب المؤمن من وصب ولا نصب ولا سقم ولا حزن حتى ألهم يمهته إلا كفر به من سيئاته».

وروى عكرمة أن مصباح رسول الله ﷺ انطفأ ذات ليلة، فقال: «إنا لله وإنا إليه راجعون»، فقيل: أمصية هي يارسول الله؟ قال: «نعم، كل ما أدى المؤمن فهو مصيبة». وأخرج =

١٦٤: ﴿إِن فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ﴾ في ارتفاعها واتساعها ودوران فلكها ﴿وَالْأَرْضِ﴾ في كشافها وبحارها وجبالها وعمرانها، وما فيها من المنافع ﴿وَإِخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾ هذا يجيء والآخر يعقبه كما قال تعالى: ﴿يُولِجُ اللَّيْلُ فِي النَّهَارِ وَيُؤَلِّجُ النَّهَارُ فِي اللَّيْلِ﴾ ﴿وَالْفَلَكَ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ﴾ بما ينفع الناس ﴿فِي تَسْخِيرِ الْبَحْرِ جَمَلِ السُّفُنِ لِمَعَاشِ النَّاسِ﴾ ﴿وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح ﴿فِتَارَةً تَأْتِي بِالرَّحْمَةِ وَتَأْتِي بِالْعَذَابِ﴾ ﴿وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ إلى ما يشاء الله من الأراضي كما يصرّفه تعالى ﴿لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ في هذه الأشياء دلالات بيّنة على وحدانية الله تعالى. فهذا يعلمون أنه إله واحد، وخالق كل شيء ١٦٥: يذكر تعالى حال المشركين في الدنيا وما لهم في الآخرة حيث جعلوا له أندادا؛ أمثالا ونظراء يعبدونهم معه ويحبونهم كحبه، وهو الله لا إله إلا هو، ولا ضد له ولا يد له ولا شريك معه ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ﴾ يعبدونه وحده ويتوكلون عليه، ثم توعد تعالى المشركين فقال: ﴿وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يُرُونَ الْعَذَابَ أَن لَّهُمْ جِيعًا لَوْ عَاشُوا عِندَهُ أَلَمْ يَحْسُرُوا﴾ لو عاينوا العذاب لعلموا حينئذ أن القوة لله جميعا، وأن الحكم له وحده وأن الجميع تحت قهره وسلطانه ﴿وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ﴾ ١٦٦: أخبر عن كفرهم بأوثانهم وتبرئ المتبوعين من التابعين يوم القيامة، كما قال

الْبَيْتَانِ
سُورَةُ الرَّحْمَةِ
إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفَلَكَ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيْحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٤﴾ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يُرُونَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ ﴿١٦٥﴾ إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوْا الْعَذَابَ وَتَقَطَعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ ﴿١٦٦﴾ وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّأُوا مِنَّا كَذَلِكَ يَرِيهِمْ اللَّهُ أَعْمَلَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ ﴿١٦٧﴾ يَتَأْتِيهَا النَّاسُ كَلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا وَلَا يَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴿١٦٨﴾ إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٦٩﴾

تعالى: ﴿وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لِيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا، كَلَّا سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُوا عَلَيْهِمْ ضِدًّا﴾ ﴿وَتَقَطَعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ﴾ المودة ١٦٧: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً﴾ إلى الدنيا ﴿فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّأُوا مِنَّا﴾ فلا يلتفت إليهم، وكما أخبر الله تعالى عنهم: ﴿لَوْ رَدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لِكَاذِبُونَ﴾ ولهذا قال تعالى: ﴿كَذَلِكَ يَرِيهِمْ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ﴾ تذهب وتضمحل ﴿وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ﴾ ١٦٨: لما بين تعالى أنه لا إله إلا الله هو وأنه المستقل بالخلق؛ شرع يبين أنه الرزاق لجميع خلقه، فذكر في مقام الامتنان أنه أباح لهم أن يأكلوا مما في الأرض في حال كونه حلالاً من الله طيباً قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم «... إن الرجل ليقذف اللقمة الحرام في جوفه ما يتقبل منه أربعين يوماً، وأياما عبد نبت لحمه من الشحوت والرِّبَا فالتار أوكى بو» ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ وكل معصية لله فهي من خطوات الشيطان ١٦٩: ﴿إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ﴾ بالأفعال السيئة، وأغلظ منها الفاحشة كالزنا ﴿وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾.

ابن ماجه عن الحسين قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «مَنْ أَصِيبَ بِمَعْصِيَةٍ فَذَكَرَ مَعْصِيَتَهُ فَأُحْدِثَ اسْتِرْجَاعًا وَإِنْ تَقَادَمَ عَهْدُهُ، كَتَبَ اللَّهُ لَهُ مِنَ الْأَجْرِ مِثْلَهُ يَوْمَ أُصِيبَ» وروى مسلم عن أم سلمة قالت: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ مَسَلَّمَ تَضَمُّنًا مَعْصِيَةٍ فَيَقُولُ مَا أَمَرَهُ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ: إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاغِبُونَ، اللَّهُمَّ اجْرِنِي فِي مَعْصِيَتِي وَاخْلِفْ لِي خَيْرًا مِنْهَا إِلَّا أَخْلَفَ اللَّهُ لَهُ خَيْرًا مِنْهَا». /القرطبي ج ١٧٥/ ١٧٧.

الآية: ١٦٨ الطيب هنا: الحلال، فهو تأكيد لاختلاف اللفظ. قال الشافعي: الطيب المُسْتَلَذُّ: فهو توبيع، ولذلك يُنْعَمُ أَكْلُ الْحَيْوَانِ الْقَدَرِ وَسُمِّيَ الْحَلَالُ حَلَالًا لِأَخْلَافِ عَقْدَةِ الْخَطْرِ عَنْهُ. قال سهل بن عبد الله: النجاة في ثلاثة: أكل الحلال، وأداء الفرائض، والأخذ بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم. وقال أبو عبد الله الساجي [سعید بن يزيد]: خمس خصال بها تمام العلم، وهي: معرفة الله عزوجل، ومعرفة الحق، وإخلاص العمل لله، والعمل على السنة، وأكل الحلال، فإن فقدت واحدة لم يُرْفَعِ الْعَمَلُ. وقال سهل: ولا يصح أكل الحلال إلا بالعلم، ولا يكون المال حلالاً حتى يصفو من ست خصال: الربا والحرام والسحت، والغلول والمكروه والشبهة.

١٧٠: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾

وإذا قيل لهؤلاء الكفرة من المشركين: اتَّبِعُوا ما أنزل الله على رسوله واتركوا ما أنتم عليه من الضلال ﴿قَالُوا بَلْ نَشْعُ مَا أَلْفِينَا عَلَيْهِ آيَاتِنَا﴾ ما وجدنا عليه آباءنا من عبادة الأصنام، قال تعالى منكرًا عليهم ﴿أَوْ لَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ؟﴾ ١٧١: ﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ فيما هم فيه من التمي والجهل ﴿كَمَثَلِ الَّذِي يَبْعُقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً﴾ كالدراب السارحة التي لا تفقه ما يقال لها وإنما تسمع صوتًا فقط، ﴿صَمٌّ بِكُمْ عَمِّي﴾ صم عن سماع الحق، بكم لا يفقهون به، عمي عن رؤيته ﴿فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ شيئًا ولا يفهمونه، كما قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا صُمٌّ وَبُكْمٌ فِي الظُّلُمَاتِ﴾ ١٧٢: يأمر تعالى عبادة المؤمنين بالأكل من طيبات ما رزقهم الله تعالى، وأن يشكروه على ذلك، إن كانوا عبيدًا ١٧٣: ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالِدِمَّ وَحَلْمَ الْخَنزِيرِ وَمَا أَهْلَ بِهِ غَيْرًا لَئِنْ أَضْطَرَّ غَيْرُ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنْ اللَّهُ مِنْ غَفُورٍ رَحِيمٌ﴾ ١٧٤: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ الْكِتَابِ وَيَشْتَرُونَ بِهِ شَيْئًا قَلِيلًا أُولَئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ ١٧٥: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلَالََةَ بِالْهُدَى وَالْعَذَابَ بِالْمَغْفِرَةِ فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ﴾ ١٧٦: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ نَزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِي الْكِتَابِ لِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ﴾

٢٦

الذر اليسير، فخابوا وخسروا في الدنيا والآخرة ﴿أُولَئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ﴾ في مقابلة كتاب الحق نارًا تأجج في بطونهم يوم القيامة ﴿وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ لأنه غضبان عليهم ﴿وَلَا يُزَكِّيهِمْ﴾ ولا يُبَيِّنُ عليهم ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ ١٧٥: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلَالََةَ بِالْهُدَى﴾ اعتاضوا عن الهدى؛ وهو نشرُ صفة الرسول وأتباعه، بالضلالة، وهو تكذيبه وكتابه صفاته في كتبهم، ﴿وَالْعَذَابَ بِالْمَغْفِرَةِ﴾ اعتاضوا عن المغفرة للعذاب ﴿فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ﴾ يتعجب من رآهم فيها من صبرهم على ذلك مع شدة ما هم فيه من العذاب والنكال؛ فما أودمهم لعمل المعاصي التي تفضي إلى النار!! ١٧٦: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ نَزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ﴾ إنما استحقوا هذا العذاب الشديد لأن الله تعالى أنزل على رسوله محمد صلى الله عليه وآله وسلم بتحقيق الحق وإبطال الباطل، وهم يكذبونه ويخالفونه، ﴿وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِي الْكِتَابِ﴾ [يعني التوراة] ﴿لِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ﴾.

الآية: ١٧٠ قوة ألفاظ هذه الآية تعطي إبطال التقليد، ونظيرها: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آيَاتِنَا﴾ الآية.

وتعلق هذه الآية قوم في ذم التقليد، لذم الله تعالى الكفار باتباعهم لأبائهم في الباطل واقتدائهم في الكفر والمعصية، وهذا صحيح في ذم الباطل.

أما التقليد للأئمة في الأحكام المستنبطة من الكتاب والسنة، فهذا من أصل الدين، قال الله تعالى: ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾.

ومن أخذ ديه من الكتاب والسنة فهو على بينة وحثجة باهرة، فهو غير مقلد. والتقليد مشروع في أخذ الأحكام الشرعية المستنبطة، وأما في العقيدة فلا بد من أخذها من أسوأها:

الكتاب والسنة الصحيحة. ومن أخذها بطريقة الكلام فهو مقلد في ذلك.

ومن تلقى عقيدته عن كتاب الله تعالى، وعن أحداث رسوله ﷺ الصحيحة الثابتة فهو أخذها بالدليل الصحيح والبرهان الساطع والحجة القاطعة!!!.

١٧٧: اشتملت هذه الآية الكريمة على جُمَلٍ عظيمةٍ وقواعد عميمة وعقيدة مستقيمة؛ إن الله تعالى لما أمر المؤمنين أولاً بالتوجه إلى بيت المقدس، ثم حوَّاهم إلى الكعبة شقَّ ذلك على نفوس طائفة من أهل الكتاب وبعض المسلمين، فأنزل الله تعالى بيان حكمته في ذلك، وهو أن المراد إنما هو طاعة الله عز وجل والتوجه حيثما وَجَّه، واتباع ما شرع؛ فهذا هو البرُّ والتقوى والإيمان الكامل، وليس في لزوم التوجه إلى جهةٍ من المشرق أو المغرب برُّ ولا طاعة إن لم يكن عن أمر الله تعالى ﴿ولكن البرُّ من آمن بالله واليوم الآخر﴾، فمن اتصف بهذا الآية فقد دخل في عرى الإسلام كُلِّها وأخذ بمجامع الخير كله ﴿وَأَتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ﴾ أخرجهُ وهو مُحِبٌّ له راعِبٌ فيه، ﴿ذَوِي الْقُرْبَى﴾ وهم قرابة الرجل، ﴿وَالْمَسَاكِينَ﴾ وهم الذين لا يجدون ما يكفيهم في قوتهم، ﴿وَابْنِ السَّبِيلِ﴾ وهو المسافر الذي فرغَتْ نفقته، ﴿وَالسَّائِلِينَ﴾ وهم الذين يتعرَّضون للطلب، ﴿وَوِي الرِّقَابِ﴾ وهم المكاتبون لإعتاق أنفسهم من الرِّقِ ﴿وَأَقَامَ الصَّلَاةَ﴾ بتامها وخشوعها على الوجه المرضي ﴿وَأَتَى الزَّكَاةَ وَالْمُؤْتُونَ بِهَا إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ﴾ حال الفقر ﴿وَالضَّرَّاءِ﴾ حال المرض، ﴿وَحِينَ الْبَأْسِ﴾ حال القتال، ﴿وَأُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا﴾ هؤلاء الذين اتصفوا بهذه الصفات هم الذين صدقوا في إيمانهم، ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ لأنهم اتقوا

﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُولُوا وَجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَءَاتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسْكِينِ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَءَاتَى الزَّكَاةَ وَالْمُؤْتُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلِ الْحَرْبِ بِالْحَرْبِ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأَنْثَى بِالْأَنْثَى فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَأَبْيَعْ بِالْمَعْرُوفِ وَآدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ مِّنْ عَنَدِي بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٨﴾﴾ وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَوةٌ يَا أَيُّهَا الْمَرْءُ الْأَلْبَبُ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٧٩﴾﴾ كُتِبَ عَلَيْكُمُ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةَ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ ﴿١٨٠﴾﴾ فَمَنْ بَدَّلَهُ بَعْدَ مَا سَمِعَهُ فَإِنَّمَا إِثْمُهُ عَلَى الَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٨١﴾﴾

الحرام وفعلوا الطاعات ١٧٨: كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْعَدْلُ فِي الْقِصَاصِ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ حَرَّمَ بِحَرَمِ عِبَدِكُمْ وَعَبَدِكُمْ وَأَنْتُمْ بِأَنْتُمْ، وَلَا تَتَجَاوَزُوا وَتَعْتَدُوا ﴿فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ﴾ من أخذ الدية بعد استحقاق الدم، وذلك العفو ﴿فَاتَّبِعْ بِالْمَعْرُوفِ﴾ فعل الطالب اتباع بالمعروف إذا قَبِلَ الدية، ﴿وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ﴾ من القاتل من غير ضرر ولا مدافعة ﴿ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ﴾ إنما شرع لكم أخذ الدية في العمد تخفيفاً من الله عليكم ورحمة بكم مما كان محتوماً على الأمم قبلكم من القتل أو العفو، ولم تحل [الدية] لأحد ١٧٩: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ﴾ وفي شرع القصاص، وهو قتل القاتل حكمة عظيمة؛ لأنه إذا علم القاتل أنه يُقتل انكف عن صنيعه، فكان ذلك حياة للنفس ﴿يَا أَيُّهَا الْاَلْبَابُ﴾ يا أولي العقول والأفهام ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ فتتركون محارم الله ومآثمه. والتقوى: فعل الطاعات وترك المنكرات ١٨٠: اشتملت هذه الآية الكريمة على الأمر بالوصية للوالدين والأقربين، وقد كان ذلك واجباً قبل نزول آية الموارث، ولهذا جاء في الحديث: ﴿إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَعْطَى كُلَّ ذِي حَقٍّ حَقَّهُ، فَلَا وَصِيَّةَ لِرِثَةٍ﴾ وبقيت الوصية للأقارب الذي لا ميراث لهم من الثلث ١٨١: ﴿فَمَنْ بَدَّلَ الْوَصِيَّةَ وَحَرَفَهَا﴾ فإِذَا إِثْمُهُ عَلَى الَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُ. وقد وقع أجر الميت على الله، وتعلق الإثم بالذين بدلوا ﴿إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ﴾ لما أوصى به الميت ﴿عَلِيمٌ﴾ بما بدَّله الوصى إليه.

الآية: ١٧٧ قال القرطبي: هذه آية عظيمة من أمهات الأحكام؛ لأنها تضمنت ست عشرة قاعدة: الإيمان بالله وبأسمائه وصفاته، والنشر والخسر والميزان والصراف والحوض والشفاعاة والجنة والنار، والملائكة والكتب والنزلة وأنها حق من عند الله، والتبيين وإنفاق المال فيما بين من الواجب والمندوب وإيصال القرابة وترك قطعهم، وتقصد البيم، وعدم إهمال والمساكين كذلك، ومراعاة ابن السبيل، والمحافظة على الصلاة وإيتاء الزكاة، والوفاء بالعهد والصر في الشدائد. / القرطبي ج ٢/٤١٢.

فَمَنْ خَافَ مِنْ مَوْصٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٨٦﴾ يَتَّيِّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كَتَبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كَتَبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٨٧﴾ أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامِ مَسْكِينٍ فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٨٤﴾ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْءَانُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَيْتُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٨٥﴾ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾

١٨٢: الحَتْفُ: الخطأ، وهذا يشمل أنواع الخطأ، فللوصي والحالة هذه أن يصلح القضية ويعدل في الوصية على الوجه الشرعي، ﴿فلا إثم عليه إن الله غفورٌ رحيمٌ﴾ ١٨٣: يقول الله تعالى مخاطباً المؤمنين وأمرأ لهم بالصيام: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ﴾ أوجه عليكم ﴿كما كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ كما أوجه على من كان قبلكم، ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ لما فيه من زكاة النفوس وطهارتها وتنقيتها من الأخلاط الرديئة والأخلاق الرذيلة ١٨٤: ﴿أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ﴾ عدداً معلوماً ﴿فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ المريض والمسافر لا يصومان في حال المرض والسفر، بل يفطران ويقضيان ﴿وعلى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ﴾ (١) ﴿فِدْيَةٌ طَعَامِ مَسْكِينٍ﴾، فكان من شاء صام ومن شاء أَطْرَ وَأَطْعَمَ مَسْكِينًا، ﴿فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ﴾ أَطْعَمَ مَسْكِينًا آخر فهو خير له، ﴿وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ﴾ فكانوا كذلك [مخيرين] حتى نسختها ﴿فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾ ١٨٥: بمدح الله تعالى شهر الصيام من بين سائر الشهور، بأن اختاره من بينهن؛ لإنزال القرآن العظيم فيه، ﴿هدى للناس وبيّنات من الهدى والفرقان﴾ وهذا مدحٌ للقرآن الذي أنزله الله هدًى لقلوب العباد وممن آمن به وصدقته واتبعه، ﴿وبيّنات﴾ ودلائل وحجج بيّنة واضحة لمن فهمها وتدبرها ﴿فمن شهد منكم الشهرَ فليصمه﴾ هذا إيجاب حتم على من شهد استهلال الشهر مقياً في بلده

صحيحاً في بدنه، ﴿ومن كان مريضاً﴾ في بدنه يشق عليه الصيام معه ﴿أو على سفرٍ﴾ في حال السفر ﴿فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ فله أن يفطر، وعليه عِدَّة ما أفطره من الأيام، ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾ رخص لكم ذلك تيسيراً عليكم ورحمةً بكم ﴿ولتكمّلوا العِدَّةَ﴾ عِدَّة شهركم، ﴿ولتكبّروا الله على ما هداكم﴾ ولتذكروا الله عند انقضاء عبادتكم، ولهذا أخذ العلماء مشروعية التكبير في عيد الفطر ﴿ولعلكم تشكرون﴾ إذا قمتم بما أمركم الله من طاعته، وترك محارمه، فلعلكم أن تكونوا من الشاكرين بذلك ١٨٦: ﴿وإذا سألك عبادي عني فإني قريب﴾ [المنعنى: وإذا سألك عن المعبود فأخبرهم أنه قريب يثيب على الطاعة ويوجب الداعي] ﴿أجيب دعوة الداع إذا دعان﴾ أي: أقبل عباداً من عبدي؛ فالدعاء بمعنى العبادة، والإجابة بمعنى القبول، ﴿فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي لعلهم يرشدون﴾.

الآية: ١٨٥ عن عبدالله بن عمرو قال: قال رسول الله ﷺ: «الصيام والقرآن يشفعان للعبد يوم القيامة، يقول الصيام: أي ربّ إني منعته الطعام والشهوات بالنهار، فشفعني فيه، يقول القرآن: ربّ منعته التمر بالليل فشفعني فيه؛ فيشفعان» رواه الإمام أحمد والطبراني والحاكم/صحیح الجامع الصغير ج٢/٧٢٠/٧٢٠. (١) قال ابن عباس: نزلت هذه الآية رخصة للشيوخ والعجزة خاصة إذا أفطروا وهم يطيقون الصوم أي يتجسّمونه، ثم نسخت بقوله: ﴿فمن شهد منكم الشهرَ فليصمه﴾ فزالت الرخصة إلا لمن عجز منهم. والحائلي والمرضع إذا خافا على أولادها أفطرتا وأطعمتا /القرطبي ج٢/٢٨٨. الآية: ١٨٣ فضل الصوم عظيم!! وثوابه جسيم!! جاءت بذلك أحاديث كثيرة صباحاً وحسناً، ويكفك الآن منها في فضل الصوم أن حصّه الله بالإضافة إليه، كما ثبت في الحديث عن النبي ﷺ أنه قال خيراً عن ربه: «يقول الله تبارك وتعالى: كل عمل ابن آدم له إلا الصوم، فإنه لي وأنا أجزي به» الحديث. وإثماً حصّه الله الصوم بأنّه له؛ لأنه لم يعبد به أحدٌ لصنم أو وثن أو إله مزعوم. ثم إن الصوم سرٌّ بين العبد المخلص وبين ربه سبحانه، ولا يظهر إلا له عزّ وجلّ. فلذلك كان الصوم مختصاً به وحده سبحانه وتعالى!!!.

١٨٧: هذه رخصة من الله تعالى للمسلمين ورفع لما كان عليه الأمر في ابتداء الإسلام، فإنه كان إذا أفطر أحدهم إنما يحل له الأكل والشرب والجماع إلى صلاة العشاء أو نيام قبل ذلك، فوجدوا في ذلك مشقة كبيرة و﴿الرَّفَثُ﴾ الجماع ﴿هُنَّ لِيَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِيَاسٌ هُنَّ﴾ من سكن لكم وأنتم سكن هن ﴿عَلِمَ اللَّهُ أَنْكُمْ كُنْتُمْ تَخَانُونَ أَنْفُسَكُمْ﴾ وذلك أن أناساً من المسلمين أصابوا من النساء بعد العشاء في رمضان، فشكوا ذلك إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فأنزل الله تعالى [هذه الآية] ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتُمُوا الصَّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ﴾ أباح الله تعالى الأكل والشرب والجماع في أي الليل شاء الصائم إلى أن يتبين ضياء الصباح من سواد الليل ﴿ثُمَّ أَتُمُوا الصَّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ﴾ وهذا يقتضي الإفطار عند غروب الشمس ﴿وَلَا تَبَاشِرُوهُنَّ وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ﴾ حرّم الله على المعتكف أن ينكح النساء حتى يقضي اعتكافه ﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ﴾ هذا الذي بيّناه ورفضناه وحدّدناه من الصيام وأحكامه، ﴿فَلَا تَقْرُبُوهَا﴾ لأن تجاوزها وتعدّها ﴿كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ يعرفون كيف يبتدون، وكيف يُطَيِّمُونَ ١٨٨: هذا في الرجل يكون عليه مال وليس عليه فيه بيّنة فيجحد المال ويخاصم إلى الحكام، وهو يعرف أن الحقّ عليه، وهو يعلم أنه آثم أكمل الحرام ﴿بِالْإِثْمِ وَأَنْتُمْ

أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ هُنَّ لِيَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِيَاسٌ لَهُنَّ عَلِمَ اللَّهُ أَنْكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنْكُمْ فَالْتَمِسُوا مِنْ رَبِّكُمْ وَأَنْتُمْ عَلِيمُونَ ﴿١٨٧﴾ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْأَبْطَالِ وَتُدْخِلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٨٨﴾ ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلِ فُلْهُنَّ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجُّ وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَىٰ وَأَتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٨٩﴾ وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَقْتُلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴿١٩٠﴾

تعلمون﴾ تعلمون بطلان ما تدعونه وترجونه في كلامكم. وإن قضاء القاضي لا يُحِلُّ لك الحرام، ولا يُجِزُّ لك باطلاً. وإنما يقضي القاضي بنحو ما يرى وتشهد به الشهود، والقاضي يُخطئ ويصيب ١٨٩: سأل الناس رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن الأهلة فنزلت هذه الآية. يعلمون بها جلّ ذبيهم وعدّة نساءهم ووقت حجهم، وصومهم وإفطارهم، قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «جعل الله الأهلة مواقيت للناس؛ فصوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته، فإن غمّ عليكم فعُدّوا ثلاثين يوماً، رواه الحاكم وهو صحيح الإسناد ﴿وليس البرُّ بأن تأتوا البيوت من ظهورها﴾ كانوا إذا أحرّموا في الجاهلية أتوا البيت من ظهره فأنزل الله هذه الآية ﴿ولكن البرُّ من اتقى وأتوا البيوت من أبوابها واتقوا الله لعلكم تفلحون﴾ اتقوا الله فافعلوا ما أمركم به واتركوا ما نهاكم عنه؛ لتفعلوا عدداً إذا وقفت بين يديه فيجازيكم على التمام والكمال ١٩٠: هذا أول آية نزلت في القتال بالمدينة فلما نزلت كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يُقاتل من قاتله ويكفّ عمن كفّ عنه، حتى نزلت سورة براءة بقوله تعالى: ﴿فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم﴾ ﴿ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين﴾ من الثلثة والغلول وقتل النساء والصبيان والشيوخ..

الآية: ١٨٨ قال القرطبي: الخطاب بهذه الآية يتضمن جميع أمة محمد ﷺ. والمعنى: لا يأكل بعضهم مال بعض بغير حق. ويدخل في هذا: القمار والحداع والغصب وجحد الحقوق، ومالناظيب به نفس مالكم، أو حرّمته الشريعة وإن طابت به نفس مالكم، كمهر البغي وحلوان الكاهن وأثمان الخمر والخنزير، وغير ذلك. ولا يدخل فيه الغبن في البيع مع معرفة البائع بحقيقة ما باع، لأن الغبن كآته هبة. فمن أخذ مال غيره على غير وجه شرعي فقد أكله بالباطل. وحكم القاضي لا يحل حراماً، روى الأئمة عن أم سلمة قالت: قال رسول الله ﷺ: «إنكم تختصمون إليّ، ولعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض، فأقضي له على نحو مما أسمع، فمن قطعت له من حق أخيه شيئاً فلا يأخذه فإنما أقطع له قطعة من نار، فليحملها أو يذرّها» وهذا يوضح أن حكم القاضي على الظاهر ولا يغيّر حكم الباطن. /القرطبي ج٢/٣٣٨.

وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ نَفَيْتُمُوهُمْ وَأَخْرَجُوهُمْ مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجْتُمْ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا تُقَاتِلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّى يَقْتُلُوكُمْ فِيهِ فَإِن قَتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ كَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ ﴿١٩١﴾ فَإِن أَنهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٩٢﴾ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِن أَنهَوْا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ ﴿١٩٣﴾ الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرْمَتُ قِصَاصٌ فَمَن أَعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاغْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا أَعْتَدَى عَلَيْكُمْ وَأَتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴿١٩٤﴾ وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٩٥﴾ وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ فَإِن أُخْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ وَلَا تَحْلِقُوا رُءُوسَكُمْ حَتَّى يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحَلَّهُ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِّن رَأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ فَإِذَا أَمِنْتُمْ فَمَن تَمَنَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامٌ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةً إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشْرَةٌ كَامِلَةٌ ذَلِكَ لِمَن لَّمْ يَكُنْ أَهْلُهُ حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَأَتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿١٩٦﴾

١٩١: ﴿وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ نَفَيْتُمُوهُمْ وَأَخْرَجُوهُمْ مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجْتُمْ﴾ لتكون هتكم منبعثة على قتالهم، كما أن همتهم منبعثة على قتالكم وعلى إخراجهم من بلادهم التي أخرجوكم منها قِصاصاً ﴿وَلَا تَقَاتِلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّى يَقَاتِلُوكُمْ فِيهِ فَإِن قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ كَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ﴾ لا تقتلوهم عند المسجد الحرام إلا أن يبدووكم فيه؛ فلكم حينئذ قتالهم وقتلهم دفعا للصلوات وقوله: ﴿وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ﴾ الشرك أشد من القتل ١٩٢: ﴿فَإِن أَنهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ فإن تركوا القتال في الحَرَمِ وَأَنابوا إلى الإسلام، فإن الله يغفر ذنوبهم، ولو كانوا قد قتلوا المسلمين في حرم الله؛ فإنه تعالى لا يعظمه ذنب أن يغفره لمن تاب منه إليه ١٩٣: ثم أمر الله تعالى بقتال الكفار: ﴿وَأَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾ شرك، ﴿وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ﴾ يكون دين الله هو الظاهر العالي على سائر الأديان ﴿فَإِن أَنهَوْا﴾ عَمَّا هُمْ فِيهِ مِنَ الشَّرْكِ وَقَاتِلِ الْمُؤْمِنِينَ فَكُفَرُوا عَنْهُمُ ﴿فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ كما قال تعالى: ﴿فَمَن أَعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاغْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا أَعْتَدَى عَلَيْكُمْ﴾ ١٩٤: ﴿الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ﴾ أي: إن استحلوا ذلك فيه فقاتلهم، فأباح الله بالآية مدافعتهم ﴿وَالْحُرْمَاتُ قِصَاصٌ﴾ أي: إن من انتهك حُرْمَتَكَ نلت منه مثل ما اعتدى عليك ﴿فَمَن أَعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاغْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا أَعْتَدَى عَلَيْكُمْ﴾ نزلت

بمكة حيث لا شوكة ولا جهاد، ثم نسخ بآية القتال بالمدينة ﴿وَأَتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾ أمر لهم بطاعة الله وتقواه، وإخبار بأنه تعالى مع الذين اتقوا بالنصر والتأييد في الدنيا والآخرة ١٩٥: التهلكة: ترك الجهاد عن أسلم أبي عمران قال: حمل رجل من المهاجرين بالقسطنطينية على صف العدو حتى خرعه، ومعنا أبو أيوب الأنصاري، فقال ناس: ألقى بيده إلى التهلكة، فقال أبو أيوب: نحن أعلم بهذه الآية، إنما نزلت فينا؛ صحبنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وشهدنا معه المشاهد ونصرناه، فلما فُتِنَا الإسلام قلنا: قد أكرمنا الله بصحبة النبي صلى الله عليه وآله وسلم ونصره حتى فُتِنَا الإسلام وكثر أهله، وقد وضعت الحرب أوزارها فزجج إلى أهلنا وأولادنا فنقيم فيها، فنزل فينا: ﴿وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾ فكانت التهلكة في الإقامة في الأهل والمال وترك الجهاد. رواه أبو داود والترمذي والنسائي ١٩٦: لما ذكر تعالى أحكام الصيام وعطف بذكر الجهاد شرع في بيان المناسك، فأمر بإتمام الحج والعمرة وظاهر السياق إكاملها بعد الشروع فيها ولهذا قال بعده: ﴿فَإِن أُخْصِرْتُمْ﴾ صُدِّدْتُمْ عن الوصول إلى البيت ومُنْعَتُمْ عن إتمامها ﴿فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ﴾ من الإبل والبقر وتكفي لسبعة والمعز والضأن ﴿وَلَا تَحْلِقُوا رُءُوسَكُمْ حَتَّى يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحَلَّهُ﴾ حتى يفرغ الناسك من أفعال الحج والعمرة ﴿فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِّن رَأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ﴾ روى البخاري عن عبد الله بن معقل عن كعب بن عجرة قال: حُمِلْتُ إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم والقملُ تتناثر على وجهي فقال: «ما كنت أرى أن الجهد بلغ بك هذا؟! أما تجد شاة؟» قلت: لا، قال: «صُمُّ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ أَوْ أَطْعَمَ سِتَّةَ مَسَاكِينَ لِكُلِّ مَسْكِينٍ نِصْفَ صَاعٍ مِّن طَعَامٍ، وَاحْلِقْ رَأْسَكَ» ﴿فَإِذَا أَمِنْتُمْ﴾ فإذا تمكنتم من أداء المناسك ﴿فَمَن تَمَنَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ

الهدى ﴿ فليذبح ما قدر عليه من الهدى ﴾ ﴿ فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام في الحج ﴾ قبل يوم عرفة ﴿ وسبعة إذا رجعتكم ﴾ إلى أوطانكم ﴿ ذلك لمن لم يكن أهله حاضري المسجد الحرام ﴾ ليس من أهل مكة ﴿ واتقوا الله ﴾ فيما أمركم ونهاكم ﴿ واعلموا أن الله شديد العقاب ﴾ لمن خالف أمره. ١٩٧: ﴿ الحج أشهر معلومات ﴾ وقت الحج أشهر معلومات روى ابن مردويه أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: ﴿ لا ينبغي لأحد أن يحرم بالحج إلا في أشهر الحج ﴾ وإسناده لا بأس به ﴿ فمن فرض فيهن الحج ﴾ أوجب بإحرامه حجاً ﴿ فلا رقت ﴾ وهو التعريض بذكر الجماع ﴿ ولا فسوق ﴾ وهي المعاصي ﴿ ولا جدال في الحج ﴾ ولا مجادلة في وقت الحج ﴿ وما تفعلوا من خير يعلمه الله ﴾ لما نهاهم عن إتيان القبيح حتّهم على فعل الجميل، وأحبرهم أنه عالم به وسيجزيهم عليه أوفر الجزاء يوم القيامة ﴿ وتزوّدوا ﴾ ما يكف وجوهكم عن الناس ﴿ فإن خير الزاد التقوى ﴾ وهو زاد الآخرة ﴿ واتقون يا أولي الألباب ﴾ يا ذوي العقول والأفهام ١٩٨: كانت أسواق الجاهلية في الموسم فتأمّوا أن يتجروا في الموسم، فنزلت. أي: لا خرّج عليكم في الشراء والبيع قبل الإحرام وبعده ﴿ فإذا أفضم من عرفات فاذكروا الله عند المشعر الحرام ﴾ وهي الصلاتان جميعاً [أي: المغرب والعشاء جمع تأخير في المزدلفة، وسُميت المزدلفة: المشعر الحرام؛ لأنها داخل الحرم ﴿ واذكروه كما هداكم ﴾ تبيين لهم على ما أنعم الله به عليهم من الهداية إلى مشاعر الحج ﴿ وإن كنتم من قبله لمن الضالين ﴾ من قبل هذا الهدى ١٩٩: ﴿ ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس ﴾ عن عائشة قالت: كانت قريش ومن دأبها يقفون بالمزدلفة، وسائر العرب يقفون بعرفات، فلما جاء الإسلام، أمر الله نبيه صلى الله عليه وآله وسلم أن يأتي عرفات ثم يقف بها ثم يفيض منها ﴿ واستغفروا الله إن الله غفور رحيم ﴾ كثيراً ما يأمر الله بذكره بعد قضاء العبادات ولهذا ثبت في الصحيح أن رسول الله ﷺ كان إذا فرغ من الصلاة يستغفر الله ثلاثاً ٢٠٠: ﴿ فإذا قضيتُم مناسككم فاذكروا الله كذكركم آباءكم ﴾ فالهجو بذكر الله بعد قضاء النسك، كما بلّث الصبي بذكر أبيه وأمه. والمقصود منه الحث على كثرة الذكر لله عز وجل ﴿ فمن الناس من يقول ربنا آتينا في الدنيا وما له في الآخرة من خلاق ﴾ من نصيب ولا حظ، وتضمن هذا الذم والتفكير عن التشبه بمن هو كذلك ٢٠١: ﴿ ومنهم من يقول ربنا آتينا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار ﴾ فجمعت هذه الدعوة كل خير في الدنيا وصرفت كل شر؛ فإن كل الحسنه في الدنيا تشمل كل مطلوب دنيوي من عافية ورزق واسع وزوجة حسنة وعلم نافع وعمل صالح إلى غير ذلك. وأما الحسنه في الآخرة فاعلى ذلك دخول الجنة وتوابعه؛ من الأمن من الفرع الأكبر، وتيسير الحساب، وغير ذلك من أمور الآخرة الصالحة. وأما النجاة من النار؛ فهو يقتضي أسبابه في الدنيا من اجتناب المحارم والآثام، وترك الشهوات والحرام [وكان هذا الدعاء أكثر دعاء النبي ﷺ] ٢٠٢: ﴿ أولئك لهم نصيب مما كسبوا ﴾ [وهذا يرجع إلى الفريقين؛ فللمؤمن ثواب عمله ودعائه، للحجاج ثواب الحج، وللداعين ثواب الدعاء] ﴿ والله سريع الحساب ﴾ [لا يحتاج إلى عد ولا إلى عقد وهو سبحانه سريع الجزاء للعباد بأعمالهم].

أَلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَاتَفَعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمَهُ اللَّهُ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ وَاتَّقُونِ يَا أُولِيَ الْأَلْبَابِ ﴿١٩٧﴾ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ فَإِذَا أَفَضْتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَيْتُمْ وَإِنْ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمَنِ الضَّالِّينَ ﴿١٩٨﴾ ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٩٩﴾ فَإِذَا أَقَضْتُمْ مِنْ نَسِكِكُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا فَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلْقٍ ﴿٢٠٠﴾ وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿٢٠١﴾ أُولَئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿٢٠٢﴾

الحرم ﴿ واذكروه كما هداكم ﴾ تبيين لهم على ما أنعم الله به عليهم من الهداية إلى مشاعر الحج ﴿ وإن كنتم من قبله لمن الضالين ﴾ من قبل هذا الهدى ١٩٩: ﴿ ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس ﴾ عن عائشة قالت: كانت قريش ومن دأبها يقفون بالمزدلفة، وسائر العرب يقفون بعرفات، فلما جاء الإسلام، أمر الله نبيه صلى الله عليه وآله وسلم أن يأتي عرفات ثم يقف بها ثم يفيض منها ﴿ واستغفروا الله إن الله غفور رحيم ﴾ كثيراً ما يأمر الله بذكره بعد قضاء العبادات ولهذا ثبت في الصحيح أن رسول الله ﷺ كان إذا فرغ من الصلاة يستغفر الله ثلاثاً ٢٠٠: ﴿ فإذا قضيتُم مناسككم فاذكروا الله كذكركم آباءكم ﴾ فالهجو بذكر الله بعد قضاء النسك، كما بلّث الصبي بذكر أبيه وأمه. والمقصود منه الحث على كثرة الذكر لله عز وجل ﴿ فمن الناس من يقول ربنا آتينا في الدنيا وما له في الآخرة من خلاق ﴾ من نصيب ولا حظ، وتضمن هذا الذم والتفكير عن التشبه بمن هو كذلك ٢٠١: ﴿ ومنهم من يقول ربنا آتينا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار ﴾ فجمعت هذه الدعوة كل خير في الدنيا وصرفت كل شر؛ فإن كل الحسنه في الدنيا تشمل كل مطلوب دنيوي من عافية ورزق واسع وزوجة حسنة وعلم نافع وعمل صالح إلى غير ذلك. وأما الحسنه في الآخرة فاعلى ذلك دخول الجنة وتوابعه؛ من الأمن من الفرع الأكبر، وتيسير الحساب، وغير ذلك من أمور الآخرة الصالحة. وأما النجاة من النار؛ فهو يقتضي أسبابه في الدنيا من اجتناب المحارم والآثام، وترك الشهوات والحرام [وكان هذا الدعاء أكثر دعاء النبي ﷺ] ٢٠٢: ﴿ أولئك لهم نصيب مما كسبوا ﴾ [وهذا يرجع إلى الفريقين؛ فللمؤمن ثواب عمله ودعائه، للحجاج ثواب الحج، وللداعين ثواب الدعاء] ﴿ والله سريع الحساب ﴾ [لا يحتاج إلى عد ولا إلى عقد وهو سبحانه سريع الجزاء للعباد بأعمالهم].

٢٠٣: ﴿وَأذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَعْدُودَاتٍ﴾

الأيام المَعْدُودَات: أيام التشريق، والأيام المَعْلُومَات: أيام العشر يعني التكبير في أيام التشريق بعد الصلوات المكتوبات. روى الإمام أحمد: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «يوم عرفة ويوم النحر وأيام التشريق عيدنا أهل الإسلام، وهي أيام أكل وشرب وذكر الله» ﴿فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ﴾ [أي: في رمي الجمار في مئتي أيام التشريق في اليومين الْأَوْتَيْنِ]، ﴿فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ﴾ فلا حرج عليه، ﴿وَمَنْ تَأَخَّرَ﴾ إلى الثالث ﴿فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ﴾، [فمعنى الآية: أن كل ذلك مُباح] ولما ذكر الله تعالى التَّغْرَ الْأَوَّلَ والثَّانِي، وهو تَفَرُّقُ النَّاسِ من موسم الحج إلى سائر الأقاليم والأفاق؛ قال: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَعَلِمُوا أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ ٢٠٤: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ نزلت في الأحنس بن شريق، أظهر الإسلام وفي باطنه خلاف ذلك، وفي نفر من المنافقين. ثم هي عامٌّ في المنافقين كلهم، وفي المؤمنين كلهم ﴿وَيُشْهِدُ اللَّهُ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ﴾ أن هذا وإن أظهر لكم الحيل لكن الله يعلم من قلبه الصَّيْحَ، ﴿وَهُوَ اللَّهُ الْخَصَامُ﴾ يبارزُ الله بما في قلبه من الكفر والنفاق ٢٠٥: ﴿وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى﴾ هذا أعوجُ المقالِ سِئَةِ الْفِعَالِ ﴿سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا﴾ فهذا المنافق ليس له هِمَّةٌ إلا الفساد في الأرض، وإهلاك الحرث من الزروع والثمار والنسل وهو نتاج الحيوانات. قال مجاهد: إذا سعى في الأرض فساداً منع الله القطرَ فهلك الحرث والنسل، ﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ﴾ لا يحب من هذه صفة ٢٠٦: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ﴾ إذا وَعِظَ هَذَا الْفَاجِرَ فِي مَقَالِهِ وَفِعَالِهِ ﴿أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ﴾ أوى وامتنع وأخذته الحمية والغضب بالإثم، بسبب ما اشتمل عليه من الآثام ﴿فَحَسْبُ جَهَنَّمَ﴾ هي كافيته عقوبة ﴿وَلَيْسَ الْمُهَادُّ﴾ لما أخبر تعالى عن المنافقين بصفات المؤمنين الحميدة فقال: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ﴾ نزلت في صهيب لما أراد الهجرة إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم قالت قريش: يا صهيب قدمت إلينا ولا مال لك وتخرج وأنت ومالك؟! والله لا يكون ذلك أبداً، فقلت لهم: رأيتم إن دفعتم إليكم مالي تحلون عتي؟ قالوا: نعم، فدفعتم إليهم مالي، فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال: «رِجْ صَهَيْبِ رِجْ صَهَيْبِ!» ثم هي في كلِّ مُجَاهِدٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ٢٠٨: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ﴾ الإسلام، خذوا بجميع غرَى الإسلام وشرائعه ﴿كَافَّةً﴾ جميعاً ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ﴾ اجتنبوا ما يأمركم به الشيطان فإنما يأمركم بالسوء والفسخاء ﴿إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ إنه أعش عباد الله لعبيد الله الشيطان ٢٠٩: ﴿فَإِنْ زَلَلْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْكُمْ الْبَيِّنَاتُ فَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ في انتقامه، لا يفوته هارِبٌ وَلَا يَغْلِبُهُ غَالِبٌ ﴿حَكِيمٌ﴾ في أحكامه وتفضيه وإبرامه، عزيز في نعمته، حكيم في أمره ٢١٠: يقول تعالى مهتداً للكافرين: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾

﴿وَأذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَعْدُودَاتٍ فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَنْ تَأَخَّرَ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ لِمَنِ اتَّقَى وَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ ٢٠٣ ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللَّهَ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ﴾ ٢٠٤ ﴿وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ﴾ ٢٠٥ ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ فَحَسْبُ جَهَنَّمَ وَلَيْسَ الْمُهَادُّ﴾ ٢٠٦ ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾ ٢٠٧ ﴿يَتَّبِعُهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ ٢٠٨ ﴿فَإِنْ زَلَلْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْكُمْ الْبَيِّنَاتُ فَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ ٢٠٩ ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾ ٢١٠

٢١١: يقول تعالى مخبراً عن بني إسرائيل كم شاهدوا مع موسى ﴿مِنْ آيَةٍ﴾ حُجَّةٍ ﴿بَيِّنَةٍ﴾ قاطعة بصدقه ﴿وَمَنْ يُدَلَّ نِعْمَةَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ ومع هذا أعرض كثير منهم عنها وبدلوا الإيمان بالكفر والإعراض عنها، كما قال تعالى عن كفار قريش: ﴿لَمْ تَزِلْ إِلَى الَّذِينَ بَدَلُوا نِعْمَةَ اللَّهِ كَفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ﴾ ١١٢: ثم أخرج تعالى عن تزيينه الحياة الدنيا للكافرين فقال: ﴿زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ فرضوا بها واطمأنوا إليها ﴿وَيَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ الذين أعرضوا عنها وأنفقوا منها في طاعة ربهم، ﴿وَالَّذِينَ اتَّقَوْا فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ فلهمنا فازوا بالمقام الأسعد والحظ الأوفر، فاستقروا في الدرجات في أعلى عليين، وحلَّد أولئك في الدرجات في أسفل السافلين، ولهذا قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ في الدنيا والآخرة ٢١٣: ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ بين آدم ونوح على شريعة من الحق؛ فاختلَفوا ﴿فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِي مَا اخْتَلَفُوا فِيهِ﴾ من بعد ما قامت الحجج عليهم، وما حملهم على ذلك إلا البغي ﴿بِغْيَا بَيْنَهُمْ﴾ من بعضهم على بعض ﴿فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ﴾ قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم «نَحْنُ الْآخِرُونَ، الْأَوَّلُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؛ نَحْنُ أَوَّلُ النَّاسِ دُخُولًا الْجَنَّةَ، يَبْدَأُ بِهِمْ أَوْلَاؤُا الْكِتَابِ مِنْ قَبْلِنَا وَأَوْلِيَانَاهُ مِنْ بَعْدِهِمْ؛ فَهَدَانَا اللَّهُ لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ»، الحديث، رواه عبد الرزاق ﴿وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ من خلقه ﴿إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ وله الحكمة والحجة البالغة ٢١٤: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخَلُوا الْجَنَّةَ﴾ قبل أن تبطلوا وتختبروا كما فعل بالذين من قبلكم من الأمم، ولهذا قال: ﴿وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسْتَهْمِ الْبِاسَاءِ وَالضَّرَاءِ﴾ وهي المصائب والنواب من الأمراض والأسقام والفقير ﴿وَزُلْزَلُوا﴾ خوفاً من الأعداء زلزلاً شديداً ﴿حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصُرَ اللَّهُ؟﴾ وما جاء في الصحيح عن خباب بن الارت قال: قلنا يا رسول الله ألا تستنصر لنا؟ ألا تدعو الله لنا؟! فقال: وإن من كان قبلكم كان أحدهم يوضع المنشار على مفرق رأسه فيخلص إلى قدميه، لا يصرفه ذلك عن دينه، ويمشط بأمشاط الحديد ما بين لحمه وعظمه لا يصرفه ذلك عن دينه ٢١٥: ﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ﴾ هذه الآية في نفقة التطوع. ونسختها الزكاة. ومعنى الآية: يسألونك كيف ينفقون ﴿قُلْ مَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ فَلِللَّهِ وَاللَّذِينَ الْأَقْرَبِينَ وَاللْيَتَامَى وَاللْمَسْكِينِ﴾ أصرقوها في هذه الوجوه كما جاء في الحديث: «أَمَلْتُ وَأَبَاكَ أَحْتَكُ وَأَخَاكَ ثُمَّ أَذْنَاكَ فَأَذْنَاكَ» ﴿وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾ وسيجزىكم على ذلك أوفر الجزاء.

سَلَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ لِكَمْ آتَيْنَهُمْ مِنْ آيَةٍ بَيِّنَةٍ وَمَنْ يُدَلَّ نِعْمَةَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٢١١﴾ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ اتَّقَوْا فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٢١٢﴾ كَانَتِ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِي مَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٢١٣﴾ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخَلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسْتَهْمِ الْبِاسَاءِ وَالضَّرَاءِ وَزُلْزَلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصُرَ اللَّهُ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ ﴿٢١٤﴾ يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلْ مَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ فَلِللَّهِ وَالَّذِينَ الْأَقْرَبِينَ وَاللْيَتَامَى وَاللْمَسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ﴿٢١٥﴾

الآية: ٢١٤ وفي صحيح البخاري، قال رسول الله ﷺ: «كان الرجلُ فيمن كان قبلكم يُحفرُ له في الأرض، فيجعلُ فيه، فيجاء بالبخار فيوضع على رأسه فيشقُ بالنتن، وما يصدُّه ذلك عن دينه، ويمشطُ بأمشاط الحديد ما دون لحمه من عظم، وغضب، وما يصدُّه ذلك عن دينه!!/فتح الباري ج٦/٦١٩/.

كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهُ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٦﴾ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدُّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَكَفْرٍ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجِ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا يَزَالُونَ يَقْتُلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنْ أَسْتَطَعُوا وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنِ دِينِهِ فِيمَتٍ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٦٧﴾ إِنْ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٦٨﴾ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنْفَعٌ لِلنَّاسِ وَإِنَّهُمَا آكَبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿٦٩﴾

٢١٦: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهُ لَكُمْ﴾ هذا إيجابٌ من الله تعالى للجهاد على المسلمين أن يكفوا شرَّ الأعداء عن حوزة الإسلام وفي الصحيح: «من مات ولم يغز ولم يُضِرَّ ولم يُحَدِّثْ نَفْسَهُ بِالغَزْوِ مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً» ﴿وهو كُرْهُ لَكُمْ﴾ شديد عليكم؛ فإنه إما يُقتل أو يُجرح ﴿وعسى أن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ﴾ لأن القتال يعقبه النصر والظفرُّ على الأعداء ﴿وعسى أن تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ﴾ وهذا عام في الأمور كلها، ومنها التعود عن القتال قد يعقبه استيلاء العدو على البلاد ﴿والله يعلم﴾ عواقب الأمور ﴿وأنتم لا تعلمون﴾ ما فيه صلاحكم؛ فاستجيبوا له وانقادوا لأمره ٢١٧: بعث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سريةً إلى بطن نخلة فإذا هم بالحكم بن كيسان وعثمان بن عبد الله بن المغيرة، وقتل عمرو، فلما رجعا إلى المدينة بأسيرين وما أصابوا من مال، أراد أهل مكة أن يُفادوا الأسيرين، وقالوا: إن محمداً يزعم أنه يتبع طاعة الله، وهو أول من استحلَّ الشهر الحرام، وقتل صاحبنا في رجب، فقال المسلمون: إنما قتلناه في جمادى، وقيل في أول ليلة من رجب، وأنزل الله يعبر أهل مكة: ﴿يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه؟﴾ ﴿قل قتال فيه كبير﴾ لا يحل، وما صنعتُم أنتم يا معشر المشركين أكبر من القتل في الشهر الحرام، حين كفرتم بالله وصددتم عن محمد صلى الله عليه وآله وسلم، وإخراج أهل المسجد الحرام منه ﴿أكبر عند الله﴾ من قتل

من قتلتم منهم ﴿والفتنة أكبر من القتل﴾ كانوا يفتنون المسلم عن دينه حتى يردوه إلى الكفر بعد إيمانه؛ فذلك أكبر عند الله ﴿ولا يزالون يُقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم إن استطاعوا ومن يرددكم عن دينكم﴾ يرجع عن الإسلام إلى الكفر، ﴿فأولئك حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون﴾، [فالآية تهديد للمسلمين ليثبتوا على دين الإسلام] ٢١٨: [لما قتل واقد بن عبد الله التميمي عمرو بن الحضرمي في الشهر الحرام، عتف المسلمون عبد الله بن حنظل وأصحابه حتى شق عليهم، فلتافهم الله عز وجل بهذه الآية، وفرج عنهم، وأخبرهم أن لهم ثواب من هاجر وغزا. وقد مدحهم لأنه لا يعلم أحدٌ في هذه الدنيا أنه صائر إلى الجنة ولو بلغ في طاعة الله كل مبلغ. وهذه الآية باقية في كل من فعل ما ذكره الله عز وجل] ٢١٩: عن عمر أنه قال، لما نزل تحريم الخمر: اللهم بين لنا في الخمر بيانا شافيا فنزلت هذه الآية ﴿يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما إثمٌ كبيرٌ قد فحشنا عليه، ﴿ومنافع للناس﴾ أما إثمها فهو في الدين، ومنافعها: فبيع الخمر والانتفاع بثمنها، والميسر فما كان يقيمته بعضهم منه، وهذه المصالح لا توازي مضرتهما الراجحة لتعلقها بالعقل والدين، ولهذا قال تعالى: ﴿وإثمها أكبر من نفعها﴾ ولهذا كانت هذه الآية مهيأةً لتحريم الخمر على البنات، ولم تكن مصرحةً بل معرضةً، حتى نزل التصريح بتحريمها في سورة المائدة ﴿ويسألونك ماذا ينفقون قل العفو﴾ ما فضل عن أهلك، ﴿لعلكم تتفكرون﴾ في أحكامه ووعده ووعيدِهِ.

الآية: ٢١٦ إن الجهاد على كل أمة محمد ﷺ فرض كفاية، فإذا قام به من قام من المسلمين سقط عن الباقي، إلا أن ينزل العدو ساحة الإسلام، فهو حيثلذ فرض عين. ومن كره الجهاد ابتلي بالذل والهوان، كما جرى في بلاد الأندلس؛ تركوا الجهاد وجنّبوا عن القتال وأكثروا من الفرار، فاستولى العدو على البلاد، وأبى بلاد؟! وأمر وقتل وسبى واسترق، وأقام حاكم الفتيش التي تشهد على هجبة الإسنان ووحشيتهم وإجرامهم. /انظر القرطبي ج ٣/ ٣٩.

٢٢٠: ﴿في الدنيا والآخرة﴾ لتعلموا فضل الآخرة على الدنيا، فأثروا الآخرة على الأولى ﴿ويسألونك عن اليتامى قل إصلاح لهم خير﴾ لما نزلت: ﴿ولا تقرّبوا مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن﴾، وإن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً إنما يأكلون في بطونهم ناراً وسيصلون سعيراً ﴿انطلق كل من كان عنده يتيم فعزل طعامه من طعامه، فجعل يفضل له الشيء فيحس له فيفسد، فاشتد ذلك عليهم، فذكروا ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فأنزل الله: ﴿ويسألونك عن اليتامى﴾، وإن تخالطوهم﴾ بطعامهم فلا بأس عليكم ﴿فإخوانكم﴾ في الدين ﴿والله يعلم المفسد من المصلح﴾ يعلم من قصده ونيته الإفساد أو الإصلاح ﴿ولو شاء الله لأعنتكم﴾ لضيق عليكم وأخرجكم، ولكنه وسع عليكم وحفف عنكم، وأباح لكم مخالطتهم بالتي هي أحسن، وجوز للفقير الأكل منه بالمعروف ﴿إن الله عزيز حكيم﴾

٢٢١: ﴿ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن﴾ هذا تحريم من الله عز وجل على المؤمنين أن يتزوجوا المشركات من عبدة الأوثان. واستثنى الله من ذلك نساء أهل الكتاب بقوله: ﴿والْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ الآية وكانوا يريدون أن ينكحوا إلى المشركين وينكحوهم رغبة في أحسابهم فأنزل الله ﴿ولأمة مؤمنة خير من مشركة ولو أعجبتكم، ولا تنكحوا المشركين حتى يؤمنوا ولعبد مؤمن خير من مشرك ولو أعجبتكم﴾

فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الِيتَامَى قُلْ إِصْلَاحٌ لَهُمْ خَيْرٌ وَإِنْ تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمَصْلِحِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ إِنْ اللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٢٠﴾

وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَةَ حَتَّىٰ يُوْمِنَ وَلَا أُمَّةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّنْ مُّشْرِكَةٍ وَلَا وَعَجَبْتُمْ وَأَلَّا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُوْمِنُوا وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّنْ مُّشْرِكٍ وَلَا وَعَجَبْتُمْ أَوْلِيَّتِكُمْ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ وَيُبَيِّنُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٢١﴾ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذَىٰ فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ ﴿٢٢٢﴾

نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأَتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ وَقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ مُّلَقَوهُ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٢٣﴾ وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ أَنْ تَبَرُّوا وَتَتَّقُوا وَتُصَلِّحُوا بَيْنَ النَّاسِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٢٤﴾

أعجبكم﴾ لا تزوجوا الرجال المشركين النساء المؤمنات ﴿ولعبد مؤمن﴾ ولو كان عبداً حبشياً ﴿خير من مشرك﴾ وإن كان رئيساً سرياً؛ ﴿أولئك يدعون إلى النار﴾ معاشرتهم ومخالطتهم تبعث على حب الدنيا واقتنائها وإيثارها على الدار الآخرة، وعاقبة ذلك وخيمة. ﴿والله يدعو إلى الجنة والمغفرة بإذنه﴾ بشره وما أمر به ونهى عنه، ﴿ويبين آياته للناس لعلهم يتذكرون﴾ ٢٢٢: كانت اليهود إذا حاضت المرأة منهم لم يؤاكلوها ولم يجامعوا في البيوت، فسأل أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم النبي صلى الله عليه وآله وسلم فأنزل الله عز وجل: ﴿ويسألونك عن المحيض قل هو أذى فاعتزلوا النساء في المحيض ولا تقربوهن حتى يطهرن﴾ حتى فرغ من الآية، فقال رسول الله ﷺ «اصنعوا كل شيء إلا النكاح»، ولهذا ذهب كثير من العلماء أو أكثرهم إلى أنه يجوز مباشرة الحائض فيما عدا الفرج ﴿فاذا تطهرن فاتوهن من حيث أمركم الله﴾ فيه ندب وإرشاد إلى غشيانها بعد الاعتسال، في الفرج ولا تعدوه إلى غيره، وفيه دلالة على تحريم الوطء في الدبر ﴿إن الله يحب التوابين﴾ من الذنب وإن تكرر غشيانها ﴿ويحب المتطهرين﴾ عن الأقدار والأذى؛ وهو ما نهوا عنه ٢٢٣: ﴿نساؤكم حرث لكم﴾ الحرث: موضع الولد ﴿فاتوا حرثكم أنى شئتم﴾ كيف شئتم مقلبة ومُدبرة في صمام واحد، كما ثبتت بذلك الأحاديث ﴿وقدموا لأنفسكم﴾ من فعل الطاعات مع ترك الحرمات ﴿واتقوا الله واعلموا أنكم ملقوه﴾ فيحاسبكم على أعمالكم ﴿وبشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ ٢٢٤: ﴿ولا تجعلوا الله عرضة لأيمانكم أن تبرؤوا﴾ لا تجعلوا أيمانكم بالله مانعة لكم من البرِّ وصلة الرحم إذا حلفت على تركها، ﴿وتتقوا وتصلحوا بين الناس﴾ قال رسول الله ﷺ: «من حلف على يمين فرأى غيرها خيراً منها، فليكفر عن يمينه، وليفعل الذي هو خير» ﴿والله سميعٌ عليم﴾.

لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا كَسَبْتُمْ قُلُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿٢٢٥﴾ لِلَّذِينَ يُؤَلُّونَ مِنْ نِسَائِهِمْ تَرَبُّصٌ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ فَإِنْ فَاءُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٢٢٦﴾ وَإِنْ عَزَمُوا الطَّلَاقَ فَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٢٧﴾ وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَنْ يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ إِنْ كُنَّ يُؤْمِنَنَّ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَبِعَوْلِهِنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَلِكَ إِنْ أَرَادُوا إِصْلَاحًا وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلِيَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٢٨﴾ الطَّلَاقُ مَرَّتَانٍ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَأْخُذُوا مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا إِلَّا أَنْ يَخَافَا أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٢٢٩﴾ فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدِ حَتَّى تَنْكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يَتَرَاجَعَا إِنْ ظَنَّا أَنْ يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٢٣٠﴾

٢٢٥: ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ﴾ لا يُعاقبكم ولا يُلزمكم بما صدر منكم من الأيمان يتدارؤون في الأمر، لا تعتد عليه قلوبهم. وعن عائشة قالت: (اللغو في اليمين هو كلام الرجل في بيته: كلا والله، وبلى والله) فذلك لا كفارة فيه ﴿ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم﴾ فإما عقد عليه قلبه أن يفعله ثم لا يفعله، وهي كقوله تعالى: ﴿ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الأيمان﴾ الآية، ﴿والله غفورٌ حلِيمٌ﴾ غفورٌ لعباده [التائبين] حلِيمٌ عليهم ٢٢٦: ﴿لِلَّذِينَ يُؤَلُّونَ مِنْ نِسَائِهِمْ﴾ يخلفون على ترك الجماع من نِسَائِهِمْ ﴿تَرَبُّصٌ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ﴾ يُنظر الزوج أربعة أشهر من حين الخلف، ثم يُوقف ويُطالب بالفدية [أي: الرجوع إلى جماع الزوجة] أو الطلاق ولهذا قال: ﴿فإن فرأوا﴾ رجعوا إلى ما كانوا عليه، وهو كناية عن الجماع؛ ﴿فإن الله غفورٌ رحيمٌ﴾ لما سَلَفَ من التقصير في حقهن بسبب اليمين ٢٢٧: ﴿وإن عزموا الطلاق﴾ فيه دلالة على أن الطلاق لا يقع بمجرد مضي الأربعة أشهر، فإن فاء وإلا طلق ﴿فإن الله سميعٌ علِيمٌ﴾ ٢٢٨: ﴿والمطلقات يتربصن بأنفسهن ثلاثة قُرُوءٍ﴾ هذا أمرٌ من الله سبحانه للمطلقات المدخول بهن من ذوات الأقراء بأن يتربصن بأنفسهن ثلاثة قُرُوءٍ، بأن تمكث إحداهن بعد طلاق زوجها لها ثلاثة قُرُوءٍ ثم تتزوج إن شاءت ﴿ولا يحلُّ لهنَّ أن يكتمن ما خلق الله في أرحامهن﴾ من حبل أو حيض ﴿إن كنَّ يُؤْمِنَنَّ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ

الآخر﴾ تهديدٌ لهنَّ على [إرادتهن] خلاف الحق ﴿وبِعَوْلتهنَّ أحقُّ بردهن﴾ ما دامت في عدتها، فروجها أحقُّ بردها ﴿إن أرادوا إصلاحاً﴾ [في معاشرتها] ﴿ولهنَّ مثلُ الذي عليهنَّ بالمعروف﴾ ولهنَّ على الرجال من الحق مثل ما للرجال عليهن؛ فليؤدَّ كلُّ واحدٍ منهما إلى الآخر ما يجب عليه بالمعروف ﴿وللرجال عليهنَّ درجةٌ﴾ في الفضيلة والمنزلة وطاعة الأمر والإنفاق ﴿والله عزيزٌ﴾ في انتقامه ممن عصاه، ﴿حكيمٌ﴾ في أمره وشرعه وقدره ٢٢٩: هذه الآية الكريمة رافعة لما كان عليه الأمر في ابتداء الإسلام من أن الرجل أحقُّ برجعة امرأته وإن طلقها مائة مرة ما دامت في العدة؛ فلما كان هذا فيه ضرر على الزوجات قصرهم الله إلى ثلاث طلاقات وأباح الرجعة في الثنتين، وأبناها بالكفاية في الثالثة ﴿حتى تنكح زوجاً غيره﴾ ﴿فإمساكٌ بمعروف﴾ بأن تردها نواياً بالإحسان إليها ﴿أو تسريحٌ بإحسان﴾ بأن تركها حتى تنقضي عدتها لا تنظلمها من حقها شيئاً ولا تضارَّ بها ﴿ولا يحلُّ لكم أن تأخذوا مما آتيتموهنَّ شيئاً﴾ بأن تضاجروهن وتضيّقوا عليهن ليفتدين منكم ببعض الصداق، ﴿إلا أن يخافا ألا يقيما حدود الله فإن خفتُم ألا يقيما حدود الله فلا جناح عليهما فيما اتفدتا به﴾ فلم يُشرع الخلع إلا في هذه الحالة ﴿تلك حدود الله فلا تعتدوها﴾ هذه الشرائع التي شرعها لكم هي حدود الله فلا تتجاوزوها ﴿ومن يتعدَّ حدود الله فأولئك هم الظالمون﴾ ٢٣٠: ﴿فإن طلقها﴾ طلقةً ثالثة ﴿فلا تحلُّ له من بعدُ حتى تنكح زوجاً غيره﴾ في زواج صحيح يذوق فيه عسائتها ﴿فإن طلقها﴾ الزوج الثاني بعد الدخول بها ﴿فلا جناح عليهما أن يتراجعا﴾ المرأة والزوج الأول ﴿إن ظنا أن يقيما حدود الله﴾ يتعاشرا بالمعروف ﴿تلك حدود الله﴾ شرائعه وأحكامه ﴿بيئتها﴾ ويوضحها ﴿لقومٍ يعلمون﴾.

٢٣١: هذا أمرٌ من الله عز وجل للرجال إذا طلق أحدُهم المرأة طلاقاً له عليها فيه رجعة أن يُحسن في أمرها إذا انقضت عدتها ولم يبق منها إلا مقدار ما يمكنه فيه رجعتها؛ فإما أن يسكها، أي: يرجعها إلى عصمة نكاحه بمعروف، ويُشهد على رجعتها، أو يسرَّحها، أي: يتركها حتى تنقضي عدتها بالتي هي أحسن من غير خصامة، ﴿ولا تمسكوهن ضراراً لئلا تزلوا﴾، كان الرجل يُطلق المرأة فإذا قاربت انقضاء العدة راجعها ضراراً لئلا تذهب إلى غيره؛ فهاهم الله عن ذلك وتوعدهم عليه فقال: ﴿ومن يفعل ذلك فقد ظلم نفسه﴾ بمخالفته أمر الله تعالى ﴿ولا تتخذوا آيات الله هُزواً﴾ هو الرجل يُطلق ويقول: كنت لاعباً. قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «ثلاث من قائلن لاعباً أو غير لاعبٍ فهن جازرات عليه: الطلاق والعتاق والنكاح» رواه أبو داود والترمذي بنحوه وقال: حسن ﴿واذكروا نعمة الله عليكم﴾ في إرساله الرسول بالهدى والبيات إليكم ﴿وما أنزل عليكم من الكتاب والحكمة﴾ السنة ﴿يعظكم به﴾ بتوعدكم على ارتكاب المحرم ﴿واتقوا الله﴾ فيما تأتون وفيما تدرن ﴿واعلموا أن الله بكل شيء عليم﴾ فلا يخفى عليه شيء ٢٣٢: نزلت هذه الآية في الرجل يُطلق امرأته طلاقاً أو طلقين فتنقضي عدتها ثم يبدو له أن يتزوجها ويُراجعها وتريد المرأة ذلك فيمنعها أولياؤها من ذلك، فهى الله أن يمنعوها ﴿فلا

وَإِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ فَلَعْنٌ أَجْلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَاراً لِيَعْتَدُوا وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ وَلَا تَتَّخِذُوا آيَاتِ اللَّهِ هُزْواً وَادْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ يَعِظُكُمْ بِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٣١﴾ وَإِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ فَلَعْنٌ أَجْلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَنْ يَنْكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ إِذَا تَرَاضُوا بَيْنَهُمْ بِالْمَعْرُوفِ ذَلِكَ يُوعِظُ بِهِ مَنْ كَانَ مِنْكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ لَكُمْ أَرْزَاقٌ لَكُمْ وَأَطْهَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢٣٢﴾ وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا لَا تُضَارَّ وَالِدَةٌ بَوْلِدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَهُ بِوَالِدِهِ وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَلِكَ فَإِنْ أَرَادَا فِصَالاً عَنْ تَرَاضٍ مِنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا وَإِنْ أَرَدْتُمْ أَنْ تَسْتَرْضِعُوا أَوْلَادَكُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُمْ مَا آتَيْتُم بِالْمَعْرُوفِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٣٣﴾

تَعْضُلُوهُنَّ﴾ [أي: فلا تحبسوهن والعضل: التضييق والمنع] أن ينكحن أزواجهن إذا تراضوا بينهم بالمعروف ذلك يُوعِظُ بِهِ مَنْ كَانَ مِنْكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ هذا الذي نهيناكم عنه يتعظ به من يؤمن بالله ويخاف وعيده في الآخرة ﴿ذَلِكَ لَكُمْ أَرْزَاقٌ لَكُمْ وَأَطْهَرُ﴾ في ردهن إلى الرضاة، وهي ستتان، فلا اعتبار بالرضاة بعد ذلك ولهذا قال: ﴿لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ﴾، ﴿وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ وعلى والد الطفل نفقة الولادات، بما جرت به عادة أمثلهن بحسب قدرته ﴿وَلَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا﴾، ﴿وَلَا تُضَارُّ وَالِدَةٌ بَوْلِدِهَا﴾ بأن تدفعه عنها لتضر أباه ﴿وَلَا مَوْلُودٌ لَهُ بَوْلِدِهِ﴾ بأن يتزع الولد منها إضراراً بها ﴿وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَلِكَ﴾ في عدم الضرر لقربيه، وعليه مثل ما على والد الطفل من الإنفاق ﴿فَإِنْ أَرَادَا﴾ والدا الطفل ﴿فِصَالاً عَنْ تَرَاضٍ مِنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ﴾ على فطامه قبل الحولين ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا﴾ وهذا فيه احتياط للطفل والزام للنظر في أمره ﴿وَإِنْ أَرَدْتُمْ أَنْ تَسْتَرْضِعُوا أَوْلَادَكُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُمْ مَا آتَيْتُم بِالْمَعْرُوفِ﴾ إذا استرضع لولده غيرها بالأجرة، وسلمها أجزتها الماضية، فلا جناح عليهما ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ في جميع أحوالكم ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ فلا يخفى عليه شيء من أحوالكم وأقوالكم.

الآية: ٢٣٠: قال رسول الله ﷺ: «أبغض الحلال إلى الله الطلاق» حديث صحيح رواه أبو داود وابن ماجه والحاكم. /الجامع الصغير ج١/١١١/٣٠.

الآية: ٢٣١: قال ابن عباس: طلق رجل امرأته وهو يلعب، لا يريد الطلاق، فأنزل الله ﴿ولا تتخذوا آيات الله هُزواً﴾ فأنزله رسول الله ﷺ الطلاق. /تفسير ابن كثير

وَالَّذِينَ يَتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ
أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ
فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ
﴿٣٦٤﴾ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُم بِهِ مِنْ خِطْبَةِ النِّسَاءِ
أَوْ أَكْنَنْتُمْ فِي أَنْفُسِكُمْ عِلْمَ اللَّهِ أَنْتُمْ سَتَذَكُرُونَهُنَّ
وَلَكِنْ لَا تَوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا إِلَّا أَنْ تَقُولُوا قَوْلًا مَعْرُوفًا
وَلَا تَعْرِضُوا عَقْدَةَ النِّكَاحِ حَتَّى يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ
وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ وَأَعْلَمُوا
أَنَّ اللَّهَ عَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿٣٦٥﴾ لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ
مَا لَمْ تَمْسُوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً وَمَتَّعُوهُنَّ عَلَى الْمَوْسِعِ
قَدْرَهُ وَعَلَى الْمَقْتَرِ قَدْرَهُ مَتَاعًا بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُحْسِنِينَ
﴿٣٦٦﴾ وَإِنْ طَلَقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ
لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنَصِفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّا أَنْ يَعْفُوا أَوْ يَعْفُوا
الَّذِي بِيَدِهِ عَقْدَةُ النِّكَاحِ وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى
وَلَا تَنْسُوا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٣٦٧﴾

٢٣٤: هذا أمرٌ من الله للنساء اللاتي يتوفى
عنه أزواجهن أن يعتدن أربعة أشهر وعشرة
ليالٍ، وهذا الحكم يشمل الزوجات المدخول
بهن بالإجماع ﴿فإذا بلغن أجلهن﴾ انقضت
عدتهن ﴿فلا جناح عليكم﴾ على أوليائها
﴿فما فعلن في أنفسهن بالمعروف﴾ النكاح
الحلال الطيب ﴿والله بما تعملون خبير﴾،
[وفي هذه الآية دليلٌ على أن للأولياء منعهن
من النرج والتشوف للزوج زمان العدة]
٢٣٥: ﴿ولا جناح عليكم فيما عرضتم به
من خطبة النساء﴾ في عدتهن من وفاة
أزواجهن من غير تصريح. والتعريض: أن
يقول: إني أريد التزوج، يعرض لها بالقول
بالمعروف، ﴿أو أكنتم في أنفسكم﴾ أضمرتم
في أنفسكم من خطبتهن ﴿علم الله أنكم
ستذكرونهن﴾ في أنفسكم فرغ عنكم الحرج
في ذلك، ﴿ولكن لا تواعدوهن سرا﴾
لا تقل لها: إني عاشق وعاهديني أن
لا تزوجي غيري، ونحو هذا ﴿إلا أن تقولوا
قولا معروفا﴾ من التعريض ﴿ولا تعزموا
عقدة النكاح حتى يبلغ الكتاب أجله﴾ ولا
تعقدوا العدة بالنكاح حتى تنقضي العدة
﴿واعلموا أن الله يعلم ما في أنفسكم
فاحذروه﴾ توعدهم على ما يقع في ضائرهم
من أمور النساء من الشر، ثم لم يؤيسهم من
رحمته فقال: ﴿واعلموا أن الله عفورٌ حلیم﴾
[أي: لمن تاب من ذنوبه] ٢٣٦: ﴿لا جناح
عليكم إذا طلقتم النساء ما لم تمسوهن﴾
أباح الله تعالى طلاق المرأة بعد العقد عليها

وقبل الدخول بها ﴿ما لم تمسوهن أو تفرضا لها فريضة ومتعوهن على الموسع قدره﴾ والفرض لها إن كانت مفوضة [أي: لم يسم لها مهر]،
فأمر الله تعالى بإمتاعها، وهو تعويضها بشيء عطاها من زوجها بحسب حاله ﴿وعلى المقتير قدره متاعا بالمعروف حقا على المحسنين﴾ ٢٣٧:
وهذه الآية الكريمة مما يدل على اختصاص المتعة بما دلث عليه الآية الأولى حيث إنما أوجب في هذه الآية نصف المهر المفروض إذا طلق قبل
الدخول. فمتى سمي لها صداقا ثم فارقها قبل الدخول بها فإنه يجب لها نصف ما سمي من الصداق، ﴿إلا أن يعفوا﴾ النساء عما وجب لها على
زوجها، فدفع حقاها ﴿أو يعفو الذي بيده عقدة النكاح﴾ وهو الولي [لأن الأمر فيه إليه؛ الأب في ابنته البكر]، ﴿وأن تعفوا أقرب للتقوى﴾
حُوطب به الرجال والنساء ﴿ولا تنسوا الفضل بينكم﴾ الإحسان ﴿إن الله بما تعملون بصير﴾ لا يخفى عليه شيء من أموركم.

الآية: ٢٣٣ روى الإمام مالك أن رسول الله ﷺ قال: «لا يحرم من الرضاع إلا ما كان في الحولين» وفي رواية: «وما كان بعد الحولين فليس بشيء». وروى الطيالسي: أن رسول الله ﷺ قال: «لا رضاع بعد فصال». والفصال عند الإمام مالك القطام. / تفسير ابن كثير ج ١/ ٢٨٣/٤.
الآية: ٢٣٥ بأن يقول لولتها: لا تنسني بها؛ يعني: لا تزوجها حتى تعلمني. والتعريض يجوز للمتوفى عنها زوجها من غير تصريح لها بالخطبة، وهكذا حكم المطلقة البتونة ثلاثاً يجوز التعريض، دون الرجعية والبيونة الصغرى.

٢٣٨: يأمر الله تعالى بالمحافظة على الصلوات في أوقاتها وحفظ حدودها، كما في الصحيحين عن ابن مسعود قال: سألت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أي العمل أفضل؟ قال: «الصلاة في وقتها» الحديث «وَالصَّلَاةُ الْوُسْطَى» قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يوم الأحزاب: «شغلونا عن الصلاة الوسطى صلاة العصر»، رواه مسلم ﴿وَقَوْمُوا لِلَّهِ قَاتِنِينَ﴾ خاشعين ذليلين بين يديه سبحانه ٢٣٩: ﴿فَإِذَا أَنْتُمْ فَادْكُرُوا اللَّهَ﴾ أقيموا صلاتكم كما أمرتم، فأتوا ركوعها وسجودها وقيامها وخشوعها ﴿كَمَا عَلَّمَكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ﴾ مثل ما أنعم عليكم وهداكم للإيمان وعلمكم ما ينفعكم في الدنيا والآخرة مقابلوه بالشكر والذكر ٢٤٠: هذه الآية منسوخة بالتي قبلها، وهي قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا﴾ ووصية لأزواجهم متاعاً إلى الحول غير إخراج؛ كان للمتوفى عنها زوجها نفقتها وسكنائها في الدار سنة، فنسخها آية الموارث، فجعل لها الثمن أو الربع مما ترك الزوج ﴿فَإِنْ خَرَجْنَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ مِنْ مَّعْرُوفٍ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ وللمطلقات متاع بالمعروف حقاً على المتقين ﴿٢٤١﴾ كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تعقلون ﴿٢٤٢﴾ ألم تتركوا إلى الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت فقال لهم الله موتوا ثم أحياهم إنا الله لذو فضل على الناس ولكن أكثر الناس لا يشكرون ﴿٢٤٣﴾ وقتلوا في سبيل الله وأعلموا أن الله سميع عليم ﴿٢٤٤﴾ من ذا الذي يقرض الله قرضاً حسناً فيضاعفه له أضعافاً كثيرة والله يقبض ويبسط وإليه ترجعون ﴿٢٤٥﴾

حَفِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى وَقَوْمُوا لِلَّهِ قَاتِنِينَ ﴿٢٣٨﴾ فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجًا لَا أَرْكَبَانَا فَإِذَا آمِنْتُمْ فَادْكُرُوا اللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ ﴿٢٣٩﴾ وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً لِأَزْوَاجِهِمْ مَتَاعًا إِلَى الْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ فَإِنْ خَرَجْنَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ مِنْ مَّعْرُوفٍ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٤٠﴾ وَلِلْمُطَلَّقاتِ مَتَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ ﴿٢٤١﴾ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢٤٢﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٢٤٣﴾ وَقَتَلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٤٤﴾ مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفُهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٤٥﴾

وغيره وفروضه وحذوده فيما أمركم به ونهاكم عنه ووضحه وفسره ولم يتركه مجملًا وفي وقت احتياجكم إليه ﴿لعلكم تعقلون﴾ تفهمون وتتدبرون ٢٤٣: ﴿ألم تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ﴾ [هذه رؤية القلب؛ بمعنى: ألم تعلم]، هؤلاء القوم من بني إسرائيل استوخموا أرضهم وأصابهم بها وباءٌ شديد، فخرجوا فرارًا من الموت، ﴿فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا﴾ أرسل إليهم ملكين فصاحا بهم صيحة واحدة فماتوا عن آخرهم، وبعد دهرٍ مرَّ بهم نبيٌّ من أنبياء بني إسرائيل فسأل الله أن يُحييهم، فأجابته إلى ذلك، وفي إحيائهم عبرةٌ ودليل قاطع على وقوع المعاد الحسناني يوم القيامة، ولهذا قال سبحانه: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ﴾ فيما يريهم من الآيات الباهرات ﴿ولكن أكثر الناس لا يشكرون﴾ لا يقومون بشكر ما أنعم الله به عليهم في دينهم ودنياهم وفي هذه القصة عبرةٌ ودليل على أنه لن يُعني حذرٌ من قدر، وأن لا ملجأ من الله إلا إليه ٢٤٤: ﴿وقتلوا في سبيل الله واعلموا أن الله سميعٌ عليم﴾ كما أن الحذر لا يُعني من القدر؛ كذلك الفرار من الجهاد ونجته لا يُقرب أجلاً ولا يُبعده، بل الأجل الختم مَقْدَرٌ لا يُزاد فيه ولا يُنقص منه، كما قال تعالى: ﴿أَلَيْسَ تَكُونُوا يُدْرِكُكُمُ الْمَوْتُ لَوْ كُنْتُمْ مِنْ بَرُوجٍ مُشِيدَةٍ﴾ ٢٤٥: ﴿من ذا الذي يقرض الله قرضاً حسناً فيضاعفه له أضعافاً كثيرة﴾ يحث تعالى عباده على الإنفاق في سبيل الله، وقد كرَّرَ تعالى هذه الآية في كتابه العزيز في غير موضع وفي الحديث: ﴿إن الله يُضاعفُ الحسنَةَ ألفي ألفِ حسنة﴾ ﴿والله يقبض ويبسط﴾ أنفقوا ولا تبالوا فالله هو الرزاق؛ يُضيق على من يشاء ويوسع على آخرين ﴿وإليه ترجعون﴾ يوم القيامة.

أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى إِذْ قَالُوا لِنَبِيِّهِمْ أبعث لنا ملكاً نقاتل في سبيل الله قال هل عسيتم إن كتب عليكم القتال ألا تقاتلون قالوا وما لنا ألا نقاتل في سبيل الله وقد أخرجنا من ديارنا وأبنائنا فلما كتب عليهم القتال تولوا إلا قليلاً منهم والله عليم بالظالمين ﴿٢٤٦﴾ وقال لهم نبيهم إن الله قد بعث لكم طالوت ملكاً قالوا أنى يكون له الملك علينا ونحن أحق بالملك منه ولم يؤت سعة من المال قال إن الله اصطفاه عليكم وزاده بسطة في العلم والجسم والله يؤتي ملكه من يشاء والله واسع عليم ﴿٢٤٧﴾ وقال لهم نبيهم إن آية ملكه أن يأتيكم التابوت فيه سكينته من ربكم وبقيته مما ترك آله موسى وآله هكروا تحمله الملكة إن في ذلك لآية لكم إن كنتم مؤمنين ﴿٢٤٨﴾

٤٠

٢٤٦: ﴿ألم تر إلى الملائكة من بني إسرائيل من بعد موسى إذ قالوا لنبيهم أبعث لنا ملكاً نقاتل في سبيل الله﴾ [ذكر تعالى في التحريض على القتال قصة أخرى جرت في بني إسرائيل]، كان بنو إسرائيل بعد موسى على الاستقامة مدة ثم أحدثوا الأحداث، فسلب الله عليهم أعداءهم، فطلبوا من نبيهم (١) أن يعيهم لهم ملكاً يقاتلون معه أعداءهم، ﴿قال﴾ لهم نبيهم ﴿هل عسيتم إن كتب عليكم القتال ألا تقاتلون﴾ وتثابروا بما التزمتم؟ ﴿قالوا﴾ وما لنا ألا نقاتل في سبيل الله وقد أخرجنا من ديارنا؟ وقد أخذت البلاد ﴿وأبنائنا﴾ وسببت الأولاد؟! ﴿فلما كتب عليهم القتال تولوا إلا قليلاً منهم﴾ ما وقوا بما وعدوا ﴿والله عليم بالظالمين﴾ ﴿٢٤٧﴾: وقال لهم نبيهم إن الله قد بعث لكم طالوت ملكاً وكان رجلاً من أجدانهم ولم يكن من بيت الملك فيه ﴿قالوا أنى يكون له الملك علينا ونحن أحق بالملك منه﴾ لأن الملك كان في سبط يهوذا ﴿ولم يؤت سعة من المال﴾ هو مع هذا فقير لا مال له؟! ﴿قال إن الله اصطفاه عليكم﴾ اختاره لكم ولست أنا الذي عينته من تلقاء نفسي ﴿وزاده بسطة في العلم والجسم﴾ فهو مع هذا أعلم منكم وأبيل وأشد قوة وصبراً في الحرب ومعرفة بها منكم ﴿والله يؤتي ملكه من يشاء﴾ لا يسأل عما يفعل لعلمه وحكمته ﴿والله واسع﴾ بفضلهم ﴿علم﴾ بمن يستحق الملك ﴿٢٤٨﴾: ﴿وقال لهم نبيهم إن آية﴾ علامة

بركة ﴿ملكه أن يأتيكم التابوت﴾ أن يرده الله عليكم التابوت الذي كان أخذ منكم ﴿فيه سكينته من ربكم﴾ فيه رحمة ووقار وجلالة، فتسكنون إليه [كان موسى يضع فيها ألواح التوراة] ﴿وبقية مما ترك آل موسى وآل هارون﴾ عصاه ورضاض الألواح من التوراة، وثياب موسى وهارون ﴿تحمله الملكة﴾ بين السماء والأرض حتى تضعه بين يدي طالوت والناس ينظرون [وكان التابوت في بني إسرائيل يغلبون به من قاتلهم، حتى غصوا، فغلبوا على التابوت، غلبهم عليه العمالة. وهذا أدل دليل على أن العصيان سبب الخذلان] ﴿إن في ذلك لآية لكم إن كنتم مؤمنين﴾ بالله واليوم الآخر.

(١) قال قتادة: هذا النبي يوشع بن نون. وقال الشوكاني هذا ضعيف جداً؛ لأن يوشع هو في موسى. وذكر أن اسم هذا النبي هو شمويل بن يار، ويقال فيه شمعون، وهو من ولد يعقوب عليه السلام. /ضح القدير ج/٢٦٤/١.

الآية: ٢٤٨ عن عمر بن الخطاب قال: قال رسول الله ﷺ: «الإيمان: أن تؤمن بالله وملائكته، وكتبه، ورسله، وتؤمن بالجنة والنار، والميزان، وتؤمن بالبعث بعد الموت، وتؤمن بالقدر خيره وشره» رواه البيهقي في شعب الإيمان/صحيح الجامع الصغير ج/١/٥٤٠. وعن الزبير ومعاوية قالوا: قال رسول الله ﷺ: «الإيمان قيد الفتك، لا يفتك مؤمن» رواه أبو داود والحاكم/صحيح الجامع ج/٥٤١/١.

الآية: ٢٤٨ والتابوت كان من شأنه فيما ذكر أنه أنزله الله على آدم عليه السلام، فكان عنده إلى أن وصل إلى يعقوب عليه السلام، فكان في بني إسرائيل يغلبون به من قاتلهم، حتى غصوا فغلبوا على التابوت /القرطبي ج/٢٤٧/٣.

٢٤٩: يقول تعالى مخبراً عن طالوت حين خرج في جنوده من بني إسرائيل: ﴿فلما فصل طالوت بالجنود قال إن الله مبتليكم بنهر، فمَنْ شرب منه فليس مني، إلا من لم يلمسه فإنه مني﴾ فلا يصحني ﴿ومن لم يلمسه فإنه مني إلا من اغترف غرفة بيده﴾ فلا بأس عليه ﴿فشربوا منه إلا قليلاً﴾ فمن اغترف منه روي، ومن شرب منه لم يرو، وكان الجيش ثمانين ألفاً، فشرب منه ستة وسبعون ألفاً وتبقى معه أربعة آلاف ﴿فلما جاوزة هو والذين آمنوا معه قالوا لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده﴾ استقلوا أنفسهم عند لقاء عدوهم لكثرتهم فشحجهم علماؤهم العاملون بأن وعد الله حق، ﴿وقال الذين يظنون أنهم ملأوا الله كرم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين﴾ ٢٥٠: ﴿ولما برزوا لجالوت وجنوده قالوا ربنا أفرغ علينا صبراً وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين﴾ لما واجه حزب الإيمان وهم قليل أعداءهم وهم عدد كثير ﴿قالوا ربنا أفرغ علينا صبراً﴾ أنزل علينا صبراً من عندك ﴿وثبت أقدامنا﴾ في لقاء العدو وجنبا الفرار والعجز ﴿وانصرنا على القوم الكافرين﴾ ٢٥١: ﴿فهمزموهم بإذن الله﴾ غلبوهم وفهروهم بنصر الله لهم ﴿وقتل داود جالوت وآتاه الله الملك﴾ الذي كان بيد طالوت، ﴿والحكمة﴾ النبوة ﴿وعلمه مما يشاء﴾ من العلم النافع الذي اختصه به عليه السلام ثم

فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلْكُوا اللَّهَ كَرُمٌ مِنْ فِتْنَةِ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةٌ قَلِيلَةٌ يَا ذَنُ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿٢٤٩﴾ وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿٢٥٠﴾ فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٢٥١﴾ تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّكَ لِمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٢٥٢﴾

قال تعالى: ﴿ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض﴾ (١) هلكوا كما قال الله تعالى: ﴿ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض﴾ صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيراً ﴿ولكن الله ذو فضل على العالمين﴾ من عليهم، ورحمة بهم يدفع عنهم بعضهم بعضاً، وله الحكمة والحجة على خلقه في جميع أفعاله وأقواله ٢٥٢: ﴿تلك آيات الله نتلوها عليك بالحق﴾ هذه آيات الله التي قصصناها عليك من أمر بني إسرائيل، ذكرناها بالحق، أي: بالواقع الذي كان عليه الأمر المطابق لما في أيدي أهل الكتاب الذي يعلمه علماء بني إسرائيل ﴿وإنك﴾ يا محمد ﴿لمن المرسلين﴾ وهذا توكيد وتوطئة للقسم.

(١) قال ابن عباس: ولولا دفع الله العدو مجنود المسلمين لغلب المشركون، قتلوا المؤمنين وحزبوا البلاد والمساجد. وقال سفيان الثوري: هم الشهود الذين نستخرج بهم الحقوق. وحكى مكي: أن أكثر المفسرين على أن المعنى: لولا أن الله يدفع من يصلي عن لايصل، ومن يتقى عن لايقتي لأهلك الناس بذنوبهم. وقال سائر المفسرين: ولولا دفاع الله المؤمنين الأبرار عن الفجار والكفار لفسدت الأرض، أي: هلكت. وإنه يدفع العذاب من يصلي عن لايصل، ومن يزكي عن لايزكي، ومن يصوم عن لايصوم، ومن يحج عن لايحج، ومن يجاهد عن لايجاهد، ولو اجتمعوا على ترك هذه الأشياء ماأنظروهم الله طرفه عين / القرطبي ج ٣ / ٢٦٠.

وقال رسول الله ﷺ: وإن هذا البؤء (يعني الطاعون والمرض العام) رجز [أي عذاب] أهلك الله به الأمم قبلكم، وقد بقي منه في الأرض شيء، يعني أحياناً ويذهب أحياناً، فإذا وقع بأرض فلا تخرجوا منها فراراً، وإذا ممتنع به في أرض فلا تأتوها، مختصر صحيح مسلم / ١٤٨٤.

وقال رسول الله ﷺ: إن هذه الأمة أمة مرحومة، عذابها بأيديها، فإذا كان يوم القيامة دفع إلى كل رجل من المسلمين رجل من المشركين، فيقال: هذا فداؤك من النار، صحيح الجامع الصغير / ٢٢٦١.

٢٥٣: يُخِرَ تَعَالَى أَنَّهُ فَضَّلَ بَعْضَ الرُّسُلِ عَلَى بَعْضٍ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضٍ﴾ وهنا قال: ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مِنْ كَلِمَةِ اللَّهِ﴾ موسى ومحمداً صلى الله عليهما ﴿وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ﴾ كما ثبت في حديث الإسراء حين رأى النبي صلى الله عليه وآله وسلم الأنبياء في السموات بحسب تفاوت منازلهم عند الله عز وجل ﴿وَأَتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْيَتِيمَ﴾ الحجج والدلائل القاطعات على صحة ما جاء به من أنه عبد لله ورسوله إليهم ﴿وَأَيَّدَانَهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ﴾ جرير عليه السلام، ثم قال تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَقْتَلْنَا الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ﴾، [أي: من بعد موسى وعيسى، وجميع الأنبياء] ﴿مَنْ بَعْدَ مَا جَاءَهُمُ الْيَتِيمَاتُ وَلَكِنْ اخْتَلَفُوا فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ﴾ [أي: وإنما اختلف الناس بعد كل نبي؛ فمنهم من آمن، ومنهم من كفر بغياً وحسدًا، وعلى حُطام الدنيا] ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَقْتَلُوا﴾ كل ذلك عن قضاء الله وقدره، ولهذا قال سبحانه: ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾ ٢٥٤: يأمر الله تعالى بالإفناق عما رزقهم في سبيله سبيل الخير، ليذخروا ثواب ذلك عند ربهم ومليكهم، وليبادروا إلى ذلك في هذه الحياة الدنيا ﴿مَنْ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ لا يبيع فيه ولا خلة ولا شفاعة ﴿لا يباع أحدٌ من نفسه ولا يفادي بمال، ولو بذله وجاء بملء الأرض ذهبًا، ولا تنفعه خلة أحدٍ يعنى صداقته، بل ولا نسابته؛

﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ﴾، ﴿وَلَا شَفَاعَةَ﴾ ولا تنفعهم شفاعة الشافعين ﴿وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ ولا ظلم أظلم ممن وافى الله يومئذٍ كافرًا قال عطاء بن دينار: الحمد لله الذي قال: ﴿وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ هذه آية الكرسي ولها شأن عظيم، وقد صح الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بأنها أفضل آية في كتاب الله. وهذه الآية مشتملة على عشر حمل مستقلة: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ إخبار بأنه المفرد بالإلَهية لجميع الخلائق ﴿الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ الحي في نفسه الذي لا يموت أبدًا، القيم لغيره، فجميع الموجودات مفتقرة إليه وهو غني عنها ﴿لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ لا يعتره نقص ولا غفلة ولا ذهول عن خلقه والسنة: النعاس، [والنوم من الموت] ﴿لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ إخبار بأن المجمع عبده وفي ملكه وتحت قهر سلطانه ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ وهذا من عظمته وجلاله وكبريائه عز وجل أنه لا يتجاسر أحدٌ على أن يشفع لأحد عنده إلا بإذنه له ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ دليل على إحاطة علمه بجميع الكائنات ماضها وحاضها ومستقبلها ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ﴾ لا يطلع أحدٌ على علم الله على شيء إلا بما أعلمه الله عز وجل وأطلعه عليه ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ روى ابن جرير: قال رسول الله ﷺ: ﴿مَا السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ فِي الْكُرْسِيِّ إِلَّا كدِرَاهِمٍ سَبْعَةِ أَفْتِيثٍ فِي تَرَسٍ﴾ قال: وقال أبو ذر: سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: ﴿مَا الْكُرْسِيُّ فِي الْعَرْشِ إِلَّا كحَلْقَةٍ مِنْ حَدِيدٍ أَقْبَتِ بَيْنَ ظَهْرَانِي فَلَإِنَّ مِنَ الْأَرْضِ﴾ ﴿وَلَا يُؤْذُهُ حِفْظُهُمَا﴾ لا يتقله حفظ السموات الأرض ﴿وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾ المتعال الكبير ٢٥٦: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ لا تُكْرَهُوا أحدًا على الدخول في الإسلام فإنه بين واضح في دلائله وبراهينه

﴿قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ
بِالطَّاغُوتِ﴾ الشيطان وما يدعو إليه
﴿وَيُؤْمِنُ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الرُّتْقَى
التي لا انفصام لها﴾ يعني الإسلام والقرآن ﴿وَاللَّهُ
سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾: ٢٥٧: ﴿اللَّهُ وَثِي الَّذِينَ آمَنُوا
يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ يُخْرِجُ
تعالى أنه يهدي من اتبع رضوانه سُبُلَ السَّلامِ،
فيخرج عباده المؤمنين من ظلمات الكفر
والشك إلى نور الحق، ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا
أُولِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى
الظُّلُمَاتِ﴾ إلى الجهالات والضلالات،
يحمِدون بهم عن طريق الحق إلى الكفر
﴿أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾
وَحَدَّ تَعَالَى لَفْظَ النُّورِ لِأَنَّ الْحَقَّ وَاحِدٌ، وَجَمَعَ
الظُّلُمَاتِ لِأَنَّهَا أَجْناسٌ كَثِيرَةٌ ٢٥٨: ﴿أَلَمْ تَرَ
إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رِيَّتِهِ﴾ وهو ملك
بابل عمُودُ حَاجِّ إِبْرَاهِيمَ فِي وَجُودِ رَبِّهِ، وَذَلِكَ
أَنَّهُ: أَنْكَرَ أَنَّ يَكُونَ إِلَهًا غَيْرَهُ، وَمَا حَمَلَهُ عَلَى
ذَلِكَ إِلَّا تَجَبُّرُهُ وَطُولُ مَدَّةِ مُلْكِهِ، وَلِهَذَا قَالَ
تَعَالَى: ﴿أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ﴾ وَكَانَ طَلَبُ مَن
إِبْرَاهِيمَ دَلِيلًا عَلَى وَجُودِ الرَّبِّ الَّذِي يَدْعُو
إِلَيْهِ، فَقَالَ إِبْرَاهِيمُ: ﴿رَبِّي الَّذِي يُحْيِي
وَيُمِيتُ﴾ فعند ذلك قال التَّروُودُ: ﴿أَنَا أَحْيَى
وَأُمِيتُ﴾ وَذَلِكَ أَنَّهُ أَرَى بِالرَّجُلَيْنِ وَقَدْ
اسْتَحَقَّا الْقَتْلَ، فَأَمَرَ بِقَتْلِ أَحَدِهِمَا، وَأَمَرَ
بِالْعَفْوِ عَنِ الْآخَرِ، ادَّعَى لِنَفْسِهِ هَذَا الْمَقَامَ
عِنَادًا وَمُكَابَرَةً، ﴿قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي
بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ﴾
إِذَا كُنْتُ كَمَا تَدْعِي مَن أَنْتَ تُحْيِي وَتُمِيتُ فَأْتِ

اللَّهُ وَإِلَى الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ
وَالَّذِينَ كَفَرُوا أُولِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ
النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا
خَالِدُونَ ﴿٢٥٧﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رِيَّتِهِ
أَنَّ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي
وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أَحْيَى وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي
بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي
كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٢٥٨﴾ أَو كَالَّذِي مَرَّ
عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ
بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ
قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ
فَانظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانظُرْ إِلَى
حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ وَانظُرْ إِلَى
الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا
تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٥٩﴾

بها من المغرب؟! فلما علم عجزه أحس ﴿فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ ٢٥٩: ﴿أَو كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا﴾ عطف على ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ وهو عزيز، مرَّ على بيت المقدس بعد تخريبه مختصراً لها وقتل أهلها ﴿وهي خاوية على عروشها﴾ ليس فيها أحد، ساقطة سقفها وجدرانها، فوقف متفكراً فيما آل أمرها إليه بعد العمارة العظيمة، و﴿قال أنى يحيى هذه الله بعد موتها﴾؟ وذلك لما رأى من دورها وشدة خرابها ﴿فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ﴾ وعمرت البلدة بعد مضي سبعين سنة من موته، ورجع إليها بنو إسرائيل [أي: بعد العفو البابلي عنهم]، ﴿قال كم لبثت؟ قال لبثت يوماً أو بعض يوم﴾ وذلك أنه مات أول النهار، ثم بعثه في آخر نهار، فلما رأى الشمس باقية ظن أنها شمس ذلك اليوم، ﴿قال بل لبثت مائة عام فانظر إلى طعامك وشرابك لم يتسنه﴾ [أي: لم تُغيَّر السنون] ﴿وانظر إلى حمارك﴾ كيف يحييه الله عز وجل وأنت تنظر ﴿ولنجعلك آية للناس﴾ دليلاً على المعاد ﴿وانظر إلى العظام كيف ننشزها﴾ نحيبها ﴿ثم نكسوها لحماً﴾ وبعث الله ملكاً فنفخ فيه نفث، وذلك بمراى من المزير، ﴿فلما تبين له﴾ هذا كله ﴿قال أعلم أن الله على كل شيء قدير﴾ أنا عالم بهذا، وقد رأيته عياناً، فأنا أعلم أهل زمانى بذلك.

الآية: ٢٥٥ قال رسول الله ﷺ: «لكل شيء سنم، وإن سنم القرآن سورة البقرة، وفيها آية هي سيده أي القرآن، هي آية الكرسي». وقال ﷺ: «من قرأ حتم المؤمن إلى إليه المصير» وآية الكرسي حين يصبح يحفظهما حتى يمسي، ومن قرأهما حين يمسي يحفظهما حتى يصبح». رواها الترمذي ج ١٥٧/٥ - ١٥٨/١.
الآية: ٢٥٦ نزلت في أهل الكتاب خاصة، وأنهم لا يكرهون على الإسلام إذا أدوا الجزية. والذين يكرهون أهل الأوثان، فلا يقبل منهم إلا الإسلام. قال هذا الشعبي وقادة والحسن والضحاك. وروى زيد بن أسلم عن أبيه قال: سمعت عمر بن الخطاب يقول لعجوز نصرانية: أسلمي أيها العجوز تسلمي، إن الله بعث محمداً بالحق. قالت: وأنا عجوز كبيرة الموت إلى قريب؟! فقال عمر: اللهم اشهد، وتلا: ﴿لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي﴾ /القرطبي ج ٢٨٠/٣.

٢٦٠: لما قال إبراهيم للنمرود: ﴿رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ﴾ أَحَبُّ أَنْ يَرْتَقِيَ مِنْ عِلْمِ الْبَاقِينَ إِلَى عَيْنِ الْيَقِينِ، فَقَالَ: ﴿رَبُّ أَرْنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى؟ قَالَ أُولَى تُؤْمِنُ؟ قَالَ بَلَى لَكِنْ لِيُطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ﴾ أَوْتَقَهُنَّ ثُمَّ قَطَعَهُنَّ بَعْدَ ذِكْرِهِنَّ ﴿ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَا تَيْنِكَ سَعِيًّا وَعَلِمَنَّ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ عَزِيزٌ: لَا يَغْلِبُهُ شَيْءٌ وَلَا يَمْنَعُ عَنْهُ شَيْءٌ، حَكِيمٌ: فِي أَعْمَالِهِ وَأَقْوَالِهِ وَشُرْعِهِ وَقَدَرِهِ ٢٦١: هَذَا مِثْلُ ضَرْبِهِ اللَّهُ تَعَالَى لِتَضْعِيفِ الثَّوَابِ لِمَنْ أَنْفَقَ فِي سَبِيلِهِ وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِهِ، فَقَالَ: ﴿مِثْلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمِثْلِ حَبَّةِ سَعِيبٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ فِي كُلِّ سَبِيلَةٍ مِائَةَ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ (٦١) الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يَتَّبِعُونَ مَا أَنْفَقُوا مَنًّا وَلَا أَذَى لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ قَوْلٌ مَعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِنْ صَدَقَةٍ يَتَّبِعُهَا أَذَى وَاللَّهُ عَنِّي حَلِيمٌ ﴿٦٣﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَبْطُلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِثَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمِثْلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَاصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صُلْدًا لَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴿٦٤﴾

٤٤

عليهم ﴿فَمَا يَسْتَقْبِلُونَهُ مِنْ أَمْوَالِهِمْ﴾ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿عَلَى مَا خَلَقُوهُ مِنَ الْأَوْلَادِ، وَلَا يَأْسِفُونَ عَلَى الدُّنْيَا وَرِثَتِهَا ٢٦٣﴾: قَوْلٌ مَعْرُوفٌ ﴿كَلِمَةٌ طَيِّبَةٌ وَدَعَاءٌ لِمُسْلِمٍ﴾ وَمَغْفِرَةٌ ﴿عَمَّنْ ظَلَمَ﴾ خَيْرٌ مِنْ صَدَقَةٍ يَتَّبِعُهَا أَذَى وَاللَّهُ عَنِّي حَلِيمٌ ﴿٦٢﴾: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَبْطُلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى ﴿فَمَا بَقِيَ ثَوَابُ الصَّدَقَةِ بِخَطِيئَةِ الْمَنِّ وَالْأَذَى، ثُمَّ قَالَ تَعَالَى: ﴿كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِثَاءَ النَّاسِ﴾ قَصْدُهُ مَدْحُ النَّاسِ لَهُ، وَيُقَالُ: إِنَّهُ كَرِيمٌ، لَا ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ وَجَزِيلِ ثَوَابِهِ، وَلِهَذَا قَالَ: ﴿وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ ثُمَّ ضَرَبَ تَعَالَى مِثْلَ ذَلِكَ الْمَرَاتِي بِإِنْفَاقِهِ، وَالَّذِي يَتَّبِعُ مَا أَنْفَقَ مَنًّا أَوْ أَذَى، فَقَالَ: ﴿فَمَثَلُهُ كَمِثْلِ صَفْوَانٍ﴾ الصَّخْرُ الْأَمْلَسُ ﴿عَلَيْهِ تُرَابٌ فَاصَابَهُ وَابِلٌ﴾ الْمَطَرُ الشَّدِيدُ ﴿فَتَرَكَهُ صُلْدًا﴾ أَمْلَسَ لَا شَيْءَ عَلَيْهِ، وَكَذَلِكَ أَعْمَالُ الْمَرَاتِينَ تَذْهَبُ وَتَضْمَحِلُّ عِنْدَ اللَّهِ، وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى: ﴿لَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾.

الآية: ٢٦٢ إذا كان العطاء على هذا الوجه خالياً من طلب الجزاء الدنيوي كان أشرف للباذل وأهناً للقبال؛ فأما المعطي إذا التمس بعبثاته جزاءً دنيوياً وطلب به الشكر والثناء كان صاحب شفعةً ورياء. والمنفق لوجه الله رجاء ثوابه وفضله، لا يريد ممن أنفق عليه شيئاً، كما قال الله تعالى: ﴿لا تريد منكم جزاءً ولا شكوراً﴾ ومضى أنفق ليريد من المنفق عليه جزاءً بوجه من الوجوه، فهذا لم يرد وجه الله تعالى. /القرطبي ج ٣/ ٣٠٧.

الآية: ٢٦٣ روى ابن أبي حاتم أن رسول الله ﷺ قال: «ما من صدقة أحب إلى الله من قول معروف، ألم تسمع قوله تعالى -وذكر هذه الآية..» /تفسير ابن كثير ج ١/ ٣١٨.

وروى الإمام مسلم في صحيحه أن رسول الله ﷺ قال: «الكلمة الطيبة صدقة، وإن من المعروف أن تلقى أخاك بوجه طلق». /القرطبي ج ٣/ ٩٠٩.

٢٦٥: ﴿ومثل الذين يُنفقون أموالهم ابتغاء مرضاة الله﴾ وهذا مثل المؤمنين المنفقين أموالهم ابتغاء مرضاة الله عنهم في ذلك ﴿وتقريباً من أنفسهم﴾ وهم مشتتون أن الله سيجزيهم على ذلك أوفر الجزاء؛ ﴿كمثل جنة برية﴾ كمثل بستان بمكان مرتفع من الأرض ﴿أصابها وابل﴾ وهو المطر الشديد ﴿فانت أكلها﴾ ثمها ﴿ضعفين﴾ بالنسبة إلى غيرها ﴿فإن لم يُصنها وابل فطل﴾ وهو الرذاذ اللين من المطر؛ أي: هذه الجنة لا تُمجلجج أبداً، وكذلك عمل المؤمن لا يبور أبداً، بل يتقبله الله ويكثره ويُميه كل عام بحسبه، ولهذا قال تعالى: ﴿والله بما تعملون بصير﴾ لا يخفى عليه شيء ٢٦٦: [هذه الآية مثل آخر لنفقة الرياء]، ﴿أيود أحدكم أن تكون له جنة من نخيل وأعناب تجري من تحتها الأنهار له فيها من كل الثمرات﴾ فلم يحصل منه شيء ﴿وأصابه الكبر وله ذرية ضعفاء فأصابها إعصار﴾ وهو الريح الشديد ﴿فيه نار فاحترقت﴾ أحرقت ثمارها وأباد أشجارها؛ فأبى حال يكون حاله؟! فلم يكن عنده قوة أن يغيرس مثله، ولم يكن عند نسله خير يعودون عليه، وكذلك الكافر يوم القيامة. [ولهذا] كان من دعائه صلى الله عليه وآله وسلم: «اللهم اجعل عمري» ﴿كذلك بين الله لكم الآيات لعلكم تفكرون﴾ تحثرون وتفهمون الأمثال والمعاني المراد منها ٢٦٧: يأمر الله تعالى عباده

وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَكَانَتْ أَكْلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلَّ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٦٥﴾ أَيُودُ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُ فِيهَا مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ وَلَهُ ذُرِّيَةٌ ضِعْفَاءُ فَآصَابَهَا عِصَابٌ فَاحْتَرَقَتْ كَذَلِكَ بَيَّنَّ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٦٦﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْفِقُوا مِمَّنَّ تَبَيَّنَ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ وَلَسْتُمْ بِتَّائِبِينَ إِلَّا أَن تَعْمُوا فِيهِ وَعَلِمُوا أَنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴿٢٦٧﴾ الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦٨﴾ يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٢٦٩﴾

المؤمنين بالإفناق، والمراد به الصدقة ﴿من طيبات ما كسبتم﴾ من أطيب المال وأجوده، ونهاهم عن التصدق بزدالة المال ودينه، فإن الله طيب لا يقبل إلا طيباً، ولهذا قال سبحانه: ﴿ولا تيمموا الخبيث﴾ لا تقصدوا الخبيث ﴿منه تنفقون ولستم بأخديه﴾ لو أعطيتكم ما أخذتموه ﴿إلا أن تعمضوا فيه﴾ تتعاصروا فيه، فلا تجعلوا لله ما تكرهون ﴿واعلموا أن الله غني حميد﴾ مع نبيه إياكم عن الإنفاق بأمركم بالمعاصي والمآثم، ﴿والله يعدكم مغفرة منه﴾ في مقابلة ما أمركم الشيطان بالفحشاء ﴿وفضلاً﴾ في مقابلة ما حوّنكم الشيطان من الفقر ﴿والله واسع علم﴾ ﴿يؤتي الحكمة من يشاء﴾ الحكمة: السنة، والفقهاء في دين الله، وخشية الله ﴿ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً وما يذكر إلا أولو الأبواب﴾ وما ينتفع بالموعظة إلا من له لب وعقل.

الآية: ٢٦٧ والله تعالى يقول: ﴿لن تناولوا البر حتى تنفقوا مما تحبون﴾ [آل عمران/٩٢] والمعنى: لن تصلوا إلى الجنة حتى تنفقوا مما تحبون. ولن تناولوا شرف الدين والتقوى حتى تصدقوا وأنتم أصحاب أشحاء تأملون العيش وتحشون الفقر. /القرطبي ج/١٣٣.

وعن عائشة قالت: أتى رسول الله ﷺ بضع فلم يأكله ولم يبه عنه، قلت: يا رسول الله لطمعتم المساكين؟ قال: «لاطمعومهم مئلاً نأكلون». رواه الإمام أحمد. /تفسير ابن كثير ج/١٣١/١.

الآية: ٢٦٨ قال رسول الله ﷺ: «إن للشيطان لمةً باين آدم، وللملك لمةً، فأما لمة الشيطان فإبعاد بالشر وتكذيب بالحق، وأما لمة الملك فإبعاد بالخير وتصديق بالحق، فمن وجد ذلك فليعلم أنه من الله، ومن وجد الأخرى فليتعزذ بالله من الشيطان - ثم قرأ: ﴿الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء﴾. رواه الترمذي وصححه. /القرطبي ج/٣٢٨-٣٢٩/.

وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ نَفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُمْ مِنْ نَذْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ ﴿٢٧٠﴾ إِنْ تَبَدُّوا
 الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِنْ تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ
 فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَيُكَفِّرُ عَنْكُمْ مِنْ سَيِّئَاتِكُمْ
 وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٧١﴾ لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ
 وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ
 فَلَا تُنْفِسُكُمْ وَمَا تُنْفِقُونَ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ
 وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوَفِّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ
 ﴿٢٧٢﴾ لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ
 لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ
 الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعْقُفِ تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ
 لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِحْقَافًا وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ
 فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ﴿٢٧٣﴾ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ
 بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ
 رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٧٤﴾

٢٧٠: يُخبر تعالى بأنه عالم بجميع ما يفعله
 العاملون من الخيرات والمندورات، وتضمن ذلك مجازاته على ذلك أوفر الجزاء للعاملين
 لذلك ابتغاء وجهه ورجاء موعوده، وتوعد من لا يعمل بطاعته وخالف أمره، فقال: ﴿وما
 للظالمين من أنصار﴾ يوم القيامة من عذاب الله ونقمته. ٢٧١: ﴿إن تبدوا الصدقات
 فيعما هي﴾ إن أظهرتموها فنعمة شيء هي ﴿وإن تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير
 لكم﴾، فيه دلالة على أن إسرار الصدقة أفضل من إظهارها لأنه أبعد عن الرياء
 ﴿ويكفر عنكم من سيئاتكم﴾ لا سيما إن كانت سراً يحصل لكم الخير في رفع
 الدرجات، وتكفير السيئات ﴿والله بما تعملون خبير﴾ لا يخفى عليه من ذلك شيء
 وسيجزىكم عليه ٢٧٢: ﴿ليس عليك هداهم﴾ هذه الآية متصلة بذكر الصدقات، كان النبي
 صلى الله عليه وآله وسلم يأمر بالأل يتصدق إلا على أهل الإسلام حتى نزلت هذه الآية:
 ﴿ليس عليك هداهم﴾ إلى آخرها، فأمر بالصدقة بعدها [أي: بصدقة النفل] على كل
 من سألك من كل دين ﴿وما تنفقوا من خير فلافسكم وما تنفقون إلا ابتغاء وجه الله وما
 تنفقوا من خير يوف إليكم وأنتم لا تظلمون﴾ إن المصدق إذا تصدق ابتغاء وجه الله فقد وقع أجره على الله، ولا عليه في نفس الأمر لمن أصاب أليز أو لفاجر أو مستحق أو غيره، وهو مشاب على قصده

٢٧٣: ﴿للفقراء الذين أحصروا في سبيل الله﴾ المهاجرين الذين قد انقطعوا إلى الله ورسوله وسكنوا المدينة وليس لهم سبب يردون به على أنفسهم ما يعينهم و﴿لا يستطيعون ضرباً في الأرض﴾ يعني سرفراً في طلب المعاش ﴿يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف﴾ من تعففهم في لباسهم وحالهم ومقاتمهم ﴿تعرفهم بسيماهم﴾ بما يظهر لذوي الألباب من صفاتهم، ﴿لا يسألون الناس إحفاقاً﴾ لا يكلفون الناس ما لا يحتاجون إليه، فإن سأل وله ما يغنيه فقد ألحف في المسألة. ﴿وما تنفقوا من خير فإن الله به عليم﴾ لا يخفى عليه شيء وسيجزى عليه أوفر الجزاء وأتمه يوم القيامة أحوج ما يكون إليه ٢٧٤: هذا مدح من الله تعالى للمنفقين في سبيله وابتغاء مرضاته في جميع الأوقات والأحوال ﴿الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار سراً وعلانية﴾ فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون؛ حتى أن النفقة على الأهل تدخل في ذلك، ففي الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال: ﴿وانك لن تنفق نفقة تبتغي بها وجه الله إلا ازددت بها درجة ورفعة حتى ما تجعل في في امرأتك﴾.

الآية: ٢٧١: عن أبي سعيد أن رسول الله ﷺ قال: «صدقة السر تطفئ غضب الرب»، حديث صحيح/ الجامع الصغير ج ٢/٢٦٢.

وعن أبي ذر أن النبي ﷺ قال: «ثلاثة يحبهم الله، وثلاثة يبعضهم الله، فأما الذين يحبهم: فرجل أتى قوماً فسألهم بالله، ولم يسألهم بقرابته بينهم وبينه، فمَنعوه، فتخلف رجل بأعقابهم [أي بعد ذهابهم] فأعطاه سراً لا يعلم بعبئته إلا الله والذي أعطاه، وقوم ساروا ليلتهم حتى إذا كان النوم أحب إليهم مما يُعَدُّلُ به، فوضغوا رؤوسهم، فقام يَمَلُقُني [المَلُقُ التردد والدعاء والتضرع] ويطلب أباتي، ورجل كان في سرية فلقى العدو فهزموا، فأقبل بصدرة حتى يُقتل أو يُفْتَحَ له!! والثلاثة الذين يبعضهم الله: الشيخ الزاني، والفقر المحتال، والغني الظالم» رواه أبو داود والنسائي وابن خزيمة في صحيحه والحاكم وصححه، وكذا المنذري. /الترغيب ج ٢٢/٢٣٣.

الآية: ٢٧٣: روى الشيخان في صحيحهما أن رسول الله ﷺ قال: «ليس المسكين هذا الطواف الذي تردُّه القرة والتمران واللقمة واللقمتان والأكلة والأكلاتان، ولكن المسكين الذي لا يجد غنى يغنيه ولا يطمئن له فيصدق عليه، ولا يسأل الناس شيئاً». /تفسير ابن كثير ج ١/٣٢٤.

٢٧٥: لما ذكر تعالى الأبرار في صدقاتهم لدنوي الحاجات شرع في ذكر أكلة الربا وأموال الناس بالباطل فأحرم يوم خروجهم من قبورهم إلى بعثتهم فقال: ﴿الذين يأكلون الربا لا يقومون إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس﴾ كالصروع حال صرعه الشيطان، وذلك أنه يقوم قياماً منكراً، بطونهم كالبوت فيها الحيات، ﴿ذلك﴾ إنما جوزوا بذلك ﴿بأنهم قالوا إنما البيع مثل الربا. وأحل الله البيع وحرم الربا﴾، ﴿فمن جاءه موعظة من ربه فانتهى﴾ من بلغه نهي الله عن الربا فانتهى ﴿فله ما سلف﴾ من المعاملة ﴿وأمره إلى الله﴾، [هذا تأنس للمنتهي وبسط أملة في الخبر]، ولهذا قال سبحانه: ﴿ومن عاد فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون﴾ ٢٧٦: يُخبر الله تعالى أنه يحق الربا أي: يُذهب، إما بالكلية من يد صاحبه، أو يجرمه بركة ماله فلا ينتفع به بل يعدمه به في الدنيا ويعاقبه عليه يوم القيامة ﴿والله لا يحب كل كفار أثيم﴾، كفور القلب أثيم القول والفعل. ختم الله هذه الآية بهذه الصفة لأن المرابي لا يرضى بما قسم الله له من الحلال، فهو يسعى في أكل أموال الناس بالباطل ٢٧٧: ﴿إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة هم أجرهم عند ربهم﴾ قال تعالى [هذا] مادحا للمؤمنين المطيعين لربهم المحسنين إلى خلقه [فهؤلاء] أعد لهم دار الكرامة يوم القيامة ﴿ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون﴾

الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا فَمَنْ جَاءَهُ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٧٥﴾ يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرِي الصَّدَقَاتِ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ ﴿٢٧٦﴾ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٧٧﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ ﴿٢٧٩﴾ وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ وَأَن تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٨٠﴾ وَأَتَقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٨١﴾

٢٧٨: ﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله﴾ خافوه وراقبوه فيما تفعلون ﴿وذروا ما بقي من الربا﴾ اتركوا مالكم على الناس من الزيادة على رؤوس الأموال بعد هذا الإنذار ﴿إن كنتم مؤمنين﴾ بما شرع الله لكم من تحليل البيع وتحريم الربا وغير ذلك ٢٧٩: ﴿فإن لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله﴾ هذا تهديد شديد ووعيد أكيد لمن استمر على تعاطي الربا بعد الإنذار ﴿وإن تبتم فللكم رؤوس أموالكم لا تظلمون﴾ يأخذ الزيادة ﴿ولا تظلمون﴾ بوضع رؤوس الأموال أيضاً، بل لكم ما بذلت من غير زيادة عليه ولا نقص منه ٢٨٠: ﴿وإن كان ذو عسرة فنظرة إلى ميسرة﴾، [لما حكم جل وعز لأرباب الربا برؤوس أموالهم عند الواجدين للمال؛ حكم في ذي العسرة بالنظرة إلى الميسرة]؛ يأمر تعالى بالصر على المسر الذي لا يجد وفاءً، ثم يندب إلى الوضع عنه، ويعد على ذلك الثواب الجزيل فقال: ﴿وإن تصدقوا خير لكم إن كنتم تعلمون﴾. قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «من سره أن يظله الله يوم لا ظل إلا ظله فليسر على مسير، أو ليضع عنه». رواه الطبراني ٢٨١: ﴿واتقوا يوماً ترجعون فيه إلى الله﴾، وهذه الآية آخر ما نزل من القرآن العظيم. نزلت قبل بضع ليالٍ من وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

الآية: ٢٧٨ عن ابن مسعود قال: «لعم رسول الله ﷺ أكل الربا وموكله وشاهديه وكتابه» رواه مسلم والترمذي. /رياض الصالحين/ ٦١٨.

الآية: ٢٨٠ روى عبدالله بن عمرو قال: قال رسول الله ﷺ: «إياكم والشئ، فإنما هلك من كان قبلكم بالشئ، أمرهم بالبخل فبخلوا، وأمرهم بالقطيعة فقطعوا، وأمرهم بالفجور ففجروا» رواه أبو داود والحاكم/صحيح الجامع الصغير ج ٥٢١/.

٢٨٢: هذه الآية الكريمة أطول آية في القرآن العظيم. ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدِينٍ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ﴾ هذا إرشاد منه تعالى لعباده المؤمنين إذا تعاملوا بمعاملات مؤجلة أن يكتبوها؛ ليكون ذلك أحفظ لمقارها وميقاتها وأضبط للشاهد. وقوله تعالى: ﴿فَاكْتُبُوهُ﴾ أمر منه تعالى بالكتابة للتوثيق والحفظ. ﴿وليكتب بينكم كاتب بالعدل﴾ بالقسط والحق، من غير زيادة ولا نقصان. ﴿ولا يَأْب كاتب أن يكتب كما علمه الله فليكتب﴾ ولا يتمتع من يعرف الكتابة إذا سُئِلَ أن يكتب للناس كما علمه الله ما لم يكن يعلم، فليصدق على غيره بالكتابة ﴿وليُفْلِل الذي عليه الحق﴾ المدين على الكاتب ما في ذمته من الدين ﴿وليُتَّقِ الله ربَّهُ﴾ في ذلك ﴿ولا يخس منه شيئاً﴾ لا يكتم منه شيئاً ﴿فإن كان الذي عليه الحق سفياً﴾ محجوراً عليه بتذيره ونحوه ﴿أو ضعيفاً﴾ صغيراً أو مجنوناً ﴿أو لا يستطيع أن يُملِّم هو﴾ إما لعمى أو جهل ﴿فليملل وليه بالعدل﴾ واستشهدوا شهيدين من رجالكم ﴿أمر بالإشهاد مع الكتابة لزيادة التوثيق﴾ فإن لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان، وهذا إما أن يكون في الأموال [أما الإشهاد في النكاح فرجلان]، ﴿ومن ترضون من الشهداء﴾، فيه دلالة على اشتراط العدالة في الشهود. ﴿أن تضلَّ إحداهما﴾ يعني إحدى المرأتين إذا نسبت الشهادة ﴿فذكر إحداهما الأخرى﴾.

يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدِينٍ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ وَلِيَكْتُبَ بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ وَلَا يَأْب كَاتِبٌ أَنْ يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ فَلْيَكْتُبْ وَلْيَمْلِكِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلَا يَخَسْ مِنْهُ شَيْئاً فَإِنْ كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَمْلِكَ هُوَ فَلْيَمْلِكْ وَلِيَهُ بِالْعَدْلِ وَأَسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكَّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَىٰ وَلَا يَأْب الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا وَلَا تَسْمَعُوا أَنْ تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَىٰ أَجَلِهِ ذَٰلِكُمْ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ وَأَقْوَمٌ لِلشَّهَادَةِ وَأَدْنَىٰ أَلَّا تَرْتَابُوا إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلَّا تَكْتُبُوهَا وَأَشْهَدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ وَلَا يُضَارَ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ وَإِنْ تَفَعَّلُوا فَإِنَّهُ فُسُوقٌ بِكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٨٢﴾

﴿ولا يَأْب الشهادة إذا ما دُعوا﴾ إذا دُعوا للتحمل، فعليهم الإجابة، [وكذا] للأداء. ﴿ولا تسأموا أن تكتبوه صغيراً أو كبيراً إلى أجله﴾ هذا من تمام الإرشاد، وهو الأمر بكتابة الحق صغيراً كان أو كبيراً، ولا تسأموا أي: لا تملوا أن تكتبوا الحق. ﴿ذلكم أقسط عند الله وأقوم للشهادة وأدنى ألا ترتابوا﴾ هذا الذي أمرناكم به من الكتابة أعدل عند الله، وأثبت للشاهد، فإنه إذا رأى خطه تذكر به الشهادة لاحتمال أن ينساه لو لم يكتبه. ﴿وأدنى ألا ترتابوا﴾ وأقرب إلى عدم الريبة، بل ترجعون عند النزاع إلى الكتاب فيفصل بينكم بلا ريب. ﴿إلا أن تكون تجارة حاضرة تديرونها بينكم فليس عليكم جناح ألا تكتبوها﴾ إذا كان البيع بالخاضر يداً بيد فلا بأس بعدم الكتابة ﴿وأشهدوا إذا تبايعتهم﴾ على كل حال ﴿ولا يضار كاتب ولا شهيد﴾، [أي: بإياديهما بالقول أو بالفعل]، ﴿وإن تفعلوا فإنه فسوق بكم﴾ خالفتم ما أمرتم به وفعلتم ما نهيتهم عنه ﴿واتقوا الله﴾ خافوه وراقبوه واتبعوا أمره ﴿ويعلمكم الله﴾، [وعد من الله تعالى بأن من اتقاه علمه؛ أي: يجعل في قلبه نوراً يفهم به ما يلقي إليه]، ﴿والله بكل شيء عليم﴾ هو سبحانه عالم بحقائق الأمور ومصالحها وعواقبها، فلا يخفى عليه شيء سبحانه وتعالى.

الآية: ٢٨٢ روى البخاري وابن ماجه عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ أَخَذَ أَمْوَالَ النَّاسِ يُرِيدُ أَدَاءَهَا أَدَّى اللَّهُ عَنْهُ، وَمَنْ أَخَذَ أَمْوَالَ النَّاسِ يُرِيدُ إِيْلَاقَهَا [أي عدم ردّها] أَتَلَفَهُ اللَّهُ» وروى أحمد عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها أنها كانت تداين، فقيل لها: مالك وللدين؟ ولك عن متلوححة [أي خلاص ومهرب] قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ما من عبد كانت له نية في أداء دينه إلا كان له من الله عون» فأنما أتمس ذلك العون. وروى ابن ماجه وابن حبان في صحيحه عن عمران بن حصين قال: كانت ميمونة [أم المؤمنين] رضي الله عنها تُدَانُ فُكَيْزًا، فقال لها أهلها في ذلك، ولأنوها، ووجدوا عليها [أي غضبوا منها] فقالت: لأنترك الدين، وقد سمعت خليلي وصفيي ﷺ يقول: «ما من أحد يُدَانُ ديناراً يعلم الله أنه يُرِيدُ قضاةً إلا آذاه الله عنه في الدنيا!! /الترغيب ج/٥٩٧-٢٩٨».

٢٨٣: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ عَلَى سَفَرٍ﴾ وتدابيتم إلى أجل مُسمى ﴿وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا﴾ يكتب لكم أو لم تجدوا قرطاساً أو قلماً ﴿فَرِهَانٌ﴾ رهنٌ ﴿مَقْبُوضَةٌ﴾ بدل الكتابة في يد صاحب الحق ﴿فَإِنْ آمَنَ بِبَعْضِكُمْ بَعْضًا فليؤدِّ الذي اتَّيَمَّنَ أَمَانَتُهُ وليتَّقِ اللهَ رَبَّهُ﴾ روى الإمام أحمد أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: ﴿عَلَى الْيَدِ مَا أُخِذَتْ حَتَّى تُؤَدِّيَهُ﴾. ﴿وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ﴾ تُخْفَرُهَا وَلَا تُظْهِرُهَا. قال ابن عباس: شهادة الزور من أكبر الكبائر، وكتابتها كذلك، ولهذا قال سبحانه: ﴿وَمَنْ يَكْتُمِهَا فَإِنَّهُ آتَمٌ قَلْبُهُ﴾ فاجر قلبه ﴿والله بما تعملون علم﴾ ٢٨٤: يخبر تعالى أن له ملكَ السموات والأرض وما فيهن وأنه المطلع على ما فيهن، لا تخفى عليه الظواهر ولا السرائر والضاير. وأخير سبحانه أنه سيحاسب عباده على ما فعلوه وما أخفوه في صدورهم ﴿فيفغر لمن يشاء ويعذّب من يشاء﴾ والله على كل شيء قدير ﴿٢٨٥﴾: لما أنزل الله قوله: ﴿وَإِنْ تَبَدُّوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبِكُمْ بِهِ اللهُ﴾ فيفغر لمن يشاء ويعذّب من يشاء والله على كل شيء قدير ﴿اشتد ذلك على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فأتوا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ثم جئوا على الركب وقالوا: يا رسول الله كلّفنا من الأعمال ما نطيق: الصلاة والصيام والجهاد والصدقة، وقد أنزلت عليك هذه الآية ولا نطبقها، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «أَتَرِيدُونَ أَنْ تَقُولُوا

﴿وَإِنْ كُنْتُمْ عَلَى سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا فَرِهَانٌ مَّقْبُوضَةٌ﴾ فَإِنْ آمَنَ بِبَعْضِكُمْ بَعْضًا فليؤدِّ الَّذِي أَوْتَمِنَ أَمَانَتَهُ وَلِيَتَّقِ اللهُ رَبَّهُ وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ وَمَنْ يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آتَمٌ قَلْبُهُ وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٢٨٣﴾ لَلهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنْ تُبَدُّوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبِكُمْ بِهِ اللهُ فَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَاللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٨٤﴾ ءَأَمِنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ ءَوَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَأَمِنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ ءَلَا نُفْرَقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ ءَوَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾ لَا يَكْفُرُ اللهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لِطَاقَةِ لَنَا بِهِ ءَوَاعْفُ عَنَّا وَاعْفِرْنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿٢٨٦﴾

كما قال أهل الكتابين من قبلكم: سمعنا وعصينا؟ بل قولوا: سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير»، فلما أقر بها القوم ودكت بها ألسنتهم أنزل الله في أثرها: ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ﴾ وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير، فلما فعلوا ذلك نسخها الله فأنزل الله: ٢٨٦: ﴿لَا يَكْفُرُ اللهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ إلى آخره. رواه مسلم. قال ابن عباس: كانت هذه الوسوسة مما لا طاقة للمسلمين بها، وصار الأمر إلى أن قضى الله عز وجل أن للنفس ما كسبت وعليها ما اكتسبت في القول والفعل. قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «قال الله: إذا همّ عبيدي بسية فلا تكتبوها عليه، فإن عملها فكتبوها سيئة، وإذا همّ بحسنة فلم يعملها فكتبوها حسنة، فإن عملها فكتبوها عشراً». رواه مسلم. ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ﴾ من خير ﴿وعليها ما اكتسبت﴾ من شرّ، ثم قال تعالى مرشداً عباده إلى سؤاله، وقد تكفل لهم بالإجابة، علمهم أن يقولوا: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا﴾ إن تركنا فرضاً على جهة النسيان، ﴿أو أَخْطَأْنَا﴾ أو فعلنا حراماً أو أخطأنا في العمل جهلاً منا. ﴿رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إصْرًا﴾ لا تكلفنا من الأعمال الشاقة ﴿كما حملت على الذين من قبِلنا﴾ من الأغلال والأصار ﴿رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ﴾ من التكليف والمصائب والبلاء، ﴿وَاعْفُ عَنَّا﴾ مما تعلمه من تقصيرنا وزللنا ﴿وَاعْفِرْنَا﴾ مساويتنا ﴿وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا﴾ أنت ولينا وناصرنا وعليك توكلنا ﴿فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾، قال: آمين.

الآية: ٢٨٦ قال رسول الله ﷺ: «أعطيتُ هذه الآيات من آخر سورة البقرة من كثر تحت العرش لم يُعْطَها نبي قبلي». رواه أحمد بإسناد صحيح / مجمع الزوائد ج ٤/ ٣٢٤.

سورة آل عمران

وهي مدنية. نزلت [ثمانون آية من أولها] في وفد [نصارى] نجران ١-٢: ﴿التم. الله لا إله إلا هو الحي القيوم﴾، تقدم الكلام على قوله تعالى ﴿التم﴾ في أول سورة البقرة بما أغنى عن إعادته، وتقدم الكلام على قوله تعالى: ﴿الله لا إله إلا هو الحي القيوم﴾ في تفسير آية الكرسي ٣: ﴿نزل عليك الكتاب بالحق﴾ نزل عليك القرآن يا محمد بالحق، أي: لا شك فيه ولا ريب بل هو منزل من عند الله ﴿مصدقاً لما بين يديه﴾ من الكتب قبله في قدم الزمان ﴿وأنزل التوراة﴾ على موسى ﴿والإنجيل﴾ على عيسى ٤: ﴿من قبل﴾ من قبل هذا القرآن ﴿هدى للناس﴾ في زمانها ﴿وأنزل الفرقان﴾ وهو الفارق بين الهدى والضلال والحق والباطل، وهو القرآن، ﴿إن الذين كفروا بآيات الله﴾ أنكروها وردوها بالباطل ﴿لهم عذاب شديد﴾ يوم القيامة ﴿والله عزيز﴾ منيع الجانب عظيم السلطان ﴿ذو انتقام﴾ من كذب بآياته ٥: يُخبر تعالى أنه يعلم غيب السموات والأرض لا يخفى عليه شيء من ذلك ٦: ﴿هو الذي يصوركم في الأرحام كيف يشاء﴾ يخلفكم في الأرحام كما يشاء من ذكر وأنثى، وحسن وقبح، وشقي وسعيد ﴿لا إله إلا هو العزيز الحكيم﴾ هو الذي خلق وهو المستحق للإلهية وحده لا شريك له، وله العزة التي لا ترام، وفي هذه الآية تعريض بل تصرخ بأن عيسى عبد مخلوق كسائر البشر ٧: يخبر

سورة آل عمران

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الم ﴿١﴾ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ﴿٢﴾ نَزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ ﴿٣﴾ مِنْ قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ الْفُرْقَانَ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو نِقَامٍ ﴿٤﴾ إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ ﴿٥﴾ هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٦﴾ هُوَ الَّذِي أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَبَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلُّ مَنْ عِنْدَ رَبِّنَا وَمَا يَذْكُرُ إِلَّا أَوْلُوا الْأَلْبَابِ ﴿٧﴾ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ﴿٨﴾ رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ إِنَّكَ اللَّهُ لَا يُخَلِّفُ الْمِيعَادَ ﴿٩﴾

تعالى أن في القرآن آيات محكمات هن أم الكتاب؛ أي: بينات واضحات الدلالة لا التباس فيها على أحد، ومنه آيات أخر فيها اشتباه في الدلالة على كثير من الناس؛ فمن رد ما اشبهه إلى الواضح منه، وحكم محكمه على متشابهه عنده فقد اهتدى، ومن عكس انعكس. ﴿فأما الذين في قلوبهم زيغ﴾ ضلال ﴿فيقتبعون ما تشابه منه﴾ ليحرفوه إلى مقاصدهم ﴿ابتغاء الفتنة﴾ الإضلال لأتباعهم إيهاماً لهم أنهم يحتجون على بدعتهم بالقرآن، وهو حجة عليهم لا لهم، ﴿وابتغاء تأويله﴾ تحريفه على ما يريدون. وقرأ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هذه الآية فقال (إذا رأيتم الذين يجادلون في فهم الذين عنى الله، فاحذروهم). رواه ابن حبان في صحيحه. ﴿وما يعلم تأويله إلا الله﴾، قال الخطابي: قد جعل الله تعالى آيات كتابه الذي أمرنا بالإيمان به: محكماً ومتشابهاً، فأعلم أن المتشابه من الكتاب قد استأثر الله بعلمه، فلا يعلم تأويله أحد غيره، ثم أتى الله عز وجل على الراسخين في العلم بأنهم يقولون آمنا به، وفي الحديث: «وما تشابه منه فآمنوا به». ﴿والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا، وما يذكروا إلا أولوا الأبواب﴾، ثم قال تعالى مخبراً عنهم أنهم دعوا ربهم قائلين: ٨: ﴿ربنا لا تزعج قلوبنا بعد إذ هديتنا﴾ لا ثملها عن الصراط المستقيم ﴿وهب لنا من لَدُنْكَ رَحْمَةً﴾ تثبت بها قلوبنا وتزيدنا بها إيماناً وإيقاناً ﴿إنك أنت الوهاب﴾، وكان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يقول: «يا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ»، ثم يقرأ هذه الآية ٩: ﴿ربنا إنك جامع الناس ليومٍ لا ريب فيه﴾ يقولون في دعائهم: ﴿إنك يا ربنا ستجمع بين خلقك يوم معادهم وتفصل بينهم﴾، ﴿إن الله لا يخلف الميعاد﴾.

١٠: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِي عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَأُولَئِكَ هُمْ وَقُودُ النَّارِ﴾ يُخبر تعالى عن الكفار بأنهم وقود النار، وليس ما أتوه في الدنيا من الأموال والأولاد ينافع لهم عند الله ١١: ﴿كَذَّابٌ آلُ فِرْعَوْنَ﴾ كصنيع آل فرعون ﴿وَالَّذِينَ مِنْ قِبَلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ شديد الأخذ لا يمتنع منه أحد ولا يفوته شيء ١٢: ﴿قُلْ﴾ يا محمد ﴿لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ﴾ في الدنيا ﴿وَتُحْشَرُونَ﴾ يوم القيامة ﴿إِلَىٰ جَهَنَّمَ وَيَسُ الِْمِهَادِ﴾، وإن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لما أصاب من أهل بدر ما أصاب، جمع اليهود وقال: «يا معشر يهود أسلموا قبل أن يصيبكم الله بما أصاب قريشاً»، فقالوا: يا محمد لا يغرتك من نفسك أنك قتلت نفرًا من قريش كانوا أعماراً لا يعرفون القتال، إنك والله لو قاتلنا لعرفت أنّا نحن الناس، وإنك لم تلق مثلنا، فأنتل الله في ذلك من قومه [هذه الآية] ١٣: ﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ﴾ أيها اليهود القائلون ما قلتم ﴿آيَةٌ﴾ على أن الله ناصر رسوله ومُظهر كلمته ﴿فِي فِتْنَتَيْنِ التَّفَاتِي﴾ للقتال ﴿فَفِي تَفَاتُلٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ وهم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله عليه وآله وسلم، ﴿وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ﴾ وهم مشركو قريش يوم بدر ﴿يُرَوِّهِمْ وَيُلِيهِمْ رَأْيَ الْعَيْنِ﴾ يرى المشركون يوم بدر أن المسلمين مثلهم في العدد، ﴿وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصَرِهِ مَن يَشَاءُ﴾، إن في ذلك لعبرة لأولي الأبصار، ليتهدي به إلى

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِي عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَأُولَئِكَ هُمْ وَقُودُ النَّارِ ﴿١٠﴾ كَذَّابٌ آلُ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قِبَلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿١١﴾ قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وَيَسُ الِْمِهَادِ ﴿١٢﴾ قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِتْنَتَيْنِ التَّفَاتِي فَمَا تَقْتُلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُمْ مِّثْلَيْهِمْ رَأَى الْعَيْنِ وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصَرِهِ مَن يَشَاءُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ ﴿١٣﴾ زَيْنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَبَادِ ﴿١٤﴾ قُلْ أُوْنَيْتُكُمْ بِخَيْرٍ مِّنْ ذَلِكَ لِّلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّتْ تَجْرِي مِّنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴿١٥﴾

حكم الله وأفعاله وقدره الجاري بنصر عباده المؤمنين ١٤: يُخبر تعالى عمّا زَيْنَ للناس في هذه الحياة الدنيا من أنواع الملاذ من النساء والبنين، فبدأ بالنساء لأن الفتنة بهن أشد، كما ثبت في الصحيح أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: «ما تركت بعدني فتنة أضرت على الرجال من النساء». ﴿وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ﴾ المرعية المهطمة. ﴿وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ﴾ القنطار: ألفا أوقية. ﴿وَالْأَنْعَامِ﴾ الإبل والبقر والغنم. ﴿وَالْحَرْثِ﴾ الأرض المتخذة للغراس والزراعة. ﴿ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾، إنما هذا زهرة الحياة الدنيا وزينتها الفانية الزائلة ﴿وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَبَادِ﴾ حُسْنُ المراجع والثواب ١٥: ﴿قُلْ﴾ يا محمد للناس ﴿أُوْنَيْتُكُمْ بِخَيْرٍ مِّنْ ذَلِكَ﴾ أأحرمكم بخير مما زين للناس في هذه الحياة الدنيا من زهرتها ونعيمها؟ ﴿لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّتْ تَجْرِي مِّنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا﴾ أبد الأبدين ﴿وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ﴾ من الدنس والأذى ﴿وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ﴾ أكبر وأعظم مما أعطاهم من النعيم المقيم، ﴿وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾، يُعطي كلاً بحسب ما يستحقه من العطاء.

الآية ١٤: في النساء فتنان، وفي الأولاد فتنة واحدة. فأما التان في النساء: فإحداهما أن تؤذي إلى قطع الرحم؛ لأن المرأة تأمر زوجها بقطعه عن الأمهات والأخوات. والثانية: يُتيل بجمع المال من الحلال والحرام.

وأما البنون: فإن الفتنة فيهم واحدة، وهو أن ما مثلي بجمع المال لأجلهم.

فعل المسلم أن ينجار الزوجة الصالحة التي تعينه على طاعة الله تعالى وعلى صلة الرحم، قال رسول الله ﷺ: «عليك بذات الدين تربت يداك» أخرجه مسلم. /القرطبي ج ٤/ ٢٩.

الآية: ١٥: أي سعي قال: قال رسول الله ﷺ: «ألا أدلكم على ما يكفر الله به من الخطايا ويؤيد في الحسنات؟ إسباغ الوضوء على المكارهات، وكثرة الخطا إلى المساجد، وانتظار الصلاة بعد الصلاة» رواه ابن ماجه

الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّا أَمَّا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا
عَذَابَ النَّارِ ﴿١٦﴾ الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْقَانِتِينَ
وَالْمُنْفِقِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ ﴿١٧﴾ شَهِدَ
اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ
لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١٨﴾ إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ
اللَّهِ الْإِسْلَامُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ
بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَمَنْ يَكْفُرْ بَيِّنَاتٍ
اللَّهُ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿١٩﴾ فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ
وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيَّةَ
أَسْلَمْتُمْ فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا
عَلَيْكَ الْبَلَّغُ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴿٢٠﴾ إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ
بَيِّنَاتٍ مِنَ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيَّاتِ بَعِيرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ
الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُمْ
بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢١﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ
فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ ﴿٢٢﴾

١٦: يصف تعالى عباده المتقين الذين
وعدهم الثواب الجزيل فقال تعالى: ﴿الذين
يقولون ربنا إنما آمتنا بك وبكتابك
وبرسولك﴾ فإغفر لنا ذنوبنا﴾ بإيماننا بك
بفضلك ورحمتك ﴿وقنا عذاب النار﴾
١٧: ﴿الصابرين﴾ في قيامهم بالطاعات
وتركهم المحرمات ﴿والصادقين﴾ فيما أحرروا
به من إيمانهم ﴿والقانتين﴾، القنوت: الطاعة
والخضوع ﴿والمنفقين﴾ من أموالهم في
الطاعات وصلة الأرحام ﴿والمستغفرين
بالأسحار﴾، دل على فضيلة الاستغفار وقت
السحر ١٨: ﴿شهد الله﴾ وكفى به شهيداً
وهو أصدق الشاهدين والقائلين ﴿أنه لا إله
إلا هو﴾ المنفرد بالهيبة لجميع الخلق؛ ثم
قرن شهادة ملائكته وأولي العلم بشهادته
فقال: ﴿شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة
وأولو العلم﴾، وهذه خصوصية عظيمة
للعلماء في هذا المقام ﴿فأما بالقسط﴾
منصوب على الحال، وهو في جميع الأحوال
كذلك، ﴿لا إله إلا هو﴾ تأكيد لما سبق
﴿العزیز الحكيم﴾ العزيز الذي لا يرام جنابه
عظمة وكبرياء، الحكيم في أقواله وأفعاله وشرعه
وقدره. [وكان النبي صلى الله عليه وآله وسلم
إذا قرأ هذه الآية قال: «وأنا على ذلك من
الشاهدين يا رب». وأنا أشهد بما شهد الله به
وأستودع الله هذه الشهادة، وهي لي عنده
وديعة ١٩: ﴿إن الذين عند الله الإسلام﴾
إخبار منه تعالى بأنه لا دين عنده يقبله من
أحد سوى الإسلام، كما قال تعالى: ﴿ومن

يتبع غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين﴾ ﴿وما اختلف الذين أوتوا الكتاب إلا من بعد ما جاءهم العلم بغياً بينهم﴾
بغى بعضهم على بعض، فاختلّفوا في الحق لتحاسدهم وتباغضهم ﴿ومن يكفر بآيات الله فإن الله سريع الحساب﴾ من جحد ما أنزل الله في
كتابه، فإن الله سيجازيه على تكذيبه ومخالفته كتابه ٢٠: ﴿فإن حاجوك﴾ في التوحيد ﴿فقل أسلمت وجهي لله ومن اتبعن﴾ فقل أخلصت
عبادتي لله وحده، ومن هو على ديني يقول كمنقالي. ثم قال تعالى أمراً رسوله محمداً صلى الله عليه وآله وسلم أن يدعو إلى دينه أهل الكتابين
والمشركين فقال تعالى: ﴿قل للذين أوتوا الكتاب والأمين﴾، [وهم مشركو العرب] ﴿أسلمتم فإن أسلموا فقد اهتدوا وإن تولوا فإنما عليك
البلاغ﴾ والله عليه حسابهم وإليه مرجعهم ﴿والله بصير بالعباد﴾ ٢١: هذا ذم من الله تعالى لأهل الكتاب بما ارتكبوه من المآثم والمحارم في
تكذيبهم بآيات الله قديماً وحديثاً، ومع هذا قتلوا من النبيين حين بلغوهم شرعه بغير سبب إلا لكونهم دعوهم إلى الحق. ﴿ويقتلون الذين
يأمرون بالقسط من الناس﴾ وهذا غاية الكبر، ولهذا قابلهم الله على ذلك بالعذاب في الآخرة فقال: ﴿فبشرهم﴾ [أي: أخبرهم] ﴿بعذاب
أليم﴾ ٢٢: ﴿أولئك الذين حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة وما لهم من ناصرين﴾.

٢٣: يقول تعالى منكرًا على اليهود والنصارى
 المتمسكين فيما يزعمون بكتابتهم التوراة
 والإنجيل [بأنهم] إذا دُعوا إلى الحاكم إلى
 ما فيها من اتباع محمد صلى الله عليه وآله
 وسلم تولوا وهم معرضون؟! وهذا في غاية
 ما يكون من ذمهم ٢٤: ﴿ذَلِكَ﴾ إنما
 حملهم على مخالفة الحق ﴿بأنهم قالوا لن تمسنا
 النارُ إلا أياماً معدودات، وعزهم في دينهم
 ما كانوا يفترون﴾ تثبتهم على دينهم الباطل
 ما خدعوا أنفسهم من زعمهم [الكاذب]
 ٢٥: قال تعالى مهتداً لهم ومتوعداً:
 ﴿فكيف إذا جمعناهم ليومٍ لا ريب فيه﴾
 كيف يكون حالهم؟ وقد افتروا على الله
 وكذبوا؟! أي: لا شك في وقوعه، ﴿ووفيت
 كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون﴾
 ٢٦: يقول تعالى يا محمد ﴿قل اللهم مالك
 الملك﴾ لك الملك كله ﴿توتى الملك من
 تشاء وتزعُ الملك ممن تشاء﴾ أنت المعطي
 وأنت المانع ﴿و﴾ أنت الذي ﴿تُعز من تشاء
 وتذل من تشاء﴾ فما شئت كان وما لم تشأ
 لم يكن. وفي هذه الآية تنبيه أن الله تعالى
 حول النبوة من بني إسرائيل إلى النبي العربي
 صلى الله عليه وآله وسلم ﴿إنك على كل
 شيء قدير﴾ ٢٧: ﴿تولج الليل في النهار
 وتولج النهار في الليل﴾، تأخذ من طول هذا
 فتزيده في قصر هذا فيعتدلان، ثم تأخذ من
 هذا في هذا، وهكذا في فصول السنة.
 ﴿وتخرج الحي من الميت وتخرج الميت من
 الحي﴾ تخرج الزرع من الحب، والحب من

ألتر إلى الذين أو توأ نصيباً من الكتاب يدعون إلى كتب
 الله ليحكم بينهم ثم يتولى فريق منهم وهم معرضون ﴿٢٣﴾
 ذلك بأنهم قالوا لن تمسنا النارُ إلا أياماً معدودات وعزهم
 في دينهم ما كانوا يفترون ﴿٢٤﴾ فكيف إذا جمعناهم
 ليومٍ لا ريب فيه ووفيت كل نفس ما كسبت وهم
 لا يظلمون ﴿٢٥﴾ قل اللهم مالك الملك توتى الملك
 من تشاء وتزعُ الملك ممن تشاء وتُعز من تشاء وتذل
 من تشاء بيدك الخير إنك على كل شيء قدير ﴿٢٦﴾ تولج الليل
 في النهار وتولج النهار في الليل وتخرج الحي من الميت
 وتخرج الميت من الحي وترزق من تشاء بغير حساب ﴿٢٧﴾
 لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ومن
 يفعل ذلك فليس من الله في شيء إلا أن تتقوا منهم
 ثقلة ويحذركم الله نفسه وإلى الله المصير ﴿٢٨﴾ قل
 إن تخفوا ما في صدوركم أو تبدوه يعلمه الله ويعلم ما في
 السموات وما في الأرض والله على كل شيء قدير ﴿٢٩﴾

الزرع، والمؤمن من الكافر والكافر من المؤمن، ﴿وترزق من تشاء بغير حساب﴾ تعطي من شئت من المال ما لا يعده ولا يقدر على إحصائه،
 وتقتَر على آخرين لما لك في ذلك من الحكمة ٢٨: نهي الله تعالى عباده المؤمنين أن يؤالوا الكافرين وأن يتخذوهم أولياء يسيرُون إليهم بالموَدَّة من
 دون المؤمنين، ثم توعد على ذلك فقال: ﴿ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء﴾ من يرتكب نهي الله فقد برىء من الله، ﴿إلا أن تتقوا منهم
 ثقلة﴾ من خاف من شرهم فله أن يتقيهم بظاھر لا بباطنه ونبيته. كما قال أبو الدرداء: إنا لنكثُر في وجوه أقوامٍ وقلوبنا تلعنهم. ﴿ويحذركم الله
 نفسه﴾ يحذرکم نعمته وعذابه، لمن وآلى أعداءه ﴿وإلى الله المصير﴾ المرجع والمنقلب ٢٩: يُخبر تعالى عباده أنه يعلم السرائر والظواهر لا يخفى
 عليه منهم خافية، بل علمه محيط بهم في سائر الأحوال والأزمان، لا يغيب عنه مثقال ذرة في جميع أقطار السموات والأرض. ﴿والله على كل
 شيء قدير﴾ قدرته نافذة في جميع أمورهم.

الآية ٢٨: قال معاذ بن جبل ومجاهد: كانت النقية في جذة الإسلام قبل قرة المسلمين؛ فأما اليوم فقد أعز الله الإسلام أن يتقوا من عدوهم.

وقال ابن عباس: هو أن يتكلم بلسانه وقلبه مطمئن بالإيمان، ولا يُقتل ولا يُأبى مأتماً.
 وإن المؤمن إذا كان قائماً بين الكفار فله أن يداربهم باللسان إذا كان خائفاً على نفسه، وقلبه مطمئن بالإيمان. والنقيّة لا تجل إلا مع خوف القتل أو القطع أو الإيذاء العظيم. /القرطبي

هذا بالنسبة إلى النقية، أما بالنسبة إلى الموالاة فقد حرم الله تعالى موالاة الكفار أشد التحريم، فقال سبحانه: ﴿يأياها الذين آمنوا لاتتخذوا عدوي وعدوكم أولياء ثلثون إليهم بالموَدَّة
 - إلى أن قال - ومن يفعلهم فليس منكم فإني لآبئ لمن يفعلهم﴾ [سورة الممتحنة/١] وقال تعالى: ﴿يأياها الذين آمنوا لاتتخذوا الكافرين أولياء من دون المؤمنين، أتريدون أن يجعلوا لله عليكم
 سلطاناً مبيناً﴾ [سورة النساء/١٤٤] وقال سبحانه: ﴿يأياها الذين آمنوا لاتتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض، ومن يتولهم فإثم منهم﴾ [سورة المائدة/٥١].

يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا وَيَحْذَرُكُمْ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ ﴿٣٠﴾ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٣١﴾ قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكٰفِرِينَ ﴿٣٢﴾ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعٰلَمِينَ ﴿٣٣﴾ ذُرِّيَّةً بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾ إِذْ قَالَتِ امْرَأَتُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَدَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٣٥﴾ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَىٰ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيدُهَا بِلَكَ وَذُرِّيَّتِهَا مِنَ الشَّيْطٰنِ الرَّجِيمِ ﴿٣٦﴾ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَمْرِؤُْمَ إِنِّي لَلرَّءِيسِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٧﴾

٣٠: ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا﴾ يوم القيامة يحضر للعبد جميع أعماله من خيرٍ وشرٍّ كما قال تعالى: ﴿يُنَبِّئُ الْإِنسَانَ يَوْمِئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ﴾؛ فما رأى من أعماله حسناً سره ذلك، ﴿وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ﴾ من فيح ﴿تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا﴾ كما يقول للشيطان: ﴿يَا لَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ﴾، ثم قال تعالى مؤكداً ومهدداً ومتوعداً: ﴿وَيُحْذِرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ﴾ يُخَوِّفُكُمْ عِقَابَهُ، ثم قال تعالى لعباده لئلا يشبوا من رحمة ﴿وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾ ومن رأفته بهم حذرهم نفسه أي: هو رحيم بخلقه يجهم أن يستقيموا على صراطه المستقيم ٣١: هذه الآية الكريمة حاكمة على كل من ادعى حبة الله، وليس هو على الطريقة المحمدية؛ فإنه كاذب في نفس الأمر حتى يتبع الشرع المحمدي، ولهذا قال تعالى: ﴿إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾ يحصل لكم ما طلبتم من محبتكم إياه ومحبه إياكم ﴿وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ باتباعكم رسوله صلى الله عليه وآله وسلم ﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ ٣٢: ﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا﴾ تخالفوا عن أمره ﴿فإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكٰفِرِينَ﴾؛ فدل على أن مخالفة في الطريقة كفر، والله لا يحب من اتصف بذلك ٣٣: يُخبر تعالى أنه اختار هذه البيوت على سائر أهل الأرض، فاصطفى آدم [فجعل نبياً]، واصطفى نوحاً، فجعل أول رسول بعثه إلى أهل الأرض، واصطفى آل إبراهيم، ومنهم سيد

البشر خاتم الأنبياء محمد صلى الله عليه وآله وسلم، ﴿وآل عمران﴾، والمراد بعمران هذا هو والد مريم أم عيسى ٣٤: ﴿ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾، أي: اصطفى ذرية بعضها من بعضها من بعض؛ يعني: في الناصر في الدين ٣٥: ﴿إِذْ قَالَتِ امْرَأَةٌ عِمْرَانَ﴾ أم مريم ﴿إِنِّي نَدَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا﴾ خالصاً مفرغاً للعبادة، ﴿إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ السميع لدعائي العليم بنتي ٣٦: ﴿فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَىٰ؟!﴾ ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ؟!﴾ وليس الذكر كالأنثى في القرّة والجلد في العبادة وخدمة بيت المقدس. ﴿وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيدُهَا بِلَكَ وَذُرِّيَّتِهَا مِنَ الشَّيْطٰنِ الرَّجِيمِ﴾ عودتها بالله عز وجل من شرّ الشيطان ٣٧: يُخبر ربنا تعالى أنه قبلها من أمها نذيرة، وأنه أنبتا نباتاً حسناً؛ أي: جعلها شكلاً مليحاً ومنظراً هيجاً، وقرنها بال صالحين من عباده، تتعلم منهم العلم والخير، ﴿وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا﴾ عليه السلام وهو زوج أختها، وفي الصحيح: «يحيى وعيسى، وهما ابنا الخالة». ثم أخبر تعالى عن سيادتها في محل عبادتها فقال تعالى: ﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا﴾ علماء، وفاكهة، ﴿قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكَ هَذَا؟﴾ ﴿قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾.

الآية ٣١: محبة المؤمن لله ورسوله طاعته لهما واتباعه أمرهما. وعلامة حبّ الله؛ حبّ القرآن، وعلامة حبّ النبي ﷺ؛ حبّ سببه. ومحبة الله تعالى للمؤمن إنعامه عليه بالفقران والرحمة والرضوان.
الآية ٣٥: قال رسول الله ﷺ: «حَسْبُكَ مِنْ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ: مَرْيَمُ بِنْتُ عِمْرَانَ، وَخَدِجَةُ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ، وَفَاطِمَةُ بِنْتُ مُحَمَّدٍ، وَأَسِيَةُ امْرَأَةُ فِرْعَوْنَ». رواه الترمذي وصححه. / تفسير ابن كثير ج ٢١/ ٢٦٢.

٣٨: لَمَّا رَأَى زَكَرِيَّا عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَرْيَمَ فَكَاهَهُ الشَّتَاءُ فِي الصَّيْفِ، طَمَعَ حَيْثُ فِي الْوَلَدِ، وَإِنْ كَانَ شَيْخًا كَبِيرًا، وَكَانَتْ امْرَأَتُهُ كَبِيرَةً عَاقِرًا، ﴿قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ﴿٣٨﴾ مِنْ عِنْدِكَ ﴿ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً﴾ وَلِدًا صَالِحًا ﴿إِنَّكَ سَمِيعُ الدَّعَاءِ﴾ ٣٩: ﴿فَادْنَتْهُ الْمَلَائِكَةُ﴾ خَاطِبَتُهُ شَفَاهَا ﴿وَهُوَ قَامٌ يُصَلِّي فِي الْحَرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَى مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ﴾ بَعْسَى بْنِ مَرْيَمَ ﴿وَسَيِّدًا﴾ فِي الْعِلْمِ وَالْعِبَادَةِ ﴿وَحَصُورًا﴾ لَا يَأْتِي النِّسَاءَ ﴿وَنَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ ٤٠: ﴿قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ﴾ [أَي: كَيْفَ]، ﴿وَقَدْ بَلَغَنِي الْكِبَرُ وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ؟﴾ [أَي: لَا تَلِدُ]، ﴿قَالَ﴾ الْمَلَكُ ﴿كَذَلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾ لَا يَعْجِزُهُ شَيْءٌ ٤١: ﴿قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً﴾ عِلْمَةً أَسْتَدِلُّ بِهَا عَلَى وُجُودِ الْوَلَدِ مِنِّي، ﴿قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تَكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا زَمْزَرًا﴾ إِشَارَةً لَا تَسْتَطِيعُ النُّطْقَ، مَعَ أَنَّ سَوِيَّ صَاحِبِهِ. ثُمَّ أُمِرَ بِكَثْرَةِ الذِّكْرِ وَالتَّسْبِيحِ فِي هَذِهِ الْحَالِ؛ ﴿وَأَذْكُرْ رَبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ﴾ ٤٢: هَذَا إِخْبَارٌ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى بِمَا خَاطَبَتْ بِهِ الْمَلَائِكَةُ مَرْيَمَ عَلَيْهَا السَّلَامُ، عَنِ أَمْرِ اللَّهِ لَهَا بِذَلِكَ: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ﴾ اخْتَارَهَا لِشَرَفِهَا وَطَهَارَتِهَا، وَاصْطَفَاهَا ثَانِيًا مَرَّةً بَعْدَ مَرَّةٍ لِحِلَالَتِهَا، عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ ٤٣: ثُمَّ أَخْبَرَ تَعَالَى عَنِ الْمَلَائِكَةِ أَنَّهُمْ أَمْرُوها بِكَثْرَةِ الْعِبَادَةِ وَالْخُشُوعِ وَالدَّابِّ فِي الْعَمَلِ لَمَّا يُرِيدُ اللَّهُ بِهَا مِنَ الْأَمْرِ الَّذِي قَدَّرَهُ وَقَضَاهُ، مِمَّا فِيهِ مَخْرَجٌ لَهَا وَرَفْعَةٌ فِي الدَّارَيْنِ، بِمَا

هَذَا كَدَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ، قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدَّعَاءِ ﴿٣٨﴾ فَادْنَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَامٌ يُصَلِّي فِي الْحَرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَى مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٣٩﴾ قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَقَدْ بَلَغَنِي الْكِبَرُ وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ﴿٤٠﴾ قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تَكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا زَمْزَرًا وَذِكْرَ رَبِّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ ﴿٤١﴾ وَالْمَلَائِكَةُ يُمَرِّمُ إِنْ اللَّهُ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكَ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ ﴿٤٢﴾ يُمَرِّمُ أَفْتَى لِرَبِّكَ وَأَسْجُدِي وَأَرْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ ﴿٤٣﴾ ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَقُولُونَ أَقْلَمَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴿٤٤﴾ إِذْ قَالَتْ الْمَلَائِكَةُ يُمَرِّمُ إِنْ اللَّهُ يُبَشِّرُكَ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٥﴾

أَظْهَرَ اللَّهُ فِيهَا مِنْ قُدْرَتِهِ الْعَظِيمَةِ حَيْثُ خَلَقَ مِنْهَا وَلَدًا مِنْ غَيْرِ أَبٍ ﴿يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ﴾ الطَّاعَةَ وَالْخُشُوعَ ﴿وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾ ٤٤: ﴿ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ﴾ نَقَضَهُ عَلَيْكَ ﴿وَمَا كُنْتَ يَا مُحَمَّدٌ ﴿لَدَيْهِمْ﴾ عِنْدَهُمْ ﴿إِذْ يَقُولُونَ أَقْلَمَهُمْ﴾ حِينَ اقْتَرَعُوا فِي شَأْنِ مَرْيَمَ ﴿أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ﴾ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ٤٥: هَذِهِ بَشَارَةٌ مِنَ الْمَلَائِكَةِ لِمَرْيَمَ عَلَيْهَا السَّلَامُ بِأَنَّ سَيُوجَدُ مِنْهَا وَلَدٌ عَظِيمٌ لَهُ شَأْنٌ كَبِيرٌ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ﴾ بِوُجُودِ وَلَدٍ يَكُونُ بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ؛ أَي: يَقُولُ لَهُ: كُنْ فَيَكُونُ ﴿اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا﴾ لَهُ مَكَانَةٌ عِنْدَ اللَّهِ فِي الدُّنْيَا بِمَا يُوحِيهِ إِلَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ ﴿وَالْآخِرَةِ﴾ فَيُشْفَعُ عِنْدَ اللَّهِ ﴿وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾.

الآية: ٣٨ عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «الدعاء ينفع مما نزل وما لم ينزل، فعليكم عباد الله بالدعاء»، وعن النعمان بن بشير والبراء بن عازب قال: قال رسول الله ﷺ: «الدعاء هو العبادة». صحيح الجامع الصغير ج ١/٦٤١/٦.

الآية: ٣٨ قال الإمام القرطبي: دلّت هذه الآية على طلب الولد، وهي من سنة المرسلين والصدّيقين، قال الله تعالى: ﴿ولو قد أرسلنا رسلاً من قبلك وجعلنا لهم أزواجاً وذرية﴾. وخرّج ابن ماجه عن عائشة قالت: قال رسول الله ﷺ: «النكاح من سنتي فمن لم يعمل بسنتي فليس مني، وتزوجوا فإني مكاترٌ بكم الأمم، ومن كان ذا طولٍ فليتكح، ومن لم يجد فعلية بالصور، فإنه له وجاء». وقال ﷺ: «تزوجوا الولود الودود، فإني مكاترٌ بكم الأمم» أخرجه أبو داود. والأخبار في هذا المعنى كثيرة تحت على طلب الولد وتندب إليه، لما يرجوه الإنسان من نفعه في حياته وبعد موته، قال رسول الله ﷺ: «إذا مات أحدكم انقطع عمله إلا من ثلاث»، فذكر: «أو ولد صالح يدعو له» /القرطبي ج ٤/٧٢-٧٣/.

وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٤٦﴾
 قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرٌ قَالَ ذَلِكَ
 اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿٤٧﴾
 وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ ﴿٤٨﴾
 وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِبَيِّنَاتٍ مِّن رَّبِّكُمْ
 أَنِّي أَخْلَقُ لَكُمْ مِنَ الطَّيْرِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ
 فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُرِيكُمْ الْأَكْمَةَ وَالْأَبْرَصَ
 وَأُحْيِي الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَكُونُونَ وَمَا تَدْخُرُونَ
 فِي بُيُوتِكُمْ إِنِّي فِي ذَلِكَ لَآيَةٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴿٤٩﴾
 وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَلِأَحْلَلْ لَكُمْ
 بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ وَجِئْتُكُمْ بِبَيِّنَاتٍ مِّن رَّبِّكُمْ
 فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ۖ ﴿٥٠﴾ إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ
 هَذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٥١﴾ فَلَمَّا أَحَسَّ عَيْسَىٰ مِنْهُمْ
 الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْخَوَارِثُونَ نَحْنُ
 أَنْصَارُ اللَّهِ ءَأَمْنَا بِاللَّهِ وَأَشْهَدُ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٥٢﴾

٤٦: ﴿وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ﴾ يدعو إلى عبادة الله وحده لا شريك له في حال صغره، معجزة وآية ﴿وكهلاً﴾ وفي حال كهولته حين يُوحى الله إليه ﴿ومن الصالحين﴾ في قوله وعمله، له علمٌ صحيح وعمل صالح
 ٤٧: ﴿فلما سمعتُ بشارَةَ الملائكة﴾ قالت ربّ أنى يكون لي ولد ولم يمسسني بشرٌ كيف يكون هذا الولد وأنا لست بذات زوج ولا من عزمي أن أتزوج، فقال لها الملكُ عن الله: ﴿بذلك الله يخلق ما يشاء﴾! هكذا أمر الله عظيم لا يعجزه شيء، وأكد ذلك بقوله: ﴿إذا قضى أمرًا فإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ فلا يتأخر، بل يوجد بلا مهلة، كقوله تعالى: ﴿وما أمرنا إلا واحدةً كلمح البصر﴾ ٤٨: هذا من تمام البشارة أن الله تعالى يُعلمه التوراة والإنجيل. والكتاب: [الكتابة والخط] ٤٩: ﴿ورسولاً إلى بني إسرائيل﴾ قائلاً لهم ﴿أنى قد جئتكم بآية من ربكم أنى أخلق لكم من الطين كهيئة الطير فأنفخ فيه فيكون طيراً بإذن الله﴾ وهذا معجزة له تدل على أنه أرسله الله تعالى، ﴿وأبرص الأكمه﴾ [الذي يولد أعمى]، ﴿والأبرص وأحيى الموتى بإذن الله﴾ هذه معجزات بهت الأبصار، في زمن الأطباء وعلم الطبيعة، فجاءهم من الآيات بما لا سبيل لأحد إليه، إلا ان يكون مؤيداً [من الله تعالى]، ﴿وأنبئكم بما تأكلون﴾ الآن ﴿وما تدخرون في بيوتكم﴾ لغدٍ [إن في ذلك آية لآية لكم] على صدق ما جئتكم

به [إن كنتم مؤمنين] ٥٠: ﴿ومُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ [أي: لما قبلي] ﴿من التوراة﴾، مقراً بها ومُثَبِّتاً لها، ﴿ولِأَحْلَلْ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ﴾ فيه دلالة على أن عيسى نسخ بعض شريعة التوراة، ﴿وجئتكم بآية من ربكم﴾ بحجة على صدقي فيما أقول. ﴿فاتقوا الله وأطيعون﴾ ٥١: ﴿إن الله ربي وربكم فاعبدوه﴾ أنا وأنتم سواء في العبودية له والخضوع والاستكانة إليه، ﴿هذا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ﴾ ٥٢: ﴿فلَمَّا أَحَسَّ عَيْسَى مِنْهُمْ﴾ استشعر منهم التصميم على الكفر والاستمرار على الضلال ﴿قال من أنصاري إلى الله﴾ مع الله؟ ﴿قال الخواريثون نحن أنصارُ الله﴾ والخواريثُ: الناصرُ. ﴿أمنا بالله واشهد بنا مسلمون﴾. وفي الصحيحين أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لما نذّب الناس يوم الأحزاب، فانتدب الزبير [أي: أجاب الزبير]، ثم نذّبهم فانتدب الزبير، فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «الكل نبيّ حواريّ وحواريّ الزبير». رضي الله عنه.

الآية ٤٩: قال كثير من العلماء: بعث الله كل نبي من الأنبياء بما يناسب أهل زمانه، فكان الغالب على زمان موسى عليه السلام السحر وتعظيم السحرة، فبعثه الله بمعجزات بهت الأبصار، وحيرت كل سحار، فلما استبقوا أنها من عند العظيم الجبار اتقادوا للإسلام، وصاروا من عباد الله الأبرار. وأما عيسى عليه السلام بُعث في زمن الأطباء وأصحاب علم الطبيعة فجاءهم من الآيات بما لا سبيل لأحد إليه إلا أن يكون مؤيداً من الذي شرع الشريعة، فمن أين للطبيب قدرة على إحياء الجماد، أو على مداواة الأكمه والأبرص؟! وكذلك محمد ﷺ بُعث في زمان الفصحاء، والبلغاء وتجاريد الشعراء؛ فأتاهم بكتاب من عند الله عز وجل، فلو اجتمعت الإنس والجن على أن يأثروا بمثله، أو بعشر سور من مثله، أو بسورة من مثله، لم يستطيعوا أبداً ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً، وما ذلك إلا أن كلام الرب عز وجل لا يشبه كلام الخلق أبداً. / ابن كثير ج ١/ ٣٦٥.

أمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم، الذين شهدوا لأبياتك بالصدق ٥٤: ثم قال تعالى مخبراً عن ملائكة بني إسرائيل فيما هموا به من الفتك بعيسى: ﴿وَمَكَّرُوا وَمَكَّرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾؛ وفرغه الله إلى السماء وألقى شبهه على [من دُلَّ عليه]، فأخذوه وأهانوه وصلبوه ٥٥: ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ارْفَعْكَ وَإِنَّا لَمُتَوَّقِينَ﴾؛ لئلا يموت؛ لأن الله تعالى قال: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ﴾ إلى قوله- وما قتلوه يقيناً بل رفعه الله إليه، ﴿وَمَطَّهَرُوكُم مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ برفعي إياك إلى السماء، ﴿وَجَاعَلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا فَاعْزِبْ عَنْهُمُ عَذَابًا شَدِيدًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ مِّن نَّاصِرِينَ﴾ ٥٦: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَاللَّهُ لَا يَحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾ ٥٧: ﴿ذَلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ الْآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ﴾ ٥٨: ﴿إِنَّمَا مَثَلُ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُ مِن تَرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ ٥٩: ﴿الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُن مِّنَ الْمُمْتَرِينَ﴾ ٦٠: ﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِن بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾ ٦١: ﴿فَأْتُوا أَن يُجِيبُوا﴾

رَبِّكَ ءَامَنَّا بِمَا أَنزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتَبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴿٥٣﴾ وَمَكَّرُوا وَمَكَّرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ ﴿٥٤﴾ إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ارْفَعْكَ وَإِنَّا لَمُتَوَّقِينَ ﴿٥٥﴾ وَإِنَّا لَمُتَوَّقِينَ ﴿٥٥﴾ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ إِلَى قَوْلِهِ- وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ، ﴿وَمَطَّهَرُوكُم مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ برفعي إياك إلى السماء، ﴿وَجَاعَلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا فَاعْزِبْ عَنْهُمُ عَذَابًا شَدِيدًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ مِّن نَّاصِرِينَ﴾ ٥٦: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَاللَّهُ لَا يَحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾ ٥٧: ﴿ذَلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ الْآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ﴾ ٥٨: ﴿إِنَّمَا مَثَلُ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُ مِن تَرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ ٥٩: ﴿الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُن مِّنَ الْمُمْتَرِينَ﴾ ٦٠: ﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِن بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾ ٦١

وأخذ الأموال وإزالة الأيدي عن الممالك، وفي الدار الآخرة عذابهم أشد وأشق ٥٧: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ﴾ في الدنيا والآخرة؛ في الدنيا بالنصر والظفر، وفي الآخرة بالجنات العاليات، ﴿وَاللَّهُ لَا يَحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾ ٥٨: ﴿ذَلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ الْآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ﴾ هذا الذي قصصنا عليك يا محمد في أمر عيسى هو مما لا يبرية فيه ولا شك، كما قال تعالى: ﴿ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ﴾ ٥٩: ﴿إِنَّمَا مَثَلُ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ﴾ في قدرة الله حيث خلقه من غير أب ﴿كَمَثَلِ ءَادَمَ﴾ حيث ﴿خَلَقَهُ مِن تَرَابٍ﴾ من غير أب ولا أم ﴿ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ ٦٠: ﴿الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُن مِّنَ الْمُمْتَرِينَ﴾ هذا هو القول الحق في عيسى الذي لا مجيد عنه ولا صحيح سواه ٦١: ﴿ثُمَّ أَمَرَ تَعَالَى رَسُولُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أَن يُيَاهِلَ مَن عَانَدَ الْحَقِّ فِي أَمْرِ عِيسَى بَعْدَ ظَهْرِ الْبَيَانِ فَقَالَ تَعَالَى: ﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِن بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ﴾ نحضرهم في حال المباهلة ﴿ثُمَّ نَبْتَهِلْ﴾ نلتعن ﴿فَنَجْعَل لَّعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾ منكم. فلما طلب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم نصارى نجران إلى المباهلة في أمر عيسى عليه السلام، فأبوا أن يجيبوا.

الآية ٦١: قال عبد الله بن عباس: «لو خرج الذين يباهلون رسول الله ﷺ لرجعوا لا يجدون مالا ولا أهلا» رواه البخاري والترمذي والنسائي وأحمد. وعن جابر قال: قدم على النبي ﷺ العابد والطيب [من وفد نصارى نجران] فدعاهما إلى الملاعة، فوعده على أن يلاعنه القداة، قال: فدنا رسول الله ﷺ، فأخذ بيد علي وفاطمة والحسن والحسين، ثم أرسل إليهما، فأتيا أن يجيبا، وأقره بالخارج، قال: فقال رسول الله ﷺ: «والذي بعثني بالحق لو قال: لا، لأمطر عليهم الوادي نارا»، قال جابر: وفيهم نزلت: ﴿تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ﴾. / ابن كثير ج ١.

إِنَّ هَذَا هُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ
 الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٦٤﴾ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ عَلَيْهِ يَأْمُقْسِدِينَ ﴿٦٥﴾
 قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ
 أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا
 بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا
 مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي
 إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنزِلَتِ التَّوْرَةُ وَالْإِنْجِيلُ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ أَفَلَا
 تَعْقِلُونَ ﴿٦٥﴾ هَاتِنْتُمْ هَتُولَاءِ حَاجَجْتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ
 عِلْمٌ فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ
 لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٦﴾ مَا كَانَ إِبْرَاهِيمَ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ
 حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٦٧﴾ إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ
 بِإِبْرَاهِيمَ لِلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ
 الْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٨﴾ وَدَّتْ طَآئِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يُضِلُّوكُمْ
 وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٦٩﴾ يَا أَهْلَ
 الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ ﴿٧٠﴾

٦٢: ثم قال الله تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا هُوَ
 الْقَصَصُ الْحَقُّ﴾ في شأن عيسى ﴿وَمَا مِنْ
 إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ وَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾
 ٦٣: ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا﴾ عن هذا إلى غيره
 ﴿فَإِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِالْمُفْسِدِينَ﴾ من عدل عن
 الحق إلى الباطل فهو المفسد، والله عليم به
 وسيجزيه على ذلك شرَّ الجزاء ٦٤: هذا
 خطاب يعمُّ اليهود والنصارى ﴿قُلْ يَا أَهْلَ
 الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾
 عدل ﴿أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا﴾
 لا ونسأ ولا صلياً ولا طاغوتاً، بل نفرد الله
 بالعبادة وحده لا شريك له ﴿وَلَا يَتَّخِذُ
 بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ ولا يطبع
 بعضنا بعضاً في معصية الله، ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا
 فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [أي:
 متصفون بالإسلام] ٦٥: يُنكر تبارك وتعالى
 على اليهود والنصارى في حاجتهم في إبراهيم
 عليه السلام، ودعوى كل طائفة منهم أنه كان
 منهم: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ
 وَمَا أُنزِلَتِ التَّوْرَةُ وَالْإِنْجِيلُ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ أَفَلَا
 تَعْقِلُونَ؟!﴾ ٦٦: هذه الآية إنكارٌ على من
 يُحَاجُّ فيا لا علم له به؛ ﴿هَاتِنْتُمْ حَاجَجْتُمْ فِيمَا
 لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ﴾ [من أمر محمد صلى الله عليه
 وآله وسلم؛ لأنهم كانوا يعلمونه] ﴿فَلِمَ
 تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ﴾ أمرهم برد
 ما لا علم لهم به إلى عالم الغيب والشهادة،
 ولهذا قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ
 لَا تَعْلَمُونَ﴾ ٦٧: ﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمَ يَهُودِيًّا
 وَلَا نَصْرَانِيًّا﴾ كيف تدعون أيها اليهود أن

إبراهيم كان يهودياً؟ وما أنزلت التوراة إلا من بعده؟! وكيف تدعون أيها النصارى أنه كان نصرانياً وإنما حدثت النصرانية بعد زمنه بدهر؟! ولهذا
 قال تعالى: ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ؟!﴾ ﴿ولكن كان حنيفاً مسلماً وما كان من المشركين﴾، [رد على زعم المشركين أنه منهم] ٦٨: ثم قال تعالى: ﴿إِنَّ
 أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ﴾ إن أحق الناس بمتابعة إبراهيم ﴿لِلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ﴾ اتبعوا هذا النبي يعني: محمداً صلى الله عليه وآله وسلم ﴿وهذا النبي والذين
 آمنوا والله ولي المؤمنين﴾ ٦٩: يُخبر تعالى عن حسد اليهود للمؤمنين وبغيم إيأهم الضلال، وأخبر أن وبال ذلك يعود على أنفسهم وهم
 لا يشعرون ٧٠: ثم قال تعالى منكرأ عليهم: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ وأنتم تعلمون صدقها ﴿وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ﴾ وتحققون
 حقها؟!.

الآية ٦٤: هذه الآية خاطب بها رسول الله ﷺ هرقل، فكتب إليه: «بسم الله الرحمن الرحيم: من محمد رسول الله إلى هرقل عظيم الروم، سلامٌ على من أتبع الهدى. أما بعد: فأسلمت
 تسلم يؤتلك أجرك مرتين، فإن توليت فإنما عليك إثم الأريسيين، و﴿يأهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم أن لا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من
 دُونِ اللَّهِ، فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾.

الآية ٦٧: نزلت هذه الآية بسبب دعوى كل فريق من اليهود والنصارى أن إبراهيم كان على دينه، فأكدتهم الله تعالى بأن اليهودية والنصرانية كانتا من بعده.!! /تفسير القرطبي
 ج/١٠٧/٤.

الآية ٦٨ روى الترمذي والبراز عن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ لِكُلِّ نَبِيٍّ وَلا ية مِنْ التَّبِيِينِ، وَإِنَّ وِلْيَهُ مِنْهُمْ أَبِي وَخَلِيلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، ثُمَّ
 قَرَأَ: ﴿إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لِلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾ الآية. /ابن كثير ج/٣٧٢/١.

٧١: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ﴾ تَكْتُمُونَ مَا فِي كِتَابِكُمْ مِنْ صِفَةِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ﴿وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ وَأَنْتُمْ تَعْرِفُونَ ذَلِكَ وَتَحَقِّقُونَهُ ٧٢: ﴿وَقَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمَنُوا بِالَّذِي أُنزِلَ عَلَيْنَا عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَجْهَ النَّهَارِ وَكَفَرُوا آخِرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ وَهَذِهِ مَكِيدَةٌ أَرَادُوهَا لِيَلْبِسُوا عَلَى الضَّعْفَاءِ مِنَ النَّاسِ أَمْرَ دِينِهِمْ، وَهُوَ أَنْ يَظْهَرُوا مُسْلِمِينَ أَوَّلَ النَّهَارِ فَإِذَا جَاءَ آخِرُهُ ارْتَدُّوا إِلَى دِينِهِمْ؛ لِيَقُولَ الْجَاهِلَةُ: إِنَّمَا رَدَّاهُمْ إِلَى دِينِهِمْ أَطْلَعَهُمْ عَلَى عَيْبِ فِي دِينِ الْمُسْلِمِينَ، وَلِهَذَا قَالُوا: لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ٧٣: ﴿وَلَا تُؤْمِنُوا إِلَّا لِمَنْ تَبِعَ دِينَكُمْ﴾ لَا تَظْمِنُوا وَتَظْهَرُوا مَا عِنْدَكُمْ إِلَّا لِمَنْ تَبِعَ دِينَكُمْ، وَلَا تَظْهَرُوا مَا بَأْيَدِكُمْ مِنْ صِفَةِ النَّبِيِّ الْأَمِّيِّ فَيَحْتَجُّوا بِهِ عَلَيْكُمْ، ﴿قُلْ إِنْ أَهْدَى اللَّهُ يَهْدِي﴾ هُوَ سَبْحَانَهُ الَّذِي يَهْدِي قُلُوبَ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى أَمِّ الْإِيمَانِ بِمَا يَنْزِلُهُ عَلَى رَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ مِنَ الْآيَاتِ الْبَيِّنَاتِ. ﴿أَنْ يُؤْتَى أَحَدٌ مِثْلَ مَا أُوتِيتُمْ أَوْ يُحَاجُّوكُمْ عِنْدَ رَبِّكُمْ﴾ يَقُولُونَ وَلَا تَظْهَرُوا مَا عِنْدَكُمْ مِنَ الْعِلْمِ لِلْمُسْلِمِينَ فَيَتَعَلَّمُوهُ مِنْكُمْ وَيَتَّخِذُوهُ حِجَّةً عَلَيْكُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ إِنْ أَرَادَ اللَّهُ بِالنَّاسِ الْفِتْنَةَ لَا يَسْخَرُهُمْ أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْخَرُهُمْ أَحَدٌ مِنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ فَهُوَ الْمَعْطِيُّ بِمَنْ عَلَى مِنْ يَشَاءُ بِالْإِيمَانِ وَالْعِلْمِ ﴿وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ فَلَهُ الْحِجَّةُ التَّامَّةُ وَالْحِكْمَةُ الْبَالِغَةُ ٧٤: ﴿يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ اخْتَصَّكُمْ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ مِنَ الْفَضْلِ بِمَا لَا يُحَدُّ وَلَا

يَتَّأَهَّلَ الْكِتَابَ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٧١﴾ وَقَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمَنُوا بِالَّذِي أُنزِلَ عَلَيْنَا عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَجْهَ النَّهَارِ وَكَفَرُوا آخِرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٧٢﴾ وَلَا تُؤْمِنُوا إِلَّا لِمَنْ تَبِعَ دِينَكُمْ قُلْ إِنْ أَهْدَى اللَّهُ يَهْدِي اللَّهُ أَنْ يُؤْتَى أَحَدٌ مِثْلَ مَا أُوتِيتُمْ أَوْ يُحَاجُّوكُمْ عِنْدَ رَبِّكُمْ قُلْ إِنْ أَرَادَ اللَّهُ بِالنَّاسِ الْفِتْنَةَ لَا يَسْخَرُهُمْ أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْخَرُهُمْ أَحَدٌ مِنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ فَهُوَ الْمَعْطِيُّ بِمَنْ عَلَى مِنْ يَشَاءُ بِالْإِيمَانِ وَالْعِلْمِ ﴿وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾ وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنَهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدُّهُ إِلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأْمَنَهُ بِيَدِينَارٍ لَا يُؤَدُّهُ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمَّتْ عَلَيْهِ قَائِمًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكُذْبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾ بَلَى مَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ وَاتَّقَى فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ﴿٧٦﴾ إِنْ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ لَا خَلَاقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٧﴾

يُوصَفُ بِمَا شَرَّفَ بِهِ نَبِيِّكُمْ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ عَلَى سَائِرِ الْأَنْبِيَاءِ وَهَدَاكُمْ بِهِ إِلَى أَكْمَلِ الشَّرَائِعِ ٧٥: يُخْبِرُ تَعَالَى عَنِ الْيَهُودِ بِأَنَّ مِنْهُمْ الْخَوْتَةَ وَيُحَدِّثُ الْمُؤْمِنِينَ مِنَ الْإِعْتِرَارِ بِهِمْ، فَإِنَّ مِنْهُمْ ﴿مَنْ إِنْ تَأْمَنَهُ بِقِنطَارٍ﴾ مِنَ الْمَالِ ﴿يُؤَدُّهُ إِلَيْكَ، وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأْمَنَهُ بِيَدِينَارٍ لَا يُؤَدُّهُ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمَّتْ عَلَيْهِ قَائِمًا﴾ بِالْمَطَالِبَةِ وَالْإِلْحَاحِ ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ﴾ إِنَّمَا حَمَلْنَاهُمْ عَلَى جِحُودِ الْحَقِّ، قَوْلُهُمْ: إِنْ اللَّهُ قَدْ أَحْلَاهَا لَنَا وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكُذْبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ أَنَّ اللَّهَ حَرَّمَ عَلَيْهِمْ أَكْلَ الْأَمْوَالِ إِلَّا بِحَقِّهَا ٧٦: ﴿بَلَى مَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ وَاتَّقَى﴾ مِنْكُمْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ الَّذِي عَاهَدَكُمْ اللَّهُ عَلَيْهِ مِنَ الْإِيمَانِ بِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وَاتَّقَى حِمَارِمَ اللَّهِ وَاتَّبَعَ شَرِيْعَتَهُ ﴿فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾ ٧٧: إِنْ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ عَمَّا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ مِنَ اتِّبَاعِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وَعَنْ أَيْمَانِهِمُ الْكَاذِبَةَ الْفَاجِرَةَ، بِالْأَثْمَانِ الْقَلِيلَةِ، وَهِيَ عَرُوضُ هَذِهِ الْحَيَاةِ الزَّائِلَةِ ﴿أُولَئِكَ لَا خَلَاقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ﴾ لَا نَصِيبَ لَهُمْ فِيهَا، ﴿وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ بِرَحْمَتِهِ لَهُمْ ﴿وَلَا يُزَكِّيهِمْ﴾ مِنَ الذُّنُوبِ، بَلْ يَأْمُرُ بِهِ إِلَى النَّارِ، ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

الآية ٧٥: روى الإمام أحمد بسند جيد عن عبد الله بن مسعود قال: «القتلُ في سبيلِ اللهِ يُكفِّرُ الذُّنُوبَ كُلَّهَا إِلَّا الْأَمَانَةَ. قال: يُؤتى العبدُ يومَ القيامةِ، وإن قُتِلَ في سبيلِ اللهِ، فيُقال: أَدْ أَمَانَتَكَ، فيقول: أتى ربِّ كيف وقد ذهبت الدنيا، فيُقال: انطلقوا به إلى الهاوية، فيُطلقُ به إلى الهاوية، ثم يُثْمَلُ له أمانتهُ كهَيَبَتِهَا يَوْمَ دُفِعَتْ إِلَيْهِ، فَيَرَاهَا فَيَعْرِفُهَا، فَيَهْوِي فِي أَثَرِهَا حَتَّى يَدْرِكَهَا، فَيَحْمِلُهَا عَلَى مَنْكِبَيْهِ حَتَّى إِذَا ظَنَّ أَنَّهُ خَارِجٌ قَلَّتْ عَنْ مَنْكِبَيْهِ، فَهَوِي فِي أَثَرِهَا أَبَدَ الْأَبَدِينَ، ثُمَّ قَالَ: الصَّلَاةُ أَمَانَةٌ، وَالرِّضْوَةُ أَمَانَةٌ، وَالْوَرَعُ أَمَانَةٌ، وَالْجَلَدُ أَمَانَةٌ، وَأَشْيَاءُ عَدَدُهَا، وَأَشَدُّ ذَلِكَ الْوَدَاعِ» قَالَ الْبَرَاءُ بْنُ عَازِبٍ: أَمَا سَمِعْتَ اللهُ يَقُولُ: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا﴾ ١٩/ الترغيب ج ٥/٤.

٧٨: يُخبر تعالى عن اليهود عليهم لعائن الله أن منهم فريقاً يُحرفون الكلم عن مواضعه، ويُبدلون كلام الله ويُزولونه عن المراد به ليوهبوا الجهلة أنه في كتاب الله ﴿وما هو من الكتاب، ويقولون هو من عند الله وما هو من عند الله ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون﴾ أنهم قد كذبوا واقتروا في ذلك كله ٧٩: حين اجتمعت الأحزاب من اليهود والنصارى عند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ودعاهم إلى الإسلام قالوا: أتريد يا محمد أن نعبدك؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «معاذ الله أن نعبد غير الله أو أن نأمر بعبادة غير الله؛ فأنزل الله في ذلك: ﴿ما كان لبشر أن يُؤتية الله الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا عباداً لي من دون الله﴾ ما ينبغي هذا ولا يصلح لنبى ولا مرسل أن يقول للناس: اعبدوني من دون الله؟! فالجهلة من الأحزاب والرهبان يدخلون في هذا الذم والتوبيخ، كما قال تعالى: ﴿اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله﴾، وإنما الأنبياء والرسل هم سفراء بين الله وبين خلقه. ﴿ولكن كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون﴾ ولكن الرسول يقول للناس كونوا فقهاء أهل عبادة وتقوى؛ بما تدرسون القرآن وتحفظون ألفاظه وتفهمون معناها ٨٠: ﴿ولا يأمرم أن تتخذوا الملائكة والنبيين أرباباً أياممكم بالكفر بعد إذ أنتم مسلمون﴾! لا يفعل ذلك إلا من دعا إلى عبادة غير الله، ومن دعا إلى عبادة غير الله

وإن منهم فريقاً لفریقاً يلوون ألسنتهم بالكذب لتحسبوه من الكذب وما هو من الكذب ويقولون هو من عند الله وما هو من عند الله ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون ﴿٧٨﴾ ما كان لبشر أن يُؤتية الله الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا عباداً لي من دون الله ولكن كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون الكذب وبما كنتم تدرسون ﴿٧٩﴾ ولا يأمرمكم أن تتخذوا الملائكة والنبيين أرباباً أياممكم بالكفر بعد إذ أنتم مسلمون ﴿٨٠﴾ وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرته قالوا أقررنا وأخذتم على ذلكم إصري قالوا أقررنا قال فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين ﴿٨١﴾ فمن تولى بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون ﴿٨٢﴾ أفغير دين الله يبغون وله أسلم من في السموات والأرض طوعاً وكرهاً وإليه يرجعون ﴿٨٣﴾

٦٠

فقد دعا إلى الكفر، والأنبياء إنما يأمرون بالإيمان وعبادة الله وحده لا شريك له ٨١: يُخبر تعالى أنه أخذ ميثاق كل نبي بعثه من لدن آدم عليه السلام إلى عيسى عليه السلام، لَمَهْمَا آتَى اللهُ أَحَدَهُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ وَبَلَغَ أَيْ مَبْلَغٍ ثُمَّ جَاءَ رَسُولٌ مِنْ بَعْدِهِ لِيُؤْمِنَنَّ بِهِ وَلِيَنْصُرْتَهُ، وَلَا يَمْنَعَهُ مَا هُوَ فِيهِ مِنَ الْعِلْمِ وَالنَّبُوءَةِ مِنْ اتِّبَاعٍ مِنْ بَعَثَ بَعْدَهُ وَنَصَرْتَهُ وَلِذَلِكَ قَالَ تَعَالَى: ﴿أَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكَ إِصْرِي﴾؟ عهدي وميثاقى الشديد المؤكد ﴿قالوا أقررنا، قال فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين﴾ ٨٢: ﴿فمن تولى بعد ذلك﴾ عن هذا العهد والميثاق ﴿فأولئك هم الفاسقون﴾ ٨٣: يقول تعالى منكرأ على من أراد ديناً سوى دين الله: ﴿أفغير دين الله يبغون وله أسلم من في السموات والأرض طوعاً وكرهاً﴾، أما من في السموات فالملائكة، وأما من في الأرض فمن ولد على الإسلام، فطوعاً، وأما كرهاً فمن آتَى به من سببها الأمم يقادون إلى الجنة وهم كارهون. ﴿وإليه يرجعون﴾ يوم الميعاد فيجازي كلأ بعمله.

الآية: ٧٨ عن عبدالله بن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الصدق يهدي إلى البر، وإن البر يهدي إلى الجنة، وإن الرجل ليصدق حتى يكتب عند الله صديقاً، وإن الكذب يهدي إلى الفجور، وإن الفجور يهدي إلى النار، وإن الرجل ليكذب حتى يكتب عند الله كذاباً» متفق عليه/صحيح الجامع الصغير ج ١/٣٤٧/٣.

الآية ٨٣: ﴿وله أسلم﴾ أي: استسلم لله وأتقاه وخضع وذلل، وكل مخلوق متقاد مستسلم؛ لأنه مجبول على المايقد أن يخرج عنه. والخلق خلقهم الله على ما أراد، وكلهم متقادون اضطراراً لقدرة الكوني. فمن أسلم لله طوعاً سَلِمَ في الآخرة، ومن لم يسلم إلا كرهاً كالكافر عند موته، لا يسلم في الآخرة. /عن تفسير الطبري ج ٤/١٢٧/١.

٨٤: ﴿قُلْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا﴾ القرآن ﴿وما أنزل على إبراهيم وإسماعيل ويعقوب﴾ من الصحف والوحي ﴿والأسباط﴾ وهم بطون بني إسرائيل المنتسبة من أولاد إسرائيل - وهو يعقوب - الاثني عشر ﴿وما أوتي موسى وعيسى﴾ يعني بذلك التوراة والإنجيل ﴿والنبيون من ربهم﴾ وهذا يعم جميع الأنبياء جملة ﴿لا نفرق بين أحد منهم﴾ بل تؤمن بجمعهم ﴿ونحن له مسلمون﴾ ٨٥: ﴿ومن يتبع غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه﴾ من سلك طريقاً سوى ما شرعه الله فلن يقبل منه ﴿وهو في الآخرة من الخاسرين﴾ ٨٦: ﴿كيف يهدي الله حقاً وجاءهم البينات؟ قامت عليهم الحجج والبراهين على صدق ما جاءهم به الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، ووضح لهم الأمر ثم ارتدوا إلى ظلمة الشرك، فكيف يستحق هؤلاء الهداية بعدما تلبسوا به من العماية؟ ولهذا قال تعالى: ﴿والله لا يهدي القوم الظالمين﴾ ٨٧: ﴿أولئك جزاؤهم أن عليهم لعنة الله والملائكة والناس أجمعين﴾ يلعنهم الله ويلعنهم خلقه ٨٨: ﴿خالدين فيها﴾، في اللعنة ﴿لا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينظرون﴾ لا يفر عنهم العذاب ساعة واحدة ﴿ولا هم ينظرون﴾ ٨٩: ﴿إلا الذين تابوا من بعد ذلك وأصلحوا فإن الله غفور رحيم﴾ وهذا من لطفه وبره بخلقه ورحمته وعاقبته على خلقه أن من تاب إليه

قُلْ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَالنَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفْرَقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴿٨٤﴾ وَمَنْ يَتَّبِعْ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٨٥﴾ كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ وَشَهِدُوا أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ وَجَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٨٦﴾ أُولَٰئِكَ جَزَاؤُهُمْ أَنَّ عَلَيْهِمْ لَعْنَةَ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿٨٧﴾ خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَخَفُونَ عَنْهُمْ الْعَذَابَ وَلَا هُمْ يَنْظُرُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٨٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ثُمَّ أزدَادُوا كُفْرًا لَنْ تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الضَّالُّونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَرَاءَ فَلَنْ يَقبَلَ مِنْ أَحَدِهِمْ مِثْلُ الْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوْ أَفتدى بِهِ ؕ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَّاصِرِينَ ﴿٩١﴾

تاب عليه ٩٠: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بعد إيمانهم﴾ يقول تعالى متوعداً ومهدداً لمن كفر بعد إيمانه ثم ازداد كفراً، أي: استمر عليه إلى الممات، وغيراً بأنهم لن تقبل لهم توبة عند الممات كما قال تعالى: ﴿وليس التوبة للذين يعملون السيئات حتى إذا حضر أحدهم الموت قال إني تبتُّ الآن﴾، ولهذا قال ههنا: ﴿ثم أزدادوا كُفْرًا لن تقبل توبتهم وأولئك هم الضالون﴾ الخارجون عن المنهج الحق ٩١: ثم قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَرَاءَ فَلَنْ يَقبَلَ مِنْ أَحَدِهِمْ مِثْلُ الْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوْ أَفتدى بِهِ﴾ من مات على الكفر فلن يقبل منه خير أبداً، ولو كان قد أنفق مِثْلُ الْأَرْضِ ذَهَبًا. روى الإمام أحمد: أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «يُقَالُ للرجل من أهل النار يوم القيامة: أَرَأَيْتَ لو كان لك ما على الأرض من شيء أكنت مفتدياً به؟ قال: فيقول: نعم، فيقول الله: قد أردت منك أهون من ذلك؛ قد أخذت عليك في ظهر أهلك آدم أن لا تشرك بي شيئاً، فأبيت إلا أن تشرك». وهكذا أخرجه البخاري ومسلم. ولهذا قال تعالى: ﴿أولئك لهم عذاب أليم وما لهم من ناصرين﴾ ما لهم من أحد ينقذهم من عذاب الله.

الآية: ٨٥ عن عمر بن الخطاب قال: قال رسول الله ﷺ: «الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلاً»، رواه مسلم/صحيح الجامع الصغير ج١/٥٣٧.

الآية ٩١: روى الإمام أحمد أن رسول الله ﷺ قال: «يؤتى بالرجل من أهل النار فيقول له: يا ابن آدم كيف وجدت منزلك؟ فيقول: يارب شر منزل، فيقول له: أفتندي متي بطلاع الأرض - أي: ماؤها - ذهباً؟ فيقول: أي رب نعم!! فيقول: كذبت، قد سألتك أقل من ذلك وأيسر فلم تفعل فبرؤ إلى النار». /تفسير ابن كثير ج١/٣٨٠.

٩٢: ﴿لَنْ نَأْتِيَ بِالنَّاصِرِ الْهَيْمَةَ﴾ حتى تفقوا
 مِمَّا تُحِبُّونَ﴾، [ولن نأتوا بشرف الذين
 والتقوى حتى تصدقوا وأنتم أصحاب أشحاء،
 تأملون العيش وتحشون الفقر]. ﴿وَمَا تَفْقَهُوا
 مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾ ٩٣: ﴿كُلُّ
 الطَّعَامِ كَانَ حَلَالًا لِنَبِيِّ إِسْرَائِيلَ إِلا مَا حَرَّمَ
 إِسْرَائِيلَ عَلَى نَفْسِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُنَزَّلَ
 التَّوْرَةُ﴾ كان حلالاً لهم جميع الأطعمة قبل
 نزول التوراة إلا ما حرّمه إسرائيل على نفسه
 ﴿قُلْ فَأَتُوا بِالتَّوْرَةِ فَاتْلُوهَا إِنْ كُنْتُمْ
 صَادِقِينَ﴾ فإنها ناطقة بما قلناه، ٩٤: ﴿فَمَنْ
 افْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكُذْبَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ
 فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ فمن افترى وكذب
 على الله وادعى أنه شرع لهم التمسك بالتوراة
 دائماً، وإته لم يعث نبياً آخر يدعو إلى الله
 تعالى بالبراهين والحجج بعد هذا الذي بيّناه
 من وقوع النسخ وظهور ما ذكرناه ﴿فَأُولَئِكَ
 هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ ٩٥: ثم قال تعالى: ﴿قُلْ
 صَدَقَ اللَّهُ﴾ فيما أخبر به وشرعه في القرآن
 ﴿فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ
 الْمُشْرِكِينَ﴾ اتبعوا ملة إبراهيم التي شرعها الله في
 القرآن؛ فإنه الحق الذي لا شك فيه ٩٦:
 يُخْبِرُ اللَّهُ تَعَالَى أَنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ،
 أي: لعموم الناس لعبادتهم وتُسكهم، يطوفون
 به، ويصلون فيه، ويتكفون عنده ﴿لِلَّذِي
 بِيكَّةَ﴾ الكعبة التي بناها إبراهيم ﴿مُبَارَكًا﴾
 وُضِعَ مُبَارَكًا، ﴿وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ﴾ وسميت
 (بيكة) لأنها تبتك أعناق الظلمة والجبابة. وقد
 ذكروا لمكة أسماء كثيرة: مكة وبكة، والبيت

لَنْ نَأْتِيَ بِالنَّاصِرِ الْهَيْمَةَ وَمَا نَفْقَهُوا مِنْ شَيْءٍ
 فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ﴿٩٣﴾ ﴿كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حَلَالًا لِنَبِيِّ
 إِسْرَائِيلَ إِلا مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَى نَفْسِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُنَزَّلَ
 التَّوْرَةُ قُلْ فَأَتُوا بِالتَّوْرَةِ فَاتْلُوهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ
 ﴿٩٤﴾ ﴿فَمَنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكُذْبَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ
 هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٩٥﴾ قُلْ صَدَقَ اللَّهُ فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا
 وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٩٦﴾ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي
 بِيكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ ﴿٩٧﴾ فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَقَامُ
 إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا وَاللَّهُ عَلَى النَّاسِ حَجُّ الْبَيْتِ
 مَنْ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ
 ﴿٩٨﴾ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ شَهِيدٌ
 عَلَى مَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٩﴾ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَصَدُّونَ عَنْ
 سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ تَبِعُونَهَا عَوْجًا وَأَنْتُمْ شُهَدَاءُ وَمَا اللَّهُ
 بِغَفْلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٠٠﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تُطِيعُوا
 فَرِيقًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ ﴿١٠١﴾

العتيق [الذي أعقته الله من كل ظالم وجبار] والبيت الحرام، والبلد الأمين، وأم القرى، وأم رحم، والمأمون وصلاح، والمقدسة والقادس؛ لأنها تطهر
 من الذنوب ٩٧: ﴿فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ﴾ دلالات ظاهرة أنه من بناء إبراهيم، وأن الله عظمه وشرّفه. ﴿مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ﴾ الذي كان يقف عليه لما ارتفع
 البناء، استعان به على رفع القواعد. فيه أثر قدميه آية بيّنة. ﴿وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا﴾ إذا دخله الخائف يأمن من كل سوء. ﴿وَاللَّهُ عَلَى النَّاسِ حَجُّ
 الْبَيْتِ مَنْ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ في هذه الآية وجوب الحج. ﴿وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ ومن جحدّ فريضة الحج فقد كفر والله
 غني عنه ٩٨: هذا تعنيف من الله تعالى للكفرة أهل الكتاب على عنادهم للحق وكفرهم بآيات الله وصدّهم عن سبيل الله، مع علمهم بأن
 ما جاء به الرسول صلى الله عليه وآله وسلم حتى ٩٩: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَصَدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ تَبِعُونَهَا عَوْجًا﴾ [أي: تطلبون
 الزيغ، وأنتم شهداء] فتوعدهم الله على ذلك، وأخبرهم بأنه شهيد على صنيعهم ﴿وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ ١٠٠: يُحذِّرُ اللَّهُ تَعَالَى
 عباده المؤمنين عن أن يطيعوا طائفة من أهل الكتاب الذين يحسدون المؤمنين على ما اتاهم الله من فضله؛ ولهذا قال: ﴿يُرُدُّوكُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ
 كَافِرِينَ﴾.

الآية ٩٦: روى مسلم عن أبي ذر قال: سألت رسول الله ﷺ عن أول مسجد وضع في الأرض؟ قال: «المسجد الحرام» قلت: ثم أي؟ قال: «المسجد الأقصى» قلت: كم
 بينهما؟ قال: «أربعون عاماً، ثم الأرض لك مسجد، فنجيت أدركك الصلاة فصله». /القرطبي ج ٤/ ١٣٧.

١٠١: ﴿وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ﴾ إن الكفر بعيدٌ منكم وحاشاكم منه ﴿وَأَنْتُمْ تَتْلُوا عَلَيْكُمْ آيَاتِ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ﴾؟! ﴿وَمَنْ يَعْصِمْ بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ مع هذا الاعتصام بالله حصول المراد، وهو الهداية والرشاد ١٠٢: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ﴾ قال عبد الله بن مسعود: أن يطاع فلا يعصى، ويشكر فلا يكفر، ويذكر فلا ينسى. ﴿وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ حافظوا على الإسلام في حال صحتكم وسلامتكم لتموتوا عليه، فإن الكرم قد أجرى عادته بكرمه أنه من عاش على شيء مات عليه، ومن مات على شيء بعثه عليه اللهم أحينا مسلمين وأمتنا مسلمين [١٠٣]: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ اعتصموا بالقرآن، ﴿وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ أمرهم بالجماعة ونهاهم عن التفرقة ﴿وَادْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ﴾، هذه الآية في شأن الأوس والخزرج، فإنه كان بينهم حروب كثيرة في الجاهلية وعداوة شديدة؛ فلما جاء الإسلام، فصاروا به إخواناً متحابين بجمال الله ﴿فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حَفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا﴾ [أمر تعالى بتذكر نعمه، وأعظمها نعمة الإسلام، واتباع نبيه محمد صلى الله عليه وآله وسلم] ﴿كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ ١٠٤: ﴿وَلَتَكُنَّ مِنْكُمْ أُمَّةٌ﴾ منتصبة للقيام بأمر الله في الدعوة إلى القرآن

وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ وَمَنْ يَعْتَصِم بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١٠١﴾
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾
وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَىٰ شَفَا حَفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾
وَلَتَكُنَّ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٥﴾
يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿١٠٦﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١٠٧﴾ تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعَالَمِينَ ﴿١٠٨﴾

﴿يدعون إلى الخير﴾ اتباع القرآن والسنة ﴿ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون﴾، قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «والذي نفسي بيده لتأمرن بالمعروف وتنهون عن المنكر، أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عقاباً من عنده، ثم لتدعنه فلا يستجيب لكم». رواه الترمذي وقال: حسن ١٠٥: ﴿ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات﴾، ينهى تعالى هذه الأمة أن يكونوا كالأمم الماضية في افتراقهم واختلافهم وتركهم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، [وتوعد على ذلك فقال] ﴿وأولئك هم عذاب عظيم﴾ ١٠٦: ﴿يوم تبيض وُجُوهٌ وتسود وُجُوهٌ﴾ يوم القيامة حين تبيض وجه أهل السنة والجماعة، وتسود وجه أهل النفاق والكفر ﴿أكفرتم بعد إيمانكم﴾ هم المنافقون ﴿فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون﴾ ١٠٧: ﴿وأما الذين ابيضت وُجُوهُهُمْ ففي رحمة الله هم فيها خالدون﴾ أبداً لا يغيون عنها جِوْلاً ١٠٨: ﴿تلك آيات الله نتلوها عليك﴾ يا محمد ﴿بالحق﴾ تكشف ما الأمر عليه في الدنيا والآخرة، ﴿وما الله يريد ظلماً للعالمين﴾، ليس يظلم لهم، بل هو الحاكم العادل الذي لا يجور؛ لأنه القادر على كل شيء، العالم بكل شيء فلا يحتاج مع ذلك إلى أن يظلم أحداً من خلقه، سبحانه وتعالى.

وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴿١٠٩﴾ كُتِبَ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِّنْهُمْ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿١١٠﴾ لَنْ يَضُرَّوَكُمْ إِلَّا أَدَىٰ وَإِنْ يَفْتَلُوكُمْ يُولُوكُمْ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يَنْصُرُونَ ﴿١١١﴾ ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذَّلَّةُ أَيْنَ مَا تَقَفُوا إِلَّا يَجْحَلِ مِنَ اللَّهِ وَجَحِلِ مِنَ النَّاسِ وَيَأْءُو بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ ذَلَّكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقِّ ذَلِكِ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿١١٢﴾ لَيْسُوا سَوَاءً مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتَّبِعُونَ آيَاتِ اللَّهِ ءَانَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴿١١٣﴾ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١١٤﴾ وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ يُكْفَرُوهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ ﴿١١٥﴾

٦٤

١٠٩: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ الجامع مُلْكٌ لَهُ، وَعَبِيدٌ لَهُ، ﴿وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾ هو الحاكم المنصرف في الدنيا والآخرة ١١٠: يُخْبِرُ اللَّهُ تَعَالَى عَنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ مُحَمَّدِيَّةٍ بِأَنَّهُمْ خَيْرُ الْأُمَّةِ فَقَالَ تَعَالَى: ﴿كُتِبَ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ إِيْتَهُمْ خَيْرُ الْأُمَّةِ وَأَنْفَعُ النَّاسِ لِلنَّاسِ، وَهَذَا قَالَ سَيِّحَانُهُ: ﴿تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾. وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: هُمُ الَّذِينَ هَاجَرُوا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ مِنْ مَكَّةَ إِلَى الْمَدِينَةِ. وَالآيَةُ عَامَةٌ فِي جَمِيعِ الْأُمَّةِ كُلِّ قَرْنٍ بِحَسَبِهِ. وَخَيْرُ قُرُونِهِمُ الَّذِينَ بُعِثَ فِيهِمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ثُمَّ الَّذِي يَلُومُهُمْ، ثُمَّ الَّذِي يَلُومُهُمْ. كَمَا فِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ: ﴿وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ﴾ بِمَا أَنْزَلَ عَلَى مُحَمَّدٍ ﴿لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمْ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ قَلِيلٌ مِنْهُمْ مَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أَنْزَلَ إِلَيْكُمْ، وَأَكْثَرُهُمْ عَلَى الضَّلَالَةِ وَالْكَفْرِ ١١١: ثُمَّ قَالَ تَعَالَى مَخْبِرًا عِبَادَهُ الْمُؤْمِنِينَ وَمُبَشِّرًا لَهُمْ أَنَّ النَّصْرَ وَالظَّفَرَ لَهُمْ عَلَى أَهْلِ الْكِتَابِ الْكُفْرَةِ الْمَلْحَدِينَ فَقَالَ: ﴿لَنْ يَضُرَّوَكُمْ إِلَّا أَدَىٰ وَإِنْ يَفْتَلُوكُمْ يُولُوكُمْ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يَنْصُرُونَ﴾ هَكَذَا وَقَعَ فِيهِمْ يَوْمَ خَيْبَرَ أَذْلَهُمُ اللَّهُ، وَكَذَلِكَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ يَهُودِ الْمَدِينَةِ بَنِي قَيْنِقَاعَ وَالنَّضِيرَ وَقَرِيظَةَ كُلَّهُمْ أَذْلَهُمُ اللَّهُ، وَكَذَلِكَ النَّصَارَى بِالشَّامِ كَسَرَهُمُ الصَّحَابَةُ وَسَلَبُوهُمُ الْمُلْكَ الشَّامِ أَبَدَ الْأَبَدِينَ. وَلَا تَزَالُ عَصَابَةُ الْإِسْلَامِ قَائِمَةً بِالشَّامِ حَتَّى يَنْزِلَ عَيْسَى وَهُمْ كَذَلِكَ ١١٢:

ثُمَّ قَالَ تَعَالَى: ﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذَّلَّةُ أَيْنَ مَا تَقَفُوا﴾ أَرْزَمَهُمُ اللَّهُ الذَّلَّةَ وَالصَّغَارَ أَيْنَمَا كَانُوا فَلَا يَأْمِنُونَ ﴿إِلَّا يَجْحَلِ مِنَ اللَّهِ﴾ بِذَمَّةٍ مِنَ اللَّهِ، وَهُوَ عَقْدُ الْجَزِيَّةِ، ﴿وَجَحِلِ مِنَ النَّاسِ﴾ أَمَانٌ مِنْهُمْ، كَمَا فِي الْمَعَاهِدِ ﴿وَيَأْءُو بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ﴾ أَرْزَمُوا ﴿وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ﴾ أَرْزَمُوا قَدْرًا وَشَرَعًا، وَهَذَا قَالَ: ﴿ذَلَّكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقِّ﴾ ثُمَّ قَالَ تَعَالَى: ﴿ذَلَّكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾ ١١٣: ﴿لَيْسُوا سَوَاءً مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ﴾ هَذِهِ الْآيَةُ نَزَلَتْ فِيْمَنْ آمَنَ مِنْ أَحْبَابِ الْيَهُودِ، كَعَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَلَامٍ، وَأَسَدِ بْنِ عُبَيْدٍ، وَتَعْلَبَةَ بْنِ شَعْبَةَ، وَغَيْرِهِمْ، لَيْسُوا [كَوَلَيْكَ الْجَزْمِينَ] بَلْ هُمْ ﴿أُمَّةٌ قَائِمَةٌ﴾ بِأَمْرِ اللَّهِ مَطْبُوعَةٌ لِشَرَعِهِ ﴿يَتَّبِعُونَ آيَاتِ اللَّهِ ءَانَاءَ اللَّيْلِ﴾ يَتَّبِعُونَ الْقُرْآنَ فِي صَلَوَاتِهِمْ ﴿وَهُمْ يَسْجُدُونَ﴾ ١١٤: ﴿يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ وَهَؤُلَاءِ هُمُ الْمَذْكُورُونَ فِي آخِرِ السُّورَةِ: ﴿وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أَنْزَلَ إِلَيْكُمْ﴾ الْآيَةُ. وَهَذَا قَالَ هُنَا: ١١٥: ﴿وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ يُكْفَرُوهُ﴾ لَا يَضِيعُ عِنْدَ اللَّهِ بَلْ يَجْزِيهِمْ بِهِ أَوْفَرَ الْجَزَاءِ، ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ﴾.

الآية ١١٠: روى الترمذي أن رسول الله ﷺ قال في هذه الآية: ﴿أَنْتُمْ تُبَيِّنُونَ سَبْعِينَ أُمَّةً خَيْرًا وَأَكْرَمَهَا عِنْدَ اللَّهِ﴾، وَقَالَ: حَدِيثٌ حَسَنٌ. /القرطبي ج٤/ ١٧٠، وابن كثير ج١/ ٣٩١، وإِنَّمَا حَازَتْ هَذِهِ الْأُمَّةُ قَصَبَ السَّبْقِ إِلَى الْخَيْرَاتِ بِبَيِّنَاتِ مُحَمَّدٍ صَلَوَاتِ اللَّهِ وَسَلَامِهِ عَلَيْهِ، فَإِنَّهُ أَشْرَفُ خَلْقِ اللَّهِ وَأَكْرَمُ الرِّسْلِ عَلَى اللَّهِ، بَعَثَهُ اللَّهُ بِشَرِّعٍ كَامِلٍ عَظِيمٍ لِيُعْطِيَ نَبِيَّ قَبْلَهُ وَلَا رَسُولَ مِنَ الرِّسْلِ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَعْطَيْتُ مَا لَمْ يُعْطِ أَحَدًا مِنَ الْأَنْبِيَاءِ»، فَقُلْنَا: بِرَسُولِ اللَّهِ مَا هُوَ؟ قَالَ: «نُصِرْتُ بِالرَّعْبِ، وَأَعْطِيتُ مِفْتَاحَ الْأَرْضِ، وَسُمِّيتُ أَحْمَدَ، وَجُعِلَ التُّرَابُ لِي طَهْرًا، وَجُعِلَتْ أُمَّتِي خَيْرَ الْأُمَّةِ»، رَوَاهُ أَحْمَدُ وَإِسْنَادُهُ حَسَنٌ /ابن كثير ج١/ ٣٩١.

١١٦: ثم يُخبر تعالى عن الكفرة فيقول: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِي عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا﴾ لا ترد عنهم بأس الله ولا عذابه إذا أراد بهم ﴿وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾. ثم ضرب مثلاً لما ينفق الكفار فقال: ١١٧: ﴿مَثَلُ مَا يُنْفِقُونَ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ بُرِّدَ شَدِيدًا وَجَلِيدًا - يجرق الزرع كما يجرق الشيء بالنار ﴿أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ﴾ بذنوبهم ﴿فَأَهْلَكَتْهُ﴾ فدمرته وأعدمته ﴿وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ ١١٨: يقول تعالى ناهياً المؤمنين عن اتخاذ المنافقين بطانة من دونهم ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بَطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ﴾ يطلعونهم على سرائرهم ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بَطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ﴾ يطلعونهم بمجدهم وطاقهم لا يألون المؤمنين ﴿خِيَالًا﴾ مكرراً وخديعة ﴿وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ﴾ يودون ما بُعِتت المؤمنين ويجرهم ويشق عليهم، ﴿قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ﴾ قد لآح على صفحات وجوههم وفتت ألسنتهم ﴿وَمَا تُخْفِي صدورهم أكبر﴾ من البغضاء للإسلام وأهله ما لا يخفى على لبيب عاقل، ولهذا قال تعالى: ﴿قَدْ بَيَّنَّا لَكُمْ الْآيَاتِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ﴾ ١١٩: ﴿هَا أَنْتُمْ أَوْلَاءُ تُحِبُّونَهُمْ﴾ بما يظهرون لكم الإيمان ﴿وَلَا يُجِبُّونَكُمْ﴾ لا باطنياً ولا ظاهراً، ﴿وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ﴾ ليس عندكم في شيء منه شك ولا ريب، وهم عندهم الشك والريب والحيرة.

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِي عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١١٦﴾
 مَثَلُ مَا يُنْفِقُونَ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١١٧﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بَطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صدورهم أكبر قد بينا لكم الآيات إن كنتم تعقلون ﴿١١٨﴾ هَاتُوا أَوْلَاءَ يُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ وَإِذَا الْقَوْمُ كَالْوَاءِ آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمْ الْأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ قُلْ مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿١١٩﴾ إِنْ تَمَسَّسْتُمْ حَسَنَةً تَسْؤُهُمْ وَإِنْ تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا وَإِنْ تَصِيرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿١٢٠﴾ وَإِذْ عَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ نُبِئَ الْمُؤْمِنِينَ مَقْعِدِ الْقِتَالِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٢١﴾

﴿وَإِذَا لَقِمْتُمْ قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمْ الْأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ﴾ وذلك [من] شدة الغيظ والحق [عليكم]، ﴿قُلْ مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ إِنْ اللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ هو العليم بما تطوي عليه ضائركم وتكتنه سرائركم من البغضاء والحسد والغل للمؤمنين، وهو مجازيكم عليه بالعذاب الشديد في النار التي أنتم فيها خالدون ١٢٠: ثم قال تعالى: ﴿إِنْ تَمَسَّسْتُمْ حَسَنَةً﴾ من خصب ونصر ﴿تَسْؤُهُمْ﴾ وإن تصبكم سيئة يفرحوا بها كما جرى يوم أحد، فرح المنافقون بذلك، قال الله مخاطباً للمؤمنين: ﴿وَإِنْ تَصِيرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا﴾ الآية؛ يرشدكم تعالى إلى السلامة من شر الأشرار وكيد الفجار باستعمال الصبر والتقوى والتوكل على الله الذي هو محيط بأعدائهم فلا حول ولا قوة لهم إلا به، ومن توكل عليه كفاه ١٢١: المراد بهذه الواقعة يوم أحد ﴿وَإِذْ عَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تَبِئَ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ الْقِتَالِ﴾ تنزههم منازلهم حيث أمرتهم، ﴿وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ سمع لما يقولون، علم بضائرهم.

الآية ١١٨: قيل لعمر بن الخطاب إن ههنا غلاماً من أهل الحيرة حافظ. كاتب، فلو اتخذته كاتباً، فقال: «قد اتخذت إذن بطانة من دون المؤمنين». رواه ابن أبي حاتم/تفسير ابن كثير ج١/٣٩٨.

الآية ١٢١: وكان المشركون قصدوا المدينة في ثلاثة آلاف رجل ليأخذوا بأرهم في يوم بدر، فزولوا عند أحد على شفير الوادي بقناة مقابل المدينة، يوم الأربعاء الثاني عشر من شوال سنة ثلاث من الهجرة. فأقاموا هنالك يوم الخميس والنبي ﷺ بالمدينة، فرأى رسول الله ﷺ في منامه أن في سيقه ثلعة، وأن يقرأ له تدخ، وأنه أدخل يده في درج حصينة، فأولها أن نفراً من أصحابه يقتلون. وأن رجلاً من أهل بيته يصاب، وأن الذرع الحصينة: المدينة. أخرجه مسلم. فكان كل ذلك على ما هو معروف مشهور من تلك الغزاة. /القرطبي ج٤/١٨٥.

إِذْ هَمَّتْ طَآئِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلَا وَاللَّهُ وَلِيَهُمَا وَعَلَى
 اللَّهُ فليتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١٢٢﴾ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرِ وَأَنْتُمْ
 أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ
 أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُمِدَّكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلَاثَةِ آلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ
 مُنْزَلِينَ ﴿١٢٤﴾ بَلَى إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُمْ مِنْ فُورِهِمْ
 هَذَا يُمِدَّكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ
 ﴿١٢٥﴾ وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَى لَكُمْ وَلِتَطْمِئِنَّ قُلُوبُكُمْ بِهِ وَمَا
 النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴿١٢٦﴾ لِيَقْطَعَ طَرَفًا
 مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَوْ يَكْبِتَهُمْ فَيَنْقَلِبُوا خَآبِينَ ﴿١٢٧﴾ لَيْسَ لَكَ
 مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ
 ﴿١٢٨﴾ وَاللَّهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ
 وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٢٩﴾ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ
 ءَامَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُضَاعَفَةً وَاتَّقُوا اللَّهَ
 لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٣٠﴾ وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ
 ﴿١٣١﴾ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٣٢﴾

١٢٢: ﴿إِذْ هَمَّتْ طَائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلَا﴾ هما بنو حارثة وبنو سلمة، ﴿والله وليهما﴾؛ وكانا جناحي العسكر يوم أحد، ومعنى تفشلا: أي تجبنا. والله وليهما: يعني حافظ قلوبهما من تحقيق هذا الهم، ﴿وعلى الله فليتوكل المؤمنون﴾ ١٢٣: ﴿ولقد نصركم الله ببدر﴾، وكان يوم الجمعة، وافق السابع عشر من شهر رمضان من سنة اثنتين من الهجرة، وهو يوم الفرقان الذي أعز الله فيه الإسلام وأهله، ودمغ فيه الشرك وخرَّب محله وحزبه، هذا مع قلة عدد المسلمين يومئذ ﴿وانتم أذلة﴾ قليل عددكم، فإنهم كانوا ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً، وكان العدو ما بين التسعمائة إلى الألف، في سوانج الحديد والعدة الكاملة؛ لتعلموا أن النصر إنما هو من عند الله لا بكثرة العدد والعدد ﴿فاتقوا الله لعلكم تَشْكُرُونَ﴾ تقومون بطاعته ١٢٤: ﴿إذ تقول للمؤمنين﴾ يوم بدر ﴿ألن يكفيكم أن يمدكم ربكم بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين؟﴾ ١٢٥: ﴿بلى إن تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسويين﴾ أمد الله المسلمين يوم بدر بثلاثة آلاف، ثم بخمسة آلاف [إن جاء للمشركين الصد، فلما وقعت الهزيمة بهم لم يمدد المسلمين بخمسة آلاف]. و﴿مسويين﴾ معلمين بالسبا. وكان سبا الملائكة يوم بدر الصوف الأبيض، والعمام السود والجرم والصفير ١٢٦: ﴿وما جعله الله إلا بشري

لكم ولتطمئن قلوبكم به﴾ إلا بشارة لكم وتطيباً لقلوبكم وتطميناً، ﴿وما النصر إلا من عند الله العزيز الحكيم﴾ فلو شاء لانتصر من أعدائكم بدونهم ١٢٧: ﴿ليقطع طرفاً من الذين كفروا﴾ أمركم بالجهاد لما له في ذلك من الحكمة في كل تقدير؛ ليليك أمة ﴿من الذين كفروا أو يكبتهم فينقلبوا﴾ يرجعوا ﴿خائبين﴾ لم يحصلوا على ما أملوا. ثم اعترض سبحانه بجملة دللت على أن الحكمة في الدنيا والآخرة له وحده لا شريك له فقال تعالى: ١٢٨: ﴿ليس لك من الأمر شيء﴾ بل الأمر كله إلهي، وليس لك من الحكم شيء في عبادي إلا ما أمرتك به فيهم. ﴿أو يتوب عليهم﴾ فيهدبهم بعد الضلالة ﴿أو يعذبهم﴾ على كفرهم، ولهذا قال: ﴿فإنهم ظالمون﴾ يستحقون ذلك ١٢٩: ﴿والله ما في السموات وما في الأرض الآية﴾، الجميع ملك له، وهو المنصرف فلا مَقْبَلَ لحكمه ١٣٠: يقول تعالى ناهياً عباده عن تعاطي الربا، ومعنى: ﴿أضعافاً مضاعفة﴾ أنهم كانوا في الجاهلية يقولون إذا حلَّ أجل الدين: إما أن تقضي وإما أن تُرَبِّي، فإن قضاؤه وإلا زاده في المدة وزاده في القدر، وهكذا كل عام، فينضاعف القليل حتى يصير كثيراً. وأمر الله عباده بالتقوى لعلهم يفلحون، ثم توعدهم بالنار وحذرهم منها: ١٣١: ﴿واتقوا النار التي أعدت للكافرين﴾. ثم أمرهم بطاعته وطاعة رسوله فقال: ١٣٢: ﴿وأطيعوا الله والرسول لعلكم تُرْحَمُونَ﴾.

الآية ١٢٨: في صحيح مسلم أن النبي ﷺ كُتِبَتْ رُبَاعِيَّتُهُ يَوْمَ أُحُدٍ، وَشُجَّ فِي رَأْسِهِ، فَجَعَلَ يَسِيلُ الدَّمَ عَنْهُ وَيَقُولُ: «كَيْفَ يُفْلِحُ قَوْمٌ شَجُّوا رَأْسَ نَبِيِّهِمْ وَكُتِبَتْ رُبَاعِيَّتُهُ؟» وَهُوَ يَدْعُوهُمْ إِلَى اللَّهِ، فَانزَلَ اللَّهُ «لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ» فَطَمَعَ فِي إِسْلَامِهِمْ فَقَالَ: «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِقَوْمِي فَإِنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ.» /القرطبي ج٤/١٩٩.

١٣٣: ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾
تَدْبِهِمْ إِلَى الْمَادِرَةِ وَالْمَسَارِعَةِ إِلَى نَيْلِ
الْقُرْبَاتِ، ﴿وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ
وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ تَبِيَّةٌ عَلَى اتِّسَاعِ
طَوْلِهَا، وَالْجَنَّةُ فِي أَعْلَى عِلْيَيْنَ فَوْقَ السَّمَاوَاتِ
تَحْتَ الْعَرْشِ، وَالنَّارُ فِي أَسْفَلِ السَّافِلِينَ ١٣٤:
ثُمَّ ذَكَرَ تَعَالَى صِفَةَ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَقَالَ: ﴿الَّذِينَ
يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ﴾ فِي حَالِ
الشَّدَةِ وَالرِّجَاءِ وَالنُّشْطِ وَالْمَكْرِهِ وَالصَّحَّةِ
وَالْمَرَضِ، وَفِي جَمِيعِ الْأَحْوَالِ كَمَا قَالَ سُبْحَانَهُ:
﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً﴾
وَالْمَعْنَى أَنَّهُمْ لَا يُشْغَلُهُمْ أَمْرٌ عَارِضٌ عَنِ طَاعَةِ
اللَّهِ تَعَالَى، وَالْإِنْفَاقُ فِي مَرَضِيهِ وَالْإِحْسَانُ إِلَى
خَلْقِهِ ﴿وَالكَاطِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ
النَّاسِ﴾ إِذَا ثَارَ بِهِمُ الْغَيْظُ كَظْمُوهُ، وَكَتْمُوهُ،
وَعَفْوُوا مَعَ ذَلِكَ عَمَّنْ أَسَاءَ إِلَيْهِمْ. قَالَ رَجُلٌ:
يَا رَسُولَ اللَّهِ أَوْصِنِي قَالَ: «لَا تَغْضَبْ»، قَالَ
الرَّجُلُ: فَفَكَّرْتُ حِينَ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَالْهَيْسَلَةُ مَا قَالَ، فَإِذَا الْغَضْبُ يَجْمَعُ الشَّرَّ
كَلَةً. وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَالْهَيْسَلَةُ
وَسَلِمٌ: «مَنْ كَظَمَ غَيْظًا وَهُوَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ
يَنْفِذَهُ مَلَأَ اللَّهُ جَوْفَهُ أَمْنًا وَإِيمَانًا» رَوَاهُ أَبُو
دَاوُدَ. ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ فَهَذَا مِنْ
مَقْدَمَاتِ الْإِحْسَانِ ١٣٥: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا
فَعَلُوا فَاحِشَةً﴾ صَدَرَ مِنْهُمْ ذَنْبٌ ﴿أَوْ ظَلَمُوا
أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ﴾
أَتَبِعُوا ذَلِكَ بِالتَّوْبَةِ وَالِاسْتِغْفَارِ ﴿وَمَنْ يَغْفِرْ
الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ؟﴾ لَا يَغْفِرُهَا أَحَدٌ سِوَاهُ.
[وَفِي الْحَدِيثِ الْقَدِيسِيِّ]: «قَالَ اللَّهُ تَعَالَى

﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا
السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ (١٣٣) الَّذِينَ يَنْفِقُونَ
فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ
عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ (١٣٤) وَالَّذِينَ إِذَا
فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا
لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرِ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوْا عَلَى
مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ (١٣٥) أُولَئِكَ جَزَاءُهُمْ مَغْفِرَةٌ
مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّتْ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ
فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ (١٣٦) قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ
فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ
(١٣٧) هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِلْمُتَّقِينَ (١٣٨)
وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ
(١٣٩) إِنْ يَمَسُّكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ
وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ
ءَامَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ (١٤٠)

وَعِزَّتِي وَجَلَالِي لَا أُرَاكُ أَغْفِرُ لَهُمْ مَا اسْتَغْفَرُوا لِي». ﴿وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ تَابُوا مِنْ ذُنُوبِهِمْ وَرَجَعُوا إِلَى اللَّهِ عَنِ قَرِيبٍ، وَلَمْ
يَسْتَمِرُّوا عَلَى الْمَعْصِيَةِ. قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَالْهَيْسَلَةُ وَسَلَّمَ: «مَا أَصْرَمَ مَنْ اسْتَغْفَرَ، وَإِنْ عَادَ فِي الْيَوْمِ سَبْعِينَ مَرَّةً»، رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ، وَهُوَ حَدِيثٌ
حَسَنٌ. ﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ أَنْ مِنْ تَابَ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِ ١٣٦: ﴿أُولَئِكَ جَزَاءُهُمْ مَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ﴾ جَزَاءُكُمْ عَلَى هَذِهِ الصِّفَاتِ ﴿مَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ
وَجَنَّتْ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ﴾ يَمْدَحُ تَعَالَى الْجَنَّةَ [التي هي جزاء المتقين] ١٣٧: ﴿قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ
سُنَنٌ﴾ لَمَّا أَصْبَحُوا يَوْمَ أُحُدٍ خَاطَبَهُمُ اللَّهُ بِهَذِهِ الْآيَةِ؛ أَي: قَدْ جَرَى نَحْوُ هَذَا عَلَى الْأُمَّمِ الَّذِينَ كَانُوا مِنْ قَبْلِكُمْ مِنْ أَنْبِيَاءِ الْأَنْبِيَاءِ، ثُمَّ كَانَتْ الْعَاقِبَةُ لَهُمْ
وَالدَّائِرَةُ عَلَى الْكَافِرِينَ، وَهَذَا قَالَ تَعَالَى: ﴿فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ﴾. ثُمَّ قَالَ تَعَالَى: ١٣٨: ﴿هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ﴾
الْقُرْآنَ فِيهِ بَيَانُ الْأُمُورِ عَلَى جَلِّيَّتِهَا ﴿وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ﴾ هُدًى لِقُلُوبِكُمْ، وَمَوْعِظَةٌ: أَي زَاجِرٌ عَنِ الْحَرَامِ وَالْمَأْتَمِ. ثُمَّ قَالَ تَعَالَى مُسَلِّمًا لِلْمُؤْمِنِينَ:
١٣٩: ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا﴾ بِسَبَبِ مَا جَرَى ﴿وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ الْعَاقِبَةُ وَالنَّصْرَةُ لَكُمْ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ ١٤٠: ﴿إِنْ يَمَسُّكُمْ
قَرْحٌ﴾ جَرَاخٌ وَقَتْلٌ ﴿فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ﴾ فَقَدْ أَصَابَ أَعْدَاءَكُمْ قَتْلٌ وَجَرَاخٌ. ﴿وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ﴾ تَدْبِيلٌ عَلَيْكُمْ الْأَعْدَاءَ
تَارَةً، وَإِنْ كَانَتْ لَكُمْ الْعَاقِبَةُ لِمَا لَنَا فِي ذَلِكَ مِنَ الْحِكْمَةِ. وَهَذَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ﴾ فِي مِثْلِ هَذَا لِتَرَى مَنْ يَصْبِرُ عَلَى
مَنَاجِرَةِ الْأَعْدَاءِ ﴿وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ﴾ فِي سَبِيلِهِ ﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾.

وَلِيْمَحِصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ ﴿١٤١﴾ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ ﴿١٤٢﴾ وَلَقَدْ كُنْتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنْتُمْ نَنْظُرُونَ ﴿١٤٣﴾ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ ﴿١٤٤﴾ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كَتَبْنَا مُوَجَلًّا وَمَنْ يَرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِيهِ مِنْهَا وَمَنْ يَرِدْ ثَوَابَ الْآخِرَةِ نُؤْتِيهِ مِنْهَا وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ ﴿١٤٥﴾ وَكَأَيِّنْ مِنْ نَبِيِّ قَتَلَ مَعَهُ رِيبِيُونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ ﴿١٤٦﴾ وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿١٤٧﴾ فَآتَاهُمُ اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحَسَّنَ ثَوَابَ الْآخِرَةِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٤٨﴾

١٤١: ﴿وَلِيْمَحِصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ ليكفر عنهم من ذنوبهم إن كانت لهم ذنوب، وإلا رفع لهم في درجاتهم بحسب ما أصيبوا ﴿وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ﴾ فإنهم بقوا، وحققتهم: فنازهم ١٤٢: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ﴾ أحسبتم أن تدخلوا الجنة ولم تُبْتَلُوا بالقتال والشدايد؟ أي: لا يحصل لكم دخول الجنة حتى تبتلوا، ويرى الله منكم المجاهدين في سبيله والصابرين على مقاومة الأعداء. كما قال تعالى [في سورة العنكبوت]: ﴿أَحْسِبِ النَّاسُ أَنْ يُبْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾؟ ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ﴾ ١٤٣: ﴿وَلَقَدْ كُنْتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَلْقَوْهُ﴾ قد كنتم أبا المؤمنين قبل هذا اليوم تتمنون لقاء العدو وتودون مناجزته ﴿فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنْتُمْ نَنْظُرُونَ﴾ فها قد حصل لكم الذي تمنيتموه، فدونكم فقاتلوا وصابروا. وفي الصحيحين: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «لا تمنوا لقاء العدو، وسلوا الله العافية، فإن لقيتموهم فاصبروا، واعلموا أن الجنة تحت ظلال السيوف» ١٤٤: لما انهزم من انهزم من المسلمين يوم أحد وقتل من قتل منهم؛ شج ابن قميعة رأس رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فنادى في المشركين ونادى الشيطان: إن محمداً قتل. فوقع ذلك في قلوب كثير من الناس، فحصل ضعف ووهن وتأخر عن القتال، ففي ذلك أنزل الله تعالى: ﴿وما

محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرُّسُلُ﴾ له أسوة بهم في الرسالة وجواز القتل عليه. ثم قال تعالى منكرأ على من حصل له ضعف: ﴿أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ﴾ رجعت القهقري؟ ﴿ومن ينقلب على عقبيه فلن يضرَّ الله شيئا وسيجزي الله الشاكرين﴾، [أي: الذين صبروا وجاهدوا واستشهدوا]، سنعطيم من فضلنا ورحمتنا في الدنيا والآخرة بحسب شكرهم وعملهم. ثم قال تعالى مسلبياً للمؤمنين عما كان وقع في نفوسهم يوم أحد: ١٤٥: ﴿وما كان لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كَتَبْنَا مُوَجَلًّا﴾ لا يموت أحد إلا بقدر الله، وحتى يستوفي المدة التي ضربه الله له. ﴿ومن يرد ثواب الدنيا نُؤْتِيهِ مِنْهَا﴾ من كان عمله للدنيا فقط ناله منها ما قدره الله له، ولم يكن له في الآخرة من نصيب ﴿ومن يرد ثواب الآخرة نُؤْتِيهِ مِنْهَا﴾ ومن قصد بعمله الآخرة أعطاه الله منها وما قسم له في الدنيا ﴿وسنجزي الشاكرين﴾ سنعطيم من فضلنا في الدنيا والآخرة ١٤٦: ﴿وكأين من نبي قاتل معه ريبون كثير فما وهنوا﴾ وكم من نبي قتل وقيل معه من أصحابه كثير؟! ﴿فما وهنوا لما أصابهم في سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا﴾ نفى الوهن والضعف عمن بقي من الريبين ممن لم يقتل. وذلك لأن الله عاتب بهذه الآيات والتي قبلها من انهزم يوم أحد. والريبون: هم الذين يعبدون الرب عز وجل [كثيراً فنسبهم إليه تشریفاً]. ﴿والله يحب الصابرين﴾ ١٤٧: ﴿وما كان قولهم إلا أن قالوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا وإسرافنا في أمرنا وثبت أقدامنا وانصُرنا على القوم الكافرين﴾ لم يكن لهم هجير إلا ذلك ١٤٨: ﴿فآتاهم الله ثواب الدنيا﴾ النصر والظفر والعاقبة ﴿ووحسن ثواب الآخرة﴾ جمع لهم ذلك مع هذا ﴿والله يحب المحسنين﴾.

١٤٩: يحذر الله تعالى المؤمنين من طاعة الكافرين والمنافقين فقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ فَتَنَلْبُوا خَاسِرِينَ﴾ فإن طاعتهم تورث الردى في الدنيا والآخرة. ثم أمرهم بطاعته وموالاته فقال: ١٥٠: ﴿بَلِ اللَّهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ خَيْرُ النَّاصِرِينَ﴾، ثم بشرهم بأنه سيلقي في قلوب أعدائهم الخوف منهم فقال: ١٥١: ﴿سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا﴾، قذف الله في قلب أبي سفيان الرعب فرجع إلى مكة [بمن كان معه، وذلك بعد ما انصرفوا عن أحد]، ﴿وَمَا أَوَاهُمْ النَّارُ وَبَسَّ مَثْوَى الظَّالِمِينَ﴾ ١٥٢: ﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِ﴾ تقتلونهم بتسليطه إياكم عليهم [وكان هذا في أول المعركة يوم أحد]. ﴿حتى إذا قُتِلْتُمْ وتنازعت في الأمر وعصيت﴾ كما وقع للرامة ﴿من بعد ما أراكم ما تحبون﴾ وهو الظفر بهم ﴿منكم من يريد الدنيا﴾ وهم الذين رغبوا في المغنم حين رأوا الهزيمة [للمشركين فخالفوا أمر الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وتركوا الجبل] ﴿ومنكم من يريد الآخرة﴾ [وهم الذين لم يتركوا الجبل امتثالاً لطاعة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم]، ﴿ثم صرفكم عنهم ليبتليكم﴾ ثم أداكم عليهم ليختبركم ويمتحنكم، ﴿ولقد غفا عنكم﴾ غفر لكم ذلك الصنيع، ولم يستأصلكم ﴿والله ذو فضل على المؤمنين﴾ وذلك أن

الجزء
٧

يَتَّيِّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن تَطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا يَرُدُّوكُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ فَتَنَقِلِبُوا خَاسِرِينَ ﴿١٤٩﴾
بَلِ اللَّهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ خَيْرُ النَّاصِرِينَ ﴿١٥٠﴾ سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَمَا أَوَاهُمْ النَّارُ وَبَسَّ مَثْوَى الظَّالِمِينَ ﴿١٥١﴾ وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِ حَتَّىٰ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَزَّعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُمْ مِّنْ بَعْدِ مَا أَرَاكُمْ مَا تُحِبُّونَ مِّنْكُمْ مَّن يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَّن يُرِيدُ الْآخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥٢﴾ إِذْ تَصْعَدُونَ وَلَا تَكُونُوا عَلَىٰ أَحَدٍ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي أَخْرَابِكُمْ فَأَتَيْتُمُوهُمْ غَمًّا نِّغَمًا لِّكَيْلَا تَحْزَنُوا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَا أَصَابَكُمْ وَاللَّهُ خَيْرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٥٣﴾

النبي صلى الله عليه وآله وسلم أقامهم في موضع، وقال: «أحموا ظهورنا، فإن رأيتونا نُقتل فلا تنصرونا، وإن رأيتونا نغم فلا تشركونا» فلما غم النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وأناخوا عسكر المشركين، أكب الرُماة جميعاً في العسكر يهبون، ولقد التقت صفوف أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فيهم هكذا -وشبك بين يديه- وانتشوا، فلما أحل الرُماة تلك الخلة التي كانوا فيها دخلت الخيل من ذلك الموضع على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يضرب بعضهم بعضاً، والتبسوا، وقُتل من المسلمين ناسٌ كثير، وكان النصر لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أول النهار، حتى قُتل من المشركين أصحاب لواء المشركين وكانوا تسعة، وجال المشركون جولة نحو الجبل، وصاح الشيطان: قُتل محمد، فما زلنا كذلك حتى طلع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ففرحنا حتى كأنه لم يصبنا ما أصابنا. فإذا أبو سفيان يصيح في أسفل الجبل: أغل هُبُل. فرقى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقال: «ليس لهم أن يعلنوا». [وفي ذلك يقول تعالى: ﴿١٥٣﴾: ﴿إِذْ تَصْعَدُونَ وَلَا تَلْوُونَ عَلَىٰ أَحَدٍ﴾ إذ تصعدون في الجبل هاربين من أعدائكم ﴿والرسول يدعوكم في أخراكم﴾ يدعو الناس إلى ترك الفرار، وإلى الرجعة والكرّة على المشركين، ﴿فأتابكم﴾ فجازم ﴿غمًّا نِّغَمًا﴾ الغم الأول ما فاتهم من الظفر والنعيمة، والثاني إشراف العدو عليهم ﴿لكيلا تحزنوا على ما فاتكم﴾ من النعمة والظفر بعدوكم ﴿ولا ما أصابكم﴾ من الجراح والقتل ﴿والله خير بما تعلمون﴾.

ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِ الْغَمِّ أَمْنَةً نَاعَسًا يَعْشَى طَآئِفَةً مِنْكُمْ وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَلْ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ يُخْفُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ مَا لَا يَبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَا قُتِلْنَا هَاهُنَا قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿١٥٤﴾ إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٥٥﴾ يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا وَقَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا فِي الْأَرْضِ أَوْ كَانُوا غَزَى لَوْ كَانُوا عِنْدَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا لِيَجْعَلَ اللَّهُ ذَٰلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١٥٦﴾ وَلَئِنْ قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ مِتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ ﴿١٥٧﴾

٧.

١٥٤: يقول تعالى ممتناً على عباده فيما أنزل عليهم من السكينة والأمنة في يوم أُحد: ﴿ثم أنزل عليكم من بعد الغم أمنة ناعساً يغشى طائفة منكم﴾ أهل الإيمان ﴿وطائفة قد أهتمهم أنفسهم﴾ لا ينشاهم الناس من القلق والجزع والخوف ﴿يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية﴾ وهم أهل الريب ظنوا أن الإسلام قد باذ وأهله كما قال تعالى: ﴿بل ظننتم أن لن ينقلب الرسول والمؤمنون إلى أهلهم أبداً﴾ هكذا اعتقدوا، ثم أخبر تعالى عنهم أنهم ﴿يقولون﴾ في تلك الحال: ﴿هل لنا من الأمر من شيء؟﴾ فقال تعالى: ﴿قل إن الأمر كله لله يخفون في أنفسهم ما لا يبدون لك﴾، ثم فسّر ما أخفوه في أنفسهم بقوله: ﴿يقولون لو كان لنا من الأمر شيء ما قُتِلنا هاهنا﴾ يُسرِّن هذه المقالة عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ﴿قل لو كنتم في بيوتكم﴾، [أيها المنافقون]، ﴿لبرز الذين كُتِب عليهم القتل إلى مضاجعهم﴾ هذا قدر قدره الله عز وجل لا يحيد عنه ولا مناص منه، ﴿وليبتلي الله ما في صدوركم ويمحص ما في قلوبكم﴾ لِيَبْتَلِيَ الخبيث من الطيب، ويظهر أمر المؤمنين من المنافقين ﴿والله عليم بذات الصدور﴾ ١٥٥: ثم قال تعالى: ﴿إن الذين تولَّوا منكم يوم التقى الجمعان إنما استزلهم الشيطان ببعض ما كسبوا﴾، ﴿ولقد عفا الله عنهم﴾، ﴿عفا كان منهم من الفرار﴾، ﴿إن الله غفورٌ حلِيمٌ﴾، يغفر الذنب ويحلم عن خلقه ١٥٦: ينهى

الله تعالى المؤمنين عن مشابهة الكفار في اعتقادهم الفاسد الدال عليه قولهم عن إخوانهم الذين ماتوا في الأسفار والحروب ﴿لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قُتلوا﴾. ﴿إذا ضربوا في الأرض﴾ سافروا للتجارة ﴿أو كانوا غزى﴾ في الغزو. ﴿ليجعل الله ذلك حسرة في قلوبهم﴾ هذا الاعتقاد في نفوسهم ليردادوا حسرة على موتاهم وقتلهم، ثم قال تعالى رداً عليهم: ﴿والله يحيي ويميت﴾ فلا يحيي أحد ولا يموت إلا بمشيئته وقدره ﴿والله بما تعملون بصير﴾ علمه وبصره نافذ في جميع خلقه لا يخفى عليه شيء من أموره ١٥٧: ﴿ولئن قُتلتم في سبيل الله أو مِتُّم لمغفرة من الله ورحمة خير مما يجمعون﴾، تضمّن هذا أنّ القتل في سبيل الله، والموت أيضاً، وسيلة إلى نيل رحمة الله وعفوه ورضوانه، وذلك خير من البقاء في الدنيا وجمع خطاياها الفاني.

الآية ١٥٥: روى الطبراني أنّ رسول الله ﷺ قال: «ثلاثة لا ينفق معهم عمل: الشرك بالله، وعقوق الوالدين، والفرار من الزحف». /الترغيب والترهيب ج ٢/٢٠٣.

الآية ١٥٦: عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «ثلاثة في ضمان الله عز وجل: رجلٌ خرج إلى مسجد من مساجد الله عز وجل، ورجلٌ خرج غازياً في سبيل الله، ورجلٌ خرج حاجاً». صحيح الجامع ج ٥٨٥/١. وعنه إن رسول الله ﷺ قال: «ثلاثة حق على الله عونهم: الجاهد في سبيل الله، والمكاتب الذي يُريد الأداء [يشري نفسه من الرق] والنكاح [المتزوج] الذي يُريد العفاف» رواه أحمد والترمذي/صحيح الجامع ج ٥٨٥/١.

الآية ١٥٧: قال رسول الله ﷺ: «إن عظم الجزاء مع عظم البلاء، وإن الله تعالى إذا أحب قوماً ابتلاهم، فمن رضي فله الرضا، ومن سخط فله السخط»، رواه الترمذي وقال حديث حسن /رياض الصالحين/٣٣.

تُحْشَرُونَ﴾، أخبر تعالى بأن كل من مات أو قتل فمصيروه ومرجهه إلى الله عز وجل فيجزيه بعمله إن خيراً فخير وإن شراً فشر ١٥٩: يقول تعالى مخاطباً رسوله صلى الله عليه وآله وسلم ممتناً عليه وعلى المؤمنين فيها لأن به قلبه على أمته: ﴿فَمَا رَحِمَةً مِنَ اللَّهِ لَئِنَّ لَهُمْ مِنْ أُمَّةٍ شِئَءٌ جَعَلَكَ اللَّهُ لَهُمْ لِيَأْتِيَ لَوْلَا رَحْمَةُ اللَّهِ بِكَ وَهُمْ؟ فَرَحِمَةً مِنَ اللَّهِ لَئِنَّ لَهُمْ، ﴿وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾ لو كنت سيء الكلام قاسي القلب لتركوك ولكن الله جمعهم عليك وألأن جانبك لهم تأليفاً لقلوبهم، ولهذا قال تعالى: ﴿فَاغْفِرْ لَهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾ تطبيقاً لقلوبهم ليكون أنشط لهم فيما يفعلونه، فكان صلى الله عليه وآله وسلم يشاورهم في الحروب ونحوها. ﴿فَإِذَا عَزَمْتَ﴾ في الأمر ﴿فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾ فيه ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ ١٦٠: ﴿إِنَّ يَنْصُرْكُمْ اللَّهُ فَلاَ غَالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَخْذُلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرْكُمْ مِنْ بَعْدِهِ، وَعَلَى اللَّهِ فليتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ وما كان لنبِيِّ أَنْ يَغْلُ وَ مَنْ يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَمَةِ ثُمَّ تَوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ أقمِن أتبع رضوان الله كمن بآء بسخط من الله وما وئنه جهنم ويسل لصيرهم درجت عند الله والله بصير بما يعملون﴾ ١٦٣: لقد من الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم يتلوا عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين﴾ ١٦٤: ﴿أولما أصابتكم مصيبة قد أصبتم مثليها قلتم أنى هذا قل هو من عند أنفسكم﴾ إن الله على كل شيء قدير﴾ ١٦٥: ﴿لا يظلمون﴾ وهذا تهديد شديد ووعيد أكيد. قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «من ولي لنا عملاً وليس له منزل فليتخذ منزلاً، أو ليست له زوجة فليتزوج، أو ليس له خادم فليتخذ خادماً، أو ليس له دابة فليتخذ دابة»، ومن أصاب شيئاً سوى ذلك فهو غال». ﴿ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون﴾ ١٦٢: ﴿أقمِن أتبع رضوان الله كمن بآء بسخط من الله﴾! لا يستوي من أتبع رضوان الله فيها شرعه، ومن استحق غضب الله وألزم به؟! ﴿وما واه جهنم ويسل المصير﴾ ١٦٣: ﴿هم درجات عند الله﴾ أهل الخير وأهل الشر، فأهل الجنة درجات، وأهل النار درجات. ﴿والله بصير بما يعملون﴾ لا يظلمهم خيراً ولا يزيدهم شراً ١٦٤: ﴿لقد من الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم﴾ من جنسهم ليتمكنوا من مخاطبته والإنفاع به ﴿يتلوا عليهم آياته ويزكيهم﴾ يتلو عليهم القرآن، ويأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر لتزكوا أنفسهم وتطهر من جاهليتهم ﴿ويعلمهم الكتاب والحكمة﴾ القرآن والسنة. ﴿وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين﴾ في جهل وغبي ظاهر لكل أحد ١٦٥: ﴿أولما أصابتكم مصيبة﴾ وهي ما أصيب منهم يوم أحد ﴿قد أصبتم مثليها﴾ يعني يوم بدر، فإنهم قتلوا من المشركين سبعين وأسروا سبعين ﴿قلتم أنى هذا؟ من أين جرى علينا هذا؟﴾ ﴿قل هو من عند أنفسكم﴾ بسبب عصيانكم لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، يعني بذلك الرماة ﴿إن الله على كل شيء قدير﴾ يفعل ما يشاء.

وَلَيْنَ مُتَمِّمٌ أَوْ قَاتِلٌ لِإِلَهِ اللَّهِ تُحْشَرُونَ ﴿١٥٨﴾ فِيمَا رَحِمَةً مِنَ اللَّهِ لَئِنَّ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾ إِنَّ يَنْصُرْكُمْ اللَّهُ فَلاَ غَالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَخْذُلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرْكُمْ مِنْ بَعْدِهِ وَعَلَى اللَّهِ فليتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١٦٠﴾ وَمَا كَانَ لِنَبِيِّ أَنْ يَغْلُ وَ مَنْ يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَمَةِ ثُمَّ تَوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٦١﴾ أقمِن أتبع رضوان الله كمن بآء بسخط من الله وما وئنه جهنم ويسل لصيرهم درجت عند الله والله بصير بما يعملون ﴿١٦٢﴾ لقد من الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم يتلوا عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين ﴿١٦٣﴾ أولما أصابتكم مصيبة قد أصبتم مثليها قلتم أنى هذا قل هو من عند أنفسكم ﴿١٦٤﴾ إن الله على كل شيء قدير ﴿١٦٥﴾

الآية ١٥٩: كان ﷺ يشاور أصحابه في الحروب وغيرها. وروى الإمام أحمد أنه ﷺ قال لأبي بكر وعمر: «لو اجتمعنا في مشورة ما خلفتكما». وروى ابن مردويه: سُئل ﷺ عن العزم؟ فقال: «مشاورة أهل الرأي ثم اتباعهم». / تفسير ابن كثير ج ١/ ٤٢٠.

١٦٦: ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ يَوْمَ التَّقَىٰ الْجَمْعَانِ﴾ فإذن الله فراركم بين يدي عدوكم وقتلهم لجماعة منكم وجراحتهم لآخرين كان بقضاء الله وقدره وله الحكمة في ذلك ﴿وَلِيَعْلَمَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ الذين صبروا ولم يهزموا ١٦٧: ﴿وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُوا وَقِيلَ لَهُم تَعَالَوْا قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ ادْفَعُوا قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَاتَّبَعْنَاكُمْ﴾ يعني بذلك أصحاب عبد الله بن أبي بن سلول الذين رجعوا معه أثناء الطريق [إلى أحد، قالوا: لو نعلم أنكم تلقون حرباً لجنناكم ﴿هَمَّ لِلْكَفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ﴾ يقولون القول ولا يعتقدون صحته، ولهذا قال تعالى: ﴿يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ﴾ ١٦٨: ﴿الَّذِينَ قَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُوا لَوْ أَطَاعُونَا مَا قَاتَلْنَا﴾ لو سمعوا من مشورتنا عليهم في القعود وعدم الخروج ما قتلوا مع من قتل؛ قال الله تعالى: ﴿قُلْ فَادْرَأُوا عَنْ أَنْفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ إن كان القعود يسلم به الشخص من الموت فينبغي أنكم لا تموتون، والموت لا بُدَّ آتٍ إليكم ولو كنتم في بروج مثنية ١٦٩: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قَاتَلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ يخبر تعالى عن الشهداء بأنهم وإن قتلوا في هذه الدار فإنهم أحياء عند ربهم يُرزقون، قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «أرواحهم في جوف طير خضر لها قناديل معلقة بالعرش تسرح من الجنة حيث شاءت ثم تأتي إلى تلك القناديل» الحديث.

وَمَا أَصَابَكُمْ يَوْمَ التَّقَىٰ الْجَمْعَانِ فَإِذِنَ اللَّهُ وَلِيَعْلَمَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٦٦﴾ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُوا وَقِيلَ لَهُم تَعَالَوْا قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ ادْفَعُوا قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَاتَّبَعْنَاكُمْ هَمَّ لِلْكَفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ ﴿١٦٧﴾ الَّذِينَ قَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُوا لَوْ أَطَاعُونَا مَا قَاتَلْنَا قُلْ فَادْرَأُوا عَنْ أَنْفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٦٨﴾ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قَاتَلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٧٠﴾ يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةِ اللَّهِ وَفَضْلِهِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٧١﴾ الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقُوا أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٢﴾ الَّذِينَ قَالُوا لَهُمْ النَّاسُ إِنْ النَّاسُ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾

رواه مسلم ١٧٠: ﴿فرحين بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم ألا خوف عليهم ولا هم يحزنون﴾ بلحق من لحقهم من إخوانهم على ما مضوا عليه من جهادهم، ليشركوهم فيما هم فيه من ثواب الذي أعطاهم ١٧١: ﴿يستبشرون بنعمة من الله وفضل وأن الله لا يضيع أجر المؤمنين﴾ سرورا لما عابوا من وفاء الموعد وجزيل الثواب. وهذه الآيات جمعت المؤمنين كلهم سواء الشهداء وغيرهم، ولما ذكر الله فضلا ذكر به الأنبياء وثوابا أعطاهم الله إياه إلا ذكر الله ما أعطى المؤمنين من بعدهم ١٧٢: ﴿الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم القرع﴾ هذا كان يوم حمراء الأسد، وذلك أن المشركين لما أصابوا من المسلمين كروا راجعين إلى بلادهم، فلما استمروا في المسير ندما لم لا تمتموا على أهل المدينة وجعلوها الفصيلة، فلما بلغ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم نَدَبَ المسلمين إلى الذهاب وراءهم ليرعبوهم، وبهم أن بهم قوة وجلدًا، فانتدب المسلمون على ما بهم من الجراح طاعة لله لرسوله صلى الله عليه وآله وسلم، حتى بلغوا حمراء الأسد، فقدت الله في قلب أبي سفيان فرجع إلى مكة؛ وذلك أن أبا سفيان رأى معبداً، قال: ما وراك يا معبداً؟ قال: محمدٌ وأصحابه يظلمكم في جمع لم أَر مثله، فرجع وقد قذف الله في قلبه الرعب. ﴿للذين أحسنوا منهم واتقوا أجر عظيم﴾ ١٧٣: ﴿الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيماناً﴾ الذين توقعهم الناس بالجموع وخوفوهم بكثرة الأعداء فما أكثرتوا لذلك، بل توكلوا على الله واستعانوا به ﴿وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل﴾، [أي: كافينا الله].

الآية ١٧٣: قال أنس: كان رسول الله ﷺ إذا غزا قال: «اللهم أنت عظيمي ونصيري، بك أخول وبك أضول، وبك أقاتل»، رواه الترمذي وقال: حديث حسن. / الأذكار/١٧٩.

١٧٤: ﴿فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ﴾ لَمَا تَوَكَّلُوا عَلَى اللَّهِ كِفَاهِمَ مَا أَهْتَمُّ وَرَدَّ عَنْهُمْ بَأْسٌ مِنْ أَرَادَ كَيْدَهُمْ فَرَجَعُوا إِلَى بِلَدِهِمْ ﴿بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ﴾ تَمَا أَضْمَرَ لَهُمْ عَدُوَّهُمْ ﴿وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ﴾ ١٧٥: ﴿إِنَّمَا ذَلِكَ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ﴾ يُخَوِّفُكُمْ أَوْلِيَاءَهُ وَيُوْهِمُكُمْ أَنَّهُمْ ذَوُّ بَأْسٍ وَذَوُّ شِدَّةٍ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُوا عَلَيَّ وَالْجَنُّونَ إِلَىٰ فِئَتِي كَافِيكُمْ وَنَاصِرَكُمْ عَلَيْهِمْ ١٧٦﴾: ﴿وَلَا يَحْزَنُكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا وَالَّذِينَ اسْتَرَعَوْا فِي الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا﴾ وَذَلِكَ مِنْ شِدَّةِ حِرْصِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ عَلَى النَّاسِ، كَانَ يُحْزِنُهُ مِبَادَرَةَ الْكُفْرَانِ إِلَى الْخِلَافَةِ وَالْعِنَادِ ﴿يُرِيدُ اللَّهُ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حِطًّا فِي الْآخِرَةِ﴾ حَكَمْتَهُ فِيهِمْ أَنَّهُ يُرِيدُ بِمَشِيئَتِهِ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ نَصِيبًا فِي الْآخِرَةِ ﴿وَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾. ثُمَّ أَخْبَرَ تَعَالَى إِخْبَارًا مَقْرَرًا فَقَالَ: ١٧٧: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اسْتَرَعَوْا الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ﴾ اسْتَبَدَلُوا هَذَا بِهَذَا ﴿لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا﴾ يَضُرُّونَ أَنْفُسَهُمْ ﴿وَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾؛ ثُمَّ قَالَ تَعَالَى: ١٧٨: ﴿وَلَا يَحْسِبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمِّلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمِّلِي لَهُمْ لِيُزَادُوا فِي إِثْمِهِمْ وَهُمَّ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿أَجْحَسِبُونَ أَن مَن نَّمُنُّ بِهِ مِنْ مَالٍ وَبَيْنِ نَسَارِعٍ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَلْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ ١٧٩: ﴿مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ الْخَيْبَ مِنَ الطَّيِّبِ﴾ لَا يَبْدُ أَنْ يَعْقِدَ شَيْءٌ مِنَ الْحَقَّةِ، يَظْهَرُ فِيهِ وَآيَتُهُ، وَيُفْضَحُ بِهِ عَدُوَّهُ، يُعْرَفُ بِهِ الْمُؤْمِنُ الصَّابِرُ، وَالْمُنَافِقُ الْفَاجِرُ؛ يَعْنِي بِذَلِكَ يَوْمَ أُحُدٍ الَّذِي امْتَحَنَ اللَّهُ بِهِ الْمُؤْمِنِينَ. ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ﴾ أَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ غَيْبَ اللَّهِ فِي خَلْقِهِ حَتَّى يَمِيزَ لَكُمْ الْمُؤْمِنَ مِنَ الْمُنَافِقِ لَوْلَا مَا يَعْقِدُهُ مِنَ الْأَسْبَابِ الْكَاشِفَةِ عَنْ ذَلِكَ ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِي مِنْ رُسُلِهِ مَنْ يَشَاءُ﴾، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا. إِلَّا مَنِ ارْتَضَىٰ مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا﴾، ﴿فَأَمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَبِمَا شَرَعَ لَكُمْ. ﴿وَإِنْ تَوَلَّوْا﴾ وَتَقَرُّوا فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٨٠﴾: ﴿وَلَا يَحْسِبَنَّ الَّذِينَ يَخْلُونَ بِمَا أَنَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرٌ لِّمَا هُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَهُمْ﴾ لَا يَحْسِبَنَّ الْبَخِيلُ أَنَّ جَمْعَهُ الْمَالِ يَنْفَعُهُ، بَلْ هُوَ مُضَرَّةٌ عَلَيْهِ فِي دِينِهِ، وَرَبَّمَا كَانَ فِي دُنْيَاهِ. ثُمَّ أَخْبَرَ بِمَالِ أَمْرِ مَالِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: ﴿مَنْ آتَاهُ اللَّهُ مَالًا فَلَمْ يُوَدِّ زَكَاتَهُ مِثْلَ لَهْ شُجَاعًا أَقْرَعَ لَهُ زَيْبَتَانِ يَطُوقُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، يَأْخُذُ بِلَهْمَتَيْهِ - يَعْنِي: بِشَدَقِيهِ - يَقُولُ: أَنَا مَالِكٌ أَنَا كَزُكُّ﴾ ثُمَّ تَلَا هَذِهِ الْآيَةَ. رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ. ﴿وَاللَّهُ مِيرَاثُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ فَانْفَقُوا بِمَا جَعَلَ لَكُمْ مَسْتَخْلِفِينَ فِيهِ، فَإِنَّ الْأُمُورَ كُلَّهَا مَرْجِعُهَا إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، فَتَقَدَّمُوا مِنْ أَمْوَالِكُمْ مَا يَنْفَعُكُمْ يَوْمَ مَعَادِكُمْ ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ وَضَمَّا تَرْكُمُ.

فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴿١٧٤﴾ إِنَّمَا ذَلِكَ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُوا عَلَيَّ وَالْجَنُّونَ إِلَىٰ فِئَتِي كَافِيكُمْ وَنَاصِرَكُمْ عَلَيْهِمْ ﴿١٧٦﴾ وَلَا يَحْزَنُكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا يُرِيدُ اللَّهُ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حِطًّا فِي الْآخِرَةِ وَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٥﴾ إِنَّ الَّذِينَ اسْتَرَعَوْا الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا وَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٧٨﴾ مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ الْخَيْبَ مِنَ الطَّيِّبِ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِي مِنْ رُسُلِهِ مَنْ يَشَاءُ فَفَأَمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَإِنْ تَوَلَّوْا وَتَقَرُّوا فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٩﴾ يَحْسِبَنَّ الَّذِينَ يَخْلُونَ بِمَا أَنَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرٌ لِّمَا هُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَاللَّهُ مِيرَاثُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٨٠﴾

الْخَيْبَ مِنَ الطَّيِّبِ﴾ لَا يَبْدُ أَنْ يَعْقِدَ شَيْءٌ مِنَ الْحَقَّةِ، يَظْهَرُ فِيهِ وَآيَتُهُ، وَيُفْضَحُ بِهِ عَدُوَّهُ، يُعْرَفُ بِهِ الْمُؤْمِنُ الصَّابِرُ، وَالْمُنَافِقُ الْفَاجِرُ؛ يَعْنِي بِذَلِكَ يَوْمَ أُحُدٍ الَّذِي امْتَحَنَ اللَّهُ بِهِ الْمُؤْمِنِينَ. ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ﴾ أَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ غَيْبَ اللَّهِ فِي خَلْقِهِ حَتَّى يَمِيزَ لَكُمْ الْمُؤْمِنَ مِنَ الْمُنَافِقِ لَوْلَا مَا يَعْقِدُهُ مِنَ الْأَسْبَابِ الْكَاشِفَةِ عَنْ ذَلِكَ ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِي مِنْ رُسُلِهِ مَنْ يَشَاءُ﴾، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا. إِلَّا مَنِ ارْتَضَىٰ مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا﴾، ﴿فَأَمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَبِمَا شَرَعَ لَكُمْ. ﴿وَإِنْ تَوَلَّوْا﴾ وَتَقَرُّوا فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٨٠﴾: ﴿وَلَا يَحْسِبَنَّ الَّذِينَ يَخْلُونَ بِمَا أَنَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرٌ لِّمَا هُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَهُمْ﴾ لَا يَحْسِبَنَّ الْبَخِيلُ أَنَّ جَمْعَهُ الْمَالِ يَنْفَعُهُ، بَلْ هُوَ مُضَرَّةٌ عَلَيْهِ فِي دِينِهِ، وَرَبَّمَا كَانَ فِي دُنْيَاهِ. ثُمَّ أَخْبَرَ بِمَالِ أَمْرِ مَالِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: ﴿مَنْ آتَاهُ اللَّهُ مَالًا فَلَمْ يُوَدِّ زَكَاتَهُ مِثْلَ لَهْ شُجَاعًا أَقْرَعَ لَهُ زَيْبَتَانِ يَطُوقُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، يَأْخُذُ بِلَهْمَتَيْهِ - يَعْنِي: بِشَدَقِيهِ - يَقُولُ: أَنَا مَالِكٌ أَنَا كَزُكُّ﴾ ثُمَّ تَلَا هَذِهِ الْآيَةَ. رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ. ﴿وَاللَّهُ مِيرَاثُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ فَانْفَقُوا بِمَا جَعَلَ لَكُمْ مَسْتَخْلِفِينَ فِيهِ، فَإِنَّ الْأُمُورَ كُلَّهَا مَرْجِعُهَا إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، فَتَقَدَّمُوا مِنْ أَمْوَالِكُمْ مَا يَنْفَعُكُمْ يَوْمَ مَعَادِكُمْ ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ وَضَمَّا تَرْكُمُ.

لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ
سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ
ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴿١٨١﴾ ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيكُمْ
وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿١٨٢﴾ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ
اللَّهَ عَهْدُ الْإِنْسَانِ أَلَّا نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّىٰ يَأْتِنَا بِقُرْآنٍ
تَأْكُلُهُ النَّارُ قُلْ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ قَبْلِي بِالْبَيِّنَاتِ
وَبِالَّذِي قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٨٣﴾
فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ رَسُولٌ مِّنْ قَبْلِكَ جَاءُوا بِالْبَيِّنَاتِ
وَالزُّبُرِ وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ ﴿١٨٤﴾ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ
وَإِنَّمَا تُوَفَّقُونَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَنْ زُحْزِحَ
عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا
إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ ﴿١٨٥﴾ * لَتَبْلُوكَ فِي أَمْوَالِكُمْ
وَأَنْفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعَنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ
مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذَىٰ كَثِيرًا
وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴿١٨٦﴾

١٨١: ﴿لقد سمع الله قول الذين قالوا إن الله فقير ونحن أغنياء﴾، لما نزل قوله تعالى: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً﴾ قالت اليهود: يا محمد افتقر ربك فسأل عباده القرض؟ فنزل الله هذه الآية: ﴿سنكتب ما قالوا﴾ تهديدًا ووعيدًا، ولهذا قرئ تعالى بقوله: ﴿وقلهم الأنبياء بغير حق﴾ هذا قولهم في الله، وهذه معاملتهم رسل الله، وسيجزئهم الله على ذلك شر الجزاء، ولهذا قال تعالى: ﴿ونقول ذوقوا عذاب الحريق﴾ ١٨٢: ﴿ذلك بما قدمت أيديكم وأن الله ليس بظلام للعبيد﴾ يقال لهم ذلك تقييدًا وتوبيخًا وتحقيرًا ١٨٣: ﴿الذين قالوا إن الله عهد إلينا ألا نؤمن لرسول حتى يأتينا بقرآن تأكله النار﴾ يقول تعالى تكذيبًا لهؤلاء: ﴿قل قد جاءكم رسل من قبلي بالبينات بالحجج والبراهين﴾ وبالذي قلتم﴾ وبنار تأكل القرابين المنقبة﴾ فلم قتلتموهم﴾ فلم قابلتموهم بالتكذيب والمخالفة والمعاندة وقتلتموهم﴾ إن كنتم صادقين﴾ أنكم تبعون الحق وتفتادون للرسل؟! ١٨٤: ﴿فإن كذبوك فقد كذب رسل من قبلك جاؤوا بالبينات والزبور والكتاب المنير﴾، لا يوهنك تكذيب هؤلاء لك، فلك أسوة بمن قبلك من الرسل الذين كذبوا مع ما جاؤوا به من البينات. ﴿والزبور﴾ الكتب المتلقاة من السماء كالصحف المنزلة على المرسلين ﴿والكتاب المنير﴾ الواضح الجلي ١٨٥: يُخبر تعالى والإنس يموتون، وكذلك الملائكة، وحمله العرش، وينفرد ذو الجلال والإكرام الواحد الأحد القهار بالديمومة والبقاء، فيكون آخرًا كما كان أولًا، وهذه الآية فيها تعزية لجميع الناس، فلا يبقى أحد على وجه الأرض [إلا] يموت. ﴿وإنما توفون أجوركم يوم القيامة فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز﴾ من جنت النار ونجا منها وأدخل الجنة فقد فاز كل الفوز. ﴿وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور﴾ هذا تصغير لشأنها وتحقير لأمرها. كما قال تعالى: ﴿بل توثرون الحياة الدنيا والآخرة خير وأبقى﴾ ١٨٦: ﴿لتبلون في أموالكم وأنفسكم﴾ لا بد أن يتبلى المؤمن في شيء من ماله أو نفسه أو ولده أو أهله، ويتبلى المؤمن على قدر دينه، فإن كان في دينه صلاحة يزيد في البلاء، ﴿ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذى كثير﴾، [هذه تسلية من الله تعالى] للمؤمنين عمًا ينالهم من الأذى من أهل الكتاب والمشركين، ثم أمرهم بالصبر والعفو حتى يأتي فرج الله: ﴿وإن تصبروا وتتقوا فإن ذلك من عزم الأمور﴾. وكل من قام بحق، أو أمر بمعروف، أو نهى عن منكر، فلا بد أن يؤذى؛ فما له دواء إلا الصبر في الله، والاستعانة بالله، والرجوع إلى الله، [ولا حول ولا قوة إلا بالله].

١٨٧: هذا توبيخ من الله وتهديد لأهل الكتاب الذين أخذ الله عليهم العهد على السنة الأنبياء أن يؤمنوا بمحمد صلى الله عليه وآله وسلم، فكنتموا ذلك، قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَأَشْرَوْا بِهِ مَثْمًا قَلِيلًا فَبُئِسَ مَا يَشْتَرُونَ ﴿١٨٧﴾ لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أُوتُوا وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلَا تَحْسَبْتَهُمْ بِمَافَاةٍ مِنَ الْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٨٨﴾ وَلِلَّهِ مَلِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٨٩﴾ إِنِّي فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿١٩٠﴾ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَمًا وَقَعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿١٩١﴾ رَبَّنَا إِنَّكَ مَن تَدْخِلُ النَّارَ فَقَدْ أَخْرَجْتَهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ ﴿١٩٢﴾ رَبَّنَا إِنَّا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ ءَامِنُوا بِرَبِّكُمْ فَءَامَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَقَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ ﴿١٩٣﴾ رَبَّنَا وَءَايَاتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ ﴿١٩٤﴾

والقصر؛ فتارة يطول هذا ويقصر هذا، ثم يعتدلان ﴿لآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ العقول التامة الزكية التي تدرك الأشياء بحقائقها، وليسوا كالكلم واليكم الذين لا يعقلون، ثم وصف تعالى أولي الأبواب فقال: ١٩١: ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَمًا وَقَعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ يفهمون ما فيها من الحكم الدالة على عظمة الخالق وقدرته. ﴿رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا﴾ ما خلقت هذا عبثًا، بل بالحق؛ لتجزى الذين أحسنوا بالْحُسْنَى، والذين أساءوا بما عملوا، ثم نزهوه عن الباطل فقالوا: ﴿سُبْحَانَكَ﴾ [تنزهت] عن أن تخلق شيئًا باطلاً ﴿فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ يا من خلق الخلق بالحق، ويأمن هو منزّه عن النقائص والعيب والعبث؛ قِنَا عَذَابَ النَّارِ بجولك وقوتك، ووقفنا لعمل صالح تهديننا به إلى جنات النعم ١٩٢: ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ مَن تَدْخِلُ النَّارَ فَقَدْ أَخْرَجْتَهُ﴾ أهنته وأظهرت خزيه لأهل الجمع ﴿وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾ يوم القيامة، فلا مُجِير لهم منك ١٩٣: ﴿رَبَّنَا إِنَّا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ ءَامِنُوا بِرَبِّكُمْ فَءَامَنَّا﴾ سمعنا داعيًا يدعو إلى الإيمان، وهو الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، فاستجبنا له واتبعناه ﴿رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا﴾ بإيماننا واتباعنا نبيك، أي: استرأها، ﴿وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا﴾ فيما بيننا وبينك ﴿وَتَوَقَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ﴾ ألحقنا بالصالحين ١٩٤: ﴿رَبَّنَا وَءَايَاتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ﴾ على السنة رسلك ﴿وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾

الآية ١٨٨: قال الضحّاك: إنّ اليهود كانوا يقولون للملوك: إنّنا نجذب في كتابنا أنّ الله يعث نبيًا في آخر الزمان يخيم به النبوة، فلما بعث الله، سألهم الملوك: أهو هذا الذي تجذونه في كتابكم؟ فقال اليهود طمعًا في أموال الملوك: هو غير هذا، فأعطاهم الملوك الجزائل، فقال تعالى: ﴿للتحسّن الذين يفرحون بما أُوتوا﴾ الملوك من الكذب حتى يأخذوا عرض الدنيا. /القرطبي/ ٣٠٦/٤.

١٩٥: ﴿فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ﴾ فاجابهم

ربهم ﴿أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ نَسِيَ﴾ وهذا تفسيرٌ للإجابة، أي: قال لهم محمداً أنه لا يضيعُ عملُ عاملٍ منكم لديه، بل يوفى كلَّ عاملٍ بقسطِ عمله من ذكرٍ أو أنسى. ﴿بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ﴾ جميعكم في ثوابٍ سواءٍ ﴿فَالَّذِينَ هَاجَرُوا﴾ إلى دار الإيمان ﴿وَأَخْرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ﴾ ضايقهم المشركون بالأذى حتى أخرجوهم إلى الخروج ﴿مِنْ دِيَارِهِمْ﴾، ولهذا قال: ﴿وَأُودُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا أَنْهَارٌ﴾

من أنواع المشارب، مما لا عين رأت ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر. ﴿ثَوَابًا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾ إضافةً إليه ونسبه إليه ليدل على أنه عظيم، فإن العظم الكرم لا يُعطي إلا جزئياً كثيراً. ﴿وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ﴾ عنده حسنُ الجزاء لمن عمل صالحاً ١٩٦: ﴿لَا يَغْرُبُكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ﴾ لا تنظر إلى ما هؤلاء الكفار مترفون فيه من النعمة والغبطة والسرور، فعماً قليل يزول هذا كله عنهم، ويصبحوا مرتنين بأعمالهم السيئة، فإنما نغذ لهم فيها استدراجاً ١٩٧: ﴿مَتَاعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَاؤَاهُمْ جَهَنَّمَ وَيَسَّرُ الْمُهَادِدُ﴾، وكما قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَفْتُرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكُذْبَ لَا يُفْلِحُونَ﴾. متاعٌ في الدنيا قليل ثم إلينا مرجعهم ثم نذيقهم العذاب الشديد بما كانوا يكفرون ١٩٨: ﴿لَكِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ﴾

فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ نَسِيَ بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأَخْرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأُودُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ثَوَابًا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ ١٩٥ لَّا يَغْرُبُكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ ١٩٦ مَتَاعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَاؤَاهُمْ جَهَنَّمَ وَيَسَّرُ الْمُهَادِدُ ١٩٧ لَكِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ هُمْ جَنَّتْ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نَزُلًا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لِلْأَبْرَارِ ١٩٨ وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِمْ خَشِيعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتَرُونَ بِعَايَتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ١٩٩ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ٢٠٠

سُورَةُ التَّوْبَةِ

الأنهارُ خالدِين فيها نُزُلًا من عند الله وما عند الله خيرٌ للأبرار، ﴿لَكِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ﴾ استدراك بعد كلام تقدم فيه معنى النفي؛ لأن معنى ما تقدم: ليس لهم في تقلبهم في البلاد كبير الانتفاع؛ لكن المتقون لهم الانتفاع الأكبر والخلدُ الدائم. ﴿وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لِلْأَبْرَارِ﴾ [مما يتقلب به الكفار في الدنيا] ١٩٩: يخبر تعالى عن طائفةٍ من أهل الكتاب أنهم يؤمنون بالله حق الإيمان: ﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ﴾، ويؤمنون بما أنزل على محمد مع ما هم مؤمنون به من الكتب المتقدمة: ﴿وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِمْ خَاشِعِينَ لِلَّهِ خَاضِعِينَ لِلَّهِ مِثْلَ الَّذِينَ بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ لا يشترون بآياتِ الله شيئاً قليلاً ﴿لَا يَكْتُمُونَ مَا بَأْيَدِهِمْ مِنَ الْبَشَارَةِ﴾ من البشارة بمحمد صلى الله عليه وآله وسلم وذكر صفته، ﴿أُولَئِكَ هُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ ٢٠٠: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا﴾ أمر الله تعالى المؤمنين أن يصبروا على دينهم الذي ارتضاه لهم، وهو الإسلام، فلا يدعوه لسراء ولا لسراء ولا لشدّة ولا لرخاء؛ حتى يموتوا مسلمين. ﴿وَصَابِرُوا﴾ أن يصابروا الأعداء ﴿وَرَابِطُوا﴾، الرابطة: هي المداومة في مكان العبادة والثبات، وانتظار الصلاة بعد الصلاة، روى مسلم والنسائي أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: «ألا أخبركم بما يمحو الله به الخطايا ويرفع الدرجات؟ إسباغ الوضوء على المكاره، وكثرة الخطا إلى المساجد، وانتظار الصلاة بعد الصلاة؛ فذلكم الرباط، فذلكم الرباط، فذلكم الرباط». ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾، في الدنيا والآخرة، [ولكنكونوا على رجاءٍ من الفلاح].

الآية ١٩٥: عن سهل بن سعد قال: شهدت من النبي ﷺ مجلساً وُصِفَ فيه الجنة حتى انتهى، ثم قال في آخر حديثه: «فيها ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر» ثم قرأ: ﴿فَلَا تَحْمِلْ نَفْسٌ مَأْخِطًا مِنْهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾. رواه البخاري/رياض الصالحين /٢٢٢/.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قال ابن عباس: نزلت سورة النساء بالمدينة.
 ١: يقول تعالى امرأ خلقه بتقواه، وهي عبادته وحده لا شريك له، ومنها لهم على قدرته التي خلقهم بها من نفس واحدة: ﴿يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة﴾ وهي آدم عليه السلام ﴿وخلق منها زوجها﴾ وهي حواء عليها السلام، خلقت من ضلعه الأيسر. وفي الحديث الصحيح: «إن المرأة خلقت من ضلع، وأن أعوج شيء في الضلع أعلاه، فإن ذهبت تقيمه كسرته، وإن استمتعت بها استمتعت بها وفيها عوج»، [وهذا كناية عن لسانها، وفيه عوجها].
 ﴿وبت منهن رجالاً كثيراً ونساءً﴾ في أقطار العالم على اختلاف أصنافهم وصفاتهم.
 ﴿واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام﴾ واتقوا الله بطاعتكم إياه ﴿والأرحام﴾ واتقوا الأرحام أن تقطعوها. ﴿إن الله كان عليكم رقيباً﴾ هو مراقب لجميع أحوالكم وأعمالكم
 ٢: ﴿واتوا اليتامى أموالهم﴾ يأمر تعالى بدفع أموال اليتامى إليهم إذا بلغوا الحلم، وينهى عن أكلها، ولهذا قال: ﴿ولا تبدلوا الخبيث بالطيب﴾ لا تبدلوا الحرام من أموال الناس بالحلال من أموالكم ﴿إنه كان حوباً كبيراً﴾ إما عظيماً ٣: ﴿وإن خفتم ألا تقسطوا في اليتامى ما طاب لكم من النساء مثنى﴾ إذا كان تحت حجر أحدكم يتيمة وخاف ألا يعطيها مهر مثلها فليعدل إلى ما سواها من النساء؛ فهو أن ينكحوهن إلا

النساء

بَيَأْتِيهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾ وَءَاتُوا الْيَتَامَىٰ أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَبَدَّلُوا الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَىٰ أَمْوَالِكُمْ إِنَّهُ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا ﴿٢﴾ وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبْعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَلِكَ آدَبُ آلَاتِعْمَلُوا ﴿٣﴾ وَءَاتُوا النِّسَاءَ صَدَقَاتِنَّ مِنْ حَيْثُ نَكَحْتُهُنَّ فَإِنْ طَبِنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُنَّ فَكُلُوهُ هَيْسًا مَرِيئًا ﴿٤﴾ وَلَا تَتَوَقَّؤُا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا ﴿٥﴾ وَابْتَلُوا الْيَتَامَىٰ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَأْكُلُوهَا إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَنْ يَكْبَرُوا وَمَنْ كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ وَمَنْ كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ فَأَشْهَدُوا عَلَيْهِمْ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ حَسِيبًا ﴿٦﴾

أَنْ يُقْسِطُوا إِلَيْهِنَّ فِي الصَّدَاقِ. ﴿مثنى وثلاث ورباع﴾ إن شاء أحدكم ننتين، وإن شاء ثلاثاً، وإن شاء أربعاً. ﴿وإن خفتم ألا تعدلوا﴾ يبين ﴿فواحدة﴾ أي: فليقتصر على واحدة ﴿أو ما ملكت أيمانكم﴾ من الجوازي، فإنه لا يجب قسم يتهن، ولكن يستحب. ﴿ذلك أدب ألا تعولوا﴾ ألا تجوروا ٤: ﴿واتوا النساء صدقاتهن نحلة﴾ فريضة؛ أي: لا تنكحها إلا بشيء واجب لها، ﴿فإن طبن لكم عن شيء منه نفساً فكلوه هيناً مريئاً﴾ ٥: ﴿ولا توتوا السفهاء أموالكم التي جعل الله لكم قياماً﴾ ينهى سبحانه عن تمكين السفهاء، وهم الصبيان والنساء من الصرف في الأموال التي جعلها الله للناس قياماً؛ أي: تقوم بها معاشهم من التجارات وغيرها ﴿وارزقوهم فيها واكسوهم﴾ لا تعتمد على مالك فتعطي امرأتك أو بنتك ثم تنظر إلى ما في أيديهم، ولكن أمسكه وكن أنت الذي تفتق عليهم ﴿وقولوا لهم قولاً معروفاً﴾ في البر والصلة ٦: ﴿وابتلوا اليتامى﴾ اختبروهم ﴿حتى إذا بلغوا النكاح﴾ الحلم ﴿فإن آنستم منهم رشداً﴾ صلاحاً في دينهم وحفظاً لأموالهم ﴿فادفعوا إليهم أموالهم ولا تأكلوها إسرافاً وبداراً أن يكبروا﴾ ينهى تعالى عن أكل أموال اليتامى من غير حاجة ضرورية، مبادرة قبل بلوغهم. ثم قال تعالى: ﴿ومن كان غنياً فليستعفف﴾ عنه ولا يأكل منه شيئاً ﴿ومن كان فقيراً﴾ الذي يقوم عليه ويصلحه إذا كان محتاجاً أن يأكل منه ﴿فليأكل بالمعروف﴾ بقدر قيامه عليه. قال الفقهاء: له أن يأكل أقل الأمرين؛ أجرة مثله أو قدر حاجته. ﴿فإذا دفعتم إليهم أموالهم﴾ بعد بلوغهم وإيناسهم الرشد منهم ﴿فأشهدوا عليهم﴾ فلا يقع من بعضهم جحود وإنكار لما قبضه وتسلمه، ثم قال: ﴿وكفى بالله حسيباً﴾ محاسباً وشاهداً ورقياً.

لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ﴿٧﴾ وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُو الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينُ فَأَازِرُوهُمْ مِنْهُ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا ﴿٨﴾ وَلِيَخَشَّ الَّذِينَ لَو تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعْفًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَكُونُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ﴿١٠﴾ يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثِيَيْنِ فَإِنْ كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ وَإِنْ كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِنْ كَانَ لَهُ وَلَدٌ فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ وَلَدٌ وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ الثُّلُثُ فَإِنْ كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ السُّدُسُ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دِينٍ ؕ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا فَرِيضَةٌ مِنَ اللَّهِ إِنْ اللَّهُ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١١﴾

٧: ﴿لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ﴾ الآية. الجميع فيه سواء في حكم الله تعالى يستون في أصل الوراثة وإن تفاوتوا بحسب ما فرض الله لكل منهم ﴿مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا﴾ ٨: ﴿وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ ذُو الْقُرْبَىٰ يَمَن لَيْسَ بَوَارِثٌ﴾ واليتامى والمساكين ﴿فَلْيَرْضَخْ لَهُمْ مِنَ التَّرِكَةِ نَصِيبٌ. كَانَ ذَلِكَ قَبْلَ أَنْ تَنْزَلَ الْفَرَائِضُ. ثُمَّ نَسَخَهَا الْمَوَارِيثُ، فَالْحَقَّ اللَّهُ بِكُلِّ ذِي حَقٍّ حَقَّهُ، وَصَارَتِ الْوَصِيَّةُ مِنْ مَالِهِ يُوصِي بِهَا لِذَوِي قَرَابَتِهِ حَيْثُ شَاءَ.﴾ ﴿فَأَازِرُوهُمْ مِنْهُ﴾ إحصاناً إليهم وجبراً لكسرهم ﴿وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا﴾ ٩: هذه الآية في الرجل يحضره الموت، فيسمعه رجلٌ يُوصِي بِوَصِيَّةٍ تَصَرُّ بِوَرِثَتِهِ، فَأَمَرَ اللَّهُ تَعَالَى الَّذِي يَسْمَعُهُ أَنْ يَسَدِّدَهُ لِلصَّوَابِ. قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ لَسَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ: «إِنَّكَ أَنْ تَذَرَّ وَرَثَتَكَ أَغْنِيَاءَ خَيْرٌ مِنْ أَنْ تَذَرَهُمْ عَالَةً يَتَكَفَّفُونَ النَّاسَ»، وَهُوَ فِي الصَّحِيحِينَ. وَفِي الصَّحِيحِ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: لَوْ أَنَّ النَّاسَ غَضُّوا مِنَ الثَّلَاثِ إِلَى الرَّبْعِ؛ فَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «الثَّلَاثُ، وَالثَّلَاثُ كَثِيرٌ». قَالَ الْفُقَهَاءُ: إِنْ كَانَ وَرَثَةُ الْمَيِّتِ أَغْنِيَاءَ اسْتَحَبَّ لِلْمَيِّتِ أَنْ يَسْتَوْقِيَ فِي وَصِيَّتِهِ الثَّلَاثَ، وَإِنْ كَانُوا فَرَقَاءَ اسْتَحَبَّ أَنْ يُنْقِصَ الثَّلَاثَ ١٠: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾ إِذَا أَكَلُوا أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ بِلَا سَبَبٍ، فَإِنَّمَا يَأْكُلُونَ نَارًا تَتَّجَعُجُ

بِطُونِهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ١١: هذه الآية الكريمة والتي بعدها والآية التي هي خاتمة هذه السورة هنَّ آياتٌ علم الفرائض؛ وهو مستنبط من هذه الآيات ثلاث، ومن الأحاديث الواردة في ذلك ممَّا هو كالتفسير لذلك. فقوله تعالى: ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثِيَيْنِ﴾ يأمركم بالعدل بينهم؛ فإنَّ أهل الجاهلية كانوا يجعلون جميع الميراث للذكر دون الأنثى. وإنَّه تعالى أرحم بخلقه من الوالدة بولدها، حيث أوصى الولدين بأولادهم؛ ولمَّا أنَّه أرحم بهم منهم. ﴿فَإِنْ كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ﴾؛ فإذا ورث الأختان الثلثين، فلأن يرث البنات الثلثين بالطريق الأولى، وفي حديث جابر: أنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ حَكَمَ لِابْنَتِي سَعْدِ بْنِ الرَّبِيعِ الثَّلَاثِينَ. ﴿وَإِنْ كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ لِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا السُّدُسُ﴾ مع الأولاد [أي: مع أولاد التوفى] ﴿إِنْ كَانَ لَهُ وَلَدٌ فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ وَلَدٌ وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ الثُّلُثُ﴾ إنَّ انفرد الأبوان بالميراث؛ فيفرض ذم الثلث، ويأخذ الأب الباقي بالتعصيب. ﴿فَإِنْ كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ السُّدُسُ﴾ فيفرض لها مع وجودهم السُّدُسُ؛ أَصْرًا بِالْأَمِّ وَلَا يَرِثُونَ. ﴿مِنْ بَدْلِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دِينَ﴾؛ أجمع العلماء من السلف والخلف على أنَّ الدَّيْنَ مَقْدَمٌ عَلَى الْوَصِيَّةِ، وَذَلِكَ عِنْدَ إِمْعَانَ النَّظَرِ فِيهِمْ مِنْ فَحْوَى الْآيَةِ كَرِيمَةٍ. وَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قَضَى بِاللَّذِينَ قَبْلَ الْوَصِيَّةِ. ﴿أَبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا﴾ إنَّ النِّفْعَ مَتَوَقَّعٌ وَمَرْجُوٌّ نَ هَذَا كَمَا هُوَ مَتَوَقَّعٌ وَمَرْجُوٌّ مِنَ الْآخِرِ؛ فَهَذَا فَرَضْنَا لِهَذَا وَهَذَا، وَسَاوَيْنَا بَيْنَ الْقِسْمَيْنِ فِي أَصْلِ الْمِيرَاثِ. ﴿فَرِيضَةٌ مِنَ اللَّهِ﴾ هُوَ فَرَضٌ مِنَ اللَّهِ حَكَمٌ وَقَضَاءٌ ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ يَضَعُ الْأَشْيَاءَ فِي مَحَلِّهَا وَيُعْطِي كُلَّ مَا يَسْتَحِقُّهُ بِحَسْبِهِ.

١٢: ﴿وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ إِنْ لَمْ يَكُنْ لهنَّ وَلَدٌ﴾ ولَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ إِنْ لَمْ يَكُنْ لهنَّ وَلَدٌ ﴿فَإِنْ كَانَ لهنَّ وَلَدٌ﴾ [أي: منكم أو من غيركم] ﴿فَلَكُمْ الرُّبْعُ مِمَّا تَرَكَنَّ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّتِ يُوْصِيْنَ بِهَا أَوْ دِينَ﴾، ثم قال تعالى: ﴿وَهُنَّ الرُّبْعُ مِمَّا تَرَكَتُمْ﴾ إلى آخره، وسواء في الربع أو الثمن الزوجة أو الزوجتان، والثلاث والأربع يشتركن فيه. ﴿وَإِنْ كَانَ رَجُلٌ يُورِثُ كِلَاهُمَا﴾ من يرثه من حواشيه لا أصوله ولا فروعه. وهو من لا ولد له ولا والد. ﴿وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ﴾ من أمٍّ ﴿فَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا السُّدُسُ فَإِنْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ فَهُمْ شُرَكَاءُ فِي الثَّلَاثِ﴾ وإخوة الأم يُخالفون بقية الورثة من وجوه؛ أحدها: أنهم يرثون من أذلوا به، وهي الأم. والثاني: أن ذكورهم وإناتهم في الميراث سواء. والثالث: لا يرثون إلا إن كان ميثمهم يُورث كِلَاهُمَا، فلا يرثون مع أبٍ ولا جدٍ ولا ولدٍ ولا ولد ابن. والرابع: أنهم لا يزدادون على الثلث، وإن كَثُرَ ذُكُورُهُمْ وَإِنَّمَتُمْ. ﴿مِنْ بَعْدِ وَصِيَّتِ يُوْصِيْ بِهَا أَوْ دِينَ غَيْرِ مُضَارٍّ﴾ لتكن وصيته على العدل لا على الإضرار بأن يحرم بعض الورثة أو ينقصه، أو يزيد على ما فرض الله له من الفريضة، فمن سعى في ذلك كان كمن ضاد الله في حكمه وشرعه. وعن ابن عباس موقوفاً: «الإضرار في الوصية من الكيثار». ﴿وَوصِيَّةٌ مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ﴾ ١٣: ﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ﴾ هذه الفرائض والمقادير التي جعلها الله للورثة

﴿وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ إِنْ لَمْ يَكُنْ لهنَّ وَلَدٌ﴾ فَإِنْ كَانَ لهنَّ وَلَدٌ فَلَكُمْ الرُّبْعُ مِمَّا تَرَكَنَّ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّتِ يُوْصِيْنَ بِهَا أَوْ دِينَ وَإِنْ كَانَ رَجُلٌ يُورِثُ كِلَاهُمَا السُّدُسُ فَإِنْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ فَهُمْ شُرَكَاءُ فِي الثَّلَاثِ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّتِ يُوْصِيْ بِهَا أَوْ دِينَ غَيْرِ مُضَارٍّ وَصِيَّةٌ مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ ﴿١٢﴾ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يُطِغِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٣﴾ وَمَنْ يَعِصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِيبٌ ﴿١٤﴾

بحسب قربهم من الميت واحتياجهم إليه هي حدود الله فلا تتجاوزوها؛ ولهذا قال تعالى: ﴿وَمَنْ يُطِغِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ فيها، فلم يرد بعض الورثة ولم يُنقص بعضها بحيلة بل تركهم على حكم الله وفريضته وقسمته ﴿يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ ١٤: ﴿وَمَنْ يَعِصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِيبٌ﴾ لكونه غير ما حكم الله به وضاد الله في حكمه، وهذا إنما يصدر عن عدم الرضا بما قسم الله وحكم به؛ ولهذا يجازيه بالإهانة في العذاب الأليم المقيم. روى الإمام أحمد عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «إن الرجل ليعمل بعمل أهل الخير سبعين سنة، فإذا أوصى وحاف في وصيته فيُختم له بشرِّ عمله فيدخل النار، وإن الرجل ليعمل بعمل أهل الشرِّ سبعين سنة فيعدل في وصيته فيُختم له بخير عمله فيدخل الجنة»، قال أبو هريرة: أقرؤا إن شئتم: ﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ﴾ - إلى قوله - عذاب مهيب.

الآية ١٢: قال رسول الله ﷺ: «تعلّموا الفرائض وعلموها، فإنّه نصف العلم، وهو يُنسى، وهو أول شيء يُزخ من أمّتي». رواه ابن ماجه والحاكم. سنن ابن ماجه ج ٢/٩٠٨/ وجمع الزوائد ج ٤/٢٢٣.

قوله تعالى: ﴿من بعد وصية يوصي بها﴾ روى أبو داود والترمذي عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الرجل ليعمل أو المرأة لبطاعة الله ستين سنة ثم يحضرها الموت فيضران في الوصية فتجب لهما النار» وقرأ أبو هريرة من ههنا ﴿من بعد وصية يوصي بها أو دين غير مضار﴾ - حتى بلغ - ﴿ذلك الفوز العظيم﴾. ابن كثير ج ١/٤٦١.

وَالَّتِي يَأْتِينَ الْفَاحِشَةَ مِنْ نَسَائِكُمْ فَاسْتَشْهِدُوا
عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِّنْكُمْ فَإِنْ شَهِدُوا فَأَمْسِكُوهُنَّ فِي
الْبُيُوتِ حَتَّى يَتَوَقَّعَنَّ الْمَوْتَ أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا
﴿١٥﴾ وَالَّذَانِ يَأْتِيَنَّهَا مِنْكُمْ فَعَادُوهُمَا فَإِنْ تَابَا
وَأَصْلَحَا فَأَعْرِضُوا عَنْهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ تَوَّابًا رَّحِيمًا
﴿١٦﴾ إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ
ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ فَأُولَئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ
اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٧﴾ وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ
يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ
قَالَ إِنِّي تُبْتُ أَلْتَنَ وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ
أُولَئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٨﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ
ءَامَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرْتُوا النِّسَاءَ كَرَاهًا وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ
لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَاءِ اتِّيمُوهُنَّ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَاحِشَةٍ
مُّبَيِّنَةٍ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى
أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴿١٩﴾

١٥: ﴿وَالَّتِي يَأْتِينَ الْفَاحِشَةَ مِنْ نَسَائِكُمْ
فَاسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِنْكُمْ فَإِنْ شَهِدُوا
الْمَوْتَ﴾ كان الحكم في ابتداء الإسلام أن
المرأة إذا ثبت زناها بالبينة العادلة حُيِّسَتْ في
بيت فلا تمكن من الخروج منه إلى أن تموت
﴿أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا﴾، والسبيلُ هو
الناسخ لذلك؛ نسخها الجلدُ أو الرجم. روى
الإمام أحمد: (الثَّبِّ رَجْمٌ بِالْحِجَارَةِ، وَالْبِكْرُ
جِلْدٌ مَائَةَ ١٦: ﴿وَالَّذَانِ يَأْتِيَنَّهَا﴾
الفاحشة ﴿مِنْكُمْ فَأَذُوهُمَا﴾ بالشم والتعير
والضرب. نزلت في الفتيان من قبل أن
يتزوجوا. ﴿فَإِنْ تَابَا وَأَصْلَحَا﴾ أفلحاً ونزعا
عما كانا عليه ﴿فَأَعْرِضُوا عَنْهُمَا﴾
لا تعنفوهما؛ لأن التائب من الذنب كمن
لا ذنب له. ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ تَوَّابًا رَحِيمًا﴾ ١٧:
﴿إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ
بِجَهَالَةٍ﴾ إنما يقبل الله التوبة ممن عمل السوء
بجهالة ﴿ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ﴾ ما كان دون
الموت، فهو قريب. روى الإمام أحمد قال
رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ﴿إِنَّ اللَّهَ
يَقْبَلُ تَوْبَةَ الْعَبْدِ مَا لَمْ يُعْرِزْ﴾. ﴿فَأُولَئِكَ
يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾
١٨: ﴿وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ
السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ
إِنِّي تُبْتُ الْآنَ﴾ أما متى وقع الإياس من
الحياة، وغرغت النفس صاعدة في الغلاصم
فلا توبة مقبولة حينئذ، ولأث حين مناص،
﴿وَالَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ﴾، إن الكافر

إذا مات على كفره لا يقبل منه فدية ولو بملء الأرض، ﴿أُولَئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ موجعاً شديداً مقياً ١٩: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَحِلُّ
لَكُمْ أَنْ تَرْتُوا النِّسَاءَ كَرَاهًا﴾، كانوا في الجاهلية إذا مات الرجل كان أولياؤه أحق بامرأته، إن شاء بعضهم تزوجها، وإن شاءوا زوجهها، وإن
شاءوا لم يزوجهها، فهم أحق بها من أهلها، فنزلت هذه الآية. ﴿وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ﴾ لا تضاروهن في العشرة ﴿لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَا اتِّيمُوهُنَّ﴾ لتترك
ما أصدقتها أو بعضه أو حقاً من حقها عليك على وجه القهر لها والإضرار؛ يعني: الرجل تكون له المرأة وهو كارهة لصحبتها، ولها عليه مهر
فيضرها لتفتدي به. ﴿إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَاحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ﴾ الزنا؛ إذا زنت فلك أن تسترجع منها الصداق الذي أعطيتها وتضاجرهما حتى تتركه لك
وتخالعها. ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ طيبوا أفعالكم وهنَّ وحسنوا أفعالكم وهنَّ باتكلمن بحسب قدرتهن كما تحب ذلك منها فافعل أنت بها مثله، ﴿فَإِنْ
كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ فعسى أن يكون صبركم في إمساكنهن مع الكراهة فيه خيراً كثيراً لكم في الدنيا
والآخرة. وفي الحديث الصحيح: ﴿لَا يَفْرِكُ مُؤْمِنٌ مُؤْمِنَةً [أَي: لَا يُبْعِضُهَا] إِنْ سَخِطَ مِنْهَا تَحْلُقًا؛ رَضِيَ مِنْهَا آخِرًا﴾.

الآية ١٥: قال ابن عباس: «من كفر بالرجم فقد كفر بالرحمن، وذلك قول الله: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ﴾، فكان مما أخفوا
آية الرجم». رواه ابن حبان في صحيحه، (موارد الظمان/٣٦٢).
الآية: ١٩ عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «خيركم خيركم لأهله، وأنا خيركم لأهلي» رواه الترمذي وروى الحاكم عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ
قال: «خيركم خيركم للنساء» صحيح الجامع الصغير ج١/٦٢٦.

٢٠: ﴿وَإِنْ أَرَدْتُمْ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَكَانَ زَوْجٍ﴾ إذا أراد أحدكم أن يفارق امرأة ويستبدل مكانها غيرها ﴿وَأَتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا﴾ فلا يأخذ مما كان أصدقها شيئاً ولو كان قنطاراً من مال، ﴿أَتَأْخُذُونَ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا؟﴾ ولهذا قال سبحانه منكرًا: ٢١: ﴿وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ﴾ وكيف تأخذون الصداق من المرأة وقد أفضيت إليها وأفضت إليك؛ يعني بذلك الجماع ﴿وَأَخَذْنُ مِنْكُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا﴾؛ المراد بذلك العقد، وفي صحيح مسلم عن جابر في خطبة حجة الوداع: أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ فِيهَا: «وَأَسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ خَيْرًا فَإِنَّكُمْ أَخَذْتُمُوهُنَّ بِأَمَانَةِ اللَّهِ، وَاسْتَحْلَلْتُمْ فُرُوجَهُنَّ بِكَلِمَةِ اللَّهِ». ٢٢: ﴿وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ﴾ يحرم الله تعالى زوجات الآباء تكريمًا لهم، وإعظامًا واحترامًا أن توطأ من بعده. وتحرم على الابن بمجرد العقد عليها. ﴿إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ﴾ ما كان معمولاً به في الجاهلية؛ كانوا لا يحرمون امرأة الأب. ﴿إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَمَقْتًا وَسَاءَ سَبِيلًا﴾؛ بغضًا؛ أي هو أمرٌ كبير في نفسه، وساء سبيلًا: يتس طريقاً لمن سلكه من الناس، فمن تعاطاه يُقتل، روى الإمام أحمد عن البراء بن عازب قال: مرُّ بي عمي الحارث بن عمير ومعه لواء قد عقده له النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقلتُ له: أي عم أين بعثك النبي صلى الله عليه وآله وسلم؟ قال: (بعثني إلى رجل

الْبَيْتِ

بَيْنَ النَّبِيِّ وَالْمَرْأَةِ

وَإِنْ أَرَدْتُمْ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَكَانَ زَوْجٍ وَعَآتَيْتُمُ إِحْدَاهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا ﴿٢١﴾ وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ وَأَخَذْتُمْ مِنْكُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا ﴿٢٢﴾ وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَمَقْتًا وَسَاءَ سَبِيلًا ﴿٢٣﴾ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعُمَّاتُكُمْ وَخَالَاتُكُمْ وَبَنَاتُ الْأَخِ وَبَنَاتُ الْأُخْتِ وَأُمَّهَاتُكُمُ اللَّاتِي أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَاتُكُم مِّن الرِّضْعَةِ وَأُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ وَرَبِّبَاتِكُمُ اللَّاتِي فِي حُجُورِكُم مِّن نِّسَائِكُمُ اللَّاتِي دَخَلْتُم بِهِنَّ فَإِن لَّمْ يَكُنُوا دَخَلْتُم بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَخَالَاتُكُمُ اللَّاتِي أَرْضَعْنَكُمْ وَأَصْلَابِكُمْ وَأَن تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٢٤﴾

٨١

تَزَوَّجَ امْرَأَةً أَبِيهِ فَأَمْرِي أَنْ أُضْرَبَ عَنْقَهُ ٢٣: هذه الآية الكريمة هي آية تحريم المحارم من النسب، وما يتبعه من الرضاع، والمحارم بالصدر. قال ابن عباس: حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ سَبْعُ نِسَاءٍ، وَسَبْعُ صِهْرَاءٍ، وَقُرْأ: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعُمَّاتُكُمْ وَخَالَاتُكُمْ وَبَنَاتُ الْأَخِ وَبَنَاتُ الْأُخْتِ﴾ الآية. وقد استدلت جمهور العلماء على تحريم مخلوقة من ماء الزنا عليه بعموم قوله تعالى: ﴿وَبَنَاتُكُمْ﴾ فإنها بنت، فتدخل في العموم كما هو مذهب أبي حنيفة ومالك وأحمد. وقوله تعالى: ﴿وَأُمَّهَاتُكُمُ اللَّاتِي أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَاتُكُم مِّن الرِّضَاعَةِ﴾ كما يحرم عليك أمك التي ولدتك؛ كذلك يحرم عليك أمك التي أرضعتك، وفي صحيح مسلم أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: «يحرم من الرضاة ما يحرم من النسب». ﴿وَأُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ﴾ أم المرأة تحرم بمجرد العقد على بنتها، سواء دخل بها أو لم يدخل بها. ﴿وَرَبِّبَاتِكُمُ اللَّاتِي فِي حُجُورِكُم مِّن نِّسَائِكُمُ اللَّاتِي دَخَلْتُم بِهِنَّ فَإِن لَّمْ يَكُنُوا دَخَلْتُم بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ﴾ الربيبة: هي بنت المرأة، فلا تحرم حتى يدخل بها؛ فإن طلق الأم قبل الدخول بها جاز له أن يتزوج بنتها ﴿وَخَالَاتُكُمُ اللَّاتِي أَرْضَعْنَكُمْ﴾ وأصلابكم) وحرمتم عليكم زوجات أبنائكم الذين ولدتهم من أصلابكم، يحرم بذلك عن الأعداء الذين كانوا يتبنونهم في الجاهلية. ﴿وَأَن تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ﴾ في النكاح ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾.

الآية ٢٣: عن ابن مسعود عن النبي ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَغَارُ لِلْمُسْلِمِ وَغَيْرُهُ زَجْرُهُ فَلْيَغْرُ أَي: على المسلم أن لا يستعمل جوارحه في المعاصي. في رواية بإسناد صحيح: «إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَغَارُ، وَغَيْرُهُ اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ الْمُؤْمِنُ مَا حَرَّمَ اللَّهُ» رواه البخاري ومسلم والترمذي /فيض القدير ج ٢/٢١٥.

﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾
 كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ وَأَحْلَلَ لَكُمْ مَا وَّرَاءَ ذَلِكَ مِمَّا أَنْ تَبْتَغُوا
 بِأَمْوَالِكُمْ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسْفِحِينَ فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ
 مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ فَرِيضَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ
 فِي مَا تَرَضَيْتُمْ بِهِ مِنْ بَعْدِ الْفَرِيضَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا
 حَكِيمًا ﴿٤٤﴾ وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلًا أَنْ يَنْكَحَ
 الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ فَمِنْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ
 فَنِيَّتِكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِأَيْمَانِكُمْ بَعْضُكُمْ مِنْ
 بَعْضٍ فَأَنْكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ وَءَاتُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ
 بِالْمَعْرُوفِ مُحْصَنَاتٍ غَيْرَ مُسْفِحَاتٍ وَلَا مُتَّخِذَاتِ
 أَخْدَانٍ فَإِذَا أُحْصِنَ فَإِنَّ أَتَيْنَ بِفَاحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ
 مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الْعَذَابِ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ
 الْعَنَتَ مِنْكُمْ وَأَنْ تَصْبِرُوا خَيْرٌ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ
 ﴿٤٥﴾ يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ
 مِنْ قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٤٦﴾

٢٤: ﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ
 أَيْمَانُكُمْ﴾ وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ مِنَ الْأَحْبَابِ
 الْمَتْرُوجَاتِ، إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ، يعني:
 السَّبِيَّةَ، فإنه يحلُّ لكم وطؤها إذا
 استبرأتموهنَّ. قال أبو سعيد الخدري: أصبنا
 سبياً من سبي أوطاس، وهنَّ أزواج، فكرهنا
 أن نقع عليهنَّ، وهنَّ أزواج، فسألنا النبي صلى
 الله عليه وآله وسلم، فنزلت هذه الآية،
 فاستحللنا فروجهنَّ. رواه الترمذي. ﴿كُتِبَ
 اللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾ هذا التحريمُ كتابُ كتبه الله
 عليكم ﴿وَأَحْلَلَ لَكُمْ مَا وَّرَاءَ ذَلِكَ﴾
 ما عدا مَنْ ذَكَرْنَا مِنَ الْحَارِمِ هُنَّ لَكُمْ حَلَالٌ
 ﴿أَنْ تَبْتَغُوا بِأَمْوَالِكُمْ مُحْصِنِينَ غَيْرَ
 مُسْفِحِينَ﴾ أَنْ تَحْصِلُوا بِأَمْوَالِكُمْ مِنَ
 الزَّوْجَاتِ إِلَى أَرْبَعٍ بِالطَّرِيقِ الشَّرْعِيِّ ﴿فَمَا
 اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ
 فَرِيضَةً﴾ كَمَا تَسْتَمْتِعُونَ بِهِنَّ فَآتُوهُنَّ مَهْرَهُنَّ
 فِي مَقَابِلَةِ ذَلِكَ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَتُوا النِّسَاءَ
 صَدَقَاتِهِنَّ نِحْلَةً﴾. ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا
 تَرَضَيْتُمْ بِهِ مِنْ بَعْدِ الْفَرِيضَةِ﴾ إِنْ وَضَعْتَ
 لَكَ مِنْهُ شَيْئاً فَهُوَ لَكَ سَائِعٌ ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ
 عَلِيماً حَكِيماً﴾ ٢٥: ﴿وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ
 طَوْلًا سَعَةً وَقَدْرَةً﴾ أَنْ يَنْكَحَ الْمُحْصَنَاتِ
 الْمُؤْمِنَاتِ الْحَارِثِ الْعَفَافَاتِ ﴿فَمِنْ
 مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنَ فَنِيَّتِكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ﴾
 فَتَزَوَّجُوا مِنَ الْإِمَاءِ الْمُؤْمِنَاتِ اللَّاتِي يَمْلِكُهُنَّ
 الْمُؤْمِنُونَ ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِأَيْمَانِكُمْ﴾ هُوَ الْعَالِمُ
 بِحَقَائِقِ الْأُمُورِ وَسِرَائِرِهَا، وَإِنَّمَا لَكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ
 الظَّاهِرُ مِنَ الْأُمُورِ، ثُمَّ قَالَ: ﴿فَأَنْكِحُوهُنَّ

بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ﴾ إِنَّ السَّيِّدَ هُوَ وَلِيُّ أُمَّتِهِ، لَا تَزَوَّجُ إِلَّا بِإِذْنِهِ ﴿وَأَتُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ ادْفَعُوا مَهْرَهُنَّ عَنْ طَيْبِ نَفْسِكُمْ وَلَا تَبْتَغُوا
 مِنْهُ شَيْئاً. ﴿مُحْصَنَاتٍ﴾ عَفَافَاتٍ عَنِ الزَّوْنِ لَا يَتَعَاطَبْنَ، وَهَذَا قَالَ: ﴿غَيْرَ مُسْفِحَاتٍ﴾ وَهُنَّ الزَّوَانِي، ﴿وَلَا مُتَّخِذَاتِ أَخْدَانٍ﴾ أَخْلَاءَ. ﴿فَإِذَا
 أُحْصِنَ﴾ تَزَوَّجْنَ ﴿فَإِنَّ أَتَيْنَ بِفَاحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ﴾ الْإِمَاءُ عَلَى النِّصْفِ مِنَ الْحَارِثِ فِي الْحَدِّ، وَإِنْ كُنَّ مُحْصَنَاتٍ، وَلَيْسَ
 عَلَيْهِنَّ رَجْمٌ أَصْلاً، وَإِنَّمَا عَلَيْهِنَ الْجَلْدُ. ﴿مِنَ الْعَذَابِ﴾ إِذَا زَنَتْ تَجَلَّدُ خَمْسِينَ بَعْدَ الْإِحْصَانِ. ﴿ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ الْعَنَتَ مِنْكُمْ﴾ إِنَّمَا يُبَاحُ
 نِكَاحُ الْإِمَاءِ بِالشَّرْطِ الْمَتَّقَةِ لِمَنْ خَافَ عَلَى نَفْسِهِ الْوُقُوعَ فِي الزَّوْنِ وَشَقَّ عَلَيْهِ الصَّبْرُ عَنِ الْجَمَاعِ، ﴿وَأَنْ تَصْبِرُوا خَيْرٌ لَكُمْ﴾ وَإِنْ تَرَكَ تَزَوُّجَهَا
 وَجَاهَدَ نَفْسَهُ فِي الْكُفِّ عَنِ الزَّوْنِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ؛ لِأَنَّهُ إِذَا تَزَوَّجَهَا جَاءَ أَوْلَادُهُ أَرْقَاءَ لِسَيِّدِهَا ﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ ٢٦: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ﴾ أَيُّهَا
 الْمُؤْمِنُونَ مَا أَحْلَلَ لَكُمْ وَحَرَّمَ عَلَيْكُمْ ﴿وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ طَرَائِقَهُمُ الْحَمِيدَةَ، وَاتَّبَاعَ شَرَائِعِهِ الَّتِي يُحِبُّهَا وَيَرْضَاهَا ﴿وَيَتُوبَ
 عَلَيْكُمْ﴾ مِنَ الْإِثْمِ وَالْحَارِمِ ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ فِي شَرْعِهِ وَقَدْرِهِ وَأَفْعَالِهِ وَأَقْوَالِهِ.

الآية: ٢٥ عن أبي أمامة قال: قال رسول الله ﷺ: «تزوجوا فإني مكاترٌ بكم الأمم، ولانكرونا كرهانية النصارى» رواه البيهقي وهو حديث صحيح وروى البخاري عن سهل بن سعد قال: قال رسول الله ﷺ: «تزوجوا ولو بخاتم من حديد» صحيح الجامع الصغير ج ١/٥٦٦.
 قال رسول الله ﷺ: «تزوجوا الودود - كثيرة المحبة - الولود فإني مكاترٌ بكم الأمم» رواه أبو داود والحاكم وقال: صحيح الإسناد. وقال ﷺ: «من سعادة ابن آدم المرأة الصالحة» الحديث، رواه أحمد بإسناد صحيح /الترغيب ج ٣/٤٢٦ و٤٢٧.

٢٧: ﴿وَاللَّهُ يَرِيدُ أَنْ يُتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مِيلًا عَظِيمًا﴾
يريد أتباع الشياطين من اليهود والنصارى والزناة أن تميلوا عن الحق إلى الباطل ميلاً عظيماً
٢٨: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ﴾ في شرائعه وأوامره ونواهيهِ وما يُقدِّره لكم ﴿وَيُخَلِّقُ الْإِنْسَانَ ضَعِيفًا﴾ في أمر النساء؛ يذهب عقله عندهن، فناسبه التخفيف -ولهذا أباح الإمام بشروط- لضعفه في نفسه وضعف عزمه وهتمته ٢٩: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالِكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ﴾
يبنى الله تعالى عباده المؤمنين عن أن يأكلوا أموال بعضهم بعضاً بالباطل كالربا والقمار وما جرى مجرى ذلك من سائر صنوف الخيل. ﴿إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ﴾ لا تتعاطوا الأسباب المحرمة، لكن المتاجر المشروعة فافعلوها وتسيبوا بها في تحصيل الأموال. ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ﴾ بارتكاب محارم الله وتعاطي معاصيه وأكل أموالكم بينكم بالباطل ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾ فيما أمركم به ونهاكم عنه ٣٠: ﴿وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ عُذْوَانًا وَظُلْمًا﴾ عالماً بتحريمه متجاسراً على انتهاكه ﴿فَسَوْفَ نُصَلِّيهِ نَارًا﴾ وهذا تهديد شديد ووعيد أكيد، فليحذر منه كل عاقل. ﴿وَوَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا﴾
٣١: ﴿إِنْ تَحْتَبُوا كِبَائِرَ مَا تَهُونَ عَنْهُ نُكْفَرُ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلُكُمْ مُدْخَلًا كَرِيمًا﴾ إذا اجتنبتم كِبائر الآثام التي نُهِيت عنها كفرنا عنكم صغائر الذنوب وأدخلناكم الجنة. وعدَّ

وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مِيلًا عَظِيمًا ﴿٢٧﴾ يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخَلَقَ الْإِنْسَانَ ضَعِيفًا ﴿٢٨﴾ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالِكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴿٢٩﴾ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ عُذْوَانًا وَظُلْمًا فَسَوْفَ نُصَلِّيهِ نَارًا وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ﴿٣٠﴾ إِنْ تَحْتَبُوا كِبَائِرَ مَا تَهُونَ عَنْهُ نُكْفَرُ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلُكُمْ مُدْخَلًا كَرِيمًا ﴿٣١﴾ وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا كَسَبْنَ وَسَأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴿٣٢﴾ وَلِكُلِّ جَعَلْنَا مَوْلَىٰ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَالَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَانُكُمْ فَعَاثُوهُمْ نُصِيبُهُمْ إِنْ لَمْ يَكُنْ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا ﴿٣٣﴾

ابن عمر الكبائر فقال: هي تسع: الإشراف بالله، وقتل النفس بغير حقها، والفرار من الزحف، وقذف المحصنة، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم ظلماً، والإلحاد في المسجد الحرام، والذي يَسْتَسْخِرُ، وبكاء الوالدين من العقوق. [وهناك كِبائر كثيرة: كشراب الخمر، والقمار، والزنا، واليمين الغموس، والسحر، وترك الصلاة والصيام والحج والزكاة. وعن طائوس قال: قلت لابن عباس: ما السبع الكبائر؟ قال هي إلى السبعين أقرب منها إلى السبع. وقال ابن عباس: الكبائر كل ذنب ختمه الله بنار أو غضب أو لعنة أو عذاب ٣٢: ﴿وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾، قالت أم سلمة: يا رسول الله لا تُقاتل فستنشد؟ ولا تقطع الميراث؛ فنزلت الآية، ثم أنزل الله: ﴿أَنْتَى لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْتَى﴾ ﴿لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبْنَ﴾ لكل له جزاء على عمله ﴿وَأَسْأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ﴾ فإنه كريم وَهَابٌ؛ ﴿فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ أَنْ يُسْأَلَ﴾ كما في الحديث. ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾ هو عليم بمن يستحقه فيُعْطيه ٣٣: ﴿وَلِكُلِّ جَعَلْنَا مَوْلَىٰ﴾ ورثة ﴿مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ﴾ من الميراث ﴿وَالَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَانُكُمْ فَعَاثُوهُمْ نُصِيبُهُمْ﴾ والذين تحالفتم بالأيمان؛ بأن يقول الرجل -لأخيه في الإسلام- ترثني وأرثك، وقد كان هذا في ابتداء الإسلام، ثم سُخِّع ذلك. نسختها هذه الآية: ﴿وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾ ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا﴾.

الآية ٢٩: قال رسول الله ﷺ: «الذي يحنن نفسه بخنقها في النار، والذي يطعن نفسه بطعن نفسه في النار، والذي يقتحم -أي: من شاق- يقتحم في النار» رواه البخاري. وقال عليه الصلاة والسلام: «كان برجل جراح قتل نفسه، فقال الله: بذّر عهدي بنفسه فحرمت عليه الجنة». /الترغيب ج/٣٠٠٠.

الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ فَأَلْصَلِحَتْ قَنِينَتُ حَفِظَتْ لِلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ وَاللَّي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَأَهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَأَضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا كَبِيرًا ﴿٣٤﴾ وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَأَبْغُوا حَكْمًا مِنَ أَهْلِهِ وَحَكْمًا مِنْ أَهْلِهَا إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا ﴿٣٥﴾ وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ﴿٣٦﴾ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا ﴿٣٧﴾

٣٤: ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ﴾ الرجل قوام على النساء، قوام على المرأة؛ أي: هو رئيسها وكبيرها والحاكم عليها ومؤدبها إذا عوجت، ﴿بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ لأن الرجال أفضل من النساء، ولهذا كانت النبوّة مختصة بالرجال، وكذلك الملك الأعظم؛ لقوله صلى الله عليه وآله وسلم: «لَنْ يَفْلَحَ قَوْمٌ وَلَوْ أَمَرَهُمْ امْرَأَةٌ» رواه البخاري. ﴿وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ﴾ من المهور والتنفقات والكلف التي أوجها الله عليهم هُنَّ. ﴿فَالصَّالِحَاتُ﴾ من النساء ﴿فَاتَّقَاتُ﴾ مطيعات لأزواجهن ﴿حَافِظَاتٌ لِّلْغَيْبِ﴾ تحفظ زوجها في غيبته في نفسها وماله ﴿بِمَا حَفِظَ اللَّهُ﴾ المحفوظ من حفظه الله. ﴿وَاللَّي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ﴾ الناشرة: التاركة لأمر زوجها المعرضة عنه المبيضة له، فليعظها وليخوفها عقاب الله في عصيانه ﴿وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ﴾ الهجر: هو أن لا يجامعها ويؤلّبها ظهره ﴿وَأَضْرِبُوهُنَّ﴾ إذا لم يرتدعن بالوعظة ولا بالهجران فلكن أن تضربوهن ضرباً غير مبرح لا يؤثر فيها شيئاً. ﴿فَإِنْ أَطَعَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا﴾ إذا أطاعت المرأة زوجها فيما أباحه الله له منها فليس له ضربها ولا هجرانها ﴿وَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا كَبِيرًا﴾ تهديد للرجال إذا بغوا على النساء من غير سبب، فهو المنتقم من ظلمهن

٣٥: [في الآية المتقدمة] ذكر الحال الأول وهو النفور والنشوز من الزوجة، ثم ذكر الحال الثاني وهو النفور من الزوجين فقال تعالى:

﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فابْتَغُوا حَكْمًا مِنْ

أهله وحكماً من أهلها﴾ يعث الحاكم ثقة من أهل المرأة وثقة من قوم الرجل لينظرا في أمرهما، ويفعل ما فيه المصلحة، ممّا يريانه من التفريق أو التوفيق، وتشوّف الشارع إلى التوفيق، ولهذا قال تعالى: ﴿إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا﴾ ٣٦: ﴿وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ يأمر تعالى بعبادته وحده، فهو المستحق منهم أن يوحّدوه ولا يشركوا به شيئاً، قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم لمعاذ بن جبل: «أتدري ما حق الله على العباد؟ قال: الله ورسوله أعلم؛ قال: «أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً، ثم أتدري ما حق العباد على الله إذا فعلوا ذلك؟ أن لا يعذبهم». ثم أوصى بالإحسان إلى الوالدين فقال تعالى: ﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ ثم عطف على الإحسان إليهما الإحسان إلى القربات من الرجال والنساء فقال: ﴿وَبِذِي الْقُرْبَىٰ﴾، وفي الحديث: «الصدقة على المسكين صدقة، وعلى ذي الرحم صدقة وصلة»، ثم قال تعالى: ﴿وَالْيَتَامَىٰ﴾ لأنهم فقدوا من يُنقذ عليهم فأمر بالإحسان إليهم. ﴿وَالْمَسَاكِينِ﴾ وهم المحاوچ، ﴿وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ﴾ الذي بينك وبينه قرابة ﴿وَالْجَارِ الْجُنُبِ﴾ الذي ليس بينك وبينه قرابة، ﴿وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ﴾ الرفيق في السفر، ﴿وَابْنِ السَّبِيلِ﴾ هو الذي يمر عليك مجتازاً في السفر، ﴿وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ وصية بالأرقاء، ﴿وَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا﴾ معجبا متكبّراً على الناس ٣٧: ﴿الَّذِينَ يَبْخُلُونَ﴾ بأموالهم أن ينفقوها فيما أمرهم الله به ﴿وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ﴾ أيضا ﴿وَيَكْتُمُونَ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ حمل بعض السلف هذه الآية على بخل اليهود بإظهار العلم الذي عندهم من صفة محمد صلى الله عليه وآله وسلم وكتابهم ذلك، ولهذا قال تعالى: ﴿وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا﴾.

٣٨: ﴿وَالَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ رِئَاءَ النَّاسِ﴾
الذين يقصدون بإعطائهم السمعة، وأن
يمدحوا بالكرم ﴿وَلَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ
الْآخِرِ﴾ إنما حملهم على صيغتهم هذا القبيح
وَعَدُولِهِمْ عن فعل الطاعة على وجهها
الشيطان؛ فإنه سَوَّلَ لهم وأملى لهم وقارَنَهُم
وحَسَّنَ لهم القبايح، ولهذا قال تعالى: ﴿وَمَنْ
يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِينًا فَسَاءَ قَرِينًا﴾ ٣٩:
﴿وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لو آمنوا بالله واليوم الآخر
وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقَهُمُ اللَّهُ وَأُتِيَ شَيْءٌ يَضُرُّهُمْ
لو آمنوا بالله وسلكوا الطريق الحميدة، وعدلوا
عن الرياء إلى الإخلاص والإيمان بالله، رجاء
مَوْعِدِهِ في الآخرة؟ وَأَنفَقُوا في الوجهه التي
يحباها الله ويرضاها؟!﴾ وكان الله بهم عليماً
٤٠: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾ بل
يوفيهما له ويضاعفها له إن كانت حسنة
﴿وَإِنْ تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا﴾ له يوم القيامة
﴿وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ الجنة، نسأل
الله الجنة ٤١: يقول تعالى خيراً عن هول يوم
القيامة وشأنه: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ
بشَهِيدٍ وجننا بك على هؤلاء شهيداً؟!﴾
فكيف يكون الحال؟ كما قال تعالى: ﴿يَوْمِ
نَبَعَتْ في كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِمْ مِنْ أَنفُسِهِمْ﴾
٤٢: ﴿يَوْمَئِذٍ يُؤَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَعَصُوا
الرَّسُولَ لو تَسَوَّى بِهِمُ الْأَرْضُ﴾ انشقت
وبلغتهم ممَّا يرون من أهوال الموقف وما يجلُّ
بهم من الحزى ﴿وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا﴾
إنهم يعترفون بجميع ما فعلوه ولا يكتمون منه
شيئاً ٤٣: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرُبُوا

وَالَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُونَ
بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَنْ يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِينًا فَسَاءَ
قَرِينًا ﴿٣٨﴾ وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ آَمَنُوا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَنفَقُوا
مِمَّا رَزَقَهُمُ اللَّهُ وَكَانَ اللَّهُ بِهِمْ عَلِيمًا ﴿٣٩﴾ إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ
مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ
أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٤٠﴾ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ
وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا ﴿٤١﴾ يَوْمَئِذٍ يُؤَدُّ الَّذِينَ
كَفَرُوا وَعَصُوا الرَّسُولَ لو تَسَوَّى بِهِمُ الْأَرْضُ وَلَا يَكْتُمُونَ
اللَّهَ حَدِيثًا ﴿٤٢﴾ يَتَّبِعُهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا تَقْرُبُوا الصَّلَاةَ
وَأَنْتُمْ سُكَرَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنْبًا لِالْأَعَابِرِ
سَبِيلٍ حَتَّى تَغْتَسِلُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ
أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَمَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً
فَتَمَسَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ إِنَّ
اللَّهَ كَانَ عَفْوًا غَفُورًا ﴿٤٣﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ
الْكِتَابِ يَشْتَرُونَ الضَّلَالَةَ وَيُرِيدُونَ أَنْ تَضَلُّوا السَّبِيلَ ﴿٤٤﴾

الصلاة وأنتم سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ﴾ المراد: التعريضُ بالنبي عن السكر بالكلية لكونهم مأمورين بالصلاة في الخمسة الأوقات من الليل
والنهار، فلا يتمكَّن شاربُ الخمر من أداء الصلاة في أوقاتها دائماً؛ فإنَّ الخمر فيه تخليط في القراءة وعدم تدبيره وحشوعه فيها. ﴿وَلَا جُنْبًا﴾ نهي
تعالى عن قربان المساجد للجنب ﴿إِلَّا عَابِرِ سَبِيلٍ﴾ إلا أن يكون مجتازاً من باب إلى باب من غير مكث ﴿حَتَّى تَغْتَسِلُوا﴾ وإن كنتم مرضى أو
على سفرٍ أو جاء أحدٌ منكم من الغائط أو لامستم النساء فلم تجدوا ماءً فتيمموا صعيداً طيباً. أما المرضُ المبيحُ للتيمم فهو الذي يخاف معه
من استعمال الماء فوات عضو أو شينه أو تطويل البُرء. ومن العلماء من جوز التيمم بمجرد المرض لعموم الآية. ﴿أو جاء أحدٌ منكم من
الغائط﴾ المكان المطمئن من الأرض، كتى بذلك عن التغوط، ﴿أو لامستم النساء﴾ وقرئ: ﴿لمستم﴾ والممس والمس والمباشرة: الجماع،
والله يكتفي ما شاء بما شاء. وصح الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه قبَّل بعض نساته ثم صلى ولم يتوضأ. ﴿فلم تجدوا ماءً فتيمموا
صعيداً طيباً﴾ الصعيد: يدخل فيه التراب والرمل والحجر ﴿فامسحوا بوجوهكم وأيديكم﴾ التيمم بدل من الوضوء في التطهير به، لا بدل منه
في جميع الأعضاء، بل يكفي مسح الوجه واليدين فقط. ﴿إن الله كان عفواً غفوراً﴾ ومن عفوه وغفرانه لكم أنه شرع لكم التيمم ٤٤: ﴿ألم تر
إلى الذين أُوتوا نصيباً من الكتاب وهم اليهود﴾ يشترون الضلالة﴾ بالهدى، ويُعرضون عما أنزله الله على رسوله صلى الله عليه وآله وسلم
﴿ويريدون أن تضلوا السبيل﴾ يريدون لو تكفروا بما أنزل عليكم أيها المؤمنون، وتتركون الهدى.

٤٥: ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَانِكُمْ﴾ هو يُحَدِّثُكُمْ منهم ﴿وَكَفَى بِاللَّهِ وَلِيًّا وَكَفَى بِاللَّهِ نَصِيرًا﴾ كفى به وليًّا لمن لجأ إليه ونصيراً لمن استنصره
 ٤٦: ﴿مِنَ الَّذِينَ هَادُوا﴾ [وهم اليهود] ﴿يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهَا بِتَأْوِيلِهِ عَلَى غَيْرِ تَأْوِيلِهِ، وَيُفَسِّرُونَهُ بِغَيْرِ مَرَادِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ قَصْدًا مِنْهُمْ﴾ ويقولون سمعنا وعصينا ﴿سمعنا ماقلته يا محمد ولا نُطِيعُكَ فِيهِ، وَهَذَا أُلْبِغَ فِي كُفْرِهِمْ وَعِنَادِهِمْ﴾ [واسع غير مُسْمَعٍ] ﴿اسْمَعُ مَا نَقُولُ لِأَسْمَعْتَ﴾ [وراعنا لِيَّا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنَا فِي الدِّينِ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاسْمَعُ وَانظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَكِنْ لَنَعِمَ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا] ﴿٤٦﴾ يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ آمَنُوا بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَى أَدْبَارِهَا أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّا أَصْحَابَ السَّبْتِ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا ﴿٤٧﴾ إِنْ اللَّهُ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَى إِثْمًا عَظِيمًا ﴿٤٨﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزُكُّونَ أَنْفُسَهُمْ بِاللَّهِ يَزُكِّي مِنْ يَشَاءُ وَلَا يُظْلَمُونَ فِتْنًا ﴿٤٩﴾ انظُرْ كَيْفَ يَقْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكُذِبَ وَكَفَى بِهِ إِثْمًا مُبِينًا ﴿٥٠﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا سَبِيلًا ﴿٥١﴾

مُسِحُوا قِرْدَةً وَخَنَازِيرٍ، ﴿وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا﴾ إِذَا أَمَرَ بِأَمْرٍ فَإِنَّهُ لَا يُخَالَفُ وَلَا يُمَانَعُ ٤٨: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ أَخْبَرَ تَعَالَى أَنَّهُ لَا يَغْفِرُ لِعَبْدٍ لَقَبَهُ وَهُوَ مُشْرِكٌ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ، أَي: مِنَ الذُّنُوبِ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ. ﴿وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَى إِثْمًا عَظِيمًا﴾ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾، وَثَبِتَ فِي الصَّحِيحِينَ عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ أَنَّهُ قَالَ: قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَيُّ الذَّنْبِ أَعْظَمُ؟ قَالَ: «أَنْ تَجْعَلَ لِلَّهِ نِدَاءً وَهُوَ خَلْقُكَ» ٤٩: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُزُكُّونَ أَنْفُسَهُمْ﴾؟! نَزَلَتْ فِي الْيَهُودِ حِينَ قَالُوا: نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ. وَهَذَا قَالَ تَعَالَى: ﴿بَلِ اللَّهُ يَزُكِّي مَنْ يَشَاءُ﴾ الْمَرْجِعُ فِي ذَلِكَ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ لِأَنَّهُ أَعْلَمُ بِحَقَائِقِ الْأُمُورِ وَغَوَامِضِهَا، ثُمَّ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَا يُظْلَمُونَ فِتْنًا﴾ مَا يُوزَنُ مِقْدَارَ الْفِتْنِ، وَهُوَ مَا يَكُونُ فِي شِقِّ النَّوَاةِ ٥٠: ﴿انظُرْ كَيْفَ يَقْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكُذِبَ﴾ فِي تَرْكِيهِمْ أَنْفُسَهُمْ وَدَعْوَاهُمْ أَنَّهُمْ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ ﴿وَكَفَى بِهِ إِثْمًا مُبِينًا﴾ ٥١: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ﴾ [وهم اليهود] لَمَّا قَدَّمَ كَعْبُ بْنُ الْأَشْرَفِ مَكَّةَ قَالَتْ قَرِيشٌ: أَلَا تَرَى هَذَا الْمُنْتَبِرَ مِنْ قَوْمِهِ يَزْعُمُ أَنَّهُ خَيْرٌ مِنَّا وَنَحْنُ أَهْلُ الْحَجِيحِ؟ قَالَ: أَنْتُمْ خَيْرٌ ﴿يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا سَبِيلًا﴾، وَذَلِكَ لَمَّا سَأَلَتْ قَرِيشٌ أَجْبَارَ الْيَهُودِ أَدْبَارَنَا خَيْرٌ أَمْ دِينُ مُحَمَّدٍ؟ فَقَالُوا: دِينُكُمْ خَيْرٌ مِنْ دِينِهِ وَأَنْتُمْ أَهْدَى مِنْهُ.

الآية ٤٩: قال المقداد: أمرنا رسول الله ﷺ أن نخوض في وجوه المداحين التراب، رواه مسلم. وفي الصحيحين أن رسول الله ﷺ سمع رجلاً يثني على رجل فقال: «ويحك قطعت عُنُقَ صَاحِبِكَ» ثم قال: «إن كان أحدمك مادحاً صاحبه لامخالة فليقل: أحسبه كذا، ولا يزكي على الله أحداً» /تفسير ابن كثير ج ١/ ٥١٢.

٥٢: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ وَمَنْ يَلْعَنِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ نَصِيرًا﴾ وهذا لعن لهم وإخبار بأنهم لا ناصر لهم في الدنيا ولا في الآخرة

٥٣: ﴿أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِنَ الْمُلْكِ﴾ هذا استفهام إنكارى؛ أي: ليس لهم نصيب من الملك، ثم وصفهم بالبخل فقال: ﴿فَإِذَا لَا يُؤْتُونَ النَّاسَ نَقِيرًا﴾ لأنهم لو كان لهم نصيب في الملك والتصرف لما أعطوا أحداً من الناس ولا سوا محمداً صلى الله عليه وآله وسلم شيئاً، ولا ما يملأ النقيير، وهو النقطة التي في الشوأة

٥٤: ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ حسدوا النبي صلى الله عليه وآله وسلم على ما رزقه الله من النبوة العظيمة. ﴿فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا﴾ فقد جعلنا في أسباط بني إسرائيل الذين هم من ذرية إبراهيم النبوة وأنزلنا عليهم الكتاب والحكمة، وجعلنا منهم الملوك

٥٥: ﴿فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ بِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ صَدَّ عَنْهُ﴾ ومع ذلك فمنهم من آمن به؛ أي: هذا الإتياء وهذا الإنعام، ومنهم من أعرض عنه وسعى في صد الناس عنه. ﴿وَكَفَىٰ بِيحْسَدِهِمْ سَعِيرًا﴾ على كفرهم وعنادهم

٥٦: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصَلِّبُهُمْ نَارًا﴾ هذا عقاب من كفر بآياته وصد عن رسله، ﴿كَلِمًا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بِدَلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ﴾؛ يجعل للكافر مائة جلد بين كل جلدتين لون من العذاب، ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾

٥٧: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾

أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ وَمَنْ يَلْعَنِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ نَصِيرًا ﴿٥٢﴾

أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِنَ الْمُلْكِ فَإِذَا لَا يُؤْتُونَ النَّاسَ نَقِيرًا ﴿٥٣﴾ أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا ﴿٥٤﴾ فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ بِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ صَدَّ عَنْهُ وَكَفَىٰ بِيحْسَدِهِمْ سَعِيرًا ﴿٥٥﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصَلِّبُهُمْ نَارًا كَمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بِدَلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿٥٦﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا هُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَندخلهم ظللاً ظليلاً ﴿٥٧﴾ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴿٥٨﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِن تَنَزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٥٩﴾

خالدتين فيها أبدًا، هذا إخبار عن مال السعداء في جنات عدن التي فيها الأنهار في جميع فجاجها وأرجائها وهم لا يحولون ولا يزولون ﴿هم فيها أزواج مطهرة﴾ من الخيض والنفاس والأذى والأخلاق الرذيلة والصفات الناقصة، ﴿وندخلهم ظللاً ظليلاً﴾ ظللاً كثيراً غزيراً طيباً أبيضاً، قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ﴿إن في الجنة لشجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها شجرة الخلد﴾. ﴿إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها﴾ وهذا يعم جميع الأمانات الواجبة على الإنسان من حقوق الله تعالى على عباده من الصلاة والصيام والكفارات والنذور وغير ذلك مما هو مؤتمن عليه لا يطلع عليه العباد. قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «أد الأمانة إلى من ائتمنتك، ولا تحن من خانك»، رواه أحمد وأهل السنن. ﴿وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل﴾ أمر منه تعالى بالحكم بالعدل بين الناس، وهذه الآية نزلت في الأمراء والحكام. ﴿إن الله نعيمًا يعظكم به﴾ يأمركم به من أداء الأمانات والحكم بالعدل

٥٩: ﴿يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم﴾ أهل الفقه والدين، والعلماء، والظاهر والله أعلم أنها عامة في كل أولي الأمر من الأمراء والعلماء. قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «السمع والطاعة على المرء المسلم فيما أحب وكره، ما لم يؤمر بمعصية، فإذا أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة» أخرجه في الصحيحين. وفي الحديث الصحيح: «لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق». ﴿فإن تنازعتم في شئ فردوه إلى الله﴾ إلى كتاب الله ﴿والرسول﴾ سنته ﴿إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر﴾ فمن لم يرجع إليهما فليس مؤمناً ﴿ذلك﴾ التحاكم إلى كتاب الله وسنة رسوله ﴿خير وأحسن تأويلاً﴾ أحسن عاقبة ومالاً، وأحسن جزاءً.

٦٠: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ وَمَا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ وَمَا أَنزَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَيَقُولُوا صَدَقَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا مِنْ رَبِّنَا أَلَمْ يَكْفُرُوا بِاللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ عَلَىٰ مَنْ يَدْعُوا بِالْإِيمَانِ وَهُوَ يَرِيدُ أَنْ يَمُنَ بِمَا نَزَّلَ اللَّهُ مِنْ قَبْلِكَ خَلَفَ بِحَقِّ اللَّهِ وَأَسَدُّ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا أَكْفَرًا مِمَّا ظَنَّنُوا وَهُمْ يَكَفِّرُونَ بِاللَّهِ وَمَأْسُومَتِهِمْ فَاتُخَاتَمُ قُلُوبُهُمْ أَلَمْ يَكْفُرُوا بِاللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ إِذْ قَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْنَا الْكِتَابُ فَقُلْنَا لَوْ كُنَّا نُنزِّلُ الْكِتَابَ عَلَىٰ قَوْمٍ لَمْ يَكْفُرُوا بِاللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ لَكُنَّا لَهُمْ سَلِيلًا أَلَمْ يَكْفُرُوا بِاللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ إِذْ قَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْنَا الْكِتَابُ فَقُلْنَا لَوْ كُنَّا نُنزِّلُ الْكِتَابَ عَلَىٰ قَوْمٍ لَمْ يَكْفُرُوا بِاللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ لَكُنَّا لَهُمْ سَلِيلًا أَلَمْ يَكْفُرُوا بِاللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ إِذْ قَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْنَا الْكِتَابُ فَقُلْنَا لَوْ كُنَّا نُنزِّلُ الْكِتَابَ عَلَىٰ قَوْمٍ لَمْ يَكْفُرُوا بِاللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ لَكُنَّا لَهُمْ سَلِيلًا

أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ وَمَا أَنزَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴿٦٠﴾ وَإِذْ قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُودًا ﴿٦١﴾ فَكَيْفَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيَهُمْ ثُمَّ جَاءَ وَكَوَافِرُهُمْ يَخَفُونِ بِاللَّهِ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا أَلَّا نَحْسَبَنَّكَ وَتُوفِيقًا ﴿٦٢﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا ﴿٦٣﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا ﴿٦٤﴾ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾

النفاق ﴿وقُلْ لَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا﴾ وانصحبهم فيما بينك وبينهم بكلام بليغ رادع لهم ٦٤: ﴿وما أرسلنا من رسولٍ إلا لِيُطَاعَ﴾ فُرِضَتْ طاعته على من أرسل إليهم ﴿بإذن الله﴾ لا يُطِيعُ أَحَدًا إِلَّا بِإِذْنِي؛ يعني: لا يُطِيعُهُ إِلَّا مَنْ وَفَّقْتَهُ لِذَلِكَ. ﴿ولو أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا﴾ يُرشد الله تعالى العَصَاة والمذنبين إذا وقع منهم الخطأ والعصيان أن يأتوا إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فيستغفروا الله عنده، ويسألوه أن يغفر لهم؛ فإذا فعلوا ذلك تاب الله عليهم ورحمهم وغفر لهم، ولهذا قال تعالى: ﴿لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا﴾ ٦٥: ﴿فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكِّموكَ فيما شجرَ بينهم﴾ يُقسم تعالى بنفسه الكريمة المقدسة أنه لا يؤمن أحدٌ حتى يُحَكِّمَ الرسولَ صلى الله عليه وآله وسلم في جميع الأمور، فما حكم به فهو الحق الذي يجب الانقياد له باطنًا وظاهرًا، ولهذا قال سبحانه: ﴿ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجًا مما قضيت ويسلموا تسليًا﴾ إذا حكِّموكَ يُطِيعونك في بواطنهم، فلا يجدون في أنفسهم ممانعة ولا مدافعة ولا منازعة، كما ورد في الحديث: «والذي نفسي بيده لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعًا لما جئت به».

الآية ٦٥: تضمنت هذه الآية أمرًا بحكِّمًا في وجوب الرجوع إلى سنة رسول الله ﷺ في كل شيء من أمر الدين عقيدة وشريعة، وكذا عند الاختلاف والتنازع يجب الرجوع إلى السنة النبوية لمعرفة الحق في ذلك، فالسنة مبنية وموضحة ومفصلة لجميع أحكام الإسلام، وكل من أتى من الرجوع إلى السنة ففي قلبه زغلٌ من النفاق يحول بينه وبين اتباع ما جاء به الرسول ﷺ من الهدى القويم.

٦٦: ﴿وَلَوْ أَنَا كُنْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ أَوِ اخْرَجُوا مِن دِيَارِكُمْ مَا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِّنْهُمْ﴾ يُخبر تعالى عن أكثر الناس أنهم لو أمروا بما هم مرتكبونه من المناهي لما فعلوه لأن طبعهم الرديفة مجبولة على مخالفة الأمر؛ وهذا من علمه تبارك وتعالى بما لم يكن أو كان فكيف كان يكون؟! ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ﴾ ولو أنهم فعلوا ما يُوعظون به وتركوا ما يُنهيون عنه ﴿لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ﴾ من مخالفة الأمر وارتكاب النبي ﴿وَأَشَدَّ تَبِيئًا﴾ تصديقاً ٦٧: ﴿وَإِذَا لَاتِيَاهُمْ مِن لَّدُنَّا﴾ من عندنا ﴿أَجْرًا عَظِيمًا﴾ الحِجَّة ٦٨: ﴿وَلَهْدِيَاهُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا﴾ في الدنيا والآخرة ٩٦: ﴿وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ الصَّالِحِينَ وَالشَّاهِدِينَ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾ ٦٩: ﴿ذَلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللَّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ عَلِيمًا﴾ ٧٠: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا خُذُوا حذرًا فَانفِرُوا أَجْمَعًا﴾ ٧١: ﴿وَإِن مِّنْكُمْ لَمَن يُبْتَغَتَنَّ فَإِن أَصَبْتُمْ مِصْبِيَةً قَالَ قَدْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيَّ إِذْ لَمْ أَكُن مَعَهُمْ شَهِيدًا﴾ ٧٢: ﴿وَلَيْنِ أَصَابَكُمْ فَضْلٌ مِّنَ اللَّهِ لِيَقُولَنَّ كَأَن لَّمْ تَكُن بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ مَوَدَّةٌ يَلَيْتَنِي كُنْتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ ٧٣: ﴿فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ وَمَن يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ ٧٤

النفير في سبيل الله ﴿تَبَات﴾ جماعة بعد جماعة، أي: سرايا متفرقة ﴿أَوْ انفروا جميعاً﴾ كلكم ٧٢: ﴿وَإِن مِّنْكُمْ لَمَن لَّيْطِقَنَّ﴾ نزلت في المنافقين، يتبأطاً [المنافق] في نفسه ويطيء غيره عن الجهاد. ولهذا يقول المنافق إذا تأخر عن الجهاد ﴿فَإِن أَصَابَتْكُمْ مِصْبِيَةٌ﴾ قتل وشهادة وغلب عليكم ﴿قَالَ قَدْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيَّ إِذْ لَمْ أَكُن مَعَهُمْ شَهِيدًا﴾ إذ لم أحضر معهم وقعة القتال؛ يعبد ذلك من نعم الله، ولم يدبر ما فاته من الأجر ٧٣: ﴿وَلَيْنِ أَصَابَكُمْ فَضْلٌ مِّنَ اللَّهِ﴾ نصر وغنيمة ﴿لِيَقُولَنَّ كَأَن لَّمْ تَكُن بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ مَوَدَّةٌ﴾ كأنه ليس من أهل دينكم ﴿يَا لَيْتَنِي كُنْتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ بأن يضرب لي بسهم معهم فأحصل عليه، وهو أكبر قصده وغاية مراده، ثم قال تعالى: ٧٤: ﴿فَلْيُقَاتِلْ﴾ المؤمن النافر ﴿فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ﴾ يبيعون دينهم بغير ضل من الدنيا، وما ذلك إلا لكفرهم، ﴿وَمَن يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ كلٌّ مَن قاتل في سبيل الله سواء قُتِلَ أَوْ غَلِبَ فله عند الله ثوبة عظيمة وأجر جزيل، كما ثبت في الصحيحين: «تكفل الله للمجاهد في سبيله إن توفاه أن يدخله الجنة، أو يرجعه إلى مسكنه الذي خرج منه بما نال من أجر أو غنيمة».

الآية ٦٩: قال رسول الله ﷺ: «يُوشِكُ الرَّجُلُ مِتْكَأً عَلَىٰ أُرْكِيهِ يُحَدِّثُ حَدِيثًا مِنْ حَدِيثِي يَقُولُ: بَيْنَا وَبَيْنَكُمْ كِتَابُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فَمَا وَجَدْنَا فِيهِ مِنْ حِلَالٍ اسْتَحْلَلْنَاهُ، وَمَا وَجَدْنَا فِيهِ مِنْ حَرَامٍ حَرَّمْنَاهُ. أَلَا وَإِنَّ مَحْرَمَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَمْثُلُ مَحْرَمَ اللَّهِ، رَوَاهُ ابْنُ مَاجَةَ ج ٦/١».

وروي الشيخان في صحيحهما عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ لَيَتَرَاوَنَ أَهْلَ الْغُرَفِ مِنْ فَوْقِهِمْ كَمَا تَرَاوَنَ الْكُوكَبُ الدَّرِي الْغَابِرُ فِي الْأَفْقِ مِنَ الْمَشْرِقِ أَوْ الْمَغْرِبِ لِنَفَاذِلِ بَيْنَهُمْ» قالوا: يارسول الله تلك منازل الأنبياء لا يبلغها غيرهم؟! قال: «بلى، والذي نفسي بيده رجال آمنوا بالله وصدقوا المرسلين!!» ابن كثير ج ١/٥٢٣.

وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ
وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ
الظَّالِمِ أَهْلِهَا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ وِلْيًا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ
نَصِيرًا ﴿٧٥﴾ الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا
يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ
الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا ﴿٧٦﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ
وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ
مِنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً وَقَالُوا رَبَّنَا لِمَ
كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْقِتَالَ لَوْلَا أَخَّرْنَا إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ قُلْ مَنَعَ الدُّنْيَا
قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِمَنِ اتَّقَىٰ وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٧٧﴾ أَيْنَمَا
تَكُونُوا يَدْرِكَكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشِيدَةٍ وَإِنْ تُصَبِّهْمُ
حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَإِنْ تُصَبِّهْمُ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا
هَذِهِ مِنْ عِنْدِكَ قُلْ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ فَمَالِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ
يَفْقَهُونَ حَدِيثًا ﴿٧٨﴾ مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ
سَيِّئَةٍ فَمِنَ نَفْسِكَ وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴿٧٩﴾

٧٥: ﴿وما لكم لا تقاتلون في سبيل الله
والمستضعفين من الرجال والنساء
والولدان؟﴾ يُحْرَضُ تعالى المؤمنين على
الجهاد في سبيله، وعلى السعي في استنقاذ
المستضعفين بمكة من الرجال والنساء
والصبيان المتبرئين من المقام بها، ولهذا قال
تعالى: ﴿الذين يقولون ربنا أخرجنا من هذه
القرية﴾ مكة، ثم وصفها بقوله: ﴿الظالم
أهلها واجعل لنا من لَدُنْكَ وِلْيًا واجعل لنا
من لَدُنْكَ نصيرًا﴾ سَخَّرَ لنا من عندك وِلْيًا
نصيرًا. ثم قال تعالى: ٧٦: ﴿الذين آمنوا
يقاتلون في سبيل الله والذين كفروا يقاتلون
في سبيل الطاغوت﴾ المؤمنون يقاتلون في
طاعة الله ورضوانه، والكافرون يقاتلون في
طاعة الشيطان، ثم هيَّج تعالى المؤمنين على
قتال أعدائه بقوله: ﴿فقاتلوا أولياء الشيطان
إن كَيْدَ الشيطان كان ضعيفًا﴾ ٧٧: ﴿ألم
تر إلى الذين قيل لهم كُفُّوا أيديكم وأقيموا
الصلاة وآتوا الزكاة﴾ قال ابن عباس: إن
عبد الرحمن بن عوف وأصحابه أتوا النبي
صلى الله عليه وآله وسلم بمكة فقالوا: يا نبي
الله كُنَّا في عِزَّةٍ ونحن مشركون فلما آمنا صرنا
أدلة؟! قال: «إني أمرت بالعفو فلا تقاتلوا
القوم»، فلما حوَّله الله إلى المدينة أمره
بالقتال، ﴿فلما حُتِبَ عليهم القتال إذا فريقٌ
منهم يخشون الناس كخشية الله أو أشدَّ
خشيةً وقالوا ربنا لم كتبت علينا القتال لولا
أخرتنا إلى أجل قريب﴾ [هؤلاء قوم أسلموا
قبل فرض الجهاد فلما فرض كرهوه؛ والمعنى:

يخشون القتل من المشركين كما يخشون الموت من الله، وقائل هذا لم يرسخ في الإيمان قدمه]؛ ﴿قل متاع الدنيا قليل والآخرة خير لمن اتقى﴾
آخرة المتقي خيرٌ من دنياه ﴿ولا تظلمون فتيلاً﴾ من أعمالكم بل توفونها أتمَّ الجزاء، وهذه تسلية لهم عن الدنيا وترغيب لهم في الآخرة ٧٨: ﴿أينما
تكونوا يدرِككم الموت ولو كنتم في بروج مُّشيدَةٍ﴾ أنتم صائرون إلى الموت لا محالة ولا ينجو منه أحدٌ منكم، كما قال تعالى: ﴿كلُّ من عليها
فان﴾ و﴿كلُّ نفس ذائقة الموت﴾ ﴿وإن تُصَبِّههم حسنة﴾ خصبٌ ورزقٌ ﴿يقولوا هذه من عند الله وإن تُصَبِّههم سيئة﴾ قحطٌ وجدبٌ ﴿يقولوا
هذه من عندك﴾ بسبب اتباعنا لك؛ هؤلاء المنافقون الذين دخلوا في الإسلام ظاهراً وهم كارهون له في نفس الأمر، ﴿قل كلُّ من عند الله﴾
الجميع بقضاء الله وقدره، وهو نافذٌ في البرِّ والفاجر والمؤمن والكافر، ثم قال تعالى منكرًا على هؤلاء: ﴿فما هؤلاء القوم لا يكادون يفقهون
حديثنا﴾؟ ثم قال تعالى مخاطباً لرسوله صلى الله عليه وآله وسلم؛ والمراد جنس الإنسان ليحصل الجواب: ٧٩: ﴿ما أصابك من حسنة فمن الله﴾
من فضل الله ومنتته ولطفه ورحمته ﴿وما أصابك من سيئة فمن نفسك﴾ فمن قبلك، ومن عمَلت أنت عقوبة لك يا ابن آدم بذنبك، وفي
الصحيح: «والذي نفسي بيده لا يُصيب المؤمن همٌّ ولا حزنٌ ولا تصبٌ؛ حتى الشوكة يُشاكها إلا كفرَّ الله عنه بها من خطاياها». ﴿وأرسلناك
للناس رسولاً﴾ تبتلعهم شرائع الله وما يُجبه الله ويريضاه، وما يكرهه ويأباه ﴿وكفى بالله شهيداً﴾ على أنه أرسلك، وهو شهيدٌ أيضاً بينك وبينهم.

٨٠: ﴿مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾
يُخْبِرُ تَعَالَى عَنْ عِبْدِهِ وَرَسُولِهِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بَأَنَّ مَنْ أَطَاعَهُ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ، وَمَنْ عَصَاهُ فَقَدْ عَصَى اللَّهَ، وَمَا ذَاكَ إِلَّا لِأَنَّهُ مَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى ﴿وَمَنْ تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا﴾ مَا عَلَيْكَ مِنْهُ، إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ، فَمَنْ اتَّبَعْتَكَ نَجَا، وَمَنْ تَوَلَّى عَنْكَ خَابَ ٨١: ﴿وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ﴾ يَخْبِرُ تَعَالَى عَنِ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّهُمْ يَظْهَرُونَ الطَّاعَةَ ﴿فَإِذَا بَرَّرُوا مِنْ عِنْدِكَ﴾ خَرَجُوا ﴿بَيَّتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ غَيْرَ الَّذِي تَقُولُ﴾ اسْتَسْرُوا لَيْلًا فَبَيْنَهُمْ غَيْرٌ مَا أَظْهَرَهُ لَكَ ﴿وَاللَّهُ يَكْتُبُ مَا يُبَيِّتُونَ﴾ بِمَا يَأْمُرُ بِهِ حَفِظْتَهُ الْكَاتِبِينَ، وَهَذَا تَهْدِيدٌ لَهُ. ﴿فَأَعْرَضَ عَنْهُمْ﴾ وَلَا تَكْشِفُ أَمْرَهُمُ لِلنَّاسِ وَلَا تَخْفُ مِنْهُمْ أَيْضًا ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾ وَكَفَى بِهِ وَلِيًّا وَنَاصِرًا لِمَنْ تَوَكَّلَ عَلَيْهِ وَأَنَابَ إِلَيْهِ ٨٢: ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ﴾ يَقُولُ تَعَالَى أَمْرًا لَهُمْ بِتَذَكُّرِ الْقُرْآنِ، وَغَيْرِهَا لَهُمْ لَا اخْتِلَافَ فِيهِ وَلَا اضْطِرَابَ ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ اضْطِرَابًا وَتَضَادًا كَثِيرًا؛ أَي: وَهَذَا [الْقُرْآنُ] سَالِمٌ مِنَ الْاِخْتِلَافِ فَهُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ٨٣: ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوْ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ﴾ هَذَا إِنكَارٌ عَلَى مَنْ يُسَادِرُ إِلَى الْأُمُورِ قَبْلَ تَحْقِيقِهَا فَيُخْبِرُ بِهَا وَيُفْشِيهَا، وَقَدْ لَا يَكُونُ لَهَا صِحَّةٌ، وَفِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ: «كَفَى بِالْمَرْءِ كَذِبًا أَنْ يُحَدِّثَ بِكُلِّ مَا سَمِعَ». ﴿وَلَوْ رُدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى

مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ﴿٨١﴾ وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ فَإِذَا بَرَّرُوا مِنْ عِنْدِكَ بَيَّتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ غَيْرَ الَّذِي تَقُولُ وَاللَّهُ يَكْتُبُ مَا يُبَيِّتُونَ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴿٨٢﴾ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴿٨٣﴾ وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوْ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْ لَا فَضَّلَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتَهُ لَا تَبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٤﴾ فَقَتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا تَكْفَلْ إِلَّا نَفْسَكَ وَحَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَكْفِ بِأَسِ الَّذِينَ كَفَرُوا وَاللَّهُ أَشَدُّ بِأَسًا وَأَشَدُّ تَنْكِيلًا ﴿٨٥﴾ مَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ مِنْهَا وَمَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً سَيِّئَةً يَكُنْ لَهُ كِفْلٌ مِنْهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقْتِنًا ﴿٨٦﴾ وَإِذَا حُجِّمْتُمْ بِنُجْحَةٍ فَجُودُوا بِأَحْسَنِ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا ﴿٨٧﴾

أُولَى الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ﴾ وَمَعْنَى ﴿يَسْتَنْبِطُونَهُ﴾ يَسْتَخْرِجُونَهُ مِنْ مَعَانِيهِ ﴿وَلَوْ لَا فَضَّلَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتَهُ لَا تَبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا﴾. [فِي هَذِهِ آيَةِ دَلَالَةٍ عَلَى الْاجْتِهَادِ عِنْدَ عَدَمِ النَّصِّ وَالْإِجْمَاعِ] ٨٤: ﴿فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا تَكْفَلْ إِلَّا نَفْسَكَ﴾ أَمَرَ تَعَالَى رَسُولَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بِأَنْ يُبَاشِرَ الْقِتَالَ بِنَفْسِهِ، ﴿وَيُحَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ عَلَى الْقِتَالِ وَرَغَبَهُمْ فِيهِ وَشَجَعَهُمْ عَلَيْهِ، كَمَا قَالَ لَهُمْ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ بَدْرٍ: «قَوْمُوا إِلَى جَنَّةِ عَرْضِهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ». ﴿عَسَى اللَّهُ أَنْ يَكْفِ بِأَسِ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ بِتَحْرِيزِكَ إِيَّاهُمْ تَبِعَتْ هِمَّتُهُمْ عَلَى مَنَاجِزَةِ الْأَعْدَاءِ، ﴿وَاللَّهُ أَشَدُّ﴾ هُوَ قَادِرٌ عَلَيْهِمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ٨٥: ﴿مَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ مِنْهَا﴾ مَنْ يَسْعَى فِي أَمْرِ فَيَتَرَبَّعُ عَلَيْهِ خَيْرٌ كَانَ لَهُ نَصِيبٌ مِنْ ذَلِكَ، ﴿وَمَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً سَيِّئَةً يَكُنْ لَهُ كِفْلٌ مِنْهَا﴾ يَكُونُ عَلَيْهِ وَزْرٌ مِنْ ذَلِكَ. نَزَلَتْ هَذِهِ آيَةُ فِي شَفَاعَاتِ النَّاسِ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ. ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقْتِنًا﴾ حَفِيظًا وَشَهِيدًا ٨٦: ﴿وَإِذَا حُجِّمْتُمْ بِنُجْحَةٍ فَجُودُوا بِأَحْسَنِ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا﴾ إِذَا سَلَّمَ عَلَيْكُمْ الْمُسْلِمُ فَرُدُّوهُ عَلَيْهِ أَمَّا سَلَّمَ، أَوْ رُدُّوهُ عَلَيْهِ بِمَثَلِ مَا سَلَّمَ؛ فَالزِّيَادَةُ مَنْدُوبَةٌ، وَالْمِثَالَةُ مَفْرُوضَةٌ. ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا﴾. رَوَى أَبُو دَاوُدَ بِسَنَدِهِ إِلَى أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا، وَلَا تُؤْمِنُوا حَتَّى تُحَابُوا، أَفَلَا أَدَلِّكُمْ عَلَى أَمْرٍ إِذَا فَعَلْتُمُوهُ تَحَابْتُمْ؟ أَفْشُوا السَّلَامَ بَيْنَكُمْ».

٨٧: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ إخبارٌ بتوحيده

وتفردَه بالإلهية لجميع المخلوقات وتضمنَ قَسماً لقره: ﴿ليجمعنكم إلى يوم القيامة لا ريبَ فيه﴾ فيجازي كلَّ عاملٍ بعمله ﴿ومن أصدق من الله حديثاً﴾؟! لا أحد

أصدق منه في حديثه وخبره ووعده ووعيدِه ﴿فمالكم في المنافقين فتيتين والله

أركسهم بما كسبوا﴾؟ نزلت في قوم كانوا قد تكلموا بالإسلام، وكانوا يُظهرون المشركين، فقال بعض المؤمنين: اقتلوهم فإنهم يُظهرون عليكم عدوتكم، وقالت فئة من المؤمنين: أتقتلون قوماً قد تكلموا بمثل ما تكلمتم به؟

والرسول لا ينهى واحداً من الفريقين عن شيء

فنزلت. ﴿والله أركسهم﴾ ردهم وأوقعهم وأهلكهم ﴿بما كسبوا﴾ بسبب عصيانهم

وابتاعهم الباطل، ﴿أتريدون أن تهدوا من أضلَّ الله ومن يضلِّ الله فلن تجد له سيلاً﴾

لا طريق له إلى الهدى ولا مخلص له إليه

٨٩: ﴿وَدُّوا لو تكفروا كما كفروا فتكفرون سواء﴾ هم يودُّون لكم الضلالة لتستوا أنتم

وإياهم فيها، وما ذاك إلا لشدة عداوتهم وبغضهم لكم، ولهذا قال تعالى: ﴿فلا تتخذوا

منهم أولياء حتى يهاجروا في سبيل الله فإن تولَّوا﴾ نكروا الهجرة وأظهروا الكفر

﴿فخذوهم واقتلوهم حيث وجدتموهم ولا تتخذوا منهم ولياً ولا نصيراً﴾ لا توألوهم

ما داموا كذلك، ثم استثنى الله من هؤلاء فقال: ٩٠: ﴿إلا الذين يصلون إلى قوم

بينكم وبينهم ميثاق﴾ إلا الذين لجأوا وتحيزوا إلى قوم بينكم وبينهم مهادنة أو عقد ذمة فاجعلوا حكمتهم كحكمهم ﴿أو جاؤكم خصرت صدورهم﴾ الآية؛ هؤلاء قوم آخرون من المستنئين

من الأمر بقتالهم، هم الذين يجيئون إلى المصاف وصدورهم ضيقة؛ مُبغضين أن يُقاتلوكم، ولا يهون عليهم أيضاً أن يُقاتلوا قومهم معكم، بل هم لا لكم ولا عليكم. ﴿ولو شاء الله لسلطهم عليكم فلقاتلوكم﴾ [وهذا] من لطفه بكم أن كفهم عنكم ﴿فإن اعزلوكم فلم يُقاتلوكم وألقوا

إليكم السلم﴾ المسألة ﴿فما جعل الله لكم عليهم سيلاً﴾ فليس لكم أن تُقاتلوهم ما دامت حالهم كذلك ٩١: ﴿ستجدون آخرين يريدون أن يأمنوكم ويأمنوا قومهم﴾ هؤلاء في الصورة الظاهرة كمن تقدمهم، ولكن نية هؤلاء غير نية أولئك، فإن هؤلاء قوم منافقون يُظهرون الإسلام

ليأمنوا بذلك عندهم على دمايتهم وأموالهم ويصنعون الكفر في الباطن، ﴿كلما زدوا إلى الفتنة أركسوا فيها﴾ انهمكوا فيها. والفتنة هنا الشرك. ﴿فإن لم يعزلوكم ويلقوا إليكم السلم﴾ الصلح والمهادنة ﴿ويكفوا أيديهم﴾ عن القتال ﴿فخذوهم﴾ أسراء ﴿واقتلوهم حيث تقتلهم﴾ أين لقيتموهم ﴿وأولئك جعلنا لكم عليهم سلطاناً مبيناً﴾ بيناً واضحاً.

اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لِيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا ﴿٨٧﴾ ﴿فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِتْنَتَيْنِ وَاللَّهُ أَرْكَسَهُمْ بِمَا كَسَبُوا أَتُرِيدُونَ أَنْ تَهْدُوا مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ وَمَنْ يُضِلِّ اللَّهُ فَمَا لَهُ سَبِيلًا ﴿٨٨﴾ وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً فَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ أَوْلِيَاءَ حَتَّىٰ يَهَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَخُذُوهُمْ وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ وُليَاءَ وَلَا نَصِيرًا ﴿٨٩﴾ إِلَّا الَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ أَوْ جَاءَكُمْ حَصْرَتٌ مِّنْ دُونِهِمْ أَن يَقْتُلُوكُمْ أَوْ يُغَنِّوْا قَوْمَهُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ فَلَقْتُلُوكُمْ فَإِنِ اعْتَزَلْتُمْ فَلَمْ يَقْتُلُواكُمْ وَأَلْقُوا إِلَيْكُمُ السَّلَامَ فَمَا جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا ﴿٩٠﴾ سَتَجِدُونَ آخَرِينَ يُرِيدُونَ أَن يَأْمَنُوكُمْ وَيَأْمَنُوا قَوْمَهُمْ كُلٌّ مَّارَدٌ إِلَى الْفِتْنَةِ أُرْكَسُوا فِيهَا فَإِن لَّمْ يَعْتَزِلُوكُمْ وَيُلْقُوا إِلَيْكُمُ السَّلَامَ وَيَكْفُوا أَيَدِيَهُمْ فَخُذُوهُمْ وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأُولَئِكَ جَعَلْنَا لَكُمْ عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا مُّبِينًا ﴿٩١﴾

الآية ٨٨: النفاق هنا نفاق القلب والعقيدة، وصاحبه في الدرك الأسفل من النار، وهناك نفاق الأعمال، كالذي في الحديث الصحيح: «أربع من كنَّ فيه كان منافقاً خالصاً، ومن كانت فيه خصلة منهنَّ كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها: إذا حدث كذب، وإذا أقرَّ خان، وإذا عاهد غدر، وإذا خاصم فجره، متفق عليه. /رياض الصالحين ١/ ٣١١.

الآية: ٩١ عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «ألا أخبركم بخيركم من يُرجى خيره، ويؤمن شره، وشركه من لا يُرجى خيره ولا يؤمن شره؟ رواه أحمد والترمذي/صحيح الجامع الصغير ج ١/ ٥٠٨/.

٩٢: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَأً﴾ ليس لمؤمن أن يقتل أخاه المؤمن بوجه من الوجوه، كما ثبت في الصحيحين أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: «لَا يَجِلُّ دَمٌ امرئ مسلم يشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله، إلا بإحدى ثلاث: النفس بالنفس، والتب الزاني، والتارك لدينه المفارق للجماعة»، ثم إذا وقع شيء من هذه الثلاث فليس لأحد من الرعية أن يقتله، وإتاما ذلك إلى الإمام أو نائبه. وقوله تعالى: ﴿إِلَّا خَطَأً﴾ هو استثناء منقطع [ليس من الأول، وإلا يعني: لكن، والتقدير: ما كان له أن يقتله ألبتة ولكن إن قتله خطأ فعليه كذا]، ﴿وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَأً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ﴾ هذان واجبان في قتل الخطأ؛ أحدهما الكفارة لئلا ارتكبه من الذنب العظيم - وإن كان خطأ - وهو عتق رقبة مؤمنة. والواجب الثاني الدية. روى الإمام أحمد عن ابن مسعود أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم جعل دية الخطأ: عشرين بنت مخاض، وعشرين بني مخاض ذكورا، وعشرين بنت لبون جذعة وعشرين حقة. وهذه الدية تجب على عاقلة القاتل لا في ماله [وعاقلة الرجل عصبته]. ﴿إِلَّا أَنْ يَصَدَّقُوا﴾ أي: ورثته بها فلا تجب. ﴿فَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ عَدُوٍّ لَكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ﴾ إذا كان القاتل مؤمنا ولكن أولياؤه من الكفار أهل حرب فلا دية لهم، وعلى القاتل تحرير رقبة مؤمنة لا غير. ﴿وَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ

وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَأً وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَأً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ إِلَّا أَنْ يَصَدَّقُوا فَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ عَدُوٍّ لَكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ فَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامٌ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِنَ اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٩٢﴾ وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاءُ لَهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا ﴿٩٣﴾ يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضُرِّبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَيَسَّرُوا لِقَوْلِ أُولَئِكَ لَمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ فَمَنْ بَدَّلَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَيَسَّرُوا وَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿٩٤﴾

وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ﴾ أي: من أهل ذمة أو هدنة فلهم دية قتلهم؛ فإن كان مؤمنا فدية كاملة، وكذا إن كان كافرا، ويجب على القاتل تحرير رقبة مؤمنة؛ ﴿فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامٌ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ﴾ لا إفطار بينهما، ﴿تَوْبَةً مِنَ اللَّهِ﴾ هذه توبة القاتل خطأ، ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾. ثم لما بين تعالى حكم القتل الخطأ شرع في بيان القتل العمد فقال: ٩٣: ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاءُ لَهُ جَهَنَّمُ﴾ الآية، هذا تهديد شديد ووعيد أكيد لمن تعاطى هذا الذنب العظيم الذي هو مقرون بالشرك بالله في غير ما آية في كتاب الله، والأحاديث في تحريم القتل كثيرة جدا، منها: «لَرَوَّالُ الدُّنْيَا أَهْوَنُ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ قَتْلِ رَجُلٍ مُسْلِمٍ» و«لو اجتمع أهل السموات والأرض على قتل رجل مسلم لأكبهم الله في النار» ٩٤: عن ابن عباس قال: مرَّ رجلٌ من بني سليم بنفر من أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم يري غنما له، فسلم عليهم، فقالوا: لا يسلم علينا إلا ليتعود منا، فعدوا إليه فقتلوه وأتوا بنغمه إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فنزلت هذه الآية: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضُرِبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَيَسَّرُوا وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ تلك الغنيمة. قال ابن عباس: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم للمقداد: «إذا كان رجلٌ مؤمناً يُخْفِي إيمانه مع قومٍ كفارٍ فأظهِرَ إيمانه، فقتلته؟ فكَذَلِكَ كُنْتُ تُخْفِي إيمانتك بمكة من قبل!» ٩٥: ﴿كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ فَمَنْ بَدَّلَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾ قد كنتم من قبل هذه الحال كهذا الذي يسر إيمانه ويخفيه من قومه ﴿فَتَيَسَّرُوا﴾ تأكيدا لما تقدم ﴿وَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ وهذا تهديد ووعيد.

الآية ٩٣: قال رسول الله ﷺ: «لَرَوَّالُ الدُّنْيَا أَهْوَنُ عَلَى اللَّهِ مِنْ قَتْلِ مُؤْمِنٍ بِغَيْرِ حَقٍّ»، رواه ابن ماجه بإسناد حسن. ورواه البيهقي، وزاد فيه: «ولو أن أهل سمواته وأهل أرضه اشتروا في دم مؤمن لأدخلهم الله النار». /الترغيب ج٣/ ٢٩٢-٢٩٣.

لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرَ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكَلَّا وَعَدَّ اللَّهُ الْحَسَنَىٰ وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٩٥﴾ دَرَجَاتٍ مِّنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٩٦﴾ إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَسِعَةً فَهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَٰئِكَ مَا وَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴿٩٧﴾ إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ﴿٩٨﴾ فَأُولَٰئِكَ عَسَىٰ اللَّهُ أَنْ يَغْفُو عَنْهُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٩٩﴾ وَمَنْ يَهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَاعًا كَثِيرًا وَسِعَةً وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٠٠﴾ وَإِذَا ضَرَيْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ إِنْ خِفْتُمْ أَنْ يَفْتِنَكُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ الْكُفْرِينَ كَانُوا لَكُمْ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴿١٠١﴾

٩٥: ﴿لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرَ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ﴾ فقله تعالى: ﴿غَيْرَ أُولِي الضَّرَرِ﴾ صار مخرجاً لذوي الأعدار الميحية لترك الجهاد من العمى والعرج عن مساواتهم للمجاهدين بأموالهم وأنفسهم، ثم أخرج تعالى بفضيلة المجاهدين على القاعدين؛ وفي صحيح البخاري قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «إِنَّ بِالْمَدِينَةِ أَقْوَامًا مَا سِرْتُمْ مِنْ مَسِيرٍ وَلَا قَطَعْتُمْ مِنْ وَاِدٍ إِلَّا وَهَمَّ مَعَكُمْ فِيهِ» قالوا: وهم بالمدينة يا رسول الله؟ قال: «نَعَمْ حَسِبْتُمْ الْعُدْرَةَ». «وَكَلَّا وَعَدَّ اللَّهُ الْحَسَنَىٰ» الجنة والجزاء الجزيل. ﴿وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ ثم أخرج سبحانه بما فضّلهم به فقال: ٩٦: ﴿دَرَجَاتٍ مِنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾. وفي الصحيحين قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «إِنَّ فِي الْجَنَّةِ مَائَةَ دَرَجَةٍ أَعَدَّهَا اللَّهُ لِلْمُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِهِ؛ مَا بَيْنَ كُلِّ دَرَجَتَيْنِ كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ» ٩٧: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ﴾ هم قومٌ من أهل مكة أسلموا وكانوا يُخفون إسلامهم، فأخرجهم المشركون يوم بدر معهم، فأصيب بعضهم، قال المسلمون: كان أصحابنا مسلمين وأكروها فاستغفروا لهم، فنزلت الآية. قال ابن عباس: فكتب إلى من بقي من المسلمين بهذه الآية لا عذر لهم فخرجوا، فلحقهم المشركون فأعطوهم التَّغْيَةَ. وهذه الآية عامة في كل من أقام بين ظهرائي

المشركين وهو قادر على الهجرة وليس متمكناً من إقامة الدِّين فهو ظالمٌ لنفسه مرتكبٌ حراماً بالإجماع لتركه الهجرة ﴿قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ﴾ لِمَ مكثتم هاهنا وتركتم الهجرة؟ ﴿قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ﴾ لا تقدر على الخروج من البلد، ولا الذهاب في الأرض ﴿قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَسِعَةً فَهَاجِرُوا فِيهَا﴾؟ الآية ٩٨: هذه الآية عذرٌ هُوَلاء في ترك الهجرة، وذلك أنهم لا يقدرُونَ على التخلُّص من أيدي المشركين، ولو قدرُوا ما عرفوا يسلكون الطريق، ولهذا قال تعالى: ﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا﴾ طريقاً ٩٩: ﴿فَأُولَٰئِكَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَغْفُو عَنْهُمْ﴾ يتجاوز عنهم بترك الهجرة، وعسى [من الله] موجبة ﴿وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ ١٠٠: ﴿وَمَنْ يَهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَاعًا كَثِيرًا﴾ المراعم: التحول من أرض إلى أرض، أي: مترحلاً عما يكره، يتخلَّص به، ويُراغم به الأعداء، ﴿وَسِعَةً﴾ الرزق ﴿وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾ وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ مَنْزِلِهِ بِنَيْتِ الْهَجْرَةِ فَمَاتَ فِي أَثْنَاءِ الطَّرِيقِ فَقَدْ حَصَلَ لَهُ عِنْدَ اللَّهِ ثَوَابٌ مِنْ هَاجِرٍ، ﴿وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ ١٠١: ﴿وَإِذَا ضَرَيْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ﴾ إذا سافرتُم في البلاد فليس عليكم جُنَاحٌ أَنْ تَخْفُوا فِيهَا، بَأَنْ تُجْعَلَ الرَّبَاعِيَّةُ ثَنَائِيَّةً. استدلال الجمهور بها على قصر الصلاة في السفر. قال عمر بن الخطاب: سألتُ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن ذلك، فقال: «صَدَقَةٌ تَصَدَّقُ اللَّهُ بِهَا عَلَيْكُمْ فَاقْبَلُوهَا صَدَقَةً» رواه مسلم. ﴿إِنْ خِفْتُمْ أَنْ يَفْتِنَكُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ إِنْ الصَّلَاةُ إِذَا ضَلَّيْتُمْ رَكَعَتَيْنِ فِي السَّفَرِ فَهِيَ تَمَامُ التَّقْصِيرِ، لَا يَجِلُّ إِلَّا أَنْ يَخَافَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ يَفْتِنُوهُ عَنِ الصَّلَاةِ؛ فَالتَّقْصِيرُ رَكَعَةً.

١٠٢: عن سماك قال سألت ابن عباس عن صلاة المخافة فقال: يصلي الإمام بطائفة ركعة، ثم يجيء هؤلاء إلى مكان هؤلاء، وهؤلاء إلى مكان هؤلاء فيصلي بهم ركعة، فيكون للإمام ركعتان ولكل طائفة ركعة ركعة. وصلاة الخوف أنواع كثيرة؛ فإن العدو تارة يكون تجاه القبلة، وتارة يكون في غير صوابها، والصلاة تكون رباعية، وتارة تكون ثلاثية كالمغرب، وثلاثية كالصبح، ثم تارة يصلون جماعة، وتارة يلتحم الحرب فلا يقدر على الجماعة، بل يصلون فرادى مُستقبلي القبلة وغير مستقبلها، ورجحاً وأركباً، ولهم أن يمishوا والحالة هذه ويضربوا الضرب المتتابع في الصلاة. ومن العلماء من قال: يصلون والحالة هذه ركعة واحدة؛ لحديث ابن عباس المتقدم. وبه قال أحمد بن حنبل، وروى عن يزيد الفقير عن جابر أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم صلى بهم صلاة الخوف، فقام صف بين يديه، وصف خلفه، فصلى بالذين خلفه ركعة وسجدين، ثم تقدم هؤلاء حتى قاموا في مقام أصحابهم، وجاء أولئك حتى قاموا في مقام هؤلاء فصلى بهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ركعة وسجدين، ثم سلم؛ فكانت للنبي صلى الله عليه وآله وسلم ركعتين ولهم ركعة. ولهذا الحديث طرق، وهو في صحيح مسلم من وجه آخر. ﴿ولا جناح عليكم إن كان بكم أذى من مطر أو كنتم مرضى أن تضعوا أسلحتكم وتحذوا جذركم﴾ بحيث تكونون على أهبة إذا احتجتم

وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ فَلَنْفُحَ طَائِفَةٌ مِّنْهُمْ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا بِأَسْلِحَتِهِمْ فِإِذَا سَجَدُوا فَلْيَكُونُوا مِن وَّرَائِكُمْ وَلَتَأْتِ طَائِفَةٌ أُخْرَىٰ لَمْ يُصَلُّوا فَلْيُصَلُّوا مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ وَذَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُمْ مَيْلَةً وَاحِدَةً وَلَا جَنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن كَانَ بِكُمْ أَذًى مِّن مَّطَرٍ أَوْ كُنْتُمْ مَّرْضَىٰ أَن تَضَعُوا أَسْلِحَتَكُمْ وَخُذُوا حِذْرَكُمْ إِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿١٠٢﴾ فِإِذَا قَضَيْتُمُ الصَّلَاةَ فَادْكُرُوا اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ فِإِذَا أَطْمَأْنَنْتُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَّوْقُوتًا ﴿١٠٣﴾ وَلَا تَهِنُوا فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ إِن تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٠٤﴾ إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَبْنَاكَ اللَّهُ وَلَا تُكِنُّ لِلْحَافِينَ خَصِيمًا ﴿١٠٥﴾

إليها لبستموها بلا كلفة ﴿إِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا﴾ ١٠٣: ﴿فِإِذَا قَضَيْتُمُ الصَّلَاةَ فَادْكُرُوا اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ﴾ في سائر أحوالكم. يأمر الله تعالى بكثرة الذكر عقب صلاة الخوف، وإن كان مشروعاً مرغوباً فيه أيضاً بعد غيرها ولكن هاهنا أكد لما وقع فيها من التخفيف في أركانها. ﴿فِإِذَا أَطْمَأْنَنْتُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾ فإذا ذهب الخوف وحصلت الطمأنينة فأتوها وأقيموها بحدودها وجميع شؤونها، وإن الصلاة كانت على المؤمنين كتاباً موقوتاً ﴿فرضاً موقوتاً﴾، كلما مضى وقت جاء وقت ١٠٤: ﴿وَلَا تَهِنُوا فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ﴾ لا تضعفوا في طلب عدوكم، بل جئوا فيهم وقابلوهم، ﴿إِن تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ﴾ كما يصيبكم الجراح والقتل كذلك يحصل لهم كما قال تعالى: ﴿وإن يبسسكم فرح فقد مس القوم فرح مثله﴾. ثم قال تعالى: ﴿وترجون من الله ما لا يرجون﴾ فأنتم ترجون من الله المثوبة والنصر والتأييد، وهم لا يرجون شيئاً من ذلك، فأنتم أولى بالجهاد منهم وأشد رغبة فيه. ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ فيما يقدره ويقضيه ويُمضيه ١٠٥: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ﴾ هو حق من الله، وهو يتضمن الحق في خبره وطلبه، ﴿لتحکم بين الناس بما أراك الله﴾ [هذه الآية تشریف للنبي صلى الله عليه وآله وسلم وتكریم وتعظيم وتقويض إليه. وقوله تعالى: ﴿بما أراك الله﴾ معناه: على قوانين الشرع؛ إما بوحى أو بنظر على سنن الوحي. ﴿وَلَا تُكِنُّ لِلْحَافِينَ خَصِيمًا﴾ نبى الله عز وجل رسوله صلى الله عليه وآله وسلم عن عَصْدِ أهل التهم والدفاع عنهم. وفي هذا دليل على أن النياية عن المبطل في الخصومة لا تجوز. والخطاب للنبي صلى الله عليه وآله وسلم والمراد منه الذين كانوا يفعلونه من المسلمين].

الآية ١٠٢: هذه صلاة الحرب، ولعظم شأن الصلاة عند الله لم يسقطها عن المجاهدين في سبيله؟! فكيف بمن يتركها في أيام رخائه!!! ولذلك قال رسول الله ﷺ: «لا تترك صلاة مكتوبة متعمداً، فمن تركها متعمداً فقد بُرئت منه الذمّة»، أي: خرج من المسلمين وتعد عن الإسلام. رواه البيهقي. وقال ﷺ: «بين الكفر والإيمان ترك الصلاة»، رواه الترمذي =

١٠٦: ﴿وَاسْتَغْفِرِ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ [المعنى: استغفر الله للمذنبين من أمتك والمتخاصمين بالباطل] ١٠٧: ﴿وَلَا تَجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا أَنفُسًا﴾ نزلت في سارق بني أيرق، وكان رجلاً منافقاً [دافع عنه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم] ونزل قوله تعالى: ﴿وَلَا تَكُنِ لِلْخَائِثِينَ خَصِيماً﴾ بني أيرق ﴿وَلَا تَجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُمْ﴾ إلى قوله: ﴿يَجِدِ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ لو استغفروا الله لغفر لهم ١٠٨: ﴿يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ﴾ هذا إنكارٌ على المنافقين في كونهم يستخفون بقبائحهم من الناس لئلا يُذكروا عليهم، ويجهرون بالله بها لأنه مطلع على سررائهم وعالم بما في ضمائرهم، ولهذا قال: ﴿وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّنُ مَا لَا يَرَى مِنَ الْقَوْلِ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا﴾ وهذا تهديد لهم ووعد. ثم قال تعالى: ١٠٩: ﴿هَآئِنْتُمْ هَآئِنًا جَادِلْتُمْ عَنْهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ هب أن هؤلاء انتصروا في الدنيا بما أبدوه عند الحكام الذين يحكمون بالظاهر، فماذا يكون صنيعهم يوم القيامة بين يدي الله تعالى؟ ولهذا قال تعالى: ﴿أَمْ مَن يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا﴾؟ ولهذا قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «إنكم تختصمون إليّ وإنما أنا بشر، ولعلّ بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض، وإنما أفضي بينكم على نحو ما أسمع، فمن قضيت له من حق أخيه شيئاً فلا يأخذه

وَاسْتَغْفِرِ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿١٠٦﴾ وَلَا تَجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا أَنفُسًا ﴿١٠٧﴾ يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّنُ مَا لَا يَرَى مِنَ الْقَوْلِ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا ﴿١٠٨﴾ هَآئِنْتُمْ هَآئِنًا جَادِلْتُمْ عَنْهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَمَن يُجَادِلِ اللَّهُ عَنْهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَمْ مَن يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا ﴿١٠٩﴾ وَمَن يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهُ يَجِدِ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿١١٠﴾ وَمَن يَكْسِبْ إِثْمًا فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُ عَلَى نَفْسِهِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١١١﴾ وَمَن يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيئًا فَقَدِ احْتَمَلَ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿١١٢﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ لَهَمَّتْ طَائِفَةٌ مِّنْهُمَآنَ يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِن شَيْءٍ وَأَنزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴿١١٣﴾

فإنما أقطع له قطعة من النار يأتي بها انتظاماً في عنة يوم القيامة» رواه أحمد ١١٠: يخبر تعالى عن كرمه وجوده أن كل من تاب إليه تاب عليه من أي ذنب كان فقال تعالى: ﴿وَمَن يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهُ يَجِدِ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾. روى أحمد أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: «ما من مسلم يُذنب ذنباً، ثم يُصلي ركعتين، ثم يستغفرُ الله لذلك الذنب إلا غفر الله له» ١١١: ﴿وَمَن يَكْسِبْ إِثْمًا فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُ عَلَى نَفْسِهِ﴾ لا يُعني أحدٌ عن أحد، وإنما على كل نفس ما عملت لا يُحمل عنها لغيرها، ولهذا قال تعالى: ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ من علمه وحكمته وعدله ورحمته كان ذلك. ثم قال تعالى: ١١٢: ﴿وَمَن يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيئًا فَقَدِ احْتَمَلَ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾ كما أنهم بنو أيرق بصنيعهم القبيح [بإتمامهم] الرجل الصالح [من الأنصار بالسرقه] وقد كان بريئاً وهم الظلمة الخونة كما أطلع الله على ذلك رسوله صلى الله عليه وآله وسلم، ثم هذا التقرير والتوبيخ عامٌ فيهم وفي غيرهم ومن اتصف بصفتهم ١١٣: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ لَهَمَّتْ طَائِفَةٌ مِّنْهُمْ﴾ الذين أتوا على بني أيرق ﴿أَن يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِن شَيْءٍ﴾ امتن الله عليه بتأييده إياه في جميع الأحوال وعصمته له، ﴿وَأَنزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ﴾ وهو القرآن ﴿وَالْحِكْمَةَ﴾ وهي السنة ﴿وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ﴾ قبل نزول ذلك عليك ﴿وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾.

١١٤: ﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ﴾

الْبَيْتِ الْمَعْنَى

سُورَةُ النَّازِعَاتِ

كلام الناس ﴿إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ﴾، قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «كلام ابن آدم كله عليه لا له إلا ذكر الله عز وجل، أو أمر بمعروف، أو نهي عن منكر». ﴿وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ﴾ مخلصاً محسباً ثواب ذلك عند الله عز وجل ﴿فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ ثواباً جزيلاً كثيراً واسعاً ١١٥: ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ طَرِيقِ الشَّرِيعَةِ الَّتِي جَاءَ بِهَا الرَّسُولُ صُلَى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ﴿نُؤَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصَلِّهِ﴾ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾﴾ إذا سلك هذه الطريق جازيناه على ذلك بأن نحسنها في صدره ونزينها له استدراجاً، ونجعل مصيره في الآخرة النار ١١٦: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ أخبر تعالى أنه لا يغفر لعبده لقيه وهو مشرك به، ويغفر ما دون ذلك، أي: من الذنوب لمن يشاء من عباده، ﴿وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا﴾ كتوبه تعالى: ﴿إِنَّ الشَّرْكَ لظَلْمٌ عَظِيمٌ﴾ وفي الصحيحين أن ابن مسعود قال: يا رسول الله أي الذنب أعظم؟ قال: «أن تجعل لله نداً وهو خلقك» ﴿وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ فقد سلك غير الطريق الحق وأهلك نفسه وخسرهما في الدنيا والآخرة ١١٧: ﴿إِنْ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا إِنَانَا﴾ قال المشركون للملائكة: بنات الله،

﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ﴾ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١١٤﴾ وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ طَرِيقِ الشَّرِيعَةِ الَّتِي جَاءَ بِهَا الرَّسُولُ صُلَى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ﴿نُؤَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصَلِّهِ﴾ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ ﴿١١٦﴾ إِنْ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا إِنْتَانَا وَإِنْ يَدْعُونَ إِلَّا الشَّيْطَانَ مَرِيدًا ﴿١١٧﴾ لَعَنَهُ اللَّهُ وَقَالَ لَا يُخَدَّنُ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَفْرُوضًا ﴿١١٨﴾ وَلَا ضَلَّتْهُمْ وَلَا مُنِيْتَهُمْ وَلَا مَرْنَهُمْ فَلْيُبْتِئْ كُنْءَ إِذَانِ الْأَنْعَامِ وَلَا مَرْتَهُمْ فَلْيَغْرِتْ خَلْقَ اللَّهِ وَمَنْ يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِّنْ دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا ﴿١١٩﴾ يَعْذِبُهُمْ وَيَمْنِيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢٠﴾ أُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَلَا يَجِدُونَ عَنْهَا مَحِيصًا ﴿١٢١﴾

٩٧

وإنما نعبدهم ليقربونا إلى الله زلفى؛ فاتخذوهن أرباباً وصوروهن جوارى، وقالوا: هؤلاء يشبهن بنات الله الذي نعبد، يعنون الملائكة، ﴿وإن يدعون إلا شيطانا مريدا﴾ هو الذي أمرهم بذلك وحسنه وزينه لهم، وهم إنما يعبدون إبليس في نفس الأمر ١١٨: ﴿لَعَنَهُ اللَّهُ﴾ طرده وأبعده من رحمة وأخرجه من جواره، ﴿وقال لا تخذن من عبادك نصيباً مفروضاً﴾ معينا مقدرأ معلوماً ١١٩: ﴿ولأضلتهم﴾ عن الحق ﴿ولأمنيتهم﴾ أزين لهم ترك التوبة وأعدهم الأمانى ﴿ولأمرتهم فليبتكن أذان الأنعام﴾ تشقيها وجعلها سمة وعلامة للبحيرة والسائبة والوصيلة [وهذه أصناف ابتدعها هم الشيطان] ﴿ولأمرتهم فليغترن خلق الله﴾ بالخصي، والوشم، ﴿ومن يتخذ الشيطان وليا من دون الله فقد خسر خسرانا مبينا﴾ خسر الدنيا والآخرة، وتلك خسارة لا جبر لها ولا استدراك لقاتيها. ١٢٠: ﴿يعذبهم ويمنيتهم وما يعذبهم الشيطان إلا غرورا﴾ هذا إخبار عن الواقع فإن الشيطان يعد أوليائه ويمنيتهم بأنهم هم الفائزون في الدنيا والآخرة، وقد كذب وافتري في ذلك، كما أخبر تعالى عن إبليس يوم المعاد: ﴿وقال الشيطان لما قضي الأمر إن الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فأخلفتكم، وما كان لي عليكم من سلطان﴾ ١٢١: ﴿أولئك المستحسنون له فيما وعدهم ومآهم ﴿مأواهم جهنم﴾ مصيرهم وما لهم يوم القيامة ﴿ولا يجدون عنها محيصا﴾ ليس لهم عنها مصرف ولا خلاص.

الآية ١١٤: روى الإمام أحمد قال رسول الله ﷺ: «ألا أخبركم بأفضل من درجة الصيام - أي: الفل - والصلاة والصدقة؟ قالوا: بل يارسول الله، قال: «إصلاح ذات البين»، قال: «وفساد ذات البين هي الحالقة، لأقول تخلق الشعر، وإنما تخلق الدين»، ورواه الترمذي وقال: صحيح. / تفسير ابن كثير ج ١/٥٥٤.

الآية ١١٩: وفي الصحيح: عن ابن مسعود أنه قال: «لعن الله الواشمات والمستوشمات، والنامصات والتنمصات، والمنفلجات للحسن المغيرات خلق الله عز وجل». تفسير ابن كثير ج ١/٥٥٦.

وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ
 جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَعَدَّ
 اللَّهُ حَقًّا وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا ﴿١٢٢﴾ لَيْسَ بِأَمَانِيكُمْ
 وَلَا أَمَانِي أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ
 وَلَا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ
 يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ
 فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا ﴿١٢٤﴾ وَمَنْ
 أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ
 مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ حَلِيلًا ﴿١٢٥﴾ وَلِلَّهِ مَا
 فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ
 مُّحِيطًا ﴿١٢٦﴾ وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ
 فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ فِي تِلْمِذِ النِّسَاءِ
 الَّتِي لَا تُؤْتُونَهُنَّ مَا كُنَّ لِهِنَّ وَتَرْتَبُونَ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ
 وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الْوُلْدَانِ وَأَنْ تَقُومُوا لِلْيَتَامَىٰ
 بِالْقِسْطِ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِهِ عَلِيمًا ﴿١٢٧﴾

﴿١٢٢﴾: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾
 صدقت قلوبهم وعملت جوارحهم بما أمروا
 به؛ ﴿سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا
 الْأَنْهَارُ﴾ يُصْرَفُونَهَا حَيْثُ شَاءُوا وَأَيْنَ شَاءُوا
 ﴿خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾ بلا زوال ولا انتقال
 ﴿وَعَدَّ اللَّهُ حَقًّا﴾ أنه واقع لا محالة ﴿وَمَنْ
 أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا﴾؟ لا أحد أصدق من
 الله قولاً، أي خيراً لا ربَّ سواه ١٢٣:
 ﴿لَيْسَ بِأَمَانِيكُمْ وَلَا أَمَانِي أَهْلِ الْكِتَابِ﴾
 افتخر المسلمون وأهل الكتاب فقال أهل
 الكتاب: نبينا قبل نبيكم وكتابنا قبل
 كتابكم، وقال المسلمون: نحن أولى
 بالله منكم؛ نبينا خاتم النبيين وكتابنا يقضي
 على كتابكم، فأنزل الله هذه الآية. ثم أفلح
 الله حُجَّةَ المسلمين فقال سبحانه: ﴿وَمَنْ
 أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ
 مُحْسِنٌ﴾. ﴿مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ﴾ في
 الدنيا والآخرة، إلا أن يتوب فيتوب الله عليه.
 ﴿وَلَا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾
 وهذا للكافر ١٢٤: ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ
 الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾، لما
 ذكر سبحانه الجزاء على السيئات، شرع في
 بيان إحسانه وكرمه ورحمته في قبول الأعمال
 الصالحة من عباده، وأنه تعالى سيدخلهم
 الجنة ولا يظلمهم من حسناتهم مقدار النقيز؛
 وهو النقرة التي في ظهر نواة التمر؛ ﴿فَأُولَٰئِكَ
 يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا﴾ ١٢٥:
 ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ﴾
 أخلص العمل لربه عزَّ وجلَّ فعمل إيماناً

واحتراباً ﴿وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾ اتبع في عمله ما شرعه الله له، وهذان الشرطان لا يصلح العمل إلا بهما: أن يكون العمل خالصاً لله، وأن يكون متابعاً
 للشرعية. ﴿وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا﴾ وهم محمد صلى الله عليه وآله وسلم وأتباعه إلى يوم القيامة. والحنيف: هو المائل عن الشرك، المقبل على الحق
 لا يصدؤه عنه صائدٌ. ﴿وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ حَلِيلًا﴾ الحلة: هي أرفع مقامات المحبة. وهذا من باب الترغيب في اتباعه؛ لأنه إمام يقتدى به ١٢٦:
 ﴿وَاللَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ الجميع ملكه وعبده وخلقته ﴿وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطًا﴾ لا يخفى عليه خافية من عباده، ولا يعزب
 عن علمه مقال ذرة في السموات ولا في الأرض ١٢٧: ﴿وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ فِي تِلْمِذِ
 النِّسَاءِ الَّتِي لَا تُؤْتُونَهُنَّ مَا كُنَّ لِهِنَّ وَتَرْتَبُونَ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ﴾؛ كان الرجل في الجاهلية تكون عنده اليتيمة فيلقى عليها ثوبه، فإذا فعل ذلك
 فلم يقدر أحدٌ أن يتزوجها، وإن كانت جميلة وهويها تزوجها وأكل مالها، وإن كانت دميمة منعها الرجال أبداً حتى تموت، فإذا ماتت ورثها؛
 فحرم الله ذلك ونهى عنه. ﴿وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الْوُلْدَانِ﴾ كانوا في الجاهلية لا يورثون الصغار ولا البنات، وذلك قوله: ﴿لَا تُؤْتُونَهُنَّ مَا كُنَّ لِهِنَّ﴾
 ﴿وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الْوُلْدَانِ﴾ صغيراً أو كبيراً. ﴿وَأَنْ تَقُومُوا لِلْيَتَامَىٰ بِالْقِسْطِ﴾ [أي: بالعدل] ﴿وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِهِ عَلِيمًا﴾ هذا تهيب على فعل الخيرات، فإن الله عزَّ وجلَّ عالم بجميع ذلك وسيجزى عليه أوفر الجزاء.

١٢٨: ﴿وَإِن أَمْرًا خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُورًا
إَوْ إِعْرَاضًا﴾ إذا خافت المرأة من زوجها أن
ينفر عنها أو يعرض عنها ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا
أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا﴾؛ فلها أن تسقط
عنه حقها أو بعضه من نفقة، أو غير ذلك من
حقوقها عليه [على أن لا يطلقها]،
﴿وَالصُّلْحُ خَيْرٌ﴾ مِنَ الْفِرَاقِ. ﴿وَأُحْضِرَتِ
الْأَنْفُسُ الشُّحَّ﴾ الصُّلْحُ عند المشاحنة خيرٌ
مِن الْفِرَاقِ. ﴿وَإِنْ تَحْسَبُوا وَتَقُوا فَإِنَّ اللَّهَ
كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾، وَإِنْ تَجَشَّمُوا
مَشَقَّةَ الصَّبْرِ عَلَى مَا تَكْرَهُونَ مِنْهُنَّ وَتَقْسِمُوا
لَهُنَّ أَسْوَأَ أَهْوَاهُنَّ؛ فَإِنَّ اللَّهَ عَالِمٌ بِذَلِكَ
وَيَسْجِزِيكُمْ عَلَى ذَلِكَ أَوْفَرَ الْجِزَاءِ ١٢٩:
﴿وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ
حَرَصْتُمْ﴾ لَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تُسَاوُوا بَيْنَ النِّسَاءِ
مِنْ جَمِيعِ الْوُجُوهِ، فَإِنَّهُ وَإِنْ وَقَعَ الْقِسْمُ
الصُّورِي لَيْلَةً وَلَيْلَةً فَلَا بَدَّ مِنَ التَّفَاوُتِ فِي
الْحُبِّ وَالشَّهْوَةِ وَالْجَمَاعِ. وَهَذَا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ يَقْسِمُ بَيْنَ نِسَائِهِ،
فِيَعْدِلُ، ثُمَّ يَقُولُ «اللَّهُمَّ هَذَا قَسَمِي فِيمَا أَمْلِكُ
فَلَا تَلْمِني فِيمَا تَمْلِكُ وَلَا أَمْلِكُ». ﴿فَلَا تَقْبَلُوا
كُلَّ الْمِيلِ﴾ إِذَا مَلْتُمْ إِلَى وَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ فَلَا
تُبَالِغُوا فِي الْمِيلِ بِالْكَلِيَّةِ ﴿فَضَرُّوْهَا كَالْمُعَلَّقَةِ﴾
لَا ذَاتَ زَوْجٍ وَلَا مُطْلَقَةٍ ﴿وَإِنْ تَصَلِحُوا
وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ إِنْ
أَصْلَحْتُمْ فِيمَا تَمْلِكُونَ غَفَرَ اللَّهُ لَكُمْ مَا كَانَ مِنْ
مِيلٍ إِلَى بَعْضِ النِّسَاءِ دُونَ بَعْضٍ ١٣٠:
﴿وَإِنْ يَتَفَرَّقَا يُغْنِ اللَّهُ كِلَا مِنْ سَعْتِهِ وَكَانَ
اللَّهُ وَاسِعًا حَكِيمًا﴾؛ أُخْبِرَ تَعَالَى أَنَّهُمَا إِذَا

وَإِن أَمْرًا خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُورًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ
عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ وَأُحْضِرَتِ
الْأَنْفُسُ الشُّحَّ وَإِنْ تُحْسِنُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ
بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١٢٨﴾ وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا
بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمِيلِ
فَتَدْرُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ وَإِنْ تُصْلِحُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ
كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿١٢٩﴾ وَإِنْ يَنْفَرَا يُغْنِ اللَّهُ كِلَا
مِنْ سَعْتِهِ وَكَانَ اللَّهُ وَاسِعًا حَكِيمًا ﴿١٣٠﴾ وَاللَّهُ مَكْفِي
السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ
مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنْ اتَّقُوا اللَّهَ وَإِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ
مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ غَنِيًّا حَمِيدًا ﴿١٣١﴾
وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴿١٣٢﴾
إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ وَيَأْتِ بِآخَرِينَ وَكَانَ
اللَّهُ عَلَى ذَلِكَ قَدِيرًا ﴿١٣٣﴾ مَنْ كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ الدُّنْيَا فَعِنْدَ
اللَّهِ ثَوَابُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴿١٣٤﴾

تَفَرَّقَا فَإِنَّ اللَّهَ يُغْنِيهَا عَنْهَا وَيُغْنِيهَا عَنْهُ بِأَنْ يَعْضُوهَا اللَّهُ مِنْ هِيَ خَيْرٌ لَهَا مِنْهَا، وَيُغْنِيهَا عَنْهُ بِمَنْ هِيَ خَيْرٌ لَهَا مِنْهُ، وَاللَّهُ وَاسِعُ الْفَضْلِ عَظِيمُ الْمَنْ، حَكِيمٌ فِي
جَمِيعِ أَعْمَالِهِ وَأَقْدَارِهِ وَشَرَعَهُ ١٣١: ﴿وَاللَّهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ وَهُوَ الْحَاكِمُ فِيهِمَا وَهَذَا قَالَ: ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ
قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ﴾ وَصَّيْنَاكُمْ بِمَا وَصَّيْنَاكُمْ بِهِ مِنْ تَقْوَى اللَّهِ وَعِبَادَتِهِ وَحَدِّ لَشْرِيكَ، ثُمَّ قَالَ: ﴿وَإِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ
وَكَانَ اللَّهُ غَنِيًّا﴾ عَنْ عِبَادِهِ ﴿حَمِيدًا﴾ مَحْمُودٌ فِي جَمِيعِ مَا يُقَدَّرُهُ وَيُشْرَعُهُ ١٣٢: ﴿وَاللَّهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾ هُوَ
الْقَائِمُ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ الرَّقِيبِ الشَّهِيدِ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ ﴿وَإِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ وَيَأْتِ بِآخَرِينَ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى ذَلِكَ قَدِيرًا﴾ هُوَ قَادِرٌ
عَلَى إِذْهَابِكُمْ وَتَبْدِيلِكُمْ بِغَيْرِكُمْ إِذَا عَصَيْتُمُوهُ، كَمَا قَالَ: ﴿وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبَدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالِكُمْ﴾، وَمَا أَهْوَنَ الْعِبَادَةَ عَلَى اللَّهِ إِذَا
أَضَاعُوا أَمْرَهُ. ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلَى ذَلِكَ قَدِيرًا﴾ ١٣٤: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ الدُّنْيَا﴾ يَا مَنْ لَيْسَ هَمُّهُ إِلَّا الدُّنْيَا عَلِمَ أَنَّ عِنْدَ اللَّهِ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ
﴿فَعِنْدَ اللَّهِ ثَوَابُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾ إِذَا سَأَلْتَهُ مِنْ هَذِهِ وَهَذِهِ أَعْطَاكَ وَأَغْنَاكَ وَأَغْنَاكَ ﴿وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الَّذِي قَسَمَ السَّعَادَةَ
وَالشَّقَاوَةَ بَيْنَ النَّاسِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَعَدَلَ بَيْنَهُمْ فِيمَا عَلِمَهُ فِيهِمْ وَمَنْ يَسْتَحِقُّ هَذَا وَيَمُنُّ بِسْتَحِقُّ هَذَا.

١٣٥: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ﴾ بالعدل، لا يصرّفهم عنه صارف ﴿شهداء لله﴾ كما قال: ﴿وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ﴾ أدوها ابتغاء وجه الله ﴿ولو على أنفسكم﴾ أشهد الحق ولو عاد ضررها عليك؛ فإن الله سيجعل لمن أطاعه فرجاً ومخرجاً من كل أمر يضيق عليه ﴿أو الوالدين والأقربين﴾ وإن كانت الشهادة على والديك وقربانك فلا تراهم فيها بل أشهد بالحق، فإن الحق حاكم على كل أحد ﴿إن يكن غنياً أو فقيراً فالله أولى بهما﴾ لا تراعه لغناه ولا تشفق عليه لفقيره، والله يتولّاهما بل هو أولى بهما منك وأعلم بما فيه صلاحهما، ﴿فلا تتبعوا الهوى أن تعدلوا﴾ فلا يحملنكم الهوى وبغض الناس على ترك العدل ﴿وإن تولّوا أو تعرضوا﴾ تلووا: تحرّفوا الشهادة، والإعراض: كتمان الشهادة ﴿فإن الله كان بما تعملون خبيراً﴾ وسيجازيكم بذلك ١٣٦: يأمر تعالى عباده المؤمنين بالدخول في جميع شرائع الإيمان وشعبه وأركانه، وليس هذا من باب تحصيل الحاصل بل من باب تكميل الكامل وتقديره وتبنيه والاستمرار عليه. ﴿والكتاب الذي نزل على رسوله﴾ القرآن ﴿والكتاب الذي أنزل من قبل﴾ وهذا جنس يشمل جميع الكتب المتقدمة. ثم قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ فقد خرج عن طريق الهداية وتعدّد عن القصد كلّ التّعدّد ١٣٧: ﴿إن الذين آمنوا ثم كفروا ثم آمنوا ثم كفروا

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدِينَ وَالْأَقْرَبِينَ إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أَنْ تَعْدِلُوا وَإِنْ تَلَّوْا أَوْ تُعْرَضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ (١٣٥) ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَمْ نُوِّدُ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلْنَا مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ (١٣٦) ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ أزدادوا كفراً لَمْ يَكُنْ اللَّهُ لِيُغْفِرْ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلًا﴾ (١٣٧) ﴿بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ (١٣٨) ﴿الَّذِينَ يَتَخَذُونَ الْكٰفِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَلِيَبْتِغُونَ عِنْدَهُمُ الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ (١٣٩) ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتَ اللَّهِ يَكْفُرُ بِهَا وَيُسْتَهْزِئُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذًا مِثْلَهُمْ﴾ (١٤٠) ﴿إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا﴾ (١٤٠)

ثم أزدادوا كفراً﴾ يُخبر تعالى عمّن دخل في الإيمان ثم رجع عنه ثم عاد فيه ثم رجع ومات على ضلاله، ﴿لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم سبيلاً﴾ لا يجعل الله لهم مخرجاً ولا فرجاً ولا طريقاً إلى الهدى ١٣٨: ﴿بشّر المنافقين﴾ الذين هذه الصفة صفتهم ﴿بأنّ لهم عذاباً أليماً﴾ ١٣٩: ﴿الذين يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين﴾ فهم في الحقيقة معهم يقولون لهم إذا خلوا بهم: نحن معكم إنّما نحن مستهزؤون. ﴿أليتبغون عندهم العزّة فإن العزّة لله جميعاً﴾ أبحر سبحانه بأن العزّة كلها له وحده لا شريك له، ولمن جعلها له كما قال تعالى: ﴿والله العزّة ورسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين لا يعلمون﴾، والمقصود من هذا التبيح على طلب العزّة من جناب الله والإقبال على عبديته ١٤٠: ﴿وقد نزل عليكم في الكتاب أن إذا سمعتم آيات الله يكفروا بها ويستهزئوا بها فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره﴾ [كان المنافقون يجلسون فيسخرّون من القرآن]، ﴿فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره﴾ إنكم إذا ارتكبتم النبي بعد وصوله إليكم ورضيتم بالجلوس معهم في المكان الذي يكفر فيه بآيات الله، فقد شاركتموه في هذا الذي هم فيه، فلذا قال تعالى: ﴿إنكم إذا مثلهم﴾ في المأثم، كما جاء في الحديث: ﴿من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يجلس على مائدة يدار عليها الخمر﴾. ﴿إن الله جامع المنافقين والكافرين في جهنم جميعاً﴾ كما أشركوهم في الكفر كذلك يُشارك الله بينهم في الخلود في نار جهنم بينهم في الحميم أبداً.

١٤١: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَكُمْ﴾ الذين يتبعونكم ﴿يُخْبِرُ تَعَالَى﴾ عن المنافقين أنهم ينتظرون زوال دولة المؤمنين، وظهور الكفرة عليهم ﴿فَإِنْ كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِنَ اللَّهِ﴾ نصرٌ وتأييدٌ وظفرٌ وغنيمة ﴿قَالُوا أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ﴾؟ يتوَدَّدُونَ إلى المؤمنين بهذه المقالة، ﴿وَإِنْ كَانَ لِلْكَافِرِينَ نَصِيبٌ﴾ إدالة على المؤمنين كما وقع يوم أُحد ﴿قَالُوا أَلَمْ نَسْتَحِذْكُمْ عَلَيْهِمْ﴾؟ ساعدناكم في الباطن حتى انتصرت عليهم ﴿وَمَنْعَكُمْ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾؟! ﴿فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ بما يعلمه منكم أيها المنافقون. ﴿وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا﴾ حجة، وسبيلًا في الدنيا بأن يُسَلِّطُوا عليهم استيلاء استتصال بالكلية وإن حصل لهم ظفر في بعض الأحيان؛ فإن العقاب للمتقين في الدنيا والآخرة ١٤٢: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ﴾ إن الله لا يُخَادِعُ، ولكن المنافقين لهمه لهم عقلمهم يعتقدون أن أمرهم كما راج عند الناس، فكذا يكون حكمهم عند الله، كما أخبر تعالى عنهم أنهم يخلفون له يوم القيامة ﴿يَوْمَ يِعْتَمِدُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيُحْلِفُونَ لَهُ﴾ كما يخلفون لكم ﴿وَهُوَ خَادِعُهُمْ﴾ هو الذي يستدرجهم في طغيانهم في الدنيا [وفي الآخرة ينتقم منهم] وفي الحديث: «إن الله يأمر بالعدل إلى الجنة فيما يبدو للناس، ويُعدل به إلى النار». ﴿وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالًا﴾ هذه صفة المنافقين؛ أنهم لا يَبْتَهِمُ لهم فيها ولا إيمان لهم بها، ثم ذكر تعالى صفة بواطنهم الفاسدة:

الَّذِينَ يَتَّبِعُونَكُمْ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِنَ اللَّهِ قَالُوا أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ وَإِنْ كَانَ لِلْكَافِرِينَ نَصِيبٌ قَالُوا أَلَمْ نَسْتَحِذْكُمْ عَلَيْهِمْ وَنَمْنَعُكُمْ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا ﴿١٤١﴾
 إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالًا يُرَأُّونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٤٢﴾ مُدْبِدِينَ بَيْنَ بَيْنَ ذَلِكَ لَا إِلَى هَؤُلَاءِ وَلَا إِلَى هَؤُلَاءِ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا ﴿١٤٣﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَانْتَحِذُوا الْكَافِرِينَ أُولِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَتُرِيدُونَ أَنْ تَجْعَلُوا لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا مُبِينًا ﴿١٤٤﴾ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴿١٤٥﴾
 إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُولَئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ وَسَوْفَ يُؤْتِ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٤٦﴾ مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَدَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَءَامَنْتُمْ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا ﴿١٤٧﴾

﴿يُرَأُّونَ النَّاسَ﴾ لا إخلاص لهم ولا معاملة مع الله ﴿وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ في صلاتهم لا يحشعون ولا يدرون ما يقولون ١٤٣: ﴿مُدْبِدِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لَا إِلَى هَؤُلَاءِ وَلَا إِلَى هَؤُلَاءِ﴾ المنافقين محيرين بين الإيمان والكفر؛ ظواهرهم مع المؤمنين وبواطنهم مع الكافرين ﴿وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا﴾ ومن صرفه عن طريق الهدى فلا هادي له ١٤٤: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَانْتَحِذُوا الْكَافِرِينَ أُولِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ بنى الله المؤمنين عن مصاحبتهم ومصادقتهم وإسرار المودة إليهم ﴿أَتُرِيدُونَ أَنْ تَجْعَلُوا اللَّهُ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا مُبِينًا﴾؟! حجة عليكم في عقوبته إياكم ١٤٥: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ﴾ يوم القيامة جزاء على كفرهم الغليظ ﴿وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا﴾ ينقذهم مما هم فيه من ألم العذاب ١٤٦: ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ﴾ بدلوا الرياء بالإخلاص ﴿فَأُولَئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ وَسَوْفَ يُؤْتِ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾. ثم أخبر تعالى عن غناه عما سواه، وأنه إنما يُعَذِّبُ العباد بذنوبهم فقال تعالى: ١٤٧: ﴿مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَدَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَءَامَنْتُمْ﴾؟! أصلحتم العمل وآمنت بالله ورسوله ﴿وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا﴾ من شكر شكر له، ومن آمن قلبه به علمه وجزاه على ذلك أوفر الجزاء.

١٤٨: ﴿لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظَلَمَ﴾ لا يحب الله أن يدعو أحد على أحد إلا أن يكون مظلوماً، فإنه قد أرخص له أن يدعو على من ظلمه، وإن صبر فهو خيراً له ﴿وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعاً عَلِيماً﴾ ١٤٩: ﴿إِنْ تَبَدُّوا خَيْراً أَوْ تَخَفُوا أَوْ تَعْفُوا عَنْ سُوءٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا﴾ ١٤٩: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا﴾ ١٥٠: ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَاباً مُهِينًا﴾ ١٥١: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَمْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ أُولَئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أَجْرُهُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ ١٥٢: ﴿يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَنْ تُنزِلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِنَ السَّمَاءِ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَى أَكْبَرَ مِنْ ذَلِكَ فَقَالُوا أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ثُمَّ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ فَعَفَوْنَا عَنْ ذَلِكَ وَإِنَّا لَمُوسَى سُلْطَانًا مُبِينًا﴾ ١٥٣: ﴿وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ الطُّورَ بِمِيثَاقِهِمْ وَقُلْنَا لَهُمْ ادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُلْنَا لَهُمْ لَا تَعْدُوا فِي السَّبْتِ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا﴾ ١٥٤

١٠٢

من الله، وإما بكفرهم به بعد علمهم بنبوته، كأخبار اليهود ١٥٢: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَمْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ﴾ يعني بذلك أمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم فإنهم يؤمنون بكل كتاب أنزله الله وبكل نبي بعثه الله، ثم أخبر تعالى بأنه قد أعد لهم الجزاء الجزيل فقال: ﴿أُولَئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أَجْرُهُمْ﴾ على ما آمنوا بالله ورُسُلِهِ ﴿وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا﴾ لذنوبهم ﴿رَحِيمًا﴾ بهم ١٥٣: ﴿يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَنْ تُنزِلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِنَ السَّمَاءِ﴾ سأل اليهود رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن ينزل عليهم كتاباً من السماء كما نزلت التوراة على موسى مكتوبة ﴿فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَى أَكْبَرَ مِنْ ذَلِكَ فَقَالُوا أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ﴾ بطغيانهم وعتوهم وعنادهم. ﴿ثُمَّ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ﴾ بعد ما رأوا من الآيات الباهرة على يدي موسى عليه السلام ﴿فَعَفَوْنَا عَنْ ذَلِكَ﴾ بعدما جعل الله توبتهم من الذي ابتدعه أن يقتل من لم يعبد العجل منهم من عبده ﴿وَإِنَّا لَمُوسَى سُلْطَانًا مُبِينًا﴾، [أي: حجة بينة، وهي الآيات التي جاء بها] ١٥٤: ﴿وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ الطُّورَ بِمِيثَاقِهِمْ﴾ وذلك حين امتنعوا من الالتزام بأحكام التوراة، رفع الله على رؤوسهم جبلاً، ثم ألزموا فالتزموا خشية أن يسقط عليهم. ﴿وَقُلْنَا لَهُمْ ادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُلْنَا لَهُمْ لَا تَعْدُوا فِي السَّبْتِ﴾ فخالفوا ما أمروا به من القول والفعل ﴿وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا﴾ شديداً، فخالفوا وعصوا وتحيلوا على ارتكاب ما حرم الله عز وجل.

الآية ١٤٨: عن عياض بن جحان قال: قلت يا نبي الله الرجل يشتمني وهو ذوني، أعلي من بأس أن انتصر منه؟ قال: المستبان شيطانان يهاتران ويتكاذبان، رواه ابن حبان في صحيحه. / الترغيب ج ٤٦٧/٣. / ومعنى شيطانان: أي باعثن للشقاق والفسور، وهذا عمل الشيطان.

١٥٥: ﴿فِيمَا نَقَضَهُمْ مِيثَاقَهُمْ وَكَفَرَهُمْ بآيَاتِ اللَّهِ﴾ وهذا من الذنوب التي ارتكبوها ومما أوجب لعنتهم وهو نقضهم الميثاق والمُعْهُود التي أخذت عليهم، وكفرهم بالمعجزات التي شاهدها على يد الأنبياء عليهم السلام ﴿وَقَتْلَهُمُ الْآنِبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ﴾ وذلك لكثرة إجرامهم واجترأهم على أنبياء الله، فإنهم قتلوا جماعاً غيراً من الأنبياء عليهم السلام، ﴿وَقَوْلُهُمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ﴾ في غطاء ﴿بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ تمرت قلوبهم على الكفر والطغيان ١٥٦: ﴿وَيُكْفِرُهُمْ وَقَوْلُهُمْ عَلَى مَرْيَمَ بُهْتَانًا عَظِيمًا﴾ أنهم رموها بالزنا، فليهم لعائن الله المتابعة إلى يوم القيامة ١٥٧: ﴿وَقَوْلُهُمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ﴾ هذا الذي يدعي لنفسه هذا المنصب قتلناه، وهذا منهم من باب التكبر والاستهزاء، ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ﴾ رأوا شبهة فظنوه إياه، ولهذا قال تعالى: ﴿وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُمْ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ﴾ اليهود والنصارى كلهم في شك من ذلك وحيرة وضلال، ولهذا قال تعالى: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا﴾ وما قتلوه متيقنين أنه هو بل شاكين متوهمين ١٥٨: ﴿بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا ذِي جَبَاهٍ﴾ منيع الجباب لا يُرام جنباه ولا يُضام من لاذ بابيه ﴿حَكِيمًا﴾ في جميع ما يُقَدَّرُ ويقضيه ١٥٩: ﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لِيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ﴾ قبل موت عيسى، يُصدِّقون به إذا نزل لقتل الدجال،

فِيمَا نَقَضَهُمْ مِيثَاقَهُمْ وَكَفَرَهُمْ بِآيَاتِ اللَّهِ وَقَتْلَهُمُ الْآنِبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلُهُمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٥٥﴾ وَيُكْفِرُهُمْ وَقَوْلُهُمْ عَلَى مَرْيَمَ بُهْتَانًا عَظِيمًا ﴿١٥٦﴾ وَقَوْلُهُمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُمْ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا ﴿١٥٧﴾ بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٥٨﴾ وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لِيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴿١٥٩﴾ فِظَلْمٍ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَمًا عَلَيْهِمْ طَبِيتِ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا ﴿١٦٠﴾ وَأَخَذَهُمُ الرِّبَا وَقَدِّمُوا عُتْنَهُ وَأَكْلَهُمْ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٦١﴾ لَنْ كُنِ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ وَمَا أَنْزَلَ مِنْ قَبْلِكَ وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالْمُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أُولَئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٦٢﴾

فتصير الملل كلها واحدة، وهي ملة الإسلام، ﴿ويوم القيامة يكون عليهم شهيداً﴾ بأعمالهم التي شاهدها منهم قبل رفعه إلى السماء، وبعد نزوله إلى الأرض ١٦٠: ﴿فِظَلْمٍ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَمًا عَلَيْهِمْ طَبِيتِ أُحِلَّتْ لَهُمْ﴾ يُخبر تعالى أنه بسبب ظلم اليهود بما ارتكبوه من الذنوب العظيمة حرم عليهم طيبات كان أحلها لهم ﴿وبصدهم عن سبيل الله كثيراً﴾ صدوا الناس وصدوا أنفسهم عن اتباع الحق، وهذه سجيته لهم متصفون بها من قديم الزمن، ولهذا كانوا أعداء الرسل ١٦١: ﴿وأخذهم الربا وقد نهوا عنه﴾ إن الله قد نهاهم عن الربا فتناولوه واحتالوا عليه بأنواع الخيل ﴿وأكلهم أموال الناس بالباطل وأعدنا للكافرين منهم عذاباً أليماً﴾. ثم قال تعالى: ١٦٢: ﴿لكن الراسخون في العلم منهم﴾ الثابتون في الدين لهم قدم راسخة في العلم النافع ﴿والمؤمنون﴾ عبد الله بن سلام، وثعلبية بن سعيد، وأسد بن عبيد، الذين دخلوا في الإسلام، وصدقوا بما أرسل الله به محمداً صلى الله عليه وآله وسلم، ﴿والمقيمِينَ الصلاة﴾ هو منصوب على المدح [وهم أمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم] يُؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك، ﴿والمؤتون الزكاة﴾ زكاة أموالهم ﴿والمؤمنون بالله واليوم الآخر﴾ يُصدِّقون بأنه لا إله إلا الله، ويُؤمنون بالبعث بعد الموت والجزاء على الأعمال خيرا وشرها؟ ﴿أولئك﴾ هو الخبر عما تقدم ﴿سنؤتيهم أجراً عظيماً﴾ الجنة.

الآية ١٦٥: وفي الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال: «لا أحد أغبر من الله، من أجل ذلك حرم الفواحش مظهر منها وما يطن... ولا أحد أحب إليه العذر من الله، من أجل ذلك بعث النبيين مبشرين ومُنذرين»، وفي لفظ آخر: «من أجل ذلك أرسل رُسُلَهُ وَأَنْزَلَ كِتَابَهُ». /تفسير ابن كثير ج ١/ ٥٨٨/١.

١٦٣: ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نوح والنبيين من بعده﴾ الآية، وهي رُدُّ على اليهود [حين قالوا] يا محمد ما نعلم أن الله أنزل على بشر بعد موسى، فأُنزل الله أنه أوحى إلى عبده ورسوله محمد صلى الله عليه وآله وسلم كما أوحى إلى غيره من الأنبياء المتقدمين. ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُدَ زُبُورًا﴾ الزُّبُورُ: اسم الكتاب الذي أوحاه الله إلى داود عليه السلام ١٦٤: ﴿وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلًا لَمْ نَقْصِصْهُمْ عَلَيْكَ﴾ من قبل هذه الآية، يعني في السور المكيَّة وغيرها. ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾ وهذا تشريف لموسى بهذه الصفة، ولهذا يُقال له: الكلم ١٦٥: ﴿رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ﴾ يَبَشِّرُونَ مَنْ أَطَاعَ اللَّهَ وَاتَّبَعَ رِضْوَانَهُ بِالْخَيْرَاتِ، وَيُنذِرُونَ مَنْ خَالَفَ وَكَذَّبَ رِسْلَهُ بِالْعَذَابِ؛ ﴿لَقَدْ يَكُونُ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾ أي أنه تعالى أنزل كتبه وأرسل رسله بالبشارة والندارة، وبين ما يُحبه ويرضاه، ممَّا يكرهه ويأباه، لئلا يبقى لمعذِرٍ عُذْرٌ. ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ ١٦٦: ﴿لَمَّا تَضَمَّنَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نوح والنبيين﴾ إثبات نبوته صلى الله عليه وآله وسلم والرُّدُّ على مَنْ أَنْكَرَ نُبُوتَهُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَأَهْلِ الْكِتَابِ قَالَ تَعَالَى: ﴿لَكِنَّ اللَّهَ يَشْهَدُ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ أَنْزَلَهُ بِعَلْمِهِ﴾ وَإِنْ كَفَرَ بِهِ مَنْ كَفَرَ؛ فَاللَّهُ يَشْهَدُ لَكَ

﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نوح والنبيين من بعده﴾
﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُدَ زُبُورًا﴾ ﴿١٦٣﴾
﴿وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلًا لَمْ نَقْصِصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾ ﴿١٦٤﴾
﴿رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِيَلْتَأْتِيَ النَّاسُ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ ﴿١٦٥﴾
﴿لَكِنَّ اللَّهَ يَشْهَدُ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ أَنْزَلَهُ بِعَلْمِهِ وَالْمَلَائِكَةُ يَشْهَدُونَ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾ ﴿١٦٦﴾
﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ ﴿١٦٧﴾
﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَظَلَمُوا لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا﴾ ﴿١٦٨﴾
﴿إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا﴾ ﴿١٦٩﴾
﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَ كُفْرًا﴾
﴿الرُّسُولُ بِالْحَقِّ مِنْ رَبِّكُمْ فَتَأْمِنُوا خَيْرًا لَكُمْ وَإِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ ﴿١٧٠﴾

بأنك رسوله الذي أنزل عليه القرآن الذي أنزله بعلمه ﴿والملائكة يشهدون﴾ تُصَدِّقُ مَا جَاءَكَ وَأَنْزَلَ عَلَيْكَ مَعَ شَهَادَةِ اللَّهِ، ﴿وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾ ١٦٧: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ كَفَرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ فَلَمْ يَتَّبِعُوا الْحَقَّ وَسَعَوْا فِي صَدِّ النَّاسِ عَنْ اتِّبَاعِهِ، وَقَدْ خَرَجُوا عَنِ الْحَقِّ وَبَعُدُوا مِنْهُ بُعْدًا عَظِيمًا شَاسِعًا. ثُمَّ أَخْبَرَ تَعَالَى عَنْ حُكْمِهِ فِي الْكَافِرِينَ فَقَالَ: ١٦٨: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَظَلَمُوا لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا﴾ بسبب ارتكاب مآثمه وانتهاك محارمه بأنه لا يغفر لهم ولا يهديهم سبيلاً إلى الخير ١٦٩: ﴿إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ﴾ هذا استثناء منقطع [لكونهم اقترفوا ما يُوجب لهم ذلك] ﴿خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ١٧٠: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَ كُفْرًا﴾ كُفْرًا مِنْ رَبِّكُمْ فَاتَّعَمُوا خَيْرًا لَكُمْ﴾ قَدْ جَاءَ كُفْرًا بِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فَاتَّعَمُوا بِهِ وَاتَّبَعُوهُ يَكُنْ خَيْرًا لَكُمْ، ﴿وَإِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ فَهُوَ غَنِيٌّ عَنْكُمْ وَعَنْ إِيْمَانِكُمْ وَلَا يَتَضَرَّرُ بِكُفْرَانِكُمْ، ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا﴾ بِمَنْ يَسْتَحِقُّ الْهَدَايَةَ فِيهِدِيهِ، وَمَنْ يَسْتَحِقُّ الْعَوَابَةَ فِيَعْوِبِهِ ﴿حَكِيمًا﴾ فِي أَقْوَالِهِ وَأَعْمَالِهِ وَشَرَعِهِ وَقَدْرِهِ.

الآية: ١٦٨ روى جابر أن رسول الله ﷺ قال: «اتَّقُوا الظلمَ فَإِنَّ الظلمَ ظلماتٌ يومَ القيامة، واتَّقُوا الشحَّ فَإِنَّ الشحَّ أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكَم، وحملهم على أن سفكوا دمَاءهم واستحلوا محارمهم» رواه أحمد/صحيح الجامع الصغير ج١/٨٢/١.

الآية ١٦٩: قال رسول الله ﷺ: «اتَّقُوا الظلمَ فَإِنَّ الظلمَ ظلماتٌ يومَ القيامة». وقال ﷺ: «فيا يرويه عن ربه عز وجل: «يا عبادي إني حرمت الظلمَ على نفسي، وجعلته بينكم عزمًا فلا تظالموا»، رواها مسلم. /الترغيب ج٣/١٨٣/١.

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: «الرشوة في الحكم كفرٌ، وهي بين الناس سُخْتٌ» رواه الطبراني موقوفاً وإسناده صحيح /الترغيب ج٣/١٨١/١.

١٧١: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ﴾ نبي تعالى أهل الكتاب عن الغلو والإطراء، وهذا كثير في النصراري فإنهم تجاوزوا الحد في عيسى حتى اتخذوه إلهاً يعبدونه من دون الله، ﴿إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أُلْقِيَتْ إِلَى مَرْيَمَ مِنْ رُوحٍ مِنْهُ فَآمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةً﴾ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عَبْدٌ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ وَخَلِقٌ مِنْ خَلْقِ اللَّهِ، خَلَقَهُ بِالْكَلِمَةِ الَّتِي أَرْسَلَ بِهَا جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَى مَرْيَمَ فَنَفَخَ فِيهَا مِنْ رُوحِهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِي أَحْضَنْتُمْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ﴾ وَقَالَ تَعَالَى: ﴿إِنْ مِثْلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمِثْلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تَرَابٍ، ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾. ﴿وَكَلِمَتُهُ﴾ هِيَ قَوْلُهُ: ﴿كُنْ فَيَكُونُ﴾، ﴿فَآمَنُوا بِاللَّهِ﴾ فَصَدَّقُوا بِأَنَّ اللَّهَ وَاحِدٌ أَحَدٌ لَا وِلْدَانَ لَهُ وَلَا صَاحِبَةَ، ﴿وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةً﴾ لَا تَجْعَلُوا عِيسَى وَأُمَّهُ مَعَ اللَّهِ شَرِيكِينَ تَعَالَى اللَّهُ عَنِ ذَلِكَ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿أَنْتَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ﴾ [نَهَاهُمْ عَنِ الشِّرْكِ]، ﴿إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهُ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ﴾ تَعَالَى وَتَقَدَّسَ عَنِ ذَلِكَ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ الْجَمِيعَ مَلَكَ وَخَلَقَهُ وَهُمْ تَحْتَ تَدْبِيرِهِ ﴿وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾ [أَي: لِأَوْلِيَائِهِ] ١٧٢: ﴿لَنْ يَسْتَنكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ﴾ لَنْ يَسْتَكْبِرَ وَلَنْ يَحْتَشِمَ ﴿وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ﴾ فَهِيَ عِبَادَةٌ مِنْ عِبَادَةِ اللَّهِ وَنَسْتَكْفِ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرُ

يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أُلْقِيَتْ إِلَى مَرْيَمَ مِنْ رُوحٍ مِنْهُ فَآمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةً أَنْتَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهُ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴿١٧١﴾ لَنْ يَسْتَنكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ وَمَنْ يَسْتَنكِفَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا ﴿١٧٢﴾ فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَأَمَّا الَّذِينَ اسْتَنكَفُوا وَاسْتَكْبَرُوا فَيَعَذِّبُهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَلَا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٧٣﴾ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا ﴿١٧٤﴾ فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَاعْتَصَمُوا بِهِ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمًا ﴿١٧٥﴾

فسيحشرهم إليه جميعاً ليفصل بينهم بحكمه العدل ١٧٣: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ﴾ من الثواب على قدر أعمالهم الصالحة، ﴿ويزيدهم من فضله﴾ وإحسانه ورحمته، فيدخلهم الجنة. ﴿وأما الذين استنكفوا واستكبروا﴾ امتنعوا من طاعة الله وعبادته واستكبروا عن ذلك ﴿فيعذبهم عذاباً أليماً ولا يجدون لهم من دون الله ولياً ولا نصيراً﴾ كقوله تعالى: ﴿إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين﴾ صاعرين حقيرين كما كانوا مستكبرين ١٧٤: يقول تعالى مخاطباً جميع الناس ونحوياً بأنه قد جاءهم منه برهان عظيم: ﴿يا أيها الناس قد جاءكم برهان من ربكم وأنزلنا إليكم نوراً مبيناً﴾؛ ضياءً واضحاً على الحق، وهو القرآن ١٧٥: ﴿فأما الذين آمنوا بالله واعتصموا به﴾ جمعوا بين مقامى العبادة والتوكل على الله في جميع أمورهم ﴿فسيدخلهم في رحمة منه وفضل﴾ يدخلهم الجنة ويزيدهم ثواباً مضاعفاً ﴿ويهديهم إلى صراط مستقيماً﴾ طريقاً واضحاً قاصداً قواماً، لا اعوجاج فيه ولا انحراف، وهذه صفة المؤمنين في الدنيا والآخرة، فهم في الدنيا على الاستقامة وطريق السلامة في جميع الاعتقادات والعمليات، وفي الآخرة على صراط الله المستقيم المفضي إلى رياضات الجنات.

الآية ١٧١: وفي الصحيح أن رسول الله ﷺ: «الأنطروني كما أطرت النصراري ابن مريم، فأما أنا عبدالله ورسوله» رواه البخاري في كتاب الأنبياء /٤٨/.

ومن خلال النصراري تباين أقوالهم في المسيح عليه السلام فمنهم من يعتقد أنه، ومنهم من يعتقد شريكاً، ومنهم من يعتقد ولداً، والله تعالى يقول: «لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة وما من إله إلا الله الواحد». سورة المائدة /٧٣/.

١٧٦: ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ﴾ يستفتونك عن الكلاله ﴿قُلِ اللَّهُ يَفْتِيكُمْ﴾ فيها، فدل المذکور علی المتروک. والکلاله: من يموت وليس له ولد ولا والد، كما دلت علیه هذه الآیه: ﴿إِنْ أَمْرٌ هَلْكَ لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ وَلَا وَالِدٌ فَهِيَ الْكَلَالَةُ﴾. إن امرؤ هلك ليس له ولد ﴿مات ولا ولد له ولا والد، ويدل علی ذلك قوله: ﴿وَلَهُ أُخْتٌ﴾ ولو كان معها أب لم ترث شيئاً؛ ﴿فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ﴾ وهو يرثها إن لم يكن لها ولد، والأخ يرث جميع ما لها إذا ماتت كلاله، وليس لها ولد ولا والد؛ لأنه لو كان لها والد لم يرث الأخ شيئاً. ﴿فَإِنْ كَانَتَا اثْنَتَيْنِ فَلَهُمَا التَّلْثَانُ مِمَّا تَرَكَ﴾

فإن كان لمن يموت كلاله أختان فرض لهما الثلثان وكذا ما زاد علی الأختين في حكمهما. ﴿وَإِنْ كَانُوا إِخْوَةً رِجَالًا وَنِسَاءً فَلِلذَكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ﴾ هذا حکم العصبات من البنين وبنی البنين والإخوة إذا اجتمع ذکورهم وإناتهم أعطي الذکر مثل حظ الأنثيين، ﴿يَبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَنْ تَضَلُّوا﴾ يفرض لكم فرائضه، ويحد حدوده ﴿أَنْ تَضَلُّوا﴾ لئلا تضلوا عن الحق بعد البيان ﴿وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ هو العالم بمواقب الأمور ومصالحها لعباده.

سورة المائدة

بسم الله الرحمن الرحيم

١: هذا بيان من الله ورسوله ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾ وهي سنة: عهد الله، وعقد الحلف، وعقد الشركة، وعقد البيع، وعقد النكاح، وعقد العيّن. ﴿أُحِلَّتْ لَكُمْ

بِهَيْمَةَ الْأَنْعَامِ﴾ هي الإبل والبقر والغنم. ﴿إِلَّا مَا يُبَلَىٰ عَلَيْكُمْ﴾ [أي: في القرآن والسنة] يعني بذلك الميتة والدم والحّم الخنزير وما أهلّ لغير الله به والمنخفة والموقودة والمتردية والنطيحة وما أكل السبع [وكل ذي ناب من السباع فأكله حرام رواه مسلم]. ﴿غَيْرِ مُجْلِي الصَّيْدِ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ﴾، وهو ما يعمّ الوحشي من الأنعام في حال الإحرام، ﴿إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ﴾ ٢: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَحْلُوا شَعَائِرَ اللَّهِ﴾ مناسك الحج، ولا تحلوا محارم الله التي حرّمها تعالى، ﴿وَلَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ وَلَا الْهَدْيَ وَلَا الْقَلَائِدَ وَلَا حُلُلَ الْفِطْرِ فَاصْطَادُوا﴾ ثلاث متواليات؛ ذو القعدة وذو الحجة، ومحرم. ﴿وَلَا الْهَدْيَ وَلَا الْقَلَائِدَ﴾ لا تتركوا الإهداء إلى البيت الحرام؛ فإن فيه تعظيم شعائر الله، ولا تتركوا تقليدها في أعناقها لتتميز به عما عداها من الأنعام، وليعلم أنها هدي إلى الكعبة. ﴿وَلَا آمِينَ الْبَيْتِ الْحَرَامِ يَتَّبِعُونَ فَضلاً مِنْ رَبِّهِمْ وَرِضْوَاناً﴾ لا تستحلوا قتال القاصدين إلى بيت الله الحرام يرضون الله بحجّهم. ﴿وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا﴾ إذا فرغتم من إحرامكم فقد أحللتنا لكم الصيد. ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَا نَقَوْمٍ أَنْ صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَنْ تَعْتَدُوا﴾ ولا يحرمكم شتان قوم أن صدوكم عن المسجد الحرام عام الحديبية على أن تعدوا حكم الله فيهم، بل احكموا بما أمركم الله به من العدل في حق كل أحد. ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ﴾ يأمر تعالى المؤمنين بالمعونة على فعل الخيرات ﴿وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالتَّعَدُّوا﴾ وينهاهم عن التناصر على الباطل، والتعاون على الماتم والحرام ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾

سورة المائدة: روى الحاكم باسناد صحيح عن جبير بن نفير قال: حججت فدخلت على عائشة فقالت لي: يا جبير تقرأ المائدة؟ قلت: نعم، فقالت: أما إنها آخرسورة نزلت فما وجدتم فيها من حلال فاستحلوه، وما وجدتم من حرام فحرّموه. تفسير ابن كثير ج ٢/٢٠٠.

سُورَةُ الْمَائِدَةِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ أُحِلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ إِلَّا مَا يُبَلَىٰ عَلَيْكُمْ غَيْرِ مُجْلِي الصَّيْدِ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ ﴿١﴾ يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَحْلُوا شَعَائِرَ اللَّهِ وَلَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ وَلَا الْهَدْيَ وَلَا الْقَلَائِدَ وَلَا حُلُلَ الْفِطْرِ فَاصْطَادُوا وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَا نَقَوْمٍ أَنْ صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَنْ تَعْتَدُوا وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالتَّعَدُّوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٢﴾

٣: يُخبر تعالى عباده متضمناً النهي عن تعاطي هذه الحرمات؛ من «الميتة»، لما فيها من الدم المحقق، فهي ضارة للدين وللبدن، «والدم» المسفوح، وكانوا في الجاهلية أن أحدّمهم إذا جاع يأخذ محدداً فيقصده به بعيره أو حيواناً من أي صنف، فما يخرج منه من الدم يشربه، ولهذا حرم الله الدم على هذه الأمة. «ولحم الخنزير»؛ إنسيه ووحشيه. «وما أهل لغير الله به»؛ وهو ما ذبح فذكر عليه اسم غير الله، فهو حرام؛ لأن الله تعالى أوجب أن تذبح الأنعام على اسمه العظيم. «والمخنقة»؛ وهي التي تموت بالخنق. «والموقودة»؛ التي تضرب حتى تموت. «والمتردية»؛ التي تقع من شاهق. «والنطيحة»؛ التي ماتت بسبب نطح غيرها لها. «وما أكل السبع» فأكل بعضها فماتت فهي حرام. «إلا ما ذكيتم»؛ تما انعقد سبب موته فأمكن تدراكه بذكاة وفيه حياة مستقرة. «وما ذبح على الثّصب» كانت الثّصب حجارة حول الكعبة في الجاهلية يذبحون عندها، وهي من الشرك، «وأن تستقسموا بالأزلام» وهي القداح التي مكتوب عليها افعل ولا تفعل، يتحاكمون فيها «ذلكم فسق» تعاطيه ضلالة وشرك. «اليوم ينس الذين كفروا من دينكم» يسؤوا أن يراجعوا دينهم «فلا تخشوهم واخشون» لا تخافوهم في مخالفتكم إياهم واخشوني أنصركم عليهم، «اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي

حَرَمْتُ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالْدَّمَ وَالْحَمَّ الْخَنِزِيرِ وَمَا أَهَلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمَنْخِنِقَةَ وَالْمَوْقُودَةَ وَالْمُتَرَدِّيَةَ وَالنَّطِيحَةَ وَمَا أَكَلَ السَّبْعُ إِلَّا مَا ذَكَيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَنْ تَسْنَقْسِمُوا بِالْأَزْلَمِ ذَلِكَ كُمْ فَسَقَ الْيَوْمَ يَسَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنَ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضَيْتُ لَكُمْ الْإِسْلَامَ دِينًا فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرِ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٣﴾

يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ قُلْ أُحِلَّ لَكُمْ الطَّيِّبَاتُ وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ الْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللَّهُ فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكَنَّ عَلَيْكُمْ وَادْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ وَانْفُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿٤﴾ الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمْ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَلَلٌ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حَلَلٌ لَهُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرِ مُسَفِّحِينَ وَلَا مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ وَمَن يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَسِرِينَ ﴿٥﴾

ورضيت لكم الإسلام ديناً؛ هذه أكبر نعم الله تعالى على هذه الأمة حيث أكمل تعالى لها دينها، فارضوه أتم لأنفسكم. «فمن اضطر في مخمصة غير متجانف لإثم» متعاط لمصيبة الله فقد أباح له ذلك «فإن الله غفور رحيم» ٤: «يسألونك ماذا أُحِلَّ لهم قُلْ أُحِلَّ لَكُمْ الطَّيِّبَاتُ» الذبائح الحلال والرزق من الحلال، «وما علمتم من الجوارح مكلّبين» وهي من الكلاب والفهود والفقور، والجوارح يعني: الضواري «تعلمونهن مما علمكم الله فكلوا مما أمسكن عليكم» إذا أمسكه على صاحبه ولا يمسه لنفسه «وادكروا اسم الله عليه» وقت إرساله «وانفوا الله إن الله سريع الحساب» ٥: «اليوم أُحِلَّ لَكُمْ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَلَلٌ لَّكُمْ» ذبائح أهل الكتابين من اليهود والنصارى «وطعامكم حل لهم» ويجل لكم أن تطعموهم من ذبائحكم. «والمحصنات من المؤمنات والمحصنات من الذين أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ» الحرائر من الذبيات العفيفات «إذا آتيتموهن أُجورهن» مهورهن؛ أي كما هن محصنات عفاف فابذلوا لهن المهور عن طيب نفس، «محصنين غير مسافحين» فكما شرط الإحصان في النساء، وهي العفيفة، كذلك شرطها في الرجال، وهو أن يكون عفيفاً «ولا متخذي أخدان» ذوي العشيقات، وعند الإمام أحمد لا يصح نكاح البغي حتى تتوب، ولا يصح عقد الرجل الفاجر على عفيفة حتى يتوب «ومن يكفر بالإيمان فقد حبط عمله وهو في الآخرة من الخاسرين»، لما ذكرت الفرائض وأحكام يلزم القيام بها؛ ذكر الوعيد على مخالفتها، لما في ذلك من تأكيد الزجر عن تضييعها.

الآية ٣: إن رجلاً من الأعراب أتى النبي ﷺ يستفتيه في الذي حرم الله عليه والذي أُحِلَّ له، فقال النبي ﷺ: «يجل لك الطيبات ويحرم عليك الخبائث، إلا أن تفتقر إلى طعام لك فأكل منه حتى تستغني عنه». /تفسير ابن كثير ج ١٤/٢.

٦: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ﴾ وَأَنْتُمْ مُحَدَّثُونَ ﴿فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ﴾ مع المرافق ﴿وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ﴾ وهو مقدار الناصية ﴿وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ﴾ قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «أَسْبِغُوا الوُضُوءَ، وَيْلٌ لِلْأَعْقَابِ مِنَ النَّارِ» وهو في الصحيحين. روى الإمام أحمد: قال أبو أمامة: حَدَّثَنَا عمرو بن عبسة، قال: قلتُ يا رسول الله أخبرني عن الوضوء، قال: «مَامِنُكُمْ مِنْ أَحَدٍ يُقْرَبُ وَضُوءَهُ حَتَّى يَتَمَضَّضُ وَيَسْتَنْشِقُ وَيَنْتَثِرُ إِلَّا خَرَّتْ خَطَايَاهُ مِنْ فَمِهِ وَخِيَاشِمِهِ مَعَ الْمَاءِ حِينَ يَنْتَثِرُ، ثُمَّ يَغْسِلُ وَجْهَهُ كَمَا أَمَرَهُ اللَّهُ إِلَّا خَرَّتْ خَطَايَاهُ مِنْ وَجْهِهِ مِنْ أَطْرَافِ لِحْيَتِهِ مَعَ الْمَاءِ، ثُمَّ يَغْسِلُ يَدَيْهِ إِلَى الْمَرَافِقَيْنِ إِلَّا خَرَّتْ خَطَايَاهُ مِنْ أَطْرَافِ أُنَامِلِهِ، ثُمَّ يَمْسَحُ رَأْسَهُ إِلَّا خَرَّتْ خَطَايَاهُ مِنْ أَطْرَافِ رَأْسِهِ مِنْ أَطْرَافِ شَعْرِهِ مَعَ الْمَاءِ، ثُمَّ يَغْسِلُ قَدَمَيْهِ إِلَى الْكَعْبَيْنِ كَمَا أَمَرَهُ اللَّهُ إِلَّا خَرَّتْ خَطَايَاهُ مِنْ أَطْرَافِ قَدَمَيْهِ مِنْ أَطْرَافِ أَصَابِعِهِ مَعَ الْمَاءِ ثُمَّ يَقُومُ فَيُحَمِّدُ اللَّهَ وَيُثْنِي عَلَيْهِ بِالَّذِي هُوَ لَهُ أَهْلٌ، ثُمَّ يَرْكَعُ رَكَعَتَيْنِ إِلَّا خَرَجَ مِنْ ذَنْبِهِ كَيَوْمِ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ»، وهو في صحيح مسلم من وجه آخر. ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَرُوا﴾ وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ، كل ذلك تقدم الكلام عليه في تفسير آية النساء. [الآية ٤٣]. ﴿مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ ٦

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاعْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَرُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ٦
وَأَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمِيثَقَهُ الَّذِي وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ٧ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَا نُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا أَعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ٨ وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ٩

وَيَسَّرَ، وَأَبَاحَ التَّيْمَمَ عِنْدَ الْمَرَضِ وَعِنْدَ فَقْدِ الْمَاءِ، تَوْسَعَةً عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةً بِكُمْ ﴿وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ وَأَبَاحَ التَّيْمَمَ عِنْدَ الْمَرَضِ وَعِنْدَ فَقْدِ الْمَاءِ، تَوْسَعَةً عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةً بِكُمْ ﴿وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ وَمِيثَقَهُ الَّذِي وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿هَذَا تَأْكِيدٌ وَتَحْرِيزٌ عَلَىٰ مُوَازَاةِ التَّقْوَىٰ فِي كُلِّ حَالٍ ثُمَّ أَعْلَمَهُمْ أَنَّهُ يَعْلَمُ مَا يَتَخَالَجُ فِي الصُّبُورِ مِنَ الْخَوَاطِرِ ٨: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ﴾ كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْحَقِّ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ لَا لِأَجْلِ النَّاسِ وَالسَّمْعَةِ، وَكُونُوا «شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ» بِالْعَدْلِ «وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَا نُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا» لَا يَحْمِلَنَّكُمْ بَعْضُ قَوْمٍ عَلَىٰ تَرْكِ الْعَدْلِ فِيهِمْ بَلِ اسْتَعْمَلُوا الْعَدْلَ فِي كُلِّ أَحَدٍ صَدِيقًا كَانَ أَوْ عَدُوًّا. وَهَذَا قَالَ: «أَعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ» وَسَيَجْزِيكُمْ عَلَىٰ أَعْمَالِكُمْ إِنَّ خَيْرًا مِنْ خَيْرٍ، وَإِنْ شَرًّا مِنْ شَرٍّ، وَهَذَا قَالَ تَعَالَىٰ بَعْدَهُ: ٩: ﴿وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ وَهُوَ الْجَنَّةُ.

الآية: ٨ عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ الْمُسْلِمِينَ عِنْدَ اللَّهِ عَلَىٰ مَنَابِرٍ مِنْ نُورٍ عَنِ بَيْنِ الرَّحْمَنِ، وَكَلْنَا يَدَيْهِ بَيْنَ؛ الَّذِينَ يَعْدِلُونَ فِي حُكْمِهِمْ، وَأَهْلِهِمْ، وَمَاؤُلَاهُ رَوَاهُ مُسْلِمٌ وَالنَّسَائِيُّ. وَرَوَى مُسْلِمٌ عَنْ عِيَّاضٍ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «أَهْلُ الْجَنَّةِ ثَلَاثَةٌ: ذُو سُلْطَانٍ مَقْبِيضٌ مُوقِفٌ، وَرَجُلٌ رَحِمَ رَقِيبَ الْقَلْبِ لِكُلِّ ذِي فَرْسِيٍّ مُسْلِمٍ، وَعَقِيفٌ مُتَعَفِّتٌ ذُو عِيَالٍ». وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَشَدُّ النَّاسِ عَذَابًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِمَامٌ جَائِرٌ» رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ، وَقَالَ: حَدِيثٌ حَسَنٌ. وَرَوَى أَبُو دَاوُدَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «مَنْ طَلَبَ قِضَاءَ الْمُسْلِمِينَ حَتَّى يَبْلُغَهُ، ثُمَّ غَلَبَتْهُ جُورُهُ فَلَهُ النَّارُ». /التَّوْبَةُ ج ١٦٧/٣، ١٧٢/١.

١٠: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾ وهذا من عدله تعالى وحكمته وحكمه الذي لا يجوز فيه بل هو الحكم العدل ١١: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هُمْ قَوْمٌ أَنْ يَسْطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ﴾ وذلك أن قوماً من اليهود صنعوا طعاماً لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولأصحابه ليقتلوه، فأوحى الله إليه بشأهم، فلم يأت الطعام ﴿وَعَلَى اللَّهِ فليتوكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ من توكَّل على الله كفاه الله ما أهّمه وحفظه من شرِّ الناس ١٢: ﴿وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ أخذ الله اليهود والميثاق على اليهود فنقضوا عهده وميثاقه، فأعقبهم لعنا منه لهم، ﴿وَبَعَثْنَا مِنْهُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا﴾ عرفاء على قبائلهم بالمبايعة والسمع والطاعة لله ولرسوله ولكتابه. ﴿لَنْ أَقْمَتُمُ الصَّلَاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَآمَنْتُمْ بِرُسُلِي﴾ صدَّقتموهم فيما يجيئونكم به من الوحي ﴿وَعَزَّزْتُمُوهُمْ﴾ نصرتموهم ﴿وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهُ قَرْضًا حَسَنًا﴾ وهو الإنفاق في سبيله وابتغاء مرضاته، ﴿لَا تُكْفِرْنَ عَنْكُمْ سِيئاتِكُمْ﴾ ذنوبكم، أمحوها وأسترها ولا أوخذكم بها، ﴿وَلَا دَخَلْتُمْ جَنَاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ الأثمار ﴿أدفع عنكم المخدور، وأحصل لكم المقصود؛ ﴿فَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾ فمن خالف هذا الميثاق بعد عقده وتوكيده، وجحدته وعامله معاملة من لا يعرفه فقد أخطأ الطريق الواضح،

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴿١٠﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هُمْ قَوْمٌ أَنْ يَسْطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾ وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَءَاتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَءَامَنْتُمْ بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْكُمْ سَيِّئاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ فَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴿١٢﴾ فِيمَا نَقَضْتُمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَلْيسَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣﴾

وعدل عن الهدى إلى الضلال ثم أخبر تعالى عمَّا حلَّ بهم من العقوبة عند مخالفتهم ميثاقه ونقضهم عهده فقال: ١٣: ﴿فِيمَا نَقَضْتُمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ﴾ بسبب نقضهم الميثاق الذي أخذ عليهم لعناهم؛ أي: أبعدناهم عن الحق وطردهناهم عن الهدى؛ ﴿وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً﴾ فلا يتعظون بموعظةٍ لغلظتها وقساوتها ﴿يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ﴾ فسدت فهُومهم وساءت تصرّفاتهم في آيات الله، وتأولوا كتابه على غير ما أنزله، وحملوه على غير مراده، وقالوا عليه سبحانه ما لم يُقلْ، عياداً بالله من ذلك. ﴿وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ﴾ وتركوا العمل به رغبة عنه. وتركوا عُرَى دينهم، فصاروا إلى حاله رديئة فلا قلوب سليمة ولا فطر مستقيمة ولا أعمال قومية. ﴿وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِنْهُمْ﴾ مكروهم وغدرهم لك ولأصحابك، ﴿فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ﴾ وهذا هو عين النصر والظفر، كما قال بعض السلف: ما عاملت من عصى الله فيك بمثل أن تُطيع الله فيه، ولعلَّ الله أن يهديهم، ولهذا قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ يعني به الصفح عمن أساء إليك.

الآية: ١١ قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «من قال - أي: عند الخروج - بسم الله توكلت على الله، ولا حول ولا قوة إلا بالله، يُقال له: هُديت وتُحسب رؤيت، وتنحى عنه الشيطان»، رواه أبو داود والترمذي وصححه. /رياض الصالحين/ ٥٤.

الآية: ١٣ قال رسول الله ﷺ: «من ذكر الله ففاضت عيناه من خشية الله حتى يُصبب الأرض من دُمُوعه، لم يُعذب يوم القيامة»، رواه الحاكم وقال: صحيح الإسناد /الترغيب ج ٤/ ٢٢٨.

وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَرْنَا أَخَذْنَا مِنْتَهُمْ
فَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ فَأَغْرَبْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ
وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللَّهُ
بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴿١٤﴾ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ
قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا
كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَنْ
كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ
مُبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ
سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى
النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ
﴿١٦﴾ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ
ابْنُ مَرْيَمَ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ
أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَفِي
الْأَرْضِ جَمِيعًا وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ
وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾

١٤: ﴿ومن الذين قالوا إنا نصارى أخذنا ميثاقهم﴾ ومن الذين ادَّعوا لأنفسهم أنهم نصارى متابعون لعيسى ابن مريم عليه السلام؛ أخذنا عليهم العهود والمواثيق على متابعة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ومناصرته، ففعلوا كما فعل اليهود خالفوا المواثيق ونقضوا العهود، ولهذا قال تعالى: ﴿فتسوا حظاً مما ذكروا به فأغربنا بينهم العداوة والبغضاء إلى يوم القيامة﴾ فالتقينا بينهم العداوة والبغضاء لبعضهم البعض، ولا يزالون كذلك، وطوائف النصارى لا يزالون متباغضين متعادين يكفر بعضهم بعضاً ويلعن بعضهم بعضاً إلى يوم القيامة. ﴿وسوف يُنَبِّئُهُمُ اللَّهُ بما كانوا يصنعون﴾ وهذا تهديدٌ ووعيدٌ أكيدٌ للنصارى على ما ارتكبهوه من الكذب على الله من جعلهم له صاحبةً وولداً تعالى الواحد الأحد الفرد الصمد الذي لم يلدْ ولم يولدْ ولم يكنْ له كفواً أحدٌ ١٥-١٦: يقول تعالى مخبراً عن نفسه الكريمة أنه قد أرسل رسوله محمداً صلى الله عليه وآله وسلم بالهدى ودين الحق إلى جميع أهل الأرض عرهم وعجمهم فقال: ﴿يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يُبَيِّنُ لكم كثيراً مما كنتم تخفون من الكتاب ويعفو عن كثير﴾ يُبَيِّنُ ما بدّلوه وحرفوه وأولّوه وافترأوا على الله فيه، ويسكت عن كثير مما غيروه ولا فائدة في بيانه. ثم أخبر تعالى عن القرآن العظيم الذي أنزله على رسوله الكريم فقال: ﴿قد جاءكم من الله نورٌ وكتابٌ مُبِينٌ. يهدي به الله من اتبع رضوانه سُبُلَ

السلام﴾ طريقَ النجاة والسلامة، ومناهج الاستقامة، ﴿ويخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه ويهديهم إلى صراط مستقيم﴾ يُنجيهم من المهالك، ويوضح لهم أبين المسالك؛ فيصرف عنهم المحذور، ويحصل لهم أحبُّ الأمور، وينفي عنهم الضلالة ويرشدهم إلى أقوم حالة ١٧: ﴿لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم﴾ يخبر تعالى عن كفر النصارى في ادّعائهم في المسيح وهو عبدٌ من عباد الله وخلق من خلقه أنه هو الله - تعالى الله عن قولهم علواً كبيراً - ثم قال مخبراً عن قدرته على الأشياء وكونها تحت قهره وسلطانه: ﴿قل فمَن يملك من الله شيئاً إن أراد أن يُهْلِكَ المسيح ابن مريم وأُمَّه ومن في الأرض جميعاً﴾؟! لو أراد ذلك فمن ذا الذي كان يمنعه منه، أو من ذا الذي يقدر على صرفه عن ذلك؟! ثم قال تعالى: ﴿ولله ملك السموات والأرض وما بينهما يخلق ما يشاء﴾ جميع الموجودات ملكه وخلقها، وهو القادر على ما يشاء لا يسأل عما يفعل بقدرته وسلطانه، وهذا ردٌّ على النصارى ﴿في كفرهم﴾ .

الآية: ١٥ روى الحاكم عن ابن عباس، قال: « من كفر بالرجم، فقد كفر بالقرآن من حيث لا يحتسب »، قوله تعالى: ﴿ يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يُبَيِّنُ لكم كثيراً مما كنتم تخفون من الكتاب ﴾ فكان الرجم مما أخفوه، ثم قال الحاكم: صحيح الإسناد، ولم يخرجاه، ثم أخبر تعالى عن القرآن العظيم الذي أنزله على نبيه الكريم، فقال: ﴿ قد جاءكم من الله نورٌ وكتابٌ مُبِينٌ يهدي به الله من اتبع رضوانه سُبُلَ السلام ﴾ أي: طريق النجاة والسلامة ومناهج الاستقامة /ابن كثير ج ٢/٣٤٠.

١٨: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ﴾ نَحْنُ منتسبون إلى أنبيائه وهم بنوه، وله بهم عناية وهو يُحِبُّنَا. ﴿قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ﴾؟ لو كنتم كما تدعون أنبأؤه وأحباؤه فلم أعددت لكم نار جهنم على كفركم وكذبكم وافتراءكم؟ ﴿قُلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقْنَا﴾ لكم أسوة أمثالكم من بني آدم، وهو سبحانه الحاكم في جميع عبادته، ﴿يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ﴾ هو الغفار لما يريد ﴿وَاللَّهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾ المرجع والمآب إليه فيحكم في عبادته وهو العادل الذي لا يجور ١٩: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَى قِطْعَةٍ مِّنَ الرَّسُولِ﴾ يا أهل الكتاب من اليهود والنصارى قد أرسل الله إليكم محمداً صلى الله عليه وآله وسلم خاتم النبيين على مدة متطاولة ما بين إرساله عيسى، وهي ستائة، ﴿وَأَن تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِن بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ﴾ لئلا تحجوا وتقولوا ما جاءنا من رسول يُبَشِّرُ بِالْخَيْرِ وَيُنذِرُ مِنَ الشَّرِّ؛ ﴿فَقَدْ جَاءَكُمْ بِشِيرٌ وَنَذِيرٌ﴾ يعني محمداً صلى الله عليه وآله وسلم ﴿وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ على عقاب من عصاه، وثواب من أطاعه ٢٠: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ﴾ كلما هلك نبي قام فيكم نبي، من لدن أبيكم إبراهيم إلى من بعده، يُحَذِّرُونَكُمْ نِقْمَتِهِ حَتَّىٰ حُجِمُوا بِعِيسَىٰ بْنِ مَرْيَمَ، ﴿وَجَعَلَكُمْ مَلُوكًا﴾ [أي: تملكون أمركم

وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ يَغْفِر لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ مَلِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴿١٨﴾ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَى قِطْعَةٍ مِّنَ الرَّسُولِ أَن تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِن بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ فَقَدْ جَاءَكُمْ بِشِيرٌ وَنَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٩﴾ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ أذكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا وَآتَاكُمْ مَا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ الْعَالَمِينَ ﴿٢٠﴾ يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتُدُّوا عَلَىٰ آدَارِكُمُ فَنَنْقَلِبُوا عَلَيْكُمُ خَاسِرِينَ ﴿٢١﴾ قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِن فِيهَا قَوْمٌ جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَنَدْخُلُهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا مِنهَا فَإِن يَخْرُجُوا مِنهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ ﴿٢٢﴾ قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمُ عَلَيْهِمٌ وَعَلَىٰ اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٢٣﴾

لا يغلبكم غالب بعد أن كنتم مملوكين لفرعون ﴿وَأَنَا كَمَا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ الْعَالَمِينَ﴾ عالمي زمانكم، فإنهم كانوا أشرف الناس في زمانهم من اليونان والقيط وسائر أصناف بني آدم ٢١: ﴿يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ﴾ أخبر تعالى عن تحريض موسى عليه السلام لبني إسرائيل على الجهاد، والدخول إلى بيت المقدس الذي كان بأيديهم في زمان أبيهم يعقوب لما ارتحل هو وبنوه إلى بلاد مصر أيام يوسف، ﴿وَلَا تَرْتُدُّوا عَلَىٰ آدَارِكُمْ﴾ ولا تنكروا عن الجهاد ﴿فَنَنْقَلِبُوا عَلَيْكُمُ خَاسِرِينَ﴾ ٢٢: ﴿قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِن فِيهَا قَوْمٌ جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَنَدْخُلُهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا مِنهَا فَإِن يَخْرُجُوا مِنهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ﴾ اعتدروا بأن في هذه البلدة التي أمرتنا بدخولها وقتال أهلها قوماً جبارين، وإنا لا نقدر على مقاومتهم، ولا يمكننا الدخول إليها ما داموا فيها؛ فإن يخرجوا منها دخلناها، وإلا فلا طاقة لنا بهم ٢٣: ﴿قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا﴾ فلما نكل بنو إسرائيل عن طاعة الله ومتابعة موسى عليه السلام حرّضهم رجلان عليهما نعمة عظيمة وهما يمتنع يخاف أمر الله ويخشى عقابه: ﴿ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمُ عَلَيْهِمٌ وَعَلَىٰ اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا﴾ إن توكلتم على الله واتبعتم أمره ووافقتم رسوله نصرتم الله على أعدائكم ودخلتم البلدة.

الآية : ١٩ إن نجاة أهل الفترة مبني على أن من مات ولم تبلغه الدعوة يموت ناجياً ؛ بأن لم يُشرك بالله /حاشية ابن عابدين ج/ ٣٨٦ .

الآية : ٢٠ عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم : « من كان له بيت يأوي إليه وزوجة وخدامٌ يخدمه فهو ملكٌ » ، ذكره الححاس /تفسير القرطبي ج/ ١٢٤ .

٢٤: ﴿قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّا لَن نَدْخُلُهَا مَا دَامُوا فِيهَا فَادْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَاقْتُلَا إِنَّا ههنا قَاعِدُونَ﴾ وهذا نكولٌ منهم عن الجهاد ومخالفةً لرسولهم، وتخلّف عن مقاتلة الأعداء؟! وما أحسن ما أجاب به من الصحابة يوم بدر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حين استشارهم في القتال: (فوالذي بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك ما تخلّف منا رجلٌ واحد) وقالوا: (لا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى ﴿ادْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَاقْتُلَا إِنَّا ههنا قَاعِدُونَ﴾ ٢٥: ﴿قَالَ﴾ موسى ﴿رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي﴾ لما نكل بنو إسرائيل عن القتال غضب موسى عليهم وقال: ليس أحدٌ يطيعني إلى ما دعوت إليه إلا أنا وأخي هارون ﴿فأفرق بيننا وبين القوم الفاسقين﴾ اقض بيني وبينهم ٢٦: ﴿قَالَ فَإِنَّا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيُونَ فِي الْأَرْضِ﴾ حكم الله بتحريم دخولها عليهم قدر مدّة أربعين سنة، فوقعوا في التيه يسرون دائماً لا يتهدون للخروج منه. ﴿فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾ تسليّة لموسى عليه السلام، لا تحزن عليهم فيما حكمت عليهم به، فإنهم مستحقون ذلك ٢٧: يقول تعالى مبيّناً وخيماً عاقبة البغي والظلم في خبر ابني آدم، وهما قابيل وهابيل: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنِي آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقْبِلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ يَا قَابِلُ إِنَّكَ كَرِهْتَ الْبِرَّ إِذْ بَسَطْتَ إِلَى قَابِلٍ عُقْبَتَهُ فَذُكِرْتُمُ الْكَافِرِينَ﴾ ٢٨: ﴿قَالَ يَا قَابِلُ إِنَّكَ كَرِهْتَ الْبِرَّ إِذْ بَسَطْتَ إِلَى قَابِلٍ عُقْبَتَهُ فَذُكِرْتُمُ الْكَافِرِينَ﴾ ٢٩: ﴿إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمُكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ﴾ ٣٠: ﴿فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الخَاسِرِينَ﴾ ٣١: ﴿فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُورِي سَوَاءَ أَخِيهِ قَالَ يُؤَيِّلَتِي أَعْجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُورِي سَوَاءَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ﴾ ٣١

كذب، وذلك أنّ الله تعالى شرع لآدم عليه السلام أن يزوّج بناته من بنيه لضرورة الحال، وأراد قابيل أن يستأثر بأخته، فأبى آدم ذلك إلا أن يقربا قرباناً فمن تقبل منه فهي له، فتقبل من هابيل ولم يقبل من قابيل فكان من أمرهما ما قصه الله في كتابه: ﴿قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ ٢٨: ﴿لَنْ بَسَطَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾ لا أقابلك على صنيعك الفاسد بمثله فأكون أنا وأنت سواء في الخطيئة. وفي الصحيحين قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (إذا توجه المسلمان بسيفهما فالتقاتل والمقتول في النار) قالوا: يا رسول الله هذا القاتل فما بال المقتول؟ قال: (إنه كان حريصاً على قتل صاحبه) ٢٩: ﴿إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمُكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ﴾ خوفه بالنار فلم يبتئه ولم يتزجر ٣٠: ﴿فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ﴾ بعد هذه الموعدة ﴿فَأَصْبَحَ مِنَ الخَاسِرِينَ﴾ في الدنيا والآخرة. روى الإمام أحمد أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: ﴿لَأَقْتُلَنَّكَ يَا قَابِلُ إِنَّكَ كَرِهْتَ الْبِرَّ إِذْ بَسَطْتَ إِلَى قَابِلٍ عُقْبَتَهُ فَذُكِرْتُمُ الْكَافِرِينَ﴾ ٣١: ﴿فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُورِي سَوَاءَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ﴾ علاه الله بندامة بعد خساراً.

٣٢: ﴿من أجل ذلك﴾ من أجل قتل ابن آدم أخاه ظلماً وعذواناً ﴿كنا على بني إسرائيل﴾ شرعنا لهم وأعلمناهم ﴿أنه من قتل نفساً بغير نفس أو فساداً في الأرض فكأنما قتل الناس جميعاً ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعاً﴾ من قتل نفساً بغير قصاص واستحل قتلها بلا سب ولا جناية فكأنما قتل الناس جميعاً؛ لأنه لا فرق عنده بين نفس ونفس، ومن حرم قتلها فقد سلم الناس كلهم منه بهذا الاعتبار، ولهذا قال تعالى: ﴿فكأنما أحيا الناس جميعاً﴾. ﴿ولقد جاءهم رسلهم بالبينات﴾ بالبراهين والدلائل الواضحة ﴿ثم إن كثيراً منهم بعد ذلك في الأرض لمُسْرِفُونَ﴾ وهذا تفرغ وتوبيخ لليهود على ارتكابهم المحارم بعد علمهم بها ٣٣: ﴿إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فساداً أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض﴾ المحاربة: هي المضادة والمخالفة، وهي صادقة على الكفر وعلى قطع الطريق وإخافة السبيل، وكذا الإفساد في الأرض يطلق على أنواع الشر. قال ابن عباس: من شبر السلاح في فة الإسلام، وأخاف السبيل، ثم ظفر به وقدر عليه، فإمام المسلمين فيه بالخيار إن شاء قتله، وإن شاء صلبه، وإن شاء قطع يده ورجله. أو السجن بأن يخرج من بلده إلى بلد آخر فيسجن فيه. ﴿ذلك لهم جزئ في الدنيا وهم في الآخرة عذاب عظيم﴾ هذا الذي ذكرته من قتلهم

مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا وَلَقَدْ جَاءتَهُمْ رَسُولُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ فِي الْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ ﴿٣٢﴾ إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِّنْ خِلَافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٣٣﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِن قَبْلِ أَنْ تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٤﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣٥﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوَآتٍ لَهُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لِيَفْتَدُوا بِهِ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَا تُقْبَلُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٣٦﴾

وصلبهم وقطع أيديهم وأرجلهم ونفهم خزي لهم بين الناس في هذه الحياة، وهم في الآخرة عذاب جهنم ٣٤: ﴿إلا الذين تابوا من قبل أن تقبلوا عليهم﴾ فلا يعرض له إلا بخير ﴿فاعلموا أن الله غفور رحيم﴾ ٣٥: ﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله﴾ التقوى: الانكفاف عن المحارم وترك المنهيات، ﴿وابتغوا إليه الوسيلة﴾ تقربوا إليه بطاعته والعمل بما يرضيه، ﴿وجاهدوا في سبيله لعلكم تفلحون﴾ لما أمرهم بترك المحارم وفعل الطاعات أمرهم بقتال الأعداء من المشركين والكفار الخارجين عن الطريق المستقيم، التاركين للدين القويم. ورغبهم في ذلك بالفلاح والسعادة الخالدة التي لا تبديد في الثرف العالية الآمنة الطيبة. ثم أخبر تعالى بما أعد لأعدائه الكفار من العذاب والنكال يوم القيامة فقال: ٣٦: ﴿إن الذين كفروا لو أن لهم ما في الأرض جميعاً ومثله معه ليفتدوا به من عذاب يوم القيامة ما تقبل منهم وهم عذاب أليم﴾ لو أن أحدهم جاء يوم القيامة بملء الأرض ذهباً ومثله ليفتدي بذلك من عذاب الله الذي قد أحاط به ما تقبل منه، بل لا مندوحة عنه ولا محيص له ولا مناص، ولهذا قال تعالى: ﴿وهم عذاب أليم﴾ موجع.

الآية: ٣٥ الوسيلة التي ينبغي أن يطلب بها الفضل من الله تعالى، والوسيلة: درجة في الجنة، وهي التي ورد الحديث الصحيح بها في قوله صلى الله عليه وآله وسلم: «فمن سألني الوسيلة حلت له الشفاعة». / تفسير القرطبي ج/ ٦/ ١٥٩.
وروى البخاري ومسلم عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «كلُّ نبيٍّ سأل [الله] سؤالاً، أو قال: لكلِّ نبيٍّ دعوة قد دعاهما لأمته، وإني أخبثُ دعوتي شفاعة لأمتي»
الترغيب ج/ ٤/ ٤٣١.

٣٧: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُخْرِجُوكَ مِنَ النَّارِ وَمَا هُمْ بِمُخْرِجِينَ مِنْهَا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾ كما قال تعالى: ﴿كَلِمًا أَرَادُوا أَن يُخْرِجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا﴾ الآية. فلا يزالون يريدون الخروج مما هم فيه من شدته وألم مسه، وكلما رفعهم اللهب فصاروا في أعلى جهنم ضربتهم الزبانية بالمقاع الحديد فيردوهم إلى أسفلها

٣٨: يقول تعالى أمرًا بقطع يد السارق والسارقة: ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا﴾، وفي الصحيحين قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «تُقَطَّعُ يَدُ السَّارِقِ فِي رِيعِ دِينَارٍ فَصَاعِدًا» أو ما يساويه من الأثمان أو العروض. ﴿جَزَاءٌ بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِنَ اللَّهِ﴾ مجازة على صنيعهما السيء في أخذها أموال الناس بأيديهم، فناسب أن يقطع ما استعانا به في ذلك؛ تنكيلًا من الله بهما على ارتكاب ذلك ﴿والله عزيز﴾ في انتقامه ﴿حكيم﴾ في أمره ونهيه وشرعه وقدره.

ثم قال تعالى: ٣٩: ﴿فَمَنْ تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ﴾ من تاب من بعد سرقته وأتاب إلى الله فإن الله يتوب عليه فيما بينه وبينه، فأما أموال الناس فلا بد من ردها إليهم أو بدلها، ﴿إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ ٤٠: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مَلِكٌ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ هو المالك لجميع ذلك، الحاكم فيه، الذي لا معقب لحكمه وهو الفعال لما يريد، ﴿يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ٤١: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزَنْكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ

يُرِيدُونَ أَن يُخْرِجُوكَ مِنَ النَّارِ وَمَا هُمْ بِمُخْرِجِينَ مِنْهَا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٣٧﴾ وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٣٨﴾ فَمَنْ تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٣٩﴾ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مَلِكٌ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤٠﴾ يَتَأْتِيهَا الرُّسُولُ لَا يَحْزَنْكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا وَسَمَّعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ وَإِن لَمْ تُؤْتَوْهُ فَاحْذَرُوا وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَن يُطَهِّرْ قُلُوبَهُمْ فِي الدُّنْيَا خَزِيَ وَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٤١﴾

في الكفر﴾ نزلت هذه الآية في المسارعين في الكفر الخارجين عن طاعة الله ورسوله، المقدمين آراءهم وأهواءهم على شرائع الله عز وجل ﴿ومن الذين قالوا آمنا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم﴾ أظهروا الإيمان بألسنتهم، وقلوبهم خراب خاوية منه، وهؤلاء المنافقون، ﴿ومن الذين هادوا﴾ أعداء الإسلام وأهله، وهؤلاء كلهم ﴿سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ﴾ مستجيبون له منفعلون عنه ﴿سَمَّاعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ﴾ يستجيبون لأقوام آخرين لا يأتون مجلسك يا محمد، ﴿يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ﴾ يتأولونه على غير تأويله ويبدلونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون، ﴿يقولون إن أوتيتم هذا فخذوه وإن لم تؤتوه فاحذروا﴾ نزلت في اليهوديين اللذين زنيا، وكانوا قد بدلوا كتاب الله الذي بأيديهم من الأمر برجم من أحصن منهم فحرقوه بالجلد مائة والتحميم، فلما وقعت تلك الكائنة بعد الهجرة، قالوا فيما بينهم: تعالوا نتحاكم إليه [أي: إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم] فإن حكم بالجلد فخذوا عنه، واجعلوه حجة بينكم وبين الله، ويكون نبي قد حكم بينكم بذلك، وإن حكم بالرجم فلا تتبعوه في ذلك. ﴿ومن يريد الله فتنته فلن تملك له من الله شيئا﴾ [أي: فلن تنفعه]، ﴿أولئك الذين لم يرد الله أن يطهر قلوبهم﴾ [بيان منه عز وجل أنه قضى عليهم بالكفر]، ﴿هم في الدنيا خزى وهم في الآخرة عذاب عظيم﴾، [وخزيتهم في الدنيا: هو فضيحتهم حين أنكروا الرجم، ثم أحضرت التوراة فوجد فيها الرجم].

الآية: ٣٨ روى البزار أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «لا يسرق السارق وهو مؤمن، ولا يزني الزاني وهو مؤمن؛ الإيمان أكرم على الله من ذلك» وروى البخاري ومسلم أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: «لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن، ولا يشرط الحمار حين يشرطه وهو مؤمن» الترغيب ج ٣/٢٦٩.

٤٢: ﴿سَمَاعُونَ لِلْكَذِبِ بِالْبَاطِلِ﴾
﴿أَكَاوِنَ لِلسَّحْتِ﴾ الحرام، وهو الرشوة،
ومن كانت هذه صفته كيف يُطهر الله قلبه؟
وأتى يستجيب له؟ ثم قال لنبيه: ﴿فَإِن
جَاؤُوكَ﴾ يتحاكمون إليك ﴿فَاحْكُم بَيْنَهُمْ
أَوْ أَعْرَضْ عَنْهُمْ وَإِن تُعْرَضْ عَنْهُمْ فَلن
يَضُرُّوكَ شَيْئًا﴾ فلا عليك أن لا تحكم بينهم
لأنهم لا يقصدون اتباع الحق بل ما يوافق
أهواءهم، ﴿وَإِن حَكَمْتَ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ
بِالْقِسْطِ﴾ بالحق والعدل ﴿وَإِن اللّٰهُ يُحِبُّ
الْمُقْسِطِينَ﴾ ثم قال تعالى منكرًا عليهم في
تركهم التوراة: ٤٣: ﴿وَكَيفَ يُحْكَمُونَكَ
وَعِنْدَهُمُ التَّوْرَةُ فِيهَا حُكْمُ اللّٰهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ
مِن بَعْدِ ذَٰلِكَ وَمَا أَوْلَتْكَ بِالْمُؤْمِنِينَ؟﴾
يترجمون عنهم ما هم مأمورون بالتمسك
بالتوراة ثم خرجوا عن حكمه إلى غيره
مما يعتقدون في نفس الأمر عدم لزومه
لهم ﴿وَمَا أَوْلَتْكَ بِالْمُؤْمِنِينَ﴾ أي: بحكمك
أنه من عند الله. ثم مدح تعالى التوراة
التي أنزلها على رسوله موسى فقال: ٤٤: ﴿إِنَّا
أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يُحْكَمُ
بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا
وَلا يُخْرِجُونَ عَنْ حُكْمِهَا وَلا يُبَدِّلُونَهَا
وَلا يُحَرِّفُونَهَا﴾ والربانيون والأحبار
وكذلك الربانيون وهم العلماء العباد،
والأحبار وهم العلماء ﴿بِمَا اسْتَحْفَظُوا مِنْ
كِتَابِ اللّٰهِ﴾ بما استودعوا من كتاب الله
الذي أمروا أن يظهره ويعملوا به ﴿وَكَانُوا
عَلَيْهِ شُهَدَاءَ فَلَا تَحْشَوْا النَّاسَ وَاحْشَوْنَ
اللّٰهَ﴾ ولا تخافوا منكم وخافوا مني ﴿وَلا تَشْتَرُوا
بِآيَاتِي﴾

سَمَاعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَلُونَ لِلسُّحْتِ فَإِن جَاءُوكَ
فَاحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرَضْ عَنْهُمْ وَإِن تُعْرَضْ
عَنْهُمْ فَلن يَضُرُّوكَ شَيْئًا وَإِن حَكَمْتَ
فَاحْكُم بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ إِنَّ اللّٰهَ يُحِبُّ
الْمُقْسِطِينَ ﴿٤٣﴾ وَكَيفَ يُحْكَمُونَكَ
وَعِنْدَهُمُ التَّوْرَةُ فِيهَا حُكْمُ اللّٰهِ ثُمَّ
يَتَوَلَّوْنَ مِن بَعْدِ ذَٰلِكَ وَمَا أَوْلَتْكَ
بِالْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٤﴾ إِنَّا أَنْزَلْنَا
التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يُحْكَمُ بِهَا
النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا
وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالأَحْبَارُ بِمَا اسْتَحْفَظُوا
مِنْ كِتَابِ اللّٰهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ
فَلَا تَحْشَوْا النَّاسَ وَاحْشَوْا اللّٰهَ
وَاحْشَوْنَ اللّٰهَ وَلا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي
مِن بَعْدِ ذَٰلِكَ وَمَا أَوْلَتْكَ بِالْمُؤْمِنِينَ
أَيُّ حُكْمِكَ أَنَّهُ مِنْ عِنْدِ اللّٰهِ ثُمَّ
مَدَحَ تَعَالَى التَّوْرَةَ الَّتِي أَنْزَلَهَا
عَلَى رَسُولِهِ مُوسَى فَقَالَ: ٤٤: ﴿إِنَّا
أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ
يُحْكَمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا
لِلَّذِينَ هَادُوا وَلا يُخْرِجُونَ عَنْ
حُكْمِهَا وَلا يُبَدِّلُونَهَا وَلا يُحَرِّفُونَ
هَآؤُلَاءِ الرَّبَّانِيُّونَ وَالأَحْبَارُ بِمَا
اسْتَحْفَظُوا مِنْ كِتَابِ اللّٰهِ وَكَانُوا
عَلَيْهِ شُهَدَاءَ فَلَا تَحْشَوْا النَّاسَ
وَاحْشَوْنَ اللّٰهَ وَاحْشَوْنَ اللّٰهَ وَلا
تَشْتَرُوا بِآيَاتِي﴾

ثُمَّ قَلِيلًا، وَمَنْ لَمْ يُحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللّٰهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الكَافِرُونَ﴾ نزلت هذه الآية في أهل الكتاب، وهي علينا واجبة. قال ابن عباس: إن الله أنزل: ﴿وَمَنْ لَمْ يُحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللّٰهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الكَافِرُونَ، وَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ، وَأُولَٰئِكَ هُمُ الفَاسِقُونَ﴾، وقال الشعبي في قوله تعالى: ﴿فَأُولَٰئِكَ هُمُ الكَافِرُونَ﴾ هذا في المسلمين. قال ابن طائوس: وليس كمن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله. وقال عطاء: إنه كفرٌ دون كفر. قال ابن عباس: ليس بالكفر الذي تذهبون إليه (وهذا بالنسبة للمسلمين، أما بالنسبة لأهل الكتاب فهو الكفر المراد هنا، الذي يُخَلِّدُ صَاحِبَهُ نَارَ جَهَنَّمَ) ٤٥: ﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُ وَمَنْ لَمْ يُحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللّٰهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ ٤٥: ﴿وَمَنْ لَمْ يُحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللّٰهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الكَافِرُونَ﴾ لأنهم جحدوا حكم الله قصدًا منهم وعنادًا. ﴿أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ﴾، وإن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كتب في كتاب عمرو بن حزم: «أن الرجل يُقتل بالمرأة» وفي الحديث الآخر: «المسلمون تتكافأ دماؤهم»، وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «لا يُقتلُ مسلمٌ بكافر». ﴿وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ﴾ تُفَقِّدُ العَيْنُ بِالْعَيْنِ، ﴿وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ﴾ وَتَقْطَعُ الأُذُنُ بِالأُذُنِ، ﴿وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ﴾ وَتَنْزَعُ السِّنُّ بِالسِّنِّ، ﴿وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ﴾ وَتُقْتَضُ الجُرُوحُ بِالجُرُوحِ، ﴿فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ﴾ فَمَنْ عَفَا عَنْهُ ﴿فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُ﴾ للمطلوب ﴿وَمَنْ لَمْ يُحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللّٰهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾.

٤٦: ﴿وَقَفْنَا عَلَى آثَارِهِمْ بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَآيَاتِنَا فِيهَا الْإِنْجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ هُدًى إِلَى الْحَقِّ وَنُورٌ يَسْتَضَاءُ بِهِ فِي إِزَالَةِ الشُّبُهَاتِ وَحَلِّ الْمَشْكَلاتِ، ﴿وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ﴾ متبعاً لها غير مخالف لما فيها، ﴿وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ﴾ وجعلنا الإنجيل هدىً يهتدى به، وموعظة، أي: زاجراً عن ارتكاب الحرام، للمتقين [الذين يخافون] وعيذه وعقابه ٤٧: ﴿وَلِيَحْكُمَ أَهْلَ الْإِنْجِيلِ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ ﴿٤٧﴾ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيِّمًا عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شُرْعَةً وَمِنْهَا جَاءَ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٤٨﴾ وَأَن آحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَأَحْذَرَهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ فَإِن تَوَلَّوْا فَاعْلَم أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُصِيبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِن كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ ﴿٤٩﴾ أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْعُونَ وَمَن أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٥٠﴾

فلهذا جعله شاهداً وأميناً وحاكماً عليها، ﴿فاحكم بينهم﴾ يا محمد ﴿بما أنزل الله﴾ من هذا الكتاب العظيم ﴿ولا تتبع أهواءهم﴾ آراءهم التي اصطالحوا عليها وتركوا بسببها ما أنزل الله على رسوله، ﴿عما جاءك من الحق﴾ الذي أمرك الله به، ﴿لكل جعنا منكم شرعة ومنهاجاً﴾ شرعة وستة، وفي صحيح البخاري قال صلى الله عليه وآله وسلم: «نحن معاشر الأنبياء إخوة لعلاتٍ دبتنا واحدة»، [أولاد العلات: الذين أمهاتهم مختلفة وأبؤهم واحد]، التوحيد الذي بعث الله به كل رسول، أما الشرائع فمختلفة في الأوامر والنواهي؛ لِمَا لَعَالَى مِنَ الْحِكْمَةِ فِي ذَلِكَ. ﴿ولو شاء الله لحعلكم أمة واحدة﴾ هذا خطاب لجميع الأمم وإخبار عن قدرته تعالى على جمع الناس على شريعة واحدة، ولكنه سبحانه شرع لكل رسول شريعة على حدة، ثم نسخها بما بعث به رسوله محمداً صلى الله عليه وآله وسلم إلى أهل الأرض قاطبة؛ ﴿ولكن لئبلوكم في ما آتاكم﴾ لِيختبر عباده فيما آتاهم من الكتاب [وهو القرآن]، ﴿فاستبقوا الخيرات﴾ وهي طاعة الله واتباع شرعه والتصديق بالقرآن الكريم ﴿إلى الله مرجعكم فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ ٤٩: ﴿وَأَن آحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ﴾ هذا تأكيد لما تقدم من الأمر بذلك، ﴿واحذروهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله إليك﴾ احذر اليهود أن يُدلسوا عليك الحق فإتهم كذبة كفره خونة، ﴿فإن تولوا﴾ عَمَّا تَحْكُمُ بِهِ بَيْنَهُم مِنَ الْحَقِّ ﴿فَاعْلَم أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُصِيبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ﴾ التي اقتضت إضلالهم ونكالمهم، ﴿وإن كثيراً من الناس لفاسيقون﴾ لخارجون عن طاعة ربهم ٥٠: ﴿أفحكم الجاهلية يبغون﴾؟ يُنكر تعالى على من خرج من حكم الله، وعدل إلى ما سواه من آراء الجاهلية ﴿ومن أحسن من الله حكماً﴾؟ ومن أعدل من الله في حكمه؟ ﴿لقوم يعقلون﴾ لمن عقل وآمن.

٥١: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾
 وَنَهَى تَعَالَى الْمُؤْمِنِينَ عَنِ مَوَالَةِ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى الَّذِي هُم أَعْدَاءُ الْإِسْلَامِ، ثُمَّ أَخْبَرَ أَنَّ بَعْضَهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ، ثُمَّ تَهَدَّدَ وَتَوَعَّدَ مَنْ يَتَعَاطَى ذَلِكَ فَقَالَ: ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ﴾، قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبَّاسٍ: لَيْتَنِي أَحَدُكُمْ أَنْ يَكُونَ يَهُودِيًّا أَوْ نَصْرَانِيًّا وَهُوَ لَا يَشْعُرُ. ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾
 ٥٢: ﴿فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾ شَكَّ وَنَفَاقَ ﴿يَسَارِعُونَ فِيهِمْ﴾ يُبَادِرُونَ إِلَى مَوَالِيهِمْ وَمَوَدَّتِهِمْ ﴿يَقُولُونَ نَحْشَى أَنْ تُصَيِّبَنَا دَائِرَةٌ﴾ يَتَأَوَّلُونَ فِي مَوَدَّتِهِمْ وَمَوَالِيهِمْ أَنَّهُمْ يَخْشَوْنَ أَنْ يَقَعَ أَمْرٌ مِنْ ظَفَرِ الْكَافِرِينَ بِالْمُسْلِمِينَ فَتَكُونُ لَهُمْ آيَادٌ عِنْدَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى فَيَنْفَعُهُمْ ذَلِكَ، عِنْدَ ذَلِكَ قَالَ تَعَالَى: ﴿فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَنَّ بِالْفَتْحِ﴾ فَتَحَ مَكَّةَ ﴿أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ﴾ ضَرَبَ الْحَزِيَّةَ عَلَى الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى ﴿فَيُصِيبُوهَا﴾ الْمُنَافِقُونَ ﴿عَلَى مَا أَسْرَوْا فِي أَنْفُسِهِمْ﴾ مِنَ الْمَوَالَةِ ﴿نَادِمِينَ﴾ عَلَى مَا كَانُوا مِنْهُمْ ٥٣: ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ [بَعْدَ أَنْ فَضَحَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ] فَتَعَجَّبُوا مِنْهُمْ كَيْفَ كَانُوا يَظْهَرُونَ أَنَّهُمْ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَيَخْفَوْنَ عَلَى ذَلِكَ: ﴿أَهْوَلَاءُ الَّذِينَ أَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَأَصْبَحُوا خَاسِرِينَ﴾!
 ٥٤: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾ يَقُولُ تَعَالَى خَيْرًا عَنْ قُدْرَتِهِ

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ (٥١)
 ﴿فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسْرِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَحْشَى أَنْ تُصَيِّبَنَا دَائِرَةٌ فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ فَيُصِيبُوهَا عَلَىٰ مَا أَسْرَوْا فِي أَنْفُسِهِمْ تَدْمِينًا﴾ (٥٢)
 وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا أَهْوَلَاءُ الَّذِينَ أَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَأَصْبَحُوا خَاسِرِينَ﴾ (٥٣)
 ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ (٥٤)
 ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾ (٥٥) ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ﴾ (٥٦) ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُوعًا وَلَعِبًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَالْكَافِرَ أَوْلِيَاءَ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ كُفْرَكُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ (٥٧)

العظيمة أنه من تولى عن نصرته دينه فإن الله يستبدل به من هو خيراً لها منه، ﴿أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ هذه صفات المؤمنين الكامل، أن يكون أحدهم متواضعاً لأخيه متعزراً على عدوه كما قال تعالى: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَرَاءِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ ﴿يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ﴾ لا يرددهم عما هم فيه من طاعة الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر راداً ولا يصددهم عنه صاداً. ﴿ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ﴾ من اتصف بهذه الصفات فإنما هو من فضل الله عليه وتوفيقه له ﴿وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾، واسع الفضل عليم بمن يستحق ذلك ٥٥: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾ ليس اليهود بأوليائكم، بل ولايتكم راجعة إلى الله ورسوله والمؤمنين ﴿الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ﴾ الصلاة: هي أكبر أركان الإسلام، والزكاة: هي حق الضعفاء والمساكين، ﴿وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾، المراد بالركوع: الخشوع والخضوع، أي: يؤتون الزكاة وهم لا يتكبرون [٥٦]: ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ﴾ كل من رضي بولاية الله ورسوله والمؤمنين فهو مفلح في الدنيا والآخرة ومنصور في الدنيا والآخرة ٥٧: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُوعًا وَلَعِبًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَالْكَافِرَ أَوْلِيَاءَ﴾ هذا تنفير من موالاة أعداء الإسلام وأهله من الكتابيين والمشركين الذين اتخذوا شرائع الإسلام هُزُوعاً يستهزئون بها، ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ كُفْرَكُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ اتقوا الله أن تتخذوا هؤلاء الأعداء أولياء إن كنتم مؤمنين يبشرع الله الذي اتخذ هؤلاء هُزُوعاً ولعباً.

وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ اتَّخَذُوهَا هُزُوءًا وَلَعِبًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٥٨﴾ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ هَلْ تَقِيمُونَ مِنَّا إِلَّا أَنَا مَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلُ وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَاسِقُونَ ﴿٥٩﴾ قُلْ هَلْ أُنبِئُكُمْ بِشَرٍّ مِّنْ ذَلِكَ مَثُوبَةً عِنْدَ اللَّهِ مَن لَعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ أُولَئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ عَن سَوَاءِ السَّبِيلِ ﴿٦٠﴾ وَإِذَا جَاءَ وَكُمُ قَالُوا يَا مَنَّا وَقَدْ دَخَلُوا بِالْكَفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُوا بِهِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا يَكْتُمُونَ ﴿٦١﴾ وَتَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ يُسِرُّونَ فِي الْأَيْمِ وَالْعُدُونِ وَأَكَلِهِمُ السُّحْتُ لَيْسَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٦٢﴾ لَوْلَا يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ عَن قَوْلِهِمُ الْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتُ لَيْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴿٦٣﴾ وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غَلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلِعِنُوا بِمَا قَالُوا لُبًّا يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُفِيقُ كَيْفَ يَشَاءُ وَلِيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعُدَاةَ وَالْبَغِضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴿٦٤﴾

٥٨: ﴿وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ اتَّخَذُوهَا هُزُوءًا وَلَعِبًا﴾ وكذلك إذا أذنتم للصلاة التي هي أفضل الأعمال اتَّخَذُوهَا هُزُوءًا وَلَعِبًا ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ﴾ معاني عبادة الله وشرايعه، وهذه صفات أتباع الشيطان الذي إذا سمع الأذان أدير ﴿٥٩﴾ ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ هَلْ تَقِيمُونَ﴾ هل لكم علينا مطعن أو عيب ﴿إِلَّا أَنَا مَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلُ﴾ وهذا ليس بعيب ولا مذمة، ﴿وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَاسِقُونَ﴾ وأمنا بأن أكثركم فاسقون، أي: خارجون عن الطريق المستقيم ﴿٦٠﴾ ﴿قُلْ هَلْ أُنبِئُكُمْ بِشَرٍّ مِّنْ ذَلِكَ مَثُوبَةً عِنْدَ اللَّهِ﴾ هل أخبركم بشرٍّ جزاء عند الله يوم القيامة مما تظنون بنا؟ ﴿مَن لَعَنَهُ اللَّهُ﴾ أبعد من رحمته ﴿وَغَضِبَ عَلَيْهِ﴾ غضباً لا يرضى بعده أبداً ﴿وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ﴾ أما غضب الله على اليهود مسخهم قردة وخنزير، ﴿وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ﴾ أنتم يا أهل الكتاب صدر هذا منكم، وأنتم الذين فعلتموه، ولهذا قال سبحانه: ﴿أُولَئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ عَن سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾ ﴿٦١﴾ ﴿وَإِذَا جَاءُوكُم قَالُوا يَا مَنَّا وَقَدْ دَخَلُوا بِالْكَفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُوا بِهِ﴾ وهذه صفة المنافقين يُصَابِعُونَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الظَّاهِرِ وَقُلُوبُهُمْ مَنطُوبَةٌ عَلَى الْكُفْرِ، ولهذا قال: ﴿وَقَدْ دَخَلُوا﴾ عندك يا محمد ﴿بِالْكَفْرِ﴾ مستصحبين الكفر في قلوبهم، ثم خرجوا وهو كامن فيهم، لم ينتفعوا بما سمعوا منك من المواعظ والزواجر، ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا يَكْتُمُونَ﴾ عالم بسرّاتهم وما

تنطوي عليه ضائرهم ﴿٦٢﴾ ﴿وَتَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ يُسَارِعُونَ فِي الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتُ﴾ يُبَادِرُونَ إِلَى ذَلِكَ مِنْ تَعَاطِي الْمَأْتَمِ وَالْحَارِمِ وَالِاعْتِدَاءِ عَلَى النَّاسِ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَالَهُمْ بِالْبَاطِلِ ﴿لَيْسَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ ﴿٦٣﴾ ﴿لَوْلَا يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ عَن قَوْلِهِمُ الْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتُ﴾ هَلَّا كَانَ يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ، وَهَمُ الْعُلَمَاءُ أَرْيَابِ الْوِلَايَاتِ عَلَيْهِمْ، وَالْأَحْبَارُ، وَهَمُ الْعُلَمَاءُ قَطُّ؟ ﴿لَيْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ من تركهم ذلك، قال ابن عباس: ما في القرآن آية أشدَّ توبيخاً من هذه الآية. وخطب علي بن أبي طالب فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أيها الناس إنما هلك من كان قبلكم بركوبهم المعاصي، ولم ينههم الربانيون والأحبار، فلما تماذروا في المعاصي أخذتهم العقوبات، فمروا بالمعروف وانهوا عن المنكر قبل أن ينزل بكم مثل الذي نزل بهم ﴿٦٤﴾ يُخْبِرُ تَعَالَى عَنِ الْيَهُودِ بِأَنَّهُمْ وَصَفُوهُ تَعَالَى اللَّهُ عَن قَوْلِهِمْ عَلَوْا كَبِيرًا - بِأَنَّهُ يَجْهَلُ، بِأَن قَالُوا: ﴿يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾ كما قالوا: ﴿إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ﴾، ﴿غَلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلِعِنُوا بِمَا قَالُوا﴾ بل يدها مبسوطتان يُفِيقُ كَيْفَ يَشَاءُ ﴿رَدَّ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مَا قَالُوهُ، بَلْ هُوَ الْوَاسِعُ الْفَضْلُ الْجَزِيلُ الْعِطَاءُ، وَلِيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا﴾ يكون ما أتاك الله يا محمد من النعمة تقمة في حق أعدائك من اليهود ﴿وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعُدَاةَ وَالْبَغِضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ أنه لا تجتمع قلوبهم بل العداوة واقعة بين فرقه دائماً، لأنه لا يجتمعون على حقٍ ﴿كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ﴾ كلما عقدوا أسباباً يكيدونك بها أبطلها الله ﴿وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا﴾ وهذا من سجيّتهم ﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾.

الآية: ٦٣ قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «لا يسكب عبداً ملاً حراماً فينصقُ به فيقول منه، ولا يُفِيقُ منه فيبارك له فيه، ولا يتركه خلف ظهره إلا كان زادةً إلى

٦٥: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ آمَنُوا﴾ بالله ورسوله ﴿وَاتَّقُوا﴾ ما كانوا يتعاطونه من المحارم والمآثم ﴿لَكَفَرْنَا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأَدْخَلْنَاكُمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾ لأزلنا عنهم المخذور وأنناهم المقصود ٦٦: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ﴾ وهو القرآن ﴿لَأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمَنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ﴾ لو أنهم عملوا بما في الكتب التي في أيديهم من غير تحريف ولا تبديل لقادهم ذلك إلى اتباع الحق والعمل بمقتضى ما بعث الله به محمداً صلى الله عليه وآله وسلم، ولكثر الرزق النازل عليهم من السماء والنابات لهم من الأرض، كما قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾، ﴿مِنْهُمْ أُمَّةٌ مُقْتَصِدَةٌ﴾، [وهم المؤمنون منهم كالجاشي وسلمان وعبد الله بن سلام]، ﴿وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ سَاءَ مَا يَحْمِلُونَ﴾ ٦٧: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ﴾ يقول تعالى مخاطباً عبده ورسوله محمداً صلى الله عليه وآله وسلم باسم الرسالة وأمرأ له بإبلاغ جميع ما أرسله الله به، وقد امتثل عليه أفضل الصلاة والسلام ذلك وقام به أتم القيام. قال الزهري: من الله الرسالة، وعلى الرسول البلاغ، وعلينا التسليم، وقد شهدت له أمته بإبلاغ الرسالة وأداء الأمانة. ﴿وَاللَّهُ يَعصمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾ أنت بلغ رسالتني وأنا حافظك وناصرك على أعدائك، ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ

الذين

﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ آمَنُوا وَاتَّقُوا لَكَفَرْنَا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأَدْخَلْنَاكُمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾ ٦٥ ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمَنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ مِنْهُمْ أُمَّةٌ مُقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ سَاءَ مَا يَحْمِلُونَ﴾ ٦٦ ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعصمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ ٦٧ ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ حَتَّى تُقِيمُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَيُذِيقَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ ٦٨ ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِقُونَ وَالنَّصَارَى مِنْ أَمَمٍ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلْ صَالِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ ٦٩ ﴿لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَارْسَلْنَا إِلَيْهِمْ رَسُولًا قُلْنَا إِذْ مَا جَاءَهُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ﴾ ٧٠

الكافرين ﴿أَنْتَ بَلِّغْ بِاللَّهِ هُوَ الَّذِي يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَيُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ﴾ ٦٨: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ حَتَّى تُقِيمُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ قُلْ يَا مُحَمَّدٌ ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ﴾ من الذين حتى تؤمنوا بجميع ما بأيديكم من الكتب المنزلة من الله على الأنبياء وتعملوا بما فيها، ومما فيها الإيمان بمحمد صلى الله عليه وآله وسلم والأمر باتباعه ﴿وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ﴾ القرآن العظيم. ﴿وَلَيُذِيقَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا﴾ يكون ما أتاك الله يا محمد من النعمة نعمة في حق أعدائك. ﴿فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ فلا تحزن عليهم ولا يهينتك ذلك منهم ٦٩: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ وهم المسلمون ﴿وَالَّذِينَ هَادُوا﴾ وهم حملة التوراة، ﴿وَالصَّابِقُونَ﴾ وهم قوم يعرفون الله وحده وليست لهم شريعة يعملون بها، ﴿وَالنَّصَارَى﴾ من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحاً فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون ﴿وَالْمُقْتَصِدُونَ﴾ من اتصف بذلك فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون ٧٠: ﴿لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ يذكر تعالى أنه أخذ العهود والمواثيق على بني إسرائيل على السمع والطاعة لله ولرسوله ﴿وَأَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ رَسُولًا﴾ فنقضوا تلك المواثيق واتبعوا أهواءهم ولهذا قال تعالى: ﴿كَلَّمَا جَاءَهُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ﴾.

الآية ٦٦: روى ابن أبي حاتم أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: «يُوشَعُ أَنْ يُرْفَعَ الْعِلْمُ»، فقال زياد بن ليبيد: يا رسول الله كيف يُرْفَعُ الْعِلْمُ وقد قرأنا القرآن وعلمناه أبناءنا؟ فقال: «أَوْ لَيْسَتْ التَّوْرَةُ وَالْإِنْجِيلُ بِأَيْدِي الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى، فَمَا اغْنَى عَنْهُمْ حِينَ تَرَكُوا أَمْرَ اللَّهِ؟» ١٩/ تفسير ابن كثير ج ٢/ ٧٦. [ورواه ابن ماجه ج ٢/ ١٣٤٤].
الآية ٧٢: قال رسول الله [عن الله تبارك وتعالى] «شتمني ابن آدم ولم يكن له ذلك». يقول: اتخذ الله ولداً، وأنا الصمد الذي لم ألد ولم أولد ولم يكن لي كفواً أحد» /فتح=

وَحَسِبُوا أَن لَّا تَكُونُ فِتْنَةً فَعَمُوا وَصَمُّوا ثُمَّ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ثُمَّ عَمُوا وَصَمُّوا كَثِيرٌ مِنْهُمْ وَاللَّهُ بِصِيرٍ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿٧١﴾ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ ابْنَ اللَّهِ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ ۗ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَبْنِي لِإِسْرَائِيلَ يَلْعَبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مِنْ يُشْرِكٍ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ ﴿٧٢﴾ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ ابْنَ اللَّهِ تَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمِمَّنْ إِلَهٌ إِلَّا إِلَهُ وَحْدٌ وَإِن لَّمْ يَتَنَهَوْا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لَهُ وَاللَّهُ عَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٧٤﴾ مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَاكُلَانِ الطَّعَامَ ۗ انظُرْ كَيْفَ بُيِّنَ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ انظُرْ أَنَّى يُؤَفَّكُونَ ﴿٧٥﴾ قُلْ أَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَّا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَاللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٧٦﴾

٧١: ﴿وَحَسِبُوا أَن لَّا تَكُونُ فِتْنَةً﴾ وحسبوا أن لا يترتب شرٌّ على ما صنعوا ﴿فَعَمُوا وَصَمُّوا﴾ فترتب عنهم عن الحق وصموا فلا يسمعون حقاً، ﴿ثُمَّ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ ومما كانوا فيه ﴿ثُمَّ عَمُوا وَصَمُّوا﴾ بعد ذلك ﴿كَثِيرٌ مِنْهُمْ وَاللَّهُ بِصِيرٍ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾ مطلع عليهم وبصير بهم ٧٢: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ ابْنَ اللَّهِ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ﴾ يقول تعالى حاكماً بتكفير فرق النصارى بمن قال بأن المسيح هو الله - تعالى الله عن قولهم علواً كبيراً- ﴿وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَعْبُدْ مَعَهُ غَيْرُهُ﴾ ﴿لَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ﴾ فقد أوجب له النار وحرم عليه الجنة، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾، ﴿وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾ ٧٣: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ ابْنَ اللَّهِ تَالِثُ ثَلَاثَةٍ﴾ في قولهم بالأقنوم الثلاثة، وهو أقنوم الأب، وأقنوم الابن، وأقنوم الكلمة، تعالى الله عن قولهم علواً كبيراً. ﴿وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهُ وَاحِدٌ﴾ ليس متعدداً بل هو وحده لا شريك له، إله جميع الكائنات، ثم قال تعالى متوعداً لهم ومتهدداً: ﴿وَإِن لَّمْ يَتَنَهَوْا عَمَّا يَقُولُونَ﴾ من هذا الاقتراء والكذب ﴿لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ في الآخرة من الأغلال والنكال. ثم قال تعالى: ٧٤: ﴿أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لَهُ وَاللَّهُ عَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾؟ وهذا من كرمه تعالى وجوده، ولطفه ورحمته بخلقه مع

هذا الذنب العظيم، وهذا الاقتراء والإفك والكذب يدعوهم إلى التوبة والمغفرة؛ فكلُّ مَنْ تَابَ إِلَيْهِ تَابَ عَلَيْهِ ٧٥: ﴿مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ﴾ له أسوة مثاله من سائر المرسلين المتقدمين، وأنه عبدٌ من عباد الله ورسول من رسله الكرام كما قال تعالى: ﴿إِن هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلاً لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ﴾. ﴿وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ﴾ مؤمنة به مُصَدِّقَةٌ له وهذا أعلى مقاماتها. ﴿كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ﴾ يحتاجان إلى التغذية به، وإلى خروجه منهما، فهما عبدان كسائر الناس وليسا يلهين كما زعمت النصارى الجهلة [الضالون]، ثم قال تعالى: ﴿انظُرْ كَيْفَ بُيِّنَ لَهُمُ الْآيَاتِ﴾؟ نُوضِّحُهَا ونُظهِرُهَا، ﴿ثُمَّ انظُرْ أَنَّى يُؤَفَّكُونَ﴾ انظر بعد هذا البيان والوضوح أين يذهبون؟ وبأي قول يتمسكون؟ ٧٦: ﴿قُلْ أَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَّا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا﴾! يُنكَرُ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى مَنْ عَبَدَ غَيْرَهُ وَمَنْ لَا يَقْدِرُ عَلَى دَفْعِ ضَرِّ وَلَا إِصْلَاحِ نَفْعٍ، ﴿وَاللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ السميع لأقوال عباده، العليم بكل شيء، فلمْ عدلتم عنه إلى عبادة من لا يملك ضراً ولا نفعاً لغيره ولا لنفسه؟! =

الآية: ٧٣ قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «ألا لا يمتنع رجلاً هبة الناس أن يقول بحق إذا علمه» / رواه ابن ماجه ج/ ٢ / ١٣٢٨ .
الآية: ٧٤ قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «كل ابن آدم خطاءٌ وخير الخطائين التوابون» ، رواه الترمذي . وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «إن الله يقبل توبة العبد ما لم يغرغر» رواه الترمذي وقال: حسن . وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «من سعادة المرء أن يطول عمره» ، ورزقه الله الإجابة «أي: بالقبول إليه سبحانه . رواه الحاكم وقال صحيح الإسناد / الترغيب ج/ ٤ / ٩٠ .

٧٧: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَجَاوَزُوا الْحَدَّ فِي اتِّبَاعِ الْحَقِّ، وَلَا تَطْرُقُوا مِنْ أَمْرِهِمْ بِتَعْظِيمِهِ فَبِالْغَاوِ فِيهِ حَتَّى تَخْرُجُوا عَنْ حَيْزِ النُّبُوَّةِ إِلَى مَقَامِ الْإِلَهِيَّةِ كَمَا صَنَعْتُمْ فِي الْمَسِيحِ، وَهُوَ نَبِيٌّ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ فَجَعَلْتُمُوهُ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ، وَمَا ذَلِكَ إِلَّا لِإِقْتِدَائِكُمْ بِشَيْئِ خَمَكُمْ شَيْخُ الضَّلَالَةِ الَّذِينَ هُمْ سَلْفُكُمْ، ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾ وَخَرَجُوا عَنْ طَرِيقِ الْإِسْتِقَامَةِ وَالْإِعْتِدَالِ إِلَى طَرِيقِ الْغَوَايَةِ وَالضَّلَالِ ٧٨: ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ٧٨﴾ كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٧٨﴾ تَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنْفُسُهُمْ أَنْ سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ ﴿٨٠﴾ وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالنَّبِيِّ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوا آلِهَةً آخَرَ وَلَا كُنَّا كَثِيرًا مِنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴿٨١﴾ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصْرِي ذَلِكَ يَأْتِيهِمْ فَيَقُولُ قَسِيصِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٨٢﴾

مریم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون»، وكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم متكئا فجلس فقال: «لا والذي نفسي بيده حتى تأطروهم على الحق أطرا» ٨٠: ﴿تَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ يعني بذلك المناققين، ﴿لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنْفُسُهُمْ﴾ [من] مواليتهم للكافرين وتركهم موالاة المؤمنين التي أعقبتهم نفاقا في قلوبهم وأسخطت عليهم الله، سخطا مستمرا إلى يوم معادهم ولهذا قال سبحانه: ﴿أَنْ سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ﴾ ٨١: ﴿وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالنَّبِيِّ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوا آلِهَةً آخَرَ وَلَا كُنَّا كَثِيرًا مِنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾ خارجون عن طاعة الله ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم ٨٢: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾ وما ذلك إلا لأن كفر اليهود كفر عناد وجحود ومباهة للحق، ﴿وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصْرِي﴾ من أتباع المسيح، فيهم مودة للإسلام وأهله في الجملة وما ذلك إلا لما في قلوبهم من الرافة، كما قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهَابِيَّةً﴾، ولهذا قال سبحانه: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قَسِيصِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ وصفهم بأن فيهم العلم والعبادة والتواضع مع وصفهم بالانقياد للحق، كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ﴾. وهذه الآيات نزلت في النجاشي وأصحابه الذين أسلموا.

الآية: ٨٢: روى الحافظ ابن مردويه: أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: «ما خلا يهودي بمسلم قط إلا هم بقلته» ابن كثير ج/ ٢، ٨٥. وخرجه ابن أبي شيبة من مواليه من قينقاع، يوم أحد، قال صلى الله عليه وآله وسلم: «وقد أسلموا؟ قالوا: لا، قال: «فليرجعوا إننا لا نستعين بمشرك» البيان والتعريف ج/ ١، ٨١.

٨٣: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الْحَقِّ وَمِمَّا عَرَفُوا مِنْ دَلِيلِ الْبَشَارَةِ بَيِّنَةً مِمَّا عَدَى صُلَى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ﴾ يقولون ربنا آتنا فاكنتنا مع الشاهدين مع من يشهد بصحة هذا ويؤمن به؛ أي: مع محمد وأمه ٨٤: ﴿وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا جَاءَنَا مِنَ الْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَنْ يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ﴾ وهذا الصنف من النصارى هم المذكورون في قوله تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِمْ خَاشِعِينَ لِلَّهِ﴾، ولهذا قال تعالى: ٨٥: ﴿فَأَنبَأَهُمُ اللَّهُ بِمَا قَالُوا جَنَّتِ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ فجازاهم على إيمانهم واعترافهم بالحق جنات تجري من تحتها الأنهار ماكين فيها أبدأ، ﴿وذلك جزاء المحسنين﴾ ٨٦: ﴿والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب الجحيم﴾ أخير سبحانه عن حال الأشقياء [الذين جحدوا آيات الله ولم يؤمنوا بها] ٨٧: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم ولا تحلوا إن الله لا يحب المعتدين﴾ نزلت هذه الآية في رهن من أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم قالوا: نقطع مذاكرنا ونترك شهورات الدنيا ونسبح في الأرض كما يفعل الرهبان بلغ ذلك النبي صلى الله عليه وآله وسلم فأرسل إليهم فذكر لهم ذلك، فقالوا: نعم، فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «لكني أصوم وأفطر وأصلي وأنام وأنكح النساء، فمن أخذ بسنتي

وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الْحَقِّ وَمِمَّا عَرَفُوا مِنْ دَلِيلِ الْبَشَارَةِ بَيِّنَةً مِمَّا عَدَى صُلَى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فَأَقْبَلُوا بِالْحَقِّ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴿٨٤﴾ فَأَنبَأَهُمُ اللَّهُ بِمَا قَالُوا جَنَّتِ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ ﴿٨٥﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴿٨٦﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَحْرِمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴿٨٧﴾ وَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمْ اللَّهُ حَلالًا طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾ لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَدْتُمُ الْأَيْمَانَ فَكَفَّرَتْهُ إِطْعَامُ عَشْرَةِ مَسْكِينٍ مِنْ أَوْسَطِ مَا تَطْعَمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ذَلِكَ كَفْرَةُ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٨٩﴾

فهو مني، ومن لم يأخذ بسنتي فليس مني». ﴿ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين﴾ لا تسبوا بغير سنة المسلمين؛ يريد ما حرّموا من النساء والطعام واللباس. فإن هذا هو الاعتداء، وأمرهم أن يكفروا عن إيمانهم [فإن من حرم على نفسه ما أحل الله لزمته كفارة بين] ٨٨: ﴿وكلوا مما رزقكم الله حلالاً طيباً واتقوا الله الذي أنتم به مؤمنون﴾ واتبعوا طاعته ورضوانه وتركوا مخالفته وعصيانته ٨٩: ﴿لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم﴾ يبين اللغو قول الرجل في الكلام من غير قصد: لا والله، وبلى والله. ﴿ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الأيمان﴾ بما صمتم عليه منها وقصدتموها، ﴿لكفارتها إطعام عشرة مساكين من أوسط ما تطعمون أهليكم﴾ من الخبز والزيت واللبن والتمر والخل حتى يشبعوا. ﴿أو كسوتهم﴾ من قميص [أو نحوه] لكل مسكين، ﴿أو تحرير ربة فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام﴾ ذلك كفارة أيمانكم إذا حلفتم ﴿أو احفظوا أيمانكم﴾ لا تتركوها بغير تكفير ﴿كذلك يبين الله لكم آياته﴾ يوضحها ويُسرها ﴿لعلكم تشكرون﴾.

الآية: ٨٩ عن عبدالله بن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله تعالى ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم، فمن كان حالفاً فليحلف بالله، أو ليصنعت» متفق عليه. وسع ابن عمر رجلاً يقول: لا والكعبة، فقال له: لا تحلف بغير الله، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك» رواه الترمذي وقال: حديث حسن. وعن ابن مسعود أنّ النبي ﷺ قال: «من حلف على مال امرئ مسلم بغير حق لقي الله وهو عليه غضبان» متفق عليه. وعن عبدالرحمن بن سمرة قال: قال لي رسول الله ﷺ: «وإذا حلفت على يمين فرأيت غيرها خيراً منها، فالت الذي هو خير، وكفر عن يمينك» متفق عليه/رياض الصالحين ص ٦٤٧ - ٦٥٠.

الآية: ٨٩ قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «من حلف على يمين ثم رأى أنقى لله منها، فليأت التقوى» رواه مسلم. /رياض الصالحين ص ٤٧.

٩٠: يقول تعالى ناهياً المؤمنين عن تعاطي الخمر والميسر، وهو القمار: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَكُلُّ شَيْءٍ مِنَ الْقِمَارِ فَهُوَ مِنَ الْمَيْسِرِ حَتَّى لَعَبِ الصَّبِيانِ بِالْحُجُوزِ. وَفِي الصَّحِيحِينَ عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ قَالَ: أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّهُ نَزَلَ تَحْرِيمُ الْخَمْرِ وَهِيَ مِنْ خَمْسَةِ: الْعَنْبِ وَالْتَمْرِ وَالْعَسَلِ وَالْحِنْطَةِ وَالشَّعِيرِ. وَالْخَمْرُ: مَا خَامَرَ الْعَقْلَ. وَرَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِنَّ الْخَمْرَ حَرَامٌ، وَفِيهَا حَرَامٌ» قَالَه ثَلَاثًا. وَرَوَى أَيْضًا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «لَعْنَتُ الْخَمْرِ، وَشَارِبُهَا، وَسَاقِبُهَا، وَبَائِعُهَا، وَمُبْتَاعُهَا، وَحَامِلُهَا، وَالْمَحْمُولَةُ إِلَيْهِ، وَعَاصِرُهَا، وَمُعْتَصِرُهَا، وَكُلُّ مِثْمَالٍ». ﴿وَالْأَنْصَابُ﴾ [وهي ما كان يُنصب فيعبُد وتصبُّ عليه دماء الذبائح] ﴿وَالْأَزْلَامُ﴾ [وهي قِداح الميسر وَحَصَاهُ كَانُوا يَضْرِبُونَ بِهَا]، ﴿وَرَجَسٌ﴾ سَخَطٌ ﴿مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ ٩١: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمْ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ؟﴾ وهذا تهديدٌ وترهيبٌ ٩٢: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَاحْذَرُوا﴾ [تأكيدٌ للتحريم وتشديدٌ في الوعيد، وامتنانٌ للأمر، وكفٌّ عن النهي عنه]، ﴿فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ﴾ [أي: خالفتم] ﴿فَاعْلَمُوا أَنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾ [في تحريم ما أمرتم بتحريمه] ٩٣: ﴿لَمَّا نَزَلَتْ آيَةُ تَحْرِيمِ الْخَمْرِ قَالَ النَّاسُ:

يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمْ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ ﴿٩١﴾ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَاحْذَرُوا فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَأَعْلَمُوا أَنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴿٩٢﴾ لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعَمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا وَآمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَوْا وَآمَنُوا ثُمَّ اتَّقَوْا وَأَحْسَنُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿٩٣﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِيَلْبِسُوا كُمُ اللَّهِ بَشِيئَةً مِّنَ الصَّيْدِ تَنَالَهُ أَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ لِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَخَافُهُ بِالْغَيْبِ فَمَن أَعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٩٤﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَانْتَقِلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حَرَمٌ وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمِّدًا فَجَزَاءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعْمِ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنْكُمْ هَدْيًا بَالِغَ الْكَعْبَةِ أَوْ كَفَّرَهُ طَعَامٌ مَّسْكِينٍ أَوْ عَدَلَ ذَلِكَ صِيَامًا لِّيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِ عَفَا اللَّهُ عَمَّا سَلَفَ وَمَنْ عَادَ فَيَنْتَقِمِ اللَّهُ مِنْهُ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ ﴿٩٥﴾

يا رسول الله ناسٌ قتلوا في سبيل الله كانوا يشربون الخمر ويأكلون الميسر؟ فأنزل الله تعالى ﴿لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعَمُوا﴾ إلى آخر الآية، فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «لَوْ حُرِّمَ عَلَيْهِمْ لَتَرَكُوهُ كَمَا تَرَكْتُمْ»، رواه أحمد ٩٤: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِيَلْبِسُوا كُمُ اللَّهِ بَشِيئَةً مِّنَ الصَّيْدِ تَنَالَهُ أَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ﴾ يتلبسهم بالصييد يغشاهم في رحاهم يتمكثون من أعضه بالأيدي والرماح سراً وجهراً، ﴿لِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَخَافُهُ بِالْغَيْبِ﴾ لتظهر طاعة من يطيع منهم في سره أو جهره، ﴿فَمَن أَعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَلِكَ﴾ بعد هذا الإعلام والإنذار ﴿فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ مخالفته أمر الله وشرعه، ثم قال تعالى: ٩٥: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ﴾ هذا تحريم منه تعالى لقتل الصيد في حال الإحرام، ونهي عن تعاطيه، ﴿وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمِّدًا فَجَزَاءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعْمِ﴾ وجاءت السنة بوجوب الجزاء في [الصيد] الخطأ، فإن الصيد إتلاف، والإتلاف مضمون في العمد وفي النسيان، لكن المتعمد مأثوم، والمخطئ غير ملوم، ﴿فَجَزَاءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعْمِ﴾ ففي النعمة بئذنة، وفي بقر الوحش بقرة، وفي الغزال بعنز، وأجاز أبو حنيفة القيمة في ذلك ﴿يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنْكُمْ﴾ يحكم بالجزاء في المثل أو بالقيمة في غير المثل عدلان من المسلمين، ﴿هَدْيًا بَالِغَ الْكَعْبَةِ﴾ واصلًا إلى الكعبة، والمراد وصوله إلى الحرم بأن يذبح ويُفَرَّقَ لحمه على مساكين الحرم. ﴿أَوْ كَفَّارَةٌ طَعَامٌ مَّسْكِينٍ أَوْ عَدَلَ ذَلِكَ صِيَامًا﴾ لكل مسكين مُدَّان أو مُدٌّ من حنطة، أو صام عن إطعام كل مسكين يوماً، ﴿لِيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِ﴾ ليدوق عقوبة المخالفة، ﴿عَفَا اللَّهُ عَمَّا سَلَفَ﴾ في زمان الجاهلية، لمن أحسن في الإسلام، ﴿وَمَنْ عَادَ فَيَنْتَقِمِ اللَّهُ مِنْهُ﴾ بعد بلوغ الحكم الشرعي إليه، ﴿وَاللَّهُ عَزِيزٌ مُنِيعٌ فِي سُلْطَانِهِ لَا يُقَهَّرُ﴾ ﴿ذُو انْتِقَامٍ﴾ لمن عصاه.

٩٦: ﴿أَحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ الْبَحْرِ وَطَعَامُهُ مَتَاعًا

لَكُمْ﴾ ما يُصطاد منه طرياً، وطعامه:

ما قذف، متاعاً: أي منفعةً وقوتاً

﴿وَحُرْمٌ عَلَيْكُمْ صَيْدُ الْبَرِّ

مَا دُمْتُمْ حُرُمًا﴾ في حال إحرامكم بحرم

عليكم الاصطياد، ولا يجوز أكل الصيد

للمحرم بالكفاية، ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ

تُحْشَرُونَ﴾ ٩٧: ﴿جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ﴾،

[جعل: هنا بمعنى خلق]، ﴿الْبَيْتَ الْحَرَامَ﴾

[سمّاه سبحانه: حراماً، بتحريره إياه]، ﴿قِيَامًا

لِلنَّاسِ﴾، [أي: صلاحاً ومعاشاً؛ لأمن الناس

بها]، ﴿وَالشَّهْرَ الْحَرَامَ﴾، [وهي الأشهر

الحرم]، ﴿وَالْهُدْيَ وَالْقَلَائِدَ﴾ [الهدى:

ما يُهدى إلى البيت من الأنعام. والقلائد:

وهو تقليدها في أعناقها لتمييز به عمّا عداها

من الأنعام، ليعلم أنّها هدي إلى الكعبة]،

﴿ذَلِكَ﴾ [إشارة إلى أنّ الله جعل هذه الأمور

قياماً] ﴿لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ

وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾،

[والمعنى: فعل الله ذلك لتعلموا أنّ الله يعلم

تفاصيل أمور السموات والأرض، ويعلم

مصلحكم أيها الناس قبل وبعد، فانظروا لطفه

بالعباد] ٩٨: ﴿اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ

العِقَابِ﴾ [تحذيف]، ﴿وَأَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ

رَحِيمٌ﴾، [ترجئة] ٩٩: ﴿مَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا

الْبَلَاغُ﴾، [أي: ليس له الهداية والتوفيق ولا

الثواب؛ وإتّما عليه البلاغ]، ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ

مَا تَبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ﴾ ١٠٠: ﴿قُلْ﴾

يا محمد ﴿لَا يَسْتَوِي الْحَيْثُ وَالطَّيْبُ﴾

[أي: لا يستوي الحرام والحلال]، ﴿وَلَوْ أَعْجَبَكَ﴾

يا أيها الإنسان ﴿كَثْرَةُ الْحَيْثِ﴾ [القليل الحلال خير من الكثير الحرام]، ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي

الْأَلْبَابِ﴾ [أي ذوي العقول الصحيحة] ﴿لَعَلَّكُمْ تَفْلَحُونَ﴾ في الدنيا والآخرة ١٠١: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَن أَشْيَاءٍ إِن تَبَدَّلَ لَكُمْ

تَسْؤُكُمْ﴾ هذا تأديب من الله تعالى لعباده المؤمنين، ونهى لهم عن أن يسألوا عن أشياء إن أبدلت لهم ربهم، ﴿وَلَوْ أَعْجَبَكَ﴾

يا أيها المؤمنون ﴿كَثْرَةُ الْحَيْثِ﴾ [القليل الحلال خير من الكثير الحرام]، ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي

الْأَلْبَابِ﴾ [أي ذوي العقول الصحيحة] ﴿لَعَلَّكُمْ تَفْلَحُونَ﴾ في الدنيا والآخرة ١٠١: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَن أَشْيَاءٍ إِن تَبَدَّلَ لَكُمْ

تَسْؤُكُمْ﴾ هذا تأديب من الله تعالى لعباده المؤمنين، ونهى لهم عن أن يسألوا عن أشياء إن أبدلت لهم ربهم، ﴿وَلَوْ أَعْجَبَكَ﴾

يا أيها المؤمنون ﴿كَثْرَةُ الْحَيْثِ﴾ [القليل الحلال خير من الكثير الحرام]، ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي

الْأَلْبَابِ﴾ [أي ذوي العقول الصحيحة] ﴿لَعَلَّكُمْ تَفْلَحُونَ﴾ في الدنيا والآخرة ١٠١: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَن أَشْيَاءٍ إِن تَبَدَّلَ لَكُمْ

تَسْؤُكُمْ﴾ هذا تأديب من الله تعالى لعباده المؤمنين، ونهى لهم عن أن يسألوا عن أشياء إن أبدلت لهم ربهم، ﴿وَلَوْ أَعْجَبَكَ﴾

يا أيها المؤمنون ﴿كَثْرَةُ الْحَيْثِ﴾ [القليل الحلال خير من الكثير الحرام]، ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي

الْأَلْبَابِ﴾ [أي ذوي العقول الصحيحة] ﴿لَعَلَّكُمْ تَفْلَحُونَ﴾ في الدنيا والآخرة ١٠١: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَن أَشْيَاءٍ إِن تَبَدَّلَ لَكُمْ

تَسْؤُكُمْ﴾ هذا تأديب من الله تعالى لعباده المؤمنين، ونهى لهم عن أن يسألوا عن أشياء إن أبدلت لهم ربهم، ﴿وَلَوْ أَعْجَبَكَ﴾

يا أيها المؤمنون ﴿كَثْرَةُ الْحَيْثِ﴾ [القليل الحلال خير من الكثير الحرام]، ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي

الْأَلْبَابِ﴾ [أي ذوي العقول الصحيحة] ﴿لَعَلَّكُمْ تَفْلَحُونَ﴾ في الدنيا والآخرة ١٠١: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَن أَشْيَاءٍ إِن تَبَدَّلَ لَكُمْ

تَسْؤُكُمْ﴾ هذا تأديب من الله تعالى لعباده المؤمنين، ونهى لهم عن أن يسألوا عن أشياء إن أبدلت لهم ربهم، ﴿وَلَوْ أَعْجَبَكَ﴾

أَحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ الْبَحْرِ وَطَعَامُهُ مَتَاعًا لَكُمْ وَلِلسَّيَّارَةِ وَحَرْمٌ

عَلَيْكُمْ صَيْدُ الْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُمًا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ

تُحْشَرُونَ ﴿٩٦﴾ جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ

قِيَمًا لِلنَّاسِ وَالشَّهْرَ الْحَرَامَ وَالْهُدْيَ وَالْقَلَائِدَ ذَلِكَ لِتَعْلَمُوا

أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ

شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٩٧﴾ اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ وَأَنَّ اللَّهَ

غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٩٨﴾ مَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا

تَبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ ﴿٩٩﴾ قُلْ لَا يَسْتَوِي الْخَيْثُ وَالطَّيْبُ

وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَيْثِ فَاتَّقُوا اللَّهَ يَتَأُولَى الْأَلْبَابِ

لَعَلَّكُمْ تَفْلَحُونَ ﴿١٠٠﴾ يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا

عَن أَشْيَاءٍ إِن تَبَدَّلَ لَكُمْ تَسْؤُكُمْ وَإِن تَسْأَلُوا عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ

الْقُرْآنُ إِن تَبَدَّلَ لَكُمْ عَفَا اللَّهُ عَنْهَا وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٠١﴾ قَدْ

سَأَلَهَا قَوْمٌ مِّن بَنِيكُمْ ثُمَّ أَصْبَحُوا بِهَا كَافِرِينَ ﴿١٠٢﴾

مَا جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَلَا سَائِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ وَلَكِنَّ

الَّذِينَ كَفَرُوا يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَكَثْرَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٠٣﴾

١٠٤: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُم تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا﴾ إذا دُعوا إلى دين الله وشرعه، وترك ما حرمه؛ قالوا: يكفيننا ما وجدنا عليه الآباء والأجداد، ﴿أَوْ لَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾ ولا يعرفون حقاً، ﴿ولا يهتدون﴾ إليه، فكيف يتبعونهم؟! ١٠٥: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ﴾ أصلحوها، وافعلوا الخير، ﴿لا يضرُّكم من ضلَّ إذا اهتديتم﴾ من أصلح أمره لا يضره فساده من فسده من الناس سواء كان قريباً منه أو بعيداً، ﴿إلى الله مرجعكم جميعاً فينبئكم بما كنتم تعملون﴾ فيجازي كلَّ عامل بعمله إن خيراً فخير، وإن شراً فشر، وليس في الآية دليل على ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إذا كان فعل ذلك ممكناً ١٠٦: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا شَهِادَةُ بَيْنِكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدُكُمُ الْمَوْتُ حِينَ الْوَصِيَّةِ اثْنَانِ﴾ أن يشهد اثنان، ﴿ذَوَا عَدْلٍ﴾ بأن يكونا عدلين ﴿منكم﴾ من المسلمين، ﴿أو آخِرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ﴾ أهل الكتاب ﴿إِنْ أَنْتُمْ ضَرَبْتُمْ﴾ سافرتم ﴿في الأرض فأصابتكم مصيبة الموت﴾ هذان شرطان لجواز شهادة الذميين عند فقد المؤمنين، أن يكون في سفر، وأن يكون في وصية. ﴿تحبسونهما من بعد الصلاة﴾ أن يُقام هذان الشاهدان بعد صلاة اجتمع الناس فيها بحضرتهم ﴿فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ إِنَّ إِرْتِبَاكُمْ﴾ يحلفان بالله إن ظهرت لكم منهما ربيعة ﴿لا نشترى به﴾ بأيماننا ﴿ثمناً﴾ لا نعتاض

وَإِذَا قِيلَ لَهُم تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوْ لَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿١٠٤﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٠٥﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا شَهِادَةُ بَيْنِكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدُكُمُ الْمَوْتُ حِينَ الْوَصِيَّةِ اثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنْكُمْ أَوْ آخِرَانِ مِّنْ غَيْرِكُمْ إِنْ أَنْتُمْ ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَأَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةُ الْمَوْتِ تَحْسِبُوهُنَّ مَيِّتًا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ إِنْ إِرْتَبْتُمْ لَا نَشْتَرِي بِهِ ثَمَنًا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَلَا نَكْتُمُ شَهِادَةَ اللَّهِ إِنَّا إِذًا لَّمِنَ الْآثِمِينَ ﴿١٠٦﴾ فَإِنْ عَثَرْتُمْ عَلَيْهِمَا اشْتَقَّ إِثْمًا فَآخِرَانِ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا مِنَ الَّذِينَ اسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْأَوْلِيَانُ فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ لَشَهِدْنَا أَحَقُّ مِنْ شَهِدَتَيْهِمَا وَمَا اعْتَدَيْنَا إِنَّا إِذًا لَّمِنَ الظَّالِمِينَ ﴿١٠٧﴾ ذَلِكَ أَدْنَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِالشَّهَادَةِ عَلَىٰ وَجْهَيْهَا أَوْ يَحْفَافُوا أَنْ تَرُدَّ آيْمَانُ بَعْدَ أَيْمَانِهِمْ وَيَتَّقُوا اللَّهَ وَأَسْمَعُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿١٠٨﴾

عنه بعض قليل من الدنيا ﴿ولو كان المشهود عليه قريباً لنا لا نحايه﴾ ولا نكتم شهادة الله ﴿أضافها إليه تشريفاً لها وتعظيماً لأمرها﴾ ﴿إِنَّا إِذَا لَمِنَ الْآثِمِينَ﴾ إن فعلنا شيئاً من ذلك؛ من تحريف الشهادة أو تبديلها. ثم قال تعالى: ١٠٧: ﴿فَإِنْ عَثَرَ عَلَىٰ أَنَّهُمَا اشْتَقَّ إِثْمًا﴾ فإن ظهر من الشاهدين أنهما خانا ﴿فَآخِرَانِ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا مِنَ الَّذِينَ اسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْأَوْلِيَانُ﴾ متى تحقق ذلك بالخبر الصحيح على خيانتهم، فليقم اثنان من الورثة المستحقين للتركة وليكونا أولى من يرث ذلك المال ﴿فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ لَشَهِدْنَا أَحَقُّ مِنْ شَهِادَتَيْهِمَا﴾ لقولنا أنهما خانا [أنته] أحق وأصح من شهادتهما، ﴿وما اعتمدنا﴾ فيما قلنا ﴿إِنَّا إِذَا لَمِنَ الظَّالِمِينَ﴾ ١٠٨: ﴿ذلك أدنى أن يأتوا بالشهادة على وجهها﴾ شرعية هذا الحكم على الوجه المرضي من تحليف الشاهدين الذميين أقرب إلى إقامتهما الشهادة على الوجه المرضي، ﴿أو يخافوا أن تُردَّ آيْمَانُ بَعْدَ أَيْمَانِهِمْ﴾ ليكون الإتيان بها على وجهها خوفاً من الفضيحة بين الناس، ثم قال تعالى: ﴿واتقوا الله﴾ في جميع أموركم ﴿وأسمعوا﴾ وأطيعوا ﴿والله لا يهدي القوم الفاسقين﴾ الخارجين عن طاعته ومتابعة شريعته.

الآية: ١٠٥: روى أبو داود والترمذي عن أبي أمية الشيباني، قال: أتيت أبا نعلبة الحُشَنِيَّ فقلت له: كيف تصنع بهذه الآية؟ فقال: أية آية؟ قلت: قوله تعالى ﴿يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضلَّ إذا اهتديتم﴾؟ قال: أما والله لقد سألت عنها خبيراً، سألت عنها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال: «لا يهتمروا بالمعروف ويتناهوا عن المنكر، حتى إذا رأيت شحاً مطاعاً وهوى متبعاً ودنيا مؤثرة وإعجاب كل ذي رأي برأيه، فليكن بخاصة نفسك ودع عنك أمر العامة»، فإن من ورائكم أياماً الصبر فيهن مثل القبض على الجمر، للعامل فيهن مثل أجر خمسين رجلاً يعملون مثل عملكم»، قال أبو عيسى: هذا حديث حسن. / القرطبي ج ٦/ ٣٤٣.

يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَا أَجَبْتُمْ قَالُوا لَا عِلْمَ لَنَا إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّمْنَا الْغُيُوبَ ﴿١٠٩﴾ إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَالدَّتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنْفِخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي وَتَبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِي وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَنكَ إِذْ جَحَّتْهُمُ الْبَيْنَتُ فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنْ هَذَا إِلَّا أَسْحَرٌ مُّبِينٌ ﴿١١٠﴾ وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ آمِنُوا بِي وَبِرِسُولِي قَالُوا آمَنَّا وَأَشْهَدُ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿١١١﴾ إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ قَالَ أَتَقْوُونَ اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾ قَالُوا نَزِيدُكَ أَنْ نَأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَنْ قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونُ عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴿١١٣﴾

١٠٩: ﴿يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَا أَجَبْتُمْ قَالُوا لَا عِلْمَ لَنَا إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّمْنَا الْغُيُوبَ﴾، هذا إخبارٌ عما يُخاطب الله به المرسلين يوم القيامة عما أُجيبوا به من أنهم الذين أرسلهم إليهم، وقول الرسل: ﴿لَا عِلْمَ لَنَا إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّمْنَا الْغُيُوبَ﴾ من باب التآدب مع الرب جلَّ جلاله؛ لا علم لنا بالنسبة إلى علمك المحيط بكل شيء ١١٠: ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَالدَّتِكَ﴾ يذكر تعالى ما امتنَّ به على عبده ورسوله عيسى بما أجره على يديه من المعجزات وخوارق العادات؛ من خلقي إِيَّاكَ مِنْ أُمَّ بَلَا ذَكَرَ، وجعلني إِيَّاكَ آيَةً وَذِلَّةً قاطعةً على قدرتي على الأشياء، ﴿وَعَلَىٰ وَالدَّتِكَ﴾ حيث برأئها مما نسب الظالمون إليها، ﴿إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ﴾ وهو جبريل عليه السلام، ﴿تَكَلَّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ﴾ فأنطقتك في المهد صغيراً فشدت براءة أمك، وأخبرت عن رسالتي إِيَّاكَ، ودعوت إلى عبادتي، ﴿وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ﴾ الحطّ ﴿وَالْحِكْمَةَ﴾ الفهم ﴿وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ﴾ وإذ تخلق من الطين كهية الطير بإذني ﴿تَصَوَّرَهُ وَتَشَكَّلَهُ عَلَى هَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي لَكَ﴾ فتنفخ فيها فتكون طيراً بإذني ﴿فَتَنْفِخُ فِي تِلْكَ الصُّورَةِ الَّتِي شَكَّلْتَهَا بِإِذْنِي لَكَ فِي ذَلِكَ فَتَكُونُ طَيْرًا ذَا رُوحٍ تَطِيرُ بِإِذْنِ اللَّهِ وَخَلَقَهُ﴾، ﴿وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِي﴾ تدعوهم فيقومون من قبورهم بإذن الله، ﴿وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَنكَ إِذْ جَحَّتْهُمُ الْبَيْنَتُ فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنْ هَذَا إِلَّا أَسْحَرٌ مُّبِينٌ﴾ واذكر نعمتي عليك في كفي إِيَّاهم عنك حين كذبوك واتهموك بأنك ساحر وسعوا في قتلك فنجيتك منهم ورفعتك إلي؛ وهذا يدل على أنَّ هذا الامتنان كان من الله بعد رفعه إلى السماء الدنيا، وهذا من أسرار الغيوب التي أطلع الله عليها نبيه محمداً صلى الله عليه وآله وسلم ١١١: ﴿وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ آمِنُوا بِي وَبِرِسُولِي﴾ وهذا أيضاً من الامتنان عليه عليه السلام بأن جعل له أصحاباً وأنصاراً، وهذا الوحي [إلى الحواريين] وحى إلهام؛ ألهموا ذلك فامتثلوا ما ألهموا، ﴿قَالُوا آمَنَّا﴾ بالله ﴿وَأَشْهَدُ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ ١١٢: ﴿إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ﴾؛ إنهم سألو ذلك لحاجتهم وفقيرهم، فأجابهم المسيح عليه السلام قائلاً لهم: ﴿أَتَقْوُونَ اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ لا تسألوا هذا فعاثوا أن يكون فتنة لكم، وتوكلوا على الله في طلب الرزق إن كنتم مؤمنين ١١٣: ﴿قَالُوا نَزِيدُكَ أَنْ نَأْكُلَ مِنْهَا﴾ نحن محتاجون إلى الأكل منها، ﴿وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا﴾ إذا شاهدنا نزولها رزقاً لنا من السماء، ﴿وَنَعْلَمَ أَنْ قَدْ صَدَقْتَنَا﴾ ونزداد إيماناً بك وعلماً برسالتك، ﴿وَنَكُونُ عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾ ونشهد أنها آية من عند الله، ودلالة وحجة على نبوتك وصدق ما جئت به.

١١٢: قال ابن كثير: هذه قصة المائدة، وإليها تنسب السورة، فيقال: سورة المائدة، وهي مما امتنَّ الله به على عبده ورسوله عيسى لما أجاب دعاه بنزولها، فأنزلها الله آية باهرة وحيمةً قاطعة.

قال القرطبي: إن القوم لم يشكوا في استطاعة الباري سبحانه؛ لأنهم كانوا مؤمنين عارفين علمين، وإنما هو كما قال إبراهيم: ﴿رَبِّ أَرْنِي كَيْفَ تُنْجِي الْمَوْتَى﴾ الآية، وقد كان إبراهيم يعلم بذلك علمَ خبر ونظر، ولكن أراد المغالبة التي لا يدخلها رب ولا شعبة. /القرطبي ج٣٦٥/٦.

الآية: ١١٢: قال ابن كثير: هذه قصة المائدة، وإليها تنسب السورة، فيقال: سورة المائدة، وهي مما امتنَّ الله به على عبده ورسوله عيسى لما أجاب دعاه بنزولها، فأنزلها الله آية باهرة وحيمةً قاطعة.

قال القرطبي: إن القوم لم يشكوا في استطاعة الباري سبحانه؛ لأنهم كانوا مؤمنين عارفين علمين، وإنما هو كما قال إبراهيم: ﴿رَبِّ أَرْنِي كَيْفَ تُنْجِي الْمَوْتَى﴾ الآية، وقد كان إبراهيم يعلم بذلك علمَ خبر ونظر، ولكن أراد المغالبة التي لا يدخلها رب ولا شعبة. /القرطبي ج٣٦٥/٦.

١١٤: ﴿قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا﴾ تتخذ ذلك اليوم الذي نزلت فيه عيداً نُعَظِّمُهُ نحن ومن بعدنا، ﴿وآيةٌ منك﴾ دليلاً تنصبه على قدرتك على الأشياء وعلى إجابتك لدعوتي فُصِّدْتُونِي فيما أبلغه عنك، ﴿وَارزُقْنَا﴾ من عندك رزقاً هنيئاً بلا كلفة ولا تعب ﴿وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ ١١٥: ﴿قَالَ اللَّهُ إِنِّي مَرْفَعُ عَلَيْكُمْ فَمَنْ يَكْفُرْ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْكُمْ﴾ فمن كذب بها من أمّتك يا عيسى وعاندها ﴿فَأِنِّي أَعْذِبُهُ عَذَابًا لَا أَعْذِبُهُ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ﴾ من عالمي زمانكم. فنزلت المائدة وعليها ثم من ثمرة الخنزة، فأمرُوا ألا يجنونوا ولا يُخَبِّتُوا ولا يدخروا؛ فخان القوم وخبأوا وادخروا فسخمهم الله قردهً وخنازير ١١٦: ﴿وَأِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّي آلِهَتَيْنِ مِنَ دُونِ اللَّهِ؟ هَذَا مِمَّا يُخَاطَبُ اللَّهُ بِهِ عَبْدَهُ وَرَسُولَهُ عِيسَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ قَائِلًا لَهُ بِحُضْرَةِ أُمِّهِ وَمَنِ اتَّخَذَهُ وَأُمُّهُ آلِهَتَيْنِ مِنَ دُونِ النَّاسِ؛ وَهَذَا تَهْدِيدٌ لِلنَّصَارَى وَتَوْبِيخٌ وَتَقْرِيعٌ عَلَى رُؤُوسِ الْأَشْهَادِ، فَيُنَكِّرُ عِيسَى أَنْ يَكُونَ قَالِ ذَلِكَ وَيَقُولُ: ﴿سَبِّحَانِكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ﴾ وهذا توفيق للتأدب في الجواب الكامل؛ ﴿إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ﴾ إن كان صدر مني هذا فقد علمته يا رب، فإنه لا يخفى عليك شيء، فما قلته ولا أردته في نفسي ولا أضمرته، ولهذا قال: ﴿تَعَلَّمْ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ﴾ ١١٧: ﴿مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ﴾ بإبلاغه ﴿إِنْ أَعْبَدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ﴾ ما دعوتهم إلا إلى الذي أرسلتني به وأمرتني بإبلاغه، ﴿وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ﴾ كنت أشهد على أعمالهم حين كنت بين أظهرهم، ﴿فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي﴾ أي: فلما رفعتني إلى السماء ﴿كُنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ﴾، [الشاهد على أعمالهم]، ﴿وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ ١١٨: ﴿إِنْ تَعَذَّبْتَهُمْ فَإِنَّهُمْ عَبَادُكَ﴾ الآية. هذا الكلام يتضمن ردّ المشيئة إلى الله عزّ وجلّ، فإنه الفعّال لما يريد، ويتضمن التبري من النصارى الذين كذبوا على الله وعلى رسوله، وجعلوا لله نداً وصاحبةً وولداً؛ تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً. ولهذا الآية شأن عظيم ونبا عجيب، فقد روى أحمد أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قام بها ليلة حتى الصباح يرددها [يسأل الله تعالى] الشفاعة لأمته ١١٩: ﴿قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمٌ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ﴾ ينفع الموحدين توحيدهم، ﴿لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾ لا يحولون ولا يزولون، ﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ هذا الفوز الكبير الذي لا أعظم منه، كما قال تعالى: ﴿بِمِثْلِ هَذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ﴾ ١٢٠: ﴿لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ﴾ وهو على كلّ شيء قدير.

قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِنْكَ وَارزُقْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴿١١٤﴾ قَالَ اللَّهُ إِنِّي مَرْفَعُ عَلَيْكُمْ فَمَنْ يَكْفُرْ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْكُمْ فَإِنِّي أَعْذِبُهُ عَذَابًا لَا أَعْذِبُهُ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ ﴿١١٥﴾ وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّي آلِهَتَيْنِ مِنَ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقِّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعَلَّمْ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾ إِنْ تَعَذَّبْتَهُمْ فَإِنَّهُمْ عَبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١١٨﴾ قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمٌ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١١٩﴾ لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٢٠﴾

الآية: ١١٨ روى ابن أبي حاتم عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: نلّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قول عيسى: (إن تعذبهم فأثممهم عبادك...) فرجع يديه فقال: اللهم أمي، وبكى فقال الله: يا جبريل اذهب إلى محمد - وربك أعلم - فاسأله ما يبكيه؟ فأتاه جبريل فسأله، فأخبره رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بما قال وهو أعلم، فقال الله: يا جبريل اذهب إلى محمد فقل: إنا سرضيك في أمّك ولا نُشَوِّك. / تفسير ابن كثير ج ٢ ص ١٢١.

الآية: ١١٨ روى ابن أبي حاتم عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: نلّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قول عيسى: (إن تعذبهم فأثممهم عبادك...) فرجع يديه فقال: اللهم أمي، وبكى فقال الله: يا جبريل اذهب إلى محمد - وربك أعلم - فاسأله ما يبكيه؟ فأتاه جبريل فسأله، فأخبره رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بما قال وهو أعلم، فقال الله: يا جبريل اذهب إلى محمد فقل: إنا سرضيك في أمّك ولا نُشَوِّك. / تفسير ابن كثير ج ٢ ص ١٢١.

سورة الأنعام

قال ابن عباس: نزلت الأنعام بمكة ليلاً جملة واحدة، حولها سبعون ألف ملك يجارون حولها بالتسبيح. ١: ﴿الحمد لله الذي خلق السموات والأرض وجعل الظلمات والنور﴾، يقول الله تعالى مادحاً نفسه الكريمة وحامداً لها على خلقه السموات والأرض قراراً لعباده، وجعل الظلمات والنور منفعة لعباده في ليالهم ونهارهم. جمع لفظ ﴿الظلمات﴾ ووحد لفظ ﴿التور﴾ لكونه أشرف. ﴿ثم الذين كفروا بربهم يعدلون﴾ ومع هذا كله كفر به بعض عباده وجعلوا له شريكاً وولداً تعالى الله عز وجل عن ذلك علواً كبيراً ٢: ﴿هو الذي خلقكم من طين﴾ أيهم آدم الذي هو أصلهم، ﴿ثم قضى أجلاً﴾ الموت ﴿وأجل مسمى عنده﴾ الآخرة، ﴿ثم أنتم تمترون﴾ تشكون في أمر الساعة ٣: ﴿وهو الله في السموات وفي الأرض يعلم سركم وجهركم﴾ هو إله من في السماء، وإله من في الأرض، ﴿يعلم سركم وجهركم ويعلم ما تكسبون﴾ يعلم جميع أعمالكم خيراً ما وشرها ٤: ﴿وما تأتيم من آية من آيات ربهم إلا كانوا عنها معرضين﴾ يخبر تعالى عن المشركين أنهم كلما أتتهم آية أي: دلالة ومعجزة على وحدانية الله وصدق رسله الكرام فإنهم يعرضون عنها فلا ينظرون إليها ٥: ﴿فقد كذبوا بالحق لما جاءهم فسوف يأتيم من آية من آيات ربهم﴾ هذا تهديد لهم ووعيد على تكذيبهم بالحق؛ بأنه لا بد أن

سورة الأنعام

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴿١﴾ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ ثُمَّ قَضَىٰ أَجَلًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِنْدَ رَبِّكُمْ أَنْتُمْ تَمْتَرُونَ ﴿٢﴾ وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ ﴿٣﴾ وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴿٤﴾ فَقَدْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنْبَاءُ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٥﴾ أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ مَكَّنْتُمْ فِي الْأَرْضِ مَا لَمْ تُمَكِّنْ لَكُمْ وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِمْ مِدْرَارًا وَجَعَلْنَا الْأَنْهَارَ تَجْرَىٰ مِنْ تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ ﴿٦﴾ وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَابًا فِي قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالُوا الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٧﴾ وَقَالُوا لَوْلَا أَنْزَلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ لَوْلَا أَنْزَلْنَا مَلَكَاتٍ لَقُضِيَ الْأَمْرُ لَنَا بَلْ يُنظَرُونَ ﴿٨﴾

يأتيم خبر تكذيبهم وليجدن وباله، ثم قال تعالى واعظاً لهم ومُحذراً: ٦: ﴿ألم يروا كم أهلكنا من قبلهم من قرن مكناهم في الأرض ما لم نمكن لكم﴾ من الأموال والأولاد والسعة والجنود، ﴿وأرسلنا السماء عليهم مدراراً﴾ شيئاً بعد شيء، ﴿وجعلنا الأنهار تجري من تحته﴾ كثيراً عليهم أمطار السماء وينابيع الأرض؛ استدراجاً وإملاءً لهم، ﴿فأهلكناهم بذنوبهم﴾ بخطاياهم، ﴿وأنشأنا من بعدهم قرناً آخرين﴾ جيلاً آخر لنختبرهم، فعلوا مثل أعمالهم فأهلكوا كإهلاكهم، فاحذروا أيها المخاطبون أن يصيبكم مثل ما أصابهم ٧: ﴿ولو نزلنا عليك كتاباً في قرطاس فلمسوه بأيديهم﴾ عابوه، ورأوا نزوله ﴿لقال الذين كفروا إن هذا إلا سحر مبين﴾ ليعنادهم ومكابرتهم للحق ومباهنتهم ومناعتهم فيه ٨: ﴿وقالوا لولا أنزل عليه ملك﴾ ليكون معه نذيراً؟ قال الله: ﴿ولو أنزلنا ملكاً لقضى الأمر ثم لا ينظرون﴾ لو نزلت الملائكة على ما هم عليه لجاءهم من الله العذاب، وما كانوا إذا منظرين.

سورة الأنعام :

روى مسلم عن جابر قال لما نزلت سورة الأنعام سبَّ رسول الله ثم قال : « لقد شتَّع هذه السورة من الملائكة ما سدَّ الأُفق » .

الآية ١ : قال الله تعالى في سورة الإسراء/ ١١١ ﴿ وقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ ﴾ وأخبر عن أهل الجنة أن آخر دَعْوَاهم : ﴿ أنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ ﴾ سورة بونس/ ١٠٠ . وروى مسلم عن أنس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « إن الله ليرضى عن العبد يأكل الأكلة فيحمده عليها ، ويشرب الشربة فيحمده عليها » رياض الصالحين/ ٥٠٠ . وروى البخاري عن أبي أمامة : أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان إذا رفع مائدته قال : « الحمد لله كثيراً طيباً ، مباركاً فيه ، غير مكفي ، ولا مؤذع ، ولا مستغنى عنه ربنا » الأذكار ص ٢٩٧ / ط دار البيان .

٩: ﴿ولو جعلناه ملكاً لجعلناه رجلاً﴾ لو أزلناه مع الرسول لكان على هيئة الرجل ليتمكن من مخاطبتهم، ﴿وللبسنا عليهم ما يلبسون﴾ ولو كان كذلك لالتبس عليهم الأمر كما هم يلبسون على أنفسهم في قبول رسالة الرسول البشري ١٠: ﴿ولقد استخروا برسلي من قبلك فحاق بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزؤون﴾، هذه تسلية للنبي صلى الله عليه وآله وسلم في تكذيب من كذبه من قومه، ووعد له وللمؤمنين به بالنصرة والعافية في الدنيا والآخرة. ثم قال تعالى: ١١: ﴿قل سيروا في الأرض ثم انظروا كيف كان عاقبة المكذبين﴾ فكروا في أنفسكم وانظروا ما أحل الله بالقرون الماضية الذين كذبوا رسله وعاندوه من العذاب والنكال في الدنيا والآخرة ١٢: ﴿قل لمن ما في السموات والأرض قل لله كتب على نفسه الرحمة﴾ يخبر تعالى أنه مالك السموات والأرض ومن فيهما، وأنه قد كتب على نفسه المقدسة الرحمة، كما ثبت في الصحيحين: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «إن الله لما خلق الخلق كتب كتاباً عنده فوق العرش إن رحمتي تغلب غضبي». ﴿ليجمعنكم إلى يوم القيامة لا ريب فيه﴾ هذه اللام هي الموطقة للقسم، فأقسم بنفسه ليجمعن عباده إلى ميقات يوم معلوم وهو يوم القيامة الذي لا ريب فيه، عند المؤمنين، فأما الجاحدون المكذبون فهم في ريبهم يترددون، ﴿الذين

سورة
الأنعام
١٣

وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَجَعَلْنَاهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِمْ مَا يَلْبِسُونَ ﴿٩﴾ وَلَقَدْ آسَأْتُهُنَّ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَقَّ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿١٠﴾ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ انظروا كيف كان عاقبة المكذبين ﴿١١﴾ قُلْ لِمَن مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلْ لِلَّهِ كُتِبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةُ لِيَجْمَعَكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٢﴾ وَلَهُ مَا سَكَنَ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١٣﴾ قُلْ أَغْيِرَ اللَّهُ آخِذَ وِلْيَاءِ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ وَلَا تَكُونُ مِنَ الْمَشْرِكِينَ ﴿١٤﴾ قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥﴾ مَن يُصِرْ فَعَنَّهُ يَوْمَ مِذْيَدٍ فَقَدْ رَحِمَهُ وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ ﴿١٦﴾ وَإِن يَمَسْسِكَ اللَّهُ بَصْرًا فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِن يَمَسْسَكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾ وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ ﴿١٨﴾

خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ﴾ يوم القيامة ﴿فهم لا يؤمنون﴾ لا يُصَدِّقُونَ بِالْمَعَادِ وَلَا يَخْفَوْنَ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ ١٣: ﴿وله ما سكن في الليل والنهار﴾ كل دابة في السموات والأرض خلقه وتحت قهره وتصرفه وتديره لا إله إلا هو ﴿وهو السميع العليم﴾. ثم قال تعالى لعبده ورسوله محمد صلى الله عليه وآله وسلم: ١٤: ﴿قل أغير الله آخذ ولى فأطير السموات والأرض﴾؟ كقول تعالى: ﴿قل أغير الله تأمروني أعبد أيها الجاهلون﴾؟ لا أتخذ ولى إلا الله وحده لا شريك له فإنه خالق السموات والأرض ومبدعهما على غير مثال سابق، ﴿وهو يطعم ولا يطعم﴾ وهو الرزاق خلقه من غير احتياج إليهم. ﴿قل إنني أمرت أن أكون أول من أسلم﴾ من هذه الأمة، ﴿ولا تكونن من المشركين﴾ ١٥: ﴿قل إنني أخاف إن عصيت ربي عذاب يوم عظيم﴾ يوم القيامة ١٦: ﴿من يصرف عنه يومئذ من يضرّف عن العذاب يوم القيامة﴾ فقد رحمه، فقد رحمه الله، ﴿وذلك هو الفوز المبين﴾، والفوز: حصول الرج ونفي الخسارة ١٧: يقول تعالى مخبراً أنه مالك الضر والنفع: ﴿وإن يمسسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو وإن يمسسك بخير فهو على كل شيء قدير﴾، وفي الصحيح أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان يقول: «اللهم لا تمنع لما أعطيت ولا معطي لما منعت، ولا ينفع ذا الجد منك الجد». ولهذا قال تعالى: ١٨: ﴿وهو القاهر فوق عباده﴾ هو الذي خضعت له الرقاب وذلت له الجبابرة وغنت له الوجوه، ﴿وهو الحكيم﴾ في جميع أفعاله، ﴿الخبير﴾ بمواضع الأشياء، فلا يعطي ولا يمنع إلا من يستحق.

الآية: ٩ عن ابن عباس في هذه الآية: لو أناهم ملك ما أناهم إلا في صورة رجل لأنهم لا يستطيعون النظر إلى الملائكة لأنهم من النور.

الآية: ١٢ في الصحيحين عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «إن الله لما خلق الخلق كتب كتاباً عنده فوق العرش إن رحمتي تغلب غضبي» / ابن كثير

١٩: ﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً﴾ من أعظم الأشياء شهادة؟ ﴿قُلْ اللَّهُ شَهِدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ﴾ هو العالم بما جنتكم به، وما أنتم قائلون لي، ﴿وَأُوْحِي إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنَ لِأُنذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ﴾ وهو نذير لكل من بلغه، ومن بلغه القرآن مكأنما رأى النبي صلى الله عليه وآله وسلم وكلمه. ﴿أَنْتُمْ لِتَشْهَدُونَ أَنْ مَعَ اللَّهِ إِلَهَةٌ أُخْرَى؟﴾ أيها المشركون، ﴿قُلْ لَا أَشْهَدُ، قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَهُهُ وَاحِدٌ وَإِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ﴾ ٢٠: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ﴾، يخبر تعالى عن أهل الكتاب أنهم يعرفون هذا الذي جنتهم به [يعني القرآن أنه من عند الله] كما يعرفون أبناءهم بما عندهم من الأخبار عن المرسلين المتقدمين، فإن الرسل كلهم بشروا بوجود محمد صلى الله عليه وآله وسلم، ﴿الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ﴾ خسروا كل الخسارة، ﴿فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ بهذا الأمر الجلي الذي بشرت به الأنبياء في قديم الزمان وحديثه ٢١: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ؟﴾ لا أظلم ممن تقول على الله فادعى أن الله أرسله ولم يكن أرسله، ثم لا أظلم ممن كذب بآيات الله وحججه وبراهينه ودلالاته ﴿إِنَّهُ لَا يَفْلَحُ الظالمون﴾ لا يفلح هذا ولا هذا المفترى ولا المكذب ٢٢: ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا﴾ يوم القيامة فيسألهم: ﴿أَيْنَ شُرَكَاءُ الَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ؟﴾ ٢٣: ﴿ثُمَّ لَمْ تَكُنْ فِتْنَتَهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا وَاللَّهِ رَبَّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ ٢٤: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِنْ يَرَوْا كَلِمَةً مِنْ آيَةِ اللَّهِ يَوْمُنَا بِهَا حَتَّى إِذَا جَاءَهُمْ يَسْتَعْجِلُ بِهَا يُؤْمِنُ بِهَا حَتَّى إِذَا جَاءَهُمْ يَكْفُرُونَ وَإِنْ هَذَا إِلَّا آسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ ٢٥: ﴿وَهُمْ يَبْهَتُونَ عَنْهُ وَيَنْعَوْنَ عَنْهُ وَإِنْ يُهْلِكُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ ٢٦: ﴿وَلَوْ تَرَى إِذْ وَقَفُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَلَيْتُنَا نَرُدُّ وَلَا نُكْذِبُ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ ٢٧

قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلْ اللَّهُ شَهِدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأُوْحِي إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنَ لِأُنذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ أَيْنَكُمُ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللَّهِ إِلَهَةً أُخْرَى قُلْ لَا أَشْهَدُ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَهُهُ وَاحِدٌ وَإِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ ﴿١٩﴾ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٠﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظالمون ﴿٢١﴾ وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا أَيْنَ شُرَكَاءُكُمْ الَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٢٢﴾ ثُمَّ لَمْ تَكُنْ فِتْنَتَهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا وَاللَّهِ رَبَّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴿٢٣﴾ أَنْظِرْ كَيْفَ كَذَبُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٢٤﴾ وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِنْ يَرَوْا كَلِمَةً مِنْ آيَةِ اللَّهِ يَوْمُنَا بِهَا حَتَّى إِذَا جَاءَهُمْ يَكْفُرُونَ وَإِنْ هَذَا إِلَّا آسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿٢٥﴾ وَهُمْ يَبْهَتُونَ عَنْهُ وَيَنْعَوْنَ عَنْهُ وَإِنْ يُهْلِكُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٦﴾ وَلَوْ تَرَى إِذْ وَقَفُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَلَيْتُنَا نَرُدُّ وَلَا نُكْذِبُ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٧﴾

مشركين ﴿إِنَّهُمْ رَأَوْا أَنَّهُ لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ إِلَّا أَهْلُ الصَّلَاةِ﴾ فقالوا: تعالوا فلنجد، فيجدون، فيخت الله أفرأهم وتشهد أيديهم وأرجلهم، ولا يكتمون الله حديثاً. ولهذا قال تعالى: ٢٤: ﴿أَنْظِرْ كَيْفَ كَذَبُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ﴾! ﴿وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾، كما قال تعالى: ﴿ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تُشْرِكُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالُوا ضَلُّوا عَنْهَا﴾ ٢٥: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِنْ يَرَوْا كَلِمَةً مِنْ آيَةِ اللَّهِ يَوْمُنَا بِهَا﴾ يجيئون ليستمعوا قراءتك، ولا تجزي عنهم شيئاً؛ لأن الله جعل على قلوبهم ﴿أَكِنَّةً﴾ أعظية لتلا يفقهوا القرآن، وفي آذانهم صمم عن سماع النافع، ومهما رأوا من الآيات البينات لا يؤمنوا بها، ﴿حَتَّى إِذَا جَاءَهُمْ يُجَادِلُونَكَ﴾ يُناظرُوك في الحق بالباطل، ﴿يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا آسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ ما هذا الذي جئت به إلا مأخوذ من كتب الأوائل ٢٦: ﴿وَهُمْ يَبْهَتُونَ عَنْهُ وَيَنْعَوْنَ عَنْهُ﴾ ينهون الناس عن اتباع الحق ويتعبدون منه، ﴿وَإِنْ يُهْلِكُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ وما يهلكون بهذا الصنيع ولا يعود وبآله إلا عليهم وهم لا يشعرون ٢٧: ﴿وَلَوْ تَرَى إِذْ وَقَفُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَا لَيْتَنَا نَرُدُّ وَلَا نُكْذِبُ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾، [المعنى: لو تراهم في تلك الحال لرأيت أسوأ حال، أو لرأيت منظراً هائلاً]، ولم يطلبوا العود إلى الدنيا محبة في الإيمان بل خوفاً من العذاب.

الآية ٢٣: روى ابن أبي حاتم عن ابن عباس قال: أتاه رجل فقال: يا ابن عباس سمعت الله يقول: ﴿والله ربنا ما كنا مشركين﴾ قال أما قوله ﴿والله ربنا ما كنا مشركين﴾ فإنهم رأوا أنه لا يدخل الجنة إلا أهل الصلاة فقالوا: تعالوا فلنجد فيجدون، فيخت الله على أفرأهم وتشهد أيديهم وأرجلهم ولا يكتمون الله حديثاً، فهل في قلبك الآن شيء؟ إنه ليس من القرآن شيء إلا ونزل فيه شيء ولكن لا تعلمون وجهه ١٩/! ابن كثير ج ٢/ ١٢٧.

٢٨: ﴿بَلْ بَدَأَهُمْ مَا كَانُوا يُخْفُونَ مِنْ قَبْلِ﴾ ظهر ما كانوا يُخفون من الكفر والنفاق، ﴿وَلَوْ رُذُّوا لَعَادُوا لِمَا نَهَوْا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ في قولهم: ﴿يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكْذِبُ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ ٢٩: ﴿وَقَالُوا إِنَّمَا هِيَ إِلا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ﴾ لعادوا لِمَا نَهَوْا عَنْهُ وقلوا إِنَّمَا هِيَ إِلا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا؛ أي: ما هي إِلا هذه الحَيَاة الدُّنْيَا لا معاد بعدها. ثم قال تعالى: ٣٠: ﴿وَلَوْ تَرَى إِذْ وَقَفُوا عَلَى رَبِّهِمْ﴾ أوقفوا بين يديه، ﴿قَالَ﴾ الله: ﴿أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ؟﴾ أليس هذا المعاد بحق وليس بباطل كما كنتم تظنون؟ ﴿قَالُوا بَلَىٰ وَرَبِّنَا قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ بما كنتم تكذبون به، فذوقوا اليوم مسه، ﴿أَفَسِحَّرَ هَذَا أَمْ أَنْتُمْ لَا تُبْصِرُونَ؟﴾ ٣١: ﴿قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَتْهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً﴾ يُخْرِتُ تَعَالَىٰ عَنْ خَسَارَةٍ مِنْ كَذَّبَ بَلِقَائِهِ وَعَنْ حَيَاتِهِ إِذَا جَاءَتْهُ السَّاعَةُ بَغْتَةً، وَعَنْ نَدَامَتِهِ عَلَىٰ مَا فَرَطَ مِنَ الْعَمَلِ وَمَا أَسْلَفَ مِنْ قَبْحِ الْفِعْلِ، وَهَذَا قَالَ سُبْحَانَهُ عَلَيْهِم: ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَتْهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُوا يَا حَسْرَتُنَا عَلَىٰ مَا فَرَطْنَا فِيهَا﴾ في أمر الآخرة، ﴿وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ أَلَّا سَاءَ مَا يَزِرُونَ﴾ يحملون ٣٢: ﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلا لَعِبٌ وَهُوَ﴾ إِنَّمَا غَالِبُهَا كَذَلِكَ، ﴿وَاللِّدَارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ؟﴾ ٣٣: يقول تعالى مسلماً لِنَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فِي تَكْذِيبِ قَوْمِهِ لَهُ وَمُخَالَفَتِهِمْ يَا ه: ﴿قَدْ نَعَلِمُ إِنَّهُ لِيَحْزَنَكَ الَّذِينَ يَقُولُونَ﴾ قد أحطنا علماً بتكذيبهم لك، وحزنك وتأسفك عليهم، ﴿فَأِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ﴾ لا يتهمونك بالكذب في نفس الأمر، ﴿وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾ ولكنهم يُعاندون الحق ويدفعونه بصدورهم ٣٤: ﴿وَلَقَدْ كَذَّبْتَ مِنْ قَبْلِكَ فَصَبِرُوا عَلَىٰ مَا كَذَّبُوا وَأَوْذَوْا حَتَّىٰ أَنَّهُمْ نَصَرْنَا وَلَا مَبْدَلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِنْ نَبِيِّ الْمُرْسَلِينَ﴾ وَإِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنْ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَبْتَغِيَ نَفَقًا فِي الْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِي السَّمَاءِ فَتَأْتِيَهُمْ بِثَابِتَةٍ وَنُوشَاءَ اللَّهِ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَىٰ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ ٣٥

١٣١

بَلْ بَدَأَهُمْ مَا كَانُوا يُخْفُونَ مِنْ قَبْلِ وَتُورِدُوا لِعَادُوا لِمَا نَهَوْا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿٢٨﴾ وَقَالُوا إِنَّمَا هِيَ إِلا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴿٢٩﴾ وَلَوْ تَرَى إِذْ وَقَفُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ قَالَ أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَىٰ وَرَبِّنَا قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣٠﴾ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَتْهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُوا يَحْسِرُنَا عَلَىٰ مَا فَرَطْنَا فِيهَا وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ أَلَّا سَاءَ مَا يَزِرُونَ ﴿٣١﴾ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلا لَعِبٌ وَهُوَ وَلِلدَّارِ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٣٢﴾ قَدْ نَعَلِمُ إِنَّهُ لِيَحْزَنَكَ الَّذِينَ يَقُولُونَ فَأِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٣٣﴾ وَلَقَدْ كَذَّبْتَ مِنْ قَبْلِكَ فَصَبِرُوا عَلَىٰ مَا كَذَّبُوا وَأَوْذَوْا حَتَّىٰ أَنَّهُمْ نَصَرْنَا وَلَا مَبْدَلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِنْ نَبِيِّ الْمُرْسَلِينَ ﴿٣٤﴾ وَإِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنْ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَبْتَغِيَ نَفَقًا فِي الْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِي السَّمَاءِ فَتَأْتِيَهُمْ بِثَابِتَةٍ وَنُوشَاءَ اللَّهِ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَىٰ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴿٣٥﴾

﴿قَدْ نَعَلِمُ إِنَّهُ لِيَحْزَنَكَ الَّذِينَ يَقُولُونَ﴾ قد أحطنا علماً بتكذيبهم لك، وحزنك وتأسفك عليهم، ﴿فَأِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ﴾ لا يتهمونك بالكذب في نفس الأمر، ﴿وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾ ولكنهم يُعاندون الحق ويدفعونه بصدورهم ٣٤: ﴿وَلَقَدْ كَذَّبْتَ مِنْ قَبْلِكَ فَصَبِرُوا عَلَىٰ مَا كَذَّبُوا وَأَوْذَوْا حَتَّىٰ أَنَّهُمْ نَصَرْنَا﴾ كيف نُصبروا، فلك بهم أسوة وقوة ٣٥: ﴿وَإِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ﴾ شق عليك إعراضهم عنك، ﴿فَأِنْ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَبْتَغِيَ نَفَقًا فِي الْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِي السَّمَاءِ﴾ فذهب فيه فتأيتهم بآية أفضل مما أتيتهم به فافعل؟! ﴿أَمَرَ اللَّهُ نَبِيَهُ أَلَّا يَشْتَدَّ حَزَنُهُ عَلَيْهِمْ إِذَا كَانُوا لَا يُؤْمِنُونَ، كَمَا أَنَّهُ لَا يَسْتَطِيعُ مُدَاهِمَهُمْ﴾. ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَىٰ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾، [أي: من الذين اشتدَّ حزنهم حتى أخرجهم ذلك إلى الجزع الشديد]. كان عليه الصلاة والسلام يحرض أن يؤمن جميع الناس، فأخبره تعالى أنه لا يؤمن إِلا مَنْ سَبَقَ لَهُ مِنَ اللَّهِ السَّعَادَةُ فِي الذِّكْرِ الْأَوَّلِ.

الآية : ٣١ روى ابن أبي حاتم عن أبي مرزوق قال : يستقبل الكافر أو الفاجر عند خروجه من قبره كأقبح صورة رأيتها وأنته ربها ، فيقول : من أنت ؟ فيقول : أو ما تعرفني ؟ فيقول : لا والله إِلا أَن الله قبح وجهك وأنتن ربك ، فيقول : أنا عمك الحبيب ، هكذا كنت في الدنيا خبيث العمل مُتَّبِعْتَهُ ، فطال ما ركبتني في الدنيا هلتم أركبك . / ابن كثير ج ٢ . ١٢٩/

٣٦: ﴿إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ﴾
 إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ لِدَعَائِكَ يَا مُحَمَّدَ مَنْ يَسْمَعُ
 الْكَلَامَ وَيَعِيهِ، ﴿وَالْمَوْتَى يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ
 يُرْجَعُونَ﴾ يعني بذلك الكفار لأنهم موتى
 القلوب فمشبههم الله بأموات الأجساد،
 ﴿وَالْمَوْتَى يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾، وهذا
 من باب التهكم بهم والازدراء عليهم ٣٧:
 ﴿وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ يُخَبِّرُ
 تَعَالَى عَنِ الْمُشْرِكِينَ أَنَّهُمْ كَانُوا يَقُولُونَ لَوْلَا
 نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ، أَيْ: أَمْرٌ خَارِقٌ عَلَى
 مَا كَانُوا يَرِيدُونَ وَمَا تَعْتَوْنَ كَقَوْلِهِمْ: ﴿لَنْ
 نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا﴾،
 ﴿قُلْ إِنْ اللَّهُ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُزِيلَ آيَةَ وَلَكِنْ
 أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ هو تعالى قادر على
 ذلك ولكن حكيمه تقتضي التأخير، قال
 تعالى: ﴿إِنْ نَشَأْ نُزِّلْ عَلَيْهِمُ مِنَ السَّمَاءِ آيَةٌ
 فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ﴾ ٣٨: ﴿وَمَا
 مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ
 إِلَّا أُمٌّ أَمْثَالِكُمْ﴾ أصناف مُصَنَّفَةٌ تعرف
 بأسمائها، وتخلق أمثالكم، ﴿مَا فَرَطْنَا فِي
 الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾ الجميع علمهم عند
 اللّٰه ولا ينسى واحداً من جميعها من رزقه
 وتديره سواء كان برياً أو بحرياً ﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ
 يُحْشَرُونَ﴾ يُحْشَرُ الخلق كلهم يوم القيامة
 ٣٩: ﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بآيَاتِنَا صُمٌّ وَبِكُمْ فِي
 الظلمات﴾ مثلهم في جهلهم وقلة علمهم
 وعدم فهمهم كمثل أصم لا يسمع، وأبكم
 لا يتكلم، وهو مع هذا في ظلمات لا يُبصر؛
 فكيف يهتدي إلى الطريق أو يخرج مِنَّا هو

﴿إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ وَالْمَوْتَى يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ
 يُرْجَعُونَ﴾ (٣٦) وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنْ اللَّهُ
 قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُزِيلَ آيَةَ وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (٣٧) وَمَا
 مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمٌّ أَمْثَالِكُمْ
 مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ (٣٨)
 وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بآيَاتِنَا صُمٌّ وَبِكُمْ فِي الظُّلُمَاتِ مَنْ يَشَاءُ اللَّهُ
 يُضِلُّهُ وَمَنْ يَشَاءُ يُجْعَلُهُ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (٣٩) قُلْ
 أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ السَّاعَةُ أَغَيْرَ اللَّهِ
 تَدْعُونَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (٤٠) بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا
 تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِنْ شَاءَ وَتَنْسَوْنَ مَا تَشْرَكُونَ (٤١) وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا
 إِلَىٰ أُمَمٍ مِنْ قَبْلِكَ فَأَخَذْنَاهُمْ بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَضُرَّعُونَ
 (٤٢) فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَلَكِنْ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ
 وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٤٣) فَلَمَّا
 نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمُ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ
 حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ (٤٤)

فيه؟! ﴿مَنْ يَشَاءُ اللَّهُ يُضِلُّهُ وَمَنْ يَشَاءُ يُجْعَلُهُ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ هو المتصرّف في خلقه بما يشاء ٤٠: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ أَوْ
 أَتَتْكُمُ السَّاعَةُ﴾ هو تعالى الفاعل لما يريد وأنه لا معقب لحكمه، وأتاكم بهذا أو هذا ﴿أَغَيْرَ اللَّهِ تَدْعُونَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾؟ لا تدعون غيره
 لعلمكم أنه لا يقدر أحدٌ على رفع ذلك سواه، ولهذا قال سبحانه: ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ في اتخاذكم آلهة معه ٤١: ﴿بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ
 مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِنْ شَاءَ وَتَنْسَوْنَ مَا تَشْرَكُونَ﴾ في وقت الضرورة لا تدعون أحداً سواه ٤٢: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِنْ قَبْلِكَ فَأَخَذْنَاهُمْ
 بِالْبَأْسَاءِ﴾ الفقر والضيق في العيش ﴿وَالضَّرَّاءِ﴾ وهي الأمراض ﴿لَعَلَّهُمْ يَضُرَّعُونَ﴾ يدعون الله ويتضرعون إليه ويحشرون ٤٣: ﴿فَلَوْلَا إِذْ
 جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا﴾ فهلاً إذ ابتليناهم بذلك تضرعوا إلينا وتمسكوا لدينا ﴿وَلَكِنْ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ ما رقت ولا خشعت، ﴿وَزَيَّنَ لَهُمُ
 الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ من الشرك والمعاندة ٤٤: ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمُ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ﴾ فلما عرضوا عن [ذكرنا]
 وتناسوه وجعلوه وراء ظهورهم فتحنا عليهم أبواب الرزق من كل ما يختارون، وهذا استدراج منه تعالى، وإملاء لهم، ولهذا قال سبحانه: ﴿حَتَّىٰ إِذَا
 فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا﴾ من الأموال والأرزاق ﴿أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً﴾ على غفلة ﴿فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ﴾ أيسون من كل خير. مكر بالقوم؛ أعطاهم ثم
 أخذهم.

٤٥ : ﴿فَقَطَعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا

والحمد لله رب العالمين﴾، [المعنى: قطع خلفهم من نسلهم وغيرهم فلم تبق لهم بقية]

٤٦ : يقول تعالى لرسوله ﴿قُلْ﴾ هؤلاء

المشركين ﴿أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ اللَّهُ سَمْعَكُمْ

وَأَبْصَارَكُمْ سَلَبَكُمْ إِيَّاهَا كَمَا عَطَاكُمْ إِيَّاهَا

﴿وَحَسَمَ عَلَى قُلُوبِكُمْ﴾، [أي: طبع عليها،

﴿مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِهِ؟﴾ هل أحد غير

الله يقدر على رد ذلك إليكم؟ ﴿انظُرْ كَيْفَ

نُصِرْتُ الْآيَاتِ﴾ نبيها ونوضحها على أنه

لا إله إلا الله ﴿ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ﴾ ثم مع

هذا البيان يُعْرِضُونَ عن الحق ٤٧ : ﴿قُلْ﴾

أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ بَغْتَةً وَأَنْتُمْ

لا تشعرون به حتى يفتكم وفتاكم ﴿أَوْ

جَهْرَةً ظَاهِرًا عَيَانًا﴾ هل يُهْلِكُ إِلَّا الْقَوْمَ

الظالمون؟ ﴿إِنَّمَا كَانَ يُحِيطُ بِالظَّالِمِينَ، وَيَجُودُ

الذين كانوا يعبدون الله وحده، ولا هم يحزنون

٤٨ : ﴿وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ

ومنذرين﴾ مبشرين عباد الله المؤمنين

بالخيرات، ومنذرين من كفر بالله بالنقمات

والعقوبات، ولهذا قال سبحانه: ﴿فَمَنْ آمَنَ

وَأَصْلَحَ﴾ فمن آمن قلبه بما جاؤوا به وصلح

عمله باتباعه إيتاهم ﴿فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾

بالنسبة لما يستقبلونه ﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾

بالنسبة إلى ما فاتهم وتركوه من أمر الدنيا

٤٩ : ﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا يُسْمِعُهُمُ الْعَذَابُ

بما كانوا يفسقون﴾ ينالهم العذاب بما كفروا

وخرجوا عن أوامر الله وطاعته ٥٠ : ﴿قُلْ﴾

لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ لَسْتُ

أملكها ولا أنصرف فيها، ﴿وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ﴾ ولا أقول لكم إني أعلم ذلك من علم الله، ﴿وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إني مَلِكٌ﴾ إنما أنا بشر،

﴿إِنْ أَتَيْتُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ﴾ لست أخرج عنه قيد شبر ولا أدنى منه. ﴿قُلْ﴾ هل يستوي الأعمى والبصير؟ هل يستوي من اتبع الحق وهُدي

إليه ومن ضل عنه فلم يتقَدَّ له؟ ﴿أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ؟﴾ ٥١ : ﴿وَأَنْذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُحْشَرُوا إِلَى رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُمْ مِنْ دُونِهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ

وأنذر بهذا القرآن يا محمد الذين يخشون ربهم ويخافون سوء الحساب، ليس لهم قريب ولا شفيع فيهم من عذابه إن أرادهم بهم، ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾

فيعملون في هذه الدار عملاً ينجيهم الله به يوم القيامة من عذابه ٥٢ : ﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾ لا تبعد

هؤلاء المتصفين بهذه الصفات عنك، بل اجعلهم جلساءك وأحباءك، ﴿يَدْعُونَ رَبَّهُمْ﴾ يعبدونه ويسألونه ﴿بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ﴾ الصلاة

المكتوبة ﴿يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾ يريدون بذلك العمل الصالح وجه الله الكريم وهم مخلصون فيه من العبادات والطاعات. ﴿مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾، [هذا بيان للأحكام، ولعلَّ يقع مثل ذلك من أهل الإسلام].

فَقَطَعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٥﴾

قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ اللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَارَكُمْ وَحَسَمَ عَلَى قُلُوبِكُمْ

مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِهِ أَنْظُرْ كَيْفَ نُصِرْتُ الْآيَاتِ

ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ ﴿٤٦﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ

بَغْتَةً أَوْ جَهْرَةً هَلْ يُهْلِكُ إِلَّا الْقَوْمَ الظَّالِمُونَ ﴿٤٧﴾ وَمَا

نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ فَمَنْ آمَنَ وَأَصْلَحَ

فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٤٨﴾ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا

يَسْمِعُهُمُ الْعَذَابُ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿٤٩﴾ قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ

عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إني مَلِكٌ

إِنْ أَتَيْتُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ

أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ ﴿٥٠﴾ وَأَنْذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُحْشَرُوا

إِلَى رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُمْ مِنْ دُونِهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ

﴿٥١﴾ وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ

وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ

عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٥٢﴾

أملكها ولا أنصرف فيها، ﴿وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ﴾ ولا أقول لكم إني أعلم ذلك من علم الله، ﴿وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إني مَلِكٌ﴾ إنما أنا بشر، ﴿إِنْ أَتَيْتُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ﴾ لست أخرج عنه قيد شبر ولا أدنى منه. ﴿قُلْ﴾ هل يستوي الأعمى والبصير؟ هل يستوي من اتبع الحق وهُدي إليه ومن ضل عنه فلم يتقَدَّ له؟ ﴿أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ؟﴾ ٥١ : ﴿وَأَنْذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُحْشَرُوا إِلَى رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُمْ مِنْ دُونِهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ وأنذر بهذا القرآن يا محمد الذين يخشون ربهم ويخافون سوء الحساب، ليس لهم قريب ولا شفيع فيهم من عذابه إن أرادهم بهم، ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ فيعملون في هذه الدار عملاً ينجيهم الله به يوم القيامة من عذابه ٥٢ : ﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾ لا تبعد هؤلاء المتصفين بهذه الصفات عنك، بل اجعلهم جلساءك وأحباءك، ﴿يَدْعُونَ رَبَّهُمْ﴾ يعبدونه ويسألونه ﴿بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ﴾ الصلاة المكتوبة ﴿يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾ يريدون بذلك العمل الصالح وجه الله الكريم وهم مخلصون فيه من العبادات والطاعات. ﴿مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾، [هذا بيان للأحكام، ولعلَّ يقع مثل ذلك من أهل الإسلام].

الآية : ٥٢ عن جابر أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : « إن من أحبكم إليّ وأقربكم منّي مجلساً يوم القيامة أحاسيتكم أخلاقاً ، وإن أبغضكم إليّ وأبعدكم منّي مجلساً يوم القيامة الثرثارون ، والمشفقون ، والمتفقون » ، قالوا : يا رسول الله قد علمنا الثرثارين والمشفقين ، فما المتفقون ؟ قال : « المتكبرون » رواه الترمذي وقال : حديث حسن ، ورواه ابن حبان في صحيحه .

وَكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لِيَقُولُوا أَهَؤُلَاءِ مَن آتَاهُ اللَّهُ عِلْمَهُمْ مِّن بَيْنِنَا أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ ﴿٥٣﴾ وَإِذَا جَاءكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلِّمُوا عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَن عَمِلَ مِنكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِن بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥٤﴾ وَكَذَلِكَ نَفُصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٥٥﴾ قُلْ إِنِّي نُهَيْتُ أَن أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ قُل لَّا أُنْبِئُكُمْ بِأَهْوَاءِكُمْ قَدْ ضَلَلْتُ إِذًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُهْتَدِينَ ﴿٥٦﴾ قُلْ إِنِّي عَلَى بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَكَذَّبْتُم بِهِ مَا عِنْدِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ إِنْ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ يَقْضُ الْحَقُّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ ﴿٥٧﴾ قُلْ لَوْ أَنَّ عِنْدِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ لَقُضِيَ الْأَمْرُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِالظَّالِمِينَ ﴿٥٨﴾ وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبُرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنَ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٌ فِي ظِلْمَةٍ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٌ وَلَا يَابِسٌ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴿٥٩﴾

٥٣: ﴿وَكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ﴾ ابتلينا واختبرنا وامتحنا بعضهم ببعض، ﴿ليقولوا﴾ ليقلولوا أهؤلاء من الله عليهم من بيننا، وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان غالب من أتبعه في أول بعثته ضعفاء الناس من الرجال، ولم يتبعه من الأشراف إلا القليل، والغرض: أن مشركي قريش كانوا يسخرون من آمن من الضعفاء وكانوا يقولون: ما كان الله يهدي هؤلاء إلى الخير ويدعنا؟ كقولهم: ﴿لو كان خيراً ما سبقونا إليه﴾، فقال في جوابهم: ﴿أليس الله بأعلم بالشاكرين؟﴾ ١؟ أليس هو أعلم بالشاكرين له بأقوالهم وأفعالهم وضمايرهم فوفقههم وهدى سبيل السلام؟ ٥٤: ﴿وَإِذَا جَاءكَ الَّذِينَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلِّمُوا عَلَيْكُمْ﴾ فأكرمهم برد السلام عليهم وبشرهم برحمة الله لهم، ولهذا قال تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْمَسِيحُ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ﴾ أوجبها على نفسه الكريمة تفضلاً منه وإحساناً وامتناناً، ﴿أَنَّهُ مَن عَمِلَ مِنكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِن بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ﴾ رجع عما كان عليه من المعاصي وأقلع، وعزم على أن لا يعود؛ ﴿فَإِنَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ ٥٥: ﴿وَكَذَلِكَ نَفُصِّلُ الْآيَاتِ﴾ كما بيّنا الحجج والدلائل على طريق الهداية والرشاد ﴿كَذَلِكَ نَفُصِّلُ الْآيَاتِ﴾ التي يحتاج المخاطبون إلى بيانها، ﴿وَلِتَسَبِّلَ سَبِيلَ الْمُجْرِمِينَ﴾ ولتظهر طريق المجرمين الخالفين للرسول ٥٦: ﴿قُلْ إِنِّي نُهَيْتُ أَن أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ﴾ [أي: من الأصنام]، ﴿قُلْ لَّا أُنْبِئُكُمْ بِأَهْوَاءِكُمْ﴾، [أي فيما

طلبتموه من عبادة غير الله] ﴿قَدْ ضَلَلْتُ إِذًا﴾، [أي: إن اتبعتم أهواءكم]، ﴿وَمَا أَنَا مِنَ الْمُهْتَدِينَ﴾ ٥٧: ﴿قُلْ إِنِّي عَلَى بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي﴾ على بصيرة من شريعة الله التي أوحاها الله إليّ ﴿وَكَذَّبْتُم بِهِ﴾ بالحق الذي جاءني من الله، ﴿مَا عِنْدِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ﴾ من العذاب ﴿إِنْ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ﴾ إنما يرجع أمر ذلك إلى الله إن شاء عجل لكم ما سأتموه من ذلك، وإن شاء أنظركم وأجلكم، وله الحكمة في ذلك، ولهذا قال سبحانه ﴿يَقْضُ الْحَقُّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ﴾ فهو خير الفاصلين ﴿فَهُوَ خَيْرٌ مِّن فَصْلِ الْقَضَايَا وَالْحُكْمِ﴾ ٥٨: ﴿قُلْ لَوْ أَنَّ عِنْدِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ لَقُضِيَ الْأَمْرُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ﴾ لو كان مرجع ذلك إليّ لأوقعت لكم ما تستحقونه من ذلك، ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِالظَّالِمِينَ﴾ ٥٩: ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ﴾ روى البخاري أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: «مفاتيح الغيب خمس لا يعلمهن إلا الله: إن الله عنده علم الساعة، ويُرزق الغيب، ويعلم ما في الأرحام، وما تدري نفس ماذا تكسب غداً، وما تدري نفس بأي أرض تموت، إن الله علم خير»، ﴿وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبُرِّ وَالْبَحْرِ﴾ يُحِيطُ عِلْمُهُ الْكَرِيمُ بِجَمِيعِ الْمَوْجُودَاتِ، لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء. ﴿وَمَا تَسْقُطُ مِنَ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا﴾ ويعلم الحركات من الجمادات والحيوانات، ﴿وَلَا حَبَّةٌ فِي ظِلْمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٌ وَلَا يَابِسٌ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾.

الآية: ٥٤: روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة أنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: «إن الله كتب قبل أن يخلق الخلق: أن رحمتي سبقت غضبي، فهو مكتوب عنده فوق العرش، !! /مصابيح السنة ج ٤/ ١٧٠. وروى ابن مردويه عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «إذا فرغ الله من القضاء بين الخلق، أخرج كتاباً من تحت العرش: أن رحمتي سبقت غضبي، وأنا أرحم الراحمين، فيقبض قبضة أو قبضتين فيخرج من النار خلقاً لم يعملوا خيراً قط، مكتوب بين أعينهم: عفا الله !! /ابن كثير ج ٢/ ١٣٦.

٦٠: ﴿وهو الذي يتوفاكم بالليل﴾ يتوفى عباده في منامهم بالليل، وهذا هو التوفي الأصغر، كما قال تعالى: ﴿الله يتوفى الأنفس حين موتها والتي لم تمت في منامها فميسك التي قضى عليها الموت ويرسل الأخرى إلى أجل مسمى﴾ فذكر تعالى في هذه الآية الوفايتين الكبرى والصغرى. **ويعلم ما جرحتم بالنهار** ويعلم ما كسبتم من الأعمال بالنهار، **﴿ثم يعثبكم فيه﴾** في النهار **﴿ليقضى أجل مسمى﴾** يعني به أجل كل واحد من الناس، **﴿ثم إليه مرجعكم﴾** يوم القيامة **﴿ثم ينبئكم﴾** فيخبركم **﴿بما كنتم تعملون﴾** ويجزيكم على ذلك إن خيراً فخييراً وإن شراً فشرّاً **٦١: ﴿وهو القاهر فوق عباده﴾** وهو الذي قهر كل شيءٍ وخضع لجلاله وعظمته وكبريائه كل شيءٍ، **﴿ويرسل عليكم حفظة﴾** من الملائكة يحفظون بدن الإنسان، وحفظة يحفظون عمله ويحصونه، **﴿حتى إذا جاء أحدكم الموت﴾** احتضر وحان أجله **﴿توفته رسلنا﴾** ملائكة موكلون بذلك، قال ابن عباس: ملك الموت وأعداؤه من الملائكة، **﴿وهو لا يفرطون﴾** في حفظ روح التوفى، بل يحفظونها ويترلوها حيث شاء الله عز وجل **٦٢: ﴿ثم ردوا﴾** الخلاق كلهم إلى الله يوم القيامة فيحكم فيهم بعدله، كما قال تعالى: **﴿وحشرناهم فلم نغادر منهم أحدا﴾** إلى قوله: **﴿ولا يظلم ربك أحدا﴾** ولهذا قال: **﴿مولاهم الحق ألا له الحكم وهو أسرع الحاسبين﴾** ٦٣: يقول

البقرة

سورة البقرة

وهو الذي يتوفاكم بالليل ويعلم ما جرحتم بالنهار ثم يعثبكم فيه ليقضى أجل مسمى ثم إليه مرجعكم ثم ينبئكم بما كنتم تعملون **٦٠** وهو القاهر فوق عباده ويرسل عليكم حفظة حتى إذا جاء أحدكم الموت توفته رسلنا وهم لا يفرطون **٦١** ثم ردوا إلى الله مولاهم الحق ألا له الحكم وهو أسرع الحاسبين **٦٢** قل من ينحىكم من ظلمات البر والبحر تدعونه تضرعا وخفية لين أنحننا من هذه لتكونن من الشاكرين **٦٣** قل الله ينحىكم منها ومن كل كرب ثم أنتم تشركون **٦٤** قل هو القادر على أن يعثب عليكم عذاباً من فوقكم أو من تحت أرجلكم أو يبيد بعضكم بأس بعض أنظر كيف نصرف الآيات لعلهم يفقهون **٦٥** وكذب به قومك وهو الحق قل لست عليكم بوكيل **٦٦** لكل نبأ مستقر وسوف تعلمون **٦٧** وإذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا فأعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره وإما ينسينك الشيطان فلا تقعد بعد الذكرى مع القوم الظالمين **٦٨**

تعالى ممتناً على عباده في إنجاء المضطرين منهم في ظلمات البر والبحر، حين يفردون الدعاء له وحده لا شريك له: **﴿قل من ينحىكم من ظلمات البر والبحر تدعونه تضرعا وخفية لين أنحننا من هذه لتكونن من الشاكرين﴾** ٦٤: **﴿قل الله ينحىكم منها ومن كل كرب ثم أنتم تشركون﴾** تدعون معه في حال الرفاهية آله أخرى. ثم قال تعالى: **٦٥: ﴿قل هو القادر على أن يعثب عليكم عذاباً من فوقكم أو من تحت أرجلكم﴾** بعد إنجائهم إياكم، روى البخاري عن جابر بن عبد الله قال: لما نزلت هذه الآية **﴿قل هو القادر على أن يعثب عليكم عذاباً من فوقكم﴾** قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «أعدو بوجهك»، **﴿أو من تحت أرجلكم﴾** قال: «أعدو بوجهك»، **﴿أو يبيد بعضكم بعضاً﴾** بأس بعض **﴿قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «هذه أهون وأيسر»﴾** انظر كيف نصرف الآيات نبيها ونوضحها **﴿لعلهم يفقهون﴾** يفهمون عن الآيات **٦٦: ﴿وكذب به﴾** بالقرآن **﴿قومك﴾** يعني قريشاً **﴿وهو الحق﴾** الذي ليس وراءه حق، **﴿قل لست عليكم بوكيل﴾** يحفظ عليكم ولست بوكيل بكم **٦٧: ﴿لكل نبأ مستقر﴾** لكل خبر حقيقة ووقوع ولو بعد حين، **﴿وسوف تعلمون﴾**، وفي هذا تهديد ووعيد **٦٨: ﴿وإذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا﴾** بالتكذيب والاستهزاء **﴿فأعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره﴾** حتى يأخذوا في كلام آخر غير التكذيب. **﴿وإما ينسينك الشيطان﴾** والمراد بذلك كل فرد من أحاد الأمة أن لا يجلس مع الذين يجرفون آيات الله، **﴿فلا تقعد بعد الذكرى﴾** بعد التذكر **﴿مع القوم الظالمين﴾**، ولهذا ورد في الحديث: «رُفِعَ عن أمي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه».

وَمَا عَلَى الَّذِينَ يَنْقُونَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَلَا كُنْ
ذِكْرِي لَعَلَّهُمْ يَنْقُونَ ﴿٦٦﴾ وَذَرِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا
دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا وَعَرَّتَهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَذَكَرَ رَبَّهُ
أَنْ يُبَسَّلَ نَفْسٌ بِمَا كَسَبَتْ لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيٌّ
وَلَا شَفِيعٌ وَإِنْ تَعَدَلَ كُلُّ قَدَلٍ لَأَيُّوْخِذَ مِنْهَا أُوْلِيَاكَ
الَّذِينَ أُبْسِلُوا بِمَا كَسَبُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ
أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ ﴿٦٧﴾ قُلْ أَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ
مَا لَا يَنْفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَى أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْنَا اللَّهُ
كَأَنِّي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيْطَانُ فِي الْأَرْضِ حَيْرَانٌ لَهُ أَصْحَابٌ
يَدْعُونَهُ إِلَى الْهُدَى ائْتِنَا قُلْ إِنْ هَدَى اللَّهُ هُوَ الْهُدَى
وَأَمْرُنَا لِلْإِسْلَامِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦٨﴾ وَأَنْ أَقِيمُوا الصَّلَاةَ
وَأَتَقُواهُ وَهُوَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٦٩﴾ وَهُوَ الَّذِي
خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَيَوْمَ يَقُولُ كُنْ
فَيَكُونُ قَوْلُهُ الْحَقُّ وَلَهُ الْمَلَكُ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ
عِلْمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ ﴿٧٠﴾

٦٩: ﴿وما على الذين يَنْقُونَ من حسابهم من شيء﴾ إذا تجتنبوهم وأعرضوا عنهم، ﴿ولكن ذكري لعَلَّهُمْ يَنْقُونَ﴾ ولكن أمرنا بالإعراض عنهم حينئذٍ تذكيراً لهم عما هم فيه لعَلَّهُمْ لا يعودون إليه ٧٠: ﴿وذري الذين اتخذوا دينهم لعباً ولهواً وهوأ وغرتهم الحياة الدنيا﴾ دعهم وأعرض عنهم وأمهلهم قليلاً فإنهم صاترون إلى عذاب عظيم، ولهذا قال تعالى: ﴿وذكري به﴾ ذكر الناس بهذا القرآن وحذرهم نعمة الله وعذابه الأليم يوم القيامة، ﴿أن تبسل نفس بما كسبت﴾ لئلا تفتضح وتؤاخذ، ﴿ليس لها من دون الله ولي ولا شفيع﴾ لا قريب ولا أحد يشفع فيها، ﴿وإن تغدل كل عدل لا يؤخذ منها﴾ ولو بذلت كل مبذول ما قيل منها، كقوله تعالى: ﴿إن الذين كفروا وماتوا وهم كفار فلن يقبل من أحدهم ملء الأرض ذهباً﴾ الآية، وكذا قال سبحانه هنا: ﴿أولئك الذين أنبسأوا بما كسبوا لهم شراب من حميم وعذاب أليم بما كانوا يكفرون﴾ ٧١: ﴿قل ادعوا من دون الله ما لا ينفعنا ولا يضرننا ونرد على أعقابنا﴾؟ في الكفر ﴿بعد إذ هدانا الله!!﴾ قال المشركون للمسلمين: اتبعوا سبيلنا واتركوا دين محمد فأنزل الله [هذه الآية]، ﴿كالذي استهوته الشياطين في الأرض خيران﴾ فيكون مثلنا مثل الذي استهوته الشياطين فحيرته، ﴿له أصحاب يدعونه إلى الهدى إتياناً﴾ وله أصحابه على الطريق فجعلوا يدعونه إليهم ويقولون: إتياناً علينا على الطريق؛

فأبى أن يأتيهم، فذلك مثل من يتبعهم بعد المعرفة بمحمد صلى الله عليه وآله وسلم، ومحمد هو الذي يدعو إلى الطريق، وهو الإسلام ﴿قل إن هدى الله هو الهدى﴾ كما قال تعالى: ﴿ومن يهد الله فما له من مضيل﴾، ﴿وأمرنا لنسلم لرب العالمين﴾ نخلص له العبادة وحده لا شريك له ٧٢: ﴿وأن أقيموا الصلاة واتقوا﴾ وأمرنا بإقامة الصلاة، ويتقوا في جميع الأحوال، ﴿وهو الذي إليه تحشرون﴾ يوم القيامة ٧٣: ﴿وهو الذي خلق السموات والأرض بالحق﴾ بالعدل، فهو خالقهما ومالكهما والمدبر لهما ولن فهما، ﴿ويوم يقول كُنْ فيكون﴾ يوم القيامة الذي يقول الله: كُنْ فيكون عن أمره كلمح البصر أو هو أقرب. ﴿قوله الحق وله الملك يوم ينفخ في الصور﴾، وفي صحيح مسلم قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «إن إسرأيل قد التقم الصور وحنى جبهته ينتظر متى يؤمر فينفخ». ﴿عالم الغيب والشهادة وهو الحكيم الخبير﴾.

الآية: ٧٠ قال صلى الله عليه وآله وسلم: « لا يحقر أحدكم نفسه » قالوا: يا رسول الله كيف يحقر أحدنا؟ قال: « يرى أمراً لله عليه فيه مقال ثم لا يقول فيه. فيقول الله عز وجل له يوم القيامة: ما متك أن تقول كذا وكذا؟ فيقول: خشية الناس. فيقول: فأبى كنت أحق أن تخشى » رواه ابن ماجه بإسناد صحيح ج/٢ - ١٣٢٨.

روى مالك عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث، ولا تجسسوا ولا تحسسوا، ولا تأنسوا ولا تأنسوا، ولا تباغضوا ولا تباغضوا، ولا توادوا، وكونوا عباد الله إخواناً» ورواه البخاري. //ابن كثير ج ٢١٢/٤ - ٢١٣/٤

الآية: ٧١ قال صلى الله عليه وآله وسلم: « أبغض الناس إلى الله ثلاثة: مُلجِد في الحرم، ومُتغ في الإسلام سُنة الجاهلية، ومُطَلَب دم امرئ بغير حق ليهريق دمه » رواه البخاري في الدييات ٩.

٧٤: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ أَرَزَّرَ اسم الصم، وأبو إبراهيم اسمه تارخ؛ كأنه غلب عليه آزر لخدمته ذلك الصم، ﴿أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا﴾ تقديره: يا أبت أتتخذ آزر أصناماً ألهة؟! وعظ إبراهيم أباه في عبادة الأصنام وزجره عنها ونهاه، فلم ينته، ﴿أَلَهَةٌ﴾ أتأله لصنم عبده من دون الله ﴿إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ﴾ السالكين مسلكك ﴿فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ تائبين لا يبتدون أين يسلكون ٧٥: ﴿وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ وتبين له وجه الدلالة في نظره إلى خلقهما على وحدانية الله عز وجل في ملكه وخلقهما، وأنه لا إله غيره ولا رب سواه، ﴿وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ﴾ ليكون عالماً وموقناً، فإنه تعالى جللاً له الأمر سيره وعلانيته فلم يخف عليه شيء حتى علم ما في ذلك من الحكم الباهرة ٧٦: ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ﴾ تغشاه وستره ﴿رَأَى كَوْكَبًا﴾ نجماً ﴿قَالَ هَذَا رَبِّي﴾، [كان هذا في مهلة النظر لحاجة قومه]، ﴿فَلَمَّا أَفَلَ﴾ غاب ﴿قَالَ لَا أَحِبُّ الْآفَلِينَ﴾ لأنه علم أن ربه دائم لا يزول ٧٧: ﴿فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَارِعًا﴾ طالعا ﴿قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ﴾ أي: لئن لم يهتديني ربِّي على الهداية. وقد كان مهتدياً ٧٨: ﴿فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَارِعَةً قَالَ هَذَا رَبِّي﴾ هذا المنير الطالع ربِّي ﴿هَذَا أَكْبَرُ﴾ جُرمًا من النجم والقمر وأكثر إضاءة ﴿فَلَمَّا أَفَلَ﴾ غابت ﴿قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ﴾ ٧٩: ﴿إِنِّي

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ أَرَزَّرَ اتَّخَذُ أَصْنَامًا﴾ إني أرنك وقومك في ضلالٍ مُّبِينٍ ﴿٧٤﴾ وكذلك نرى إبراهيم ملكوت السموات والأرض وليكون من الموقنين ﴿٧٥﴾ فلما جن عليه الليل رآ كوكباً قال هذا ربي فلما أفل قال لا أحب الآفلين ﴿٧٦﴾ فلما رآ القمر بارعاً قال هذا ربي فلما أفل قال لئن لم يهديني ربي لأكونن من القوم الضالين ﴿٧٧﴾ فلما رآ الشمس بارعة قال هذا ربي هذا أكبر فلما أفلت قال يقو بربي برى مما تشركون ﴿٧٨﴾ إني وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض حنيفاً وما أنا من المشركين ﴿٧٩﴾ وحاجه قومه قال أتججوني في الله وقد هدن ولا أخاف مما تشركون به إلا أن يشاء ربي شيئاً وسع ربي كل شيء وعلماً أفلا تتذكرون ﴿٨٠﴾ وكيف أخاف ما أشركتم ولا تخافون أنكم أشركتم بالله ما لم ينزل به عليكم سلطاناً فأي الفريقين أحق بالأمن إن كنتم تعلمون ﴿٨١﴾

وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض حنيفاً وما أنا من المشركين ﴿٧٩﴾ أخلصت ديني وأفردت عبادتي للذي فطر السموات والأرض حنيفاً، مائلاً عن الشرك إلى التوحيد؛ ولهذا قال: ﴿وما أنا من المشركين﴾ ٨٠: ﴿وحاجه قومه﴾ يخبر تعالى عن إبراهيم حين جادله قومه فيما ذهب إليه من التوحيد أنه ﴿قال أتججوني في الله وقد هدان﴾؟! أتجادلونني في أمر الله وأنه لا إله إلا هو، وقد بصرتني وهداني إلى الحق وأنا على بينة منه فكيف أنفثت إلى أقوالكم الفاسدة؟! ﴿ولا أخاف ما تشركون به إلا أن يشاء ربي شيئاً﴾ هذه الآلهة لا تؤثر شيئاً ولا أخافها ولا أباها، ﴿إلا أن يشاء ربي شيئاً﴾ هذا استثناء منقطع، أي: لا يضر ولا ينفع إلا الله عز وجل، ﴿وسع ربي كل شيء وعلماً﴾ فلا تخفى عليه خافية ﴿أفلا تتذكرون﴾ فإيا بينته لكم، أفلا تعتبرون أن هذه الآلهة باطلة فتزجروا عن عبادتها؟! ٨١: ﴿وكيف أخاف ما أشركتم﴾ من هذه الأصنام ﴿ولا تخافون أنكم أشركتم بالله ما لم ينزل به عليكم سلطاناً﴾ حجة، ﴿فأي الفريقين أحق بالأمن إن كنتم تعلمون﴾؟! فأَي الطائفتين أصوب الذي عبد من يديه الضر والنفع، أو الذي عبد من لا يضر ولا ينفع؟ فأيهما أحق بالأمن من عذاب الله يوم القيامة؟!

الآية: ٧٩ روى عبد الرزاق في قوله تعالى ﴿لأنذرکم به ومن بلغ﴾ أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: « بلغوا عن الله، فمن بلغه آية من كتاب الله فقد بلغه أمر الله ». / ابن كثير ج ٢ / ١٢٦ .
الآية: ٨١ قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: « يا أيها الناس إياكم وشرك السرائر » رواه ابن خزيمة في صحيحه . وقال صلى الله عليه وآله وسلم: « إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر » قالوا: وما الشرك الأصغر يا رسول الله ؟ قال: « الرياء ». رواه أحمد بإسناد جيد / الترغيب ج ١ / ٦٨ / ٦٧ .

٨٢: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ هُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾ لما نزلت هذه الآية شق ذلك على الناس، فقالوا: يا رسول الله: أئنا لم نظلم أنفسنا؟ قال: «إِنَّهُ لَيْسَ الَّذِي تَعْنُونَ، أَمْ تَسْمَعُونَ مَا قَالَ الْعَبْدُ الصَّالِحُ: (يَا بَنِي لَا تَشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ)؛ إِنَّمَا هُوَ الشِّرْكَ» ٨٣: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَىٰ حُجَّتِهِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ﴾ ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِ﴾ ﴿وَجَهَنَّا حُجَّتَهُ عَلَيْهِمْ﴾ ﴿تَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مِّنْ نَّشَاءٍ﴾، [أي: بالعلم والفهم والإمامة والملك]، ﴿إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾؛ حَكِيمٌ فِي أَقْوَالِهِ وَأَعْمَالِهِ، عَلِيمٌ بِمَنْ يَبْدِيهِ وَمَنْ يُضِلُّهُ ٨٤: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ﴾ بعد أن طعن في السن وأبى هو وامرأته سارة من الولد فجاءته الملائكة وهم ذاهبون إلى قوم لوط فبشروها بإسحاق، كما قال تعالى: ﴿فَبَشِّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ وَمِن وَرَاءِ إِسْحَاقَ يُعْقُوبَ﴾ وهذا أكمل في البشارة؛ بآن له نسلاً وعبقياً. ﴿كَلِمَاتٌ هَدَيْنَا وَنوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ﴾ من قبله هديناه كما هديناه. ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِهِ﴾ وهدينا من ذريته ﴿دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَارُونَ﴾ وكذلك نجزي المحسنين ٨٥: ﴿وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِيلَاسَ كُلِّ مَن صَالَحٍ﴾ [هؤلاء الأنبياء جميعاً مضافون إلى ذرية إبراهيم، وإن كان فيهم من لم تلحقه ولادة من جهته من جهة أب ولا أم؛ لأن لوطاً ابن أخي إبراهيم. والعرب تُسمي العم أباً] ٨٦: ﴿وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُوسُفَ وَلُوطًا وَكَلِمَاتٌ فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ ٨٧: ﴿وَمِن

الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ هُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾ وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّن نَّشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٨٣﴾ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ وَمِن ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِيلَاسَ كُلِّ مَن صَالَحٍ ﴿٨٥﴾ وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُوسُفَ وَلُوطًا وَكَلِمَاتٌ فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٨٦﴾ وَمِن ءَابَائِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ وَاجْتَبَيْنَاهُمْ وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٨٧﴾ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ مَن عِبَادِهِ وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحِطَّ عَنهُم مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٨٨﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ ءَاتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَ وَالنَّبُوءَةَ فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَؤُلَاءِ فَقَدْ وَكَلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ ﴿٨٩﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَيُهْدِيهِمْ وَقَدِّمَهُمْ عَلَىٰ قَوْمٍ لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنَّ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ ﴿٩٠﴾

آبائهم وذرياتهم وإخوانهم﴾ ذكر أصولهم وفروعهم وذوي طبقاتهم، وأن الهداية والاجتباء شملهم كلهم، ولهذا قال تعالى: ﴿وَاجْتَبَيْنَاهُمْ وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾، ثم قال تعالى: ٨٨: ﴿ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ مَن عِبَادِهِ﴾؛ إِنَّمَا حَصَلَ لَهُمْ ذَلِكَ بِتَوْفِيقِ اللَّهِ وَهَدَايَتِهِ إِيَّاهُمْ، ﴿وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحِطَّ عَنهُم مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ تشديداً لأمر الشرك وتغليظ لشأنه، كقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَوْحَىٰ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِن أَشْرَكْتَ لَيَحْبِطَنَّ عَمَلُكَ﴾ الآية. وهذا شرط، والشرط لا يقتضي جواز الوقوع؛ كقوله تعالى: ﴿قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ﴾ [وليس لله ولد، فأنا لا أعبد سواه أبداً] ٨٩: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَ وَالنَّبُوءَةَ﴾ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِمْ بِذَلِكَ رَحْمَةً لِلْعِبَادِ بِهِمْ وَلَطْفًا مَّتَا بِالْحَقِيقَةِ، ﴿فَإِن يَكْفُرْ بِهَا﴾ بِالنَّبُوءَةِ ﴿هَؤُلَاءِ﴾ أَهْلُ مَكَّةَ ﴿فَقَدْ وَكَلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ﴾ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارَ وَأَتَابَهُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ٩٠: ﴿أُولَئِكَ﴾ الْأَنْبِيَاءُ الْمَذْكُورِينَ ﴿الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ﴾ هُمُ أَهْلُ الْهُدَى لَا غَيْرَهُمْ ﴿فَيُهْدِيهِمْ﴾ فَيُهْدِيهِمْ أَقْدَمَهُمْ، وَإِذَا كَانَ هَذَا أَمْرًا لِلرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فَأَمْتَهُ تَبِعَ لَهُ. ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾ لَا أَطْلُبُ مِنْكُمْ عَلَىٰ إِبْلَاغِي إِيَّامَ هَذَا الْقُرْآنِ أَجْرَةً، ﴿إِن هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ﴾ يَنْذِرُونَ بِهِ فَيُرْشِدُوا مِنَ الْعَمَىٰ إِلَى الْهُدَى، وَمِن الْكُفْرِ إِلَى الْإِيمَانِ.

الآية: ٨٥ روى ابن أبي حاتم عن أبي حنبل عن أبي حنبل قال: أرسل الحجاج إلى يحيى بن يعمر فقال بلغني أنك تزعم أن الحسن والحسين من ذرية النبي ﷺ تجده في كتاب الله - وقد قرأته من أوله إلى آخره فلم أجده؟ قال أليس نقرأ سورة الأنعام؟ ومن ذرية داود وسليمان؟ حتى بلغ ﴿ويحيى وعيسى﴾ قال: بلى قال: أليس عيسى من ذرية إبراهيم وليس له أب؟ قال: صدقت. / ابن كثير ج ٢ / ١٥٥.

٩١: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾ وما عظموا الله حقَّ تعظيمه إذ كذبوا رسله إليهم؛ ﴿إِذْ قَالُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشِيرٍ مِنْ شَيْءٍ﴾ قال الله تعالى ﴿قُلْ﴾ يا محمد لهؤلاء المنكرين ﴿مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى لِلنَّاسِ﴾ وهو التوراة، قد أنزلها الله نوراً وهدى ليُستضاء بها في كشف المشكلات ويُبهتدى بها من ظلم الشبهات، ﴿يَجْعَلُونَهُ قُرْآنًا تُبَدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا﴾ يجعلونها قطعاً تكتبونها من الكتاب الأصلي الذي بأيديكم وتحرقون منها ما تحرقون، وتقولون هذا من عند الله، ﴿وَعَلَّمْتُمْ مَا لَمْ تَعْلَمُوا أَنْتُمْ وَلَا آبَاؤُكُمْ﴾ وهذه للمسلمين؛ أي: ومن أنزل القرآن الذي علمكم الله فيه ما لم تكونوا تعلمون ذلك لا أنتم ولا آبائكم؟ ﴿قُلْ اللَّهُ﴾ قُلْ الله أنزله، ﴿ثُمَّ ذَرَهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ﴾ دعهم في جهلهم وضلالهم يلعبون حتى يأتيهم من الله اليقين، فسوف يعلمون أسمى العاقبة أم لعباد الله المتقين؟! ٩٢: ﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مَبْرُكًا مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ القرآن ﴿أَنْزَلْنَاهُ مَبْرُكًا﴾ مَبْرُكًا الذي بين يديه؛ [أي: الكتب المنزلة قبله]، ﴿وَلِتُذَكِّرَ أُمَّ الْقُرَىٰ﴾ مكة ﴿وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ من أحياء العرب وسائر طوائف بني آدم من عرب وعجم، ﴿وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِ﴾ كل من آمن بالله واليوم الآخر يؤمن بهذا الكتاب المبارك وهو القرآن، ﴿وَهُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾ يقيمون ما فرض عليهم من أداء الصلوات في أوقاتها ٩٣: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَىٰ

وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَىٰ بَشِيرٍ مِنْ شَيْءٍ قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى لِلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُ قُرْآنًا تُبَدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا وَعَلَّمْتُمْ مَا لَمْ تَعْلَمُوا أَنْتُمْ وَلَا آبَاؤُكُمْ قُلْ اللَّهُ ثُمَّ ذَرَهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩١﴾ وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مَبْرُكًا مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُذَكِّرَ أُمَّ الْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَهُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩٢﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَىٰ اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَنْ قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُو أَيْدِيهِمْ أَخْرَجُوا أَنْفُسَكُمْ الْيَوْمَ تُجْرُونَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَىٰ اللَّهِ عَيْرَ الْحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿٩٣﴾ وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَىٰ كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرْكْتُمْ مَا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَؤَا قُلْ لَقَدْ نَقَطَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنْكُمْ مَا كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٩٤﴾

الله كذباً؟! لا أحد أظلم ممن كذب على الله فجعل له شركاء أو ولداً أو ادعى أن الله أرسله إلى الناس ولم يرسله، ﴿أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ﴾ نزلت في مسليمة الكذاب ﴿وَمَنْ قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾ ومن ادعى أنه يعارض ما جاء من عند الله من الوحي بما يفتره من القول. ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ﴾ في سكراته وغمراته وكرباته ﴿وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُو أَيْدِيهِمْ﴾ بالضرب، ﴿أَخْرَجُوا أَنْفُسَكُمْ﴾ إن الكافر إذا احتضر تفرقت روحه في جسده وتأتى الخروج فتضربهم الملائكة قائلين لهم ﴿الْيَوْمَ تُجْرُونَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَىٰ اللَّهِ عَيْرَ الْحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ﴾ ٩٤: ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَىٰ كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾، يقال لهم هذا يوم معادهم، ﴿وَتَرْكْتُمْ مَا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ﴾ من النعم والأموال التي اقتنيتوها في الدنيا ﴿وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ﴾، هذا تقريع لهم وتوبيخ على ما كانوا اتخذوا في الدنيا من الأنداد والأصنام ظانين أنها تنفعهم في معاشهم ومعادهم؛ ﴿لَقَدْ نَقَطَ بَيْنَكُمْ﴾ شملكم ﴿وَضَلَّ عَنْكُمْ مَا كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ﴾ من رجوى الأنداد كقوله تعالى: ﴿إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ أُتْبِعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوُا الْعَذَابَ وَتَقَطَعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ﴾ وقال الذين اتَّبَعُوا لو أن لنا كرة فنتبرأ منهم كما تَبَرَّأُوا مِنَّا، كذلك يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وما هم بخارجين من النار.

الآية: ٩١ روى الإمام أحمد عن أنس قال: كان رسول الله ﷺ يقول: «الإسلام عناية، والإيمان في القلب» قال: ثم يُشير بيده إلى صدره ثلاث مرّات ثم يقول: [التقوى هاهنا، التقوى هاهنا] وروى الإمام أحمد أنه كان من دعائه ﷺ: «اللَّهُمَّ حَبِّبْ إِلَيْنَا الْإِيمَانَ وَزَيِّنْهُ فِي قُلُوبِنَا، وَكَرِّهْ إِلَيْنَا الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ، وَاجْعَلْنَا مِنَ الرَّاشِدِينَ». /ابن كثير ج ٤/ ٢١٠

٩٥: ﴿إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى﴾ بِشَقِّهِ

في الثرى فتنبُّ منه الزروع على اختلافها، فسر هذا بقوله تعالى: ﴿يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ﴾ يخرج النبات الحَيَّ من الحب والنوى الذي هو كالجُماد الميت، ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ فَاتِي تُوَفِّكُونَ﴾ فاعلُ هذا هو الله وحده لا شريك له فكيف تصرفون عن الحق إلى الباطل؟!

٩٦: ﴿فَالِقُ الْإِصْبَاحِ﴾ [أي: فالقُ الصبح كل يوم]، ﴿وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا﴾ ساجياً

مظلماً لتسكن فيه الأشياء، ﴿وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ حُسْبَانًا﴾ جعلهما يجريان بحساب مُقننٍ مُقدِّرٍ لا يتغيَّر ولا يضطرب بل لكل منهما منازل يسلكها في الصيف والشتاء فيترتب على ذلك اختلاف الليل والنهار طولاً وقصراً، ﴿ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾،

الجميع جارٍ بتقدير العزيز الذي لا يُمانع ولا يخالف [أي: في قدره الكوني]، العليم بكل شيء فلا يعزب عن علمه مثقال ذرَّة في

الأرض ولا في السماء ٩٧: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ

لكم النجوم لتبهتوا بها في ظلمات البرِّ والبحر﴾، قال بعض السلف: من اعتقد في هذه النجوم غير ثلاث فقد أخطأ وكذب على

الله سبحانه: أن الله جعلها زينة للسماء،

وَرُجُوماً للشياطين، ويبتدى بها في ظلمات البرِّ والبحر. ﴿قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ﴾ قد بيَّناها

ووضحناها ﴿لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ يعقلون ويعرفون الحق ويتجنبون الباطل ٩٨: ﴿وَهُوَ الَّذِي

أَنْشَأَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ آدم عليه السلام.

﴿فَمَسْتَقَرٌّ وَمَسْتَدْعٍ﴾ مستقرٌّ في الأرحام،

ومستودع في الأصلاب، ومستقر في الدنيا، ومستودع حين يموت، ﴿قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ﴾ كلام الله ومعناه ٩٩: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ

من السماء ماءً﴾ بتقدير مباركاً ورزقاً للعباد رحمةً من الله تخلقه ﴿فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا﴾ زرعاً وشجراً أخضر، ثم بعد ذلك تخلق فيه الحب والتمر، ولهذا قال تعالى: ﴿يُخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُتَرَاكِبًا﴾ يركب بعضه بعضاً، ﴿وَمِنَ النَّخْلِ مِنْ طَلْعِهَا قِنْوَانٌ﴾ جمع قنو، وهي

عذوق الرطب ﴿دَانِيَةٌ﴾ قريبة من المتناول، وهي قِصار النخل، ﴿وَجَنَاتٍ مِنْ أَعْنَابٍ﴾ ونخرج منه جنات من أعناب، وهذان النوعان [أي: النخل والعنب] هما أشرف الثمار عند أهل الحجاز. ﴿وَالزَّيْتُونِ وَالرَّيْحَانِ مِثْلَهَا﴾ متشابهة في الورد والشكل ومتخالف في الثمار شكلاً

وطعماً، ﴿انظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ﴾ نضجه؛ أي: فكروا في قدرة خالقه ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ ١٠٠: ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ﴾

هذا ردُّ على المشركين الذين أشركوا في عبادة الله الجن مع الأصنام فجعلوهم شركاء له في العبادة، ﴿وَخَلَقَهُمْ﴾ وقد خلقهم فهو

الخالق وحده لا شريك له، فكيف تُعبَد معه؟! ﴿وَخَرَقُوا لَهُ﴾ [أي: اختلقوا وافتعلوا] ﴿بَنِينَ﴾ وهم اليهود والنصارى، ﴿وَبَنَاتٍ﴾ وهم المشركون

﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ كذباً وجهلاً، ﴿سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُصِفُونَ﴾ تقدَّس وتزهَّد عما يصفه هؤلاء الجهلة الضالُّون ١٠١: ﴿بَدِيعَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ خالقهما ومنشئهما على غير مثال سابق، ﴿أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةً وَخُلِقَ كُلُّ شَيْءٍ﴾ فكيف يكون ولدٌ أو صاحبة

من خلقه وهو الذي لا نظير له؟! ﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾.

﴿إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى﴾ بِشَقِّهِ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ

الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ ذَلِكُمْ اللَّهُ فَاتِي تُوَفِّكُونَ ﴿٩٥﴾ فَالِقُ الْإِصْبَاحِ

وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ حُسْبَانًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ

الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿٩٦﴾ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا

بِهَا فِي ظُلُمَاتِ اللَّيْلِ وَالْبَحْرِ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ

﴿٩٧﴾ وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ فَمَسْتَقَرٌّ وَمَسْتَدْعٍ

قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ ﴿٩٨﴾ وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ

مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ نَبَاتٍ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ

خَضِرًا يُخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُتَرَاكِبًا وَمِنَ النَّخْلِ مِنْ طَلْعِهَا

قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرَّيْحَانِ مِثْلَهَا

وَعَيْرٌ مِثْلُهَا أَنْظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ

لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٩٩﴾ وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ

وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا

يُصِفُونَ ﴿١٠٠﴾ بَدِيعَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ

وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةً وَخُلِقَ كُلُّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٠١﴾

١٠٢: ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ﴾ الذي خلق كل شيء ولا ولد له ولا صاحبة، [هو الرب] فاعبده وحده لا شريك له. ﴿وهو على كل شيء وكيل﴾ حفيظ وريب يُدبر كل ما سواه يرزقهم ويكلوهم بالليل والنهار

١٠٣: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾ في الدنيا، ولا تدركه العقول، كما قال تعالى: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا﴾ وهو أعظم من أن تدركه الأبصار والعقول. ﴿وهو يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ﴾ يُحِيطُ بِهَا وَيَعْلَمُهَا عَلَى مَا هِيَ عَلَيْهِ لِأَنَّهُ خَالِقُهَا، ﴿وهو اللطيف الخبير﴾، اللطيف لاستخراجها، الخبير بمكانها ١٠٤: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ بينات وحجج وهي التي اشتمل عليها القرآن ﴿فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا﴾، إنما يعود وباله عليه، ﴿وما أنا عليكم بحفيظ﴾، بحافظ ولا رقيب، إنما أنا مُبْلِغٌ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ، وَيُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ ١٠٥: ﴿وَكَذَلِكَ نُنْصِرُ الْآيَاتِ﴾ من بيان التوحيد كما توضح الآيات وتفسرها. ﴿وَلِيَقُولُوا دَرَسْتَ﴾ فرأت وتعلمت [هذا من الغير]، أي: فليقولوا بما شاؤوا فَإِنَّ الْحَقَّ بَيِّنٌ، ﴿وَلِيُثَبِّتَهُ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ ونوضحه لقوم يعلمون الحق فيتبعونه ١٠٦: ﴿اتَّبِعْ مَا أَوْحَىٰ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾ اقتد به واقتف أثره واعمل به، فإنه هو الحق الذي لا يرمية فيه، لأنه من ربك الذي ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ، وَأَعْرَضَ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾ احتمل أذاهم حتى يفتح الله لك وينصرك عليهم ١٠٧: ﴿ولو

ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾ قَدْ جَاءَكُمْ بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ ﴿١٠٤﴾ وَكَذَلِكَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ أَدْرَسَتْ وَلِيُثَبِّتَهُ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿١٠٥﴾ اتَّبِعْ مَا أَوْحَىٰ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٦﴾ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكُوا وَمَا جَعَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا وَمَا أَنتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ ﴿١٠٧﴾ وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ مَرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٠٨﴾ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ جَاءَتْهُمْ آيَةٌ لَيُؤْمِنُنَّ بِهَا قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠٩﴾ وَنَقَلَبْنَا قُلُوبَهُمْ وَبَصَّرْنَاهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَدَّرْنَاهُمْ فِي طُعَيْنِهِمْ يَعْصُونَ ﴿١١٠﴾

شاء الله ما أشركوا بل له المشيئة والحكمة فيما يشاؤه، [أي: لا يكون في الكون شيء خارجاً عن مشيئته]، ﴿وما جعلناك عليهم حفيظاً﴾ تحفظ أقوالهم وأعمالهم ﴿وما أنت عليهم بوكيل﴾ موكل على أرزاقهم وأمورهم، إن عليك إلا البلاغ ١٠٨: ﴿ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدواً بغير علم﴾، قال المشركون يا محمد لتنتهين عن سبك آفتنا أو لنهجون ربك، فأنزله الله هذه الآية. ﴿كذلك زيننا لكل أمة عملهم﴾، [أي: ابتلاء واختبار]. ﴿ثم إلى ربهم مرجعهم فينبئهم بما كانوا يعملون﴾، فيجازيهم بأعمالهم إن خيراً فخييراً، وإن شراً فشرّاً ١٠٩: ﴿وأقسموا بالله جهداً بما كانوا يخافون﴾، إن المشركين حلّفوا أيماناً مؤكدة ﴿لئن جاءتهم آيةٌ لمؤمننَّ بها﴾ معجزة ﴿ليؤمننَّ بها﴾ ليصدقها، ﴿قل إنما الآيات عند الله﴾ قل يا محمد هؤلاء الذين يسألونك الآيات تعتادوا لا على سبيل الهدى؛ إنما مرجع هذه الآيات إلى الله إن شاء جاءكم بها وإن شاء ترككم. ﴿وما يُشْعِرُكُمْ﴾ وما يُدْرِكُكُمْ ﴿أنها إذا جاءت لا يؤمنون﴾؟ ١٠٩: ﴿ونقلبنا قلوبهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا به أول مرة﴾ نحول بينهم وبين الإيمان، ولو جاءتهم كل آية فلا يؤمنون، ﴿ونذرهم في طغيانهم يعمهون﴾ نتركهم في ضلالهم وكفرهم يترددون.

الآية ١٠٨: قال ابن كثير: نهي الله تعالى رسوله صلى الله عليه وآله وسلم والمؤمنين عن سب آلهة المشركين وإن كان فيه مصلحة، إلا أنه يترتب عليه مفسدة أعظم منها، وهي مقابلة المشركين بسبب إله المؤمنين وهو ﴿الله لا إله إلا هو﴾ كما جاء عن ابن عباس في هذه الآية قالوا: يا محمد لتنتهين عن سبك آفتنا أو لنهجون ربك، فنهاهم الله أن يسبوا آلهتهم. ومن هذا القبيل: وهو ترك الصلحة لمفسدة أرحح منها ما جاء في الصحيح أن رسول الله قال: «ملعون من سب والديه» قالوا: يا رسول الله وكيف يسب الرجل والديه؟ قال: «يسب أباً الرجل فيسب أمه».

١١١: ﴿وَلَوْ أَنَّا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَى وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قَبْلًا مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ يَجْهَلُونَ ﴿١١١﴾﴾
 ﴿وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قَبْلًا﴾ لو عرضنا عليهم كل ما جاءتهم به الرسل، فأخبروهم بصدق ما جاءتهم به الرسل، ﴿وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قَبْلًا﴾ لو عرضنا عليهم كل أمة بعد أمة فيخبرونهم بصدق الرسل فيما جاؤوهم به، ﴿مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾ إن الهداية إليه لا إليهم، بل يهدي من يشاء ويضل من يشاء، ﴿وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ يَجْهَلُونَ﴾ ١١٢: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيْطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرَفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١١٢﴾﴾
 ﴿وَلِنُصْغِي إِلَيْهِ أَفْعِدَةَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُوا مَا هُمْ مُقْتَرِفُونَ ﴿١١٣﴾﴾ أَفْعِيرَ اللَّهِ أَبْتغى حكماً وهو الذي أنزل إليكم الكتاب مفصلاً والذين آتيناهم الكتاب يعلمون أنه منزل من ربك بالحق فلا تكونن من الممترين ﴿١١٤﴾ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١١٥﴾ وَإِنْ تَطَّعَ أَكْثَرُ مَنْ فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿١١٦﴾ إِنْ رَبُّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَنْ يَضِلُّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿١١٧﴾ فَكُلُوا مِمَّا ذَكَرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ بِآيَاتِهِ مُؤْمِنِينَ ﴿١١٨﴾﴾
 لكل نبي عدو شياطين الإنس والجن وكما لك يا محمد أعداء، لكل نبي من قبلك أيضاً أعداء، فلا يزنك ذلك، ﴿يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرَفَ الْقَوْلِ غُرُورًا﴾ شياطين الجن يوحون إلى شياطين الإنس القول المرين المزخرف، وهو المزوق الذي يفتن سامعه من الجهلة، ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ﴾ وذلك كله بمشيئته، ﴿فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾ فدعهم وما يكذبون، وتوكل على الله فإن الله كافيك وناصرك عليهم ١١٣: ﴿وَلِنُصْغِي إِلَيْهِ﴾ وتقبل إليه ﴿أَفْعِدَةَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ﴾ قلوبهم وعقولهم، أي: قلوب الكافرين، ﴿وَلِيَرْضَوْهُ﴾ يجيؤه ويريدوه وإنما يستجيب لذلك [أي: لوعي الشياطين]، من لا يؤمن بالآخرة، ﴿وَلِيَقْتَرِفُوا مَا هُمْ مُقْتَرِفُونَ﴾ وليكتبوا ما هم مكتسبون ١١٤: ﴿أَفْعِيرَ اللَّهِ أَبْتغى حكماً﴾ قل هؤلاء المشركين: أفير الله أبغى حكماً بيني وبينكم ﴿وهو الذي أنزل إليكم الكتاب

﴿وَلَوْ أَنَّا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَى وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قَبْلًا مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ يَجْهَلُونَ ﴿١١١﴾﴾
 ﴿وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قَبْلًا﴾ لو عرضنا عليهم كل ما جاءتهم به الرسل، فأخبروهم بصدق ما جاءتهم به الرسل، ﴿وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قَبْلًا﴾ لو عرضنا عليهم كل أمة بعد أمة فيخبرونهم بصدق الرسل فيما جاؤوهم به، ﴿مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾ إن الهداية إليه لا إليهم، بل يهدي من يشاء ويضل من يشاء، ﴿وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ يَجْهَلُونَ﴾ ١١٢: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيْطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرَفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١١٢﴾﴾
 ﴿وَلِنُصْغِي إِلَيْهِ أَفْعِدَةَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُوا مَا هُمْ مُقْتَرِفُونَ ﴿١١٣﴾﴾ أَفْعِيرَ اللَّهِ أَبْتغى حكماً وهو الذي أنزل إليكم الكتاب مفصلاً والذين آتيناهم الكتاب يعلمون أنه منزل من ربك بالحق فلا تكونن من الممترين ﴿١١٤﴾ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١١٥﴾ وَإِنْ تَطَّعَ أَكْثَرُ مَنْ فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿١١٦﴾ إِنْ رَبُّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَنْ يَضِلُّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿١١٧﴾ فَكُلُوا مِمَّا ذَكَرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ بِآيَاتِهِ مُؤْمِنِينَ ﴿١١٨﴾﴾

مُفَصَّلًا مَبِينًا؟ ﴿والذين آتيناهم الكتاب﴾ من اليهود والنصارى ﴿يعلمون أنه منزل من ربك بالحق﴾ بما عندهم من البشارات بك من الأنبياء المتقدمين، ﴿فلا تكونن من الممترين﴾، [الخطاب للنبي صلى الله عليه وآله وسلم وأُمَّتُهُ دَاخِلَةٌ فِيهِ] ١١٥: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا﴾ صدقاً فيما قال وأخيراً، وعدلاً فيما حكم وأمر، ﴿لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ﴾ ليس أحد يعقب على حكمه تعالى في الدنيا ولا في الآخرة، ﴿وهو السميع﴾ لأقوال عباده ﴿العليم﴾ بحركاتهم وسكناتهم ١١٦: ﴿وَإِنْ تَطَّعَ أَكْثَرُ مَنْ فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ يخر تعال عن حال أكثر بني آدم أنه ضلال، ﴿إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾ ليسوا على يقين من أمرهم وإنما هم في ظنون كاذبة وحسبان باطل ١١٧: ﴿إِنْ رَبُّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَنْ يَضِلُّ عَنْ سَبِيلِهِ﴾ فيسره لذلك، ﴿وهو أعلم بالمهتدين﴾ فيسره لهم لذلك ١١٨: ﴿فَكُلُوا مِمَّا ذَكَرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ بِآيَاتِهِ مُؤْمِنِينَ﴾، هذا إباحة من الله لعباده أن يأكلوا من الذبائح ما ذُكِرَ عليه اسمه، ومفهومه أنه لا يُباح ما لم يُذكر اسم الله عليه كما كان يستبيحه كفار قريش من أكل الميتات وما ذُبح على النصب.

الآية: ١١٢ روى الإمام أحمد عن أبي ذر قال: أتيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم وهو في المسجد فجلست فقال: «يا أبا ذر هل صليت؟ قلت: لا، قال: «قم فصل»، قال فقامت فصليت ثم جلست، فقال: «يا أبا ذر تعوذ بالله من شر شياطين الإنس والجن»، قلت: يا رسول الله وللإنس شياطين؟ قال: «نعم» وذكر تمام الحديث. وروى ابن أبي حاتم نحو هذا عن ابن عباس من رواية الضحاك عنه قال: «إن للجن شياطين يضلونهم مثل شياطين الإنس». / تفسير ابن كثير ج ١/ ٦٧٠.

١١٩: ﴿وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَقَدْ فَصَّلَ لَكُمْ مَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ وَوَضَعَهُ﴾. ﴿إِلَّا مَا اضْطُررْتُمْ إِلَيْهِ﴾. ﴿إِلَّا فِي حَالِ الْاضْطِرَارِ فَإِنَّهُ يَسَاحُ لَكُمْ مَا وَجَدْتُمْ﴾. ثم بين تعال جهالة المشركين في آرائهم الفاسدة فقال: ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا لَيُضِلُّونَ بِأَهْوَايِهِمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُعْتَدِينَ﴾. ﴿هُوَ أَعْلَمُ بِاعْتِدَائِهِمْ وَكَذِبِهِمْ وَافْتِرَائِهِمْ ١٢٠﴾: ﴿وَذَرُوا ظَاهِرَ الْإِثْمِ وَبَاطِنَهُ﴾. معصيته في السر والعلانية. ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْسِبُونَ الْإِثْمَ سَيَجْزَوْنَ بِمَا كَانُوا يَقْتَرُونَ﴾. سواء كان ظاهراً أو خفياً فإن الله سيجزيهم عليه ١٢١: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ﴾ استئذلاً بهذه الآية الكريمة أن الذبيحة لا تجل إذا لم يذكر اسم الله عليها، وإن كان الذابح مسلماً. ﴿وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ﴾. يقولون: ما ذبح الله فلا تأكلوه وما ذبحتم أنتم فكلوه؛ تأكلون ما قتلتم، ولا تأكلون مما قتل الله؟ ﴿وَإِنْ أُطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾. حيث عدلتم عن أمر الله لكم وشرع إلى قول غيره فقدتم عليه غيره، فهذا هو الشرك، كقوله تعالى: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾، الآية. وقد روى الترمذي في تفسيرها عن عدي بن حاتم أنه قال: يا رسول الله ما عبدوهم، فقال: «بلى إنهم أحلوا لهم الحرام، وحرموا عليهم الحلال، فاتبعوهم فذلك عبادتهم إياهم» ١٢٢: ﴿أَوْ مِنْ كَانَ مِثْلًا فَأَحْيَيْنَاهُ﴾. هذا مثل ضربه

وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَقَدْ فَصَّلَ لَكُمْ مَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا اضْطُررْتُمْ إِلَيْهِ وَإِنْ كَثِيرًا لَيُضِلُّونَ بِأَهْوَايِهِمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُعْتَدِينَ ﴿١١٩﴾ وَذَرُوا ظَاهِرَ الْإِثْمِ وَبَاطِنَهُ إِنَّ الَّذِينَ يَكْسِبُونَ الْإِثْمَ سَيَجْزَوْنَ بِمَا كَانُوا يَقْتَرُونَ ﴿١٢٠﴾ وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ وَإِنْ أُطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ﴿١٢١﴾ أَوْ مِنْ كَانَ مِثْلًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٢٢﴾ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكْبَرًا مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُوا فِيهَا وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنْفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿١٢٣﴾ وَإِذَا جَاءَتْهُمْ آيَةٌ قَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ حَتَّى نُؤْتَى مِنْ أَوْقَى رُسُلِ اللَّهِ اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ سَيُصِيبُ الَّذِينَ أَجْرَمُوا صَغَارٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا كَانُوا يَمْكُرُونَ ﴿١٢٤﴾

الله تعالى للمؤمن الذي كان ميتاً، أي: في الضلالة هالكاً، فأحياه الله بالإيمان، ﴿وجعلنا له نوراً يمشي به في الناس﴾. يتهدي كيف يسلك وكيف يتصرف، والنور هو القرآن، ﴿كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ﴾. الجهالات والضلالات ﴿ليس بخارج منها﴾. لا يتهدي إلى منقذ ولا مخلص مما هو فيه، ﴿كذلك زين للكافرين ما كانوا يعملون﴾. حسناً لهم ما كانوا فيه من الجهالة والضلالة قدرأ من الله وحكمة بالغة لا إله إلا هو ١٢٣: ﴿وكذلك جعلنا في كل قرية أكبر مجرميها ليمكروا فيها﴾. وكما جعلنا في قريتك يا محمد أكبر من الجرمين ورؤساء ودعاة إلى الكفر، وإلى عداوتك؛ كذلك كانت الرسل من قبلك يبتلون بذلك ثم تكون لهم العاقبة. ﴿وما يمكرون إلا بأنفسهم وما يشعرون﴾. وما يعود وبال مكرهم ذلك وإضلالهم من أضلوه إلا على أنفسهم ١٢٤: ﴿وإذا جاءتهم آية قَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ حَتَّى نُؤْتَى مِنْ أَوْقَى رُسُلِ اللَّهِ﴾. إذا جاءتهم آية ورحمة قاطعة قالوا: لن نؤمن حتى تأتينا الملائكة من الله بالرسالة، ﴿الله أعلم حيث يجعل رسالته﴾. هو أعلم حيث يضع رسالته ومن يصلح لها من خلقه، ﴿سَيُصِيبُ الَّذِينَ أَجْرَمُوا صَغَارٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌ﴾. وهذا تهديد ووعد من الله تعالى لمن تكبر عن اتباع رسله، ﴿بما كانوا يمكرون﴾. فقولوا بالعذاب الشديد من الله يوم القيامة جزاءً وفاقاً، ولا يظلم ربك أحداً.

الآية: ١٢١ روى البخاري عن عائشة أم المؤمنين أن ناساً قالوا: يا رسول الله! إن قوماً يأتوننا باللحم لا ندري أذبحوا باسم الله عليه أم لا؟ قال: «سئما عليه أنتم وكلوا». تفسير ابن كثير ج ٢/ ١٦٩.

فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصْعَدُ فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٢٥﴾ وَهَذَا صِرَاطُ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا قَدْ فَضَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٢٦﴾ لَّهُمْ دَارُ السَّلَامِ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَهُوَ وَيُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٢٧﴾ وَيَوْمَ يُحْشَرُهُمْ جَمِيعًا يَمْعَشَرُ الْجَنِّ قَدْ اسْتَكْبَرْتُمْ مِنَ الْإِنْسِ وَقَالَ أَوْلِيَاؤُهُمْ مِنَ الْإِنْسِ رَبَّنَا اسْمِعْ بَعْضَنَا بَعْضًا وَبَلِّغْنَا أَجَلَنَا الَّذِي أَجَلْتَ لَنَا قَالَ النَّارُ مَثُونُكُمْ خَالِدِينَ فِيهَا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿١٢٨﴾ وَكَذَلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٢٩﴾ يَمْعَشَرُ الْجَنِّ وَالْإِنْسِ الْمَرِيَاتِكُمْ رُسُلٌ مِّنْكُمْ يَقْضُونَ عَلَيْكُمْ ءَايَاتِي وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا شَهِدْنَا عَلَى أَنْفُسِنَا وَعَرَّثْتُمْ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَشَهِدُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ ﴿١٣٠﴾ ذَلِكَ أَن لَّمْ يَكُنْ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَافِلُونَ ﴿١٣١﴾

١٢٥: ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ﴾ يُسِّرُهُ لَهُ وَيُسْطِطُهُ وَيَسْهَلُهُ لذلك، وَيُوسِعُ قَلْبَهُ لِلتَّوْحِيدِ وَالْإِيمَانِ بِهِ، فَهَذِهِ عِلَامَاتٌ عَلَى الْخَيْرِ. ﴿وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصْعَدُ فِي السَّمَاءِ﴾، هَذَا مِثْلُ ضَرْبِهِ اللَّهُ لِقَلْبِ الْكَافِرِ فِي شِدَّةِ ضَيْقِهِ عَنِ وُصُولِ الْإِيمَانِ إِلَيْهِ، فَمِثْلُهُ فِي امْتِنَاعِهِ مِنْ قَبُولِ الْإِيمَانِ وَضَيْقِهِ عَنِ وُصُولِهِ إِلَيْهِ مِثْلُ امْتِنَاعِهِ عَنِ الصُّعُودِ إِلَى السَّمَاءِ وَعَجْزِهِ عَنْهُ لِأَنَّهُ لَيْسَ فِي وَسْعِهِ وَطَاقَتِهِ، ﴿كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ كَمَا جَعَلَ اللَّهُ صَدْرَ مَنْ أَرَادَ إِضْلَالَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا؛ كَذَلِكَ يُسَلِّطُ اللَّهُ الشَّيْطَانَ عَلَيْهِ ١٢٦: ﴿وَهَذَا صِرَاطُ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا﴾ هَذَا الَّذِي الَّذِي شَرَعَنَاهُ لَكَ يَا مُحَمَّدُ هُوَ صِرَاطُ رَبِّكَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿قَدْ فَضَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ﴾ وَضَحْنَاهَا وَبَيَّنَّاهَا لِمَنْ لَهُ فَهْمٌ وَوَعْيٌ يَعْقِلُ عَنِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ١٢٧: ﴿لَهُمْ دَارُ السَّلَامِ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ هُمْ الْجَنَّةُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَإِنَّمَا وَصَفَ اللَّهُ الْجَنَّةَ هُنَا بِدَارِ السَّلَامِ لِسَلَامَتِهِمْ فِيهَا سَلَكُوهُ مِنَ الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ؛ فَكَمَا سَلِمُوا مِنْ آفَاتِ الْأَعْوَجَاجِ أَفْضَلُوا إِلَى دَارِ السَّلَامِ ﴿وَهُوَ وَيُهُمْ﴾ حَافِظُهُمْ وَنَاصِرُهُمْ، ﴿بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ جِزَاءً عَلَى أَعْمَالِهِمُ الصَّالِحَةِ وَأَنَابِهِمُ الْجَنَّةَ بِمَتْنِهِ وَكَرَمِهِ سَبْحَانَهُ ١٢٨: ﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُهُمْ جَمِيعًا﴾ يَعْنِي الْجَنِّ وَأَوْلِيَآءَهُمْ مِنَ الْإِنْسِ الَّذِينَ كَانُوا فِي الدُّنْيَا يَعُوذُونَ بِهِمْ وَيُطِيعُونَهُمْ وَيُوجِحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غَرُورًا

﴿يَا مَعْشَرَ الْجَنِّ قَدْ اسْتَكْبَرْتُمْ مِنَ الْإِنْسِ﴾ مِنْ إِغْوَاهِمُ وَإِضْلَالِهِمْ، ﴿وَقَالَ أَوْلِيَآؤُهُمْ مِنَ الْإِنْسِ﴾ اللَّهُ مُجِيبِينَ عَنْ ذَلِكَ ﴿رَبَّنَا اسْمِعْ بَعْضَنَا بَعْضًا﴾ بِمَا يَنَالُ الْجَنِّ مِنَ الْإِنْسِ مِنْ تَعْظِيمِهِمْ إِيَّاهُمْ فِي اسْتِعَانَتِهِمْ بِهِمْ، ﴿وَبَلِّغْنَا أَجَلَنَا الَّذِي أَجَلْتَ لَنَا﴾ يَعْنِي الْمَوْتَ ﴿قَالَ النَّارُ مَثُونًا﴾ مَاوَاكُمُ وَمَنْزِلِكُمْ وَأِيَّاهُمْ ﴿خَالِدِينَ فِيهَا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾. قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: إِنَّ هَذِهِ الْآيَةَ آيَةٌ لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ أَنْ يَحْكُمَ عَلَى اللَّهِ فِي خَلْقِهِ وَلَا يَنْزِهُهُ جَنَّةً وَلَا نَارًا ١٢٩: ﴿وَكَذَلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ كَذَلِكَ نَفْعَلُ بِالظَّالِمِينَ نَسَلْتُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَنَتَّقَمُ مِنْ بَعْضِهِمْ بِبَعْضٍ جِزَاءً عَلَى ظَلْمِهِمْ وَبِعْجَبِهِمْ ١٣٠: ﴿يَا مَعْشَرَ الْجَنِّ وَالْإِنْسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنْكُمْ يَقْضُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا﴾؟ هَذَا تَفْرِيعٌ مِنَ اللَّهِ يَقْرَعُ بِهِ الْكَافِرِي الْجَنِّ وَالْإِنْسِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَيْثُ يَسْأَلُهُمْ، ﴿قَالُوا شَهِدْنَا عَلَى أَنْفُسِنَا﴾ أَقْرَبْنَا أَنْ الرَّسُلَ قَدْ بَلَّغُونَا رِسَالَتَكَ وَأَنْذَرْتَنَا لِقَاءَكَ، وَأَنَّ هَذَا الْيَوْمَ كَائِنٌ لَا حَالَةَ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَعَرَّثْتُمْ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَشَهِدُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ﴾ وَقَدْ فَرَّطُوا فِي حَيَاتِهِمُ الدُّنْيَا وَهَلَكُوا بِتَكْذِيبِهِمُ الرَّسُلَ، وَشَهِدُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ فِي الدُّنْيَا ١٣١: ﴿ذَلِكَ أَن لَّمْ يَكُنْ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَافِلُونَ﴾ لَا تُؤَاخِذُ أَحَدًا بِظُلْمِهِ وَهُوَ لَمْ تَبْلُغْهُ الدَّعْوَةَ، وَلَكِنْ أَعَذْنَا إِلَى الْأُمَّمِ، وَمَا عَذَبْنَا أَحَدًا إِلَّا بَعْدَ إِسْرَائِلِ الرَّسُلِ

إِلَيْهِمْ.

الآية: ١٢٥ إذا دخل نور الإسلام قلب الإنسان انشرح وانفسح، ولا يكون ذلك إلا لمن أناب إلى الله تعالى وأقبل على طاعته، واستعد للموت قبل أن ينزل إليه. الآية: ١٣٠ قال ابن عباس: الرُّسُلُ من بني آدم، ومن الجنِّ النَّثُورُ. [والنُّثُورُ هم رُسُلُ الرُّسُلِ]. والدليل على أن الرسل إنما هم من الإنس قوله تعالى: ﴿إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده﴾ - إلى قوله - ﴿رسلاً مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل﴾ وقوله تعالى عن إبراهيم ﴿وجعلنا في ذريته النبوة والكتاب﴾ =

١٣٢: ﴿وَلِكُلِّ دَرَجَاتٍ مِمَّا عَمِلُوا﴾ ولكل عامل من طاعة الله أو معصيته مراتب ومنازل من عمله يُبلغه الله إياها ويُثيبه بها إن خيراً فخيراً، وإن شراً فشرّاً، ﴿وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾، كل ذلك من عملهم يا محمد بعلم ربك وبمحضها لهم ليجازيهم عليها عند لقائهم إياه ١٣٣: ﴿وَرَبُّكَ الْغَنِيُّ ذُو الرَّحْمَةِ﴾ وربك يا محمد غني عن جميع خلقه من جميع الوجوه وهم الفقراء إليه في جميع أحوالهم، وهو مع ذلك رحيم بهم، ﴿إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ﴾ إذا خالفت أمره ﴿وَيَسْتَخْلِفْ مِنْ بَعْدِكُمْ مَا يَشَاءُ﴾ قوماً آخرين يعملون بطاعته، ﴿كَمَا أَنْشَأَكُمْ مِنْ ذُرِّيَةِ قَوْمٍ آخَرِينَ﴾ هو قادر على ذلك كما أذهب القرون الأولى كذلك هو قادر على إذهاب هؤلاء والإتيان بآخرين. كما قال تعالى: ﴿إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ وَيَأْتِ بِآخَرِينَ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى ذَلِكَ قَدِيرًا﴾ ١٣٤: ﴿إِنْ مَا تُوْعَدُونَ لَأَتِيَنَّكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾ أخرجهم يا محمد أن الذي توعدون به من أمر المعاد كائن لا محالة، وأنتم لا تُعجزون الله بل هو قادرٌ على إعادتكم ١٣٥: ﴿قُلْ يَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ هذا تهديدٌ شديدٌ ووعدٌ أكيدٌ، أي: استمروا على طريقتكم وناحيتكم إن كنتم تظنون أنكم على هدى، فأننا مستمر على طريقي ومنهجي، ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾ أتكون لي أو لكم، وقد أنجز الله موعودته لرسوله صلوات الله

وَلِكُلِّ دَرَجَاتٍ مِمَّا عَمِلُوا وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٣٢﴾ وَرَبُّكَ الْغَنِيُّ ذُو الرَّحْمَةِ إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفْ مِنْ بَعْدِكُمْ مَا يَشَاءُ كَمَا أَنْشَأَكُمْ مِنْ ذُرِّيَةِ قَوْمٍ آخَرِينَ ﴿١٣٣﴾ إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَإِن تَبَدَّلْتُمْ لَهُمْ دِينًا يُلَبِّسُوا عَلَيْهِمْ دِينًا مِمَّا يُحِبُّونَ ﴿١٣٤﴾ وَإِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِآخَرِينَ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى ذَلِكَ قَدِيرًا ﴿١٣٥﴾ قُلْ يَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴿١٣٦﴾ وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا فَقَالُوا هَذَا لِلَّهِ بِرِعْمِهِمْ وَهَذَا لِلشُّرَكَائِنَا فَمَا كَانَ لِشُرَكَائِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى اللَّهِ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَى شُرَكَائِهِمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿١٣٧﴾ وَكَذَلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَادِهِمْ شُرَكَاءَهُمْ لِيُرِدُّوهُمْ وَيَلْبِسُوا عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١٣٨﴾

عليه، أي: فإنه تعالى مكّنه في البلاد وحكّمه في نواحي مخالفه من العباد ١٣٦: ﴿وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والأنعام نصيباً﴾ هذا ذمٌ وتوبيخ من الله للمشركين الذين ابتدعوا بدعاً وكفراً وشركاً؛ جعلوا لله شركاء؛ جعلوا مما خلق من الزرع والأنعام جزءاً وقسماً، ﴿فقالوا هذا لله بزرعهم وهذا لشركائنا فما كان لشركائهم فلا يصل إلى الله وما كان لله فهو يصل إلى شركائهم﴾، كانوا يُحرمون من أموالهم البجيرة والسائبة والوصيلة والحام، فيجعلونه للأوثان ويذبحونهم يُحرمونها قربة إلى الله، وكانوا إذا حرثوا حرثاً أو كانت ثمرة جعلوا لله منه جزءاً وللوثن جزءاً. ﴿ساء ما يحكمون﴾ ساء ما يقسمون؛ فإنهم أخطأوا أولاً القسم، لأن الله تعالى هو رب كل شيء ومليكه وخالقه وله الملك وكل شيء له ١٣٧: ﴿وكذلك زين لكثير من المشركين قتل أولادهم شركائهم﴾ وزيت الشياطين هؤلاء قتل أولادهم خشية الإملاق وواد البنات خشية العار. ﴿ليُرِدُّوهم﴾، [أي: ليُهلِكُوهم]، ﴿وليلبسوا عليهم دينهم﴾، [أي: ليشككُوهم في دينهم الذي ارتضى لهم]، ﴿ولو شاء الله ما فعلوه﴾ كان هذا واقع بمشيئته تعالى وإرادته كوناً، وله الحكمة التامة في ذلك فلا يُسأل عما يفعل وهم يسألون، ﴿فذرهم وما يفترون﴾ فدعهم وما هم فيه فسبحكم الله بينك وبينهم.

= فحصر النبوة والكتاب بعد إبراهيم في ذريته ولم يقل أحد من الناس أن النبوة كانت في الجن قبل إبراهيم الخليل ثم انقطعت عنهم بعينته . وقد جاء في الحديث الذي رواه الترمذي أن رسول الله تلا عليهم سورة الرحمن وفيها قوله تعالى ﴿سنفرغ لكم أيها الثقلان﴾ أي الجن والإنس . ابن كثير ج ٢ / ١٧٧ .

وَقَالُوا هَذِهِ أَنْعَمٌ وَحَرَّتْ حَجْرٌ لَا يَطْعَمُهَا إِلَّا مَنْ
 نَشَأَ بِرَعْمِهِمْ وَأَنْعَمَ حَرَمَتَ طُهْرَهَا وَأَنْعَمَ لَا يَذْكُرُونَ
 أَسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا افْتِرَاءً عَلَيْهِ سَيَجْزِيهِمْ بِمَا كَانُوا
 يَفْتَرُونَ ﴿١٣٨﴾ وَقَالُوا مَا فِي بُطُونِ هَذِهِ الْأَنْعَمِ
 خَالِصَةٌ لَّذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَىٰ أَرْوَاجِنَا وَإِنْ يَكُنْ
 مَيْتَةً فَهُمْ فِيهِ شُرَكَاءُ سَيَجْزِيهِمْ وَصَفَهُمْ أَنَّهُ
 حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿١٣٩﴾ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلَادَهُمْ
 سَفَهًا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُوا مَا رَزَقَهُمُ اللَّهُ افْتِرَاءً عَلَى اللَّهِ
 قَدْ ضَلُّوا وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ﴿١٤٠﴾ وَهُوَ الَّذِي
 أَنْشَأَ جَنَّاتٍ مَعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ
 مُخْتَلِفًا أَكْلُهُ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُتَشَابِهًا وَغَيْرَ
 مُتَشَابِهٍ كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ
 حَصَادِهِ وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴿١٤١﴾
 وَمِنَ الْأَنْعَمِ حَمُولَةٌ وَفَرَشَاتٌ كُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ
 اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوبَ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴿١٤٢﴾

١٣٨: ﴿وَقَالُوا هَذِهِ أَنْعَمٌ وَحَرَّتْ حَجْرٌ﴾ احتجروها لآلتهم، ﴿لَا يَطْعَمُهَا إِلَّا مَنْ نَشَأَ بِرَعْمِهِمْ﴾ يقولون: حرام أن يطعمها إلا من نشأ شفنا، ﴿وَأَنْعَمَ حَرَمَتَ طُهْرَهَا وَأَنْعَمَ لَا يَذْكُرُونَ﴾ والسائبة والوصيلة والحام، ﴿وَأَنْعَمَ لَا يَذْكُرُونَ﴾ اسم الله عليها افتراءً عليه على الله، وكذباً منهم في إسنادهم ذلك إلى دين الله وشرعه، ﴿سَيَجْزِيهِمْ بِمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ ١٣٩: ﴿وَقَالُوا مَا فِي بُطُونِ هَذِهِ الْأَنْعَمِ خَالِصَةٌ لَّذُكُورِنَا﴾ اللبن، كانوا يحرمونه على إناثهم ويشربه ذكراؤهم، ﴿وَمُحَرَّمٌ عَلَىٰ أَرْوَاجِنَا﴾ وكانت الشاة إذا ولدت ذكراً ذخوه، كان للرجال دون النساء، وإن كانت أنثى تُركت فلم تُذبح، ﴿وَإِنْ يَكُنْ مَيْتَةً فَهُمْ فِيهِ شُرَكَاءُ﴾ وإن كانت ميتة أكله الرجال والنساء، ﴿سَيَجْزِيهِمْ وَصَفَهُمْ﴾ قولهم الكذب في ذلك، ﴿إِنَّهُ حَكِيمٌ﴾ في أفعاله وأقواله وشرعه، ﴿عَلِيمٌ﴾ بأعمال عباده من خير وشر، وسيجزيهم عليها أتم الجزء ١٤٠: ﴿قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلَادَهُمْ سَفَهًا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُوا مَا رَزَقَهُمُ اللَّهُ افْتِرَاءً عَلَى اللَّهِ﴾ قد خسير الذين فعلوا هذه الأفاعيل في الدنيا والآخرة، أما في الدنيا ففسدوا أولادهم بقتلهم، وأما في الآخرة فيصيرون إلى أسوأ المنازل بكذبهم على الله وافتراءهم، ﴿قَدْ ضَلُّوا وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾ ١٤١: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ جَنَّاتٍ مَعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ﴾ المعروشات المسوكات مما عرش الناس، وغير المعروشات ما خرج في البرِّ والجبال من الثمرات، ﴿وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أَكْلُهُ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُتَشَابِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ﴾ متشابه في المنظر وغير متشابه في الطعم، ﴿كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ﴾ من رطبه وعنبه، ﴿وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ﴾ الزكاة المفروضة، يوم يُكال ويُعلم كيله، من كل عشرة واحد. روى الإمام أحمد وأبو داود عن جابر بن عبد الله أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أمر من كل جاذٍ عشرة أوسق من التمر بقبض يُعلق في المسجد للمسكين. وهذا إسناده جيد قوي. ﴿وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ لا تسرفوا في الإعطاء فنعطوا فوق المعروف. وهو نهي عن الإسراف في كل شيء. وفي صحيح البخاري تعليقاً [أي: ذكره بلا إسناد]: ﴿كُلُوا واشربوا والبسوا من غير إسراف ولا مخيلة﴾ ١٤٢: ﴿وَمِنَ الْأَنْعَمِ حَمُولَةٌ وَفَرَشَاتٌ﴾ وأنشأ لكم من الأنعام ما هو حمولة، وهو ما تركيبون، وفرش، وهو ما تأكلون وتحلبون. ﴿كُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ﴾ من الثمار والزروع والأنعام، فكلها خلقها الله وجعلها رزقاً لكم، ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوبَ الشَّيْطَانِ﴾ طريقه وأوامره، ﴿إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ أيها الناس، ظاهر العداوة لكم، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾.

الآية: ١٣٩ روى العوفي عن ابن عباس ﴿وقالوا ما في بطون هذه الأنعام﴾ الآية. فهو اللبن كانوا يحرمونه على إناثهم ويشربه ذكراؤهم وكانت الشاة إذا ولدت ذكراً ذخوه وكان للرجال دون النساء وإن كانت أنثى تُركت فلم تُذبح وإن كانت ميتة فهم فيه شركاء، فنبى الله عن ذلك. / ابن كثير ج ٢ / ١٨٠.
 الآية: ١٤١ روى سعيد بن المسيب في قوله تعالى ﴿ولا تسرفوا﴾ قال: لا تمتنعوا الصدقة فنعصوا ربكم، ثم اختار ابن جرير: أنه نهي عن الإسراف في كل شيء ولا شك أنه صحيح لكن الظاهر والله أعلم من سياق الآية حيث قال تعالى: ﴿كلوا من ثمره إذا أثمر وآتوا حقه يوم حصاده ولا تسرفوا﴾ أن يكون عائداً على الأكل، أي لا تسرفوا في الأكل لما فيه من مضرة العقل والبدن كقوله تعالى: ﴿كلوا واشربوا ولا تسرفوا﴾ الآية.

١٤٣: ﴿ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ مِنَ الضَّأْنِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْمَعْزِ اثْنَيْنِ قُلِ الذَّكْرَيْنِ حَرَمٌ أَمِ الْأُنثَيْنِ﴾
هذا بيان لجهل العرب قبل الإسلام فيما كانوا حرموا من الأنعام، وجعلوها أجزاءً وأنواعاً بجملة وسائبةً ووصيلةً وحاماً وغير ذلك من الأنواع التي ابتدعوها، وأنه تعالى لم يحرم شيئاً من ذلك ولا شيئاً من أولادها بل كلها مخلوقة لبي آدم أكلأ وركوباً وحمله وحلباً وغير ذلك من وجوه المنافع. ﴿أَمَا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنثَيْنِ﴾ رَدَّ عليهم في قولهم: ﴿مَا فِي بَطُونِ هَذِهِ الْأَنْعَامِ خَالِصَةٌ لِدُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَى أَزْوَاجِنَا﴾، ﴿يَبْئُوتُنِي بَعْلَمُ إِنَّ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ أخبروني عن يقين كيف حرم الله عليكم ما زعمتم تحريمه؟ ١٤٤: ﴿وَمِنَ الْإِبِلِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْبَقَرِ اثْنَيْنِ﴾ فهذه أربعة أزواج، ﴿وَمِنَ الضَّأْنِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْمَعْزِ اثْنَيْنِ﴾، [أربعة أزواج أيضاً، فهي ثمانية أزواج]. ﴿قُلِ الذَّكْرَيْنِ حَرَمٌ أَمِ الْأُنثَيْنِ؟﴾ لم أحرّم شيئاً من ذلك، ﴿أَمَا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنثَيْنِ؟﴾ هل يشتمل الرحم إلا على ذكر أو أنثى؟ فلم تحرمون بعضاً وتحلون بعضاً؟! وكما قال سبحانه: ﴿يَبْئُوتُنِي بَعْلَمُ إِنَّ كُنْتُمْ صَادِقِينَ؟﴾ كله حلال. ﴿أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ وَصَّاكُمْ اللَّهُ بِهَذَا؟﴾ تكلمتم بهم فيما ابتدعوه واقتروه على الله من تحريم ما حرمه من ذلك، ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا لِيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ لا أحد من ذلك، ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا لِيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ؟﴾ لا أحد من الظالمين، ١٤٥: يقول تعالى أمراً عبده

ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ مِنَ الضَّأْنِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْمَعْزِ اثْنَيْنِ قُلِ الذَّكْرَيْنِ حَرَمٌ أَمِ الْأُنثَيْنِ أَمْ الْأُنثَيْنِ نَبْئُوتُنِي بَعْلَمُ إِنَّ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٤٣﴾
وَمِنَ الْإِبِلِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْبَقَرِ اثْنَيْنِ قُلِ الذَّكْرَيْنِ حَرَمٌ أَمْ الْأُنثَيْنِ أَمَا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنثَيْنِ أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ وَصَّيْتُمْ بِاللَّهِ بِهِدَا فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا لِيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿١٤٤﴾ قُلِ لَا أُحَدِّثُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خنزيرٍ فَإِنَّهُ رَجَسٌ أَوْ فِسْقًا أَوْ أَهْلًا لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٤٥﴾ وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَمْنَا كُلَّ ذِي ظُفْرٍ وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ حَرَمْنَا عَلَيْهِمْ شَحُومَهُمَا إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا أَوِ الْحَوَايَا أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِغَيْرِهِمْ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ﴿١٤٦﴾

ورسوله محمداً صلى الله عليه وآله وسلم: ﴿قُلْ﴾ يا محمد لهؤلاء الذين حرموا ما رزقهم الله افتراءً على الله ﴿لَا أُحَدِّثُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ﴾ أكله يأكله. أي: لا أُحَدِّثُ شيئاً مما حرمتم حراماً سوى هذه [أي:] ﴿إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خنزيرٍ فَإِنَّهُ رَجَسٌ أَوْ فِسْقًا أَوْ أَهْلًا لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ﴾، [أو فسقاً: معطوف على المنصوب قبله، سمي ما أهل لغير الله به فسقاً لتوغله في باب الفسق]. ﴿فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ من اضطر إلى أكل شيء مما حرم الله وهو غير متلبس بخبيث ولا عدوان، فإن الله غفورٌ له رحيمٌ به. وقوله تعالى: ﴿أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا﴾ لولا هذه الآية لتبغى الناس ما في العروق كما تبغى اليهود. فاللحم الذي خالطه الدم لا بأس به ١٤٦: ﴿وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَمْنَا كُلَّ ذِي ظُفْرٍ﴾ حرم الله على اليهود كل ذي ظفر وهو البهائم والطيور ما لم يكن مشقوق الأضباع، كالإبل والنعام والأوز والبط. ﴿وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ حَرَمْنَا عَلَيْهِمْ شَحُومَهُمَا﴾ التراب وشحم الكليتين، ﴿إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا﴾ ما علق بالظهر من الشحوم، ﴿أَوْ الْحَوَايَا﴾ وهي ما تحوي من البطن فاتجمع واستدار، وفيها الأمعاء. ﴿أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ﴾ إلا ما اختلط من الشحوم بعظم فقد أحللتناه لهم، ﴿ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِغَيْرِهِمْ﴾ هذا التضييق ألزمتهم به مجازةً على بغيمهم، كما قال تعالى: ﴿فَيُضِلُّمُ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدْمِهِمْ﴾ عن سبيل الله كثيراً، ﴿وَإِنَّا لَصَادِقُونَ﴾ فيما أخبرناك يا محمد من تحريمنا ذلك عليهم.

الآية: ١٤٥: روى مسلم أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: «لَعَنَ اللَّهُ مَنْ ذَمَّ لغيرِ الله، ولعن الله من سرق منار الأرض، ولعن الله من لَعَنَ والديه، ولعن الله من أوى محدثاً». / مصابيح السنة ج ٣/ ١٢٣.

١٤٧: ﴿فَإِنْ كَذَّبْتُمْ﴾ يا محمد مخالفوك من المشركين واليهود ومن شابههم ﴿فَقُلْ رِبِّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ﴾ وهذا ترغيب لهم في ابتغاء رحمة الله الواسعة، واتباع رسوله صلى الله عليه وآله وسلم، ﴿وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُ عَنِ الْقَوْمِ الْجَازِمِينَ﴾ ترهيب لهم في مخالفتهم الرسول صلى الله عليه وآله وسلم. وكثيراً ما يُقرن الله تعالى بين الترغيب والترهيب في القرآن ١٤٨: ﴿سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَمْنَا مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ حَتَّىٰ ذَاقُوا بَأْسَنَا قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ ﴿١٤٨﴾ قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَيْتُكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٤٩﴾ قُلْ هَلُمْ شُهَدَاءُ كُمْ الَّذِينَ يَشْهَدُونَ أَنَّ اللَّهَ حَرَّمَ هَذَا فَإِنْ شَهِدُوا فَلَا تَشْهَدْ مَعَهُمْ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَهُمْ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴿١٥٠﴾ قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبِّي كُفْرًا بِآيَاتِنَا وَإِذَا تَشْرَكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ وَلَا تَفْسَلُوا نَفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّيْتُكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٥١﴾

الْبُرْهَانُ

١٥٠: ﴿قُلْ هَلُمْ شُهَدَاءُ كُمْ الَّذِينَ يَشْهَدُونَ أَنَّ اللَّهَ حَرَّمَ هَذَا﴾ أحضروا شهداءكم على هذا الذي حرّمتموه، ﴿فَإِنْ شَهِدُوا فَلَا تَشْهَدْ مَعَهُمْ﴾ لأنهم إنما يشهدون والحالة هذه كذباً وزوراً، ﴿وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَهُمْ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾ يشركون ويجعلون له عدلياً ١٥١: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبِّي كُفْرًا بِآيَاتِنَا وَإِذَا تَشْرَكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ وهي من الآيات المحكمات. ﴿تَعَالَوْا أَتْلُ﴾ هلموا أقض عليكم وأخبركم بما حرّم ربكم عليكم حقاً لا تخرصاً ولا ظناً بل وحيًا منه وأمرًا من عنده، ﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَهُمْ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾ يشركون بالله بين طاعته وبيروا والدين، ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ﴾ كانوا [في الجاهلية] يقتلون أولادهم كما سوّلت لهم الشياطين، ﴿مِنْ إِمْلَاقٍ﴾ لا تقتلوهم خوفاً من الفقر ﴿نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ﴾ بدأ برزقهم للاهتمام بهم؛ أي: لا تخافوا من فقركم بسبب رزقهم فهو على الله. ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ﴾ وفي الصحيحين قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «لا أحد أغبر من الله! من أجل ذلك حرّم الفواحش ما ظهر منها وما بطن». ﴿وَلَا تَقْتُلُوا نَفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ﴾، وفي الصحيحين قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «لا يجلّ دم امرئ مسلم يشهد أن لا إله إلا الله وأتى رسول الله إلا بإحدى ثلاث: الثيب الزاني، والنفس بالنفس، والتارك لدينه لمفارق للجماعة»، ﴿ذَلِكُمْ وَصَّيْتُكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ هذا مما وصّاكم به لعلكم تعقلون عن الله أمره ونهيّه.

١٥٢: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ﴾ حتى يحتلم. ولما أنزل الله هذه الآية اشتد ذلك عليهم، فذكروا ذلك لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فأنزل الله: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَىٰ قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ وَإِنْ تُخَالطُوهُمْ فَاخْوَانُكُمْ﴾، فخلطوا طعامهم بطعامهم. [والآياتي هي أحسن أي بما فيه صلاحه وتشميره]. ﴿وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ﴾ بإقامة العدل في الأخذ والإعطاء، ﴿لَا تَكْلَفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ من اجتهاد في أداء الحق وأخذها فأخطأ بعد بذل جهده فلا حرج عليه، ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ﴾ يأمر تعالى بالعدل في الفعال والمقال على القريب والبعيد، ﴿وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا﴾ وذلك بأن تفيؤوه فيما يأمركم وبهاكم، وتعملوا بكتابه وستة رسوله، وذلك هو الوفاء بعهد الله، ﴿ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ تتعظون وتنتهون عما كنتم فيه قبل هذا ١٥٣: ﴿وَإِنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا﴾ هذا القرآن ﴿فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ﴾ أمر الله المؤمنين بالجماعة ونهاهم عن الاختلاف والفرقة، وأخبرهم أنه إنما هلك من كان قبلهم بالمراء والخصومات في دين الله، ﴿ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ ١٥٤: ﴿ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ تَمَامًا﴾ لما أخبر تعالى عن القرآن عطف بمدح التوراة ورسولها موسى، وكثيراً ما يُقرن سبحانه بين ذكر القرآن والتوراة كقوله تعالى: ﴿وَمِن قَبْلِهِ كِتَابٌ

وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا تَكْلَفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٣﴾ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾ ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ تَمَامًا عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٤﴾ وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مَبْرُوكًا فَاتَّبِعُوهُ وَأَتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٥٥﴾ أَنْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَنْزَلَ الْكِتَابَ عَلَي طَائِفَتَيْنِ مِن قَبْلِنَا وَإِنْ كُنَّا عَن دِرَاسَتِهِمْ لَغَافِلِينَ ﴿١٥٦﴾ أَوْ تَقُولُوا لَوْ أَنَّا أَنْزَلْنَا الْكِتَابَ لَكُنَّا أَهْدَىٰ مِنْهُمْ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ فَمَن أَظْلَمُ مِمَّن كَذَبَ بَيِّنَاتِ اللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا سَنَجِرِي الَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنَّا أَيُنَاسًا سُوًّا الْعَدَابِ بِمَا كَانُوا يَصْدِفُونَ ﴿١٥٧﴾

موسى إماماً ورحمةً وهذا كتاب مصدق لساناً عربياً، ﴿تَمَامًا عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ وَتَفْصِيلًا﴾ آتيناهُ الكتاب الذي أنزلناه إليه تماماً كاملاً جامعاً لما يُحتاج إليه في شريعته، ﴿وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ﴾ ١٥٥: ﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مَبْرُوكًا فَاتَّبِعُوهُ وَأَتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾، فيه الدعوة إلى اتباع القرآن، يُرغب سبحانه عباده بكتابه ويأمرهم بتدبره والعمل به، ووصفه بالبركة لمن اتبعه وعمل به في الدنيا والآخرة، لأنه حبل الله المتين ١٥٦: ﴿أَنْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَنْزَلَ الْكِتَابَ عَلَي طَائِفَتَيْنِ مِن قَبْلِنَا﴾ وهذا كتابٌ أنزلناه لئلا تقولوا إنما أنزل الكتاب على طائفتين من قبلنا؛ يعني لينقطع عذركم، والطائفتين: اليهود والنصارى، ﴿وَإِنْ كُنَّا عَن دِرَاسَتِهِمْ لَغَافِلِينَ﴾ وما كنا نفهم ما يقولون لأنهم ليسوا بلساننا ونحن في غفلة وشغل عما هم فيه ١٥٧: ﴿أَوْ تَقُولُوا لَوْ أَنَّا أَنْزَلْنَا الْكِتَابَ لَكُنَّا أَهْدَىٰ مِنْهُمْ﴾ وقطعنا تعلقكم أن تقولوا لو أننا أنزل علينا ما أنزل عليهم لكننا أهدى منهم فيما أوتوه؛ ﴿فَقَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ﴾ فقد جاءكم القرآن العظيم فيه الهدى لما في قلوبكم ورحمة من الله لعباده الذين يتبعونه، ﴿فَمَن أَظْلَمُ مِمَّن كَذَبَ بَيِّنَاتِ اللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا﴾ لم يتفجع بما جاء به الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وصدف عن اتباع آيات الله وصد الناس عنها، ﴿سَنَجِرِي الَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَن آيَاتِنَا﴾ الذين لا آمنوا بها ولا عملوا بها ﴿سُوًّا الْعَدَابِ بِمَا كَانُوا يَصْدِفُونَ﴾.

= ما حرم ربكم عليكم ﴿ حتى فرغ من الآيات ﴾ ﴿ فَمَن وَفَىٰ فَاغْرَهُ عَلَى اللَّهِ وَمَن انْتَقَصَ مِنْهُنَّ شَيْئًا فَأَذْرَكَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا كَانَتْ عَقُوبَتُهُ ، وَمَن أَخْرَجَ إِلَى الْآخِرَةِ فَأَمَرَهُ إِلَى اللَّهِ إِنْ شَاءَ عَذْبُهُ وَإِنْ شَاءَ عَقَابُهُ ﴾ ، ثم قال صحيح الإسناد . / ابن كثير ج ٢ / ١٨٧ .

١٥٨: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ﴾
 يقول تعالى [هذا] متوعداً به الكافرين، وذلك كائنٌ يوم القيامة، ﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا إِلَّا قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا﴾، وذلك قبل يوم القيامة كائنٌ من أمارات الساعة وأشراطها، وهو طلوع الشمس من مغربها، إذا أنشأ الكافر إيماناً يوعده لا يقبل منه، ﴿قُلْ أَنْظُرُوا أَنْظُرُوا إِنَّمَا تُنظُرُونَ﴾ هذا تهديد شديد للكافرين ووعيدٌ أكيدٌ لمن سوف بإيمانه وتوبته إلى وقت لا ينفعه ذلك ١٥٩: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ﴾ نزلت في اليهود والنصارى، وكذلك أهل البدع والضلالات؛ فإن الله قد برأ رسوله منهم، ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾، ثم بين لطفه سبحانه في حكمه وعدله يوم القيامة فقال تعالى: ١٦٠: ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ وقد وردت الأحاديث مطابقة لهذه الآية، روى الإمام أحمد أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال فيها يرويه عن ربه عز وجل: ﴿إِنَّ رَبَّكُمْ عَزَّ وَجَلَّ رَحِيمٌ؛ مَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كَتَبَتْ لَهُ حَسَنَةً، فَإِنْ عَمَلَهَا كُتِبَتْ لَهُ عَشْرًا إِلَى سَبْعِمِائَةٍ إِلَى أَضْعَافٍ كَثِيرَةٍ. وَمَنْ هَمَّ بِسَيِّئَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا [أي: خوفاً من الله] كُتِبَتْ لَهُ حَسَنَةً، فَإِنْ عَمَلَهَا كُتِبَتْ لَهُ وَاحِدَةٌ، أَوْ يَمْحُوهَا اللَّهُ عَزَّ

هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا قُلْ أَنْظُرُوا إِنَّمَا تُنظُرُونَ ﴿١٥٨﴾ إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿١٥٩﴾ مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٦٠﴾ قُلْ إِنِّي هَدَيْتُ رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِثْلَ آبَائِهِمْ خَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٦١﴾ قُلْ إِنْ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾ قُلْ أَغْيَرَ اللَّهُ آبِئِي رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿١٦٤﴾ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ خَلْقَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَبْلُوكُمْ فِي مَاءِ آتَانِكُمْ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٦٥﴾

وجلّ، ولا يهلك على الله إلا هالك»، رواه البخاري ومسلم ١٦١: ﴿قُلْ إِنِّي هَدَيْتُ رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾، يخبر تعالى بما أنعم به على نبيه صلى الله عليه وآله وسلم من الهداية إلى صراطه المستقيم الذي لا اعوجاج فيه ولا انحراف، ﴿دِينًا قِيَمًا﴾ قائماً ثابتاً ﴿مِثْلَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾. قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ﴿إِنِّي أُرْسِلْتُ بِحَنِيفَةٍ سَمِيحَةٍ، أَصْلُهُ فِي الصَّحِيحِينَ ١٦٢: ﴿قُلْ إِنْ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ يأمر الله تعالى نبيه أن يُخبر المشركين الذين يعبدون غيره ويدعون لغير اسمه أنه خالف لهم في ذلك، فإن صلواته لله ونسكه، أي ذبحه، على اسمه ١٦٣: ﴿لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ من هذه الآية ١٦٤: ﴿قُلْ أَغْيَرَ اللَّهُ آبِئِي رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ؟ قُلْ لَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ وفي هذه الآية الأمر بإخلاص العبادة لله وحده لا شريك. ﴿وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ هذا إخبار عن الواقع يوم القيامة في جزاء الله تعالى وحكمه وعدله، ﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ اعملوا على مكاتبتكم فستعرضون عليه، ونبينا وإياتكم بأعمالنا وأعمالكم ١٦٥: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ خَلْقَ الْأَرْضِ﴾ جعلكم تعمرونها خلفاً بعد سلف، ﴿وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ﴾ فاوت بينكم في الأرزاق والأخلاق ﴿لِيَبْلُوكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ﴾ ليختبركم في الذي أنعم عليكم وامتحنكم به، ﴿إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ﴾ ترهيب لمن عصاه وخالف رسله، ﴿وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ لمن واه واتبع رُسُلَهُ.

الآية: ١٥٨ روى البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها فإذا رآها الناس آمن من عليها». فذلك حين ﴿لا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِنْ قَبْلُ﴾.

سُورَةُ الْأَعْرَافِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْمَصَّ ﴿١﴾ كَتَبْنَا أَنْزِلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ
لِنُنذِرَ بِهِ ۖ وَذَكَرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ إِلَيْكُم
مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ ۗ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾
وَكُم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا فِجَاءَهَا بِأَسْنَابَيْتٍ أَوْ هُمْ قَائِلُونَ
﴿٤﴾ فَمَا كَانَ دَعْوَاهُمْ إِذْ جَاءَهُمْ بِأَسْنَابٌ إِلَّا أَنْ قَالُوا إِنَّا كُنَّا
ظَالِمِينَ ﴿٥﴾ فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْأَلَنَّ
الْمُرْسَلِينَ ﴿٦﴾ فَلَنَقْصِنَّ عَلَيْهِمْ بِعِلْمٍ وَمَا كُنَّا غَائِبِينَ ﴿٧﴾
وَالْوِزْنَ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ
الْمُفْلِحُونَ ﴿٨﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا
أَنْفُسَهُمْ بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَظْلِمُونَ ﴿٩﴾ وَلَقَدْ مَكَتَكُم
فِي الْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعِيشَةً قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿١٠﴾
وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا
لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ ﴿١١﴾

الشهيد على كل شيء، لا يغيب عنه شيء ولا يغفل عن شيء ٨: ﴿وَالْوِزْنَ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ﴾ الوزن يوم القيامة حق، لا يظلم تعالى أحداً، ﴿فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ ٩: ﴿وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَظْلِمُونَ﴾ ﴿يُؤْتَىٰ بِالْكَافِرِ فُيُوضَعُ عَمَلُهُ فِي كِفَّةٍ الْمِيزَانِ فَيُخَفُّ وَزْنُهُ حَتَّىٰ يَقَعَ فِي النَّارِ﴾ ١٠: ﴿وَلَقَدْ مَكَتَكُم فِي الْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعِيشَةً قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾ ﴿يَمْتَنُ اللَّهُ عَلَىٰ عِبِيدِهِ فِيمَا مَكَّنَ لَهُمْ مِنْ أَنَّهُ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا، وَجَعَلَ فِيهَا رِوَاسِيًّا وَأَنْهَارًا وَجَعَلَ فِيهَا مَنَازِلَ، وَأَخْرَجَ لَهُمْ مِنْهَا أَرْزَاقَهُمْ، وَجَعَلَ لَهُمْ فِيهَا مَعِيشَةً أَي مَكَاسِبَ وَأَسْبَابًا يَكْسِبُونَ بِهَا، ﴿قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾ ومع هذا أكثرهم قليل الشكر على ذلك ١١: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ﴾ يُتَبَّهَ تَعَالَىٰ بَنِي آدَمَ فِي هَذَا الْمَقَامِ عَلَىٰ أَبِيهِمْ آدَمَ وَيُبَيِّنُ لَهُمْ عِدَاوَةَ عَدُوِّهِمْ إِبْلِيسَ وَمَا هُوَ مَنْطِقِيٌّ عَلَيْهِ مِنَ الْحَسَدِ لَهُمْ وَأَبِيهِمْ آدَمَ لِيَحْذَرُوهُ وَلَا يَتَّبِعُوا طَرِيقَهُ. وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ﴾ خلقنا آدم ثم صَوَّرْنَا الذرية، وذكر [خلق آدم بالجمع] لأنه أبو البشر.

الآية: ٥ قال ابن جرير: في هذه الآية الدلالة الواضحة على صحة ما جاءت به الرواية عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من قوله: «ما هلك قومٌ حتى يُعَذِّبُوا مِنْ أَنْفُسِهِمْ» وروى جرير عن أبي سنان عن عبد الملك بن ميسرة قال: قال عبد الله بن مسعود قال رسول الله: «ما هلك قومٌ حتى يعذبوا من أنفسهم» قال: قلت لعبد الملك: كيف يكون ذلك؟ قال فقرأ هذه الآية ﴿فَمَا كَانَ دَعْوَاهُمْ إِذْ جَاءَهُمْ بِأَسْنَابٌ إِلَّا أَنْ قَالُوا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾.

الآية: ٨-٩ قال ابن كثير: والذي يوضع في الميزان يوم القيامة الأعمال وإن كانت أعراساً إلا أن الله تعالى يقبضها يوم القيامة أجساماً.

قَالَ مَا مَنَّكَ إِلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ ﴿١٢﴾ قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ ﴿١٣﴾ قَالَ أَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤﴾ قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ ﴿١٥﴾ قَالَ فِيمَا أُغْوَيْتَنِي لِأَفْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَا تِيَهُهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ ﴿١٧﴾ قَالَ أَخْرَجَ مِنْهَا مَذَّةً وَمَا مَدْحُورًا لَمَنْ يَتَعَكَ مِنْهُمْ لِأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٨﴾ وَبَنَادِمٌ أَسْكُرُ أَنْتَ وَرُوحُكَ الْجَنَّةَ فَمَا مِنْ حَيْثُ سِتَّيْتُمْ وَلَا تَقْرَبُوا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونُوا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿١٩﴾ فَوَسَّوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِنْ سَوَاءٍ تَهُمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ ﴿٢٠﴾ وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَلنَّاصِحِينِ ﴿٢١﴾ فَذَلَّهُمَا بِغُرُورٍ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكَ الشَّجَرَةِ وَأَقُلَّ لَكُمَا أَنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴿٢٢﴾

١٢: ﴿قَالَ مَا مَنَّكَ إِلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ﴾، أن لا: لا هنا زيدت لتأكيد المحمد، المعنى: ما أخرجك وألزمك أن لا تسجد إذ أمرتك؟ ﴿قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ﴾ هذا العذر أكبر من الذنب. نظر اللعين إلى أصل العنصر ولم ينظر إلى التشريف وهو أن الله تعالى خلق آدم بيده ونفخ فيه من روحه. ﴿وَخَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾ أخطأ قبحه الله في قياسه ودعواه أن النار أشرف من الطين، فإن الطين من شأنه الرزاة والحلم والأناة والثبوت، والطين محل النبات والتمو، والنار من شأنها الإحراق والطيخ، ولهذا خان إبليس عنصره، ونفع آدم عنصره بالرجوع والإنبابة والاستكانة والاستسلام لأمر الله، وطلب التوبة والمغفرة ١٣: ﴿قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا﴾ من الجنة والمنزلة التي هو فيها في الملوك الأعلى ﴿فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ﴾ الدليلين الحفصيين ١٤: ﴿قَالَ أَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾، أجابه تعالى إلى ما سأل لما له في ذلك من الحكمة والإرادة ١٥: ﴿قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ﴾ [أنظرة إلى يوم القيامة؛ إلى النسخة الأولى حيث يموت الخلق كلهم] ١٦: ﴿قَالَ فِيمَا أُغْوَيْتَنِي﴾، [احتج اللعين بقدر الله على أمره وشرعه]، ﴿لَأَفْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ لأضللتهم عن طريق الحق لئلا يعبدوك ١٧: ﴿ثُمَّ لَا تِيَهُهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ﴾ أشككهم في آخرتهم، ﴿وَمِنْ خَلْفِهِمْ﴾ أرغبهم في دنياهم، ﴿وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ﴾

أشبه عليهم أمر دينهم، ﴿وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ﴾ أشبه لهم المعاصي. ولم يقل من فوقهم لأن الرحمة تنزل من فوقهم ١٨: ﴿قَالَ أَخْرَجَ مِنْهَا مَذْمُومًا مَدْحُورًا﴾ أكد عليه اللعنة والطرده، ﴿لَمَنْ يَتَعَكَ مِنْهُمْ لِأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكُمْ أَجْمَعِينَ﴾، [اللام لام القسم في ﴿لَمَنْ﴾ والجواب ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ﴾] ١٩: ﴿وَمَا مَدْحُورًا﴾ أنت وروحك الجنة فكلما من حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فكونوا من الظالمين، أباح تعالى لآدم وزوجه جميع ثمار الجنة إلا شجرة واحدة ٢٠: ﴿فَوَسَّوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِنْ سَوَاءٍ تَهُمَا﴾، [أي: ما ستر من عوراتهما، وكان عليهما نور فزال فبدت لهما]، ﴿وَقَالَ﴾ كذبا ﴿مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ﴾ لئلا تكونا خالدين ٢١: ﴿وَقَاسَمَهُمَا﴾ حلف لهما بالله ﴿إِنِّي لَكُمَا لَلنَّاصِحِينِ﴾ ٢٢: ﴿فَذَلَّهُمَا بِغُرُورٍ﴾، [وكان آدم يظن أنه لا يخلف أحد بالله كذابا]، ﴿فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَتُهُمَا﴾، [أكلت حواء أولاً فلم يصبها شيء، فلما أكل آدم حلت العقوبة؛ لأن النبي ورد عليهما]، ﴿وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ﴾ كهيئة الثوب ﴿عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكَ الشَّجَرَةِ وَأَقُلَّ لَكُمَا أَنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾.

الآية: ٢١ روى ابن حبان في صحيحه عن أبي بكر الصديق قال: قال رسول الله ﷺ: «عليكم بالصدق، فإنه مع البر، وما في الجنة، وإياكم والكذب، فإنه مع الفجور، وما في النار». وروى الإمام أحمد عن أبي أمامة قال: قال رسول الله ﷺ: «يطعم المؤمن على الخلال كلها إلا الخيانة والكذب». وروى أيضاً عن النواس بن سمعان قال: قال رسول الله ﷺ: «كبرت خيانة أن تحدث أحباك حديثاً هو لك مصدق، وأنت له كاذب». /التزريع ج ٣/ ٥٩١ - ٥٩٠

٢٣: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا

وَتَرْحَمَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ هذه

الكلمات تلقاها آدم من ربه [فاعترفا بالخطية

وتابا] ٢٤: ﴿قَالَ اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ

عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى

حِينٍ﴾ قرار وأعمار مضمومة إلى آجال معلومة

قد جرى بها القلم وأحصاها القدر ٢٥:

﴿قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا

تُخْرَجُونَ﴾ يُخْبِرُ تَعَالَى أَنَّهُ جَعَلَ الْأَرْضَ دَارًا

لِبَنِي آدَمَ مَدَّةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا؛ فِيهَا مَحْيَاهُمْ وَفِيهَا

مَمَاتُهُمْ وَبُيُوتُهُمْ، وَمِنْهَا نَشْرُهُمْ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ

٢٦: ﴿يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا

يُؤَارِي سَوْءَ آتِكُمْ وَرِيشًا﴾ يَمْتَنُّ تَعَالَى عَلَى

عِبَادِهِ بِمَا جَعَلَ لَهُمْ مِنَ اللَّبَاسِ وَالرِّيشِ،

فَاللِّبَاسُ سِتْرُ الْعَوْرَاتِ، وَالرِّيشُ وَالرِّيشُ وَمَا

يُنْتَجَمُّ بِهِ ظَاهِرًا. ﴿وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ

خَيْرٌ﴾ خَشْيَةُ اللَّهِ، وَالسَّمْتُ الْحَسَنُ فِي

الرَّجُلِ. ﴿ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ

يَذَكَّرُونَ﴾ ٢٧: ﴿يَا بَنِي آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ

الشَّيْطَانُ﴾ الْآيَةُ، يُحذِّرُ اللَّهُ تَعَالَى مِنْ إِبْلِيسَ

وَقَبِيلِهِ مَبِينًا لَهُمْ عِدَاوَتَهُ الْقَدِيمَةَ لِأَبِي الْبَشَرِ آدَمَ

عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي سَعِيهِ فِي إِخْرَاجِهِ مِنَ الْجَنَّةِ،

وَالْتَسَبُّ فِي هَتْكَ عَوْرَتِهِ بَعْدَمَا كَانَتْ مُسْتَوْرَةً

عِنْدَهُ، وَمَا هَذَا إِلَّا عَن عِدَاوَةِ أَكِيدَةِ ٢٨:

﴿وَإِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا

وَاللَّهُ أَمَرْنَا بِهَا﴾ كَانَ الْمُشْرِكُونَ يَطُوفُونَ بِالْبَيْتِ

عُرَاةً يَتَأَوَّلُونَ فِي ذَلِكَ أَنَّهُمْ لَا يَطُوفُونَ فِي

ثِيَابٍ عَصَا اللَّهُ فِيهَا، وَيَعْتَقِدُونَ أَنَّ فِعْلَ آبَائِهِمْ

مُسْتَنَدٌ إِلَى أَمْرِ مِنَ اللَّهِ، فَانْكُرَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ

ذَلِكَ، ﴿قُلْ﴾ يَا مُحَمَّدُ لِمَن ادَّعَى ذَلِكَ ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ﴾ هَذَا الَّذِي تَصْنَعُونَهُ فَاحِشَةٌ مَنكَرَةٌ وَاللَّهُ لَا يَأْمُرُ بِمِثْلِ ذَلِكَ، ﴿أَتَقُولُونَ عَلَى

اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ؟﴾ أَسْتَسْئِدُونَ إِلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ صَحْتَهُ ٢٩: ﴿قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ﴾ بِالْعَدْلِ وَالِاسْتِقَامَةِ ﴿وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ

وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴿فَرِيقًا هَدَى وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ﴾ قَدَّرَ تَعَالَى أَنَّ مِنْهُمْ شَقِيحًا وَمِنْهُمْ سَعِيدًا. ثُمَّ عُلِّلَ ذَلِكَ فَقَالَ: ﴿وَإِنَّهُمْ﴾ [أَيَ الْفَرِيقِ الَّذِي حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ] ﴿أَتَخَذُوا الشَّيَاطِينَ

أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ وَفِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِنِّي خَلَقْتُ عِبَادِي خِفَاءً فَجَاءَتْهُمْ

الشَّيَاطِينُ فَاجْتَالَتْهُمْ عَنْ دِينِهِمْ﴾. ﴿وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ﴾ يُخْبِرُ تَعَالَى أَنَّ فَرِيقَ الضَّلَالَةِ ضَلُّ وَهُوَ يَحْسَبُ أَنَّهُ مُهْتَدٍ، [وَذَلِكَ لِشَدَّةِ تَأَثُّرِهِمْ

بِضَلَالِ الشَّيَاطِينِ].

الآية: ٢٦ روى أحمد عن أبي مطر أنه رأى علياً رضي الله عنه أتى غلاماً حدّثاً فاشترى منه قميصاً بثلاثة دراهم ولبسه ما بين الرسغين إلى الكعبين، يقول: حين لبسه الحمد لله

الذي رزقني من الرّياش ما أتجملُ به في الناس، وأوراري به عورتي. فقيل: هذا شيء ترويه عن نفسك أو عن النبي؟ قال: هذا شيء سمعته من رسول الله ﷺ يقول عند الكسوة الحمد لله

الذي رزقني من الرّياش ما أتجملُ به في الناس وأوراري به عورتي. وروى الإمام أحمد قال: ليس أبو أمامة ثوباً جديداً فلما بلغ ثقبه قال: الحمد لله الذي كساني ما أوراري به عورتي وأتجملُ به في حياتي. ثم قال: سمعت عمر بن الخطاب يقول: قال رسول الله ﷺ: «من استجدّ ثوباً فلبسه فقال حين يبلغ ثقبه: الحمد لله الذي كساني ما أوراري به عورتي وأتجملُ به في حياتي، ثم عمد إلى الثوب الحلق فصدّق به؛ كان في ذمة الله وفي جوار الله وفي كنف الله حياً وميتاً» رواه الترمذي. /تفسير ابن كثير ج ٢٠٧/ ٢٠٧

قَالَ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ

الْخَاسِرِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ أَهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي

الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ ﴿٢٤﴾ قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا

تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ ﴿٢٥﴾ يَبْنِيءَ آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا

يُؤَارِي سَوْءَ آتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ ذَلِكَ مِنْ

آيَاتِ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ يَذَكَّرُونَ ﴿٢٦﴾ يَبْنِيءَ آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ

الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ آبَاؤَكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ يُزِعُ عَنْهُمْ لِبَاسَهُمَا

لِيُرِيَهُمَا سَوْءَ تِمَهِمَا إِنَّهُ يَرِيكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ

إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٧﴾ وَإِذَا فَعَلُوا

فَاحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرْنَا بِهَا قُلْ إِنَّ اللَّهَ

لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾ قُلْ

أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ

وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴿٢٩﴾ فَرِيقًا

هَدَى وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ إِنَّهُمْ اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ

أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنََّّهُمْ مُهْتَدُونَ ﴿٣٠﴾

ذلك، ﴿قُلْ﴾ يَا مُحَمَّدُ لِمَن ادَّعَى ذَلِكَ ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ﴾ هَذَا الَّذِي تَصْنَعُونَهُ فَاحِشَةٌ مَنكَرَةٌ وَاللَّهُ لَا يَأْمُرُ بِمِثْلِ ذَلِكَ، ﴿أَتَقُولُونَ عَلَى

اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ؟﴾ أَسْتَسْئِدُونَ إِلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ صَحْتَهُ ٢٩: ﴿قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ﴾ بِالْعَدْلِ وَالِاسْتِقَامَةِ ﴿وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِنْدَ كُلِّ

مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴿فَرِيقًا هَدَى وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ﴾ قَدَّرَ تَعَالَى أَنَّ مِنْهُمْ شَقِيحًا وَمِنْهُمْ سَعِيدًا. ثُمَّ عُلِّلَ ذَلِكَ فَقَالَ: ﴿وَإِنَّهُمْ﴾ [أَيَ الْفَرِيقِ الَّذِي حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ] ﴿أَتَخَذُوا الشَّيَاطِينَ

أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ وَفِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِنِّي خَلَقْتُ عِبَادِي خِفَاءً فَجَاءَتْهُمْ

الشَّيَاطِينُ فَاجْتَالَتْهُمْ عَنْ دِينِهِمْ﴾. ﴿وَيَحْسَبُونَ أَنََّّهُمْ مُهْتَدُونَ﴾ يُخْبِرُ تَعَالَى أَنَّ فَرِيقَ الضَّلَالَةِ ضَلُّ وَهُوَ يَحْسَبُ أَنَّهُ مُهْتَدٍ، [وَذَلِكَ لِشَدَّةِ تَأَثُّرِهِمْ

بِضَلَالِ الشَّيَاطِينِ].

الآية: ٢٦ روى أحمد عن أبي مطر أنه رأى علياً رضي الله عنه أتى غلاماً حدّثاً فاشترى منه قميصاً بثلاثة دراهم ولبسه ما بين الرسغين إلى الكعبين، يقول: حين لبسه الحمد لله

الذي رزقني من الرّياش ما أتجملُ به في الناس، وأوراري به عورتي. فقيل: هذا شيء ترويه عن نفسك أو عن النبي؟ قال: هذا شيء سمعته من رسول الله ﷺ يقول عند الكسوة الحمد لله

الذي رزقني من الرّياش ما أتجملُ به في الناس وأوراري به عورتي. وروى الإمام أحمد قال: ليس أبو أمامة ثوباً جديداً فلما بلغ ثقبه قال: الحمد لله الذي كساني ما أوراري به عورتي وأتجملُ به في حياتي. ثم قال: سمعت عمر بن الخطاب يقول: قال رسول الله ﷺ: «من استجدّ ثوباً فلبسه فقال حين يبلغ ثقبه: الحمد لله الذي كساني ما أوراري به عورتي وأتجملُ به في حياتي، ثم عمد إلى الثوب الحلق فصدّق به؛ كان في ذمة الله وفي جوار الله وفي كنف الله حياً وميتاً» رواه الترمذي. /تفسير ابن كثير ج ٢٠٧/ ٢٠٧

٣١ : ﴿يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ

مسجد﴾ هذه الآية رد على المشركين فيما كانوا يعتمدون من الطواف بالبيت عراً.

والزينة: اللباس. ﴿وكلوا واشربوا ولا تسرفوا﴾، وروى الإمام أحمد أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: «كلوا واشربوا والبسوا وتصدقوا من غير مخيلة ولا سرف، فإن الله يحب أن يرى نعمته على عبده»، وإنه لا يحب المسرفين﴾ في الطعام والشراب

٣٢ : ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ﴾ رد الله تعالى على من حرم شيئاً من المأكل أو المشرب أو

الملابس من غير شرع من الله، ﴿قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ هي مخلوقة لمن آمن بالله في الدنيا وإن شرّكهم فيها الكفار

حبا في الدنيا، فهي ﴿خالصة يوم القيامة﴾ لهم لا يشركهم فيها أحد من الكفار؛ فإن الجنة محرمة على الكافرين.

كذلك فصل الآيات لقوم يعلمون﴾ ٣٣ : ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا مَا بَطَّنَ

وَالإِثْمَ﴾ المعاصي ﴿والبغي﴾ على الناس ﴿بغير الحق﴾ فحرم الله هذا وهذا، ﴿وأن

تشركبوا بالله ما لم ينزل به سلطاناً﴾ تجعلوا له شركاء في عبادته ﴿وأن تقولوا على الله

ما لا تعلمون﴾ من الاتراء والكذب من دعوى أن له ولداً ونحو ذلك مما لا علم لكم

به ٣٤ : ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ﴾ لكل قرن وجيل ميقاتهم المقدّر لهم

﴿لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون﴾. ثم

أندرت على بني آدم أنه سيعت إليهم رسلاً يقصون عليهم آياته فقال: ٣٥ : ﴿يَا بَنِي آدَمَ إِنَّمَا يَأْتِيَكُمْ رَسُولٌ مِّنكُمْ يَفْضُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي فَمَنْ

أصلح فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون﴾ فمن ترك المحرمات وفعل الطاعات فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون ٣٦ : ﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا

وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا﴾ كذب بها قلوبهم واستكبروا عن العمل بها، ﴿أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ ما يكون فيها مكتناً مخلداً ٣٧ : ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ﴾ لا أحد أظلم ممن افترى الكذب على الله أو كذب بآياته المنزلّة، ﴿أُولَئِكَ يَنْهَكُم مِّنْ

نصيبتهم من الكتاب﴾ ما وعدوا به من [العذاب بقدر كفرهم]، ﴿حتى إذا جاءتهم رسلنا يتوفونهم﴾ يخبر تعالى أن الملائكة إذا توفت المشركين

نُفِرَ عَنْهُمْ عِنْدَ الْمَوْتِ، ﴿قَالُوا﴾ لهم ﴿أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ؟﴾ أين الذين كنتم تشركون بهم في الحياة الدنيا وتدعونهم وتعبدونهم من دون الله؟ ادعوهم يخلصونكم مما أنتم فيه ﴿قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا﴾ ذهبوا عنّا فلا نرجوا نفعهم ﴿وشهدوا على أنفسهم﴾ أقرّوا واعترفوا على أنفسهم

﴿أنهم كانوا كافرين﴾.

الآية: ٣٣ روى مسلم في صحيحه من أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الدنيا حلوة خضرة، وإن الله مستخلفكم فيها فانظروا ماذا تعملون، فاتقوا

الدين وانقروا النساء، فإن أول فتنة بني إسرائيل كانت في النساء».

روى الإمام أحمد عن عبدالله قال: قال رسول الله ﷺ: «لأحد أغير من الله فلذلك حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن، ولأحد أحب إليه المدح من الله، رواه البخاري ومسلم».

قال ابن كثير في قوله: ﴿والإثم والبيغي بغير الحق﴾ قال: السديّ أما الإثم فالمصيبة، والبيغي أن تبغي على الناس بغير الحق، وقال مجاهد: الإثم المعاصي كلها وأخير أن الباغي بغية على نفسه وحاصل ما فسر به الإثم أنه الخطايا المتعلقة بالفاعل نفسه، والبيغي هو التعدّي على الناس فحرم الله هذا.

يُنَبِّئُكُمْ أَنَّ آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴿٣١﴾ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نَفْصَلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٣٢﴾ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يَنْزِلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا نَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٣٤﴾ يُنَبِّئُكُمْ أَنَّ آدَمَ إِنَّمَا يَأْتِيَكُمْ رَسُولٌ مِّنكُمْ يَفْضُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي فَمَنْ أَتَّقَىٰ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٥﴾ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٣٦﴾ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ أُولَئِكَ يَنْهَكُم مِّنْ نَّصِيبتِهِمْ مِّنَ الْكِتَابِ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُمْ رَسُولُنَا يُخَبِّرُهُمْ قَالُوا إِنَّمَا كُنْتُمْ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا وَشَهِدُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ ﴿٣٧﴾

٣٨: يقول تعالى مخبراً عما يقوله لهؤلاء المشركين: ﴿قَالَ ادْخُلُوا فِي أُمَمٍ مِّنْ أُمَّتِكُمْ وَعَلَىٰ صِفَاتِكُمْ، ﴿قَدْ خَلتْ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ مِنَ الْأُمَّةِ السَّالِفَةِ الْكَافِرَةِ ﴿مِنَ الْجِنَّ وَالْإِنسِ فِي النَّارِ كُلَّمَا دَخَلتْ أُمَّةٌ لَعنتْ أَخْبَاهَا﴾ كما قال تعالى: ﴿ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا﴾، ﴿حَتَّىٰ إِذَا آذَرَكُوا فِيهَا جَمِيعًا﴾ اجتمعوا فيها كلهم ﴿قَالَتِ أَعْرَاهِمُ لِأَوْلَادِهِمْ﴾ أخرجهم دخولاً وهم الأتباع لأولادهم وهم المتبعون ﴿رَبَّنَا هَؤُلَاءِ أَضَلُّونَا فَأَتِينَهُمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِنَ النَّارِ﴾ أضعف عليهم العقوبة، ﴿قَالَ لِكُلِّ ضِعْفٍ وَلَكِن لَّا تَعْلَمُونَ﴾ قد فعلنا ذلك وجازينا كلًّا بحسبه ٣٩: ﴿وقالت أولادهم لأعراهم﴾ قال المتبعون للأتباع، ﴿فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ﴾ فقد ضللتكم كما ضللنا، ﴿فَدَرَوْهُمُ الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ﴾ ٤٠: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَّا تَفْتَحُ لَهُمُ أَبْوَابُ السَّمَاءِ﴾ لا يُرفَع لهم منها عمل صالح ولا دعاء. ولا تفتح لأرواحهم أبواب السماء - أي: بعد موتهم - ولا يدخلون الجنة حتى يلبس الحمل في سمِّ الخياط، [والحمل لا يلبس، فلا يدخلونها البتة]، ﴿وكذلك نجزي الجرمين﴾ ٤١: ﴿لهم من جهنم مهادٌ﴾ فراش ﴿ومن فوقهم غواشٌ﴾ لحاف ﴿وكذلك نجزي الظالمين﴾ ٤٢: ﴿والذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾ لما ذكر تعالى حال الأشقياء عطف بذكر حال السعداء، ﴿لَّا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا

قَالَ ادْخُلُوا فِي أُمَّةٍ قَدْ خَلتْ مِنْ قَبْلِكُمْ مِنَ الْجِنَّ وَالْإِنسِ فِي النَّارِ كُلَّمَا دَخَلتْ أُمَّةٌ لَعنتْ أَخْبَاهَا حَتَّىٰ إِذَا آذَرَكُوا فِيهَا جَمِيعًا قَالَتِ أَعْرَاهِمُ لِأَوْلَادِهِمْ رَبَّنَا هَؤُلَاءِ أَضَلُّونَا فَأَتِينَهُمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِنَ النَّارِ قَال لِكُلِّ ضِعْفٍ وَلَكِن لَّا تَعْلَمُونَ ﴿٣٨﴾ وَقَالَتِ أَوْلَادُهُمْ لِأَعْرَاهِمُ فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ فَدَرَوْهُمُ الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿٣٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَّا تَفْتَحُ لَهُمُ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلْبَسَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ ﴿٤٠﴾ لَهُمْ مِنْ جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِنْ فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ ﴿٤١﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُكَلِّفَنَّ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٤٢﴾ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَلٍّ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَن هَدَانَا اللَّهُ لَقَدْ جَاءتْ رَسُولُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ وَنُودُوا أَن تِلْكَمُ الْجَنَّةُ أَوْرَثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾

أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون﴾ ٤٣: ﴿ونزعنا ما في صدورهم من غلٍّ تجري من تحتهم الأنهار﴾ من حسدٍ وبُغضٍ، كما في صحيح البخاري، قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ﴿إِذَا خَلَصَ الْمُؤْمِنُونَ مِنَ النَّارِ حُسِبُوا عَلَىٰ قَنْطَرَةٍ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، فَاقْتَصَّ لَهُمْ مِظَالٌ كَانَتْ بَيْنَهُمْ فِي الدُّنْيَا حَتَّىٰ إِذَا هَدُّوا وَنُفِوا أَدْنَىٰ لَهُمْ فِي دُخُولِ الْجَنَّةِ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنْ أَحَدَهُمْ بَمَنْزِلَةٍ فِي الْجَنَّةِ أَدْلَىٰ مِنْهُ بِمَسْكَنِهِ كَانَ فِي الدُّنْيَا. وَإِنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ إِذَا سَبِقُوا إِلَىٰ الْجَنَّةِ وَجَدُوا عِنْدَ بَابِهَا شَجْرَةً فِي أَصْلِ سَاقِهَا عَيْنَانِ فَشَرِبُوا مِنْ إِحْدَاهُمَا، فَيُنزَعُ مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَلٍّ، فَهُوَ الشَّرَابُ الطَّهُورُ.﴾ وقالوا الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله لقد جاءت رُسُلُ ربنا بالحق، ﴿وتودوا أن تملكهم الجنة أورثتموها بما كنتم تعملون﴾، روى النسائي وابن مردويه أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ﴿كُلُّ أَهْلِ الْجَنَّةِ يَرَىٰ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ، فَيَقُولُ: لَوْلَا أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي؟! فَيَكُونُ لَهُ شُكْرٌ. وَكُلُّ أَهْلِ النَّارِ يَرَىٰ مَقْعَدَهُ مِنَ الْجَنَّةِ، فَيَقُولُ: لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي، فَيَكُونُ لَهُ حَسْرَةٌ، وَهَذَا لَمَّا أَوْرَثُوا مَقَاعِدَ أَهْلِ النَّارِ مِنَ الْجَنَّةِ نُودُوا﴾ ﴿أَنَّ تِلْكَمُ الْجَنَّةُ أَوْرَثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ بسبب أعمالكم نالتكم الرحمة فدخلتم الجنة.

الآية: ٤٠: روى ابن جرير عن البراء أن الرسول ﷺ ذكر قبض روح الفاجر، وأنه يُصعد بها إلى السماء، فيصعدون بها فلا تمر على ملائكة إلا قالوا: ما هذه الروح الحبيبة؟ فيقولون: فلا تبأجب أسمائه التي كان يُدعى بها في الدنيا حتى ينهبوا بها إلى السماء فيسفتنون بآبائها له فلا يفتح له، ثم قرأ رسول الله ﷺ: ﴿لَا تَفْتَحُ لَهُمُ أَبْوَابُ﴾ الآية. هكذا رواه وهو قطعة من حديث طويل رواه النسائي وأبو داود. /ابن كثير ج/ ٢١٣/٢.

وَنَادَى أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَنْ قَدِّمُوا عَلَيْنَا مَائِدَةً فَآذَنُوا وَمَا وَعَدْنَا مَدِينَةً لَنَا فَمَا نَجِدُهُمْ إِلَّا أَعْرَافًا كَافِرِينَ ﴿٤٤﴾

فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُوا نَعَمْ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَنْ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ﴿٤٥﴾ الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُمْ بِالْآخِرَةِ كَافِرُونَ ﴿٤٦﴾ وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَتِهِمْ وَذُكِّرُوا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ سَلِّمُوا عَلَيْكُمْ لَمَّا دَخَلُوا وَهُمْ يُطْمَعُونَ ﴿٤٧﴾ وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَارُهُمْ تِلْقَاءَ أَصْحَابِ النَّارِ قَالُوا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَهُمُ الْغَايِبِينَ ﴿٤٨﴾ وَنَادَى أَصْحَابُ الْأَعْرَافِ رِجَالًا يَعْرِفُونَهُمْ بِسِيمَتِهِمْ قَالُوا مَا أَغْنَىٰ عَنْكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿٤٩﴾ أَهْلُوا الَّذِينَ أْقْسَمْتُمْ لَا يَنْلُوكُمُ اللَّهُ بِرَحْمَةٍ أَدْخَلُوا الْجَنَّةَ لَا يَخُوفٌ عَلَيْكُمُ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ ﴿٥٠﴾ وَنَادَى أَصْحَابَ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالُوا لَيْتَ اللَّهُ حَرَمَهُمَا عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٥١﴾ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فَالْيَوْمَ نَنْسَهُمْ كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَذَا وَمَا كَانُوا يَتَنَبَّأُونَ بِحَدِيثِ ﴿٥٢﴾

﴿٤٤﴾ ونادى أصحاب الجنة أصحاب النار يخبر تعالى بما يخاطب به أهل النار على وجه التفریع والتوبيخ؛ «أَن قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدْنَا رَبَّنَا حَقًّا فهل وجدتم ما وعد ربكم حقًّا فهدوا لنا سبيلاً» قالوا لهم: قد وجدنا ما وعد ربنا حقًّا. ﴿فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ﴾ أعلم معلوم ونادى منادٍ ﴿أَنَّ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ مستقرة عليهم، ثم وصفهم بقوله: ﴿٤٥﴾: «الذين يصدون عن سبيل الله ويفوتها عوجاً» يصدون الناس عن اتباع سبيل الله وشرعه ﴿وهم بالآخرة كافرين﴾ وهم بلقاء الله في الآخرة جاحدون مكذبون ﴿٤٦﴾: «وبينهما حجاب وعلى الأعراف رجال» الحجاب هو السور الذي قال الله تعالى: ﴿فَضْرِبْ بَيْنَهُمْ بَسُورًا﴾ فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب وهو الأعراف الذي قال الله تعالى: ﴿وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَتِهِمْ وَأَصْحَابُ الْأَعْرَافِ﴾ هم قوم تجاوزت بهم حسناتهم النار، وقعدت بهم سيئاتهم عن الجنة. ﴿يعرفون كلًّا بسياهم﴾ يعرفون أهل الجنة ببياض الوجوه، وأهل النار بسواد الوجوه، ويتعذرون بالله أن يجعلهم مع القوم الظالمين، ﴿قالوا ربنا لا تجعلنا مع الظالمين﴾، ﴿ونادوا أصحاب الجنة أن سلام عليكم لم يدخلوها وهم يطمعون﴾، وما جعل الله ذلك الطمع في قلوبهم إلا لكرامة يريدونها ﴿٤٧﴾: ﴿وإذا صُرِفَتْ أَبْصَارُهُمْ تِلْقَاءَ أَصْحَابِ النَّارِ قَالُوا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَهُمُ الْغَايِبِينَ﴾ ونادى أصحاب الأعراف رجالاً يعرفونهم بسياهم ﴿أنهم من أهل النار﴾ قالوا ما أغنى عنكم جمعكم كثرتكم، ﴿وما كنتم تستكبرون﴾ لا ينفعكم كثرتكم ولا جمعكم من عذاب الله ﴿٤٩﴾: ﴿أهلوا الذين أقسمتم لا ينلوكم الله برحمة﴾ هذا قول الله تعالى لأهل التكبر من أهل النار [عن أهل الأعراف] ثم يقول تعالى لهم ﴿ادخلوا الجنة لا خوف عليكم ولا أنتم تحزنون﴾ ﴿٥٠﴾: ﴿ونادى أصحاب النار أصحاب الجنة أن أفيضوا علينا من الماء أو مما رزقكم الله﴾ يستطعمونهم ويستسقينهم، ﴿قالوا إن الله حرمهما على الكافرين﴾ يعني طعام الجنة وشرابها ﴿٥١﴾: ثم وصف تعالى الكافرين بما كانوا يعتمدونه في الدنيا باتخاذهم الدين لهواً ولعباً فقال: ﴿الذين اتخذوا دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فَالْيَوْمَ نَنْسَهُمْ كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَذَا وَمَا كَانُوا يَتَنَبَّأُونَ بِحَدِيثِ﴾ «وما كانوا بآياتنا يجحدون».

الآية: ٤٤ روى النسائي عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «كل أهل الجنة يرى مقعده من النار، فيقول: لولا أن الله هداني، فيكون له شكر، وكل أهل النار يرى مقعده من الجنة فيقول: لو أن الله هداني، فيكون له حسرة. ولهذا لما أوزنوا مقاعد أهل النار من الجنة نُودُوا أن تلکم الجنة أو تشتموها بما كنتم تعملون، أي بسبب أعمالكم نالكم الرحمة فدخلتم الجنة وتوأت منازلكم بحسب أعمالكم. وإنما وجب الحمل على هذا لما ثبت في الصحيحين عنه ﷺ أنه قال: «واعلموا أن أحدكم لن يُدخِلَهُ عَمَلُهُ الْجَنَّةَ» قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: «ولا أنا إلا أن يتغنني الله برحمته مني وفضل».

الآية: ٥٠ قال ابن أبي حاتم: حدثنا أبو موسى الصناري في دار عمرو بن مسلم قال: سألت ابن عباس أو سئل: أي الصدقة أفضل؟ فقال: قال رسول الله ﷺ: «أفضل الصدقة الماء، ألم تسمع إلى أهل النار لما استغاثوا بأهل الجنة قالوا: أفيضوا علينا من الماء أو مما رزقكم الله».

٥٢: يُخبر تعالى عن إعداده إلى المشركين بإرسال الرسول إليهم بالكتاب الذي به ﴿وَلَقَدْ جِئْنَاهُمْ بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ عَلَىٰ عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ ٥٣: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ﴾ ما وعِدوا به من العذاب ﴿يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلَهُ﴾ يوم القيامة ﴿يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِنْ قَبْلُ﴾ تركوا العمل به وتناسوه في الدنيا، ﴿قَدْ جَاءَتْ رُسُلًا رَبَّنَا بِالْحَقِّ فَهَلْ لَنَا مِنْ شُفَعَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنَا أَوْ نُرَدُّ﴾ في خلاصتنا ممَّا صرنا إليه ممَّا نحن فيه ﴿أَوْ نَعْمَلُ﴾؟ ﴿قَدْ خَسِرْنَا أَنفُسَهُمْ﴾ خسرنا أنفسنا ببدخولهم النار وخلودهم فيها، ﴿وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ وذهب عنهم ما كانوا يعبدون من دون الله، فلا ينصرونهم ولا يُنقذونهم ممَّا هم فيه ٥٤: ﴿إِنَّ رَبَّكُمْ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ كل يوم كآلف سنة لتفخيم خلق السموات والأرض، ﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ﴾ يُعْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ﴾ سُئِلَ الْإِمَامُ مَالِكٌ عَنِ الْاسْتَوَاءِ، فَقَالَ: الْاسْتَوَاءُ مَعْلَمٌ -أَي: فِي اللَّغَةِ- وَالْكَيفُ مَجْهُولٌ، وَالْإِيْمَانُ بِهِ وَاجِبٌ، وَالسُّؤَالُ عَنْهُ بَدْعَةٌ. ﴿يُعْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ﴾ يذهب ظلامٌ هذا بضياء هذا، وضياء هذا بظلام هذا، ﴿يَطْلُبُهُ حَيْثُ شَاءَ﴾ وكلُّ منهما يطلب الآخر طلباً حثيثاً أي سريعاً لا يتأخر عنه. ﴿وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ مَسْجُرَاتٌ بِأَمْرِهِ﴾ الجميع تحت قهره وتسخيره ومشيئته، ولهذا قال منبهاً: ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ

وَلَقَدْ جِئْنَاهُمْ بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ عَلَىٰ عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلَهُ يُقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلًا رَبَّنَا بِالْحَقِّ فَهَلْ لَنَا مِنْ شُفَعَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنَا أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلْ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ قَدْ خَسِرْنَا أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٥٣﴾ إِنَّ رَبَّكُمْ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُعْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَيْثُ شَاءَ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ مَسْجُرَاتٌ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٥٤﴾ أَدْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴿٥٥﴾ وَلَا تَفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾ وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيْحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّىٰ إِذَا أَقْلَتِ سَحَابًا ثِقَالًا سَقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَى لِعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٥٧﴾

والأمر﴾ له الملك والتصرف ﴿تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [أي: تعالى وتعظم وارتفع. وباسمه يُبْرَكُ وَيُتِمَّنُ] ٥٥: ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً﴾ أرشد تبارك وتعالى عباده إلى دعائه الذي هو صلاحهم في دنياهم وأخراهم، ﴿تَضَرُّعًا﴾ تذللاً واستكانة ﴿وَخُفْيَةً﴾ بخشوع قلوبكم وصحة يقينكم بربوبيته فيما بينكم وبينه لا جهاراً مرأى. ﴿إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ في الدعاء ولا في غيره. وروى أبو داود وابن ماجه بإسناد حسن؛ قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «يكون قَوْمٌ يَعْتَدُونَ فِي الدَّعَاءِ وَالطُّهُورِ» ٥٦: ﴿وَلَا تَفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا﴾ نهي الله تعالى عن الإفساد في الأرض، وما أضره بعد الإصلاح، ثم أمر تعالى بدعائه والتضرع إليه: ﴿وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾ خوفاً من عقابه، وطمعاً فيما عنده من جزيل الثواب ﴿وَإِنَّ رَحْمَةَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ إن رحمته مُرْصَدَةٌ لِلْمُحْسِنِينَ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ أَمْرَهُ ٥٧: ﴿وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيْحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ﴾ لما ذكر تعالى أنه الخالق للسموات والأرض نبه على أنه قادر على ما يشاء وأنه الرزاق وأنه يُعِيدُ الْمَوْتَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ. ﴿وَبُشْرًا﴾ منتشرة ﴿بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ﴾ بين يدي السحاب الحامل للمطر، ﴿حَتَّىٰ إِذَا أَقْلَتِ سَحَابًا ثِقَالًا﴾ من كثرة ما فيها من الماء ﴿سَقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ﴾ إلى أرض مجدبة لا نبات فيها، ﴿فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَى لِعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ كذلك نخفي الأجساد بعد صبرورتها رميةً يوم القيامة؛ يُنْزَلُ اللَّهُ تَعَالَى مَاءً فَنَبْتُ مِنْهُ الْأَجْسَادُ فِي قُبُورِهَا.

الآية: ٥٤ قوله تعالى: ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ﴾ روى ابن جرير عن عبدالعزیز الشامي عن أبيه وكانت له صبيحة، قال: قال رسول الله ﷺ: «من لم يحمد الله على ما عمل من عمل صالح، وحمد نفسه فقد كفر وحبط عمله، ومن زعم أن الله جعل للعباد من الأمر شيئاً - أي من أمر الخلق والإيجاد - فقد كفر بما أنزل الله» قال الله: ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ﴾ وفي الدعاء المأثور: «اللهم لك الملك كله، ولك الحمد كله، وإليك يرجع الأمر كله، أسألك من الخير كله وأعوذ بك من الشر كله». / ابن كثير ج ٢ / ٢٢١٢

٥٨: ﴿وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتَهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ﴾ الأرض الطيبة يخرج نباتها سريعاً حسناً، ﴿وَالَّذِي خُبِّتْ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكْدًا﴾، [النكد: العسر]، وهذا مثل ضربه الله للمؤمن والكافر. ﴿كَذَلِكَ نَصْرَفُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ﴾، [أي: نصرف الآيات في كل ما يحتاج إليه الناس، وخصّ الشاكرين لأنهم هم المنتفعون بذلك] ٥٩: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ ٥٩: ﴿قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ﴾ السادة والقادة منهم: ﴿إِنَّا لَتَرَكُنَّ فِي ضَلَالٍ مَبِينٍ﴾ في دعوتك إيانا إلى ترك عبادة الأصنام ٦١: ﴿قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلَالَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ما أنا ضال ولكن أنا رسول من رب العالمين رب كل شيء ومليكه ٦٢: ﴿أَبْلَغَكُمْ رِسَالَاتِي وَأَنْصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ وهذا شأن الرسول أن يكون مبلغاً ناصحاً عالماً بالله، لا يدرىكم أحد من خلق الله في هذه الصفات ٦٣: ﴿أَوْعَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِنْكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُوا وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ فكذبوه فأنجيناهم والذين معه في الفلك وأغرقتنا الذين كذبوا بآياتنا إنهم كانوا قوماً عجمين ﴿وإلى عاد أخاهم هوداً قال يقوموا عبدوا الله ما لكم من إله غيرة أفلا تلتقون﴾ ٦٥: ﴿قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرْنُكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَنْظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ قال يقوموا ليس بي سفاهة ولكني رسول من رب العالمين ﴿٦٧﴾

١٥٨

وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَالَّذِي خُبِّتْ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكْدًا كَذَلِكَ نَصْرَفُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ ﴿٥٨﴾

لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥٩﴾

قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرْنُكَ فِي ضَلَالٍ مَبِينٍ ﴿٦٠﴾ قَالَ يَنْقُومُ لَيْسَ بِي ضَلَالَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦١﴾

أَبْلَغَكُمْ رِسَالَاتِي وَأَنْصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٢﴾ أَوْعَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِنْكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُوا وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٦٣﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَنْجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا عَجْمِينَ ﴿٦٤﴾ وَإِلَى عَادِ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٦٥﴾

قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرْنُكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَنْظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٦٦﴾ قَالَ يَنْقُومُ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦٧﴾

١٥٨

منهم إلا قليل، ﴿في الفلك﴾ السفينة، ﴿وأغرقتنا الذين كذبوا بآياتنا﴾ كما قال تعالى: ﴿مِمَّا خَطِيئَاتِهِمْ أُغْرِقُوا وَأَدْجَلُوا نَارًا﴾، ﴿إنهم كانوا قوماً عجمين﴾ عن الحق لا يصرونه ولا يهتدون له ٦٥: ﴿وإلى عاد أخاهم هوداً﴾ كما أرسلنا إلى قوم نوح نوحاً كذلك أرسلنا إلى عاد أخاهم هوداً، والذين كانوا يأوون إلى العمد في البر، كما قال تعالى: ﴿ألم تر كيف فعل ربك بعاد. إرم ذات العماد. التي لم يخلق مثلها في البلاد﴾ وذلك لشدة بأسهم وقوتهم، ﴿قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيرة أفلا تتقون﴾؟ ٦٦: ﴿قال الملأ الذين كفروا من قومه﴾ السادة والقادة منهم ﴿إننا لتركنا في سفاهة﴾ في ضلالة حيث تدعوننا إلى ترك عبادة الأصنام ﴿وإننا لنظنك من الكاذبين﴾، [أي: فيما تدعوننا إليه] ٦٧: ﴿قال يا قوم ليس بي سفاهة﴾ لسئ كما تزعمون ﴿ولكني رسول من رب العالمين﴾ بل جئتكم بالحق من الله الذي خلق كل شيء، فهو رب كل شيء ومليكه.

الآية: ٥٨: روى البخاري: عن أبي موسى قال: قال رسول الله ﷺ: «مثل ما بعثني الله به من العلم والهدى كمثل الغيث الكثير أصاب أرضاً فكانت منها نقيعاً قبلت الماء فأنتج الكلاً والغشب الكثير وكانت منها أجادب أمسكت الماء فنفع الله بها الناس، فشبروا وسقوا وزرعوا وأصاب منها طائفة أخرى إنما هي قيعان لا تمسك ماءً ولا تبتئس كلاً، فذلك مثل من فقه في دين الله ونفعه ما بعثني الله به فعمل وعلم، ومثل من لم يرفع بذلك رأساً ولم يقبل هدى الله الذي أرسلت به»، ورواه مسلم.

الآية: ٦٢: جاء في صحيح مسلم: أن رسول الله ﷺ قال لأصحابه يوم عرفة وهم أوفر ما كانوا وأكثر جمعاً: «أيها الناس إنكم مسؤولون عني فما أنتم قائلون؟»، قالوا: نشهد أنك قد بلغت وأدبت ونصحت فجعل يرفع أصبعه إلى السماء وينكبها عليهم ويقول: «اللهم اشهد اللهم اشهد».

٦٨: ﴿أَبْلَغَكُمْ رَسُولَاتِ رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ ناصح مبین﴾ وهذه الصفات التي يتصف بها الرسل؛ البلاغ والنصح والأمانة ٦٩: ﴿أَوْ عَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِنْكُمْ لِيُنذِرَكُمْ﴾ لا تعجبوا أن بعث الله إليكم رسولا من أنفسكم ليُنذِرَكُمْ أَيَّامَ اللَّهِ ولِقَاءَهُ بل احمده على ذلك، ﴿وَأَذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءً مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ﴾ اذكروا نعمة الله عليكم في جعلكم من ذرية نوح الذي أهلك الله أهل الأرض بدعوته لما كذبوه، ﴿وَوَازِدَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَسْطَةً﴾ جعلكم أطول من أبناء جنسكم، ﴿فَأَذْكُرُوا آيَةَ اللَّهِ﴾ نعمته ومنتته عليكم ﴿لَعَلَّكُمْ تَفْلِحُونَ﴾ ٧٠: ﴿قَالُوا أَجِئْنَا لِنُعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا؟! يُخَيِّرُ تَعَالَى عَنْ تَمَرْدِهِمْ وَطُغْيَانِهِمْ وَإِنكَارِهِمْ عَلَى هُدًى عَلَيْهِ السَّلَامُ، ﴿فَأَتَيْنَا بِمَا تَعَدُّنَا إِنْ كُنْتُمْ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ ٧١: ﴿قَالَ﴾ هودٌ ﴿قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ رِجْسٌ وَغَضَبٌ﴾ قد وجب عليكم بمقاتلتكم هذه ﴿رِجْسٌ﴾ [الرجس: العذاب] سخط و غضب. ﴿أَتَجَادِلُونِي فِي أَسْمَاءٍ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَأَبَاؤُكُمْ﴾ أتحاجوني في هذه الأصنام التي سمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَأَبَاؤُكُمْ ألهة وهي لا تضر ولا تنفع؟! ﴿مَا نَزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ﴾، ﴿أَيُّ: مِنْ حِجَّةٍ لَكُمْ فِي عِبَادَتِنَا﴾، ﴿فَانظُرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظَرِينَ﴾ وهذا تهديد ووعد لقومهم، ولهذا عقبه بقوله: ٧٢: ﴿فَأَنْجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَقَطَعْنَا دَابِرَ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا وَمَا كَانُوا مُؤْمِنِينَ﴾ وقد ذكر

أَبْلَغَكُمْ رَسُولَاتِ رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ ناصح مبین ﴿٦٨﴾ أَوْ عَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِنْكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَأَذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءً مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَسْطَةً فَأَذْكُرُوا آيَةَ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تَفْلِحُونَ ﴿٦٩﴾ قَالُوا أَجِئْنَا لِنُعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأُنشِئْنَا بِمِثْلٍ نَدَا إِنْ كُنْتُمْ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٧٠﴾ قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ رِجْسٌ وَغَضَبٌ أَتَجَادِلُونِي فِي أَسْمَاءٍ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَأَبَاؤُكُمْ مَا نَزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ فَانظُرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظَرِينَ ﴿٧١﴾ فَأَنْجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَقَطَعْنَا دَابِرَ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا وَمَا كَانُوا مُؤْمِنِينَ ﴿٧٢﴾ وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَكُمْ تَكْوِينٌ مِنْ رَبِّكُمْ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةٌ فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمْسُوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ أَلِيمٍ ﴿٧٣﴾

الله تعالى صفة إهلاكهم في القرآن بأنه أرسل عليهم الریح العقيم ٧٣: ﴿وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا﴾ ولقد أرسلنا إلى قبيلة ثمود أخاهم صالحاً ﴿قَالَ يَا قَوْمِ أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ فجميع الرسل يدعون إلى عبادة الله وحده لا شريك له، كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ يَعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾. ﴿قَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةٌ﴾ قد جاءتكم حجة من الله على صدق ما جئتمكم به وكانوا هم الذين سألوا صالحاً أن يأتيهم بآية، وافترحوا عليه بأن تخرج لهم من صخرة صماء عتبتها بأنفسهم، فأخذ عليهم صالح عليه السلام العهود والمواثيق لئن أجابهم الله إلى سؤالهم، ليؤمنن به، فلما أعطوه على ذلك عهدوهم، دعا الله عز وجل، فتحركت تلك الصخرة ثم انصدعت عن ناقة يحرك جنبها بين جنبها، وأقامت الناقة بعدما وضعت مدة تشرب من بئرها يوماً وتدعه لهم يوماً، وكانوا يشربون لبها يوم شربها، كما قال تعالى: ﴿هَذِهِ نَاقَةُهَا شَرِبَ وَلَكُمْ شَرِبٌ يَوْمَ مَعْلُومٍ﴾، ﴿فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمْسُوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ أَلِيمٍ﴾.

الآية: ٧٠ عن ابن مسعود أن رسول الله ﷺ قال: ﴿مَنْ مات وهو يدعو مِنْ دُونِ اللَّهِ نَدَاً دَخَلَ النَّارَ﴾ رواه البخاري في كتاب التفسير. وروى مسلم عن جابر أن رسول الله ﷺ قال: ﴿مَنْ لَقِيَ اللَّهَ لَا يَشْرِكُ بِهِ شَيْئاً دَخَلَ الْجَنَّةَ، وَمَنْ لَقِيَ اللَّهَ يَشْرِكُ بِهِ شَيْئاً دَخَلَ النَّارَ﴾ صحيح مسلم رقم ٩٣. وروى أحمد أن رسول الله ﷺ قال: ﴿أَخَوْفُ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمْ الشَّرْكَ الْأَصْفَرُ﴾ فسئل عنه؟ فقال: ﴿الرَّيَاءُ الْمُسَدَّدُ ج ٤٢٨/٥ - ٤٢٩.﴾

الآية: ٧١ قال ابن كثير: وقد ذكر الله سبحانه صفة إهلاكهم في أماكن أخر من القرآن بأنه أرسل عليهم الریح العقيم ماتدر من شيء أتت عليه إلا جعلته كالريم، كما قال في الآية الأخرى ﴿وَمَا عَادَ فَأَهْلِكُوا بَرِحَ صَرَصَ عَاتِيَةً. سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أُعْجَازٌ نَخْلٍ خَاوِيَةٌ. فَهَلْ تَرَى لَهُمْ مِنْ بَاقِيَةٍ﴾ لما تمردوا وعوا أهلهم الله برح عاتية فكانت تحمل الرجل منهم قترفه في الهواء ثم ذكره على أم رأسه فتلغ رأسه حتى تبينه من بين جنبته ولهذا قال تعالى: ﴿كَأَنَّهُمْ أُعْجَازٌ نَخْلٍ خَاوِيَةٌ﴾.

٧٤: ﴿وَادْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِي الْأَرْضِ﴾ [أي: منازل] ﴿تتخذون من سهولها قصوراً وتتحنون الجبال بيوتاً﴾، [اتخذوا البيوت في الجبال لطول أعمارهم]، ﴿فادْكُرُوا آلاءَ اللَّهِ وَلَا تَغْفُوا فِي الْأَرْضِ مَفْسِدِينَ﴾، [وهذا يدل أن الله منعم على الكفار] ٧٥: ﴿قال الملائ الذين استكبروا من قومه للذين استضعفوا لِمَنْ آمَنَ مِنْهُمْ﴾: ﴿تعلمون أن صالحاً مرسل من ربِّه؟!﴾ [هذا على طريق الاستهزاء والسخرية]، ﴿قالوا إنا بما أرسل به مؤمنون﴾ ٧٦: ﴿قال الذين استكبروا إنا بالذين آمنتم به كافرون﴾، [أجابوا بذلك تمرداً وعتوا] ٧٧: ﴿ففقروا التافهة﴾ إثم اتفقوا كلهم على قتلها حتى النساء، قال تعالى: ﴿فكذبوه ففقرها فذمتم عليهم ربهم بذنبهم﴾ الآية. ﴿واعتوا عن أمر ربهم﴾، [أي: استكبروا]، ﴿وقالوا يا صالح اتينا بما تعبدنا إن كنت من المرسلين﴾ ٧٨: ﴿فأخذتهم الرجفة﴾، [أي: الزلزلة الشديدة]، ﴿فأصبحوا في دارهم جاثمين﴾، [أي: صاروا خائمين من العذاب] ٧٩: ﴿فتولى عنهم وقال يا قوم لقد أبلغتكم رسالة ربي ونصحت لكم ولكن لا تحبون التصحيحين﴾ [أي: اتفقوا على قتلها حتى النساء، قال تعالى: ﴿فكذبوه ففقرها فذمتم عليهم ربهم بذنبهم﴾ الآية. ﴿واعتوا عن أمر ربهم﴾، [أي: استكبروا]، ﴿وقالوا يا صالح اتينا بما تعبدنا إن كنت من المرسلين﴾ ٧٨: ﴿فأخذتهم الرجفة﴾، [أي: الزلزلة الشديدة]، ﴿فأصبحوا في دارهم جاثمين﴾، [أي: صاروا خائمين من العذاب] ٧٩: ﴿فتولى عنهم وقال يا قوم لقد أبلغتكم رسالة ربي ونصحت لكم ولكن لا تحبون التصحيحين﴾

وَادْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِي الْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِنْ سَهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحُنُونَ الْجِبَالَ بَيْوتًا فَادْكُرُوا آلاءَ اللَّهِ وَلَا تَغْفُوا فِي الْأَرْضِ مَفْسِدِينَ ﴿٧٥﴾ قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لِلَّذِينَ اسْتَضَعُّوا لِمَنْ آمَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَالِحًا مُرْسَلٌ مِنْ رَبِّهِ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِ مُؤْمِنُونَ ﴿٧٦﴾ قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا بِالَّذِي آمَنْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ ﴿٧٧﴾ فَفَقَرُوا وَالتَّافَهُ عَنَّا أَمْرَ رَبِّهِمْ وَقَالُوا يَا صَالِحُ إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِ كَافِرُونَ ﴿٧٨﴾ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ ﴿٧٩﴾ فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَكِنْ لَا تُحِبُّونَ التَّصْحِيحِينَ ﴿٨٠﴾ وَلَوْطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ ﴿٨١﴾ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ ﴿٨٢﴾

تنتفعوا بذلك، لأنكم لا تحبون الحق ولا تتبعون ناصحاً ٨٠: ﴿ولوطاً إذ قال لقومه﴾ ولوط هو ابن أخي إبراهيم الخليل عليهما السلام، وكان مع إبراهيم لما هاجر إلى أرض الشام، فبعثه الله إلى أهل سدوم وما حولها يدعوهم إلى الله عز وجل وينهاهم عن إتيان الذكور دون الإناث، ﴿قال لقومه أتأتون الفاحشة ما سبقكم بها من أحد من العالمين﴾ هذا شيء لم يكن بنو آدم تعهده ولا تألفه حتى صنع ذلك أهل سدوم عليهم لعائن الله ٨١: قال لهم لوط عليه السلام: ﴿إنكم لتأتون الرجال شهوة من دون النساء﴾ عدلتم عن النساء وما خلق لكم ربكم منهن إلا الرجال، وهو إسراف منكم وجهل لأنه وضع الشيء في غير محله، ولهذا قال لهم في الآية الأخرى، قال: ﴿هو لوط بن أخي إسماعيل﴾ أرشدكم إلى نسائهم، فاعتذروا إليه بأنهم لا يشتهونهن، و﴿قالوا لقد علمت ما لنا في بناتك من حق وإنك لتعلم ما تريد﴾.

الآية: ٧٩ جاء في الصحيحين أن رسول الله ﷺ لما ظهر على أهل بدر أقام هناك ثلاثاً ثم أمر بإبراهيم الخليل عليهما السلام وكان قليب بدر فجعل يقول: «يا أبا جهل بن هشام، يا عتبة بن ربيعة، يا شيبه بن ربيعة، ويا فلان بن فلان: هل وجدتم ما وعد ربكم حقاً فإني وجدت ما وعدني ربي حقاً» فقال له عمر: يا رسول الله ماتكم من أقوام قد جيفوا؟ فقال: «والذي نفسي بيده ما أتت بأسع ما أقول منهم ولكن لا يجيبون».

الآية: ٨١ قال ابن كثير: لوط هو ابن هارون بن أزر وهو ابن أخي إبراهيم الخليل عليهما السلام وكان قد آمن مع إبراهيم عليه السلام وهاجر معه إلى أرض الشام فبعثه الله إلى أهل سدوم وما حولها من القرى يدعوهم إلى الله عز وجل ويأمرهم بالمعروف وينهاهم عما كانوا يرتكبونه من المأثم والحرام والفواحش التي اخترعها، لم يسبقهم بها أحد من بني آدم ولا غيرهم، وهو إتيان الذكور دون الإناث، وهذا شيء لم يكن بنو آدم تعهده ولا تألفه، ولا يخطر ببالهم حتى صنع ذلك أهل سدوم عليهم لعائن الله. [ابن كثير ج ٢/٢٣٠/٢٣٠] وروى المنذري في الترغيب والترهيب أحاديث كثيرة في تحريم إتيان الذكور، منها: قوله ﷺ: «إن أخوف ما أخاف على أمي من عمل قوم لوط» رواه الترمذي وحسنه، وابن ماجه والحاكم وصححه. وقوله ﷺ: «لئن الله سبعة من خلقه من فوق سبع سمواته، وردد اللعنة على واحد منهم ثلاثاً، ولعن كل واحد منهم لعنة تكفيه» قال: ملعون من عجل عمل قوم لوط، =

٨٢: ﴿وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوهُمْ مِنْ قَرْيَتِكُمْ﴾ ما أجابوا لوطاً إلا أن همّوا بإخراجه ونفيه، ومن معه من بين أظهرهم، فأخرجه الله تعالى، سالماً وأهلكهم في أرضهم صاغرين مهانين، ﴿إِنَّهُمْ أَنَاسٌ يَبْتَطِهُرُونَ﴾ عابوهم بغير عيب ٨٣: ﴿فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ﴾ إلا امرأته فإنها لم تؤمن به، بل كانت على دين قومها ثمّالهم عليه، ولم يؤمن به أحد منهم سوى أهل بيته فقط، كما قال تعالى: ﴿فَأَخْرَجْنَا مِنْ كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ. فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ ٨٤: ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا﴾ هذا مفسّر بقوله تعالى: ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ مَنْسُودٍ. مَسُومَةٌ عِنْدَ رَبِّكَ﴾، ﴿فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ﴾ انظر يا محمد كيف كان عاقبة من يجترىء على معاصي الله عز وجل ويكذب رسلته ٨٥: ﴿وَالِى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا﴾ مدين قبيلة يقرب معان على طريق الحجاز، وهم أصحاب الأيكة، ﴿قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ ثم وعظهم فقال: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ﴾ لا تخونوا الناس في أموالهم ﴿وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ﴾ لا تأخذوها على وجه البخس، وهو نقص المكيال والميزان خفيةً وتدليساً. ﴿وَلَا تَقْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ ٨٦: ﴿وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ

وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوهُمْ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أَنَاسٌ يَبْتَطِهُرُونَ ﴿٨٢﴾ فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ ﴿٨٣﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَأَنْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ ﴿٨٤﴾ وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَبْنَؤُكُمْ أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٨٥﴾ وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِهِ وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا وَاذْكُرُوا إِذْ كُنْتُمْ قَلِيلًا فَكَثَرْتُمْ وَاَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ﴿٨٦﴾ وَإِنْ كَانَ طَائِفَةٌ مِنْكُمْ ءَامَنُوا بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ وَطَائِفَةٌ لَمْ يُؤْمِنُوا فَاصْبِرُوا حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَنَا وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ ﴿٨٧﴾

تُوعِدُونَ ﴿٨٥﴾ نهاهم شعيب عليه السلام عن قطع الطريق الحسني والمعنوي، ولا تتوعدوا الناس بالقتل إن لم يعطوكم أموالهم، ولا تتوعدوا المؤمنين ﴿وَتَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِهِ وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا﴾ تؤدّون أن تكون سبيل الله عوجاءً مائلة، ﴿وَاذْكُرُوا إِذْ كُنْتُمْ قَلِيلًا فَكَثَرْتُمْ﴾ كنتم مستضعفين لقتلتكم فصرتم أزعرة لكثرتكم، فاذكروا نعمة الله عليكم في ذلك، ﴿وَاَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾ من الأمم والقرون الماضية وما حلّ بهم من العذاب ٨٧: ﴿وَإِنْ كَانَ طَائِفَةٌ مِنْكُمْ ءَامَنُوا بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ وَطَائِفَةٌ لَمْ يُؤْمِنُوا﴾ قد اختلفتم علي ﴿فَاصْبِرُوا﴾ فانظروا ﴿حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَنَا﴾ وبينكم، أي: يفصل، ﴿وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ﴾، فإنه تعالى سيجعل العاقبة للمتقين، والدمار على الكافرين.

= ملعون من عمل عمل قوم لوط، ملعون من عمل قوم لوط، ملعون من ذبح لغير الله، ملعون من أتى شيئاً من الهام، ملعون من عقى والديه، ملعون من جمع بين امرأة وابنتها، ملعون من غير حدود الأرض، ملعون من ادعى إلى غير مواله، رواه الطبراني والحاكم وإسناده حسن. وقال عليه السلام: «أربعة يُصحبون في غضب الله ويُبسون في سخط الله: المشبهون بالرجال بالنساء، والمشبهات بالنساء بالرجال، والذي يأتي البهجة، والذي يأتي الرجال» رواه الطبراني والبيهقي.

وجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم عقوبة الذي يعمل عمل قوم لوط القتل، فمن عبد الله بن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من وجدتموه يعمل عمل قوم لوط فاقتلوا الفاعل والمفعول به» رواه أبو داود والترمذي وابن ماجه والبيهقي.

وروى أبو داود عن عبد الله بن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «مَنْ أَتَى بَهِيمَةً فَاقْتُلُوهُ وَاقْتُلُوها معه» [ومن المعلوم لدى أطباء مكافحة مرض «الإيدز» الخطير، أنه انتقل إلى الإنسان عن طريق ممارسة العملية الجنسية مع القرود في إفريقيا، ثم انتشر هذا المرض عن طريق الزنا وعمل قوم لوط].

وروى أبو يعلى بإسناد جيد عن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «استحيوا، فإن الله لا يستحي من الحق، ولاتأثروا النساء في أدبارهن». / الترغيب ج ٢٨٥/٣ - ٢٨٩ /

٨٨: ﴿قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ لَنَخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرِيْبَتِنَا أَوْ لَتَعُوْدُنَّ فِي مِلَّتِنَا﴾ هذا خبر من الله تعالى عما واجهت به الكفارُ نبيّه شعيباً ومن معه من المؤمنين في توعدهم إياه ومن معه بالنفي عن القرية، أو الإكراه على الرجوع في ملتهم، ﴿قَالَ أَوْلُو كُنَّا كَارِهِينَ﴾؟ أو أنتم فاعلوا ذلك! ٨٩: ﴿قَدْ افترينا على الله كذباً إن عُذْنَا فِي مِلَّتِكُمْ بَعْدَ إِذْ بَخَّسْنَا اللَّهُ مِنْهَا وَمَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَعُوْدَ فِيهَا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّنَا وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ﴾ ٩٠: ﴿قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَئِنِ اتَّبَعْتُمْ شُعَيْبًا إِنَّكُمْ إِذًا لَخٰسِرُونَ﴾ ٩١: ﴿فَأَخَذْتُمُ الرَّجْفَةَ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَثْمِيْنَ﴾ ٩٢: ﴿الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا فِيهَا﴾ ٩٣: ﴿الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا فِيهَا﴾ ٩٤: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرِيْبَةٍ مِّنْ نَّبِيٍّ إِلَّا أَخَذْنَا أَهْلَهَا بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ﴾ ٩٥: ﴿ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ السَّيِّئَةِ الْحَسَنَةَ حَتَّىٰ عَفَوا وَقَالُوا قَدْ مَسَّ آبَاءَنَا الضَّرَّاءُ وَالسَّرَّاءُ فَأَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ ٩٦: ﴿الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا فِيهَا﴾ ٩٧: ﴿الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا فِيهَا﴾ ٩٨: ﴿الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا فِيهَا﴾ ٩٩: ﴿الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا فِيهَا﴾ ١٠٠: ﴿الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا فِيهَا﴾

الأرواح وخذت الأجسام ٩٢: ﴿الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا فِيهَا﴾ كأنهم لما أصابهم النعمة لم يقيموا بديارهم، ﴿الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا فِيهَا﴾ كانوا هم الخاسرين ٩٣: ﴿فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ﴾ فتولى شعيب عنهم بعدما أصابهم من العذاب والنعمة والنكال، ﴿وَقَالَ﴾ مقررًا لهم وموخيًا: ﴿يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ﴾ قد أدبْتُ إليكم ما أرسلتُ به، فلا أسفَ عليكم وقد كفرتم بما جئتكم به، ولهذا قال: ﴿فَكَيْفَ آسَىٰ عَلَىٰ قَوْمٍ كَافِرِينَ﴾ ٩٤: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرِيْبَةٍ مِّنْ نَّبِيٍّ إِلَّا أَخَذْنَا أَهْلَهَا بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ﴾ ما أرسل الله الأنبياء إلى الأمم الماضية إلا اختبرهم بالبأساء، أي: ما يصيبهم من أمراض وأسقام، الضراء، ما يصيبهم من فقر وحاجة، لعلهم يضرَّعون، أي: يبخشون ويتبتلون إلى الله تعالى في كشف ما نزل بهم. وتقدير الكلام: أنه تعالى ابتلاهم بالشدَّة ليتضرَّعوا فما فعلوا شيئاً من الذي أراد منهم فقلب عليهم إلى الرخاء ليختبرهم فيه، ولهذا قال: ٩٥: ﴿ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ السَّيِّئَةِ الْحَسَنَةَ﴾ حوَّلنا الحال من شدَّة إلى رخاء ليشكروا على ذلك فما فعلوا، ﴿حَتَّىٰ عَفَوا﴾ كثرت أموالهم وأولادهم ﴿وَقَالُوا قَدْ مَسَّ آبَاءَنَا الضَّرَّاءُ وَالسَّرَّاءُ فَأَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ ابتليناهم بهذا وهذا فما نجح فيهم لا هذا ولا هذا، ولم يتفطنوا لأمر الله فيهم ولا استشعروا ابتلاء الله لهم في الحالين.

الآية: ٩٥ ثبت في الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال: «عجبا للمؤمن لا يقضي الله له قضاء إلا كان خيرا له، إن أصابه ضراء صبر فكان خيرا له، وإن أصابه سراء شكر فكان خيرا له. فالؤمن من يتفطن لما ابتلاه الله به من الضراء والسراء، ولهذا جاء في الحديث: «لا يزال البلاء بالمؤمن حتى يخرج نقيًا من ذنوبه، والمنافع مثله كمثل الحمار لا يدري فيم ربطه أهله ولا قيم أرسلوه»، أو كما قال، ولهذا عقب هذه الصفة بقوله: «فأخذناهم بغتة وهم لا يشعرون» أي أخذناهم بالنعمة بغتة، أي على بغتة وعدم شعور منهم، أي أخذناهم فجأة كما في الحديث: «موت الفجأة رحمة للمؤمن وأخذة أسف للكافر».

٩٦: ﴿لَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا

الَّذِينَ بَيْنَ يَدَيْهِمْ

لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ

﴿لَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٩٦﴾ أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ أَن يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا بَيِّنَاتًا وَهُمْ نَائِمُونَ ﴿٩٧﴾ أَوَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ أَن يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩٨﴾ أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٩٩﴾ أَوَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرْتُونَ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ أَهْلِهَا أَن لَّوْنَشَاءَ أَصَبْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَنَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿١٠٠﴾ تِلْكَ الْقُرَىٰ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبِيَآهَا وَقَدْ جَاءَ نَهُمْ رَسُولُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا مِنْ قَبْلُ كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ الْكَافِرِينَ ﴿١٠١﴾ وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِمْ مِنْ عَهْدٍ وَإِن وَجَدْنَا أَكْثَرَهُمْ لَفٰسِقِينَ ﴿١٠٢﴾ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِم مُّوسَىٰ بِآيَاتِنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَآئِهِ فَظَلَمُوا بِهَا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَتْ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ﴿١٠٣﴾ وَقَالَ مُوسَىٰ يَنْفِرْعَوْنُ إِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٠٤﴾

١٦٣

أخبرهم به، ﴿فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا مِنْ قَبْلُ﴾ فما كانوا ليؤمنوا بما جاءتهم به الرسل بسبب تكذيبهم بالحق أول ما ورد عليهم، ﴿كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ الْكَافِرِينَ﴾ ١٠٢: ﴿وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِمْ﴾ لأكثر الأمم الماضية ﴿مِنْ عَهْدٍ وَإِن وَجَدْنَا أَكْثَرَهُمْ لَفٰسِقِينَ﴾ ولقد وجدنا أكثرهم فاسقين خارجين عن طاعته، والأمثال والعهد الذي أخذه هو ما جعلهم عليه وفطروهم عليه وأخذ عليهم في الأصلاب أنه ربه ومليكهم وأنه لا إله إلا هو ١٠٣: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِم﴾ الرسل المتقدم ذكرهم، ﴿مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا﴾ بحججنا البينة ﴿إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَآئِهِ﴾ إلى ملك مصر في زمن موسى، وقومه ﴿ظَلَمُوا بِهَا﴾ جحدوا وكفروا بها ظلماً منهم وعناداً ﴿فَانظُرْ كَيْفَ كَانَتْ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾ كيف فعلنا بهم وأغرقتهم عن آخرهم ١٠٤: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ يَا فِرْعَوْنُ إِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ﴾ يخبر تعالى عن مناظرة موسى لفرعون وإلحامه إياه بالحجة وإظهاره الآيات البينات بمحضرتة؛ ﴿إِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ﴾ أرسلني الذي هو خالق كل شيء وربّه ومليكه.

الآية: ١٠١ قال ابن كثير: قد قيل في تفسير قوله تعالى ﴿فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا مِنْ قَبْلُ﴾ ما رواه أبو جعفر الرازي عن أبي بن كعب في قوله: ﴿فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا مِنْ قَبْلُ﴾ قال: كان في علمه تعالى يوم أقرأ له بالميثاق. أي فما كانوا ليؤمنوا لعلم الله منهم ذلك. وكذا قال الربيع بن أنس عن أبي بن كعب عن أنس، واختاره ابن جرير. وقال السدي في قوله تعالى ﴿فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا...﴾ من قبل قال: ذلك يوم أخذ منهم الميثاق فآمنوا كرهاً. وقال مجاهد: هذه الآية كقولهم: ﴿لَوْ رَدُّوا لَعَادُوا﴾ الآية. الآية: ١٠٢ جاء في صحيح مسلم أن رسول الله ﷺ قال: يقول الله تعالى ﴿إِنِّي خَلَقْتُ عَبَادِي خِفَاءً فَجَاءَهُم الشَّيَاطِينُ فَاجْتَالَتْهُمْ عَنْ دِينِهِمْ، وَحَرَمْتُ عَلَيْهِمْ مَا حَلَلْتُ لَهُمْ، وَفِي الصَّحِيحِينَ «كُلُّ مَوْلُودٍ يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ، فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدُونَهُ أَوْ يُنَصِّرُونَهُ أَوْ يُمَجْسِئُونَهُ».

حَقِيقٌ عَلَيَّ أَنْ لَا أَقُولَ عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ قَدْ جِئْتُكُمْ
بِبَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿١٠٥﴾ قَالَ إِنْ كُنْتَ
جِئْتَ بِآيَةٍ فَآتِ بِهَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿١٠٦﴾ فَأَلْقَى
عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿١٠٧﴾ وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ
لِلنَّظِيرِينَ ﴿١٠٨﴾ قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَذَا السَّحَرُ
عَلَيْكُمْ ﴿١٠٩﴾ يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِّنْ أَرْضِكُمْ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴿١١٠﴾
قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ ﴿١١١﴾ يَا تَوَكُّ
بِكُلِّ سَاحِرٍ عَلِيمٍ ﴿١١٢﴾ وَجَاءَ السَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوا إِنَّ
لَنَا لَأَجْرًا إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ ﴿١١٣﴾ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ
لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴿١١٤﴾ قَالُوا يَا مُوسَى إِمَّا أَنْ تُلْقَى وَإِمَّا أَنْ
تَكُونَ نَحْنُ الْمُلْقِينَ ﴿١١٥﴾ قَالَ أَلْقُوا فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا
أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرَهُوهُمْ وَجَاءَ وَبِسِحْرِ عَظِيمٍ ﴿١١٦﴾
﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا
يَأْفِكُونَ ﴿١١٧﴾ فَوْقَ الْحَقِّ وَبَطْلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١١٨﴾ فَعَلِبُوا
هُنَالِكَ وَانْقَلَبُوا صَغِيرِينَ ﴿١١٩﴾ وَأَلْقَى السَّحَرَةُ سَجِدِينَ ﴿١٢٠﴾

١٠٥: ﴿حَقِيقٌ عَلَيَّ أَنْ لَا أَقُولَ عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقُّ﴾
الحقُّ ﴿جدير بذلك وحري به، وواجب وحقُّ عليَّ ذلك أن لا أحرر عنه إلا بما هو حقُّ وصدق لما أعلم من الله وعظيم شأنه﴾ ﴿قد جئتكم ببينةٍ من ربكم﴾ بحجة قاطعة من الله دليلاً على صدقي ﴿فأرسل معي بني إسرائيل﴾ أطلقهم من أسرك وقهرك ١٠٦: ﴿قال إن كنت جئت بآية فآت بها إن كنت من الصادقين﴾ قال فرعون: إن كانت معك حجة فأظهرها ليراها إن كنت صادقاً فيما ادعيت ١٠٧: ﴿فألقي عصاه فإذا هي ثعبانٌ مبين﴾ فتحوّلت حيّة عظيمة فاغرة فإها مسرعة إلى فرعون، فلمّا رآها فرعون استغاث بموسى أن يكفها عنه ففعل ١٠٨: ﴿ونزع يده فإذا هي بيضاء للناظرين﴾ أخرج يده من درعه بعدما أدخلها فيه فإذا هي بيضاء تتلألأ، ثم أعادها إلى كفه فعدت إلى لونها الأول ١٠٩: ﴿قال الملأ من قوم فرعون﴾ السادة من قومه الموافقين لقول فرعون بعدما رجع إليه روعه واستقرّ على سريره ﴿إن هذا لساحرٌ عليم﴾، فواقوه وقالوا مقاتله، وتشاوروا في أمره ١١٠: ﴿يريد أن يخرجكم من أرضكم فماذا تأمرون﴾ فلما تشاوروا في شأنه واتصمروا فيه اتفق رأيهم ما حكاه تعالى عنهم: ١١١: ﴿قالوا أرحه﴾ أرحه ﴿وأخاه﴾ [هارون] ﴿وأرسل﴾ ابث ﴿في المدائن﴾ في الأقاليم ومدائن ملكك ﴿حاشرين﴾ من يحشر لك السحرة ١١٢: ﴿يأتوك بكل ساحرٍ عليم﴾ فجمعوا له

السحرة ليعارضوه بنظير ما أراهم من البيّنات ١١٣: ﴿وجاء السحرة فرعون قائلوا إن لنا لأجراً إن كنا نحن الغالبين﴾؟ ١١٤: ﴿قال نعم وإنكم لمن المقربين﴾ وعدهم ومناهم أن يُعطيهما ما أرادوا ويجعلهم من جلسائه ١١٥: ﴿قالوا يا موسى إمّا أن تلقى وإمّا أن نكون نحن الملقين﴾؟ بقلك ١١٦: ﴿قال﴾ موسى ﴿ألقوا﴾ أتمّ أولاً، ﴿فلمّا ألقوا سحروا أعين الناس واسترهبوهم﴾ خيلوا إليه من سحرهم أنّها تسعى ﴿وجاؤا بسحرٍ عظيم﴾ ١١٧: ﴿وأوحينا إلى موسى﴾ في ذلك الموقف العظيم الذي فرّق الله تعالى فيه بين الحق والباطل ﴿أن ألقى عصاك فإذا هي تلقف ما يأفكون﴾ ما يلقونه ويؤمنون أنّه حق وهو باطل ١١٨: ﴿فوقع الحق وبطل ما كانوا يعملون﴾ [أي: ظهر الحق] ١١٩: ﴿فعلبوا هنالك وانقلبوا صاغرين﴾ [أي: انقلب قوم فرعون وفرعون معهم أذلاء مهقورين مغلوبين. فأما السحرة فقد آمنوا] ١٢٠: ﴿وألقى السحرة ساجدين﴾.

الآية: ١٠٨ روى السدي عن ابن عباس قال: ﴿فألقي عصاه﴾ فتحوّلت حيّة عظيمة فاغرة فإها مسرعة إلى فرعون فلمّا رآها فرعون أنها قاصدة إليه اقتحم عن سريره واستغاث بموسى أن يكفها عنه ففعل.

وقال السدي في قوله ﴿فإذا هي ثعبان مبين﴾ الثعبان الذكر من الحيات فاتحة فإها واطعة لحبها الأسفل في الأرض والآخر على سور القصر ثم توجهت نحو فرعون لتأخذه فلمّا رآها ذعر منها ووثب وأحدث ولم يكن قبل ذلك وصاح: يا موسى تحذها وأنا أومن بك وأرسل معك بني إسرائيل فأخذها موسى عليه السلام فعدت عصاً.

الآية: ١٠٩ قال ابن كثير: في قوله ﴿ونزع يده فإذا هي بيضاء للناظرين﴾ أي أخرج يده من درعه بعد ما أدخلها فيه فإذا هي بيضاء تتلألأ من غير برص ولا مرض كما قال تعالى ﴿ووادخل يدك في جيبك تخرج بيضاء من غير سوء﴾ الآية. وقال ابن عباس في حديث الفتون ﴿من غير سوء﴾ يعني من غير برص، ثم أعادها إلى كفه فعدت إلى لونها الأول.

١٢١: ﴿قَالُوا﴾ [أي: السحرة] ﴿أَمَّا
 برب العالمين﴾ ١٢٢: ﴿رب موسى
 وهارون﴾ ١٢٣: ﴿قال فرعون أمتم به
 قبل أن أذن لكم﴾ [إنكار منه عليهم]، ﴿إن
 هذا لكر مكرتموه في المدينة﴾ إن غلبته لكم
 إنما كان عن تشاور منكم ورضاً منكم
 لذلك، ﴿لتخرجوا منها أهلها فسوف
 تعلمون﴾، تهديد لهم ١٢٤: ﴿لأقطعن
 أيديكم وأرجلكم من خلاف﴾ يقطع يد
 الرجل اليمنى ورجله اليسرى أو بالعكس ﴿ثم
 لأصلبنكم أجمعين﴾ على جذوع النخل
 ١٢٥: ﴿قالوا إنا إلى ربنا منقلبون﴾ قد
 تحققنا أننا إليه راجعون، وعذابه أشد من
 عذابك على ما تدعوننا إليه اليوم، فلنصبر اليوم
 على عذابك لنخلص من عذاب الله، ولهذا
 قالوا: ربنا أفرغ علينا صبراً ١٢٦: ﴿وما
 تقم منا إلا أن أمنا بآيات ربنا لما جاءتنا ربنا
 أفرغ علينا صبراً﴾ عتبا بالصر على دينك
 والنيات عليه ﴿وتوفنا مسلمين﴾ متابعين
 لنيك موسى عليه السلام، وقالوا لفرعون:
 ﴿فماقص ما أنت قاض إنما تقضي هذه
 الحياة الدنيا. إنا أمنا بربنا ليغفر لنا خطايانا وما
 أكرهتنا عليه من السحر والله خير وأبقى﴾
 ١٢٧: ﴿وقال الملأ من قوم فرعون﴾ لفرعون
 ﴿أتدثر موسى وقومه﴾ أتدعهم
 ﴿ليُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ﴾ يُفْسِدُوا أَهْلَ رِعْيِكَ،
 ويدعوهم إلى عبادة ربهم دونك، ﴿ويذرك
 وأهلك﴾؟ ﴿قال سنقتل أبناءهم ونستحي
 نساءهم﴾ [أي: لا تخافوا جانهم]، ﴿وانا

قَالُوا أَمَّا رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ١٢١: ﴿رب موسى وهارون﴾ ١٢٢: ﴿قال فرعون أمتم به
 قبل أن أذن لكم﴾ [إنكار منه عليهم]، ﴿إن
 هذا لكر مكرتموه في المدينة﴾ إن غلبته لكم
 إنما كان عن تشاور منكم ورضاً منكم
 لذلك، ﴿لتخرجوا منها أهلها فسوف تعلمون﴾ ١٢٣: ﴿لأقطعن
 أيديكم وأرجلكم من خلاف﴾ يقطع يد
 الرجل اليمنى ورجله اليسرى أو بالعكس ﴿ثم
 لأصلبنكم أجمعين﴾ على جذوع النخل
 ١٢٤: ﴿قالوا إنا إلى ربنا منقلبون﴾ قد
 تحققنا أننا إليه راجعون، وعذابه أشد من
 عذابك على ما تدعوننا إليه اليوم، فلنصبر اليوم
 على عذابك لنخلص من عذاب الله، ولهذا
 قالوا: ربنا أفرغ علينا صبراً ونوفنا مسلمين
 ١٢٥: ﴿وقال الملأ من قوم فرعون أتدثر موسى وقومه ليُفْسِدُوا
 فِي الْأَرْضِ وَيَذْرُكُوا أَبْنَاءَهُمْ وَمَا نَقِمُ مِنْهَا إِلَّا أَنْ آمَنَّا
 بِرَبِّنَا لِمَا جَاءَنَا رَبَّنَا أَفَرغَ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ﴾
 ١٢٦: ﴿وقال الملأ من قوم فرعون أتدثر موسى وقومه ليُفْسِدُوا
 فِي الْأَرْضِ وَيَذْرُكُوا أَبْنَاءَهُمْ وَمَا نَقِمُ مِنْهَا إِلَّا أَنْ آمَنَّا
 بِرَبِّنَا لِمَا جَاءَنَا رَبَّنَا أَفَرغَ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ﴾
 ١٢٧: ﴿قال موسى لفرعون إنما تقضي هذه الحياة الدنيا إنا
 آمنا بربنا ليغفر لنا خطايانا وما أكرهتنا عليه من السحر والله خير
 وأبقى﴾ ١٢٨: ﴿وقال الملأ من قوم فرعون﴾ لفرعون
 ﴿أتدثر موسى وقومه﴾ أتدعهم
 ﴿ليُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ﴾ يُفْسِدُوا أَهْلَ رِعْيِكَ،
 ويدعوهم إلى عبادة ربهم دونك، ﴿ويذرك
 وأهلك﴾؟ ﴿قال سنقتل أبناءهم ونستحي
 نساءهم﴾ [أي: لا تخافوا جانهم]، ﴿وانا

فوقهم قاهرون﴾، [أنسهم بهذا الكلام] ١٢٨: ﴿قال موسى لفرعون استعينا بالله واصبروا إن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين﴾ وعدهم موسى عليه السلام بالعاقبة وأن الدار ستصير لهم ١٢٩: ﴿قالوا أؤذينا من قبل أن تأتينا ومن بعد ما جئنا﴾ قد فعلوا بنا مثل ما رأيت من الهوان والإذلال من قبل ما جئت يا موسى، ومن بعد ذلك، فقال منهم لهم على حالهم الحاضر وما يصيرون إليه في ثاني الحال: ﴿قال عسى ربكم أن يهلك عدوكم﴾ وهذا تخصيص لهم على العزم على الشكر عند حلول النعم وزوال النقم، ﴿ويستخلفكم في الأرض فينظر كيف تعملون﴾ ١٣٠: ﴿ولقد أخذنا آل فرعون بالسنين﴾ امتحانهم وابتليناهم بسني الجوع بسبب قلة الزروع، ﴿ونقص من الثمرات لعلهم يذكرون﴾، [أي: ليتعظوا وترق قلوبهم].

الآية: ١٢١ قول السحرة هذا دليل على صدق إيمانهم بالله تعالى؛ لأنهم يعلمون أن فرعون سيغضب عليهم، فلم يكثرنا بغضبه، لخوفهم من غضب الله تعالى، فكان السحرة في أول الأمر كفرة فجرة، وفي آخره شهداء برة، وهذه أعظم شهادة أن يموت المؤمن في سبيل عقيدته وإيمانه!!

الآية: ١٢٣ روى السدي في تفسيره بإسناده المشهور عن ابن مسعود وابن عباس وغيرهما من الصحابة في قوله تعالى ﴿إن هذا لكر مكرتموه في المدينة﴾ قال: التقى موسى عليه السلام وأمير السحرة فقال له موسى: أرايتك إن غلبت أئمن بي وتشهد أن ما جئت به حق؟ قال الساحر: لأتبن غداً بسحر، والله لن غلبتني لأؤمنن بك ولأشهدن أنك حق وفرعون ينظر إليهما. قالوا: فلماذا قال ما قال، وقوله ﴿لتخرجوا منها أهلها﴾ أي تجتمعوا أتم وهو وتكون لكم دولة وصوله وتخرجوا منها الأكابر والرؤساء وتكون الدولة والتصرف لكم ﴿فسوف تعلمون﴾ أي ما صنع بكم ثم فسّر هذا الوعيد.

فَإِذَا جَاءَتْهُمْ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَذِهِ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَىٰ وَمَنْ مَعَهُ ۗ أَلَا إِنَّمَا طَّيَّرَهُمْ عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣١﴾ وَقَالُوا مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِ مِنْ آيَةٍ لِّتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٣٢﴾ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالْدَّمَ ۗ آيَاتٍ مُّفَصَّلَاتٍ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿١٣٣﴾ وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ قَالُوا يَا مُوسَىٰ ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ لَئِن كَشِفْتَ عَنَّا الرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿١٣٤﴾ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمْ الرِّجْزَ إِلَىٰ أَجَلٍ هُمْ بَالِغُوهُ إِذَا هُمْ يَنْكُثُونَ ﴿١٣٥﴾ فَانقَمْنَا مِنْهُم فَأَعْرَقْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ ﴿١٣٦﴾ وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشْرِقَ الْأَرْضِ وَمِغْرِبَهَا ۗ الَّتِي بَرَكْنَا فِيهَا وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا وَوَدَّ مَرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ ﴿١٣٧﴾

١٣١: ﴿فَإِذَا جَاءَتْهُمْ الْحَسَنَةُ﴾ من الحصب والرزق ﴿قَالُوا لَنَا هَذِهِ﴾ هذا لنا بما نستحقه ﴿وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ﴾ جدبٌ وقحط ﴿يَطَّيَّرُوا بِمُوسَىٰ﴾ [أي: يتشاءموا به] ﴿وَمَنْ مَعَهُ﴾ هذا بسببهم وما جاؤوا به ﴿أَلَا إِنَّمَا طَّيَّرَهُمْ عِنْدَ اللَّهِ﴾ مصائبهم عند الله ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾، [أَن مَا لِحَقَّهِمْ من القحط إنما هو من عند الله بذنوبهم لا من عند موسى وقومه] ١٣٢: ﴿وَقَالُوا مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِ مِنْ آيَةٍ لِّتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ﴾ فلا نقبلها منك ولا نؤمن بك ولا بما جئت به. قال الله تعالى: ١٣٣: ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ﴾ كثرة الأمطار المفرقة المتلفة للزرع والثمار، ﴿وَالْجَرَادَ﴾ كانت تأكل مسامير أبوابهم وتدع الخشب، ﴿وَالْقُمَّلَ﴾ وهو دواب سود صغار، لزمت جلودهم كأنها الجدري عليهم، ﴿وَالضَّفَادِعَ﴾ فملأت البيوت والأطعمة والآنية، فلا يكشف أحد طعاماً إلا وجد فيه الضفادع قد غلبت عليه، ﴿وَالدَّمَ﴾ فصارت مياه آل فرعون دماً لا يستقون من بئر ولا نهر، ولا يفترون من إناء إلا عاد دماً عبيطاً. ﴿آيَاتٍ مُّفَصَّلَاتٍ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُّجْرِمِينَ﴾ ١٣٤: ﴿وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ﴾ [أي: العذاب] ﴿قَالُوا يَا مُوسَىٰ ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ﴾ [أي: بما استودعك من العلم] ﴿لَئِن كَشِفْتَ عَنَّا الرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ﴾ [أي: نصدقك بما جئت به] ﴿وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ [وكانوا يستخدمونهم]

١٣٥: ﴿فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمْ الرِّجْزَ إِلَىٰ أَجَلٍ هُمْ بَالِغُوهُ إِذَا هُمْ يَنْكُثُونَ﴾ [أي: ينقضون ما عقده] ١٣٦: ﴿فَانقَمْنَا مِنْهُم فَأَعْرَقْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ﴾ فلما عتوا وتمردوا مع ابتلائه إياهم بالآيات انتقم منهم بإغراقه إياهم في البحر الذي فرقه لموسى فجاوزه وبنو إسرائيل معه، ثم ورده فرعون وجنوده على أثرهم فلما استكملوا فيه ارتطم عليهم فغرقوا عن آخرهم، ﴿بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ﴾ ١٣٧: ﴿وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمِغْرِبَهَا﴾ أخير تعالى أنه أورث القوم، وهم بنو إسرائيل [الذين كانوا يُستدلون بالخدمة]، ﴿الَّتِي بَرَكْنَا فِيهَا﴾ [أي: بإخراج الزرع والثمار والأنهار]، ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ الْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا﴾ وهي قوله تعالى: ﴿ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمةً ونجعلهم الوارثين﴾. ﴿وَوَدَّ مَرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ﴾، وخرَّبنا ما كان فرعون وقومه يصنعونه من العمارات والمزارع.

الآية: ١٣٣ قال ابن كثير: اختلفوا في معنى قوله تعالى ﴿فأرسلنا عليهم الطوفان﴾ فمن ابن عباس: كثرة الأمطار المفرقة المتلفة للزرع والثمار وفي رواية أخرى عن ابن عباس هي كثرة الموت.

وروى الشافعي وأحمد بن حنبل عن ابن عمر عن النبي ﷺ قال: «أجلت لنا ميتتان ودمان: الحوت والجراد، والكبد والطحال». وروى أبو داود عن سلمان قال سئل رسول الله عن الجراد فقال: «أكثر جنود الله لا آكله ولا حرمه». قال ابن كثير: وأما القمل فعن ابن عباس هو السوس الذي يخرج من الخنطة. وعنه أنه الدبار هو الجراد الصغار الذي لا جناحة له.

١٣٨: ﴿وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ﴾ فأروا من آيات الله وعظم سلطانه ما أروا، ﴿فَأَتَوْا عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَهُمْ﴾ وكانوا من الكنعانيين، ﴿قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ﴾ قال إنكم قوم تجهلون تجهلون عظمة الله وجلاله وما يجب أن يتره عنه من الشريك والمثيل ١٣٩: ﴿إِنَّ هَؤُلَاءِ مُتَّبِعُونَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ هالك ﴿مَا هُمْ فِيهِ وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [أي: وهالك العابد والمعبود، وذاهب مضمحل] ١٤٠: ﴿قَالَ آخِرُ اللَّهِ أَنْبِئِكُمْ إِلَهًا﴾ [أي: أطلب لكم إلها غير الله تعالى؟] ﴿وَهُوَ فَضْلُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ [أي: عالمي زمانكم]، يذكرهم موسى عليه السلام بعم الله عليهم ١٤١: ﴿وَإِذْ نَجَّيْنَاكَ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكَ سُوءَ الْعَذَابِ﴾ من القهر والهوان والذلة، ﴿يَقْتُلُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ﴾ وفي ذلك بلاء من ربكم عظيم ١٤٢: ﴿وَوَاعَدْنَا مُوسَى ثَلَاثِينَ لَيْلَةً﴾ يمتن الله تعالى على بني إسرائيل بما حصل لهم من الهداية بتكليمه موسى عليه السلام وإعطائه التوراة، وأنه تعالى واعد موسى ثلاثين ليلة، فصامها موسى عليه السلام، فلما تم الميقات أمره الله تعالى أن يكمل العشرة أربعين ﴿وَأَقَمْنَاهَا بِعَشْرِ فَمَ مِيقَاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً﴾ فلما عزم موسى على الذهاب إلى الطور استخلف أخاه هارون، ﴿وَقَالَ مُوسَى لِأَخِيهِ هَارُونَ اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ﴾ ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ﴾ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرِ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ نَرِيكَ وَلَكِنْ أَنْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرِنِي فَلَمَّا كَلَّمَنَا رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ﴾

الْحَقِيقَةُ
١٧

وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَهُمْ قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿١٣٨﴾ إِنَّ هَؤُلَاءِ مُتَّبِعُونَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٣٩﴾ قَالَ آخِرُ اللَّهِ أَنْبِئِكُمْ إِلَهًا وَهُوَ فَضْلُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿١٤٠﴾ وَقَالَ آخِرُ اللَّهِ أَنْبِئِكُمْ إِلَهًا [أَي: أَطْلُبْ لَكُمْ إِلَهًا غَيْرَ اللَّهِ تَعَالَى؟] وَهُوَ فَضْلُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ [أَي: عَالَمِي زَمَانِكُمْ]، يَذْكُرُهُمْ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ بِعَمِّ اللَّهِ عَلَيْهِمُ ١٤١: ﴿وَإِذْ نَجَّيْنَاكَ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكَ سُوءَ الْعَذَابِ﴾ مِنَ الْقَهْرِ وَالْهَوَانِ وَالذَّلَّةِ، ﴿يَقْتُلُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ﴾ وَفِي ذَلِكَ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ ١٤٢: ﴿وَوَاعَدْنَا مُوسَى ثَلَاثِينَ لَيْلَةً﴾ يَمْتَنُ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا حَصَلَ لَهُمْ مِنَ الْهُدَايَةِ بِتَكْلِيمِهِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ وَإِعْطَائِهِ التَّوْرَةَ، وَأَنَّهُ تَعَالَى وَاعَدَ مُوسَى ثَلَاثِينَ لَيْلَةً، فَصَامَهَا مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَلَمَّا تَمَّ الْمِيقَاتُ أَمَرَهُ اللَّهُ تَعَالَى أَنْ يَكْمَلَ الْعَشْرَةَ أَرْبَعِينَ ﴿وَأَقَمْنَاهَا بِعَشْرِ فَمَ مِيقَاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً﴾ فَلَمَّا عَزَمَ مُوسَى عَلَى الذَّهَابِ إِلَى الطُّورِ اسْتَخْلَفَ أَخَاهُ هَارُونَ، ﴿وَقَالَ مُوسَى لِأَخِيهِ هَارُونَ اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ﴾ ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ﴾ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرِ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ نَرِيكَ وَلَكِنْ أَنْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرِنِي فَلَمَّا كَلَّمَنَا رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٤٣﴾

﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرِ إِلَيْكَ﴾ سأل الله تعالى أن ينظر إليه ﴿قال لن تراني ولكن انظر إلى الجبل فإن استقر مكانه فسوف تراني﴾ [ضرب له مثلاً وما هو أقوى من بنيتيه وأثبت. أي: فإن ثبت الجبل وسكن فسوف تراني، وإن لم يسكن فإنك لا تطيق رؤيتي؛ كما أن الجبل لا يطيق رؤيتي] ﴿فلما كلمني ربُّه للجبل جعله دكاً وخرَّ موسى صعقاً﴾ جعله تراباً، وخرَّ موسى مغشياً عليه. ﴿فلما أفاق قال سبحانك﴾ تنزهاً وتعظيماً وإجلالاً أن يراه أحد في الدنيا. ﴿تُبْتُ إِلَيْكَ﴾ من أن أسألك الرؤية، ﴿وأنا أول المؤمنين﴾ أنه لا يراك أحد. [قال القرطبي: أجمعت الأمة على أن هذه التوبة ما كانت عن معصية فإن الأنبياء معصومون].

الآية: ١٣٨ روى الإمام أحمد عن أبي واقد الليثي قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ قبل حنين فمررنا بسدرة فقلت: يا بني الله! اجعل لنا ذات أنواط كما لك ذات أنواط، وكان الكفار ينوطون سلاحهم بسدرة ويعكفون حولها فقال النبي ﷺ: «الله أكبر هذا كما قالت بنو إسرائيل لموسى اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة إنكم تكونون سنن من قبلكم».

/ابن كثير ج ٢/٢٤٣

الآية: ١٤٣ روى البخاري في صحيحه عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: جاء رجل من اليهود إلى النبي ﷺ قد لطم وجهه وقال: يا محمد إن رجلاً من أصحابك من الأنصار لطم وجهي قال: «ادعوه» فدعوه قال: «لِمَ لَطَمْتُ وَجْهَهُ؟» قال يارسول الله! إني مررت باليهودي فسمعته يقول: والذي اصطفى موسى على البشر، قال وعلى محمد؟ قال: فقلت وعلى محمد وأخذتني غصبة فطمته، قال: «لا تخزوني من بين الأنبياء فإن الناس يصعقون يوم القيامة فأكون أول من يفيق فإذا أنا بموسى أخذ بقائمة من قوائم العرش فلا أدري أفاق قبلي أم جوزي بصعقة الطور». /ابن كثير ج ٢/٢٤٥

١٤٤: ﴿قَالَ يَا مُوسَى إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى

النَّاسِ بِرِسَالَتِي وَبِكَلِمَتِي فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ يذكر تعالى أنه خاطب موسى بأنه اصطفاه على عالمي زمانه برسالاته وكلامه. ولا شك بأن محمداً صلى الله عليه وآله وسلم سيد ولد آدم، اختصه الله بأن جعله خاتم الأنبياء والمرسلين الذي تستمر شريعته إلى قيام الساعة. وأتباعه أكثر من أتباع الأنبياء كلهم. ﴿وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ على ذلك ولا تطلب ما لا طاقة لك به

١٤٥: ﴿وَكُنْتُمْ لَهُ فِي الْأَلْوَابِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلاً لِكُلِّ شَيْءٍ﴾ موعظة وتفصيلاً لكل شيء. ﴿أَخْبَرَ تَعَالَى أَنَّهُ كَتَبَ -لِمُوسَى- فِي الْأَلْوَابِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَتَفْصِيلاً مِنْ كُلِّ شَيْءٍ، وَأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى كَتَبَ لَهُ فِيهَا أَحْكَاماً مَفْصُلاً مَبِيَّنةً لِلْحَلَالِ وَالْحَرَامِ، وَكَانَتْ هَذِهِ الْأَلْوَابِ مُشْتَمِلةً عَلَى التَّوْرَةِ ﴿فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ﴾ بعزم على الطاعة ﴿وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَا خُذُوا بِأَحْسَنِهَا﴾ [أي: يعملوا بالأوامر، ويتركوا التواهي، ويتدبروا الأمثال والمواعظ]، ﴿سَأُورِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ﴾ سترون عاقبة من خالف أمري، وخرج عن طاعتي كيف يصير إلى الهلاك والدمار

١٤٦: ﴿سَأُصْرَفُ عَنْ آيَاتِي الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾ سأمع فهم الحجج والأدلة الدالة على عظمتي وشريعتي قلوب المتكبرين عن طاعتي، ويتكبرون على الناس بغير حق. ﴿وَإِنْ يَرَوْا كَلِمَةَ الرَّشْدِ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرَّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلاً وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلاً ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ﴾ ﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ ﴿وَأَتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَى مِنْ بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلاً جَسَداً لَهُ خَوَارِ الْمَيْرُورِ أَنَّهُ لَا يَكْلَمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلاً اتَّخَذُوهُ وَكَانُوا ظَالِمِينَ﴾ ﴿وَلَمَّا سَقَطَ فِي أَيْدِيهِمْ وَرَأَوْا أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا قَالُوا لَئِن لَّمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾

١٦٨

يتخذوه سبيلاً﴾ وإن ظهر لهم سبيل الرشd والنجاة لا يسلكوها، وإن ظهر لهم طريق الهلاك والضلال يتخذوه سبيلاً ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ﴾ لا يعملون شيئاً مما فيها ١٤٧: ﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ﴾ من فعل ذلك واستمر عليه إلى الممات حبط عمله. ﴿هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾؟ تجازيهم بحسب أعمالهم التي أسلفوها؛ إن خيراً فخير وإن شراً فشر ١٤٨: ﴿وَأَتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَى مِنْ بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلاً جَسَداً لَهُ خَوَارِ﴾؛ يُخبر تعالى عن ضلال من ضل من بني إسرائيل في عبادتهم العجل الذي اتخذه لهم السامري من حلي القبط، فشكل لهم منه عجلاً ﴿أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لَا يَكْلَمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلاً؟!﴾ ينكر تعالى عليهم في ضلالهم بالعجل وذهوبهم عن خالق السموات والأرض أن عبدوا معه عجلاً لا يكلمهم ولا يرشدهم إلى خير ١٤٩: ﴿وَلَمَّا سَقَطَ فِي أَيْدِيهِمْ﴾ ندموا على ما فعلوا ﴿وَرَأَوْا أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا قَالُوا لَئِن لَّمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ من الهالكين. وهذا اعتراف منهم بذنوبهم والتجاء إلى الله عز وجل.

الآية: ١٤٤ عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ لِرُضَى عَنِ الْعَبْدِ أَنْ يَأْكُلَ الْأَكْلَةَ فِحْمَةً عَلَيْهَا، وَيُشْرِبَ الشَّرْبَةَ فِحْمَةً عَلَيْهَا» الوابل الطيب ورافع الكلم الطيب: لابن قيم الجوزية ص ٢٨٢/.

الآية: ١٤٦ قال ابن كثير: روى سفيان بن عيينة في قوله ﴿سَأُصْرَفُ عَنْ آيَاتِي الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ﴾ قال: أفرغ عنهم فهم القرآن وأصرفهم عن آياتي. قال ابن جرير: وهذا يدل على أنه خطاب لهذه الأمة. قلت (ابن كثير) ليس هذا بلازم لان ابن عيينة إنما أراد أن هذا مطرد في حق كل أمة ولا فرق بين أحد وأحد في هذا والله أعلم.

١٥٠: يُخبر تعالى أن موسى عليه السلام رجع إلى قومه من بعد مناجاة ربه تعالى وهو غضبان أسيف. والأسف: أشتد الغضب. **﴿قال بئسما خلقتوني من بعدي﴾** بئس ما صنعتم في عبادة العجل بعد أن ذهبت وتركتكم **﴿أعجلتم أمر ربكم﴾**؟ استعجلتم مجيئي إليكم؟! **﴿واللقى الألواح وأخذ برأس أخيه يجره إليه﴾** خوفاً أن يكون قد قصر في نهيمهم. وفي آية أخرى: **﴿قال ياهارون ماتمك إذ رأيتهم ضلوا أن لا تتبين أعصيت أمري﴾**؟! **﴿قال ابن أم إن القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني فلا تشمت بي الأعداء ولا تجعلني مع القوم الظالمين﴾** لانسو في سياقهم وتجعلني معهم، وإنما قال: **﴿ابن أم﴾** ليكون أرق وأنجع عنده، وإلا فهو شقيقه لأبيه وأمه. فلما تحقق موسى عليه السلام براءة ساحة هارون عليه السلام **١٥١: ﴿قال رب اغفر لي ولأخي وأدخلنا في رحمتك وأنت أرحم الراحمين﴾**. روى ابن حاتم - بإسناده - أن رسول الله ﷺ قال: «يرحم الله موسى، ليس المعاین كالخبر، أخبره ربه عز وجل أن قومه قُتِلوا بعده، فلم يلق الألواح، فلما رآهم وعابنهم **﴿اللقى الألواح﴾** ١٥٢: أما الغضب الذي نال بني إسرائيل في عبادة العجل فهو أن الله تعالى لم يقبل لهم توبة حتى قتل بعضهم بعضاً. وأما الدلة: فأعقبهم ذلك ذلةً وصغاراً في الحياة الدنيا، **﴿وكذلك نجزي المقتربين﴾**، لكل من اقترى بدعة فإن ذل البدعة ومخالفة الرشاد متصلة

وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُونِي مِنْ بَعْدِي أَعَجَلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ وَأَلْقَى الْأَلْوَحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ قَالَ ابْنَ أُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضَعَفُونِي وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي فَلَا تُشْمِتْ بِيَ الْأَعْدَاءَ وَلَا تَجْعَلَنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿١٥١﴾ قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِأَخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴿١٥٢﴾ إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ سَيئًا لَهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذَلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ ﴿١٥٣﴾ وَالَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ ثُمَّ تَابُوا مِن بَعْدِهَا وَعَمَّنَا إِنَّ رَبَّنَا لَمُبْتَلٍ ﴿١٥٤﴾ وَأَخْبَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا لِّمِيقِنَا فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلِ وَإِنِّي أَهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السَّفَهَاءُ مِنَّا إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَاءُ وَتَهْدِي مَن تَشَاءُ أَنْتَ وَلِيْنَا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ ﴿١٥٥﴾

من قلبه على كتفيه ١٥٣: **﴿والذين عملوا السيئات ثم تابوا من بعدها وآمنوا إن ربك﴾** يا محمد، يا رسول التوبة ونبي الرحمة **﴿من بعدها﴾** من بعد تلك الفعل **﴿لغفور رحيم﴾**. عن علقمة عن عبد الله بن مسعود أنه سئل عن الرجل يزني بالمرأة ثم يتزوجها؟ فتلا هذه الآية ١٥٤: **﴿ولما سكنت عن موسى الغضب﴾** الذي غضبه على قومه **﴿أخذ الألواح﴾** التي ألقاها غيره لله وغضباً له **﴿وفي نسخها﴾** وهي من جوهر الجنة. ولما أخذها بعدما ألقاها وجد فيها **﴿هدى ورحمة للذين هم لربهم يرهون﴾** ١٥٥: كان الله أمره أن يختار من قومه سبعين رجلاً ليدعوا ربهم، قالوا: لن تؤمن لك يا موسى حتى نرى الله جهرة، فإنك قد كلمته فأرناؤه، فأخذتهم الصاعقة فماتوا جميعاً، **﴿فلما أخذتهم الرجفة﴾** الصاعقة، **﴿قال﴾** يدعو الله ويكي **﴿رب لو شئت أهلكتهم من قبل وإني﴾** فأحياهم الله، **﴿أهلكنا بما فعل السفهاء منا﴾**؟! **﴿إن هي إلا فتنتك﴾** ابتلاك واختبارك وامتحانك **﴿تضل بها من تشاء﴾** ولا هادي لمن أضللت **﴿وتهدي من تشاء﴾** ولا مضل لمن هديت **﴿أنت ولينا فاعف لنا وارحمنا وأنت خير الغافرين﴾** لا يغفر الذنوب إلا أنت.

الآية: ١٥١ روى ابن أبي حاتم عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «يرحم الله موسى ليس المعاین كالخبر أخبره ربه عز وجل أن قومه قُتِلوا بعده فلم يلق الألواح، فلما رآهم وعابنهم لقى الألواح».

ابن كثير ج ٢/٢٤٨

الآية: ١٥٣ روى ابن أبي حاتم عن عبد الله بن مسعود أنه سئل عن ذلك يعني عن الرجل يزني بالمرأة ثم يتزوجها فتلا هذه الآية **﴿والذين عملوا السيئات ثم تابوا من بعدها وآمنوا إن ربك من بعدها لغفور رحيم﴾** فتلاها عبد الله عشر مرات فلم يأمرهم بها ولم ينههم عنها.

ابن كثير ج ٢/٢٤٨

﴿وَأَكْتَبَ لَنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ﴾ قَالَ عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مِنْ أَشَاءِ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٦﴾ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْنُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ ۗ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۗ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ ۗ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٨﴾ وَمِنْ قَوْمِ مُوسَىٰ أُمَّةٍ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ ﴿١٥٩﴾

١٥٦: ﴿قَالَ﴾ تعالى مجيباً لقوله: ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ﴾ الآية، ﴿عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مِنْ أَشَاءِ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ أفضل ما أشاء وأحكم ما أريد ولي الحكمة والعدل في كل ذلك سبحانه لا إله إلا هو. ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ آية عظيمة الشمول والعموم. قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ﴿إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ مِائَةَ رَحْمَةٍ فَأَنْزَلَ رَحْمَةً يَتَعَاطَفُ بِهَا الْخَلْقَ جُنُهَا وَإِنْسَهَا وَبَهَائِمَهَا، وَأَخَّرَ عِنْدَهُ تِسْعًا وَتِسْعِينَ رَحْمَةً﴾، الحديث، رواه أحمد وأبو داود. ﴿فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾ سأجعلها للمتقين بهذه الصفات، وهم أمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم الذين يتقون الشرك والعظائم من الذنوب ﴿وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ﴾ زكاة النفوس والأموال [زكاة النفس الطاعة، وزكاة المال الصدقة]، ﴿وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ﴾ يُصَدِّقُونَ ١٥٧: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ﴾ هذه صفة محمد ﷺ في كتب الأنبياء ﴿الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْنُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ﴾. قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لرجل من اليهود ناشر التوراة يقرؤها يعزي بها نفسه عن ابن له في الموت: «أنتنك هذا بالذي أنزل التوراة هل تجد في كتابك هذا صفتي ومخرجي؟» فقال برأسه هكذا -أي: لا- فقال ابنه: أي والذي أنزل التوراة إننا لنجد في كتابنا صفتك ومخرجك، وإني أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أنك رسول الله: فقال: «أقيموا اليهود عن أخيكم» ثم تولى كفتنه

والصلاة عليه. هذا حديث جيد قوي له شاهد في الصحيح. ﴿يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَبِنَهَايِهِ مِنَ الْمُنْكَرِ﴾ هذه هي صفة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ﴿وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ﴾ وَمَا كَانُوا ضَيِّقًا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ ﴿وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ﴾ ما كانوا يستحلونه من المحرمات التي حرمها الله تعالى، ﴿وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ﴾ [أي: أفتال الأعمال] ﴿وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾ كانت عليهم ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ﴾ [أي: أولئك هم المفلحون] في الدنيا والآخرة ١٥٨: ﴿قُلْ﴾ يا محمد ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ﴾ هذا خطاب للعربي والعجمي ﴿إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ وهذا من شرفه وعظمته أنه خاتم النبيين وأنه مبعوث للناس جميعاً. ﴿الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ﴾ إن الذي أرسلني هو خالق كل شيء وربُّه ومليكه الذي بيده الإحياء والإماتة وله الحكم، ﴿فَأَمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ﴾ الذي وعظمت به في الكتب المتقدمة ﴿الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبَعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ إلى الصراط المستقيم ١٥٩: يُخْبِرُ تَعَالَىٰ عَنِ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ يَتَّبِعُونَ الْحَقَّ وَيَعْدِلُونَ بِهِ. كما قال تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا بِمَا نَزَّلْنَا وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ قَالُوا آمَنَّا بِهِ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ﴾ أولئك يؤتون أجرتهم مرتين بما صبروا.

الآية: ١٥٧ روى الإمام أحمد عن أبي صخر العقيلي حدثني رجل من الأعراب قال جلبت حلوية إلى المدينة في حياة رسول الله فلما فرغت من بيعي قلت لأقن هذا الرجل فلاسمن منه قال: فلقاني بين أبي بكر وعمر يمشون فبعتمهم حتى أتوا على رجل من اليهود ناشر التوراة يقرؤها يعزي بها نفسه عن ابن له في الموت كأجمل الفتيان وأحسنها فقال رسول =

١٦٠: ﴿وَقَطَعْنَا مِنْ أَثْنَيْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَّةً﴾ [عَدَدَ سُبْحَانِهِ نَعْمَةً عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ، وَجَعَلْنَاهُمْ أَسْبَاطًا لِيَكُونَ أَمْرٌ كُلُّ سَبِيطٍ مَعْرُوفًا مِنْ جِهَةِ رَأْسِهِمْ، فَيُخَفَى الْأَمْرُ عَلَى مُوسَى، وَفِي التَّنْزِيلِ: ﴿وَوَعَدْنَا مِنْهُمْ اثْنَيْ عَشَرَ نَبِئًا﴾. ﴿أَسْبَاطًا أُمَّةً﴾ الأَسْبَاطُ فِي وَدِدِ إِسْحَاقَ بِنِزْلَةِ الْقَبَائِلِ فِي وَدِدِ إِسْمَاعِيلَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ]. ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى إِذِ اسْتَسْقَاهُ قَوْمُهُ أَنْ يَضْرِبَ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْبَجَسَتْ مِنْهُ اثْنَا عَشْرَةَ عَيْنًا﴾ تَقْدِمُ تَفْسِيرَ هَذَا فِي سُورَةِ الْبَقَرَةِ [عِنْدَ قَوْلِهِ تَعَالَى]: ﴿وَإِذِ اسْتَسْقَى مُوسَى لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَا عَشْرَ عَيْنًا﴾ وَادْكُرُوا نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ فِي إِجَابَتِي لِنَبِيِّكُمْ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ حِينَ اسْتَسْقَانِي لَكُمْ، وَتَيْسِيرِي لَكُمْ الْمَاءَ وَإِخْرَاجِهِ لَكُمْ مِنْ حَجَرٍ يُحْمَلُ مَعَكُمْ، وَتَفْجِيرِي الْمَاءِ لَكُمْ مِنْهُ مِنْ ثِنْتَيْ عَشْرَةِ عَيْنًا، لِكُلِّ سَبِيطٍ مِنْ أَسْبَاطِكُمْ عَيْنٌ قَدْ عَرَفْنَاهَا. ﴿وَأَنْزَلْنَا عَلَيْهِمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى كُلُوا مِنَ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾ فَكُلُوا مِنَ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى وَاشْرَبُوا مِنْ هَذَا الْمَاءِ. ﴿وَمَا ظَلَمْنَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ ١٦١: ﴿وَإِذِ قِيلَ لَهُمْ اسْكُنُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ وَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا حِطَّةٌ وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا نَعْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَتِكُمْ سَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ﴾ ١٦٢: ﴿فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَظْلِمُونَ﴾ ١٦٣: ﴿وَسَأَلْتَهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ كَذَلِكَ نَبْلُوهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ ١٦٤: ﴿فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ﴾ بَدَّلُوا أَمْرَ اللَّهِ لَهُمْ مِنَ الْخُضُوعِ بِالْقَوْلِ وَالْفِعْلِ، بِالْمُخَالَفَةِ وَالْمُعَادَاةِ، وَهَذَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهِمْ بِأَسْمُهُ وَعَذَّبَهُمْ بِمَسْقَمِهِمْ، ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا﴾ عَذَابًا ﴿مِنْ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَظْلِمُونَ﴾ ١٦٣: هَذَا السِّيَاقُ هُوَ بِسَطِّ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ عَلَّمْتُمُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ﴾ الْآيَةَ. ﴿وَإِسَاءَهُمْ﴾ وَاسْأَلَ هؤُلاءِ الْيَهُودَ الَّذِينَ بِمُحَضْرَتِكَ عَنْ قِصَّةِ أَصْحَابِهِمُ الَّذِينَ خَالَفُوا أَمْرَ اللَّهِ فَجَاءَتْهُمْ نِقْمَتُهُ عَلَى صَنِيعِهِمْ وَاحْتِيَالِهِمْ فِي الْمُخَالَفَةِ ﴿إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا﴾ يَعْتَدُونَ فِيهِ وَيُخَالَفُونَ أَمْرَ اللَّهِ فِيهِ [فِي تَحْرِيمِ الصَّيْدِ فِيهِ] وَيَوْمَ سَبْتِهِمْ تَظْهَرُ الْحِيتَانُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ ﴿وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ﴾ تَخْتَفِي عَنْهُمْ فِي الْيَوْمِ الْحَلَالِ لَهُمْ صَيْدُهُ ﴿كَذَلِكَ نَبْلُوهُمْ﴾ نَحْتَرِبُهُمْ بِإِظْهَارِ السَّمَكِ لَهُمْ عَلَى ظَهْرِ الْمَاءِ فِي الْيَوْمِ الْحَرَمِ عَلَيْهِمْ صَيْدُهُ ﴿بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ عَنْ طَاعَةِ اللَّهِ، وَخُرُوجِهِمْ عَنْهَا. وَهؤُلاءِ قَوْمٌ احْتَالُوا عَلَى انْتِهَاكِ مَحَارِمِ اللَّهِ بِمَا تَعَاوَدُوا مِنَ الْأَسْبَابِ الظَّاهِرَةِ الَّتِي فِي مَعْنَاهَا فِي الْبَاطِنِ تَعَاوَدُ الْحَرَامِ. وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «لَا تَرْتَكِبُوا مَا ارْتَكَبَ الْيَهُودُ فَتَسْتَحِلُّوا مَحَارِمَ اللَّهِ بِأَذْنِ الْحَيْلِ». وَإِسْنَادٌ هَذَا حَيْدٌ.

= الله ﷻ: أُنشِدُكَ بِالذِّي أَنْزَلَ التَّوْرَةَ هَلْ تَجِدُ فِي كِتَابِكَ هَذَا صِفَتِي وَمُحَرِّجِي؟ فَقَالَ: بِرَأْسِهِ هَكَذَا أَيْ لَا، فَقَالَ: ابْنَةُ أَيُّ الَّذِي أَنْزَلَ التَّوْرَةَ إِنَّا لَنَجِدُ فِي كِتَابِنَا صِفَتَكَ وَمُحَرِّجَكَ وَإِنِّي أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَشْهَدُ أَنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ فَقَالَ: «أَقِيمُوا الْيَهُودَ عَنْ أَحْيَاكُمْ» ثُمَّ تَوَلَّى كَفَنَهُ وَالصَّلَاةَ عَلَيْهِ. وَهَذَا حَدِيثٌ حَيْدٌ قَوِيٌّ لَهُ شَاهِدٌ فِي الصَّحِيحِ عَنْ أَنَسٍ. /ابن كثير ج ٢/٥١٦/

١٦٤: يُخبر تعالى عن أهل هذه القرية أنهم صاروا إلى ثلاث فرق؛ فرقة ارتكبت المخذور واحتالوا على اصطياد السمك يوم السبت، وفرقة نهت عن ذلك واعتزلتهم، وفرقة سكنت فلم تفعل ولم تنه، ولكنها قالت للمنكرة: ﴿لِمَ تَعْظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مَهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا؟﴾! لِمَ تَنْهَوْنَ هَؤُلَاءِ وَقَدْ اسْتَحَقُّوا الْعُقُوبَةَ؟ قالت لهم المنكرة: ﴿مُعَذِّرَةٌ إِلَى رَبِّكُمْ﴾ فَمَا أَخَذَ عَلَيْنَا مِنَ الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّبِيَّ عَنِ الْمُنْكَرِ ﴿وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ ما هم فيه ويتركونه ويرجعون إلى الله، فإذا تابوا تاب الله عليهم ١٦٥: ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ﴾ فلما أتى الفاعلون قبول النصيحة ﴿أَنْجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعِيسٍ بِيَمِينِهِمْ﴾ بعد العباد الذين ظلموا، ارتكبا المعصية ﴿بِعِدَابِ عِيسٍ﴾، فنص على نجاة الناهين وهلاك الظالمين، وسكت عن الساكين؛ لأنَّ الجزء من جنس العمل ١٦٦: ﴿خَاسِئِينَ﴾ ذليلين حقيرين مهانين ١٦٧: ﴿تَأَذَّنَ﴾ أعلم، وأمر ﴿لِيَتَّبِعْنَ عَلَيْهِمْ﴾ على اليهود ﴿إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ من يسوفهم سوء العذاب بسبب عصيانهم ومخالفتهم شرع الله واحتياهم على الحرام ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ﴾ لمن عصاه وخالف شرعه ﴿وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ لمن تاب إليه وأتاب. وهذا من باب قرآن الرحمة مع العقوبة لتلا محصل اليأس، لتبقى النفوس بين الرجاء والخوف ١٦٨: يذكر تعالى أنه فرقه في الأرض أمماً، أي: طوائف وفرقاً، كما قال: ﴿وَقَلْنَا مِنْ بَعْدِهِ لِنَبِيِّ إِسْرَائِيلَ أَصْحَابِ الْأَرْضِ

وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِنْهُمْ لِمَ تَعْظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مَهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا مَعذْرَةٌ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٦٤﴾ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنْجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعِيسٍ بِيَمِينِهِمْ كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿١٦٥﴾ فَلَمَّا عَتَوْا عَنْ مَا نُهُوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ ﴿١٦٦﴾ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لِيُبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٦٧﴾ وَقَطَعْنَاهُمْ فِي الْأَرْضِ أُمَّامًا مِنْهُمْ الْأَصْلَاحُونَ وَمِنْهُمْ دُونَ ذَلِكَ وَبَلَوْنَاهُمْ بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿١٦٨﴾ فَخَلَفَ مِنْ بَعدِهِمْ خَلْفٌ وَرثُوا الْكِتَابَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الْأَدْفَىٰ وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا وَإِنْ يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِثْلَهُ يَأْخُذُوهُ أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِمْ مِيثَاقُ الْكِتَابِ أَنْ لَا يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ وَدَرَسُوا مَا فِيهِ وَالذَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٦٩﴾ وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ إِنَّا لَا نَضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ ﴿١٧٠﴾

فإذا جاء وعد الآخرة جئنا بكم لقيماً. ﴿وبلوناهم بالحسنات والسيئات﴾ اخترناهم بالرخاء والشدّة والعافية والبلاء ﴿لعلهم يرجعون﴾ ١٦٩: فخلف من بعد ذلك الجيل الذين فيهم الصالح والطالح خلّف آخر لا خير فيهم، وقد ورثوا دراسة التوراة ﴿يأخذون عرض هذا الأدنى﴾ يعترضون عن بذل الحق ونشره بعرض الحياة الدنيا، ﴿ويقولون سيغفر لنا﴾ ويسوفون أنفسهم بالتوبة ﴿وإن يأتيهم عرض مثل ما يأخذوه﴾ لا ينهاتهم عن ذلك، لا يبالون حلالاً كان أو حراماً، ﴿ألم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب أن لا يقولوا على الله إلا الحقّ ودرسوا ما فيه﴾ يقول تعالى منكرأ عليهم صنعهم هذا مع ما أخذ عليهم الميثاق ليعيّن الحق للناس ولا يكتبونه ﴿والذّار الآخرة خير للذين يتقون أفلا تعقلون﴾ أفليس هؤلاء الذين اعتاضوا بعرض الدنيا عمّا عندي عقل يردعهم عمّا هم فيه من السفه [والفسوق]. ثم أتى تعالى على من تمسك بكتابه الذي يقوده إلى اتباع رسوله محمد صلى الله عليه وآله وسلم كما هو مكتوب فيه فقال تعالى: ١٧٠: ﴿والذين يمسكون بالكتاب﴾ اعتصموا به واقتدوا بأمره، وتركوا زواجه ﴿وأقاموا الصلاة﴾

الآية: ١٦٩ قال السدي: في قوله ﴿خلف من بعدهم خلّف﴾ إلى قوله ﴿ودرسوا ما فيه﴾ قال كانت بنو إسرائيل لا يستقنون قاضياً إلا ارتضى في الحكم وإن خيارهم اجتمعوا فأخذ بعضهم على بعض اليهود أن لا يفعلوا ولا يرتشوا فجعل الرجل منهم إذا استقضى ارتضى فيقال له: ما شأنك ترتضى في الحكم؟ فيقول: سيغفر لي، فطمعن عليه البقية الآخرون من بني إسرائيل فيما صنع، فإذا مات أوترع وجعل مكانه رجل ممن كان يطمعن عليه فترتضى، يقول وإن أت الآخرون عرض الدنيا يأخذوه. / ابن كثير ج ٢/ ٢٩٠. روى الإمام أحمد عن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «يقال للرجل من أهل النار يوم القيامة أرايت لو كان لك ما على الأرض من شيء أكتفت مفتدياً به؟ قال: فيقول: نعم، فيقول: قد أردت منك أهون من ذلك، قد أخذت عليك في ظهر آدم أن لا تشرك بي شيئاً فأبيت إلا أن تشرك بي». وأخرجاه في الصحيحين / ابن كثير ج ٢/ ٢٦١.

١٧١: ﴿وَإِذْ نَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ﴾ رفعته الملائكة فوق رؤوسهم، وهو قوله: ﴿وورعنا فوقهم الطور بميثاقهم﴾، ﴿كَانَهُ ظُلَّةً﴾ حتى إذا كان بين رؤوسهم وبين السماء نظروا إلى الجبل خراً كل رجل ساجداً على حاجبه الأيسر، وكذلك كل يهودي يسجد على حاجبه الأيسر ١٧٢: يُخبر تعالى أنه استخرج ذريةً بيّ آدم من أصلابهم شاهدين على أنفسهم أنّ الله ربهم ومليكمم وأنه لا إله إلا هو، كما أنه تعالى فطرهم على ذلك، قال تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾، ثم استنطقهم: أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ؟ قالوا بلى، قال: فإني أشهد عليكم أن تقولوا يوم القيامة لم نعلم بهذا، اعلمو أنه لا إله غيري ولا ربّ غيري، قالوا: نشهد أنك ربنا وإلهنا لا ربّ لنا غيرك، فأقرأوا له يومئذ بالطاعة والتوحيد، ولهذا قال: ﴿أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ لئلا تقولوا يوم القيامة: ﴿إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا﴾ التوحيد ﴿غَافِلِينَ﴾. ﴿أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا﴾ الآية: ١٧٣-١٧٤-١٧٥: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا﴾ الآية، عن ابن مسعود وابن عباس، قال: هو رجل من علماء بني إسرائيل، آتاه الله آياته فتركها، وكان مُجاب الدعوة، بعثه نبي الله موسى إلى ملك مدين يدعو إلى الله، فأطعته وأعطاه، فتبع دينه وترك دين موسى عليه السلام ﴿فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ﴾ استحوذ عليه ﴿فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ﴾ الهالكين البائسين ١٧٦: ﴿وَلَوْ

﴿وَإِذْ نَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ وَظَنُوا أَنَّهُ وَرَاقِعٌ بِهِمْ﴾
 ﴿خَذُوا مَاءً وَاتَّبَعُوا بِقُوَّةٍ وَأَذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تُفْقَهُونَ﴾ (١٧١)
 ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ لَعَلَّهُمْ يُحْذَرُونَ﴾
 ﴿وَأَشْهَدُهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ﴾ (١٧٢) ﴿أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ﴾ (١٧٣) ﴿وَكَذَلِكَ نَفْصَلُ الْآيَاتِ وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ (١٧٤) ﴿وَآتَلَّ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ﴾ (١٧٥) ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلَ عَلَيْهِ يَلْهَثَ أَوْ تَرَكَهُ يَلْهَثَ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصْ الْقِصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (١٧٦) ﴿سَاءَ مَثَلًا الْقَوْمُ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَأَنفُسُهُمْ كَانُوا بِظُلْمٍ﴾ (١٧٧) ﴿مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِي وَمَنْ يُضِلِّ اللَّهُ فَمَا لَهُ مَخْرُجٌ﴾ (١٧٨)

شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا﴾ لرفعناه من التندس عن قاذورات الدنيا بالآيات التي آتيناها إياها ﴿وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ﴾ مال إلى زينة الحياة الدنيا وزهرتها، وأقبل على لذاتها وغرته ﴿وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ﴾ فصار مثله في ضلاله ﴿إِنْ تَحْمِلَ عَلَيْهِ يَلْهَثُ أَوْ تَرَكَهُ يَلْهَثُ﴾ كالكلب في لهيته في حالتيه، وكذلك هذا لا يتفجع بالموعظة والدعوة إلى الإيمان، ولا عدمه، كما قال تعالى: ﴿سِوَاهُ عَلَيْهِمْ أَلَذَّتْهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾، ﴿فَاقْصُصْ الْقِصَصَ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ لعل بني إسرائيل يحذرون أن يكونوا مثله، فإن الله قد أعطاهم علماً وميزهم على من عداهم من الأعراب، وجعل بأيديهم صفة محمد صلى الله عليه وآله وسلم يعرفونها كما يعرفون أبناءهم فهم أحق الناس وأولاهم باتباعه ومناصرتهم ومؤازرتهم، ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ ١٧٧: ﴿سَاءَ مَثَلًا الْقَوْمُ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾ ساء مثلهم أن شُهِبُوا بالكلاب التي لا همة لها إلا في تحصيل أكلة أو شوية، ﴿وَأَنفُسُهُمْ كَانُوا بِظُلْمٍ﴾ ١٧٨: يقول تعالى: من هداه الله فإنه لا مُضِلَّ له، ومن أضله فقد خاب وخسر، وضلَّ لا محالة، فإنه تعالى ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن.

الآية: ١٧٥: روى الحافظ أبو يعلى أن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن مما أخاف عليكم رجل قرأ القرآن حتى إذا رُويت بهجته عليه وكان رداؤه الإسلام اعتراه إلى ما شاء الله أنسلخ منه ونبذه وراء ظهره وسعى على جاره بالسيف ورماه بالشرك» قال قلت: يا نبي الله أيهما أولى بالشرك المرمي أو الرامي؟ فقال: «بل الرامي». هذا إسناد جيد. / ابن كثير ج ٢٦٥/٢.

الآية: ١٧٨: قال ابن كثير: يقول تعالى من هداه الله فإنه لا مضل له ومن أضله فقد خاب وخسر وضلَّ لا محالة، فإنه تعالى ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن. ولهذا جاء في حديث ابن مسعود: (إن الحمد لله حمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله) رواه الإمام أحمد / ابن كثير ج ٢٦٧/٢.

وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ
لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ
بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴿١٧٦﴾
وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذُرُوا الَّذِينَ يَلْحَدُونَ فِي
أَسْمَائِهِ سَيُجْرَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٧٧﴾ وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةً
يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ ﴿١٧٨﴾ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا
سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٧٩﴾ وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ
كَيْدِي مَتِينٌ ﴿١٨٠﴾ أَوْلَمْ يَنْفَكِرُوا مَا بَصَّحْتَهُمْ مِنْ جَنَّةٍ إِنَّ
هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿١٨١﴾ أَوْلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ وَأَنْ عَسَىٰ أَنْ يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ
أَجَلُهُمْ فَإِذَا يَأْتِي حَدِيثٌ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ ﴿١٨٢﴾ مَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَلا
هَادِيَ لَهُ وَيَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١٨٣﴾ يَسْتَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ
أَيَّانَ مَرُّسِنهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجَلِّبُهَا لَوْ قَهَا إِلَّا هُوَ نَقَلَتْ
فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمُ الْإِبْغَثَةُ يُسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ
عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِن أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٤﴾

١٧٦: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ﴾ خلقنا وجعلنا
لجهنم ﴿كثيراً من الجن والإنس﴾ ميثانهم
لها ويعمل أهلها يعملون ﴿لهم قلوب
لا يفقهون بها وهم أعمى لا يبصرون بها وهم
أذان لا يسمعون بها﴾، ليس يتفهمون بشيء
من هذه الجوارح التي جعلها الله سبيلاً للهداية،
﴿أولئك كالأنعام﴾ التي لا تتفهم بهذه
الحواس منها إلا في الذي يقينها في ظاهر
الحياة الدنيا ﴿بل هم أضل﴾ من الدواب
﴿أولئك هم الغافلون﴾ ١٨٠: قال رسول
الله صلى الله عليه وآله وسلم: ﴿إن الله تسعاً
وتسعين اسماً، مائة إلا واحداً، من أحصاها
[أي: عدّها وحفظها] دخل الجنة، وهو وثق
يُحبُّ الوتر﴾، أخرجه في الصحيحين.
والحادّ الملحدين أن دعوا الآلات في أسماء الله.
يُشركون في أسمائه. والإلحاد: التكذيب
١٨١: ﴿وممن خلقنا﴾ بعض الأمم ﴿أمة﴾
قائمة بالحق فولاً وعملاً ﴿يهدون بالحق﴾
يقولونه ويدعون إليه ﴿وبه يعدلون﴾ يعملون
ويقضون. والمراد بهذه الأمة: هي هذه الأمة
المحمدية ١٨٢: إنه يفتح لهم أبواب الرزق
ووجوه المعاش في الدنيا حتى يغتروا بما هم فيه
ويعتقدوا أنهم على شيء قادرون، كما قال
تعالى: ﴿أخذناهم بغيّة فاذا هم مبلسون﴾
١٨٣: ﴿وأُملي لهم﴾ أطول لهم ما هم فيه
﴿إن كيدي متين﴾ قويّ شديد ١٨٤:
﴿أولم ينفكروا﴾ هؤلاء المكذبون بآياتنا
﴿وما بصاحبتهم﴾ محمداً صلى الله عليه وآله
وسلم ﴿من جنّة﴾ ليس به جنون بل هو

الآية: ١٨٧ روى مسلم في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه يبلغ به النبي ﷺ قال: «تقوم الساعة والرجل يجلب لفتحته فما يصل الإناء إلى فيه حتى تقوم الساعة والرجلان يتابعان الثوب فما يتابعانه حتى تقوم الساعة والرجل يلوط حوضه فما يصدر حتى تقوم».

قال ابن عباس لما سأل الناس النبي ﷺ عن الساعة سأله سؤال قوم كأنهم يرون أن محمداً حفيٌّ بهم فأوحى الله إليه إنما علمها عنده استأثر به فلم يطلع الله عليها ملكاً مقرباً =

إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ﴾، أمره الله تعالى أن يفوض الأمور إليه، وأن يُخبر عن نفسه أنه لا يعلم الغيب، ولا اطلاع له على شيء من ذلك إلا بما أطلعه الله عليه. ﴿ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير﴾ لعلمك عملاً صالحاً

[أكثر مما أنا عليه] يُرشد غيره إلى الاستعداد. ﴿وما مسني السوء﴾ ولا جنبت ما يكون من الشر قبل أن يكون واقعه. ثم أخبر أنه إنما هو نذير من العذاب، وبشير

للمؤمنين بالجنات ١٨٩: ﴿هو الذي خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها ليسكن إليها﴾؛ بنية تعالى على أنه خلق جميع الناس من آدم عليه السلام، وأنه خلق منه

زوجته حواء، ثم انتشر الناس منها. ﴿وجعل منها زوجها ليسكن إليها﴾ ليألفها ويسكن بها. ﴿فلما تغشاهما﴾ وطئها ﴿حملت حملاً خفيفاً فمرت به﴾ استمرت بحمله [حتى]

استبان حملها ﴿فلما أثقلت﴾ صارت ذات ثقلر بحملها ﴿دعوا الله ربهما لئن آتينا صالحاً﴾ بشراً سوياً ﴿لنكونن من الشاكرين﴾ ١٩٠: ﴿فلما آتاها صالحاً

جعل له شركاء فيما آتاها﴾ هم اليهود والنصارى، رزقهم الله أولاداً فهدؤا ونصروا. وليس المراد من هذا السياق آدم وحواء، وإنما

المراد من ذلك المشركون من ذريتهما ولهذا قال الله تعالى: ﴿فعالي الله عما يشركون﴾، وذكر آدم وحواء أولاً كالتوطئة لما بعدها من الولدتين، وهو الاستطراد من ذكر الشخص

إلى الجنس ١٩١: ﴿أيشركون ما لا يخلق شيئاً وهم يخلقون﴾؟! هذا إنكار من الله على المشركين الذين عبدوا مع الله غيره من الأنداد والأصنام وهي مخلوقة مصنوعة لا تملك شيئاً ولا تضر ولا تنفع، فمن هذه صفته وحاله كيف يُعبد؟ ١٩٢: ﴿ولا يستطيعون نصرأ﴾ لعابدهم ﴿ولا أنفسهم ينصرون﴾، كما كان الخليل عليه الصلاة والسلام يكسر أصنام قومه ١٩٣: ﴿وإن تدعوهم إلى الهدى لا يبعثوكم﴾

الآية. هذه الأصنام لا تسمع دعاء من دعاها، وسواءً لديها من دعاها ومن دعاها ١٩٤: ﴿إن الذين تدعون من دون الله عباداً أمثالكم فادعوهم فليستجيبوا لكم﴾؟! [حاجتهم في عبادة الأصنام: إن الأصنام مخلوقة أمثالكم، فاطلبوا منهم النفع ﴿فليستجيبوا لكم﴾ إن كنتم صادقين﴾، ثم وبخهم الله تعالى وسفّه عقولهم فقال: [١٩٥: ﴿بين لهم أنهم أفضل منهم فكيف يعبدونهم؟! والغرض بيان جهلهم﴾، ﴿قل ادعوا شركاءكم﴾ استنصروا بها على فلا تؤخروني طرفة عين، واجهدوا جهدم.

قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ

أَعْلَمُ الْغَيْبِ لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ

أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١٨٨﴾ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ

مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا فَلَمَّا

تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمَلًا خَفِيفًا فَمَرَّتَ بِهِ فَلَمَّا أَثْقَلَتْ دَعَوَا

اللَّهِ رَبَّهُمَا لَئِن آتَيْنَا صَلَاحًا لَّنَكُوننَ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴿١٨٩﴾

فَلَمَّا آتَاهُمَا صَلَاحًا جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا فَتَعَالَى

اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٩٠﴾ أَيشِرْكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ

﴿١٩١﴾ وَلَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرًا وَلَا أَنفُسَهُمْ يَنْصُرُونَ ﴿١٩٢﴾

وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَى لَا يَتَّبِعُوكُمْ سِوَاءَ عَلَيْهِمُ أَدْعَاؤُهُمْ

أَمْ أَنتم صَاحِبُونَ ﴿١٩٣﴾ إِنْ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ

عِبَادٌ أَمْثَلُكُمْ فَادْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا لَكُمْ إِنْ

كُنتم صَادِقِينَ ﴿١٩٤﴾ أَلهم أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَا أَمْ لَهُم أَيْدٍ

يَبْطِشُونَ بِهَا أَمْ لَهُم أَعْيُنٌ يَّبْصُرُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ آذَانٌ

يَسْمَعُونَ بِهَا قُلِ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ كِيدُون فَلا تُنظَرُونَ ﴿١٩٥﴾

إلى الجنس ١٩١: ﴿أيشركون ما لا يخلق شيئاً وهم يخلقون﴾؟! هذا إنكار من الله على المشركين الذين عبدوا مع الله غيره من الأنداد والأصنام وهي مخلوقة مصنوعة لا تملك شيئاً ولا تضر ولا تنفع، فمن هذه صفته وحاله كيف يُعبد؟ ١٩٢: ﴿ولا يستطيعون نصرأ﴾ لعابدهم ﴿ولا أنفسهم ينصرون﴾، كما كان الخليل عليه الصلاة والسلام يكسر أصنام قومه ١٩٣: ﴿وإن تدعوهم إلى الهدى لا يبعثوكم﴾ الآية. هذه الأصنام لا تسمع دعاء من دعاها، وسواءً لديها من دعاها ومن دعاها ١٩٤: ﴿إن الذين تدعون من دون الله عباداً أمثالكم فادعوهم فليستجيبوا لكم﴾؟! [حاجتهم في عبادة الأصنام: إن الأصنام مخلوقة أمثالكم، فاطلبوا منهم النفع ﴿فليستجيبوا لكم﴾ إن كنتم صادقين﴾، ثم وبخهم الله تعالى وسفّه عقولهم فقال: [١٩٥: ﴿بين لهم أنهم أفضل منهم فكيف يعبدونهم؟! والغرض بيان جهلهم﴾، ﴿قل ادعوا شركاءكم﴾ استنصروا بها على فلا تؤخروني طرفة عين، واجهدوا جهدم.

الآية: ١٩١ قال ابن كثير: هذا إنكار من الله على المشركين الذين عبدوا مع الله غيره من الأنداد والأصنام والأوثان وهي مخلوقة لله مبروبة مصنوعة لا تملك شيئاً من الأمر ولا تضر ولا تنفع ولا تنصير لعابدها بل هي جماد لا تحرك ولا تسمع ولا تبصر وعابدها أعمل منها بمعهم وبصرهم وبعطشهم ولهذا قال: ﴿أيشركون ما لا يخلق شيئاً وهم يخلقون﴾ أي أشركون به من المعبودات ما لا يخلق شيئاً ولا يستطيع ذلك كقوله تعالى ﴿يا أيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له إن الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذباباً ولو اجتمعوا له وإن يسلبهم الذباب شيئاً لا يستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب ما قدروا الله حق قدره إن الله لقوي عزيز﴾ / تفسير ابن كثير ج ٢٧١/٢ .

١٩٦: اللهُ حَسْبِي وَكَافِيي، وَهُوَ نَصِيرِي وَعَلَيْهِ مَتَكَلِّي وَإِلَيْهِ الْجَأُ، وَهُوَ وَلِيُّ كُلِّ صَالِحٍ بَعْدِي ١٩٧: ﴿وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ﴾ إِلَى آخِرِ الْآيَةِ مُؤَكَّدٌ لِمَا تَقْدَمُ إِلَّا أَنَّهُ بَصِيغَةُ الْخُطَابِ وَذَلِكَ بَصِيغَةُ الْغَيْبَةِ، وَلِهَذَا قَالَ: ﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَكُمْ وَلَا أَنفُسَهُمْ يَبْصُرُونَ﴾ ١٩٨: ﴿وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَى لَا يَسْمَعُوا﴾ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دَعْوَاكُمْ﴾، وَتَرَاهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ وَيُقَابِلُونَكَ بِعُيُونٍ مَصُورَةٍ كَأَنَّهَا نَازِلَةٌ وَهِيَ حِمَامٌ، وَلِهَذَا عَامِلُهُمْ مَعَامَلَةٌ مِنْ يَعْقِلُ لِأَنَّهَا عَلَى صُورَةِ الْإِنْسَانِ ﴿وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾ ١٩٩: أَمْرُهُ سُبْحَانَهُ بِالْعَفْوِ وَالصَّفْحِ عَنِ الْمُشْرِكِينَ عَشْرَ سِنِينَ، ثُمَّ أَمْرُهُ بِالغَلْظَةِ عَلَيْهِمْ. ﴿وَأَمْرٌ بِالْعُرْفِ﴾ بِالْمَعْرُوفِ، وَيَدْخُلُ فِي ذَلِكَ جَمِيعُ الطَّاعَاتِ، ﴿وَأَعْرَضَ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ هَذَا وَإِنْ كَانَ أَمْرًا لِنَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فَإِنَّهُ تَأْدِيبٌ لِحَلْفِهِ بِاحْتِمَالِ مَنْ ظَلَمَهُمْ وَاعْتَدَى عَلَيْهِمْ، لَا بِالْإِعْرَاضِ عَمَّنْ جَهِلَ الْحَقُّ ٢٠٠: وَفِي حَدِيثِ الرَّجُلَيْنِ اللَّذَيْنِ تَسَابَا بِحِضْرَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فَغَضِبَ أَحَدُهُمَا حَتَّى جَعَلَ أَنْفَهُ يَتَمَرَّغُ غَضِبًا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «إِنِّي لَأَعْلَمُ كَلِمَةً لَوْ قَالَهَا لَذَهَبَ عَنْهُ مَا يَجِدُ: أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ». ﴿وَأَمَّا يَنْزِعُكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْعٌ﴾ وَإِنَّمَا يَغْضِبُكَ مِنَ الشَّيْطَانِ غَضَبٌ ﴿فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ﴾ فَاسْتَجِرْ بِاللَّهِ ٢٠١: يُخْبِرُ تَعَالَى عَنِ

إِنَّ وَلِيََّ اللَّهُ الَّذِي نَزَلَ الْكِتَابُ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ ﴿١٩٦﴾
وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَكُمْ وَلَا أَنفُسَهُمْ يَبْصُرُونَ ﴿١٩٧﴾ وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَى لَا يَسْمَعُوا وَتَرْتَابُهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴿١٩٨﴾ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴿١٩٩﴾ وَإِنَّمَا يَنْزِعُكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْعٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٠٠﴾ إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَافٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ ﴿٢٠١﴾ وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّوهُمْ فِي الْغَيِّ ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ ﴿٢٠٢﴾ وَإِذْ أَلَمَ تَأْتِيهِمْ بَأْسًا قَالُوا لَوْلَا آجْتَبَيْتَهَا قُلْ إِنَّمَا أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ مِنْ رَبِّي هَذَا بَصَائِرٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٢٠٣﴾ وَإِذْ أُنزِلَتِ الْقُرْآنُ فَأَسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصَتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٢٠٤﴾ وَأَذْكُرُ تِلْكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ ﴿٢٠٥﴾ إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَبِشِرُونَ بِأَنَّهُمْ يُسْجَدُونَ ﴿٢٠٦﴾

التقنين من عباده المؤمنين الذين أطاعوه وتركوا ما زجر عنه أنهم إذا أصابهم طَافٌ مِنَ الشَّيْطَانِ مِنَ الْغَضَبِ أَوْ الصَّرْعِ أَوْ بِالْهَمِّ بِالذَّنْبِ وَإِصَابَتِهِ ﴿تَذَكَّرُوا﴾ عَقَابَهُ لِمَنْ عَصَاهُ وَثَوَابَهُ لِمَنْ اتَّقَاهُ؛ فَتَابُوا ﴿فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ﴾ قَدْ اسْتَقَامُوا وَصَحُّوا تَمَّا كَانُوا فِيهِ ٢٠٢: وَإِخْوَانُ الشَّيْطَانِ مِنَ الْجَنِّ وَالْإِنْسِ يَسَاعِدُونَهُمْ عَلَى الْمَعَاصِي ﴿ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ﴾ عَمَّا يَعْمَلُونَ، وَلَا يَسْتَعِينُونَ عَلَيْهِمْ ٢٠٣: لَوْلَا اقْتَضَيْتَهَا وَأَخْرَجْتَهَا مِنْ نَفْسِكَ؟! ﴿قُلْ إِنَّمَا أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ مِنْ رَبِّي﴾ لَا أَتَقَدَّمُ إِلَيْهِ تَعَالَى فِي شَيْءٍ، وَإِنَّمَا أَتَّبِعُ مَا أَمَرَنِي بِهِ فَامْتثل وَخِيفَةٌ، ﴿هَذَا بَصَائِرٌ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ الْآيَةُ؛ أَرَشَدُهُمْ أَنَّ هَذَا الْقُرْآنَ هُوَ أَكْبَرُ الْمَعْجَزَاتِ وَأَبِينِ الدَّلَالَاتِ وَأَصْدَقِ الْحُجُجِ وَالْبَيِّنَاتِ ٢٠٤: أَمْرٌ تَعَالَى بِالْإِنْصَاتِ عِنْدَ تِلَاوَةِ الْقُرْآنِ إِعْظَامًا لَهُ وَاحْتِرَامًا. رَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَنْ اسْتَمَعَ إِلَى آيَةٍ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ كَتَبَتْ لَهُ حَسَنَةً مِثْلَ مَا تَلَاهَا كَانَتْ لَهُ نُورًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ» ٢٠٥: يَأْمُرُ تَعَالَى بِذِكْرِهِ أَوَّلَ النَّهَارِ وَأَخْرَجَهُ كَثِيرًا. ﴿تَضَرُّعًا وَخِيفَةً﴾ إِذْ ذَكَرَ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ رَغْبَةً وَرَهْبَةً، ﴿وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ﴾ هَكَذَا يُسْتَحَبُّ أَنْ يَكُونَ الذِّكْرُ، لَا يَكُونُ نِدَاءً وَجَهْرًا بِلِغَا. ﴿وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ﴾ فِيهِ الْحِضْرُ عَلَى كَثْرَةِ الذِّكْرِ لِمَا يَكُونُ مِنَ الْغَافِلِينَ ٢٠٦: مَدْحُ الْمَلَائِكَةِ، وَذِكْرُهُمْ بِهَذَا يُقْتَدَى بِهِمْ فِي كَثْرَةِ طَاعَتِهِمْ وَعِبَادَتِهِمْ. وَهَذِهِ أَوَّلُ سُجْدَةٍ فِي الْقُرْآنِ.

الآية: ١٩٩: روى ابن جرير ابن أبي حاتم عن أبي قال: لما أنزل الله عز وجل على نبيه ﷺ ﴿خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلین﴾ قال رسول الله ﷺ: «ما هذا يا جبريل؟»، قال: «إن الله أمرك أن تعفو عمن ظلمك وتعطي من حرمك وتصل من قطعك». وروى الإمام أحمد عن عتبة بن عامر رضي الله عنه قال لقيت رسول الله ﷺ فابتدأته فأخذت بيده فقلت: يا رسول الله أخبرني بفواضل الأعمال فقال: «ما عتبة صل من قطعك وأعطي من حرمك وأعرض عمن ظلمك». وروى الترمذي نحوه / ابن كثير ج ٢/ ٢٧٧.

قال ابن عباس: سورة الأنفال نزلت في بدر.
 ١: الأنفال: الغنائم كانت لرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ خالصة ليس لأحدٍ منها شيء. فقسّمها يوم بدر على ما أَرَاهُ اللَّهُ من غير أن يُخَمِّسَهَا. ثم نزلت بعد ذلك آيةُ الخُمُسِ فنسخت الأولى. ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ في أموركم ﴿وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ﴾ فلا تظالموا ولا تخاصموا ولا تشاجروا ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ إن كنتم مؤمنين ﴿في قسّمه بينكم على ما أَرَادَهُ اللَّهُ، فَإِنَّهُ إِنَّمَا يَقْسِمُهُ كَمَا أَمَرَهُ اللَّهُ من العدل والإنصاف ٢: هو الرجل يريد أن يظلم أو يظلمه بمعضية فيقال له: اتق الله، فيجعل قلبه، ويخاف منه. فإذا وجدت [أيها المؤمن] ذلك فادع الله عند ذلك فَإِنَّ الدَّعَاءَ يذهب ذلك [فيجعله مطمئناً بذكر الله]. ﴿وعلى ربهم يتوكلون﴾ فلا يرجون سواه ولا يقصدون إلا آيائه، ولا يلوذون إلا ببجائه ٣: يُبْنِيهِ تعالى بذلك على أعمالهم بعدما ذكر اعتقادهم، وهذه الأعمال تشمل أنواع الخير كلها. وإقامة الصلاة والمحافظة عليها، والإنفاق يشمل إخراج الزكاة وسائر الحقوق. [أنفق يا ابن آدم] فإنما هذه الأموال عواري وودائع عندك ٤: المتصفون بهذه الصفات هم المؤمنون حقّ الإيمان. ﴿لهم درجات عند ربهم﴾ منازل ومقامات، ودرجات في الجنات. ﴿ومغفرة﴾ يغفر لهم السيئات ويشكرهم الحسنات ﴿ورزق كريم﴾ [وهو

الجزء ١٨

سورة الأنفال

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَسْتَلُونَكَ عَنِ الْإِنْفَالِ قُلِ الْإِنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١﴾ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّت قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴿٣﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِن بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِن فَرَيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكُرِهُونَ ﴿٥﴾ يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ ﴿٦﴾ وَإِذِ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدَّدُونَ أَنْ لَا يَكُونَ لَكُمْ مَوَدَّةٌ وَلَٰكِن لَّئِنْ لَّمْ يَرَوْا آيَاتَ اللَّهِ أَنْ يَأْتِيَهُمُ الْغَنَاءُ لَيَبْغِينَ عَلَيْكُمُ الْغَنَاءَ وَيَكُونُوا عَلَيْكُمُ الْكَاذِبِينَ ﴿٧﴾ لِيُحِقَّ الْحَقُّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ ﴿٨﴾

نعم الجنة ٥: كما أنكم اختلفتم في المغائم فانتزعتها الله منكم وجعلها إلى رسوله صلى الله عليه وآله وسلم وقسمها على العدل؛ فكان هذا هو المصلحة كذلك لما كرهتم الخروج إلى الأعداء، فكان عاقبة كراهتكم للقتال بأن قدره لكم رُشدًا وهدى ونصراً وفتحاً ٦: هذا خير عن المؤمنين ﴿يجادلونك في الحق﴾ كراهية للقاء المشركين وإنكاراً لمسير قريش من ﴿بعد ما تبين﴾ لهم الحق إنك لا تفعل إلا ما أمرك الله به ﴿كأنما يساقون إلى الموت﴾ هؤلاء المشركون يساقون إلى الموت [في بدر] ﴿وهم ينظرون﴾ هو يريد أن يجمع بينكم وبين الطائفة التي لها الشوكة والقتال ليظفركم بهم وينصركم عليهم، ويظهر دينه ويرفع كلمة الإسلام؛ وأنتم تُحِبُّونَ أَنْ لَا يَكُونَ قِتَالٌ، كقولته تعالى: ﴿كَيْبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ﴾ ٨: ﴿ليحق الحق ويبطل الباطل ولو كره المجرمون﴾.

الآية: ١ روى ابن المبارك عن عطاء بن أبي رباح في الآية ﴿يسألونك عن الأنفال﴾ قال يسألونك فيما شذب من المشركين إلى المسلمين في غير قتال من دابة أو عيد أو أمة أو متاع فهو نفل للبي صلى الله عليه وسلم يصنع به ما يشاء، وهذا يقضي أنه فسر الأنفال بالفيء وهو ما أخذ من الكفار من غير قتال. وروى ابن جرير هي أنفال السرايا. أو هي الزيادة على القسم من الغنائم.

الآية: ٥ روى الإمام أبو جعفر الطبري اختلف المفسرون في السبب الجالب لهذه الكلف في قوله ﴿كما أخرجك ربك﴾ فقال بعضهم شبه به في الصلاح للمؤمنين اتقاؤهم بهم وإصلاحهم ذات بينهم وطاعتهم لله ورسوله، ومعنى هذا أن الله تعالى يقول كما أنكم لما اختلفتم في الغنائم وتشاحتم فيها فانتزعتها الله منكم وجعلها إلى قسمة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقسّمها على العدل والتسوية فكان هذا هو المصلحة التامة لكم، وكذلك لما كرهتم الخروج إلى الأعداء من قتال ذات الشوكة وهم التغير الذين خرجوا لنصر دينهم وإحراز عيهم فكان عاقبة كراهتكم للقتال بأن قدره لكم وجمع به بينكم وبين عدوكم على غير ميعاد رُشدًا وهدى ونصراً وفتحاً. كما قال تعالى: ﴿كَيْبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ﴾.

إِذْ سَتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِالْفِ
 مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرَدِّفِينَ ﴿٩﴾ وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَى
 وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ
 عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾ إِذْ يُغَشِّيكُمُ النَّعَاسَ أَمَنَةً مِنْهُ وَيُنزِلُ
 عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً يُطَهِّرُكُمْ بِهِ وَيُذْهِبَ عَنْكُمْ رِجْسَ
 الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ ﴿١١﴾
 إِذْ يُوحَىٰ رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا
 سَأَلْتِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَأَصْرَبُوا فَوْقَ
 الْأَعْنَاقِ وَأَصْرَبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴿١٢﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ
 شَاقُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَنْ يُشَاقِقِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ اللَّهَ
 شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿١٣﴾ ذَلِكَ فَذُوقُوا وَآتٍ لِلْكَافِرِينَ
 عَذَابَ النَّارِ ﴿١٤﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قَيْمْتُمْ الَّذِينَ
 كَفَرُوا زَحَفًا فَلَا تُولُوهُمُ الْأَدْبَارَ ﴿١٥﴾ وَمَنْ يُؤَلِّهْهُمُ يَوْمَئِذٍ
 دَبْرَهُمْ إِلَّا مَتَحَرِّفًا لِّقُنَالٍ أَوْ مَتَحَيِّرًا إِلَىٰ فِتْنَةٍ فَقَدْ بَاءَ
 بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَمَا وَنَهُ جَهَنَّمُ وَيَبْسُ الْمَصِيرُ ﴿١٦﴾

٩: لما كان يوم بدر نظر النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى أصحابه وهم ثلاثمائة ونيف ونظر إلى المشركين فإذا هم ألف وزيادة فاستقبل القبلة، فما زال يستغيثُ رَبَّهُ ويدعوه حتى أنزل الله عز وجل: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِالْفِ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرَدِّفِينَ﴾ متتابعين نجدة لكم ١٠: وما جعل الله بعث الملائكة وإعلامه إياكم بهم إِلَّا بُشْرَى ﴿وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ له العزة ولرسوله، حكيم فيما شرعه من قتال الكفار مع القدرة على دمارهم بحوله وقوته سبحانه وتعالى ١١: يُذَكِّرُهُمُ اللَّهُ تَعَالَىٰ بِمَا أَنْعَمَ بِهِ عَلَيْهِمْ مِنْ إِفْقَاهِ النَّعَاسِ أَمَانًا أَنَّهُمْ بِهِ مِنْ خَوْفِهِمْ الَّذِي حَصَلَ لَهُمْ مِنْ كَثْرَةِ عَدُوِّهِمْ وَقَلَّةِ عَدَدِهِمْ. وَالنَّعَاسُ فِي الْقِتَالِ أَمَنَةٌ مِنَ اللَّهِ، وَفِي الصَّلَاةِ مِنَ الشَّيْطَانِ. ﴿وَيُنزِلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً يُطَهِّرُكُمْ بِهِ﴾ مِنَ الْحَدَثِ الْأَصْغَرِ وَالْأَكْبَرِ، وَهُوَ تَطْهِيرُ الظَّاهِرِ، ﴿وَيُذْهِبَ عَنْكُمْ رِجْسَ الشَّيْطَانِ﴾ مِنْ وَسْوَسَةٍ أَوْ خَاطِرٍ سَيِّئٍ، وَهُوَ تَطْهِيرُ الْبَاطِنِ ﴿وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ﴾ بِالصَّبْرِ وَالشَّجَاعَةِ ﴿وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ﴾ ١٢: وَهَذِهِ نِعْمَةٌ خَفِيَّةٌ أَظْهَرَهَا اللَّهُ تَعَالَىٰ لَهُمْ لِيَشْكُرُوهُ عَلَيْهَا، وَهُوَ أَنَّهُ تَعَالَىٰ أَوْحَىٰ إِلَى الْمَلَائِكَةِ الَّذِينَ أَنْزَلَهُمْ لِنَصْرِ نَبِيِّهِ وَدِينِهِ: أَنْ أَرْزُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَأَلْتِي الرُّعْبَ وَالصَّغَارَ عَلَىٰ مَنْ خَالَفَ أَمْرِي وَكَذَّبَ رِسُولِي، ﴿فَأَصْرَبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ﴾ الرِّقَابَ ﴿وَأَصْرَبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ الْأَطْرَافِ مِنْهُمْ ١٣: خَالَفُوهُمَا وَتَرَكُوا

الشرع والإيمان، ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ لِمَنْ خَالَفَهُ وَنَاوَاهُ ١٤: هَذَا خَطَابٌ لِلْكَافِرِ؛ أَي: ذُوقُوا هَذَا الْعَذَابَ فِي الدُّنْيَا، وَعَلِمُوا أَيْضًا أَنَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابَ النَّارِ فِي الْآخِرَةِ ١٥: يَقُولُ تَعَالَىٰ مُتَوَعِّدًا عَلَى الْفِرَارِ مِنَ الرَّحْفِ بِالنَّارِ لِمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قَيْمْتُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحَفًا﴾ تَقَارَبْتُمْ وَدَنَوْتُمْ إِلَيْهِمْ ﴿فَلَا تُولُوهُمُ الْأَدْبَارَ﴾ تَفَرَّقُوا وَتَرَكُوا أَصْحَابَكُمْ ١٦: ﴿...إِلَّا مَتَحَرِّفًا لِّقُنَالٍ﴾ يَفْرُقُ بَيْنَ يَدَيْ قَرْنِهِ مَكِيدَةً، ثُمَّ يَكْرَهُ عَلَيْهِ فَيَقْتُلُهُ، فَلَا بَأْسَ عَلَيْهِ فِي ذَلِكَ، ﴿أَوْ مَتَحَيِّرًا إِلَىٰ فِتْنَةٍ﴾ فَرَّ مِنْ هَهُنَا إِلَىٰ فِتْنَةٍ أُخْرَىٰ مِنَ الْمُسْلِمِينَ يُعَاوَنُهُمْ وَيُعَاوَنُونَهُ فَيَجُوزُ ذَلِكَ، وَفِي الصَّحِيحِينَ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «اجْتَنِبُوا السَّبْعَ الْمَوْبِقَاتِ» [وَقَدْ عَدَّ مِنْهُنَّ: الشُّرْكَ... وَالتَّوَلَّى يَوْمَ الرَّحْفِ]، وَهَذَا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَقَدْ بَاءَ﴾ رَجَعَ ﴿بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَمَا وَنَهُ جَهَنَّمُ﴾ مَصِيرَهُ وَمُنْقَلَبَهُ يَوْمَ مِيعَادِهِ ﴿وَيَبْسُ الْمَصِيرُ﴾.

= خير لكم وعسى أن تحبوا شيئاً وهو شرٌ لكم والله يعلم وأنتم لا تعلمون / ابن كثير ج ٢٨٧/٢ .

الآية : ٩ روى البخاري في باب شهود الملائكة بداراً . عن معاذ بن رفاعة ابن رافع الزرقي عن أبيه وكان أبوه من أهل بدر قال جاء جبريل إلى النبي ﷺ فقال : ما تعلمون أهل بدر فيكم ؟ قال : « من أفضل المسلمين أو كلمة نحوها » قال : وكذلك من شهد بداراً من الملائكة . / ابن كثير ج ٢٩٠/٢ .

الآية : ١١ قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قال : نزل النبي ﷺ حين سار إلى بدر والمشركون بينهم وبين الماء زملة دخصة ، وأصاب المسلمين ضعف شديد وألقى الشيطان في قلوبهم الغيظ يوسوس بينهم تزعمون أنكم أولياء الله تعالى وفيكم رسوله وقد غلبكم المشركون على الماء وأنتم تصلون مجبين فأمطر الله عليهم مطراً شديداً فشرّب المسلمون وتطهروا وأذهب الله عنهم رجس الشيطان وثبت الرمل حين أصابه المطر ومشى الناس عليه والدواب فساروا إلى القوم ، وأمد الله نبيه ﷺ والمؤمنين بألف من الملائكة فكان جبريل في خمسمائة مجنبة وميكائيل في خمسمائة مجنبة . / ابن كثير ج ٢٩١/٢ ، ٢٩٢ .

١٧: بَيَّنَّ تَعَالَى أَنَّهُ خَالِقُ أَعْمَالِ الْعِبَادِ، وَأَنَّهُ هُوَ الَّذِي وَفَّقَهُمْ لَذَلِكَ وَأَعَانَهُمْ، وَهَذَا قَالَ: ﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَا لَكِنَّ اللَّهَ رَمَى﴾ وَلِكِنَّ اللَّهَ رَمَى وَيَلْبِغِي الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَاءً حَسَنًا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٧﴾ ذَلِكَ كَمَا أَنَّ اللَّهَ مُوهِنٌ كَيْدَ الْكُفْرِيِّينَ ﴿١٨﴾ إِنْ تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جَاءَكُمْ الْفَتْحُ وَإِنْ تَنْهَوْا فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَإِنْ تَعُودُوا نَعُدْ وَلَنْ تُغْنِيَ عَنْكُمْ فِعْلَتَكُمْ شَيْئًا وَلَوْ كَثُرَتْ وَأَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٩﴾ يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَوَلَّوْا عَنْهُ وَأَنْتُمْ تَسْمَعُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿٢١﴾ إِنْ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الضَّمُّ إِلَيْكُمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٢٢﴾ وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ ﴿٢٣﴾ يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَعَلِمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَهُهُ نُحْشِرُونَ ﴿٢٤﴾ وَأَتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبُ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَعَلِمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٢٥﴾

الْحَرْبِ
١٨

١٧٩

وَتَرَكَ طَاعَتَهُ بَعْدَمَا عَلَّمْتَهُ مَا دَعَاكُمْ إِلَيْهِ ٢١: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾ وَهُمُ الْمُنَافِقُونَ، فَإِنَّهُمْ يُظْهِرُونَ أَنَّهُمْ قَدْ سَمِعُوا وَاسْتَجَابُوا وَلَيْسُوا كَذَلِكَ ٢٢: ﴿إِنْ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الضَّمُّ﴾ عَنِ سَمَاعِ الْحَقِّ ﴿إِلَيْكُمْ﴾ عَنِ فَهْمِهِ ﴿الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ﴾ شَبَّهَهُم بِالْأَنْعَامِ، لِأَنَّ كُلَّ دَابَّةٍ تَمَّا سَوَاهُمْ مَطِيعَةٌ لِلَّهِ فِيمَا خَلَقَهَا لَهُ، وَهِيَ لَا تَخْلُقُوا لِلْعِبَادَةِ فَكَفَرُوا ٢٣: ﴿وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ﴾ وَأَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ﴾ عَنِ ذَلِكَ قَصْدًا وَعِنَادًا بَعْدَ فَهْمِهِمْ ذَلِكَ ٢٤: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَجِيبُوا﴾ أَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾ لِمَا يُحْيِيكُمْ، وَهُوَ هَذَا الْقُرْآنُ فِيهِ النِّجَاتُ وَالْبِقَاءُ وَالْحَيَاةُ، ﴿وَعَلِمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ﴾ يَحُولُ بَيْنَ الْمُؤْمِنِ وَبَيْنَ الْكُفْرِ، وَبَيْنَ الْكَافِرِ وَبَيْنَ الْإِيمَانِ، فَلَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُؤْمِنَ وَلَا يَكْفُرَ إِلَّا بِإِذْنِهِ [وَمَشِئَتِهِ الَّتِي يُخْضَعُ لَهَا كُلُّ شَيْءٍ] مِنْ حَقِّ وَبِاطِلٍ وَخَيْرٍ وَشَرٍّ وَهَذَا كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ يَكْتَرُ أَنْ يَقُولَ: «يَا مُقَلَّبَ الْقُلُوبِ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ» وَقَالَ: «إِنَّ الْقُلُوبَ بَيْنَ أَصْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ يُقَلِّبُهَا كَيْفَ يَشَاءُ»، [رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ فِي كِتَابِ الْقَدْرِ] ٢٥: يُحَدِّثُ اللَّهُ تَعَالَى عِبَادَهُ الْمُؤْمِنِينَ فِتْنَةً؛ أَيْ: اخْتِبَارًا وَمِخْنَةً، يَعْمُ بِهَا الْمَسِيءُ وَغَيْرُهُ، لَا يُخْصَّ بِهَا أَهْلُ الْمَعَاصِي وَلَا مَنْ بَاشَرَ الذَّنْبَ، بَلْ يَعْمُهَا، لَمْ تُدْفَعْ وَتُرْفَعْ. رَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ عَنْ أُمِّ سَلْمَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قَالَتْ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «إِذَا ظَهَرَتِ الْمَعَاصِي فِي أُمَّتِي عَمَّهُمُ اللَّهُ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْ عِنْدِهِ»، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَمَا فِيهِمْ أَنْاسٌ صَالِحُونَ؟ قَالَ: «بَلَى» قُلْتُ: فَكَيْفَ يَصْنَعُ أَوْلَئِكَ؟ قَالَ: «يُصِيبُهُمْ مَا أَصَابَ النَّاسَ ثُمَّ يَصِيرُونَ إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ».

الآية: ١٦ روى الطبراني عن بلال بن يسار بن زيد مولى رسول الله ﷺ قال سمعت أبي يحدث عن جدي قال: قال رسول الله ﷺ: «من قال استغفر الله الذي لا إله إلا هو وأتوب إليه - غفر له وإن كان قد فر من الزحف»، رواه أبو داود وأخرجه الترمذي عن البخاري.

وَأَذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ تَخَافُونَ
 أَنْ يَخَطَفَكُمْ النَّاسُ فَأَوَاكُمُ وَيَأْتِيهِمْ وَرَزَقَكُمُ
 مِنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٦٦﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا
 لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمْنَتَكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ
 ﴿٦٧﴾ وَعَلِمُوا أَنَّهَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَدَكُمْ فَتَنَّا وَآتَى اللَّهُ
 عِنْدَهُ بِأَجْرٍ عَظِيمٍ ﴿٦٨﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَنَقَّوْا
 اللَّهُ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ
 لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٦٩﴾ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ
 كَفَرُوا الْيُسْتَبُونَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يَخْرُجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ
 اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَكْرِبِينَ ﴿٧٠﴾ وَإِذْ أَنْتَ عَلَىٰ عِثْمِ عِمَّا
 قَالُوا قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا إِنْ هَذَا إِلَّا
 أَسْطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿٧١﴾ وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِنْ كَانَتْ هَذِهِ
 هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ فَامْطِرْ عَلَيْنَا جَحَارَةً مِنَ السَّمَاءِ
 أَوْ آتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٧٢﴾ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ
 وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿٧٣﴾

٢٦: يُبَيِّنُ تَعَالَى عِبَادَةَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى نِعْمَةٍ عَلَيْهِمْ، وَإِحْسَانَهُ إِلَيْهِمْ، حَيْثُ كَانُوا قَلِيلِينَ فَكَثَرَهُمْ، وَمُسْتَضْعَفِينَ خَائِفِينَ فَقَوَّاهُمْ وَنَصَرَهُمْ. وَهَذَا كَانَ حَالَهُمْ فِي مَكَّةَ، حَتَّى أَذِنَ اللَّهُ لَهُمْ فِي الْهَجْرَةِ إِلَى الْمَدِينَةِ، فَأَوَاهُمْ إِلَيْهَا وَقَبَضَ لَهُمْ أَهْلَهَا [تَضَمَّنَ ذَلِكَ طَلْبَ الشُّكْرِ] عَلَى نِعْمَةِ اللَّهِ، فَإِنَّهُ مُنْعَمٌ يُحِبُّ الشُّكْرَ، وَأَهْلُ الشُّكْرِ فِي مَزِيدٍ مِنَ اللَّهِ ٢٧: نَزَلَتْ فِي أَبِي لُبَابَةَ حِينَ بَعَثَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ إِلَى بَنِي قُرَيْظَةَ لِيَنْزِلُوا عَلَى حُكْمِ رَسُولِ اللَّهِ، فَاسْتَشَارُوهُ فِي ذَلِكَ، فَأَشَارَ بِيَدِهِ إِلَى حَلْقِهِ؛ أَيْ: إِنَّهُ الذَّبْحُ. ثُمَّ فَطَنَ أَبُو لُبَابَةَ وَرَأَى أَنَّهُ قَدْ خَانَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ٢٨: ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّهَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فَتَنَّا﴾ اخْتِبَارًا وَامْتِحَانًا لَكُمْ، لِيَعْلَمَ أَتَشْكُرُونَهُ عَلَيْهَا وَتَطِيعُونَهُ فِيهَا أَوْ تَشْتَعِلُونَ بِهَا عَنْهُ. [وَكَانَ لِأَبِي لُبَابَةَ أَمْوَالٌ وَأَوْلَادٌ فِي بَنِي قُرَيْظَةَ. وَهَذَا مَا حَمَلَهُ عَلَى مَلَائِكَةِ]. ﴿وَأَنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ تَوَابُهُ وَعَطَاؤُهُ وَجَنَاتُهُ خَيْرٌ لَكُمْ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ ٢٩: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَنَقَّوْا اللَّهُ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا﴾ مَخْرَجًا وَنَجَاةً فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ﴿وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ﴾ يَمْحُوها ﴿وَيَغْفِرْ لَكُمْ﴾ وَغَفَرَهَا سَتَرَهَا عَنِ النَّاسِ ﴿وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ ٣٠: هَذِهِ الْقِصَّةُ وَاجْتِمَاعُ قُرَيْشٍ عَلَى هَذَا الْاِتِّهَانِ وَالْمَشَاوِرَةِ عَلَى الْإِتِّبَاتِ أَوْ النَّفْيِ أَوْ الْقَتْلِ كَانَ لَيْلَةَ الْهَجْرَةِ. ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَكْرِبِينَ﴾ فَمَكَّرَتْ بِهِمْ بِكَيْدِي الْمَتِينِ حَتَّى خَلَصَتْكُمْ مِنْهُمْ. وَقَدْ خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ

وَسَلَّمَ وَهُمْ عَلَى بَابِهِ، وَمَعَهُ حُفَّتَةٌ مِنْ تَرَابٍ فَجَعَلَ يَذُرُّهَا عَلَى رُؤُوسِهِمْ، وَأَخَذَ اللَّهُ أَبْصَارَهُمْ، وَهُوَ يَقْرَأُ: ﴿يَس وَالْقُرْآنَ الْحَكِيمَ﴾ إِلَى قَوْلِهِ: فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهَمْ لَا يَبْصُرُونَ ﴿٣١﴾ يُخْبِرُ تَعَالَى عَنِ كُفْرِ قُرَيْشٍ وَدَعْوَاهُمْ الْبَاطِلَ إِذَا تَلَّى عَلَيْهِمْ آيَاتِ اللَّهِ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ: ﴿قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا﴾، وَهَذَا مِنْهُمْ قَوْلُ بِلَالٍ، وَإِلَّا فَقَدْ تُجِدُّوهُمَا غَيْرًا مَرَّةً أَنْ يَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ، فَلَا يَجِدُونَ إِلَى ذَلِكَ سَبِيلًا. ﴿إِنْ هَذَا إِلَّا أَسْطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ كُتِبَتْ لِقَبُولِهَا عَلَى النَّاسِ، وَهَذَا كَذِبٌ بَحْتٌ، كَمَا أَخْبَرَ عَنْهُمْ: ﴿وَقَالُوا أَسْطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَسَبَهَا فِيهِ تَمْلُ عَلَيْهِ بَكْرَةٌ وَأَصِيلًا﴾ ٣٢: الْقَاتِلُ أَبُو جَهْلٍ [وَالْمَشْرُوكُونَ مَعَهُ عَلَى هَذَا الْقَوْلِ]، وَهَذَا مِنْ كَثْرَةِ جَهْلِهِمْ وَشِدَّةِ تَكْذِيبِهِمْ، وَهَذَا وَمِمَّا عُبِّيُوا بِهِ، وَكَانَ الْأَوَّلِيُّ أَنْ يَقُولُوا: اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ فَاهْدِنَا لَهُ، وَلَكِنْ اسْتَعْجَلُوا الْعَذَابَ. وَكَذَلِكَ قَالَ الْجَهْلَةُ مِنَ الْأُمَمِ السَّالِفَةِ، كَقَوْمِ شُعَيْبٍ لَمَّا قَالُوا لَهُ: ﴿فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسْفًا مِنَ السَّمَاءِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾. [وَلَمَّا قَالَ الْمَشْرُوكُونَ ذَلِكَ نَزَلَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿٣٣﴾: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ﴾] فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَ قَوْمًا وَأَنْبِيَائِهِمْ بَيْنَ أَظْهُرِهِمْ حَتَّى يُخْرِجَهُمْ. ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: كَانَ فِيهِمْ أَمَاتَانُ: النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وَالْاِسْتِغْفَارُ، فَيَذْهَبُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وَيَقْبِي الْاِسْتِغْفَارَ.

الآية: ٢٨ ورد في الصحيح عن رسول الله ﷺ أنه قال: « ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان: من كان الله ورسوله أحب إليه مما سواهما ومن كان يحب المرء لا يحبه إلا الله، ومن كان أن يلقي في النار أحب إليه من أن يرجع إلى الكفر بعد إذ أنقذه الله منه . »
 قال ابن كثير: بل حب رسول الله ﷺ مقدم على الأولاد والأموال والنفس كما ثبت في الصحيح أنه ﷺ قال: « والذي نفسي بيده لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من نفسه وأهله وماله والناس أجمعين . » / ابن كثير ج ٢/ ٣٠١ .

٣٤: يُخبر تعالى أنهم أهل لأن يُعذبهم، ولكن لم يُوقع ذلك بهم لبركة مقام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بين أظهرهم، ولهذا لما خرج من بينهم أوقع الله بأسه، وأرشدهم تعالى إلى الاستغفار من الذنوب والشرك والفساد ثم ذكر: وكيف لا يُعذبهم الله وهم يصتؤون عن المسجد الحرام بمكة المؤمنين عن الصلاة والطواف فيه ﴿وما كانوا أولياءه﴾ ليسوا هم أهل المسجد الحرام ﴿إن أولياءه إلا المتقون﴾ وإنما أهل النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وأصحابه ٣٥: المكاء: الصفير. والصدية: التصفيق. وكانوا يضعون خُذودهم على الأرض ويصفقون ويصفرون ٣٦: أخبر تعالى أن الكفار ينفقون أموالهم ليصدوا عن اتباع الحق، فسيفعلون ذلك ثم تذهب أموالهم ثم تكون عليهم ندامة حيث لم يجدوا شيقاً لأنهم أرادوا إطفاء نور الله، والله مُمّ نوره ولو كره الكافرون ٣٧: ﴿يُميز الله الحيث من الطيب﴾ فيميز أهل السعادة من أهل الشقاء. ﴿ويجعل الحيث بعضه على بعض فيركمه جميعاً﴾ يجمعه كله ﴿فيجعله في جهنم أولئك هم الخاسرون﴾ في الدنيا والآخرة ٣٨: ﴿قل للذين كفروا إن ينتهوا عما هم فيه من الكفر ويدخلوا في الإسلام يغفر لهم ما قد سلف﴾ من كفرهم ﴿وإن يعودوا﴾ إلى ما هم فيه ﴿فقد مضت سنة الأولين﴾ إنهم إذا كذبوا واستمروا على عنادهم فإننا نُعالجهم بالعذاب والعقوبة ٣٩: ﴿وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة﴾ لا يكون

وَمَا لَهُمْ آلَا يَعِدُ بِهِمُ اللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَمَا كَانُوا أَوْلِيَاءَهُ إِنْ أَوْلِيَائِهِ إِلَّا الْمُنْفِقُونَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٤﴾ وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً وَتَصَدِيَةً فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣٥﴾ إِنْ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ ﴿٣٦﴾ لِيُمِيزَ اللَّهُ الْأَخْيِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ الْأَخْيِيثَ بَعْضُهُ عَلَىٰ بَعْضٍ فَيَرْكُمُهُ جَمِيعًا فَيَجْعَلُهُ فِي جَهَنَّمَ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٣٧﴾ قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ وَإِنْ يَعُودُوا فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ الْأَوَّلِينَ ﴿٣٨﴾ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ لِلدِّينِ كُلِّهِ لِلَّهِ فَإِنِ انْتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٣٩﴾ وَإِن تَوَلَّوْا فاعلموا أَنَّ اللَّهَ مَوْلَاكُمْ نِعَمَ الْمَوْلَىٰ وَنِعَمَ النَّصِيرِ ﴿٤٠﴾

شرك. وحتى لا يُفتن مسلم عن دينه. ﴿ويكون الدين كله لله﴾ ويكون التوحيد خالصاً لله ليس فيه شرك، ويُخلع ما دونه من الأنداد. ﴿فإن انتهوا﴾ عما هم فيه من الكفر وكفوا عن قتالكم ﴿فإن الله بما يعملون بصير﴾ ٤٠: وإن استمروا على خلافكم ومحاربتكم فاعلموا أن الله مولاكم وناصركم على أعدائكم، فيعم المولى ونعم النصير.

الآية: ٣٣: روى الإمام أحمد عن أبي سعيد أن رسول الله ﷺ قال: «إن الشيطان قال: وعزتك يا رب لا أبرح أغوي عبادك ما دامت أرواحهم في أجسادهم فقال الرب: وعزتي وجلالي لا أزال أغفر لهم ما استغفروني».

وروى الإمام أحمد عن فضالة بن عبيد عن النبي ﷺ أنه قال: «العبد آمن من عذاب الله ما استغفر الله عز وجل». / ابن كثير ج ٢/٣٠٥.

الآية: ٣٨: جاء في الصحيح من حديث عن ابن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «من أحسن في الإسلام لم يؤخذ بما عمل في الجاهلية، ومن أساء في الإسلام أخذ بالأول والآخر».

وفي الصحيح أيضاً أن رسول الله ﷺ قال: «الإسلام يُحبُّ ما قبله والتوبة تحبُّ ما كان قبلها» أي تهمم الذنوب وتُذِئِبُهَا. / ابن كثير ج ٢/٣٠٨.

الآية: ٣٩: ثبت في الصحيحين عن رسول الله ﷺ أنه قال: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله، فإذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابها على الله عز وجل» وفيها عن أبي موسى الأشعري قال سئل رسول الله ﷺ عن الرجل يُقاتل شجاعةً ويُقاتل حميةً ويُقاتل رياءً أي ذلك في سبيل الله عز وجل؟ فقال: «من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله عز وجل». / ابن كثير ج ٢/٣٠٩.

الآية: ٤٤: روى أبي إمام عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: لقد قُلُّوا في أعيننا يوم بدر حتى قُلْتُ لرجلٍ إلى جنبي: تراهم سبعين؟ قال: لا بل هم مائة، حتى أخذنا رجلاً منهم فسألناه فقال: كذا ألفاً. / ابن كثير ج ٢/٣١٥.

٤١: يبين الله تعالى تفصيل ما شرعهُ مخصصاً لهذه الأمة الشريفة من بين سائر الأمم المتقدمة بإحلال الغنائم. روى البيهقي بإسناد صحيح عن عبد الله بن شقيق: قال رجل: يا رسول الله ما تقول في الغنيمة؟ فقال: «الله حُشْمُهَا، وأربعة أحماسها للجيش». ثم يقسم ما بقي على خمسة أسهم، فيكون سهم للرسول [وسهم الله وسهم الرسول واحد] وسهم لذوي القربى [من بني هاشم وعبد المطلب] وسهم لليتامى المسلمين، وسهم للمساكين، وسهم لابن السبيل. «إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى عَبْدِنَا مَا شَرَعْنَا لَكُمْ مِنَ الْحَمْسِ فِي الْغَنَائِمِ إِنْ كُنْتُمْ تَوَمِّنُونَ بِاللَّهِ وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ فِي الْقِسْمَةِ يَوْمَ التَّقَى الْجَمْعَانَ يُبَيِّهَ تَعَالَى عَلَى نِعْمَتِهِ وَإِحْسَانِهِ إِلَى خَلْقِهِ بِمَا فَرَّقَ بِهِ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ بِيَدِ ٤٢: يقول تعالى مخبراً عن يوم الفرقان: «إِذْ أَنْتُمْ بِالْعُدُودِ الدُّنْيَا» إِذْ أَنْتُمْ نَزَلُوا بِعُدُودِ الْوَادِي الْقَرِيْبَةِ إِلَى الْمَدِينَةِ «وَهُمْ» الْمُشْرِكُونَ نَزَلُوا «بِالْعُدُودِ الْقُصُوبِ» الْبَعِيدَةِ مِنَ الْمَدِينَةِ إِلَى نَاحِيَةِ مَكَّةِ «وَالرُّكْبِ» الْعَيْرِ الَّذِي فِيهِ أَبُو سَفْيَانَ بِمَا مَعَهُ مِنَ التَّجَارَةِ «أَسْفَلَ مِنْكُمْ» مِمَّا يَلِي سَيْفَ الْبَحْرِ «وَلَوْ تَوَاعَدْتُمْ» أَنْتُمْ وَالْمُشْرِكُونَ «لَاخْتَلَفْتُمْ فِي الْمِعَادِ» وَلَوْ كَانَ ذَلِكَ عَنْ مِيعَادٍ مِنْكُمْ وَمِنْهُمْ ثُمَّ بَلَغَكُمْ كَثْرَةُ عَدَدِهِمْ وَقَلَّةُ عَدَدِكُمْ مَا لَقِيتُمُوهُمْ «وَلَكِنْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا» مِنْ إِعْزَازِ الْإِسْلَامِ وَأَهْلِهِ وَإِذْلَالِ الشَّرْكِ وَأَهْلِهِ، «لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنِ

وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ التَّقَىٰ الْجَمْعَانَ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤١﴾ إِذْ أَنْتُمْ بِالْعُدُودِ الدُّنْيَا وَهُمْ بِالْعُدُودِ الْقُصُوبِ وَالرُّكْبِ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَلَوْ تَوَاعَدْتُمْ لَا خْتَلَفْتُمْ فِي الْمِيعَادِ وَلَكِنْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنِ بَيْنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَنِ بَيْنَةٍ وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٤٢﴾ إِذْ يُرِيكُهُمُ اللَّهُ فِي مَنَايِكٍ قَلِيلًا وَلَوْ أَرَادْنَا كَثِيرًا لَفَشَسْتُمْ وَلَسَنَنْزَعْنَهُمْ فِي الْأَمْرِ وَلَكِنَّ اللَّهَ سَلَّمَ إِنَّهُ عَلَيْهِمْ بِيذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٤٣﴾ وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ اتَّقَيْتُمْ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيُقَلِّلُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴿٤٤﴾ يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذْ لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٤٥﴾

بَيْنَةٍ ﴿لِيَكْفُرَ مَنْ كَفَرَ بَعْدَمَا رَأَىٰ مِنَ الْآيَةِ وَالْعِبْرَةِ﴾ «وَيَحْيَىٰ مِنْ حَيٍّ عَنِ بَيْنَةٍ» يُؤْمِنُ مَنْ آمَنَ عَنِ حِجَّةٍ وَبَصِيرَةٍ. وَالْإِيمَانُ هُوَ حَيَاةُ الْقُلُوبِ. «إِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ» لِدَعَائِكُمْ «عَلِيمٌ» بِكُمْ ٤٣: أَرَاهُمْ اللَّهُ إِيَّاهُ فِي مَنَايِكٍ قَلِيلًا وَأَخْبَرَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أَصْحَابَهُ بِذَلِكَ فَكَانَ تَثْبِيثًا لَهُمْ. «وَلَوْ أَرَادْنَا كَثِيرًا لَفَشَسْتُمْ» لَجِئْتُمْ عَنْهُمْ «وَلَسَنَنْزَعْنَهُمْ فِي الْأَمْرِ وَلَكِنَّ اللَّهَ سَلَّمَ» مِنْ ذَلِكَ بَأَنَّ أَرَاكُهُمْ قَلِيلًا «إِنَّهُ عَلَيْهِمْ بِيذَاتِ الصُّدُورِ» بِمَا تُجَنَّهُ الضَّائِرُ ٤٤: وَهَذَا مِنْ لَطْفِهِ تَعَالَىٰ بِهِمْ إِذْ أَرَاهُمْ إِيَّاهُمْ قَلِيلًا. أُغْرِي كَلَامًا مِنَ الْفَرِيقَيْنِ بِالْآخِرِ، فَلَمَّا التَّحَمَّ الْقِتَالُ وَأَبَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ بِالْأَفْ مِنْ الْمَلَائِكَةِ، بَقِيَ حِزْبُ الْكُفَّارِ يَرَىٰ حِزْبَ الْإِيمَانِ ضِعْفِيهِ. «لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا» لِيَقْبِي بَيْنَهُمُ الْحَرْبَ لِلنِّعْمَةِ تَمَّنَّ أَرَادَ الْإِنْتِقَامَ مِنْهُ، وَالْإِنْعَامَ عَلَىٰ مَنْ أَرَادَ تَمَامَ النِّعْمَةِ عَلَيْهِ مِنْ أَهْلِ وِلَايَتِهِ ٤٥: هَذَا تَعْلِيمٌ مِنَ اللَّهِ لِعِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ آدَابَ الْفُلُوقِ وَطَرِيقَ الشُّجَاعَةِ عِنْدَ مُوَاجَهَةِ الْأَعْدَاءِ، «فَاثْبُتُوا وَادْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا» افْتَرَضَ اللَّهُ ذِكْرَهُ عِنْدَ اشْتِغَالِ مَا يَكُونُ عِنْدَ الضَّرْبِ بِالسُّيُوفِ. وَمَا مِنْ شَيْءٍ أَحَبَّ إِلَى اللَّهِ تَعَالَىٰ مِنْ قِرَاءَةِ الْقُرْآنِ وَالذِّكْرِ.

الآية ٤٥: روى الطبراني بإسناد رجاله الصحيح عن جابر قال: قال رسول الله ﷺ: «مَا عَمِلَ آدَمِيُّ عَمَلًا أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْ الْعِبَادَةِ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ تَعَالَىٰ! قِيلَ: وَلَا الْجِهَادَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ؟ قَالَ: «وَلَا الْجِهَادَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ إِلَّا أَنْ يَضْرِبَ سَيْفُهُ حَتَّى يَنْقَطِعَ». وَعَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَلَا أَنْبِتُكُمْ بِخَيْرِ أَعْمَالِكُمْ وَأَزْكَاهَا عِنْدَ مَلِيكِكُمْ، وَأَرْفَعَهَا فِي دَرَجَاتِكُمْ، وَخَيْرٌ مِنْ إِنْفَاقِ الذَّهَبِ وَالزُّورِيِّ [أَيِ الْفِضَّةِ]؟ وَخَيْرٌ لَكُمْ مِنْ أَنْ تَلْقُوا عَدُوَّكُمْ فَتَضْرِبُوا أَعْنَاقَهُمْ، وَيَضْرِبُوا أَعْنَاقَكُمْ؟» قَالُوا: بَلَى! قَالَ: «ذَكَرَ اللَّهُ!!» رَوَاهُ أَحْمَدُ بِإِسْنَادٍ حَسَنٍ وَالثَّرَمَذِيُّ وَابْنُ مَاجَةَ وَالْحَاكِمُ وَقَالَ: صَحِيحُ الْإِسْنَادِ. وَعَنْ أُمِّ أَنَسٍ أَنَهَا قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَوْصِنِي، قَالَ: «مَنْ أَهْجَرَ الْمَعَاصِيَ، فَلَيْتَهَا أَفْضَلَ الْهَجْرَةِ، وَحَافِظِي عَلَى الْفُرْطَانِ، فَلَيْتَهَا أَفْضَلَ الْجِهَادِ، وَكَثَرِي مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ، فَلَيْتَ لَا تَأْتِيَنَّ اللَّهُ بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ كَثْرَةِ ذِكْرِهِ» رَوَاهُ الطَّبْرَانِيُّ بِإِسْنَادٍ حَسَنٍ.

٤٦: أمر الله تعالى أن يطيعوه ورسوله في حالهم ذلك، ولا يتنازعوا فيما بينهم أيضاً فيختلفوا فيكون سبباً لتخاذلهم وفشلهم ﴿وتذهب ريحكم﴾ قوتكم وحدتكم وما أتم فيه من الإقبال. ﴿واصبروا إن الله مع الصابرين﴾، وفي الصحيحين أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: «يا أيها الناس لا تتمنوا لقاء العدو، واسألوا الله العافية فإذا لقيتموهم فاصبروا واعلموا أن الجنة تحت ظلال السيوف» ٤٧: بعد أمره تعالى المؤمنين بالإخلاص في القتال في سبيله وكثرة ذكره نهاهم عن التشبه بالمشركين في خروجهم من ديارهم بطراً، أي دفعا للحق، ورتاءً، وهو المفاخرة والتكبر. كما قال أبو جهل: لا والله لا نرجع حتى نرذ ماء بدر وننحر الجزور ونشرب الخمر وتعزف علينا القيآن وتحدث العرب بمكائنا. فانعكس ذلك عليه أجمع.. فركموا في أطوار بدر مهانين أذلاء، أشقياء في عذاب سرمدي أبدي ﴿والله بما يعملون محيط﴾ عالم بما جاؤوا به وله، ولهذا جازاهم عليه شر الجزاء ٤٨: حسن لهم لعنه الله ما جاؤوا له وما هموا به، وأطمعهم أنه لا غالب لهم اليوم من الناس، ونفى عنهم الخشية، ﴿وقال لا غالب لكم اليوم من الناس وإني جاز لكم﴾، كما قال تعالى عنه: ﴿يُعَذِّبُهُمْ وَيُمَتِّتِهِمْ وَمَا يُعِدُّهُمْ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا﴾. وتلك عادة عدو الله لمن أطاعه ﴿كمثل الشيطان إذ قال للإنسان اكفر فلما كفر قال إني بريء منك﴾. ﴿فلما تراءت

بِالْبَيْتِ الْمَقْدِسِ

بِالْبَيْتِ الْمَقْدِسِ

وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فِيهِ فَنفَشُوا بَغْيَهُمْ وَيُحَكِّمُوا وَأَصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿٤٦﴾ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بَطْرًا وَرِثَاءَ النَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَاللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿٤٧﴾ وَإِذْ زَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ وَقَالَ لِغَالِبِ لَكُمْ أَيُّومٍ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَكُمْ فَلَمَّا تَرَأَتِ الْفِتْنَانَ نَكَصَ عَلَى عَقْبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكُمْ إِنِّي أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٤٨﴾ إِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ غَرَّهُ هَؤُلَاءِ دِينَهُمْ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٩﴾ وَلَوْ تَرَى إِذِ اتَّوَفَى الَّذِينَ كَفَرُوا أَلْمَلِيكَ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴿٥٠﴾ ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْت أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَمٍ لِلْعَبِيدِ ﴿٥١﴾ كَذَّابٌ آءِالِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٥٢﴾

١٨٣

الفتنان نكص على عقبيه﴾ لما رأى إبليس الملائكة نكص على عقبيه، وقال: إني بريء منكم إني أرى ما لا ترون، روى الإمام مالك: أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: «ما رأى إبليس يوماً هو فيه أصغر ولا أحقر ولا أذخر ولا أعظم من يوم عرفة، وذلك مما يرى من نزول الرحمة والعتق عن الذنوب، إلا ما رأى يوم بدر»!! قالوا: يا رسول الله وما يوم بدر؟ قال: «أما إنّه رأى جبريل عليه السلام يزع الملائكة» ٤٩: لما دنا القوم بعضهم من بعض قتل الله المسلمين في أعين المشركين، وقتل المشركين في أعين المسلمين قال المنافقون والذين في قلوبهم مرض -أي: ارتياب- غر هؤلاء دينهم حتى قدموا على ما قدموا عليه مع قلة عددهم وكثرة عدوهم، ﴿ومن يتوكل على الله﴾ يعتمد على جنبه ﴿فإن الله عزيز﴾ لا يضام من التجأ إليه ﴿حكيم﴾ ينصر من يستحق النصر ٥٠: ولو عاينك يا محمد حال توفي الملائكة أرواح الكفار؛ لرأيت أمراً عظيماً هائلاً فظيماً منكرًا إذ يضربون وجوههم وأدبارهم، ويقولون لهم ذوقوا عذاب الحريق ٥١: هذا الجزاء بسبب ما عملتم من الأعمال السيئة في حياتكم الدنيا، ﴿وأن الله ليس بظلام للعبيد﴾ لا يظلم سبحانه أحداً من خلقه، بل هو الحكم العدل الذي لا يجوز تبارك وتعالى وتقدس وتزده. وفي صحيح مسلم قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «إن الله تعالى يقول: يا عبدي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرماً فلا تظالموا» ٥٢: فعل هؤلاء من المشركين بما أرسلت به يا محمد كما فعل الأمم المكذبة قبلهم ففعلنا بهم ما هو دأبنا وستننا من أمثالهم من المكذبين من آل فرعون، ومن قبلهم من الكافرين، ﴿فأخذهم الله بذنوبهم﴾ بسبب ذنوبهم أهلكتهم وأخذهم أخذ عزيز مقتدر ﴿إن الله قوي شديد العقاب﴾.

٥٣: يُخْبِرُ تَعَالَى عَنْ تَمَامِ عَدْلِهِ وَقِسْطِهِ فِي حُكْمِهِ بِأَنَّهُ تَعَالَى لَا يَغَيِّرُ نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى أَحَدٍ إِلَّا بِسَبَبِ ذَنْبٍ ارْتَكَبَهُ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغَيِّرُ مَا بَقِيَ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ ٥٤: ﴿كَذَابَ آلِ فِرْعَوْنَ﴾ كَصْنَعِهِ بِآلِ فِرْعَوْنَ وَأَمْتَاهُمْ حِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِهِ أَهْلَكَهُمْ بِسَبَبِ ذُنُوبِهِمْ وَسَلَبَهُمْ تِلْكَ النِّعْمَ الَّتِي أَسَدَاهَا إِلَيْهِمْ مِنْ جَنَابَاتٍ وَعَيُونَ وَزُرُوعٍ وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ، وَنِعْمَةٌ كَانُوا فِيهَا فَآكِهِينَ، وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ فِي ذَلِكَ بَلْ كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ ٥٥: أَخْبَرَ تَعَالَى أَنَّ شَرَّ مَا دَبَّ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ هُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا، فَهَمُ لَا يُؤْمِنُونَ ٥٦: الَّذِينَ كُلَّمَا عَاهَدُوا عَهْدًا نَقَضُوهُ، وَكُلَّمَا أَكَّدُوا بِالْأَيْمَانِ نَكثُوهُ. ﴿وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ﴾ لَا يَخَافُونَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ ارْتَكَبُوهُ مِنَ الْإِثْمِ ٥٧: ﴿فَمَا تَتَّقُهُمْ فِي الْحَرْبِ﴾ تَغْلِبُهُمْ وَتَظْفِرُ بِهِمْ فِي حَرْبٍ ﴿فَشَرِّدْ بِهِمْ مِنْ الْأَعْدَاءِ مِنَ الْعَرَبِ وَغَيْرِهِمْ، وَيَصِيرُوا لَهُمْ عِرَةً، ﴿لَعَلَّهُمْ يَذْكُرُونَ﴾ يَحْذَرُونَ أَنْ يَنْكَبُوا فَيُصْنَعُ بِهِمْ مِثْلُ ذَلِكَ ٥٨: يَقُولُ تَعَالَى لِنَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: ﴿وَإِنَّمَا تَخَافُونَ قَوْمًا﴾ قَوْمًا قَدِ عَاهَدْتَهُمْ ﴿بِحَيَاتِهِ﴾ نَقَضُوا لِمَا بَيْنَكَ وَبَيْنَهُمْ مِنَ الْمَوَاقِيثِ وَالْعَهُودِ ﴿فَانْزِلْ إِلَيْهِمْ﴾ عَهْدَهُمْ ﴿عَلَى سِوَاءِ﴾ أَعْلَمَهُمْ بِأَنَّكَ قَدِ نَقَضْتَ عَهْدَهُمْ حَتَّى يَبْقَى عِلْمُكَ وَعِلْمُهُمْ بِأَنَّكَ حَرْبٌ لَهُمْ وَهُمْ حَرْبٌ لَكَ، وَأَنَّهُ لَا عَهْدَ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُمْ عَلَى السِّوَاءِ، أَيْ: تَسْتَوِي أَنْتَ وَهُمْ فِي ذَلِكَ. ﴿إِنَّ اللَّهَ

ذَلِكَ يَأْتِ اللَّهُ لَمْ يَكْ مُغَيِّرًا نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٣﴾ كَذَابِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَبُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَكُلُّ كَانُوا ظَالِمِينَ ﴿٥٤﴾ إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٥٥﴾ الَّذِينَ عَاهَدْتَ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنْقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ ﴿٥٦﴾ فَمَا تَتَّقُهُمْ فِي الْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِمْ مَنْ خَلْفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَذْكُرُونَ ﴿٥٧﴾ وَإِنَّمَا تَخَافُونَ قَوْمًا خِيَانَةٌ فَإِنَّهُمْ عَلَى سِوَاءٍ إِنْ اللَّهُ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ ﴿٥٨﴾ وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَبْقُوا أَنْهُمْ لَا يَعْمُرُونَ ﴿٥٩﴾ وَأَعِدُوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَعَآخِرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفِّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٦٠﴾ وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلَامِ فَاجْتَنِحْ لَهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٦١﴾

لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ﴾ حَتَّى وَلَوْ فِي حَقِّ الْكُفَّارِ لَا يُحِبُّهَا أَيْضاً ٥٩: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ﴾ يَا مُحَمَّدُ ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا سَبَقُوا﴾ فَاتَوَانَا فَلَا نَقْدِرُ عَلَيْهِمْ بَلْ هُمْ تَحْتَ قَهْرِ قُدْرَتِنَا وَفِي قَبْضَةِ مَشِيئَتِنَا فَلَا يَعْمُرُونَنَا، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مَعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ وَلَيْسَ الْمَصِيرُ﴾ ٦٠: أَمَرَ تَعَالَى بِإِعْدَادِ آتَاتِ الْحَرْبِ لِمُقَابَلَتِهِمْ حَسَبِ الطَّاقَةِ وَالْإِمْكَانِ وَالِاسْتِطَاعَةِ، فَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿وَأَعِدُوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ مِمَّا أَمْكَنَكُمْ ﴿مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ﴾، رَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ: عَنْ عَقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ عَلَى الْمِنْبَرِ: ﴿وَأَعِدُوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ، أَلَا إِنَّ الْقُوَّةَ الرَّمِيَّ، أَلَا إِنَّ الْقُوَّةَ الرَّمِيَّ﴾. ﴿تُرْهِبُونَ﴾ تَخَوَّفُونَ ﴿بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ مِنَ الْكُفَّارِ ﴿وَأَخْرَجْتُمْ مِنْ دُونِهِمْ﴾ وَهُمْ الْمُنَافِقُونَ. ﴿وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفِّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾ مِمَّا أَنْفَقْتُمْ فِي الْجِهَادِ فَإِنَّهُ يُوَفِّ إِلَيْكُمْ عَلَى التَّمَامِ وَالْكَمَالِ، وَلِهَذَا جَاءَ فِي الْحَدِيثِ الَّذِي رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ أَنَّ الدَّرْهَمَ يُضَاعَفُ ثَوَابُهُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ إِلَى سَبْعِمِائَةٍ ضِعْفٍ ٦١: ﴿وَإِنْ جَنَحُوا﴾ مَالُوا ﴿لِلسَّلَامِ﴾ الْمَسَالِمَةَ وَالْمَصَالِحَةَ وَالْمُهَادَنَةَ ﴿فَاجْتَنِحْ لَهُمْ﴾ فَمَلَّ إِلَيْهَا وَأَقْبَلَ مِنْهُمْ ذَلِكَ، ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾ فَإِنَّ اللَّهَ كَافِيكَ وَنَاصِرِكَ. ﴿إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾.

الآية: ٥٨ ثبت في الصحيحين عن عبد الله بن أبي أوفى أن رسول الله ﷺ انتظر في بعض أيامه التي لقي فيها العدو حتى إذا مالت الشمس قام فيهم فقال: «يا أيها الناس لا تمنوا لقاء العدو واسألوا الله العافية فإذا لقيتموهم فاصبروا واعلموا أن الجنة تحت ظلال السيوف» ثم قام النبي ﷺ، وقال: «اللهم منزل الكتاب، ومجري السحاب، وهماز الأحزاب، اهزمهم وانصرنا عليهم». / ابن كثير ج ٣/ ٣١٦.

الآية: ٦٠ روى الإمام أحمد وأهل السنن قال: قال رسول الله ﷺ: «ارموا واركبوا وإن ترموا خير من أن تركبوا» أي ارموا الكفار بالنبل، واركبوا الخيل حين القتال والهجوم.

وروى الإمام أحمد عن عبد الله بن مسعود عن النبي ﷺ قال: «الخيال ثلاثة: ففرس للرحمن، وفرس للشيطان، وفرس للإنسان، فأما فرس الرحمن فالذي يربط في سبيل الله =

٦٢: ولو كانوا يريدون بالصلح خديعةً
 ليقبوا ويستعدوا ﴿فَإِنْ حَسِبَكَ اللَّهُ﴾
 كافيك وحده ﴿هُوَ الَّذِي آيَدُكَ بِنَصْرِهِ
 وَالْمُؤْمِنِينَ﴾ ٦٣: أي لِمَا كَانَ مِنْهُمْ مِنْ
 العداوة والبغضاء، بين الأوس والخزرج، كانت
 بينهم حروب كثيرة في الجاهلية، فقطع الله
 ذلك الشر بنور الإيمان، كما قال تعالى:
 ﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً
 فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا﴾
 ﴿لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلْفَتَ بَيْنَ
 قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلْفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ
 حَكِيمٌ﴾ ٦٤: حَسْبُكَ اللَّهُ وَحَسْبُ مَنْ شَهِدَ
 مَعَكَ، ولهذا قال: ٦٥: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ
 حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ﴾، حَتَّمَهُمْ أَوْ
 مَرَّهْمَ عَلَيْهِ، ولهذا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
 عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ يَحْرِضُ عَلَى الْقِتَالِ عِنْدَ صَفِهِمْ
 وَمُوجِهَةِ الْعَدُوِّ، كَمَا قَالَ لِأَصْحَابِهِ يَوْمَ بَدْرٍ
 حِينَ أَقْبَلَ الْمُشْرِكُونَ فِي عَدَدِهِمْ وَعُدَدِهِمْ:
 ﴿قَوْمُوا إِلَى جَنَّةِ عَرْشِهَا السَّمَاوَاتُ
 وَالْأَرْضُ﴾، ثُمَّ قَالَ تَعَالَى مَبْشَرًا لِلْمُؤْمِنِينَ
 وَأَمْرًا: ﴿إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عَشْرُونَ صَابِرُونَ
 يَغْلِبُوا مِائَتِينَ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا
 مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾، كُلُّ وَاحِدٍ بَعَشْرَةٌ، ثُمَّ
 نُسِخَ هَذَا الْأَمْرُ وَبَقِيَ الْبِشَارَةُ. ثُمَّ خَفَّفَ اللَّهُ
 عَنْهُمْ فَقَالَ: ٦٦: ﴿الآنَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ
 وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا، فَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ
 صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾، فَلَا يَبْنِي
 لِمِائَةٍ أَنْ يَفْرُوا مِنْ مِائَتَيْنِ، وَإِذَا كَانُوا دُونَ ذَلِكَ
 جَازَ لَهُمْ أَنْ يَتَحَوَّزُوا عَنْهُمْ ٦٧: لَمَّا كَانَ يَوْمٌ

وَإِنْ يُرِيدُوا أَنْ يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ هُوَ الَّذِي آيَدُكَ
 بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٦﴾ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ
 مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلْفَتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ
 اللَّهَ أَلْفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٧﴾ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبَكَ
 اللَّهُ وَمَنْ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٨﴾ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ
 الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عَشْرُونَ صَابِرُونَ
 يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِنَ
 الَّذِينَ كَفَرُوا يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ
 اللَّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا فَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ
 صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ
 بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿٦٩﴾ مَا كَانَ لِنَبِيِّ أَنْ يَكُونَ
 لَهُ أُسْرَى حَتَّى يَشْخَنَ فِي الْأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا
 وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧٠﴾ لَوْ لَا كُنْتُمْ مِنَ
 الَّذِينَ سَبَقَ لِمَسْئِكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٧١﴾ فَكُلُوا مِمَّا
 غَنِمْتُمْ حَلَالًا طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٧٢﴾

بَدْرٍ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «مَا تَقُولُونَ فِي هَوْلَاءِ الْأَسَارِيِّ؟» قَالَ أَبُو بَكْرٍ: اسْتَيْقَمُوا وَاسْتَيْقَمُوا لَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ، وَقَالَ
 عُمَرُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ كَذَّبُوكَ وَأَخْرَجُوكَ فَقَدِمْتُمْ فَاضْرَبْ أَعْنَاقَهُمْ، فَقَفَا عَنْهُمْ وَقِيلَ مِنْهُمْ الْفِدَاءُ، وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿مَا كَانَ لِنَبِيِّ أَنْ يَكُونَ لَهُ
 أُسْرَى حَتَّى يَشْخَنَ فِي الْأَرْضِ﴾ الآية. ٦٨: ﴿لَوْلَا كِتَابٌ مِنَ اللَّهِ سَبَقَ﴾ لَهُمْ بِالْغَفْرَةِ، وَأَنَّ الْمَغَامَ وَالْأَسَارِيَ حَلَالٌ لَكُمْ ﴿لِمَسْئِكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ﴾
 مِنَ الْأَسَارِيِّ ﴿عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾. وَقَدْ اسْتَمَرَّ الْحُكْمُ فِي الْأَسْرَى عِنْدَ جُمْهُورِ الْعُلَمَاءِ أَنَّ الْإِمَامَ خِيَرٌ فِيهِمْ إِنْ شَاءَ قَتَلَ كَمَا فَعَلَ [النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
 وَآلِهِ وَسَلَّمَ] بِبَنِي قُرَيْظَةَ، وَإِنْ شَاءَ فَادَى بِمَالٍ، كَمَا فَعَلَ [صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ] بِأَسْرَى بَدْرٍ، وَإِنْ شَاءَ اسْتَرْقَى مِنْ أَسْرٍ ٦٩: ﴿فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَالًا
 طَيِّبًا﴾، الآية، فَعِنْدَ ذَلِكَ أَخَذُوا مِنَ الْأَسَارِيِّ الْفِدَاءَ. وَجَعَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فِدَاءَ أَهْلِ الْجَاهِلِيَّةِ يَوْمَ بَدْرٍ أَرْبَعًا مِائَةً.
 = مَقْلَعُهُ رَوْرَثُهُ وَيَوْمَهُ وَذَكَرَ مَا شَاءَ اللَّهُ وَأَمَّا فِرْسُ الشَّيْطَانِ فَالَّذِي يَقَامَرُ أَوْ يَرَاهُنَّ عَلَيْهَا، وَأَمَّا فِرْسُ الْإِنْسَانِ فَالْفِرْسُ يَرْطِبُهَا الْإِنْسَانُ يَنْتَمِسُ بِظَهْنِهَا فَيَهِي لَهُ سِتْرٌ مِنَ الْفَقْرِ . / ابن كثير
 ج ٢٣٢/٢.

الآية: ٦٣ قال ابن عون عن عمرو بن إسحاق قال: كنا نتحدث أن أول ما يُرْفَعُ مِنَ النَّاسِ الْأَلْفَةُ.
 وروى الطبراني عن سلمان الفارسي أن رسول الله ﷺ قال: «إِنَّ الْمُسْلِمَ إِذَا لَقِيَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ فَأَخَذَ يَدَهُ تَحَاتَّتْ عِنْمَا ذُنُوبُهُمَا كَمَا تَحَاتُّ الْوَرَقُ عَنِ الشَّجَرَةِ الْيَابِسَةِ فِي يَوْمِ رِيحٍ
 عَاصِفٍ، وَإِلَّا غَفَّرَ لَهَا ذُنُوبَهَا وَلَوْ كَانَتْ مِثْلَ زَيْدِ الْبَحْرِ». / ابن كثير ج ٢٢٤/٢.
 الآية: ٦٩ روى البخاري ومسلم عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أَعْطَيْتُ خَسْمًا لِي يَعْطِيهِمْ أَحَدٌ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ قَبْلِي نُصِرْتُ بِالرَّعْبِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ،
 وَجَعَلْتُ لِي الْأَرْضَ مَسْجِدًا وَطَهْرًا، وَأَحَلَّتْ لِي الْغَنَامَ وَلَمْ تَحَلَّ لِأَحَدٍ قَبْلِي، وَأَعْطَيْتُ الشَّفَاعَةَ، وَكَانَ النَّبِيُّ يَبْعَثُ إِلَى قَوْمِهِ وَيُبْعَثُ إِلَى النَّاسِ عَامَةً.»
 الآية: ٧٢ روى البخاري عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ آخَى بَيْنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ كُلِّ الثَّلاثِينَ إِخْوَانًا، فَكَانُوا يَتَوَارَثُونَ بِذَلِكَ إِثْرًا مُقَدِّمًا عَلَى الْقَرَابَةِ حَتَّى نُسِخَ اللَّهُ تَعَالَى ذَلِكَ
 بِالْمَوَارِيثِ.

٧٠: قال العباس وأصحابه للنبي صلى الله عليه وآله وسلم: أمنا بما جئت ونشهد أنك رسول الله لننصحن لك على قومنا، فأنزل الله: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِمَن فِي أَيْدِيكُمْ مِنَ الْأَسْرَىٰ إِنَّ اللَّهَ يُغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾، فكان العباس يقول: فقد أعطاني خيراً مما أخذ مني مائة ضعف. [وكان قد فدى نفسه وابني أخويه وخليفه. وكان الذي دفعه مائة أوقية ذهباً، كما حكاه ابن إسحاق] ٧١: ﴿وَإِن يُرِيدُوا خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُوا اللَّهَ مِن قَبْلُ ۖ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ من قبل بدر بالكفر به ﴿فَأَمَّا مَن مِّنْهُم بِالْأَسْرَىٰ يَوْمَ بَدْرٍ ۖ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِّغَيْبِ قُلُوبِهِمْ﴾ [في تديره] ٧٢: ذكر تعالى أصناف المؤمنين وقسمهم إلى مهاجرين خرجوا من ديارهم وأموالهم وجاؤوا لنصر الله ورسوله وإقامة دينه، وإلى أنصار، وهم المسلمون من أهل المدينة، أووا إخوانهم المهاجرين في منازلهم، وواشؤهم في أموالهم، ونصروا الله ورسوله بالقتال معهم، فهؤلاء ﴿بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ كل منهم أحق بالآخر من كل أحد، ولهذا آخى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بين المهاجرين والأنصار كل اثنين إخوان، فكانوا يتوارثون بذلك إراثاً مقدماً على القرابة حتى نسخ الله تعالى ذلك بالمواريث. ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يهاجروا مَا لَكُمْ مِن شَيْءٍ حَتَّىٰ يهاجروا﴾ هذا هو الصنف الثالث من المؤمنين الذين لم يهاجروا، بل أقاموا في بواديهم

يَتَأْتِيهَا النَّبِيُّ قُلْ لِمَن فِي أَيْدِيكُمْ مِنَ الْأَسْرَىٰ إِنَّ اللَّهَ يُغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٧٠﴾ وَإِن يُرِيدُوا خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُوا اللَّهَ مِن قَبْلُ ۖ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٧١﴾ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ ءَاوُوا وَنَصَرُوا أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يهاجروا مَا لَكُمْ مِنَ الشَّيْءِ حَتَّىٰ يهاجروا وَإِن سَأَلْتَهُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمْ النَّصْرُ ۖ إَلَّا عَلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ ۗ وَاللَّهُ يَمَّا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٧٢﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ۖ لَّا تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ ﴿٧٣﴾ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ ءَاوُوا وَنَصَرُوا أَوْلِيَاءَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا هُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٧٤﴾ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مِن بَعْدِ وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا مَعَكُمْ فَأُولَٰئِكَ مِنكُمْ وَأُولَٰئِكَ الْأَرْحَامُ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٧٥﴾

فهؤلاء ليس لهم في الغنائم نصيب، ولا في حُمسها، إلا ما حضروا فيه القتال، ﴿وَإِن اسْتَنْصَرْتُمْ﴾ هؤلاء الأعراب الذين لم يهاجروا في قتال ديني على عدوهم، ﴿فَعَلَيْكُمْ النَّصْرُ﴾ فانصروهم فإنه واجب عليكم لأنهم إخوانكم في الدين ﴿إِلَّا﴾ أن يستنصروكم ﴿عَلَىٰ قَوْمٍ﴾ من الكفار ﴿بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِّيثَاقٌ﴾ مهادنة إلى مدة فلا تخفروا ذمتكم مع الذين عاهدتم ٧٣: لما ذكر تعالى أن المؤمنين بعضهم أولياء بعض، قطع المواصلة بينهم وبين الكفار، وفي الصحيحين: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «لا يرث المسلم الكافر ولا الكافر المسلم». وتلا هذه الآية. ﴿إِلَّا تَفْعَلُوهُ﴾ إن لم تجانبوا المشركين وتوالوا المؤمنين ﴿تَكُن فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ﴾، إلا وقعت فتنة في الناس، وهو التباس الأمر واختلاط المؤمنين بالكافرين فيقع بين الناس فساد منتشر عريض طويل ٧٤: لما ذكر تعالى حكم المؤمنين في الدنيا عطف بذكر ما لهم في الآخرة وأنه سبحانه سيجازيهم بالمغفرة والصفح، وبالرزق الكريم، وهو الحسن الكثير الطيب ٧٥: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا مِن بَعْدِ وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا مَعَكُمْ فَأُولَٰئِكَ مِنكُمْ﴾، قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «المهاجرون والأنصار بعضهم أولياء بعض، والطفقاء من قريش والعنقاء من ثقيف بعضهم أولياء بعض إلى يوم القيامة». ﴿وَأُولَٰئِكَ الْأَرْحَامُ﴾ كالحالة والخال والعمة وأولاد البنات وأولاد الأخوات ونحوهم. والآية عامة تشمل جميع القرابات، ﴿بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾، إن الله بكل شيء عليم.

سورة التوبة

بِرَاءَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١﴾
 فَسِيحُوا فِي الْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَلِمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي
 اللَّهِ وَأَنَّ اللَّهَ مُخْزِي الْكَافِرِينَ ﴿٢﴾ وَأَذِّنْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ
 إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ
 وَرَسُولُهُ فَإِنْ تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَأَعْلَمُوا
 أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ وَبَشِّرِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ
 ﴿٣﴾ إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنْقُصُواكُمْ
 شَيْئًا وَلَمْ يُظَاهِرُوا عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتِمُوا لِيَتَّعِدُوا يَوْمَ
 مَدْيَنَ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ﴿٤﴾ فَإِذَا انْسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرْمُ
 فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَأَحْصُرُوهُمْ
 وَأَقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ فَإِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ
 وَآتَوْا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥﴾
 وَإِن أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ
 كَلِمَ اللَّهِ ثُمَّ ابْلِغْهُ مَا مَنَعَهُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦﴾

هذه السورة من أواخر ما نزل على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كما قال البخاري (١).
 ١: لما رجع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من غزوة تبوك وهم بالحج، ذكر أن المشركين يحضرون عامهم هذا الموسم، وأنهم يطوفون بالبيت غرة فكرة مخالطتهم، بعث أبا بكر عنه أميراً على الحج، وليعلم المشركين أن لا يحجوا بعد عامهم هذا، وأن ينادي في الناس: ﴿براءة من الله ورسوله إلى الذين عاهدتم من المشركين﴾ ٢: هذه الآية لذوي العهود المطلقة غير المؤقتة، أو من له عهد دون أربعة أشهر فيكمل له أربعة أشهر، فأما من كان له عهد مؤقت فأجله إلى مدته مهما كان لبقوله تعالى: ﴿فأتوا إليهم عهدهم إلى مدتهم﴾ الآية ٣: ﴿وأذن﴾ وإعلام ﴿ومن﴾ الله ورسوله إلى الناس يوم الحج الأكبر وهو يوم النحر الذي هو أفضل أيام المناسك وأظهرها [بعد يوم عرفة]. ﴿أن الله بريء من المشركين ورسوله﴾ بريء منهم أيضاً. ثم دعاهم إلى التوبة إليه فقال: ﴿فإن تبتم﴾ مما أنتم فيه من الشرك والضلال ﴿فهو خير لكم، وإن توليتم﴾ استمررتهم على ما أنتم عليه ﴿فأعلموا أنكم غير معجزى الله﴾ فهو قادر عليكم وأنتم في قبضته وتحت قهره ومشيئته ﴿وبشِّرِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ في الدنيا بالجزى والنكال، وفي الآخرة بالمقاصم والأغلال ٤: هذا استثناء من ضرب مدة التأجيل بأربعة أشهر لمن له عهد مطلق ليس

بمؤقت فأجله أربعة أشهر، إلا من له عهد مؤقت فأجله إلى مدته المضروبة التي عوهد عليها، ومن كان له عهد مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فعهدته إلى مدته وذلك بشرط أن لا ينقض المعاهد عهده ولم يُمَالَى على المسلمين، فهذا الذي يوقى له بدمته. ولهذا حرَّض الله تعالى على الوفاء فقال: ﴿إن الله يحب المتقين﴾ الموفين بعهدهم ٥: ﴿فإذا انسلخ الأشهر الحرم﴾ إذا انقضت الأشهر الأربعة التي حرمانا عليكم فيها قتالهم وأجلبناهم فيها فحيثما وجدتموهم فاقتلوا، ﴿فأقتلوا المشركين حيث وجدتموهم﴾ من الأرض، وهذا عام والمشهور تخصيصه بقوله تعالى: ﴿ولا تقاتلوا عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه﴾ الآية. ﴿وخذوهم﴾ أسراً ﴿واحصروهم واقعدوا لهم كل مرصد﴾ اقتصدوهم بالحصار حتى تُضيقوا عليهم ﴿فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم﴾ ٦: ﴿وإن أحد من المشركين﴾ الذي أمرتكم بقتالهم ﴿استجارك﴾ استأمنك ﴿فأجزة﴾ فأجبه ﴿حتى يسمع كلام الله﴾ القرآن تقرأه عليه تقيم به عليه الحجة ﴿ثم ابْلِغْهُ مَا مَنَعَهُ﴾ حتى يرجع إلى بلاده ﴿ذلك بأنهم قومٌ لا يعلمون﴾ شرعنا [هذا] ليعلموا دين الله.

(١) وسبب عدم ذكر البسملة في أول هذه السورة ما قاله علي بن أبي طالب لعبد الله بن عباس لما سأله: لم يكتب في براءة (بسم الله الرحمن الرحيم)؟ قال: (لأن بسم الله الرحمن الرحيم أمان، وبراءة نزلت بالسيف، ليس فيها أمان). [عن تفسير القرطبي].

كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ رَسُولِهِ إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ فَمَا اسْتَقِيمُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ﴿٧﴾ كَيْفَ وَإِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلَّا وَلَا ذِمَّةً يُرْضُونَكُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ وَتَأْبَى قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ ﴿٨﴾ أَشْتَرُوا بِعَائِدَتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩﴾ لَا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلَّا وَلَا ذِمَّةً وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُعْتَدُونَ ﴿١٠﴾ فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَنُفِصِلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿١١﴾ وَإِنْ نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ فَقَاتِلُوا أَيْمَةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَا أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ ﴿١٢﴾ أَلَا تَنْقِلُونَ قَوْمًا نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ وَهَمُّوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ وَهُمْ بَدَءُواكُمْ أَوْلَى مَرَّةً أَخَشَوْنَهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٣﴾

٧: ﴿كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ؟﴾ أَمَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ بِاللَّهِ يَتْرَكُونَ فِيهَا هَمًّا؟ ﴿إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ يَوْمَ الْحُدَيْبِيَّةِ، ﴿فَمَا اسْتَقِيمُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ﴾ من ترك الحرب بينكم وبينهم ﴿فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ﴾ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ، وقد فعلَ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، استمرَّ مع أهل مكة إلى أن نقضت قريشَ العهد، فعند ذلك غزاهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في رمضان سنة ثمان، ففتح الله عليه البلدَ الحرامَ ومكَّته من نواصبيهم والله الحمد ٨: ﴿كَيْفَ وَإِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلَّا وَلَا ذِمَّةً يُرْضُونَكُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ﴾ يقول الله تعالى محرِّضاً للمؤمنين على معاداتهم والتبرؤ منهم مبيِّناً أنَّهم لا يستحقون أن يكون لهم عهد لشركهم بالله تعالى، ولأنَّهم لو ظهروا على المسلمين لم يُقْبَلوا ولم يَدْرُوا، ولا راقبوا فيهم إِلَّا وَلَا ذِمَّةَ. الإل: القرابة. والذِمَّة: العهد. ﴿يُرْضُونَكُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ﴾ [أي: يقولون بألسنتهم ما يَرْضَى ظاهراً] ﴿وَتَأْبَى قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ﴾ [أي: ناقضوا العهد، وكلُّ كافر فاسق، ولكنه أراد هاتهما المجاهدين بالقبائح ونقض العهد] ٩: يقول تعالى ذمًّا للمشركين وحثًّا للمؤمنين على قتالهم: ﴿أَشْتَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ إنَّهم اعتاضوا عن اتباع آيات الله بما التُّهُوا به من أمور الدنيا الخسيسة ﴿فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِهِ﴾ منعوا المؤمنين من اتباع الحق، ﴿إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾

١٠: ﴿لَا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلَّا وَلَا ذِمَّةً﴾ [ليس هذا تكريراً، ولكن الأول لجميع المشركين، والثاني لليهود خاصة. والدليل على هذا: ﴿أَشْتَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ يعني اليهود؛ بأعوا حُجَّجَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ وبيَّأنه يطلب الرياسة وطمع في شيء] ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُعْتَدُونَ﴾ [المجاوِزُونَ الحلال إلى الحرام بنقض العهد] ١١: ﴿فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ﴾ روى الحافظ أبو بكر البزار: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «مَنْ فَارَقَ الدُّنْيَا عَلَى الْإِحْلَاصِ لِلَّهِ وَعِبَادَتِهِ لَا يُشْرِكُ بِهِ، وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ فَارَقَهَا وَاللَّهُ عَنْهُ رَاضٍ» ١٢: «وَإِنْ نَكَثَ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونَ الَّذِينَ عَاهَدْتُمُوهُمْ عَلَى مَدَّةٍ مَعِيْنَةٍ أَيَّامَهُمْ، أَيْ: عَهْدِهِمْ وَمَوَاتِنَهُمْ» ﴿وَطَعَنُوا﴾ عَابُوا وَانْتَقَصُوا ﴿فِي دِينِكُمْ فَقَاتِلُوا أَيْمَةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَا أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ﴾ عَمَّا هُمْ فِيهِ مِنَ الْكُفْرِ وَالْعِنَادِ وَالضَّلَالِ ١٣: «وَهَذَا أَيْضاً تَمْيِيزٌ وَتَحْضِيضٌ وَإِعْرَافٌ عَلَى قِتَالِ الْمُشْرِكِينَ النَّاكِثِينَ بِأَيْمَانِهِمْ الَّذِينَ هَمُّوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ مِنْ مَكَّةَ، ﴿أَتَخْشَوْنَهُمْ؟﴾ فَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ﴾ لا تخشوهم، واخشون فأنَّ أهلَّ أَنْ يَخْشَى الْعِبَادَ مِنْ سَطْوَتِي وَعَقُوبَتِي، ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾.

الآية: ١٣ قال ابن كثير في قوله (وهم بدعواكم أول مرة) قيل المراد بذلك يوم بدر حين خرجوا لنصر غيرهم فلما نجت وعلموا بذلك استمروا على وجههم طلباً للفتل بغياً ونكراً . وقيل المراد نقضهم العهد وقطاعهم مع حلفاء بني بكر فخرجة أحلاف رسول الله ﷺ حتى سار إليهم رسول الله ﷺ عام الفتح وكان ما كان والله الحمد والمنة . /ابن كثير . ٣٣٩/٢ .

١٤: ﴿فَاتْلُوهُمْ يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْرِجُهُمْ وَيَضْرِبُهُمْ عَلَيْهِمْ﴾ وهذا عامٌّ في المؤمنين كلهم، ﴿ويشف صدور قوم مؤمنين﴾ نخراعة، وأعاد الضمير عليهم في قوله: ١٥: ﴿وَيَذْهَبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ﴾ من عباده ﴿والله عليم﴾ بما يصلح عباده ﴿حَكِيمٌ﴾ في أفعاله وأقواله ١٦: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُتْرَكُوا وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَلُوا مِنْكُمْ﴾ أم حسبتم أيها المؤمنون أن تترككم مهملين لا تختاركم بأمر يظهر فيها أهل العزم الصادق من الكاذب، ولهذا قال تعالى: ﴿ولمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَلُوا مِنْكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَا رَسُولِهِ وَلَا رَسُولَهُ وَلَا الْمُؤْمِنِينَ وَخِيعَةً﴾ بل هم في الظاهر والباطن على النصيح لله ورسوله، فاكتمى بأحد القسمين. ﴿والله خير بما تعملون﴾، هو تعالى العالم بما كان وما يكون ١٧: ﴿مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَنْ يَعْمُرُوا مَسَاجِدَ اللَّهِ شَاهِدِينَ عَلَى أَنْفُسِهِم بِالْكَفْرِ﴾ ما يبغي للمشركين أن يعمروا مساجد الله التي بُنيت على اسمه وحده لا شريك له، وهم شاهدون بحالهم على أنفسهم بالكفر. ﴿أولئك حِطَّتْ أَعْمَالُهُمْ﴾ بشرتهم ﴿وفي النار هم خالدون﴾ ١٨: ﴿إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر الآخِرَ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ فَعَسَى أُولَئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ﴾ ﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ ١٩: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَعْظَمَ دَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾

قَاتْلُوهُمْ يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْرِجُهُمْ وَيَضْرِبُهُمْ عَلَيْهِمْ وَيَذْهَبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عليم حَكِيمٌ ١٥

أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُتْرَكُوا وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَا رَسُولِهِ وَلَا الْمُؤْمِنِينَ وَخِيعَةً ١٦

مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَنْ يَعْمُرُوا مَسَاجِدَ اللَّهِ شَاهِدِينَ عَلَى أَنْفُسِهِم بِالْكَفْرِ ١٧

أولئك حِطَّتْ أَعْمَالُهُمْ وَفِي النَّارِ هُمْ خَالِدُونَ ١٨

إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ فَعَسَى أُولَئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ ١٩

أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ٢٠

الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَعْظَمَ دَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ ٢١

الرجل يعتاد المسجد فاشهدوا له بالإيمان، قال الله تعالى: ﴿إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر﴾. [وفي رواية في مسند ابن حُميد]: ﴿إنما عُمَرُ المساجد هم أهل الله﴾. ﴿فَعَسَى أُولَئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ﴾ كلُّ (عسى) في القرآن فهي واجبة. وعسى من الله حق. [أي: حقاً أولئك من الذين هداهم الله تعالى]. ١٩: ﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾؛ قال ابن عباس: في تفسير هذه الآية: إن المشركين قالوا: عِمَارَةُ بيت الله وقيام على السقاية خيرٌ مِنَّ آمَنَ وجاهد، وكانوا يفخرون بالحرم، ويستكبرون به من أجل أنهم أهله وعُمَرَاهُ، فذكر الله استكبارهم وإعراضهم. يعني: أن ذلك كله كان في الشرك، والله لا يقبل ما كان في الشرك. [وأخبر أن العِمَارَةَ لا تكون بالكفر، وإنما تكون بالإيمان والعبادة وأداء الطاعة]. ٢٠: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَعْظَمَ دَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ﴾ [المؤمنون هم أعظم درجة من كل ذي درجة، أي هم المزية والمرتبة العلية، وأولئك هم الفائزون]. بذلك.

الآية: ١٥ روى ابن عسكار عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ كان إذا غضبت أخذ بأنفها وقال: «يا عويش قولي اللهم رب النبي محمد اغفر ذنبي وأذهب غيظ قلبي وأجرني من معصلات الفتن». /ابن كثير ج ٢/ ٣٢٩.

الآية: ١٨ روى الإمام أحمد عن معاذ بن جبل أن النبي ﷺ قال: «إن الشيطان ذئب الإنسان كذئب الغنم يأخذ الشاة القاصية والتاحية، فأياكم والشعاب وعليكم بالجماعة والعمامة والمسجد». /ابن كثير ج ٢/ ٣٤٠.

٢١: ﴿يُشْرَهُمْ رَبُّهُمْ﴾ يعلمهم في الدنيا ما لهم في الآخرة من الثواب الجزيل والتعظيم المقيم ٢٢: [الخلود: الإقامة: ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ أعد لهم في دار كرامته ذلك الثواب] ٢٣: أمر تعالى بمباينة الكفار، وإن كانوا آباءً أو أبناءً، ونهى عن مواليتهم، ﴿إِنْ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ﴾، وتوعد على ذلك فقال: ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ ٢٤: أمر تعالى رسوله أن يتوعد من أثر أهله وقربائه وعشيرته على الله ورسوله وجهاد في سبيله ﴿وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا﴾ اكتسبتموها وحصلتكموها ﴿وَبِجَارَةٍ تَخْشَوْنَ كِسَادَهَا﴾ ومساكن ترضونها، إن كانت هذه الأشياء ﴿أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا﴾ فانظروا ماذا يجلي بكم من عقابه ونكاله بكم، ولهذا قال سبحانه: ﴿حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾. وقد ثبت في الصحيح عنه صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: «والذي نفسي بيده لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين» ٢٥: يذكر تعالى للمؤمنين فضله عليهم وإحسانه لديهم في نصره إياهم في مواطن كثيرة من غزواتهم مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وأن ذلك من عنده تعالى، وتأيدته وتقديره لا يعددهم ولا يعددهم، ونههم على أن النصر من عنده سواء قل الجمع أو كثر، فإن يوم حنين أعجبتهم كثرتهم، [وكانوا اثني عشر ألفاً من المسلمين]، ومع هذا ما أجدى

يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَعَلْتُمْ فِيهَا فَعِيمًا مُّقِيمًا ﴿٢١﴾ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٢٢﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَاتَتَّخِذُوا ءَابَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٢٣﴾ قُلْ إِن كَانَ ءَابَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَبِجَارَةٍ تَخْشَوْنَ كِسَادَهَا وَمَسْكِنٌ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرٍ ءَالَهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿٢٤﴾ لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمْ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَابَسَتْ مُدْرِينٍ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنْزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ ﴿٢٦﴾

ذلك عنهم شيئاً، فولوا مُدْرِينٍ إلا القليل منهم مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ثم أنزل نصره وتأيدته على رسوله وعلى المؤمنين الذين معه ٢٦: ﴿ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ﴾ طمأنينته وثباته على رسوله ﴿وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ الذين معه ﴿وَأَنْزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا﴾ وهم الملائكة. روى ابن إسحاق عن جبير بن مطعم رضي الله عنه قال: إننا لَمَعَ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يوم حنين، والناس يقتتلون، إذ نظرْتُ إلى شل الجياد الأسود [أي: كالكيساء الأسود] يهوي من السماء حتى وقع بيننا وبين القوم، فما نشك أنها الملائكة. ﴿وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أسيافكم ﴿وَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ﴾.

الآية: ٢٤ روى مسلم في صحيحه عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الدنيا حلوة خضرة وإن الله مستخلفكم فيها فانظروا ماذا تعملون، اتقوا الدنيا واتقوا النساء فإن أول فتنة بني إسرائيل كانت النساء». وروى الإمام أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «لو يعلم المؤمن ما عند الله من العقوبة ما طمع بجنه أحد ولو يعلم الكافر ما عند الله من الرحمة ما قنط حد من الجنة خلق الله مائة رحمة فوضع واحدة بين خلفه يترامون بها وعند الله تسعة وتسعون» ورواه الترمذي. روى الإمام أحمد عن زهرة بن معبد عن جده قال: كنا مع رسول الله ﷺ وهو أخذ بيد عمر بن الخطاب فقال: والله يا رسول الله لأنت أحب إلي من كل شيء إلا من نفسي قال رسول الله: «لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من نفسه» فقال عمر: فأنت الآن والله أحب إلي من نفسي، فقال رسول الله: «الآن يا عمر!» أخرجه البيهقي. وورد في الصحيح عنه ﷺ أنه قال: «والذي نفسي بيده لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين». /ابن كثير ٢/٢١٢، ٣٤٣. الآية: ٢٦ جاء في صحيح مسلم عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «نصرت بالربع وأوتيت جوامع الكلم»، ولهذا قال تعالى: ﴿ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنْزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ﴾. /ابن كثير ٢/٣٤٦.

٢٧: ﴿لَمْ يَتُوبَ اللَّهُ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَلَى مَنِ اتَّبَعَهُ﴾ أي: على من اتبعه من القوم فيجده إلى الإسلام [٢٨]: أمر تعالى عباده المؤمنين الطاهرين ديناً وذاتاً بنفي المشركين الذين هم نجس ديناً عن المسجد الحرام، وأن لا يقربوه بعد نزول هذه الآية، وكان نزولها في سنة تسع، ولهذا بعث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم علياً صاحباً أبي بكر عاميلاً وأمره أن ينادي في المشركين: أن لا يجمع بعد هذا العام مشرك. فأمم الله ذلك وحكم به شعراً وقدرأ. ودلت هذه الآية على نجاسة المشرك، وفي الصحيح: «المؤمن لا ينجس». ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمْ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ وذلك أن الناس قالوا إننا علموا بتحريم دخول المشركين حرم مكة وكانوا تجارها: [لهلكن التجارة، فأنزل الله هذه الآية] إلى قوله: ﴿حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ﴾ فعرضهم الله بما قطع أمر الشرك، ما أعطاهم من أعناق أهل الكتاب من الجزية ٢٩: هذه الآية أول الأمر بقتال أهل الكتاب بعدما تمهدت أمور المشركين، ودخل الناس في دين الله أفواجا، واستقامت جزيرة العرب؛ أمر الله تعالى رسوله بقتال أهل الكتابين، ولهذا تجهز رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لقتال الروم، ودعا أحياء العرب، فأوعبوا معه، واجتمع من القبائل نحو من ثلاثين ألفاً. ﴿حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ﴾ إن لم يسلموا ﴿عَنْ يَدَيْهِ﴾ عن قهرٍ وغلبةٍ ﴿وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾ ذليلون مهانون ٣٠: هذا إغراء من الله تعالى

ثُمَّ يَتُوبُ اللَّهُ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَلَى مَنِ اتَّبَعَهُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٢٧﴾ يَتَائِبُ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمْ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ إِنْ شَاءَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٢٨﴾ قَتَلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴿٢٩﴾ وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرُ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَتَلْنَا لَهُمُ اللَّهُ أَنْفَ يُؤْفَكُونَ ﴿٣٠﴾ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَّا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣١﴾

للمؤمنين على قتال الكفار من اليهود والنصارى، لِمَقَالَتِهِمْ هذه المقالة الشيعة والفرقة على الله تعالى. ﴿ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ﴾ لا مُسْتَدَّ لَهُمْ فيها ادعوه سوى افتراءهم واختلاقهم ﴿يُضَاهِئُونَ﴾ يشابهون ﴿قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ﴾ من الأمم [الذين] ضَلُّوا كما ضَلَّ هؤلاء. ﴿قَاتَلْتُمُ اللَّهَ﴾ لَعْنَتُهُمْ اللهُ ﴿أَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾؟ كيف يَضَلُّون عن الحق وهو ظاهر ويُعَدِّلُونَ إلى الباطل؟! ٣١: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم [لَعَدِي بَنِي حَاتِمٍ وَكَانَ قَدْ تَضَرَّرَ حِينَ سَمِعَهُ وَهُوَ يَقْرَأُ هَذِهِ الْآيَةَ]، قال: إنهم لم يعبدوه، فقال صلى الله عليه وآله وسلم: «بلى، إنهم حرّموا عليه الحلال، وأحلّوا لهم الحرام فاتبعوهم، فذلك عبادتهم إياهم»، ثم قال: «يا عدي! يا ضُرَكُ أَنْ يُقَالَ: لا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ؟ فهل تعلم إلهًا غير الله؟» ثم دعاه إلى الإسلام، فأسلم وشهد الحق. ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا﴾ الذي إذا حرّم الشيء فهو الحرام، وما حلّله فهو الحلال ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ تعالى وتقدّس وتزوّج عن الشركاء والأصدقاء والأولاد، لا إله إلا هو ولا ربّ سواه.

الآية: ٢٧ روى مسلم والنسائي عن أبي موسى أن رسول الله ﷺ قال: «إن الله يسقط يده بالليل ليتوب مسيء النهار، ويسقط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل، حتى تطلع الشمس من مغربها». وروى مسلم عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ تَابَ قَبْلَ أَنْ تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِ». وروى ابن ماجه بإسناد جيد عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «لو أعطيتكم حتى تبلغ السماء ثم يُتَمَّ ثَابِتٌ لَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ». وروى الترمذي وابن ماجه والحاكم بإسناد صحيح عن أنس أن النبي ﷺ قال: «كلّ ابن آدَمَ خطّاءٌ وخيرُ الخطّائين التوّابون». /الترغيب ٤/ ٨٨ - ٩٠ -
الآية: ٢٩ جاء في الصحيح عن رسول الله ﷺ أنه قال: «وإن الله زوّى لي الأرض مشارقتها ومغارها ويسيلغ ملك أمّتي ما زوّى لي منها». وروى الإمام أحمد عن تميم الداري رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ليبلغن هذا الأمر ما بلغ الليل والنهار ولا يترك الله بيت متّري ولا وير إلا أدخله هذا الدين بعز عزيز أو بذل ذليل، عزاً يعز الله به الإسلام وذلاً يذل الله به الكفر». /ابن كثير ج ٢/ ٣٤٩.

يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُنِيرَ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴿٣٢﴾ هُوَ الَّذِي
 أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ
 كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾ يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ
 ءَامَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْأَجْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لِيَآكُلُونَ
 أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبُطْلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ
 وَالَّذِينَ يَكْتُمُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يَنْفِقُونَهَا
 فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٤﴾ يَوْمَ يُحْمَى
 عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتَكُونُ بِهِمَا جَاهَهُمْ وَجُودُهُمْ
 وَظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ
 تَكْتُمُونَ ﴿٣٥﴾ إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ
 شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ
 مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرْمٌ ذَلِكَ الدِّينُ الْقِيمُ فَلَا تَظْلَمُوا فِيهِنَّ
 أَنفُسَكُمْ وَقَتْلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا
 يَقْتُلُونَكُمْ كَافَّةً وَعَلِمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴿٣٦﴾

٣٢: ﴿يُرِيدُونَ﴾ يريد هؤلاء الكفار من
 المشركين وأهل الكتاب ﴿أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ
 اللَّهِ﴾ ما بُعث به رسول الله صلى الله عليه وآله
 وسلم من الهدى ودين الحق باقراهم ﴿وَيَأْبَى
 اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُنِيرَ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾
 ٣٣: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ
 الْحَقِّ﴾ فالهدى هو الإيمان الصحيح والعلم
 النافع، ودين الحق هو الأعمال الصالحة
 الصحيحة، ﴿لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾ على
 سائر الأديان، كما ثبت في الصحيح عن رسول
 الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: «إِنَّ اللَّهَ
 زَوَى لِي الْأَرْضَ مَشَارِقَهَا وَمَغَارِبَهَا، وَسَيَلُّعُ
 مُلْكُ أُمَّتِي مَا زَوَى لِي مِنْهَا» ٣٤: ﴿يَا أَيُّهَا
 الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْأَجْبَارِ وَالرُّهْبَانِ
 الْأَجْبَارِ هُمَ عِلْمَاءُ الْيَهُودِ، وَالرُّهْبَانِ عِبَادُ
 النَّصَارَى وَالْقِسْيُسُونَ عِلْمَاؤُهُمْ﴾ ﴿لِيَآكُلُونَ
 أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ﴾ يأكلون الدنيا بالدين
 ﴿وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾ وهم مع أكلهم
 الحرام يصُدُّونَ النَّاسَ عَن اتِّبَاعِ الْحَقِّ،
 ويلبسون الحق بالباطل. ﴿وَالَّذِينَ يَكْتُمُونَ
 الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يَنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾
 الآية، هؤلاء هم القسم الثالث من رؤوس
 الناس، فإنَّ النَّاسَ عَالَةٌ عَلَى الْعُلَمَاءِ، وَعَلَى
 الْعِبَادِ، وَعَلَى أَرْبَابِ الْأَمْوَالِ، فَإِذَا فَسَدَتْ
 أحوال هؤلاء فَسَدَتْ أحوال النَّاسِ. وَأَمَّا
 الْكُتْرُ: فَهوَ الْمَالُ الَّذِي لَا تُؤَدَّى زَكَاتُهُ ٣٥:
 ﴿هَذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ
 تَكْتُمُونَ﴾ يُقَالُ لِمِ هَذَا الْكَلَامِ تَبَكَّتْهُ وَتَقْرِبَا
 وَتَهَكَّمَا. وَهَذَا مِنْ أَحَبِّ شَيْءٍ وَقَدَّمَهُ عَلَى

طاعة الله عُدْبَ بِهِ، وَهَؤُلَاءِ لَمَّا كَانَ جَمْعُ هَذِهِ الْأَمْوَالِ آتَرَ عِنْدَهُمْ مِنْ رِضَا اللَّهِ، عُدْبُوا بِهَا ٣٦: ﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي
 كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرْمٌ﴾ خطب النبي صلى الله عليه وآله وسلم في حجة الوداع قال: «وَأَلَا إِنَّ الزَّمانَ قَدْ اسْتَدَارَ
 كَهَيْئَتِهِ يَوْمَ خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ، السَّنَةُ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرْمٌ، ثَلَاثَةٌ مَتَوَالِيَاتٌ: ذُو الْقَعْدَةِ، وَذُو الْحِجَّةِ، وَالْمُحَرَّمُ، وَرَجَبُ مُضَرَ
 الَّذِي بَيْنَ بَيْنِ جُمَادَى وَشَعْبَانَ». ﴿ذَلِكَ الدِّينُ الْقِيمُ﴾ هَذَا هُوَ الشَّرْعُ الْمُسْتَقِيمُ، مِنْ امْتِنَالِ أَمْرِ اللَّهِ فِيمَا جَعَلَ مِنَ الْأَشْهُرِ الْحُرْمِ، وَالْحُدُودِ بِهَا عَلَى
 مَا سَبَقَ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ الْأَوَّلِ. ﴿فَلَا تَظْلَمُوا فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ﴾ فِي هَذِهِ الْأَشْهُرِ الْحُرْمَةِ لِأَنَّهَا أَكَّدَ وَأَبْلَغَ فِي الْإِثْمِ مِنْ غَيْرِهَا، كَمَا أَنَّ الْمَعَاصِيَ فِي الْبَلَدِ
 الْحَرَامِ تُضَاعَفُ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِالْحَادِ يُظْلَمَ لِدِقَّةِ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ﴾ وَكَذَلِكَ الشَّهْرُ الْحَرَامِ تَغْلُظُ فِيهِ الْأَنَامُ. وَإِنَّ الظُّلْمَ فِي الْأَشْهُرِ الْحُرْمِ
 أَعْظَمُ خَطِيئَةً وَزُورًا مِنَ الظُّلْمِ فِيهَا سِوَاهَا. ﴿وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً﴾ [هَذَا] مِنْ بَابِ التَّهْيِيجِ وَالتَّحْضِيضِ، أَي: كَمَا يَجْتَمِعُونَ
 لِحَرْبِكُمْ فَاجْتَمِعُوا أَنْتُمْ أَيْضًا لَهُمْ إِذَا حَارَبْتَهُمْ، وَقَاتِلُوهُمْ بِنَظِيرِ مَا يَفْعَلُونَ.

الآية: ٣٥ عن ابن عمر قال: ما أدى زكاته فليس بكنز وإن كان تحت سبع أرضين، وما كان ظاهراً لا تؤدى زكاته فهو كنز وقد روى هذا عن ابن عباس وجابر مرفوعاً وموقوفاً،
 قال عمر بن الخطاب نحوه: أيما مال أذنت زكاته فليس بكنز وإن كان مدفوناً في الأرض، وأيما مال لم تؤد زكاته فهو كنز يكوى به صاحبه وإن كان على وجه الأرض.
 روى عبد الرزاق عن علي رضي الله عنه في قوله: ﴿وَالَّذِينَ يَكْتُمُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ﴾ قال النبي ﷺ: «تَبَا لِلذَّهَبِ تَبَا لِلْفِضَّةِ»، ويقولون ثلاثاً قال فسق ذلك على أصحاب
 رسول الله ﷺ وقالوا فأبي مال تتخذ؟ فقال عمر رضي الله عنه أنا أعلم لكم ذلك فقال: يا رسول الله إن أصحابك قد سق عليهم وقالوا فأبي المال تتخذ؟ قال: «لساناً ذاكراً وقلباً
 شاكراً وزوجة تعين أحدكم على دينه». ابن كثير ج ٢/٣٥٠ - ٣٥٢.

٣٧: ﴿إِنَّمَا التَّسْبِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُحَلِّفُونَ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُ عَامًا لِيُؤْطِقُوا عِدَّةَ اللَّهِ فَيَحْلُوهَا مَا حَرَّمَ اللَّهُ﴾ هذا مِمَّا ذَمَّ اللَّهُ تعالى به المشركين من تصرفهم في شرع الله بآرائهم الفاسدة، وتحليلهم ما حَرَّمَ الله، وتحريمهم ما أحلَّ الله. فاتَّهَمُوا قد أحدثوا قبل الإسلام عمدة تحمِيلِ الحَرَمِ فأخروه إلى صفر فيحلون الشهر الحرام، ويحرمون الشهر الحلال؛ لِيُؤْطِقُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ الشَّهْرَ الأربعة. يتركون الحَرَمَ عَامًا، وعَامًا يُحَرِّمُونَهُ. ﴿زَيْنٌ لَهُمْ سُوءُ أَعْمَالِهِمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾

٣٨: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ أَنْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَنْتَاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرْضَيْتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَّعَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلًا﴾

﴿إِلَّا أَنْفِرُوا يُعَذِّبُكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْئًا وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾

﴿إِنَّا نُنْصِرُوهُ فَقَدْ نُنْصِرُهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ إِثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّا نَرَى اللَّهَ مَعًا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَىٰ وَكَلِمَةَ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾

٣٧: ﴿إِنَّمَا التَّسْبِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُحَلِّفُونَ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُ عَامًا لِيُؤْطِقُوا عِدَّةَ اللَّهِ فَيَحْلُوهَا مَا حَرَّمَ اللَّهُ﴾ هذا مِمَّا ذَمَّ اللَّهُ تعالى به المشركين من تصرفهم في شرع الله بآرائهم الفاسدة، وتحليلهم ما حَرَّمَ الله، وتحريمهم ما أحلَّ الله. فاتَّهَمُوا قد أحدثوا قبل الإسلام عمدة تحمِيلِ الحَرَمِ فأخروه إلى صفر فيحلون الشهر الحرام، ويحرمون الشهر الحلال؛ لِيُؤْطِقُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ الشَّهْرَ الأربعة. يتركون الحَرَمَ عَامًا، وعَامًا يُحَرِّمُونَهُ. ﴿زَيْنٌ لَهُمْ سُوءُ أَعْمَالِهِمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾

٣٨: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ أَنْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَنْتَاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرْضَيْتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَّعَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلًا﴾

﴿إِلَّا أَنْفِرُوا يُعَذِّبُكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْئًا وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾

﴿إِنَّا نُنْصِرُوهُ فَقَدْ نُنْصِرُهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ إِثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّا نَرَى اللَّهَ مَعًا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَىٰ وَكَلِمَةَ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾

الانتصار من الأعداء بدونكم ٤٠: ﴿إِلَّا تَنْصُرُوهُ﴾ تنصروا رسوله فإن الله ناصرُه ومؤيده ﴿إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ عام الهجرة لما هُمَا بقتله، فخرج منهم هاربا صُحْبَةَ صَدِيقِهِ وَصَاحِبِهِ ﴿ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ﴾ غار ثور ﴿إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾ [حين قال له أبو بكر]: لو أن أحدهم نظر إلى قدميه لأبصرنا تحت قدميه، فقال: «يا أبا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما»، أخرجاه في الصحيحين. ولهذا قال تعالى: ﴿فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ﴾ وعلى أبي بكر ﴿وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا﴾ ﴿وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَىٰ﴾ كلمة الشرك ﴿وَكَلِمَةَ اللَّهِ﴾ وهي لا إله إلا الله ﴿هي العُلْيَا﴾ وفي الصحيحين عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: سئِلَ رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلم عن الرجل يُقاتِلُ شجاعاً، ويُقاتِلُ رياءً، أي ذلك في سبيل الله؟ فقال صلى الله عليه وآله وسلم: «من قاتل لتكُونَ كلمة الله هي العُلْيَا فهو في سبيل الله». ﴿والله عزيز﴾ في انتقامه وانتصاره ﴿حكيم﴾ في أقواله وأفعاله.

الآية: ٣٨ روى الإمام أحمد عن المستورد أخي بني فهر قال: قال رسول الله ﷺ: «مالدنيا في الآخرة: إلا كما يجعل أحدكم أضبعه هذه في التيم فليظن بيم ترجع؟ وأشار بالسبابة وأخرجه مسلم.

وروى ابن أبي حاتم عن أبي عثمان قال: قلت يا أبا هريرة سمعت من إخواني بالبصرة أنك تقول سمعت نبي الله ﷺ يقول: «إن الله يجزي بالحسنة ألف ألف حسنة؟ قال أبو هريرة: بل سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الله يجزي بالحسنة ألفي ألف حسنة» ثم تلا هذه الآية ﴿فَمَا مَتَّعَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلًا﴾. ابن كثير ج/٢/٣٥٨.

الآية: ٤٠ روى الإمام أحمد عن أنس أن أبا بكر حدثه قال: قلت للنبي ﷺ ونحن في الغار: لو أن أحدهم نظر إلى قدميه لأبصرنا تحت قدميه؟! قال فقال: «يا أبا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما؟! أخرجاه في الصحيحين.

٤١: ﴿انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ﴾ أمر الله تعالى بالنفير العام مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عام غزوة تبوك لقتال أعداء الله من الروم من أهل الكتاب، وحث على المؤمنين في الخروج معه على كل حال في المنشط والمكروه والعسر واليسر. ﴿ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ هذا خير لكم في الدنيا وفي الآخرة، قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: ﴿تَكْفَلُ اللَّهُ لِلْمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِهِ إِنْ تَوَفَّاهُ أَنْ يُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ، أَوْ يَرُدَّهُ إِلَى مَنزَلِهِ بِمَا نَالَ مِنْ أَجْرٍ أَوْ غَنِيمَةٍ﴾ ٤٢: يقول تعالى مؤثخاً للذين تخلفوا عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم في غزوة تبوك: ﴿لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا﴾ غنيمة قريبة ﴿وَسَفَرًا قاصِداً﴾ قريباً أيضاً ﴿لَا تَتَّبِعُوا﴾ وكانوا معكم ﴿وَلَكِنْ بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ الشُّقَّةُ﴾ المسافة إلى الشام، ﴿وَسِيحِلْفُونَ﴾ إذا رجعتكم ﴿لَوْ اسْتَطَعْنَا مَخْرَجًا مَعَكُمْ﴾ لو لم يكن لنا أعذارٌ مخرجنا معكم، ﴿لَهَلِكُوا﴾ [بكذبهم ونفاقهم] ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ ٤٣: ﴿عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذْنَتْ لَهُمْ؟﴾ قدم العفو قبل المعاتبه [لطفاً برسوله صلى الله عليه وآله وسلم]، ﴿حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا﴾ في الأعداء ﴿وَتَعْلَمَ الْكَاذِبِينَ﴾ في إظهار طاعتك، فإنهم كانوا مُصْرِبِينَ على القعود عن الغزوة، وإن لم تأذن لهم فيه، ولهذا أُخبر تعالى أنه لا يستأذنه أحدٌ يُؤمن بالله ورسوله فقال: ٤٤:

﴿لَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِداً﴾ ٤٥: ﴿إِنَّمَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ ولا يرجون ثواب الله في الدار الآخرة على أعمالهم. ﴿وَأَرَاتِبْتُ قُلُوبَهُمْ﴾ شككت في صحة ما جنتهم به ﴿فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ﴾ يتحيرون ٤٦: ﴿لَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ﴾ معكم إلى الغزوة ﴿لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً﴾ لتأهبوا له، ﴿وَلَكِنْ كَرِهَ اللَّهُ انبِعَاثَهُمْ﴾ أبغض الله أن يخرجوا معكم قَدْرًا ﴿فَقَطَعَهُمْ﴾ أخرهم ﴿وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ﴾ قَدْرًا، ثم بين تعالى وجه كراهيته لخروجهم مع المؤمنين فقال: ٤٧: ﴿لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا﴾ لأنهم جُنُبَاءٌ مُخْذَلُونَ، ﴿وَلَا وَضَعُوا خِلالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ﴾ بينكم بالغيبة والبغضاء والفتنة ﴿وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ﴾ مطيعون لهم ومستجيبون لحديثهم، ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾ يعلم ما كان وما يكون، [وما يفعلهُ هؤلاء وغيرهم].

(١) قال سفيان بن عيينة عن مسعر عن عوف قال: هل سمعتم بمعاتبه أحسن من هذا؟ نداءً بالعفو قبل المعاتبه.

الآية: ٤١ قال النبي ﷺ: «تكفل الله للمجاهد في سبيله إن توفاه أن يدخله الجنة، أو يردّه إلى منزله بما نال من أجر أو غنيمة» ولهذا قال تعالى: «كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كَرْهٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ» ومن هذا القبيل ما رواه الإمام أحمد عن أنس عن رسول الله ﷺ قال لرجل أسلم قال: أجدني كارها؟ قال: «أسلم ولو كنت كارها». / ابن كثير ج ٢/ ٣٦٠.

٤٨: يقول تعالى مُحْرَضًا لَنَبِيِّهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ
والسَّلَامُ عَلَى الْمُنَافِقِينَ: ﴿لَقَدْ ابْتَغَوْا الْفِتْنَةَ مِنْ
قَبْلِ وَقَبِلُوا لَكَ الْأُمُورَ﴾ وذلك أَوَّلُ مَقْدَمِ
النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ الْمَدِينَةَ، حَارِبَتِهِ
يَهُودَ الْمَدِينَةَ وَمَنَاقِقُهَا، فَلَمَّا نَصَرَهُ اللَّهُ يَوْمَ بَدْرٍ
وَأَعَزَّ الْإِسْلَامَ وَأَهْلَهُ غَاظَهُمْ ذَلِكَ، وَلِهَذَا قَالَ
تَعَالَى: ﴿حَتَّى جَاءَ الْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ
كَارِهُونَ﴾ ٤٩: ﴿وَمِنْهُمْ﴾ مِنَ الْمُنَافِقِينَ
﴿مَنْ يَقُولُ﴾ يَا عَمْرُو ﴿أَتَذُنُّ لِي﴾ فِي الْقُعُودِ
﴿وَلَا تَفْتَنِي﴾ بِالْخُرُوجِ مَعَكَ^(١)، بِسَبَبِ
الْجَوَارِيِّ مِنْ نِسَاءِ الرُّومِ، ﴿أَلَا فِي الْفِتْنَةِ
سَقَطُوا﴾ قَدْ سَقَطُوا فِي الْفِتْنَةِ بِقَوْلِهِمْ هَذَا،
﴿وَإِنْ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ﴾ لَا مَجِيدٌ
لَهُمْ عِنْدَهَا وَلَا مَحِصٌ وَلَا مَهْرَبٌ ٥٠: يُعْلَمُ
تَبَارَكَ وَتَعَالَى نَبِيُّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ
بِعَدَاوَةِ هَؤُلَاءِ لَهُ لِأَنَّهُ مَهْمَا أَصَابَهُ مِنْ حَسَنَةٍ،
أَيُّ: فَتَحَ وَنَصَرَ وَظَفَرَ سَاءَ عَمَّ ذَلِكَ، ﴿وَإِنْ
تُصِيبَكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُوا قَدْ أَخَذْنَا أَمْرَنَا﴾ قَدْ
احْتَرَزْنَا مِنْ مَتَابِعَتِهِ ﴿مِنْ قَبْلِ﴾ هَذَا
﴿وَيَقُولُوا وَهُمْ فَرِحُونَ﴾ ٥١: ﴿قُلْ﴾ لَهُمْ
﴿لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا﴾ فَنَحْنُ
تَحْتَ مَشِيئَتِهِ وَقَدَرِهِ ﴿هُوَ مَوْلَانَا﴾ سَيِّدُنَا
وَمَلِجُونَا ﴿وَعَلَى اللَّهِ فليتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾
وَنَحْنُ مَتَوَكِّلُونَ عَلَيْهِ وَهُوَ حَسْبُنَا وَنِعْمَ الْوَكِيلُ
٥٢: ﴿قُلْ﴾ لَهُمْ يَا عَمْرُو ﴿هَلْ تَرَبَّصُونَ
بِنَا﴾ تَنْتَظِرُونَ بِنَا ﴿إِلَّا إِحْدَى الْحُسَيْنَيْنِ﴾؛
شَهَادَةِ أَوْ ظَفَرِ بِكُمْ ﴿وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ
بِكُمْ﴾ نَنْتَظِرُ بِكُمْ ﴿أَنْ يُصِيبَكُمُ اللَّهُ بِعَذَابٍ
مِنْ عُنْدِهِ أَوْ بِأَيْدِينَا﴾ بَسْبِي أَوْ بِقَتْلِ

لَقَدْ ابْتَغَوْا الْفِتْنَةَ مِنْ قَبْلِ وَقَبِلُوا لَكَ الْأُمُورَ حَتَّى
جَاءَ الْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَارِهُونَ ﴿٤٨﴾
وَمِنْهُمْ مَن يَقُولُ أَتَذُنُّ لِي وَلَا تَفْتَنِي إِلَّا فِي الْفِتْنَةِ
سَقَطُوا وَإِنْ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ
﴿٤٩﴾ إِنْ تُصِيبَكَ حَسَنَةٌ فُسَبِّحْهُمُ وَإِنْ تُصِيبَكَ
مُصِيبَةٌ يَقُولُوا قَدْ أَخَذْنَا أَمْرَنَا مِنْ قَبْلِ وَيَتَوَلَّوْا
وَهُمْ فَرِحُونَ ﴿٥٠﴾ قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ
اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ
﴿٥١﴾ قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا إِلَّا إِحْدَى الْحُسَيْنَيْنِ وَنَحْنُ
نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَنْ يُصِيبَكُمُ اللَّهُ بِعَذَابٍ مِّنْ عِنْدِهِ
أَوْ بِأَيْدِينَا فَتَرَبَّصُوا إِنَّا مَعَكُمْ مُتَرَبِّصُونَ ﴿٥٢﴾ قُلْ
أَنفِقُوا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَنْ يُتَقَبَلَ مِنْكُمْ إِتْكَامُ كُنْتُمْ
قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴿٥٣﴾ وَمَا مَنَعَهُمْ أَنْ تُقَبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَتُهُمْ
إِلَّا أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ
إِلَّا وَهُمْ كُسَالَى وَلَا يُنْفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَارِهُونَ ﴿٥٤﴾

﴿فَتَرَبَّصُوا إِنَّا مَعَكُمْ مُتَرَبِّصُونَ﴾ ٥٣: مهما أنفقتم من نفقة طائعين أو مكرهين ﴿لَنْ يُتَقَبَلَ مِنْكُمْ إِتْكَامُ كُنْتُمْ قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾ ٥٤: ﴿وما منعهم أن تقبل منهم نفقاتهم إلا أنهم كفروا بالله وبرسوله﴾ أخبر تعالى عن سبب [عدم القبول منهم عدم إيمانهم] والأعمال إنما تصح بالإيمان. ﴿ولا يأتون الصلاة إلا وهم كسالى﴾ ليس لهم قدم صحيح ولا همة في العمل ﴿ولا ينفقون﴾ نفقة ﴿إلا وهم كارهون﴾، فهذا لا يتقبل الله من هؤلاء نفقة ولا عملاً، لأنه إنما يتقبل من المتقين.

(١) عن عبد الله بن أبي بكر: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ذات يوم وهو في جهازه [أي: لغزوة تبوك] للجد بن قيس [كان يظن من المنافقين]: «هل لك يا جد العام في جلد بني الأسفرة؟ أي: جهاد الروم؟ فقال: يارسول أو تأذن لي ولا تفتني، فوالله لقد عرف قومي ما رجل أشد عجباً بالنساء مني، وإني اخشى إن رأيت نساء بني الأسفرة أن لا أصبر عنهن، فأعرض عنه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وقال له: «قد أدنيت لك» فقي الجد بن قيس نزلت هذه الآية.

الآية: ٤٨ قال ابن كثير: أي لقد عملوا فكرهم وأجالوا آراءهم في كيدك وكيد أصحابك وخذلان دينك وإحماده مدة طويلة، وذلك أول مقدم النبي ﷺ المدينة، ومنه العرب عن قوس واحدة وحاربه يهود المدينة ومنافقوها، فلما نصره الله يوم بدر وأغلا كلمته قال عبد الله بن أبي أصحابه: هذا أمر قد توجه، فدخلوا في الإسلام ظاهراً ثم كلما أعز الله الإسلام وأهله غاظهم ذلك وساءهم، ولهذا قال تعالى ﴿حتى جاء الحق وظهر أمر الله وهم كارهون﴾ / ابن كثير ج ٢/ ٣٦١.

الآية: ٥١ عن أم سلمة قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ممن عبد نبي مصيبة فيقول: إنا لله وإنا إليه راجعون؛ اللهم أجربي في مصيبي، وأخلف لي خيراً منها، إلا أجره الله تعالى في مصيبي، وأخلف له خيراً منها». رواه مسلم/ الوابل الطيب لابن قيم الجوزية ص ٢٥٧.

٥٥: هذا من المُقَدَّمِ والمُؤَخَّرِ، تقدِيرُهُ: فلا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا إِنَّمَا يَرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الْآخِرَةِ. ﴿وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ﴾ ويُريد أن يُمَيِّتَهُمْ عَلَى الْكُفْرِ، لِيَكُونَ ذَلِكَ أَنْكِي لَهُمْ وَأَشَدَّ لِعَذَابِهِمْ، عِيَادًا بِاللَّهِ مِنْ ذَلِكَ، وَهَذَا مِنْ بَابِ الْاسْتِدْرَاجِ لَهُمْ فَيَا هُمْ فِيهِ ٥٦: يُخَيِّرُ اللَّهُ تَعَالَى نَبِيَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ عَنْ جِزْعِهِمْ وَفِرْعِهِمْ وَفِرْقِهِمْ وَهَلَعِهِمْ أَنَّهُمْ ﴿يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنَّهُمْ لَمَنْكُمْ﴾ مِمَّا مَوَكَّدَةٌ ﴿وَمَا هُمْ مِنْكُمْ﴾ فِي نَفْسِ الْأَمْرِ ﴿وَلَكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرُقُونَ﴾ [أي: يَخَافُونَ] فَهُوَ الَّذِي حَمَلَهُمْ عَلَى الْخِلْفِ ٥٧: ﴿لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَأً حِصْنًا يَتَحَصَّنُونَ بِهِ﴾ أَوْ مَغَارَاتٍ ﴿الَّتِي فِي الْجِبَالِ أَوْ مَدْخَلًا﴾ وَهُوَ السَّرْبُ فِي الْأَرْضِ وَالنَّفَقُ ﴿لَوْ لَوْأُ إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ﴾ يُسْرِعُونَ فِي ذَهَابِهِمْ عَنْكُمْ، لِأَنَّهُمْ إِنَّمَا يُخَالِطُونَكُمْ كُرْهًا لَا حُبًّا ٥٨: ﴿وَمِنْهُمْ﴾ وَمِنَ الْمُنَافِقِينَ ﴿مَنْ يَلْمُزُكَ﴾ يَعِيبُ عَلَيْكَ ﴿فِي﴾ قَسَمِ ﴿الصَّدَقَاتِ﴾ إِذَا فَرَّقْتَهَا، وَتَهَمَّكَ فِي ذَلِكَ، وَهُمْ الْمُتَهَمُونَ الْمَأْتُونَ ﴿فَإِنْ أَعْطُوا مِنْهَا﴾ مِنَ الزَّكَاةِ ﴿رِضْوَانًا﴾ لَمْ يُعْطُوا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ ﴿يَغْضَبُونَ﴾ لِأَنْفُسِهِمْ ٥٩: تَضَمَّتْ هَذِهِ الْآيَةُ الْكَرِيمَةَ أَدْبَابًا عَظِيمًا وَسِرًّا شَرِيفًا، حَيْثُ جَعَلَ الرِّضَا بِمَا آتَاهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالتَّوَكُّلُ عَلَى اللَّهِ وَوَحْدَهُ وَهُوَ قَوْلُهُ: ﴿وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ﴾، وَكَذَلِكَ الرَّغْبَةُ إِلَى اللَّهِ وَوَحْدِهِ فِي التَّوْفِيقِ لَطَاعَةَ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وَامْتِثَالَ أَوَامِرِهِ وَتَرْكُ

فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يَرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ ﴿٥٥﴾ وَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنَّهُمْ لَمَنْكُمْ وَمَا هُمْ مِنْكُمْ وَلَكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرُقُونَ ﴿٥٦﴾ لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَأًا أَوْ مَغَارَاتٍ أَوْ مَدْخَلًا لَوْ لَوْأُ إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ ﴿٥٧﴾ وَمِنْهُمْ مَنْ يَلْمُزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ فَإِنْ أَعْطُوا مِنْهَا رِضْوَانًا وَإِنْ لَمْ يُعْطُوا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ ﴿٥٨﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَا آتَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ سَيُؤْتِينَا اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ إِنَّا إِلَى اللَّهِ رَاغِبُونَ ﴿٥٩﴾ إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْعَمِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبِهِمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَرَمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأَبْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦٠﴾ وَمِنْهُمْ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنٌ خَيْرٌ لَكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦١﴾

زَوَاجِرِهِ وَتَصَدِيقِ أَخْبَارِهِ وَالْإِقْتِفَاءِ بِآثَارِهِ ٦٠: بَيَّنَّ تَعَالَى أَنَّهُ هُوَ الَّذِي قَسَمَهَا وَبَيَّنَّ حَكْمَهَا وَتَوَلَّى أَمْرَهَا بِنَفْسِهِ وَلَمْ يَكُلْ قِسْمَهَا إِلَى أَحَدٍ غَيْرِهِ فَجَزَّأَهَا هُوَ لِأَنَّ الْمَذْكُورِينَ، كَمَا رَوَاهُ الْإِمَامُ أَبُو دَاوُدَ فِي سُنَنِهِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ لَمْ يَرْضَ بِحَكْمِ نَبِيِّ وَلَا غَيْرِهِ فِي الصَّدَقَاتِ حَتَّى حَكَمَ فِيهَا هُوَ، فَجَزَّأَهَا ثَمَانِيَةَ أَصْنَافٍ» الْحَدِيثُ. [وَلِذَلِكَ كَانَ الَّذِينَ يُؤْذُونَ الزَّكَاةَ عَنْ أَمْوَالِهِمْ نِيَابَةً عَنِ اللَّهِ سَبْحَانَهُ فَمَا ضَمِنَهُ بِقَوْلِهِ: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا﴾]. وَهُوَ لِأَنَّ الْأَصْنَافَ هُمُ: الْفَقِيرُ، وَهُوَ الْمُتَعَفِّفُ لَا يَسْأَلُ النَّاسَ شَيْئًا. وَالْمَسْكِينُ، وَهُوَ الَّذِي يَسْأَلُ وَيَطْلُفُ يَتَّبِعُ النَّاسَ. وَالْمُؤَلَّفَةُ قُلُوبُهُمْ: وَهُمْ مَنْ يُعْطَى لِيَسْلَمَ، وَمِنْهُمْ مَنْ يُعْطَى لِيَحْسَنَ إِسْلَامَهُ. وَفِي الرِّقَابِ: فَهَمُ الْمَكَاتِبُونَ. وَلَا بَأْسَ أَنْ تُنْحَقَ الرِّقْبَةُ مِنَ الزَّكَاةِ. وَالْغَرَمُونَ: فَهَمُ: مَنْ تَحَمَّلَ حَمَالَةً، أَوْ ضَمِنَ دَيْنًا قَلَمَهُ، فَأُجْحِفَ بِمَالِهِ، أَوْ غَرَمَ فِي آدَاءِ دَيْنِهِ فَهُوَ لَا يَدْفَعُ إِلَيْهِمْ. وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ: فَهَمُ الْعُرَاةُ. وَابْنُ السَّبِيلِ: هُوَ الْمَسَافِرُ لَيْسَ مَعَهُ شَيْءٌ، فَيُعْطَى مِنَ الصَّدَقَاتِ مَا يَكْفِيهِ إِلَى بَلَدِهِ. ﴿فَرِيضَةٌ مِنَ اللَّهِ﴾ حُكْمًا مُعَدَّرًا بِتَقْدِيرِ اللَّهِ، فَرَضَهُ وَقَسَمَهُ. ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ﴾ بِمَصَالِحِ عِبَادِهِ ﴿حَكِيمٌ﴾ فَمَا يُبَشِّرُهُ وَبِحُكْمِهِ بِه٦١: وَمِنَ الْمُنَافِقِينَ قَوْمٌ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بِالْكَلَامِ فِيهِ وَيَقُولُونَ ﴿هُوَ أُذُنٌ﴾ مَنْ قَالَ لَهُ شَيْئًا صَدَقْنَا، فَإِذَا جِنَانًا وَحَلَفْنَا لَهُ صَدَقْنَا، ﴿قُلْ أُذُنٌ خَيْرٌ لَكُمْ﴾ هُوَ أُذُنٌ خَيْرٌ يَعْرِفُ الصَّادِقَ مِنَ الْكَاذِبِ، ﴿يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ وَيُصَدِّقُ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ﴾ هُوَ حُجَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ، وَهَذَا قَالَ سَبْحَانَهُ: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

الآية: ٦٠ روى الإمام أبو داود في سننه من حديث عبد الرحمن بن زياد بن أنعم وفيه ضعف عن زياد بن نعيم عن زياد بن الحارث الصدائقي رضي الله عنه قال: أتيت النبي ﷺ فباعته فأتى رجل فقال أعطني من الصدقة، فقال له: «إن الله لم يرض بحكم نبي ولا غيره من الصدقات حتى حكم فيها هو فجزأها ثمانية أصناف، فإن كنت من تلك الأجزاء أعطيتك.» =

٦٢: ﴿يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ لِيُرْضَوْكُمْ﴾ وذلك أن من المنافقين من قال: إن كان ما يقول محمد حقاً؛ لهم شر من الحمير. فسمعها رجل من المسلمين، فسعى بها إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فأخبره، فأرسل إلى الرجل فدعاها، فقال: «ما حملك على الذي قلت؟» فجعل يخلف بالله ما قال ذلك، وجعل الرجل المسلم يقول: اللهم صدقي الصادق وكذبي الكاذب، فأنزل الله الآية ٦٣: ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّهُ مَنْ يُحَادِدِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ الآية؛ ألم يتحققوا ويعلموا أنه من حاد الله عز وجل أي شاقه وحاربه ﴿فَأَن لَّه نَارُ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا﴾ مهاناً مُعَذِّباً ﴿وَذَلِكَ الْخِزْيُ الْعَظِيمُ﴾ وهذا هو الذل العظيم والشقاء الكبير ٦٤: ﴿يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ﴾ يقولون: عسى الله أن لا يفتني علينا سيرنا هذا؛ «أَن تَنْزَلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُمْ بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ»، ﴿قُلْ اسْتَزِرُوا إِنَّا اللَّهُ مَخْرُجٌ مَا تَحْذَرُونَ﴾ إن الله سينزل على رسوله ما يفضحك به ويؤين له أمركم، كقوله تعالى: ﴿أَمَّ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾ [وهو النفاق] «أَن لَّنْ يُخْرِجَ اللَّهُ أَصْغَانَهُمْ؟» إلى قوله: ﴿وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ﴾، [سورة محمد/٣٠] ولهذا كانت تسمى هذه السورة الفاضحة، فاضحة المنافقين ٦٥: ﴿وَلَمَّا سَأَلْتَهُمْ﴾ [أي: عما قالوا في شأنك يا محمد]، ﴿لِيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ﴾، [وذلك حين قال المنافقون]: يظن هذا أن يفتح قصور الروم وحصونها هيات هيات، فأطلع الله نبيه

يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ لِيُرْضَوْكُمْ وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضَوْهُ إِنْ كَانُوا مُؤْمِنِينَ ﴿٦٢﴾ أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّهُ مَنْ يُحَادِدِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَأَنَّ لَهُ نَارُ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا ذَلِكَ الْخِزْيُ الْعَظِيمُ ﴿٦٣﴾ يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَنْ تَنْزَلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُمْ بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ قُلِ اسْتَزِرُوا وَإِنَّا لِلَّهِ مُخْرَجُونَ ﴿٦٤﴾ وَلَمَّا سَأَلْتَهُمْ لِيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ يَا آلِهَةَ رَبِّكَ وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضَوْهُ إِنْ كُنْتُمْ تُسْتَهْزَءُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِنَّ نَعْفَ عَنْ طَائِفَةٍ مِنْكُمْ يُعَذِّبُ طَائِفَةٌ بَأْتَهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ ﴿٦٦﴾ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٦٧﴾ وَعَدَّ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا هِيَ حَسْبُهُمْ وَلَعْنَهُمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٦٨﴾

صلى الله عليه وآله وسلم على ما قالوا، فدعاهم، فحلفوا: ما كنا إلا نخوض ونلعب ﴿قُلْ أبا الله وآياته ورسوله كنتم تستهزؤون﴾ ٦٦! ﴿لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ﴾ بهذا المقال الذي استهزأتم به ﴿بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِنَّ نَعْفَ عَنْ طَائِفَةٍ مِنْكُمْ يُعَذِّبُ طَائِفَةٌ﴾ لا يعفى عن جميعكم، ولا بد من عذاب بعضكم، ﴿بَأْتَهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ﴾ بهذه المقالة الفاجرة الخاطئة ٦٧: ﴿الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ﴾ يقول تعالى منكرأ على المنافقين الذين هم على خلاف صفات المؤمنين: ﴿يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ﴾ عن الإنفاق في سبيل الله، ﴿نَسُوا اللَّهَ نَسُوا ذِكْرَ اللَّهِ﴾ ﴿فَنَسِيَهُمْ﴾ عاملهم معاملة من نسيهم، كقوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ نُنَسِّأُكُمْ كَمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا﴾، [الجنات/٣٤]. ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ الخارجون عن طريق الحق ٦٨: ﴿وَعَدَّ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ﴾ على هذا الصنيع الذي ذكر عنهم ﴿خَالِدِينَ فِيهَا﴾ ما كثر فيها مخلدين هم والكفار، ﴿هِيَ حَسْبُهُمْ﴾ كفايتهم في العذاب ﴿وَلَعْنَهُمُ اللَّهُ﴾ طردهم وأبعدهم ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾.

= روى الإمام أبو داود وابن ماجه عن أبي سعيد رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تحل الصدقة لغني إلا لحسنة: العامل عليها أو رجل اشتراها بماله أو غارم في سبيل الله أو مسكين تصدق عليه منها فأهدى لغني». /ابن كثير ج ٢/٣٦٦/٢

الآية: ٦٩ قال ابن جرير عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «والذي نفسي بيده لتبتعن سنن الدين من قبلكم شرأ بشير وذراعاً بذراع وباعاً ببايع حتى لو دخلوا حجر صب لدخلتموه»، قالوا: ومن هم يارسل الله أهل الكتاب؟ قال: «فمن؟». /ابن كثير ج ٢/٣٦٨/٢

٦٩: ﴿كَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ أصاب هؤلاء من عذاب الله تعالى في الدنيا والآخرة كما أصاب مَنْ قَبْلَهُمْ ﴿كَانُوا أَشَدَّ مِنْكُمْ قُوَّةً وَكَانُوا أَكْثَرَ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا فَاسْتَمْتَعُوا بِمَخْلَقِهِمْ﴾ دينهم ﴿فَاسْتَمْتَعْتُمْ بِمَخْلَقِكُمْ كَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ بِمَخْلَقِهِمْ وَخَضْتُمْ خَاضُوا﴾ في الكذب والباطل، ﴿أَوْلَيْتُمْ حَيْبُتْ أَعْمَالَهُمْ﴾ بطلت مساعيهم فلا ثواب لهم عليها لأنها فاسدة، ﴿فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَوْلَيْتُمْ لَهُمُ الْخَسِرُونَ﴾ ﴿٦٩﴾ أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَقَوْمِ إِبْرَاهِيمَ وَأَصْحَابِ مَدْيَنَ وَالْمُؤْتَفِكَاتِ أَنَّهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٧٠﴾ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أَوْلَيْتُمْ سِرِّهِمْ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾ وَعَدَّ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسْكَنٍ طَيِّبَةٍ فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ وَرِضْوَانٍ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرَ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾

١٩٨

والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يتناصرون ويتعاضدون، كما جاء في الصحيح: «مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادُّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ كَمَثَلِ الْجَسَدِ الْوَاحِدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالْحَمَى وَالسَّهْرِ». ﴿يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ﴾ يُطِيعُونَ اللَّهَ وَيُحْسِنُونَ إِلَى خَلْقِهِ ﴿وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ فيما أمر، وترك ما عنه زجر ﴿أَوْلَيْتُمْ سِرِّهِمْ﴾ وَمَنْ اتَّصَفَ بِهَذِهِ الصِّفَاتِ ﴿إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ﴾ يعز عليه مَنْ أَطَاعَهُ ﴿حَكِيمٌ﴾ في جميع ما يفعله تبارك وتعالى ٧٢: ﴿وَعَدَّ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ من الخيرات والنعيم المقيم في ﴿جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا﴾ أبدأ ﴿وَمَسَاكِنٍ طَيِّبَةٍ﴾ حَسَنَةَ الْبِنَاءِ طَيِّبَةَ الْفَرَارِ، كما جاء في الصحيحين قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «إِنَّ لِلْمُؤْمِنِ فِي الْجَنَّةِ خَلِيمَةً مِنْ لَوْلَاةٍ وَاحِدَةٍ مَجْرُوفَةٌ طُولُهَا سِتُونَ مِائَةً فِي السَّمَاءِ، لِلْمُؤْمِنِ فِيهَا أَهْلُونَ يَطُوفُ عَلَيْهِمْ لَا يَرَى بَعْضُهُمْ بَعْضًا». ﴿فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ﴾، [وهي أعلى درجة في الجنة ينزلها الأنبياء والصدّيقون والشهداء والصالحون]. ﴿وَرِضْوَانٍ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرَ﴾ رضا الله عنهم أكبر وأجل وأعظم ممّا هم فيه من النعم. قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ، قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: هَلْ تَشْتَبُونَ شَيْئًا فَازِيدُكُمْ؟ قَالُوا: يَا رَبَّنَا مَا خَيْرٌ مِمَّا أَعْطَيْتَنَا؟ قَالَ رِضْوَانِي أَكْبَرَ» رواه البزار على شرط الصحيحين.

الآية: ٧٢ جاء في الصحيحين عن أبي موسى الأشعري قال: قال رسول الله ﷺ: «جنتان من ذهب أنبثهما ومافهما، وجنتان من فضة أنبثهما ومافهما، وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم إلا رداء الكبرياء على وجهه في جنة عدن».

٧٣: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ﴾ أمر تعالى رسوله صلى الله عليه وآله وسلم بجهاد الكفار والمنافقين والغلظة عليهم، كما أمره بأن يخفض جناحه لمن اتبعه من المؤمنين وأخبره أن مصير الكفار والمنافقين إلى النار في الآخرة ٧٤: ﴿يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ﴾ نزلت في ابن أبي [ابن سلول] وذلك أن رجلاً جهني وأنصاري، فعلا الجهني على الأنصاري؛ فقال [ابن سلول وكان رأس المنافقين] للأنصار: ألا تنصروا أحاكم؟ والله ما مثلنا ومثل محمد إلا كما قال القائل: سَمَنَ كَلْبِكَ يَا كَلْبُكَ، وقال: لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل. فسعى بها رجل من المسلمين إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فأرسل إليه فسأله، فجعل يحلف بالله ما قاله، فأنتز الله فيه هذه الآية. ﴿وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ وَهَمُّوا بِمَا لَمْ يَنْبَأُوا﴾ هم ابن أبي يقتل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم [وذلك لما] أراذوا أن ينفروا برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وراحتته فطرحوه. ﴿وَمَا نَقَمُوا إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ وما للرسول عندهم ذنب إلا أن الله أغناهم ببركته ويمن سعادته، كما قال صلى الله عليه وآله وسلم للأنصار: «ألم أجدكم ضللاً فهداكم الله بي؟ وكنتم متفرقين فألفكم الله بي، وعالة فأغناكم الله بي». ثم دعاهم الله تبارك وتعالى إلى التوبة فقال: ﴿فَإِنْ يَتُوبَا يَكْ خَيْرًا لَّهُمْ وَإِنْ يَتُوبَا يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِي

يَتَأَيُّهَا النَّبِيُّ جِهْدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَا أُولَئِهِمْ جَهَنَّمُ وَيَسَّرَ الْمَصِيرَ ﴿٧٣﴾ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ وَهَمُّوا بِمَا لَمْ يَنْبَأُوا وَمَا نَقَمُوا إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ فَإِنْ يَتُوبَا يَكْ خَيْرًا لَّهُمْ وَإِنْ يَتُوبَا يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ فِي الْأَرْضِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٧٤﴾ وَمِنْهُمْ مَن عَاهَدَ اللَّهُ لَنْ يَأْتِيَنَّهُمْ مِنَ اللَّهِ غَلَاظٌ وَلَا نَصِيرَةٌ وَلَنْ يَأْتِيَنَّهُمْ مِنَ اللَّهِ غَلَاظٌ وَلَا نَصِيرَةٌ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ وَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ ﴿٧٦﴾ فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴿٧٧﴾ أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ وَأَنَّ اللَّهَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ ﴿٧٨﴾ الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جَهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٩﴾

الدنيا والآخرة﴾ وإن يستمروا على طريقهم يعذبهم الله عذاباً أليماً في الدنيا بهم والعم، والآخرة بالعذاب والهوان والصغار ﴿وما لهم في الأرض من ولي ولا نصير﴾ ليس لهم أحد يسعدهم ولا ينجدهم ٧٥: ﴿ومنهم من عاهد الله﴾ ومن المنافقين من أعطى الله عهده وميثاقه لئن أغناه الله من فضله ﴿لئن آتانا من فضله لنصدقن ولنكونن من الصالحين﴾ فما وفى بما قال ولا صدق فيما ادعى، ٧٦: ﴿فلما آتاهم من فضله بخلوا به وتولوا وهم معرضون﴾ [تولوا عن طاعته، وأعرضوا عن الإسلام] ٧٧: ﴿فأعقبهم﴾ هذا الصنيع ﴿نفاقاً﴾ سكن ﴿في قلوبهم إلى يوم يلقونهم﴾ إلى يوم يلقوا الله عز وجل يوم القيامة، ﴿بما أخلفوا الله ما وعده﴾ أعقبهم النفاق في قلوبهم بسبب إخلافهم الوعد وكذبهم، كما في الصحيحين: (آية المنافق ثلاث: إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا أوثمن خان) ٧٨: ﴿ألم يعلموا أن الله يعلم سرهم ونجواهم﴾ يخبر تعالى أنه يعلم السر وأخفى وأنه أعلم بباطنهم، ﴿وأن الله علام الغيوب﴾ ٧٩: وهذا أيضاً من صفات المنافقين لا يسلم أحد من عيبتهم ولزمتهم في جميع الأحوال حتى ولا المصدقون يسلمون منهم؛ إن جاء أحد منهم بالمال جزيل، قالوا: هذا مرأى، وإن جاء بشيء يسير قالوا: إن الله لغني عن صدقة هذا. ﴿فيسخرون منهم سخر الله منهم﴾ هذا من باب المقابلة على سوء صنيعهم واستزائهم بالمؤمنين؛ لأن الجزء من جنس العمل، فعاملهم معاملة من سخر منهم انتصاراً للمؤمنين في الدنيا، ﴿ولهم عذاب أليم﴾ في الآخرة.

الآية: ٧٣ روى مسلم عن عمار بن ياسر قال: أخبرني حذيفة عن النبي ﷺ أنه قال: «في أصحابي اثنا عشر منافقاً لا يدخلون الجنة ولا يجردون رجمها حتى يلج الجمل في سم الخياط: ثمانية منهم تكفيهم الدبيلة سراج من نار تظهر بين أكافهم حتى ينجم في صدورهم». / ابن كثير ج ٢/ ٣٧٣

أَسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿٨٥﴾ فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خَلْفَ رَسُولِ اللَّهِ وَكَرِهُوا أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَالُوا لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ ﴿٨٦﴾ فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٨٧﴾ فَإِنْ رَجَعَكَ اللَّهُ إِلَى طَائِفَةٍ مِنْهُمْ فَاسْتَدْتَوْكَ لِلخُرُوجِ فَقُلْ لَنْ تَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَدًا وَلَنْ تُقَاتِلُوا مَعِيَ عَدُوًّا إِنَّكُمْ رَضِيتُمْ بِالْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَاقْعُدُوا مَعَ الْخُلَفَاءِ ﴿٨٨﴾ وَلَا تَصِلْ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُمْ فَسِقُونَ ﴿٨٩﴾ وَلَا تَعْجَبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَأَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ ﴿٩٥﴾ وَإِذَا أَنْزَلْتَ سُورَةَ أَنْ آمَنُوا بِاللَّهِ وَجَاهِدُوا مَعَ رَسُولِهِ اسْتَأْذِنَكَ أُولُو الطُّولِ مِنْهُمْ وَقَالُوا ذَرْنَا نَكُنْ مَعَ الْقَاعِدِينَ ﴿٩٦﴾

٨٠: يُخِيرُ تَعَالَى نَبِيَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بِأَنْ هُوَ لِأَهْلِ الْمُنَافِقِينَ لَيْسُوا أَهْلًا لِلِاسْتِغْفَارِ وَأَنَّهُ لَوْ اسْتَغْفَرَ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ، وَإِنَّ السَّبْعِينَ إِنَّمَا ذُكِرَتْ حَسْبًا لِمَادَةِ الْاسْتِغْفَارِ، لِأَنَّ الْعَرَبَ تَذَكُرُ السَّبْعِينَ مَبَالِغَةً وَلَا تَرِيدُ التَّحْدِيدَ. وَقَالَ تَعَالَى مِنْ شِدَّةِ غَضَبِهِ عَلَيْهِمْ: ﴿سِوَاءَ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ﴾ [المنافقون/٦]. ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ ٨١: ﴿فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خَلْفَ رَسُولِ اللَّهِ﴾ بعد خروجه في غزوة تبوك ﴿وَكَرِهُوا أَنْ يُجَاهِدُوا﴾ معه ﴿بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَالُوا﴾ ﴿لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ﴾ وذلك أَنَّ الْخُرُوجَ فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ كَانَ فِي شِدَّةِ الْحَرِّ عِنْدَ طَيْبِ الظَّلَالِ وَالنَّجَارِ، ﴿قُلْ﴾ لَهُمْ ﴿نَارُ جَهَنَّمَ﴾ التي تصيرون إليها بمخالفتكم ﴿أَشَدُّ حَرًّا﴾ مِنَّا فَرَرْتُمْ مِنْهُ مِنَ الْحَرِّ. وَفِي الصَّحِيحِينَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «نَارُ بَنِي آدَمَ الَّتِي تَوَقَّدُونَهَا جِزْءٌ مِنْ سَبْعِينَ جِزْءًا مِنْ نَارِ جَهَنَّمَ» ٨٢: ﴿فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا﴾ فَإِذَا انْقَطَعَتِ الدُّنْيَا وَصَارُوا إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ اسْتَأْنَفُوا بِكَاءٍ لَا يَنْقُطِعُ أَبَدًا. ﴿جِزْءًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ ٨٣: ﴿فَإِنْ رَجَعَكَ اللَّهُ﴾ رَدَّكَ اللَّهُ مِنْ غَزْوَتِكَ هَذِهِ ﴿إِلَى طَائِفَةٍ مِنْهُمْ﴾ وَكَانُوا اثْنَا عَشَرَ رَجُلًا ﴿فَاسْتَأْذَنُوكَ لِلخُرُوجِ﴾ مَعَكَ إِلَى غَزْوَةٍ أُخْرَى ﴿فَقُلْ لَنْ تَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَدًا وَلَنْ تُقَاتِلُوا مَعِيَ عَدُوًّا﴾ تَعَزَّرُوا لَهُمْ وَعَقُوبَةٌ،

ثُمَّ عَلَّلَ ذَلِكَ بِقَوْلِهِ: ﴿إِنَّكُمْ رَضِيتُمْ بِالْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ وَهَذَا جِزْءُ السَّيِّئَةِ السَّيِّئَةِ بَعْدَهَا كَمَا أَنَّ ثَوَابَ الْحَسَنَةِ الْحَسَنَةَ بَعْدَهَا. ﴿فَاقْعُدُوا مَعَ الْخَالِفِينَ﴾ الَّذِينَ تَخَلَّفُوا عَنِ الْغَزَاةِ ٨٤: أَمَرَ اللَّهُ تَعَالَى رَسُولَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أَنْ يَبْرَأَ مِنَ الْمُنَافِقِينَ، وَأَنْ لَا يُصَلِّيَ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ إِذَا مَاتَ وَأَنْ لَا يَقُومَ عَلَى قَبْرِهِ لِيَسْتَغْفَرَ لَهُ أَوْ يَدْعُوَ لَهُ لِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا عَلَيْهِ. وَأَمَّا الْقِيَامُ عِنْدَ قَبْرِ الْمُؤْمِنِ إِذَا مَاتَ؛ فَرَوَى أَبُو دَاوُدَ عَنْ عَثْمَانَ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ إِذَا فَرَغَ مِنْ دَفْنِ الْمَيِّتِ وَقَفَ عَلَيْهِ وَقَالَ: «اسْتَغْفِرُوا لِأَخِيكُمْ وَاسْأَلُوا لَهُ لِتَشِيئَ فَإِنَّهُ الْآنَ يُسْأَلُ» هَذَا مِنَ الْمَقْدَمِ وَالْمُؤَخَّرِ تَقْدِيرُهُ: وَلَا تُعْجَبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ فِي الْحَيَاةِ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الْآخِرَةِ. ﴿وَتَزْهَقُ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ﴾ يُرِيدُ أَنْ يَمَيِّتَهُمْ حِينَ يَمَيِّتُهُمْ عَلَى الْكُفْرِ لِيَكُونَ ذَلِكَ أُنْكَى لَهُمْ وَأَشَدَّ لِعَذَابِهِمْ. وَهَذَا مِنْ بَابِ الْاسْتِدْرَاجِ لَهُمْ فِيمَا هُمْ فِيهِ ٨٦: ﴿وَإِذَا أَنْزَلْتَ سُورَةَ أَنْ آمَنُوا بِاللَّهِ﴾، [انْتَبِذَ الْمُؤْمِنُونَ إِلَى الْإِجَابَةِ، وَتَعَلَّلَ الْمُنَافِقُونَ]، ﴿أَنْ آمَنُوا بِاللَّهِ وَجَاهِدُوا مَعَ رَسُولِهِ اسْتَأْذِنَكَ أُولُو الطُّولِ مِنْهُمْ وَقَالُوا ذَرْنَا نَكُنْ مَعَ الْقَاعِدِينَ﴾ يَقُولُ تَعَالَى: [ذَلِكَ] مُنْكَرًا وَدَائِمًا لِلْمُتَخَلِّفِينَ عَنِ الْجِهَادِ مَعَ وَجُودِ الْقُدْرَةِ وَالسَّعَةِ.

الآية: ٨٢ قال مسلم عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله ﷺ قال: «إِنَّ أَدْنَى أَهْلِ النَّارِ عَذَابًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَنْتَعِلُ بِنَعْلَيْنِ مِنْ نَارٍ يَغْلِي دِمَاغَهُنَّ مِنْ حَرِّهَا نَعْلَاهُ». وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «يَأْتِيهَا النَّاسُ لِيَكُونُوا إِنْ لَمْ يَكُونُوا فَيَبْكُوا فَإِنَّ أَهْلَ النَّارِ يَكُونُ حَتَّى تَسِيلَ دِمُوعُهُمْ فِي وَجُوهِهِمْ كَأَنَّهَا جُدَالٌ حَتَّى تَنْقَطِعَ الدِّمُوعُ فَتَسِيلُ الدِّمَاءَ فَتُفْرَحُ الْعَيُونَ فَلَوْ أُنْ سَفْنَا أُزْجِيتَ فِيهَا جِهرت.» / ابن كثير ج ٢/٣٧٨

٨٧: ﴿رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ﴾، ورضوا لأنفسهم بالعار والقعود مع النساء وهن الخوالم بعد خروج الجيش، فإذا وقع الحرب كانوا أجبن الناس، وإذا كان آمن كانوا أكثر الناس كلاماً، ﴿وَوَطَّعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾ بسبب نكسهم عن الجهاد والخروج مع الرسول صلى الله عليه وآله وسلم في سبيل الله ﴿فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ﴾ ما فيه صلاح لهم فيفعلوه، ولا ما فيه مضرة لهم فيجتنبوه ٨٨: لما ذكر تعالى ذم المنافقين وبين ثناءه على المؤمنين وما لهم في آخرتهم، فقال: ﴿لَكِنَّ الرَّسُولَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ جَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَأُولَئِكَ لَهُمُ الْخَيْرَاتُ﴾، [وهي منافع الدارين]، ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ ٨٩: ﴿أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا﴾ في الدار الآخرة في جَنَّاتِ الْفِرْدَوْسِ وَالذَّرَجَاتِ الْعُلَى ﴿ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ ٩٠: ثم بين تعالى حال ذوي الأعدار في ترك الجهاد الذين جاؤوا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يعتذرون إليه، ويُبَيِّنُونَ لَهُ مَا هُمْ فِيهِ مِنَ الضَّعْفِ وَعَدِمِ الْقُدْرَةَ عَلَى الْخُرُوجِ. وهم من أحياء العرب ممن حول المدينة: ﴿وَجَاءَ الْمُعَذَّرُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ﴾؛ جاؤوا فاعتذروا فلم يُعَذِّرْهُمُ اللَّهُ. ﴿وَوَعَدَ الَّذِينَ كَذَبُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ وقد أعادهم بالعباد الأيم، الجيء للاعتذار، ثم أوعدهم بالعذاب الأليم، فقال: ﴿سَيُصِيبُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ ٩١: ثم بين تعالى الأعدار التي

رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطَّعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٨٧﴾ لَكِنَّ الرَّسُولَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ جَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَأُولَئِكَ لَهُمُ الْخَيْرَاتُ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٨٨﴾ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٨٩﴾ وَجَاءَ الْمُعَذَّرُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ وَوَعَدَ الَّذِينَ كَذَبُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ سَيُصِيبُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٩٠﴾ لَيْسَ عَلَى الضَّعَفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَى وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَحْدُونَ مَا يُنْفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولَهُ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٩١﴾ وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا اتَّوَكَّلْتَ لْتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَا أَحِدٌ مَأْمُومٌ عَلَيْهِ تَوَلَّوْا وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا مَا يُنْفِقُونَ ﴿٩٢﴾ إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ وَهُمْ أَغْنِيَاءُ رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطَّعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٩٣﴾

لا حرجَ على من قعدَ معها عن القتال، فذكرَ منها ما هو لازم للشخص لا ينفك عنه وهو الضعف الذي لا يستطيع معه الجهاد، ومنه العمى والرج، ونحوهما، ومنه ما هو عارض بسبب مرضٍ شغله عن الخروج أو بسبب فقره لا يقدر على التجهيز للحرب؛ فليس على هؤلاء حرجٌ إذا قعدوا ونصحو في حال عودهم، ﴿مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ﴾، [إلى مؤاخذتهم]، وهم محسنون في حالهم هذا، ﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ ٩٢: ﴿وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا اتَّوَكَّلْتَ لْتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَا أَحِدٌ مَأْمُومٌ عَلَيْهِ﴾، [أي: ليس على هؤلاء حرجٌ أيضاً]، وهم سبعة نفر من الأنصار وغيرهم كانوا أهل حاجة، فاستحملوا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم [أي: طلبوا منه أن يحملهم إلى الجهاد] فقال: ﴿لَا أَحِدٌ مَأْمُومٌ عَلَيْهِ تَوَلَّوْا وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا مَا يُنْفِقُونَ﴾، وفيهم قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «لقد خلفتم بالمدينة أقواماً ما أنفتم من نفقة ولا لظعتم وادياً ولا يلتم ثيلاً إلا وقد شروكوكم في الأجر». ثم قرأ الآية. أصل الحديث في الصحيحين ٩٣: ﴿إِنَّمَا السَّبِيلُ﴾ [أي: العقوبة والمأثم] ﴿عَلَى الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ وَهُمْ أَغْنِيَاءُ﴾، والمراد المنافقون. كرر ذكرهم للتأكيد في التحذير من سوء فعلهم.

الآية: ٩٢ جاء في الصحيحين من حديث أنس أن رسول الله ﷺ قال: «إن بالمدينة أقواماً ما ظعتم وادياً ولا سرتهم سيراً إلا وهم معكم» قالوا: وهم بالمدينة؟ قال «نعم حسبهم العذر». وفي الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «لا هجرة بعد الفتح، ولكن جهاد ونية، وإذا استنفرتم فانفروا». وفي الصحيحين أيضاً عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «يغزو جيش الكعبة، فإذا كانوا بيداءً من الأرض يخسف بأولهم وآخرهم» قلت: يا رسول الله! كيف يخسف بأولهم وآخرهم وفيهم أسواقهم [الذين يسوقونهم وهم ليسوا على قصدهم] ومن ليس منهم؟ قال: «يخسف بأولهم وآخرهم، ثم يُعْتَوَّنُ عَلَى نِيَابَتِهِمْ». وروى مسلم عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله لا ينظر إلى أجسامكم، ولا إلى صوركم، ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم». /رياض الصالحين / ١٧ - ٢٠ /

٩٤: ﴿يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ﴾

أخبر تعالى عن المنافقين بأنهم إذا رجعوا إلى المدينة -أي- من الغزو- أنهم يعتذرون إليهم، ﴿قُلْ لَا تَعْتَذِرُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكُمْ﴾ لن نصدّقكم، ﴿قَدْ نَبَأْنَا اللَّهُ مِنْ أخبارِكُمْ﴾ قد أعلمنا الله أحوالكم، ﴿وسيرى الله عملكم ورسوله﴾ سيظهر أعمالكم للناس في الدنيا ﴿ثم تُردُّون إلى عالم الغيب والشهادة فيُنشئكم بما كنتم تعملون﴾ فيخبركم بأعمالكم خيرا وشرها ويُجزئكم عليها ٩٥: ﴿سَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ إِذَا انقلبتم إليهم لتعرضوا عنهم﴾ أخبر تعالى عنهم أنهم سيحلفون لكم معتذرين لتعرضوا عنهم ﴿فأعرضوا عنهم بواطنهم واعتقادهم ومأواهم جهنم جزاء بما كانوا يكسبون﴾ ٩٦: ﴿يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا عنهم فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾

لا يرضى عن القوم الفاسقين ﴿الخراجين عن طاعة الله ورسوله ٩٧: ﴿الْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا﴾ أخبر تعالى أن في الأعراب كفارا ومنافقين ومؤمنين، وأن كفرهم ونفاقهم أعظم من غيرهم ﴿وأجدر ألا يعلموا حدود ما أنزل الله على رسول الله﴾ [أخلق] وأحرى أن لا يعلموا حدود ما أنزل الله على رسول الله. روى الإمام أحمد أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: «من سكن البادية جفأ» الحديث، ورواه أبو داود والترمذي والنسائي. ﴿والله عليم حكيم﴾ عليم بمن يستحق الإيمان والعلم، حكيم فيما قسم بين

يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ قُلْ لَا تَعْتَذِرُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكُمْ قَدْ نَبَأْنَا اللَّهُ مِنْ أخبارِكُمْ وَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنشِئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٤﴾ سَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ إِذَا انقلبتم إليهم لتعرضوا عنهم فأعرضوا عنهم إتهم رجسًا وما أولتهم جهنم جزاء بما كانوا يكسبون ﴿٩٥﴾ يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا عنهم فَإِنَّ تَرْضَوْا عنهم فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴿٩٦﴾ الْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا حُدُودَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٩٧﴾ وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَنْ يَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ مَغْرَمًا وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ الدَّوَابِّ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٩٨﴾ وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ قُرْبًا عِنْدَ اللَّهِ وَصَلَوَاتِ الرَّسُولِ أَلَّا يُهَاقِرْتَهُ لَّهُمْ سِيدٌ خَلَهُمُ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٩٩﴾

عباده من العلم والإيمان ٩٨: ﴿ومِنَ الْأَعْرَابِ مَنْ يَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ﴾ في سبيل الله ﴿مغرمًا﴾ غرامة وخسارة ﴿ويتربص بكم الدوائر﴾ ينتظر بكم الحوادث والآفات، ﴿عليهم دائرة السوء﴾ هي منعكسة عليهم والسوء دائر عليهم، ﴿والله سميع﴾ لدعاء عباده ﴿عليم﴾ بمن يستحق النصر ممن يستحق الخذلان ٩٩: ﴿ومِنَ الْأَعْرَابِ مَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ قُرْبًا عِنْدَ اللَّهِ وَصَلَوَاتِ الرَّسُولِ﴾ هذا هو القسم الممدوح من الأعراب الذين يتخذون ما يُنْفِقُونَ في سبيل الله قربةً يتقربون بها عند الله ويتبعون بذلك دعاء الرسول لهم، ﴿أَلَّا يُهَاقِرْتَهُمْ﴾ إن ذلك حاصل لهم ﴿سَيُدْخِلُهُمُ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾

الآية: ٩٧ - ٩٨ روى الإمام أحمد عن ابن عباس عن رسول الله ﷺ قال «من سكن البادية جفأ ومن اتبع الصيد غفل، ومن أتى السلطان افتن». روى مسلم عن عائشة قالت: قدم ناس من الأعراب على رسول الله ﷺ فقالوا: أقبولون صبيانكم؟ قالوا: نعم قالوا لكانا والله مانقيل فقال رسول الله ﷺ: «وأملك إن كان الله نزع منكم الرحمة» وفي رواية «من قليك الرحمة». ابن كثير ج ٢/٣٨٣

الآية: ٩٩ روى البخاري ومسلم في صحيحهما عن أبي ذرٍّ جندب بن جنادة قال: قلت يارسول الله! أي الأعمال أفضل؟ قال: «الإيمان بالله، والجهاد في سبيله» قلت: أي الرقاب أفضل [أي في الجنت] قال: «أنفسها عند أهلها وأكثرها ثمنًا» قلت: فإن لم أفعل؟ قال: «تعبن صانعًا، أو تصنع لأخرق» [أي لضعيف لا يقدر على الصنعة] قلت: يارسول الله! أرايت إن ضعفت عن بعض العمل؟ قال: تكف شرك عن الناس، فإنها صدقة منك على نفسك، وروى مسلم عن أبي ذرٍّ قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تحقرن من المعروف شيئًا ولو أن تلقى أخاك بوجه طليق». وروى البخاري ومسلم في صحيحهما عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «من غدا إلى المسجد أو راح، أعد الله له في الجنة زُلًّا كلما غدا أو راح».

١٠٠: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ﴾ بخير تعالى عن رضاه عن السابقين والأنصار من أدرك بيعة الرضوان عام الحديبية، ﴿والذين أتبعوهم بإحسان رضي الله عنهم﴾، [أي: فيما فيه من أفعالهم وأقوالهم، لا فيما صدر عنهم من هفوات إذ لم يكونوا معصومين رضي الله عنهم]. ﴿وأعد لهم جنتٍ تجري تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً ذلك الفوز العظيم﴾ ١٠١: ﴿وممن حولكم من الأعراب منافقون ومن أهل المدينة مردوا على النفاق لا تعلمهم نحن نعلمهم﴾ يخبر تعالى رسوله صلوات الله وسلامه عليه أنّ في أحياء العرب ممن حول المدينة منافقون، وفي أهل المدينة أيضاً منافقون ﴿مردوا على النفاق﴾ مرثوا واستمروا عليه. ﴿سنعذبهم مرتين﴾ عذاب الدنيا، وعذاب القبر ﴿ثم يردون إلى عذاب عظيم﴾ إلى عذاب النار ١٠٢: ﴿وأخرون اعترفوا بذنوبهم﴾ لما بين الله تعالى حال المنافقين بين حال المذنبين الذين تأخروا عن الجهاد كسلًا، ﴿خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً﴾ خلطوا هذه بتلك فهؤلاء تحت عفو الله وغفرانه. وهذه الآية وإن كانت نزلت في أناس معينين إلا أنّها عامة في كل المذنبين الخاطئين، ﴿عسى الله أن يتوب عليهم إن الله غفور رحيم﴾ ١٠٣: ﴿خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكّيهم بها﴾ أمر الله تعالى رسوله صلى الله عليه وآله وسلم بأن يأخذ من أموالهم صدقة يطهرهم ويزكّيهم بها، وهذا عام وإن

وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ الْأَوْلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٠١﴾ وَمِمَّنْ حَوْلَكُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ سَنُعَذِّبُهُمْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ ﴿١٠٢﴾ وَأَخْرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا عَسَىٰ اللَّهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنْ اللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٠٣﴾ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٤﴾ إِنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ وَإِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿١٠٥﴾ وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَىٰ اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسُرَدُّونَ إِلَىٰ عِلِّيِّينَ وَالشَّهَادَةُ فَيُنْتَسَبُ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٠٦﴾ وَأَخْرُونَ مُرْجُونَ لِأَمْرِ اللَّهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٠٧﴾

أعاد بعضهم [أي: بعض المفسرين] الضمير في أموالهم إلى الذين اعترفوا بذنوبهم. ﴿وصل عليهم﴾ ادع لهم واستغفر لهم، كما رواه مسلم: كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم إذا أتى بصدقة قوم صلى عليهم، فأتاه أبو أوفى بصدقته فقال: «اللهم صل على آل أبي أوفى». ﴿إن صلاتك سكن لهم﴾ رحمة لهم ووقار. ﴿والله سميع﴾ لدعائك ﴿عليم﴾ بمن يستحق ذلك ١٠٤: ﴿لم يعلموا أن الله هو يقبل التوبة عن عباده ويأخذ الصدقات﴾؟ هذا تبيين إلى التوبة والصدقة اللتين كل منهما يحط الذنوب ويُمحصها ويمحها، ﴿وإن الله هو التواب الرحيم﴾ ١٠٥: ﴿وقل اعملوا فسيري الله عملكم ورسوله والمؤمنون﴾ هذا وعيد من الله تعالى للمخالفين أوامره بأن أعمالهم ستعرض عليه تبارك وتعالى وعلى الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وعلى المؤمنين، ﴿وسرردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون﴾، وهذا كائن لا محالة يوم القيامة ١٠٦: ﴿وأخرون مرجون لأمر الله إمّا يُعذبهم وإمّا يتوب عليهم﴾ هم تحت عفو الله إن شاء فعل بهم هذا وإن شاء فعل بهم ذلك، ولكن رحمته تغلب غضبه، ﴿والله عليم﴾ بمن يستحق العقوبة ومن يستحق العفو، ﴿حكيم﴾ في أفعاله وأقواله.

الآية: ١٠٣ روى مسلم في صحيحه عن عبدالله بن أبي أوفى قال: قال النبي ﷺ: إذا أتى بصدقة قوم صلى عليهم فأتاه أبو أوفى بصدقته فقال: «اللهم صل على آل أبي أوفى»، وفي الحديث الآخر: أن امرأة قالت: يا رسول الله صل على زوجي، فقال: «صل الله عليك وعلى زوجك». روى الترمذي عن القاسم بن محمد أنه سمع أبا هريرة يقول: قال رسول الله ﷺ: «إن الله يقبل الصدقة ويأخذها يمينه، فترهبها لأحدكم كما يربني أحدكم مَهْرُهُ، حتى أن القرعة تكونون مثل أحد». ابن كثير ج ٢/٣٨٦

١٠٧: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ﴾ سب نزول هذه الآيات أبو عامر الراهب، وكان قد تنصّر في الجاهلية وله شرف في الخزرج، فلما قدم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مهاجراً إلى المدينة، وصارت للإسلام كلمة عالية، شَرَقَ اللعين بريقه وبارَزَ بالعداوة، فخرج فاراً إلى كفار مكة، يُمالئهم على حرب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فقدموا عام أُحُد، وكان من أمر المسلمين ما كان، وذهب أبو عامر إلى هرقل يستنصره، وأقام عنده وكتب إلى جماعة من قومه من أهل النفاق يعيذهم ويُنصيهم بجيش يقاتل به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأمرهم أن يتخذوا له معقلاً، فشرعوا في بناء مسجد مجاور لمسجد قباء، فبنوه وأحكموه، وجاؤوا فسألوا رسول الله أن يصلي فيه ليحتجوا بصلاته فيه على تقريره، فنزل جبريل بخرير مسجد الضرار وما اعتمده بانوه من الكفر والتفريق بين جماعة المؤمنين، فبعث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى ذلك المسجد من هدمه. ﴿وَلِيُخْلِفُنَا إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَى وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ ١٠٨: ﴿لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا﴾ نبي له صلى الله عليه وآله وسلم، والأمة تبع له في ذلك، عن أن يقوم فيه أبداً. ﴿لِمَسْجِدٍ أُسَسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ، فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَّخِذُوا اللَّهَ يَحِبُّ الْمُطَهَّرِينَ﴾ وكانوا يستنجون بالماء. وإن

وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ وَلِيُخْلِفُنَا إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَى وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿١٠٧﴾ لَأَنْقُرُ فِيهِ أَبَدًا لِمَسْجِدٍ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَّخِذُوا اللَّهَ يَحِبُّ الْمُطَهَّرِينَ ﴿١٠٨﴾ أَفَمَنْ أُسِّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى تَقْوَى مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَمْ مَنْ أُسِّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى شَفَا جُرْفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿١٠٩﴾ لَا يَزَالُ بُنْيَانُهُمُ الَّذِي بَنَوْا رِيبَةً فِي قُلُوبِهِمْ إِلَّا أَنْ تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١١٠﴾ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقْسِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدَّ عَلَيْهِمْ حَقًّا فِ التَّوْبَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١١١﴾

الظهور بالماء لِحَسَنٍ ولكنهم المطهرون من الذنوب ١٠٩: ﴿أَفَمَنْ أُسِّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى تَقْوَى مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَمْ مَنْ أُسِّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى شَفَا جُرْفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ؟!﴾ لا يستوي من أسس بنيانه على تقوى من الله ورضوان ومن بنى مسجداً ضاراً، وكفراً وإرصاداً لمن حارب الله ورسوله؛ فإنما بنيانهم على شفا جرف هار، أي: على طرف حفيرة مثالة ﴿فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ لا يصلح عمل المفسدين ١١٠: ﴿لَا يَزَالُ بُنْيَانُهُمُ الَّذِي بَنَوْا رِيبَةً فِي قُلُوبِهِمْ﴾ شكاً ونفاقاً بسبب إقدامهم على هذا الصنيع، ﴿إِلَّا أَنْ تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ﴾ بموتهم، ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ﴾ بأعمال خلقه ﴿حَكِيمٌ﴾ في مجازاتهم عنها من خير أو شر ١١١: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةَ﴾ وذلك إذا بذلوا في سبيله، بأن لهم الجنة، وهذا من فضله وكرمه وإحسانه؛ ﴿يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدَّ عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْبَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ﴾ هذا تأكيد لهذا الوعد وإخباراً بأنه قد كتبه على نفسه الكريمة. ﴿وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ؟﴾ فإنه لا يخلف الميعاد، ﴿فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ فليستبشروا من قام بمقتضى هذا العقد، ووفى بهذا العهد بالفوز العظيم والنعيم المقيم. ومن حمل في سبيل الله فقد بايع الله؛ أي: قبل هذا العقد ووفى به.

= لو مات عليه دخل الجنة حتى يتحول فيعمل عملاً سيئاً، وإن العبد يعمل البرهمة من دهره بعمل سيئ لو مات عليه دخل النار، ثم يتحول فيعمل عملاً صالحاً، وإذا أراد الله بعبد خيراً استعمله قبل موته؛ قالوا: يارسول الله وكيف يستعمله؟ قال: يوفقه لعمل صالح ثم يقضه عليه. / ابن كثير ج ٢/ ٣٨٧

١١٢: هذا نعتُ الذين اشتري الله منهم أنفسهم وأموالهم بهذه الصفات الجميلة: ﴿التائبون﴾ من الذنوب كلها التاركون للفواحش ﴿العابِدُونَ﴾ القائمون بعبادة ربهم محافظين عليها، ﴿الحامِدُونَ﴾، [أي: الراضون بقضائه، المُصرفون نعمته في طاعته الذين يحمَدون الله على كل حال]، ﴿السائِحُونَ﴾ الصائمون، ﴿الراكِعُونَ﴾ الساجِدُونَ الأُمُورُ بِالْمَعْرُوفِ وَالتَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ يَفْعَلُونَ خَلْقَ اللَّهِ وَيُرِيدُونَهم إِلَى طَاعَةِ اللَّهِ بِأَمْرِهِم بِالْمَعْرُوفِ وَنَهْيِهِم عَنِ الْمُنْكَرِ، ﴿وَيُشِيرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ لَأَنَّ الْإِيمَانَ يَشْمَلُ هَذَا كُلَّهُ، وَالسَّعَادَةَ كُلَّ السَّعَادَةِ لِمَنْ اتَّصَفَ بِهِ ١١٣: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أَوْلَىٰ قُرْبَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أُصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾ روى الإمام أحمد: لما حضرت أبا طالب الوفاة دخل عليه النبي صلى الله عليه وآله وسلم وعنده أبو جهل وابن أمية، فقال: «أبي عمّ قل لا إله إلا الله كلمة أحاج لك بها عند الله عزّ وجلّ»، فقال أبو جهل وابن أمية: يا أبا طالب أرغب عن ملة عبد المطلب؟ فقال: أنا على ملة عبد المطلب، فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «أستغفرنّ لك ما لم أُنه عنك» فزلت الآية: ونزل فيه: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ أخرجاه. [وهذه الآية تضمنت قطع موالاة الكفار حيّهم وميتهم] ١١٤: ﴿وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ

التَّيْبُونِ الْعَبِيدُونَ الْحَمِيدُونَ السَّائِحُونَ
الرَّكِعُونَ السَّاجِدُونَ الْأُمُورُ بِالْمَعْرُوفِ
وَالتَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْحَدِثُونَ الْحَدِيثُونَ
وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ
يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أَوْلَىٰ قُرْبَىٰ مِنْ بَعْدِ
مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أُصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴿١١٣﴾ وَمَا كَانَ
اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ
فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ
﴿١١٤﴾ وَمَا كَانَ لِلَّهِ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَاهُمْ حَتَّىٰ
يُبَيِّنَ لَهُمْ مَا يَتَّقُونَ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١١٥﴾ إِنَّ اللَّهَ
لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَمَا لَكُمْ مِنْ
دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١١٦﴾ لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى
النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي
سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبَ فَرِيقٍ
مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٧﴾

وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَأَ مِنْهُ ﴿١١٢﴾ عَدَرَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ [وذلك أن أبا إبراهيم وعدّ إبراهيم الخليل أن يؤمن بالله ويخلع الأنداد، فلما مات على الكفر علم أنه عدوٌّ لله، فترك الدعاء له]. ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ﴾ الأَوَّاهُ: المتضرّع في الدعاء ١١٥: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَاهُمْ﴾ أخبر تعالى عن نفسه الكريمة أنه لا يُضِلُّ قَوْمًا إِلَّا بَعْدَ إِبْلَاحِ الرِّسَالَةِ حَتَّىٰ يَكُونُوا قَدْ قَامَتْ عَلَيْهِمُ الْحِجَةُ، ﴿حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُمْ مَا يَتَّقُونَ﴾، إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١١٦﴾: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾، هذا تحريض من الله تعالى لعباده المؤمنين في قتال أهل الكفر، وأنهم يشقُّون بنصر الله مالك السموات والأرض ولم يرهبوا من أعدائه فإنه لا ولي لهم من دون الله ولا نصير لهم سواه ١١٧: ﴿لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ﴾، نزلت هذه الآية في غزوة تبوك، وذلك أنهم خرجوا إليها في شدّة من الأمر في سنة مجدبة وحرّ شديد وعُسْر من الزاد والماء، ﴿وَمِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبَ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ﴾ عن الحق ويشك في دين رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ويرتاب للذي نالهم من المشقة والشدّة في غزوهم؛ فجاء أبو بكر الصديق فقال: يا رسول الله إن الله قد عودك في الدعاء خيرًا فأدع لنا، فرفع يديه فلم يُرْجِعْهُمَا حَتَّىٰ سَأَلَتِ السَّمَاءُ فَأَهْطَلَتْ ثُمَّ سَكَتَتْ فَمَلَأُوا مَا مَعَهُمْ، ثُمَّ ذَهَبْنَا نَنْظُرُ فَلَمْ نَجِدْهَا جَاوِزَتِ الْعَسْكَرَ. ﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ﴾ رزقهم الإنابة إلى ربهم ﴿إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾.

١١٨: ﴿وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِفُوا حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ﴾ وهو لاء الثلاثة: هم كعب بن مالك، ومُرارة بن ربعية العامري، وهلال بن أمية الواقفي، وكلهم من الأنصار، تخلفوا في غزوة تبوك. وكانوا قد شهدوا بدرًا، نهي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن كلامهم، قال كعب بن مالك: فاجتنبنا الناس، وتغيروا لنا حتى تنكرت لي نفسي الأرض فسا هي الأرض التي كنت أعرف، فلبثنا على ذلك خمسين ليلة، فأما صاحباي فاستكانا وبقعدا في بيوتهما يبكيان أما أنا فكنت أجلدهم كنت أشهد الصلاة مع المسلمين فلا يكلمني أحد، فلما كمل لنا خمسون ليلة على الحال التي ذكر الله تعالى منا قد ضاقت علي نفسي وضاقت علي الأرض بما رحبت سمعت صرخا يقول بأعلى صوته: أبيض يا كعب، فخررت ساجدا وعرفت أن قد جاء الفرج من الله عز وجل بالتوبة علينا، وأنزل الله تعالى هذه الآية. ﴿ووظنوا أن لا ملجأ إلى الله إلا إليه ثم تاب عليهم ليتوبوا إن الله هو التواب الرحيم﴾ ١١٩: ﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين﴾ اصدقوا والزمو الصدق تكونوا من أهله وتنجوا من المهالك، ويجعل لكم فرجا ومخرجا ١٢٠: ﴿ما كان لأهل المدينة ومن حولهم من الأعراب أن يتخلفوا عن رسول الله ولا يرجعوا بأنفسهم عن نفسه﴾ يعاتب الله تعالى المتخلفين عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِفُوا حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ وَظَنُوا أَنَّ لَا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ تُعَاتَبُ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿١١٨﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴿١١٩﴾ مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَن رَّسُولِ اللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا بِأَنْفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَطْئُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوِّ نِيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٢٠﴾ وَلَا يُنْفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٢١﴾ وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴿١٢٢﴾

وسلم في غزوة تبوك؛ فإنهم نقضوا أنفسهم من الأجر لأنهم: ﴿لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ﴾ وهو العطش ﴿وَلَا نَصَبٌ﴾ وهو التعب ﴿وَلَا مَخْمَصَةٌ﴾ وهي الجاعة ﴿وَلَا يَطْئُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ﴾ يزلوا منزلاً يُرهبُ عدوهم ﴿وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوِّهِمْ نِيْلًا﴾ ظفراً وغبلة ﴿إِلَّا كُتِبَ لَهُمُ﴾ بهذه الأعمال ﴿بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ﴾ ثواب جزيل، ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ ١٢١: ﴿وَلَا يُنْفِقُونَ﴾ هؤلاء الغزاة في سبيل الله ﴿نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً﴾ قليلاً ولا صغيراً ﴿وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا﴾ في السير إلى الأعداء ﴿إِلَّا كُتِبَ لَهُمُ لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ ١٢٢: ﴿وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ﴾ هذا بيان لمراده تعالى من نفي الأحياء كلها مع الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ليتفقه الخارجون بما ينزل من الوحي، ﴿وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾. ويعني بذلك -أيضاً- أنه لا ينبغي للمسلمين أن ينفروا جميعاً ونبي الله صلى الله عليه وآله وسلم قاعد، ولكن إذا قعد فسرت السرايا قعد معه معظم الناس.

الآية: ١٢١ روى الإمام أحمد عن عبدالرحمن بن حباب السلمي قال خطب رسول الله ﷺ فحث على جيش العسرة فقال: عثمان بن عفان رضي الله عنه على مائة بعير بأحلاسها وأتاه، قال: ثم حث، فقال عثمان: علي مائة بعير أخرى بأحلاسها وأتاه، قال ثم نزل مرقاة من المنبر ثم حث، فقال عثمان بن عفان: علي مائة أخرى بأحلاسها وأتاه. قال فرائد رسول الله ﷺ قال: بيده هكذا يجرهما [وأخرج عبدالصمد راوي الحديث يده كالتعجب] [ماعلى عثمان ماعمل بعد هذا!!].

١٢٣: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ﴾ أمر الله تعالى المؤمنين أن يُقاتلوا الكفار أولاً فاولاً، الأقرب فالأقرب إلى حوزة الإسلام، ولهذا بدأ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بقتال المشركين في جزيرة العرب، فلما فرغ منهم وفتح الله عليه مكة والطائف واليمن واليمامة وهجر وخيبر وحضرموت وغيرها، ودخل سائر أحياء العرب في دين الله أفواجاً شرع في قتال أهل الكتاب، فتجهز لغزو الروم. ﴿وَلِيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً﴾ منكم عليهم ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾، أي: إن الله معكم إذا اتقيتموه ١٢٤: ﴿وَإِذَا مَا أَنْزَلَتْ سُورَةٌ مِنْهُمْ﴾ المنافقين ﴿مَنْ يَقُولُ أَيْكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا﴾ يقول بعضهم لبعض. ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فزادتهم إيماناً وهم يستبشرون﴾، هذه الآية من أكبر الدلائل على أن الإيمان يزيد وينقص ١٢٥: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾ شك ﴿فزادتهم رجساً إلى رجسهم﴾ شكاً وريباً إلى ريبهم ﴿وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ﴾ ١٢٦: ﴿أَوْ لَا يَرُونَ أَنَّهُمْ يَفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ﴾ ثم لا يتوبون ولا هم يذكرون ﴿لَا يَتُوبُونَ﴾ من ذنوبهم ١٢٧: ﴿وَإِذَا مَا أَنْزَلَتْ سُورَةٌ نَظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ هَلْ يَرَيْنَكُمْ مِنْ أَحَدٍ ثُمَّ انصَرَفُوا صَرَفَ اللَّهِ قُلُوبَهُمْ بَيْنَهُمْ لِيُقَفَّهُوْنَ﴾ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ وَلِيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴿١٢٣﴾ وَإِذَا مَا أَنْزَلَتْ سُورَةٌ مِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ أَيْكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فزادتهم إيماناً وهم يستبشرون ﴿١٢٤﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فزادتهم رجساً إِلَى رَجْسِهِمْ وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ ﴿١٢٥﴾ أَوْ لَا يَرُونَ أَنَّهُمْ يَفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمْ يَذَكَّرُونَ ﴿١٢٦﴾ وَإِذَا مَا أَنْزَلَتْ سُورَةٌ نَظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ هَلْ يَرَيْنَكُمْ مِنْ أَحَدٍ ثُمَّ انصَرَفُوا صَرَفَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ بَيْنَهُمْ لِيُقَفَّهُوْنَ ﴿١٢٧﴾ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿١٢٨﴾ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴿١٢٩﴾

سُورَةُ الْيُونُسِ

غيبه، ﴿ثُمَّ انصَرَفُوا﴾ تولوا عن الحق ﴿صَرَفَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ بَيْنَهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ﴾ لا يفهمون عن الله خطابهُ ولا يقصدون لفهمه ولا يريدونه ١٢٨: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ﴾ يَمُنُّ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى الْمُؤْمِنِينَ بِمَا أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ رَسُولاً مِنْ جَنْسِهِمْ وَعَلَى لَعْنَتِهِمْ، ﴿عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ﴾ يعزُّ عليه الشيء الذي يُعِنُّ أُمَّتَهُ وَيَشُقُّ عَلَيْهَا ﴿حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ﴾ على هدايتكم ووصول النفع الدنيوي والأخروي إليكم. ﴿بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ ١٢٩: ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا﴾ عمّا جئتم به من الشريعة العظيمة المطهرة الكاملة الشاملة، ﴿فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ الله كافي لا إله إلا هو ﴿عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ﴾ أي: اعتمدت وإليه فوضت جميع أموري، ﴿وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾ هو مالك كل شيء وخالقه لأنه رب العرش العظيم الذي هو سقف جميع الخلائق، وهم مقهورين بقدرة الله تعالى، وعلمه محيط بكل شيء، وقدرته نافذ في كل شيء، وهو على كل شيء وكيل.

الآية: ١٢٨ قال سفيان بن عيينة عن جعفر بن محمد عن أبيه في قوله تعالى ﴿لقد جاءكم رسول من أنفسكم﴾ قال لم يصبه شيء من ولاة الجاهلية وقال عليه السلام «خرجت من نكاح ولم أخرج من سفاح». /ابن كثير ج٢/٤٠٣/٤٠

الآية: ١٢٩ روى أبو داود عن أم الدرداء عن أبي الدرداء قال: «مَنْ قَالَ إِذَا أَصْبَحَ وَإِذَا أَمْسَى «حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ سَبْعَ مَرَّاتٍ إِلَّا كَفَّاهُ اللَّهُ مَا أَمَّهُ» رواه ابن عساکر. /ابن كثير ج٢/٤٠٥/٤٠

تفسير سورة يونس

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الرَّتِّكَ ءَايَتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ ﴿١﴾ أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا
 أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَى رَجُلٍ مِّنْهُمْ أَنْ أَنْذِرِ النَّاسَ وَبَشِّرِ الَّذِينَ ءَامَنُوا
 أَنْ لَهُمْ قَدَمٌ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ قَالَ الْكَافِرُونَ إِنَّ هَذَا
 لَسَجْرٌ مِّمَّيْنِ ﴿٢﴾ إِنَّ رَبَّكُمْ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضَ
 فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُدِيرُ الْأُمْرَ مَا مِنْ شَفِيعٍ
 إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ أَفَلَا
 تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا وَعَدَّ اللَّهُ حَقًّا إِنَّهُ
 يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّٰلِحٰتِ
 بِالْقِسْطِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ
 أَلِيمٌ مَّا كَانُوا يَكْفُرُونَ ﴿٤﴾ هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ
 ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَرَهُ مَنَازِلَ لِنَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ
 وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الْآيٰتِ
 لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٥﴾ إِنَّ فِي اخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ
 اللَّهُ فِي السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ لَآيٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَّقُونَ ﴿٦﴾

٢٠٨

١: ﴿الرَّتِّكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ﴾ هذه
 آيات القرآن المحكم المبين ٢: ﴿أَكَانَ لِلنَّاسِ
 عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَى رَجُلٍ مِّنْهُمْ﴾ ينكر الله تعالى
 على مَنْ تَعَجَّبَ مِنَ الْكُفَّارِ مِنْ إِسْرَالِ الْمُرْسَلِينَ
 مِنَ الْبَشَرِ، ﴿أَنْ أَنْذِرِ النَّاسَ وَبَشِّرِ الَّذِينَ
 ءَامَنُوا﴾ مَنْ سَبَقَتْ لَهُمُ السَّعَادَةُ فِي الذِّكْرِ الْأَوَّلِ
 ﴿أَنْ لَهُمْ قَدَمٌ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ أَجْرًا حَسَنًا بِمَا
 قَدَّمُوا. ﴿قَالَ الْكَافِرُونَ إِنَّ هَذَا السَّاحِرُ
 مِيمٌ﴾ ظَاهِرٌ، وَهِيَ مِنْ ذَلِكَ كَاذِبُونَ ٣: ﴿إِنَّ
 رَبَّكُمْ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضَ فِي
 سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ كُلُّ يَوْمٍ كَأَنَّ سَنَةً مِّمَّا تَعْدُونَ
 ﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ﴾ أَمْرُ
 الْخَلَائِقِ ﴿مَا مِنْ شَفِيعٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ
 إِذْنِهِ﴾ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ
 عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾، ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ
 فَاعْبُدُوهُ﴾ أَفْرَدَهُ بِالْعِبَادَةِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ
 ﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ أَيُّهَا الْمُشْرِكُونَ فِي أَمْرِكُمْ
 تَعْبُدُونَ مَعَ اللَّهِ لَهَا غَيْرُهُ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّهُ
 الْمُتَفَرِّدُ بِالْخَلْقِ؟ ٤: ﴿إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا﴾
 يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴿وَعَدَّ اللَّهُ حَقًّا﴾ أَيُّ صِدْقًا
 لَا تُخْلَفُ فِيهِ، ﴿إِنَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾،
 ﴿وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾، ﴿لِيَجْزِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا
 وَعَمِلُوا الصَّٰلِحٰتِ بِالْقِسْطِ﴾ بِالْعَدْلِ وَالْجَزَاءِ
 الْأَوْفَى ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ
 وَعَذَابٌ أَلِيمٌ مَّا كَانُوا يَكْفُرُونَ﴾ بِسَبَبِ
 كُفْرِهِمْ يُعَذَّبُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِأَنْوَاعِ الْعَذَابِ مِنْ
 سُؤْمٍ وَحَمِيمٍ وَظِلٍّ مِنْ مِجْمُومٍ ٥: ﴿هُوَ
 الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا﴾

خير تعالى عما خلق من الآيات الدالات على كمال قدرته وعظم سلطانه، وأنه جعل الشعاع الصادر عن الشمس ضياءً، وجعل شعاع القمر
 راءً، وفاوت بينهما لتلا يشبهها، وجعل سلطان الشمس بالنهار وسلطان القمر بالليل، ﴿وقدره منازل﴾ وقدر القمر منازل؛ فأول ما يبدو صغيراً حتى
 ستوسق ويكمل إبداره، ثم يشرع في النقص حتى يرجع إلى حالته الأولى في تمام الشهر كقوله تعالى: ﴿والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون
 القديم﴾. ﴿لنعلموا عدد السنين والحساب﴾ فبالشمس تعرف الأيام وبسیر القمر تعرف الشهور والأعوام. ﴿ما خلق الله ذلك
 لا بالحق﴾ لم يخلق عبثاً بل له حكمة عظيمة في ذلك وحجة بالغة، ﴿يفصل الآيات لقوم يعلمون﴾ تبين الحجج والأدلة لئلا يستدل بها على
 قدرته تعالى ٦: ﴿إن في اختلاف الليل والنهار وما خلق في السموات والأرض لآيات لِّقَوْمٍ يَتَّقُونَ﴾ إن في تعاقب الليل والنهار وما خلق الله
 في السموات والأرض آيات دالة على عظمته تعالى، لقوم يتقون عقاب الله وسخطه وعذابه.

الآية: ٣ قال ابن كثير: يخبر تعالى أنه رب العالم جميعه، وأنه خلق السماوات والأرض في ستة أيام قبل كهذه الأيام وقيل كل يوم كألف سنة مما تعدون ثم استوى على العرش أعظم
 مخلوقات وسقفها. وقوله ﴿يُدَبِّرُ الْأَمْرَ﴾ أي يدبر أمر الخلائق ﴿لا يخبر عنه من قال ذرة في السماوات والأرض﴾ ولا يشغله شأن عن شأن ولا تغلظه المسائل ولا يترحم بإلحاح الملحين ولا يلهيه
 بغير الكبير عن الصغير في الجبال والبحار والعمران والقفار ﴿وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها﴾.

قال رسول الله ﷺ: ﴿إن للمؤمن في الجنة نخيمة من اللؤلؤ واحدة بمؤفة طولها ستون ميلاً في السماء للمؤمن من فيها أهلون يطوف عليهم لا يرى بعضهم بعضاً وعن أبي هريرة قال:
 ل رسول الله ﷺ: ﴿من آمن بالله ورسوله وأقام الصلاة وصام رمضان فإن حقاً على الله أن يدخله الجنة هاجر في سبيل الله أو حبس في أرضه التي وكد فيها! قالنا: يا رسول الله أفلا تخبر
 ناس؟ قال: ﴿إن في الجنة مائة درجة أعدتها الله للجهاديين في سبيله، بين كل درجتين كما بين السماء والأرض فإذا سألت الله فأسأله الفردوس، فإنه أعلى الجنة وأوسط الجنة ومنه تنفتح أبواب
 الجنة، ووقفه عرش الرحمن﴾. /ابن كثير ج ٢/ ٣٦٩/ ٤٠٦

٧: ﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ يُخَيَّرُ تَعَالَى عَنْ حَالِ الْأَشْقِيَاءِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَرَضُوا بِهَذِهِ الْحَيَاةِ، ﴿وَاطْمَأَنُّوا بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ﴾ ٨: ﴿أُولَئِكَ مَا لَهُمْ النَّارُ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ مَا وَاهُمْ يَوْمَ مَعَادِهِمُ النَّارَ جَزَاءً عَلَى مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ مِنَ الْآثَامِ وَالْخَطَايَا مَعَ مَا هُمْ فِيهِ مِنَ الْكُفْرِ ٩: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُم بِإِيمَانِهِمْ﴾ هَذَا إِخْبَارٌ عَنْ حَالِ السَّعْدَاءِ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ بِأَنَّهُمْ سَيَهْدِيهِمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَى الصِّرَاطِ حَتَّى يَجُوزُوهُ وَيَخْلُصُوا إِلَى الْجَنَّةِ ﴿تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾ ١٠: ﴿دَعْوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ﴾ ذَلِكَ دَعْوَاهُمْ، إِذَا أَهْلُ الْجَنَّةِ أَنْ يَدْعُوا أَحَدَهُمْ بِالطَّعَامِ قَالُوا: «سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ» فَيَأْتِيهِمُ الْمَلَكُ بِمَا يَشْتَهُونَهُ فَيُسَلِّمُ عَلَيْهِمْ، فَيُرْوَدُونَ عَلَيْهِمُ السَّلَامَ فَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ﴾، ﴿وَأَخْرَجُوا دَعْوَاهُمْ أَنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ فِي هَذَا دَلَالَةٌ عَلَى أَنَّهُ تَعَالَى مَحْمُودٌ أَبَدًا فَهُوَ الْمَحْمُودُ فِي الْأَوَّلِ وَالْآخِرَةِ. وَجَاءَ فِي الْحَدِيثِ: «إِنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ يُلْهِمُونَ التَّسْبِيحَ وَالتَّحْمِيدَ كَمَا يُلْهِمُونَ النَّفْسَ» ١١: ﴿وَلَوْ يُعْجِلُ اللَّهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ اسْتِعْجَالَهُمْ بِالْخَيْرِ لَفُضِّيَ إِلَيْهِمْ أَجْلُهُمْ﴾ يُخَيَّرُ تَعَالَى عَنْ حِلْمِهِ وَلَطْفِهِ بِعِبَادِهِ أَنَّهُ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُمْ إِذَا دَعَوْا عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَوْ أَوْلَادِهِمْ فِي حَالِ ضَجْرِهِمْ وَغَضَبِهِمْ، وَأَنَّهُ يَعْلَمُ مِنْهُمْ عَدَمَ الْقَصْدِ بِالشَّرِّ إِلَى إِرَادَةِ ذَلِكَ،

الجنة
١١

الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ

سُورَةُ الْأَنْعَامِ

إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنُّوا بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ ﴿٧﴾ أُولَئِكَ مَا لَهُمْ النَّارُ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٨﴾ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُم بِإِيمَانِهِمْ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴿٩﴾ دَعْوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ ﴿١٠﴾ وَأَخْرَجُوا دَعْوَاهُمْ أَنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١١﴾ وَلَوْ يُعْجِلُ اللَّهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ اسْتِعْجَالَهُمْ بِالْخَيْرِ لَفُضِّيَ إِلَيْهِمْ أَجْلُهُمْ فَذَرِ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١٢﴾ وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنبِهِ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّكَانَ لَمْ يَدْعُنَا إِلَى ضُرِّ مَسَّهُ كَذَلِكَ زِينٌ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٣﴾ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ وَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ ﴿١٤﴾ ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ مِنْ بَعْدِهِمْ لِنَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾

٢٠٩

وَلِذَلِكَ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُمْ وَالْحَالَةَ هَذِهِ لَطْفًا وَرَحْمَةً كَمَا يَسْتَجِيبُ لَهُمْ إِذَا دَعَا أَنْفُسَهُمْ وَأَوْلَادَهُمْ بِالْخَيْرِ. ﴿فَذَرِ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا فِي طُغْيَانِهِمْ﴾ [أَي: لَا يُعْجِلُ لَهُمُ الشَّرَّ فَرِمَا يَتُوبُ مِنْهُمْ تَائِبٌ أَوْ يَخْرُجُ مِنْ أَصْلَابِهِمْ مُؤْمِنًا]، ﴿يَعْمَهُونَ﴾ [أَي: يَتَحَيَّرُونَ] ١٢: ﴿وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنبِهِ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا﴾ يُخَيَّرُ تَعَالَى عَنِ الْإِنْسَانِ وَضَجْرِهِ وَقَلْبِهِ إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ، ﴿قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا﴾ [أَي: فِي جَمِيعِ حَالَاتِهِ]، ﴿فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ﴾ كَشَفَ كَرْبَهُ ﴿مَرَّكَانَ لَمْ يَدْعُنَا إِلَى ضُرِّ مَسَّهُ﴾ [أَي: اسْتَمَرَّ عَلَى كُفْرِهِ وَلَمْ يَشْكُرْ وَلَمْ يَتَعَطَّ]، ﴿كَذَلِكَ زِينٌ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ ١٣: ﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ﴾ أَخْبَرَ تَعَالَى عَمَّا حَلَّ بِالْقُرُونِ الْمَاضِيَةِ فِي تَكْذِيبِهِمُ الرِّسَالَ فِيمَا جَاؤُوهُمْ بِهِ مِنَ الْبَيِّنَاتِ ﴿وَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا﴾ كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ ١٤: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ مِنْ بَعْدِهِمْ لِنَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾ ثُمَّ اسْتَخْلَفَ اللَّهُ هَؤُلَاءِ الْقَوْمَ مِنْ بَعْدِهِمْ، وَأَرْسَلَ إِلَيْهِمْ رَسُولًا لِيَنْظُرَ طَاعَتَهُمْ لَهُ، وَاتِّبَاعَهُمْ رَسُولَهُ.

الآية: ٩ قال ابن جريج: يُعْتَلُّ لَهُ عَمَلُهُ فِي صُورَةِ حَسَنَةِ وَرِيحٍ طَيِّبَةٍ إِذَا قَامَ مِنْ قَبْرِهِ بَعَارِضُ صَاحِبِهِ وَيُشِيرُهُ بِكُلِّ خَيْرٍ فَيَقُولُ لَهُ: مَنْ أَنْتَ؟ فَيَقُولُ: أَنَا عَمَلُكَ فَيَجْعَلُ لَهُ نُورًا مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ حَتَّى يَدْخُلَهُ الْجَنَّةَ، فَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى ﴿يَهْدِيهِمْ رَبُّهُم بِإِيمَانِهِمْ﴾ وَالْكَافِرُ يُعْتَلُّ لَهُ عَمَلُهُ فِي صُورَةِ سَيْئَةٍ وَرِيحٍ مُنْتَنَةٍ فَيَلْزِمُ صَاحِبَهُ وَيَلَادُهُ حَتَّى يَقْدِفَهُ فِي النَّارِ.

ابن كثير ج ٢/٤٠٨

الآية: ١١ روى الحافظ أبو بكر البزار في مسنده: عن جابر قال: قال رسول الله ﷺ: «لاندعوا على أنفسكم، لاندعوا على أولادكم، لاندعوا على أموالكم، لاندعوا من الله ساعة فيها إجابة فيستجيب لكم». ابن كثير ج ٢/٤٠٨

وَإِذَا تَتَلَّى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا أَأَنْتِ بِشِرْعَانٍ غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدَّلَهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تَلْقَائِي نَفْسِي إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥﴾ قُلْ لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلَا أَدْرَاكُمْ بِهِ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِنْ قَبْلِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٦﴾ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْمَجْرُمُونَ ﴿١٧﴾ وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شَفَعْنَا عِنْدَ اللَّهِ قُلْ أَتَنْبِئُونَ اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٨﴾ وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلَّا أُمَّةً وَاحِدَةً فَاخْتَلَفُوا وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَفُضِيَ بَيْنَهُمْ فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٩﴾ وَيَقُولُونَ لَوْلَا أَنْزَلُ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَقُلْ إِنَّمَا الْغَيْبُ لِلَّهِ فَانظُرُوا إِلَيَّ مِنْ مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْظَرِينَ ﴿٢٠﴾

١٥: ﴿وَإِذَا تَتَلَّى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا أَأَنْتِ بِشِرْعَانٍ غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدَّلَهُ﴾ يُخبر تعالى عن تعبت كفار قريش أنهم إذا قرأ عليهم الرسول صلى الله عليه وآله وسلم كتاب الله قالوا رُدُّ هذا وجئنا بغيره من نطأ آخر، أو بدله إلى وضع آخر، قال تعالى لنبية صلى الله عليه وآله وسلم: ﴿قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تَلْقَائِي نَفْسِي﴾ إنما أنا عبدٌ مأمور ورسول مبلغ عن الله ﴿إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ ١٦: ﴿قُلْ لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلَا أَدْرَاكُمْ بِهِ﴾ هذا إنما جئتكم به عن إذن الله لي في ذلك ومشيئته وإرادته، والدليل على أنني لسْتُ أتقوله من عندي ولا افتريته أنكم عاجزون عن معارضته، وإتكم تعلمون صدقي ﴿فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِنْ قَبْلِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ أفليس لكم عقول تعرفون بها الحق من الباطل؟ ١٧: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْمَجْرُمُونَ﴾، لا أحد أظلم ولا أعنى جرماً ممن تقول على الله، وزعم أن الله أرسله ولم يكن كذلك، فليس أحدٌ أكبر جرماً من هذا ١٨: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شَفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ﴾ ينكر تعالى على الذين عبدوا مع الله غيره ظانين أن تلك الآفة تنفعهم شفاعتها عند الله، فأخبر تعالى أنها لا تملك شيئاً لا تنفع ولا تضر، ولا يقع شيء مما يزعمون فيها ولا يكون هذا أبداً، ولهذا قال تعالى: ﴿قُلْ أَتَنْبِئُونَ اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ؟ أَتُخْبِرُونَ اللَّهَ بِمَا لَا يَكُونُ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ؟ ثُمَّ نَزَّهَ نَفْسَهُ الْكَرِيمَةَ عَنْ شُرْكِهِمْ فَقَالَ: ﴿سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ ١٩: ﴿وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلَّا أُمَّةً وَاحِدَةً فَاخْتَلَفُوا﴾ أخبر سبحانه أن هذا الشرك حادث في الناس، كائن بعد أن لم يكن، وأن الناس كانوا على دين واحد وهو الإسلام، ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَفُضِيَ بَيْنَهُمْ فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ لولا ما تقدم من الله تعالى أنه لا يُعَدَّبُ أحداً إلا بعد قيام الحجة عليه وأنه قد أجل الخلق إلى أجل معدود لفضي بينهم فيما اختلفوا فيه فأسعد المؤمنين وأعتت الكافرين ٢٠: ﴿وَيَقُولُونَ لَوْلَا أَنْزَلُ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ؟﴾ لولا أنزل على محمد صلى الله عليه وآله وسلم آية من ربه يعنون كما أعطى الله ثمرة الناقة أو أن يُحوَّل لهم الصفا ذهباً أو يُرْبِح جبال مكة ويجعل مكانها بساتين وأهباراً، ﴿فَقُلْ إِنَّمَا الْغَيْبُ لِلَّهِ﴾ فهو يعلم العواقب في الأمور، ﴿فَانظُرُوا إِلَيَّ مِنْ مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْظَرِينَ﴾ [أي: انتظروا قضاء الله بيننا بإظهار الحق على المبطل].

الآية: ١٩ قال ابن عباس: كان بين آدم ونوح عشرة قرون كلهم على الإسلام ثم وقع الاختلاف بين الناس وعُدت الأصنام والأنداد والأوثان، فعبت الله الرسل بآياته وبنياه ورحمته البالغة وبراهينه الدامغة ﴿لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ﴾ وقوله ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ﴾ الآية أي لولا ما تقدم من الله تعالى لا يُعَدَّبُ أحداً إلا بعد قيام الحجة عليه، وأنه قد أجل الخلق إلى أجل معدود لفضي بينهم فيما اختلفوا فيه، فأشعد المؤمنين وأغنت الكافرين. /ابن كثير ج ٢/٤١١

٢١: ﴿وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً مِنْ بَعْدِ ضِرَاءِ مُسْتَهْمٍ﴾ يُخبر تعالى أنه إذا أذاق الناس رخاءً بعد شدةٍ وخصباً بعد جَدْبٍ ومطراً بعد قحطٍ ﴿إِذَا هُمْ مَكْرُوفٌ فِي آيَاتِنَا﴾ استهزاءً وتكذيب، ﴿قُلِ اللَّهُ أَسْرَعُ مَكْرَأً﴾ أَسَدٌ استدراجاً وإمهالاً حتى يظنَّ الظَّانُّ من الجرمين أنه ليس بمعدَّبٍ، وإتما هو في مهلة ثم يُؤخذ على غرّة منه. ﴿إِن رُسُلْنَا يَكْتُوبُونَ مَا تَمْكُرُونَ﴾ والكتّابون الكرام يكتبون عليه جميع ما يفعله ويُحصونه عليه ٢٢: ﴿وَهُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾ يحفظكم ويكلِّؤكم بحراسته ﴿حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلِكِ وَجَرِينَ مَعَهُمْ بَرِيحٌ طَيِّبَةٌ وَفَرَحُوا بِهَا﴾ بسرعة سيرهم رافقين، فبينما هم كذلك إذ ﴿جَاءَهَا﴾ تلك السفن ﴿بَرِيحٌ عَاصِفٌ﴾ شديدة ﴿وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ﴾ اغتلم البحر عليهم ﴿وَوَطَّنُوا أُنْهَمُ أَحِيطَ بِهِمْ﴾ هلكوا ﴿دَعَوْا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ لا يدعون معه صنأً ولا ونساً، بل يُفردونه بالدعاء، ﴿لَنْ نُنْجِيَنَّكَ مِنْ هَذِهِ لَكُونَتْ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ لا نشركُ بك أحداً ونفردك بالعبادة هناك كما أفردناك بالدعاء هنا ٢٣: ﴿فَلَمَّا أَتَاهُمْ﴾ من تلك الرطة ﴿إِذَا هُمْ يَبْعُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾ كان لم يكن من ذلك شيء؛ ﴿كَأَن لَّمْ يَدْعُنَا إِلَى ضُرِّ مَسَّةٍ﴾، ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا بِغِيكُمُ عَلَى أَنْفُسِكُمْ﴾، إنما يذوق وبال هذا البغي أنتم أنفسكم لا تضرون به أحداً غيركم ﴿ثُمَّ إِنَّا مَرْجِعُكُمْ﴾ مصيركم ومآلكم ﴿فَنُنَبِّئُكُمْ﴾

وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً مِنْ بَعْدِ ضِرَاءِ مُسْتَهْمٍ إِذَا اللَّهُمَّ كَرُفِي
 يَا تَنَاقُلِ اللَّهُ أَسْرَعُ مَكْرَأً إِن رُسُلْنَا يَكْتُوبُونَ مَا تَمْكُرُونَ
 ﴿٢١﴾ هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلِكِ
 وَجَرِينَ مَعَهُمْ بَرِيحٌ طَيِّبَةٌ وَفَرَحُوا بِهَا جَاءَهَا رِيحٌ عَاصِفٌ
 وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَوَطَّنُوا أُنْهَمُ أَحِيطَ بِهِمْ دَعَوْا
 اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَنْ نُنْجِيَنَّكَ مِنْ هَذِهِ لَكُونَتْ مِنَ
 الشَّاكِرِينَ ﴿٢٢﴾ فَلَمَّا أَتَاهُمْ إِذَا هُمْ يَبْعُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ
 الْحَقِّ يَتَأَيَّبُوا النَّاسَ إِنَّمَا بِغِيكُمُ عَلَى أَنْفُسِكُمْ مَتَعَ الْحَيَوَةَ
 الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ فَنُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٣﴾
 إِنَّمَا مِثْلُ الْحَيَوَةِ الدُّنْيَا كَمَا أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ
 نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ
 زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَدِرُونَ عَلَيْهَا
 أَتَاهَا أَمْرًا نَلِيلاً أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَبْ
 بِالْأَمْسِ كَذَلِكَ نَفْصِلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَنْفَكِرُونَ ﴿٢٤﴾ وَاللَّهُ
 يَدْعُوا إِلَى دَارِ السَّلَامِ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٢٥﴾

بجميع أعمالكم ونوفيقكم إياها ٢٤: ﴿إِنَّمَا مِثْلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ هذا مثلُ ضربه الله تعالى لزهرة الحياة الدنيا وزينتها وسرعة انقضائها وزوالها بالنبات الذي أخرجه الله من الأرض بماء أنزل من السماء ممَّا يأكل الناس من زروع وثمار، ﴿كَمَا أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا﴾ زينتها الفانية ﴿وَأَزَّيَّنَتْ﴾ بزهور نضرة مختلفة الأشكال والألوان ﴿وَوَطَّنَ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا﴾ على جذاها وحصادها فبينما هم كذلك إذ جاءتها صاعقة أو ريحٌ شديدة فالتفتها، ولهذا قال تعالى: ﴿أَتَاهَا أَمْرًا نَلِيلاً أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا يَابَسًا بَعْدَ الْحَضَرَةِ وَالنُّضْرَةِ﴾ كأن لم تغن بالأمس؛ كأنها ما كانت حيناً قبل ذلك، ﴿كَذَلِكَ نَفْصِلُ الْآيَاتِ﴾ يُبَيِّنُ الْحُجُجَ وَالْأَدْلَةَ ﴿لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ فيعتبرون بهذا المثل في زوال الدنيا من أهلها سريعاً مع اغترابهم وثقتهم بها ٢٥: ﴿وَاللَّهُ يَدْعُوا إِلَى دَارِ السَّلَامِ﴾ هذا ترغيب في الجنة، وسماها دار السلام أي: لسلامتها من الآفات والنقائص والنكبات. ﴿وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ إلى طريق الإسلام.

الآية: ٢١ عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «لو يعلم المؤمن ماعدت الله من العقوبة، ما طمع بجنّته أحد، ولو يعلم الكافر ماعدت الله من الرحمة، ما قبط من جنّته أحد» رواه مسلم/رياض الصالحين ٢١٦.

الآية: ٢٢ ورد في الصحيح أن رسول الله ﷺ صلى بهم الصبح على أثر سماء كانت من الليل، أي مطر، ثم قال: «هل تدرون ماذا قال ربكم الليلة؟» قالوا: الله ورسوله أعلم قال: «أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر، فأنا من قال: مُطِرْنَا بفضل الله ورحمته فذاك مؤمن بي كافر بالكواكب، وأما من قال: مُطِرْنَا بِنُورِ كَذَا وكذا فذاك كافر بي مؤمن بالكواكب».

٢٦: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾

يُخبر تعالى أن لمن أحسن العمل في الدنيا بالإيمان والعمل الصالح الحسنى في الدار الآخرة، والزيادة: هي تضعيف الثواب إلى سبعمائة ضعف، ﴿وَلَا يَزَهُو وَجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ﴾ قَتَمٌ وَسَوَادٌ فِي عِرْصَاتِ الْمُخْشَرِ كَمَا يَعْتَرِي وَجُوهَ الْكُفْرَةِ مِنَ الْقَتْرَةِ وَالغَبْرَةِ، ﴿وَلَا ذِلَّةٌ﴾ هَوَانٌ وَصِغَارٌ، ﴿أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾: ٢٧: ﴿وَالَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ جَزَاءُ سَيِّئَةٍ بِمِثْلِهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ مَّا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ كَأَنَّمَا أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطْعًا مِنَ اللَّيْلِ مُظْلِمًا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ (٢٧) وَيَوْمَ نَخْشِرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا مَكَانَكُمْ أَنْتُمْ وَشُرَكَاءُكُمْ فَزَيَّلْنَا بَيْنَهُمْ وَقَالَ شُرَكَاءُهُمْ مَا كُنْتُمْ إِلَّا نَا تَعْبُدُونَ ﴿٢٨﴾ فَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ إِنْ كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغْفِيلِينَ ﴿٢٩﴾ هُنَالِكَ تَبْلَأُونَ كُلُّ نَفْسٍ مَّا أَسْلَفَتْ وَرُدُّوْا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقِّ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٣٠﴾ قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾ فَذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعَدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ ﴿٣٢﴾ كَذَٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ فَسَقُوا أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٣﴾

٢١٢

إلى الله مَوْلَاهُمْ الْحَقِّ﴾ ورجعت الأمور كلها إلى الله الحكم العدل، فَصَلَّهَا وَأَدْخَلَ أَهْلَ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ، وَأَهْلَ النَّارِ النَّارَ، ﴿وَضَلَّ عَنْهُمْ﴾ وَذَهَبَ عَنِ الْمُشْرِكِينَ ﴿مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ مَا كَانُوا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ اقْتِرَاءً عَلَيْهِ ٣١: ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾؟ يَحْتَجُّ تَعَالَى عَلَى الْمُشْرِكِينَ بِاعْتِرَافِهِمْ بِوَحْدَانِيَّتِهِ [مَنْ يَشْرِكُونَ بِرَبِّيَّتِهِ]، ﴿أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ﴾ بِقُدْرَتِهِ الْعَظِيمَةِ وَنِصَّةِ الْعَمِيمَةِ، ﴿وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ﴾ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ؟! ﴿فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ﴾ هُمْ يَعْلَمُونَ ذَلِكَ وَيَعْتَرِفُونَ بِهِ ﴿فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ أَفَلَا تَخَافُونَ مِنْهُ سُبْحَانَهُ أَنْ تَعْبُدُوا مَعَهُ غَيْرَهُ؟ ٣٢: ﴿فَذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ الْحَقُّ﴾ فَهَذَا الَّذِي اعْتَرَفْتُمْ بِهِ هُوَ رَبُّكُمْ وَالْهَكْمُ الْحَقُّ الَّذِي يَسْتَحِقُّ أَنْ يُقْرَدَ بِالْعِبَادَةِ، ﴿فَمَاذَا بَعَدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ﴾؟ فَكُلُّ مَعْبُودٍ سِوَاهُ بَاطِلٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَاحِدٌ لَا شَرِيكَ لَهُ ﴿فَأَنَّى تُصْرَفُونَ﴾؟ كَيْفَ تُصْرَفُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ إِلَى عِبَادَةِ مَا سِوَاهُ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّهُ الرَّبُّ الَّذِي خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ؟! ٣٣: ﴿كَذَٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ فَسَقُوا﴾ كَمَا كَفَرَ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونَ وَاسْتَمَرُّوا عَلَى شُرَكَائِهِمْ فَسَقُوا، فَهَلْهَذَا حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَةُ اللَّهِ أَنَّهُمْ أَشْقِيَاءُ مِنْ سَاكِنِي النَّارِ. ﴿أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾.

الآية: ٢٦ روى الإمام أحمد عن صهيب رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ تلا هذه الآية ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ وقال: «إذا دخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار نادى مناد يأهل الجنة إن لكم عند الله موعداً يريد أن ينجزكموه، فيقولون: وما هو؟ ألم يقل موازيننا؟ ألم يُبَيِّضْ وجوهنا ويدخلنا الجنة ويُخْرِجْنَا مِنَ النَّارِ؟ قال: فكيف هم الحجاب فيظنون إليه فوالله ما عطفاهم الله شيئاً أحب إليهم من النظر إليه ولا تقرأ لأعينهم! رَوَاهُ مُسْلِمٌ. / ابن كثير ج ٤/١٤٤/٢

وَمِنْهُمْ مَن يَنْظُرُ إِلَيْكَ أَفَأَنْتَ تَهْدِي الْعَمَىٰ وَلَوْ كَانُوا لَا يُبْصِرُونَ ﴿٤٣﴾ إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٤﴾ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِّنَ النَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ﴿٤٥﴾ وَإِمَارَتِكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ تَوَفَّيْتَهُمْ فَالْيَوْمَ نَجْعُهُمْ ثُمَّ اللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ ﴿٤٦﴾ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولٌ فَإِذَا جَاءَ رَسُولُهُمْ قُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ وَهُمْ لَا يَظْلِمُونَ ﴿٤٧﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَذَا الْوَعْدِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٤٨﴾ قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي ضَرًّا وَلَا نَفْعًا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ إِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ فَلَا يَسْتَعْجِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٤٩﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَنْتُمْ عَذَابُهُ بُيْتًا أَوْ نَهَارًا مَا ذَا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ الْمُجْرِمُونَ ﴿٥٠﴾ أَمَّا إِذَا مَا وَقَعَاءَ مِنْكُمْ بِهِ فَعَدُّوا كَيْدَهُمْ أَن يَدْتَسِعُوا عَصَابَ الَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا بِإِيمَانِكُمْ تَكْسِبُونَ ﴿٥١﴾ وَيَسْتَدْعُونَكَ أَحَقُّ هُوَ قَوْلِي وَرَبِّي إِنَّهُ لِحَقِّكُ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ ﴿٥٢﴾

٤٣: ﴿وَمِنْهُمْ مَن يَنْظُرُ إِلَيْكَ﴾ ما أعطاك من الدلائل الظاهرة على نبوتك، فلا يحصل لهم من الهداية شيء كما يحصل لأولي البصائر الذين ينظرون إليك بعين الوقار، وهؤلاء ينظرون إليك، [نظرة الكفار]، ﴿أَفَأَنْتَ تَهْدِي الْعَمَىٰ وَلَوْ كَانُوا لَا يُبْصِرُونَ﴾؟ [في هذا تسلية للنبي صلى الله عليه وآله وسلم أي: كما لا تقدر أن تسمع من سلب السمع ولا تقدر أن تخلق للأعمى بصراً يهدي به؛ فكذلك لا تقدر أن توفى هؤلاء للإيمان] ٤٤: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا﴾ وإن هدى به من هدى وبصر به من العمى، وأصل به عن الإيمان آخرين؛ فهو لعلمه وحكمته وعدله. وفي الحديث [القدسي]: «يا عبادي إنما هي أعمالكم أحصيا لكم ثم أوفيكم إياها، فمن وجد خيراً فليحمد الله، ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه» رواه مسلم ٤٥: يقول تعالى مذكراً للناس قيام الساعة: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِّنَ النَّهَارِ﴾ هذا دليل على استقصار الحياة الدنيا في الدار الآخرة، ﴿يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ﴾ يعرف الأبناء الآباء والقرابات بعضهم لبعض، ولكن كل مشغول بنفسه، ﴿قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾ ولا خسارة أعظم من خسارة من فرق بينه وبين أحبه يوم الحسرة والندامة ٤٦: ﴿وَأَمَّا تُرِيدُكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ﴾ ننتقم منهم في حياتك لتقر عينك منهم ﴿أَوْ تَوَفَّيْتَهُمْ فَالْيَوْمَ نَجْعُهُمْ﴾

مصيرهم ومنقلبهم والله شهيد على أفعالهم بعدك ﴿ثُمَّ اللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ﴾ ٤٧: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولٌ فَإِذَا جَاءَ رَسُولُهُمْ﴾ يوم القيامة ﴿قُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ﴾ فكل أمة تعرض على الله بحضرة رسوله، وكتاب أعمالها شاهد عليها ﴿وَهُمْ لَا يَظْلِمُونَ﴾ ٤٨: ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَذَا الْوَعْدِ﴾ يستعجل الكفار العذاب، وهو واقع لا محالة ٤٩: ﴿قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي ضَرًّا وَلَا نَفْعًا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ﴾ لا أقول إلا ما علمني، ولا أقدر على شيء مما استأثر به إلا أن يطلعني الله عليه، وأخبركم بمجيء الساعة ولم يطلعني على وقتها ولكن ﴿لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ﴾ لكل قرن مدة من العمر مقدرة ﴿إِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ فَلَا يَسْتَعْجِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ ٥٠: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَنْتُمْ عَذَابُهُ بُيْتًا أَوْ نَهَارًا مَا ذَا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ الْمُجْرِمُونَ﴾! يخبر تعالى عن المشركين استعجالهم العذاب، [وهذا استفهام معناه التهويل والتعظيم؛ أي: ما أعظم ما تستعجلون به!] ٥١: ﴿أَمَّا إِذَا مَا وَقَعَاءَ مِنْكُمْ بِهِ فَعَدُّوا كَيْدَهُمْ أَن يَدْتَسِعُوا عَصَابَ الَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ﴾ ٥٢: ﴿وَيَسْتَدْعُونَكَ أَحَقُّ هُوَ﴾ جزء كفركم ٥٣: ﴿وَرَبِّي إِنَّهُ لِحَقِّكُ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾ [إنه كائن لا شك فيه]، وليس صيرورتكم تراباً بمعجز الله عن إعادتكم كما بدأكم من العدم.

الآية: ٤٧ جاء في الصحيحين عن رسول الله ﷺ أنه قال: «نحن الآخرون السابقون يوم القيامة؛ المقضي لهم قبل الخلائق». قال ابن كثير: فأتمه ﷺ حازت قبس السبق بشرف رسولها صلوات الله وسلامه عليه دائماً إلى يوم الدين. / ابن كثير ج ١٢/ ٤١٩

٥٤: ﴿وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ مَا فِي الْأَرْضِ لَافْتَدَتْ بِهِ﴾ أخبر تعالى أنه إذا قامت القيامة يؤد الكافر لو افتدى من عذاب الله بملء الأرض ذهباً، ﴿وَأَسْرُوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوِ الْعَذَابَ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ﴾ والحق ﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ ٥٥: ﴿أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ يُخبر تعالى أنه مالك السموات والأرض، وأن وعده حق ﴿أَلَا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ٥٦: ﴿هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ وأنه يحيي الموتى وإليه مرجعهم، وأنه القادر على ذلك العليم بما تفرق من الأجسام في سائر أقطار الأرض ٥٧: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ يمتن تعالى على خلقه بما أنزله من القرآن العظيم على رسوله الكريم، ﴿قَدْ جَاءَكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ زاجر عن الفواحش، ﴿وشفاء لِمَا فِي الصُّدُورِ﴾ من الشبه والشكوك، ﴿وهُدًى وَرَحْمَةٌ﴾ يحصل به الهداية والرحمة من الله تعالى. وإتاما ذلك للمؤمنين به والمصدقين، كما قال تعالى: ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءً﴾ ٥٨: ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلِيفْرِحُوا﴾ بهذا الذي جاءهم من الله الهدى ودين الحق فليفرحوا، فإنه أولى ما يفرحون به ﴿هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾ من حُطام الدنيا وما فيها ٥٩: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ لَكُمْ مِنْ رِزْقٍ فَجَعَلْتُمْ مِنْهُ حَرَامًا وَحَلَالًا﴾ نزلت هذه الآية إنكاراً على

وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ مَا فِي الْأَرْضِ لَافْتَدَتْ بِهِ وَأَسْرُوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوِ الْعَذَابَ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٥٥﴾ أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَلَا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٦﴾ هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٥٦﴾ يَأْتِيهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾ قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلِيفْرِحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٥٨﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ لَكُمْ مِنْ رِزْقٍ فَجَعَلْتُمْ مِنْهُ حَرَامًا وَحَلَالًا قُلْ أَلَا إِنَّ لِلَّهِ أَذْنَ لَكُمْ أَمَرَ عَلَى اللَّهِ تَفْتَرُونَ ﴿٥٩﴾ وَمَا ظَنُّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكُذِبَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٦٠﴾ وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴿٦١﴾

المشركين فيما كانوا يُحِلُّونَ ويُحَرِّمُونَ من البحائر والسواحب والوصائل، ﴿قُلْ أَلَا إِنَّ لِلَّهِ أَذْنَ لَكُمْ أَمَرَ عَلَى اللَّهِ تَفْتَرُونَ﴾؟! ٦٠: ﴿وما ظن الذين يفترون على الله الكذب يوم القيامة؟ ما ظنهم أن يصنع بهم يوم مرجعهم إلينا يوم القيامة؟﴾ ﴿إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ﴾ في تركه معاجلتهم بالعقوبة في الدنيا، ﴿ولكن أكثرهم لا يشكرون﴾ بل يُحَرِّمُونَ ما أنعم الله به عليهم، ويُضَيِّقُونَ على أنفسهم فيجعلون بعضاً حلالاً وبعضاً حراماً. وهذا قد وقع فيه المشركون فيما شرعوه لأنفسهم، وأهل الكتاب فيما ابتدعوه في دينهم ٦١: ﴿وما تكون في شأن وما تتلوا منه من قرآن ولا تعملون من عملٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ﴾ يُخبر تعالى نبيه صلى الله عليه وآله وسلم أنه يعلم جميع أحواله وأحوال أمته جميع الخلائق في كل ساعة وأوان، ﴿وما يعزب عن ربك من مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلَّا في كتاب مبين﴾ وأنه لا يعزب عن علمه وبصره مثقال ذرة في صغرها في السموات ولا في الأرض ولا أصغر منها ولا أكبر إلَّا في كتاب مبين؛ وإذا كان هذا علمه الأشياء فكيف علمه بحركات المكلفين المأمورين بالعبادة؟!

الآية: ٥٤ عن أبي سعيد وأبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «يؤتى بالعبدة يوم القيامة، فيقال له: ألم اجعل لك سمعاً وبصراً ومالاً وأولاداً، وسخرت لك الأنعام والحرث وتركتك نساءً وتربيعاً، فكنت تظن أنك ملائي يومك هذا؟ فيقول: لا، فيقول له: اليوم أنساك كما نسيتي» أي أتركت طاعتني في العذاب كما تركت طاعتني في صحاح الجامع الصغير ج ٢/١٣٢٥/١.
الآية: ٥٤ روى مسلم في صحيحه عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «يقول الله تبارك وتعالى لأهول الناس عذاباً: لو كانت لك الدنيا وما فيها أكنث مُفْتَدِيًا بها؟ فيقول: نعم. فيقول: قد أردت منك أهون من هذا، وأنت في صلب آدم: ألا تشرك ولا أدخلك النار، فأبئت ألا تشرك» صحيح مسلم ج ٤/٢١٦٤/٢٨٠٥/٢٨٠٥

٦٢: ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ يُخَيَّرُ تَعَالَى أَنْ أَوْلِيَاءَهُ هُمُ الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ كَمَا فَسَّرَهُمْ رَبَّهُمْ، فَكُلٌّ مَنْ كَانَ تَقِيًّا كَانَ لِلَّهِ وَلِيًّا فَ﴿لَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ﴾ فَمَا يَسْتَقْبِلُونَهُ مِنْ أَهْوَالِ الْآخِرَةِ ﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ عَلَيَّ مَا وَرَاءَهُمْ فِي الدُّنْيَا ٦٣: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾ ٦٤: ﴿لَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾ قَالَ عُبَادَةُ بْنُ الصَّامِتِ: قُلْتُ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: ﴿لَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾ فَقَدْ عَرَفْنَا بُشْرَى الْآخِرَةِ الْحَيَّةَ، فَمَا بُشْرَى الدُّنْيَا؟ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ يَرَاهَا الْعَبْدُ أَوْ تَرَى لَهُ؛ وَهِيَ جِزَاءٌ مِنْ أَرْبَعَةٍ وَأَرْبَعِينَ جِزَاءً مِنْ النَّبُوَّةِ». ﴿لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ﴾ هَذَا الْوَعْدُ لَا يُبَدَّلُ وَلَا يُخْلَفُ وَلَا يُغَيَّرُ، بَلْ هُوَ مُقَرَّرٌ مُنْبَتٌّ كَائِنٌ لَا مَحَالَةَ، ﴿ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ ٦٥: يَقُولُ تَعَالَى لِرَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: ﴿وَلَا يَحْزَنُكَ قَوْلُهُمْ﴾ قَوْلُ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ وَاسْتَعْنِ بِاللَّهِ عَلَيْهِمْ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ ﴿إِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ جَمِيعًا لَهُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ ﴿هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ السَّمِيعُ لِأَقْوَالِ عِبَادِهِ، الْعَلِيمُ بِأَحْوَالِهِمْ ٦٦: ﴿أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ﴾ وَالْمُشْرِكُونَ يَعْبُدُونَ الْأَصْنَامَ وَهِيَ لَا تَمْلِكُ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا، ﴿وَاللَّهُ هُوَ الْمُسْتَحَقُّ لِلْعِبَادَةِ لِأَنَّهُ هُوَ الْخَالِقُ وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ﴾. ﴿وَمَا يَتَّبِعُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ شُرَكَاءَ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾ [رَأْيٌ أَيْ

الآيَاتِ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا نَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٦٤﴾ وَلَا يَحْزَنُكَ قَوْلُهُمْ إِنْ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٦٥﴾ أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَتَّبِعُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ شُرَكَاءَ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿٦٦﴾ هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ آيَاتٍ لَتَسْكُنُوا فِيهَا وَالتَّهَارُ مَبْصَرًا إِنْ فِي ذَلِكَ آيَاتٍ لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٦٧﴾ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ هُوَ الْغَنِيُّ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ إِنْ عِنْدَكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ بِهَذَا أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٨﴾ قُلْ إِنْ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكُذْبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿٦٩﴾ مَتَّعْنَا فِي الدُّنْيَا مِمَّا كَانُوا يَكْفُرُونَ ﴿٧٠﴾ نَذِيقُهُمُ الْعَذَابَ الشَّدِيدَ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ ﴿٧١﴾

شَيْءٍ يَتَّبِعُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ شُرَكَاءَ؟ تَقْيِيحًا لِفَعْلِهِمْ، ثُمَّ أَجَابَ أَنَّهُمْ [إِنَّمَا يَتَّبِعُونَ فِي ذَلِكَ ظَنُّوهُمْ وَتَخْرُصُهُمْ وَكُذْبَهُمْ وَإِفْكَهَ] ٦٧: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ اللَّيْلَ لَتَسْكُنُوا فِيهِ﴾ لِيَسْتَرِيحُوا مِنْ نَصَبِهِمْ وَكَلَالِهِمْ وَحَرَكَاتِهِمْ، ﴿وَالْتَّهَارَ مَبْصَرًا﴾ مُضِيحًا لِمَعَاشِهِمْ وَسَعِيهِمْ وَأَسْفَارِهِمْ وَمَصَالِحِهِمْ، ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُسْمَعُونَ﴾ يَسْمَعُونَ هَذِهِ الْحُجُجَ فَيَعْتَبِرُونَ بِهَا وَيَسْتَدِلُّونَ عَلَى عَظَمَةِ خَالِقِهَا سُبْحَانَهُ ٦٨: يَقُولُ تَعَالَى مُنْكَرًا عَلَى مَنْ ادَّعَى لَهُ وَلَدًا: ﴿قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ﴾ تَنَزَّهَ عَنْ ذَلِكَ ﴿هُوَ الْغَنِيُّ﴾ عَنْ كُلِّ مَا سِوَاهُ وَكُلِّ شَيْءٍ فَقِيرٌ إِلَيْهِ، ﴿لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ فَكَيْفَ يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ مِمَّا خَلَقَ وَكُلُّ شَيْءٍ مَمْلُوكٌ لَهُ عَبْدٌ لَهُ. ﴿إِنَّ عِنْدَكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ بِهَذَا﴾!؟ لَيْسَ عِنْدَكُمْ دَلِيلٌ عَلَى مَا تَقُولُونَهُ مِنَ الْكُذْبِ وَالتَّهَانِ. ﴿أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ إِنكَارٌ وَوَعِيدٌ أَكِيدٌ وَتَهْدِيدٌ شَدِيدٌ، ثُمَّ تَوَعَّدَ تَعَالَى الْمُفْتَرِينَ عَلَيْهِ أَنَّهُ لَهُ وَلَدٌ بِقَوْلِهِ: ٦٩: ﴿قُلْ إِنْ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكُذْبَ لَا يُفْلِحُونَ﴾ فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي الْآخِرَةِ ٧٠: ﴿مَتَّعْنَا فِي الدُّنْيَا﴾ أَسْتَدْرَجَهُمْ وَأَمَلِي لَهُمْ مَتَاعًا قَلِيلًا ﴿ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ﴾ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴿ثُمَّ نَذِيقُهُمُ الْعَذَابَ الشَّدِيدَ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ﴾ بِسَبَبِ كُفْرِهِمْ وَاقْتِرَائِهِمْ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى فَمَا ادَّعَوْهُ مِنَ الْإِفْكَ وَالزُّورِ.

الآية: ٦٤ روى ابن جرير عن أبي الدرداء في قوله ﴿لَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾ قال: سأل رجل أبا الدرداء عن هذه الآية فقال: لقد سألت عن شيء ما سمعت أحداً سأل عنه بعد رجل سأل عنه رسول الله ﷺ فقال: «هي الرؤيا الصالحة تراه الرجل المسلم أو ترى له بُشْرَاهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَبُشْرَاهُ فِي الْآخِرَةِ الْحَيَّةَ».

٧١: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ﴾ أخبرهم واقتصر عليهم أي: لكفار مكة ﴿نبأ نوح﴾ مع قومه الذين كذبوه كيف أهلكنهم الله بالغرق، ﴿إذ قال لقومه يا قوم إن كان كذب عليكم﴾ عظم عليكم ﴿مقامي﴾ فيكم ﴿وتذكيري﴾ إيتاكم ﴿بآيات الله﴾ بحججه وبراهينه ﴿فعلى الله توكلت﴾ فإني لا أبالي ولا أكف عنكم، سواء عظم عليكم أو لا، ﴿فاجعوا أمركم وشركاءكم﴾ فاجتمعوا أنتم وشركاؤكم الذين تدعون من دون الله ﴿ثم لا يكن أمركم عليكم غمّة﴾ ولا تجعلوا أمركم عليكم متنبساً، بل افضلوا حالكم معي ﴿ثم افضوا إلي ولا تنظرون﴾ ولا تتأخرون ساعة واحدة، فإني لا أخاف منكم ٧٢: ﴿فإن توليتم﴾ كذبتم وأدبرتم عن الطاعة ﴿فما سألتكم من أجر﴾ لم أطلب منكم على نصحي إيتاكم شيئاً ﴿إن أجري إلا على الله وأمرت أن أكون من المسلمين﴾ وأنا ممثل ما أمرت به من الإسلام لله عز وجل ٧٣: ﴿فكذبوه فنجيناه ومن معه﴾ على دينه ﴿في الفلك﴾ وهي السفينة ﴿وجعلناهم خلائف﴾ في الأرض ﴿وأغرقنا الذين كذبوا بآياتنا فانظر كيف كان عاقبة المذنبين﴾ يا محمد كيف أنجينا المؤمنين وأهلكتنا المكذبين ٧٤: ﴿ثم بعثنا من بعده﴾ من بعد نوح ﴿رأسلاً إلى قومهم فجاءوهم بالبينات﴾ بالحجج والأدلة على صدق ما جاؤوهم به ﴿فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا به من قبل﴾ فما كانت الأمم لتؤمن بما جاءتهم به رسلاً، ﴿كذلك نطبع على

﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ يَتَقَوْمِ إِن كَانَ كِبُرَ عَلَيْكُمْ مَقَامِي وَتَذِكْرِي بَيِّنَاتٍ لِّلَّهِ فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمَعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غَمَةً ثُمَّ اقضُوا إِلَيَّ وَلَا تُنظِرُون﴾ ٧١ ﴿فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِي إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَأَمْرٌ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ ٧٢ ﴿فَكَذَّبُوهُ فَجَبْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ وَجَعَلْنَاهُمْ خَلَائِفَ وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُذْذِرِينَ﴾ ٧٣ ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِ رَسُولًا إِلَى قَوْمِهِمْ فَجَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ كَذَلِكَ نَطْبَعُ عَلَى قُلُوبِ الْمُعْتَدِينَ﴾ ٧٤ ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِمُ مُوسَى وَهَارُونَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ بِآيَاتِنَا فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُّجْرِمِينَ﴾ ٧٥ ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ ٧٦ ﴿قَالَ مُوسَى أَنْتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ أَسِحْرٌ هَذَا وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُونَ﴾ ٧٧ ﴿قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَلْفِتْنَا عَمَّ وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا وَتَكُونُ لَكُمْ أَعْيُنٌ عَلَى الْأَرْضِ وَما نَحْنُ لَكُمْ بِمُؤْمِنِينَ﴾ ٧٨

قلوب المعتدين﴾ كما طبع الله على قلوب هؤلاء فما آمنوا بسبب تكذيبهم، هكذا يطبع الله على قلوب من أشبههم من بعدهم ٧٥: ﴿ثم بعثنا من بعدهم موسى وهارون إلى فرعون وملأه قومه، ﴿بآياتنا﴾ بحججنا وبراهينا ﴿فاستكبروا وكانوا قوماً مجرمين﴾ استكبروا عن الحق والانقياد له وكانوا مجرمين ٧٦: ﴿فلما جاءهم الحق من عندنا قالوا إن هذا لسحر مبين﴾ كأنهم -قبحهم الله- أفسحوا على ذلك وهم يعلمون أن ما قالوه كذب وبهتان ٧٧: ﴿قال موسى﴾ منكرأ عليهم ﴿أنقولون للحق لما جاءكم أسحراً هذا﴾، ﴿أي: أنقولون للحق سيحراً؟﴾، ﴿ولا يفلح الساحرون﴾، ﴿أي: لا يفلح من أتى به﴾ ٧٨: ﴿قالوا اجئتنا لتلفتنا﴾ تشبهاً ﴿عمما وجدنا عليه آباءنا﴾ الذين الذين كانوا عليه، ﴿وتكون لكم أعين على الأرض وما نحن لكم بمؤمنين﴾. وكثيراً ما يذكر الله تعالى قصة موسى وهارون في كتابه العزيز، مع فرعون لأنها من أعجب القصص.

الآية ٧٤ قال ابن كثير: المراد أن الله تعالى أهلك الأمم المكذبة للرسول وأنجي من آمن بهم وذلك من بعد نوح عليه السلام فإن الناس كانوا من قبله من زمان آدم عليه السلام إلى أن أحدث الناس عبادة الأصنام، فبعث الله إليهم نوحاً عليه السلام، ولهذا يقول له المؤمنون يوم القيامة أنت أول رسول بعثه الله إلى أهل الأرض، قال ابن عباس: كان بين آدم ونوح عشرة قرون كلهم من الإسلام، وقال تعالى ﴿وكم أهلكتنا من القرون من بعد نوح﴾ الآية، وفي هذا إنذار عظيم لمشركي العرب الذين كذبوا سيّد الرسل وخاتم الأنبياء والمرسلين، فإنه إذا كان قد أصاب من كذب بتلك الرسل ما ذكره الله تعالى من العذاب والنكال فماذا ظن هؤلاء وقد ارتكبوا أكبر من أولئك؟. /ابن كثير ج ٢/ ٤٢٦٢

وَقَالَ فِرْعَوْنُ أَتْتُونِي بِكُلِّ سِحْرِ عَلِيمٍ ﴿٧٩﴾ فَلَمَّا جَاءَ السَّحْرَةَ
 قَالَ لَهُمْ مُوسَىٰ أَلْقُوا مَا أَنْتُمْ مُلْقُونَ ﴿٨٠﴾ فَلَمَّا أَلْقَوْا قَالَ
 مُوسَىٰ مَا جِئْتُمْ بِهِ السَّحْرُ إِنَّ اللَّهَ سَيُبْطِلُهُ إِنَّ اللَّهَ لَا يُصْلِحُ
 عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ ﴿٨١﴾ وَيُحِقُّ اللَّهُ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَلَوْ كَرِهَ
 الْمُجْرِمُونَ ﴿٨٢﴾ فَمَاءٌ آمِنٌ لِّمُوسَىٰ إِلَّا ذُرِّيَّةً مِّن قَوْمِهِ عَلَىٰ
 خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِمْ أَن يَفْتِنَهُمْ وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ
 فِي الْأَرْضِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الْمُسْرِفِينَ ﴿٨٣﴾ وَقَالَ مُوسَىٰ يَقَوْمِ إِن كُنتُمْ
 ءَامِنُونَ بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِن كُنتُمْ مُسْلِمِينَ ﴿٨٤﴾ فَقَالُوا عَلَى اللَّهِ
 تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٨٥﴾ وَنَحْنَا
 بِرَحْمَتِكَ مِنَ الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿٨٦﴾ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ
 أَن تَبَوَّءَا الْقَوْمَ كَمَا بِمِصْرَ بَيْوتًا وَأَجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً
 وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٧﴾ وَقَالَ مُوسَىٰ
 رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَئَهُ زِينَةً وَأَمْوَالًا فِي الْحَيَاةِ
 الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوهُ عَن سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَىٰ أَمْوَالِهِمْ
 وَاشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّىٰ يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴿٨٨﴾

٧٩: ﴿وقال فرعون أتوني بكل سحر عليم﴾ وذلك أن فرعون أراد أن يهرج على الناس ويعارض ما جاء به موسى من الحق
 ٨٠: ﴿فلما جاء السحرة قال لهم موسى ألقوا ما أنتم ملقون﴾ قال لهم ذلك لأنهم اصطفوا وقد وعدوا من فرعون بالتقريب والعتاء ٨١: ﴿فلما ألقوا قال موسى ما جئتم به السحر﴾ [تبيخ لهم على ما جاؤوا به من السحر]، ﴿إن الله سيطله إن الله لا يصلح عمل المفسدين﴾ [يعني: السحر] ٨٢: ﴿ويحق الله الحق بكلماته ولو كره المجرمون﴾ هذه الآيات شفاء من السحر بإذن الله تعالى، تقرأ في إناء فيه ماء ثم يُصبُّ على رأس المسحور ٨٣: ﴿فما آمن لموسى إلا ذرية من قومه على خوف من فرعون وملأه من سوء التوراة﴾ لم يؤمن بموسى عليه السلام إلا الشباب على وجل وخوف من فرعون وملأه أن يردوهم إلى ما كانوا عليه من الكفر، ﴿وإن فرعون لعال في الأرض وإنه لمن المسرفين﴾، [أي: عات متكر متجاوز في الكفر] ٨٤: ﴿وقال موسى يا قوم إن كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا إن كنتم مسلمين﴾ فإن الله كافٍ من توكل عليه، ﴿ومن يتوكل على الله فهو حسبه﴾، وكثيراً ما يُقرن الله تعالى بين العبادة والتوكل كقوله تعالى: ﴿فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ﴾ ٨٥: ﴿فقالوا على الله توكلنا ربنا لا نجعلنا فتنة للقوم الظالمين﴾ لا تظفرهم بنا وتسلطهم علينا، فيظنون أنهم إنما سلطوا لأنهم على

الحق فيفتنوا بذلك ٨٦: ﴿ونحن برحمتك من القوم الكافرين﴾ الذين كفروا الحق واستروه، ونحن قد آمننا بك وتوكلنا عليك ٨٧: ﴿وأوحينا إلى موسى وأخيه﴾ هارون ﴿أن تبوءا لقومكما بمصر بيوتاً﴾ أن يتخذوا لقومهما بمصر بيوتاً ﴿واجعلوا بيوتكم قبلة﴾ أمروا أن يتخذوا بيوتهم مساجد، لأنهم كانوا خائفين، فأمروا أن يصلوا في بيوتهم، ﴿واقموا الصلاة﴾ أمروا بكثرة الصلاة ﴿وبشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ بالثواب والنصر القريب ٨٨: ﴿وقال موسى ربنا إنك آتيت فرعون وملاؤه زينة وأموالاً في الحياة الدنيا﴾ من أثاث الدنيا ومتاعها ﴿ربنا ليضلوا عن سبيلك﴾ أعطيتهم ذلك وأنت تعلم أنهم لا يؤمنون بما أرسلتني به إليهم استدراجاً منك لهم، ليفتنن بما أعطيتهم من ثقت من خلقك ليظنن من أعويته أنك إنما أعطيتهم هذا ليحبب إليهم، ﴿ربنا اطمس على أموالهم﴾ أهلكتها واجعلها حجراً، ﴿واشدد على قلوبهم﴾ اطبع عليها ﴿فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الأليم﴾ وهذه الدعوات كانت من موسى عليه السلام غضباً لله تعالى.

الآية: ٨١ روى ابن أبي حاتم عن ليث وهو ابن أبي سلمة قال: بلغني أن هؤلاء الآيات شفاء من السحر بإذن الله تعالى فيقرأ في إناء فيه ماء ثم يُصبُّ على رأس المسحور الآية التي من سورة يونس ﴿فلما ألقوا قال موسى ما جئتم به السحر إن الله سيطله إن الله لا يصلح عمل المفسدين ويحق الله الحق بكلماته ولو كره المجرمون﴾ والآية الأخرى ﴿فوق الحق وبطل ما كانوا يعملون﴾ على آخر أربع آيات وقوله ﴿إن ما صنعوا كيد ساحر ولا يفلح الساحر حيث أتى﴾. /ابن كثير ج ٢/ ٤٢٧/٤

٨٩: ﴿قَالَ﴾ اللهُ تَعَالَى ﴿قَدْ أَجِيبْتُ دَعْوَتَكُمْ﴾ دَعَا مُوسَى وَأَمَّنْ هَارُونَ، أَي: قَدْ أَجِيبَتْكُمْ فِيهَا سَأَلْتُمَا مِنْ تَدْمِيرِ آلِ فِرْعَوْنَ. ﴿فَاسْتَقِيمَا﴾ عَلَى أَمْرِي وَامْضِيَا ﴿وَلَا تَتَّبِعَانِ سَبِيلَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ٩٠: ﴿وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغِيًّا وَعَدُوًّا﴾ لَمَّا خَرَجَ مُوسَى بِبَنِي إِسْرَائِيلَ أَرْسَلَ فِرْعَوْنَ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ يَجْمَعُونَ لَهُ جُنُودَهُ، فَركب وراءهم في أُنْهَى عَظِيمَةً، ﴿فَلَمَّا تَرَى الْجَمْعَانَ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُسَدَّرُونَ﴾، ﴿قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾، فَأَمَرَ اللهُ تَعَالَى أَنْ يُضْرَبَ الْبَحْرُ بِعَصَاهُ فَصَارَ اثْنِي عَشَرَ طَرِيقًا، وَجَاوَزَ بَنُو إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَلَمَّا خَرَجَ آخِرُهُمْ مِنْهُ انْتَبَى فِرْعَوْنَ وَجُنُودُهُ إِلَى حَافَتِهِ، فَاتَّحَمُوا كُلَّهُمْ الْبَحْرَ، فَارْتَطَمَ عَلَيْهِمْ فَلَمْ يَبْقَ مِنْهُمْ أَحَدٌ، ﴿حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ﴾ [أَي: لِفِرْعَوْنَ] ﴿قَالَ آمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنْتُ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ فَمَنْ حَيْثُ لَا يَنْفَعُهُ الْإِيمَانُ ٩١: ﴿الآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلَ﴾ أَهَذَا الْوَقْتِ تَقُولُ وَقَدْ عَصَيْتَ اللهُ قَبْلَ هَذَا فِيمَا بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ ﴿وَكُنْتَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ فِي الْأَرْضِ الَّذِينَ أَضَلُّوا النَّاسَ ٩٢: ﴿فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لَتَكُونَ لِمَنْ خَلَقَكَ آيَةً﴾ نَرْفَعُكَ عَلَى مَكَانٍ مَرْتَفِعٍ لِتُحَقِّقُوا مَوْتَهُ، وَلِيَكُونَ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ دَلِيلًا عَلَى هَلَاكِهِ، ﴿وَإِنْ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ عَنْ آيَاتِنَا لَغَافِلُونَ﴾ لَا يَعْتَبِرُونَ بِهَا وَلَا يَعْتَبِرُونَ بِهَا ٩٣: ﴿وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مَبُورًا صِدْقًا﴾ [أَي: مَبْرُورًا]

الجزء
٢٢

الجزء
٢٢

سُبْحَانَ رَبِّيَ
عَلَى كُلِّ
ذِمَّةٍ

قَالَ قَدْ أَجِيبَتْ دَعْوَتَكُمْ مَا فَاسْتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَانِ سَبِيلَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨٩﴾ وَجَوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغِيًّا وَعَدُوًّا حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ آمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنْتُ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٩٠﴾ أَأَلْسِنُ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلَ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴿٩١﴾ فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لَتَكُونَ لِمَنْ خَلَقَكَ آيَةً وَإِنْ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ عَنْ آيَاتِنَا لَغَافِلُونَ ﴿٩٢﴾ وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مَبُورًا صِدْقٍ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ فَمَا اخْتَلَفُوا حَتَّى جَاءَهُمُ الْعَامُ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٩٣﴾ فَإِنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فَسْأَلِ الَّذِينَ يُقْرَأُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ لَقَدْ جَاءَكَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴿٩٤﴾ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ فَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٩٥﴾ إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٩٦﴾ وَلَوْ جَاءَتْهُمْ كُلُّ آيَةٍ حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴿٩٧﴾

٢١٩

محموداً] ﴿وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ فَمَا اخْتَلَفُوا حَتَّى جَاءَهُمُ الْعِلْمُ﴾، مَا اخْتَلَفُوا فِي شَيْءٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ أَنْ يَخْتَلَفُوا وَقَدْ بَيَّنَّ اللهُ لَهُمْ وَأَزَالَ عَنْهُمْ اللَّبْسَ، ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ﴾ يَفْصَلُ بَيْنَهُمْ ﴿يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ ٩٤: ﴿فَإِنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ﴾ الْخُطَابَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وَالْمَرَادُ غَيْرُهُ، أَي: لَسْتُ فِي شَكٍّ وَلَكِنْ غَرِبْتُ فِي شَكٍّ وَلَمَّا نَزَلَتْ قَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «لَا أَشْكُ وَلَا أَسْأَلُ»، ﴿فَسَأَلِ الَّذِينَ يُقْرَأُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ لَقَدْ جَاءَكَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾ هَذَا فِيهِ تَثْبِيحٌ لِلْأُمَّةِ لِأَنَّ صِفَةَ نَبِيِّهِمْ مَوْجُودَةٌ فِي الْكُتُبِ الْمَتَّقِمَةِ الَّتِي بَأَيْدِي أَهْلِ الْكِتَابِ ٩٥: ﴿وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ فَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [الْخُطَابَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وَالْمَرَادُ غَيْرُهُ] ٩٦: ﴿إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾، [أَي: الَّذِينَ غَضِبَ اللهُ عَلَيْهِمْ بِمَعْصِيَتِهِمْ لَا يُؤْمِنُونَ] ٩٧: ﴿وَلَوْ جَاءَتْهُمْ كُلُّ آيَةٍ حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾ [فَحَيْثُ لَا يَنْفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ].

الآية: ٩١ روى الإمام أحمد عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ فلما قال فرعون آمنت أنه لا إله إلا الذي آمنت به بنو إسرائيل - قال - قال: لي جبريل لو رأيته وقد أخذت من حال البحر فندسسته في فيه مخافة أن تناله الرحمة. رواه الترمذي. ابن كثير ج ٢/٤٣٠

الآية: ٩٣ قال رسول الله ﷺ: «إن اليهود اختلفوا على إحدى وسبعين فرقة، وإن النصارى اختلفوا على اثنتين وسبعين فرقة، وستفرق هذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقة منها واحدة في الجنة واثنتان وسبعون في النار» قيل: من هم يارسول الله؟ قال «مأثنا عليه وأصحابي»، رواه الحاكم في مستدركه بهذا اللفظ وهو في السنن والمسانيد.

ابن كثير ج ٢/٤٣٢

٩٨: ﴿فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ فَنَفَعَهَا

إِيمَانُهَا﴾ فهلا قرية آمنت بكاملها من الأمم من قبلك يا محمد إلا كذبت رسوما ﴿إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ﴾ وهم أهل نينوى، وما كان إيمانهم إلا خوفاً من وصول العذاب الذي أنذرهم به رسولهم بعدما عاينوا أسبابه، وخرج رسولهم من بينهم فعندما جأروا إلى الله واستغاثوا به أن يرفع عنهم العذاب، فعندها رحمهم الله ﴿تَمَّا آمَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَىٰ حِينٍ﴾ ﴿٩٨﴾ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ مِنَ فِي الْأَرْضِ كُلَّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴿٩٩﴾ وَمَا كَانَتْ لِنَفْسٍ أَنْ تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَجْعَلُ الرَّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٠٠﴾ قُلْ انظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُغْنِي الْآيَاتِ وَالنُّذُرَ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠١﴾ فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا مِثْلَ آبَاءِ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِهِمْ قُلْ فَانظُرُوا إِلَىٰ مَعَكُمْ مِنَ الْمُنتَظِرِينَ ﴿١٠٢﴾ ثُمَّ نَجَّيْنَا رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا كَذَلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا سُنَّةَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنْتُمْ فِي شَكٍّ مِنْ دِينِي فَلَا أَعْبُدُ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ أَعْبُدُ اللَّهَ الَّذِي يَتَوَقَّكُمْ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٤﴾ وَأَنْ أَقْرِعَ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٥﴾ وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِنْ فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿١٠٦﴾

٢٢٠
والعذاب إلا مثل أيام الله في الذين كذبوا رسلهم من قبلهم؟ ﴿قُلْ فَانظُرُوا إِلَىٰ مَعَكُمْ مِنَ الْمُنتَظِرِينَ﴾، [وهذا تهديدٌ وعيدٌ] ١٠٣: ﴿ثُمَّ نَجَّيْنَا رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾ ونهك المكذبين بالرسول ﴿كَذَلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نَجَّيْنَا الْمُؤْمِنِينَ﴾ حقاً أوجه الله على نفسه الكريمة ١٠٤: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنْتُمْ فِي شَكٍّ مِنْ دِينِي﴾ في صحة ما جئتمكم به من الدين الخفيف ﴿فَلَا أَعْبُدُ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ أَعْبُدُ اللَّهَ الَّذِي يَتَوَقَّكُمْ﴾ فإن كانت آلهتكم التي تدعون من دون الله فأن لا أعبدها فاذعوا فلتضربني؛ فإنها لا تضرب ولا تنفع، وإنما الذي ينفع ويضر هو الذي يتوقاكم ﴿وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ ١٠٥: ﴿وَأَنْ أَقْرِعَ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا﴾ أخلص العبادة لله وحده حنيفاً، أي: منحرفاً عن الشرك، لهذا قال سبحانه: ﴿وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ ١٠٦: ﴿وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ﴾، [أي: إن عصيتي،] ﴿فَإِنْ فَعَلْتَ﴾ [أي: عبت غير الله، والحطاب موجه لأمته،] ﴿فَإِنَّكَ إِذَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾.

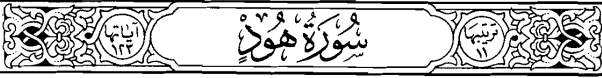
الاية: ١٠١ قال ابن كثير: يُرشد تعالى عباده إلى التفكير في آياته وما خلق الله في السموات والأرض من الآيات الباهرة لذوي الأبصار، كما في السموات من كواكب تبارت، نوابغ سيارت، والشمس والقمر والليل والنهار واختلافهما وإيلاج أحدهما في الآخر حتى يطول هذا ويقصر هذا؛ ثم يقصر هذا ويطول هذا، وارتفاع السباء واتساعها وحسنها وزينتها، وما أنزل الله منها من مطر فأحيى به الأرض بعد موتها، وأخرج فيها من أغانين الثمار والزرع والأزهار وصبغ النبات وما ذرأ فيها من دواب مختلفة الأشكال والألوان والمنافع وما فيها من جبال وسهول وفقر وعمران وخراب وما في البحر من العجائب والأمواج، وهو مع هذا مسخر مُذَلَّلٌ للساكنين يحمل سفنهم ويجري بها يرفق بتسخير التقدير لا إله إلا هو ولا ريب سواه.

كَاشِفٌ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ﴾ هذا بيان من الله تعالى أنّ الخير والشّرّ إنّما هو راجع إليه تعالى وحده لا يُشَارِكُهُ فِيهِ أَحَدٌ، فهو الذي يستحقّ العبادة وحده لا شريك له، ﴿يُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ، وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ لمن تاب إليه ولو كان من الشرك فإنّه يتوب عليه ١٠٨: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنِ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ﴾ يأمر تعالى رسوله صلى الله عليه وآله وسلم أن يُخَيِّرَ النَّاسَ أَنَّ الَّذِي جَاءَهُمْ بِهِ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لَا شَكَّ فِيهِ، فَمَنِ اهْتَدَىٰ بِهِ فَإِنَّمَا يَعُودُ نَفْعَ ذَلِكَ الْإِتِّبَاعَ عَلَىٰ نَفْسِهِ، ﴿وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا﴾ ومن ضلّ [عَمَّا جَاءَ بِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ] فَإِنَّمَا يَرْجِعُ وَبِالذَلِكَ عَلَيْهِ، ﴿وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِمُكِيلٍ﴾ بموكله بكم حتى تكونوا مؤمنين، وإنّما أنا نذيرٌ مبين ١٠٩: ﴿وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَاصْبِرْ﴾ تمسك بما أنزل الله عليك، واصبر على مخالفة من خالفك من الناس، ﴿حَتَّىٰ يَحْكُمَ اللَّهُ﴾ يفتح بينك وبينهم، ﴿وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ﴾ خير الفاتحين بعدله وحكمته.

تفسير سورة هود

١: ﴿الَّذِي كَتَبَ أَحْكَمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْكَ حِكْمَةٌ خَيْرٌ﴾ هذه آيات محكمة في لفظها مُفَصَّلَةٌ فِي مَعْنَاهَا، فهو كتابٌ كاملٌ صورةٌ ومعنى، ﴿مَنْ لَدُنْكَ﴾ من عند الله الحكيم في أقواله وأحكامه الخير بعواقب

وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿١٠٧﴾ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنِ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِمُكِيلٍ ﴿١٠٨﴾ وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَاصْبِرْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ اللَّهُ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ ﴿١٠٩﴾



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الرَّكُنْتُ أَحْكَمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْكَ حِكْمَةٌ خَيْرٌ ﴿١﴾
 أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ ﴿٢﴾ وَأَنْ أَسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُمَتِّعُكُمْ مَتَاعًا حَسَنًا إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ ﴿٣﴾ إِلَىٰ اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤﴾ أَلَا إِنَّهُمْ يَتَّبِعُونَ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُوا مِنْهُ أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٥﴾

الأمر ٢: ﴿أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ﴾ هذا القرآن المحكم المفصل لعبادة الله وحده لا شريك له، وإني لكم نذير من عذاب الله إن خالفتموه، وبشيرٌ بالتواب إن أطعتموه ٣: ﴿وَأَنْ أَسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ﴾ وأمركم بالاستغفار من الذنوب والتوبة منها إلى الله عز وجل فيما تستقبلونه، وأن تستمروا على ذلك؛ ﴿يُمَتِّعُكُمْ مَتَاعًا حَسَنًا﴾ في الدنيا ﴿إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ﴾ في الآخرة، ﴿يُؤْتِ كُلَّ ذِي عَمَلٍ مِنَ الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ جِزَاءَ عَمَلِهِ﴾، ﴿وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ﴾ هذا تهديد شديد لمن تولى عن أوامر الله تعالى وكذب رسله، فإنّ العذاب يوم القيامة يناله لا محالة ٤: ﴿إِلَىٰ اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ﴾ يوم القيامة ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ٥: ﴿أَلَا إِنَّهُمْ يَتَّبِعُونَ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُوا مِنْهُ﴾ إنهم إذا قالوا شيئاً أو عملوه يثنون صدورهم فيظنون أنّهم يستخفون من الله بذلك، فأخبرهم تعالى أنّهم حين يستغشون ثيابهم يعلم ما يفعلون، ﴿أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ﴾ [أخفى ما يكون العبد إذا استغشى ثوبه وأضمر في نفسه]، يعلم ما يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ من القول والعمل ﴿إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾.

الآية: ١٠٧ قال ابن كثير: ﴿وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ﴾ الآية فيه بيان أنّ الخير والشّرّ والنفع والضّرّ إنّما هو راجع إلى الله تعالى وحده لا يشاركه في ذلك أحد فهو الذي يستحقّ العبادة وحده لا شريك له. وروى الحافظ ابن عسّاك عن أنس بن مالك أنّ رسول الله ﷺ قال «اطلّوا الخيرَ دهرَكم كله، وتعرّضوا لنفحات ربكم، فإنّ الله نفحات من رحمته يُصيب بها من يشاء من عباده، وأساؤه أنّ يسترّ عوراتكم ويؤمن روعاتكم». / ابن كثير ج ٢/ ٤٣٤/٢

سورة هود: روى الحافظ أبو يعلى عن عكرمة قال: قال أبو بكر سألت رسول الله ﷺ ما شئيك؟ قال «شئيتي هود والواقعة وعمّ يتساءلون وإذا الشمس كورت».

٦: أخبر تعالى أنه مُتكفل بأرزاق المخلوقات ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ﴾ من سائر دواب الأرض صغيرها وكبيرها برها وبحرها، ﴿وَيَعْلَمُ مَسْقَرَهَا﴾ حيث تأوي ﴿وَمُسْتَوْدِعَهَا﴾ حيث تموت، ومستودعها في الأصلاب، ومستودعها في الأرحام، ﴿كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ مكتوب ذلك في كتاب عند الله عن جميع ذلك ٧: ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ﴾ يخبر تعالى عن قدرته على كل شيء، وكيف كان بدء خلقه قبل أن يخلق السموات والأرض. قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «إِنَّ اللَّهَ قَدَّرَ مَقَادِيرَ الْخَلَائِقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِمِائَتِينَ أَلْفَ سَنَةٍ، وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ»، فلَمَّا خَلَقَ الْخَلْقَ قَسَمَ الْمَاءَ قِسْمَيْنِ فَجَعَلَ نِصْفًا تَحْتَ الْعَرْشِ وَهُوَ الْبَحْرُ الْمَسْجُورُ. ﴿لِيَلْبُوكُمْ آيَاتِكُمْ أَحْسَنَ عَمَلًا﴾ خلق السموات والأرض لنفع عباده الذين خلقهم ليعبدوه ولا يشركوا به شيئاً، ﴿وَلَئِنْ قُلْتُمْ إِنَّكُمْ مَبْعُوثُونَ مِنْ بَعْدِ الْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾ يقولون كُفْرًا وَعِنَادًا مَا نَصَدَّقَكَ عَلَى وَقْعِ الْبُعْثِ، وما يذكُر ذلك إِلَّا مَنْ سَحَرْتَهُ فَهُوَ يَتَّبِعُكَ عَلَى مَا تُقُولُ ٨: ﴿وَلَئِنْ أَخْرَأْنَا عَنْهُمْ الْعَذَابَ إِلَى أُمَّةٍ مَعْدُودَةٍ لَيَنْتَحِبُنَّ فِيهَا الْمَشْرِكِينَ وَالْمُؤَاخِذَةَ إِلَى أُمْدٍ مَحْصُورٍ وَأَوْعَدْنَاهُمْ إِلَى مَدَّةٍ مُضْرُوبَةٍ لَيَقُولَنَّ ﴿مَا يَحْبِسُهُ﴾؟ يُؤَخِّرُ هَذَا الْعَذَابَ عَنَّا، فَإِنَّ سَجَايَاهُمْ قَدْ أَلْفَتْ

﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدِعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ ﴿٦﴾ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ لِيَلْبُوكُمْ آيَاتِكُمْ أَحْسَنَ عَمَلًا وَلَئِنْ قُلْتُمْ إِنَّكُمْ مَبْعُوثُونَ مِنْ بَعْدِ الْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا إِسْحَرُّمُوبِينَ ﴿٧﴾ وَلَئِنْ أَخْرَأْنَا عَنْهُمْ الْعَذَابَ إِلَى أُمَّةٍ مَعْدُودَةٍ لَيَقُولَنَّ مَا يَجْحِسُهُ الْآيَاتُ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفًا عَنْهُمْ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٨﴾ وَلَئِنْ أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَا مِنْهُ إِنَّتَهُ لَيْئُوسٌ كَفُورٌ ﴿٩﴾ وَلَئِنْ أَذَقْتَهُ نِعْمًا بَعْدَ ضِرَاءٍ مَسَّتَهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ السَّيِّئَاتُ عَنِّي إِنَّهُ لَفَرِحٌ فَخُورٌ ﴿١٠﴾ إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿١١﴾ فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ بَعْضٌ مَائُوحٍ إِلَيْكَ وَضَائِقٌ بِهِ صَدْرُكَ أَنْ يَقُولُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ كِتَابٌ أَوْ جَاءَ مَعَهُ مَلَكٌ إِنَّمَا أَنْتَ نَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٢﴾

التكذيب. والأمة تُستعمل في القرآن والسنة في معانٍ متعدّدة: في الملة والدين والجماعة. والمراد من الأمة هنا الذين يُبعث فيهم الرسول. ﴿إِلَّا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفًا عَنْهُمْ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ ٩: ﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَا مِنْهُ لَيْئُوسٌ كَفُورٌ﴾ إنه إذا أصابته شدة بعد نعمة حصل له بأس وقنوط من الخير بالنسبة إلى المستقبل، وكفر وجحود لماضي الحال كأنه لم يرَ خيراً ولم يرجُ بعد ذلك فرجاً، وهكذا إن أصابته نعمة بعد نقمة، كما قال تعالى: ١٠: ﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُمْ نِعْمًا بَعْدَ ضِرَاءٍ مَسَّتَهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ السَّيِّئَاتُ عَنِّي إِنَّهُ لَفَرِحٌ فَخُورٌ﴾ فرح بما في يده بَطْرُ فَخُورٍ عَلَى غَيْرِهِ ١١: ﴿إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ إلا الذين صبروا على الشدائد والمكاره وعملوا الصالحات في الرخاء والنعمة، أولئك لهم مغفرة بما يصيبهم من الضراء، وأجرٌ كبير بما أسلفوا في زمن الرخاء ١٢: ﴿فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ بَعْضٌ مَائُوحٍ إِلَيْكَ وَضَائِقٌ بِهِ صَدْرُكَ أَنْ يَقُولُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ كِتَابٌ أَوْ جَاءَ مَعَهُ مَلَكٌ﴾ يقول تعالى مسلماً لرسوله صلى الله عليه وآله وسلم عما كان يتعتّب به المشركين فيما كانوا يقولونه عن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم؛ أرشده إلى أن لا يضيق بذلك صدره ولا يصدّته ذلك عن دعائه إلى الله عزّ وجلّ ﴿إِنَّمَا أَنْتَ نَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ [أي: حافظ وشهيد].

الآية: ٢ جاء في الحديث الصحيح أن رسول الله ﷺ صعد الصفا فدعا بطون قريش الأقرب ثم الأقرب، فاجتمعوا فقال: «يا معشر قريش! أرأيتم لو أخرجناكم أن خيلاً تصبّحكم ألسنتهم مصدّقة؟» فقالوا: ما جرّنا عليك كذباً قال: «فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد». / ابن كثير ج ٢/ ٤٣٥

الآية: ٧ روى مسلم في صحيحه عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ قَدَّرَ مَقَادِيرَ الْخَلَائِقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِمِائَتِينَ أَلْفَ سَنَةٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ». / ابن كثير ج ٢/ ٤٣٧

١٣: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ﴾ فقد بين تعالى إعجاز القرآن وأنه لا يستطيع أحد أن يأتي بمثله؛ ﴿قُلْ فَأَتُوا بِعَشْرِ سُوْرٍ مِثْلِهِ مِثْرِيَاتٍ وَأَدْعُوا مِنْ أَسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ ولن يستطيع أحد أن يأتي بسورة من مثله لأنه كلام الرب تعالى، ولا يشبه كلام المخلوقين كما أن صفاته لا تشبه صفات المحدثات ١٤: ﴿فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ﴾ فإن لم يأتوا بمعارضة ما دعوتهم إليه فاعلموا أنهم عاجزون عن ذلك، وأن هذا الكلام منزل من عند الله متضمن علمه وأمره ونهيه، ﴿وَأَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ؟﴾ ١٥: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوْفِ إِلَيْهِمْ أَعْمَالُهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُخْسُونَ﴾ إن أهل الرياء يُعطون بحسناتهم في الدنيا، وذلك أنهم لا يُظلمون نقيراً ١٦: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ﴾ نزلت في أهل الرياء، من كانت الدنيا همته ونيته وطلبته جزاءه الله بحسناته في الدنيا، ثم يُفضي إلى الآخرة، وليس له حسنة يُعطى بها جزاء، فليس لهم في الآخرة إلا النار ﴿وَحِطِّ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ ١٧: ﴿أَفَمَنْ كَانَ عَلَىٰ بَيْتَةٍ مِنْ رَبِّهِ﴾ من الاعتراف لله بأنه لا إله إلا هو، ﴿وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ﴾ من عند الله وهو محمد صلى الله عليه وآله وسلم الذي بلغ رسالة الله تعالى، ﴿وَمَنْ قَبْلَهُ كِتَابَ مُوسَىٰ﴾ ومن قبل القرآن كتاب موسى وهو التوراة ﴿إِمَامًا وَرَحْمَةً﴾ أنزل الله إلى تلك الأمة كتاباً إماماً

أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأَتُوا بِعَشْرِ سُوْرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرِيَاتٍ وَأَدْعُوا مِنْ أَسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٣﴾ فَإِنَّمَا يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فاعلموا أنما أنزل يعلم الله وأن لا إله إلا هو فهل أنتم مسلمون ﴿١٤﴾ مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوْفِ إِلَيْهِمْ أَعْمَالُهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُخْسُونَ ﴿١٥﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحِطِّ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾ أَفَمَنْ كَانَ عَلَىٰ بَيْتَةٍ مِنْ رَبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ وَمِنْ قَبْلِهِ كُتِبَ مُوسَىٰ إِمَامًا وَرَحْمَةً أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ مِنَ الْأَحْزَابِ فَالنَّارُ مَوْعِدُهُ فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِنْهُ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٧﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أُولَئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمْ وَيَقُولُ الْأَشْهَادُ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ﴿١٨﴾ الَّذِينَ يَصْدُونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ ﴿١٩﴾

يقتدون به، فمن آمن به حق الإيمان قاده ذلك إلى الإيمان بالقرآن، ﴿أولئك يؤمنون به﴾ ثم قال سبحانه متوعداً لمن كذب بالقرآن أو بشيء منه: ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ مِنَ الْأَحْزَابِ فَالنَّارُ مَوْعِدُهُ﴾ ومن يكفر بالقرآن من سائر أهل الأرض ممن بلغه القرآن؛ فالنار موعده. ﴿فلا تك في مِرْيَةٍ مِنْهُ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ﴾ القرآن حق من الله لا مِرْيَةٍ فِيهِ وَلَا شَكَّ، ﴿ولكن أكثر الناس لا يؤمنون﴾ ١٨: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا؟﴾ أي: لا أحد أظلم منهم، يُبين تعالى حال المفتريين عليه وفضيحتهم في الآخرة على رؤوس الخلائق ﴿أولئك يُعْرَضُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمْ وَيَقُولُ الْأَشْهَادُ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ عَلَى الظالمين﴾، والأشهاد: الأنبياء والرسل والملائكة ١٩: ﴿الذين يصدون عن سبيل الله﴾ يردون الناس عن اتباع الحق وسلوك طريق الهداية الموصلة إلى الله عز وجل، ويحبونهم الجنة، ويبغونها عوجاً ﴿ويصدون عن سبيل الله﴾ ويريدون أن يكون طريقهم عوجاً غير معتدلة، ﴿وهم بالآخرة هم كافرون﴾ جاحدون مكذبون بوقوعها وكونها.

الآية: ١٧ ورد في الصحيح عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودونه أو ينصرّونه أو يمجسانه كما تولد البهيمة بهيمة جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء؟».

وفي صحيح مسلم عن عياض بن حماد عن رسول الله ﷺ قال: «يقول الله تعالى إني خلقت عبادي حنفاء فجاءتهم الشياطين فاجتاتهم عن دينهم وحرمت عليهم ما أحللت لهم، وأمرتهم أن يشركوا بي ما لم أنزل به سلطاناً. وجاء أيضاً في صحيح مسلم من حديث شعبة عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «والذي نفسي بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي أو نصراني ثم لا يؤمن بي إلا دخل النار.» / ابن كثير ج ٢ / ٤٤٢ / ٤

أُولَئِكَ لَمْ يَكُونُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ يُضْعَفُ لَهُمُ الْعَذَابُ مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ وَمَا كَانُوا يُبْصِرُونَ ﴿٢٠﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٢١﴾ لَأَجْرَمَ أَنَّهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْأَخْسَرُونَ ﴿٢٢﴾ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَخْبَتُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٣﴾ ﴿٢٤﴾ مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ كَالْأَعْمَى وَالْأَصْمَى وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ إِتِي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢٦﴾ أَنْ لَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمِ الْيَوْمِ ﴿٢٧﴾ فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا نَرَاكَ إِلَّا بَشَرًا مِثْلَنَا وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَادُوا لَنَا بَادِيَ الرَّأْيِ وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ ﴿٢٨﴾ قَالَ يَقَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَىٰ بَيْنَةٍ مِنْ رَبِّي وَعَآئِنِي رَحْمَةً مِّنْ عِنْدِهِ فَعَمِيتَ عَلَيْكُمْ أَنْزَلْتُكُمْ هَا وَأَنْتُمْ هَاهُنَا كَارِهِونَ ﴿٢٩﴾

٢٠: ﴿أُولَئِكَ لَمْ يَكُونُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ مَا كَانَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ﴾ بل كانوا تحت قهره وسلطانه، وهو قادر على الانتقام منهم في الدار الدنيا قبل الآخرة، والصحيح: «إن الله يُمسلي للظالم حتى إذا أخذته لم يُفلته»، ولهذا قال تعالى: ﴿يُضَاعَفُ لَهُمُ الْعَذَابُ وَمَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ وَمَا كَانُوا يُبْصِرُونَ﴾، وذلك أَنَّ الله تعالى جعل لهم سمعاً وأبصاراً وأفئدة، فما أغنى عنهم سمعهم ولا أبصارهم ولا أفئدتهم، بل كانوا صُمّاً عن سماع الحق، عُمياً عن اتباعه ٢١: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ خسروا أنفسهم لأنهم أدخلوها النار، فهم معذبون فيها لا يفتر عنهم عذابها، ﴿وَضَلَّ عَنْهُمْ﴾ ذهب عنهم ﴿مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ من دُونِ اللَّهِ من الأنداد ٢٢: ﴿لَأَجْرَمَ أَنَّهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْأَخْسَرُونَ﴾ أي: حقاً إنهم أخسر الناس صنفه في الآخرة؛ لأنهم استبدلوا الدرجات عن الدرجات، واعتاضوا عن نعم الجنان بجمهم أن ٢٣: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَخْبَتُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ﴾ أي: خضعوا ﴿أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ لا يموتون ولا يهرمون ٢٤: ﴿مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ كَالْأَعْمَى وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ﴾ الذين وصفهم أولاً بالشقاء والمؤمنين بالسعادة، فأولئك كالأعمى والأصم، وهؤلاء كالبصير والسميع، والكافر أعمى عن وجه الحق في الدنيا والآخرة، وأما

المؤمن فصير بالحق يُعزى بينه وبين الباطل، فيتبع المؤمن الخير ويترك الشر ٢٥: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ إِتِي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ يُخبر تعالى عن نوح عليه السلام وكان أول رسول بعثه الله إلى أهل الأرض من المشركين أنه قال لقومه: ﴿إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ ظاهر الندارة لكم من عذاب الله إن عبدتم غير الله، ولهذا قال: ٢٦: ﴿إِلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمِ الْيَوْمِ﴾ إن استمرتم على ما أنتم عليه عذبكم الله عذاباً أليماً ٢٧: ﴿فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ السَّادَةَ وَالْكِبْرَاءَ مِنَ الْكَافِرِينَ مِنْهُمْ﴾ وما نراك إلا بشراً مثلاً ﴿لست بملكٍ ولكنك بشر فكيف أوحى إليك من دوننا؟﴾ ما نراك اتبعك إلا الذين هم أراذلنا ﴿كالباعة والحكاة وأشباههم، ولم يتبعك إلا الأشراف متناً؟﴾ بادي الرأي في أول بادىء الرأي ﴿وما نرى لكم علينا من فضل بل نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ﴾ ما رأينا لكم علينا فضيلة في خلق ولا تخلق ولا رزق، وهذا الاعتراض دليل على جهلهم وقلة عقلهم ٢٨: ﴿قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَىٰ بَيْنَةٍ مِنْ رَبِّي؟﴾ على يقين وأمر جلي ونبوة صادقة؛ وهي الرحمة العظيمة من الله به وبهم، ﴿فَعَمِيتَ عَلَيْكُمْ﴾ خفيت عليكم فلم تهدوا إليها، بل بادرتم إلى تكذيبها، ﴿أَنْزَلْتُكُمْ هَا وَأَنْتُمْ هَاهُنَا كَارِهِونَ؟﴾!

الآية: ٢٧ قال ابن كثير: لما سأل هرقل ملك الروم أبا سفيان صخر بن حرب عن صفات النبي ﷺ قال له فيما قال: أشراف الناس اتبعوه أو ضعفاؤهم؟ قال: بل ضعفاؤهم؟

فقال هرقل: هم أتباع الرسل.

وقد جاء في الحديث أن رسول الله ﷺ قال: «مادعوت أحدنا إلى الإسلام إلا كانت له كجوة غير أبي بكر فإنه لم يتعلمه أي ماتردد ولا تزوى» لأنه رأى أمراً جلياً عظيماً واضحاً فبادر

إليه وسارع!! / ابن كثير ج ٤٤٣/٢

٢٩: ﴿وَمَا قَوْمٌ لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا إِنْ أَجْرِي إِلَّا عَلَى اللَّهِ﴾ لا أسألكم على نصحي لكم أجرة أخذها منكم، إنما أتبعي الأجر من الله عز وجل ﴿وما أنا بطارِدُ الذين آمنوا﴾ كأنهم طلبوا منه أن يطرد المؤمنين عنه احتشاماً أن يجلسوا معهم، ﴿إنهم ملأوا ربهم ولكي أراكم قوماً تجهلون﴾، [في سؤالكم طردهم] ٣٠: ﴿وما قومٌ من يضُرني من الله إن طردتهم﴾ [لأجل إيمانهم وكونهم فقراء]؟ ﴿أفلا تدكرون﴾!؟ ٣١: ﴿ولا أقول لكم عندي خزائن الله﴾ يُخبرهم أنه لا قدرة له على التصرف في خزائن الله، ﴿ولا أعلم الغيب﴾ إلا ما أطلعه الله عليه، ﴿ولا أقول إني ملك﴾ من الملائكة بل أنا بشر مرسل، ﴿ولا أقول للذين تزدري أعينكم لن يؤتيتهم الله خيراً﴾ ولا أقول عن الذين تحقرتهم وتزدروهم إنهم ليس لهم عند الله ثواب على أعمالهم ﴿الله أعلم بما في أنفسهم﴾؟ ﴿إني إذا لَمِن الظالمين﴾، [إذا فلكم هم الذي تقدم ذكره] ٣٢: ﴿قالوا يا نوحُ قد جادلتنا فأكثرت جدالنا﴾ حاججتنا فأكثرت من ذلك ونحن لا نتبعك ﴿فأتينا بما تعدنا﴾ من النعمة والعذاب، وادع علينا بما شئت فليأتنا ما تدعو به ﴿إن كنت من الصادقين﴾!؟ ٣٣: ﴿قال إنما يأتيكم به الله إن شاء وما أنتم بمعجزين﴾ إنما الذي يعاقبكم ويُعجلها لكم الله الذي لا يعجزه شيء ٣٤: ﴿ولا ينفعكم نصحي إن أردت أن أنصح لكم إن كان الله يريد أن

وَيَقْوِرَ لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَا لَّا إِنْ أَجْرِي إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّهُمْ مُلْكُوا رَبِّهِمْ وَلِكَيْفَ أُرْكَبُ قَوْمًا يَجْهَلُونَ ﴿٢٩﴾ وَيَقْوِرَ مَنْ يَضُرُّنِي مِنَ اللَّهِ إِنْ طَرَدْتُهُمْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣٠﴾ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ وَلَا أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِي أَعْيُنُكُمْ لَنْ يُؤْتِيَهُمُ اللَّهُ خَيْرًا اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِي أَنْفُسِهِمْ إِنِّي إِذَا لَمِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٣١﴾ قَالُوا لِيُنْزِلْ عَلَيْنَا آيَاتًا فَتَدْرِكُنَا فَتُكْفِرُ بِمَا كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٣٢﴾ قَالُوا إِنَّمَا يَايئسكم به الله إن شاء وما أنتم بمعجزين ﴿٣٣﴾ وَلَا يَنْفَعُكُمْ نَصْحِي إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أُنصَحَ لَكُمْ إِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٣٤﴾ أَمْ يَقُولُونَ أَفْتَرَنَاهُ قُلْ إِنْ أَفْتَرَيْتُهُ فَعَلَى إِجْرَامِي وَأَنَا بَرِيءٌ مِمَّا تَجْرِمُونَ ﴿٣٥﴾ وَأَوْحِيكَ إِلَى نُوْحٍ أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ آمَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾ وَأَصْنَعُ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحِّينَا وَلَا تَخَاطَبُنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُعْرِضُونَ ﴿٣٧﴾

يُغْوِيَكُمْ﴾ أي شيء يجدي عليكم إبلاغي لكم وإنذاري إياكم ونصحي إن كان الله يريد دماركم؟ ﴿هو ربكم وإليه ترجعون﴾ هو مالك أزيمة الأمور المنتصر الحاكم العادل الذي لا يجوز، له الخلق وله الأمر وهو المبدئ المعيد مالك الدنيا والآخرة ٣٥: ﴿أم يقولون افتراه﴾؟ هذا كلام معترض في وسط القصة مؤكداً لها، ﴿قل إن افتريته فعلى إجرامي﴾، ثم ذلك علي ﴿وأنا بريء مما تجرمون﴾ ليس ذلك مفتعلاً ولا مفترى، لأنني أعلم ما عند الله من العقوبة لمن كذب عليه ٣٦: ﴿وأوحى إلى نوح أنه لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن﴾ فلا تجون عليهم ﴿فلا تبتئس بما كانوا يفعلون﴾ ٣٧: ﴿وأصنع الفلك﴾ السفينة ﴿بأعيننا﴾ برأى منا ﴿ووحينا﴾ تعليمنا لك ما تصنعه ﴿ولا تخاطبني في الذين ظلموا﴾، [أي: لا تطلب إمهالهم] ﴿إنهم معرضون﴾ [فإني مغرقهم].

الآية: ٣٠ روى مسلم في صحيحه عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يؤمن عبدٌ حتى أكون أحب إليه من وليه والديه والناس أجمعين».

/الترغيب ج ٣/٢٢٧

الآية: ٣٤ روى البخاري ومسلم في صحيحهما عن عيم الداري عن النبي ﷺ قال: «الدين النصيحة» قاله له ثلاثاً. قال: قلنا لمن يارسلو الله؟ قال: «الله ورسوله، ولأمة المسلمين وعامتهم». وروى البخاري ومسلم أيضاً عن جرير رضي الله عنه قال: «بايعت النبي ﷺ على السمع والطاعة، فقلتني: «فيا استطعت، والتصحت لكل مسلم».

/الترغيب ج ٣/٢٢٧ - ٢٢٨

الآية: ٣٧ جاء في الحديث: «والذي نفسي بيده لأضيب المؤمن همَّ ولاعَمَّ ولاصَبَّ ولاوَصَّبَّ ولاحزَنَ حتى الشوكة يُشاكها إلا كَفَّرَ الله عنه بها من خطاياها». وفي الصحيحين: «والذي نفسي بيده لأضيض الله للمؤمن قضاء إلا كان خيراً له: إن أصابته سراء فشكر كان خيراً له، وإن أصابته ضراء صبر كان خيراً له وليس ذلك لأحد غير المؤمن».

/ابن كثير ج ٢/٤٣٨

٣٨: ﴿وَيَصْنَعُ الْفُلْكَ وَكَلَّمَا مِرَّ عَلَيْهِ مَلَأَ مِنْ قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ﴾ يهزؤون به ويكذبون بما يتوعدهم به من الغرق، ﴿قَالَ إِنْ تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ﴾ هذا وعيدٌ شديدٌ وتهديدٌ أكيد ٣٩: ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مِنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُقِيمٌ﴾ (٣٩) حتى إذا جاء أمرنا وفار الثنور قلنا أحمل فيها من كل زوجين اثنين وأهلك إلا من سبق عليه القول ومن آمن وما آمن معه إلا قليل (٤٠) ﴿وَقَالَ أَرْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ حَمَلْنَا وَأَمْرُنَا أَنْ رَبِّيَ لَغْفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (٤١) وهي تجري بهم في موج كالجبال ونادى نوح ابنه وكان في معزل يبنئ أركب معنا ولا تكن مع الكافرين (٤٢) ﴿قَالَ سَاوِيَ إِلَى جِبَلٍ يَْعَصْمُنِي مِنَ الْمَاءِ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمَغْرَقِينَ﴾ (٤٣) ﴿وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَسْأَمَاءِ أَقْلَعِي وَغِيضَ الْمَاءِ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ (٤٤) ﴿وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ﴾ (٤٥)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٢٢٦

الجبال، فقال له أبوه نوح عليه السلام: ﴿لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمَغْرَقِينَ﴾ (٤٤) ﴿وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ﴾ أمر الله الأرض أن تلع مائها الذي نبع منها واجتمع عليها، ﴿وَيَا سَمَاءُ أَقْلَعِي﴾ وأمر السماء أن تفلع عن المطر ﴿وَوَغِيضَ الْمَاءِ﴾ شرع في النقص ﴿وَقُضِيَ الْأَمْرُ﴾ فرغ من أهل الأرض قاطبة ممن كفر بالله، ولم يبق منهم دينار. ﴿وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ﴾ هو جبل في الجزيرة. وقد أبقى الله سفينة نوح على الجودي من أرض الجزيرة عبرة وآية حتى رآها أوائل هذه الأمة. ﴿وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ هلاكاً وخساراً لهم وبُعداً من رحمة ٤٥: ﴿وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي﴾ هذا سؤال استعلام عن حال ولده؛ أي: قد وعدتني بنجاة أهلي ووعدك الحق ﴿وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ﴾ فكيف يفرق؟ ﴿وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ﴾.

الآية: ٤١ روى الطبراني عن ابن عباس عن النبي ﷺ قال: «أمان أمي من الغرق إذا ركبوها في السفن أن يقولوا: بسم الله الملك ﴿وما قدروا الله حق قدره﴾ الآية ﴿بسم الله مُجْرِبَتِهَا وَمُرْسَاها إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾.

ابن كثير ج ٢/٤٤٦/

قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ روى البخاري ومسلم في صحيحهما عن جرير بن عبدالله قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ لَا يَرْحَمُ النَّاسَ لَا يَرْحَمُهُ اللَّهُ». وروى الطبراني بإسناد صحيح عن أبي موسى رضي الله عنه، أنه سمع النبي ﷺ يقول: «لَنْ تَزْنُوا حَتَّى تَزْأَحْمُوا» قالوا: يا رسول الله: كلنا رحيم؟! قال: «إِنَّهُ لَيْسَ بِرَحْمَةٍ أَحَدِكُمْ صَاحِبِيَّةٌ، وَلَكِنَّهَا رَحْمَةُ الْعَامِيَّةِ». وروى الطبراني عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «مَنْ لَا يَرْحَمُ النَّاسَ لَا يَرْحَمُهُ اللَّهُ». وروى الطبراني بإسناد جيد قوتي عن جرير قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «مَنْ لَا يَرْحَمُ مَنْ فِي الْأَرْضِ لَا يَرْحَمُهُ مَنْ فِي السَّمَاءِ». وروى أبو داود والترمذي عن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «الرَّاحِمُونَ يَرْحَمُهُمُ الرَّحْمَنُ؛ إِرْحَمُوا مَنْ فِي الْأَرْضِ يَرْحَمَكُمُ مَنْ فِي السَّمَاءِ». /الترغيب ج ٣/ ٢٠١٣ - ٢٠٢ /

٤٦: ﴿قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ﴾

من الذين وعدت بإنجائهم، وكان هذا الولد ومن سبق عليه القول بالفرق لكفره، ﴿إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ﴾، [أي: من الكفر والتكذيب]. ﴿إِنِّي أَعْظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾، [أي: أهاك عن سؤال هذا لئلا تكون من الآثمين] ٤٧: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ﴾، [لما علم نوح بأن سؤاله لم يطابق الواقع، بادر إلى طلب الغفرة والرحمة]، ﴿وَإِلَّا تَغْفِرَ لِي يَا تَرْجِيهِ أَكُنْ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ ٤٨: ﴿قِيلَ يَا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلَامٍ مِنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَى أُمَمٍ مِمَّنْ مَعَكَ﴾، [أي: اهبط من السفينة إلى الأرض بسلام، فقد ابتلعت الأرض الماء وجفت، وبركات أي نعم ثابتة]، ﴿وَأُمَمٌ سَنَمَتُهُمْ ثُمَّ يَمْسُهُمْ مِنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾، [وأمم ممن معك: دخل كل مؤمن إلى يوم القيامة، وأم ستمتعهم: دخل كل كافر إلى يوم القيامة] ٤٩: ﴿تِلْكَ﴾ هذه القصة، ﴿مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ﴾ من أخبار الغيوب السالفة ﴿نُوحِيهَا إِلَيْكَ﴾ كأنك شاهدها، ﴿نُوحِيهَا إِلَيْكَ وَحِيًّا مِنَّا إِلَيْكَ﴾ ما كنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا فاصبر ﴿عَلَىٰ مَنْ يَكْذِبُكَ مِنْ قَوْمِكَ﴾ وأذاهم فأنا سننصرك ونجعل لك العاقبة، كما فعلنا بالمرسلين حيث نصرناهم على أعدائهم ﴿إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ﴾ ٥٠: ﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا﴾ ولقد أرسلنا إلى عادٍ أخاهم هوداً أما لهم بعبادة الله وحده لا شريك له ﴿قَالَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سُورَةُ هُودٍ

قَالَ يَنْفُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَسْتَلِينَ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّي أَعْظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴿٤٦﴾
قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُنْ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٤٧﴾ قِيلَ يَنْفُوحُ
أَهْبِطْ بِسَلَامٍ مِنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ أُمَمٍ مِمَّنْ مَعَكَ
وَأُمَمٌ سَنَمَتُهُمْ ثُمَّ يَمْسُهُمْ مِنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤٨﴾ تِلْكَ
مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ
مِنْ قَبْلِ هَذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٤٩﴾ وَإِلَىٰ عَادٍ
أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَنْفُورُ أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ
غَيْرُهُ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ ﴿٥٠﴾ يَنْفُورُ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ
أَجْرًا إِنْ أَجْرِي إِلَّا عَلَىٰ الَّذِي فَطَرَنِي أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٥١﴾
وَيَنْفُورُ أَسْتَغْفِرُكُمْ وَأُزِيلُكُمْ ثُمَّ نُوهِوا إِلَيْهِ يُرْسِلُ السَّمَاءَ
عَلَيْكُمْ مَدْرَارًا وَيَزِدُّكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا
مُجْرِمِينَ ﴿٥٢﴾ قَالُوا يَا هُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ
بِتَارِكِيكَ الْهَنَاءِ عَنْ قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٥٣﴾

٢٢٧

يا قوم اعبُدوا الله ما لكم من إله غيره إن أنتم إلا مُفْتَرُونَ ﴿٥١﴾: ﴿يا قوم لا أسألكم عليه أجراً إن أجري إلا على الذي فطرنى﴾ [أي: خلقي] ﴿أفلا تعقلون﴾؟ من يدعوكم إلى ما يصلحكم في الدنيا والآخرة، من غير أجرة!؟ ﴿٥٢﴾: ﴿ويا قوم استغفروا ربكم ثم توبوا إليه﴾ أمرهم بالاستغفار الذي فيه تكفير الذنوب السالفة وبالنية عما يستقبلون. ﴿يرسل السماء عليكم مدراراً ويزدكم قوة إلى قوتكم﴾ (١)، وفي الحديث: «من لزم الاستغفار جعل الله له من كل فرجاً ومن كل ضيق مخرجاً، ورزقه من حيث لا يحتسب» ٥٣: ﴿قالوا يا هود ما جئنا ببينة﴾ بحجة على ما تدعيه ﴿وما نحن بتاركى آهتنا عن قولك﴾ بمجرد قولك اتركوهم تركوهم ﴿وما نحن لك بمؤمنين﴾ بمصدقين.

(١) أي: يزدكم شدة إلى شدتكم، وعزاً إلى عزكم، وخصباً إلى خصبكم.

الآية: ٤٩ قال ابن كثير: يقول تعالى لنبيه ﷺ هذه القصة وأشياهاها ﴿من أنباء الغيب﴾ يعني من أخبار الغيوب السالفة ﴿نوحياً إليك﴾ على وجهها كأنك شاهدها نوحياً إليك أي تعلمك بها وحياً منا إليك ﴿ما كنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا﴾ أي لم يكن عندك ولا عند أحد من قومك علم بها حتى يقول من يكذبك إنك تعلمها منه بل أخبرك الله بها مطابقة لما كان عليه الأمر الصحيح كما تشهد به كتب الأنبياء فبذلك فاضر على تكذيب من كذبك من قومك وأذاهم لك، فأنا سننصرك ونحوطك بيننا ونجعل العاقبة لك ولأتباعك في الدنيا والآخرة كما فعلنا بالمرسلين حيث نصرناهم على أعدائهم ﴿إننا لننصر رُسُلنا والذين آمنوا﴾ الآية. /ابن كثير ج ٢/٤٤٩

إِنْ نَقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ قَالَ إِنِّي أُشْهِدُ اللَّهَ
وَأَشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾ مِنْ دُونِهِ فَكِدُونِي
جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنظِرُونَ ﴿٥٥﴾ إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَا
مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ
﴿٥٦﴾ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقَدْ أَبغَضْنَاكُمْ مَا أُرْسَلْتُ بِهِ إِلَيْكُمْ وَيَسْتَخْلِفُ
رَبِّي قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّونَهُ شَيْئًا إِنَّ رَبِّي عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيفٌ
﴿٥٧﴾ وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ
مِنَّا وَنَجَّيْنَاهُمْ مِنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٥٨﴾ وَتِلْكَ عَادٌ جَحَدُوا بِآيَاتِ
رَبِّهِمْ وَعَصَوْا رُسُلَهُ وَاتَّبَعُوا أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴿٥٩﴾ وَاتَّبَعُوا
فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ اللَّهُ إِنْ عَادَا كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلَا
بَعْدَ الْعَادِ قَوْمٌ هُودٌ ﴿٦٠﴾ وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ
يَقَوْمِ أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ
وَأَسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تَوْبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ
﴿٦١﴾ قَالُوا أَيْصَلِحُ فَدَكُنْتُ فِيْنَا مَرْجُوعًا قَبْلَ هَذَا أَنْتَهِنَا أَنْ
نَعْبُدَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ ﴿٦٢﴾

٢٢٨

٥٤: ﴿إِنْ نَقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ﴾ أصابك بعض آلهتنا بجنون وخبل في عقلك بسبب نهيك عن عبادتها ﴿قَالَ إِنِّي أُشْهِدُ اللَّهَ وَأَشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ﴾ ٥٥: ﴿مِنْ دُونِهِ﴾ يقول: إني بريء من جميع الأنداد والأصنام، ﴿فَكِيدُونِي جَمِيعًا﴾ أنتم وأهتكم إن كانت حقاً، ﴿ثُمَّ لَا تُنظِرُونَ﴾ طرفه عين ٥٦: ﴿إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا﴾ تحت قهره وسلطانه، وهو الحاكم العادل الذي لا يجوز في حكمه، فإنه على صراط مستقيم، ﴿إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ ٥٧: ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقَدْ أَبغَضْنَاكُمْ مَا أُرْسَلْتُ بِهِ إِلَيْكُمْ﴾ يقول هودٌ لهم: فإن تولوا عمداً جحمتكم به من عبادة الله ربكم وحده لا شريك له فقد قامت عليه الحجة بإبلاغني إياكم رسالة الله التي بعثني بها، ﴿وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّي قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّونَهُ شَيْئًا﴾ ولا يبالي بكم فإنكم لا تضرُّونه بكفركم، بل يعود وبالأذى ذلك عليكم، ﴿إِنَّ رَبِّي عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيفٌ﴾ شاهد وحافظ لأقوالكم وأفعالكم ويجزىكم عليها ٥٨: ﴿وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا﴾ وهو الریح العقيم، فأهلكهم الله عن آخرهم، ونجى هوداً وأتباعه من عذاب غليظ، ﴿فَجِئْنَا هُودًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَنَجَّيْنَاهُمْ مِنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾ برحمته تعالى ولطفه ٥٩: ﴿وَتِلْكَ عَادٌ جَحَدُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ كَفَرُوا﴾ بها وعصوا رسل الله، وذلك أن من كفر بنبي فقد كفر بجميع الأنبياء، ﴿وَعَصَوْا رُسُلَهُ﴾

٦٠: ﴿وَاتَّبَعُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً﴾ من اللوم من عباده كلما ذكروا ﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ على رؤوس الأشهاد، ﴿أَلَا إِنَّ عَادًا كَفَرُوا رَبَّهُمْ﴾، وما بُعث نبي بعد عادٍ إلا لُعِنُوا على لسانه ٦١: ﴿وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا﴾ ثمودهم الذين كانوا يسكنون الحجر بين تبوك والمدينة، وكانوا بعد عاد، ﴿يَا قَوْمِ أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ أمرهم بنبيهم صالح بعبادة الله وحده، ﴿هُوَ أَنشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ﴾ ابتداء خلقكم منها ﴿وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾ جعلكم عمَّاراً تعمرونها وتستغلونها، ﴿فَاسْتَغْفِرُوهُ﴾ لسالف ذنوبكم ﴿ثُمَّ تَوْبُوا إِلَيْهِ﴾ فإيا تستقبلونه ﴿إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ﴾ ٦٢: ﴿قَالُوا يَا صَالِحُ قَدْ كُنْتَ فِينَا مَرْجُوعًا﴾ في عقلك ﴿قَبْلَ هَذَا أَنْتَهِنَا أَنْ نَعْبُدَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا﴾ وما كان عليه أسلافنا؟ ﴿وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ﴾ شك كثير.

الآية: ٥٩ قال ابن كثير: ﴿وتلك عاد جحدوا بآيات ربهم﴾ كفروا بها وعصوا رسل الله وذلك أن من كفر بنبي فقد كفر بجميع الأنبياء لأنه لا فرق بين أحمر منهم في وجوب الإيمان به، فعاد كفروا بهود فقول كفرهم منزلة من كفر بجميع الرسل ﴿وَاتَّبَعُوا أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ﴾ تركوا اتباع رسولهم الرشيد واتبعوا أمر كل جبار عنيد، فلهذا اتَّبَعُوا في هذه الدنيا لعنة من الله ومن عباده المؤمنين، كلما ذكروا وينادي عليهم يوم القيامة على رؤوس الأشهاد ﴿أَلَا إِنَّ عَادًا كَفَرُوا رَبَّهُمْ﴾ الآية قال السدي: ما بُعث نبي بعد عادٍ إلا لُعِنُوا على لسانه.

ابن كثير ج/٢٤٥/٢

الآية: ٦٧ روى ابن أبي حاتم عن عبد الله قال لما نزلت ﴿ولم يلبسوا إيمانهم بظلم﴾ شق ذلك على أصحاب رسول الله قالوا: وأينا لم يظلم نفسه؟ فقال عليه الصلاة والسلام: ليس كما تظنون إنما قال: لانه: يائني لا تشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم. /ابن كثير ج/١٥٣/٢

٦٣: ﴿قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَىٰ بَيْتَةٍ مِنْ رَبِّي﴾ فإيا أرسلي به إليكم على يقين وبرهان ﴿وَأَتَانِي مِنْهُ رَحْمَةٌ فَمَنْ يُبْصِرُنِي مِنْ اللَّهِ إِنْ عَصَيْتُهُ﴾ وتركت دعوتكم إلى الحق وعبادة الله وحده، فلو تركته لَمَا نفعتموني ولَمَا زدتوني ﴿غَيْرَ تَحْسِيرٍ﴾ حسارة ٦٤: ﴿وَيَا قَوْمِ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةٌ﴾ هذه حجة من الله على صدق ما جئتمكم به، وكانوا هم الذين سألوا صالحاً أن يأتيهم بناقاة من الصخرة [على ما تقدم بيانه في سورة الأعراف آية ٧٣]، ﴿فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمْسُوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ﴾ ٦٥: ﴿فَعَقَرُوهَا﴾ إنهم اتفقوا على قتلها حتى النساء، ﴿فَقَالَ تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ذَلِكَ وَعَدْ غَيْرُ مَكْدُوبٍ﴾ غير كذب ٦٦: ﴿فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا﴾ [أي: عذابنا]، ﴿تَجِنَّا صَالِحًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَمِنْ خِزْيِ يَوْمِئِذٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ﴾ [أي: من فضيحه وذلته] ٦٧: ﴿وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ﴾ كما قال تعالى: ﴿فَأَخَذْتَهُمُ الرِّجْفَ فَاصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ﴾ [أي: فأخذتهم الزلزلة الشديدة، فصاروا خامدين من العذاب] ٦٨: ﴿كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا فِيهَا﴾ [أي: كأن لم يعمروها] ولم يعيشوا فيها، ﴿أَلَا إِنَّ تَمُودَ كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلَا بُعْدًا لِمُؤَدِّ تَمُودَ﴾ ٦٩: ﴿وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَىٰ﴾ قالوا سلاماً قال سلام ﴿عليكم﴾ ﴿فَمَا لَبِثَ أَنْ جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيدٍ﴾ ذهب سريعاً فاتاهم

قَالَ يَنْقُورِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَىٰ بَيْتَةٍ مِنْ رَبِّي وَعَ اتَّنِي مِنْهُ رَحْمَةٌ فَمَنْ يُبْصِرُنِي مِنْ اللَّهِ إِنْ عَصَيْتُهُ فَمَا تَزِيدُونِي غَيْرَ تَحْسِيرٍ ﴿٦٣﴾ وَيَنْقُورِ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةٌ فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمْسُوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ ﴿٦٤﴾ فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ذَلِكَ وَعَدْ غَيْرُ مَكْدُوبٍ ﴿٦٥﴾ فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا بَجْتِنَا صَالِحًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَمِنْ خِزْيِ يَوْمِئِذٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ ﴿٦٦﴾ وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ فَاصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ ﴿٦٧﴾ كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا فِيهَا أَلَا إِنَّ تَمُودَ كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلَا بُعْدًا لِمُؤَدِّ تَمُودَ ﴿٦٨﴾ وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَىٰ قَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ فَمَا لَبِثَ أَنْ جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيدٍ ﴿٦٩﴾ فَمَا رَءَا أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧٠﴾ وَأَمْرَاتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحَكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ ﴿٧١﴾

بالضيافة، وهو عجل فتى البقر، حنيد مشوي على الحجارة المحمّاة ٧٠: ﴿فَلَمَّا رَأَىٰ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ﴾ تنكرهم ﴿وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً﴾ وذلك أنّ الملائكة لا همة لهم إلى الطعام ولا يشتهونه، فلما رأى حالهم معرضين عمّا جاءهم به، فعند ذلك نكرهم، ﴿قَالُوا لَا تَخَفْ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ﴾ لنهلكهم ٧١: ﴿وَأَمْرَاتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحَكَتْ﴾ حاضت، [وكانت آيسة، تحقيقاً للشارة]، ﴿فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ﴾ بولد لها يكون له ولد وعقب ونسل، فإن يعقوب ولد إسحاق، كما قال تعالى في سورة البقرة: ﴿إِذْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتَ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي؟ قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًُا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾.

الآية: ٦٩ وروى الإمام أحمد في مسنده عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال: «ما أصاب أحد قط هَمٌّ ولا حَزَنٌ فقال: اللهم إني عبدك وابن عبدك ابن أمتك ناصيتي بيدك ماضٍ في حكمك عدلٌ في قضاؤك أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك أو أنزلته في كتابك أو علمته أحدًا من خلقك أو استأثرت به في علم الغيب عندك أن تجعل القرآن العظيم ربيع قلبي ونور صدري وجلاء حزني وذهاب همي، إلا أذهب الله حزنه وهمه وأبدل مكانه فرحاً»، فقيل: يا رسول الله أفلا نتعلمها؟ فقال: «بلى ينبغي لكل من سمعها أن يتعلمها». / ابن كثير ٢/٢٦٩

الآية: ٧١ قال رسول الله ﷺ: «الرَّحِمُ معلقة بالعرش، تقول: من وصلني وصله الله، ومن قطعني قطعته الله»، رواه البخاري وقال ﷺ: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليصل رحمة»، رواه مسلم. / رياض الصالحين ١٥٤ و ١٥٩/

٧٢: ﴿قَالَتْ يَا وَيْلَتَىٰ أَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا

بِعَلِي شَيْخًا؟!﴾ قولها في هذه الآية كما جرت به عادة النساء في أقوالهن وأفعالهن عند التعجب، ﴿إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ﴾ ٧٣:

﴿قَالُوا أَتَعْجِبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾ لا تعجبي من أمر الله فإنه إذا أراد شيئاً أن يقول له: كُنْ فيكون. ﴿رَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ﴾ هو الحميد في جميع أفعاله وأقواله محمود مُجَدِّدٌ في صفاته وذاته

٧٤: ﴿فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ وَجَاءتَهُ الْبُشْرَىٰ يُجَادِلُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ﴾ يُخْبِرُ تَعَالَىٰ عَنِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنَّهُ لَمَّا ذَهَبَ عَنْهُ الرَّوْعُ وَهُوَ مَا أَوْجَسَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ خَيْفَةً حِينَ لَمْ يَأْكُلُوا، ﴿يُجَادِلُنَا﴾ [أَي: يُجَادِلُ رُسُلَنَا] ٧٥:

﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ حَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُنِيبٌ﴾ مدح لإبراهيم بهذه الصفات الحميلة والأوَّاهُ: الرَّحِيمُ، وَالمُنِيبُ المَقْبَلُ إِلَى طَاعَةِ اللَّهِ ٧٦:

﴿يَا إِبْرَاهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا إِنَّهُ قَدْ جَاءَ أَمْرٌ رَبِّكَ﴾ إِيَّاهُ قَدْ نَفَذَ فِيهِمُ الْقَضَاءَ وَحَقَّتْ عَلَيْهِمُ الْكَلِمَةُ بِالْهَلَاكِ وَحُلُولِ الْبَأْسِ الَّذِي لَا يُرَدُّ عَنِ الْقَوْمِ الْمَجْرَمِينَ ٧٧:

﴿وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سَيِّئًا﴾ [أَي: سَاءَ بِمَجْهَمِهِمْ]، ﴿وَضَاقَ بِهِمْ ذُرْعًا﴾ ضَاقَتْ نَفْسُهُ بِسَبَبِهِمْ وَخَشِيَ عَلَيْهِمْ ﴿وَقَالَ هَذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ﴾ شَدِيدٌ بِلَاؤِهِ، وَذَلِكَ أَنَّهُ سَيِّدِافِعُ عَنْهُمْ، وَيَشْتَقُ ذَلِكَ عَلَيْهِ ٧٨:

﴿وَجَاءَهُ قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ﴾ يُسْرِعُونَ مِنْ فَرَحِهِمْ بِذَلِكَ، ﴿وَمِنْ قَبْلُ كَانُوا يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ﴾ لَمْ يَزَلْ هَذَا مِنْ سَجِيَّتِهِمْ حَتَّى

أَخَذُوا وَهُمْ عَلَى ذَلِكَ الْحَالِ. ﴿قَالَ يَا قَوْمِ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ﴾ يُرْشِدُهُمْ إِلَى نَسَائِهِمْ، فَإِنَّ النَّبِيَّ لِلْأُمَّةِ بِمَنْزِلَةِ الْوَالِدِ، فَأَرشَدَهُمْ إِلَى مَا هُوَ أُنْفَعُ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزَوْنَ فِي ضَيْفِي﴾ أَقْبَلُوا مَا أَمَرَكُمْ بِهِ مِنَ الْاِقْتِصَارِ عَلَى نَسَائِكُمْ ﴿أَلَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ﴾ فِيهِ خَيْرٌ يَقْبَلُ مَا أَمَرَهُ بِهِ وَيَتْرَكَ مَا أَنْهَاهُ عَنْهُ! ٧٩:

﴿قَالُوا لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكُمْ مِنْ حَقٍّ﴾ إِنَّكَ لَتَعْلَمُ أَنَّ نِسَاءَنَا لَا أَرْبَ لَنَا فِيهِنَّ وَلَا نَشْتَبِهِنَّ بِكُمْ وَأَنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ﴾ لَيْسَ لَنَا غَرَضٌ إِلَّا فِي الذِّكْرِ ٨٠:

﴿قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةٌ أَوْ آوِي إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ﴾ لَكُنْتُ نَكَلْتُ بِكُمْ وَفَعَلْتُ بِكُمْ الْأَفَاعِيلَ ٨١:

﴿قَالُوا يَا لُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَنْ يَصْلُوا إِلَيْكَ فَأَسْرَبْنَا بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ﴾ أَمْرُهُ أَنْ يَسْرِبَ بِأَهْلِهِ مِنْ آخِرِ اللَّيْلِ ﴿وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ﴾ إِذَا سَمِعْتَ مَا نَزَلَ بِهِمْ، وَلَا يَهْوَلْنِكُمْ تِلْكَ الْأَصْوَاتُ، وَلَكِنْ اسْتَمْرُوا ذَاهِبِينَ، ﴿إِلَّا أَمْرَاتِكُ إِنَّمَا مَصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ﴾ إِنَّمَا خَرَجَتْ مَعَهُمْ وَإِنَّهَا لَمَّا سَمِعَتْ الْوَجْبَةَ التَّفَتَتْ وَقَالَتْ: وَآ قَوْمَاهُ، فَجَاءَهَا حَجْرٌ مِنَ السَّمَاءِ فَقَتَلَهَا. ﴿إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ﴾ ١٩!

الآية: ٧٣ ثبت في الصحيحين أنهم قالوا: قد علمنا السلام عليك فكيف الصلاة عليك يا رسول الله؟ قال: ﴿قولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم. وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد﴾.

الآية: ٨١ ورد في الحديث عن طريق محمد بن عمرو بن علقمة عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: ﴿رحمة الله على لوط لقد كان يأوي إلى ركن شديد - يعني الله عز وجل - فما بعث الله بعده من نبي إلا في ثروة من قومه﴾. /ابن كثير ج ٢/ ٤٥٤/

قَالَتْ يَا وَيْلَتَىٰ أَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بِعَلِي شَيْخًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ ﴿٧٢﴾ قَالُوا أَتَعْجِبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحِمْتُ اللَّهُ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ ﴿٧٣﴾ فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ وَجَاءتَهُ الْبُشْرَىٰ يُجَادِلُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧٤﴾ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُنِيبٌ ﴿٧٥﴾ يَا إِبْرَاهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا إِنَّهُ قَدْ جَاءَ أَمْرٌ رَبِّكَ وَإِنَّهُمْ عَنِ اللَّهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ دُودٍ ﴿٧٦﴾ وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سَيِّئًا بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذُرْعًا وَقَالَ هَذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ ﴿٧٧﴾ وَجَاءَهُ قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِنْ قَبْلُ كَانُوا يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ قَالَ يَنْقُورُ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزَوْنَ فِي ضَيْفِي أَلَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ ﴿٧٨﴾ قَالُوا لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكُمْ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَنَعْلَمُ مَا نُرِيدُ ﴿٧٩﴾ قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةٌ أَوْ آوِي إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ ﴿٨٠﴾ قَالُوا يَلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَنْ يَصْلُوا إِلَيْكَ فَأَسْرَبْنَا بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلَّا أَمْرَاتُكَ إِنَّهُ مَصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ ﴿٨١﴾

٨٢: ﴿فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا﴾ عند طلوع الشمس ﴿جَعَلْنَا عَلَيْهَا﴾ وهي سدوم ﴿سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ مَنْضُودٍ﴾ حجارة من طين قوية شديدة، منضود: يتبع بعضه بعضاً ٨٣: ﴿مُسُومَةٌ عِنْدَ رَبِّكَ﴾ معلّمة، كل حجر مكتوب عليه اسم الذي ينزل عليه. ﴿وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بَعِيدٍ﴾ وما هذه النعمة تمن تشبه بهم في ظلمهم بعيد عنه، وفي الحديث: «من وجدتموه يعمل عمل قوم لوط فاقتلوا الفاعل والمفعول به» ٨٤: ﴿وإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا﴾ ولقد أرسلنا إلى مدين وهم قبيلة من العرب كانوا يسكنون بين الحجاز والشام قريباً من مَدْيَنَ ﴿قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ أمرهم بعبادة الله وحده لا شريك له، ﴿وَلَا تَنْفُسُوا الْكَيْالَ وَالْمِيزَانَ﴾ ونهاهم عن التطفيف في المكيال والميزان، ﴿إِنِّي أَرَأَىٰ مَا يَكْفُرُونَ فِي الْكَيْالِ عَذَابٌ يَوْمَ يُحِيطُ﴾ في معيشتكم ووزنكم، وإني أخاف أن تسلبوا ما أنتم فيه بانهاكم محارم الله ٨٥: ﴿وَيَا قَوْمِ أَوْفُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ﴾ آخذين ومُعطين ﴿وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ﴾ [أي: لا تُنْقِصُوهُمْ مِمَّا اسْتَحَقُّوه شَيْئًا]، ﴿وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ نهاهم عن العتو في الأرض بالفساد، وقد كانوا يقطعون الطريق ٨٦: ﴿بَقِيَّةَ اللَّهِ خَيْرٌ لَكُمْ﴾ ما يفضل لكم من الربح بعد وفاء الكيل والميزان خير لكم من أخذ أموال الناس، ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ وَمَا أَنَا

الغريب

فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَلَيْهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ مَنْضُودٍ ﴿٨٢﴾ مُسُومَةٌ عِنْدَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بَعِيدٍ ﴿٨٣﴾ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ وَلَا تَنْفُسُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِنِّي أَرَأَىٰ أَرْبَابَكُمْ يَخِرُّونَ وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ ﴿٨٤﴾ وَيَقَوْمِ أَوْفُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٨٥﴾ بَقِيَّةَ اللَّهِ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ ﴿٨٦﴾ قَالُوا يَا شُعَيْبُ أَصَلَوْتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ تَتْرَكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا وَأَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ ﴿٨٧﴾ قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَا أَنْهَكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿٨٨﴾

عليكم بحفيظ ﴿برقيب ولا حفيظ؛ أي: افعلوا ذلك لله عز وجل، ولا تفعلوه ليرامكم الناس، بل لله عز وجل﴾ ٨٧: ﴿قَالُوا يَا شُعَيْبُ أَصَلَوْتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ تَتْرَكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا؟! أَرَأَيْتَ تَأْمُرُكَ أَنْ تَتْرَكَ الْأَصْنَامَ؟ أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ﴾ فترك التطفيف عن قولك وهي أموالنا نفعل بها ما نريد، ﴿إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ﴾ يقول ذلك أعداء الله على سبيل الاستبزاز قبّحهم الله ولعنهم الله، وقد فعل ٨٨: ﴿قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي﴾ على بصيرة فيا أدعوه إليه ﴿وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا﴾ النّيرة والرزق الحلال ﴿وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَا أَنْهَكُمْ عَنْهُ﴾ لا أنهاكم عن الشيء وأخالف أنا فيه فأفعله خفية عنكم، ﴿إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ﴾ فيا أريده من إصابة الحق في جميع أموري، ﴿عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ [أي: أرحج إليه في جميع ما ينزل بي من النواصب].

الآية: ٨٣ ورد في الحديث المروي في السنن عن ابن عباس مرفوعاً «من وجدتموه يعمل عمل لوط فاقتلوا الفاعل والمفعول به»، وذهب الإمام الشافعي في قول عنه وجماعة من العلماء إلى أن اللاتظ يقتل سواء كان معصناً أو غير معصناً بهذا الحديث، وذهب الإمام أبو حنيفة إلى أنه يُلقى من شاطئ ويتبع بالحجارة كما فعل الله بقوم لوط والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب.

الآية: ٨٨ روى الإمام أحمد عن عبد الملك بن سعيد بن سويد الأنصاري قال: سمعت أبا حميد وأبا أسيد يقولان عنه ﷺ إنه قال «إذا سمعت الحديث عني تعرفه قلوبكم، وتلين له أشعاركم وأبشاركم، وترون أنه منكم قريب فأن أولاكم به، وإذا سمعت الحديث عني تنكره قلوبكم وتنفر منه أشعاركم وأبشاركم وترون أنه منكم بعيد فأن أبعدهم منه» وهذا الحديث إسناده صحيح. وهذا يخص علماء الحديث ومن كان علماً بها محيط بالحديث.

وقد أخرج مسلم أن النبي ﷺ قال: «إذا دخل أحدكم المسجد فليقل: اللهم افتح لي أبواب رحمتك، وإذا خرج فليقل: اللهم إني أسألك من فضلك». / ابن كثير ج ٢/ ٤٥٧/٤

وَيَقَوْمٌ لَا يَجْرِمُكُمْ شِقَاقِي أَنْ يُصِيبَكُمْ مِثْلُ مَا أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَالِحٍ وَمَا قَوْمٌ لَوْطٍ مِّنْكُمْ بَعِيدٌ ﴿٨١﴾ وَأَسْتَغْفِرُكُمْ وَأُغْفَرُ لَكُمْ ثُمَّ تَوْبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ ﴿٨٢﴾ قَالُوا يَشْعِيبُ مَا نَفَقَهُ كَثِيرًا مِّمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرِيكَ فِينَا ضَعِيفًا وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْنَا بَعِيزٌ ﴿٨٣﴾ قَالَ يَقَوْمِ أَرَهْطِي أَعَزُّ عَلَيْكُمْ مِّنَ اللَّهِ وَاتَّخَذْتُمُوهُ وَرَاءَكُمْ ظَهْرًا إِنَّ رَبِّي بِمَا تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿٨٤﴾ وَيَقَوْمِ أَعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَمِلٌ سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَمَنْ هُوَ كَذِبٌ وَأَرْتَقِبُوا إِنِّي مَعَكُمْ رَقِيبٌ ﴿٨٥﴾ وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جِثْمِينَ ﴿٨٦﴾ كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا فِيهَا أَلا بُعْدَ لِمَدِينٍ كَمَا بَعَدَتْ ثَمُودُ ﴿٨٧﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا وَسُلْطٰنٍ مُّبينٍ ﴿٨٨﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَاتَّبَعُوهُ أَمْرٌ فِرْعَوْنَ وَمَا أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ ﴿٨٩﴾

٢٢٢

٨٩: ﴿ويا قوم لا يجرمكم شقاي﴾ لا تحملنكم عداوتي وبغضي على الإصرار على ما أنتم عليه من الكفر والفساد ﴿أن يصيبكم مثل ما أصاب قوم نوح أو قوم هود أو قوم صالح﴾ من النقمة والعذاب، ﴿وما قوم لوط منكم بعيد﴾ في الزمان، فإنما هلكوا بالأس منكم بعيد ﴿واستغفروا ربكم ثم توبوا إليه﴾ من ذنوبكم وأعمالكم السيئة ﴿إن ربِّي رحيم ودود﴾ لمن تاب ٩١: ﴿قالوا يا شعيب ما نفقه﴾ ما نفهم ﴿كثيراً مما تقول وإنا لنراك فينا ضعيفاً﴾ أنت واحد، ﴿ولولا رهطك﴾ قومك ﴿لرجمناك﴾ بالحجارة ﴿وما أنت علينا بعيز﴾ ليس عندنا لك معزة ٩٢: ﴿قال يا قوم أرهطي أعز عليكم من الله؟﴾ أنتركوني لأجل قومي ولا تتركوني إعظاماً لجناب الرب عز وجل؟ ﴿واتخذوه﴾ وقد اتخذتم كتاب الله ﴿وراءكم ظهرياً﴾ نذتموه خلفكم لا تطيعونه ولا تعظمونه ﴿إن ربِّي بما تعملون محيط﴾ هو يعلم جميع أعمالكم وسيجزيكم ٩٣: ﴿ويا قوم اعملوا على مكانتكم إني عامل﴾ اعملوا على طريقتكم، وهذا تهديد شديد ﴿إني عامل﴾ على طريقتي ﴿سوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه ومن هو كاذب﴾ منكم، ﴿وارتقبوا﴾ انتظروا ﴿إني معكم رقيب﴾ ٩٤: ﴿ولما جاء أمرنا نجينا شعيباً والذين آمنوا معه برحمة منا وأخذت الظالموا الصيحة﴾ وهي التي استلبتهم وأخذتهم، ﴿فأصبحوا في ديارهم جثمين﴾

[وقد جمع الله عليهم ثلاثة أنواع من العذاب: الصيحة كما في هذه السورة، وفي الأعراف: أخذتهم الرجفة، وفي الشعراء: عذاب يوم الظلة] ٩٥: ﴿كان لم يغنوا فيها﴾ كان لم يعيشوا في دارهم قبل ذلك ﴿ألا بعداً لمدنين كما بعدت ثمود﴾ وكانوا جيرانهم قريباً منهم في الدار وشبيهاً بهم في الكفر، وكانوا عرباً مثلهم ٩٦: ﴿ولقد أرسلنا موسى بآياتنا وسلطان مبين﴾ بالدلالات الباهرة إلى فرعون ملك القبط ٩٧: ﴿إلى فرعون وملائته فاتبعوا أمر فرعون﴾ منهجه ومسلكه وطريقته في العبي ﴿وما أمر فرعون برشيد﴾ ليس فيه رشد ولا هدى، وإنما هو جهل وضلال وكفر وعناد.

الآية: ٩٠: روى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله يقول: «جعل الله الرحمة مائة جزء فأمسك عنده تسعة وتسعين جزءاً وأنزل في الأرض جزءاً واحداً فمن ذلك الجزء تراحم الخلائق حتى ترفع الدابة حافرها عن ولدها خشية من أن تصيبه». ابن كثير ج ٢/٢٠٠.

الآية: ٩٢: موقف شعب عليه السلام هذا موقف الذي يتجرع غيظه ويكظمه، وهو موقف جميع الأنبياء والمرسلين، ولقد امتدح هؤلاء الذين ستمهم الله تعال الكاظمين الغيظ والعافين عن الناس، ستمهم المحسنين وأخبر بحبته ثم وذلك لأن هذا من أعظم العبادات وجهاد النفس، ففي الحديث: «ما من جرعة يتجرعها العبد خير له وأعظم أجراً من جرعة غيظ في الله». روى ابن المبارك أن النبي ﷺ قال: «إذا كان يوم القيامة نادى مناد: من كانت له يد عند الله، فليقدم، فلا يتقدم إلا من عفا عن ذنبه». /القرطبي ج ٤/٢٠٨/

الآية: ٩٧: روى مسلم في صحيحه عن أبي موسى قال: قال رسول الله ﷺ: «لأحد أصبر له أدى يسعته من الله عز وجل، إنه يشرك به، ويجعل له الولد، ثم هو ينافيه ويرزقه». /رقم ٢٨٠٤/

٩٨: ﴿يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ وكان مقدّمهم ورئيسهم، كذلك هو يقدمهم يوم القيامة إلى نار جهنم، ﴿فَأُورِدَهُمُ النَّارَ﴾ وشربوا من حياض رذاها، وله في ذلك الحظ الأوفر من العذاب الأكبر، ﴿وَبَسَّ الْوَرْدُ الْمُرْوُودَ﴾، [أي: بسّ المدخل المدخول] ٩٩: ﴿وَاتَّبَعُوا فِي هَذِهِ لَعْنَةُ يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ أتبعناهم زيادة على عذاب النار لعنة في الدنيا ﴿وَيَوْمِ الْقِيَامَةِ بِسَّ الرَّفْدِ الْمُرْفُودِ﴾، [أي: بسّ العطاء والإعانة]، فريدوا لعنة، فنلك لعنتان ١٠٠: ﴿ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْقُرَى نَقِصَةُ عَلَيْكَ﴾ من خير الأنبياء وما جرى لهم مع أنهم ﴿مِنْهَا قَامَ﴾ عامرٌ ﴿وَحَصِيدٌ﴾ هالك ١٠١: ﴿وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ﴾ أهلكتناهم بتكذيبهم رُسُلنا وكفرهم بهم، ﴿فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ آهْتُمْ﴾ أوثانهم التي يعبدونها ﴿مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ﴾ ما نفَعوهم ولا أنقذوهم لما جاء أمرُ الله بإهلاكهم ﴿وَمَا زَادَهُمْ غَيْرَ تَتْيِبٍ﴾ تحسير، وذلك أن سبب هلاكهم إنما كان باتباعهم تلك الآلهة، فلهذا خسروا في الدنيا والآخرة ١٠٢: ﴿وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ﴾ وكما أهلكتنا أولئك القرون الظالمة المكذبة لرسُلنا كذلك فعل بأشباههم، ﴿إِنْ أَخَذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾، وفي الصحيحين أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: «إِنَّ اللَّهَ لِيَلِي لِلظَّالِمِ حَتَّى إِذَا أَخَذَهُ لَمْ يُفَلْتِهِ»، ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ﴿وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى

يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأُورِدَهُمُ النَّارَ وَبَسَّ الْوَرْدُ الْمُرْوُودَ ﴿٩٨﴾ وَاتَّبَعُوا فِي هَذِهِ لَعْنَةُ يَوْمِ الْقِيَامَةِ بِسَّ الرَّفْدِ الْمُرْفُودِ ﴿٩٩﴾ ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْقُرَى نَقِصَةُ عَلَيْكَ مِنْهَا قَامٍ وَحَصِيدٌ ﴿١٠٠﴾ وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ آهْتُمْ الَّتِي يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ لَمَّا جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَمَا زَادَهُمْ غَيْرَ تَتْيِبٍ ﴿١٠١﴾ وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴿١٠٢﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِمَنْ خَافَ عَذَابَ الْآخِرَةِ ذَلِكَ يَوْمٌ مَجْمُوعٌ لِهَ النَّاسِ وَذَلِكَ يَوْمٌ مَشْهُودٌ ﴿١٠٣﴾ وَمَا نُؤَخِّرُهُ إِلَّا لِأَجَلٍ مُعَدَّدٍ ﴿١٠٤﴾ يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ فَمِنْهُمْ سُقِيَ وَسَعِيدٌ ﴿١٠٥﴾ فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَنفَى النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ﴿١٠٦﴾ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ ﴿١٠٧﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ سَعَدُوا فَنفَى الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءٌ غَيْرَ مَجْدُودٍ ﴿١٠٨﴾

وهي ظالمة ﴿١٠٣﴾: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِمَنْ خَافَ عَذَابَ الْآخِرَةِ﴾ إن في إهلاكنا الكافرين وإحساننا المؤمنين عظة واعتباراً على صدق موعودنا في الآخرة، ﴿ذَلِكَ يَوْمٌ مَجْمُوعٌ لِهَ النَّاسِ﴾ أولهم وآخرهم ﴿وَذَلِكَ يَوْمٌ مَشْهُودٌ﴾ عظم تحضره الملائكة ويجتمع فيه الرسل، وتحشر الخلائق بأسرهم ١٠٤: ﴿وَمَا نُؤَخِّرُهُ إِلَّا لِأَجَلٍ مُعَدَّدٍ﴾ ما تؤخَّر إقامة القيامة إلا لكلمة الله في ضرب مدة معينة إذا انقطعت وتكامل وجود أولئك المقدر خروجهم قامت الساعة ١٠٥: ﴿يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ سبحانه ﴿فَمِنْهُمْ سُقِيَ وَسَعِيدٌ﴾ كما قال تعالى: ﴿فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ﴾ ١٠٦: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَنفَى النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ﴾ لما هم فيه من العذاب عياداً بالله من ذلك ﴿خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ﴾ تلك الساء وتلك الأرض. ﴿إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ﴾ إن الاستثناء عائد على العصاة من أهل التوحيد ومن يخرجهم الله من النار بشفاعة الشافعين. ﴿إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ﴾ ١٠٨: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ سَعَدُوا﴾ وهم أتباع الرسل ﴿فَنفَى الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا﴾ ما كتبت فيها أبداً ﴿مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ﴾ إن دوامهم فيها هم فيه من النعيم موكول إلى مشيئة الله تعالى، وبعد ذكر المشيئة وعد وحتم بالدوام وعدم الانقطاع فقال تعالى: ﴿عَطَاءٌ غَيْرَ مَجْدُودٍ﴾ من غير انقطاع.

الآية: ١٠٨ جاء في الصحيحين: «يُؤْتَى بِالْمَوْتِ فِي صُورَةِ كَبِشٍ أَمْلَحٍ فَيُدْجِعُ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ ثُمَّ يُقَالُ: يَا هَؤُلَاءِ الْجَنَّةُ خُلُودٌ فَلَا مَوْتَ»، وفي الصحيح أيضاً «يُقَالُ بِأَهْلِ الْجَنَّةِ إِنَّ لَكُمْ أَنْ تَعْبَسُوا فَلَا تَمُوتُوا أَبَدًا، وَإِنَّ لَكُمْ أَنْ تُتَشَبَّهُوا فَلَا تَمُوتُوا أَبَدًا، وَإِنَّ لَكُمْ أَنْ تَنْصَحُوا فَلَا تَسْقَمُوا أَبَدًا، وَإِنَّ لَكُمْ أَنْ تَنْعَمُوا فَلَا تَبْسُؤُوا أَبَدًا». ابن كثير ج ٢/٤٦١/

١٠٩: ﴿فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِّمَّا يَبْعُدُ

هُؤُلَاءِ﴾ المشركون، إنه باطل وجهل، ﴿مَا يَبْعُدُونَ إِلَّا مَا يَبْعُدُ آبَاؤُهُمْ مِنْ قَبْلُ﴾

ليس لهم مستند فيما هم فيه إلا اتباع الآباء في الجهالات، ﴿وَإِنَّا لَمُوقِفُوهُمْ نَصِيْبُهُمْ غَيْرَ مَنْقُوصٍ

مَنْقُوصٍ﴾ وسيجزئهم الله على ذلك أتم الأجزاء، فيُعذب كافرهم عذاباً لا يُعذبه أحد، وإن

كان لهم حسنات فقد وقَّاهم الله إياها في الدنيا ١١٠: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ

فَاخْتَلَفَ فِيهِ﴾ فاختلف الناس فيه، فمن مؤمن به ومن كافر به، فلا يغضبك يا محمد

تكذيبهم لك، ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَقَضَيْ بَيْنَهُمْ﴾ لولا ما تقدم من تأجيله

العذاب إلى أجل معلوم لقضى الله بينهم، ﴿وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٍ﴾

تعالى أنه سيجمع الأولين والآخرين ويجزيهم بأعمالهم فقال تعالى: ١١١: ﴿وَإِنْ كَلَّمَا

لِيُوقِفْتَهُمْ رَبُّكَ أَعْمَالَهُمْ إِنَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾

١١٢: ﴿فَاسْتَقِمْ كَمَا أَمَرْتُ﴾ يأمر تعالى رسوله بالثبات والدوام على الاستقامة

﴿وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا﴾ كما يأمر المؤمنين بالثبات على الاستقامة وذلك، فإنه من أكبر

العون على النصر على الأعداء، فإنه نهي عن الطغيان، وهو البغي فإنه مصرعة. ﴿إِنَّهُ بِمَا

تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ لا يغفل عن شيء ولا يخفى عليه شيء ١١٣: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا

فَمَسَّكُمْ النَّارَ لِتَمِيلُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا وَلَا تَسْتَعِينُوا بِالظَّالِمَةِ فَتَكُونُوا كَأَنْكُمْ قَدْ رَضِيتُمْ

بأعمالهم ﴿فَمَسَّكُمْ النَّارَ وَمَالَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ﴾

ليس لكم من دونه من ولي ينقذكم ولا ناصر يخلصكم من عذابه ١١٤: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ﴾ يعني

الصبح والمغرب ﴿وَرُزُلْنَا مِنَ اللَّيْلِ﴾ يعني العشاء. هذه الآية نزلت قبل فرض الصلوات الخمس ليلة الإسراء، فإنه إنما كان يجب من الصلاة

صلواتان، قبل طلوع الشمس وقبل الغروب، وفي أثناء الليل قيام. ثم نسخ. ﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ﴾ إن فعل الخيرات يُكْفِرُ الذُّنُوبَ

السالفة. قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «جعلت الصلوات كفارات لما بينهن»، ثم قرأ هذه الآية. ﴿ذَلِكَ ذِكْرِي لِلذَّاكِرِينَ﴾ ١١٥: ﴿وَاصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [واصبر على الصلاة، إن الله لا يضيع أجر المحسنين؛ يعني المصلين] ١١٦: ﴿فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ

فَهَلَّا وَجَدَ مِنَ الْقُرُونِ الْمَاضِيَةِ بَقَايَا مِنْ أَهْلِ الْخَيْرِ﴾ أو لولا بقية يهتدون عن الفساد في الأرض عن الشرور والمنكرات ﴿إِلَّا قَلِيلًا مِمَّنْ أَنْجَيْنَا مِنْهُمْ﴾ عند حلول غضبه، ولهذا أمر الله تعالى هذه الأمة أن يكون فيها من يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، ﴿وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أَتَوْا فِيهِ وَكَانُوا بِمُجْرِمِينَ﴾ استمروا على ما هم عليه من المعاصي والمنكرات ١١٧: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلِهَا مُصَلِحُونَ﴾

أخبر تعالى أنه لم يهلك قرية إلا وهي ظالمة لنفسها كما قال تعالى: ﴿وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾.

الآية: ١١٤ وفي الصحيحين عن أمير المؤمنين عثمان بن عفان أنه توضأ لهم كوضوء رسول الله ﷺ ثم قال: هكذا رأيت رسول الله ﷺ يتوضأ وقال: «من توضأ وضوئي هذا ثم صلى ركعتين لا يحدث فيهما نفسه إلا غفر له ما تقدم من ذنبه». وروى مسلم في صحيحه عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ كان يقول: «الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة ورمضان إلى رمضان مكفرات لما بينهن ما احتسبت الكبائر». ابن كثير ج ٢/٤٦٢

١١٨: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ يُخْبِرُ تَعَالَى أَنَّهُ قَادِرٌ عَلَى جَعْلِ النَّاسِ كُلِّهِمْ أُمَّةً وَاحِدَةً مِنْ إِيْمَانٍ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلَّهُمْ جَمِيعًا﴾. ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ﴾ يَعْنِي الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى وَالْجُحُوشَ ١١٩: ﴿إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ﴾ يَعْنِي الْخَنِيثِيَّةَ. هُمْ أَهْلُ رَحْمَةِ اللَّهِ، أَهْلُ الْجَمَاعَةِ وَإِنْ تَفَرَّقَتْ دِيَارُهُمْ وَأَبْدَانُهُمْ. وَأَهْلُ مَعْصِيَتِهِ أَهْلُ فِرْقَةٍ وَإِنْ اجْتَمَعَتْ دِيَارُهُمْ وَأَبْدَانُهُمْ. ﴿وَلِلذَلِكَ خَلْقَهُمْ﴾ لِلرَّحْمَةِ خَلْقَهُمْ، لَمْ يَخْلُقْهُمْ لِيَخْتَلِفُوا، وَلَكِنْ خَلَقَهُمْ لِلْجَمَاعَةِ وَالرَّحْمَةِ. ﴿وَوَقَّمتْ كَلِمَةَ رَبِّكَ لِأُمَّلَانِ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ قَدْ سَبَقَ فِي قَضَائِهِ وَقَدْرَهُ لِعَلْمِهِ التَّامَّ وَحُكْمَتِهِ النَّافِذَةَ أَنَّ تَمَنُّ خَلْقِهِ مِنْ يَسْتَحِقُّ الْجَنَّةَ وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَحِقُّ النَّارَ، وَأَنَّهُ لَا يَدَّ أَنْ يُمْلَأَ مِنْ هَذَيْنِ التَّقْلِينِ ١٢٠: ﴿وَكَلَّمَ نَقْصُ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ﴾ الْمُتَقَدِّمِينَ قَبْلَكَ ﴿مَا نَبَّئْتُ بِهِ فُؤَادَكَ﴾ كَيْفَ نَصَرَ اللَّهُ حَزْبَهُ الْمُؤْمِنِينَ، وَخَدَلَ أَعْدَاءَهُ الْكَافِرِينَ. ﴿وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ فِي هَذِهِ السُّورَةِ الْمَشْتَمَلَةِ عَلَى قِصَصِ الْأَنْبِيَاءِ؛ قِصَصِ حَقِّ وَنَبَأِ صَدَقِي، يَرْتَدِعُ بِهَا الْكَافِرُونَ، وَذِكْرَى يَتَذَكَّرُ بِهَا الْمُؤْمِنُونَ ١٢١: ﴿وَقُلْ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ أَعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنَّا نَعْمَلُونَ عَلَيْهِمْ مَا تَتَّبَعُونَ﴾ هَذَا تَهْدِيدٌ، أَي: أَعْمَلُوا عَلَى طَرِيقَتِكُمْ وَمِنَاجِحِكُمْ، إِنَّا عَامِلُونَ عَلَى طَرِيقَتِنَا وَمِنْهُنَا ١٢٢: ﴿وَانظُرُوا إِنَّا مُنْتَظِرُونَ﴾ فَسَتَعْمَلُونَ مَنْ تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ إِنَّهُ

﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ﴾
 ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ وَوَقَّمتْ كَلِمَةَ رَبِّكَ
 لِأُمَّلَانِ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١١٩﴾ وَكَلَّمَ نَقْصُ
 عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نَشِئْتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ
 الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٠﴾ وَقُلْ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ
 أَعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنَّا نَعْمَلُونَ ﴿١٢١﴾ وَانظُرُوا إِنَّا مُنْتَظِرُونَ
 ﴿١٢٢﴾ وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ
 فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٢٣﴾

سُورَةُ الْيُوسُفِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
 الرَّتْلَكَ آيَاتِ الْكِتَابِ الْمُبِينِ ﴿١﴾ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا
 لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢﴾ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقِصَصِ
 بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ
 لَمِنَ الْغَافِلِينَ ﴿٣﴾ إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ
 أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ ﴿٤﴾

لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾، وَقَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ رُسُلَهُ وَغَدَّهُ وَنَصَرَهُ وَأَيَّدَهُ وَجَعَلَ كَلِمَتَهُ هِيَ الْعُلْيَا وَكَلِمَةُ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى، وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ١٢٣: ﴿وَاللَّهُ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ﴾ إِنَّهُ تَعَالَى عَالِمُ غَيْبِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَيْهِ الْمَرْجِعُ وَالْمَلَابِ، فَلَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ، ﴿فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ﴾ فَإِنَّهُ كَافٍ مَنْ تَوَكَّلَ عَلَيْهِ وَأَنَابَ إِلَيْهِ، ﴿وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْ أحوالِهِمْ وَسِيَرَتِهِمْ عَلَى ذَلِكَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.

تفسير سورة يوسف

١: ﴿الرَّتْلَكَ آيَاتِ الْكِتَابِ الْمُبِينِ﴾ هَذِهِ آيَاتُ الْقُرْآنِ الْوَاضِحِ الْجَلِيِّ الَّذِي يُفْصِحُ عَنِ الْأَشْيَاءِ الْمُبْهِمَةِ وَيُفَسِّرُهَا وَيُبَيِّنُهَا ٢: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا﴾ لِأَنَّ لُغَةَ الْعَرَبِ أَفْضَحُ لِللُّغَاتِ وَأَبْيَنُهَا وَأَوْسَعُهَا وَأَكْثَرُهَا تَأْدِيَةً لِلْمَعَانِي ﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ ٣: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقِصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ﴾ بِسَبَبِ إِحْيَانِنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ. وَسَبَبُ نَزْوِهَا أَنَّهُمْ سَأَلُوا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ الْحَدِيثَ فَذَلَّاهُمْ عَلَى أَحْسَنِ الْحَدِيثِ، وَأَرَادُوا الْقِصَصَ فَذَلَّاهُمْ عَلَى أَحْسَنِ الْقِصَصِ ﴿وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ﴾ [عَمَّا عَرَفْنَاكَ] ٤: ﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ﴾ إِذْكَرَ يَا مُحَمَّدٌ لِقَوْمِكَ قِصَّةَ يَوْسُفَ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ ﴿يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ﴾ وَتَعْبِيرُ هَذِهِ الرُّوْيَا أَنَّ الْأَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا عِبَارَةٌ عَنْ إِخْوَتِهِ، وَكَانُوا أَحَدَ عَشَرَ رَجُلًا سِوَاهُ، وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ عِبَارَةٌ عَنْ أُمَّةٍ وَأَبِيهِ.

قَالَ يَبْنِي لَا تَقْصُصْ رَأْيَاكَ عَلَيَّ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا ۗ إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٥﴾ وَكَذَلِكَ يَجْنِبُكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَيُنَبِّئُكَ بِمَا لَمْ يَحْكُمِ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ آلِ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَىٰ أَبَوَيْكَ مِنْ قَبْلِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ ۗ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦﴾ ﴿٦﴾ لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ ءَايَاتٌ لِّلْمَسْأَلِينَ ﴿٧﴾ إِذْ قَالُوا لِيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَيْنَا أَيْنَمَا نَا وَأَنخُ عَصْبَةً ۗ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٨﴾ أَقْتُلُوا يُوسُفَ أَوْ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهًا أَيُّكُمْ وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ ﴿٩﴾ قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِي الْغُورِ فِي غَيْبَتِ الْجُبِّ يَلْقَاهُ بَعْضُ السَّيَّارِ ۗ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ ﴿١٠﴾ قَالُوا يَا أَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَىٰ يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُ لَنَصْحُونَ ﴿١١﴾ أَرْسَلَهُ مَعَا غَدَا يَرْتَعُ وَيَلْعَبُ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴿١٢﴾ قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَنَّ تَذْهَبُوا بِهِ وَأَخَافُ أَن يَأْكُلَهُ الذَّبُّ وَأَنْتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ ﴿١٣﴾ قَالُوا لَئِن أَكَلَهُ الذَّبُّ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّا إِذًا لَّخَسِرُونَ ﴿١٤﴾

٥: ﴿قال يا بني لا تقصص رأياك على إخوانك فيكيدوا لك كيدا﴾ حين قصَّ عليه ما رأى من هذه الرؤيا التي تعبيرها خضوع إخوته له وتعظيمهم إياه، فخشي يعقوب عليه السلام أن يحدث بها أحداً من إخوته فيحسدونه على ذلك، ﴿إن الشيطان للإنسان عدو مبين﴾ ٦: ﴿وكذلك يجتبيك ربك ويعلمك من تأويل الأحاديث﴾ كما اختار ربك وأراك هذه الكواكب والشمس والقمر ساجدة لك كذلك يجتارك ويصطفيك لنبوته، ويعلمك تعبير الرؤيا، ﴿ويوم نعمته عليك﴾ بالإبقاء إليك، ﴿وعلى آل يعقوب كما أتمها على أبويك من قبل إبراهيم وإسحاق إن ربك عليم﴾ حيث يجعل رسالته ﴿حكيم﴾ في أقواله وأفعاله [٧: ﴿لقد كان في يوسف وإخوته آيات للسائلين﴾ في قصته وخبره مع إخوته عبرة ومواعظ للمستخبرين عنه ٨: ﴿إذ قالوا ليوسف وأخوه أحبُّ إلى أينا منا﴾ حلفوا فيما يظنون: والله ليوسف وأخوه، يعنون بنيامين، وكان شقيقه لأمه ﴿ونحن غضبة﴾ جماعة، فكيف أحبُّ ذنك الاثنين أكثر من الجماعة ﴿إن أبانا لفي ضلال مبين﴾ في تقديمها علينا ومحبة إياها أكثر منا ٩: ﴿اقتلوا يوسف أو اطرحوه أرضاً يخل لكم وجهه أياكم﴾ اعدموه من وجه أياكم ليخلو لكم وحدكم؛ إما بأن تقتلوه أو تلقوه في أرض من الأراضي تستريحوا منه ﴿وتكونوا من بعده قوماً صالحين﴾ فأضربوا

التوبة قبل الذنب ١٠: ﴿قال قائل منهم﴾ وهو أكبرهم ﴿لا تقتلوا يوسف وألقوه في غيابات الجب﴾ أسفله ﴿يلتقطه بعض السيارة﴾ المارة فتستربحوا منه ولا حاجة إلى قتله ﴿إن كنتم فاعلين﴾ عازمين على ما تقولون ١١: ﴿قالوا يا أبانا مالك لا تأمنا على يوسف﴾ هذه توطئة ودعوى ﴿وإننا له لناصرون﴾ وهم يريدون خلاف ذلك إما في قلوبهم من الحسد له ١٢: ﴿أرسله معنا غدا يرتع ويلعب﴾ ينشط ﴿وإننا له لحافظون﴾ نحوطه ونحفظه من أجلك ١٣: ﴿قال إنني ليحزني أن تذهبوا به﴾ يشق علي مفارقتة مدة ذهابكم به، وذلك لفرط محبته له، ﴿وأخاف أن يأكله الذئب وأنتم عنه غافلون﴾ وأخشى أن تشتغلوا عنه برميكم ورعيكم فيأتيه الذئب فيأكله وأنتم لا تشعرون ١٤: ﴿قالوا لئن أكله الذئب ونحن عصبة إنا إذا لخاسرون﴾ لئن عدا عليه الذئب ونحن جماعة إنا إذا هالكون عاجزون.

يا ابن الخطاب؟ والذي نفسي بيده لقد جننكم بها بياض نفي، لانسألوهم عن شيء فيخبروكم بحق فتكذبونه أو يبطل فضدقونه؛ والذي نفسي بيده لو أن موسى كان حياً ما سعت إلا أن يتبعني. / ابن كثير ج ٢/ ٤٦٧

الآية: ٧ روى البخاري عن أبي هريرة قال: سئل رسول الله ﷺ أي الناس أكرم؟ قال: «أكرمهم عند الله أتقاهم» قالوا: ليس عن هذا نسألك، قال: «أكرم الناس يوسف نبي الله بن نبي الله بن نبي الله بن خليل الله»، قالوا: ليس عن هذا نسألك، قال: «فمن تمدن العرب تسألوني؟» قالوا: نعم قال: فخيركم في الجاهلية خيركم في الإسلام إذا فقهوا. / ابن كثير ج ٢/ ٤٦٨

١٥: ﴿فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ وَاجْمَعُوا أَن يَجْعَلُوهُ فِي غِيَابَةِ الْحَبِّ﴾ هذا فيه تعظيم لما فعلوه أنهم اتفقوا كلهم على إلقائه في أسفل ذلك الحب، ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُمْ بِأَمْرِهِمْ هَذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ من لطفه ورحمته سبحانه أنه أوحى إلى يوسف في ذلك الحال الضيق تطبيقاً لقلبه وتنبأ له ألا تحزن فإن لك مخرجاً حسناً وهم لا يشعرون بإيحاء الله إليه ١٦: ﴿وَجَاؤُوا أَبَاهُمْ عِشَاءً يَبْكُونَ﴾ ويظهرون الأسف على يوسف لأبيهم ١٧: ﴿قَالُوا﴾ معتذرين ﴿يَا أَبَانَا إِنَّا ذُهَبْنَا نَسْتَقِ﴾ نترامى ﴿وَتَرَكْنَا يَوْسُفَ عِنْدَ مَتَاعِنَا﴾ ثابنا ﴿فَأَكَلَهُ الذُّبُّ وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ﴾ تَلَطَّفَ عَظِيمٌ فِي تَقْرِيرِ مَا يُحَاوِلُونَهُ؛ يَقُولُونَ: وَنَحْنُ نَعْلَمُ أَنَّكَ لَا تُصَدِّقُنَا، فَأَنْتَ مَعذُورٌ فِي تَكْذِيبِكَ لَنَا لِعُرَابَةِ مَا وَقَعَ وَعَجِيبٌ مَا اتَّفَقَ لَنَا فِي أَمْرِنَا هَذَا ١٨: ﴿وَجَاؤُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ﴾ مكذوب ومفتري ﴿قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْراً فَصَبْرٌ جَمِيلٌ﴾ نَسْأَصِرُ صَبِراً جَمِيلاً عَلَى هَذَا الْأَمْرِ الَّذِي اتَّفَقَتْ عَلَيْهِ حَتَّى يُفْرَجَهُ اللَّهُ بِعُونِهِ وَلَطْفِهِ، ﴿وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ﴾ عَلَى مَا تَذْكُرُونَ مِنَ الْكُذْبِ وَالْحَالِ؛ لِأَنَّهُ لَوْ أَكَلَهُ الذُّبُّ لَحَرَقَ الْقَمِيصَ، وَهُمْ جَاؤُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ ١٩: ﴿وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ﴾، [أي: رفقة مارة يسيرون من الشام إلى مصر] فنزلوا قريباً من تلك البئر ﴿فَأرْسَلُوا وَارِدَهُمْ﴾ وهو الذي يتطلب لهم الماء ﴿فَأدْأَى دَلْوَهُ﴾ فِي الْبَيْرِ فَتَشَبَّثَ يَوْسُفَ

فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ وَاجْمَعُوا أَن يَجْعَلُوهُ فِي غِيَابَةِ الْحَبِّ وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُمْ بِأَمْرِهِمْ هَذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٥﴾ وَجَاءَ وَابَاهُمْ عِشَاءً يَبْكُونَ ﴿١٦﴾ قَالُوا يَا أَبَانَا إِنَّا ذُهَبْنَا نَسْتَقِ وَتَرَكْنَا يَوْسُفَ عِنْدَ مَتَاعِنَا فَأَكَلَهُ الذُّبُّ وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ ﴿١٧﴾ وَجَاءَ وَعَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْراً فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾ وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ فَأرْسَلُوا وَارِدَهُمْ فَأدْأَى دَلْوَهُ قَالَ يَبْشُرِي هَذَا غُلَامٌ وَأَسْرُوهُ بِضْعَةَ وَاثَلَةٍ عَلَيْهِمْ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمٍ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ ﴿٢٠﴾ وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِن مِّصْرَ لَا مِرَّةَ أَكْرَمِي مَثْوَاهُ عَسَى أَن يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُ مِن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢١﴾ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿٢٢﴾

فيها فأخرجه واستبشر به وقال: ﴿يَا بَشْرِي هَذَا غُلَامٌ وَأَسْرُوهُ بِضَاعَةً﴾ وأسره الواردون من بقية السيارة قالوا اشتريناه من أصحاب الماء مخافة أن يُشَارِكُوهُمْ فِيهِ إِذَا عَمِلُوا خَيْرَهُ ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾ بما فعله إخوة يوسف ومُشْتَرُوهُ ٢٠: ﴿وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمٍ مَعْدُودَةٍ﴾ باعه الوارِدَةُ بِثَمَنٍ مَنقُوصٍ ﴿وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ﴾، وذلك أنهم لم يعلموا نبوته ومنزلته عند الله عز وجل ٢١: ﴿وقال الذي اشتراه من مصر﴾ وهو عزيز مصر، وهو الوزير، ﴿لَا مِرَّةَ أَكْرَمِي مَثْوَاهُ﴾ [أي: منزلته ومقامه بطيب الطعام واللباس الحسن] ﴿عسى أن ينفعنا﴾ [أي: يكفينا بعض المهمات إذا بلغ] ﴿أو نتخذهُ ولداً﴾ [وكان لا يُولد له]. ﴿وكذلك مكنا ليوسف في الأرض﴾ يعني بلاد مصر، ﴿ولنعلمهُ من تأويل الأحاديث﴾ وهو تعبير الرؤيا [تصديقاً لقول يعقوب عليه السلام: ويُعلمك من تأويل الأحاديث]. ﴿والله غالب على أمره﴾ إذا أراد شيئاً فلا يُرَدُّ وَلَا يُمَانَعُ وَلَا يُخَالَفُ وهو الغالب لما سواه. ﴿ولكن أكثر الناس لا يعلمون﴾ لا يدرون حكمته وتلطفه وفعله لما يُريد ٢٢: ﴿ولما بلغ أشدَّهُ﴾ استكمل يوسف قوته ﴿آتيناَهُ حُكْمًا وَعِلْمًا﴾ النبوة ﴿وكذلك نجزي المحسنين﴾ إته كان محسناً في عمله عاملاً بطاعة الله تعالى.

الآية: ١٥ قال ابن عباس: لما دخل إخوة يوسف عليه عرفهم وهم له منكرون قال جيء بالصواع فوضعه على يده ثم نقره فظن فقال: إنه ليخبرني هذا الجاهم أنه كان لكم أخ من أبيكم يقال له: يوسف يدينه دونكم وأنكم انطلقتم به وألقىتموه في غيابة الحب قال ثم نقره فظن قال: فأتيت أباكم فقلت: إن الذئب أكله وحجتم على قميصه بدم كذب، قال فقال: بعضهم لبعض إن هذا الجاهم ليخبره بخبركم، قال ابن عباس: فلا نرى هذه الآية نزلت إلا فيهم ﴿لتنبئهم بأمرهم هذا ولا يشعرون﴾. / ابن كثير ج ٤٧١/٢.

٢٣: ﴿رَوَدْتُهُ الَّتِي هِيَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ﴾ وذلك أنها أحبته حباً شديداً لجمالها وبهايته، فحملها ذلك على أن تجملت له ﴿وَعَلَّقْتَ الْأَبْوَابَ﴾ ودعته إلى نفسها ﴿وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ﴾ فامتنع من ذلك أشدَّ الامتناع ﴿قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَنَوَايَ﴾ إن بَعْلَكَ [وهو سيدي] أَحْسَنَ منزلي فلا أقابله بالفاحشة في أهله، ﴿إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾ [ومعاذ الله: أي أعود بالله وأستجير به] ٢٤: ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ﴾، [تدنو منه]، ﴿وَهُمْ بِهَا﴾، [يتباعدها عنها]، ﴿لَوْلَا أَن رَأَىٰ بُرْهَانَ رَبِّهِ﴾ أَرَاهُ اللهُ ثلاث آيات من كتابه في الجدار تباه عن ذلك، وتزجره عما همت به، ﴿كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ﴾ ٢٥: ﴿وَأَسْتَبَقَا الْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِنْ دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا الْبَابِ﴾ قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلَّا أَنْ يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٥﴾ قَالَ هِيَ رَوَدْتَنِي عَنْ نَفْسِي وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ أَهْلِهَا إِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٢٦﴾ وَإِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٢٧﴾ فَلَمَّا رَأَىٰ قَمِيصَهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ مِنْ كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ ﴿٢٨﴾ يُوسُفُ أَعْرَضَ عَنْ هَذَا وَاسْتَغْفِرِي لِذَنبِكِ إِنَّكِ كُنْتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ ﴿٢٩﴾ وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ تُرْوَدُ فَتَنَّاها عَنْ نَفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا لَنَرُنَّهَا فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٣٠﴾

٢٣٨

من الخيانة ٢٦: ﴿قَالَ هِيَ رَوَدْتَنِي عَنْ نَفْسِي﴾ [أي: هي التي طلبت مني ذلك ولم أرد بها سوءاً]، ﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ أَهْلِهَا إِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ قُبُلٍ﴾ من قدامه ﴿فَصَدَقَتْ﴾ في قولها ﴿وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ ٢٧: ﴿وَإِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ لما هرب منها أمسكت بقميصه من ورائه لترده إليها فقدته من ورائه ﴿فَلَمَّا رَأَىٰ قَمِيصَهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ قَالَ﴾ لما تحقَّق زوجها صدق يوسف وكذبها فيما قذفته به ﴿إِنَّهُ مِنْ كَيْدِكُنَّ﴾ هذا البهت واللطيخ الذي لطخت به عرض هذا الشاب من جملة كيدكن ﴿إِنْ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ﴾، ثم قال أمراً يوسف: ٢٩: ﴿يُوسُفُ أَعْرَضَ عَنْ هَذَا﴾ فلا تذكره لأحد ﴿وَاسْتَغْفِرِي لِذَنبِكِ﴾ عذرها لأنها رأت ما لا صبر لها عنه. [ما زال النساء يلحن إلى يوسف ميل شهوة حتى نبأه الله، فألقى عليه هيئة النبوة فشغلت هيئته كل من رآه عن حسبه]. ﴿إِنَّكِ كُنْتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ﴾ ٣٠: ﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَةُ الْعَزِيزِ﴾ مثل نساء الأمراء ﴿تُرْوَدُ فَتَنَّاها عَنْ نَفْسِهِ﴾ يُكْرَنُ عَلَى امْرَأَةِ الْوَزِيرِ وَيَعْنَى ذَلِكَ عَلَيْهَا، ﴿قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا﴾ قد وصل حبه إلى شغاف قلبها، وشغاف القلب حجابها. ﴿إِنَّا لَنَرُنَّهَا فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ في صنعها هذا.

الآية: ٢٤ روى البغوي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يقول الله تعالى: إذا هم عبدي بحسنة فاكْتُبُهَا لَهُ حَسَنَةً، فإن عملها فاكْتُبُهَا لَهُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا وَإِنْ هُمْ بِسَيِّئَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا فَاكْتُبُهَا حَسَنَةً فَإِنَّمَا تَزَكَّيْنَا مِنْ جِرَانِي فَإِنْ عَمِلَهَا فَاكْتُبُهَا بِمِثْلِهَا». وهذا الحديث مخرج في الصحيحين.

الآية: ٢٦ روى ابن جرير عن ابن عباس عن النبي ﷺ قال: «تكلم أربعة وهم صغار». وروى غيره عن ابن عباس أنه قال: «تكلم أربعة وهم صغار: ابن ماشطة بنت فرعون وشاهد يوسف وصاحب مخرج وعيسى بن مريم». / ابن كثير ج ٢/ ٤٧٥.

٣١: ﴿فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ﴾، [أي: بغيتهن
إيأها واحتياهن في ذمها]، ﴿أرسلت إليهن﴾
دعتهن لضيفتها ﴿وأعدت لهن متكاً﴾ وهو
الجلس المعد ﴿وآتت كل واحدة منهن
سكيناً﴾ وكان هذا مكيده منها لهن ﴿وقالت
اخرجن عليهن فلما﴾ خرج ﴿ورأيته أكبرته﴾
أعظم شأنه وأجلل قدره ﴿وقطعن
أيديهن﴾ ذهشاً برؤيته وهن يظنن أنهن
يقطعن الأترج بالسكاكين ﴿وقلن حاش لله
ما هذا بشراً إن هذا إلا ملك كريم﴾ ثم قلن
لها وما نرى عليك من لوم بعد الذي رأينا،
لأنهن لم يرين في البشر شبيهه ٣٢: ﴿قالت
فذلكن الذي لمتني فيه﴾ تقول هذا معتدرة
إليهن بأن هذا حقيق أن يحب لجماله وإكاله،
﴿ولقد راودته عن نفسه فاستعصم﴾ امتنع
﴿ولئن لم يفعل ما أمره ليسجنن وليكونا من
الصاغرين﴾، فعند ذلك استعاذ يوسف عليه
السلام من شرهن وكيدهن وقال: ٣٣:
﴿قال رب السجن أحب إلي مما يدعونني
إليه﴾ من الفاحشة، ﴿وإلا تصرف عني
كيدهن أصب إليهن﴾ إن وكلتني إلى نفسي
فليس لي قدرة [على دفعهن]، ﴿وأكن من
الجاهلين﴾ ٣٤: ﴿فاستجاب له ربه
فصرف عنه كيدهن إنه هو السميع العليم﴾
وذلك أن يوسف عليه السلام عصمه الله
عصمة عظيمة وحماه فامتنع منها أشد
الامتناع واختار السجن على ذلك ٣٥: ﴿ثم
بدا لهم من بعد ما رأوا الآيات ليسجننه
حتى حين﴾ ظهر لهم من المصلحة فيما رآه

فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لهنْ مِتْكَأَةً مِتْكَأَةً
كُلِّ وَاحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتْ أَخْرِجْ عَلَيْنَ فَلَمَّا رَأَتْهُ أَعْزَمَتْ
وَقَطَعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ
كَرِيمٌ ﴿٣١﴾ قَالَتْ فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ وَلَقَدْ رَاودْنَاهُ
عَنِ نَفْسِهِ فَوَسْوَسَ لَهُ وَلِيْنَ لَمْ يَفْعَلْ مَاءَ أَمْرِهِ لِيَسْجَنَنَّ وَلِيَكُونَ
أَ مِّنَ الصَّغِيرِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي
إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ الْجَاهِلِينَ
﴿٣٣﴾ فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ
الْعَلِيمُ ﴿٣٤﴾ ثُمَّ بَدَأ لَهُمْ مِّنْ بَعْدِ مَا رَأَوُا الْآيَاتِ لِيَسْجَنَنَّهُ
حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٣٥﴾ وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانٍ قَالَ أَحَدُهُمَا
إِنِّي أَرَنِي أَعْصِرُ خَمْرًا وَقَالَ الْآخَرُ إِنِّي أَرَنِي أُحْمِلُ فَوْقَ
رَأْسِي خَبْرًا تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ نَبِئْنَا بِتَأْوِيلِهِ إِنَّا نَنزِّلُكَ
مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٣٦﴾ قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ إِلَّا نَبَأَ تَكُمَا
بِتَأْوِيلِهِ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيكُمَا ذَلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي إِنِّي تَرَكْتُ
مِلَّةَ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ ﴿٣٧﴾

أنهم يسجنونه إلى مدة بعدما عرفوا براءته وصدقه في عفته ونزاهته، وكأنهم والله أعلم إنما سجنوه إيهاماً أنه راودها عن نفسها، ولهذا لما طلبه الملك
الكبير امتنع من الخروج حتى تتبين براءته مما نُسب إليه من الخيانة، فلما تقرر ذلك خرج وهو نقي العرض صلوات الله عليه وسلامه ٣٦:
﴿ودخل معه السجن فتيان قال أحدهما إنني أراي أعصر خمراً﴾ عبأ ﴿وقال الآخر إنني أراي أجمل فوق رأسي خبزاً تأكل الطير منه نبئنا
بتأويله﴾ قال ابن مسعود: ما رأى صاحباً يوسف شيئاً إنما كانا تخالماً ليُجرَّبَا عليه ٣٧: ﴿قال لا يأتيكما طعام ترزقانه﴾ في يومكما ﴿إلا
نبأكما بتأويله قبل أن يأتيكما﴾ أخبر به قبل وقوعه [أي: بيئت لكما ماهيته قبل أن يأتيكما، وسماه تأويلاً بطريق المشاكلة بما يؤول إليه الكلام
من مطابقة ما أخبر به للواقع]. ﴿ذلكما مما علمني ربِّي﴾ هذا إنما هو من تعليم الله إياي، ﴿إني تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله وهم بالآخرة
هم كافرون﴾.

الآية: ٣٤ قال ابن كثير: إن يوسف عليه السلام عصمه الله عصمة عظيمة وحماه فامتنع منها أشد الامتناع واختار السجن على ذلك وهذا في غاية مقامات الكمال إنه مع شبابه
وجمله وكاله تدعوه سيده وهي امرأة عزيز مصر وهي مع هذا في غاية الجمال والمال والرياسة ويمتنع من ذلك ويختار السجن على ذلك خوفاً من الله ورجاء ثوابه. ولهذا ثبت في الصحيحين
أن رسول الله ﷺ قال: «سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله: إمام عادل وشاب نشأ في عبادة الله ورجل قلبه معلق بالمسجد إذا خرج منه حتى يعود إليه، ورجلان تحابا في الله
اجتمعا عليه وتفرقا عليه ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما أنفقت يمينه، ورجل دعه امرأة ذات منصب وجمال فقال: إني أخاف الله، ورجل ذكر الله خالياً ففاضت
عيناه». / ابن كثير ج ٤/٤٧٧.

وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي اِبْرَاهِيمَ وَاِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ مَا كَانَتْ لَنَا اَنْ نُّشْرِكَ بِاللّٰهِ مِنْ شَيْءٍ ذٰلِكَ مِنْ فَضْلِ اللّٰهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ وَلٰكِنْ اَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَشْكُرُوْنَ ﴿٢٨﴾ يَصْحَجِي السَّجْنَءَ اَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ اَمَ اللّٰهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴿٢٩﴾ مَا تَعْبُدُوْنَ مِنْ دُوْنِهِ اِلَّا اَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا اَنْتُمْ وَاَبَاؤُكُمْ مَا اَنْزَلَ اللّٰهُ بِهَا مِنْ سُلْطٰنٍ اِنْ اَلْحَكْمُ اِلَّا لِلّٰهِ اَمَرَ اَلَّا تَعْبُدُوْا اِلَّا اِيَّاهُ ذٰلِكَ الدِّيْنُ الْقَيِّمُ وَلٰكِنْ اَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَعْلَمُوْنَ ﴿٤٠﴾ يَصْحَجِي السَّجْنَءَ اَمَّا اَحَدُكُمْ مَا فَيَسْقِي رَبَّهُ حَمْرًا وَاَمَّا الْاٰخَرُ فَيُصَلِّبُ فَتَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْ رَاسِهِ ﴿٤١﴾ قُضِيَ الْاَمْرُ الَّذِي فِيْهِ تَسْتَفْتِيَانِ ﴿٤١﴾ وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ اَنَّهُ نَاجٍ مِنْهُمَا اذْكَرْنِيْ عِنْدَ رَبِّكَ فَاَنْسَهُ الشَّيْطٰنُ ذَكَرَ رَبِّهٖ فَلَيْتَ فِي السَّجْنَءِ بَضْعَ سِنِيْنَ ﴿٤٢﴾ وَقَالَ الْمَلِكُ اِنِّيْ اَرَى سَبْعَ بَقَرٰتٍ سِمٰنٍ يَّاكُلُهِنَّ سَبْعَ عِجَافٍ وَسَبْعَ سُنْبُلٰتٍ خُضِرٍ وَاٰخَرُ يَابَسَتْ يَتَايَاهَا الْمَلَأُ افْتُونِيْ فِيْ رُءْيَايَ اِنْ كُنْتُمْ لِلرُّءْيَا تَعْبُرُوْنَ ﴿٤٣﴾

٢٤٠

٣٨: ﴿وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي اِبْرَاهِيمَ وَاِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ﴾ سلكت طريق هؤلاء المرسلين ﴿وما كان لنا﴾ [أي: ما ينبغي] ﴿اَنْ نُشْرِكَ بِاللّٰهِ مِنْ شَيْءٍ ذٰلِكَ مِنْ فَضْلِ اللّٰهِ عَلَيْنَا﴾ أوحاه علينا وأمرنا به ﴿وعلى الناس﴾ إذ جعلنا دُعاة لهم إلى ذلك، ﴿ولكن أكثر الناس لا يشكرون﴾ لا يعرفون نعمة الله عليهم بإرسال الرسل إليهم ٣٩: ﴿يا صاحبي السجن﴾ أقبل على الفتيين يدعوما إلى عبادة الله وحده لا شريك له ﴿أرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار؟!﴾ الذي ذل كل شيء لِعِزِّ جلاله وعظمته ٤٠: ﴿ما تعبدون من دونه إلا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان﴾ ليس لذلك مستند من عند الله، ﴿إن الحكم إلا لله﴾ فالتصرف والمشقة والملك كله لله ﴿أمر ألا تعبدوا إلا إياه ذلك الدين القيم﴾ هذا الذي أدعوكم إليه من التوحيد والإخلاص له هو الدين المستقيم الذي أمر الله به، ﴿ولكن أكثر الناس لا يعلمون﴾ فلماذا كان أكثرهم مشركين ﴿وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين﴾ ٤١: ﴿يا صاحبي السجن﴾ أما أحدكم كما فيسقي ربه حمرا وهو الذي رأى أنه يعصر حمرا ﴿وأما الآخر فيصلب فتأكل الطير من رأسه﴾ لم يعينه لتلا يحزن، ولهذا أبهمه، ﴿قضى الأمر الذي تحلم بباطل وفتره فإنه يلزم بتأويله، والله تعالى أعلم﴾ وفي الحديث الذي رواه أحمد: قال

رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «الرؤيا على رجل طائر ما لم تعبر، فإذا عبرت وقعت» ٤٢: ﴿وقال للذي ظن أنه ناج منهما اذكرني عند ربك﴾ عند الملك، ﴿فأنساه الشيطان ذكر ربه﴾ ففسي ذلك الموصى أن يذكر الملك بذلك، وكان من جملة مكاييد الشيطان لتلا يطلع نبي الله من السجن ﴿فليت في السجن بضع سنين﴾ سبعا ٤٣: ﴿وقال الملك اِنِّي اَرَى سَبْعَ بَقَرٰتٍ سِمٰنٍ يَّاكُلُهِنَّ سَبْعَ عِجَافٍ﴾ هذه الرؤيا من ملك مصر مِمَّا قَدَّرَ اللهُ تَعَالَى أَنَّهُا كَانَتْ سَبَبًا لَخُرُوجِ يُوْسُفَ مِنَ السَّجْنِ مَعْرَاضًا مَكْرَمًا، ﴿وسبع سنبلات خضر وأخر يابسات﴾، يا أيها الملأ افتوني في رؤيائي إن كنتم للرؤيا تعبرون، فقص هذه الرؤيا على الكهنة وكبار دولته وأمرائه، وسألهم تأويلها فلم يعرفوا ذلك.

(١) وفي الحديث الصحيح عند البخاري/كتاب التعبير/ ٤٥/ قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «أقرى القرى [أي: أكذب الكذب] من أرى عيني في النوم ما لم ترتبها».

الآية: ٤١: روى الإمام أحمد عن معاوية بن خبذة عن النبي ﷺ قال: «الرؤيا على رجل طائر ما لم تعبر فإذا عبرت وقعت» وفي مسند أبي يعلى من طريق يزيد القزاشي عن أسن مرفوعاً: «الرؤيا لأول عابر»، أي مؤول لها. /ابن كثير ج ٤٧٩/٢.

الآية: ٤٣: روى الترمذي بإسناد صحيح عن أبي قتادة عن النبي ﷺ أنه قال: «الرؤيا من الله، والحلم من الشيطان، فإذا رأى أحدكم شيئاً يكرهه فليفت عن يساره ثلاث مرات، وليستعد بالله من شرها فإنها لا تضره». وروى بإسناد صحيح عن أبي زرين العنقل عن النبي ﷺ أنه قال: «رؤيا المسلم جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة [حيث كانت أول الوحي للنبي ﷺ] وهي على رجل طائر ما لم يحدث بها، فإذا حدثت بها وقعت» وفي رواية عنده: «ولا يحدث بها إلا لبياً أو حبياً». وروى أيضاً عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «الرؤيا ثلاث: فرؤيا حق، ورؤيا يحدث بها الرجل نفسه، ورؤيا تخبر من الشيطان، فمن رأى ما يكره فليفت فليصل» وكان يقول: «لا تقص الرؤيا إلا على عالم أو ناصح» وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح. /السنن ج ٤/٥٣٧-٥٣٥/

٤٤: ﴿قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ﴾، أخلاق أحلام، ﴿وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الْأَحْلَامِ﴾ المختلطة ﴿بِعَالَمِينَ﴾ [نفوا عن أنفسهم علم ما لا تأويل له، لا أنهم نفوا عن أنفسهم علم التأويل] ٤٥: ﴿وقال الذي نجا منهما وادكر بعد أمة﴾ [يعني: ساقى الملك، اذكر بعد حين]، ﴿أنا أنبتكم بتأويله فأرسلون﴾ فابعثون إلى يوسف الصديق إلى السجن ٤٦: ﴿يوسف أيها الصديق أفتنا في سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات وأخر يابسات لعلنا يعلمون﴾ ذكر المنام الذي رآه الملك ٤٧: ﴿قال تزرعون سبع سنين دأباً﴾ يأتمكم الخصب والمطر سبع سنين متواليات، فسّر البقر بالسنين لأنها تشير الأرض التي تستغل منها الثمرات والزرور، وهن السنبلات الخضر، ثم أرشدهم إلى ما يعتدونه في تلك السنين، ﴿فما حصدتم فذروه في سنبله إلا قليلاً مما تأكلون﴾ ٤٨: ﴿ثم يأتي من بعد ذلك سبع شداد﴾ وهي السبع السنين الجمل التي تعقب هذه السبع المتواليات الخصبه ﴿يأكلن ما قدمتم هن إلا قليلاً مما تحصنون﴾ ٤٩: ﴿ثم يأتي من بعد ذلك عام فيه يغاث الناس﴾ يأتيهم الغيث، وهو المطر، وتغل البلاد، ﴿وفيه يعصرون﴾ ما كانوا يعصرون على عاداتهم من زيت وسكر ونحوه ٥٠: ﴿وقال الملك اثوني به﴾ لما رجعوا إليه بتعبير رؤياه عرف فضله وقال ﴿اثوني به﴾، أي أخرجوه من السجن

قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الْأَحْلَامِ بِعَالَمِينَ ﴿٤٤﴾ وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا أُنَبِّئُكُمْ بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ ﴿٤٥﴾ يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنْبُلَاتٍ خَضِرٍ وَأُخْرٍ يُأْبَسَاتٍ لَعَلِّي أَرْجِعُ إِلَى النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٤٦﴾ قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدْتُمْ فَذَرُوهُ فِي سُنْبُلِهِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تَأْكُلُونَ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ سَبْعٌ شِدَادٍ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تَحْصِنُونَ ﴿٤٨﴾ ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْصَرُونَ ﴿٤٩﴾ وَقَالَ الْمَلِكُ اثْنُونِي بِهِ فَلَمَّا جَاءَهُ الرَّسُولُ قَالَ ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَسْأَلْهُ مَا بَالُ النِّسْوَةِ الَّتِي قَطَعْنَ أَيْدِيَهُنَّ إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ ﴿٥٠﴾ قَالَ مَا خَطْبُكُمْ إِذْ رَاوَدْتُنَّ يُوسُفَ عَنْ نَفْسِهِ قُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ قَالَتُ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ الْفَن حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَا رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٥١﴾ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ ﴿٥٢﴾

وأحضره، ﴿فَلَمَّا جَاءَهُ الرَّسُولُ﴾ بذلك امتنع من الخروج حتى يتحقق الملك ووعيته براءة ساحته ونزاهة عرضه مما نُسب إليه من جهة امرأة العزيز، وأن سجنه كان ظلماً وعدواناً، ﴿قال ارجع إلى ربك فاسأله ما بال النسوة اللاتي قطعن أيديهن إن ربي بيدهن علي﴾ ٥١: ﴿قال ما خَطْبُكُمْ إِذْ رَاوَدْتُنَّ يُوسُفَ عَنْ نَفْسِهِ﴾؟ جمع النسوة اللاتي قطعن أيديهن عند امرأة العزيز، خاطبهن كلهن وهو يريد امرأة وزيره، ﴿قلن حاش لله﴾ [أي: معاذ الله] ﴿ما علمنا عليه من سوء﴾ قالت النسوة جواباً للملك حاش لله أن يكون يوسف متمماً والله ما علمنا عليه من سوء فعند ذلك ﴿قالت امرأة العزيز الآن حَصْحَصَ الْحَقُّ﴾ الآن تبين الحق وظهر، ﴿أنا راوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ﴾ في قوله: ﴿هي راودتني عن نفسي﴾ ٥٢: ﴿ذلك ليعلم أنني لم أخنه بالغيب﴾ إنما اعترفت بهذا على نفسي ليعلم زوجي أنني لم أخنه بالغيب في نفس الأمر، ﴿وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ﴾.

الآية: ٤٦: قال ابن كثير: هذه الرؤيا من ملك مصر تماماً قدر الله تعالى أنها كانت سبباً لخروج يوسف عليه السلام من السجن معزراً مكرماً، وذلك أن الملك رأى هذه الرؤيا فهالته وتعجب من أمرها، وما يكون تفسيرها، فجمع الكهنة والحداة وكبار دولته وأمرأة قصر عليهم ما رأى وسأهم عن تأويلها فلم يعرفوا ذلك واغندروا إليه بأنها ﴿أضغاث أحلام﴾ أي أخلاق أحلام اقتضته رؤياك هذه ﴿وما نحن بتأويل الأحلام بعالمين﴾ أي لو كانت رؤيا صحيحة من أخلاق لما كان لنا معرفة بتأويلها وهو تعبيرها. / ابن كثير ج/ ٤٨٠، ٢.

الآية: ٤٩: عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا خفت سلطاناً أو غيره فقل: لا إله إلا الله الحليم الكريم، سبحان الله رب السموات السبع ورب العرش العظيم، لا إله إلا أنت عز جارك، وجل ثناؤك ولا إله غيرك» رواه ابن السني في عمل اليوم رقم ٣٤٥ / وفي إسناداه ضعف..

٥٣: ﴿وَمَا أَبْرَأُ نَفْسِي﴾ فَإِنَّ النَّفْسَ تتحدث وتمتني ولهذا راودته، لَأَنَّ ﴿النَّفْسَ لِأَمَارَةَ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي﴾ إِلَّا مَنْ عَصَمَهُ اللَّهُ تَعَالَى، ﴿إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾

٥٤: ﴿وَقَالَ الْمَلِكُ﴾ بعد تحقق براءة يوسف ونزاهة عرضه وَمَا نُسِبَ إِلَيْهِ ﴿أَتُؤْتِنِي بِهِ أَسْتَخْلِصَهُ لِنَفْسِي فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ﴾ ٥٥ ﴿قَالَ﴾ أَجْعَلَنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ وَأَمَانَةً، فقال يوسف: ٥٥: ﴿قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾ مدح نفسه ويجوز للرجل ذلك إِذَا جُهِلَ أَمْرُهُ لِلْحَاجَةِ، وذكر أَنَّهُ حَفِيظٌ؛ أَي: خَازِنٌ أَمِينٌ، عليم: ذو علم وبصيرة بما يتولاه. وسأل العمل لعلمه بقدرته عليه، وَإِنَّمَا سَأَلَهُ أَنْ يَجْعَلَ عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ وَهِيَ الْأَهْرَامُ الَّتِي يُجْمَعُ فِيهَا الْغَلَاتُ لِمَا يَسْتَقْبَلُونَهُ مِنَ السَّنِينَ الَّتِي أَحْبَرَهُمْ بِشَأْنِهَا فَيَتَصَرَّفُ لَهَا عَلَى الْوَجْهِ الْأَصْلَحِ، فَأَجِيبَ إِلَى ذَلِكَ. ولهذا قال تعالى: ٥٦: ﴿وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ﴾ أرض مصر ﴿يَتَّبِعُوا مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ﴾ يتصرف فيها كيف يشاء، ﴿نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَنْ نَشَاءُ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ ٥٧: ﴿وَلَأَجْرُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾ ٥٧ ﴿وَجَاءَ إِخْوَةَ يُوسُفَ فَدَخَلُوا عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ﴾ ٥٨ ﴿وَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهَّازِهِمْ قَالَ أَتُؤْتِنِي بِأَخٍ لَكُمْ مِّنْ أَيْكُمُ الْآتِرُونَ أَيْ: أَوْ فِي الْكَيْلِ وَأَنَا خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ﴾ ٥٩ ﴿فَإِنْ لَّمْ تَأْتُونِي بِهِ فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِنْدِي وَلَا تَقْرَبُون﴾ ٦٠ ﴿قَالُوا سَتَرُوا عَنْهٗ أَبَاهُ وَإِنَّا لَفَاعِلُونَ﴾ ٦١ ﴿وَقَالَ لِفَتْيَانِهِ اجْعَلُوا بِضَاعَهُمْ فِي رِحَالِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَا إِذَا انْقَلَبُوا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ ٦٢ ﴿فَلَمَّا رَجَعُوا إِلَىٰ أَيْبِهِمْ قَالُوا يَا أَبَانَا مُنِعَ مِنَّا الْكَيْلُ فَأَرْسِلْ مَعَنَا آخَانًا نَّكْتُلُ وَإِنَّا لَلْحَافِظُونَ﴾ ٦٣

﴿وَمَا أَبْرَأُ نَفْسِي﴾ إِنَّ النَّفْسَ لِأَمَارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٥٣﴾ وَقَالَ الْمَلِكُ أَتُؤْتِنِي بِهِ أَسْتَخْلِصَهُ لِنَفْسِي فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ ﴿٥٤﴾ قَالَ اجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ ﴿٥٥﴾ وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ يَتَّبِعُوا مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَنْ نَّشَاءُ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾ وَلَا أَجْرُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿٥٧﴾ وَجَاءَ إِخْوَةَ يُوسُفَ فَدَخَلُوا عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ ﴿٥٨﴾ وَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهَّازِهِمْ قَالَ أَتُؤْتِنِي بِأَخٍ لَّكُمْ مِّنْ أَيْكُمُ الْآتِرُونَ أَيْ: أَوْ فِي الْكَيْلِ وَأَنَا خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ ﴿٥٩﴾ فَإِنْ لَّمْ تَأْتُونِي بِهِ فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِنْدِي وَلَا تَقْرَبُونِ ﴿٦٠﴾ قَالُوا سَتَرُوا عَنْهٗ أَبَاهُ وَإِنَّا لَفَاعِلُونَ ﴿٦١﴾ وَقَالَ لِفَتْيَانِهِ اجْعَلُوا بِضَاعَهُمْ فِي رِحَالِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَا إِذَا انْقَلَبُوا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٦٢﴾ فَلَمَّا رَجَعُوا إِلَىٰ أَيْبِهِمْ قَالُوا يَا أَبَانَا مُنِعَ مِنَّا الْكَيْلُ فَأَرْسِلْ مَعَنَا آخَانًا نَّكْتُلُ وَإِنَّا لَلْحَافِظُونَ ﴿٦٣﴾

ومضت السبع المخصبة ثم تلتها السبع المجدبة، وعمّ القحط بلاد مصر ووصل إلى بلاد كنعان، وهي التي كان فيها يعقوب عليه السلام وأولاده. فبلغهم أن عزيز مصر يعطي الناس الطعام بثمنه. وركبوا عشرة نفر، واحتبس يعقوب بنيامين عنده ٥٩: ﴿وَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهَّازِهِمْ قَالَ أَتُؤْتِنِي بِأَخٍ لَّكُمْ مِّنْ أَيْكُمُ الْآتِرُونَ أَيْ: أَوْ فِي الْكَيْلِ وَأَنَا خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ﴾؟ يرغبهم في الرجوع إليه. [وذلك أنهم أعلموه بحال أبيهم وأنهم كانوا] اثني عشر، فذهب أصغرنا في البرية وكان أحبنا إلى أبيه، وبقي شقيقه، فاحتبسه أبوه ليتسلى به عنه، فقال اتوني بأخيكم هذا الذي ذكرتم لأعلم صدقكم فيما ذكرتم، ثم رهبهم فقال: ٦٠: ﴿فَإِنْ لَّمْ تَأْتُونِي بِهِ فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِنْدِي﴾ فليس لكم عندي ميرة ﴿وَلَا تَقْرَبُون﴾ ٦١: ﴿قَالُوا سَتَرُوا عَنْهٗ أَبَاهُ﴾ سنحصر على مجيئه إليك ﴿وَإِنَّا لَفَاعِلُونَ﴾ لتعلم صدقنا ٦٢: ﴿وَقَالَ لِفَتْيَانِهِ﴾ لغلمانهم ﴿اجْعَلُوا بِضَاعَهُمْ﴾ التي قديموا بها يتتاروا عوضاً عنها، ﴿فِي رِحَالِهِمْ﴾ في أمتعتهم ﴿لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَا إِذَا انْقَلَبُوا إِلَىٰ أَيْبِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ بها؛ خشيتي أن لا يكون عندهم بضاعة أخرى يرجعون للميرة بها، وأراد أن يردهم إذا وجدوها في متاعهم ٦٣: ﴿فَلَمَّا رَجَعُوا إِلَىٰ أَيْبِهِمْ قَالُوا يَا أَبَانَا مُنِعَ مِنَّا الْكَيْلُ﴾ إن لم ترسل معنا بنيامين ﴿فَأَرْسِلْ مَعَنَا آخَانًا نَّكْتُلُ وَإِنَّا لَلْحَافِظُونَ﴾ فلا تخف عليه فإنه سيرجع إليك.

الآية: ٥٦ قوله تعالى: ﴿وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ روى البخاري ومسلم أن رسول الله ﷺ قال: «سَدُّوا قَارِبُوا، واعلموا أنه لن يُدخَلَ أحدكم عمله الجنة [أي: بفضل الله تعالى، ثم بنال مراتب الجنة بعمله] وإن أحب الأعمال إلى الله أدومها وإن قلَّ». وفي رواية لمسلم: «وكانت عائشة رضي الله عنها إذا عملت العمل لزمته». وروى الترمذي أن عائشة وأُم سلمة سُئلَا: أَيُّ الْعَمَلِ كَانَ أَحَبَّ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَا: مَا دَبَّ عَلَيْهِ، وَإِنْ قُلَّ. /الترغيب ج ٤/ ١٢٨ - ١٢٩.

٦٤: ﴿قَالَ هَلْ آمَنْتُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَا آمَنْتُمْ عَلَىٰ أَخِيهِ مِنْ قَبْلُ﴾ هل أنتم صانعون به إلا كما صنعتم بأخيه من قبل؟ تغييرونه عني وتحولون بيني وبينه؟ ﴿فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ سررحم كبري وضعفي ورجدي بولدي، أرجو من الله أن يرده عليّ ٦٥: ﴿وَلَمَّا فَتَحُوا مَتَاعَهُمْ وَجَدُوا بِضَآئِعَهُمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْ قَالُوا يَا أَبَانَا مَا نَبِغِي﴾ ماذا نريد ﴿هَذِهِ بِضَاعُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا﴾ وقد أوفى لنا الكيل ﴿وغير أهلنا﴾ إذا أرسلت أخانا معنا تأتي بالمرة إلى أهلنا ﴿وَحَفِظْنَا أَخَانَا وَنَزِدَادُ كَيْلٍ بِعِيرِ ذَلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ﴾ هذا يسير في مقابلة أخذ أخيه ما يعادل هذا ٦٦: ﴿قَالَ لَنْ أُرْسِلَهُ مَعَكُمْ حَتَّىٰ تُؤْتُونِ مَوْثِقًا مِنَ اللَّهِ لَتَأْتُنَّنِي بِهِ إِلَّا أَنْ يُحَاطَ بِكُمْ فَلَمَّا آتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ قَالَ اللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ﴾ ٦٦: ﴿قَالَ لَنْ أُرْسِلَهُ مَعَكُمْ حَتَّىٰ تُؤْتُونِ مَوْثِقًا مِنَ اللَّهِ لَتَأْتُنَّنِي بِهِ إِلَّا أَنْ يُحَاطَ بِكُمْ﴾ تحلفون بالعهد والمواثيق ﴿لَتَأْتُنَّنِي بِهِ إِلَّا أَنْ يُحَاطَ بِكُمْ﴾ إلا أن تُغلبوا كلكم ولا تقدرن على تخليصه، ﴿فَلَمَّا آتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ﴾ وأكده عليهم ﴿قَالَ اللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ﴾ وذلك لأنه لم يجد بداً من بعثهم لأجل الميرة التي لا غنى عنها، فبعثه معهم ٦٧: ﴿وَقَالَ يَا بَنِيَّ لَا تَدْخُلُوا مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُتَفَرِّقَةٍ وَمَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَحْكَمْتُ إِلَّا لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾ ٦٧: ﴿وَقَالَ يَا بَنِيَّ لَا تَدْخُلُوا مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُتَفَرِّقَةٍ﴾ خشي عليهم أن يصيبهم الناس بعيونهم، إنهم كانوا ذوي جمال وهيئة حسنة وبهاء، فإن العين حق، ﴿وَمَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ﴾ هذا الاحتراز لا يرد قدر الله وقضاهه ﴿إِنْ أَحْكَمْتُ إِلَّا لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾ ٦٨: ﴿وَلَمَّا دَخَلُوا مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُمْ مَا كَانَ يُغْنِي عَنْهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا حَاجَةٌ فِي نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَاهَا﴾ وهي دفع إصابة العين لهم. [دلت الآية على أن المسلم يجب عليه أن يحذر أخاه مما يخاف عليه، ويرشده إلى ما فيه طريق السلامة، فإن الدين النصيحة والمسلم أخو المسلم]. ﴿وَإِنِّي لَأَعْلَمُ لِمَ عَلَّمَنَاهُ﴾ [يعني يعقوب] ﴿لَدُوِّ عِلْمٍ لِمَا عَلَّمَنَاهُ﴾ لَدُوِّ عِلْمٍ لَتَعْلِيمِنَا إِنِّي أَهْ، ﴿وَلَكِنْ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [أي: لا يعلمون ما يعلم يعقوب من أمر دينه]. ٦٩: ﴿وَلَمَّا دَخَلُوا عَلَىٰ يُوسُفَ آوَىٰ إِلَيْهِ أَخَاهُ﴾ ٦٩: ﴿وَلَمَّا دَخَلُوا عَلَىٰ يُوسُفَ آوَىٰ إِلَيْهِ أَخَاهُ﴾ ولما قدّموا على يوسف ومعهم أخوه بنيامين، أدخلهم دار كرامته وأفاض عليه صلته وإحسانه، واختلى بأخيه فأطلعه على شأنه وما جرى له ﴿وَإِنِّي أَنَا أَحْوَكُ فَلَا تَبْتِغِينَ﴾ لا تأسف على ما صنعوا بي، وأمره بكتان ذلك عن إخوته، وأن لا يُطلعهم على ما أطلعه عليه من أنه أخوه، وتواطأ معه أنه سيحتال على أن يقيه عنده معزراً مكرماً معظماً.

٢٤٣

قَالَ هَلْ آمَنْتُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَا آمَنْتُمْ عَلَىٰ أَخِيهِ مِنْ قَبْلُ ۖ فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴿٦٤﴾ وَلَمَّا فَتَحُوا مَتَاعَهُمْ وَجَدُوا بِضَآئِعَهُمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْ قَالُوا يَا أَبَانَا مَا نَبِغِي ۖ هَذِهِ بِضَاعُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا ۖ وَقَدْ أَوْفَىٰ لَنَا الْكَيْلَ ۖ وَغَيْرُ أَهْلِنَا ۖ إِذَا أُرْسِلْتَ أَخَانَا مَعَنَا تَأْتِي بِالْمِرَّةِ إِلَىٰ أَهْلِنَا ۖ وَحَفِظْنَا أَخَانَا وَنَزِدَادُ كَيْلٍ بِعِيرِ ذَلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ ﴿٦٥﴾ أَخَانَا وَنَزِدَادُ كَيْلٍ بِعِيرِ ذَلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ ﴿٦٥﴾ أُرْسِلَهُ مَعَكُمْ حَتَّىٰ تُؤْتُونِ مَوْثِقًا مِنَ اللَّهِ لَتَأْتُنَّنِي بِهِ إِلَّا أَنْ يُحَاطَ بِكُمْ فَلَمَّا آتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ قَالَ اللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴿٦٦﴾ وَقَالَ يَا بَنِيَّ لَا تَدْخُلُوا مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُتَفَرِّقَةٍ وَمَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَحْكَمْتُ إِلَّا لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٦٧﴾ وَوَقَالَ يَا بَنِيَّ لَا تَدْخُلُوا مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُتَفَرِّقَةٍ وَمَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَحْكَمْتُ إِلَّا لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٦٧﴾ دَخَلُوا مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُمْ مَا كَانَ يُغْنِي عَنْهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا حَاجَةٌ فِي نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَاهَا وَإِنِّي لَأَعْلَمُ لِمَ عَلَّمَنَاهُ لَدُوِّ عِلْمٍ لِمَا عَلَّمَنَاهُ وَلَكِنْ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦٨﴾ وَقَالَ يُوسُفُ يَا بَنِيَّ لَا تَدْخُلُوا مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُتَفَرِّقَةٍ وَمَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَحْكَمْتُ إِلَّا لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٦٩﴾

الآية: ٦٤ عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «ما نعم الله على عبد نعمة في أهل ومالٍ وزكَّرَ فقال: [ما شاء الله لا قوة إلا بالله] فيرى فيها آفة دون الموت». رواه الطبراني/مجمع الزوائد ج ١٠/١٤٠ وفي إسناده ضعف.

الآية: ٦٧ قال ابن كثير: يقول تعالى إخباراً عن يعقوب عليه السلام إنه أمر بنيه لما جهزهم مع أخيه بنيامين إلى مصر أن لا يدخلوا كلهم من باب واحد وليدخلوا من أبواب متفرقة فإنه كما قال ابن عباس: إنه خشي عليهم العين وذلك أنهم كانوا ذوي جمال وهيئة حسنة ومنظر وبهاء فخشي عليهم أن يصيبهم الناس بعيونهم فإن العين حق تستزل الفارس عن فرسه.

وروى ابن أبي حاتم في قوله: ﴿وادخلوا من أبواب متفرقة﴾ قال: علم أنه سيلقي إخوته في بعض تلك الأبواب. وقوله ﴿وما أغني عنكم من الله شيء﴾ أي أن هذا الاحتراز لا يرد قدر الله وقضاهه فإن الله إذا أراد شيئاً لا يُخالف ولا يُمانع. /ابن كثير ج ٦/٤٨٤.

فَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهَّازِهِمْ جَعَلَ السَّقَايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ ثُمَّ
 أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَتَتْهَا الْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ ﴿٧٠﴾ قَالُوا وَأَقْبَلُوا
 عَلَيْهِمْ مَاذَا تَفْقَدُونَ ﴿٧١﴾ قَالُوا نَفَقْدُ صُوعَ الْمَلِكِ
 وَلَمَنْ جَاءَ بِهِ جَمَلٌ بَعِيرٌ وَأَنَا بِهِ زَعِيمٌ ﴿٧٢﴾ قَالُوا تَاللَّهِ
 لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَارِقِينَ
 ﴿٧٣﴾ قَالُوا فَمَا جَزَاؤُهُ إِنْ كُنْتُمْ كَاذِبِينَ ﴿٧٤﴾ قَالُوا جَزَاؤُهُ
 مَنْ وُجِدَ فِي رَحْلِهِ فَهُوَ جَزَاؤُهُ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ
 ﴿٧٥﴾ فَبَدَأَ بِأَوْعِيَّتِهِمْ قَبْلَ وَعَاءِ أَخِيهِ ثُمَّ اسْتَخْرَجَهَا مِنْ
 وَعَاءِ أَخِيهِ كَذَلِكَ كَدْنَا لِيُوسُفَ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ
 فِي دِينِ الْمَلِكِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَن نَّشَاءُ
 وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴿٧٦﴾ قَالُوا إِنْ يَسْرِقْ
 فَقَدْ سَرَفَ أَخٌ لَهُ مِنْ قَبْلُ فَأَسْرَهَا يُوسُفَ فِي نَفْسِهِ
 وَلَمْ يَبْدُهَا لَهُمْ قَالَ أَنْتُمْ شَرُّ مَكَانًا وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا
 تَصِفُونَ ﴿٧٧﴾ قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ إِنَّ لَهُ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا
 فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُ إِنَّا نَنزِلُكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٧٨﴾

٧٠: ﴿فَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهَّازِهِمْ جَعَلَ
 السَّقَايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ﴾ لَمَّا حَمَلْهُمُ ابْلِهِم
 طعاماً أَمَرَ بَعْضَ فِتْيَانِهِ أَنْ يَضَعَ السَّقَايَةَ، وَهُوَ
 الْكَيْلُ، فِي مَتَاعِ بَنِيَامِينَ مِنْ حَيْثُ
 لَا يَشْعُرُونَ، ﴿ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ﴾ نَادَى مَنَادٍ
 بَيْنَهُمْ ﴿أَتَتْهَا الْعِيرُ﴾ أَي: يَا أَصْحَابَ الْعِيرِ.
 وَالْعِيرُ الْإِبِلُ الْمَرْحُولَةُ الْمَرْكُوبَةُ، ﴿إِنَّكُمْ
 لَسَارِقُونَ﴾ فَالْتَفَتُوا إِلَى الْمَنَادِي وَقَالُوا ﴿مَاذَا
 تَفْقَدُونَ؟ ٧١: ﴿قَالُوا وَأَقْبَلُوا عَلَيْهِمْ مَاذَا
 تَفْقَدُونَ؟ ٧٢: ﴿قَالُوا نَفَقْدُ صُوعَ
 الْمَلِكِ﴾ صَاعَهُ الَّذِي يَكِيلُ فِيهِ، ﴿وَلَمَنْ
 جَاءَ بِهِ جَمَلٌ بَعِيرٌ﴾ وَهَذَا مِنْ بَابِ الْجَعَالَةِ،
 ﴿وَأَنَا بِهِ زَعِيمٌ﴾ أَي: كَفِيلٌ [وَهَذَا مِنْ بَابِ
 الضَّمَانِ وَالْكَفَالَةِ ٧٣: ﴿قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُمْ
 مَا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَارِقِينَ﴾
 لَقَدْ تَحَقَّقْتُمْ وَعَلِمْتُمْ مِنْذُ عَرَفْتُمُونَا؛ لِأَنَّهُمْ
 شَاهَدُوا مِنْهُمْ سِيرَةً حَسَنَةً، أَنَّا مَا جِئْنَا لِنُفْسِدَ
 فِي الْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَارِقِينَ، أَي: لَيْسَتْ
 سَجَايَانَا تَقْتَضِي هَذِهِ الصَّفَةَ، فَقَالَ لَهُمْ
 الْفِتْيَانُ: ٧٤: ﴿قَالُوا فَمَا جَزَاؤُهُ إِنْ كُنْتُمْ
 كَاذِبِينَ﴾ إِنْ كَانَ السَّارِقُ فِيكُمْ فَأَيُّ شَيْءٍ
 تَكُونُ عِقَابَتُهُ إِنْ وَجَدْنَا فِيكُمْ مَنْ أَخَذَهُ؟
 ٧٥: ﴿قَالُوا جَزَاؤُهُ مَنْ وُجِدَ فِي رَحْلِهِ فَهُوَ
 جَزَاؤُهُ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ﴾ وَهَكَذَا كَانَتْ
 شَرِيعَةُ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنَّ السَّارِقَ يُدْفَعُ
 إِلَى الْمَسْرُوقِ مِنْهُ، وَهَذَا الَّذِي أَرَادَ يُوسُفُ عَلَيْهِ
 السَّلَامُ، وَهَذَا بَدَأَ بِأَوْعِيَّتِهِمْ ٧٦: ﴿فَبَدَأَ
 بِأَوْعِيَّتِهِمْ قَبْلَ وَعَاءِ أَخِيهِ﴾ فَتَشَبَّاهُ قَبْلَهُ تَوْرِيَةً،
 ﴿ثُمَّ اسْتَخْرَجَهَا مِنْ وَعَاءِ أَخِيهِ﴾ فَأَخَذَهُ

الْبَيْتُ

منهم بحكم اعترافهم، والرَّهْمُ بما يعتقدونه ولهذا قال تعالى: ﴿كَذَلِكَ كَدْنَا لِيُوسُفَ﴾ وهذا من الكيد المحبوب المراد، الذي يُحِبُّهُ اللَّهُ ويرضاه لِمَا فيه من الحكمة والمصلحة المطلوبة. ﴿مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ﴾ لَمْ يَكُنْ لَهُ أَخْذُهُ فِي حُكْمِ مَلِكٍ مِصْرَ، وَإِنَّمَا قَبِضَ اللَّهُ لَهُ أَنْ التَّزَمَ لَهُ إِخْوَتَهُ بِمَا التَّزَمَهُ، وَهُوَ كَانَ يَعْلَمُ ذَلِكَ مِنْ شَرِيعَتِهِمْ، وَهَذَا مَدْحُهُ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَن نَّشَاءُ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾ لَيْسَ عَالِمٌ إِلَّا فَوْقَهُ عَالِمٌ حَتَّى يَنْتَهِيَ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ٧٧: ﴿قَالُوا إِنْ يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَفَ أَخٌ لَهُ مِنْ قَبْلُ﴾ يَتَضَلَّوْنَ إِلَى الْعَزِيزِ بِالتَّشْبِيهِ بِأَخٍ لَهُ مِنْ قَبْلُ، يَعْنُونَ بِهِ يُوسُفَ، ﴿فَأَسْرَهَا يُوسُفَ فِي نَفْسِهِ وَلَمْ يَبْدُهَا لَهُمْ﴾ يَعْنِي الْكَلِمَةَ الَّتِي بَعْدَهَا وَهِيَ قَوْلُهُ: ﴿أَنْتُمْ شَرُّ مَكَانًا وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ﴾ ٧٨: ﴿قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ إِنَّ لَهُ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا﴾ شَرُّعُوا يَتَرَفَّقُونَ لَهُ، ﴿فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُ﴾ بَدَلَهُ يَكُونُ عَوْضًا عَنْهُ ﴿إِنَّا نَنزِلُكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾.

الآية: ٧٦ روى البخاري ومسلم والترمذي عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: لم يكن رسول الله ﷺ فاجشاً ولا متفحشاً، وكان يقول: «إن من خياركم أحسنكم أخلاقاً». وروى مسلم والترمذي عن النّوّاس بن سَمْعَانَ قال: سألت رسول الله ﷺ عن البرِّ والإِثم؟ فقال: «البرُّ حَسَنُ الْخُلُقِ، وَالإِثْمُ مَا حَاكَ فِي صَدْرِكَ وَكَرِهْتَ أَنْ يَطَّلِعَ عَلَيْهِ النَّاسُ». وروى الترمذي وصححه وابن حبان في صحيحه عن أبي الدرداء أن رسول الله ﷺ قال: «ما من شيء أثقل في ميزان المؤمن يوم القيامة من خلق حسن، وإن الله يَبْغِضُ الْفَاجِشَ الْبِذِي». وروى الترمذي بإسناد حسن والحاكم وصححه عن عائشة قالت: قال رسول الله ﷺ: «إن من أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً، وألطفهم بأهلِهِ». /الترغيب ج ٤/ ٤٠٢- ٤٠٣.

الآية: ٧٨ عن أبي بكر أن رسول الله ﷺ قال: «دَعَاكَ الْمَرْكُوبُ: اللَّهُمَّ رَحِمَتِكَ أَرْجُو، فَلَا تَكِلْنِي لِي نَفْسِي طَرَفَةَ عَيْنٍ، وَأَصْلِحْ لِي شَأْنِي كُلَّهُ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ» رواه أبو داود رقم ١٥٢٥/إسناده حسن.

٧٩: ﴿قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ أَنْ نَأْخُذَ إِلَّا مَنْ وَجَدْنَا مَتَاعَنَا عِنْدَهُ﴾ كما اعترفتم، ﴿إِنَّا إِذَا لَظَلْمُونَ﴾ إن أخذنا بريئاً بسقيم ٨٠: ﴿فَلَمَّا اسْتَيْسَسُوا مِنْهُ﴾ فلما يئسوا من تخليص أخيه بنيامين الذين قد التزموا لأبيهم برده إليه وعاهدوه على ذلك فامتنع عليهم ذلك ﴿خَلَصُوا نَجِيًّا﴾ انفرادوا عن الناس يتناجون فيما بينهم، ﴿قَالَ كَبِيرُهُمْ أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُمْ مَوْثِقًا مِنَ اللَّهِ﴾ لتردته إليه، فقد رأيتم كيف تعذر عليكم، ﴿وَمِنْ قَبْلُ مَا فَرَّطْتُمْ فِي يُوسُفَ﴾ مع ما تقدم لكم من إضاعة يوسف عنه ﴿فَلَنْ أُبْرَحَ الْأَرْضَ﴾ لن أفرق هذه البلدة ﴿حَتَّى يَأْذَنَ لِي أَبِي﴾ في الرجوع إليه راضياً عني ﴿أَوْ يَحْكُمَ اللَّهُ لِي﴾ بأن يمكنني من أخذ أخي ﴿وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ﴾ ثم أمرهم أن يخبروا أباهم بصورة ما وقع، حتى يكون عذراً لهم عنده ٨١: ﴿ارْجِعُوا إِلَى آبَائِكُمْ فَقُولُوا يَا أَبَانَا إِنَّ ابْنَكَ سَرَقَ وَمَا شَهِدْنَا إِلَّا بِمَا عَلَّمَنَا﴾ يتصلون إليه ويتبرزون بما وقع، ﴿وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَافِظِينَ﴾ ما علمنا في الغيب أنه سرق له شيئاً، إنما سألنا ما جزاء السارق؟ ٨٢: ﴿وَأَسْأَلُ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا﴾ أي: أهل مصر ﴿وَالْعِيرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا﴾ التي رافقناها، أي: أسأل أصحاب العير عن صدقتنا وأمانتنا ﴿وَأِنَّا لَصَادِقُونَ﴾ فيما أخبرناك به من أنه سرق وأخذوه بسرقة ٨٣: ﴿قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْراً﴾ ففسروا جميل، فظن أنها كفعلتهم

قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ أَنْ نَأْخُذَ إِلَّا مَنْ وَجَدْنَا مَتَاعَنَا عِنْدَهُ إِنَّا إِذَا لَظَلْمُونَ ﴿٧٩﴾ فَلَمَّا اسْتَيْسَسُوا مِنْهُ خَلَصُوا نَجِيًّا قَالَ كَبِيرُهُمْ أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُمْ مَوْثِقًا مِنَ اللَّهِ وَمِنْ قَبْلُ مَا فَرَّطْتُمْ فِي يُوسُفَ فَلَنْ أُبْرَحَ الْأَرْضَ حَتَّى يَأْذَنَ لِي أَبِي أَوْ يَحْكُمَ اللَّهُ لِي وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ ﴿٨٠﴾ ارْجِعُوا إِلَى آبَائِكُمْ فَقُولُوا يَا أَبَانَا إِنَّ ابْنَكَ سَرَقَ وَمَا شَهِدْنَا إِلَّا بِمَا عَلَّمَنَا وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَافِظِينَ ﴿٨١﴾ وَسَأَلُ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعِيرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ﴿٨٢﴾ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْراً فَفَسَّرَ جَمِيلٌ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿٨٣﴾ وَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا سَفِي عَلَى يُوسُفَ وَأَبِضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٨٤﴾ قَالُوا تَاللَّهِ تَفْتَوْا تَذَكَّرُ يُوسُفَ حَتَّى تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ ﴿٨٥﴾ قَالَ إِنَّمَا أَشْكُوا بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾

بيوسف. أي: كان صنيعهم هذا مرتباً على فعلهم الأول، ثم ترجى من الله أن يرده عليه أولاده الثلاثة: يوسف وأخاه بنيامين وروبييل - كبيرهم - الذي أقام بمصر ينتظر أمر الله فيه، ﴿عَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ في أفعاله وقضائه وقدره ٨٤: ﴿وَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا أَسْفَى عَلَى يُوسُفَ﴾ أعرض عن بنيه متذكراً حزن يوسف القديم، جدد له حزن الابن الحزن الدفين ﴿وَأَبِضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ﴾ ساكت لا يشكو أمره إلى مخلوق ٨٥: ﴿قَالُوا تَاللَّهِ تَفْتَوْا تَذَكَّرُ يُوسُفَ﴾ لا تفارق تذكر يوسف ﴿حَتَّى تَكُونَ حَرَضًا﴾ ضعيف القوة ﴿أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ﴾ إن استمر بك هذا الحال خشينا عليك الهلاك والتلف ٨٦: ﴿قَالَ إِنَّمَا أَشْكُوا بَثِّي﴾ همتي ﴿وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ﴾ وحده، ﴿وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾، فأرجو منه كل خير، أي: يعلم أن رؤيا يوسف صدق وأن الله لا يبد أن يظهرها.

الآية: ٨٣ روى الترمذي بإسناد حسن عن أنس أن رجلاً جاء إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله أتبي الدعاء أفضل؟ قال: سئل ربك العافية والمغفارة في الدنيا والآخرة، ثم أتاه في اليوم الثاني فقال: يا رسول الله أتبي الدعاء أفضل؟ فقال له مثل ذلك، ثم أتاه في اليوم الثالث فقال له مثل ذلك، قال: فإذا أعطيت العافية في الدنيا وأعطيتها في الآخرة فقد أفلحت.

الآية: ٨٤ روى البخاري ومسلم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ومن يتصبر يصبره الله، وما أعطى أحد عطاء خيراً وأوسع من الصبر». وروى الطبراني والحاكم وصححه إسناده عن أنس عن النبي ﷺ أنه قال: «أربع لا يضرن إلا بعجب: الصبر وهو أول العبادات، والتواضع، وذكر الله، وقلة الشيء». / الترتيب ج ٤

٨٧: ﴿يَا بَنِي آدَهْبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ﴾ التَّحَسُّسُ فِي الْخَيْرِ، وَالتَّحَسُّسُ فِي الشَّرِّ ﴿وَلَا تَأْيِسُوا مِنْ رُوحِ اللَّهِ﴾ لَا تَقْطَعُوا الرَّجَاءَ مِنْ اللَّهِ ﴿إِنَّهُ لَا يَأْتِسُ مِنْ رُوحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾، رَأَى: إِنْ الْمُؤْمِنُ يَرْجُو فَرَجَ اللَّهِ فِي الشَّدَّةِ، وَالْكَافِرُ يَقْنَطُ فِي الشَّدَّةِ [٨٨]: ﴿فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسْنَا وَأَهْلْنَا الضَّرُّ وَجِئْنَا بِبِضَاعَةِ مُرْجَاةٍ﴾ وَمَعْنَى غِنَى الطَّعَامِ الَّذِي يَمْتَنَّاؤُهُ، وَبِضَاعَتُنَا كَاسِدَةٌ لَا تَنْفَعُ، ﴿فَأَوْفٍ لَنَا الْكَيْلُ﴾ أَعْطَانَا بِهَذَا الثَّمَنِ الْقَلِيلِ مَا كُنْتَ تَعْطِنَا مِنْ قَبْلِ ﴿وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا﴾ بِقَبْضِ هَذِهِ الْبِضَاعَةِ الْمَرْجَاةِ وَتَجَوَّزْ فِيهَا ﴿إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ﴾ ٨٩: ﴿قَالَ هَلْ عَلِمْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنْتُمْ جَاهِلُونَ؟!﴾ لَمَّا ذَكَرَ لَهُ إِخْرُؤُهُ مَا أَصَابَهُمْ مِنَ الْجَهْدِ وَالضَّيْقِ وَتَذَكُّرُ آبَاءِهِ وَمَا هُوَ فِيهِ مِنَ الْحُزْنِ لِفَقْدِ وَلَدَيْهِ، فَأَخَذَتْهُ رَقَّةٌ وَرَأْفَةٌ عَلَى أَبِيهِ وَإِخْوَتِهِ، وَبَدَرَهُ الْبِكَاءُ فَتَعَرَّفَ إِلَيْهِمْ ٩٠: ﴿قَالُوا أَتُنْكَلُ لَنَا يَا يُوسُفَ﴾ الْاسْتِفْهَامُ لِلْاِسْتِعْظَامِ، أَيْ: إِنْتُمْ تَعَجُّبُوا مِنْ ذَلِكَ أَنَّهُمْ يَتَرَدَّدُونَ إِلَيْهِ مِنْ سِتِّينَ وَآكْثَرَهُمْ لَا يَعْرِفُونَهُ، وَهُوَ يَعْرِفُهُمْ وَيَكْتُمُ نَفْسَهُ. ﴿قَالَ أَنَا يُوسُفَ وَهَذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا﴾ بِجَمْعِهِ بَيْنَنَا بَعْدَ الْفُرْقَةِ وَبُعْدِ الْمُدَّةِ، ﴿إِنَّهُ مَن يَتَّقْ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ ٩١: ﴿قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ أَتَرَكْنَا اللَّهَ عَلَيْنَا وَإِنْ كُنَّا لَخَاطِئِينَ﴾ اعْتَرَفُوا لَهُ بِالْفَضْلِ وَالْأَثَرَةِ

يَجِي آدَهْبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَأْيِسُوا مِنْ رُوحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَأْتِسُ مِنْ رُوحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ ﴿٨٧﴾ فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسْنَا وَأَهْلْنَا الضَّرُّ وَجِئْنَا بِبِضَاعَةِ مُرْجَاةٍ فَأَوْفٍ لَنَا الْكَيْلُ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ ﴿٨٨﴾ قَالَ هَلْ عَلِمْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنْتُمْ جَاهِلُونَ ﴿٨٩﴾ قَالُوا أَيْ تَنْكَلُ لَنَا يَا يُوسُفَ قَالَ أَنَا يُوسُفَ وَهَذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا إِنَّهُ مَن يَتَّقْ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٩٠﴾ قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ أَتَرَكْنَا اللَّهَ عَلَيْنَا وَإِنْ كُنَّا لَخَاطِئِينَ ﴿٩١﴾ قَالَ لَا تَتْرِبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴿٩٢﴾ آدَهْبُوا بِقِمِصِي هَذَا فَأَلْقُوهُ عَلَى وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا وَأْتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٣﴾ وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَا أَنْ تُفِئِدُونُ ﴿٩٤﴾ قَالُوا تَاللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَالِكَ الْقَدِيمِ ﴿٩٥﴾

عليهم، وأقرأوا له بأنهم أسأؤوا إليه وأخطؤوا في حقه ٩٢: ﴿قال لا تتريب عليكم اليوم﴾ لا تأنيب عليكم ولا أعتب عليكم ولا أعيد عليكم ذنبكم في حقي بعد اليوم، ثم زادهم الدعاء لهم بالمغفرة فقال: ﴿يعفّر الله لكم وهو أرحم الراحمين﴾ اعترضوا إليه، فدعا لهم أن يستر الله عليهم ويرحمهم ٩٣: ﴿آدَهْبُوا بِقِمِصِي هَذَا فَأَلْقُوهُ عَلَى وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا﴾ وكان قد عمي من كثرة البكاء ﴿وأتوني بأهلكم أجمعين﴾ بجميع آل يعقوب ٩٤: ﴿ولما فصلت العير﴾ خرجت من مصر ﴿قال أبوهم﴾ يعقوب لمن بقي عنده من بنيهم ﴿إني لأجد ريح يوسف لولا أن تفئدون﴾ تنسبوني إلى الكبر. قال ابن عباس: لما خرجت العير هاجت ريح فجاءت برح قميص يوسف ٩٥: ﴿قالوا تالله إنك لفي ضلالك القديم﴾ لفي خطيئتك القديم، من حُبِّ لا تنساه ولا تسلاه، قالوا له كلمة لم يكن ينبغي لهم أن يقولوها.

الآية ٨٨ قال ابن كثير: قال سعيد بن جبير والسدي ﴿وتصدق علينا﴾ يقولون تصدق علينا بقبض هذه البضاعة المرجاة وتجوز فيها. وسئل سفيان بن عيينة هل حرمت الصدقة على أحد من الأنبياء قبل النبي ﷺ؟ فقال: ألم تسمع قوله ﴿فأوف لنا الكيل وتصدق علينا إن الله يجزي المتصدقين﴾؟ وروى ابن جرير عن عثمان بن الأسود سمعت مجاهدًا وسئل هل يكره أن يقول الرجل في دعائه: اللهم تصدق علي؟ قال: نعم إنما الصدقة لمن ينبغي الثواب.

الآية ٩٤: روى عبد الرزاق أنبأنا إسرائيل عن أبي سنان عن عبد الله بن أبي الهذيل قال: سمعت ابن عباس يقول: ولما فصلت العير، قال: لما خرجت العير هاجت ريح فجاءت يعقوب برح قميص يوسف فقال: ﴿إني لأجد ريح يوسف لولا أن تفئدون﴾ قال: فوجد ريحه من مسيرة ثمانية أيام. / ابن كثير ج ٤٨٩/٢.

٩٦: ﴿فَلَمَّا أَنْ جَاءَ الْبَشِيرُ﴾ وكان الذي جاء هو الذي جاء بالقميص بدم كذب، فأحب أن يغسل ذلك بهذا، فجاء بالقميص ﴿ألقاه على وجهه فارتد بصيراً﴾ فرجع بصيراً، وقال لبيته عند ذلك: ﴿ألم أقل لكم إني أعلم من الله ما لا تعلمون﴾ أعلم أن الله سرده إليّ وقلت لكم: ﴿إني لأجد ربح يوسف!﴾ فعند ذلك قالوا لأبيهم مترفين له: ٩٧: ﴿قالوا يا أبانا استغفر لنا ذنوبنا إنا كنا خاطئين﴾ ٩٨: ﴿قال سوف استغفر لكم ربي إنه هو الغفور الرحيم﴾ من تاب تاب الله عليه ٩٩: ﴿فلما دخلوا على يوسف آوى إليه أبويه﴾ خرجوا من بلاد كنعان قاصدين ببلاد مصر، فلما أخبر يوسف باقترابهم خرج لتلقمهم فأوى إليه أبويه ﴿وقال ادخلوا مصر إن شاء الله آمين﴾ اسكنوا مصر إن شاء الله آمين من القحط والجهد ﴿ورفع أبويه على العرش﴾ السري، أي: أجلسهما معه على سريه، ﴿وخروا له سجداً﴾ وقال يا أبت هذا تأويل رؤياي من قبل قد جعلها ربي حقاً ﴿سجد له أبواه وإخوته وكانوا أحد عشر رجلاً، وقد كان هذا سائغاً في شرائعهم إذا سلّموا على الكبير﴾ وكان بين رؤيا يوسف وبين تأويلها اثنتان وعشرون سنة، ﴿هذا تأويل رؤياي﴾ هذا ما آل إليه الأمر، فإن التأويل يطلق على ما يصير إليه الأمر. ﴿وقد أحسن بي إذ أخرجني من السجن وجاء بكم من البدو﴾ البادية، وكانوا من أهل بادية وماشية ﴿من بعد أن نزع

فَلَمَّا أَنْ جَاءَ الْبَشِيرُ أَلْقَاهُ عَلَى وَجْهِهِ فَارْتَدَّ بَصِيرًا قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنْ أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٩٦﴾ قَالُوا يَا أَبَانَا اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ ﴿٩٧﴾ قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٩٨﴾ فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ آوَى إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقَالَ ادْخُلُوا مَعِيَ فِي بَيْتِي إِنَّ شَاءَ اللَّهُ آمِينَ ﴿٩٩﴾ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا وَقَالَ يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُم مِّنَ الْبَدْوِ مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَعَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِّمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿١٠٠﴾ رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحَقْنِي بِالصَّالِحِينَ ﴿١٠١﴾ ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَا أَكْثَرَ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾

الشيطان بيني وبين إخوتي إن ربي لطيف لما يشاء﴾ إذا أراد أمراً قبض له أسباباً وقدره ويسره ﴿إنه هو العليم﴾ بمصالح عبادته ﴿الحكيم﴾ في أقواله وقضائه. ١٠١: ﴿ربّ قد آتيتني من الملك وعلمتني من تأويل الأحاديث فاطر السموات والأرض أنت ولي في الدنيا والآخرة﴾ هذا دعاء من يوسف دعا به ربه لما تمت عليه النعمة باجتماعه بأبويه وإخوته، وما من الله به عليه من النبوة والملك، ثم سأل ربه أن يتم عليه نعمته في الآخرة كما أمّها عليه في الدنيا، ﴿توفيني مسلماً والحقني بالصالحين﴾ النبيين والمرسلين ١٠٢: ﴿ذلك﴾ يا محمد ﴿من أنباء الغيب﴾ من أخبار الغيوب السابقة ﴿نوحيه إليك﴾ للعبارة والاعتاظ ﴿وما كنت لديهم إذ أجمعوا أمرهم﴾ ما كنت حاضرأ عندهم إذ أجمعوا أمرهم على إلقائه في الحب ﴿وهم يَمْكُرُونَ﴾ به ١٠٣: ﴿وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين﴾، [نزلت الآية تسليّة للنبي صلى الله عليه وآله وسلم، أي: ليس تقدر على هداية من أردت هدايته].

الآية: ١٠٠ ورد في الحديث أن معاذاً قد قدم الشام فوجدهم يسجدون لأساقفتهم فلما رجع سجد لرسول الله ﷺ فقال: « ما هذا يا معاذ؟ » فقال: « إني رأيتهم يسجدون لأساقفتهم وأنت أحق أن يسجد لك يا رسول الله؟! » فقال: « لو كنت أمراً أحداً أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تشجد لزوجها لعظم حقّه عليها ». وفي حديث آخر: « إن سلمان لقي النبي ﷺ في بعض طرق المدينة وكان سلمان حديث عهد بالإسلام فسجد للنبي ﷺ فقال: « لا تشجد لي يا سلمان واسجد للحق الذي لا يموت ». والغرض أن هذا كان جائزاً في شرعهم ولهذا خروا سجداً فعندما قال يوسف: ﴿ يا أبت هذا تأويل رؤياي من قبل قد جعلها ربي حقاً ﴾ أي هذا ما آل إليه الأمر فإن التأويل يطلق على ما يصير إليه الأمر. / ابن كثير ج ٤٩١/٢

﴿١٠٤﴾: ﴿وَمَا تَسْأَلُهُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ﴾
 ما تسألهم يا محمد على هذا النصح والدعاء
 إلى الخير من أجر، بل افعله ابتغاء وجه
 الله ونصحاً لخلقك ﴿إِنَّ هُوَ إِلَّا ذَكَرَ
 لِلْعَالَمِينَ﴾ ليتذكروا به ويهتدوا وينبجوا به في
 الدنيا والآخرة ١٠٥: ﴿وَكَايْنٍ مِنْ آيَةٍ فِي
 السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ
 مَعْرُضُونَ﴾؟ يخبر تعالى عن غفلة أكثر
 الناس عن التفكير في آيات الله ودلائل توحيده
 بما خلقه في السموات والأرض ١٠٦: ﴿وَمَا
 يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ﴾ وفي
 الصحيحين: «إِنَّ الْمُشْرِكِينَ كَانُوا يَقُولُونَ فِي
 تَلْبِيَتِهِمْ: لَبِيكَ لَا شَرِيكَ لَكَ، إِلَّا شَرِيكَ هُوَ
 لَكَ، تَمَلِّكُهُ وَمَا مَلَكَ». قال ابن عباس: من
 إيمانهم أنهم إذا قيل لهم: مَنْ خلق السموات؟
 ومن خلق الأرض؟ ومن خلق الجبال؟ قالوا:
 الله، وهم مشركون به ١٠٧: ﴿أَفَأَمِنُوا أَنْ
 تَأْتِيَهُمْ غَاشِيَةٌ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ أَوْ تَأْتِيَهُمُ
 السَّاعَةُ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾؟! أفأمن
 هؤلاء المشركون بالله أن يأتيهم أمرٌ يغشاهم
 من حيث لا يشعرون؟ ١٠٨: ﴿قُلْ هَذِهِ
 سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ﴾ أمر
 الله تعالى رسوله صلى الله عليه وآله وسلم أن
 يُخَبِّرَ النَّاسَ أَنَّ هَذِهِ سَبِيلُهُ وَمَسْلُكُهُ وَسُنَّتُهُ،
 وهي الدعوة إلى شهادة أن لا إله إلا الله وحده
 لا شريك، يدعو إلى الله بها على بصيرة ويقين
 من ذلك ﴿وَسُبْحَانَ اللَّهِ﴾ أنزه الله وأجله
 وأعظمه وأقدسَه ﴿وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾
 ١٠٩: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا

وَمَا تَسْأَلُهُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ هُوَ إِلَّا ذَكَرٌ لِلْعَالَمِينَ ﴿١٠٤﴾
 وَكَأَيِّنْ مِنْ آيَةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا
 وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ ﴿١٠٥﴾ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا
 وَهُمْ مُشْرِكُونَ ﴿١٠٦﴾ أَفَأَمِنُوا أَنْ تَأْتِيَهُمْ غَاشِيَةٌ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ
 أَوْ تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٠٧﴾ قُلْ هَذِهِ
 سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعِيَ وَسَبَّحَنَ
 اللَّهُ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ
 إِلَّا رِجَالًا لِنُوحِيَ إِلَيْهِمْ مِنَ أَهْلِ الْقُرَى أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي
 الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ
 وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٠٩﴾ حَتَّى
 إِذَا اسْتَيْسَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كَذَّبُوا جَاءَهُمْ
 نَصْرُنَا فَنَجَّى مِنَ نَشْأَةٍ وَلَا يَرُدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ
 ﴿١١٠﴾ لَقَدْ كَانَتْ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ
 حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ
 وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١١١﴾

نوحى إليهم من أهل القرى ﴿ليسوا من أهل السماء كما قلتم [يا معشر المشركين] قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا يَأْكُلُونَ
 الطعام ويمشون في الأسواق﴾. ﴿أفلم يسيرا في الأرض﴾ هؤلاء المكذبين لك يا محمد ﴿فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم﴾ من الأمم
 المكذبة للرسل كيف دمر الله عليهم وللكافرين أمثالها. ﴿ولدار الآخرة خيرٌ للذين اتقوا﴾ كما نحينا المؤمنين في الدنيا كذلك كتبنا لهم النجاة في
 الآخرة وهي خير لهم من الدنيا بكثير. ﴿أفلا تعقلون﴾؟! ١١٠: ﴿حتى إذا استيسر الرسل وظنوا أنهم قد كذبوا جاءهم نصرنا﴾ إنه تعالى
 ينزل على رسله عند الضيق وانتظار الفرج من الله في أحوال الأوقات ﴿فنجي من نشأء﴾، [الأنبياء ومن آمن معهم]، ﴿ولا يردُّ بأسنا عن القوم
 المجرمين﴾ [أي: عذابنا] ١١١: ﴿لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الأبواب﴾ لقد كان في خير المرسلين مع قومهم عبرة لأولي العقول،
 ﴿وما كان﴾ هذا القرآن ﴿حديثاً يُفترى﴾ يُخلَقُ ﴿ولكن تصديق الذي بين يديه﴾ من الكتب المنزلة من السماء، وهو يُصدَّقُ ما فيها من
 الصحيح وينفي ما وقع فيها من تحريف، ﴿وتفصيل كل شيء﴾ من تحليل وتحريم، وأمر بالطاعات والواجبات، والإخبار عن الغيوب، والإخبار
 عن الرب تبارك وتعالى بالأسماء والصفات، ﴿وهدى﴾ تهتدي به القلوب ﴿ورحمة لقوم يؤمنون﴾ يبتغون به الرحمة من رب العالمين.

الآية: ١٠٦: روى الإمام أحمد من حديث عتبة بن عامر قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ عَلَّقَ تِمِيمَةً فَقَدْ أَشْرَكَ». وفي رواية «مَنْ عَلَّقَ تِمِيمَةً فَلَا أَمَّ أُمَّهُ لَهْ وَمَنْ تَلَقَّى وَدَعَا
 فَلَا وَدَعَ اللَّهُ». وعن العلاء عن أبيه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يَقُولُ اللَّهُ: أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشُّرْكِ مَنْ عَمِلَ عَمَلًا أَشْرَكَ فِيهِ مَعِيَ غَيْرِي تَرَكْتُهُ
 وَيَشْرِكُهُ» رواه مسلم. لابن كثير ج ٢/٤٩٦.

سُورَةُ الرَّعْدِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الرَّعْدَ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ أَسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ وَسَحَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلَّ يَوْمٍ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى يُدَبِّرُ الْأُمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ ﴿٢﴾ وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رِوْاسِيَ وَأَنْهَارًا وَمِنْ كُلِّ الشَّجَرِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ يُغْشَى اللَّيْلُ النَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُتَفَكَّرُونَ ﴿٣﴾ وَفِي الْأَرْضِ قِطْعٌ مُتَجَاوِرَاتٌ وَجَنَّاتٌ مِنْ أَعْنَابٍ وَزُرْعٌ وَنَخِيلٌ صُنُونٌ وَعَيْرٌ صُنُونٌ يُسْقَى بِمَاءٍ وَحِيدٍ وَنُفِضَ لِبَعْضِهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأُكُلِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٤﴾ وَإِنْ تَعْجَبَ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ إِنْ ذَا كُنَّا تَرَابًا إِنْ تَأْتِي خَلْقَ جَدِيدٍ أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا يُرِيدُونَ أَنْ يُكْفَرُوا بِأُولَئِكَ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٥﴾

٢٤٩

ما جعل فيها من الثمرات المختلفة والأشكال والطعوم والروائح، ومن كل شكل صنфан، ﴿يُغْشَى اللَّيْلُ النَّهَارَ﴾ جعل كلاً منهما يطلب الآخر طلباً حثيثاً ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُتَفَكَّرُونَ﴾ في آلاء الله وحكمه ودلائله ٤: ﴿وَفِي الْأَرْضِ قِطْعٌ مُتَجَاوِرَاتٌ وَجَنَّاتٌ مِنْ أَعْنَابٍ﴾ أراض يُجاور بعضها بعضاً، فهذه تربة حمراء وهذه بيضاء وهذه صفراء وهذه سوداء ﴿وَجَنَّاتٌ مِنْ أَعْنَابٍ وَزُرْعٌ وَنَخِيلٌ صُنُونٌ وَعَيْرٌ صُنُونٌ﴾، الصنون: الأصول المجتمعة في منبت واحد كالرمان والتين وبعض النخيل ونحو ذلك، ﴿وَعَيْرٌ صُنُونٌ﴾ وهو ما كان على أصل واحد كسائر الأشجار فهذا كله مما يدل على الفاعل المختار لا إله إلا هو لا رب سواه ﴿يُسْقَى بِمَاءٍ وَحِيدٍ وَنُفِضَ لِبَعْضِهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأُكُلِ﴾ فهذا في غاية الخلاوة، وهذا في غاية الحموضة، وهذا مرّ وهذا حلو وهذا عذب، وهذا جمّع هذا وهذا ثم يستحيل إلى طعم آخر بإذن الله تعالى. ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ ٥: ﴿وَإِنْ تَعْجَبَ﴾ يا محمد من تكذيب المشركين بالمعاد مع ما يشاهدونه من آيات الله في خلقه ﴿فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ﴾ فالعجب من قولهم: ﴿أَنْذَا كُنَّا تَرَابًا إِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾؟ ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ﴾ يُسْحَبُونَ بِهَا فِي النَّارِ ﴿وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ لا يحولون عنها ولا يزولون.

(١) انظر تفسير آية ٥٤ من سورة الأعراف.

الآية: ٢ ورد في الحديث: «ما السموات السبع وما فيها وما بينهن في الكرسي إلا كحلقة ملقاة بأرض فلاة والكرسي في العرش المجيد كمثلك الحلقة في تلك الفلاة». وفي رواية: «العرش لا يقدر قدره إلا الله عز وجل» وجاء عن بعض السلف أن بُعد ما بين العرش إلى الأرض مسورة خمسين ألف سنة وبعد ما بين قطره مسيرة خمسين ألف سنة. / ابن كثير ٤٩٩/ج

وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ وَقَدْ خَلَّتْ مِنْ قَبْلِهِمُ الْمَثَلُ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِلنَّاسِ عَلَى ظُلْمِهِمْ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٦﴾ وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا أَنْزَلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ﴿٧﴾ اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَىٰ وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ ﴿٨﴾ عَلِمَ الْغَيْبُ وَالشَّهَادَةُ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ ﴿٩﴾ سَوَاءٌ مِنْكُمْ مَنْ أَسْرَ الْقَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ ﴿١٠﴾ لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمَنْ خَلْفَهُ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءَ آفَلًا مَرَدَّةٍ وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ ﴿١١﴾ هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنشِئُ السَّحَابَ الثِّقَالَ ﴿١٢﴾ وَيَسْبِغُ الرِّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ ﴿١٣﴾

٢٥٠

٦: ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ﴾ هؤلاء المكذِّبون ﴿بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ﴾ بالعقوبة ﴿وقد خَلَّتْ مِنْ قَبْلِهِمُ الْمَثَلَاتُ﴾ قد أومعنا بَقَمْنَا بِالْأُمَّمِ الخالية وجعلناهم عبرة وعظة لمن اعظ بهم. ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِلنَّاسِ عَلَى ظُلْمِهِمْ﴾ إنَّه تعالى ذو عفوَ وصفح وستر للناس مع أنَّهم يظلمون ويُخطئون بالليل والنهار، ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ ثم قَرَنَ هذا الحكم بأنَّه شديد العقاب [لمن لم يتب] ليعتدل الرجاء والخوف. ٧: ﴿ويَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا أَنْزَلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ﴾ إنهم تعتقوا عليه ﷺ أن يجعل لهم الصفا ذهباً، وأن يُزج عنهم الجبال — جبال مكة — ويجعل مكانها مروجاً وأنهاراً. ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ﴾ إنَّما عليك أن تُبلِّغ رسالة الله التي أمرك بها، ﴿ولِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ داع يدعوهم إلى الله عز وجل. ٨: ﴿اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَىٰ وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ﴾ يُخبر تعالى عن تمام علمه الذي لا يخفى عليه شيء، وأنَّه محيط بما تحمله الحوامل من ذكر أو أنثى أو حسن أو قبيح أو شقي أو سعيد، ويعلم ما تسقط الأرحام ﴿وماتزدداد﴾ ما زادت في الحمل. ومنه من تزيد في الحمل ومنه من تنقص، فذلك الغيض والزيادة. ﴿وكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ﴾ بأجل، حفظ سبحانه أرزاق خلقه وأجاسم وجعل لذلك أجلاً معلوماً. ٩: ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾ يعلم كلَّ شيءٍ ثمَّ يُشاهدُ العبادَ وممَّا يغيب عنهم ﴿الكبيرُ المتعال﴾ الذي هو أكبر من كل شيءٍ وعالٍ

عليه، وقهر كلَّ شيءٍ فضضعت له الرقاب ودان له العباد طوعاً أو كرهاً. ١٠: ﴿سَوَاءٌ مِنْكُمْ مَنْ أَسْرَ الْقَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ﴾ يُخبر تعالى عن إحاطة علمه بجميع خلقه، وأنَّه سواءٌ منهم من أسرَّ قوله أو جهر به فإنَّه يسمعه لا يخفى عليه شيء. ١١: ﴿له مُعَقِّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمَنْ خَلْفَهُ﴾ للعبد ملائكة يتعاقبون عليه، حرسٌ بالليل وحرسٌ بالنهار ﴿يحفظونه من أمر الله﴾، والمعقبات من الله هي الملائكة، وفي الصحيح: «يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار» الحديث. ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾، [أخبر تعالى أنَّه لا يُغَيِّرُ ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم]، ﴿وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءَ آفَلًا مَرَدَّةٍ لَهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ﴾، [هو الذي يريكم البرق خوفاً وطمعاً] وهو ما يرى من النور اللامع، ﴿خوفاً﴾ من أذاه ومشقته ﴿وطمعاً﴾ ببركته ومنفعته ﴿وَيُنشِئُ السَّحَابَ الثِّقَالَ﴾ ويخلقها مُنشأةً جديدة، وهي لكثرة ماؤها ثقيلة قريبة من الأرض. ١٢: ﴿وَيَسْبِغُ الرِّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ﴾ هذا وعيدٌ شديدٌ لأهل الأرض. ومن قال: سبحان الذي يسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته لم تُصبْ صاعقة. ﴿وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ﴾ فينتقم بها ممَّن يشاء ولهذا تكثر في آخر الزمان ﴿وهم يُجادلون في الله وهو شديدُ المحال﴾ يشكون في عظمتها، وهو شديدةٌ ممَّا حلَّتْ في عقوبة من طغى عليه.

١٤ : ﴿لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ﴾ التوحيد؛ لا إله إلا الله، ﴿وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ﴾ الآلهة ﴿لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ بِشَيْءٍ إِلَّا كَبَاسِطٍ كَفِيهِ﴾ إلى الماء ليبلغ فاه وما هو بباله﴾ كمثل الذي يتناول الماء من طرف البئر بيده وهو لا يتأله أبداً فكيف يبلغ فاه؟! فكذا ذلك هؤلاء المشركون الذين يعبدون مع الله إلهاً غيره لا يتفتنون به أبداً لا في الدنيا ولا في الآخرة، ولهذا قال تعالى: ﴿وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ﴾ ١٥ : ﴿وَاللَّهُ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَالُهُمْ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ﴾ ١٥ ﴿قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلْ اللَّهُ قُلْ أَفَاتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَبَّهُ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ قُلِ اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ ١٦ ﴿أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَابِيًا وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِثْلُهٗ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ﴾ ١٧ ﴿لِلَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمُ الْحَسَنَىٰ وَالَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُ لَوْ أَنَّ لَهُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ عَ ۗ أُولَٰئِكَ لَهُمْ سُوءُ الْحِسَابِ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾ ١٨

سجدة

لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ بِشَيْءٍ إِلَّا كَبَاسِطٍ كَفِيهِ إِلَى الْمَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَالِغِهِ وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ ﴿١٥﴾ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَالُهُمْ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ﴿١٥﴾ قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلْ اللَّهُ قُلْ أَفَاتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَبَّهُ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ قُلِ اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴿١٦﴾ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَابِيًا وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِثْلُهٗ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ ﴿١٧﴾ لِلَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمُ الْحَسَنَىٰ وَالَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُ لَوْ أَنَّ لَهُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ عَ ۗ أُولَٰئِكَ لَهُمْ سُوءُ الْحِسَابِ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ ﴿١٨﴾

خلقوا كخلقِهِ فشابَه الخلق عليهم؟! ليس الأمر كذلك فإنه لا يشابهه شيء ولا يماثله [في أقواله وأفعاله وصفاته] ﴿تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً﴾ ﴿قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ ١٧ : ﴿أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا﴾ اشتملت هذه الآية على مثلين مضروبين للحق في ثباته وبقائه والباطل في اضمحلاله وفنائه، ﴿فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَابِيًا﴾ فجاء على وجه الماء يزيد عالٍ عليه، هذا مثل وقوله: ﴿وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِثْلُهٗ﴾ هذا مثل ثانٍ، وهو ما يسبك في النار من ذهب أو فضة ليُجعل حليّة؛ فإنه يعلوهُ زيدٌ منه كما يعلو ذلك زيدٌ منه ﴿كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ﴾ إذا اجتمعاً لأثبات للباطل ولإدوام له، كما أن الزبد لا يثبت مع الماء ولا مع الذهب والفضة؛ بل يذهب ويضمحل، ولهذا قال تعالى: ﴿فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ﴾ ١٨ : ﴿لِلَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمُ الْحَسَنَى﴾ للذين أطاعوا الله ورسولَهُ وانقادوا لأوامره الجزاء الحسن [وهو النعم المقيم غداً] ﴿وَالَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُ لَوْ أَنَّ لَهُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ للذين لم يطيعوا الله، لو أنّ لهم في الدار الآخرة ملءُ الأرض ذهباً ﴿ومثله معه لافْتَدَوْا بِهِ﴾ من عذاب الله، ولكن لا يُقبل منهم ﴿أُولَئِكَ لَهُمْ سُوءُ الْحِسَابِ﴾ يُنَاقَشُونَ على النقيير والقمطرير والحليل والحقير، وَمَنْ نُوَقِّشِ الْحِسَابَ عُدْبَ ﴿وَمَا وَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾.

الآية : ١٧ جاء في الصحيحين عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « إن مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم كمثل غيث أصاب أرضاً فكان منها طائفة قبلت الماء فأنتبت الكلأ والمُشب الكثير وكانت منها أجادب أمسكت الماء فنفع الله بها الناس فشربوا وسقوا وزرعوا وأصاب طائفة منها أخرى إنما هي قيعان لا تمسك ماء ولا تنبت كلأً فذلك مثل من فقه في دين الله ونفعه الله بما بعثني نفع به فلم يعلم ومثل من لم يرفع بذلك رأساً ولم يقبل هدى الله الذي أرسلت به . » / ابن كثير ج ٢ / ٥٠٩ .

١٩: ﴿أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَى؟﴾ لا يستوي مَنْ يعلم أن الذي أنزل إليك يا محمد من ربك هو الحق الذي لا شك فيه ولا اختلاف، كمن هو أعمى لا يبتدي إلى خير لا يفهمه؟ ولو فهمه ما انقاد له ولا صدقه، ﴿إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ أولو العقول السليمة ٢٠: ﴿الَّذِينَ يُؤْفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ﴾ [وأمره ونواهيه] ﴿وَلَا يَنْقُضُونَ الْمِيثَاقَ﴾ [وهو توحيد الله] وليسوا كالنفاقين الذين عاهدوا ثم غدروا. ٢١: ﴿وَالَّذِينَ يُصَلُّونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ﴾ من صلة الأرحام والإحسان إليهم، وإلى الفقراء والمساكين، وبذل المعروف، ﴿وَيُخْشَوْنَ رَبَّهُمْ﴾ فبا يتأتون ويتذرون من الأعمال، أي: يراقبون الله في ذلك ﴿وَيُخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ﴾ في الدار الآخرة، فلماذا هم على الاستقامة في جميع أحوالهم. ٢٢: ﴿وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ﴾ عن الحرام والمأثم ففطموا أنفسهم عنها لله عز وجل ابتغاء مرضاته وجزيل ثوابه، ﴿وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ﴾ على الوجه الشرعي بمحدودها وخشوعها، ﴿وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ﴾ على الذين تجب نفقتهم عليهم من زوجات وقرابات وفقراء ﴿سِرًّا وَعَلَانِيَةً﴾ لم يجمعهم من ذلك حال من الأحوال ﴿وَيَذَرُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ﴾ يدفعون القبيح بالحسن ﴿أُولَئِكَ لَهُمْ عَقَبَى الدَّارِ﴾، ثم فسر ذلك بقوله تعالى: ٢٣: ﴿جَنَّاتٍ عَدْنٍ﴾: الإقامة، أي: جنات إقامة يخلدون فيها ﴿وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ﴾ يجمع بينهم وبين أحبائهم فيها من الآباء والأهلين والأبناء فمن هو صالح، لتقر أعينهم بهم حتى إنّه يرفع الأذن إلى الأعلى، ﴿وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ﴾ أي يدخلون عليهم من هاهنا ومن هاهنا للتهنئة يقولون: ٢٤: ﴿سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ﴾ [بصركم على أمر الله ونبيه] وحصل لكم الإقامة في دار السلام، ﴿فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ﴾ ٢٥: ﴿وَالَّذِينَ يُقْضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ﴾ هذا حال الأشقياء كما ثبت في الحديث: «آية المنافق ثلاث: إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا أؤتمن خان»، ﴿أُولَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ﴾ وهي الإبعاد عن الرحمة ﴿وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ﴾ سوء العقاب والمآل ٢٦: ﴿اللَّهُ يَسْطُرُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ﴾ وله الحكمة في ذلك، ﴿وَفَرَحُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ وفرح هؤلاء الكفار بما أتوا من الحياة استدرجاً لهم ﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا مَتَاعٌ﴾ [من الأمتعة] بالنسبة إلى الآخرة ٢٧: ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ إِنْ اللَّهُ يَضِلُّ مِنَ بَشَاءٍ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ أُنَابَ﴾ ٢٧: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ ٢٨

﴿أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَى﴾ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿١٩﴾ الَّذِينَ يُؤْفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلَا يَنْقُضُونَ الْمِيثَاقَ ﴿٢٠﴾ وَالَّذِينَ يُصَلُّونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ ﴿٢١﴾ وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُولَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ ﴿٢٢﴾ جَنَّاتٍ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَّمَ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ ﴿٢٤﴾ وَالَّذِينَ يُقْضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ ﴿٢٥﴾ اللَّهُ يَسْطُرُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَفَرَحُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا مَتَاعٌ ﴿٢٦﴾ وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ إِنْ اللَّهُ يَضِلُّ مِنْ بَشَاءٍ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ أُنَابَ ﴿٢٧﴾ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾

٢٩: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَىٰ لَهُمْ﴾ غبطة لهم، ونعم ما لهم، ويقال للرجل: طوبى لك، أي: أصبت خيراً، ﴿طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَآبٍ﴾ وحسن المرجع، وهي الجنة. وطوبى اسم شجرة في الجنة، كل شجر الجنة أعصائها منها ٣٠: ﴿كَذَلِكَ أَرْسَلْنَاكَ فِي أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهَا أُمَمٌ﴾ كما أرسلناك يا محمد في هذه الأمة ﴿لَتَسْلُوا عَلَيْهِمُ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾ تُبلغهم رسالة الله إليهم، كذلك أرسلنا في الأمم الماضية الكافرة ﴿وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّهْنِ﴾ فأوقفنا بأسنا ونقمنا بأولئك، فليحذر هؤلاء من حلول النقم بهم، ﴿قُلْ هُوَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ﴾ هذا الذي تكفرون به أنا مؤمنٌ به مُقرُّ له بالربوبية والألوهية، هو ربِّي ﴿عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ﴾ في جميع أموري ﴿وَإِلَيْهِ مَتَابُ﴾ إليه أرجع وأتوب ٣١: ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ﴾ لو كان في الكتب الماضية كتابٌ تُسَيَّرُ به الجبال عن أماكنها ﴿أَوْ قُطِعَتْ بِهِ الْأَرْضُ﴾ وتنشق ﴿أَوْ كَلَّمَ بِهِ الْمَوْتَى﴾ أو تكلم به الموتى في قبورهم؛ لكان هذا القرآن هو المتصف بذلك دون غيره، وهذا مدح من الله تعالى للقرآن وتفضيل له على سائر الكتب المنزلة. ﴿بَلِ اللَّهُ الْأَمْرُ جَمِيعًا﴾ مرجع الأمور كلها إلى الله عز وجل، ماشاء الله كان وما لم يشأ لم يكن. ﴿أَفَلَمْ يَتَّخِذِ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ من إيمان جميع الخلق ويعلموا أو يتبينوا ﴿أَنَّ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَهْدَى النَّاسَ جَمِيعًا﴾ فإنه ليس ثمَّ حجة ولا معجزة أبلغ ولا تُنجز في العقول

الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَآبٍ ﴿٣٩﴾ كَذَلِكَ أَرْسَلْنَاكَ فِي أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهَا أُمَمٌ لَتَسْلُوا عَلَيْهِمُ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ قُلْ هُوَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابُ ﴿٤٠﴾ وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كَلَّمَ بِهِ الْمَوْتَىٰ بَلِ لِلَّهِ الْأَمْرُ جَمِيعًا أَفَلَمْ يَتَّخِذِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَهْدَى النَّاسَ جَمِيعًا وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا تُصِيبُهُمْ بِمَا صَنَعُوا قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرْبًا مِنْ دَارِهِمْ حَتَّىٰ يَأْتِيَ وَعْدَ اللَّهِ إِنَّ لِلَّهِ لَا يَخْلِفُ الْأَمْعَادُ ﴿٤١﴾ وَلَقَدْ اسْتَهْزَىٰ بِرَسُولِ مِنْ قَبْلِكَ فَأَمَلَيْتُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا ثُمَّ أَخَذْتَهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ﴿٤٢﴾ أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ قُلْ سَمُّوهُمْ أَمْ تُنَبِّئُونَهُ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي الْأَرْضِ أَمْ يَبْظُهُرُ مِنَ الْقَوْلِ بَلْ زَيْنٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مَكْرَهُمْ وَصُدُّوا عَنِ السَّبِيلِ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴿٤٣﴾ لَهُمْ عَذَابٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَعَذَابٌ الْأٰخِرَةِ أَشَقُّ وَمَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَاقٍ ﴿٤٤﴾

والنفوس من هذا القرآن الذي لو أنزله الله على جبل لرأيتُه حاشعاً متصدعاً من خشية الله. ﴿وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا تُصِيبُهُمْ بِمَا صَنَعُوا قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرْبًا مِنْ دَارِهِمْ﴾ بسبب تكذيبهم؛ لانزال القوارع تصيبهم ومن حولهم ليتعظوا ويتدبروا، ﴿حَتَّىٰ يَأْتِيَ وَعْدَ اللَّهِ﴾ فتح مكة ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾ لرسله بالنصرة لهم ولأتباعهم في الدنيا والآخرة ٣٢: ﴿وَلَقَدْ اسْتَهْزَىٰ بِرَسُولِ مِنْ قَبْلِكَ﴾ فلك أسوة فيهم، ﴿فَأَمَلَيْتُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أنظرتهم ﴿ثُمَّ أَخَذْتَهُمْ﴾ أخذت رابية ﴿فَكَيفَ كَانَ عِقَابِ﴾؟ فكيف رأيت ما صنعت بهم. ٣٣: ﴿أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ﴾ حفيظ علم رقيب على كل نفس يعلم ماتعمل من خير وشر؟ ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ﴾ عبدوها معه من أصنام وأوثان ﴿قُلْ سَمُّوهُمْ﴾ أعلمونا بهم حتى يُعرفوا فإنه لاحقيقة لهم، ولهذا قال تعالى: ﴿أَمْ تُنَبِّئُونَهُ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي الْأَرْضِ﴾؟ لو كان لها وجود لعلمها لأنه لا يخفى عليه خافية، ﴿أَمْ يَبْظُهُرُ مِنَ الْقَوْلِ﴾ بظن من القول الباطل عبادتكم هذه الأصنام أنها تنفع وتضر؟ ﴿بَلْ زَيْنٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مَكْرَهُمْ﴾ ما هم عليه من الضلال، ﴿وَصُدُّوا عَنِ السَّبِيلِ﴾ صدوا الناس عن اتباع طريق الرسل ﴿وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾ ﴿مَوْفَقٌ لِلْهَدَىٰ﴾ ٣٤: ﴿لَهُمْ عَذَابٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ قتلاً وأسراً ﴿وَلِعَذَابِ الْآخِرَةِ أَشَقُّ﴾ من هذا بكثير، ﴿وَمَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَاقٍ﴾ [بتنعمهم من عذاب الله].

الآية: ٣١ روى الإمام أحمد عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «خُفِّفَ عَلَىٰ دَاوُدَ الْقُرْآنَ فَكَانَ يَأْمُرُ بِدَابَّتِهِ أَنْ تُشْرَجَ فَكَانَ يَقْرَأُ الْقُرْآنَ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُشْرَجَ دَابَّتُهُ وَكَانَ لَا يَأْكُلُ إِلَّا مِنْ عَمَلِ يَدَيْهِ» أخرجه الإمام البخاري (والمراد بالقرآن هو الزبور) . / ابن كثير ج ٢ / ٥١٥ .

٣٥: ﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وَعَدَ الْمُتَّقُونَ﴾ صفحتها ونعتها ﴿تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ سارحة في أرجائها حيث شاء أهلها يُفَجِّرونها ويصرفونها كيف شاؤوا، ﴿أَكْلُهَا دَائِمٌ وَظِلُّهَا﴾ فيها الفواكه والمطاعم والمشارب لانقطاع ولافناء، وفي الصحيحين: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ﴿إِنِّي رَأَيْتُ الْجَنَّةَ فَنَآوَلْتُ مِنْهَا عُقُودًا وَلَوْ أَخَذْتُهَا لِأَكَلْتُمْ مِنْهُ مَا بَقِيَ الدُّنْيَا﴾. وكذلك ظلها لايزول ولا يُقْلَصِرُ، وفي الصحيحين: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ﴿إِن فِي الْجَنَّةِ شَجْرَةً يَسِيرُ الرَّابِئُ الْجَمْدُ الْجَوَادُ الْمُضْمَرُ السَّرِيعُ فِي ظِلِّهَا مِائَةٌ عَامٍ لَا يَقْطَعُهَا﴾، ﴿تِلْكَ عُقْبَى الَّذِينَ اتَّقَوْا وَعُقْبَى الْكَافِرِينَ النَّارُ﴾ ٣٦: ﴿وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ﴾ وهم قاطعون بمقتضاه ﴿يَفْرَحُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾ من القرآن إما في كتبهم من الشواهد على صدقه والبشارة به، ﴿وَمِنَ الْأَحْزَابِ﴾ اليهود والنصارى ﴿مَنْ يَنْكُرُ بَعْضَهُ﴾ بعض ماجاءك من الحق ﴿قُلْ إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ وَلَا أُشْرِكَ بِهِ﴾ إنما بُعثت بعبادة الله وحده لا شريك له كما أرسل الأنبياء من قبلي، ﴿إِلَيْهِ أَدْعُوا وَإِلَيْهِ مَأْبُ﴾ إلى سبيله أَدْعُوا النَّاسَ، وإليه مرجعي ومصيري ٣٧: ﴿وَكَذَلِكَ أُنزِلْنَاهُ حِكْمًا عَرَبِيًّا﴾ أنزلنا عليك القرآن محكمًا مُعَرَّبًا شرفناك به وفضلناك على من سواك بهذا الكتاب الذي ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾، ﴿وَلِيُنِزِّلَ عَلَيْهِ آيَاتِهِ لَعَلَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ يَتَّقُونَ﴾

﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وَعَدَ الْمُتَّقُونَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾
﴿أَكْلُهَا دَائِمٌ وَظِلُّهَا تِلْكَ عُقْبَى الَّذِينَ اتَّقَوْا وَعُقْبَى الْكَافِرِينَ النَّارُ﴾ (٣٥)
﴿وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَفْرَحُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمِنَ الْأَحْزَابِ مَنْ يَنْكُرُ بَعْضَهُ قُلْ إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ وَلَا أُشْرِكَ بِهِ إِلَيْهِ أَدْعُوا وَإِلَيْهِ مَثَابُ﴾ (٣٦)
﴿وَكَذَلِكَ أُنزِلْنَاهُ حِكْمًا عَرَبِيًّا وَلِيُنِزِّلَ عَلَيْهِ آيَاتِهِ لَعَلَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ يَتَّقُونَ﴾ (٣٧)
﴿وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَفْرَحُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمِنَ الْأَحْزَابِ مَنْ يَنْكُرُ بَعْضَهُ قُلْ إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ وَلَا أُشْرِكَ بِهِ إِلَيْهِ أَدْعُوا وَإِلَيْهِ مَثَابُ﴾ (٣٨)
﴿وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَفْرَحُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمِنَ الْأَحْزَابِ مَنْ يَنْكُرُ بَعْضَهُ قُلْ إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ وَلَا أُشْرِكَ بِهِ إِلَيْهِ أَدْعُوا وَإِلَيْهِ مَثَابُ﴾ (٣٩)
﴿وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَفْرَحُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمِنَ الْأَحْزَابِ مَنْ يَنْكُرُ بَعْضَهُ قُلْ إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ وَلَا أُشْرِكَ بِهِ إِلَيْهِ أَدْعُوا وَإِلَيْهِ مَثَابُ﴾ (٤٠)
﴿وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَفْرَحُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمِنَ الْأَحْزَابِ مَنْ يَنْكُرُ بَعْضَهُ قُلْ إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ وَلَا أُشْرِكَ بِهِ إِلَيْهِ أَدْعُوا وَإِلَيْهِ مَثَابُ﴾ (٤١)
﴿وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَفْرَحُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمِنَ الْأَحْزَابِ مَنْ يَنْكُرُ بَعْضَهُ قُلْ إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ وَلَا أُشْرِكَ بِهِ إِلَيْهِ أَدْعُوا وَإِلَيْهِ مَثَابُ﴾ (٤٢)

اجاءك من العلم ﴿من الله سبحانه وتعالى﴾ مالك من الله من ولي ولا وافي ﴿هذا وعيد لأهل العلم أن يتبعوا سبيل أهل الضلالة بعدما صاروا ليه من السنة النبوية ٣٨: ﴿ولقد أرسلنا رسلاً من قبلك وجعلناهم أزواجاً وذرية﴾ كما أرسلناك يا محمد رسولاً بشرياً كذلك بعثنا المرسلين بلك بشراً يأتون الزوجات ويولد لهم، ﴿وما كان لرسول أن يأتي بآية إلا بإذن الله﴾ لم يكن يأتي قومَه بخارق إلا إذا أذن الله له فيه، ﴿لكل جليل كتاب﴾ لكل مدة مضروبة كتاب مكتوب فيها كل شيء ٣٩: ﴿يعلموا الله ما يشاء﴾ منها ﴿ويثبت﴾ يعني: حتى تُسَخِّطَ كُلُّهَا بِالْقُرْآنِ، ﴿وعنده أم الكتاب﴾ أصله ٤٠: ﴿وان ما نرينك بعض الذي نعدهم﴾ نرينك يا محمد بعض الذي نعدهم من الخزي ﴿أو تتوفيتك﴾ بل ذلك ﴿فإنما عليك البلاغ﴾ وقد بلغت ما أمرت به، ﴿وعلينا الحساب﴾ حسابهم وجزاؤهم ٤١: ﴿أولم يرؤا أنا نأتي الأرض ننقصها من أطرافها﴾ فتحت محمد صلى الله عليه وآله وسلم الأرض بعد الأرض، وهو ظهور الإسلام على الشرك قرية بعد قرية ٤٢: ﴿وقد مكر الذين من قبلهم﴾ برسلمهم وأرادوا إخراجهم من بلادهم، فمكر الله فيهم، فجعل العاقبة للمتقين، كقوله تعالى: ﴿ومكروا مكراً وهم يشعرون﴾، ﴿فإنما المكر جميعاً يعلم ما تكسب كل نفس﴾ وسيجزى كل عامل بعمله ﴿وسيعلم الكفار لمن عقبى الدار﴾ لمن تكون الدائرة العاقبة لهم أو لاتباع الرسل؟ بل هي لاتباع الرسل في الدنيا والآخرة.

الآية: ٣٥ ورد في الصحيحين من حديث ابن عباس في صلاة الكسوف وفيه قالوا يا رسول الله رأيناك تناولت شيئاً في مقامك هذا ثم رأيناك تكلمت؟ فقال: «إني رأيت الجنة أريت الجنة فتناولت منها عقوداً ولو أخذته لأكلتُ منه ما بقيت الدنيا». / ابن كثير ج ٥١٧/٢.

٤٣ : ﴿ويقول الذين كفروا لست فرسلاً﴾
 ويكذبك هؤلاء الكفار ويقولون: ما أرسلك
 الله، ﴿قل كفى بالله شهيداً بيني وبينكم﴾
 حسبي الله هو الشاهد عليّ وعليكم، ﴿ومن
 عنده علم الكتاب﴾ من اليهود والنصارى؛
 منهم ابن سلام وسلمان وتميم الداري. [وهنا
 احتجاج على مشركي العرب لأنهم كانوا
 يرجعون إلى أهل الكتاب، وهم مؤمنو أهل
 الكتاب، كعبدالله بن سلام وسلمان الفارسي
 وتميم الداري والنجاشي وأصحابه].

تفسير سورة إبراهيم

١ : ﴿التر كتاب أنزلناه إليك لتخرج الناس
 من الظلمات إلى النور﴾ هذا كتاب أنزلناه
 إليك يا محمد وهو القرآن العظيم الذي هو
 أشرف كتاب أنزله الله من السماء على أشرف
 رسول بعثه الله في الأرض؛ لتخرج الناس مما
 هم فيه من الضلال إلى الهدى ﴿بإذن
 ربهم﴾ هو الهادي لمن قدر له الهداية على
 يدي رسوله المبعوث عن أمره يهديهم ﴿إلى
 صراط العزيز الحميد﴾ العزيز: الذي لا يمانع
 ولا يغالب بل هو القاهر لكل ما سواه الحميد:
 الخمود في أفعاله وأقواله وشرعه ٢ : ﴿الله
 الذي له ما في السموات وما في الأرض﴾
 [أي: مَلِكاً وعبداً واختراعاً وخلقاً]، ﴿وويلٌ
 للكافرين من عذاب شديد﴾ وويلٌ لهم يوم
 القيامة إذا خالفوك يا محمد وكذبوك ٣ :
 ﴿الذين يستحبون الحياة الدنيا على
 الآخرة﴾ الكفار يؤثرونها على الآخرة،
 ويعملون للدنيا، ونسوا الآخرة وتركوها وراء
 ظهورهم، ﴿ويصدون عن سبيل الله﴾ وهي اتباع الرسل،
 لا يبصرها من خلفها ولا من خلفها. ﴿وأولئك في ضلال بعيد﴾
 هذا من لطفه تعالى بخلقه أن يرسل إليهم رسلاً منهم بلغاتهم ليفهموا عنهم ما أرسلوا به إليهم. ﴿فيضِلُّ الله
 من يشاء ويهدي من يشاء وهو العزيز﴾ الذي ماشاء كان وما لم يشأ لم يكن، ﴿الحكيم﴾ في أفعاله فيضِلُّ من يستحق الإضلال ويهدي من هو
 أهل لذلك ٥ : ﴿ولقد أرسلنا موسى بآياتنا﴾ التسع الآيات، ﴿أن أخرج قومك من الظلمات إلى النور﴾ ادعهم إلى الخير ليخرجوا من الجهل
 والضلال، إلى نور الهدى وبصيرة الإيمان، ﴿وذكرهم بأيام الله﴾ [أي: بوقائع الله في الأمم السالفة، يعني: الأيام التي انتقم الله فيها من الأمم
 الخالية] ﴿إن في ذلك لآيات لكل صبار شكور﴾ لكل صبار في الضراء، وشكور في السراء، وفي الصحيح عن رسول الله ﷺ أنه قال: ﴿إن
 أمر المؤمن كله عجب؛ لا يقضي الله له قضاءً إلا كان خيراً له، إن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له، وإن أصابته سراء شكر فكان خيراً له.﴾

وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلًا قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ
 شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ

سُورَةُ اِبْرٰهِيْمَ

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيْمِ

الرَّكِيْتُ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ
 إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴿١﴾
 اللَّهُ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَوَيْلٌ
 لِلْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ
 الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ
 وَيَعْتَوْنَهَا عِوَجًا أُولَٰئِكَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ ﴿٣﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا
 مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اللَّهُ
 مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٤﴾
 وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا أَنْ أَخْرِجْ
 قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَذَكِّرْهُمْ بِآيَاتِنَا
 اللَّهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٥﴾

الآية: ١ كان رسول الله ﷺ يدعو: «اللهم احفظني بالإسلام قائماً، واحفظني بالإسلام قاعداً، واحفظني بالإسلام راقداً، واتلشت في عدوياً حاسداً، اللهم إني أسألك من كل
 خير خزائنه بيديك، وأعوذ بك من كل شر خزائنه بيديك» رواه الحاكم وصححه، وهو في الأحاديث الصحيحة رقم ١٥٤٠.
 الآية: ٤ ثبت في الصحيحين عن جابر قال: قال رسول الله ﷺ: «أعطيت خمسا لم يعطهن أحد من الأنبياء قبلي: نُصرت بالربيع مسيرة شهر وجعلت لي الأرض مسجداً
 وظهوراً وأحللت لي الغنم ولم تحل لأحد قبلي وأعطيت الشفاعة وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس عامة». /تفسير ابن كثير ج ٢/٥٢٣.

الآية: ١ كان رسول الله ﷺ يدعو: «اللهم احفظني بالإسلام قائماً، واحفظني بالإسلام قاعداً، واحفظني بالإسلام راقداً، واتلشت في عدوياً حاسداً، اللهم إني أسألك من كل
 خير خزائنه بيديك، وأعوذ بك من كل شر خزائنه بيديك» رواه الحاكم وصححه، وهو في الأحاديث الصحيحة رقم ١٥٤٠.
 الآية: ٤ ثبت في الصحيحين عن جابر قال: قال رسول الله ﷺ: «أعطيت خمسا لم يعطهن أحد من الأنبياء قبلي: نُصرت بالربيع مسيرة شهر وجعلت لي الأرض مسجداً
 وظهوراً وأحللت لي الغنم ولم تحل لأحد قبلي وأعطيت الشفاعة وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس عامة». /تفسير ابن كثير ج ٢/٥٢٣.

وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنْجَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ وَيَدْحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكَ لَكُمْ بَلَاءٌ مِّنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿٦﴾ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴿٧﴾ وَقَالَ مُوسَى إِنَّ تَكْفُرًا أَنْتُمْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴿٨﴾ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ مَنِ قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ وَقَالُوا إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِء وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ ﴿٩﴾ قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُمْ مِّنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى قَالُوا إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا تُرِيدُونَ أَنْ تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَتْ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَآتُونَا بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴿١٠﴾

٦: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ﴾ حين ذَكَرَ قومه بِآيَاتِ اللَّهِ ﴿اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنْجَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ﴾ وَالْإِذْلَالَ حَيْثُ كَانُوا ﴿وَيَدْحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ﴾ يَتْرَكُونَ إِنَائِهِمْ فَاتَّقِذَهُمُ اللَّهُ مِنْ ذَلِكَ، ﴿وَفِي ذَلِكَ بَلَاءٌ مِّنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾ نِعْمَةٌ عَظِيمَةٌ فِي ذَلِكَ أَنْتُمْ عَاجِزُونَ عَنِ الْقِيَامِ بِشُكْرِهَا ٧: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ﴾ أَذَنَكُمْ وَأَعْلَمَكُمْ بِوَعْدِهِ لَكُمْ ﴿وَلَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ لَئِن شَكَرْتُمْ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ مِنْهَا، ﴿وَلَئِن كَفَرْتُمْ﴾ كَفَرْتُمْ التَّعْمُ وَجَحَدْتُمُوهَا ﴿إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ ذَلِكَ بِسُلْبِيَاهُمْ عَنْهُمْ، وَعِقَابُهُ إِيَّاهُمْ عَلَى كُفْرِهِمْ، وَقَدْ جَاءَ فِي الْحَدِيثِ: ﴿إِنَّ الْعَبْدَ لِيُحْرَمَ الرِّزْقَ بِالذَّنْبِ يُصِيبُهُ﴾ ٨: ﴿وَقَالَ مُوسَى إِنَّ تَكْفُرًا أَنْتُمْ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾، هُوَ غَنِيٌّ عَنِ شُكْرِ عِبَادِهِ، وَهُوَ الْحَمِيدُ الْحَمْدُ، وَإِنْ كَفَرْتُمْ مِنْ كُفْرِهِ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَإِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنْكُمْ﴾ ٩: ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ مَنِ قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ﴾ هَذَا مِنْ تَمَامِ كَلَامِ مُوسَى لِقَوْمِهِ فِي تَذْكِيرِهِ إِيَّاهُمْ أَيَّامَ اللَّهِ بِاتِّقَامِهِ مِنْ الْأُمِّ الْمَكْذُوبَةِ بِالرَّسْلِ، ﴿وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ﴾ بِالْحُجُجِ وَالذَّلَائِلِ الْوَاضِحَاتِ الْبَاهِرَاتِ الْقَاطِعَاتِ، ﴿فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ﴾ أَشَارُوا إِلَى أَفْوَاهِ الرِّسْلِ بِأَمْرِهِمْ بِالسُّكُوتِ، وَمَعْنَاهُ: أَنَّهُمْ كَذَّبُوهُمْ وَرَدُّوا عَلَيْهِمْ قَوْلَهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ، ﴿وَقَالُوا إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِء﴾

الْبَيْتُ

وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ ﴿٩﴾ لَأَصْدَقُكُمْ فِي جَنَّتُمْ بِهِ فَإِنَّ عِنْدَنَا فِيهِ شَكٌّ قَرِيبًا ١٠: ﴿قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ؟!﴾ يُخْبِرُ تَعَالَى عَمَّا دَارَ بَيْنَ الْكُفَّارِ وَبَيْنَ رُسُلِهِمْ مِنَ الْمَجَادَلَةِ، وَذَلِكَ أَنَّ أَمَّهُمْ لَمَّا وَجَّهُوهُمْ بِالشُّكِّ فِيمَا جَاءُوهُمْ بِهِ مِنْ عِبَادَةِ اللَّهِ وَحْدَهُ لِاشْرَاكِ لَهُ، قَالَتْ الرِّسُلُ: ﴿أَفِي اللَّهِ شَكٌّ؟!﴾ أَيْ وَجُودِهِ سَبْحَانَهُ شَكٌّ؟ فَإِنَّ الْفَطْرَ شَاهِدَةٌ بِوُجُودِهِ، وَجَبُولَةٌ عَلَى الْإِقْرَارِ بِهِ؛ فَإِنَّ الْاعْتِرَافَ بِهِ سَبْحَانَهُ ضَرُورِي فِي الْفَطْرِ السَّلِيمَةِ، وَلَكِنْ قَدْ يَعْضُ لِبَعْضِهَا شَكٌّ وَاضْطِرَابٌ فَتَحْتَاجُ إِلَى النَّظَرِ فِي الدَّلِيلِ الْمُوَصِّلِ إِلَى وَجُودِهِ سَبْحَانَهُ، وَلِهَذَا قَالَتْ لَهُمُ الرُّسُلُ تَرْتَدُّوهُمْ إِلَى طَرِيقِ مَعْرِفَتِهِ تَعَالَى؛ بَأَنَّهُ ﴿فَاطِرُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ الَّذِي خَلَقَهُمَا وَابْتَدَعَهُمَا عَلَى غَيْرِ مِثَالٍ سَبَقَ. ﴿يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُمْ مِّنْ ذُنُوبِكُمْ﴾ فِي الْآخِرَةِ، ﴿وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ فِي الدُّنْيَا ﴿قَالُوا إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا تُرِيدُونَ أَنْ تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَتْ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا﴾! كَيْفَ تَتَّبِعُكُمْ بِمَجْرَدِ قَوْلِكُمْ وَمَا تَرَى مِنْكُمْ مَعْجَزَةٌ ﴿فَآتُونَا بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ﴾ خَارِقٌ نَفَرَحَهُ عَلَيْكُمْ.

الآية : ٧ روى مسلم والنسائي والترمذي وحسنه عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « إن الله ليرضى عن العبد أن يأكل الأكلة ، فيحمده عليها ، ويشرب الشربة ، فيحمده عليها » . وروى الطبراني وابن جبان في صحيحه عن ابن عباس (أن رسول الله ﷺ قدّم له طعاماً هو وأبو بكر وعمر [فقال : « خبزٌ ولحمٌ وتمرٌ وبُسْرٌ ورَطْبٌ ، ودمعٌ عيناٌ » ، والذي نفسي بيده إن هذا هو النعم الذي تُسألون عنه يوم القيامة ، فكثّر على أصحابه ، فقال : بل إذا أصبتم مثل هذا ، فضربتم بأيديكم ، فقولوا : بسم الله ، فإذا شبعتم فقولوا : الحمد لله الذي أشبعنا ، وأنعم علينا فأفضل ، فإن هذا كخاف بهذا » ، الحديث بطوله ../التريغيب ج ١٤٩/٣ - ١٥٠ .

١١: ﴿قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِنْ نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾ صحيح إنا بشرٌ مثلكم في البشرية ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ يُنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيَنْسُجُ فِيهِ رِشْقًا وَإِنَّا لَآبَازِنُونَ﴾ بالرسالة والنبوة ﴿وَمَا كَانَ لَنَا أَنْ نَأْتِيَكُمْ بِسُلْطَانٍ﴾ على وفق مسألتكم ﴿إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ سؤالتنا إياه، وإذنه لنا في ذلك ﴿وَعَلَى اللَّهِ فليتوكل المؤمنون﴾ في جميع أمورهم. ثم قالت الرسل: ١٢: ﴿وَمَا لَنَا أَلَّا نتوكل على الله؟ وما يمنعنا من التوكل عليه﴾ وقد هدانا سُبُلَنَا ﴿لأقوم الطرق وأوضحها وأينها، ﴿وَلتصبرنَّ على ما أذيتُمونا﴾ من الكلام السيء والأفعال السخيفة ﴿وَعَلَى اللَّهِ فليتوكل المتوكلون﴾ ١٣: ﴿وقال الذين كفروا لرسولهم لنخرجنكم من أرضنا﴾ يخبر تعالى عما توعدت به الأمم الكافرة رسولهم من الإخراج من أرضهم والنفي من بين أظهرهم، كما قال قوم شعيب له ولئن آمن به: ﴿لنخرجنك يا شعيب والذين آمنوا معك من قريتنا﴾ وكما قال قوم لوط: ﴿أخرجوا آل لوط من قريتهم﴾ الآية. ﴿أو لتعودنَّ في ملتان﴾، [حتى تعودوا إلى ديننا]، ﴿فأوحى إليهم ربهم لنهلكن الظالمين﴾ وكما قال تعالى: ﴿ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين إنا أنزلنا من السماء ماء فأنزلنا به الحبوب والنبات والبراري﴾ وقال تعالى: ﴿كتب الله لأغلبنَّ أنا ورسلي إن الله قويٌ عزيزٌ﴾ ١٤: ﴿ولتسكننكم الأرض من بعدهم﴾ كما قال موسى لقوميه ﴿استعينوا بالله واصبروا إن الأرض يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين﴾، ﴿ذلك لمن خاف

قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِنْ نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَمَا كَانَ لَنَا أَنْ نَأْتِيَكُمْ بِسُلْطَانٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَى اللَّهِ فليتوكل المؤمنون ﴿١١﴾ وَمَا لَنَا أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ وَقَدْ هَدانا سُبُلَنَا وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَىٰ مَا أذيتُمونا وَعَلَى اللَّهِ فليتوكل المتوكلون ﴿١٢﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّسُلُهُمْ لَنُخْرِجَنَكُمْ مِنْ أَرْضِنَا أَوْ لَنَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ الظَّالِمِينَ ﴿١٣﴾ وَلتسكننكم الأرض من بعدهم ذلك لمن خاف مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ ﴿١٤﴾ وَأستفتحوا وَخَافَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴿١٥﴾ مِنْ رَأْيِهِ جَهَنَّمَ وَيُسْقَىٰ مِنْ مَاءٍ صَدِيدٍ ﴿١٦﴾ يَتَجَرَّعُهُ وَلَا يَكَادُ يُسِغُهُ وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ وَمِنْ رَأْيِهِ عَذَابٌ غَلِيظٌ ﴿١٧﴾ مِثْلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَلُهُمْ كَرَمًا اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ لَا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَىٰ شَيْءٍ ذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ ﴿١٨﴾

مقامي وخاف وعيد وعيد هذا لمن خاف مقامه بين يدي يوم القيامة، وخشي من وعيدي؛ وهو تخوفي وعذابي ١٥: ﴿واستفتحوا وخاف كل جبار عنيد﴾ واستنصرت الرسل ربها على قومها، ﴿وخاف كل جبار﴾ متعجباً في نفسه ﴿وعنيد﴾ معاند للحق ١٦: ﴿من ورأيه جهنم﴾ من وراء الجبار العنيد جهنم، أي: هي له بالمرصاد يسكنها مخلداً، ﴿ويُسقى من ماء صديد﴾ في النار، ليس له شراب إلا من حميم وغساق في غاية النتن، والصديد من القح والدم، وهو مايسيل من جوف الكافر ١٧: ﴿يتجرعه﴾، [أي: يتحسأه جرعاً لامة واحدة لمرارته وحرارته]، ﴿ولا يكاد يسغفه﴾ يرده لسوء طعمه ولونه وريحه وحرارته أو برده الذي لا يستطاع. ﴿ويأتيه الموت من كل مكان﴾ يأثم له جمع بدنه حتى أطراف شعره، ﴿وما هو بميت﴾ [أي: لا يموت فيستريح] ﴿ومن ورأيه عذاب غليظ﴾ مؤلم صعب شديد أعظم من الذي قبله وأدهى وأمر ١٨: ﴿مثل الذين كفروا بربهم أعمالهم كرماد اشتدت به الريح في يوم عاصف﴾ هذا مثل ضربه الله لأعمال الكفار، ﴿لا يقدرون مما كسبوا على شيء﴾ لم يقدروا على شيء من أعمالهم إلا كما يقدرون على جمع هذا الرماد، ﴿ذلك هو الضلال البعيد﴾ [أي: الحسران الكبير].

الآية: ١٢. روى الترمذي بإسناد حسن وأبو داود عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ قَالَ [يعني إذا خرج من بيته] بِسْمِ اللَّهِ تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ؛ يُقَالُ لَهُ: مُدْبِتٌ وَكُفَيْتَ وَوُقِيَتْ، وَتَنَحَّى عَنْ الشَّيْطَانِ». . روى الترمذي بإسناد حسن صحيح وأبو داود عن أم المؤمنين أم سلمة رضي الله عنها أن النبي ﷺ كان إذا خرج من بيته قال: «بِسْمِ اللَّهِ تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَضِلَّ أَوْ أُضِلَّ، أَوْ أَزِلَّ أَوْ أُزَلَّ، أَوْ أَظْلَمَ أَوْ أُظْلَمَ، أَوْ أَجْهَلَ أَوْ يُجْهَلَ عَلَيَّ». / رياض الصالحين/ ٦٢.

١٩: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ﴾؟ يُخبر تعالى عن قدرته على معاد الأبدان يوم القيامة بأنه خلق السموات والأرض التي أكبر من خلق الناس؛ أفليس الذي قدر على خلق هذه بقادر على أن يحيي الموتى؟ ﴿إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ [أفضل منكم وأطوع] ٢٠: ﴿وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ﴾ بعظيم ولا مُمتنع، بل هو سهل عليه، إذا خالفتم أمره؛ أن يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِآخَرِينَ عَلَى غَيْرِ صِفَتِكُمْ ٢١: ﴿وَيُرِزُوا لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ برزت الخلائق كلها لله، أي: اجتمعوا لله الواحد القهار في براز من الأرض، وهو المكان الذي ليس فيه شيء يستتر أحدًا، ﴿فَقَالَ الضُّعَفَاءُ﴾ وهم الأتباع لقادتهم وسادتهم ﴿لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا﴾ عن عبادة الله، قالوا لهم: ﴿إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا﴾ مهما أمرتمونا أتتروا وفضلنا ﴿فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ﴾؟ هل تدفعون عنا شيئاً من عذاب الله كما كنتم تدعوننا؟ فقالت لهم القادة: ﴿لَوْ هَدَانَا اللَّهُ لَهْدِينَا﴾ ولكن حق علينا قول ربنا، وحق كلمة العذاب على الكافرين، ﴿سِوَاءَ عَلَيْنَا أَجْرُ غَنَّا أَمْ صَبْرْنَا مَا لَنَا مِنْ مَحِيصٍ﴾ ليس لنا خلاصٌ مِنَّا نحنُ فيه ٢٢: ﴿وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ﴾ خاطب الشيطان إبليس أتباعه بعدما قضى الله بين عباده فأدخل المؤمنين الجنة، وأسكن الكافرين الدركات، ليزيدهم حزناً إلى حزنهم: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ﴾ على ألسنة رسله، ﴿وَوَعَدْتُمْ فَأَخْلَفْتُمْ وَمَا كَانَ

أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٩﴾ وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴿٢٠﴾ إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ قَالُوا لَوْ هَدَدْنَا اللَّهَ لَهْدَيْنَاكُمْ سِوَاءَ عَلَيْنَا أَجْرُ غَنَّا أَمْ صَبْرْنَا مَا لَنَا مِنْ مَحِيصٍ ﴿٢١﴾ وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَاخْلَفْتُمْ وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تُلْمُوْنِي وَلَوْ كُنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِي إِيَّايَ كَفَرْتُمْ بِمَا أَشْرَكْتُمْ مِنْ قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٢﴾ وَأَدْخِلِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ يُحِبُّونَ فِيهَا سَلَامٌ ﴿٢٣﴾ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ ﴿٢٤﴾

لي عليكم من سلطانٍ إلا أن دعوتكم فاستجبتم لي ﴿ بمجرد ذلك ﴿فَلَا تُلْمُوْنِي﴾ اليوم ﴿وَلَوْ كُنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ﴾ فإن الذنب لكم لكونكم خالفتم الحق واتبعتموني بمجرد مادعوتكم إلى الباطل، ﴿مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ﴾ بنافعكم ومنقذكم ومخلصكم مِنَّا أنتم فيه، ﴿وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِي﴾ بنافعي بإنقاذي مِنَّا أنا فيه من العذاب، ﴿إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمْ مِنْ قَبْلُ﴾ إني جحدت أن أكون شريكاً لله، ﴿إِنَّ الظَّالِمِينَ﴾ في إعرابهم عن الحق واتباعهم الباطل ﴿لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ ٢٣: ﴿وَأَدْخِلِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ سارحة فيها حيث ساروا وأبن ساروا ﴿خَالِدِينَ فِيهَا﴾ لا يمحولون ولا يزلون، ﴿بِإِذْنِ رَبِّهِمْ﴾، [أي: بأمره]، ﴿تَحْتِهَا فِيهَا سَلَامٌ﴾ كما قال تعالى: ﴿وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ﴾ ٢٤: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً﴾ وهي شهادة أن لا إله إلا الله ﴿كَشَجَرَةٍ﴾ وهو المؤمن [الناطق بها] ﴿أَصْلُهَا ثَابِتٌ﴾ يقول: لا إله إلا الله في قلب المؤمن ﴿وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ﴾ يُرْفَعُ بِهَا عَمَلُ الْمُؤْمِنِ إِلَى السَّمَاءِ فِي كُلِّ حِينٍ.

الآية ٢٢: كان رسول الله ﷺ يقول: «أعزذ بالله من الشيطان الرجيم من نفيخه ونفيخه وهمره» رواه أبو داود رقم ٧٦٤/١ وكان يقول: «وأعزذ بك أن يتخبطني الشيطان عند الموت» صحيح الجامع الصغير ج ١/٢٧٥.

الآية ٢٤: روى البخاري عن ابن عمر قال: كنا عند رسول الله ﷺ، فقال: «أحزوني عن شجرة تشبه أو كالرجل المسلم - لا يتحاث ورفها صيفاً ولا شتاءً وتؤتي أكلها كل حين بإذن ربها»؟ قال: ابن عمر فوقع في نفسي أنها النخلة، ورأيت أبا بكر وعمر لا يتكلمان فكرهت أن أتكلم فلما لم يقلوا شيئاً قال رسول الله ﷺ: «هي النخلة» فلما قلنا قلت لعمر: يا أباها والله لقد كان وقع في نفسي أنها النخلة قال ما منعك أن تتكلم؟ قلت لم أركم تتكلمون فكرهت أن أتكلم أو أقول شيئاً، قال عمر: لأن يكون قلتها أحب إلي من كذا وكذا». / ابن كثير ج ٢/ ٥٣٠.

٢٥: ﴿تَوَاتُ أَكْلَهَا كُلِّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا﴾؛
 إن المؤمن مثله كمثل شجرة لا يزال يوجد منها
 ثمر في كل وقت، وكذلك المؤمن لا يزال يُرفع
 له عمل صالح أثناء الليل وأطراف النهار في كل
 وقت وحين ﴿بِإِذْنِ رَبِّهَا﴾ كلاماً حسناً
 كثيراً طيباً مباركاً، ﴿وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ
 لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ ٢٦: ﴿وَمِثْلُ
 كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ﴾ هذا مثل
 [ضربه الله] للكافر، لأصل له ولائيات،
 مُشَبَّهَةٌ بِشَجَرَةِ الْخِطَلِ، ﴿اجْتَسَّتْ﴾
 استوصصت ﴿مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ
 قَرَارٍ﴾ لأصل لها ولائيات؛ كذلك الكفر
 لأصل له ولا فرع، ولا يصعد للكافر عمل
 ولا يقبل منه شيء ٢٧: ﴿يُنَبِّئُ اللَّهُ الَّذِينَ
 آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي
 الْآخِرَةِ﴾، روى البخاري: أن رسول الله
 صلى الله عليه وآله وسلم قال: «المسلم إذا
 سُئِلَ فِي الْقَبْرِ شَهِدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا
 رَسُولُ اللَّهِ»، فذلك قوله: ﴿يُنَبِّئُ اللَّهُ الَّذِينَ
 آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا
 وَفِي الْآخِرَةِ﴾. ﴿وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ﴾ [أي:
 عن حجبتهم في قبورهم كما ضلُّوا في الدنيا
 بكفرهم]. ﴿وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾ ٢٨:
 ﴿الَّذِينَ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَأَقْرَبُوا
 إِلَى اللَّهِ أُولَئِكَ يُرَبِّعُ اللَّهُ لَهُمْ يَسِّرُ
 لَهُمُ الْعَمَلَهُمْ وَيَجْعَلُ لَهُمُ الْحَدِيثَ دِرْهَمَ
 بَدْرِيٍّ يُضَلِّلُ لَهُمُ الْمَسْجِدَ وَالْمَذَابَ
 وَإِنَّ اللَّهَ لَعَلِيمٌ عَلِيمٌ﴾ ٢٩: ﴿وَيَفْعَلُ
 اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾ ٣٠: ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ
 أَنْدَادًا﴾ ٣١: ﴿قُلْ لَئِنِ
 سَأَلْتُمُوهُنَّ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَعْبُدُهُنَّ
 مِمَّا يَدْعُونَهُنَّ مِن دُونِ اللَّهِ فَاعْبُدْنَ
 اللَّهَ يَكْفُرَ بِكُمُ الْمُشْرِكُونَ﴾ ٣٢: ﴿وَيَفْعَلُ
 اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾ ٣٣: ﴿وَيَفْعَلُ
 اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾ ٣٤: ﴿وَيَفْعَلُ
 اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾ ٣٥: ﴿وَيَفْعَلُ
 اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾ ٣٦: ﴿وَيَفْعَلُ
 اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾ ٣٧: ﴿وَيَفْعَلُ
 اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾ ٣٨: ﴿وَيَفْعَلُ
 اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾ ٣٩: ﴿وَيَفْعَلُ
 اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾ ٤٠: ﴿وَيَفْعَلُ
 اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾ ٤١: ﴿وَيَفْعَلُ
 اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾ ٤٢: ﴿وَيَفْعَلُ
 اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾ ٤٣: ﴿وَيَفْعَلُ
 اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾ ٤٤: ﴿وَيَفْعَلُ
 اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾ ٤٥: ﴿وَيَفْعَلُ
 اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾ ٤٦: ﴿وَيَفْعَلُ
 اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾ ٤٧: ﴿وَيَفْعَلُ
 اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾ ٤٨: ﴿وَيَفْعَلُ
 اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾ ٤٩: ﴿وَيَفْعَلُ
 اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾ ٥٠: ﴿وَيَفْعَلُ
 اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾ ٥١: ﴿وَيَفْعَلُ
 اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾ ٥٢: ﴿وَيَفْعَلُ
 اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾ ٥٣: ﴿وَيَفْعَلُ
 اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾ ٥٤: ﴿وَيَفْعَلُ
 اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾ ٥٥: ﴿وَيَفْعَلُ
 اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾ ٥٦: ﴿وَيَفْعَلُ
 اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾ ٥٧: ﴿وَيَفْعَلُ
 اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾ ٥٨: ﴿وَيَفْعَلُ
 اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾ ٥٩: ﴿وَيَفْعَلُ
 اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾ ٦٠: ﴿وَيَفْعَلُ
 اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾ ٦١: ﴿وَيَفْعَلُ
 اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾ ٦٢: ﴿وَيَفْعَلُ
 اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾ ٦٣: ﴿وَيَفْعَلُ
 اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾ ٦٤: ﴿وَيَفْعَلُ
 اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾ ٦٥: ﴿وَيَفْعَلُ
 اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾ ٦٦: ﴿وَيَفْعَلُ
 اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾ ٦٧: ﴿وَيَفْعَلُ
 اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾ ٦٨: ﴿وَيَفْعَلُ
 اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾ ٦٩: ﴿وَيَفْعَلُ
 اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾ ٧٠: ﴿وَيَفْعَلُ
 اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾ ٧١: ﴿وَيَفْعَلُ
 اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾ ٧٢: ﴿وَيَفْعَلُ
 اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾ ٧٣: ﴿وَيَفْعَلُ
 اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾ ٧٤: ﴿وَيَفْعَلُ
 اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾ ٧٥: ﴿وَيَفْعَلُ
 اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾ ٧٦: ﴿وَيَفْعَلُ
 اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾ ٧٧: ﴿وَيَفْعَلُ
 اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾ ٧٨: ﴿وَيَفْعَلُ
 اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾ ٧٩: ﴿وَيَفْعَلُ
 اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾ ٨٠: ﴿وَيَفْعَلُ
 اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾ ٨١: ﴿وَيَفْعَلُ
 اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾ ٨٢: ﴿وَيَفْعَلُ
 اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾ ٨٣: ﴿وَيَفْعَلُ
 اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾ ٨٤: ﴿وَيَفْعَلُ
 اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾ ٨٥: ﴿وَيَفْعَلُ
 اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾ ٨٦: ﴿وَيَفْعَلُ
 اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾ ٨٧: ﴿وَيَفْعَلُ
 اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾ ٨٨: ﴿وَيَفْعَلُ
 اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾ ٨٩: ﴿وَيَفْعَلُ
 اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾ ٩٠: ﴿وَيَفْعَلُ
 اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾ ٩١: ﴿وَيَفْعَلُ
 اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾ ٩٢: ﴿وَيَفْعَلُ
 اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾ ٩٣: ﴿وَيَفْعَلُ
 اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾ ٩٤: ﴿وَيَفْعَلُ
 اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾ ٩٥: ﴿وَيَفْعَلُ
 اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾ ٩٦: ﴿وَيَفْعَلُ
 اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾ ٩٧: ﴿وَيَفْعَلُ
 اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾ ٩٨: ﴿وَيَفْعَلُ
 اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾ ٩٩: ﴿وَيَفْعَلُ
 اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾ ١٠٠: ﴿وَيَفْعَلُ
 اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾

تَوَاتُ أَكْلَهَا كُلِّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ
 لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾ وَمِثْلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ
 كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُسَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ
 ﴿٢٦﴾ يُنَبِّئُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ
 الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ
 اللَّهُ مَا يَشَاءُ ﴿٢٧﴾ ﴿الَّذِينَ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَأَقْرَبُوا
 إِلَى اللَّهِ أُولَئِكَ يُرَبِّعُ اللَّهُ لَهُمْ يَسِّرُ لَهُمُ الْعَمَلَهُمْ
 وَيَجْعَلُ لَهُمُ الْحَدِيثَ دِرْهَمَ بَدْرِيٍّ يُضَلِّلُ لَهُمُ الْمَسْجِدَ
 وَالْمَذَابَ وَإِنَّ اللَّهَ لَعَلِيمٌ عَلِيمٌ﴾ ﴿٢٩﴾ ﴿وَيَفْعَلُ
 اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾ ﴿٣٠﴾ ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا لِيُضِلُّوهُ
 عَنْ سَبِيلِهِ قُلْ
 تَمَتَّعُوا فَإِن مَصِيرَكُمْ إِلَى النَّارِ ﴿٣٠﴾ قُلْ لِعِبَادِيَ الَّذِينَ
 آمَنُوا يُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً
 مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعَ فِيهِ وَلَا خِلَالَ ﴿٣١﴾ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ
 السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ
 بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ
 فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ ﴿٣٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُمُ
 الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبِينَ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ ﴿٣٣﴾

نعمة الله واحلوا قومهم دار البوار، وهي جهنم ٢٩: ﴿جهنم يصلونها ويئس القرار﴾ [أي: بس المستقر] ٣٠: ﴿وجعلوا لله أنداداً﴾ شركاء
 عبدها معه ودعوا الناس إليها ﴿ليضلوا عن سبيله﴾ ﴿تمتعوا فإن مصيركم إلى النار﴾ مرجعكم وموتلكم إليها [وفي الآية تهديد لهم] ٣١: ﴿قل
 لعبادي الذين آمنوا يقيموا الصلاة وينفقوا مما رزقناهم سراً وعلانية﴾ يأمر تعالى عباده بطاعته والقيام بحقه والإحسان إلى خلقه ﴿من قبل أن
 يأتي يوم﴾ وهو يوم القيامة ﴿لا يبيع فيه ولا خلال﴾ لا يقبل من أحد فدية، وليس هناك مخالفة خليل تنفعه صداقته ولا شفاعة ٣٢: ﴿اللهم الذي
 خلق السموات والأرض وأنزل من السماء ماء﴾ يُعَدُّ اللهُ نِعْمَهُ عَلَى خَلْقِهِ بأن خلق لهم السموات سقفاً محفوظاً والأرض فراشاً،
 ﴿فأخرج به﴾ بماء السماء ﴿من الثمرات رزقاً لكم وسخر لكم الفلك﴾ [أي: السفن] ﴿لتجري في البحر بأمره وسخر لكم الأنهار﴾ رزقاً
 للعباد من شرب وسقي ٣٣: ﴿وسخر لكم الشمس والقمر دائبين﴾ يسيران لا يفتران ليلاً ولا نهاراً، ﴿وسخر لكم الليل والنهار﴾ يُغْشَى اللَّيْلُ
 النهار يطلبه حثيثاً، فالشمس والقمر يتعاقبان، والليل والنهار يتعارضان، فتارة يأخذ هذا من هذا فيطول، ثم يأخذ الآخر من هذا فيقصر ﴿يولج
 الليل في النهار ويولج النهار في الليل، وسخر الشمس والقمر كل يجري لأجل مسمى ألا هو العزيز الغفار﴾.

الآية: ٢٧ روى البخاري عن البراء بن عازب رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «المسلم إذا سئل في القبر شهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله فذلك قوله ﴿يُنَبِّئُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾. ورواه مسلم أيضاً. / ابن كثير ج ٥٣١/٢.

وَأَتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعَدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ
لَا تُحْصَوْهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿٣٤﴾ وَإِذْ
قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ
أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ ﴿٣٥﴾ رَبِّ إِنَّهُمْ أَضَلُّنَّ كَثِيرًا مِنْ النَّاسِ
فَمَنْ تَبِعْنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٣٦﴾
رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بُيُوتَ عِبَادٍ ذِي زُرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ
الْمَحْرَمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْعَدَةً مِنَ النَّاسِ
تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴿٣٧﴾
رَبَّنَا إِنَّكَ تَعَلَّمَ مَا خَفِيَ وَمَا نُعَلِّمُ وَمَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ
فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ ﴿٣٨﴾ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي
عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ ﴿٣٩﴾
رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ
دُعَاءَ ﴿٤٠﴾ رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ
الْحِسَابُ ﴿٤١﴾ وَلَا تَحْسَبِ أَنَّ اللَّهَ غَفْلًا عَمَّا يَعْمَلُ
الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ ﴿٤٢﴾

٢٦٠

٣٤: ﴿وَأَتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ﴾ هَيْئًا لَكُمْ
كُلِّ مَا تَحْتَاجُونَ إِلَيْهِ فِي جَمِيعِ أَحْوَالِكُمْ وَمِمَّا
تَسْأَلُونَهُ بِحَالِكُمْ، ﴿وَإِنْ تَعَدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا
تُحْصَوْهَا﴾ يَعْبُرُ الْعِبَادَ عَنْ تَعْدَادِ النِّعْمِ
فَضْلًا عَنِ الْقِيَامِ بِشُكْرِهَا، ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ﴾
[لَفِظَ الْإِنْسَانَ جِنْسًا وَأَرَادَ بِهِ الْخِصْصَ، وَهِيَ
الْكَفَّارُ]، ﴿لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾: ٣٥: ﴿وَإِذْ قَالَ
إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ﴾ مَكَّةَ الْبَلَدِ
الْحَرَامِ ﴿آمِنًا﴾ وَقَدْ اسْتَجَابَ اللَّهُ لَهُ فَقَالَ
تَعَالَى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا﴾،
﴿وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا﴾، ﴿وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ
نُعْبُدَ الْأَصْنَامَ﴾، يَنْبَغِي لِكُلِّ دَاعٍ أَنْ يَدْعُو
لِنَفْسِهِ وَلِوَالِدَيْهِ وَلِذُرِّيَّتِهِ ٣٦: ﴿رَبِّ إِنَّهُمْ
أَضَلُّنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ﴾، لَمَّا كَانَتْ سَبَابًا
لِلْإِضْلَالِ أَضَافَ الْفِعْلَ إِلَيْهَا بِمَجَازٍ ﴿فَمَنْ
تَبِعْنِي فَإِنَّهُ مِنِّي﴾ [أَي: مِنْ أَهْلِ دِينِي] ﴿وَمَنْ
عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [أَي: مَنْ تَابَ
قَبْلَ الْمَوْتِ] ٣٧: ﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ
ذُرِّيَّتِي بُيُوتَ غَيْرِ ذِي زُرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ
الْمَحْرَمِ﴾ وَذَلِكَ قَبْلَ بِنَاءِ الْبَيْتِ، ﴿رَبَّنَا لِيُقِيمُوا
الصَّلَاةَ﴾ إِنَّمَا جَعَلْتَهُ مَحْرَمًا لِيَتِمَّكَنَ أَهْلُهُ مِنَ
إِقَامَةِ الصَّلَاةِ عِنْدَهُ، ﴿فَاجْعَلْ أَفْعَدَةً مِنَ
النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ﴾، فَاخْتَصَّ بِهِ الْمُسْلِمُونَ،
﴿وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ﴾ لِيَكُونَ ذَلِكَ عَوْنًا لَهُمْ
عَلَى طَاعَتِكَ، وَكَأَنَّ هَذَا غَيْرُ ذِي زُرْعٍ فَاجْعَلْ
لَهُمْ ثَمَرًا يَأْكُلُونَهَا، وَقَدْ اسْتَجَابَ اللَّهُ ذَلِكَ، كَمَا
قَالَ تَعَالَى: ﴿أَوَلَمْ نَمَكِّنْ لَهُمْ حَرَمًا آمِنًا يُجْبَى
إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ رِزْقًا مِنْ لَدُنَّا﴾ وَهَذَا مِنْ
لُطْفِ تَعَالَى وَرَحْمَتِهِ وَبِرَكَتِهِ ٣٨: ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ

تَعَلَّمَ مَا خَفِيَ وَمَا نُعَلِّمُ وَمَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ﴾ أَنْتَ تَعَلَّمَ قَصْدِي فِي دُعَائِي لِأَهْلِ هَذَا الْبَلَدِ فَإِنَّكَ تَعَلَّمَ الْأَشْيَاءَ كُلَّهَا ظَاهِرًا وَبَاطِنًا
لَا يَخْفَى عَلَيْكَ مِنْهَا شَيْءٌ ﴿فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ﴾: ٣٩: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ﴾ عَلَى كِبَرِ سِنِّي وَسَنِّ
امْرَأَتِي، ﴿إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾ يَسْتَجِيبُ لِمَنْ دَعَاهُ ٤٠: ﴿رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ﴾ حَافِظًا عَلَيْهَا مَقْبِلًا لِحُدُودِهَا ﴿وَمِنْ ذُرِّيَّتِي﴾ كَذَلِكَ
مُقِيمِينَ لَهَا ﴿رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءَ﴾ فِيمَا سَأَلْتُكَ فِيهِ كُلَّهُ ٤١: ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ﴾ وَكَانَ هَذَا قَبْلَ أَنْ يَتَبَرَّأَ مِنْ أَبِيهِ لَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ عِدَاوَتُهُ لِلَّهِ عَزَّ
وَجَلَّ، ﴿وَالْمُؤْمِنِينَ﴾ كُلَّهُمْ ﴿يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ﴾ فَتَجَازِيهِمْ بِأَعْمَالِهِمْ ٤٢: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ يَا مُحَمَّدُ﴾ اللَّهُ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِذَا
أَنْظَرَهُمْ وَأَجْلَلَهُمْ أَنَّهُ غَافِلٌ عَنْهُمْ مَهْمَلٌ لَهُمْ لَا يَعَاقِبُهُمْ عَلَى صَنْعِهِمْ، ﴿إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ﴾ مِنْ شِدَّةِ
الْأَهْوَالِ فِيهِ.

الآية: ٣٤ كان رسول الله ﷺ يقول بعد الركوع: «اللهم ربنا لك الحمد ملء السموات وملء الأرض، وملء ما بينهما، وملء ما شئت من شيء بعد، أهل الثناء والمجد، أحق ما قال العبد، وكلنا لك عبد. اللهم لمانع لما أعطيت، ولأمعطي لما منعت، ولا ينفع ذا الجد منك الجد» رواه مسلم في صحيحه رقم ٤٧٧/.

الآية: ٣٤ ورد في صحيح البخاري أن رسول الله ﷺ كان يقول: «اللهم لك الحمد غير مكفي ولا مودع ولا مستغنى عنه ربنا».

الآية: ٣٦ قال عبد الله بن وهب عن عبد الله بن عمر أن رسول الله ﷺ تلا قول إبراهيم عليه السلام ﴿رَبِّ إِنَّهُمْ أَضَلُّنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ﴾ الآية وقول عيسى عليه السلام ﴿وَإِنْ تَعَدَّبْتُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ﴾ الآية ثم رفع يديه ثم قال: «اللهم أمي اللهم أمي اللهم أمي» وبكى فقال الله: اذهب يا جبريل إلى محمد وربك أعلم وسله ما يبكيك؟ فأتاه جبريل عليه السلام فسأله فأخبره رسول الله ﷺ ما قال: فقال الله اذهب إلى محمد فقل له إنا سنزيك في أمك ولا نسوؤك. / ابن كثير ج ٢/ ٥٤٠.

٤٣: ﴿مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُؤُوسِهِمْ﴾ مسرعين إلى الداع غير رافعي رؤوسهم ﴿لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ﴾ أبصارهم ظاهرة شاخصة مديون النظر لكثرة ما هم فيه من الهول والخافة، ﴿وَأَفْتَدْتَهُمْ هَوَاءً﴾ وقلوبهم خالية ليس فيها شيء لكثرة الوجل والخوف ٤٤: ﴿وَأَنْذِرِ النَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ فَيَقُولُ الَّذِينَ ظَلَمُوا رَبَّنَا أَخْرَنَا إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ نَحْبُ دَعْوَتِكَ وَتَنَجَّيْنَاكَ مِنَ الْإِسْرَائِيلَ أَفَسَمْتُمْ مِنْ قَبْلِ مَا لَكُم مِّنْ زَوَالٍ﴾ وسكنتم في مساكن الذين ظلموا أنفسهم، [وهي بلاد حمود ونحوهم]، ﴿وَتَبَيَّنَ لَكُم كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا الْأَمْثَالَ﴾ قد رأيتم وبلغكم ما حللنا بالأمم المكذبة قبلكم، ومع هذا لم يكن لكم فيهم معتبر ولم يكن فينا أوقعتنا بهم لكم مزدجر ﴿حِكْمَةٌ بِاللَّغَةِ فَمَا تُغْنِي التَّذَكُّرَ﴾ ٤٦: ﴿وَقَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ﴾ [أي: بالشرك، وتكذيب الرُّسُلِ والمعادنة]، ﴿وَعِنْدَ اللَّهِ﴾ [جزاء] ﴿مَكْرَهُمْ﴾، ﴿وَإِنَّ مَكْرَهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ﴾ إن شركهم لتزول منه الجبال كقوله تعالى: ﴿تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ﴾ ٤٧: ﴿فَلَا تَحْسِبَنَّ اللَّهُ مُخْلِفاً وَعْدِهِ رُسُلَهُ﴾ إن الله عزيز نصرتهم في الدنيا ويوم يقوم الأشهاد، ﴿إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ﴾ ذو عزة لا يمتنع عليه

مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُؤُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْتَدْتَهُمْ هَوَاءً ﴿٤٣﴾ وَأَنْذِرِ النَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ فَيَقُولُ الَّذِينَ ظَلَمُوا رَبَّنَا أَخْرَنَا إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ نَحْبُ دَعْوَتِكَ وَتَنَجَّيْنَاكَ مِنَ الْإِسْرَائِيلَ أَفَسَمْتُمْ مِنْ قَبْلِ مَا لَكُم مِّنْ زَوَالٍ ﴿٤٤﴾ وَسَكَنْتُمْ فِي مَسَاكِنِ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُم كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمُ الْأَمْثَالَ ﴿٤٥﴾ وَقَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ وَعِنْدَ اللَّهِ مَكْرَهُمْ وَإِن كَانَتْ مَكْرَهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ ﴿٤٦﴾ فَلَا تَحْسِبَنَّ اللَّهُ مُخْلِفاً وَعْدِهِ رُسُلَهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ ﴿٤٧﴾ يَوْمَ تَبَدَّلَ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ ﴿٤٨﴾ وَتَرَى الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقْرَنِينَ فِي الْأَصْفَادِ ﴿٤٩﴾ سَرَابِيلُهُمْ مِّنْ قَطْرَانٍ وَتَعْشَىٰ جُوهُهُمْ النَّارُ ﴿٥٠﴾ لِيَجْزِيَ اللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿٥١﴾ هَذَا بَلَاغٌ لِلنَّاسِ وَلِيُنذِرُوا بِهِ وَيَلْعَلُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَهُ الْوَاحِدِ وَلِيَذَّكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٥٢﴾

شيء أراداه ولا يغالب وهو ذو انتقام من كفر به ٤٨: ﴿يَوْمَ تَبَدَّلَ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ﴾ وَعَدُهُ هَذَا حَاصِلٌ يَوْمَ تَبَدَّلَ الْأَرْضُ وَرَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ عَنْ عَائِشَةَ أَنَّهَا سَأَلَتْ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ عَنْ هَذِهِ الْآيَةِ، فَقَالَتْ: أَيْنَ النَّاسُ يَوْمَئِذٍ يَارَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «عَلَى الصَّرَاطِ»، وَرَوَاهُ مُسْلِمٌ. وَكَأ سَأَلْتُهُ عَنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَالْأَرْضُ جَمِيعاً قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ﴾، فَأَبَانَ النَّاسُ يَوْمَئِذٍ يَارَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «هَمَّ عَلَىٰ مِثْنِ جَهَنَّمَ» رَوَاهُ أَحْمَدُ ٤٩: ﴿وَتَرَى الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقْرَنِينَ فِي الْأَصْفَادِ﴾ مُّقْرَنِينَ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ، قَدْ جُمِعَ كُلُّ صَنْفٍ إِلَىٰ صَنْفِهِ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿أَحْشَرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ﴾. وَالْأَصْفَادُ هِيَ الْقَيْدُ. ٥٠: ﴿سَرَابِيلُهُمْ مِّنْ قَطْرَانٍ﴾ ثِيَابِهِمُ الَّتِي يَلْبَسُونَهَا مِنْ قَطْرَانٍ، وَهُوَ الَّذِي تُطَلَّىٰ بِهِ الْإِبِلُ، وَهُوَ أَلْصَقُ شَيْءٍ بِالنَّارِ، ﴿وَتَعْشَىٰ جُوهُهُمُ النَّارُ﴾ وَهِيَ فِيهَا كَالْحُوتِ ٥١: ﴿لِيَجْزِيَ اللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ﴾ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴿إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ لِأَنَّهُ يَعْلَمُ كُلَّ شَيْءٍ وَلَا تَخْفَىٰ عَلَيْهِ خَافِيَةٌ ٥٢: ﴿هَذَا بَلَاغٌ لِلنَّاسِ وَلِيُنذِرُوا بِهِ﴾ لِيَتَعَذَّبُوا بِهِ، ﴿وَلِيَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَهُ الْوَاحِدِ﴾ لِيَسْتَدْرِكُوا بِمَا فِيهِ مِنَ الْحُجَجِ وَالِدَلَالَاتِ عَلَىٰ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ، ﴿وَلِيَذَّكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ ذَوِي الْعُقُولِ.

الآية: ٤٨: جاء في الصحيحين عن سهل بن سعد قال: قال رسول الله ﷺ: «يُبَشِّرُ النَّاسَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَىٰ أَرْضٍ بَيْضَاءَ عَفْرَاءَ كَقَرَصَةِ الْفَقِي لَيْسَ فِيهَا مَعْلَمٌ لِأَحَدٍ». وَرَوَى الْأَمَامُ أَحْمَدُ عَنْ عَائِشَةَ أَنَّهَا قَالَتْ: أَنَا أَوَّلُ النَّاسِ سَأَلَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَنْ هَذِهِ الْآيَةِ ﴿يَوْمَ تَبَدَّلَ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ﴾ قَالَتْ: قَالَتْ: «أَيْنَ النَّاسُ يَوْمَئِذٍ يَارَسُولَ اللَّهِ قَالَ: «عَلَى الصَّرَاطِ» وَرَوَاهُ مُسْلِمٌ. / ابن كثير ج ٥٤٣/٢.

سُورَةُ الْحَجَرِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الرَّتِّلِكَ آيَتُ الْكِتَابِ وَقُرْآنِ مُبِينٍ ﴿١﴾ رَبِّمَا يُوَدُّ
الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ ﴿٢﴾ ذَرَّهُمْ يَا كُفُلُوا
وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهِمِ الْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْمُونَ ﴿٣﴾ وَمَا أَهْلَكْنَا
مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا وَهَلَا كِتَابٌ مَعْلُومٌ ﴿٤﴾ مَا نَسِقُ مِنْ أُمَّةٍ
أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَعْجِرُونَ ﴿٥﴾ وَقَالُوا يَا أَيُّهَا الَّذِي نَزَّلَ عَلَيْهِ
الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ ﴿٦﴾ لَوْ مَا تَأْتِينَا بِالْمَلَكَةِ إِنْ كُنْتَ
مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٧﴾ مَا نُنزِّلُ الْمَلَكَةَ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَا كَانُوا
إِذَا مُنظَرِينَ ﴿٨﴾ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴿٩﴾
وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي شِعَابِ الْأَوَّلِينَ ﴿١٠﴾ وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ
رَّسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿١١﴾ كَذَلِكَ نَسْلُكُهُ فِي
قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ ﴿١٢﴾ لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ وَقَدْ خَلَتْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ
﴿١٣﴾ وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَابًا مِنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ
﴿١٤﴾ لَقَالُوا إِنَّمَا سُكَّرَتْ أَبْصَارُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَسْحُورُونَ ﴿١٥﴾

٢٦٢

تفسير سورة الحجر

١: ﴿الرَّتِّلِكَ آيَتُ الْكِتَابِ وَقُرْآنِ مُبِينٍ﴾ [الكتاب هو القرآن، جمع له بين الاسمين، للتفخيم]، ٢: ﴿ذَرِّمَا يُوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ﴾ [إنهم سيندمون على ما كانوا فيه من الكفر ويتمنون لو كانوا في الدنيا مسلمين، كقوله تعالى: ﴿ولو ترى إذ أقفوا على النار فقلوا يا ليتنا تردُّ ولا نُكذِّبُ آيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ ٣: ﴿ذَرِّهِمْ يَا كُفُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا﴾ هذا تهديد شديد لهم ووعد أكيد، كقوله تعالى: ﴿قُلْ يَتَمَتَّعُوا فَإِن مَصِيرَكُمْ إِلَى النَّارِ﴾، ﴿وَيُلْهِمِ الْأَمَلُ﴾ عن التوبة والإنابة. ﴿فسوف يعلمون﴾ عاقبة أمرهم ٤: ﴿وما أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا وَهَلَا كِتَابٌ مَعْلُومٌ﴾ ما هلك تعالى قرية إلا بعد قيام الحجة عليها وانتهاء أجلها ٥: ﴿ما نَسِقُ مِنْ أُمَّةٍ مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا وَهَلَا كِتَابٌ مَعْلُومٌ﴾ ما هلكت من أمة إلا بعد قيام الحجة عليها وانتهاء أجلها ٦: ﴿ما نَسِقُ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا وَهَلَا كِتَابٌ مَعْلُومٌ﴾ ما هلكت من أمة إلا بعد قيام الحجة عليها وانتهاء أجلها ٧: ﴿ما نَسِقُ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا وَهَلَا كِتَابٌ مَعْلُومٌ﴾ ما هلكت من أمة إلا بعد قيام الحجة عليها وانتهاء أجلها ٨: ﴿ما نَسِقُ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا وَهَلَا كِتَابٌ مَعْلُومٌ﴾ ما هلكت من أمة إلا بعد قيام الحجة عليها وانتهاء أجلها ٩: ﴿ما نَسِقُ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا وَهَلَا كِتَابٌ مَعْلُومٌ﴾ ما هلكت من أمة إلا بعد قيام الحجة عليها وانتهاء أجلها ١٠: ﴿ما نَسِقُ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا وَهَلَا كِتَابٌ مَعْلُومٌ﴾ ما هلكت من أمة إلا بعد قيام الحجة عليها وانتهاء أجلها ١١: ﴿ما نَسِقُ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا وَهَلَا كِتَابٌ مَعْلُومٌ﴾ ما هلكت من أمة إلا بعد قيام الحجة عليها وانتهاء أجلها ١٢: ﴿ما نَسِقُ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا وَهَلَا كِتَابٌ مَعْلُومٌ﴾ ما هلكت من أمة إلا بعد قيام الحجة عليها وانتهاء أجلها ١٣: ﴿ما نَسِقُ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا وَهَلَا كِتَابٌ مَعْلُومٌ﴾ ما هلكت من أمة إلا بعد قيام الحجة عليها وانتهاء أجلها ١٤: ﴿ما نَسِقُ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا وَهَلَا كِتَابٌ مَعْلُومٌ﴾ ما هلكت من أمة إلا بعد قيام الحجة عليها وانتهاء أجلها ١٥: ﴿ما نَسِقُ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا وَهَلَا كِتَابٌ مَعْلُومٌ﴾ ما هلكت من أمة إلا بعد قيام الحجة عليها وانتهاء أجلها

والعذاب ٩: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [إنه هو تعالى أنزل عليه الذكر وهو القرآن، وهو الحافظ له من التغيير والتبديل، أو أن يزد فيه أو ينقص منه] ١٠: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي شِعَابِ الْأَوَّلِينَ﴾ [أي: في أمم الأولين] ١١: ﴿وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ [يسئسئسوا] يسئسئسوا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في تكذيب من كذبه من كفار قريش، إنه أرسل من قبله من الأمم الماضية، وإنه ما أتى أمة من رسول إلا كذبوه واستهزؤوا به، ثم أخبر تعالى أنه سلك التكذيب في قلوب الذين عاندوا واستكبروا عن اتباع الهدى فقال: ١٢: ﴿كَذَلِكَ نَسْلُكُهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ﴾ [أي: كما سلكناه في شيع الأهلين كذلك نسلكه في قلوب مشركي قومك] ١٣: ﴿لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ وَقَدْ خَلَتْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ﴾ قد علم ما فعلت من كذب رسلك من الهلاك والدمار ١٤: ﴿وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَابًا مِنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ﴾ يُخْبِرُ تَعَالَى عَنْ عِنَادِ كُفْرِهِمْ أَنَّهُ لَوْ فَتَحَ لَهُمْ بَابًا مِنَ السَّمَاءِ فَجَعَلُوا يَصْعَدُونَ فِيهِ لَمَّا صَدَّقُوا بِذَلِكَ بَل ١٥: ﴿لَقَالُوا إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَارُنَا سَدَّتْ وَأَخَذَتْ وَسُجِّرَتْ﴾ [بل نحن قوم مسحورون].

الآية: ٢ عن عبدالله بن مسعود قال: كان رسول الله ﷺ يدعو: «اللَّهُمَّ احفظني بالإسلام قائماً، واحفظني بالإسلام قاعداً، واحفظني بالإسلام راقباً، ولانتمت بي عدواً حساداً». رواه الحاكم وصححه، وهو في الأحاديث الصحيحة رقم ١٥٤٠.

الآية: ٢ عن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: «إن ناساً من أمي يعذبون بذنوبهم فيكونون في النار ما شاء الله أن يكونوا، ثم يعيرهم أهل الشرك، فيقولان ما نرى ما كنتم فيه من تصديقكم وإيمانكم فنعكم، فلا يبقى مؤمداً إلا أخرجته الله، ثم قرأ رسول الله ﷺ: ﴿رَبِّمَا يُوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ﴾ رواه الطبراني في الأوسط ورجاله رجال الصحيح غير بسام الصديقي وهو ثقة / مجمع الزوائد ج ١٠/ ٣٧٩/١٠. / ابن كثير ج ٢/ ٥٤٦/٢.

١٦: ﴿وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا﴾ [لَمَّا ذَكَرَ كُفْرَ الْكَافِرِينَ وَعِنَادَهُمْ وَمَكَابِرَتَهُمْ؛ ذَكَرَ كَمَالَ قُدْرَتِهِ لِيُسْتَدَلَّ بِهَا عَلَى وَحْدَانِيَّتِهِ]. والبروج: هي الكواكب، جعل فيها الشُّهُبَ حَرَسًا لَهَا مِنْ مَرْدَةِ الشَّيَاطِينِ ١٧: ﴿وَحَفِظْنَاهَا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ﴾، [أَي: مَرْجُومٍ مَلْعُونٍ] ١٨: ﴿إِلَّا مَنْ اسْتَرَقَ السَّمْعَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ مُبِينٌ﴾، [قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: كَانَتْ الشَّيَاطِينُ لِأَيُّجُبُونَ عَنِ السَّمَاءِ، فَلَمَّا وُلِدَ عَيْسَى مُبِعُومًا مِنْ ثَلَاثِ سَمَوَاتٍ، فَلَمَّا وُلِدَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ مُبِعُومًا مِنَ السَّمَوَاتِ كُلِّهَا، فَمَا مِنْهُمْ مِنْ أَحَدٍ يَرِيدُ اسْتِرْقَاقَ السَّمْعِ إِلَّا رَمِيَ بِشِهَابٍ] ١٩: ﴿وَالْأَرْضَ مَدَدْنَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رِوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ﴾ ذَكَرَ تَعَالَى خَلْقَهُ الْإَرْضَ وَمُدَّهُ إِيَّاهَا وَتَوْسِيعَهَا، وَجَعَلَ فِيهَا الْجِبَالَ الرَّوَاسِيَ وَمَأْنَبَتَ فِيهَا مِنَ الزَّرُوعِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَعْلُومٍ، مَقْدِيرٌ بِقَدْرِ ٢٠: ﴿وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ﴾ يَذْكَرُ تَعَالَى أَنَّهُ صَرَّفَهُمْ فِي الْأَرْضِ فِي صَنُوفِ الْأَسْبَابِ وَالْمَعَايِشِ، ﴿وَمَنْ لَسْتُمْ لَهُ بُرَازِقِينَ﴾ يَتَمَنَّى تَعَالَى عَلَيْهِمْ بِمَا يَسَّرَ لَهُمْ أَسْبَابَ الْمَكَّاسِبِ وَمَا سَخَّرَ لَهُمْ مِنَ الدَّوَابِّ الَّتِي يَرْكَبُونَهَا، وَرَزَقَهَا عَلَى خَلْقِهَا لِأَعْلِيهِمْ، فَلَهُمْ الْمُنْفَعَةُ وَالرِّزْقُ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى ٢١: ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ﴾ عِنْدَهُ سَبْحَانَهُ خَزَائِنُ الْأَشْيَاءِ مِنْ جَمِيعِ الصَّنُوفِ ﴿وَمَا نُنزِلُ إِلَّا بِقَدْرِ مَعْلُومٍ﴾ كَمَا يَشَاءُ، وَكَأَيُّ يَرِيدُ، لِمَا لَهُ الْحِكْمَةُ الْبَالِغَةُ وَالرَّحْمَةُ بَعَادَهُ ٢٢: ﴿وَأُرْسَلْنَا الرِّيَاحَ

وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّاظِرِينَ ﴿١٦﴾ وَحَفِظْنَاهَا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ ﴿١٧﴾ إِلَّا مَنْ اسْتَرَقَ السَّمْعَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ مُبِينٌ ﴿١٨﴾ وَالْأَرْضَ مَدَدْنَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رِوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ ﴿١٩﴾ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ وَمَنْ لَسْتُمْ لَهُ بُرَازِقِينَ ﴿٢٠﴾ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنزِلُ إِلَّا بِقَدْرِ مَعْلُومٍ ﴿٢١﴾ وَأُرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ فَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنْتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ ﴿٢٢﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِيهِ وَنُمِيتُهُ وَنَحْنُ الْوَارِثُونَ ﴿٢٣﴾ وَلَقَدْ عَلَّمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنْكُمْ وَلَقَدْ عَلَّمْنَا الْمُسْتَأْخِرِينَ ﴿٢٤﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَحْشُرُهُمْ إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ ﴿٢٦﴾ وَالْجِبَانَ خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ مِنْ نَارِ السَّمُومِ ﴿٢٧﴾ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَلِيقُ بَشَرًا مِّنْ صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ ﴿٢٨﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ﴿٢٩﴾ فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٣٠﴾ إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى أَنْ يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ ﴿٣١﴾

لَوَاقِحَ فَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾ أَي تَلَقَّحُ السَّحَابَ فَتَدْرُ مَاءً، وَتَلَقَّحُ الشَّجَرَ فَتَفْتَحُ عَنْ أَوْرَاقِهَا وَأَكْمَامِهَا، وَذَكَرَ الرِّيَاحَ بِصِبْغَةِ الْجَمْعِ لِيَكُونَ مِنْهَا الْإِنْتِاجُ، بِخِلَافِ الرِّيحِ الْعَقِيمِ، فَإِنَّهُ أَفْرَدَهَا وَوَصَفَهَا بِالْعَقِيمِ وَهُوَ عَدَمُ الْإِنْتِاجِ. ﴿فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ﴾ أَنْزَلْنَاهُ عَذَابًا لِّتَشْرَبُوا مِنْهُ، ﴿وَمَا أَنْتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ﴾ بِمُحَافِظِينَ لَهُ بَلْ نَحْنُ نَحْفَظُهُ عَلَيْكُمْ وَنَجْعَلُهُ مَعِينًا وَيُنَازِعُ ٢٣: ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِيهِ وَنُمِيتُهُ﴾ هُوَ الَّذِي أَحْيَا الْخَلْقَ بَعْدَ الْعَدَمِ ثُمَّ يَمِيتُهُمْ، ﴿وَنَحْنُ الْوَارِثُونَ﴾ قَسَمْتُ كُلَّ شَيْءٍ لِلَّهِ تَعَالَى ٢٤: ﴿وَلَقَدْ عَلَّمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنْكُمْ﴾ كُلُّ مَنْ هَلَكَ مِنْ لَدُنْ آدَمَ، ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْمُسْتَأْخِرِينَ﴾ مَنْ هُوَ حَيٌّ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ٢٥: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَحْشُرُهُمْ﴾ [لِلْحِسَابِ وَالْجَزَاءِ] ﴿إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾ ٢٦: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ تَرَابٍ يَابِسٍ﴾ مِنْ طِينٍ مَتْنٍ ﴿مَسْنُونٍ﴾ أَمْلَسَ ٢٧: ﴿وَالْجِبَانَ خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ مِنْ نَارِ السَّمُومِ﴾ مِنْ لَهَبِ النَّارِ. وَالْمَقْصُودُ التَّنْبِيهُ عَلَى شَرَفِ آدَمَ ٢٨: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقُ بَشَرًا مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ﴾ هَذَا تَنْوِيهُ بِذَكَرِ آدَمَ فِي مَلَائِكَتِهِ قَبْلَ خَلْقِهِ ٢٩: ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي﴾ [الرُّوحُ خَلْقٌ مِنَ خَلْقِ اللَّهِ، وَإِضَافَتُهُ إِلَيْهِ سَبْحَانَهُ تَشْرِيفٌ لِآدَمَ]، ﴿فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾ [أَمْرًا بِالسُّجُودِ لِلَّهِ عِنْدَ آدَمَ، فَكَانَ آدَمَ قَبْلَهُمْ] ٣٠: ﴿فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ﴾ [سَعَا وَطَاعَةَ لِلَّهِ] ٣١: ﴿إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى أَنْ يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ﴾ [اسْتِكْبَارًا وَاسْتِعْظَامًا لِنَفْسِهِ، وَحَسَدًا لِآدَمَ، فَحَقَّتْ عَلَيْهِ كَلِمَةُ اللَّهِ تَعَالَى فِي طَرْدِهِ مِنْ رَحْمَتِهِ].

قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ لَمْ أَكُنْ لَأَسْجُدْ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِنْ صَلْصَلٍ مِنْ حَمِئٍ مَسْنُونٍ ﴿٣٣﴾ قَالَ فَأَخْرِجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ ﴿٣٥﴾ قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٣٦﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ ﴿٣٧﴾ إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ ﴿٣٨﴾ قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٣٩﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾ قَالَ هَذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ ﴿٤١﴾ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ ﴿٤٢﴾ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٣﴾ لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَقْسُومٌ ﴿٤٤﴾ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿٤٥﴾ آذُحُلُوهَا بِسَلَامٍ أَمِينٍ ﴿٤٦﴾ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَلٍّ إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ ﴿٤٧﴾ لَا يُمَسَّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُمْ مِنْهَا بِمُخْرَجِينَ ﴿٤٨﴾ نَبِيٌّ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّ عِبَادِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ ﴿٥٠﴾ وَنَبِّئُهُمْ عَنْ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ ﴿٥١﴾

٦٦٤

٣٢: ﴿قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ﴾؟ [أي: ما المانع لك؟] ٣٣: ﴿قَالَ لَمْ أَكُنْ لَأَسْجُدْ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِنْ صَلْصَلٍ مِنْ حَمِئٍ مَسْنُونٍ﴾، [بين تكبره وحسده وأنه خير منه] ٣٤: ﴿قَالَ فَأَخْرِجْ مِنْهَا﴾ [أي: من السموات] ﴿فإِنَّكَ رَجِيمٌ﴾ مرجوم، وأتبعه لعنة متصلة به ٣٥: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ﴾ لاحقة له متواترة عليه إلى يوم القيامة ٣٦: ﴿قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ ومن تمام حسده [وعتوه] طلب النظرة إلى يوم القيامة، وأجيب إلى ذلك: ٣٧: ﴿قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ﴾ ٣٨: ﴿إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ﴾، إنه أجيب إلى ذلك استدراجاً له وإمهالاً، فلما تحقق النظرة قبَّحه الله ٣٩: ﴿قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي﴾ ومن تمرده وعتوه أقسم بسبب ما أغويتني وأضللتني ﴿لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ﴾ لذرية آدم ﴿فِي الْأَرْضِ﴾ أحب إليهم المعاصي ﴿وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ كما أغويتني ٤٠: ﴿إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ﴾ [أي: الذين أحلصوا لك العبادة] ٤١: ﴿قَالَ﴾ الله له مهتدداً ومتعدداً ﴿هَذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ﴾ مرجعكم كلكم إلي، فأجازيكم بأعمالكم ٤٢: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ﴾ جمع من اتبع إبليس. ثم أخرج تعالى أن لجهنم سبعة أبواب: ٤٤: ﴿لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَقْسُومٌ﴾

٣٣

سبعة أبواب لكل باب منهم جزء مقسوم ﴿قد كتب لكل باب منها جزء من أتباع إبليس يدخلونها، أجازنا الله منها ٤٥: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ﴾ لما ذكر تعالى حال أهل النار عطف على ذكر أهل الجنة وأتبعهم في جنات وعيون ٤٦: ﴿آذُحُلُوهَا بِسَلَامٍ﴾ سالمين من الآفات، مسلم عليكم ﴿أمنين﴾ من كل خوف وفرع ٤٧: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَلٍّ إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ﴾، قال أبو أمامة: يدخل أهل الجنة على ما في صدورهم في الدنيا من الشحناء والضغائن حتى إذا توافوا وتقابلوا نزع الله ما في صدورهم في الدنيا من غلٍّ، ثم قرأ هذه الآية ٤٨: ﴿لَا يُمَسَّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُمْ مِنْهَا بِمُخْرَجِينَ﴾ لا تصيبهم مشقة، ولا يبعثون عنها جوارح ٤٩: ﴿نَبِيٌّ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ أخرجهم يا محمد أي ذو رحمة ٥٠: ﴿وَأَنَّ عِبَادِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ﴾، فهذه الآية والتي قبلها دالة على مقام الرجاء والخوف، وفي الحديث: «اذكروا الجنة واذكروا النار» ٥١: ﴿وَنَبِّئُهُمْ عَنْ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ﴾ أخرجهم يا محمد عن قصة ضيف إبراهيم، [وهم من الملائكة].

الآية : ٤٤ روى الترمذي عن ابن عمر عن النبي ﷺ قال : « لجهنم سبعة أبواب باب منها لمن سلّ السيف على أمي - أو قال على أمة محمد . »
وروى ابن أبي حاتم : عن سمرة بن جندب عن النبي ﷺ في قوله ﴿ لِكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَقْسُومٌ ﴾ قال : « إن من أهل النار من تأخذه النار إلى كعبه وإن منهم من تأخذه النار إلى حجزته ، ومن من تأخذه النار إلى تراقيه ، منازلهم بأعمالهم ، فذلك قوله ﴿ لِكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَقْسُومٌ ﴾ . »
الآية : ٤٧ روى سعيد في تفسيره عن أبي أمامة قال : لا يدخل الجنة مؤمن حتى يزرع الله ما في صدره من غلٍّ حتى يزرع منه مثل السبع الضاري ، وهذا موافق لما في الصحيح أن أبا سعيد الحدادي حدّث حديثاً أن رسول الله ﷺ قال : « يخلص المؤمنون من النار فيحبسون على قنطرة بين الجنة والنار فيقتصن لبعضهم من بعض مظالم كانت بينهم في الدنيا حتى إذا هذبوا ونقوا أذن لهم في دخول الجنة . » / ابن كثير ج ٥٥٢/٢ .

٥٢: ﴿إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا﴾ [أي: سلّموا سلاماً] ﴿قَالَ إِنَّا مِنْكُمْ وَجِلُونَ﴾ خائفون، وسبب خوفه منهم أنه رأى أيديهم لاتصل إلى ما قرّبه إليهم من الضيافة ٥٣: ﴿قَالُوا لَا تَوْجَلْ﴾ لاتخف، ﴿إِنَّا نَبَشِّرُكَ﴾ بسلامٍ علمٍ ﴿إِسْحاقُ﴾ قال متعجباً من كبره وكبر زوجته ومتحقّقاً للوعد: ٥٤: ﴿قَالَ أَبَشِّرْهُمُونِي عَلَى أَنْ مَسَّنِيَ الْكِبَرُ فِيمَ تَبَشِّرُونَ﴾ ٥٥: ﴿قَالَ رَبِّهِ إِلاَّ الضَّالُّونَ﴾ ٥٦: ﴿قَالَ وَمَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلاَّ الضَّالُّونَ﴾ [انه استبعد الولد. ولم يقنط من رحمة الله] ٥٧: ﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ﴾؟ لما جاءته البشري شرع يسألهم عما جاؤوا له ٥٨: ﴿قَالُوا إِنَّا أُرْسَلْنَا إِلَى قَوْمٍ مُجْرِمِينَ﴾ يعنون قوم لوط ٥٩: ثم أخبروه أنهم سينجون آل لوط من بينهم ﴿إلا امرأتَهُ﴾ ولهذا قالوا: ٦٠: ﴿إلا امرأتَهُ قَدْ زَنَا إِنهَا لَمِنَ الْغَابِرِينَ﴾ المهلكين، [وكانت كافرة فألحقت بالكافرين في الهلاك] ٦١: ﴿فلما جاء آل لوط المرسلون﴾ جاءت الملائكة في صورة شباب حسان الوجوه، فدخلوا عليه ٦٢: ﴿قال إنكم قوم منكرون﴾ [أي: لا أعرفكم] ٦٣: ﴿قالوا بل جنناك بما كانوا فيه يمشون﴾ يعنون بعدائهم وهلاكهم ودمارهم الذي كانوا يشكون في وقوعه بهم وحلوله بساحتهم ٦٤: ﴿وأيتناك بالحق﴾

إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ إِنَّا مِنْكُمْ وَجِلُونَ ﴿٥٢﴾ قَالُوا لَا تَوْجَلْ إِنَّا نَبَشِّرُكَ بِعِلْمٍ عَلَيْكَ ﴿٥٣﴾ قَالَ أَبَشِّرْهُمُونِي عَلَى أَنْ مَسَّنِيَ الْكِبَرُ فِيمَ تَبَشِّرُونَ ﴿٥٤﴾ قَالُوا بَشِّرْنَا بِالْحَقِّ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْقَانِطِينَ ﴿٥٥﴾ قَالَ وَمَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلاَّ الضَّالُّونَ ﴿٥٦﴾ قَالُوا فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ ﴿٥٧﴾ قَالُوا إِنَّا أُرْسَلْنَا إِلَى قَوْمٍ مُجْرِمِينَ ﴿٥٨﴾ إِلاَّ أَل لُوطٍ إِنَّا لَمَنْجُوهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٩﴾ إِلاَّ امْرَأَتَهُ قَدْ زَنَا إِنهَا لَمِنَ الْغَابِرِينَ ﴿٦٠﴾ فَلَمَّا جَاءَ آلَ لُوطٍ الْمُرْسَلُونَ ﴿٦١﴾ قَالُوا إِنَّا لَمَنْجُوهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٦٢﴾ قَالُوا بَلْ جِنَّتِكُمْ يَمَا كَانُوا فِيهِ يَمْشُونَ ﴿٦٣﴾ وَأَيَّتِنَا بِالْحَقِّ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ﴿٦٤﴾ فَأَسْرِبْ لَهُمْ مِنْ رَبِّكَ أَمْراً إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿٦٥﴾ وَأَمَّا لُوطُ فَأَسْرِبْ لَهُ مِنْ رَبِّكَ أَمْراً إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿٦٦﴾ وَجَاءَ أَهْلَ الْمَدِينَةِ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٦٧﴾ قَالَ إِنَّ هَذَا لَوَاقِعٌ لَكُمْ أَن تَكْفُرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأْتِنَا بِالْحَقِّ نَدَعِيَ لَنَا مِنْكُمْ مَقْتُلًا وَنَجْيًا فَإِن نَكُنْ مِنْكُمْ لَمِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٨﴾ قَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّيْرِ ﴿٦٩﴾ فَأَسْرِبْ لَهُمْ مِنْ رَبِّكَ أَمْراً إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿٧٠﴾ وَأَمَّا لُوطُ فَأَسْرِبْ لَهُ مِنْ رَبِّكَ أَمْراً إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿٧١﴾ وَأَمَّا لُوطُ فَأَسْرِبْ لَهُ مِنْ رَبِّكَ أَمْراً إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿٧٢﴾ وَأَمَّا لُوطُ فَأَسْرِبْ لَهُ مِنْ رَبِّكَ أَمْراً إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿٧٣﴾ وَأَمَّا لُوطُ فَأَسْرِبْ لَهُ مِنْ رَبِّكَ أَمْراً إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿٧٤﴾ وَأَمَّا لُوطُ فَأَسْرِبْ لَهُ مِنْ رَبِّكَ أَمْراً إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿٧٥﴾ وَأَمَّا لُوطُ فَأَسْرِبْ لَهُ مِنْ رَبِّكَ أَمْراً إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿٧٦﴾ وَأَمَّا لُوطُ فَأَسْرِبْ لَهُ مِنْ رَبِّكَ أَمْراً إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿٧٧﴾ وَأَمَّا لُوطُ فَأَسْرِبْ لَهُ مِنْ رَبِّكَ أَمْراً إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿٧٨﴾ وَأَمَّا لُوطُ فَأَسْرِبْ لَهُ مِنْ رَبِّكَ أَمْراً إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿٧٩﴾ وَأَمَّا لُوطُ فَأَسْرِبْ لَهُ مِنْ رَبِّكَ أَمْراً إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿٨٠﴾ وَأَمَّا لُوطُ فَأَسْرِبْ لَهُ مِنْ رَبِّكَ أَمْراً إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿٨١﴾ وَأَمَّا لُوطُ فَأَسْرِبْ لَهُ مِنْ رَبِّكَ أَمْراً إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿٨٢﴾ وَأَمَّا لُوطُ فَأَسْرِبْ لَهُ مِنْ رَبِّكَ أَمْراً إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿٨٣﴾ وَأَمَّا لُوطُ فَأَسْرِبْ لَهُ مِنْ رَبِّكَ أَمْراً إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿٨٤﴾ وَأَمَّا لُوطُ فَأَسْرِبْ لَهُ مِنْ رَبِّكَ أَمْراً إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿٨٥﴾ وَأَمَّا لُوطُ فَأَسْرِبْ لَهُ مِنْ رَبِّكَ أَمْراً إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿٨٦﴾ وَأَمَّا لُوطُ فَأَسْرِبْ لَهُ مِنْ رَبِّكَ أَمْراً إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿٨٧﴾ وَأَمَّا لُوطُ فَأَسْرِبْ لَهُ مِنْ رَبِّكَ أَمْراً إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿٨٨﴾ وَأَمَّا لُوطُ فَأَسْرِبْ لَهُ مِنْ رَبِّكَ أَمْراً إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿٨٩﴾ وَأَمَّا لُوطُ فَأَسْرِبْ لَهُ مِنْ رَبِّكَ أَمْراً إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿٩٠﴾ وَأَمَّا لُوطُ فَأَسْرِبْ لَهُ مِنْ رَبِّكَ أَمْراً إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿٩١﴾ وَأَمَّا لُوطُ فَأَسْرِبْ لَهُ مِنْ رَبِّكَ أَمْراً إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿٩٢﴾ وَأَمَّا لُوطُ فَأَسْرِبْ لَهُ مِنْ رَبِّكَ أَمْراً إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿٩٣﴾ وَأَمَّا لُوطُ فَأَسْرِبْ لَهُ مِنْ رَبِّكَ أَمْراً إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿٩٤﴾ وَأَمَّا لُوطُ فَأَسْرِبْ لَهُ مِنْ رَبِّكَ أَمْراً إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿٩٥﴾ وَأَمَّا لُوطُ فَأَسْرِبْ لَهُ مِنْ رَبِّكَ أَمْراً إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿٩٦﴾ وَأَمَّا لُوطُ فَأَسْرِبْ لَهُ مِنْ رَبِّكَ أَمْراً إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿٩٧﴾ وَأَمَّا لُوطُ فَأَسْرِبْ لَهُ مِنْ رَبِّكَ أَمْراً إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿٩٨﴾ وَأَمَّا لُوطُ فَأَسْرِبْ لَهُ مِنْ رَبِّكَ أَمْراً إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿٩٩﴾ وَأَمَّا لُوطُ فَأَسْرِبْ لَهُ مِنْ رَبِّكَ أَمْراً إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿١٠٠﴾

[أي: بالصدق]، ﴿وإنا لصادقون﴾ تأكيد خبرهم إياه بما أخبروه من نجاته وإهلاك قومه ٦٥: ﴿فأسرِبْ لَهُمْ مِنْ رَبِّكَ أَمْراً﴾ يسري بأهله بعد مضي جانب من الليل، ﴿وأتبع أذبارهم﴾ وأن يمشي لوط عليه السلام وراءهم ليكون أحفظ لهم، ﴿ولا يلبثت منكم أحد﴾ إذا سمعت الصيحة بالقوم فلا تلتفتوا إليهم وذروهم فيما حلَّ بهم من العذاب، ﴿وامضوا حيث تؤمرون﴾ كأنه كان معهم من يهديهم السبيل ٦٦: ﴿وقضينا إليه ذلك الأمر﴾ تقدّمنا إليه في هذا ﴿أن دابر هؤلاء مقطوع مصبحين﴾ وقت الصباح ٦٧: ﴿وجاء أهل المدينة يستبشرون﴾ لما علموا بأضيافه جاؤوا فرحين ٦٨: ﴿قال إن هؤلاء ضيفي فلا تفضحون﴾ [أي: لا تتجملون]، ﴿قال هؤلاء بناتي﴾ أرشدهم إلى نساءهم ﴿إن كنتم فاعلين﴾ [أي: تزوجوهن ولا تركنوا إلى الحرام] ٦٩: ﴿واتقوا الله ولا تخزون﴾ قال لهم هذا قيل أن يعلم بأنهم رسل الله ٧٠: ﴿قالوا أولم ننهك عن العالمين﴾ أو ما نهيناك أن تضيف أحداً. هذا كله وهم غافلون عما يُراد بهم وما قد أحاط بهم من البلاء.

الآية ٥٣: قال ابن كثير: يقول تعالى وأخبرهم يا محمد عن قصة ضيف إبراهيم، والضيف يطلق على الواحد والجمع كالزور والسرير، وكيف دخلوا عليه فقالوا سلاماً ﴿قال إننا منكم وجيلون﴾ أي خائفون وقد ذكر سبب خوفه منهم لما رأى لا تصل إلى ما قرّبه إليهم من الضيافة وهو العجل السمين الحنيد ﴿قالوا لا توجل﴾ أي لا تخف ﴿وبشروا بسلام علم﴾ أي إسحاق عليه السلام.

الآية ٦٥: قال ابن كثير: يذكر تعالى عن الملائكة أنهم أمروه أن يسري بأهله بعد مضي جانب من الليل وأن يكون لوط عليه السلام يمشي وراءهم ليكون أحفظ لهم وهكذا كان رسول الله ﷺ يمضي في الغزو إنما يكون ساقاً يُرجي الضعيف ويحمل المقتنع. / تفسير ابن كثير ج ٢/ ٥٥٤.

٧١: ﴿قَالَ هُوَآءِ بَنَاتِي اِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِيْنَ﴾
 أَرشَدُهُمْ إِلَى نِسَائِهِمْ، وَمَاخَلَقَ لَهُمْ رُبَّهُمْ مِنْهُنَّ
 مِنَ الْفُرُوجِ الْمُبَاحَةِ ٧٢: ﴿لَعَمْرُكَ اِنَّهُمْ لَفِي
 سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ أَقْسَمَ تَعَالَى بِحَيَاةِ نَبِيِّهِ
 صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَسَلَامُهُ، وَفِي هَذَا تَشْرِيفٍ
 عَظِيمٍ وَمَقَامٍ رَفِيعٍ وَجَاهٍ عَرِيضٍ. قَالَ ابْنُ
 عَبَّاسٍ: مَاخَلَقَ اللَّهُ وَمَاذَرَا وَمَا بَرَأَ نَفْسًا أَكْرَمَ
 عَلَيْهِ مِنْ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ،
 وَمَا سَمِعْتُ اللَّهَ أَقْسَمَ بِحَيَاةِ أَحَدٍ غَيْرِهِ. قَالَ
 تَعَالَى: ﴿لَعَمْرُكَ﴾ وَحَيَاتِكَ وَبِقَاتِكَ فِي
 الدُّنْيَا، ﴿اِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ﴾ فِي ضَلَالَتِهِمْ
 ﴿يَعْمَهُونَ﴾ يَلْعَبُونَ وَيَتَرَدَّدُونَ ٧٣:
 ﴿فَأَخَذْتَهُمُ الصَّيْحَةَ﴾ الصَّوْتِ الْقَاصِفِ
 عِنْدَ شُرُوقِ الشَّمْسِ، وَذَلِكَ مَعَ رَفْعِ بِلَادِهِمْ
 إِلَى عَنَانَ السَّمَاءِ ثُمَّ قَلَّبَهَا ٧٤: ﴿فَجَعَلْنَا
 عَلَيْهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ
 سِجِّيلٍ﴾ مِنْ طِينٍ مُسْتَحَجَرَةٍ قَوِيَّةٍ شَدِيدَةٍ
 ٧٥: ﴿اِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ﴾
 لِلْمُعْتَبِرِينَ الْمُتَأَمِّلِينَ ٧٦: ﴿وَإِنهَا لَبَسِيلٌ
 مُّقِيمٌ﴾ وَإِنْ قَرِيبةٌ سَدُومَ الَّتِي أَصَابَهَا مِنَ الْقَلْبِ
 وَالْقَذْفِ صَارَتْ بِحِجْرَةٍ مُنْتَنَةٍ خَبِيثَةٍ، مُسْتَمِرَّةٌ
 إِلَى الْيَوْمِ ٧٧: ﴿اِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً
 لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾، فِيمَا صَنَعْنَا بِقَوْمِ لُوطَ مِنَ الْهَالِكِ
 ٧٨: ﴿وَإِنَّ أَصْحَابَ الْاَيْكَةِ لَطَالِمِينَ﴾ وَهَمَّ
 قَوْمُ شَعْبٍ، وَالْاَيْكَةُ: الشَّجَرُ الْمَلْتَفُ. وَكَانَ
 ظَلَمَهُمْ بِشُرْكِهِمْ بِاللَّهِ وَقَطَعَهُمُ الطَّرِيقَ وَنَقَصَ
 الْمِكْيَالَ ٧٩: ﴿فَاتَّقِنَا مِنْهُمْ﴾ بِالصَّيْحَةِ
 وَالرَّحْفَةِ، ﴿وَإِنهُمَا لِبِأَمَامٍ مُّبِينٍ﴾ طَرِيقِ
 ظَاهِرٍ، وَهَذَا لَمَّا أَنْذَرَ شَعْبٌ قَوْمَهُ قَالَ:

قَالَ هُوَآءِ بَنَاتِي اِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِيْنَ ﴿٧١﴾ لَعَمْرُكَ اِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ
 يَعْمَهُونَ ﴿٧٢﴾ فَاخَذْتَهُمُ الصَّيْحَةَ مُشْرِقِينَ ﴿٧٣﴾ فَجَعَلْنَا عَلَيْهَا
 سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ ﴿٧٤﴾ اِنَّ فِي ذَلِكَ
 لآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ ﴿٧٥﴾ وَإِنهَا لَبَسِيلٌ مُّقِيمٌ ﴿٧٦﴾ اِنَّ فِي ذَلِكَ
 لآيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٧٧﴾ وَإِنْ كَانَ أَصْحَابُ الْاَيْكَةِ لَطَالِمِينَ ﴿٧٨﴾
 فَاتَّقِنَا مِنْهُمْ وَإِنهُمَا لِبِأَمَامٍ مُّبِينٍ ﴿٧٩﴾ وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَابُ
 الْحِجْرِ الْمُرْسَلِينَ ﴿٨٠﴾ وَءَايَاتُنْهُمْ ءَايَاتِنَا فَكَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ
 ﴿٨١﴾ وَكَانُوا يُنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا ءَامِنِينَ ﴿٨٢﴾ فَاخَذْتَهُمْ
 الصَّيْحَةُ مُصْبِحِينَ ﴿٨٣﴾ فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٨٤﴾
 وَمَاخَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَإِنَّ
 السَّاعَةَ لَأَلِيَّةٌ لَّآيَةً فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ ﴿٨٥﴾ اِنَّ رَبَّكَ هُوَ
 الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ ﴿٨٦﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْءَانَ
 الْعَظِيمَ ﴿٨٧﴾ لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ
 وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَخَفِضْ جَنَاحَكَ لِمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾ وَقُلْ إِنِّي
 أَنَا النَّذِيرُ الْمُبِينُ ﴿٨٩﴾ كَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى الْمُقْتَسِمِينَ ﴿٩٠﴾

﴿وما قوم لوط منكم ببعيد﴾ ٨٠: ﴿ولقد كذب أصحاب الحجر المرسلين﴾ وهم ثمود كذبوا صالحاً، ومن كذب برسول فقد كذب بجميع المرسلين ٨١: ﴿وآياتناهم آياتنا﴾ الدالة على صدق صالح، كالناقة التي أخرجها الله لهم بدعاء صالح من الصخرة ﴿فكانوا عنها معرضين﴾ ٨٢: ﴿وكانوا ينحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا آمِنِينَ﴾ من غير خوف [من أن تسقط عليهم أو تُخرب] ٨٣: ﴿فأخذتهم الصيحة مصبحين﴾ وقت الصباح من اليوم الرابع ٨٤: ﴿لما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون﴾ من زروعهم وقمارهم، [والأموال والحصون في الجبال] ٨٥: ﴿وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما إلا بالحق﴾ بالعدل ﴿وإن الساعة آتية﴾؛ [ليجزى الذين أسأوا بما عملوا]، ﴿فاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ﴾ [أمر ﷺ بالصفح في حق نفسه فيما بينه وبينهم] ٨٦: ﴿إن ربك هو الخلاق العليم﴾ الذي لا يعجزه شيء، وهو تقرير للعقاد، وأنه تعالى قادر على إقامة الساعة [وإعادة الخلق] ٨٧: ﴿ولقد آتيناك سبعاً من المثاني﴾ أي: الفاتحة خرَجَ الترمذي أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: «الحمد لله أم الكتاب والسبع المثاني» قال: هذا حديث حسن صحيح. ﴿والقرآن العظيم﴾ فلا تنظرون إلى الدنيا وما تمعنا به أهلها [وتفسرها في الآية التالية]: ٨٨: ﴿لا تمدن عينيك إلى ما متعنا به أزواجاً منهم﴾ استغن بما آتاك الله من القرآن العظيم عما هم فيه من المتاع والزهرة الفانية. ﴿ولا تحزن عليهم﴾ إن لم يؤمنوا ﴿واخفض جناحك للمؤمنين﴾ [أي: أئن جانبك لهم وتواضع] ٨٩: ﴿وقل إني أنا النذير المبين﴾ للناس من عذاب أليم أن يحل بهم على تكذيبهم ٩٠: ﴿كما أنزلنا على المقتسمين﴾ المتحالفين على تكذيب الأنبياء وأذاهم، وهم أهل الكتاب.

(١) وفي تفسير القرطبي: ﴿وإنها﴾ يعني قرى لوط ﴿لبسِيلٌ مُّقِيمٌ﴾ على طريق قومك يا محمد إلى الشام اهـ. قلت: والبحيرة المنتنة هي البحر الميت. / انظر تفسير الآية / ١٧٤ / من سورة الشعراء /.

٩١: ﴿الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ﴾ وهم أهل الكتاب جزؤوه أجزاءً فأمنا ببعضه وكفروا ببعضه، [وهم أيضاً الذين فرقوا أقوالهم فيه فجعلوه كذباً وسحراً وكهانةً وسحراً، أي: الذين أكثروا الهُت على القرآن، ونوعوا الكذب فيه] ٩٢-٩٣: ﴿فَقُرَّتْ لِسَانَتُهُمْ أَجْمِينَ. عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ يسأل العباد كلهم عن حلتين يوم القيامة: عما كانوا يعبدون، وعماذا أجابوا المرسلين ٩٤: ﴿فَأَصْدَعُ بِمَا تُمُرُّمْ﴾ أمضيه ﴿وَأَعْرَضُ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾ [أي: عن الاهتمام باستزائهم] ٩٥: ﴿إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِينَ﴾ [أي: إن الله كافيك من آذاك، وكانوا خمسة من رؤساء أهل مكة] ٩٦: ﴿الَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ هذا تهديد شديد ووعيد أكيد لمن جعل مع الله معبوداً آخر ٩٧: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ﴾ إِنَّا لَنَعْلَمُ بِأَمْحَدِ أَنَّكَ يَحْصِلُ لَكَ مِنْ أَذَاهِمُ لَكَ ضَيْقُ صَدْرِي وَانْقِبَاضُ، فَلَا يُشِيكَ ذَلِكَ عَنِ ابْلَاغِكَ رِسَالَةَ اللَّهِ، وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَاسْتَغْلِ بِذِكْرِهِ وَتَحْمِيدِهِ ٩٨: ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ﴾، ولهذا كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إذا حَزَبَهُ أَمْرٌ صَلَّى ٩٩: ﴿وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾ المراد باليقين هنا: الموت. دلت هذه الآية على أَنَّ الصَّلَاةَ وَاجِبَةٌ عَلَى الْإِنْسَانَ مَا دَامَ عَقْلُهُ تَابِتًا، يَصَلِّي بِحَسَبِ حَالَتِهِ، كَمَا بُدِّدَ فِي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «صَلِّ قَائِمًا، فَإِنْ لَمْ تَسْتَطِعْ فَقَاعِدًا، فَإِنْ لَمْ تَسْتَطِعْ فَعَلِي جُنْبًا».

الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ ﴿٩١﴾ فَوَرَبِّكَ لَسَعَنَّهُمْ أَجْمِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾ فَأَصْدَعُ بِمَا تُمُرُّمْ وَأَعْرَضُ عَنِ الْمُشْرِكِينَ ﴿٩٤﴾ إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِينَ ﴿٩٥﴾ الَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٩٦﴾ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴿٩٧﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ ﴿٩٨﴾ وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ ﴿٩٩﴾

سُورَةُ الْحَجَّاتِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أَتَىٰ أَمْرَ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١﴾ يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنْذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونَ ﴿٢﴾ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ تَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣﴾ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ ﴿٤﴾ وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دَفٌّ وَمَنْفَعٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٥﴾ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ﴿٦﴾

تفسير سورة التحل

١: ﴿أَتَىٰ أَمْرَ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ﴾ يُخْبِرُ تَعَالَىٰ عَنِ اقْتِرَابِ السَّاعَةِ مَعْبَرًا بِصِغَةِ الْمَاضِي الدَّالِّ عَلَى التَّحْقِيقِ وَالْوُقُوعِ لِاحْتِمَالِهِ. ﴿فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ﴾ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَوْلَا أَجَلٌ مُسَمًّى لَجَاءَهُمُ الْعَذَابُ﴾ ﴿سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ نَزَّةٌ سَبَّحَانَهُ نَفْسَهُ عَنِ شُرَكَاهُمْ، تَعَالَى اللَّهُ وَتَقَدَّسَ عُلُوًّا كَبِيرًا. ٢: ﴿يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ﴾ الْوَحْيِ ﴿مِنْ أَمْرِهِ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾ وَهِيَ الْأَنْبِيَاءُ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾. ﴿أَنْ أَنْذِرُوا﴾ لِيُنْذِرُوا ﴿أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونَ﴾ فَاتَّقُوا عِقُوبَتِي لِمَنْ خَالَفَ أَمْرِي وَعَبَدَ غَيْرِي ٣: ﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ﴾ لِاللَّعِبِ بِلِ ﴿لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى﴾، ثُمَّ نَزَّةٌ نَفْسَهُ عَنِ الشَّرِكِ ﴿تَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾. ٤: ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ﴾ مَهِينَةٌ ضَعِيفَةٌ فَلَمَّا اسْتَقَلَّ وَدَرَجَ ﴿فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ﴾ يُخَاصِمُ رَبَّهُ تَعَالَى وَيُكَذِّبُهُ وَيُحَارِبُ رُسُلَهُ، وَإِنَّمَا خُلِقَ لِيَكُونَ عَبْدًا لِأَخْصَا ٥: ﴿وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دَفٌّ وَمَنْفَعٌ﴾ يَمْتَنُّ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى عِبَادِهِ بِمَا خَلَقَ لَهُمْ مِنَ الْأَنْعَامِ، وَهِيَ الْإِبِلُ وَالْبَقَرُ وَالغَنَمُ؛ بِمَا جَعَلَ فِيهَا مِنَ الْمَصَالِحِ وَالْمَنْفَعِ مِنْ أَصْوَانِهَا وَأَوْبَارِهَا، ﴿وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ مِنَ الْبَنَاتِهَا يَبْشَرُونَ، وَيَأْكُلُونَ مِنْ أَوْلَادِهَا ٦: ﴿وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ﴾ الْجَمَالُ: الزِينَةُ. [وَالْجَمَالُ فِي الْأَنْعَامِ كَثْرَتُهَا]، ﴿وَحِينَ تَسْرَحُونَ﴾ وَقْتُ رُجُوعِهَا عَشِيًّا مِنَ الْمَرْعَى فَإِنَّهَا تَكُونُ أَمْدَهُ خَوَاصِرَ وَأَعْظَمَهُ ضُرُوعًا، ﴿وَحِينَ تَسْرَحُونَ﴾ حِينَ تَبْعُونَهَا إِلَى الْمَرْعَى.

وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّا تَكُونُوا لِبَلَدِهِ إِلَّا سُقِيَ
 الْأَنْفُسِ بِآيَاتِكُمْ لَرَوْفٌ رَّحِيمٌ ﴿٧﴾ وَالْحَيْلُ وَالْبِغَالُ
 وَالْحَمِيرُ لَتَرْكَبُوها وَزِينَةٌ وَيَخْتَلِقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨﴾
 وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا جَايِرٌ لَّوْشَاءَ لَهْدِكُمْ
 أَجْمَعِينَ ﴿٩﴾ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَّكُمْ مِنْهُ
 شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ﴿١٠﴾ يُنْبِتُ لَكُمْ
 بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِنْ كُلِّ
 الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١١﴾
 وَسَخَّرَ لَكُمْ مِنْ أَيْلِ النَّهَارِ وَاللَّيْلِ وَالشَّمْسِ وَالْقَمَرِ وَالنُّجُومِ
 مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ
 ﴿١٢﴾ وَمَا ذَرَأْتُمْ فِي الْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ إِنَّ
 فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٣﴾ وَهُوَ الَّذِي
 سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا
 مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاحِرَ فِيهِ
 وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٤﴾

٦٦٨

٧: ﴿وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ﴾ الأحمال التي
 تعجزون عن نقلها وحملها ﴿إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا
 بِالْبَلَدِ إِلَّا بَشِقَ الْأَنْفُسِ﴾، وذلك في الحج
 والغزو والتجارة، وما جرى مجرى ذلك من
 أنواع الاستعمال من ركوب وتحميل. ﴿إِنَّ
 رَبَّكُمْ لَرَوْفٌ رَّحِيمٌ﴾ ربكم الذي قبض
 لكم هذه الأنعام وسخرها لكم ٨: ﴿وَالْحَيْلُ
 وَالْبِغَالُ وَالْحَمِيرُ﴾ هذا صنف آخر مما خلق
 تبارك وتعالى لعباده يمتن به عليهم وهو الخيل
 والبيغال والحمير التي جعلها للركوب والزينة،
 ﴿وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [مما لم يره البشر
 ولم يسموا به. يخلق ما لا يحيط علمكم به
 من المخلوقات غير ما عدده هاهنا] ٩: ﴿وَعَلَى
 اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ﴾ طريق الحق على الله، وهو
 طريق الإسلام. أي: على الله بيان الهدى من
 الضلال. ﴿وَمِنْهَا جَائِرٌ لَّوْشَاءَ﴾ ثم أخبر أن ثم طرقتاً
 زائغة عن الحق كاليهودية والنصرانية والمجوسية.
 ﴿وَلَوْ شَاءَ لَهْدَاكُمْ أَجْمَعِينَ﴾، [بين أن المشيئة
 لله تعالى]. ١٠: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ
 مَاءً لَّكُمْ﴾ لما ذكر تعالى ما أنعم به عليهم من
 الأنعام والدواب شرع في ذكر نعمته عليهم في
 إنزال المطر، ﴿مِنْهُ شَرَابٌ﴾ عذب يسوغ
 لكم شربه، ولم يجعله مِلْحًا أجاجاً. ﴿وَمِنْهُ
 شَجَرٌ﴾ وأخرج لكم منه شجراً ﴿فِيهِ
 تُسِيمُونَ﴾ ترعون فيه أنعامكم. السوم:
 الرعي ١١: ﴿يُنْبِتُ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ
 وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ﴾
 يُخرجها تعالى من الأرض بهذا الماء الواحد
 على اختلاف صنوفها وطعمها وألوانها

وأشكالها، ولهذا قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ دلالة وحجة على أنه لا إله إلا الله ١٢: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمْ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ
 وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ﴾، يثبت تعالى عبادة على آياته العظام في تسخير الليل والنهار يتعاقبان، والشمس والقمر يدوران، والنجوم
 الثوابت والسيارات في أرجاء السموات نوراً وضياءً ليهدي بها في الظلمات، كلٌ منها يسير في فلكه تحت قهره وسلطانه، ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ
 لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ لدلالات على قدرته تعالى الباهرة وسلطانه العظيم، لقوم يعقلون عن الله ويفهمون حُجَّتَهُ ١٣: ﴿وَمَا ذَرَأْتُمْ فِي الْأَرْضِ
 مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ﴾ لما تبه تعالى على معالم السموات تبه على ما خلق في الأرض من الأمور العجيبة والأشياء المختلفة من الحيوانات والنباتات، والمعادن
 والجمادات على اختلاف أنواعها، ومافيه من المنافع والحواس، ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ﴾ آلاء الله ونعمته فيشكرونها ١٤: ﴿وَهُوَ
 الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا﴾ يُخبر تعالى عن تسخير البحر بتذليله لهم وتيسيرهم للركوب فيه، وجعله السمك والحيتان فيه
 وإحلاله لحمها لعباده، ﴿وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا﴾ من اللآلئ والجواهر النفيسة، ﴿وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاحِرَ فِيهِ﴾ السفن التي تمخره، أي:
 تشقه. ﴿وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ نعمة وإحسانه.

الآية ٨: روى الإمام أحمد وأبو داود بإسناد من كل منهما على شرط مسلم عن جابر قال: ذبحنا يوم خيبر الخيل والبيغال والحمير فهانا رسول الله ﷺ من البيغال والحمير ولم يهتنا
 عن الخيل. وفي صحيح مسلم عن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما قالت: نحزنا على عهد رسول الله ﷺ فرماً فأكلناه ونحن بالمدينة. / ابن كثير ج ٢/٥٦٣.

١٥: ﴿وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ﴾ وهي الجبال الراسيات لتقر الأرض ولا تضطرب بما عليها، ﴿وَأَنْهَاراً وَسُبُلًا﴾ جعل فيها أنهاراً تجري من مكان إلى مكان آخر رزقاً للعباد، وطرقاً يسلك فيها من بلاد إلى بلاد ﴿لَعَلَّكُمْ يَهْتَدُونَ﴾ [حيث تصدقون من البلاد] ١٦: ﴿وَعَلَامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾ في ظلام الليل. ثم نبه تعالى على عظمته وأنه لا تنبغي العبادة إلا له دون مساواه فقال: ١٧: ﴿أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ﴾ كما قال تعالى: ﴿هذا خلق الله فأروني ماذا خلق الذين من دونه؟!﴾! ﴿أفلا تذكرون؟﴾ ثم نههم تعالى على كثرة نعمه وإحسانه إليهم فقال: ١٨: ﴿وَأَن تَعْبُدُوا نِعْمَةَ اللَّهِ لِأَتْحُصُّوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ يتجاوز عنكم، ولو طالبكم بشكر جميع نعمه لعجزتم عن القيام بذلك، ولو أمركم به لضعفتم وتركتهم، ولو عذبكم لعذبكم وهو غير ظالم لكم ولكنه غفورٌ رحيم، يغفر الكثير ويجازي على اليسير ١٩: ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ﴾ يخبر تعالى أنه يعلم الضائر والسرائر كما يعلم الظواهر، وسيجزى كل عامل بعمله يوم القيامة، ثم أخبر تعالى عن الأصنام التي يدعونها من دون الله فقال: ٢٠: ﴿وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئاً وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾، [ثم بين حقيقة ما يدعون من دونه فقال سبحانه]: ٢١: ﴿أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ﴾ هي جمادات لأرواح لها، ﴿وما يشعرون أياًن يعنون﴾ لا يدرون

وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَاراً وَسُبُلًا لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥﴾ وَعَلَّمْتِ بِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ﴿١٦﴾ أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٧﴾ وَإِن تَعْبُدُوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٨﴾ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿١٩﴾ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئاً وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿٢٠﴾ أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُعْتَبُونَ ﴿٢١﴾ إِلَهُكُمْ إِلَهُ وَاحِدٌ فَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ قُلُوبُهُم مُّنْكَرَةٌ وَهُمْ مُّسْتَكْبِرُونَ ﴿٢٢﴾ لَاجِرَمَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ ﴿٢٣﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ مَاذَا أُنزِلَ رَبُّكُمْ قَالَوا السَّاطِرِ الْأَوَّلِينَ ﴿٢٤﴾ لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمِن أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ أَلَا سَاءَ مَا يَزُرُونَ ﴿٢٥﴾ قَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَاتَى اللَّهُ بُيُوتَهُم مِّنَ السَّمَاءِ فَفَجَّرَ عَلَيْهِمُ السَّمَاءَ فَمِن فَوْقِهِمْ وَأَتَنَّهُمُ الْعَذَابُ مِن حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٦﴾

مضى تكون الساعة، فكيف يرتجى عند هذه نفع أو ثواب أو جزاء؟! إنما يرجى ذلك من الذي يعلم كل شيء وخالق كل شيء ٢٢: ﴿إلهكم إله واحد﴾ [لما بين استحالة الشرك بالله بين أن المعبود واحد]، ﴿فالذين لا يؤمنون بالآخرة قلوبهم منكرة﴾ كما قال تعالى عنهم: ﴿أجعل الآلهة إلهاً واحداً؟ إن هذا لشيءٌ عجاب﴾، ﴿وهم مستكبرون﴾ عن عبادة الله ٢٣: ﴿لاجرم﴾ حقاً [وهي كلمة تحقيق ولا تكون إلا جواباً]، ﴿أن الله يعلم ما يسرون وما يعلنون﴾ وسيجزىهم على ذلك أمم الجزاء، ﴿إنه لا يحب المستكبرين﴾ ٢٤: ﴿وإذا قيل لهم هؤلاء المكذبين: ماذا أنزل ربكم؟﴾ قالوا: ﴿عسى أنزلناهم بغير علم﴾ يصير عليهم خطيئة ضلالتهم في أنفسهم وخطيئة إغوائهم لغيرهم، كما جاء في الحديث: «من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجر من اتبعه لا ينقص ذلك من أجرهم شيئاً، ومن دعا إلى ضلالة كان عليه من الإثم مثل آثام من اتبعه لا ينقص ذلك من آثامهم شيئاً». ﴿ألا ساء ما يزرون﴾ [أي: بئس الوزر الذي يحملونه] ٢٥: ﴿قد مكر الذين من قبلهم﴾ وهو التمرد الذي بنى الصرح ﴿فاتى الله بنيانهم من القواعد﴾ اجتنه من أصله، ﴿فجّر عليهم السقف من فوقهم﴾ [أي: عليهم وقع، وكانوا تحته فهلكوا]، ﴿وأتاهم العذاب من حيث لا يشعرون﴾ [أي: من حيث ظنوا أنهم في أمان].

الآية: ٢٥ جاء في الحديث: «من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجر من اتبعه لا ينقص ذلك من أجرهم شيئاً، ومن دعا إلى ضلالة كان عليه من الإثم مثل آثام من اتبعه لا ينقص ذلك من آثامهم شيئاً». / ابن كثير ج ٥/٦٦٧ .

ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُخْزِبُهُمْ وَيَقُولُ آيُنَ شُرَكَاءِ كَالَّذِينَ
 كُنتُمْ تُشْفِقُونَ فِيهِمْ قَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ إِنَّ الْخِزْيَ
 الْيَوْمَ وَالسُّوءَ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٢٧﴾ الَّذِينَ تَوَفَّيْتَهُمُ الْمَلَائِكَةُ
 ظَالِمِينَ أَنفُسِهِمْ فَأَلْقَوْا السَّلَامَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِنْ سُوءٍ بَلَى
 إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٨﴾ فَأَدْخَلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ
 خَالِدِينَ فِيهَا فَلَيْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٢٩﴾ وَقِيلَ
 لِلَّذِينَ اتَّقَوْا مَاذَا أَنْزَلْ رَّبُّكُمْ قَالُوا خَيْرٌ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي
 هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَلِدَارِ الْآخِرَةِ خَيْرٌ وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ
 ﴿٣٠﴾ جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ هُمْ فِيهَا
 مَا يَشَاءُونَ كَذَلِكَ يَجْزِي اللَّهُ الْمُتَّقِينَ ﴿٣١﴾ الَّذِينَ تَوَفَّيْتَهُمُ
 الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا
 كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٣٢﴾ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ
 أَوْ يَأْتِيَ أَمْرٌ رَبِّكَ كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَمَا ظَلَمَهُمُ
 اللَّهُ وَلَكِنْ كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٣٣﴾ فَأَصَابَهُمْ
 سَيِّئَاتٌ مَا عَمِلُوا وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٣٤﴾

٢٧٠

٢٧: ﴿ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُخْزِبُهُمْ﴾ ويقول لهم
 الربُّ تعالى مُقْرَعًا لهم وموْحًا: ﴿آيُنَ شُرَكَاءِ فِي
 الَّذِينَ كُنتُمْ تُشْفِقُونَ فِيهِمْ؟ أَي: تُحَارِبُونَ
 وتُعادون في سبيلهم أَيْنَ هم؟﴾ هل
 يَنْصُرُونَكُمْ أَوْ يَنْتَصِرُونَ؟! ﴿قَالَ الَّذِينَ
 أُوتُوا الْعِلْمَ﴾ وهم أهلُ الحقِّ ﴿إِنَّ الْخِزْيَ
 الْيَوْمَ وَالسُّوءَ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ الفضيحة
 والعذابُ محيطٌ اليومَ بمن كفر بالله وأشرك به
 ٢٨: ﴿الَّذِينَ تَوَفَّيْتَهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي
 أَنفُسِهِمْ﴾ يخبر تعالى عن حال المشركين عند
 احتضارهم وبعثي الملائكة إليهم لقبض
 أرواحهم الخبيثة، ﴿فَأَلْقَوْا السَّلَامَ﴾ أظهرُوا
 السَّمْعَ والطاعةَ والانقيادَ قائلين: ﴿مَا كُنَّا
 نَعْمَلُ مِنْ سُوءٍ﴾ قال الله مكذِّبًا لهم في قلوبهم
 ذلك: ﴿بَلَى إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾
 ٢٩: ﴿فَأَدْخَلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا﴾
 [أَي: يُقَالُ لَهُمْ ذَلِكَ عِنْدَ الْمَوْتِ] ﴿فَلَيْسَ
 مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ﴾ بِمَسِّ الْمَقِيلِ وَالْمَقَامِ فِي دَارِ
 الْهَوَانِ لِمَنْ كَانَ مُتَكَبِّرًا عَنِ آيَاتِ اللَّهِ وَاتِّبَاعِ
 رُسُلِهِ ٣٠: ﴿وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا مَاذَا أَنْزَلَ
 رَبُّكُمْ؟﴾ هذا خيرٌ عن السعداء ﴿قَالُوا
 خَيْرٌ﴾ أنزلَ خيرًا ورَحْمَةً وَبِرَكَّةٍ لِمَنْ اتَّبَعَهُ وَأَمَنَ
 بِهِ، ثُمَّ أُخْبِرَ تَعَالَى عَمَّا وَعَدَ اللَّهُ عِبَادَهُ فِيمَا أَنْزَلَهُ
 عَلَيْهِ رُسُلُهُ فَقَالَ: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ
 الدُّنْيَا حَسَنَةٌ﴾ وهي الحياة الطيبة ﴿وَلِدَارِ
 الْآخِرَةِ خَيْرٌ﴾ كَمَا قَالَ لِرَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
 وَآلِهِ وَسَلَّمَ: ﴿وَلِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي الدُّنْيَا
 حَسَنَةٌ﴾ وَوَصَفَتِ الدَّارَ الْآخِرَةَ فَقَالَ: ﴿وَلِنِعْمِ دَارُ
 الْمُتَّقِينَ﴾ ٣١: ﴿جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا﴾

سُورَةُ النِّعَانِ

لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ فِي الْآخِرَةِ ﴿تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ بَيْنَ أَشْجَارِهَا وَقُصُورِهَا، ﴿هُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ﴾ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ
 وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ وَأَنْتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ ، ﴿كَذَلِكَ يَجْزِي اللَّهُ الْمُتَّقِينَ﴾ ، ثُمَّ أُخْبِرَ تَعَالَى عَنْ حَالِهِمْ عِنْدَ الْاِحْتِضَارِ فَقَالَ: ٣٢: ﴿الَّذِينَ تَوَفَّيْتَهُمُ
 الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ﴾ طَاهِرِينَ مِنَ الشَّرْكِ، ﴿يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ﴾ وَيُبَشِّرُونَهُمْ بِالْجَنَّةِ ﴿ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [أَي أَبْشَرُوا بِدُخُولِ الْجَنَّةِ
 بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ فِي الدُّنْيَا مِنَ الصَّالِحَاتِ] ٣٣: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ أَمْرٌ رَبِّكَ﴾ يَقُولُ تَعَالَى مَهْدِدًا الْمُشْرِكِينَ عَلَى
 تَمَادِيهِمْ فِي الْبَاطِلِ: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ﴾ هَلْ يَنْتَظِرُ هَؤُلَاءِ إِلَّا الْمَلَائِكَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ لِقَبْضِ أَرْوَاحِهِمْ، ﴿أَوْ يَأْتِيَ أَمْرٌ رَبِّكَ﴾ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمَا يُعَانُونَهُ مِنْ
 الْأَهْوَالِ؟! ﴿كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ هَكَذَا تَمَادَى فِي شُرَكَاهُمْ أَشْبَاهَهُمْ حَتَّى ذَاقُوا بَأْسَ اللَّهِ، ﴿وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ﴾ لِأَنَّهُ أَعْذَرَ إِلَيْهِمْ بِرِسَالِهِ
 رُسُلَهُ، ﴿وَلَكِنْ كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ بِمَخَالَفَةِ الرُّسُلِ ٣٤: ﴿فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتٌ مَا عَمِلُوا وَحَاقَ بِهِمْ﴾ أَحَاطَ بِهِمْ ﴿مِنْ الْعَذَابِ﴾ مَا كَانُوا بِهِ
 يَسْتَهْزِئُونَ﴾ يَسْخَرُونَ مِنَ الرُّسُلِ إِذَا تَوَعَّدُوهُمْ بِعِقَابِ اللَّهِ.

الآية ٢٧: ورد في الصحيحين عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «ينصب لك غادر لواء يوم القيامة عند إسته بقدر غدرته فيقال هذه غدره فلان بن فلان» .
 الآية ٣١: ورد في الحديث «إن السحابة تمر بالأمم من أهل الجنة وهم جلوس على شراهم فلا يشتهي أحد منهم شيئاً إلا أمطرته عليه حتى أن منهم لمن يقول أمطرتنا كواعب أترابنا
 فيكون ذلك !!» ابن كثير ج ٢/٥٦١ - ٥٦٨ .

٣٥: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ نَحْنُ وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا
 حَزْمًا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ﴾ يُخْبِرُ تَعَالَى عَنْ اِغْتِرَابِ الْمُشْرِكِينَ بِمَا هُمْ فِيهِ مِنَ الْإِشْرَاقِ، وَاعْتِدَارِهِمْ مَحْتَجِينَ بِالْقَدْرِ ﴿كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ ثُمَّ قَالَ تَعَالَى رَادًّا عَلَيْهِمْ شِبْهَتِهِمْ: ﴿فَهَلْ عَلَى الرَّسُلِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ؟!﴾ لَيْسَ الْأَمْرُ كَمَا تَزْعُمُونَ أَنَّهُ لَمْ يَنْكُرْ عَلَيْهِمْ بَلْ لَقَدْ أَنْكَرَهُ عَلَيْكُمْ أَشَدَّ الْإِنْكَارِ وَنَهَاهُمْ عَنْهُ أَكْثَرَ النَّبِيِّ ٣٦: ﴿لَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا يَدْعُوهُمْ إِلَى عِبَادَةِ اللَّهِ﴾ هُنَّ أُمَّةٌ كَلَّمَهُ اللَّهُ وَاجْتَبَاهَا لِلطَّاعُونَ ﴿وَهُوَ كُلُّ مَعْبُودٍ دُونِ اللَّهِ﴾؛ فَكَيْفَ يَسُوغُ لِلْمُشْرِكِينَ بَعْدَ هَذَا أَنْ يَقُولُوا: ﴿لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ؟﴾ ﴿فَمَنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ﴾ [بِأَنَّ أَرْشَدَهُ إِلَى دِينِهِ] ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ﴾ [أَي: وَجِبَتْ وَثَبَّتْ لِإِصْرَارِهِ عَلَى كُفْرِهِ]. ﴿فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكذِّبِينَ﴾ كَيْفَ دَمَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ، وَلِلْكَافِرِينَ أَمْثَالَهَا ٣٧: ﴿إِنْ تَحَرَّصَ عَلَى هِدَايَتِهِمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ يُضِلُّ﴾ أَخْبَرَ تَعَالَى رَسُولَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أَنَّ حِرْصَهُ عَلَى هِدَايَتِهِمْ لَا يَنْفَعُهُمْ إِذَا كَانَ اللَّهُ قَدْ أَرَادَ إِضْلَالَهُمْ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنْ اللَّهِ شَيْئًا﴾ وَ﴿مَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُ وَيَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾، ﴿وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ﴾ يُنْقِذُونَهُمْ مِنْ عَذَابِهِ وَوِثَاقِهِ ٣٨: ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ﴾ حَلَفَ الْمُشْرِكُونَ أَغْلَظَ الْإِيمَانَ عَلَى

وَقَالَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ نَحْنُ وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَزْمًا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ
 فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَهَلْ عَلَى الرَّسُلِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴿٣٥﴾ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ
 وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ
 كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكذِّبِينَ ﴿٣٦﴾ إِنْ تَحَرَّصَ عَلَى هِدَايَتِهِمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ يُضِلُّ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ ﴿٣٧﴾
 وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَنْ يَمُوتُ بَلَى وَعَدًّا عَلَيْهِ حَقًّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٨﴾
 لِيَبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي يُخْتَلَفُونَ فِيهِ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ كَانُوا كَذِبِينَ ﴿٣٩﴾ إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿٤٠﴾ وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا لِنَبِّئْتَهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَلَا جَزَاءَ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾ الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٤٢﴾

أَنَّهُ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَنْ يَمُوتُ ﴿فَرَدَّ عَلَيْهِمْ تَعَالَى بِقَوْلِهِ﴾ ﴿بَلَى﴾ سَيَكُونُ ذَلِكَ ﴿وَعَدًّا عَلَيْهِ حَقًّا﴾ لَا يَدَّبُّ مِنْهُ، ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ، فَأَعْلَمَهُمْ] ٣٩: ﴿لِيَبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي يُخْتَلَفُونَ فِيهِ﴾ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ ﴿وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ كَانُوا كَذِبِينَ﴾ فِي آيَاتِهِمْ وَأَقْسَامِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَنْ يَمُوتُ، وَهَذَا يَدْعُونَ إِلَى جَهَنَّمَ دَعْوًا ٤٠: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ أَخْبَرَ تَعَالَى عَنْ قُدْرَتِهِ عَلَى مَا يَشَاءُ وَأَنَّهُ لَا يَعْجِزُهُ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَالسَّمَاءِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلِمَةً بِلِصْقِ الْبَصَرِ﴾، أَنَّ نَامِرَهُ مَرَّةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُوَ كَاتِنٌ ٤١: ﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا لِنَبِّئْتَهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً﴾ نَزَلَتْ فِي الَّذِينَ هَاجَرُوا إِلَى الْحَبْشَةِ حِينَ اشْتَدَّ أذى قَوْمِهِمْ لِهَيْبَتِهِمْ لِيَتَمَكَّنُوا مِنْ عِبَادَةِ رَبِّهِمْ؛ فَاتَّهَمُوا مَسَاكِنَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ فَعَرَّضَهُمُ اللَّهُ خَيْرًا مِنْهَا فِي الدُّنْيَا، فَإِنَّ مَنْ تَرَكَ اللَّهُ شَيْئًا عَرَّضَهُ اللَّهُ بِمَا هُوَ خَيْرٌ مِنْهُ، ﴿وَلَا جَزَاءَ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ﴾ وَأَعْظَمُ مِمَّا أَعْطَاهُمْ فِي الدُّنْيَا، ﴿لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ الْمُتَخَلِّفُونَ عَنِ الْحَجَرَةِ مَعَهُمْ ٤٢: ﴿الَّذِينَ صَبَرُوا﴾ عَلَى أذى قَوْمِهِمْ ﴿وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾، [قَالَ بَعْضُ أَهْلِ التَّحْقِيقِ: خِيَارُ الْخَلْقِ مَنْ إِذَا نَابَهُ أَمْرٌ صَبَرَ، وَإِذَا عَجَزَ عَنْ أَمْرٍ تَوَكَّلَ].

الآية: ٣٨ روى ابن أبي حاتم قال: أخبرني عطاء أنه سمع أبا هريرة رضي الله عنه يقول: قال الله تعالى شتمني ابن آدم ولم يكن يبغيني له ذلك، وكذبني ابن آدم ولم يكن يبغيني له ذلك؛ فأنا تكذبه إني فقال: ﴿وَأَقْسَمُوا جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَنْ يَمُوتُ﴾ قال وقلت: ﴿بلى وعُدًّا عليه حقًا ولكن أكثر الناس لا يعلمون﴾ وأما شتمه إني فقال: ﴿إن الله ثالث ثلاثة﴾ وقلت: ﴿قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد﴾. وذكر هذا مرفوعاً في الصحيحين لفظ آخر إلى النبي ﷺ. ابن كثير ج ٥/٦٩٦/٢٠٧٠.

وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رَجُلًا نُوحِي إِلَيْهِمْ فَسَعَوْا أَهْلَ
 الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْمُونَ ﴿٤٣﴾ بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ
 الذِّكْرَ لَتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ
 ﴿٤٤﴾ أَفَأَمِنَ الَّذِينَ مَكَرُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ يَخْسِفَ اللَّهُ بِهِمُ الْأَرْضَ
 أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٤٥﴾ أَوْ يَأْخُذَهُمْ
 فِي تَقَابُحِهِمْ فَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ ﴿٤٦﴾ أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَى تَخَوُّفٍ فَإِنَّ
 رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿٤٧﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ
 يَنْفَعِيوْا ظِلَالَهُ عَنِ الْأَيْمَنِ وَالشَّمَائِلِ سُجَّدًا لِلَّهِ وَهُمْ دَاخِرُونَ
 ﴿٤٨﴾ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ دَابَّةٍ
 وَالْمَلَائِكَةِ وَهُمْ لَا يُسْتَكْبِرُونَ ﴿٤٩﴾ يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ
 وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٥٠﴾ وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَّخِذُوا لِلنَّهْيِ
 اثْنِينَ إِنَّمَا هُوَ إِلَهُ وَاحِدٌ فَاتَّبِعُوا فَاَرْهَبُونَ ﴿٥١﴾ وَلَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ
 وَالْأَرْضِ وَلَهُ الدِّينُ وَاصِبًا أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَتَّقُونَ ﴿٥٢﴾ وَمَا يَكُفُّ
 عَنْ عِقَابِ اللَّهِ إِذَا مَسَّكُمْ الضَّرُّ فَالْيَهُ تَجْعُرُونَ ﴿٥٣﴾ ثُمَّ
 إِذَا كَشَفَ الضَّرَّ عَنْكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِنْكُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾

الذِّكْرِ
 سَجْدَةً

٤٣: ﴿وما أرسلنا من قبلك إلا رجالاً نوحي إليهم﴾ ليسوا من أهل السماء، وهذه الآية أخبرت بأن الرسل الماضين قبل محمد صلى الله عليه وآله وسلم كانوا بشرًا كما هو بشر. ثم أرشد الله تعالى من شك في كون الرسل كانوا بشرًا إلى سؤال أصحاب الكتب المتقدمة عن الأنبياء الذين سئلوا هل كان أنبياءهم بشرًا أو ملائكة: ﴿فسألو أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون﴾، ثم ذكر تعالى أنه أرسلهم: ٤٤: ﴿بالبينات﴾ بالحجج والدلائل ﴿والزُّبُر﴾ وهي الكتب ﴿وأنزلنا إليك الذكر﴾ يعني القرآن ﴿لتبين للناس ما نزل إليهم﴾ من ربهم لعلكم بمعنى ما نزل الله عليك، ﴿ولعلهم يتفكرون﴾ ينظرون لأنفسهم فهتدون ٤٥: ﴿أفأمن الذين مكروا السيئات أن يخسف الله بهم الأرض أو يأتيهم العذاب من حيث لا يشعرون﴾؟ يُخبر تعالى عن حلمه وإنظاره الذين يعملون السيئات ويمكرون بالناس في حملهم عليها، مع قدرته على أن يخسف بهم الأرض أو يأتيهم العذاب من حيث لا يعلمون بحيلة إليهم ٤٦: ﴿أو يأخذهم في تقلبهم﴾ في المعاش واشتغالهم بها ﴿لما هم بمعجزين﴾ لا يعجزون الله على أي حال كانوا عليه ٤٧: ﴿أو يأخذهم على تخوف﴾ [أي: تنقص] أي: إن شئت أخذته على أثر موت صاحبه وتخوفه بذلك، ليكون أبلغ وأشدد، ﴿فإن ربكم لرؤوف رحيم﴾ حيث لم يُعاجلكم بالعقوبة ٤٨: ﴿أولم يروا إلى ما خلق الله من شيء يتفيوا ظلاله عن اليمين﴾

والشمال سجداً لله وهم داخرون﴾ يُخبر تعالى عن عظمته الذي خضع له كل شيء، ودانت له المخلوقات؛ فأخبر أن كل ما له ظل يتفياً ذات اليمين وذات الشمال، أي: بكرة وعشيا، فإنه ساجدٌ بظله لله تعالى ٤٩: ﴿ولله يسجد ما في السموات وما في الأرض من دابة﴾ كما قال تعالى: ﴿ولله يسجد من في السموات والأرض طوعاً وكرهاً وظلالهم بالغدو والآصال﴾، ﴿والملائكة وهم لا يستكبرون﴾ تسجد لله غير مستكبرين عن عبادته ٥٠: ﴿يخافون ربهم من فوقهم﴾ يسجدون خائفين وجلين من الرب جل جلاله ﴿ويفعلون ما يؤمرون﴾ مثابرين على طاعته تعالى وامتنال أوامره ٥١: ﴿وقال الله لا تتخذوا لغيري إلهين إنما هو إله واحد فإياي فارهبون﴾ يُخبر تعالى أنه لا إله إلا هو وأنه لا ينبغي العبادة إلا له وحده لا شريك له، فإنه مالك كل شيء وخالق. ٥٢: ﴿ولله ما في السموات والأرض وله الدين واصباً﴾ له الدين واجباً دائماً، ﴿أفغير الله تتقون﴾؟! ارهبوا أن تُشركوا في شيئاً وأخلصوا لي الدين ٥٣: ﴿وما بكم من نعمة فمن الله﴾ ما بالعباد من رزقي وعافية ونصر فمن فضله عليهم وإحسانه إليهم، ﴿ثم إذا مسكم الضر فإليه تجأرون﴾ لعلكم أنه لا يقدر على إزالته إلا هو فإنكم عند الضرورة لتجؤون إليه ٥٤: ﴿ثم إذا كشف الضر عنكم إذا فريق منكم بربهم يشركون﴾. [معنى الآية: التعجب من الإشراف بعد النجاة من الهلاك].

الآية: ٤٧ ثبت في الصحيحين: (لا أحد أصبر على أدنى سمعة من الله، إنهم يجعلون له ولداً وهو يرزقهم وينافعهم). وفيهما: (إن الله ليُعلم للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته) ثم قرأ رسول الله ﷺ ﴿وكن ذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهي ظلاله إن أخذه أُم شديد﴾. /ابن كثير ج/ ٥٧١/٢ .
 الآية: ٤٩ كان رسول الله ﷺ يقول في سجوده: «اللهم لك سجدت ولك آمنت، ولك أسلمت، سجد وجهي للذي خلقه وصوره، وشق سمعه وبصره، تبارك الله أحسن الخالقين» رواه مسلم في صحيحه رقم ٧٧١/.

٥٥: ﴿لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ﴾ أشركوا ليكفروا نعم الله عليهم، ثم توعدهم قائلاً: ﴿فَمَتَّعُوا﴾ أعمالوا ما شئتم وتمتعوا بما آتتم فيه قليلاً ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ عاقبة ذلك ٥٦: ﴿وَيَجْعَلُونَ لِمَا لَا يَعْلَمُونَ نَصِيبًا مِّمَّا رَزَقْنَاهُمْ﴾ يُخَيَّرُ تَعَالَى عَنْ قِبَاحِ الْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ عَبَدُوا مَعَ اللَّهِ غَيْرَهُ وَفَضَّلُوهُا عَلَى جَانِبِهِ، فَاقْسَمَ اللَّهُ تَعَالَى بِنَفْسِهِ لِيَسْأَلَنَّهُمْ عَنْ ذَلِكَ فَقَالَ: ﴿تَاللَّهِ لَنَسْأَلَنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَفْتَرُونَ﴾، لِيَجْازِيَكُمْ عَلَيْهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ ٥٧: ﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ﴾ الملائكة الذين هم عباد الرحمن فعبدوها معه ﴿سَبْحَانَهُ﴾ وتعالى عن قولهم وإفكهم، ﴿وَلَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ﴾ يَخْتَارُونَ لِأَنْفُسِهِمُ الذَّكَورَ وَيَأْتُونَ مِنَ الْبَنَاتِ الَّتِي نَسَبُوهَا إِلَى اللَّهِ ٥٨: ﴿وَإِذَا بَشُرَ أَحَدُهُمْ بِالْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهَهُ مَسْوَدًّا﴾ كَثِيبًا مِنْ أَلَمٍ ﴿وَهُوَ كَظِيمٌ﴾ سَاكَتْ مِنْ شِدَّةِ مَا هُوَ فِيهِ مِنَ الْحُزَنِ ٥٩: ﴿يَتَوَارَىٰ مِنَ الْقَوْمِ﴾ يَكْرَهُ أَنْ يَرَاهُ النَّاسُ ﴿مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيْمِسُكُهُ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ﴾ إِنْ أَبْقَاهَا أَبْقَاهَا مُهَانَةً ﴿أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ﴾ يَغْذَاهَا وَيُدْفِنُ فِيهَا حَيَّةً؟ ﴿أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ بِمَنْ مَاقَالُوا وَيَسْنَ مَا قَسَمُوا وَيَسْنَ مَا نَسَبُوا إِلَيْهِ ٦٠: ﴿لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ مَثَلُ السُّوءِ﴾ النِّقْصُ وَإِنَّمَا يُنْسَبُ إِلَيْهِمْ، ﴿وَاللَّهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ﴾ الْكَمَالُ الْمَطْلُوبُ مِنْ كُلِّ وَجْهٍ مُنْسَبٌ إِلَيْهِ ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ ٦١: ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِمْ مَا تَرَكَ عَلَيْهِمْ مِنْ دَابَّةٍ وَلَكِنْ

لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ فَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٥٥﴾ وَيَجْعَلُونَ لِمَا لَا يَعْلَمُونَ نَصِيبًا مِّمَّا رَزَقْنَاهُمْ تَاللَّهِ لَنَسْأَلَنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَفْتَرُونَ ﴿٥٦﴾ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ سَبْحَانَهُ وَلَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ ﴿٥٧﴾ وَإِذَا بَشُرَ أَحَدُهُمْ بِالْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهَهُ مَسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٥٨﴾ يَتَوَارَىٰ مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَبِهِ أَيْمِسُكُهُ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٥٩﴾ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ مَثَلُ السُّوءِ وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٦٠﴾ وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِمْ مَا تَرَكَ عَلَيْهِمْ مِنْ دَابَّةٍ وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَكْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٦١﴾ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ الْكُذْبَ أَنَّ لَهُمُ الْحُسْنَىٰ لَآ جِزْمَ أَنَّ لَهُمُ النَّارَ وَأَنَّهُمْ مُّفْرَطُونَ ﴿٦٢﴾ تَاللَّهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِنْ قَبْلِكَ فَرِيقٍ لَّهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَلَهُمْ فَهُوَ وِلِيُّهُمْ الْيَوْمَ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾ وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٦٤﴾

يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ يَخَيَّرُ تَعَالَى عَنْ حِلْمِهِ بِخَلْقِهِمْ وَأَنَّهُ لَوْ يُؤَاخِذُهُمْ بِمَا كَسَبُوا لِأَهْلَكَ جَمِيعَ دَوَابِّ الْأَرْضِ تَبَعًا لِإِهْلَاكِ نَبِيِّ آدَمَ، وَلَكِنَّ الرَّبَّ جَلَّ جَلَالُهُ يَجْلُمُ وَيَسْتُرُ، وَلَا يَاجِلُهُمْ بِالْعُقُوبَةِ، ﴿فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ ٦٢: ﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ﴾ مِنَ الْبَنَاتِ وَمِنَ الشَّرَكَاءِ الَّذِينَ هُمْ عِبِيدُهُ، وَيَأْتُونَ أَنْ يَكُونَ عِنْدَ أَحَدِهِمْ شَرِيكَ لَهُ فِي مَالِهِ. ﴿وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ الْكُذْبَ أَنَّ لَهُمُ الْحُسْنَىٰ﴾ هَذَا إِنكَارٌ عَلَيْهِمْ فِي دَعْوَاهُمْ مَعَ ذَلِكَ أَنَّ لَهُمُ الْحُسْنَىٰ فِي الدُّنْيَا، وَإِنْ كَانَ تَمَّ مَعَادَ فَيَقْبَهُ لِمُ الْحُسْنَىٰ، ﴿لَآ جِزْمَ أَنَّ لَهُمُ النَّارَ﴾ حَقًّا لِأَنَّهُ مِنْهُ أَنَّ لَهُمُ النَّارَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، ﴿وَأَنَّهُمْ مُّفْرَطُونَ﴾ مُنْسَبُونَ مَضِيْعُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، لِأَنَّهُ يُعْجَلُ بِهِمْ إِلَى النَّارِ ٦٣: ﴿تَاللَّهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِنْ قَبْلِكَ فَرِيقٍ لَّهُمُ الشَّيْطَانُ﴾ إِنَّهُ تَعَالَى أَرْسَلَ إِلَى الْأُمَمِ الْخَالِيَةِ فَكَذَبَتِ الرِّسَالَ، فَلَمَّا يَأْمُرُ بِإِخْوَانِكَ الْمُرْسَلِينَ أَسْوَدًا، وَإِنَّمَا حِلْمُهُمْ عَلَى ذَلِكَ تَزِينُ الشَّيْطَانِ لَهُمْ مَا قَمَلُوا ﴿فَهُوَ وِلِيُّهُمْ الْيَوْمَ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ هُمْ تَحْتَ الْعُقُوبَةِ وَالنِّكَالِ وَالشَّيْطَانِ لِأَمْلِكُ لَهُمْ خِلَاصًا ٦٤: ﴿وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ﴾ إِنَّمَا أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ الَّذِي يَخْتَلِفُونَ فِيهِ، فَالْقُرْآنُ فَاصِلٌ بَيْنَ النَّاسِ فِي كُلِّ مَا يَتَنَازَعُونَ فِيهِ، ﴿وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ الْقُرْآنُ هُدًى لِلْقُلُوبِ، وَرَحْمَةٌ لِمَنْ تَمَسَّكَ بِهِ.

٦٥: ﴿وَاللَّهُ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ وكما جعل الله سبحانه القرآن حياةً للقلوب الميتة بكفرها كذلك يُحيي الأرضَ بعد موتها بما أنزله عليها من السماء من ماءٍ ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾ يفهمون الكلام ومعناه ٦٦: ﴿وَإِنْ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةٌ﴾ إن لكم أيها الناس في الإبل والبقر والغنم لعبرةً وآيةً دالةً على حكمة خالقها وقدرته ورحمته ولطفه ﴿تُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهِ﴾ أفرد [الضمير] عوداً على معنى الحيوان من الأنعام، ﴿مِنْ بَيْنِ قَرْنٍ﴾ أي: [من الزبل الذي ينزل إلى الكرش] ﴿وِوَدْمٍ﴾ إذا نضج الغذاء في معدته فيصرف منه الدم إلى العروق ﴿لِنَبَأٍ خَالِصًا﴾ إلى الضروع ﴿سَاتِعًا لِلشَّارِبِينَ﴾ لا يغصُّ به أحد، وكلُّ منها لايشوب الآخر ولايمزجه بعد انفصاله عنه ولايتغير به. ولما ذكر اللبن وأنه تعالى جعله شراباً للناس سائغاً نثى بذكر مايتخذها الناس من الأشربة من الثمرات فقال تعالى: ٦٧: ﴿وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا﴾ أي: يصنعون منه النبيذ قبل تحريمه قال ابن عباس: نزلت هذه الآية قبل تحريم الخمر، ﴿وَرِزْقًا حَسَنًا﴾ أي: جميع ما يؤكل ويُشرب حلالاً من هذه الثمرات، ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ وناسب ذكر العقل هاهنا فإنه أشرف ما في الإنسان، ولهذا حرم الله الأشربة المسكرة صيانة لعقولهم ٦٨: ﴿وَإِوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنْ اتَّخِذِي مِنَ

وَاللَّهُ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٦٥﴾ وَإِنْ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةٌ تَسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهِ مِنْ بَيْنِ قَرْنٍ وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ وَإِوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنْ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴿٦٨﴾ ثُمَّ كُلِي مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٦٩﴾ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يُوفِقُكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدِّ إِلَى أَزْدِلٍ الْعُمُرِ لِكَيْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٧٠﴾ وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ فَمَا الَّذِينَ فُضِّلُوا بِرَأْدِي رِزْقِهِمْ عَلَى مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَهُمْ فِيهِ سَوَاءٌ أَفَبِعِزَّةِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٧١﴾ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ بَيْنًا وَحَفْدةً وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِعِزَّةِ اللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ ﴿٧٢﴾

الجبال بيوتاً ومن الشجر ومما يعرشون﴾ المراد بالوحي هنا: الإلهام والهداية للنحل أن تتخذ من الجبال بيوتاً تأوي إليها، ومن الشجر ومما يعرشون، وهي حكمة في غاية الاتقان بحيث لا يكون في بيتها خلل، ثم أذن لها تعالى إذناً قديراً تسخيرياً أن تأكل من كل الثمرات فقال تعالى: ٦٩: ﴿ثُمَّ كُلِي مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا﴾ أي: مطيعة، فإن الطريق مذللة لك، ﴿يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ﴾ ما بين أبيض وأصفر وأحمر، وغير ذلك من الألوان على اختلاف مراعيها، ﴿فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ﴾ من الأدوية التي تعرض لهم، ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ ٧٠: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يُوفِقُكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدِّ إِلَى أَزْدِلٍ الْعُمُرِ﴾ يُخبر تعالى عن تصرفه في عبادته، وأنه هو الذي أنشأهم من العدم، ثم بعد ذلك يتوفاهم، ومنهم من يتركه حتى يدركه الهرم والضعف ﴿لِكَيْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا﴾ بعدما كان عالماً أصبح لا يدري شيئاً، ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ﴾ ٧١: ﴿وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ﴾ أي: جعل منكم فقيراً وغنياً، ﴿فَمَا الَّذِينَ فُضِّلُوا﴾ في الرزق ﴿بِرَأْدِي رِزْقِهِمْ عَلَى مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَهُمْ فِيهِ سَوَاءٌ﴾ لم يكونوا ليشركوا عبيدهم في أموالهم ونسألتهم فكيف يشركون عبيدي معي في سلطاني، فذلك قوله تعالى: ﴿أَفَبِعِزَّةِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾؟ ٧٢: ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا﴾ من جنسكم وشكلكم ولو جعل الأزواج من نوع آخر ما حصل الائتلاف والموودة بينكم ﴿وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ بَيْنًا وَحَفْدةً﴾ هم الولد وولد الولد، ﴿وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ﴾ من المطاعم والمشارب، ثم أنكروا تعالى على من أشرك في عبادته فقال: ﴿أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ﴾ وهم الأنداد والأصنام، ﴿وَبِعِزَّةِ اللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ﴾ فيضيفونها إلى غيره!؟.

٧٣: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِنَ السَّمَاوَاتِ﴾ من لا يقدر على إنزال المطر ﴿وَالْأَرْضِ﴾ ولا إنبات زرع ولا شجر، ولا يملكون لأنفسهم ﴿شَيْئًا وَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ ولو أرادوه ٧٤: ﴿فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ لَا تَجْعَلُوا لَهُ أُنْدَادًا وَأَشْيَاءَ أَمْثَالًا﴾ ^{الغيب} ﴿إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ إته يعلم ويشهد أنه لا إله إلا هو، وأنتم تجهلونكم تُشركون به غيره ٧٥: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَلُوكًا لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَمَنْ رَزَقْنَاهُ مِمَّا رَزَقْنَا حَسَنًا فَهُوَ يُنْفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا هَلْ يَسْتَوُونَ؟﴾ هذا مثلٌ ضربه الله للكافر والمؤمن، فمثل الكافر مثل العبد المملوك الذي لا يقدر على شيء، والمرزوق الرزق الحسن فهو يُنفق منه سِرًّا وجهراً هو المؤمن، ولما كان هذا الفرق واضحاً بيناً لا يجمله إلا كل غيبي قال الله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ٧٦: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَى مَوْلَاهُ﴾ وهذا أيضاً المراد به الوثن وصاحب الحق ، يعني: أن الوثن أبكم لا ينطق بخير ولا يقدر على شيء ﴿أَيْنَمَا يُوَجِّههُ﴾ يعينه ﴿لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ﴾ ولا ينجح مسعاه ﴿هَلْ يَسْتَوِي هُوَ﴾ من هذه صفته ﴿وَمَنْ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ﴾ فمقاله حقٌّ وفعله مستقيمة ﴿وَهُوَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾؟ [أي: هل يستوي الأبكم ومن يأمر بالعدل على الصراط المستقيم]؟ ٧٧: ﴿وَاللَّهُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ يُخسر تعالى عن كمال علمه

وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ شَيْئًا وَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٧٣﴾ فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٧٤﴾ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَمْلُوكًا لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَمَنْ رَزَقْنَاهُ مِمَّا رَزَقْنَا حَسَنًا فَهُوَ يُنْفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا هَلْ يَسْتَوُونَ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَى مَوْلَاهُ أَيْنَمَا يُوَجِّههُ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَنْ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَهُوَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٧٦﴾ وَاللَّهُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٧٧﴾ وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمْ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾ أَلَمْ يَرْوُوا إِلَى الطَّيْرِ مُسَخَّرَاتٍ فِي جَوِّ السَّمَاءِ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا اللَّهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٧٩﴾

وإختصاصه بعلم الغيب فلاطلاع على ذلك إلا أن يُطِيعَهُ اللهُ تعالى على مايشاء، ﴿ومأمرُ الساعةِ إلا كلمح البصرِ أو هو أقرب﴾ إذا أراد شيئاً فإنما يكون كطرف البصر أو هو أقرب، ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾، ثم ذكرَ مَنَّهُ على عباده في إخراجِهِ إِيَّاهُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِهِمْ فقال: ٧٨: ﴿والله أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمْ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ إنما جعل تعالى هذه في الإنسان لِيَتِمَّ كَرَمُهَا مِنْ عِبَادَةِ رَبِّهِ تَعَالَى فَيَسْتَعِينُ بِكُلِّ جَارِحَةٍ وَعَضْوٍ وَقُوَّةٍ عَلَى طَاعَةِ مَوْلَاهُ تَعَالَى، فإذا أخلص العبدُ الطاعةَ صارت أفعاله كلها لله عز وجل، فلا يسمع إلا الله، ولا يبصر إلا الله؛ أي ماشرعه الله له، ولا يبطن ولا يبشي إلا في طاعة الله عز وجل مستعينا بالله في ذلك كله، ولهذا قال تعالى: ﴿وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة لعلكم تشكرون﴾. ثم نبه تعالى إلى النظر إلى الطير المسخر بين السماء والأرض كيف جعله سبحانه يطير بجنّاحين في جَوِّ السَّمَاءِ فقال تعالى: ٧٩: ﴿أَلَمْ يَرْوُوا إِلَى الطَّيْرِ مُسَخَّرَاتٍ فِي جَوِّ السَّمَاءِ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا اللَّهُ﴾ بقدرته التي جعل فيها قوَى تفعل ذلك وسخر الهوائَ يحملها، كما قال تعالى في سورة المُلْك: ﴿أولم يروا إلى الطير فوقهم صافات يقبضن ما يمسكهن إلا الرحمن إته بكل شيء بصير﴾، وهنا قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾.

الآية: ٧٧ روى البخاري أن رسول الله ﷺ قال: «يقول الله تعالى: مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَى بَارِئِي بِالْحَرْبِ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ لِي مِنْ آدَاءِ مَا اقْتَرَضْتُ عَلَيْهِ، وَلَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالْتَوَافُلِ حَتَّى أَحْبَبْتُهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَلَمَنْ سَأَلَنِي لِأَعْظِيئِهِ وَلَمَنْ دَعَانِي لِأَحْبَبِيئِهِ، وَلَمَنْ اسْتَعَاذَ بِأَعْيُنِيئِهِ» الحديث / ابن كثير ج٢/ ٥٧٩.

٨٠: ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ﴾
 يذكرُ تعالى تمامَ نعمِهِ على عبِيدِهِ بما جعل لهم من البيوت التي هي سكنٌ لهم يأوون إليها ويستترون بها وينتفعون بها بسائر وجوه الانتفاع، وجعل لهم من جلود الأنعام بُيُوتًا يستخفون حملها في أسفارهم ليضربوها لهم في إقامتهم في السفر والحضر، ﴿وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا﴾ من أصواف الغنم، وأوبار الإبل، وشعر المعز، ﴿أَتَأْتَأُ﴾ تتخذون منه أتاتاً وهو المال والناع والنياب، ﴿وَمَتَاعًا إِلَى حِينٍ﴾ إلى أجل مُسمى ووقت معلوم ٨١: ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِمَّا خَلَقَ ظِلَالًا مِنَ الْجِبَالِ أَكْنَانًا﴾ حصوناً ومعاقل، ﴿وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ﴾ وهي الثياب من القطن والكتان والصوف، ﴿وَسَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْبُرُوقَ﴾ كالدرع من الحديد المصقح والزرذ وغير ذلك، ﴿كَذَلِكَ يَمُنُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ﴾ بما تستعينون به على أمركم ليكون عوناً لكم على طاعته وعبادته ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [أي: تنقادون إلى طاعته] ٨٢: ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾ فإن تولوا بعد هذا البيان فلا عليك فقد أذيت إليهم ٨٣: ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَةَ اللَّهِ ثُمَّ يَنْكُرُونَهَا﴾ يعرفون أن الله تعالى هو المُسدي إليهم ذلك وهو المُفضل به عليهم، ومع هذا ينكرون ذلك ﴿وَكَثُرُوا الْكَافِرُونَ﴾ [يعني: جميعهم حسباً تقدم]

وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَتَأْتَأُ إِلَى حِينٍ ﴿٨٠﴾ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِمَّا خَلَقَ ظِلَالًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْجِبَالِ أَكْنَانًا وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ وَسَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْبُرُوقَ كَذَلِكَ يَمُنُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٨١﴾ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴿٨٢﴾ يَعْرِفُونَ نِعْمَةَ اللَّهِ ثُمَّ يَنْكُرُونَهَا وَكَثُرُوا الْكَافِرُونَ ﴿٨٣﴾ وَيَوْمَ نَبْعَثُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا ثُمَّ لَا يُؤْذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴿٨٤﴾ وَإِذَا رَأَى الَّذِينَ ظَلَمُوا الْعَذَابَ فَلَا يُخَفِّفُ عَنْهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٨٥﴾ وَإِذَا رَأَى الَّذِينَ أَشْرَكُوا شَرَكَاءَ هُمْ قَالُوا رَبَّنَا هَؤُلَاءِ شُرَكَائُنَا الَّذِينَ كُنَّا نَدْعُوا مِنْ دُونِكَ فَأَلْقَوْا إِلَيْهِمُ الْقَوْلَ إِنَّكُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿٨٦﴾ وَأَلْقَوْا إِلَى اللَّهِ يَوْمَئِذٍ السَّلْمَ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٨٧﴾

٨٤: ﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا﴾ وهو نبيا يشهد عليها بما أجبته فيما بلغها عن الله تعالى، ﴿ثُمَّ لَا يُؤْذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ في الاعتذار لأنهم يعلمون بطلانه وكذبه، كما قال تعالى: ﴿هَذَا يَوْمٌ لَا يَنْطِقُونَ وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ﴾، فلماذا قال سبحانه: ﴿وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ﴾ [أي: لا يكلفون أن يرضوا ربهم] ٨٥: ﴿وَإِذَا رَأَى الَّذِينَ ظَلَمُوا الْعَذَابَ﴾ الذين أشركوا ﴿فَلَا يُخَفِّفُ عَنْهُمْ﴾ لا يفر عنهم ساعة واحدة ﴿وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ﴾ لا يؤخر عنهم بل يأخذهم سريعاً ٨٦: ﴿وَإِذَا رَأَى الَّذِينَ أَشْرَكُوا شُرَكَاءَ هُمْ﴾ الذين يعبدونهم في الدنيا ﴿قَالُوا رَبَّنَا هَؤُلَاءِ شُرَكَائُنَا الَّذِينَ كُنَّا نَدْعُوا مِنْ دُونِكَ فَأَلْقَوْا إِلَيْهِمُ الْقَوْلَ إِنَّكُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ قالت لهم الآلهة [أي الأصنام] كذبت ما نحن أمرناكم بعبادتنا. كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا حِشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ﴾ ٨٧: ﴿وَأَلْقَوْا إِلَى اللَّهِ يَوْمَئِذٍ السَّلْمَ﴾ ذلوا واستسلموا لله جميعهم، فلا أحد إلا سامع مطيع، كما قال تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَى إِذِ الْجُرُومُ تَارِكُوا رُؤُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا﴾ الآية. ﴿وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ ذهب واضمحلاً ما كانوا يعبدونه افتراءً على الله فلاناصرير لهم ولا محجير.

الآية: ٨١ قال ابن كثير: فسره الجمهور وقرعوه بكسر اللام من ﴿تُسَلِّمُونَ﴾ من الإسلام. وقال عبد الله بن المبارك عن ابن عباس أنه كان يقرأها ﴿تُسَلِّمُونَ﴾ بفتح اللام يعني من الجراح. / ابن كثير ج ٢/ ٥٨٠.
 الآية: ٨٤: روى مسلم في صحيحه [رقم ٢٧٨٥] عن أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه قال: «إنه ليأتي الرجل العظيم السمين يوم القيامة لا يزن عند الله جناح بعوضة، أقرأوا: ﴿فلا نعيم لهم يوم القيامة وزناً﴾. [الكهف ١٠٥].

٨٨: ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ زُذْنَاهُمْ عَذَابًا فَوْقَ الْعَذَابِ﴾ أي عقاب أُنْيَابُهَا كالتخل الطول، [وهذا للعادة، فأحد العذابين على كفرهم والعذاب الآخر على صدمهم]، ﴿بِمَا كَانُوا يَفْسُدُونَ﴾ ٨٩: ﴿يَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَى هَؤُلَاءِ﴾ يعني: أمتك. أي: اذكر ذلك اليوم وهو لهُ ومامنحك الله فيه من الشرف العظيم والمقام الرفيع، وهذه الآية شبيهة بالآية التي اتبى إليها ابن مسعود حين قرأ على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم صدر سورة النساء، فلما وصل إلى قوله تعالى: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾ فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «حَسْبُكَ»، قال ابن مسعود: فالتفت فإذا عيناه تدرُفان. ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ﴾ قال ابن مسعود: قد بين لنا في هذا القرآن كلَّ علمٍ وكلَّ شيءٍ. فإن القرآن اشتمل على كل علم نافع في أمر دينهم ودينامهم ومعاشهم ومعادهم. ﴿وَهَدَىٰ﴾ للقلوب، ﴿وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ ٩٠: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ﴾ يأمر الله تعالى عباده بالعدل وهو القسط [وأعلاه] شهادة أن لا إله إلا الله. والإحسان وهو أن تكون سريرة العبد أحسن من علانيته ﴿وإِيَّاءَ ذِي الْقُرْبَىٰ﴾ يأمر بصلة الأرحام، ﴿وَبَنِي عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾ الفواحش والمحرمات والمنكرات مظاهر منها وما يطن

النجدي

الجزء الرابع عشر

سورة البقرة

الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ زُذْنَاهُمْ عَذَابًا فَوْقَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يُفْسُدُونَ ﴿٨٨﴾ وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَى هَؤُلَاءِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهَدَىٰ وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾ وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿٩١﴾ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِي نَقَضَتْ غَزَلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَاثًا تَتَّخِذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ أَنْ تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَىٰ مِنْ أُمَّةٍ إِنَّمَا يَبْلُوكُمْ اللَّهُ بِهِ وَلِيُبَيِّنَ لَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْلِفُونَ ﴿٩٢﴾ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَلَتَسْأَلَنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾

٢٧٧

﴿والبغي﴾ العدوان على الناس، ﴿يعظكم لعلكم تذكرون﴾ يأمركم بما يأمركم به من الخير وينهاكم عما ينهاكم عنه من الشر ﴿لعلكم تذكرون﴾ ٩١: ﴿وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم﴾ وهذا لما يأمر الله تعالى به، وهو الوفاء بالعهود ﴿ولانقضوا الأيمان بعد توكيدها﴾ الأيمان الداخلة في العهود والمواثيق، لا الأيمان التي هي واردة على حث أو منع، ﴿وقد جعلتم الله عليكم كفيلاً﴾ [أي: شهيداً وحافظاً وضامناً]. ﴿إن الله يعلم ما تفعلون﴾ تهديدٌ ووعيدٌ لمن نقض الأيمان بعد توكيدها ٩٢: ﴿ولانكونوا كآلتي نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثاً﴾ هذا مثل لمن نقض عهده بعد توكيده، أي: كآلتي نقضت غزلها بمكة، وكانت امرأة خرقاء كلما غزلت شيئاً نقضته بعد انبرامها، ﴿أنكاثاً﴾ أفضاضاً، ﴿تتخذون أيمانكم دخلاً بينكم﴾ خديعةً ومكرًا، ﴿أن تكون أمة هي أربى من أمة﴾ تحلفون للناس إذا كانوا أكثر منكم ليطمئنوا إليكم، فإذا أمكنكم الغدر غدرتم، فنبى الله عن ذلك ﴿إنما يبلوكم الله به﴾ بالوفاء بالعهد ﴿وليبين لكم يوم القيامة ما كنتم فيه تخلصون﴾ فيجازي كلَّ عامل بعمله من خير أو شرٍّ ٩٣: ﴿ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة ولكن يضل من يشاء ويهدي من يشاء ولتسألنَّ عما كنتم تعملون﴾ يوم القيامة عن جميع أعمالكم فيجازيكم عليها.

الآية: ٩١ روى الإمام أحمد عن ابن عمر قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: وإن الغادر يُنصب له لواء يوم القيامة، فيقال: هذه غدره فلان، وإن من أعظم الغدر - إلا أن يكون الإشرار بالله - أن يبيع رجل رجلاً على بيعة الله ورسوله ثم ينكث ببعته، فلا يخلعن أحد منكم يداً ولا يسرفن أحد منكم في هذا الأمر فيكون فضل بيني وبينه.

ابن كثير ج ٢/٥٨٤/١

ابن كثير ج ٢/٥٨٣/١

وَلَا تَتَّخِذُوا أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ فَتَزِلَّ قَدَمٌ بَعْدَ ثُبُوتِهَا
وَتَذُوقُوا السُّوءَ بِمَا صَدَدْتُمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَلَكُمْ عَذَابٌ
عَظِيمٌ ﴿٩٤﴾ وَلَا تَشْتَرُوا بِعَهْدِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا إِنَّمَا عِنْدَ اللَّهِ
هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٩٥﴾ مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ
وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ وَلَنَجْزِيَنَ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ
مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ
أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ
أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾ فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ
فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿٩٨﴾ إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ
عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٩٩﴾ إِنَّمَا
سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُم بِهِ مُشْرِكُونَ
﴿١٠٠﴾ وَإِذَا بَدَلْنَا آيَةً مَّكَانَ آيَةٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ
بِمَا يُنزِّلُ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ
﴿١٠١﴾ قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ
الَّذِينَ ءَامَنُوا وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿١٠٢﴾

٩٤: ﴿وَلَا تَتَّخِذُوا أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ﴾
حَدَّرَ اللهُ تعالى عباده من اتِّخاذ الأيمان خديعةً
ومكرًا بينهم ﴿فَتَزِلَّ قَدَمٌ بَعْدَ ثُبُوتِهَا﴾ لئلا
تَزِلَّ قَدَمٌ بَعْدَ ثُبُوتِهَا، مثلُ مَنْ كان على
الاستقامة فَحَادَ عنها وَزَلَّ عن طريق الهدى
بسبب ذلك، ﴿وَتَذُوقُوا السُّوءَ بِمَا صَدَدْتُمْ
عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ لَأَنَّ الكافر إذا رأى أَنَّ
المؤمن قد عاهدَه ثم غدرَ به لم يبقَ له وَثُوقٌ
بالدين، فانصدَّ بسببِه عن الدخول في
الإسلام، ﴿وَلَكُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾، ثم قال
تعالى: ٩٥: ﴿وَلَا تَشْتَرُوا بِعَهْدِ اللَّهِ ثَمَنًا
قَلِيلًا﴾ أي: لاعتناضوا عن الأيمان بالله عرضَ
الحياة الدنيا فإنها قليلة، ﴿إِنَّمَا عِنْدَ اللَّهِ هُوَ
خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ جزاءُ الله وثوابه خيرٌ لمن رجاه
وطلبه ﴿إِن كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ ٩٦: ﴿مَا عِنْدَكُمْ
يَنْفَدُ﴾ يفرغ لأنه إلى أجلٍ محصور، ﴿وَمَا عِنْدَ
اللَّهِ بَاقٍ﴾ وثوابه لكم في الحجة باقٍ لانقطاع
ولانفاد له فإنه دائم لا يزول ﴿وَلَنَجْزِيَنَ الَّذِينَ
صَبَرُوا أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾
هذا قَسَمٌ مِنَ الرَّبِّ تعالى مُؤَكَّدٌ بِاللَّامِ أَنَّهُ
يُجَازِي الصَّابِرِينَ بِأَحْسَنِ أَعْمَالِهِمْ وَيَتَجَاوَزُ
عَنْ سَيِّئِهِ ٩٧: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ
أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً﴾ هذا
وعَدٌّ مِنَ اللَّهِ تعالى لِمَنْ عَمِلَ صَالِحًا، وَهُوَ اتِّبَاعُ
كُتَابِ اللَّهِ وَسُنَّةِ رَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ
وَسَلَّمَ ﴿وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا
يَعْمَلُونَ﴾ أي: في الدار الآخرة ٩٨: ﴿فَإِذَا
قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ
الرَّجِيمِ﴾ هذا أَمْرٌ مِنَ اللَّهِ تعالى لعباده على

لسان نبيه صلى الله عليه وآله وسلم إذا أَرَادُوا قِرَاءَةَ الْقُرْآنِ أَنْ يَسْتَعِذُوا بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ٩٩: ﴿إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ لِأَحْجَةِ لَهُ عَلَيْهِمْ فَيُطِيعُونَهُ ﴿وَيَتَّخِذُونَهُ وِلِيًّا﴾ وَهُم بِهِ مُشْرِكُونَ﴾ صَارُوا بسبب طاعتهم للشيطان مشركين بالله تعالى ١٠٠: ﴿وَإِذَا بَدَلْنَا آيَةً مَّكَانَ آيَةٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنزِّلُ﴾ يُخَيَّرُ تَعَالَى عَنْ ضَعْفِ عَقُولِ الْمُشْرِكِينَ وَقَلَّةِ إِيقَانِهِمْ وَأَنَّهُ لَا يَتَصَوَّرُ مِنْهُمْ الْإِيمَانَ أَنَّهُمْ إِذَا رَأَوْا تَغْيِيرَ الْأَحْكَامِ نَاسِخَهَا بِمَنْسُوخِهَا قَالُوا لَرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ﴾ أي: كذاب، ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أَنَّمَا هُوَ الرَّبُّ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ وَيُحْكِمُ مَا يُرِيدُ ١٠١: ﴿قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ﴾ جبريل ﴿مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ﴾ بِالصِّدْقِ وَالْعَدْلِ، ﴿لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ فَيَصْدُقُوا بِمَا أَنْزَلَ أَوَّلًا وَثَانِيًا وَيَتَّخِذَ لَهُ قُلُوبَهُمْ، ﴿وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ وَجَعَلَهُ هَادِيًا، وَبُشْرًا لِلْمُسْلِمِينَ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ.

الآية: ٩٧ وروى الإمام أحمد عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ لَا يُظَلِّمُ الْمُؤْمِنَ حَسَنَةً يُعْطِي بِهَا فِي الدُّنْيَا وَنَابَ عَلَيْهَا فِي الْآخِرَةِ، وَأَمَّا الْكَافِرُ فَيَقْطَعُ بِحَسَنَاتِهِ فِي الدُّنْيَا حَتَّى إِذَا أَفْضَى إِلَى الْآخِرَةِ لَمْ تَكُنْ لَهُ حَسَنَةٌ يُعْطِي بِهَا خَيْرًا.» وأخرجه مسلم.

/ابن كثير ج ٢/ ٥٨٥

الآية: ٩٨ عن عبدالله بن عمرو أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ يَقُولُ: «أَعُوذُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ وَبِوَجْهِهِ الْكَرِيمِ، وَسَطَانِهِ الْقَدِيمِ، مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ» ثُمَّ قَالَ ﷺ: «فَإِذَا قَالَ ذَلِكَ، قَالَ الشَّيْطَانُ: حُفِظَ [قَاتِلَهَا] مِنِّي سَائِرَ الْيَوْمِ» رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ رَقْمَ ٤٦٦ /صحيح الجامع رقم ٤٥٩١/.

١٠٣: ﴿وَلَقَدْ نَعَلُمْ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ﴾ يقول المشركون كذباً وافتراءً أن محمداً صلى الله عليه وآله وسلم إنما يعلمه هذا القرآن بشرٌ ويشيرون إلى رجلٍ أعجمي كان يعرف الشيء اليسير من العربية وكان يباعاً عند الصفا، وربما كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يكلمه بعض الشيء، فلماذا قال الله تعالى رداً عليهم في افتراءهم ذلك: ﴿لِسَانَ الَّذِي يُلْحَدُونَ إِلَيْهِ أُعْجَمِي﴾ [أي: لسان الذي يشيرون إليه لايفصح] ﴿وهذا لسان عراقي فبين﴾ القرآن، فكيف يتعلم من جاء بهذا القرآن في فصاحته وبلاغته ومعانيه التامة الشاملة، من رجلٍ أعجمي؟ أي: لايقول هذا من له أدنى مسكة من عقل

١٠٤: ﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ لَا يَهْدِيهِمُ اللَّهُ﴾ يُخَيِّرُ تَعَالَى أَنَّهُ لَا يَهْدِي مَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِهِ وَتَغَافَلَ عَمَّا أَنْزَلَ عَلَى رَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، فَهَذَا الْخَسْ مِنْ النَّاسِ لَا يَهْدِيهِمُ اللَّهُ إِلَى الْإِيمَانِ بِآيَاتِهِ ﴿وَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾، ثُمَّ أَخْبَرَ تَعَالَى أَنَّ رَسُولَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ لَيْسَ بِمُفْتَرٍ وَلَا كَذَّابٌ فَقَالَ تَعَالَى: ١٠٥: ﴿إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكُذِّبُ عَلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ شَرَارُ الْخَلْقِ﴾ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ ﴿مِنَ الْكُفْرَةِ وَالْمُلْحِدِينَ الْمَعْرُوفِينَ بِالْكَذِّبِ عِنْدَ النَّاسِ، ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ﴾، وَالرَّسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ الصَّادِقُ الْأَمِينُ، وَمِنَّا سَأَلَ هِرَقْلُ مَلِكُ رُومَ أَبَاسْفِيَانَ: هَلْ كُنْتُمْ تَتَهَمُونَهُ بِالْكَذِّبِ قَبْلَ أَنْ يَقُولَ مَا قَال؟ قَالَ: لَا، فَقَالَ هِرَقْلُ:

وَلَقَدْ نَعَلُمْ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانِ الَّذِي يُلْحَدُونَ إِلَيْهِ أُعْجَمِي وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ ﴿١٠٦﴾ إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ لَا يَهْدِيهِمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٠٤﴾ إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكُذِّبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ ﴿١٠٥﴾ مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكَفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٦﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ اسْتَحَبُّوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴿١٠٧﴾ وَأُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَسَمِعَهُمْ وَأَبْصَرَهُمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴿١٠٨﴾ لَا جَرَمَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمْ الْخَاسِرُونَ ﴿١٠٩﴾ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا فُتِنُوا ثُمَّ جَاهَدُوا وَصَبَرُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١١٠﴾

فَمَا كَانَ لِيَدَّعِيَةَ الْكُذِّبِ عَلَى النَّاسِ وَيَذْهَبَ فَيَكْذِبُ عَلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ١٠٦ ﴿مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ﴾ أَخْبَرَ تَعَالَى عَمَّنْ كَفَرَ بِهِ بَعْدَ إِيمَانِهِ وَشَرَحَ صَدْرَهُ بِالْكَفْرِ أَنَّهُ قَدْ غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ لِعَلْمِهِم بِالْإِيمَانِ ثُمَّ عَدَوْهُمْ عَنْهُ، وَأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا عَظِيمًا فِي الدَّارِ الْآخِرَةِ. ﴿إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ﴾ اسْتِثْنَاءٌ مِمَّنْ كَفَرَ بِلِسَانِهِ بِلَفْظِهِ مَكْرَهًا لِمَا نَالَهُ مِنْ ضَرْبٍ وَأَذَى وَقَلْبُهُ يَأْتِي مَا يَقُولُ وَهُوَ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ. نَزَلَتْ فِي عَمَّارِ بْنِ يَاسِرٍ حِينَ عَذَبَهُ الْمُشْرِكُونَ حَتَّى يَكْفُرَ بِمُحَمَّدٍ ﷺ فَوَاقَفَهُمْ مَكْرَهًا، وَجَاءَ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ مُعْتَذِرًا، فَأَنْزَلَ اللَّهُ هَذِهِ الْآيَةَ ١٠٧: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ اسْتَحَبُّوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ﴾ [أي: ذَلِكَ الْغَضَبُ الَّذِي اسْتَحَقُّوه بِأَنَّهُمْ اسْتَحَبُّوا الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ]، ﴿وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ ١٠٨: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾ [أي: عَنْ فَهْمِ الْمَوَاعِظِ]، ﴿وَسَمِعَهُمْ﴾ [عَنْ كَلَامِ اللَّهِ]، ﴿وَأَبْصَرَهُمْ﴾ [عَنْ النَّظْرِ فِي آيَاتِ اللَّهِ]، ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾ [عَمَّا يُرَادُ بِهِمْ] ١٠٩: ﴿لَا جَرَمَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمْ الْخَاسِرُونَ﴾ لَأَيْدُ أَنْ مَنْ هَذِهِ صِفَتُهُ أَنَّهُ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ١٠٥: ﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا فُتِنُوا﴾ هَؤُلَاءِ صَنَفٌ كَانُوا مُسْتَضْعَفِينَ بِمَكَّةَ مَهَانِينَ فَوَاقَفَهُمْ عَلَى الْفِتْنَةِ ثُمَّ أَمَكْتَهُمُ الْخَلَاصُ بِالْهَجْرَةِ فَتَرَكُوا بِلَادَهُمْ ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ ﴿ثُمَّ جَاهَدُوا﴾ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿وَصَبَرُوا﴾ فَأَخْبَرَ تَعَالَى أَنَّهُ مِنْ بَعْدِهَا ﴿غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ بِهِمْ يَوْمَ مَعَادِهِمْ.

الآية: ١٠٦ روى الإمام أحمد عن أبي بردة قال: قدم على أبي موسى معاذ بن جبل بائنين فإذا رجل عنده قال ما هذا؟ قال رجل كان يهودياً فأسلم ثم تهوّد ونحن نريده على الإسلام منذ أحببنا قال شهرين فقال: والله لا أقعد حتى تضربوا عنقه فقال: قضى الله ورسوله أن من رجع عن دينه فاقوله، أو قال: «من بدل دينه فاقوله». وهذه القصة في الصحيحين بلفظ آخر. /ابن كثير ج ٢/ ٥٨٨

١١١: ﴿يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تَجَادُلُ عَنْ نَفْسِهَا﴾ ليس أحدٌ يُحَاجُّ عنها لأب ولا ابن ولا أخ ﴿وَتُوقَى كُلُّ نَفْسٍ مَاعَمَلَتْ﴾ من خير وشر ﴿وهم لا يظلمون﴾ لا ينقص من ثواب الخير، ولا يزداد على ثواب الشر ولا يظلمون تقريباً ١١٢: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعَمِ اللَّهِ فَأَذَقَهَا اللَّهُ لِيَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ ﴿١١٣﴾ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ وَهُمْ ظَالِمُونَ ﴿١١٤﴾ فَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمْ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا وَاشْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ إِن كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿١١٥﴾ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخَنزِيرِ وَمَا أَهَلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ ۖ فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٦﴾ وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتَكُمُ الْكُذِبَ هَذَا حَلَلٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِّتُفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكُذِبَ ۗ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكُذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿١١٧﴾ مَتَاعٌ قَلِيلٌ وَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١١٨﴾ وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَمًا مَّا فَصَّصْنَا عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١١٩﴾

يستحق العبادة وحده لاشريك له، ثم ذكر تعالى ما حرّمه عليهم وما فيه مضرة لهم في دينهم ودنياهم فقال: ١١٥: ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخَنزِيرِ وَمَا أَهَلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ﴾ ذبح على غير اسم الله، ومع هذا ﴿فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾. ثم نبى الله تعالى عن سلوك سبيل المشركين الذين حللوا وحرّموا بمجرد ما وصفوه واصطلحوا عليه من الأسماء بأرأهم من البجيرة والسائبة والوصيلة وغير ذلك فقال تعالى: ١١٦: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتَكُمُ الْكُذِبَ هَذَا حَلَالٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِّتُفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكُذِبَ﴾ لا تقولوا الكذب لوصف ألسنتكم، ثم توعدهم على ذلك فقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكُذِبَ لَا يُفْلِحُونَ﴾ في الدنيا ولا في الآخرة ١١٧: ﴿مَتَاعٌ قَلِيلٌ وَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ كما قال تعالى: ﴿مَتَّعْتَهُمْ قَلِيلًا ثُمَّ نَضَّوهُمْ إِلَىٰ عَذَابٍ عَلِيمٍ﴾ ١١٨: ﴿وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَمًا مَّا فَصَّصْنَا عَلَيْكَ مِن قَبْلُ﴾ ذكر تعالى توسعته على هذه الأمة ذكر ما كان حرّمه على اليهود في شريعتهم، وما كانوا فيه من الآصار والأغلال والتضييق والحرّج عليهم، كما قال تعالى: ﴿وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَمًا كُلَّ ذِي ظُنْفُرٍ وَمِنَ الْبَقَرِ وَالغَنَمِ حَرَمًا عَلَيْهِمْ شَحُومُهُمَا إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا﴾ إلى قوله تعالى: ﴿لِصَادِقُونَ﴾ ولهذا قال هاهنا: ﴿وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ﴾ أي: فيما ضيقنا عليهم ﴿وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ فاستحقوا ذلك.

الآية: ١١٨: روى مسلم في صحيحه أن رسول الله ﷺ قال فيما يرويه عن ربه تبارك وتعالى: «يا عبادي! إني حرمت الظلم على نفسي، وجعلته بينكم محرماً فلا تظالموا» وروى أيضاً أنه ﷺ قال: «اتقوا الظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة» الحديث. / الترغيب ج ١٨٣/٣

١١٩: ﴿ثُمَّ إِنْ رَبُّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا﴾
أَقْلَعُوا عَمَّا كَانُوا فِيهِ مِنَ الْمَعَاصِي وَأَقْبَلُوا عَلَى
فِعْلِ الطَّاعَاتِ ﴿وَإِنْ رَبُّكَ مِنْ بَعْدِهَا﴾ تِلْكَ
الْفِعْلَةُ وَالذَّلَّةُ ﴿لِعَفْوِ رَبِّكَ﴾ ١٢٠: ﴿وَإِنْ
إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانْنَا اللَّهُ حَنِيفًا يَمْدَحُ اللَّهُ
تَعَالَى عَبْدَهُ وَرَسُولَهُ وَخَلِيلَهُ إِبْرَاهِيمَ إِمَامَ الْخَنَفَاءِ
وَوَالِدَ النَّبِيِّينَ وَيَرْبِيهِ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَمِنَ الْيَهُودِيَّةِ
وَالنَّصْرَانِيَّةِ ﴿وَلَمْ يَكْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ ١٢١:
﴿شَاكِرًا لِأَنْعَمِهِ﴾ قَانْنَا بِشُكْرِ نِعْمِ اللَّهِ عَلَيْهِ
﴿وَجِتَابًا﴾ اصْطَفَاهُ ﴿وَهَدَاهُ إِلَى صِرَاطٍ
مُسْتَقِيمٍ﴾ وَهُوَ عِبَادَةُ اللَّهِ وَحْدَهُ لِاشْرِيكَ لَهُ
عَلَى شَرْعِ مُرْضِي ١٢٢: ﴿وَإِنِّي أَنَا فِي الدُّنْيَا
حَسَنَةٌ لِسَانِ صِدْقٍ﴾ وَإِنِّي فِي الْآخِرَةِ لَمُنَّ
الصَّالِحِينَ ﴿لَأَنَّهُ كَانَ فِي الدُّنْيَا مَعَ
الصَّالِحِينَ﴾ ١٢٣: ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنْ اتَّبِعْ
مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا﴾ ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ بِإِخْتِامِ
الرِّسْلِ ﴿أَنْ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ
مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ ثُمَّ قَالَ مُنْكَرًا عَلَى الْيَهُودِ:
١٢٤: ﴿إِنَّمَا جُعِلَ السَّبْتُ عَلَى الَّذِينَ
اخْتَلَفُوا فِيهِ﴾ شَرَعَ اللَّهُ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ يَوْمَ
الْجُمُعَةِ عَلَى لِسَانِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ فَعَدَّلُوا
عَنْهُ وَاخْتَارُوا السَّبْتَ، فَأَلْزَمَهُمْ بِهِ وَأَوْصَاهُمْ أَنْ
يُحَافِظُوا عَلَيْهِ، حَتَّى بَعَثَ اللَّهُ عِيسَى عَلَيْهِ
السَّلَامُ فَحَوَّاهُمْ إِلَى الْأَحَدِ - فَلَمْ يَتَّبِعُوهُ -
وَفِي الصَّحِيحِينَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَالِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «نَحْنُ الْآخِرُونَ السَّابِقُونَ يَوْمَ
الْقِيَامَةِ بِيَدِ أَنْتُمْ أَوْتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِنَا، ثُمَّ
هَذَا يَوْمُهُمُ الَّذِي فُرِضَ عَلَيْهِمْ فَاخْتَلَفُوا فِيهِ،

ثُمَّ إِنْ رَبُّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابُوا مِنْ
بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا إِنْ رَبُّكَ مِنْ بَعْدِهَا لِعَفْوِ رَبِّكَ
١١٩: ﴿وَإِنْ رَبُّكَ كَانَ أُمَّةً قَانْنَا اللَّهَ حَنِيفًا وَلَمْ يَكْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ
١٢٠: ﴿شَاكِرًا لِأَنْعَمِهِ أَجْتَبَهُ وَهَدَانَهُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ
١٢١: ﴿وَمَا آتَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَإِنَّمَا فِي الْآخِرَةِ لَمَنْ الصَّالِحِينَ
١٢٢: ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنْ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ
مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ ١٢٣: ﴿إِنَّمَا جُعِلَ السَّبْتُ عَلَى الَّذِينَ
اخْتَلَفُوا فِيهِ وَإِنْ رَبُّكَ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا
كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ ١٢٤: ﴿أَدْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ
وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِلْ لَهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنْ رَبُّكَ
هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ ١٢٥:
﴿وَإِنْ عَاقِبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوْقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ
لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ﴾ ١٢٦: ﴿وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ
وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ
١٢٧: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾ ١٢٨:

فَهَذَا نَا اللَّهُ لَهُ، فَالْتَّاسُ تَبِعَ الْيَهُودَ غَدًا وَالنَّصَارَى بَعْدَ غَدٍ، ﴿وَإِنْ رَبُّكَ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ ١٢٥: ﴿أَدْعُ إِلَى
سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾ أَمَرَ اللَّهُ تَعَالَى رَسُولَهُ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أَنْ يَدْعُوَ الْخَلْقَ إِلَى اللَّهِ بِالْحُكْمَةِ، أَيَّ بِمَا أَنْزَلَهُ عَلَيْهِ
مِنَ الْكِتَابِ وَالسَّنَةِ، وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ، أَيَّ بِمَا فِيهِ مِنَ الزُّوْجَرِ وَالْوَقَائِعِ بِالنَّاسِ، يُذَكِّرُهُمْ بِهَا لِيَحْذَرُوا بِأَسْمَاءِ اللَّهِ تَعَالَى، ﴿وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ
أَحْسَنُ﴾ يُنَاطِرُهُمْ بِالْوَجْهِ الْحَسَنِ وَالرَّفْقِ وَاللِّينِ، ﴿وَإِنْ رَبُّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ﴾ مَنْ قَدْ عَلِمَ الشَّقِيَّ مِنْهُمْ ﴿هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾
فَادْعُهُمْ إِلَى اللَّهِ وَلَا تَلْذُثْ نَفْسُكَ عَلَى مَنْ ضَلَّ مِنْهُمْ حَسْرَاتٍ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ ١٢٦: ﴿وَإِنْ عَاقِبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوْقِبْتُمْ بِهِ﴾ يَأْمُرُ اللَّهُ تَعَالَى
بِالْعَدْلِ وَالْقِصَاصِ وَالْمِثَالَةِ فِي اسْتِيفَاءِ الْحَقِّ أَيَّ: إِنْ أَخَذَ مِنْكُمْ شَيْءً فَخَذُوا مِنْهُ. ﴿وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ﴾ [فِيهِ نَدْبٌ إِلَى الْعَفْوِ] ﴿هُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ﴾
كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾ ١٢٧: ﴿وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ﴾ تَأْكِيدٌ لِلأَمْرِ بِالصَّبْرِ، وَإِخْبَارٌ بِأَنَّ ذَلِكَ لِأَيِّتَالِ إِلَّا
بِمَشِيئَةِ اللَّهِ وَإِعَانَتِهِ، ﴿وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ﴾ عَلَى مَنْ خَالَفَكَ ﴿وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ﴾ غَمٌّ ﴿مِمَّا يَمْكُرُونَ﴾، مِمَّا يُجَاهِدُونَ أَنْفُسَهُمْ فِي عِدَاوَتِكَ وَإِصْلَاحِ
الشَّرِّ إِلَيْكَ فَإِنَّ اللَّهَ كَافِيكَ وَنَاصِرُكَ ١٢٨: ﴿وَإِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا﴾ الَّذِينَ تَرَكَوا الْحَرَّمَاتِ، ﴿وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾ فَعَلُوا الطَّاعَاتِ.

الآية: ١٢٤ عن أبي هريرة رضي الله عنه وحذيفة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أضل الله عن الجمعة من كان قبلنا فكان لليهود يوم السبت وكان للنصارى يوم الأحد فجاهدنا بنا فهدانا الله ليوم الجمعة، فجعل الجمعة السبت والأحد وكذلك هم تبع لنا يوم القيامة نحن الآخرون من أهل الدنيا والأولون يوم القيامة والمضى بينهم قبل الخلق» رواه مسلم.
ابن كثير ج ٥٩١/٢

تفسير سورة الإسراء

١: ﴿سَبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ﴾ يُعْجَذُ تعالَى نَفْسَهُ وَيُعْظَمُ شَأْنُهُ عَلَى مَا لَا يُقَدَّرُ عَلَيْهِ أَحَدٌ سِوَاهُ ، ﴿الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ﴾ يَعْنِي مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ﴿لَيْلًا﴾ فِي جَنَحِ اللَّيْلِ ﴿مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ وَهُوَ مَسْجِدُ مَكَّةَ ﴿إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى﴾ وَهُوَ بَيْتُ الْمَقْدِسِ ، ﴿الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ﴾ فِي الزَّرْعِ وَالنَّخْلِ ﴿لَنُرِيَهُ﴾ مُحَمَّدًا ﴿مِنَ آيَاتِنَا﴾ الْعِظَامِ ﴿إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ ٢: ﴿وَأَتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ﴾ لَمَّا ذَكَرَ تَعَالَى أَنَّهُ أَسْرَى بِعَبْدِهِ مُحَمَّدَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ عَطَفَ بِذِكْرِ مُوسَى عَلَيْهِ وَرَسُولِهِ وَكَلِمَتِهِ، ﴿الْكِتَابَ﴾ يَعْنِي التَّوْرَةَ ﴿وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ أَنْ لَا تَتَّخِذُوا﴾ لَعَلَّ لَا تَتَّخِذُوا ﴿مِنَ دُونِي وَكِيلًا﴾ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا وَلَا مَعْبُودًا دُونِي ٣: ﴿ذُرِّيَّةً مِّنْ حَمَلِنَا مَعَ نُوحٍ﴾ يَذَرِيَّةً مِّنْ حَمَلِنَا مَعَ نُوحٍ؛ فِيهِ تَمْيِيزٌ وَتَنْبِيهُ عَلَى الْمَتَّةِ، أَي: بِأَسْلَابَةٍ مِّنْ نَّجِينَا مَعَ نُوحٍ تَشْبَهُوْا بِأَبِيكُمْ، ﴿إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا﴾ فَادْكُرُوا أَنْتُمْ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ بِإِرسَالِي إِلَيْكُمْ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، إِنَّ نُوحًا عَلَيْهِ السَّلَامُ كَانَ يُحْمَدُ اللَّهُ عَلَى طَعَامِهِ وَشَرَابِهِ وَبِلِسَانِهِ وَشَأْنِهِ كُلِّهِ، فَلِهَذَا سُمِّيَ عَبْدًا شَكُورًا. رَوَى أَحْمَدُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ اللَّهَ لِيَرْضَى عَنِ الْعَبْدِ أَنْ يَأْكُلَ الْأَكْلَةَ أَوْ يَشْرَبَ الشَّرْبَةَ فَيَحْمَدَ اللَّهَ عَلَيْهَا»، وَرَوَاهُ مُسْلِمٌ ٤: ﴿وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ

سُورَةُ الْاِسْرَاءِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سَبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَرَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿١﴾ وَآتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ لَّا تَتَّخِذُوا مِنْ دُونِي وَكِيلًا ﴿٢﴾ ذُرِّيَّةً مِّنْ حَمَلِنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُمْ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ﴿٣﴾ وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لِنُفْسِدَنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنٍ وَلِنَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤﴾ فِإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا ﴿٥﴾ ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكُرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا ﴿٦﴾ إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا فِإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسْتَوْفُوا وَجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا ﴿٧﴾

قضى أي تقدم إلى بني إسرائيل وأخبرهم في الكتاب الذي أنزله عليهم أنهم سيفسدون في الأرض مرتين وتغلن علوا كبيرا يتبخرون ويطعون ويفجرون على الناس ٥: ﴿فإذا جاء وعد أولاهما﴾ أُولَى الْإِنْسَادَتَيْنِ ﴿بعثنا عليكم عبادا لنا أولي بأس شديد﴾ سَلَطْنَا عَلَيْكُمْ جُنْدًا مِّنْ خَلْقِنَا أُولَى قُوَّةٍ وَعَدَّةٍ وَعَدِدٍ وَسُلْطَنَةٍ شَدِيدَةٍ ﴿فجاسوا خلال الديار﴾ تَمَلَّكُوا بِلَادَكُمْ وَسَلَكُوا خِلَالَ بِيُوتِكُمْ لَا يَخَافُونَ أَحَدًا ﴿وكان وعدا مفعولا﴾ قِضَاءً كَاتِبًا لَا خُلْفَ فِيهِ ٦: ﴿ثم زدنا لكم الكرة عليهم﴾ [الرجعة، وذلك لما تشتم وأطعمتم] ﴿وأمددناكم بأموال وبنين﴾ [حتى عاد أمركم كما كان] ﴿وجعلناكم أكثر نفيرا﴾ [أكثر عددا ورجالا من عدوكم]. ٧: ﴿إن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم﴾ نَفَعٌ إِحْسَانِكُمْ عَائِدٌ عَلَيْكُمْ ﴿وإن أسأتم فلها﴾ فَعَلِيهَا، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلِيهَا﴾ ﴿فإذا جاء وعد الآخرة﴾ إِذَا أُنْسِدْتُمْ الْكُرَّةَ الثَّانِيَةَ وَجَاءَ أَعْدَاؤُكُمْ ﴿ليستوا وجوهكم﴾ يَهْنُوكُمْ وَيَهْرُوكُمْ ﴿وليبتروا ما علوا تبتيرا﴾ يَدْمُرُوا وَيَحْرُبُوا كُلَّ مَا ظَهَرُوا عَلَيْهِ.

روى الإمام أحمد عن عائشة أن رسول الله ﷺ كان يقرأ كل ليلة «بني إسرائيل» و«الزمر» [وتسمى سورة الإسراء سورة بني إسرائيل].

الآية: ١ حديث الإسراء رواه البخاري ومسلم مطولا، راجعه في تفسير ابن كثير، مع روايات أخرى ج ٢/٣ - ١٦٦.

الآية: ٣ «إنه كان عبدا شكورا» روى أحمد عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله ليرضى عن العبد أن يأكل الأكلة أو يشرب الشربة فيحمد الله عليها».

الآية: ٧ روى مسلم عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ دَعَا إِلَى هُدًى كَانَ لَهُ مِنَ الْأَجْرِ مِثْلُ أُجُورِ مَنْ تَبِعَهُ لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئًا، وَمَنْ دَعَا إِلَى ضَلَالَةٍ كَانَ عَلَيْهِ مِنَ الْإِثْمِ مِثْلُ آثَامِ مَنْ تَبِعَهُ لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ آثَامِهِمْ شَيْئًا».

٨: ﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ﴾ فيصرفهم عنكم ﴿وإن عُذَّتُمْ عُذُنَا﴾ متى عدتم إلى الإفساد ﴿عُذُنَا﴾ إلى الإدالة عليكم في الدنيا مع ما ندخره لكم في الآخرة من العذاب، ولهذا قال: ﴿وجعلنا جهنم للكافرين حصيراً﴾ مستقراً وسجناً لا مخرج لهم عنه ٩: ﴿إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم﴾ يمدح الله تعالى كتابه العزيز الذي أنزله على رسوله محمد صلى الله عليه وآله وسلم وهو القرآن بأنه يهدي لأقوم الطرق وأوضح السبل ﴿ويُشِيرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ﴾ على مقتضاه، ﴿أن هم أجراً كبيراً﴾ يوم القيامة ١٠: ﴿وأن الذين لا يؤمنون بالآخرة﴾ ويشرهم ﴿بأن لأعدائهم العقاب في الآخرة﴾ ﴿أعدنا لهم عذاباً أليماً﴾ ١١: ﴿ويذع الإنسان بالشر دعاءه بالخير﴾ يُخبر تعالى عن عجلة الإنسان ودعائه في بعض الأحيان على نفسه أو ولده أو ماله بالشر، أي: بالموت أو الهلاك أو اللعنة، فلو استجاب له ربه لهلك بدعائه [لكن بفضلته تعالى لا يستجيب له في ذلك]، وفي الحديث: «اتدعوا على أنفسكم ولاعلى أموالكم أن توافقوا من الله ساعة إجابة يستجيب فيها»، ﴿وكان الإنسان عجولاً﴾، [أي: طبعه العجلة] ١٢: ﴿وجعلنا الليل والنهار آيتين فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة﴾ يمتن تعالى على خلقه بآياته العظام فمنها مخالفته بين الليل والنهار ليسكنوا في الليل، ويتشربوا في النهار للمعاش

عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ وَإِنْ عُذَّتُمْ عُذْنَا وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا ﴿٨﴾ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴿٩﴾ وَأَنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٠﴾ وَيَذَعُ الْإِنْسَانَ بِالْشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا ﴿١١﴾ وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَاتٍ لِّمَن يَهْتَدِي وَجَعَلْنَا آيَةَ الْكُفْرَانِ النَّهَارَ مُبْصِرَةً لِّمَن يَبْتغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ وَكُلُّ شَيْءٍ فَضْلَانُهُ تَفْصِيلًا ﴿١٢﴾ وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَبْعَهُ فِي عُرْوَةِ عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾ أَقْرَأَ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴿١٤﴾ مَن أَهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهِمْ وَلَا نُزِرَ وَإِزْرَةٌ وَرِزْرٌ أُخْرَىٰ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴿١٥﴾ وَإِذَا أَرَدْنَا أَن نُّهْلِكَ قَرِيَةً أَمَرْنَا مَتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فَمَرَرْنَا تَمْرًا تَدْمِيرًا ﴿١٦﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ الْقُرُونِ مِن بَعْدِ نُوحٍ وَكُنَىٰ بِرَبِّكَ بِذُنُوبٍ عَابَدَهُ خَيْرًا بِصِيرًا ﴿١٧﴾

والصنائع والأعمال، ﴿لِتَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ﴾ في معاشكم وأسفاركم، ﴿ولِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ﴾، فإنه لو كان الزمان كله نسقاً واحداً وأسلوباً متساوياً لما عُرف شيءٌ من ذلك. ﴿وكلُّ شيءٍ فضلاً تفصيلاً﴾ ١٣: ﴿وكلُّ إنسانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَبْعَهُ فِي عُنُقِهِ﴾ وطاقته؛ هو ما طار عنه من عمله، من خيرٍ وشرٍّ ويلزمه به، ويُجازى عليه. ﴿ونُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا﴾ أي: يجمع له عمله كله في كتابٍ يُعطاه يوم القيامة، إمَّا يمينته إن كان سعيداً، أو بشاله إن كان شقيماً، ﴿منشوراً﴾ أي: مفتوحاً يقرؤه هو وغيره ١٤: ﴿أقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيباً﴾ وقد عدل والله من جعلك حسيب نفسك ١٥: ﴿من اهتدى فإنما يهتدي لنفسه﴾ يُخبر تعالى أن من اهتدى واتبع الحقَ واقفى أثر النبوة فإنما يحصل عاقبة ذلك الحميدة لنفسه، ﴿ومن ضلَّ﴾ عن الحقِّ ﴿فإنما يضلُّ عليها﴾ يعني على نفسه ﴿ولا نُزِرَ وَإِزْرَةٌ وَرِزْرٌ أُخْرَىٰ﴾ لا يجعل أحدٌ ذنب أحد، ولا يجني جانٍ إلا على نفسه، ﴿وما كنا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ هذا إخبارٌ عن عدله تعالى، وأنه تعالى لا يُعذِّبُ أحداً إلا بعد قيام الحجة عليه ١٦: ﴿وإذا أَرَدْنَا أَن نُّهْلِكَ قَرِيَةً أَمَرْنَا مَتْرَفِيهَا﴾ أمرناهم بالطاعة، ففعلوا الفواحش فاستحقوا العقوبة، ﴿فحقَّ عليها القولُ فدمرناها تدميراً﴾ ١٧: ﴿وكم أهلكتنا من القرون من بعد نوحٍ﴾! يُنذر الله كفار قريش في تكذيبهم رسوله محمداً صلى الله عليه وآله وسلم؛ ومعناه: أنكم أيها المكذِّبون لستم أكرم على الله منهم وقد كذبتهم أشرف الرسل، فعقوبتكم أولى وأحرى، ﴿وكنى برَبِّكَ بذُنُوبٍ عابده خيراً بصيراً﴾ هو عالم بجميع أعمالهم لا يخفى عليه منها شيء.

الآية: ١٣ روى الإمام أحمد عن عبيدة بن عامر قال: قال رسول الله ﷺ: «ليس من عمل يوم إلا وهو يُحتم عليه، فإذا مرض المؤمن قالت الملائكة: ياربنا عبد فلان قد حسبه؟ فيقول الرب جل جلاله: احتموا له على مثل عمله حتى يبرأ أو يموت» إسناده جيد قوي. / ابن كثير ج ٢٨٣/٣

مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَلْنَا لَهَا فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُمْ جَهَنَّمَ يَصَلُّونَهَا مَدْمُومًا مَدْحُورًا ﴿١٨﴾ وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا ﴿١٩﴾ كَلَّا تُمِدُّ هُنُوْلًا وَهَنُوْلًا مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴿٢٠﴾ أَنْظِرْ كَيْفَ فَضَلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَلِلْآخِرَةِ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا ﴿٢١﴾ لَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَدْحُورًا ﴿٢٢﴾ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبُلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أَوْفٍ وَلَا نَهْرَهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذَّلِيلِ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ﴿٢٤﴾ رَبِّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ إِنْ تَكُونُوا صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَّابِينَ غَفُورًا ﴿٢٥﴾ وَآتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمَسْكِينِ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا يَبْدُرْ تَبْدِيرًا ﴿٢٦﴾ إِنْ الْمُبْدِرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيْطَانِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا ﴿٢٧﴾

٢٨٤

١٨: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَلْنَا لَهَا فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ﴾ يُخبر تعالى أنه ما كل من طلب الدنيا ومافيهما من النعم يحصل له، بل إنما يحصل لمن أراد الله وما يشاء، ﴿ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُمْ جَهَنَّمَ﴾ في الآخرة ﴿يَصَلُّونَهَا﴾ يدخلونها حتى تغمره من جميع جوانبه ﴿مَذْمُومًا﴾ على سوء تصرفه ﴿مَدْحُورًا﴾ مُبعداً مقصياً حقيراً ذليلاً مهاناً ١٩: ﴿وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ﴾ أراد الدار الآخرة ومافيهما من النعم والسرور ﴿وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا﴾ طلب ذلك من طريقه وهو متابعة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، ﴿وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾ موقنٌ بالشواب والجزاء ﴿فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا﴾ ٢٠: ﴿كَلَّا﴾ كل واحد من الفريقين الذين أرادوا الدنيا والذين أرادوا الآخرة تمدهم فيما هم فيه ﴿مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ﴾ هو الحاكم الذي لا يجوز فِئطي كلاً ما يستحقه، ﴿وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا﴾ لا يمنع أحد ولا يرده رأء ٢١: ﴿أَنْظِرْ كَيْفَ فَضَلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ في الدنيا فمنهم الفقير والغني والحسن والقيبح، ﴿وَلِلْآخِرَةِ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا﴾ ولتفاوتهم في الدار الآخرة أكبر من الدنيا؛ فإن منهم من يكون في جهنم، ومنهم من يكون في الدرجات العليا ونعيمها وسرورها ٢٢: ﴿لَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ﴾ أيها المكلف لا تجعل في عبادتك مع ربك شريكاً ﴿فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَدْحُورًا﴾ على إشرارك به، لأن الرب تعالى لا ينصرك بل بكلك إلى الذي عبدت معه وهو لا يملك لك ضراً ولا نفعاً، لأن مالك

الضر والنفع هو الله وحده لا شريك له ٢٣: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾ قضى: أي أمر ووصى بعبادته وحده لا شريك، ﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ وأمر بالوالدين إحساناً، ﴿إِمَّا يَبُلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أَوْفٍ﴾ لا تسمعهما قولاً سيئاً حتى ولا التافيف الذي هو أدنى مراتب القول السيء ﴿وَلَا نَهْرَهُمَا﴾ ولا يصدر منك إليهما فعل قبيح، ولا تنقص يدك عليهما، ﴿وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾ لِيُنَا طِيبًا حَسَنًا وتوقيراً ٢٤: ﴿وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذَّلِيلِ مِنَ الرَّحْمَةِ﴾ تواضع لهما بفعلك، ﴿وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾ في كبرهما وعند وفاتها ٢٥: ﴿رَبِّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ﴾ أي: [من اعتقاد الرحمة بهما]، ﴿إِنْ تَكُونُوا صَالِحِينَ﴾ [أي: صادقين في نيّة البر بالوالدين] ﴿فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ لِلْأَوَّابِينَ﴾ المطيعين ﴿غَفُورًا﴾ يغفر الباردة ٢٦: ﴿وَآتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمَسْكِينِ وَابْنَ السَّبِيلِ﴾ لما ذكر تعالى برّ الوالدين عطف بذكر الإحسان إلى القرابة وصلّة الأرحام. ﴿وَلَا يَبْدُرْ تَبْدِيرًا﴾ لما أمر بالإنفاق نهى عن الإسراف فيه ٢٧: ﴿إِنَّ الْمُبْدِرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيْطَانِ﴾ أشباههم في ذلك، ﴿وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا﴾ جُحوداً؛ لأنه أنكّر نعمة الله عليه ولم يعمل بطاعته.

الآية: ١٨ روى الإمام أحمد عن عائشة قالت: قال رسول الله ﷺ: «الدنيا دارٌ من لا دارَ له، وما لَ من لا مالَ له، ولها يجمعُ من لا عقلَ له». /ابن كثير ج ٣/٣٣

الآية: ٢٢ روى الإمام أحمد عن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: «من أصابه فاقة فأنزها بالئاس لم تُسدِّ فاقته، ومن أنزها بالله أرسل الله له بالغي إماً أجلاً، وإماً غنى عاجلاً» ورواه أبو داود والترمذي. /ابن كثير ج ٣/٣٤

٢٨: ﴿وَمَا تُعْرَضْنَ عَنْهُمْ ابْتِغَاءَ رَحْمَةٍ مِنْ رَبِّكَ﴾ إذا سألك أقرابك ومن أمرناك بإعطائهم وليس عندك شيء وأعرضت عنهم لفقد النفقة ﴿فَقُلْ لَهُمْ قَوْلًا مِيسُورًا﴾ عذم وعداً بسهولة ولين ٢٩: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ﴾ نهي الله عن البخل؛ أي: لا تكن نجحلاً، ﴿وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ﴾ ولا تسرف في الإنفاق فوق طاقتك وتخرج أكثر من دخلك ﴿فَتَقَعُدْ مَلُومًا مَحْسُورًا﴾ هذا من باب اللف والنشر؛ أي: فتقعُد إن نجحت مملوماً يلوُمك النَّاسُ ويذمُّونك ويستغنون عنك ٣٠: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَسْطُرُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ﴾ إخبارٌ أنه تعالى هو الرزاق القابض الباسط المتصرّف في خلقه بما يشاء، ﴿إِنَّهُ كَانَ بَعَادِهِ خَيْرًا بَصِيرًا﴾ خير بصيرٍ من يستحق العنتى ومن يستحق الفقر كما في الحديث: ﴿إِنَّ مِنْ عِبَادِي لَمَنْ لَا يَصِلُحُهُ إِلَّا الْفَقْرُ، وَلَوْ أَعْيَيْتُهُ لَأَسَدْتُ عَلَيْهِ دِينَهُ، وَإِنْ مِنْ عِبَادِي لَمَنْ لَا يَصِلُحُهُ إِلَّا الْغَنَى، وَلَوْ أَفْرَقْتُهُ لَأَسَدْتُ عَلَيْهِ دِينَهُ﴾ ٣١: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ﴾ هذه الآية دالة على أن الله أرحم بعباده من الوالد، وكان أهل الجاهلية يقتل أحدهم ابنته لثلاث تكبر عيلته، فنبى الله عن قتل الأولاد خوف الفقر، ولهذا قدّم الاهتمام برزقهم فقال: ﴿نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنْ قَتَلْتُمْ أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ﴾ ذنباً عظيماً ٣٢: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزَّوْجَ إِذْهُوَ فَاحِشَةٌ وَسَاءَ سَبِيلًا﴾ روى ابن أبي الدنيا أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال:

٢٨٥

«مَنْ ذَنْبٌ بَعْدَ الشَّرِكِ أَعْظَمُ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ نَظْفَةٍ وَضَعَهَا رَجُلٌ فِي رَحِمِ لَاجِلٍ لَهُ» ٣٣: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ وفي الصحيحين أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: «لَا يَجِلُّ دَمُ امْرِئٍ مُسْلِمٍ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ إِلَّا بِأَحَدِي ثَلَاثٍ: النَّفْسُ بِالنَّفْسِ، وَالزَّانِي بِالْمُحْضَنِ، وَالتَّارِكُ لِدِينِهِ الْمَفَارِقُ لِلْجَمَاعَةِ»، ﴿وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِرَبِّهِ سُلْطَانًا﴾ أي: سُلْطَةً عَلَى الْقَاتِلِ ﴿فَلَا يُسْرِفُ فِي الْقَتْلِ﴾ بأن يمتل به أو يقتص من غير القاتل، ﴿إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا﴾ إن الولي منصورٌ على القاتل شرعاً وقدرًا ٣٤: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ لا تنصروا في مال اليتيم إلا بالغبطة ﴿حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ﴾ الذي تعاهدون عليه النَّاسُ، ﴿إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا﴾، عنه ٣٥: ﴿وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ﴾ من غير تطفيف ولا تبخسوا النَّاسَ أَسْيَاءَهُمْ، ﴿وَزِنُوا بِالْقِسْطِ﴾ وهو الميزان ﴿الْمُسْتَقِيمِ﴾ الذي لا انحراف فيه ﴿ذَلِكَ خَيْرٌ﴾ لكم في معاشكم ومعادكم، ﴿وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ مآلاً ومنقلباً في آخركم ٣٦: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾ لا ترم أحدًا بما ليس لك به علم، ﴿إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ هذه الصفات سئسأل العبد عنها يوم القيامة عمّا عمل فيها ٣٧: ﴿وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرْحًا﴾ مُتَبَخَّرًا كالجبارين ﴿إِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ الْأَرْضَ﴾ تقطع الأرض بمشيك ﴿وَلَنْ تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا﴾ بِتَمَائِكَ وَفَخْرِكَ ٣٨: ﴿كُلُّ ذَلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ عِنْدَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا﴾ كل هذا قبيحٌ مكروه عند الله.

٣٩: ﴿ذَلِكَ مِمَّا أَوْحَى إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ﴾ هذا الذي أمرناك به من الأخلاق الجميلة ونبيناك عنه من الصفات الرذيلة ثم أوحينا إليك يا محمد لتأمر به الناس، ﴿وَلَا تَجْمَعِ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ تَقْلُقَ فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا﴾ تلومك نفسك، ويلومك الله والخلق، ﴿مَذْهُورًا﴾ معذراً من كل خير. والمراد من هذا الخطاب الأمة بواسطة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، فإنه صلوات الله وسلامه عليه معصوم ٤٠: ﴿أَفَأَصْفَاكُمْ رَبُّكُم بِالْبَنِينَ وَاتَّخَذَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِنثًا﴾؟ هذا رد على المشركين الزاعمين أن الملائكة بنات الله؛ أي: خصصكم بالذكر واختار لنفسه على زعمكم البنات؟! ثم شدّد الإنكار عليهم فقال تعالى: ﴿إِنكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا﴾، كما قال تعالى: ﴿تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتْفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًاءً أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا. وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا﴾ ٤١: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ﴾ بما فيه من الحجج والبيّنات والمواعظ فينزجروا عما هم فيه من الشرك والظلم والإفك ﴿وَمَا يُؤْيِدُهُمْ﴾ أي: الظالمين منهم ﴿إِلَّا تَقْوَاهُمْ﴾ أي: عن الحق وبعداً منه ٤٢: ﴿قُلْ لَوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذْ يَقُولُونَ أَمْ نَحْنُ رَبُّكَ فَانقُرُوا﴾ قال يا محمد للمشركين: لو كان الأمر كما تقولون أنّ معه آلهة تُعبد ﴿إِذَا لَاتِبَعُوا إِلَى ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا﴾ لكان أولئك المعبودون يعبدونه ويتبعون إليه الوسيلة والقربة، فاعبُدوه أنّتم

ذَلِكَ مِمَّا أَوْحَى إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ وَلَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتُلْقَى فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَدْحُورًا ﴿٣٩﴾ أَفَأَصْفَاكُمْ رَبُّكُم بِالْبَنِينَ وَاتَّخَذَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِنثًا إِنَّكُمْ لَقَوْلُونَ قَوْلًا عَظِيمًا ﴿٤٠﴾ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ أَنْ لِيَذَّكَّرُوا وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُورًا ﴿٤١﴾ قُلْ لَوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذَا الْأَبْشَعُ إِلَى ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا ﴿٤٢﴾ سُبْحٰنَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤٣﴾ تَسْبِيحُ لَهُ السَّمٰوٰتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾ وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَجَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَسْتُورًا ﴿٤٥﴾ وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِذَا ذُكِرْتُ رَبُّكَ فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُ وَلَوْ أَعْلَمُ أَذْبَرِهِمْ نُفُورًا ﴿٤٦﴾ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِ إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ نَجْوَى إِذْ يَقُولُ الظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا الْأَرْجُلَ مَسْحُورًا ﴿٤٧﴾ أَنْظِرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ﴿٤٨﴾ وَقَالُوا أَإِذَا كُنَّا عِظْمًا وَرَفْنَا أَمْ نَأْتِي الْمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴿٤٩﴾

وحده، ولا حاجة لكم إلى معبود يكون واسطة بينكم وبينه، فإنه قد نبهى عن ذلك على السنة جميع رسله ٤٣: ﴿سُبْحٰنَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَقُولُونَ﴾ المشركون الظالمون أنّ معه آلهة أخرى ﴿عُلُوًّا كَبِيرًا﴾ تعالياً كبيراً ٤٤: ﴿تَسْبِيحُ لَهُ السَّمٰوٰتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ﴾ من المخلوقات وتزهره وتُعظمه وتبجله وتكرمه عما يقول المشركون، وتشهد له بالوحدانية في ربوبيته وإلهيته. ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ﴾ وما من شيء من المخلوقات إلا يسبح بحمد الله ﴿وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ لأنها بخلاف لغاتكم. ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا حَلِيمًا غَفُورًا﴾ ٤٥: ﴿وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَجَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَسْتُورًا﴾ مانعاً، لاتراه الأبصار ٤٦: ﴿وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً﴾ وهو ما يعشى القلب ﴿أَنْ يَفْقَهُوهُ﴾ لئلا يفهموا القرآن ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ﴾ وهو ما يعشى القلب ﴿وَلَوْ أَعْلَمُ﴾ راجعين ﴿عَلَىٰ أَدْبَارِهِمْ نُفُورًا﴾. ٤٧: ﴿نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِ﴾ يخبر تعالى نبيه محمداً صلى الله عليه وآله وسلم بما يتناجى به كفار قريش ﴿إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ نَجْوَى إِذْ يَقُولُ الظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا﴾ أي: قد خيله السحر ٤٨: ﴿أَنْظِرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ﴾ منهم من قال ساحر، ومنهم من قال كاهن، ومنهم من قال مجنون، ﴿فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا﴾ فلا يهتدون إلى الحق ولا يجردون إليه مخلصاً ٤٩: ﴿وَقَالُوا أَإِذَا كُنَّا عِظْمًا وَرَفَاتًا أَتَيْنَا لِمَجْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا﴾؟ هذا استفهام إنكار من الكفار؛ أي: بعد أن كنا تراباً وغباراً لمبعوثون يوم القيامة؟ فأمر الله نبيه أن يجيبهم فقال:

الآية: ٤٤: روى الإمام أحمد بسند فيه ضعيف عن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: «وَأَلَّا أُخْبِرَ بِشَيْءٍ أَمَرَ بِهِ نوح ابنه؟ إن نوحاً عليه السلام قال لابنه: يا بني أَمَرَ أَنْ تَقُولَ سُبْحٰنَ اللَّهِ، فَإِنَّهَا صَلَاةُ الْخَلْقِ، وَتَسْبِيحُ الْخَلْقِ، وَبِهَا يُرْفَقُ الْخَلْقُ». ورواه بإسناد آخر عن عبد الله بن عمر، ولعله يقوى به.

٥٠: ﴿قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا﴾ إذ
 ما أشدَّ امتناعاً من العظام والرفات ٥١:
 ﴿أَوْ خَلْقًا مِّمَّا يَكْفُرُ فِي صُدُورِكُمْ﴾ يعني:
 السماء والأرض والجبال، فكونوا فسيعدكم الله
 بعد موتكم، ﴿فَسَيَقُولُونَ مَنْ يُعِيدُنَا﴾ إذا
 كنا حجارةً أو حديدًا أو خلقاً آخر شديداً
 ﴿قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ الذي
 خلقكم ولم تكونوا شيئاً؛ فإنه قادرٌ على
 إعادتكم، ﴿فَسَيَغضَبُونَ إِلَيْكَ زُورِهِمْ﴾
 يحركونها استهزاءً، ﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هُوَ﴾
 إخبارٌ عنهم بالاستبعاد منهم لوقوع ذلك،
 ﴿قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَرِيبًا﴾ احذروا ذلك
 فإنه قريب إليكم لامحالة فكل ما هو آتٍ آتٍ
 ٥٢: ﴿يَوْمَ يَدْعُوكُمْ﴾ الربُّ تبارك وتعالى،
 ﴿إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةَ مِنَ الْأَرْضِ إِذْ أَنْتُمْ
 تَخْرُجُونَ﴾ إذا أمركم بالخروج منها فإنه
 لا يخالف ولا يمانع بل كما قال تعالى:
 ﴿وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلِمَةً بِالْبَصَرِ﴾،
 ﴿فَسَتَجِدُونَ بِحَمْدِهِ﴾ بأمره، ﴿وَتَنْظُرُونَ﴾
 يوم تقومون من قبوركم ﴿إِنْ لَبِثْتُمْ فِي الدُّنْيَا
 إِلَّا قَلِيلًا﴾، كما قال تعالى: ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ
 يَرُونَهَا لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا عِشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا﴾ ٥٣:
 ﴿وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ يأمرُ
 الله تعالى رسوله صلى الله عليه وآله وسلم أن
 يأمر المؤمنين أن يقولوا في مخاطبتهم الكلامَ
 الأحسن، والكلمة الطيبة، فإنهم إن لم يفعلوا
 ذلك نزع الشيطان بينهم، ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ
 يَنْزِعُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوًّا
 مِينًا﴾ من حين امتنع من السجود لآدم

﴿قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا﴾ ٥٠: ﴿أَوْ خَلْقًا مِّمَّا يَكْفُرُ فِي
 صُدُورِكُمْ فَسَيَقُولُونَ مَنْ يُعِيدُنَا قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ
 فَسَيَغضَبُونَ إِلَيْكَ رءُوسِهِمْ وَيَقُولُونَ مَتَى هُوَ قُلْ عَسَى أَنْ
 يَكُونَ قَرِيبًا﴾ ٥١: ﴿يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ
 وَتَنْظُرُونَ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا﴾ ٥٢: ﴿وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ
 أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزِعُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنْسَانِ
 عَدُوًّا مِينًا﴾ ٥٣: ﴿رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ إِنَّ يَشَاءُ يَرْحَمَكُمُ أَوْ يُنْزِلُ
 يُعَذِّبُكُمْ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا﴾ ٥٤: ﴿وَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ
 بِمَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضٍ
 وَءَاتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا﴾ ٥٥: ﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِهِ فَلَا
 يَمْلِكُونَ كَشَفَ الضُّرِّ عَنْكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا﴾ ٥٦: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ
 يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ
 رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا﴾ ٥٧:
 ﴿وَإِنْ مِنْ قَرِيبَةٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ
 أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًا كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا﴾ ٥٨:

٥٤: ﴿رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ﴾ أيها الناس ﴿إِنْ يَشَاءُ يَرْحَمَكُم﴾ بأن يوفقكم لطاعته والإجابة إليه ﴿أَوْ إِنْ يَشَاءُ يُعَذِّبُكُمْ﴾ [هذا الخطاب للمشركين]
 ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ﴾ يا محمد ﴿عَلَيْهِمْ وَكِيلًا﴾ إنما أرسلناك نذيراً، فمن أطاعك دخل الجنة، ومن عصاك دخل النار ٥٥: ﴿وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَنْ فِي
 السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ بمراتبهم في الطاعة والمعصية، ﴿وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضٍ﴾ كما قال تعالى: ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ
 مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ﴾، ﴿وَءَاتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا﴾ تنبيه على فضله وشفه ٥٦: ﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِهِ فَلَا يَمْلِكُونَ
 كَشَفَ الضُّرِّ عَنْكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا﴾ هؤلاء الأصنام والأنداد لا يملكون كشف الضر عنكم، أي: لا يقدر على ذلك إلا الله وحده لاشريك له، الذي
 له الخلق والأمر ٥٧: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ﴾، نزلت في نفر من العرب كانوا يعبدون نقرًا من الجن، فأسلم الجنّيون،
 والإنس الذين كانوا يعبدونهم لا يشعرون بإسلامهم. والوسيلة هي القرية. ولهذا قال: ﴿أَيُّهُمْ أَقْرَبُ﴾، ﴿وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ﴾؛ لآتم
 العبادة إلا بالخوف والرجاء، فبالخوف ينكف عن المناهي، وبالرجاء يكثر من الطاعات، ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا﴾ ينبغي أن يُحذَر منه،
 ويُخاف من وقوعه وحصوله، عياداً بالله منه ٥٨: ﴿وَإِنْ مِنْ قَرِيبَةٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًا كَانَ ذَلِكَ فِي
 الْكِتَابِ مَسْطُورًا﴾ هذا إخبارٌ من الله عز وجل بأنه قد حتم وقضى بما قد كتب عنده في اللوح المحفوظ أنه ما بين قرية [أي: مدينة] إلا سيهلكها
 بأن يُبيد أهلها جميعهم، أو يُعَذِّبَهُمْ ﴿عَذَابًا شَدِيدًا﴾ بسبب ذنوبهم وخطاياهم، كما قال تعالى: ﴿وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾.

الآية: ٥٧ قال رسول الله ﷺ: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مَوْمِنًا حَسَنَةً يُعْطِيهَا فِي الدُّنْيَا، وَيُجْزِيهَا فِي الْآخِرَةِ، وَأَمَّا الْكَافِرُ فَيُطْعَمُ بِحَسَنَاتِهِ مَا عَمِلَ اللَّهُ تَعَالَى فِي الدُّنْيَا، حَتَّى إِذَا أَفْضَى إِلَى
 الْآخِرَةِ لَمْ يَكُنْ لَهُ حَسَنَةٌ يُجْزَى بِهَا﴾، رواه مسلم/رياض الصالحين/٢٠٨.

وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأَوْلُونَ
وَأَلَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا بِهَا وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ
إِلَّا تَخْوِيفًا ﴿٥٩﴾ وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ وَمَا
جَعَلْنَا الرُّءْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ
فِي الْقُرْآنِ وَنُوحُوهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا ﴿٦٠﴾
وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ
قَالَ أَسْجُدْ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا ﴿٦١﴾ قَالَ أَرَأَيْتَ هَذَا الَّذِي
كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لِأَحْتَنِكَ
ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٢﴾ قَالَ أَذْهَبَ فَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ
جَهَنَّمَ جَزَاءُكُمْ جَزَاءً مَوْفُورًا ﴿٦٣﴾ وَأَسْتَفْزِرُ مِنْ أُسْطَعَتْ
مِنْهُمْ بَصُوتِكَ وَأَجْلِبُ عَلَيْهِمْ بِخَيْكِ وَرَجْلِكَ وَشَارِكُهُمْ
فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَعَدَّهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا
غُرُورًا ﴿٦٤﴾ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ وَكَفَى
بِرَبِّكَ وَكِيلًا ﴿٦٥﴾ رَبُّكُمْ الَّذِي يُزْجِي لَكُمْ الْفَلَكَ
فِي الْبَحْرِ لِيَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهٗ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴿٦٦﴾

٥٩: ﴿وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ﴾ نبعث
الآيات ونأتي بها على ما سأل قومك، وإته
علينا يسير ﴿إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأَوْلُونَ﴾
بعدما سألوها وجرت سنتنا فيهم ومن أمثالهم
أنهم لا يؤخرون إن كذبوا بها بعد نزولها، كما
قال تعالى: ﴿وَأَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا
بِهَا﴾ دالة على وحدانية من خلقها وصدق
رسوله الذي أوجب دُعاؤه فيها ﴿فَظَلَمُوا
بِهَا﴾ كفروا بها ومنعوا شربها وقتلوا
فأبادهم الله عن آخرهم وانتقم منهم،
﴿وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفًا﴾ يُخَوِّفُ اللهُ
الناس بما شاء من الآيات لعلمهم يعتبرون
٦٠: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ
بِالنَّاسِ﴾ يقول تعالى هذا لرسوله صلى الله
عليه وآله وسلم محضاً له على إبلاغ رسالته،
وخبراً له بأنه قد عصمه من الناس، فإنه
القادر عليهم، ﴿وَمَا جَعَلْنَا الرُّءْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ
إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ﴾ وهي رؤيا عين، أربها رسول
الله صلى الله عليه وآله وسلم ليلة أسري به،
﴿وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ﴾ هي شجرة
الزقوم، ﴿إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا﴾ اختباراً وامتحاناً، كما
أخبرهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
أنه رأى الجنة والنار ورأى شجرة الزقوم،
فكذبوا بذلك. ﴿وَنُوحُوهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا
طُغْيَانًا كَبِيرًا﴾ نُحِزَفُ الكفار بالوعيد
والعذاب والنكال ﴿فَمَا يَزِيدُهُمْ﴾ إلا تمادياً
فيما هم فيه من الكفر والضلال ٦١: ﴿وَإِذْ
قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا
إِبْلِيسَ﴾ فإنه استكبر وأبى أن يسجد له

فتخاراً عليه واحتقاراً له، ﴿قَالَ أَسْجُدْ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا﴾؟ كما قال: ﴿أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾ ٦٢: ﴿قَالَ﴾ [أي: لشیطان] ﴿أَرَأَيْتَ﴾ يقول للرب جراً وكفراً، والرب تعالى يَحْلُمُ وَيُنِظِرُ، ﴿هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ﴾ أَرَأَيْتَ هَذَا الَّذِي شَرَّفْتَهُ وَعَظَّمْتَهُ عَلَيَّ مِنْ أَنْظَرْتَنِي لِأَضْلِيلٍ! ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا؛ ﴿لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لِأَحْتَنِكَ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا﴾ ٦٣: لَمَّا سَأَلَ إبليس النَّظْرَةَ ﴿قَالَ﴾ اللهُ لَهُ ﴿أَذْهَبْ﴾ فَقَدْ أَنْظَرْتُكَ ﴿إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ﴾ ثُمَّ أَوْعَدَهُ وَمَنْ اتَّبَعَهُ مِنْ ذُرِّيَّةِ آدَمَ جَهَنَّمَ، ﴿فَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَاءُكُمْ جَزَاءً مَوْفُورًا﴾ ٦٤: ﴿وَأَسْتَفْزِرُ مِنْ أُسْطَعَتْ مِنْهُمْ بَصُوتِكَ﴾ بِاللَّهُوِ وَالغِنَاءِ، أَي: اسْتَحْفَظُهُمْ بِذَلِكَ، ﴿وَأَجْلِبُ عَلَيْهِمْ بِخَيْكِ﴾ أَي: وَاحْمِلْ عَلَيْهِمْ بِجُنُودِكَ، وَهُمْ كُلُّ دَاعٍ دَعَا إِلَى مَعْصِيَةِ اللهِ؛ أَي: تَسَلَطَ عَلَيْهِمْ بِكُلِّ مَا تَقْدِرُ عَلَيْهِ، وَهَذَا أَمْرٌ قَدَرِي، ﴿وَشَارِكُهُمْ فِي الْأَمْوَالِ﴾ بِمَا تَأْمُرُهُمْ بِهِ مِنْ نِفَاقِ الْأَمْوَالِ فِي مَعْاصِيِ اللهِ تَعَالَى، ﴿وَالْأَوْلَادِ﴾ مِنَ الزَّوْجِ، ﴿وَعَدَّهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا﴾ كَمَا قَالَ عَنْهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ اللهَ وَعْدٌ كَذِبٌ وَعَدُّ لِحَقِّ وَوَعْدُكُمْ فَأَخْلَفْتَكُمْ﴾ ٦٥: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ﴾ إِخْبَارٌ بِتَأْيِيدِهِ تَعَالَى الْمُؤْمِنِينَ وَحِفْظِهِ إِيَّاهُمْ وَحِرَاسَتِهِ لَهُمْ مِنَ الشَّيْطَانِ، ﴿وَكَفَى بِرَبِّكَ وَكِيلًا﴾ حَافِظًا وَمُؤَيِّدًا وَنَصِيرًا ٦٦: ﴿رَبُّكُمْ الَّذِي يُزْجِي لَكُمْ الْفَلَكَ فِي الْبَحْرِ لِيَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهٗ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾ يُخْبِرُ هَالِكًا عَنْ لَطْفِهِ بِمَخْلَقِهِ فِي تَسْخِيرِهِ لِعِبَادَةِ الْفَلَكَ فِي الْبَحْرِ وَتَسْبِيهِهِ لِمَصَالِحِ عِبَادِهِ لِابْتِغَائِهِمْ مِنْ فَضْلِهِ فِي التَّجَارَةِ ﴿إِنَّهٗ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾ إِنَّمَا فَعَلَ بِنَا بِكُمْ مِنْ فَضْلِهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتِهِ بِكُمْ.

الآية: ٥٩ عن فضالة بن عبيد أن رسول الله ﷺ كان يقول: «اللهم من آمن بك، وشهد آتي رسولك، فحبب إليه لقاءك، وسهل عليه قضاءك، وأقبل له من الدنيا، ومن لم يؤمن بك، وبشهد آتي رسولك، فلا تحبب إليه لقاءك، ولا تسهل عليه قضاءك، وكثر له من الدنيا» رواه الطبراني/صحيح الجامع الصغير ج ١/٢٨٠.

٦٧: ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِلَٰهًا يُخِيرُ تَعَالَىٰ أَنْ النَّاسَ إِذَا مَسَّهُمْ ضُرٌّ دَعَوْهُ مُبِينِينَ إِلَيْهِ مُخْلِصِينَ لَهُ الَّذِينَ ﴿فَلَمَّا تَجَمَّأ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ﴾ نسيتم ما عرفت من توحيده في البحر وأعرضتم عن دعائه وحده لاشريك له، ﴿وَكَانَ الْإِنْسَانُ كُفُورًا﴾ سجيته هذا ينسى النعم ويجهلها إِلَّا مَنْ عَصَمَ اللَّهُ ٦٨: ﴿أَفَأَنْتُمْ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ الْبَرِّ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا؟ أَتَحْسَبْتُمْ مَجْرُوحَكُمْ إِلَى الْبَرِّ أَنْتُمْ مِنْ أَنْتِقَامِهِ وَعَذَابِهِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ الْبَرِّ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ الْمَطَرَ الَّذِي فِيهِ حِجَارَةٌ، وَهُوَ الْحَاصِبُ. ﴿ثُمَّ لَاتَجِدُوا لَكُمْ وَكِيلًا﴾ ناصراً يرد ذلك عنكم وينقذكم منه ٦٩: ﴿أَنْتُمْ أَنْتُمْ﴾ أيها المرصون عتاً بعدما اعترفوا بتوحيدنا في البحر وخرجوا إلى البر أن يعيدكم فيه مرة ثانية ﴿أَنْ يَعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَىٰ فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِنَ الرِّيحِ﴾ ويغرق المراكب ﴿فَيُغْرِقْكُمْ بِمَا كَفَرْتُمْ﴾ بسبب كفركم وإعراضكم عن الله تعالى، ﴿ثُمَّ لَاتَجِدُوا لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِ تَبِيعًا﴾ نصيراً ثائراً؛ يأخذ بناركم بعدكم ٧٠: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَجَلَّلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾ يُخِيرُ تَعَالَىٰ عَنْ تَشْرِيفِهِ لِبَنِي آدَمَ وَتَكْرِيمِهِ إِلَيْهِ فِي خَلْقِهِ لَهُمْ عَلَىٰ أَحْسَنَ تَقْوِيمٍ أَحْسَنَ الْهَيْئَاتِ وَأَكْمَلَهَا. ﴿وَجَلَّلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ﴾ عَلَى الدُّوَابِّ مِنَ الْأَنْعَامِ وَالخَيْلِ وَالْبَعَالِ، ﴿وَالْبَحْرِ﴾ أَيْضاً عَلَى السُّفُنِ الْكِبَارِ وَالصَّغَارِ، ﴿وَوَرَزْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ﴾ مِنْ زُرُوعٍ وَغَرَامٍ وَلَحْمٍ وَأَلْبَانٍ مِنْ

البحر
٦٩

وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِلَٰهًا فَلَمَّا تَجَدُّوا إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ الْإِنْسَانُ كُفُورًا ﴿٦٧﴾ أَفَأَنْتُمْ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ الْبَرِّ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ وَكِيلًا ﴿٦٨﴾ أَمْ أَنْتُمْ أَنْ يَعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَىٰ فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِنَ الرِّيحِ فَيُغْرِقْكُمْ بِمَا كَفَرْتُمْ ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِ تَبِيعًا ﴿٦٩﴾ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَجَلَّلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾ يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِسْمِهِمْ فَمَنْ أُوْتِيَ كِتَابًا بِيَمِينِنَا فَأُولَٰئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَابَهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ فِيهَا شَيْئًا ﴿٧١﴾ وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٧٢﴾ وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرًا وَإِذَا لَا تَجِدُوا خَلِيلًا ﴿٧٣﴾ وَلَوْلَا أَنْ ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا ﴿٧٤﴾ إِذَا لَاذَقْنَاكَ ضَعْفَ الْحَيَوةِ وَضَعْفَ الْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا ﴿٧٥﴾

سائر أنواع الطعوم والألوان المشتهاة اللذيذة والملابس الرفيعة، ﴿وَجَلَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ مِنْ سَائِرِ الْحَيَوَانَاتِ وَأَصْنَافِ الْمَخْلُوقَاتِ ٧١: ﴿يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِسْمِهِمْ﴾ يُخِيرُ تَعَالَىٰ عَنْ يَوْمِ الْقِيَامَةِ أَنَّهُ يَحَاسِبُ كُلَّ أُمَّةٍ ﴿بِإِسْمِهِمْ﴾ بِكِتَابِ أَعْمَالِهِمْ، ﴿فَمَنْ أُوْتِيَ كِتَابًا بِيَمِينِهِ فَأُولَٰئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَابَهُمْ﴾ مِنْ فَرَحِهِ وَسُرُورِهِ بِمَا فِيهِ مِنْ الْعَمَلِ الصَّالِحِ يَقْرَأُهُ وَيُحِبُّ قِرَاءَتَهُ، كَقَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابًا بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَٰؤُلَاءِ أَقْرَبُونَ كِتَابِي﴾، ﴿وَلَا يُظْلَمُونَ فِيهَا شَيْئًا﴾ وَالْقِتْلُ هُوَ الْخَيْطُ الْمَسْتَطِيلُ فِي شِقِّ الثَّوْبَةِ ٧٢: ﴿وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ﴾ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴿أَعْمَىٰ﴾ عَنْ حُجَّةِ اللَّهِ وَأَيَاتِهِ وَيَتَّبِعُهُ ﴿فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَىٰ﴾ كَذَلِكَ يَكُونُ ﴿أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ وَأَضَلُّ مِنْهُ كَمَا كَانَ فِي الدُّنْيَا عِبَادًا بِاللَّهِ مِنْ ذَلِكَ ٧٣: ﴿وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرًا﴾ يُخِيرُ تَعَالَىٰ عَنْ تَأْيِيدِهِ رَسُولَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وَتَبْيِيئَتِهِ وَعَصْمَتِهِ وَسَلَامَتَهُ مِنْ شَرِّ الْأَشْرَارِ، ﴿وَإِذَا لَا تَجِدُوا خَلِيلًا﴾ [أَي: لَوْ فَعَلْتُمْ مَا رَأَوْا مِنْ اخْتِلَاقِ غَيْرِ الْقُرْآنِ لِصَادِقُوكَ وَالْوَلَكِ] ٧٤: ﴿وَلَوْلَا أَنْ ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا﴾ [أَي: لَوْلَا أَنْ عَصَمَكَ اللَّهُ مِنْ مَوَاقِفِهِمْ]، [وَلَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «اللَّهُمَّ لَا تَكْلِكُنِي إِلَىٰ نَفْسِي طَرَفَةَ عَيْنٍ»] ٧٥: ﴿إِذَا لَاذَقْنَاكَ ضَعْفَ الْحَيَاةِ﴾ [أَي: مِثْلِي عَذَابِ الدُّنْيَا]، ﴿وَضَعْفَ الْمَمَاتِ﴾ [أَي: مِثْلِي عَذَابِ الْمَمَاتِ فِي الْآخِرَةِ. وَهَذَا غَايَةُ الْوَعِيدِ].

الآية: ٦٩ كان رسول الله ﷺ إذا أراد دخول قرية قال: «اللهم رب السماوات السبع وما أظللن، ورب الأرضين السبع وما أقلن، ورب الشياطين وما أضللن، ورب الرياح وما ذفرن أسألك خير هذه القرية وخير أهلها، وخير ما فيها، وأعوذ بك من شرها وشر أهلها وشر ما فيها» رواه النسائي والحاكم وصححه ج ١٠٠٢/١.

وَإِنْ كَادُوا لَيَسْتَفِزُّوكَ مِنَ الْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا
وَإِذَا لَا يَلْبَثُونَ خَلْفَكَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٧٦﴾ سُنَّةٌ مَن قَدَّ
أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِن رُّسُلِنَا وَلَا نَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا ﴿٧٧﴾ أَقِمِ
الصَّلَاةَ لِذُلُوكَ السَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْءَانَ الْفَجْرِ إِنَّ
قُرْءَانَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ﴿٧٨﴾ وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ
نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴿٧٩﴾ وَقُلْ رَبِّ
أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَلْ لِي مِّن
لَّدُنكَ سُلْطَانًا نَّصِيرًا ﴿٨٠﴾ وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ
إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴿٨١﴾ وَنَزَّلْنَا مِنَ الْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَاءٌ
وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا نَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴿٨٢﴾ وَإِذَا
أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَىٰ بِجَانِبِهِ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ كَانَ يَئُوسًا
﴿٨٣﴾ قُلْ كُلُّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَن هُوَ أَهْدَىٰ
سَبِيلًا ﴿٨٤﴾ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي
وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾ وَلَئِن سَأَلْنَا لَنَذْهَبَنَّ
بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ ثُمَّ لَا تَجِدُكَ بِهِ عَالِمًا وَكِيلًا ﴿٨٦﴾

٢٩٠

٧٦: ﴿وَإِنْ كَادُوا لَيَسْتَفِزُّوكَ مِنَ الْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا وَإِذَا لَا يَلْبَثُونَ خَلْفَكَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ نزلت في كفار قريش، هموا بإخراج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من بين أظهرهم فتوعدهم الله بهذه الآية، فلم يكن بعد هجرته إلا سَنَةً ونصف حتى جمعهم الله وإيَّاه بيدر، فأمكنه منهم وسلطه عليهم فقتل أشرفهم وسبى ذراريهم، ولهذا قال تعالى: ٧٧: ﴿سُنَّةٌ مَّن قَدَّ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنْ رُّسُلِنَا﴾ هكذا عادتنا في الذين كفروا بأنبيائهم العذاب، ولولا أنه صلى الله عليه وآله وسلم رسول الرحمة لجاهم من النقم في الدنيا مالا يُقِيل لأحدٍ به ﴿وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا﴾ ٧٨: ﴿أَقِمِ الصَّلَاةَ لِذُلُوكَ السَّمْسِ﴾ لغروبها وزوالها، وأخذ منه الظهر والعصر، ﴿إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ﴾ وهو ظلامه، وهو العشاء، ﴿وَقُرْءَانَ الْفَجْرِ﴾ يعني صلاة الفجر، ﴿إِنَّ قُرْءَانَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾ تشهده ملائكة الليل وملائكة النهار. وفي صحيح البخاري (..) وتجتمع ملائكة الليل وملائكة النهار في صلاة الفجر ﴿٧٩: ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ﴾ أمر له صلى الله عليه وآله وسلم بقيام الليل بعد المكتوبة، كما ورد في صحيح مسلم أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سُئِلَ: أيُّ الصلاة أفضل بعد المكتوبة؟ قال: «صلاة الليل»، ﴿نَافِلَةً لَّكَ﴾ إنك مخصوصٌ بوجوب ذلك وحده. ﴿عَسَىٰ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾ افعل هذا الذي أمرتك به لتقيمك يوم القيامة مقامًا

محمودًا بحمدك فيه الخلاق كلهم ٨٠: ﴿وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ﴾ إن كفار مكة لما آمنوا برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ليقتلوه أو يطردوه أو يوثقوه، أمره أن يخرج إلى المدينة [وهو] المدخل الصدق [كما أن الخروج من مكة] مخرج الصدق، ﴿وَاجْعَلْ لِي مِّن لَّدُنكَ سُلْطَانًا نَّصِيرًا﴾ ٨١: ﴿وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ﴾ هذا تهديد ووعد لكفار قريش، فإنه قد جاء من الله الحق الذي هو القرآن، ﴿إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ أي: لا بقاء له ٨٢: ﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ الْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ إته رحمة للمؤمنين أي يذهب مافي القلوب من أمراض من شك ونفاق وشرك وزيف فالقرآن يشفي من كل ذلك. ﴿وَلَا نَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾ لا يتنفع به ولا يحفظه ولا يبعثه، فإن الله جعل هذا القرآن شفاءً ورحمةً للمؤمنين ٨٣: ﴿وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَىٰ بِجَانِبِهِ﴾ يُخْرِجُ تَعَالَى عَنْ نَقْصِ الْإِنْسَانِ إِلَّا مَنْ عَصَمَهُ اللَّهُ، أَنَّهُ إِذَا أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ بَعْدَ عَنَاءٍ، ﴿وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ كَانَ يَئُوسًا﴾ قَطُّ أَنْ يَمُودَ بِحِصْلٍ لَهُ بَعْدَ ذَلِكَ خَيْرٍ ٨٤: ﴿قُلْ كُلُّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِ﴾ أي على ناحيته وطبيعته ونيته، وهذه الآية تهديدٌ للمشركين ووعدٌ لهم، ﴿فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَن هُوَ أَهْدَىٰ سَبِيلًا﴾ مِنَّا وَمِنْكُمْ ٨٥: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ﴾ قالت قريش لليهود: أعطونا شيئاً نسأل عنه هذا الرجل، فقالوا: سلوه عن الروح، فنزلت: ﴿قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [هذا خطاب للعالم كله] ٨٦: ﴿وَلَئِن سَأَلْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾ ولكن لانشاء ذلك رحمةً مِن رَبِّكَ، ﴿ثُمَّ لَا تَجِدُكَ بِهِ عَالِمًا وَكِيلًا﴾ أي: ناصراً يرده عليك].

٨٧: ﴿إِلَّا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ إِنَّ فَضْلَهُ كَانَ عَلَيْكَ كَبِيرًا﴾ [إذ جعلك سيّد ولد آدم]
 ٨٨: ﴿قُلْ لَنْ أَجْتَمِعَ الْإِنْسَ وَالْجِنَّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ نَبَهُ تَعَالَى عَلَى شَرَفِ هَذَا الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ فَأَخْبَرَ أَنَّهُ لَوْ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ كُلَّهُمْ وَاتَّفَقُوا عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ مَا أَنْزَلَهُ عَلَى رَسُولِهِ لَمَا أَطَاقُوا ذَلِكَ وَلَمَّا اسْتَطَاعُوهُ لَوْ تَعَاوَنُوا وَتَظَافَرُوا، فَإِنَّ هَذَا أَمْرٌ لَا يَسْتَطَاعُ، وَكَيْفَ يَشْبَهُ كَلَامُ الْمَخْلُوقِينَ كَلَامُ الْخَالِقِ؟! ٨٩: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ﴾ أَي بَيْنَا لَهُمُ الْحُجُجَ وَالْبُرَاهِينَ الْقَاطِعَةَ وَوَضَحْنَا لَهُمُ الْحَقَّ وَشَرَحْنَاهُ مَعَ هَذَا ﴿فَأَبَىٰ أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا﴾ جُحُودًا لِلْحَقِّ وَرَدًّا لِلصُّوَابِ ٩٠: ﴿وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَنْزِلَ عَلَيْنَا مِثْلَ الْبُرُوقِ﴾ [إِنَّ صِنَادَيْدَ قُرَيْشٍ اجْتَمَعُوا عِنْدَ ظَهْرِ الْكَعْبَةِ، فَبَعَثُوا إِلَيْهِ أَنْ أُشْرَفَ قَوْمُكَ قَدْ اجْتَمَعُوا لَكَ لِيَكْفُمُوكَ، فَجَاءَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ سَرِيعًا وَهُوَ يَظُنُّ أَنَّهُ قَدْ بَدَأَ لَهُمْ فِي أَمْرِهِ بَدْءٌ، وَكَانَ عَلَيْهِمْ حَرِيصًا يُحِبُّ رِشْدَهُمْ، فَقَالُوا: يَا مُحَمَّدُ اسْأَلْنَا لَنَا رَبِّكَ فليسر عَنَّا هَذِهِ الْجِبَالُ الَّتِي قَدْ ضَيَّقَتْ عَلَيْنَا وَلِيَسِّطَ لَنَا بِلَادَنَا وَلِيَفْجِرَ فِيهَا أَنْهَارًا كَأَنْهَارِ الشَّامِ، وَلِيَبِيعَ لَنَا مَن مَضَىٰ مِنْ آبَائِنَا، فَنَسْأَلُكَ عَمَّا نَقُولُ، فَإِنَّ صَنَعْتَ لَنَا مَا سَأَلْنَاكَ وَصَدَّقَكَ صَدَقْنَاكَ، [وَفِي هَذَا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَاتُ] ٩١: ﴿أَوْ تَكُونُ لَكَ جَنَّةٌ مِّنْ نَّجِيلٍ وَعَجَبٌ فَتَفْجُرَ الْأَنْهَارُ خِلَالَهَا فَتَجِيرُ﴾ ٩٢: ﴿أَوْ تُسْقِطُ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمَتْ عَلَيْهَا كِسْفًا﴾ [أَي: قَطْعًا] ﴿أَوْ تَأْتِي بِاللَّيْلِ وَالْمَلَائِكَةِ قِيْلًا﴾ [أَي: مُعَابَهًا] ٩٣: ﴿أَوْ يَكُونُ لَكَ يَوْمٌ مِّنْ زُخْرَفٍ﴾، أَي: مَن ذَهَبٍ ﴿أَوْ تَرْفَىٰ فِي السَّمَاءِ﴾ أَي: تَصْعَدُ، ﴿وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرُبِّيكَ حَتَّىٰ تَنْزِلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَقْرُؤُهُ﴾ مَكْتُوبٌ فِيهِ إِلَىٰ كُلِّ وَاحِدٍ وَاحِدٌ صَحِيفَةٌ، ﴿قُلْ سُبْحَانَ رَبِّيَ هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا﴾ إِلَيْكُمْ أَلْبَغَمُ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنْصَحُ لَكُمْ، وَقَدْ فَعَلْتُ ذَلِكَ ٩٤: ﴿وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا أَنْ يُؤْمِنُوا إِلَّا اسْتِغْيَابُهُمْ مِنَ الْغَيْبِ وَخِيفَةُ الرَّسُولِ﴾ [إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ إِلَّا أَنْ قَالُوا أُبْعِثَ اللَّهُ بَشَرًا رَسُولًا] ثُمَّ قَالَ تَعَالَىٰ مِنْهَا عَلَىٰ لَطْفِهِ وَرَحْمَتِهِ بَعَادَهُ أَنَّهُ يَبْعَثُ إِلَيْهِمُ الرَّسُولَ مِنْ جِنْسِهِمْ لِيَفْقَهُوا عَنْهُ وَيَفْهَمُوا مِنْهُ: ٩٥: ﴿قُلْ لَوْ كَانَ فِي الْأَرْضِ مَلَائِكَةٌ يُمَشِّحُونَ مَطْمَئِنِينَ لَنَزَلْنَا عَلَيْهِمْ مِن السَّمَاءِ مَلَكَاتٌ رَسُولًا﴾، وَلَوْ بَعَثَ إِلَىٰ الْبَشَرِ رَسُولًا مِنَ الْمَلَائِكَةِ لَمَّا اسْتَطَاعُوا مُوَاجَهَتَهُ وَلَا الْأَخَذَ عَنْهُ، كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ﴾ ٩٦: ﴿قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ﴾ يُرْسِدُ اللَّهُ تَعَالَىٰ رَسُولَهُ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ إِلَى الْحُجَّةِ عَلَى قَوْمِهِ فِي صَدَقَ مَا جَاءَهُمْ بِهِ، إِنَّهُ سَبَّحَانَهُ شَاهِدٌ عَلَيَّ وَعَلَيْكُمْ بِمَا جِئْتُمْ بِهِ، فَلَوْ كُنْتُ كَاذِبًا عَلَيْهِ لَانْتَقَمَ مِنِّي أَشَدَّ الْإِنْتِقَامِ، كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضُ الْأَقَاوِيلِ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ﴾، ﴿إِنَّهُ كَانَ بَعِيدًا خَبِيرًا بَصِيرًا﴾ عَلَيْهِمُ الْإِنْعَامُ وَالْإِحْسَانُ وَالْهُدَايَةُ مَن يَسْتَحِقُّ الشُّقَاءَ وَالْإِضْلَالَ وَالْإِرَاغَةَ، وَهَذَا قَالَ تَعَالَىٰ:

إِلَّا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ إِنَّ فَضْلَهُ كَانَ عَلَيْكَ كَبِيرًا ﴿٨٧﴾ قُلْ لَنْ أَجْتَمِعَ الْإِنْسَ وَالْجِنَّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَىٰ أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴿٨٩﴾ وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَنْزِلَ عَلَيْنَا مِثْلَ الْبُرُوقِ ﴿٩٠﴾ أَوْ تَكُونُ لَكَ جَنَّةٌ مِّنْ نَّجِيلٍ وَعَجَبٌ فَتَفْجُرَ الْأَنْهَارُ خِلَالَهَا فَتَجِيرُ ﴿٩١﴾ أَوْ تُسْقِطُ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمَتْ عَلَيْهَا كِسْفًا أَوْ تَأْتِي بِاللَّيْلِ وَالْمَلَائِكَةِ قِيْلًا ﴿٩٢﴾ أَوْ يَكُونُ لَكَ يَوْمٌ مِّنْ زُخْرَفٍ أَوْ تَرْفَىٰ فِي السَّمَاءِ وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرُبِّيكَ حَتَّىٰ تَنْزِلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَقْرُؤُهُ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّيَ هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا ﴿٩٣﴾ وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَلَا إِنَّ اللَّهَ بَشَرٌ لِّمِثْلِنَا وَسَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٩٤﴾ قُلْ لَوْ كَانَ فِي الْأَرْضِ مَلَائِكَةٌ يُمَشِّحُونَ مَطْمَئِنِينَ لَنَزَلْنَا عَلَيْهِمْ مِن السَّمَاءِ مَلَكَاتٌ رَسُولًا ﴿٩٥﴾ قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ إِنَّهُ كَانَ بَعِيدًا خَبِيرًا بَصِيرًا ﴿٩٦﴾

٩٣: ﴿أَي: مُعَابَهًا﴾ ٩٣: ﴿أَوْ تَأْتِي بِاللَّيْلِ وَالْمَلَائِكَةِ قِيْلًا﴾ [أَي: مُعَابَهًا] ٩٣: ﴿أَوْ يَكُونُ لَكَ يَوْمٌ مِّنْ زُخْرَفٍ﴾، أَي: مَن ذَهَبٍ ﴿أَوْ تَرْفَىٰ فِي السَّمَاءِ﴾ أَي: تَصْعَدُ، ﴿وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرُبِّيكَ حَتَّىٰ تَنْزِلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَقْرُؤُهُ﴾ مَكْتُوبٌ فِيهِ إِلَىٰ كُلِّ وَاحِدٍ وَاحِدٌ صَحِيفَةٌ، ﴿قُلْ سُبْحَانَ رَبِّيَ هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا﴾ إِلَيْكُمْ أَلْبَغَمُ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنْصَحُ لَكُمْ، وَقَدْ فَعَلْتُ ذَلِكَ ٩٤: ﴿وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا أَنْ يُؤْمِنُوا إِلَّا اسْتِغْيَابُهُمْ مِنَ الْغَيْبِ وَخِيفَةُ الرَّسُولِ﴾ [إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ إِلَّا أَنْ قَالُوا أُبْعِثَ اللَّهُ بَشَرًا رَسُولًا] ثُمَّ قَالَ تَعَالَىٰ مِنْهَا عَلَىٰ لَطْفِهِ وَرَحْمَتِهِ بَعَادَهُ أَنَّهُ يَبْعَثُ إِلَيْهِمُ الرَّسُولَ مِنْ جِنْسِهِمْ لِيَفْقَهُوا عَنْهُ وَيَفْهَمُوا مِنْهُ: ٩٥: ﴿قُلْ لَوْ كَانَ فِي الْأَرْضِ مَلَائِكَةٌ يُمَشِّحُونَ مَطْمَئِنِينَ لَنَزَلْنَا عَلَيْهِمْ مِن السَّمَاءِ مَلَكَاتٌ رَسُولًا﴾، وَلَوْ بَعَثَ إِلَىٰ الْبَشَرِ رَسُولًا مِنَ الْمَلَائِكَةِ لَمَّا اسْتَطَاعُوا مُوَاجَهَتَهُ وَلَا الْأَخَذَ عَنْهُ، كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ﴾ ٩٦: ﴿قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ﴾ يُرْسِدُ اللَّهُ تَعَالَىٰ رَسُولَهُ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ إِلَى الْحُجَّةِ عَلَى قَوْمِهِ فِي صَدَقَ مَا جَاءَهُمْ بِهِ، إِنَّهُ سَبَّحَانَهُ شَاهِدٌ عَلَيَّ وَعَلَيْكُمْ بِمَا جِئْتُمْ بِهِ، فَلَوْ كُنْتُ كَاذِبًا عَلَيْهِ لَانْتَقَمَ مِنِّي أَشَدَّ الْإِنْتِقَامِ، كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضُ الْأَقَاوِيلِ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ﴾، ﴿إِنَّهُ كَانَ بَعِيدًا خَبِيرًا بَصِيرًا﴾ عَلَيْهِمُ الْإِنْعَامُ وَالْإِحْسَانُ وَالْهُدَايَةُ مَن يَسْتَحِقُّ الشُّقَاءَ وَالْإِضْلَالَ وَالْإِرَاغَةَ، وَهَذَا قَالَ تَعَالَىٰ:

الآية: ٩٣ روى الإمام أحمد عن أبي أمامة عن النبي ﷺ قال: «عرض عليّ ربي عز وجل ليجعل لي بطحاء مكة ذهباً، فقلت: لا يارب، ولكن أشبع يوماً وأنجو يوماً، فإذا جئت تضرعت إليك وذكرتك، وإذا شيعت حمدتك وشكرتك» ورواه الترمذي، وحسنه. / ابن كثير ج ٣/ ٦٤

وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضِلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَاءَ
 مِنْ دُونِهِ وَيَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عَمِيَائًا وَبُكْمًا
 وَصُمًّا مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا ﴿٩٧﴾
 ذَلِكَ جَزَاءُ هُمَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا وَقَالُوا أَإِذَا كُنَّا عِظْمًا
 وَرَفَاتًا إِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴿٩٨﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ
 الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَىٰ أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ
 وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا لَارِيبَ فِيهِ فَأَبَى الظَّالِمُونَ إِلَّا كُفُورًا ﴿٩٩﴾
 قُلْ لَوْ أَنْتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي إِذًا لَأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ
 الْإِنْفَاقِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ قَتُورًا ﴿١٠٠﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ
 آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ فَسْتَلَبَنِي إِسْرَائِيلَ إِذْ جَاءَهُمْ فَقَالَ لَهُ فِرْعَوْنُ
 إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَمُوسَىٰ مَسْحُورًا ﴿١٠١﴾ قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنزَلَ
 هَؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ بِصَافِرٍ وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ
 يَفِرْعَوْنُ مُشَبَّرًا ﴿١٠٢﴾ فَأَرَادَ أَنْ يَسْتَفِزَّهُمْ مِنَ الْأَرْضِ
 فَأَغْرَقْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ جَمِيعًا ﴿١٠٣﴾ وَقُلْنَا مِنْ بَعْدِهِ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ
 اسْكُنُوا الْأَرْضَ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا ﴿١٠٤﴾

٩٧: ﴿وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ﴾ يُخْبِر
 تعالى عن تصرفه في خلقه، وأنه لا يُعْقَبُ له
 بأنه من يهده فلا مُضِلَّ له ﴿وَمَنْ يُضِلِلْ فَلَنْ
 تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِهِ﴾ [أي: لا يهديهم
 أحد]، ﴿وَيَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَىٰ
 وُجُوهِهِمْ﴾ إنَّ الناس يوم القيامة على ثلاثة
 أفواج: فوج راكبين طاعمين كاسين، وفوج
 يمشون ويسعون، وفوج تسحبهم الملائكة على
 وجوههم وتحشرهم إلى النار. ﴿عَمِيَائًا﴾
 لا يبيرون ﴿وَبُكْمًا﴾ لا ينطقون ﴿وَصُمًّا﴾
 لا يسمعون، وهذا يكون في حال دون حال
 جزاء لهم كما كانوا في الدنيا بكمًا وعميًا وصمًا
 عن الحق، ﴿وَمَا وَاهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَتْ
 زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا﴾ لها وَهَجًا ٩٨: ﴿ذَلِكَ
 جَزَاءُ هُمَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا وَقَالُوا كُنَّا
 عِظْمًا وَرَفَاتًا إِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا﴾
 وهذا الذي جزيناهم به لأنهم كذبوا بآياتنا،
 واستبعدوا وقروا البعث. وقد احتجَّ تعالى
 عليهم ونبههم على قدرته على ذلك بأنه خلق
 السموات والأرض فقدرته على إعادتهم أسهل
 من ذلك فقال سبحانه ٩٩: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ
 اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَىٰ
 أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ﴾؟ يوم القيامة يعيد أبدانهم
 ويُنشئهم نشأة أخرى كما بدأهم، ﴿وَجَعَلَ لَهُمْ
 أَجَلًا لَارِيبَ فِيهِ﴾ جعل لإعادتهم وإقامتهم
 من قبورهم أجلًا مضرورًا، لا بُدَّ من إقضائها
 ﴿فَأَبَى الظَّالِمُونَ﴾ بعد قيام الحجَّة عليهم
 ﴿إِلَّا كُفُورًا﴾ وتماديًا في باطلهم ١٠٠:
 ﴿قُلْ﴾ لهم يا محمد لو أنكم أيها الناس
 تملكون التصرف في خزائن الله ﴿لَأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ الْإِنْفَاقِ﴾ لأنَّ هذا من طبائعكم وسجاياكم، ولهذا قال تعالى: ﴿وَكَانَ الْإِنْسَانُ قَتُورًا﴾ بخيالٍ
 متوَعًا ١٠١: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ آيَاتٍ﴾ على صحة نبوته وصدقه فيما أخبر به عَمَّن أرسله إلى فرعون؛ وهي العصا واليد، والسنين والبحر،
 والطوفان والجراد والقمل، والضفادع والدم، ﴿فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا جَرْمِينَ﴾ أي: ومع هذه الآيات ومشاهدتهم لها كفروا بها، ﴿فَأَسْأَلَ بَنِي إِسْرَائِيلَ
 إِذْ جَاءَهُمْ﴾ [موسى بهذه الآيات]، ﴿فَقَالَ لَهُ فِرْعَوْنُ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَامُوسَىٰ مَسْحُورًا﴾ ساحر ١٠٢: ﴿قَالَ﴾ موسى لفرعون: ﴿لَقَدْ عَلِمْتَ
 مَا أَنزَلَ هَؤُلَاءِ﴾ [يعني الآيات التسع] ﴿إِلَّا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ بِصَافِرٍ﴾ حُجَجًا وأدلة على صدق ما جئتك به ﴿وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا فِرْعَوْنُ
 مُشَبَّرًا﴾ هالكا ومغلوبا ١٠٣: ﴿فَأَرَادَ أَنْ يَسْتَفِزَّهُمْ مِنَ الْأَرْضِ﴾ يُخْلِبُهُمْ مِنْهَا وَيُزِيلُهُمْ عَنْهَا ﴿فَأَغْرَقْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ جَمِيعًا﴾ ١٠٤: ﴿وَقُلْنَا مِنْ
 بَعْدِهِ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ اسْكُنُوا الْأَرْضَ﴾، وفي هذا بشارته محمد صلى الله عليه وآله وسلم بفتح مكة مع أنَّ السورة مكِّيَّة. وقد أوردت الله المستضعفين
 من بني إسرائيل بلاد فرعون من بعده ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا﴾، أي: جميعكم أنتم وعدوكم.

الآية: ١٠٠ روى الشيخان في صحيحهما أنَّ رسول الله ﷺ قال: «يُؤَدُّ اللَّهُ مَلَأَى لَا يَبْقِضُهَا نَفَقَةً، سَخَاءَ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، أَرَأَيْتُمْ مَا نَفَقَ مِنْهُ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ؟ فَإِنَّهُ لَمْ يَبْقِضْ مَا فِي بَيْتِهِ!!» ابن كثير ج ٣/٦٦

١٠٥: ﴿وَالْحَقُّ أَنْزَلْنَاهُ وَالْحَقُّ نَزَلَ﴾ هذا

القرآن بالحق نزل أي متضمناً للحق، محفوظاً محروساً لم يُشب بغيره، ولا يزيد فيه، ولا ينقص منه، بل وصل إليك يا محمد بالحق، نزل به القوي الأمين. ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مِشْرَآً وَنَذِيرَآً﴾ مِشْرَآً أي مبشراً لمن أطاعك من المؤمنين، ونذيراً لمن عصاك من الكافرين

١٠٦: ﴿وَقَرَأْنَا فَرَقَانَهُ﴾ فضلتاه من اللوح المحفوظ إلى بيت العزة من السماء الدنيا، ثم نزل مفرقاً منجماً على الوقائع إلى رسول الله في ثلاث وعشرين سنة، ﴿لِنَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ﴾ لتبلغه الناس وتتلوه عليهم ﴿عَلَى مَكَّةَ﴾ مهل ﴿وَنُنزِّلنَاهُ تَنْزِيلَآً﴾ شيئاً بعد شيء

١٠٧: ﴿قُلْ﴾ يا محمد للمشركين ﴿آمَنُوا بِهِ أَوْ لَا تُؤْمِنُوا﴾ سواء آمنتم به أم لا فهو حق في نفسه، ﴿إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ﴾ من صالحي أهل الكتاب الذي تمسكوا بكتابتهم ويقيمونه ولم يُبدلوه ولا حرقوه ﴿إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ﴾ هذا القرآن ﴿يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ﴾ سَجْدًا ﴿لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ شُكْرًا﴾ على ما نعم به عليهم من أنهم أدركوا هذا الرسول ١٠٨:

﴿وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا﴾ أي تعظيماً وتقديراً على قدرته ﴿إِنَّ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا﴾ لا يخيل الميعاد الذي وعدهم على السنة الأنبيا ١٠٩: ﴿وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَكُونُ خُضُوعًا﴾ لِّلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَإِيمَانًا بِكِتَابِهِ وَرَسُولِهِ، ﴿وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا﴾ أي: إيماناً وتسليماً كما قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ﴾ ١١٠: ﴿قُلْ﴾ يا محمد

للمشركين ﴿ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيَّامًا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ لافرق بين دعائكم له باسم الله أو باسم الرحمن فإنه ذو الأسماء الحسنى. ﴿وَلَا تَجْهَرُوا بِصَلَاتِكُمْ وَلَا تَخَافُوا﴾ بل صلى الله عليه وآله وسلم إذا صلى بأصحابه رفع صوته بالقرآن فلما سمع ذلك المشركون سبوا القرآن، فقال الله لبيته صلى الله عليه وآله وسلم: ﴿وَلَا تَجْهَرُوا بِصَلَاتِكُمْ﴾ بقرعتك فيسمع المشركون فيسبون الله ﴿وَلَا تُخَافُوا﴾ عن أصحابك فلا تسمعهم القرآن حتى يأخذوه عنك، ﴿وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا﴾ ١١١: ﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ تَعَالَى لِنَفْسِهِ الْكَرِيمَةِ الْأَسْمَاءَ الْحُسْنَى نَزَّهَ نَفْسَهُ عَنِ النَّقَاتِصِ، ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وِثْرٌ مِنَ الدَّلِّ وَكَبْرُهُ تَكْبِيرًا﴾ لم يحالف أحداً ولم يتبغ نصر أحد، وعظمته وأجله عما يقول الظالمون علواً كبيراً.

وَالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ وَالْحَقِّ نَزَلَ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مِشْرَآً وَنَذِيرَآً ﴿١٠٥﴾

وَقَرَأْنَا فَرَقَانَهُ لِنَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مَكَّةَ وَنَزَلْنَاهُ نَزِيلًا ﴿١٠٦﴾

قُلْ آمَنُوا بِهِ أَوْ لَا تُؤْمِنُوا إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴿١٠٧﴾

وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴿١٠٨﴾

وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَكُونُ خُشُوعًا ﴿١٠٩﴾

قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيَّامًا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى وَلَا تَجْهَرُوا بِصَلَاتِكُمْ وَلَا تَخَافُوا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا ﴿١١٠﴾

وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمَلِكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وِثْرٌ مِنَ الدَّلِّ وَكَبْرُهُ تَكْبِيرًا ﴿١١١﴾

سُورَةُ الْكَافِرَاتِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا ﴿١﴾

فَيَمَّا يَلْتَذِيرٌ بَأْسًا شَدِيدًا مِّنْ لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ﴿٢﴾

مَّا كُنْتُمْ فِيهِ أَبَدًا ﴿٣﴾ وَيُنذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا ﴿٤﴾

للمشركين ﴿ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيَّامًا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ لافرق بين دعائكم له باسم الله أو باسم الرحمن فإنه ذو الأسماء الحسنى. ﴿وَلَا تَجْهَرُوا بِصَلَاتِكُمْ وَلَا تَخَافُوا﴾ بل صلى الله عليه وآله وسلم إذا صلى بأصحابه رفع صوته بالقرآن فلما سمع ذلك المشركون سبوا القرآن، فقال الله لبيته صلى الله عليه وآله وسلم: ﴿وَلَا تَجْهَرُوا بِصَلَاتِكُمْ﴾ بقرعتك فيسمع المشركون فيسبون الله ﴿وَلَا تُخَافُوا﴾ عن أصحابك فلا تسمعهم القرآن حتى يأخذوه عنك، ﴿وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا﴾ ١١١: ﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ تَعَالَى لِنَفْسِهِ الْكَرِيمَةِ الْأَسْمَاءَ الْحُسْنَى نَزَّهَ نَفْسَهُ عَنِ النَّقَاتِصِ، ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وِثْرٌ مِنَ الدَّلِّ وَكَبْرُهُ تَكْبِيرًا﴾ لم يحالف أحداً ولم يتبغ نصر أحد، وعظمته وأجله عما يقول الظالمون علواً كبيراً.

تفسير سورة الكهف

١: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ﴾ حمد نفسه تعالى على إنزاله كتابه العزيز على رسوله الكريم؛ لأنه أعظم نعمة أنعمها الله عليه وعلى أهل الأرض. ﴿وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا﴾ اعوجاجاً ولا زيغاً بل جعله مستقيماً ٢: ﴿قِيَمًا﴾ مستقيماً ﴿يُنذِرُ بَأْسًا شَدِيدًا مِّنْ لَّدُنْهُ﴾ لمن خالفه وكذبه ﴿بَأْسًا شَدِيدًا﴾ عقوبة عاجلة في الدنيا وأجله في الآخرة، ﴿وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ هذا القرآن ﴿أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا﴾ مثوبة عند الله جميلة ٣: ﴿مَّا كُنْتُمْ فِيهِ أَبَدًا﴾ في ثوابهم عند ربهم ﴿أَبَدًا﴾ في الجنة خالدين ٤: ﴿وَيُنذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا﴾ وهم مشركو العرب [والنصارى] فقال المشركون: الملائكة بنات الله [وقالت النصارى المسيح ابن الله] كذباً وبُهتاناً.

٥: ﴿مَالَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ﴾ افترره واتفكوه ﴿وَلَا لآبَائِهِمْ﴾ لأسالفهم ﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً﴾ هذا تشيع لمقاتلهم؛ لأنكمهم، ﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ﴾ إن يقولون إن يقولون إلا كذباً ﴿[أي: ما يقولون إلا كذباً]: ٦﴾ ﴿فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ﴾ يحزنك عليهم ﴿إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ﴾ يعني القرآن ﴿أَسْفَا﴾ لا يهلك نفسك غضباً وحزناً عليهم ٧: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَاعِلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَهَا﴾ مزيئة [بالرجال الصالحين والأعمال الصالحة الحسنة]، ﴿وَلِنُبَلِّغَهُمْ أَثْمَهُمْ أَحْسَنَ عَمَلًا﴾ ٨: ﴿وَأِنَّا لَجَاعِلُونَ مَاعِلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا﴾ وإنا لمصبروها بعد الزينة إلى الخراب والدمار، فنجعل كل شيء عليها هالكاً، يعني: الأرض وإن ماعليها لفاني وبائئ، وإن المرجع لى الله، فلتأس ويحزنك ماتسمع وترى. والصعيد: الأرض التي لا نبات فيها، [والجُرُزُ: الأرض التي لا بناء عليها] ٩: ﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا﴾ الكهف: الغار في الجبل، والرقيم: اسم الوادي والبنيان. وهذا إخبار من الله تعالى عن قصة أصحاب الكهف على سبيل الاختصار، ثم بسطها، أي: ليس أمرهم عجباً في قدرتنا وسلطاننا ١٠: ﴿إِذْ أَوَى الْفِتْيَةَ إِلَى الْكَهْفِ﴾ يُخبر تعالى عن أولئك الفتية الذين فرّوا بدينهم من قومهم لئلا يفتنهم عنه ففرّوا منهم فلجروا إلى غار في جبل ليختفوا عن قومهم، ﴿فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً﴾ ترحمنا بها وتسترنا عن قومنا، ﴿وَهِيَءٌ لَنَا مِنْ

مَالَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لآبَائِهِمْ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنْ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ﴿٥﴾ فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ عَلَى آثَرِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا ﴿٦﴾ إِنَّا جَعَلْنَا مَاعِلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴿٧﴾ وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَاعِلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا ﴿٨﴾ أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا ﴿٩﴾ إِذْ أَوَى الْفِتْيَةَ إِلَى الْكَهْفِ فَمَا لَوَّارِبْنَا عَنْ آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهِيَءٌ لَنَا مِنْ أَمْرٍ نَارِشِدًا ﴿١٠﴾ فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا ﴿١١﴾ ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحَرْبِينَ أَحْصَى لِمَا لَبِثُوا أَمَدًا ﴿١٢﴾ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُمْ بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى ﴿١٣﴾ وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَنْ نَدْعُو مِنْ دُونِهِ إِلَهًا لَقَدْ قُلْنَا إِذْ شَطَطًا ﴿١٤﴾ هَؤُلَاءِ قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ إِلَهًا لَوْ لَأَيُّتُونَك عَلَيْهِمْ بِسُلْطَانٍ بَيْنَ يَدَيْهِمْ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ﴿١٥﴾

أمرنا رشداً﴾ اجعل عاقبتنا رشداً ١١: ﴿فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا﴾ ألقينا عليهم النوم حين دخلوا إلى الكهف، فناموا سنين كثيرة ١٢: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ﴾ من رقدتهم ﴿لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحَرْبِينَ﴾ المختلفين فيهم ﴿أَحْصَى لِمَا لَبِثُوا أَمَدًا﴾ أي: عدداً ١٣: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُمْ بِالْحَقِّ﴾ هأهنا شرع في بسط القصة، ﴿إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ﴾ الفتية: الشباب. شهدوا أنه لا إله إلا هو ﴿وَزِدْنَاهُمْ هُدًى﴾ [أي: يسرناهم للعمل الصالح] ١٤: ﴿وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾ صبرناهم على مخالفة قومهم ﴿إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبَّنَا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ إنهم خرجوا في بعض أعياد قومهم، وكانوا يعبدون الأصنام، فلما نظروا إلى ما يصنع قومهم من السجود لأصنامهم، ففعل كل واحد منهم يتخلص من قومه وينحاز ناحية، حتى توافقوا كلهم على كلمة واحدة، فاتخذوا لهم [مسجداً] يعبدون الله فيه، فوشاهم قومهم إلى ملكهم فاستحضرهم، فسألهم عن أمرهم، فأجابوا بالحق، ودعوه إلى الله عز وجل؛ ولهذا قال تعالى عنهم: ﴿وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبَّنَا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَنْ نَدْعُو مِنْ دُونِهِ إِلَهًا﴾ غيره، أي: لا يقع منا هذا أبداً، ﴿لَقَدْ قُلْنَا إِذْ شَطَطًا﴾ باطلاً وكذباً وبهتاناً ١٥: ﴿هَؤُلَاءِ قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ إِلَهًا لَوْ لَأَيُّتُونَك عَلَيْهِمْ بِسُلْطَانٍ بَيْنَ يَدَيْهِمْ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ في قولهم ذلك؟! لما دعوه إلى الإيمان بالله أبقى عليهم وتمهدهم وتوعدهم. وفرّوا إلى الكهف، والفرار من الفتنة مشروع.

فصل سورة الكهف: روى الإمام أحمد عن البراء قال: فرأ رجل الكهف وفي داره دابة فجعلت تنفر، فظفر ضيابة أو سحابة قد غشيته، فذكر ذلك للنبي ﷺ فقال: «أقرأ فلاناً فآيتها السكينة عند نزل القرآن، أو تنزلت للقرآن»، وروى أحمد عن أبي الدرداء عن النبي ﷺ قال: «من حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف عصم من الدجال». وروى أحمد أيضاً: «من قرأ العشر الأواخر من سورة الكهف عصم من فتنة الدجال» ورواه مسلم. /ابن كثير ج ٧٠٣/

١٦: ﴿وَإِذْ اعْتَرَفْتُمُوهُمْ وَمَا يُغِيدُونَ إِلَّا اللَّهُ﴾ وإذ فارقتمهم وخالفتمهم في عبادتهم غير الله، ففارقوهم أيضاً بأبدانكم ﴿فَأَوْوُوا إِلَى الكَهْفِ﴾ ينشر لكم ربكم من رحمته يسبط عليكم رحمةً يستركم بها من قويمكم ﴿وَيُهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ﴾ الذي أنتم فيه ﴿مِرْفَقًا﴾ أمراً ترتفقون به ١٧: ﴿وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَتْ تَزَّوَّرُ عَنْ كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ﴾ يتقلص الفيء يمنة، ﴿تَزَّوَّرُ﴾ تميل، وذلك أنها كلما ارتفعت في الأفق تقلص شعاعها بارتفاعها، حتى لا يبقى منه شيء عند الزوال مثل ذلك المكان. ﴿وَإِذَا غَرَبَتْ تَقَرَّبُ مِنْ ذَاتِ الشَّمَالِ﴾ تدخل إلى غارهم من شمال باب، ﴿وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِنْهُ﴾ أي: في متسع من الكهف، ﴿ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ﴾ حيث أرشدهم إلى هذا الغار الذي جعلهم فيه أحياء، والشمس والرياح تدخل عليهم فيه لتبقى أبدانهم ﴿مِنْ يَدِ اللَّهِ﴾ فهو المتهتد، هو الذي أرشدهم إلى الهداية من بين قومهم، ﴿وَمَنْ يُضِلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ لِيَأْتِي مَرشِدًا﴾ ١٨: ﴿وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ﴾ لما ضرب الله على آذانهم بالنوم لم تنطبق أعينهم لئلا يسرع إليها البلي، فإذا بقيت ظاهرة للهواء كان لها أبقى، ﴿وَنَقَلْنَاهُمْ﴾ ذات اليمين وذات الشمال ﴿لئلا تأكل الأرض لحومهم﴾، ﴿وَكَلْبُهُمْ﴾ بالصيد، يجرس عليهم الباب، ﴿لَوْ أَطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا﴾ ولم تلت منهم رعباً، إنه تعالى ألقى عليهم

العين

وَإِذْ اعْتَرَفْتُمُوهُمْ وَمَا يُعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ فَأَوْوُوا إِلَى الكَهْفِ يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مِرْفَقًا ﴿١٦﴾ وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَتْ تَزَّوَّرُ عَنْ كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَتْ تَقَرَّبُ مِنْ ذَاتِ الشَّمَالِ وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِنْهُ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ مِنْ يَدِ اللَّهِ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضِلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ لِيَأْتِي مَرشِدًا ﴿١٧﴾ وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ وَنَقَلْنَاهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشَّمَالِ وَكَلْبُهُمْ بَسِطٌ ذِرَاعِيهِ بِالْوَصِيدِ لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمَلِئْتَ مِنْهُمْ رُعبًا ﴿١٨﴾ وَكَذَلِكَ بَعَثْنَاهُمْ لِيَتَسَاءَلُوا بَيْنَهُمْ قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ كَمْ لَبِئْتُمْ قَالُوا لَبِئْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِئْتُمْ فَابْعَثُوا أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنْظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى طَعَامًا فَلْيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ مِنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا ﴿١٩﴾ إِنَّهُمْ إِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَنْ تُفْلِحُوا إِذًا أَبَدًا ﴿٢٠﴾

المهابة بحيث لا يقع نظراً أحد عليهم إلا هابهم؛ لئلا يدنو منهم أحد، ولا تمسهم يد لأمس ١٩: ﴿وَكذَلِكَ بَعَثْنَاهُمْ﴾ وكما أرقدناهم بعثناهم صحيحة أبدانهم لم يفقدوا من أحوالهم وهياتهم شيئاً، وذلك بعد ثلاثمائة سنة وتسع سنين، ﴿لِيَتَسَاءَلُوا بَيْنَهُمْ﴾ ولهذا تساءلوا بينهم ﴿كَمْ لَبِئْتُمْ﴾ كم رقدتم؟ ﴿قَالُوا لَبِئْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾ لأنه كان دخولهم إلى الكهف في أول النهار، واستيقاظهم آخره، ولهذا استدركوا فقالوا ﴿أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾، قالوا ربكم أعلم بما لبئتم، الله أعلم بأمركم وكأنه حصل لهم نوع تردّد في كثرة نومهم. ثم قالوا: ﴿فَابْعَثُوا أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ﴾ فضتكم هذه إلى المدينة التي خرجتم منها ﴿فَلْيَنْظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى طَعَامًا﴾ أطيب طعاماً ﴿فَلْيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ مِنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ﴾ في خروجه وذهابه وشرائه وإيابه ﴿وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا﴾ لا يعلمن أحداً بكم ٢٠: ﴿إِنَّهُمْ إِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ﴾ إن علموا بمكانكم [يقتلونكم بالحجارة]، ﴿أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ﴾ أو يُعِيدُوكُمْ إلى أن يعيدوكم في ملّتهم بأنواع العذاب، ﴿وَلَنْ تُفْلِحُوا إِذًا أَبَدًا﴾ فلا فلاح لكم في الدنيا ولا في الآخرة.

وروي المنذري في الترغيب عن أبي سعيد الخدري أن النبي ﷺ قال: «من قرأ سورة الكهف في يوم الجمعة أضاء له من النور ما بين الجمعتين» رواه النسائي والبيهقي والحاكم وصححه. /الترغيب ج/١٥١٢/

الآية: ٢٠ كان رسول الله ﷺ إذا خاف فوماً قال: «اللهم إنا نجعلك في نحورهم، ونعوذ بك من شرورهم» رواه أبو داود رقم ١٥٣٧/ وقال ﷺ: «إذا خُفَّتْ سلطاناً أو غيره فقل: لا إله إلا الله الحليم الكريم، سبحان الله رب السماوات السبع ورب العرش العظيم، لا إله إلا أنت عز جارك، وجل ثناؤك، الوابل الطيب ص ٢٥٣/.

وَكَذَلِكَ أَعْرَضْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ السَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَا إِذْ يَتَنَزَّعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ فَقَالُوا ابْنُوا عَلَيْهِم بُيُوتًا رُبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَىٰ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَ عَلَيْهِمْ مَسْجِدًا ﴿٢١﴾ سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِالْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ قُل رَّبِّي أَعْلَمُ بِعَدَّتِهِمْ مَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ فَلَا تُمَارِ فِيهِمُ الْإِمْرَاءَ ظَهْرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِم مِّنْهُمُ أَحَدًا ﴿٢٢﴾ وَلَا تَقُولَنَّ لَشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكُ غَدًا ﴿٢٣﴾ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَادْكُرْ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَىٰ أَنْ يَهْدِيَنِّي رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَذَا رَشَدًا ﴿٢٤﴾ وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا ﴿٢٥﴾ قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا لَهُ الْغَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ مَا لَهُمْ مِّن دُونِهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ وَأَتْلُ مَا أَوْحَىٰ إِلَيْكَ مِنْ كِتَابِ رَبِّكَ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَلَنْ يَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُتَعَدًّا ﴿٢٧﴾

٢٩٦

٢١: ﴿وَكَذَلِكَ أَعْرَضْنَا عَلَيْهِمْ﴾ أطلعنا عليهم الناس ﴿لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ السَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَا﴾ كان أهل ذلك الزمان من شك في أمر الساعة والقيامة، فعث الله أهل الكهف حُجَّةً ودلالةً وآيةً على ذلك. ولما أراد أحدهم شراء شيء لهم ليأكلوه وهو يظن أنه قريب العهد بها، وكان الناس قد تبدلوا قرناً بعد قرن، فعمد إلى بائع الطعام فدفع إليه النفقة ليبيعه طعاماً، فلما رآها أنكراها، فسأله عن أمره ومن أين له هذه النفقة، فحمله إلى ولي الأمر، فسأله عن خبره حتى أخبره بأمره، فأظهر الله أصحاب الكهف؛ حجةً لهم وعليهم، ﴿إِذْ يَتَنَزَّعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ فَقَالُوا ابْنُوا عَلَيْهِم بُيُوتًا﴾ سُدُّوا عليهم كهفهم ﴿رُبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ﴾ قال الذين غلبوا على أمرهم ﴿[وهم أهل السلطان]﴾ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِمْ مَسْجِدًا﴾، فالظاهر أنهم مسلمون ٢٢: ﴿سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِالْغَيْبِ﴾ حكى ثلاثة أقوال، على أنها رجم بالغيب، ثم حكى الثالث وسكت عليه أو قرره بقوله: ﴿ويقولون سبعة وثامنهم كلبهم﴾ فدل على صحته. ﴿قُل رَّبِّي أَعْلَمُ بِعَدَّتِهِمْ﴾ إرشاد إلى أن الأحسن في مثل هذا المقام رد العلم إلى الله تعالى، ﴿مَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ من الناس، ﴿فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ﴾ أي: لا تجادل فيهم [إلا امرأة ظاهراً] سهلاً هيناً فإن الأمر في معرفة ذلك لا يرتب عليه كبير فائدة، ﴿وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِمْ مِنْهُمْ أَحَدًا﴾ فإنه

لاعلم لهم بذلك إلا مايقولونه من تلقاء أنفسهم رجماً بالغيب ٢٣: ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لَشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكُ غَدًا﴾ هذا إرشاد من الله لرسوله صلى الله عليه وآله وسلم إلى الأدب فيما إذا عزم على شيء ليفعله في المستقبل أن يرُد ذلك إلى مشيئة الله عز وجل ٢٤: ﴿إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾ أي: إن شاء الله، ﴿وَادْكُرْ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ﴾ إذا نسيت الاستثناء فاستثن عند ذكرك له، فقل: إن شاء الله، ﴿وَقُلْ عَسَىٰ أَنْ يَهْدِيَنِّي رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَذَا رَشَدًا﴾ إذا سُئِلْتَ عن شيء لاتعلمه فاسأل الله تعالى فيه وتوجه إليه في أن يُوفِّقك للصواب والرشد في ذلك ٢٥: ﴿وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ﴾ هذا خبر من الله تعالى بمقدار ماليت أصحاب الكهف في كهفهم، وهي ثلاثمائة سنة بالشمسية، ﴿وَازْدَادُوا تِسْعًا﴾ لفاوت السنين القمرية ٢٦: ﴿قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا﴾ إذا سُئِلْتَ عن لثيم ﴿لَهُ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ لايعلم ذلك إلا هو أو من أطلعه عليه من خلقه. ﴿أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ﴾ إنه لَبصير بهم سمع لهم، لا يخفى عليه من ذلك شيء. ﴿مَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ﴾ يتولى حفظهم دون الله ﴿وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا﴾ له تعالى الخلق والأمر، ولا مُعَقِّبَ لحكمه، ولا شريك له ولا نصير تعالى وتقدس ٢٧: ﴿وَأَتْلُ مَا أَوْحَىٰ إِلَيْكَ مِنْ كِتَابِ رَبِّكَ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ﴾ بأمر تعالى بتلاوة كتابه العزيز وإبلاغه إلى الناس ﴿لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ﴾ لا مغيّر ولا محرف لها ولا منزيل، ﴿وَلَنْ يَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُتَعَدًّا﴾ ملجأً وولياً.

الآية: ٢٧ قال ابن كثير: نبه تعالى على شرف هذا القرآن العظيم فأخبر أنه لو اجتمعت الإنس والجن كلهم وانفقوا على أن يأتوا بمثل ما أنزله على رسوله لما أطاقوا ذلك ولما استطاعوا ولو تعاونوا وتساعدوا وتظافروا فإن هذا أمر لا يستطيع، وكيف يشبهه كلام المخلوقين كلام الخالق الذي لا نظير له ولا مثال له ولا عدل له!!

٢٨: ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْعَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾
اجلس مع الذين يذكرون الله ويهللونه ويمجدونه ويسبحونه ويسألونه بكرة وعشيا، سواء كانوا فقراء أو أغنياء، ﴿وَلَا تَعُدَّ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ﴾ لا تجاوزهم إلى غيرهم، يعني: تطلب بدلهم أصحاب الشرف والبروة، ﴿وَلَا تُطْغِ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا﴾ شغل عن الذين وعبادة ربهم بالدنيا ﴿وَكَانَ أَمْرُهُ فُرْطًا﴾ أعماله وأفعاله سفة وضياح، ولا تكن مطعياً له ولا محباً لطريقته ولا تلبغه ٢٩: ﴿وَقُلْ﴾ يا محمد للناس هذا الذي جئتكم به هو الحق من ربكم ﴿لَشَكَّ فِيهِ﴾ فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر ﴿هَذَا مِنْ بَابِ التَّهْدِيدِ وَالْوَعِيدِ الشَّدِيدِ، وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّا أَعْتَدْنَا﴾ أَرْضَنَا ﴿لِلظَّالِمِينَ﴾ وهم الكافرون ﴿نَارًا أَحَاطَ بِهَا سُرَادِقُهَا﴾ سورها. ﴿وَإِنْ يَسْتَعْثِبُوا يُعَاثُوا بِمَاءٍ كَأَلْمَلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ﴾ المهل: الماء الغليظ مثل دردي الزيت الذي انتهى حره. وماء جهنم أسود، وهي سوداء، وأهلها سود. ﴿يَشْوِي الْوُجُوهَ﴾ أي: ين حره، إذا أراد الكافر أن يشربه شواه حتى تسقط جلدة وجهه فيه. ﴿بُئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا﴾ وساءت النار منزلاً ومقبلاً ٣٠: لما ذكر تعالى حال الأشقياء نبي بذكر السعداء الذين آمنوا بالله وصدقوا المرسلين، فقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا﴾ ٣١: ﴿أُولَئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ من تحت منازلهم وغرفهم الأنهار، ﴿يُحَلِّوْنَ فِيهَا﴾ من الحلبة ﴿مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ﴾ من السندس: ثياب رفاع رفاق كالقمصان، والاستبرق: غليظ الديداج فيه البريق، ﴿مُتَّكِنِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ﴾ الاتكاء: الاضطجاع، والتربع في الجلوس. والأرائك جمع أريكة، وهي السرير، ﴿وَيَنعمُ الثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا﴾ نعمت الجنة ثواباً على أعمالهم وحبست مرتفقاً، أي: حبست منزلاً ومقبلاً ومقاماً ٣٢: ﴿وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا جَبِينٌ مِّنْ أَعْنَابٍ وَحَفْفَانًا بِنَخِيلٍ وَحَفْفَانًا بِنَخِيلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زُرْعًا﴾ في خلاهما الزروع ٣٣: ﴿كَلِمَاتٍ الْجَنَّتَيْنِ أَتَتْ أَكْطَاهَا﴾ أخرجت ثمرها ﴿وَلَمْ تظلم منه شيئاً﴾ ولم تنقص منه شيئاً، ﴿وَفَجَّرْنَا خِلَاهُمَا نَهْرًا﴾ والأنهار متفرقة فيها هاهنا وهاهنا ٣٤: ﴿وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ صَاحِبُ هَاتِيْنِ الْجَنَّتَيْنِ ﴿لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ﴾ يُجَادِلُهُ وَيُخَاصِمُهُ وَيُفْتَخِرُ عَلَيْهِ ﴿أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا﴾ أكثر خداماً وحشماً وولداً. وتلك أمنية الكافر كثرة المال، وعزة النفر.

وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْعَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعُدَّ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تَرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطْغِ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرْطًا ﴿٢٨﴾ وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ مِمَّا شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفِرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهَا سُرَادِقُهَا وَإِنْ يَسْتَعْثِبُوا يُعَاثُوا بِمَاءٍ كَأَلْمَلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٢٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴿٣٠﴾ أُولَئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يُحَلِّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَّكِنِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ نَعَمَ الثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٣١﴾ وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا رَجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنِينَ مِّنْ أَعْنَابٍ وَحَفْفَانًا بِنَخِيلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زُرْعًا ﴿٣٢﴾ كَلِمَاتٍ الْجَنَّتَيْنِ ءَأْتَتْ أَكْطَاهَا وَلَمْ تظلم منه شيئاً وَفَجَّرْنَا خِلَاهُمَا نَهْرًا ﴿٣٣﴾ وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ ءَأَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا ﴿٣٤﴾

٣٠: قال رسول الله ﷺ لما ذبح بن جيل: «يا معاذ هل تدري ما حق الله على عباده؟ وما حق العباد على الله؟ قلت: الله ورسوله أعلم! قال: «فإن حق الله على العباد أن يعبدوه، ولا يشركوا به شيئاً، وحق العباد على الله أن لا يعبد من لا يشرك به شيئاً» قلت: يا رسول الله أفلا أبشركم بالناس؟ قال: لا تبشركم فينكلوا» رواه البخاري ومسلم في صحيحهما/رياض الصالحين/٢٠٧. وقال رسول الله ﷺ: «أشهد أن لا إله إلا الله، وأني رسول الله ﷺ» لا يلقى الله هماً عبداً غير شاك، فيخجَب عن الجنة» رواه في الصحيحين/رياض الصالحين/٢٠٢.

الآية: ٣٠ قال رسول الله ﷺ لما ذبح بن جيل: «يا معاذ هل تدري ما حق الله على عباده؟ وما حق العباد على الله؟ قلت: الله ورسوله أعلم! قال: «فإن حق الله على العباد أن يعبدوه، ولا يشركوا به شيئاً، وحق العباد على الله أن لا يعبد من لا يشرك به شيئاً» قلت: يا رسول الله أفلا أبشركم بالناس؟ قال: لا تبشركم فينكلوا» رواه البخاري ومسلم في صحيحهما/رياض الصالحين/٢٠٧. وقال رسول الله ﷺ: «أشهد أن لا إله إلا الله، وأني رسول الله ﷺ» لا يلقى الله هماً عبداً غير شاك، فيخجَب عن الجنة» رواه في الصحيحين/رياض الصالحين/٢٠٢.

وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ
 أَبَدًا ﴿٣٥﴾ وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُجِدْتُ إِلَى رَبِّي
 لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا ﴿٣٦﴾ قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ
 أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّكَ رَجُلًا
 ﴿٣٧﴾ لَكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا ﴿٣٨﴾ وَلَوْلَا إِذْ
 دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَأَقْوَمُ إِلَّا بِاللَّهِ إِنْ تَرَىٰ أَنَا
 أَقَلَّ مِنْكَ مَالًا وَوَلَدًا ﴿٣٩﴾ فَعَسَىٰ رَبِّي أَنْ يُؤْتِيَنِي خَيْرًا مِنْ
 جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِنَ السَّمَاءِ فَيُصْبِحُ صَعِيدًا
 زَلَقًا ﴿٤٠﴾ أَوْ يُصْبِحُ مَاوًا غَوْرًا فَلَنْ تَسْتَطِيعَ لَهُ طَلَبًا ﴿٤١﴾
 وَأُحِيط بِشَمْرِهِ فَاصْبِحْ يَقْلَبُ كَفَيْهِ عَلَىٰ مَا أَنْفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ
 عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَا بَيْتِي لِمَ أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا ﴿٤٢﴾ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ
 فِتْنَةٌ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مُنْتَصِرًا ﴿٤٣﴾ هُنَالِكَ الْوَلَايَةُ
 لِلَّهِ الْحَقِّ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا ﴿٤٤﴾ وَأَصْرَبَ لَهُمْ مَثَلُ الْحَيَاةِ
 الدُّنْيَا كَمَا أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ
 فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُقْتَدِرًا ﴿٤٥﴾

٢٩٨

٣٥: ﴿ودخل جنته وهو ظالم لنفسه﴾ يكفره وتمردوه وإنكاره المعاد ﴿قال ما أظن أن تبيد هذه أبدًا﴾ فيما من الثمار والأثمار ٣٦: قال: ﴿وما أظن الساعة قائمة﴾ كاشفة، ﴿ولئن رُجِدْتُ إلى ربِّي لأجدن خيرًا غيرًا منها مُنْقَلَبًا﴾ ولئن كان معاد ورجعة ومراد إلى الله ليكون لي هناك أحسن من هذا الحظ [وإنما قال ذلك لما دعاه أخوه إلى الإيمان] ٣٧: ﴿قال له صاحبه﴾ المؤمن ﴿وهو يحاوره﴾ زاجر له عما هو فيه من الكفر: ﴿أكفرت بالذي خلقك من تراب؟ وهذا إنكارٌ وتعظيم لما وقع فيه من الجحود بربه الذي خلقه﴾ من تراب ثم من نطفة ثم سواك رجلًا ٣٨: ﴿لكننا هو الله ربِّي﴾ لكن أنا لأقول بمقاتلك، بل اعترف لله بالوحدانية والرُبوبيَّة، ﴿ولا أشركُ بربِّي أحدًا﴾ بل هو الله المعبود وحده لا شريك له ٣٩: ثم قال له: ﴿ولولا إذ دخلت جنتك قلت ما شاء الله لا قوة إلا بالله﴾ باله ﴿هذا تعريضٌ وحثٌ على ذلك﴾، ﴿إن ترن أنا أقل منك مالا وولدا﴾ فهلا حمدت الله على ما أنعم عليك؟ ٤٠: ﴿فَعَسَى رَبِّي أَنْ يُؤْتِيَنِي خَيْرًا مِنْ جَنَّتِكَ﴾ في الدار الآخرة ﴿ويُرْسِلَ عَلَيْهَا﴾ على جنتك في الدنيا، التي ظننت أنها لا تبيد ولا تنفى ﴿حُسْبَانًا مِنَ السَّمَاءِ﴾ مطرًا عظيمًا مزعجًا يقلع زرعها وأشجارها، ولهذا قال: ﴿فَيُصْبِحُ صَعِيدًا زَلَقًا﴾ بقلعاً تراباً أملس لا يثبت ٤١: ﴿أو يصبح ماوًا غورًا﴾ غائرًا في الأرض، كما قال

تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَعِينٍ﴾ [الله رب العالمين] ٤٢: ﴿وأحيط بشمره﴾ بأمواله أي: وقع بهذا الكافر ما كان يحذر مما يخوفه به المؤمن ﴿فأصبح يقلب كفيه على ما أنفق فيها وهي خاوية على عروشها ويقول يا بَيْتِي لِمَ أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا﴾ ٤٣: ﴿ولم تكن له فتنة ينصرونه﴾ لم يكن له عشيرة أو ولد ينصرونه كما كان افتخر بهم واستعز، ﴿من دون الله وما كان منتصرًا﴾ ٤٤: ﴿هنالك﴾ في ذلك الموطن الذي حل به عذاب الله، ﴿الولاية لله الحق﴾ هنالك المولاة لله؛ أي: هنالك كل أحد مؤمن أو كافر يرجع إلى الله والخضوع له إذا وقع العذاب، كما قال تعالى: ﴿فلما رأوا بأسنا قالوا آمنا بالله وحده﴾. ﴿هو خير ثوابًا وخير عُقْبًا﴾ الأعمال التي تكون لله عز وجل ثوابها خير وعاقبتها حميدة رشيدة كلها خير ٤٥: ﴿وأصرب لهم﴾ ياحمد للناس ﴿مثل الحياة الدنيا﴾ في زوالها وفنائها وانقضائها ﴿كأء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض﴾ من الحبّ فسبّ وحسن وعلاء الزهر، ثم بعد هذا كله ﴿أصبح هشيمًا﴾ يابسًا ﴿تذروهُ الرياح﴾ تفرقه وتطرحة، ﴿وكان الله على كل شيء مقتدرًا﴾ هو قادر على هذه الحال وهذه الحال، [سبحانه وتعالى].

الآية: ٣٩ روى الشيخان في صحيحهما عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من يوم يصبح العباد فيه إلا وملكان ينزلان من السماء يقول أحدهما: اللهم أعط منفقًا خلفًا، ويقول الآخر: اللهم أعط مسكًا تلافًا». وروى مسلم عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «ما نضق مالٌ من صدقة، وما زاد الله عبدًا أنفق إلا عزًا، ومن تواضع لله رفعه الله!»

٤٦: ﴿المال والتبون زينة الحياة الدنيا﴾ كما قال تعالى: ﴿زَيْنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ﴾ الآية. ﴿والبقيات الصالحات خير عند ربك ثواباً﴾ الإقبال عليه تعالى والتفرغ لعبادته خير لكم من اشتغالكم بهم والجمع لهم ولهذا قال: ﴿والبقيات الصالحات خير عند ربك ثواباً وخير أملاً﴾، والبقيات الصالحات هي: لا إله إلا الله، والله أكبر، وسبحان الله، ولا حول ولا قوة إلا بالله ٤٧: يُخبر تعالى عن أهوال يوم القيامة وما يكون فيه من الأمور العظام فقال تعالى: ﴿ويوم نسير الجبال وترى الأرض بارزة﴾ بادية ظاهرة ليس فيها معلّم لأحد ولا مكان يُؤاري أحداً، بل الخلق كلهم واضيحوں لربهم لا تخفى عليه منهم خافية. ﴿وحشرناهم فلم نغادر منهم أحداً﴾ وجمعناهم فلم نترك منهم أحداً لاصغيراً ولا كبيراً ٤٨: ﴿وعرضوا على ربك صفاً﴾ بين يدي الله صفاً واحداً لا يتكلمون إلا من أذن له الرحمن وقال صواباً، ﴿لقد جئتمونا كما خلقناكم أول مرة﴾ هذا تفرغ للمنكرين للمعاد، وتوبيخ لهم على رؤوس الأشهاد، ولهذا قال مخاطباً لهم: ﴿بل زعمتم أن لن نجعل لكم موعداً﴾ ٤٩: ﴿ووضع الكتاب﴾ كتاب الأعمال الذي فيه اللطيل والحقير، والصغير والكبير ﴿فترى المجرمين مشفقين مما فيه﴾ من أعمالهم السيئة وأفعالهم القبيحة، ﴿ويقولون يا ويلتنا﴾ يا حسرتنا على ما فرطنا في أعمالنا؛

المال والتبون زينة الحياة الدنيا والبقية الصلحت خير عند ربك ثواباً وخيراً أملاً ﴿٤٦﴾ ويوم نسير الجبال وترى الأرض بارزة وحشرناهم فلم نغادر منهم أحداً ﴿٤٧﴾ وعرضوا على ربك صفاً لقد جئتمونا كما خلقناكم أول مرة بل زعمتم أن لن نجعل لكم موعداً ﴿٤٨﴾ ووضع الكتاب فترى المجرمين مشفقين مما فيه ويقولون يؤلئنا مال هذا الكتب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصناها وجدوا ما عملوا حاضراً ولا يظلم ربك أحداً ﴿٤٩﴾ وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس كان من الجن ففسق عن أمر ربه أفستخذونه وذريته أولياء من دوني وهم لكم عدو بئس للظالمين بدلاً ﴿٥٠﴾ ما أشهدتهم خلق السموات والأرض ولا خلق أنفسهم وما كنت متخذ المضلين عضداً ﴿٥١﴾ ويوم يقول نادوا شركاءي الذين زعمتم فدعوهم فلم يستجيبوا لهم وجعلنا بينهم موبقاً ﴿٥٢﴾ ورأى المجرمون النار فظنوا أنهم مواقعوها ولم يجدوا عنها مصرفاً ﴿٥٣﴾

﴿مال هذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها﴾ لا يترك ذنباً صغيراً ولا كبيراً، ولا عملاً وإن صغر إلا ضبطها وحفظها، ﴿ووجدوا ما عملوا حاضراً ولا يظلم ربك أحداً﴾ فيحكم بين عبادته في أعمالهم جميعاً ولا يظلم أحداً من خلقه بل يعفو ويصفح ويغفر ويرحم، ويُعذب من يشاء بقدرته وحكمته وعدله ٥٠: ﴿وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم﴾ سجدوا تشریف وتكریم، ﴿فسجدوا إلا إبليس كان من الجن﴾ خاتمه أصله، فإنه خلق من نار، وأصل خلق الملائكة من نور، كما في صحيح مسلم: ﴿خلق الملائكة من نور، وخلق إبليس من نار، وخلق آدم مما وصف لكم﴾. ﴿فسق عن أمر ربه﴾ خرج عن طاعة الله، ثم قال تعالى مفرعاً وموبقاً لمن اتبعه وأطاعه: ﴿فتخذونه وذريته أولياء من دوني﴾ بدلاً عني؟ ولهذا قال: ﴿بئس للظالمين بدلاً﴾ ٥١: ﴿ما أشهدتهم خلق السموات والأرض ولا خلق أنفسهم﴾ ولا كانوا إذ ذاك موجودين؛ أي: أنا المستقل بخلق الأشياء كلها، ومدبرها ومقدرها ﴿وما كنت متخذ المضلين عضداً﴾ أعواناً ٥٢: ﴿ويوم يقول نادوا شركائي الذين زعمتم﴾ يُخبر تعالى عما يُخاطب به المشركين يوم القيامة على رؤوس الأشهاد تفرعاً وتوبيخاً: ﴿نادوا شركائي الذين زعمتم﴾ في الدنيا ادعوهم اليوم لينفدوكم ﴿فدعوهم فلم يستجيبوا لهم وجعلنا بينهم موبقاً﴾ مهلكاً، وهو وإد عميق فرق بين أهل الضلالة ٥٣: ﴿ورأى المجرمون النار فظنوا أنهم مواقعوها﴾ تحققوا لاحالة أنهم مواقعوها ﴿ولم يجدوا عنها مصرفاً﴾ طريقاً يعبدل بهم عنها.

الآية: ٤٩ قد جاء في الحديث: ﴿ليس على أهل لا إله إلا الله وحشة في قبورهم، كآني بأهل لا إله إلا الله يقومون من قبورهم يفضون التراب عن رؤوسهم يقولون: لا إله إلا الله﴾ وفي رواية: يقولون: ﴿الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن﴾.

وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ وَكَانَ
 الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا ﴿٥٤﴾ وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا
 إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ وَيَسْتَغْفِرُوا رَبَّهُمْ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمْ سُنَّةٌ
 الْأُولَىٰ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ قُبُلًا ﴿٥٥﴾ وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ
 إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ۚ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ
 لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَمَا أُنذِرُوا هُزُوًا ﴿٥٦﴾ وَمَنْ
 أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ
 إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا
 وَإِنْ تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَىٰ فَلَنْ يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا ﴿٥٧﴾ وَرَبُّكَ
 الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ لَوْ يُؤَاخِذُهم بِمَا كَسَبُوا الْعَجَلُ لَهُمُ
 الْعَذَابُ بَلْ لَهُمْ مَوْعِدٌ لَنْ يَجِدُوا مِنْ دُونِهِ مَوْيلًا ﴿٥٨﴾
 وَتِلْكَ الْقُرَىٰ أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِمْ
 مَوْعِدًا ﴿٥٩﴾ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتْنِهِ لَا أُبْرَحُ حَتَّىٰ
 أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا ﴿٦٠﴾ فَلَمَّا بَلَغَا
 مَجْمَعَ بَيْنَهُمَا نِسِيَا حُوتَهُمَا فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا ﴿٦١﴾

٥٤: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ﴾ أي: لقد بينا للناس ﴿مِنْ كُلِّ مَثَلٍ﴾ في الأمور كلها كيلا يُضَلُّوا عن الحق، ﴿وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا﴾ كثير المخاصمة والمعارضة للحق بالباطل إلا من هدى الله. ٥٥: ﴿وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ﴾ يُخبر تعالى عن تَمَرُّد الكفرة في قديم الزمان وحديثه وتكذيبهم بالحق مع ما يشاهدونه من الآيات الواضحات، ﴿وَيَسْتَغْفِرُوا رَبَّهُمْ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمْ سُنَّةٌ الْأُولَىٰ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ قُبُلًا﴾ ما منهم من اتبع الحق إلا طلبهم أن يشاهدوا العذاب عياناً ومقابلة، ثم قال تعالى: ٥٦: ﴿وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ﴾ قبل العذاب مبشرين من صدقهم ومنذرين لمن كذبهم، ﴿وَيُجَادِلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ﴾ ليضعفوا به الحق الذي جاءتهم به الرسل، وليس ذلك بحاصل لهم، ﴿وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَمَا أُنذِرُوا هُزُوًا﴾ اتخذوا الحجج والبراهين التي بعث بها الرسل وما أنذروهم وخوفوهم به من العذاب ﴿هُزُوًا﴾ سخروا منهم في ذلك، وهو أشدُّ التكذيب. ٥٧: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ وَأُيِّسِبَادُ اللَّهِ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ اللَّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا، وَلَمْ يُصْغِ لَهَا وَالْتَقَىٰ إِلَيْهَا بِالْأُتَىٰ، وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ﴾ من الأعمال السيئة، ﴿إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾ قلوب هؤلاء ﴿أَكِنَّةً﴾ أغطيةً وغطاوة، ﴿أَنْ يَفْقَهُوهُ﴾ لئلا يفهموا هذا القرآن والبيان ﴿وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا﴾

صَمًّا معنوياً عن الرِّشَادِ، ﴿وَإِنْ تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَىٰ فَلَنْ يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا﴾ ٥٨: ﴿وَرَبُّكَ الْغَفُورُ﴾ يعتمد ﴿ذُو الرَّحْمَةِ﴾ ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ ﴿لَوْ يُؤَاخِذُهم بِمَا كَسَبُوا لَعَجَلُ لَهُمُ الْعَذَابُ﴾ كما قال تعالى: ﴿لَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهِمْ مِنْ دَابَّةٍ﴾. ﴿بَلْ لَهُمْ مَوْعِدٌ لَنْ يَجِدُوا مِنْ دُونِهِ مَوْئِلًا﴾ ليس لهم عنه محيص ولا مَجِيدٌ [إذا وقع بهم] ٥٩: ﴿وَتِلْكَ الْقُرَىٰ أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا﴾ أهلكتناهم بسبب كفرهم وعنادهم ﴿وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِمْ مَوْعِدًا﴾ مَدَّة معلومة ووقت معين لا يزيد ولا ينقص، فاحذروا أيها المشركون أن يصيبكم ما أصابهم فقد كذبتهم أشرف رسول وأعظم نبي، ولستم بأعز علينا منهم، فخافوا عذابي ونذري ٦٠: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتْنِهِ لَا أُبْرَحُ حَتَّىٰ أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ﴾ لا أزال سائراً مكان مجمع البحرين ﴿أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا﴾ ولو أتى أسير حُقُبًا من الزمان. وسبب قول موسى عليه السلام هذا الكلام أنه ذكّر له أن عبداً من عباد الله بمجمع البحرين عنده من العلم ما لم يُحِطْ به موسى، فأحب الرجل إليه ٦١: ﴿فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنَهُمَا نِسِيَا حُوتَهُمَا﴾ وذلك أنه قد أمر بحمل حوتٍ مملوح معه، وقيل له: متى فقدت الحوت فهو ثَمَّة، فسارا حتى بلغا مجمع البحرين، وهناك عين يُقال لها عين الحياة، فاما هنالك، وأصاب الحوت من رشاش الماء فاضطرب وظفر إلى البحر ﴿فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا﴾، مثل السرب في الأرض له أثر.

الآية: ٥٤ عن أبي موسى الأشعري قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ يُؤْمِنُ الَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ مِثْلَ الْأُرْجَمِ، رَجَحَهَا طَيْبٌ وَطَعْمُهَا طَيْبٌ، وَمِثْلُ الْمُؤْمِنِ الَّذِي لَا يَقْرَأُ الْقُرْآنَ كَمِثْلِ التَّمْرِ؛ لَا رِجْحَ لَهَا وَطَعْمُهَا حَلْوٌ، وَمِثْلُ الْمُنَافِقِ الَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ كَمِثْلِ الرَّجْمَانِ، رَجَحَهَا طَيْبٌ وَطَعْمُهَا مُرٌّ، وَمِثْلُ الْمُنَافِقِ الَّذِي لَا يَقْرَأُ الْقُرْآنَ كَمِثْلِ الْخِنْطَلَةِ، لَيْسَ لَهَا رِجْحٌ وَطَعْمُهَا مُرٌّ» متفق عليه/رياض الصالحين ص ٤١٤ - ٤١٥./

٦٢: ﴿فَلَمَّا جَاوَزَا﴾ المكان الذي نسيًا الحوت فيه ﴿قَالَ لِفَتَاهِ آتِنَا غَدَاءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا﴾ ٦٣: ﴿قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحَوْتَ وَمَا أَنْسَانِيهِ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا﴾ [حيث شقَّ في البحر مثل الطاق لايتئم بعده] ٦٤: ﴿قَالَ ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبِغُ فَارْتَدَّا عَلَى آثَارِهِمَا رَجَعَا عَلَى طَرَفَيْهِمَا قِصَصًا﴾ يقصان آثار مشيما ٦٥: ﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا آتِيَاهُ رَحْمَةً مِنْ عَدْنَانَا وَعِلْمَنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا﴾، وهذا هو الخضر عليه السلام كما دلَّت عليه الأحاديث الصحيحة عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ٦٦: ﴿قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ آتَيْتُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِي مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا؟﴾ يُخبر تعالى عن قيل موسى عليه السلام لذلك الرجل العالم وهو الخضر الذي خصَّه الله بعلم لم يُطلع عليه موسى، كما أنَّه تعالى أعطى موسى من العلم ما لم يُعطيه الخضر. وسؤال موسى كان سؤال تطف لاعلى وجه الإلزام: ﴿هَلْ آتَيْتُكَ﴾ أصحابك ﴿عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِي مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا﴾ بما علمك الله شيئاً استرشد به في أمري من علم نافع؟ ٦٧: ﴿قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾ إنَّكَ لا تقدر على مصاحبتى لما ترى من الأفعال التي تخالف شريعتك لأتني على علم من علم الله ماعلمك الله، وأنت على علم من علم الله ماعلمنيبه الله، فكلُّ منا مكلفٌ بأمر من الله دون صاحبه ٦٨:

فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَاهُ آتِنَا غَدَاءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا ﴿٦٢﴾ قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحَوْتَ وَمَا أَنْسَانِيهِ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا ﴿٦٣﴾ قَالَ ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبِغُ فَارْتَدَّا عَلَى آثَارِهِمَا قِصَصًا ﴿٦٤﴾ فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا آتِيَاهُ رَحْمَةً مِنْ عَدْنَانَا وَعِلْمَنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا ﴿٦٥﴾ قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ آتَيْتُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِي مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴿٦٦﴾ قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٦٧﴾ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا ﴿٦٨﴾ قَالَ سَتَجِدُنِي إِِنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا ﴿٦٩﴾ قَالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّى أُحَدِّثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا ﴿٧٠﴾ فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا قَالَ أَخْرَقْنَاهَا لِنُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا ﴿٧١﴾ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٧٢﴾ قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا ﴿٧٣﴾ فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا لَقِيَا غُلَامًا فَقَتَلَهُ قَالَ أَقْتَلْتُمْ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا ﴿٧٤﴾

﴿وكيف تصبر على ما لم تحط به خبيراً؟﴾ فإنك ستترك علي؟ ٦٩: ﴿قال ستجدني إن شاء الله صابراً﴾ على ما أرى من أمورك ﴿ولا أعصي لك أمراً﴾، فعند ذلك شارطه الخضر عليه السلام: ٧٠: ﴿قال فإن اتبعني فلا تسألني عن شيء﴾ ابتداءً ﴿حتى أحدث لك منه ذكراً﴾ حتى أبداً أنا به قبل أن تسألني ٧١: ﴿فانطلقا حتى إذا ركبنا في السفينة﴾ قام الخضر ﴿فخرقها﴾ ثم رفعها، فلم يملك موسى عليه السلام نفسه أن قال منكرأ عليه: ﴿أخرقتها لتغرق أهلها؟﴾ ولا م ﴿لتغرق﴾ لام العاقبة للأم التعليل، ﴿لقد جئت شيئاً إمرأ﴾ أي: أمراً عظيماً ٧٢: ﴿قال ألم أقل إنك لن تستطيع معي صبراً﴾ لأنك لم تحط به خبيراً؟ ٧٣: ﴿قال لا تؤاخذني بما نسيت ولا ترهقني من أمري عسراً﴾ لا تضيق علي، ولا تشدد علي، ولهذا جاء في الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: «كانت الأولى من موسى نسياناً» ٧٤: ﴿فانطلقا﴾ بعد ذلك ﴿حتى إذا لقياً غلاماً فقتله﴾ فلما شاهد موسى عليه السلام هذا أنكره أشد الإنكار، وبادرَ فقال: ﴿أقتلت نفساً زكية﴾ صغيرة لم تعمل الحنث ولا عملت إثمًا، ﴿بغير نفس﴾ بغير مستند لقتله ﴿لقد جئت شيئاً نكراً﴾ ظاهر النكارة!! وروى أنه اقتلع رأسه بيده. روى ابن جرير أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: «رحمة الله علينا وعلى موسى لو لبث مع صاحبه لأبصر العجب، ولكنه قال: ﴿إن سألتك عن شيء بعدها فلا تصاحبني قد بلغت من لدني عذراً﴾».

الآية: ٦٥ روى البخاري عن ابن عباس عن أبي بن كعب أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «إن موسى قام خطيباً في بني إسرائيل، فسئل: أي الناس أعلم؟ فقال: أنا. فعجب الله عليه إذ لم يرد العلم إليه، فأوحى الله إليه: إن لي عبداً يجمع هو أعلم منك. قال موسى: يارب وكيف لي به؟ قال: تأخذ معك حوتاً فتجعله بمكمل، فحينما فقدت الحوت فهو تم. فأخذ حوته فجعله بمكمل ثم انطلق وانطلق معه فتاه يوشع بن نون عليه السلام حتى إذا أتيا الصخرة وصعماً رؤوسهما فانما واضطرب الحوت في المكمل فخرج منه فسقط في البحر، فاتخذ سبيله في البحر =

٧٥: ﴿قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾ فَأَكَّدَ أَيْضًا فِي التَّذْكَارِ بِالْمَشْرُطِ الْأَوَّلِ، فَلِهَذَا ٧٦: ﴿قَالَ﴾ لَهُ مُوسَى: ﴿إِنْ سَأَلْتُكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي عُذْرًا عَلَيْكَ بِشَيْءٍ بَعْدَ هَذِهِ الْمَرَّةِ ﴿فَلَا تُصَاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي عُذْرًا﴾ قَدْ اعْتَذَرْتَ إِلَيَّ مَرَّةً بَعْدَ مَرَّةٍ ٧٧: ﴿فَانْطَلِقَا﴾ بَعْدَ الْمَرَّتَيْنِ الْأَوَّلَتَيْنِ ﴿حَتَّىٰ إِذَا آتَيْتَا أَهْلَ قَرْيَةٍ لِمَا مَجَاءُ بَخْلَاءِ﴾ اسْتَطَعَمَا أَهْلَهَا فَايْتَا أَنْ يُضَيَّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقُضَ فَاقَامَهُ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَتَخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا ﴿٧٧﴾ قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ سَأَيْتُكَ بِنَاوِيلٍ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا ﴿٧٨﴾ أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسْكِينٍ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ﴿٧٩﴾ وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَنْ يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا ﴿٨٠﴾ فَأَرَدْنَا أَنْ يُبَدِّلَهُمَا خَيْرًا مِنْهُ زَكَوَةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا ﴿٨١﴾ وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا ﴿٨٢﴾ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ ذِي الْقُرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُوا عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا ﴿٨٣﴾

٧٥: ﴿قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾ قَالَ إِنْ سَأَلْتُكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي عُذْرًا ﴿٧٦﴾ فَأَنْطَلِقَا حَتَّىٰ إِذَا آتَيْتَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطَعْنَا أَهْلَهَا فَايْتَا أَنْ يُضَيَّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقُضَ فَاقَامَهُ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَتَخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا ﴿٧٧﴾ قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ سَأَيْتُكَ بِنَاوِيلٍ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا ﴿٧٨﴾ أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسْكِينٍ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ﴿٧٩﴾ وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَنْ يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا ﴿٨٠﴾ فَأَرَدْنَا أَنْ يُبَدِّلَهُمَا خَيْرًا مِنْهُ زَكَوَةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا ﴿٨١﴾ وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا ﴿٨٢﴾ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ ذِي الْقُرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُوا عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا ﴿٨٣﴾

حُبُّهُ عَلَىٰ مَتَابَعَتِهِ عَلَى الْكُفْرِ، وَكَأَنَّ تَعَالَى: ﴿وَعَسَىٰ أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ﴾ ٨١: ﴿فَأَرَدْنَا أَنْ يُبَدِّلَهُمَا رُحْمًا خَيْرًا مِنْهُ زَكَوَةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا﴾ وَلِدَا أَرْكَمٍ مِنْ هَذَا وَهِيَ أَرْحَمُ بِهِ مِنْهُ ٨٢: ﴿وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا﴾ كَانَ تَحْتَهُ مَالٌ مَدْفُونٌ لَهُمَا ﴿وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا﴾ فِيهِ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ الرَّجُلَ الصَّالِحَ يُحْفَظُ فِي ذَرِيَّتِهِ وَتَشْمَلُ بَرَكَةُ عِبَادَتِهِ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، ﴿فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا﴾ إِنْتَهَا حُفْظُ بَصْلَاحِ أَبِيهِمَا ﴿رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ﴾ هَذَا الَّذِي فَعَلْتَهُ فِي هَذِهِ الْأَحْوَالِ الثَّلَاثَةِ إِنَّمَا هُوَ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ بِحَسَبِ ذِكْرِنَا مِنْ أَصْحَابِ السَّفِينَةِ وَالَّذِي الْغُلَامُ، وَالَّذِي الرَّجُلُ الصَّالِحُ ﴿وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي﴾ وَلَكِنِّي أَمَرْتُ بِهِ. ﴿ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا﴾ هَذَا تَفْسِيرُ مَا ضَمَّتْ بِهِ ذَرْعًا وَلَمْ تَصْرَحْ حَتَّىٰ أُخْبِرَكَ بِهِ ابْتِدَاءً، وَلَمَّا أَنْ فَسَّرَهُ لِي وَبَيْنَهُ وَوَضَحَهُ وَأَزَالَ الْمَشْكَالَ قَالَ: ﴿تَسْتَطِيعُ﴾ وَقَبْلَ ذَلِكَ كَانَ الْإِشْكَالُ قَوْلًا ثَقِيلًا فَقَالَ: ﴿سَأَيْتُكَ بِتَأْوِيلٍ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا﴾ فَقَابَلَ الْأَثْقَلَ بِالْأَثْقَلِ، وَالْأَخْفَ بِالْأَخْفِ ٨٣: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ ذِي الْقُرْنَيْنِ﴾ خَيْرُهُ، وَقَدْ بَعَثَ كَفَارًا مَكَّةَ إِلَىٰ أَهْلِ الْكِتَابِ يَسْأَلُونَ مِنْهُمْ مَا يَتَحْتَوْنَ بِهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فَقَالُوا: سَلُوهُ عَنْ رَجُلٍ طَوَّافٍ فِي الْأَرْضِ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ هَذِهِ الْآيَةَ، ﴿قُلْ سَأَتْلُوا عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا﴾.

سَبْرًا، وَأَمْسَكَ اللَّهُ عَنِ الْحَوْتِ حَرِيَةَ الْمَاءِ فَصَارَ عَلَيْهِ مِثْلُ الطَّاقِ، فَلَمَّا اسْتَقْبِظَ نَسِيَ صَاحِبَهُ أَنْ يَجْعَلَ بِالْحَوْتِ، فَانْطَلَقَ بِقِيَةِ يَوْمِهِمَا وَلَيْلَتِهِمَا حَتَّىٰ إِذَا كَانَ مِنَ الْعِدَّةِ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ: ﴿أَتَانَا غَدَاةً لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا﴾ وَلَمْ يَجِدْ مُوسَى النَّصْبَ حَتَّىٰ جَاوَزَا الْمَكَانَ الَّذِي أَمَرَ اللَّهُ بِهِ، قَالَ لَهُ فَتَاهُ: ﴿أَرَأَيْتَ إِذْ أَوْبَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحَوْتِ مَا نَسَانِيهِ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ ذَكَرَهُ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا﴾ الْآيَات. /ابن كثير ج ٩٢/٣ - ٩٣/٣

٨٤: ﴿إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ﴾ أعطيناها ملكاً عظيماً فيه من جميع ما يوتى الملوك من الجنود والآلات الحرب والحصارات، ولهذا ملك المشارق والمغرب ودانت له البلاد، ﴿وَأَتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبِيحًا﴾ قد أوتي من كل شيء مما يحتاج إليه مثله سبياً ٨٥: ﴿فَأَتَيْعَ سَبِيحًا﴾ علماً ومزلاً وطريقاً، ومعالم وأثراً ٨٦: ﴿حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ﴾ فسلك طريقاً حتى وصل إلى أقصى الأرض من ناحية المغرب. ﴿وَوَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ﴾ رأى الشمس في منظره تغرب في البحر المحيط، وهذا شأن كل من انتهى إلى ساحله يراها كأنها تغرب فيه، ﴿فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ﴾ عند غروبها وملاقفتها الشعاع، ﴿وَوَجَدَهَا قَوْمًا﴾ أمة من الأمم ﴿قَالُوا يَا ذَا الْقُرْنَيْنِ﴾ إما أن تغدب وإما أن تتخذ فيهم حُسْنًا، معنى هذا أن الله تعالى مكَّنه منهم وحكَّمه فيهم وخيَّره؛ إن شاء قتل وسبى وإن شاء من وأفدى ٨٧: ﴿قَالَ أَمَا مَنْ ظَلَمَ﴾ استمر على كفره بربه ﴿ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نُكْرًا﴾ شديداً بليغاً ٨٨: ﴿وَأَمَّا مَنْ آمَنَ﴾ تابعتنا على مандعهو إليه من عبادة الله وحده لا شريك له ﴿فَلَهُ جِزَاءُ الْحَسَنِ﴾ في الدار الآخرة عند الله ﴿وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا﴾ معروفاً ٨٩: ﴿ثُمَّ أَتَيْعَ سَبِيحًا﴾ ثم سلك طريقاً فسار من مغرب الشمس إلى مطلعها ٩٠: ﴿حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ﴾ من الأرض ﴿وَوَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ﴾ أمة ﴿لَمْ نجعل لهم من دُونِهَا سِتْرًا﴾

٨٤: ﴿إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ﴾ وَأَيْنَهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبِيحًا ﴿٨٤﴾ فَأَتَيْعَ سَبِيحًا ﴿٨٥﴾ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِنْدَهَا قَوْمًا قَلِيلًا يُدْعَوْنَ لِقَرْنَيْنِ إِمَّا أَنْ تَغْدِبَ وَإِمَّا أَنْ تُتَّخَذَ فِيهِمْ حُسْنًا ﴿٨٦﴾ قَالَ أَمَّا مَنْ ظَلَمَ فَسَوْفَ نَعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نُكْرًا ﴿٨٧﴾ وَأَمَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جِزَاءُ الْحَسَنِ وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا ﴿٨٨﴾ ثُمَّ أَتَيْعَ سَبِيحًا ﴿٨٩﴾ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَمْ نجعل لَهُمْ مِنْ دُونِهَا سِتْرًا ﴿٩٠﴾ كَذَلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا ﴿٩١﴾ ثُمَّ أَتَيْعَ سَبِيحًا ﴿٩٢﴾ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ وَجَدَ مِنْ دُونِهِمَا قَوْمًا لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا ﴿٩٣﴾ قَالُوا يَا ذَا الْقُرْنَيْنِ إِنَّ يَا جُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نجعل لك خِزْمًا عَلَىٰ أَنْ نجعل بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ﴿٩٤﴾ قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ﴿٩٥﴾ ؤتوني زُبُرَ الْحَدِيدِ حَتَّىٰ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انْفُخُوا حَتَّىٰ إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ ؤتوني أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا ﴿٩٦﴾ فَمَا اسطَعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَعُوا لَهُمْ نَقْبًا ﴿٩٧﴾

ليس لهم بناء يكتهم ولا أشجار تظلمهم، كانوا حراً قصاراً مساكنهم الغيران ٩١: ﴿كذَلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا﴾ علماء؛ أي: نحن مطلعون على جميع أحواله وأحوال جيشه، لا يخفى علينا منها شيء. ٩٢: ﴿ثُمَّ أَتَيْعَ سَبِيحًا﴾ ثم سلك طريقاً من مشارق الأرض ٩٣: ﴿حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ﴾ وهما جبلان متناوحيان بينهما ثغرة يخرج منها يأجوج ومأجوج على بلاد الترك، ﴿وَجَدَ مِنْ دُونِهِمَا قَوْمًا لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا﴾ لاستعجاب كلامهم وبعدهم عن الناس ٩٤: ﴿قَالُوا يَا ذَا الْقُرْنَيْنِ إِنَّ يَا جُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نجعل لك خِزْمًا﴾ أجراً عظيماً ﴿عَلَىٰ أَنْ نجعل بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا﴾، فقال ذو القرنين بعبق وديانة وصلاح: ٩٥: ﴿قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ﴾ لي من الذي تجمعونه، ولكن ساعدوني بعملكم ﴿فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا﴾ ٩٦: ﴿ؤتوني زُبُرَ الْحَدِيدِ﴾ قطعه ﴿حَتَّىٰ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ﴾ وضع بعضه على بعض من الأساس حتى إذا حاذى به رؤوس الجبلين طولاً وعرضاً ﴿قَالَ انْفُخُوا﴾ أجب عليه النار حتى صار ناراً ﴿قَالَ ؤتوني أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا﴾ النحاس المذاب ٩٧: ﴿فَمَا اسطَعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ﴾ إن يأجوج ومأجوج ماقدروا على أن يصعدوا من فوق هذا السد ولا على نقبه من الأسفل، ﴿وَمَا اسْتَطَعُوا لَهُمْ نَقْبًا﴾

الآية: ٩٣ يأجوج من سلالة آدم عليه السلام، يعيشون في الأرض فساداً ويهلكون الحرث والنسل، وفي الصحيحين: «إن الله تعالى يقول: يا آدم؟ يقول: لبيك وسعديك؟! يقول: ابعث بعث النار، فيقول: وما بعث النار؟ فيقول: من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعون إلى النار، وواحد إلى الجنة. فحينئذ يشيب الصغير وتضع كل ذات حمل حملها فنقل: إن فيكم أمتين ما كنا في شيء إلا كنرنا؛ يأجوج ومأجوج». / ابن كثير ج ١٠٣/٣

قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِنْ رَبِّي فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا ﴿٩٨﴾ وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ وَيَفْخُ فِي الصُّورِ فَمَجَعْنَاهُمْ جَمْعًا ﴿٩٩﴾ وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِلْكَافِرِينَ عَرْضًا ﴿١٠٠﴾ الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ عَنْ ذِكْرِي وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا ﴿١٠١﴾ أَفَحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ يَتَّخِذُوا عِبَادِي مِنْ دُونِي أَوْلِيَاءَ إِنَّا أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ نُزْلًا ﴿١٠٢﴾ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ﴿١٠٣﴾ الَّذِينَ ضَلَّ سَعِيَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِمْ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزَنًا ﴿١٠٥﴾ ذَلِكَ جَزَاءُكُمْ جَهَنَّمَ بِمَا كَفَرُوا وَتَّخَذُوا آيَاتِي وَرُسُلِي هُزُوًا ﴿١٠٦﴾ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزْلًا ﴿١٠٧﴾ خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا ﴿١٠٨﴾ قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مَدَادًا لَكَلِمَتِ رَبِّي لَنَفَذَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ نُنْفِذَ كَلِمَتِ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا ﴿١٠٩﴾ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌُ وَاحِدٌ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴿١١٠﴾

٣٠٤

٩٨: ﴿قال هذا رحمة من ربي﴾ بالناس حيث جعل بينهم وبين يأجوج ومأجوج حائلاً يمنعهم من العيث في الأرض والفساد ﴿فإذا جاء وعد ربي جعله دكاء﴾ مساوياً للأرض ﴿وكان وعد ربي حقاً﴾ كأننا لعمالة ٩٩: ﴿وتركنا بعضهم يومئذ يموج في بعض﴾ يوم يُدك السد ويخرج هؤلاء فيموجون في الناس ويُفسدون عليهم أشياءهم، وهذا أول يوم القيامة، ﴿ونفخ في الصور﴾ على أثر ذلك ﴿فجمعناهم جمعاً﴾ أحضرنا الجميع للحساب ١٠٠: ﴿وعرضنا جهنم يومئذ للكافرين عرضاً﴾ يبرزها لهم ويظهرها ليرؤا ما فيها من العذاب والنكال قبل دخولها ١٠١: ﴿الذين كانت أعينهم في غطاء عن ذكري﴾ تغافلوا وتعاموا وتصاموا عن قبول الهدى واتباع الحق ﴿وكانوا لا يستطيعون سمعاً﴾ لا يعقلون عن الله أمره ونهيه ١٠٢: ﴿أفحسب الذين كفروا أن يتخذوا عبادي من دوني أولياء؟!﴾ اعتقدوا أنهم يصلح لهم ذلك ويتفخون به؟ كلا ﴿إننا أعتدنا جهنم للكافرين نزلاً﴾ لهم يوم القيامة ١٠٣: ﴿قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالاً﴾ نُخبركم بهم؟ ثم فسّرهم فقال تعالى: ١٠٤: ﴿الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا﴾ عملوا أعمالاً باطلة على غير شريعة مقبولة، ﴿وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا﴾ يعتقدون أنهم على شيء ١٠٥: ﴿أولئك الذين كفروا بآيات ربهم ولقائه﴾ جحدوا آيات الله في الدنيا وبراهينه على

وحدانيته وصدق رسله ﴿فحبطت أعمالهم فلاقيم لهم يوم القيامة وزناً﴾ لا تنقل موازينهم لأنها خالية عن الخير ١٠٦: ﴿ذلك جزاؤهم جهنم بما كفروا واتخذوا آياتي ورسلي هزواً﴾ إنما جازيناهم بهذا الجزاء بسبب كفرهم واستهزائهم برسله ١٠٧: ﴿إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾ وهم عباد الله السعداء ﴿كانت لهم جنات الفردوس﴾ رتبة الجنة وأوسطها وأفضلها وأحسنها، ﴿نزلًا﴾ ضيافة خالدة ١٠٨: ﴿خالدين فيها﴾ مقيمين ساكنين فيها لا يظعنون عنها أبداً ﴿لا يبتغون عنها حولاً﴾ لا يتنازرون غيرها ولا يبتجون سواها ١٠٩: ﴿قل﴾ يا محمد ﴿لو كان ماء﴾ البحر مَدَاداً لكلماتي ﴿مَدَاداً للقلم الذي يكتب به كلمات الله﴾ لَنَفَذَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَذَ كَلِمَاتِ رَبِّي قَبْلَ أَنْ يَفْرغَ كِتَابَةُ ذَلِكَ ﴿ولو جئنا بمثله مَدَاداً﴾ آخر ثم آخر وهلمَّ جراً، كما قال تعالى: ﴿ولو أن ما في الأرض من شجرة أو قَلَمٍ والبحر يمدُّه من بعديه سبعة أبحر ما نفذت كلمات الله إن الله عزيز حكيم﴾ ١١٠: ﴿قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلي﴾ فمن زعم أنني كاذب فليأت بمثل ما جئتُ به، فإني لأعلم الغيب عما سألت من قصة أصحاب الكهف، وخير ذي القرنين، ولولا ما أطلعني الله عليه ما أخبرتكم، وإتما أخبركم ﴿إنما إلهكم إله واحد﴾ لا شريك له ﴿فمن كان يرجوا لقاء ربه﴾ ثوابه وجزاءه الصالح ﴿فليعمل عملاً صالحاً﴾ موافقاً لشرع الله ﴿ولا يشرك بعبادة ربه أحداً﴾ خالياً عن الرياء، الذي هو الشرك الأصغر.

الآية: ١١٠ روى الإمام أحمد عن أبي سعيد الخدري قال رسول الله ﷺ: «مَنْ بَرَأَ بُرَأَى اللَّهِ بِهِ، وَمَنْ سَمِعَ يَسْمَعُ اللَّهُ بِهِ». وروى أيضاً عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ سَمِعَ النَّاسَ يَعْمَلُ سَمِعَ اللَّهُ بِهِ، سَاءَ حَلْفُهُ وَصَقْرُهُ وَحَقْرُهُ». وروى أيضاً عن محمد بن لبيد أن رسول الله ﷺ قال: «إِنْ أَخَوْفَ مَا أَخَافَ عَلَيْكُمْ الشَّرْكَ الْأَصْغَرَ» قالوا:

[هذه السورة التي حملها جعفر بن أبي طالب في هجرته إلى الحبشة ، وقرأها على النجاشي وأصحابه] .

١ : ﴿ كَهَيْصِ ﴾ تقدم الكلام على الأحرف المقطعة في أول سورة البقرة ٢ : ﴿ ذَكَرُ رَحْمَةِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا ﴾ هذا ذكر رحمة الله بعبيده زكريا ، الذي كان نبياً عظيماً من أنبياء بني إسرائيل ، وفي صحيح البخاري : « أنه كان نجاراً يأكل من عمل يديه في النجارة » : ٣ : ﴿ إِذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا ﴾ ، وإنما أخفاه لأنه أحب إلى الله تعالى ، ولأنه تعالى يعلم القلب النقي ، ويسمع الصوت الخفي ٤ : ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي ﴾ ضعفني وخرت القوى ﴿ وَاشْتَغَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا ﴾ اضطرم المشيب في السواد ، والمراد الإخبار عن الضعف والكبر . ﴿ وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا ﴾ لم أعهد منك إلا الإجابة في الدعاء ولم تردني قط فيما سألتك ٥ : ﴿ وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ وَرَائِي ﴾ أراد بالموالي العقبية . ﴿ مِنْ وَرَائِي ﴾ أي : من بعدي ؛ لعجزهم عن القيام بعده بما هو قائم به ، ﴿ وَكَانَتْ أُمَّتِي عَاقِرًا ﴾ ووجه خوفه أنه خشي أن يتصرفوا من بعده في الناس تصرفاً سيئاً ، فسأل الله تعالى ولداً يكون نبياً من بعده يسوسهم بنبوته ما يوحي إليه ، فأجيب إلى ذلك . ﴿ فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا ﴾ : ٦ : ﴿ يَرِثُنِي ﴾ ميراث النبوة ، ﴿ وَيَرِثْ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ ﴾ فيكون نبياً كما كانت آباؤه أنبياء .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

كَهَيْصِ ١ ﴿ ذَكَرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا ﴾ ٢
 إِذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا ٣ ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَغَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا ﴾ ٤
 وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ وَرَائِي وَكَانَتْ أُمَّتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا ٥ ﴿ يَرِثُنِي وَيَرِثْ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَأَجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ﴾ ٦
 إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَى لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا ٧ ﴿ قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَكَانَتْ أُمَّتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا ﴾ ٨
 قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَى هَيْنٍ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا ٩ ﴿ قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَ لَيَالٍ سَوِيًّا ﴾ ١٠
 فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ أَنْ سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ١١

٣٥

﴿ واجعله رب رضيعاً ﴾ مرضياً عندك وعند خلقك ، تُحِبُّهُ وتُحِبُّهُ إلى خلقك ٧ : ﴿ يا زكريا إنا نبشرك بغلام اسمه يحيى ﴾ أجيب إلى ما سألت في دعائه ، ﴿ لم نجعل له من قبل سمياً ﴾ شبيهاً ، فلم تلد العواقر قبله مثله ٨ : ﴿ قال رب أنى يكون لى غلام وكانت امرأتى عاقراً ؟! هذا تعجب فرح ، فرح فرحاً شديداً ، وسأل عن كيفية ما يؤلده له مع أن امرأته كانت عاقراً لم تلد من أول عمرها مع كبرها ومع أنه قد كبر وعنا عظمه ونحل جسمه ولم يبق فيه لقاح ٩ : ﴿ قال كذلك ﴾ قال الملك مجيباً عما استعجب : ﴿ كذلك قال ربك هو على هين ﴾ إيجاد الولد منك ومن زوجتك هذه ، يسير سهل على الله تعالى . ثم ذكر له ما هو أعجب مما سأل عنه فقال : ﴿ وقد خلقتك من قبل ولم تك شيئاً ﴾ ١٠ : ﴿ قال رب اجعل لى آية ﴾ علامة ودليلاً على وجود ما وعدتني ليطمئن قلبي ﴿ قال آيتك أن لا تكلم الناس ثلاث ليالٍ سويًّا ﴾ فكان يقرأ ويسبح ولا يستطيع أن يكلم قومه إلا إشارة ﴿ سويًّا ﴾ متتابعات ١١ : ﴿ فخرج على قومه من المحراب ﴾ الذي بشر به بالولد ﴿ أى : أشرف عليهم من المصلى ﴾ ﴿ فأوحى إليهم ﴾ أشار إشارة خفيفة سريعة ﴿ أن سبحوا بكرة وعشيًّا ﴾ موافقة له فيما أمر به في هذه الأيام الثلاثة ، زيادة على أعماله شكراً لله على ما أولاه .

ومالشرك الأصغر يارسول الله؟ قال : «الرباء» يقول الله يوم القيامة إذا جزي الناس بأعمالهم: اذهبوا إلى الذين كنتم تراوون في الدنيا، فانظروا هل تجدون عندهم جزءاً؟»، وروى أيضاً عن شداد قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من صلى بُرَّائي فقد أشرك، ومن صام بُرَّائي فقد أشرك، ومن تصدَّق بُرَّائي فقد أشرك» .

ابن كثير ج ٣ / ١٠٩ - ١١٠ /

الآية ١ : ﴿ كهَيْصِ ﴾ قرأ هكذا: كاف ها يا غن صاذا .

الآية ٦ : عن أبي صالح في قوله تعالى: ﴿ يرثني ويرث من آل يعقوب ﴾ قال: يكون نبياً كما كانت آباؤه أنبياء . وصح في الحديث: «نحن معاشر الأنبياء لا نورث، ماركنا فهو صدقة» .

ابن كثير ج ٣ / ١١١ /

يَسْحَى حُدَّ الْكِتَابِ بِقُوَّةٍ وَءَاتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيحًا ﴿١٢﴾
 وَحَنَانًا مِنْ لَدُنَّا وَزَكَاةً وَكَانَ تَقِيًّا ﴿١٣﴾ وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ
 يَكُنْ جَبَّارًا عَصِيًّا ﴿١٤﴾ وَسَلَّمْ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ
 وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا ﴿١٥﴾ وَأَذْكُرُ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انْتَبَذَتْ
 مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرِيًّا ﴿١٦﴾ فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا
 فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴿١٧﴾ قَالَتْ إِنِّي
 أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا ﴿١٨﴾ قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ
 رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا ﴿١٩﴾ قَالَتْ أَنِّي يَكُونُ لِي
 غُلَامٌ وَلَمْ يَمَسَّ سِنِي بِشَرٍّ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ﴿٢٠﴾ قَالَ كَذَلِكَ
 قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً
 مِنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَقْضِيًّا ﴿٢١﴾ فَحَمَلَتْهُ فَانْتَبَذَتْ
 بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا ﴿٢٢﴾ فَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ
 قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسِيًّا مَنْسِيًّا ﴿٢٣﴾
 فَوَدَّعَهَا مِنْ تَحْتِهَا أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ﴿٢٤﴾
 وَهَزَيْ إِلَيْكَ الْجِذْعَ النَّخْلَةَ تَسْقُطُ عَلَيْكَ رَطْبًا جَنِيًّا ﴿٢٥﴾

١٢: ﴿يَسْحَى حُدَّ الْكِتَابِ بِقُوَّةٍ﴾ عَلَّمَهُ
 الكتاب، وهو التوراة، وكان سنه إذ ذاك
 صغيراً، ﴿بِقُوَّةٍ﴾ بحرص واجتهاد، ﴿وَأَاتَيْنَاهُ
 الْحُكْمَ صَبِيحًا﴾ الفهم والعلم والعزم وهو صغير
 حَدَّثَ ١٣: ﴿وَحَنَانًا مِنْ لَدُنَّا﴾ رحمة من
 عندنا وتعطفاً عليه وحباً ﴿وَزَكَاةً﴾ وبركة
 ﴿وَكَانَ تَقِيًّا﴾ فلم يعمل بذنب ١٤: ﴿وَبَرًّا
 بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُنْ جَبَّارًا عَصِيًّا﴾ ذَكَرَ طَاعَتَهُ
 لوالديه وبره بهما، ثم قال بعد هذه الأوصاف
 الجميلة جزاء له على ذلك: ١٥: ﴿وَسَلَامٌ
 عَلَيْهِ﴾ له الأمان في هذه الأحوال: ﴿يَوْمَ
 وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا﴾ ١٦:
 ﴿وَأَذْكُرُ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ﴾ لما ذكر تعالى
 قصة زكريا وأنه أوجد منه في حال كبره
 وعقم زوجته ولداً زكياً طاهراً مباركاً عطف
 بذكر مريم وقصة إيجاده ولدها عيسى منها من
 غير أب، ﴿إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا
 شَرِيًّا﴾ اعترلتهم إلى شرف المسجد المقدس
 لحيض أصابها ١٧: ﴿فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ
 حِجَابًا﴾ استترت وتوارت منهم، فأرسل الله
 تعالى إليها جبريل عليه السلام ﴿فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا
 رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا﴾ على صورة
 إنسان تام ١٨: ﴿قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ
 مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا﴾ خافته على نفسها،
 فخوفته بالله، ١٩: ﴿وَمَا ذَكَرْتُ الرَّحْمَنَ
 انْتِفَاضَ جَبْرِيْلَ فَرَقًا وَعَادَ إِلَى هَيْئَتِهِ﴾ وقال
 إنما أنا رسول ربك لأهب لك غلاماً
 زكياً ٢٠: ﴿قَالَتْ أَنِّي يَكُونُ لِي
 غُلَامٌ!؟﴾ ففعلت مريم من هذا وقالت:

كيف يكون لي غلام؟ على أي صفة يوجد هذا الغلام مني ولست بذات زوج، ولا يتصور مني الفجور، ولهذا قالت: ﴿وَلَمْ يَمَسَّ سِنِي بِشَرٍّ وَلَمْ أَكُ
 بَغِيًّا!؟﴾ ٢١: ﴿قَالَ﴾ الْمَلِكُ جَبِيًّا لَهَا عَمَّا سَأَلَتْ: ﴿كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ﴾ أَنَّهُ سَيُوجَدُ مِنْكَ غُلَامًا وَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَكَ زَوْجٌ وَلَا يُوجَدُ مِنْكَ فَاحْشَةُ،
 ﴿هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ﴾ دَلَالَةٌ وَعَلَامَةٌ لِلنَّاسِ عَلَى قَدْرَةِ خَالِقِهِمُ الَّذِي نُوِّعَ فِي خَلْقِهِمْ، فَخَلَقَ أَبَاهُمْ آدَمَ مِنْ غَيْرِ ذَكَرٍ وَلَا أُنْثَى،
 وَخَلَقَ حَوَاءَ مِنْ ذَكَرٍ بِلَا أُنْثَى، وَخَلَقَ بَقِيَّةَ الذَّرِيَّةِ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى إِلَّا عِيسَى فَإِنَّهُ أُوْجِدُهُ مِنْ أُنْثَى بِلَا ذَكَرٍ، فَتَمَّتِ الْقِسْمَةُ الرَّبَاعِيَّةُ الدَّلَالَةُ عَلَى كَمَالِ
 قَدْرَتِهِ وَعَظَمِ سُلْطَانَتِهِ سُبْحَانَهُ، ﴿وَرَحْمَةً مِنَّا﴾ رَحْمَةٌ مِنَ اللَّهِ، أَيْ: وَنَجْعَلُهُ نَبِيًّا يَدْعُو إِلَى تَوْحِيدِ اللَّهِ، ﴿وَكَانَ أَمْرًا مَقْضِيًّا﴾ فليس منه بُدٌّ ٢٢:
 ﴿فَحَمَلَتْهُ﴾ وَبَعْدَ أَنْ نَفَخَ جَبْرِيْلَ فِي جَيْبِ دَرْعِهَا حَمَلَتْ بِالْوَلَدِ بِإِذْنِ اللَّهِ، فَضَاقَتْ ذَرْعًا وَلَمْ تَدْرِ مَاذَا تَقُولُ لِلنَّاسِ، ﴿فَانْتَبَذَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا﴾،
 سَأَلَ ابْنَ عَبَّاسٍ عَنْ حَمْلِ مَرْيَمَ فَقَالَ: لَمْ يَكُنْ إِلَّا أَنْ حَمَلَتْ فَوَضَعَتْ ٢٣: ﴿فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ﴾ أَلْجَأَهَا الطَّلُقَ إِلَى جِذْعِ نَخْلَةٍ
 فِي الْمَكَانِ الَّذِي تَحْتِ إِيَّاهُ فِي قَرْيَةٍ يُقَالُ لَهَا بَيْتُ لَحْمٍ، ﴿قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسِيًّا مَنْسِيًّا﴾ لَيْتَنِي لَمْ أَحْلِقْ وَلَمْ أَكُ شَيْئًا لِأَعْرِفَ
 وَلَا يَذْكَرَ ٢٤: ﴿فَوَدَّعَهَا مِنْ تَحْتِهَا﴾ جَبْرِيْلُ ﴿أَنْ لَا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا﴾ جَدُولًا تَشْرَبُ مِنْهُ ٢٥: ﴿وَهَزَيْ إِلَيْكَ بِجِذْعِ
 النَّخْلَةِ﴾ وَكَانَتْ يَابِسَةً، وَهَذَا امْتِنٌ عَلَيْهَا بِذَلِكَ بَأَنْ جَعَلَ عِنْدَهَا طَعَامًا وَشَرَابًا فَقَالَ: ﴿تَسْقُطُ عَلَيْكَ رَطْبًا جَنِيًّا﴾ [الجني: المأخوذ رطباً]، وخير
 شيء للنساء الرطب من التمر.

الآية: ٢٣ قال ابن عباس وسئل عن حمل مريم؟ قال: «لم يكن إلا أن حملت فوضعت». فالقاء للتعقيب وسُئلت مريم عليها السلام: هل يكون ولد من غير أب؟ قالت: فإن الله قد خلق آدم من غير أب ولا أم!!

٢٦: ﴿فَكَلِمًا وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا﴾ طيب نفساً، ﴿فَمَا تَرَيْنَ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا﴾ مهما رأيت من أحد ﴿فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا﴾ قال لها عيسى: أنا أكفيك الكلام، وهذا كله من كلام عيسى لأنه ٢٧: ﴿فَأَنْتَ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ﴾ حين أمرت أن تصوم، أي: تصمت يوماً ذلك علمت أنها ستكفي أمرها فسلمت لأمر الله، فلما رأوها كذلك استكبروا أمرها و﴿قالوا يا مريم لقد جئت شيئا فريا﴾ ٢٨: ﴿يا أخت هارون﴾ شبيهة هارون في العبادة ﴿ما كان أبوك أمرا سوءا وما كانت أمك بغيا﴾ أنت من بيت طيب طاهر معروف بالصلاح!؟ ٢٩: ﴿فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ﴾ وقد كانت يومها ذلك صائمة صامته، فأحالت الكلام عليه وأشارت لهم إلى خطابه، ﴿قالوا﴾ متكلمين ﴿كيف تكلم من كان في المهدي صبيا﴾!؟ ٣٠: ﴿قال إني عبد الله﴾ أثبت لنفسه العبودية لله أولاً، ﴿أتاني الكتاب﴾ الإنجيل ﴿وجعلني نبيا﴾ [أنطقه الله تعالى] تبرئة لأنه ٣١: ﴿وجعلني مباركا أينما كنت﴾ وبركته: الأمر بالعرف والنهي عن المنكر أينما كان، أي: وجعلني معلما للخير ﴿وأوصاني بالصلاة والزكاة ما دمت حيا﴾، أخبره بما هو كائن من أمره إلى أن يموت ٣٢: ﴿وبرأ بوالدتي﴾ وأمرني ببر والدتي، ﴿ولم يجعلني جبارا شقيا﴾ ولم يجعلني مستكبرا عن عبادته وطاعته وبر والدتي فأشقى بذلك ٣٣: ﴿والسلام على

فكلمًا واشربي وقري عينا فإما ترين من البشر أحدا فقولي إني نذرت للرحمن صوما فلن أكلم اليوم إنسيا ﴿٢٦﴾ فأتت به قومها تحمله قالوا ليمريم لقد جئت شيئا فريا ﴿٢٧﴾ يتأخت هرون ما كان أبوك أمرا سوءا وما كانت أمك بغيا ﴿٢٨﴾ فأشارت إليه قالوا كيف تكلم من كان في المهدي صبيا ﴿٢٩﴾ قال إني عبد الله أتاني الكتاب وجعلني نبيا ﴿٣٠﴾ وجعلني مباركا أين ما كنت وأوصني بالصلاة والزكاة ما دمت حيا ﴿٣١﴾ وبرأ بوالدي ولم يجعلني جبارا شقيا ﴿٣٢﴾ وأسلمت على يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حيا ﴿٣٣﴾ ذلك عيسى ابن مريم قولك الحق الذي فيه يمترون ﴿٣٤﴾ ما كان لله أن يتخذ من ولد سبحانه إذا قضي أمرا فإنما يقول له كن فيكون ﴿٣٥﴾ وإن الله ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم ﴿٣٦﴾ فاختلف الأحزاب من بينهم فويل للذين كفروا من مشهد يوم عظيم ﴿٣٧﴾ أسمع بهم وأبصر يوم يأتوننا لكن الظالمون اليوم في ضلال مبين ﴿٣٨﴾

يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حيا﴾ إثبات منه لعبوديته لله عز وجل وأنه مخلوق كسائر الخلائق، ولكن له السلامة في هذه الأحوال التي هي أشق ما يكون على العباد ٣٤: ﴿ذلك عيسى ابن مريم﴾ هذا خبر عيسى باحمد قصصناه عليك ﴿قول الحق الذي فيه يمترون﴾ يختلف فيه المبطلون والحقون ٣٥: ﴿ما كان لله أن يتخذ من ولد سبحانه﴾ عما يقول هؤلاء الظالمون المعتدون علوا كبيرا ﴿إذا قضى أمرا فإنما يقول له كن فيكون﴾ إذا أراد شيئا فإنما يأمر به فيصير كما يشاء ٣٦: ﴿وإن الله ربي وربكم فاعبدوه﴾ أمرهم بعبادة الله وهو في مهديه، ﴿هذا صراط مستقيم﴾ هذا الذي جنتكم به عن الله صراط قويم من اتبعه هدي، ومن خالفه ضل ٣٧: ﴿فاختلف الأحزاب من بينهم﴾ اختلف قول أهل الكتاب في عيسى بعد بيان أمره ووضوح حاله، فصممت طائفة من اليهود عليهم لعائن الله، على أنه ساحر وولد زنية، وقال آخرون هو ابن الله، وقال آخرون بل هو عبد الله ورسوله، وهذا هو الحق الذي هدى الله إليه المؤمنين. ﴿فويل للذين كفروا من مشهد يوم عظيم﴾ يوم القيامة ٣٨: ﴿أسمع بهم وأبصر يوم يأتوننا﴾ ما أسمعهم وأبصرهم يوم القيامة ولكن لا يضعهم ولا يجدي عنهم شيئا، ولو كان هذا قبل معاناة العذاب لكان نافعا لهم ومنقدا من عذاب الله ﴿لكن الظالمون اليوم﴾ في الدنيا ﴿في ضلال مبين﴾ لا يسمعون ولا يبصرون الهدى ولا يهتدون.

الآية: ٢٨ روى مسلم عن المغيرة بن شعبة رضي الله عنه، قال: بعني رسول الله ﷺ إلى نجران، فقالوا: رأيت منقرأون: ﴿يا أخت هارون﴾ وموسى قبل عيسى بكذا وكذا؟ قال: فرجعت فذكرت ذلك لرسول الله ﷺ، فقال: «ألا أخبرهم أنهم كانوا يُسمَوْنَ بالأنبياء والصالحين قبلهم»!!! /ابن كثير ج ١١٩/٣

الآية: ٣٥ جاء في الصحيح المتفق على صحته عن عبادة بن الصامت، رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ شَهِدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ =

وَأَنْذَرَهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٩﴾ إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِنَّا يُرْجَعُونَ ﴿٤٠﴾ وَأَذْكُرُ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا ﴿٤١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا ﴿٤٢﴾ يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا ﴿٤٣﴾ يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا ﴿٤٤﴾ يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا ﴿٤٥﴾ قَالَ أَرَأَيْتَ أَنْتَ عَنِ الْهَيْتِي يَتَّبِعُونِي كَيْفَ يَحْكُمُونَ لِي لَمْ تَنْتَهَ لِأَرْجَمْنَاكَ وَآهَجَرْنَا فِي مِلْيَأٍ ﴿٤٦﴾ قَالَ سَلِّمْ عَلَيَّ سَأَسْتَغْفِرَ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ فِي حَفِيًّا ﴿٤٧﴾ وَأَعْتَزِلْكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُوا رَبِّي عَسَىٰ أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا ﴿٤٨﴾ فَلَمَّا اعْتَرَاهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا ﴿٤٩﴾ وَوَهَبْنَا لَهُمْ مِنْ رَحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا ﴿٥٠﴾ وَأَذْكُرُ فِي الْكِتَابِ مُوسَىٰ إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا ﴿٥١﴾

٣٩: ﴿وَأَنْذَرَهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ﴾ فَصَلَ بَيْنَ أَهْلِ الْجَنَّةِ وَأَهْلِ النَّارِ، ﴿وَهُمْ﴾ الْيَوْمَ ﴿فِي غَفْلَةٍ﴾ عَمَّا أَنْذَرُوا بِهِ يَوْمَ الْحَسْرَةِ وَالتَّدَامَةِ ﴿وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ بِهِ ٤٠: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا﴾ يَوْمَ لَا يَدْعِي أَحَدٌ مَلَكًا وَلَا تَصْرَفًا، بَلْ هُوَ الْوَارِثُ لِجَمِيعِ خَلْقِهِ، الْبَاقِي الْحَاكِمُ فِيهِمْ، ﴿وَإِنَّا يُرْجَعُونَ﴾ ٤١: ﴿وَأَذْكُرُ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ﴾ وَآثُلُ يَاعْمَدُ عَلَى قَوْمِكَ الَّذِينَ يَعْبُدُونَ الْأَصْنَامَ خَيْرَ إِبْرَاهِيمَ الَّذِينَ هُمْ مِنْ ذُرِّيَّتِهِ وَيَدْعُونَ أَنَّهُمْ عَلَى مِلَّةِ ﴿إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا﴾ مَعَ أَبِيهِ كَيْفَ نَهَاهُ عَنْ عِبَادَةِ الْأَصْنَامِ ٤٢: ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا﴾ لِاتْنَفَعُ وَلَا يَدْفَعُ عَنْكَ ضَرًّا ٤٣: ﴿يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ﴾ إِنْ كُنْتُ تَرَانِي أَنِّي مِنْ صُلْبِكَ وَأَنِّي وَلَدُكَ فَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَّمَنِي مَا لَمْ تَعْلَمْهُ أَنْتَ وَلَا طَلَعْتَ عَلَيْهِ ﴿فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا﴾ طَرِيقًا مُوصِلًا إِلَى نَيْلِ النِّجَاةِ ٤٤: ﴿يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ﴾ لِأَنَّهُ يَهْدِي فِي عِبَادَةِ الْأَصْنَامِ، ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا﴾ مَخَالِفًا لِرَبِّهِ مُسْتَكْبِرًا عَنْ طَاعَتِهِ، فَطَرَدَهُ وَأَبْعَدَهُ، فَلَا تَتَّبِعْهُ، تَصِيرُ مِثْلَهُ ٤٥: ﴿يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ﴾ عَلَى شَرِكِكَ وَعِضْيَانِكَ لِمَا أَمَرَكَ بِهِ ﴿فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا﴾ مَوْلِيًّا، فَلَا يَكُونُ لَكَ مَوْلَى وَلَا نَاصِرًا إِلَّا إِبْلِيسَ، وَلَيْسَ إِلَيْهِ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ ٤٦: ﴿قَالَ﴾ جَوَابًا لَوْلَدِهِ إِبْرَاهِيمَ فِيمَا دَعَاهُ إِلَيْهِ:

﴿أَرَأَيْتَ أَنْتَ عَنِ الْهَيْتِي يَتَّبِعُونَ؟ لَاتَرْضَاهَا؟ فَانْتَهَ عَنْ سَبِّهَا وَشْتَمَهَا، ﴿لَنْ لَمْ تَنْتَهَ﴾ عَنْ عَيْبِهَا وَشْتَمِهَا ﴿لَأَرْجَمَنَّكَ﴾ [أَي: بِالْحِجَارَةِ] ﴿وَآهَجَرْنَا فِي مِلْيَأٍ﴾ [أَي: اعْتَرَانِي] سَأَلْنَا قَبْلَ أَنْ تَصِيْبَكَ مِنِّي عَقُوبَةً ٤٧: فَعِنْدَهَا قَالَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ: ﴿سَلِّمْ عَلَيَّ﴾ فَلَا يَنَالُكَ مِنِّي مَكْرُوهٌ لِحُرْمَةِ الْأَبَوَّةِ. ﴿سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي﴾ سَأَسْأَلُ اللَّهَ فِيكَ أَنْ يَهْدِيكَ وَيَغْفِرَ ذَنْبَكَ ﴿إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا﴾ لَطِيفًا أَنْ هَدَانِي لِعِبَادَتِهِ وَالْإِخْلَاصَ لَهُ ٤٨: ﴿وَأَعْتَزِلْكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ وَأَحْتَجِبُكُمْ وَأَتَرَّبُكُمْ مِنْكُمْ وَمَنْ أَهْتَمَّكَ الَّتِي تَعْبُدُونَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ ﴿وَأَدْعُوا رَبِّي﴾ أَبْعِدْهُ وَحْدَهُ لِأَشْرِكِ لَهُ، ﴿عَسَىٰ أَنْ لَا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا﴾ وَعَسَىٰ هَذِهِ مَوْجِبَةٌ لِأَحْوَالِهِ فَانْتَهَ عَلَيْهِ السَّلَامُ سَيِّدُ الْأَنْبِيَاءِ بَعْدَ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ٤٩: ﴿فَلَمَّا اعْتَرَاهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ﴾ جَعَلْنَا لَهُ نَسْلًا وَعَقِبًا ﴿وَكَوَلَّا جَعَلْنَا نَبِيًّا﴾ أَمَرَ اللَّهُ بِهِمْ عَيْنَهُ فِي حَيَاتِهِ، ﴿وَكَوَلَّا قَالَ تَعَالَى فِي سُورَةِ الْعَنْكَبُوتِ: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ﴾] ٥٠: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُمْ مِنْ رَحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا﴾ فَجَمِيعُ الْمَلَلِ يَشْتَوْنَ عَلَيْهِمْ وَيَمْدَحُونَهُمْ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ ٥١: ﴿وَأَذْكُرُ فِي الْكِتَابِ مُوسَىٰ﴾ الْكَلِمَةُ ﴿إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا﴾ كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ﴾، ﴿وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا﴾ جَمَعَ لَهُ بَيْنَ الرَّصْفَيْنِ، فَإِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ الْكِبَارِ أَوْلَى الْعَزْمِ الْخَمْسَةِ، وَهُمْ نُوحٌ وَإِبْرَاهِيمُ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى وَمُحَمَّدٌ صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ وَعَلَى سَائِرِ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ.

وذلك حين ذهب موسى يتبعني من تلك النار جذوة، حين رآها تلوح في جانب الطور الأيمن منه غريبه عند شاطئ الوادي، فكلمه الله تعالى وناداه ﴿وقربناه نجياً﴾ رأى أدبانه بتقريب المنزلة حتى كلمناه. والنحي بمعنى المناجي. فالتقريب هنا هو تقرب التشريف والإكرام؛ مثلت حاله بحال من قرّبه الملك لمناجاته ﴿٥٣﴾: ﴿ووهبنا له من رحمتنا أخاه هَارُونَ نَبِيًّا﴾ وكان هارون أكبر من موسى فوهب له نبوته، أي: وأجبنا سؤاله وشفاعته في أخيه فجعلناه نبياً ﴿٥٤﴾: ﴿وَأَذْكُرُ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا﴾ هذا نداء من الله تعالى على إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام، وهو والد عرب الحجاز كلهم؛ بأنه كان صادق الوعد لأنه قال لأبيه: ﴿استجديني إن شاء الله من الصابرين﴾ فصدق في الوعد. ﴿وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا﴾ في هذا دلالة على شرف إسماعيل على أخيه إسحاق، لأنه إنما وصفه بالنبوة فقط ﴿٥٥﴾: ﴿وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا﴾ هذا أيضاً من النشاء الجميل والصفة الحميدة، كما قال الله تعالى لنبية صلى الله عليه وآله وسلم: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾ ﴿٥٦﴾: ﴿وَأَذْكُرُ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ﴾ ذكره تعالى بالنشاء عليه ﴿إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا﴾ ﴿٥٧﴾: ﴿وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾ وفي الصحيح أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مرّ بوليّة الإمراء والمعراج

الْحَجْرَةُ
١١
سَجْدَةٌ

وَنَدَيْنَهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا ﴿٥٢﴾ وَوَهَبْنَا لَهُ مِنْ رَحْمَتِنَا أَخَاهُ هَارُونَ نَبِيًّا ﴿٥٣﴾ وَأَذْكُرُ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا ﴿٥٤﴾ وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا ﴿٥٥﴾ وَأَذْكُرُ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا ﴿٥٦﴾ وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا ﴿٥٧﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ مِنْ ذُرِّيَةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِنْ ذُرِّيَةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا إِذِ انْتَلَى عَلِيمُ آيَاتُ الرَّحْمَنِ خُرُوعًا وَسَجْدًا وَكَيْبًا ﴿٥٨﴾ فَخَلَفَ مِنْ بَعدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهْوَاتِ فَسُوفَ يَلْقَوْنَ غِيًّا ﴿٥٩﴾ إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْئًا ﴿٦٠﴾ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدَ الرَّحْمَنُ عِبَادَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّهُ كَانَ وَعْدُهُ مَأْتِيًّا ﴿٦١﴾ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَامًا وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةٌ وَعِشْيَاءٌ ﴿٦٢﴾ تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَنْ كَانَ تَقِيًّا ﴿٦٣﴾ وَمَا نُنزِّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ﴿٦٤﴾

وهو في السماء الرابعة. فإدريس رُفِعَ ولم يمض كما رُفِعَ عيسى ﴿٥٨﴾: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ مِنْ ذُرِّيَةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِنْ ذُرِّيَةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ﴾ فَرَقَ أُنْسَابَهُمْ وَإِنْ كَانَ يَجْمَعُهُمْ آدَمَ، ﴿وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا﴾ من لوط ويونس واليسع، ﴿إِذَا تَنَلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا﴾ هؤلاء إذا سمعوا كلام الله سجدوا لرهبهم خضوعاً واستكانة حمداً وشكراً على ما هم فيه من النعم العظيمة ﴿٥٩﴾: ﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ﴾ خلفهم قرون أخر أضاعوا الصلاة فهم لِمَا سِوَاهَا مِنَ الْوَأْجِبَاتِ أَضْيَعُ، لِأَنَّهَا عِمَادُ الدِّينِ ﴿وَاتَّبَعُوا الشَّهْوَاتِ﴾ وَأَقْبَلُوا عَلَى شَهْوَاتِ الدُّنْيَا وَرَضُوا بِهَا، ﴿فَسُوفَ يَلْقَوْنَ غِيًّا﴾ خساراً وشرّاً في وادٍ في جهنم بعيد القعر ﴿٦٠﴾: ﴿إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا﴾ فَإِنَّ اللَّهَ يَقْبَلُ تَوْبَتَهُ وَيُحْسِنُ عَاقِبَتَهُ، ﴿فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْئًا﴾، وذلك لأن التوبة تجب ما قبلها ﴿٦١﴾: ﴿جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدَ الرَّحْمَنُ عِبَادَهُ بِالْغَيْبِ﴾ هي من الغيب الذي يؤمنون به وما رواه، وذلك لشدة إيمانهم وقوة إيمانهم، ﴿إِنَّهُ كَانَ وَعْدُهُ مَأْتِيًّا﴾ تأكيداً لحصول ذلك ونبوته ﴿٦٢﴾: ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا﴾ ليس فيها كلام ساقط تافه لا معنى له كما في الدنيا، ﴿إِلَّا سَلَامًا وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةٌ وَعِشْيَاءٌ﴾ في مثل وقت البكرات والعشيات، لأنه ليس في الجنة ليل، بل هم في نور أبداً ﴿٦٣﴾: ﴿تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَنْ كَانَ تَقِيًّا﴾ هذه الجنة التي هذه صفتها هي للمطيعين لله في السراء والضراء ﴿٦٤﴾: ﴿وَمَا نُنزِّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ﴾ وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال لجبريل: ﴿ما يمنعك أن تزورنا أكثر مما تزورنا؟﴾ فأنزل الله هذه الآية. ﴿لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا﴾ من أمر الدنيا ﴿وَمَا خَلْفَنَا﴾ من أمر الآخرة ﴿وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ﴾ ما بين النفتين ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾.

٦٥: ﴿رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا؟﴾ هل تعلم للربّ مثلاً أو شبيهاً؟ [لايس كمثلها شيء] ٦٦: ﴿وَيَقُولُ الْإِنْسَانُ أَإِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجَ حَيًّا؟﴾ وسوف أخرج حياً؟! يتعجب الإنسان ويستبعد إعادته بعد موته ٧٦: ﴿أَوَلَا يَذْكُرُ الْإِنْسَانُ أَنَا خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئًا﴾ ٦٧: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَحْضِرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا﴾ ١٨: ﴿ثُمَّ لَنَنْزِعَنَّ مِنْ كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَنِ عُنِيًّا﴾ ٦٩: ﴿ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِالَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا صِلِيًّا﴾ ٧٠: ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا﴾ ٧١: ﴿ثُمَّ نَجِيَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا﴾ ٧٢: ﴿وَإِذَا تَلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيَّنَّتْ قَالِ الَّذِينَ كَفَرُوا لَئِذَا آمَنُوا أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا﴾ ٧٣: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هُمْ أَحْسَنُ أَثْنَاءَ وَرِعِيًّا﴾ ٧٤: ﴿قُلْ مَنْ كَانَ فِي الضَّلَالَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَنُ مَدًّا حَتَّىٰ إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ إِمَّا الْعَذَابَ وَإِمَّا السَّاعَةَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضْعَفُ جُنْدًا﴾ ٧٥: ﴿وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى وَالْبَاقِيَتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَرَدًّا﴾ ٧٦: ﴿وَإِذَا تَلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيَّنَّتْ قَالِ الَّذِينَ كَفَرُوا لَئِذَا آمَنُوا أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا﴾ يقولون عن الذين آمنوا مفتخرين عليهم ويحتجون على صحة ما هم عليه من الباطل بأنهم أحسن منازل وأرفع دُوراً وأحسن ندياً ٧٤: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ مِنْ أُمَّةٍ مِنْ الْمُكذِبِينَ قَدْ أَهْلَكْنَاهُمْ بِكُفْرِهِمْ﴾ ﴿هُمُ أَحْسَنُ أَثْنَاءَ وَرِعِيًّا﴾ كانوا أحسن من هؤلاء أموالاً وأمتعة ومناظر وأشكالاً ٧٥: ﴿قُلْ مَنْ كَانَ فِي الضَّلَالَةِ قُلْ يَأْمُرُ الْمُشْرِكِينَ﴾ ﴿فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَنُ مَدًّا﴾ فأمله الرحمن فيها هو فيه حتى يلقى ربه وينقضي أجله ﴿إِمَّا الْعَذَابَ﴾ يُصِيبُهُ ﴿وَإِمَّا السَّاعَةَ﴾ بَعَثَ تَأْتِيهِ ﴿فَسَيَعْلَمُونَ﴾ حينئذٍ ﴿مَنْ هُوَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضْعَفُ جُنْدًا﴾ في مقابلة ما احتجوا به من خيرية المقام وحسن الندى ٧٦: ﴿وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى﴾ لما ذكر تعالى إمداداً من هو في الضلالة فيها هو فيه وزيادته على ما هو عليه أخبر سبحانه بزيادة المهتدين هُدًى، ﴿وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَرَدًّا﴾ وهي: سبحان الله والحمد لله والله أكبر ولا إله إلا الله، خير جزاء ﴿وَخَيْرٌ مَرَدًّا﴾ عاقبة و مرداً على صاحبها.

٦٥: ﴿رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا؟﴾ ٦٦: ﴿وَيَقُولُ الْإِنْسَانُ أَإِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجَ حَيًّا؟﴾ ٦٧: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَحْضِرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا﴾ ١٨: ﴿ثُمَّ لَنَنْزِعَنَّ مِنْ كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَنِ عُنِيًّا﴾ ٦٩: ﴿ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِالَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا صِلِيًّا﴾ ٧٠: ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا﴾ ٧١: ﴿ثُمَّ نَجِيَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا﴾ ٧٢: ﴿وَإِذَا تَلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيَّنَّتْ قَالِ الَّذِينَ كَفَرُوا لَئِذَا آمَنُوا أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا﴾ ٧٣: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هُمْ أَحْسَنُ أَثْنَاءَ وَرِعِيًّا﴾ ٧٤: ﴿قُلْ مَنْ كَانَ فِي الضَّلَالَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَنُ مَدًّا حَتَّىٰ إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ إِمَّا الْعَذَابَ وَإِمَّا السَّاعَةَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضْعَفُ جُنْدًا﴾ ٧٥: ﴿وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى وَالْبَاقِيَتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَرَدًّا﴾ ٧٦

الآية: ٧١ روى عبدالرزاق عن قيس بن أبي حازم قال: بكى عبدالله بن رواحة فسألته امرأته عما بيكيه، قال: (إني ذكرت قول الله عز وجل: ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾ فلا أدري أنجو منها أم لا. وكان مريضاً. وقال عبدالله بن المبارك عن الحسن البصري قال: قال رجل لأخيه: هل أتاك أنك وارد النار؟ قال: نعم، قال: هل أتاك أنك صادر عنها؟ قال: لا، قال: فقم الضحك؟! قال: فما ربي ضاحكاً حتى لحق بالله. [سأل الله تعالى العفو يوم لقاءه والنجاة من النار بعد الحساب.] /ابن كثير ج١/١٣٢/

٧٧: ﴿أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لَأُوتِينَ مَالًا وَّوَلَدًا﴾ نزلت في العاص بن وائل، قال خيب: كان لي عليه دين فأتيته أتعاضاه منه، فقال: لأفضيلك، إني إذا مُتُّ ثم بُعثت جنتي ولي مالٌ وولدٌ فأعطيتك ٧٨: ﴿أَطْلَعِ الْغَيْبَ﴾؟ إنكارٌ على هذا القائل، أي: أعلم ماله في الآخرة حتى تألَّى على ذلك ﴿أَمْ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا﴾ أم له عند الله مالاً وولداً؟ يعني: يوم القيامة له عهدٌ عند الله سيؤتيه ذلك؟ ٧٩: ﴿كَلَّا﴾ ردعٌ لما قبلها وتأكيده لما بعدها ﴿سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ﴾ من طلبه وحكمه لنفسه بما يتمناه وكفره بالله ﴿وَنُمَدُّ لَهُ مِنَ الْعَذَابِ مَدًّا﴾ في الآخرة على كفره بالله ٨٠: ﴿وَنُرِثُهُ مَا يَقُولُ﴾ من مال وولد، نسلبه منه عكس ما قال، ﴿وَيَأْتِينَا فَرْدًا﴾ لآماله له ولا ولد، لا يتبعه قليلٌ ولا كثير ٨١: ﴿وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لِيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا﴾ يعزُّون بها ويستصرونها، ثم أخبرهم أنه ليس الأمر كما زعموا: ٨٢: ﴿كَلَّا سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ﴾ يوم القيامة ﴿وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ صِدْقًا﴾ بخلاف ما ظنوا فيهم ٨٣: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَوَزَّهُمْ أَزْوَاجًا﴾ نفوهم وتحرَّضهم إلى معاصي الله ٨٤: ﴿فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ﴾ يا محمد ﴿إِنَّمَا نُوْحِرُهُمْ لِأَجَلٍ مُّعَدودٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ إِلَى عَذَابِ اللَّهِ﴾ ٨٥: ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا﴾ والوفد: هم القادمون رُكبانا، أي: هم قادمون على خير موفودٍ إليه ٨٦: ﴿وَنَسُوقُ

أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لَأُوتِينَ مَالًا وَّوَلَدًا ﴿٧٧﴾ ﴿أَطْلَعِ الْغَيْبَ أَمْ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا﴾ ﴿٧٨﴾ ﴿سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُ مِنَ الْعَذَابِ مَدًّا﴾ ﴿٧٩﴾ ﴿وَنُرِثُهُ مَا يَقُولُ وَيَأْتِينَا فَرْدًا﴾ ﴿٨٠﴾ ﴿وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لِيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا﴾ ﴿٨١﴾ ﴿كَلَّا سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا﴾ ﴿٨٢﴾ ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَوَزَّهُمْ أَزْوَاجًا﴾ ﴿٨٣﴾ ﴿فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَذَابًا﴾ ﴿٨٤﴾ ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا﴾ ﴿٨٥﴾ ﴿وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَى جَهَنَّمَ وَرِدًّا﴾ ﴿٨٦﴾ ﴿لَا يَمْلِكُونَ الشَّفْعَةَ إِلَّا مَنِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا﴾ ﴿٨٧﴾ ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِذَا﴾ ﴿٨٨﴾ ﴿تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَنْفَطِرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا﴾ ﴿٨٩﴾ ﴿أَنْ دَعَا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا﴾ ﴿٩٠﴾ ﴿وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا﴾ ﴿٩١﴾ ﴿إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا﴾ ﴿٩٢﴾ ﴿لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا﴾ ﴿٩٣﴾ ﴿وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا﴾ ﴿٩٤﴾

المجرمين إلى جهنم ورداً﴾ يُساقون عنفاً إلى النار عطاشاً ٨٧: ﴿لَا يَمْلِكُونَ الشَّفَاعَةَ﴾ ليس لهم من يشفع لهم، كما يشفع المؤمنون بعضهم لبعض، ﴿إِلَّا مَنْ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا﴾ وهو شهادة أن لا إله إلا الله والقيام بحقها ٨٨: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا﴾ هذا إنكارٌ على من زعم ذلك، تعالى الله وتقدس وتزه عن ذلك علواً كبيراً ٨٩: ﴿لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِذَا﴾ عظيماً ٩٠: ﴿تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَنْفَطِرْنَ مِنْهُ﴾ يتشققن ﴿وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا﴾ يكاد يكون ذلك عند سماعهن هذه المقالة من فجرة بني آدم إعظاماً للرب سبحانه ٩١: ﴿أَنْ دَعَا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا﴾ وفي الصحيحين: ﴿إنهم يجعلون له ولداً وهو يريزهم ويُعافيه﴾ ٩٢: ﴿وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا﴾ لا يليق به لجلاله وعظمته لأنه لا كفاء له من خلقه، لأن جميع الخلائق عبده ٩٣: ﴿إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا﴾ أي: إلا وهو يأتي يوم القيامة مقرأً له بالعبودية خاضعاً ذليلاً ٩٤: ﴿لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا﴾ قد علم عددهم منذ خلقهم إلى يوم القيامة ٩٥: ﴿وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا﴾ لناصر له ولا مجير إلا الله وحده لا شريك له، فيحكم في خلقه بما يشاء، وهو العادل الذي لا يظلم ذرةً ولا يظلم أحداً.

الآية: ٨٧ في حديث الشفاعة في الصحيحين: ﴿بأنوني فيقولون: يا محمد أنت رسول الله وخاتم الأنبياء وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر، اشفع لنا إلى ربك، ألا ترى إلى ما نحن فيه؟ فأنطلق فأتى تحت العرش، فأقع ساجداً لربي، ثم يفتح الله علي من حماده وحسن النشاء عليه شيئاً لم يفتحه على أحد قبلي، ثم يقال: يا محمد ارفع رأسك، سل نطقه، واشفع نفسك، فأرفع رأسي، فأقول: أمني يارب أمني يارب أمني. فيقال: يا محمد أدخل من أمك من لاحتساب عليهم من الباب الأيمن من أبواب الجنة، وهم شركاء الناس فيما سوى ذلك من الأبواب﴾ ثم قال: ﴿والذي نفسي بيده إن ما بين المصارعين من مصارع الجنة كما بين مكة وهاجر، أو كما بين مكة وبُصرى!!﴾ // الترغيب ج ٤/٤٤٤ - ٤٤٥

إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ
الرَّحْمَنُ وُدًّا ﴿٩٦﴾ فَإِنَّمَا يَسْتَرْنَهُ لِبَلْسَانِكَ لِيُبَشِّرَ بِهِ
الْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِ قَوْمًا لَدًّا ﴿٩٧﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمُ
مِّن قَرْنٍ هَلْ يُحِسُّ مِنْهُمْ مِّنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا ﴿٩٨﴾

سُورَةُ طه

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

طه ﴿١﴾ مَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى ﴿٢﴾ إِلَّا تَذَكُّرَةً
لِّمَن يَخْشَى ﴿٣﴾ تَنزِيلًا مِّن مَّن خَلَقَ الْأَرْضَ وَالسَّمَوَاتِ الْعُلَى ﴿٤﴾
الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ﴿٥﴾ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي
الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَى ﴿٦﴾ وَإِن تَجَهَّرَ بِالْقَوْلِ
فَأَنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى ﴿٧﴾ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ
الْحُسْنَى ﴿٨﴾ وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى ﴿٩﴾ إِذ رَأَى أَنَارًا
فَقَالَ لَأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَّعَلِّي آتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ
أَوْ آجِدُ عَلَى النَّارِ هُدًى ﴿١٠﴾ فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ يَمْوَسَى ﴿١١﴾
إِنِّي أَنَارُكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٢﴾

٩٦: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾

التي رضي الله عز وجل لمتابعتها الشريعة الحمديّة، ﴿سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا﴾ يغرس لهم في قلوب عباده الصالحين محبة ومودة، وقد وردت بذلك الأحاديث الصحيحة، روى الإمام أحمد أنّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: ﴿إِنَّ اللَّهَ إِذَا أَحَبَّ عَبْدًا دَعَا جَبْرِيْلَ، فَقَالَ: يَا جَبْرِيْلُ إِنِّي أَحَبُّ فَلَانًا فَأُحِبُّهُ، قَالَ: فَيُحِبُّهُ جَبْرِيْلُ، قَالَ: ثُمَّ يُنَادِي فِي أَهْلِ السَّاءِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ فَلَانًا فَأُحِبُّوهُ، قَالَ: فَيُحِبُّهُ أَهْلُ السَّاءِ، ثُمَّ يُوضَعُ لَهُ الْقَبُولُ فِي الْأَرْضِ﴾ الحديث ٩٧: ﴿فَإِنَّمَا يَسْتَرْنَاهُ﴾ يعني القرآن ﴿بِلِسَانِكَ﴾ يا محمد وهو اللسان العربي الفصيح ﴿لِيُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ﴾ المستجيبين لله المصدقين لرسوله، ﴿وَتُنذِرَ بِهِ قَوْمًا لَدًّا﴾ لا يستقيمون على الحق فهم مائلون إلى الباطل. والألذ: الخصم الكذاب الفاجر ٩٨: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمُ مِنْ قَرْنٍ﴾ من أمة كفرها بآيات الله ﴿هَلْ يُحِسُّ مِنْهُمْ مِنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا﴾ هل ترى منهم أحداً أو تسمع لهم صوتاً. والركز في اللغة: هو الصوت الخفي.

تفسير سورة طه

١: ﴿طه﴾ ٢: ﴿مَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى﴾ لا يخفى ما في هذا من الإكرام وحسن المعاملة. قال المشركون: ما أنزل هذا القرآن على محمد إلا ليشقى، فأنزل الله هذه الآية. أي: لا والله ما جعله شقاءً ولكن جعله رحمةً ونوراً ودليلاً إلى الجنة ٣: ﴿إِلَّا تَذَكُّرَةً

لِّمَن يَخْشَى﴾ ليندكر ذاكر ويتفجع رجل بما سمع من كتاب الله، وهو ذكر أنزل الله فيه حاله وحرمانه ٤: ﴿تَنزِيلًا مِّن مَّن خَلَقَ الْأَرْضَ وَالسَّمَوَاتِ الْعُلَى﴾ هذا القرآن الذي جاءك يا محمد هو تنزيل من ربك ورب كل شيء ومليكه القادر على ما يشاء ٥: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ تقدم الكلام في سورة الأعراف آية ٤-٥/ أن المسلك الأسلم في [الآيات المتشابهات وآيات الصفات] على طريقة السلف، إمرار ما جاء في ذلك من الكتاب والسنة من غير تكليف ولا تحريف ولا تشبيه ولا تعطيل ولا تمثيل ٦: ﴿لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَى﴾ الجميع ملكه وفي قبضته وإرادته ٧: ﴿وَإِن تَجَهَّرَ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى﴾ يعلم ما أسرّه ابن آدم في نفسه، وما أخفى عما هو فاعله ٨: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ هو ذو الأسماء الحسنى والصفات العلى ٩: ﴿وَهِلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى﴾ قصة موسى وكيف كان ابتداء الوحي إليه ١٠: ﴿إِذْ رَأَى نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ لِيُبَشِّرَهُمْ﴾ أي: أنست نارا لعلّي آتيكم منها بقبس، بشهاب من نار ﴿أَوْ آجِدُ عَلَى النَّارِ هُدًى﴾ من يهديني الطريق [وكان قد أضل الطريق] ١١: ﴿فَلَمَّا أَتَاهَا﴾ النار واقترب منها ﴿نُودِيَ يَمْوَسَى﴾ ١٢: ﴿إِنِّي أَنَارُكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى﴾ طوى: اسم الوادي.

الآية: ٩٦ روى البخاري ومسلم وأحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: ﴿إِنَّ اللَّهَ إِذَا أَحَبَّ عَبْدًا دَعَا جَبْرِيْلَ، فَقَالَ: يَا جَبْرِيْلُ إِنِّي أَحَبُّ فَلَانًا فَأُحِبُّهُ، قَالَ: فَيُحِبُّهُ جَبْرِيْلُ، قَالَ: ثُمَّ يُنَادِي فِي أَهْلِ السَّاءِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ فَلَانًا فَأُحِبُّوهُ، قَالَ: فَيُحِبُّهُ أَهْلُ السَّاءِ، ثُمَّ يُوضَعُ لَهُ الْقَبُولُ فِي الْأَرْضِ، قَالَ: فَيُحِبُّهُ جَبْرِيْلُ، قَالَ: ثُمَّ يُنَادِي فِي أَهْلِ السَّاءِ، قَالَ: فَيُحِبُّهُ أَهْلُ السَّاءِ، ثُمَّ يُوضَعُ لَهُ الْقَبُولُ فِي الْأَرْضِ﴾. ابن كثير ج ٣/١٣٩

١٣: ﴿وَأَنَا اخْتَرْتُكَ﴾ على جميع الناس من الموجودين في زمانه، ﴿فاستمع لما يُوحى﴾ استمع الآن ما أوحى إليك ١٤: ﴿إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا﴾ هذا أول واجب على المكلفين ﴿فَاعْبُدْنِي﴾ وحدي من غير شريك، ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِدِكْرِي﴾ صلّ لتذكركي ١٥: ﴿إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ﴾ كائنة لا يذ منها ﴿أَكَادُ أَحْفِيهَا﴾ كتمتها عن الخلائق [وأكاد أبلغ في إخفائها]، ﴿لَتَجْزِيَّ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَى﴾ أقيمها لأجزى كل عامل بعمله ١٦: ﴿فَلَا يَصُدُّكَ عَنْهَا مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهَا﴾ المراد بهذا الخطاب آحاد المكلفين؛ أي: لاتبعوا سبيل من كذب بالساعة ﴿وَإِتَّبِعْ هَوَا فَرْدِي﴾ فهلك ١٧: ﴿وَمَاتَكَ يَمِينِكَ يَامُوسَى﴾ استفهام تقرير ١٨: ﴿قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا﴾ أعتمد عليها في حال المشي ﴿وَأَهْشُ بِهَا عَلَى غَنَمِي﴾ أهرز بها الشجرة لتيساقط ورقها لترعاه غنمي ﴿وَلِي فِيهَا مَارِبٌ أُخْرَى﴾ مصالح ومنافع وحاجات أخرى ١٩: ﴿قَالَ أَلْقِهَا يَامُوسَى﴾ ﴿فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حِيَّةٌ تَسْعَى﴾ صارت ثعباناً طويلاً يتحرك في غاية السرعة ٢٠: ﴿قَالَ خُذْهَا وَلَا تَحْفَظْ﴾ إنه ولي مُذْبِرٌ [لما رآها تتلعج كل شيء مرت عليه] نُودِي أَن يَامُوسَى خُذْهَا وَلَا تَحْفَظْ إِنَّكَ مِنَ الْآمِنِينَ ٢١: ﴿وَأَضْمُمُ يَدَكَ إِلَى جَنَاحِكَ تَخْرُجُ بِيضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ آيَةٌ أُخْرَى﴾ هذا برهان ثانٍ لموسى وهو أن يدخل يده في جيبه، أي: أن يدخل كفه تحت

وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى ﴿١٣﴾ إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي ﴿١٤﴾ إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أَحْفِيهَا لِتَجْزِيَّ كُلِّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَى ﴿١٥﴾ فَلَا يَصُدُّكَ عَنْهَا مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبِعْ هَوَاهُ فَتَرْدَى ﴿١٦﴾ وَمَاتَكَ يَمِينِكَ يَمُوسَى ﴿١٧﴾ قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهْشُ بِهَا عَلَى غَنَمِي وَلِي فِيهَا مَارِبٌ أُخْرَى ﴿١٨﴾ يَمُوسَى ﴿١٩﴾ فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حِيَّةٌ تَسْعَى ﴿٢٠﴾ قَالَ خُذْهَا وَلَا تَحْفَظْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَى ﴿٢١﴾ وَأَضْمُمُ يَدَكَ إِلَى جَنَاحِكَ تَخْرُجُ بِيضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ آيَةٌ أُخْرَى ﴿٢٢﴾ لِزَيْدِكَ مِنْ آيَاتِنَا الْكُبْرَى ﴿٢٣﴾ أَذْهَبَ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى ﴿٢٤﴾ قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي ﴿٢٥﴾ وَبَسِّرْ لِي أَمْرِي ﴿٢٦﴾ وَأَحْلِلْ عُقْدَةَ مِنِّ لِسَانِي ﴿٢٧﴾ يَقْفُوهَا قَوْلِي ﴿٢٨﴾ وَأَجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي ﴿٢٩﴾ هَرُونَ أَخِي ﴿٣٠﴾ أَشَدُّ بِهِ أَزْرَى ﴿٣١﴾ وَأَشْرِكُهُ فِي أَمْرِي ﴿٣٢﴾ كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا ﴿٣٣﴾ وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا ﴿٣٤﴾ إِنَّكَ كُنْتَ بِنَا بَصِيرًا ﴿٣٥﴾ قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَمُوسَى ﴿٣٦﴾ وَلَقَدْ مَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَى ﴿٣٧﴾

عضديه يخرج يتلألاً كأنه فلقه قمر، ﴿من غير برص ولا أذى﴾ فأخرج يده كأنها مصباح فعلم موسى أنه قد لقي ربه عز وجل، ولهذا قال تعالى: ﴿٢٣﴾ ﴿لِزَيْدِكَ مِنْ آيَاتِنَا الْكُبْرَى﴾ العظمى ٢٤: ﴿أَذْهَبَ إِلَى فِرْعَوْنَ﴾ ملك مصر ﴿إِنَّهُ طَغَى﴾ وبني ٢٥: ﴿قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي﴾ سألته أن يشرح له صدره فيما بعته به، فإنه أمر عظيم، بعته إلى أعظم ملوك الأرض وأطغاهم ٢٦: ﴿وَبَسِّرْ لِي أَمْرِي﴾ وإلا فلا طاقة لي بذلك ٢٧: ﴿وَأَحْلِلْ عُقْدَةَ مِنِّ لِسَانِي﴾ وذلك لما أصابه من اللغز حين عرض عليه التمرة والجمرة فأخذ الجمرة فوضعها على لسانه ٢٨: ﴿يَقْفُوهَا قَوْلِي﴾ كفي يفقه كلامي ٢٩: ﴿وَأَجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي﴾ هذا سؤال من موسى في أمر خارجي عنه ٣٠: ﴿هَرُونَ أَخِي﴾ سأل مساعدة أخيه هارون له. فنبىء ساعيد ٣١: ﴿أَشَدُّ بِهِ أَزْرَى﴾ ظهري ٣٢: ﴿وَأَشْرِكُهُ فِي أَمْرِي﴾ في مشاورتي ٣٣: ﴿كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا﴾ ٣٤: ﴿وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا﴾ قال مجاهد: لا يكون العبد من الذاكرين الله كثيراً حتى يذكر الله قائماً وقاعداً ومضطجعاً ٣٥: ﴿إِنَّكَ كُنْتَ بِنَا بَصِيرًا﴾ في اصطفاك لنا وإعطائك إيانا النبوة ٣٦: ﴿قَالَ﴾ الله لرسوله موسى فيما سأله: ﴿قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَامُوسَى﴾ ٣٧: ﴿وَلَقَدْ مَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَى﴾ تذكير له بنعمة سألته عليه فيما كان من أمر أمه حين كانت ترضعه وتحذر عليه من فرعون.

٣٨: ﴿إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰ﴾ [أي: ألهماها] ٣٩: ﴿أَنْ أَقْدِفِيهِ فِي التَّابُوتِ﴾ فاتخذت له تابوتاً، فكانت ترضعه ثم تضعه فيه ﴿فَأَقْدِفِيهِ فِي الْبَيْمِ﴾ فضعه فيه وترسله في النيل، وتمسكه إلى منزلها بجبل، تحدر عليه من فرعون وملئه أن يقتلوه لأنه كان قد وُلِدَ في السنة التي يقتلون فيها الأولاد، ﴿فَلْيُلْقِهِ الْبَيْمُ﴾ ذهب مرةً لتربط الحبل فانفلت منها وذهب به [اليَمُّ لِيُلْقِيَهُ بِسَاحِلِ قَصْرِ فِرْعَوْنَ] واليَمُّ: النهر الكبير. ﴿بِالسَّاحِلِ﴾ [أي: بشط النهر، عبر عنه بالساحل لعظمه]، ﴿يَأْخُذُهُ عَدُوُّ لِي وَعَدُوُّ لِي﴾ فحكم الله ألا يُرَبِّي إلَّا على فراش فرعون ويُعَذِّى بطعامه مع محبته وزوجته له ولهذا قال تعالى: ﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مَّتًى﴾ عند عدوك جعلته يُحِبُّكَ، ﴿وَلَوْضَعْتُ عَلَىٰ عَيْنِي﴾ تُرَبِّي بعين الله، [أي: محبته، من قول العرب: غدا فلان على عيني، أي: على المحبة مَتًى] ٤٠: ﴿إِذْ تَمْشِي أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُ﴾ فرجعناك إلى أمك كي تقرَّ عينها، وذلك لما استقرَّ عند آل فرعون عرضوا عليه المراضع فأبأها، قال تعالى: ﴿وَحَرَمْنَا عَلَيْهِ الْمَرْضَاعَ مِنْ قَبْلِ﴾ فجاءت أخته وقالت: هل أدلكم على من يرضعه بالأجرة؟ فذهب به وهم معها إلى أمه فعرضت عليه ثديها فقبله، ففرحوا، واستأجروها على إرضاعه، وفي هذا قال تعالى: ﴿فَرَجَعْنَاكَ إِلَىٰ أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ﴾ عليك. ﴿وَقَلَّتْ نَفْسًا﴾ يعني القبطي ﴿فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا﴾

إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰ ﴿٣٨﴾ أَنْ أَقْدِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَأَقْدِفِيهِ فِي الْبَيْمِ فَلْيُلْقِيهِ الْبَيْمُ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذُهُ عَدُوُّ لِي وَعَدُوُّ لِي وَالْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مَّتًى وَلَوْضَعْتُ عَلَىٰ عَيْنِي ﴿٣٩﴾ إِذْ تَمْشِي أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُ فَرَجَعْنَاكَ إِلَىٰ أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَقَلَّتْ نَفْسًا فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا فَلَمَّ بَنِي سِينَ فِي أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يَمْسُونَ ﴿٤٠﴾ وَأَصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي ﴿٤١﴾ أَذْهَبَ أَنْتَ وَأَخُوكَ بِآيَاتِي وَلَا نُنَبِّئُ فِي ذِكْرِي ﴿٤٢﴾ أَذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾ قَالَ رَبَّنَا إِنَّا نَخَافُ أَنْ يُفْرِطَ عَلَيْنَا أَوْ أَنْ يَطْغَىٰ ﴿٤٥﴾ قَالَ لَا تَخَافَا إِنِّي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴿٤٦﴾ فَأَنبَأَهُ قَوْلًا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا تَعَذِّبْهُمْ قَدْ جِئْنَاكَ بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكَ وَالسَّلَامُ عَلَيْنَا مِمَّن تَتَّبَعُ الْهُدَىٰ ﴿٤٧﴾ إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ عَلَىٰ مَن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿٤٨﴾ قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمَا يَمْسُونَ ﴿٤٩﴾ قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَىٰ ﴿٥٠﴾ قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَىٰ ﴿٥١﴾

[أي: اخترناك اختباراً حتى صلحت للرسالة]. ﴿فَلَمَّ بَنِي سِينَ فِي أَهْلِ مَدْيَنَ﴾ فأرأ من فرعون وملئه يري على صبره حتى انتهت المدة ﴿ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يَمْسُونَ﴾ على قدر الرسالة والنبوة ٤١: ﴿وَأَصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي﴾ واجتبتك رسولاً لنفسي كما أشياء ٤٢: ﴿أَذْهَبَ أَنْتَ وَأَخُوكَ بِآيَاتِي﴾ معجزاتي ﴿وَلَا تُنَبِّئُ فِي ذِكْرِي﴾ لا يُنطقا ولا تضعفا ٤٣: ﴿أَذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ﴾ تمرد وتجبَّر وعصا ٤٤: ﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ﴾ هذه عبرة عظيمة، أمر أن لا يخاطب فرعون إلَّا بالملاطفة واللين ٤٥: ﴿قَالَ رَبَّنَا إِنَّا نَخَافُ أَنْ يُفْرِطَ عَلَيْنَا أَوْ أَنْ يَطْغَىٰ﴾ يعني أن يبدر إليهما بالعقوبة ٤٦: ﴿قَالَ لَا تَخَافَا إِنِّي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَىٰ﴾ فلا يخفى على من أمركم شيء ٤٧: ﴿فَأَنبَأَهُ قَوْلًا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا تَعَذِّبْهُمْ قَدْ جِئْنَاكَ بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكَ﴾ والمعجزة من ربك ﴿وَالسَّلَامُ عَلَيْنَا مِمَّن تَتَّبَعُ الْهُدَىٰ﴾ ٤٨: ﴿إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا﴾ أخبرنا الله ﴿أَنَّ الْعَذَابَ عَلَىٰ مَن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ﴾ لمن كذب بآيات الله وتولَّى عن طاعته ٤٩: ﴿قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمَا يَمْسُونَ﴾؟ الذي بعثك وأرسلك من هو فاتني لأعرفه ٥٠: ﴿قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ﴾ أعطى كل ذي خلق ما يصلحه ﴿ثُمَّ هَدَىٰ﴾ هدى الخلائق [أي: هدى كل مخلوق إلى مطعمه ومشربه ومسكنه ومنكحه] ٥١: ﴿قَالَ﴾ فرعون ﴿فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَىٰ﴾؟ احتج بالقرون الأولى الذين لم يعبدوا الله، أي: فما بالهم؟

٥٢: ﴿قَالَ﴾ له موسى ﴿عَلِمَهَا عِنْدَ رَبِّي﴾ فَإِنِ عَمِلَهُمْ عِنْدَ اللَّهِ مَضْبُوطٌ عَلَيْهِمْ وَسِيَجْزِيهِمْ بِعَمَلِهِمْ ﴿فِي كِتَابٍ﴾ وهو اللوح المحفوظ وكتاب الأعمال ﴿لَا يُضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى﴾ لا يَشُدُّ عَنْهُ شَيْءٌ وَلَا يَفُوتُهُ ٥٣: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا﴾ هذا من تمام كلام موسى فيما وَصَفَ بِهِ رَبَّهُ عَزَّ وَجَلَّ حِينَ سَأَلَهُ فِرْعَوْنُ عَنْهُ ﴿وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْ نَبَاتٍ شَتَّى﴾ ٥٤: ﴿كُلُوا وَارْزُقُوا أَنْعَامَكُمْ﴾ من هذه الزروع والنباتات والثمار ﴿إِن فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ﴾ دلالات ﴿لِلْأُولَى النَّهَى﴾ لدوي العقول السليمة، على أنه لا إله إلا الله ولا رب سواه ٥٥: ﴿مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ﴾ من الأرض مبدؤكم فَإِنِ آبَاءُكُمْ أَدَمُ مَخْلُوقٌ مِنْ تَرَابٍ، ﴿وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ﴾ وإليها تصيرون إِذَا مِتُّمْ وَبَلِيْتُمْ، ﴿وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى﴾ ومنها تخرجون ٥٦: [عاد الخطاب إلى ما تقدم] ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا﴾ يعني فرعون ﴿أَيَّا نَا كُلَّهُمْ فَكَذَّبَ وَأَبَى﴾ آباءها كفرأ وعناداً وبعياً ٥٧: ﴿قَالَ أَجِئْتَنَا لِنُخْرِجَنَّكَ مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَا مُوسَى﴾ [قال فرعون ذلك] حين أَرَاهُ الْآيَةَ الْكُبْرَى، وهي إلقاء العصا فصارت ثعباناً عظيماً، وَيَدُهُ نَزَعَهَا مِنْ تَحْتِ جَنَاحِهِ فَخَرَجَتْ بِيضَاءً ٥٨: ﴿فَلَمَّا تَبَيَّنَكَ بِسِحْرٍ مِثْلِهِ فَاجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لِنُخْلِِقَ لَكَ مِنْهُ لَآئِنْتَ﴾ فَإِنِ عِنْدَنَا سِحْرًا مِثْلَ سِحْرِكَ، فَاجْعَلْ يَوْمًا نَحْنُ وَأَنْتَ ﴿مَكَانًا سَوَاءً﴾ أَي: مُسْتَوِيًا ٥٩: ﴿قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمَ الزَّيْنَةِ﴾

قَالَ عَلِمَهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَا يُضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى ﴿٥٢﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمُ فِيهَا سُبُلًا وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْ نَبَاتٍ شَتَّى ﴿٥٣﴾ كُلُوا وَارْزُقُوا أَنْعَامَكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِلْأُولَى النَّهَى ﴿٥٤﴾ وَلَقَدْ أَخْرَجْنَاكَ مِنَ أَرْضِكَ بِسِحْرِكَ يَا مُوسَى ﴿٥٥﴾ فَلَمَّا تَبَيَّنَكَ بِسِحْرٍ مِثْلِهِ فَاجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لِنُخْلِِقَ لَكَ مِنْهُ لَآئِنْتَ ﴿٥٦﴾ قَالَ أَجِئْتَنَا لِنُخْرِجَنَّكَ مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَا مُوسَى ﴿٥٧﴾ فَلَمَّا تَبَيَّنَكَ بِسِحْرٍ مِثْلِهِ فَاجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لِنُخْلِِقَ لَكَ مِنْهُ لَآئِنْتَ ﴿٥٨﴾ قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمَ الزَّيْنَةِ وَأَنْ يُحَشِّرَ النَّاسُ صُحُفِي ﴿٥٩﴾ فَتَوَلَّى فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُ ثُمَّ أَتَى ﴿٦٠﴾ قَالَ لَهُمْ مُوسَى وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُمْ بِعَذَابٍ وَقَدْ خَابَ مَنْ افْتَرَى ﴿٦١﴾ فَتَنَزَّلُوا مِنْهُمْ بَيْنَهُمْ وَأَسْرُوا النَّجْوَى ﴿٦٢﴾ قَالُوا إِنَّ هَذَا لَسِحْرَانِ يَرِيدَانِ أَنْ يُخْرِجَاكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثَلَّى ﴿٦٣﴾ فَأَجْمِعُوا كَيْدَكُمْ ثُمَّ آتُوا صَفًا وَقَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مَنْ اسْتَعْلَى ﴿٦٤﴾

وهو يوم عيدهم ﴿وَأَنْ يُحَشِّرَ النَّاسُ صُحُفِي﴾ من ضحوة النهار ٦٠: ﴿فَتَوَلَّى فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُ ثُمَّ أَتَى﴾ جمع السحرة من المدائن في ذلك الزمان، وكان السحر فيهم ناقصاً جداً ٦١: ﴿قَالَ لَهُمْ مُوسَى وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ لا تُخَيِّلُوا النَّاسَ بِأَعْمَالِكُمْ إِجَادَ أَشْيَاءَ لِاحْتِقَاقِ لَهَا فَتَكُونُوا كَذِبْتُمْ عَلَى اللَّهِ، ﴿فَيُسْحِتَكُمْ بِعَذَابٍ﴾ يهلككم بعقوبة هلاكاً لا يقية له، ﴿وقد خاب من افترى﴾ ٦٢: ﴿فتنازخوا أمرهم بينهم﴾ اختلفوا وتشاجروا فيما بينهم فقائل يقول: ليس هذا بكلام ساحر وإنما هو كلام نبي، وقائل يقول: بل هو ساحر، ﴿وأسروا النجوى﴾ تناجوا فيما بينهم ٦٣: ﴿قالوا إن هذان لساحران يريدان أن يخرجكما من أرضكما بسحرهما﴾ قالوا فيما بينهم: تعلمون أن هذا الرجل وأخاه ساحران عالمان بصناعة السحر، يريدان في هذا اليوم أن يغلباكم ويستوليا على الناس، ﴿ويذهبا بطريقكم المثلى﴾ ويستبدان بهذه الطريقة، وهي السحر، ويصرفان وجوه الناس إليهما ٦٤: ﴿فأجمعوا كيدكم ثم اتوا صفا﴾ اجتمعوا كلكم وألقوا مافي أيديكم مرة واحدة لتبهروا الأبصار وتغلبوا هذا وأخاه، ﴿وقد أفلح اليوم من استعلى﴾ متا ومنه، أما نحن فقد وعدنا هذا الملك العطاء الجزيل، وأما هو فينال الرياسة العظيمة.

الآية: ٦٠ روى البخاري ومسلم وغيرهما عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «اجتنبوا السبع الموقبات» قالوا: يا رسول الله! وما هن؟ قال: «الشرك بالله، والسحر، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، والنكاح في الزحف، وقد أفحصنا الغافلات المؤمنات» وروى الطبراني بإسناد حسن والبخاري بإسناد جيد عن عمران بن حُصَيْن رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ليس منّا من تطيّر [أي تشاهم بالشيء] أو تظيّر له [أي تشاهم الناس له فصدّقهم] أو تكهن [أي ادعاء علم الغيب] أو تكهن له، أو سحر، أو سحر له». وفي رواية البخاري بإسناد جيد عن جابر بن عبد الله عن النبي ﷺ قال: «من أتى كاهناً فصدقه بما قال، فقد كفر بما أنزل على محمد ﷺ». /الترغيب ج ٤/ ٣١ - ٣٤

قَالُوا يَمُوسَىٰ إِمَّا أَنْ تَلْقَىٰ وَ إِمَّا أَنْ تَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَىٰ ﴿٦٥﴾ قَالَ بَلْ أَلْقُوا فَإِذَا جَاءَهُمْ وَعِصِيَّتُهُمْ بِخِيطٍ وَإِلَيْهِمْ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنهَاسَعَىٰ ﴿٦٦﴾ فَأَوْحَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةَ مُوسَىٰ ﴿٦٧﴾ فَلَمَّا لَا تَخَفَ إِنْ أَنْتَ الْأَعْلَىٰ ﴿٦٨﴾ وَالْقَىٰ مَا فِي يَمِينِكَ نَلَقَفَ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدَ سِحْرٍ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَقَىٰ ﴿٦٩﴾ فَأَلْقَى السَّحْرَةَ سُجَّدًا قَالُوا أَمْ تَأْتِي رَبِّ هَارُونَ وَمُوسَىٰ ﴿٧٠﴾ قَالَ أَمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمْ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَا قِطْعَتَ أَيْدِيكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خَلْفٍ وَلَا صِلَتَكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ وَلَعَلَّكُمْ آيِنًا أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَىٰ ﴿٧١﴾ قَالُوا لَنْ نُؤْتِيكَ عَلَىٰ مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرْنَا فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿٧٢﴾ إِنَّمَا تَأْتِي رَبَّنَا لِغَفْرِنَا خَطِيئَاتِنَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴿٧٣﴾ إِنَّهُ مِنْ يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴿٧٤﴾ وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَٰئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَىٰ ﴿٧٥﴾ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَٰلِكَ جَزَاءُ مَنْ تَزَكَّىٰ ﴿٧٦﴾

٦٥: ﴿قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِمَّا أَنْ تَلْقَى﴾ أنت أولاً ﴿وإِمَّا أَنْ تَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَى﴾؟ ٦٦: ﴿قَالَ بَلْ أَلْقُوا﴾ أتم أولاً لئلا يتري ماذا تصنعون من السحر، وليلتظر للناس جليلة أمرهم ﴿فإذا جاءهم وعصيتهم يخيل إليه من سحرهم أنها تسعى﴾ ٦٧: ﴿فأوحس في نفسه خيفة موسى﴾ خاف على الناس أن يفتنوا بسحرهم ويعتروا بهم قبل أن يلقي ما في يمينه، فأوحى الله تعالى إليه في الساعة الراهنة أن ألقى ما في يمينك ٦٨: ﴿فلما لا تخف إنك أنت الأعلى﴾ ٦٩: ﴿والقى ما في يمينك تلقف ما صنعوا إنما صنعوا كيد ساحر ولا يفلح الساحر حيث أتى﴾ ٧٠: ﴿قال أمنتهم له قبل أن آذن لكم إنه لكبيركم الذي علمكم السحر فلا قطع أيديكم وأرجلكم من خلف ولا صلتكم في جذوع النخل ولعلكم آينا أشد عذابا وأبقى﴾ ٧١: ﴿قالوا لن نؤثرك على ما جاءنا من البينات والذي فطرنا فاقض ما أنت قاض إنما تقضي هذه الحياة الدنيا﴾ ٧٢: ﴿إنما تأتينا ربنا لغفرنا خطيئنا وما أكرهتنا عليه من السحر والله خير وأبقى﴾ ٧٣: ﴿إنه من يأتي ربه مجرما فإن له جهنم لا يموت فيها ولا يحيى﴾ ٧٤: ﴿ومن يأتيه مؤمنا قد عمل الصالحات فأولئك لهم الدرجات العلى﴾ ٧٥: ﴿جنت عدن تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها وذلك جزاء من تزكى﴾ ٧٦: ﴿قال أمنتهم له قبل أن آذن لكم﴾

إنه لكبيركم الذي علمكم السحر حين رأى فرعون مارأى من المعجزة الباهرة قال قولاً يعلم هو والسحرة كلهم أنه بهت وكذب: ﴿إنه لكبيركم الذي علمكم السحر﴾ ثم أخذ يتهددهم فقال: ﴿فلا قطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف﴾ [أي: يقطع اليد اليمنى مع الرجل اليسرى] ﴿ولأصليتكم في جذوع النخل﴾ لأجعلتكم مثله ﴿ولتعلنن آينا أشد عذابا وأبقى﴾ ٧٢: ﴿قالوا لن نؤثرك على ما جاءنا من البينات والذي فطرنا﴾ لا تخافك على ما حصل لنا من الهدى واليقين ولا تخافك على الذي خلقنا فهو المستحق للعبادة ﴿فأقض﴾ أعمل ﴿ما أنت قاض﴾ إنما تقضي هذه الحياة الدنيا وهي دار زوال ٧٣: ﴿إنما تأتينا ربنا لغفر لنا خطايانا وما أكرهتنا عليه من السحر﴾ لتعارض به آية الله ومعجزة نبيه ﴿والله خير وأبقى﴾ ٧٤: ﴿إنه من يأتي ربه مجرما﴾ يوم القيامة ﴿فإن له جهنم لا يموت فيها ولا يحيى﴾ كما قال تعالى: ﴿لا يقضى عليهم فيموتوا ولا يحقن عنهم من عذابها﴾ [أي: فيحيون حياة كلها عذاب] ٧٥: ﴿ومن يأتيه مؤمنا قد عمل الصالحات﴾ ومن لقي ربه يوم المعاد مؤمناً القلب ﴿فأولئك لهم الدرجات العلى﴾ الجنة ذات الدرجات العاليات ٧٦: ﴿جنت عدن﴾ إقامة ﴿تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها﴾ ما كتبت فيها أبداً، ﴿وذلك جزاء من تزكى﴾ من طهر نفسه من الشرك، وعبد الله تعالى وحده لا شريك له.

الآية: ٦٦ إن أضرار السحر كبيرة وعواقب موقفة في المهلكة، تجر المعتقد به إلى الشرك بالله تبارك وتعالى، لاعتقاده تأثير الساحر في الكون، والانصراف عن الاعتقاد بقدرته الله سبحانه. والساحر كافر بالله سبحانه، يسعى إلى إرضاء شيطانه بزيادة كفره بالله تعالى؛ ليصل إلى ما يبتغيه من سحره. فالساحر مستحق للجنة الله وملائكته المؤمنين. وحده الساحر ضربة بالسيف كما ثبت ذلك عن الصحابة رضي الله عنهم.

٧٧: ﴿وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي﴾ يسري بهم في الليل ويذهب بهم من قبضة فرعون ﴿فَأَضْرَبَ لَهُمْ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَمَسًا﴾ أي: البحر الذي كان يُطلق عليه القلزم، واليوم اسمه الأحمر، فضرب البحر بعصاه فانلق، فكان كل فِرْق كالطرد العظيم، أي: الجبل العظيم. ﴿لَا تَخَافُ دَرَكًا﴾ من فرعون ﴿وَلَا تَخْشَى﴾ يعني من البحر أن يغرق قومك ٧٨: ﴿فَاتَّبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِ فَغَشَّيَهُمْ مِنَ اللَّيْلِ﴾ البحر ﴿مَاعْشِيمًا﴾ [أي: أصابهم من البحر ما غرقهم] ٧٩: ﴿وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُ وَمَاهَدَى﴾ فسلك بهم في اللَّيْلِ فأضلهم وماهداهم إلى سبيل الرشاد، كذلك يقدم قومه يوم القيامة فأوردهم النار وبس الورد المورود ٨٠: ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ قَدْ أَنجَيْنَاكُمْ مِنْ عَدُوِّكُمْ﴾ يذكر تعالى نعمه على بني إسرائيل حيث أنجاهم من عدوهم وأقر أعينهم منه وهم ينظرون إليه وإلى جنده قد غرقوا في صبيحة واحدة، ﴿وَوَاعَدْنَاكُمْ جَانِبَ الطُّورِ الْأَيْمَنِ﴾ وهو الذي كلمه الله تعالى عليه، وأعطاه التوراة هنالك. ﴿وَوَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّاءَ وَالسَّلْوَى﴾ المَنَّاءُ حلوى كانت تنزل عليهم من السماء، والسَّلْوَى طائر يسقط عليهم فيأخذون من كل قدر الحاجة إلى الغد لطفاً من الله ورحمة بهم وإحساناً إليهم ٨١: ﴿كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَلَا تَطْغَوْا فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي﴾ كلوا من هذا الرزق ولا تأخذوه من غير حاجة، فأغضب عليكم، ﴿وَمَنْ يَحْتَلِمْ

الْحَقِّ

وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي فَاصْرَبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَمَسًا لَا تَخَفُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَى ٧٧ ﴿فَاتَّبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِ فَغَشَّيَهُمْ مِنَ اللَّيْلِ مَا غَشَّيَهُمْ ٧٨ ﴿وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُ وَمَاهَدَى ٧٩ ﴿يَبْنِي إِسْرَائِيلَ يَلَّيْلًا قَدْ أَنجَيْنَاكُمْ مِنْ عَدُوِّكُمْ وَوَعَدْنَاكُمْ جَانِبَ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّاءَ وَالسَّلْوَى ٨٠ ﴿كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَلَا تَطْغَوْا فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي وَمَنْ يَحْتَلِمْ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَد هَوَى ٨١ ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ وَعَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى ٨٢ ﴿وَمَا أَعْجَلَكَ عَنْ قَوْمِكَ يَا مُوسَى ٨٣ ﴿قَالَ هُمْ أَوْلَاءٌ عَلَىٰ أَثَرِي وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى ٨٤ ﴿قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنْ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ ٨٥ ﴿فَرَجَعَ مُوسَىٰ إِلَىٰ قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ يَقَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعَدَّ أَحْسَنًا أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ الْعَهْدُ أَمْ أَرَدْتُمْ أَنْ يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِّنْ رَبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُم مَّوْعِدِي ٨٦ ﴿قَالُوا مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلِكِنَا وَلَكِنَّا حَمَلْنَا أَوْزَارًا مِّنْ زِينَةِ الْقَوْمِ فَقَدْتُنَّهَا فَكَذَلِكَ أَلْقَى السَّامِرِيُّ ٨٧ ﴿

عليه غضبي فقد هوى في جهنم ٨٢: ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى﴾ استقام على السنة والجماعة، ولزم الإسلام حتى يموت ٨٣: ﴿وَمَا أَعْجَلَكَ عَنْ قَوْمِكَ يَا مُوسَى﴾ لما سار موسى عليه السلام ببني إسرائيل بعد هلاك فرعون سارع بمبادأة إلى الطور، واستخلف عليهم أخاه هَارُونَ ٨٤: ﴿قَالَ هُمْ أَوْلَاءٌ عَلَىٰ أَثَرِي﴾ هم قادمون يتزلون قريباً من الطور، ﴿وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى﴾ لتزداد عني رضا ٨٥: ﴿قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنْ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ﴾ أخيره تعالى بما كان بعده من عبادتهم العجل الذي عمله لهم ذلك السامري ٨٦: ﴿فَرَجَعَ مُوسَىٰ إِلَىٰ قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا﴾ بعدما أخبره تعالى بذلك في غاية الغضب عليهم، وهو فيما هو فيه من تسلّم التوراة التي فيها شريعتهم وفيها شرف لهم، وهم قد عبدوا غير الله، ﴿قَالَ يَا قَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعَدَّ أَحْسَنًا﴾ من خير في الدنيا والآخرة، ﴿أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ الْعَهْدُ﴾؟ في انتظار ما وعدكم الله ونسيان ما سلّفت من نعمه؟ ﴿أَمْ أَرَدْتُمْ أَنْ يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِّنْ رَبِّكُمْ﴾ أم هنا بمعنى بل وهي للإضراب عن الكلام الأول، وعدول إلى الثاني، أي: بل أردتم بصنيعكم هذا أن يحلّ عليكم غضب من ربكم ﴿فَأَخْلَفْتُم مَّوْعِدِي﴾ ٨٧: ﴿قَالُوا مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلِكِنَا وَلَكِنَّا حَمَلْنَا أَوْزَارًا مِّنْ زِينَةِ الْقَوْمِ فَقَدْتُنَّهَا عَنَّا، فَكَذَلِكَ أَلْقَى السَّامِرِيُّ﴾ أمرهم بالبقاء الحلي في حفرة النار.

فَأَخْرَجَ لَهُمْ عَجَلًا جَسَدًا لَهُ خُورٌ فَأَلْوَ هَذَا إِلَهُكُمْ
 وَإِلَهُ مُوسَىٰ فَنَسِيَ ﴿٨٨﴾ أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّهُ لَا يُرْجَعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا
 يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ﴿٨٩﴾ وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَارُونُ مِنْ قَبْلُ
 يَقَوْمِ إِنَّمَا فُتِنْتُمْ بِهِ وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَنُ فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا
 أَمْرِي ﴿٩٠﴾ قَالُوا لَنْ نَبْرَحَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ
 ﴿٩١﴾ قَالَ يَهْرُونَ مَآ مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا ﴿٩٢﴾ أَلَا تَتَّبِعُ
 أَفْعَصَيْتَ أَمْرِي ﴿٩٣﴾ قَالَ يَبْنَؤُمْ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي
 إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ
 قَوْلِي ﴿٩٤﴾ قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَا سَمِيرِيُّ ﴿٩٥﴾ قَالَ بَصُرْتُ
 بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِنْ أَثَرِ الرَّسُولِ
 فَنَبَذْتُهَا وَكَذَلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي ﴿٩٦﴾ قَالَ
 فَاذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيَاةِ أَنْ تَقُولَ لَا مِسَاسَ وَإِنَّ لَكَ
 مَوْعِدًا لَنْ تُخْلَفَهُ وَانظُرْ إِلَى إِلْهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ
 عَاكِفًا لَنُحَرِّقَنَّهُ ثُمَّ لَنَنْسِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ نَسْفًا ﴿٩٧﴾ إِنَّمَا
 إِلَهُكُمْ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴿٩٨﴾

٣١٨

٨٨: ﴿فَأَخْرَجَ لَهُمْ عَجَلًا جَسَدًا لَهُ خُورٌ﴾
 [أي: يخور كما يخور البقر، ﴿فَقَالُوا﴾
 الضَّلَالُ مِنْهُمْ الَّذِينَ افْتَنُوا بِالْعَجَلِ وَعَبَدُوهُ
 ﴿هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَىٰ فَنَسِيَ﴾ نَسِيَهُ هِنَا
 وَذَهَبَ يَتَطَلَّبُهُ، فَعَكَفُوا عَلَيْهِ وَأَحْبَبُوهُ، قَالَ اللَّهُ
 تَعَالَىٰ رَدًّا عَلَيْهِمْ وَتَقْرِيبًا لَهُمْ وَبَيَانًا لِفَضِيحَتِهِمْ
 وَسَخَافَةِ عَقُولِهِمْ: ٨٩: ﴿أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّهُ
 لَا يَرْجَعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا
 وَلَا نَفْعًا﴾ العجل، لا يجيبهم إذا سألوه
 ولا يملك لهم ضررًا [إذا أذلوه] ولا نفعًا [إذا
 عبده] ٩٠: ﴿وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَارُونُ مِنْ
 قَبْلُ﴾ إنما هذا فتنة لكم ﴿يَأْتِيهِمْ قَوْمٌ
 بِهِ وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَنُ﴾ الذي خلق كل شيء
 فتذره تقديراً ﴿فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا أَمْرِي﴾
 فيما أمركم به وارتكبوها منكم عنه ٩١: ﴿قَالُوا
 لَنْ نَبْرَحَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا
 مُوسَىٰ﴾ لا نترك عبادته حتى نسمع كلام
 موسى فيه، وخالفوا هارون في ذلك وحاربوه
 ٩٢: ﴿وَحِينَ رَجَعَ مُوسَىٰ إِلَىٰ قَوْمِهِ رَأَىٰ مَا قَدَّ
 حَدَثَ فِيهِمْ مِنَ الْأَمْرِ الْعَظِيمِ﴾ قال يهازون
 ما منعك إذ رأيتهم ضلوا ٩٣: ﴿أَلَا تَتَّبِعُنَّ
 أَفْعَصَيْتَ أَمْرِي﴾ فتخبرني بهذا الأمر أول
 ما وقع؛ أفعصيت أمري فيما كنت قد مت
 إليك، وهو قوله: (اخلفني في قومي
 وأصلح)؟ ٩٤: ﴿قَالَ يَا بَنِيَّ أَمَّا لَأَتَّخِذَنَّ
 بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي﴾ هذا اعتبار من هارون
 في سبب تأخره عنه حيث لم يلحقه فيخبره
 بما كان؛ ﴿إِنِّي خَشِيتُ﴾ أن أتبعك فأحرك
 بهذا فتقول لي: لم تركتهم وحدهم ﴿أَنْ تَقُولَ

فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي﴾ وما راغبت ما أمرتك به حيث استخلفتك ٩٥: ﴿قَالَ﴾ موسى ﴿فَمَا خَطْبُكَ يَا سَامِرِيُّ﴾ ما حملك على
 ما صنعت؟ وما الذي عرض لك حتى فعلت ما فعلت؟ ٩٦: ﴿قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ﴾ رأيت جبريل حين جاءه هلاك فرعون ﴿فَقَبَضْتُ
 قَبْضَةً مِنْ أَثَرِ الرَّسُولِ﴾ من أثر فرسه، ﴿فَنَبَذْتُهَا﴾ ألقيتها على حليتي بني إسرائيل [فجعلتها] عجلًا جسدًا له خور ﴿وَكَذَلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي﴾
 حسنته وأعجبها إذ ذلك ٩٧: ﴿قَالَ فَاذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيَاةِ أَنْ تَقُولَ لَا مِسَاسَ﴾ كما أخذت ومسست ما لم يكن لك أخذه ومسسه من أثر
 الرسول، فعقبوك في الدنيا أن تقول لا مساس؛ أي: تماس الناس ولا يمسونك ﴿وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا﴾ يوم القيامة ﴿لَنْ تُخْلَفَهُ﴾ لا يحيد لك عنه،
 ﴿وَانظُرْ إِلَى إِلْهِكَ﴾ معبودك ﴿الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا﴾ أقم على عبادته؛ يعني العجل، ﴿لَنُحَرِّقَنَّهُ ثُمَّ لَنَنْسِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ نَسْفًا﴾ [أي: لنطيرته].
 والذهب لا يصير رمادًا، وكان ذلك من آياته ٩٨: ﴿إِنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ ليس هذا إلهكم إنما الله الذي
 لا إله إلا هو الذي هو عالم بكل شيء، وأحاط بكل شيء علماً.

الآية: ٩٥ روى ابن إسحاق عن حكيم بن مجير عن سعيد بن مجير عن ابن عباس قال: «كان السامري رجلاً من أهل باجر، وكان من قوم يعبدون البقر، وكان حب عبادة البقر في نفسه، وكان قد أظهر الإسلام مع بني إسرائيل». وروى ابن أبي حاتم عن علي رضي الله عنه قال: «إن موسى لما تعجل إلى ربّه، عمد السامري فجمع ما قدر عليه من حلي نساء بني إسرائيل ثم صوره عجلًا. قال: فعمد موسى إلى العجل فوضع عليه المراد فبرده بها وهو على شط نهر، فلم يشرب أحدٌ من ذلك الماء كان يبعد العجل إلا أصفراً وجهه مثل الذهب».

٩٩: ﴿كَذَلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ﴾ يا محمد ﴿مِنْ أَنْبَاءِ مَا قَدْ سَبَقَ﴾ من خير موسى وما جرى له مع فرعون ﴿وَقَدْ آتَيْنَاكَ مِنْ لَدُنَّا ذِكْرًا﴾ وهو القرآن العظيم الذي لم يُعطِ نبي من الأنبياء كتاباً مثله ولا أكمل منه ولا أجمع منه، ولهذا قال تعالى: ١٠٠: ﴿مَنْ أَعْرَضَ عَنْهُ﴾ من كذب به وأعرض عن اتباعه وابتغى الهدى من غيره ﴿فإنه يحمل يوم القيامة وزراً﴾. إن شاء الله. وهذا عام في كل من بلغه القرآن من العرب والعجم وأهل الكتاب وغيرهم ١٠١: ﴿خَالِدِينَ فِيهِ﴾ لا يحيد لهم عنه ولا انفكاك ﴿وَسَاءَ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حِمْلًا﴾ بنس الحمل حملهم ١٠٢: ﴿يَوْمَ يَنْفُخُ فِي الصُّورِ﴾ وهو قرن عظيم الدائرة، منه السموات والأرض، ينفخ فيه إسرافيل، ﴿وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا﴾ زُرْقًا زُرُق العيون من شدة ما هم فيه من الأهوال ١٠٣: ﴿يَخَافَتُونَ بَيْنَهُمْ﴾ بعضهم لبعض ﴿إِنْ لَبِثُمْ إِلَّا عَشْرًا﴾ عشرة أيام أو نحوها ١٠٤: ﴿نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ﴾ في حال تناجهم بينهم ﴿إِذْ يَقُولُ الْمُنْظَرُونَ لِمَنْ فِي الْهَيْكَلِ الْكَامِلِ فِيهِمْ﴾ إن لبثتم إلا يوماً هكذا يستقص الكافرون مدة الحياة الدنيا يوم القيامة، وكان غرضهم في ذلك ذرء قيام الحجة عليهم لتقصر المدة، ولهذا قال تعالى: ﴿يَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ﴾، إنما كان لبثكم فيها قليلاً لو كنتم تعلمون، لأنتم الباقى على الصافي ١٠٥: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ﴾ هل تبقى يوم القيامة أو تزول؟ ﴿فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي﴾

كَذَلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ مَا قَدْ سَبَقَ وَقَدْ آتَيْنَاكَ مِنْ لَدُنَّا ذِكْرًا ﴿١١﴾ مَنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُ يَحْمِلُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وِزْرًا ﴿١٠٠﴾ خَالِدِينَ فِيهِ وَسَاءَ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حِمْلًا ﴿١٠١﴾ يَوْمَ يَنْفُخُ فِي الصُّورِ وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا ﴿١٠٢﴾ يَتَخَفَتُونَ بَيْنَهُمْ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا عَشْرًا ﴿١٠٣﴾ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا يَوْمًا ﴿١٠٤﴾ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا ﴿١٠٥﴾ فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ﴿١٠٦﴾ لَا تَبْقَى فِيهَا جَبَلٌ وَلَا أُتْرَاقٌ ﴿١٠٧﴾ يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ أَعْوَجَ لَهُ وَخِشَعْتَ الْأَصْوَاتِ لِلرَّحْمَنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا ﴿١٠٨﴾ يَوْمَئِذٍ لَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا ﴿١٠٩﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا ﴿١١٠﴾ وَعَنْتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا ﴿١١١﴾ وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا ﴿١١٢﴾ وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحَدِّثُ لَهُمْ ذِكْرًا ﴿١١٣﴾

١٠٦: ﴿فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا﴾ بساطاً واحداً، والقاع هو المستوي من الأرض، والصفصاف تأكيد معنى ذلك، وهو الذي لانبات فيه ١٠٧: ﴿لَا تَبْقَى فِيهَا جَبَلٌ وَلَا أُتْرَاقٌ﴾ لا ترى في الأرض يومئذ وادياً ولا رابية؛ أي: لا مكاناً منخفضاً ولا مرتفعاً ١٠٨: ﴿يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ أَعْوَجَ لَهُ﴾ يوم يرون هذه الأحوال والأهوال يستجيبون مسرعين حيناً أترقاً، ﴿وَخِشَعْتَ الْأَصْوَاتِ لِلرَّحْمَنِ﴾ سكتت ﴿فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا﴾ والهمس: الصوت الخفي ١٠٩: ﴿يَوْمَئِذٍ لَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا﴾ كقوله تعالى: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ ١١٠: ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا﴾ يحيط علماً بالخالق ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ﴾ ١١١: ﴿وَعَنْتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ﴾ خضعت وذلك واستسلمت الخلاق لجبارها الحي الذي لا يموت، القيوم الذي لا ينام، ﴿وَقَدْ خَابَ﴾ يوم القيامة ﴿مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا﴾ وفي الحديث: «يقول الله عز وجل: وعزيتي وجلالي لا يجاوزني اليوم ظلم ظلم» ١١٢: ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا﴾ لما ذكر الظالمين ووعيدهم نثى بالمتقين وحكمهم وهو أنهم لا يظلمون ولا يهضمون ١١٣: ﴿وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا﴾ بلسان عربي مبين لابس فيه ولا عني ﴿وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ لما كان يوم المعاد واقعاً لا محالة أنزلنا القرآن بشيراً ونذيراً لعلهم يتركون المآثم والمحارم، ﴿أَوْ يُحَدِّثُ لَهُمْ ذِكْرًا﴾ وهو إيجاد الطاعة وفعل القربات.

فَعَلَى اللَّهِ الْمَلِكُ الْحَقُّ وَلَا تَعَجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ
يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴿١١٤﴾ وَلَقَدْ عَاهَدْنَا
إِلَى آدَمَ مِنْ قَبْلِ فَنَسَى وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا ﴿١١٥﴾ وَإِذْ قُلْنَا
لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى
﴿١١٦﴾ فَقُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكَ
مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْفَى ﴿١١٧﴾ إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَى ﴿١١٨﴾
وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَصْحَى ﴿١١٩﴾ فَوَسَّوَسَ إِلَيْهِ
الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ
لَا يَبُلَى ﴿١٢٠﴾ فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَّتْ لهُمَا سَوْءَ تَهُمَا وَطَفِقَا
يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى ﴿١٢١﴾
ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى ﴿١٢٢﴾ قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا
جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنْ مَنِّي هُدًى
فَمَنْ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَنِّي
ذَكَرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ
أَعْمَى ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾

٣٢٠

١١٤: ﴿فَعَلَى اللَّهِ الْمَلِكُ الْحَقُّ﴾ تنزهه وتقدس الملك الحق الذي هو حق ووعدته حق ووعدته حق، وكل شيء منه حق ﴿وَلَا تَعَجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ﴾ ثبت في الصحيح أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان يعالج من الوحي شدة، فكان مما يُحَرِّقُ به لسانه، فأنزل الله هذه الآية. ﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ زدني منك علماً، فلم يزل عليه الصلاة والسلام في زيادة حتى توفاه الله عز وجل. وكان صلى الله عليه وآله وسلم يقول: «اللهم انفعني بما علمتني وعلمني ما ينفعني وزدني علماً» ١١٥: ﴿وَلَقَدْ عَاهَدْنَا إِلَى آدَمَ مِنْ قَبْلِ﴾ [وهو ألا يأكل من الشجرة] ﴿فَنَسَى وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا﴾ [أي: لم نجد له صبراً على مواظبة التزام الأمر] ١١٦: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا﴾ يذكر تعالى تشريف آدم وتكريمه ومافضله به على كثير ممن خلق تفضيلاً، ﴿وَالْإِبْلِيسَ أَبَى﴾ امتنع واستكبر ١١٧: ﴿فَوَسَّوَسَ إِلَيْهِ﴾ فقلنا يا آدم إن هذا عدو لك ولزوجك يعني حواء عليهما السلام، ﴿فَلَا يُخْرِجَنَّكَ مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْفَى﴾ إياك أن يسعى في إخراجكما منها، فتعب وتشقى في طلب رزقك ١١٨: ﴿إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَى﴾ إنما قرن بين الجوع والعري لأن الجوع ذل الباطن والعري ذل الظاهر ١١٩: ﴿وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَصْحَى﴾ أيضاً متقابلان؛ فالظمأ حر الباطن والضحى حر الظاهر ١٢٠: ﴿فَوَسَّوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ﴾

قال يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى، فدلأهما بغرور ١٢١: ﴿فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَّتْ لهُمَا سَوْءَ تَهُمَا﴾ عورتهما ﴿وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ﴾ أقبلًا يتزعان ورق التين فيجعلانه على سواتهما، ﴿وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى﴾ [أي: فسَدَ عليه عيشه] ١٢٢: ﴿ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى﴾ [أي: اصطفاه وقرّبه. وكانت العصية من آدم قبل النبوة بدليل ما في هذه الآية] ١٢٣: ﴿قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا﴾ لآدم وحواء وإبليس ﴿بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنْ مَنِّي هُدًى﴾ ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنِّي ذَكَرِي﴾ خالف أمري، وأعرض عما أنزلته على رسولي وتناساه وأخذ من غيره هُداه ﴿فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا﴾ في الدنيا فلا طمأنينة له ولا انشراح لصدره، وفي القبر، ﴿وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴾ أعمى البصر والبصيرة كما قال تعالى: ﴿وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى وُجُوهِهِمْ عُمياً وَبُكماً وَصُمّاً﴾ ١٢٥: ﴿قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا﴾ في الدنيا؟ [وكانه يظن أنه لا ذنب له!؟]

الآية: ١٢٠ جاء في الحديث ذكر شجرة الخلد، فروى أبو داود الطيالسي عن شعبة عن أبي الضحى قال: سمعت أبا هريرة يحدث عن النبي ﷺ قال: «إن الجنة شجرة يسرى الراكب في ظلها مائة عام ما يقطعها، وهي شجرة الخلد». ورواه الإمام أحمد. /ابن كثير ج ٣/ ١٦٧ - ١٦٨

الآية: ١٢٤ المعيشة الضنكا عذاب القبر، روى أبو زرعة عن أبي هريرة عن النبي ﷺ ﴿فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا﴾ قال: «عذاب القبر»، وإسناده جيد /ابن كثير ج ٣/ ١٦٩

١٢٦: ﴿قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنسى﴾ لَمَّا أَعْرَضَتْ عَنْ آيَاتِ اللَّهِ وَعَامَلَتْهَا مَعَالَةً مَنْ لَمْ يَذْكُرْهَا بَعْدَ بِلَاغِهَا إِلَيْكَ تَنَاسَيْتَهَا وَأَعْرَضَتْ عَنْهَا وَأَغْفَلَتْهَا كَذَلِكَ الْيَوْمَ تُعَامَلُكَ مَعَامَلَةً مَنْ نَسِيَتْكَ؛ فَإِنَّ الْجَزَاءَ مِنْ جِنْسِ الْعَمَلِ ١٢٧: ﴿وَكَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِآيَاتِ رَبِّهِ﴾ وَمَكَدْنَا نُجَازِي الْمُسْرِفِينَ الْمَكْذِبِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ﴿وَلِعَذَابِ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَى﴾، [أَي: أَظْفَعُ مِنَ الْمَعِيشَةِ الضَّنْكَ] ١٢٨: ﴿أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ﴾ مِنْ الْأُمَمِ الْمَكْذِبِينَ بِالرَّسْلِ بِمِشْوَنٍ فِي مَسَاكِينِهِمْ ﴿فَلَيْسَ لَهُمْ بَاقِيَةٌ كَمَا يَشَاهِدُونَ ذَلِكَ مِنْ دِيَارِهِمْ الَّتِي خَلَقُوهُمْ فِيهَا يَمشُونَ فِيهَا﴾ [إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لَأُولِي الْتَهْمِ] الْعُقُولِ الصَّحِيحَةِ وَالْأَبْيَابِ الْمُسْتَقِيمَةِ ١٢٩: ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَكَانَ لِزِمَامًا وَأَجَلٌ مُسَمًّى﴾ لَوْلَا الْكَلِمَةُ السَّابِقَةُ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ أَنَّهُ لَا يُعَذَّبُ أَحَدًا إِلَّا بَعْدَ قِيَامِ الْحِجَةِ عَلَيْهِ وَالْأَجَلِ الَّذِي ضَرَبَهُ اللَّهُ تَعَالَى إِلَى مَدَّةٍ مُعَيَّنَةٍ لِحَاجَتِهِمُ الْعَذَابُ بِنَعْتِهِ، وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى لِنَبِيِّهِ مُسْلِيًّا لَهُ: ١٣٠: ﴿فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ﴾ مِنْ تَكْذِيبِهِمْ لَكَ، ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ﴾ يَعْنِي: صَلَاةَ الْفَجْرِ ﴿وَقَبْلَ غُرُوبِهَا﴾ يَعْنِي: صَلَاةَ الْعَصْرِ، ﴿وَمِنْ آتَاءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ﴾ مِنْ سَاعَاتِهِ فَتَهَجِّدْ بِهِ ﴿وَأَطْرَافِ النَّهَارِ﴾ فِي مَقَابِلَةِ آتَاءِ اللَّيْلِ ﴿لَعَلَّكَ تَرْضَى﴾ [أَي: تُثَابُ عَلَى هَذِهِ الْأَعْمَالِ بِمَا تَرْضَى بِهِ] ١٣١: ﴿وَلَا تُؤَدَّبُ

قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنسى ﴿١٢٦﴾ وَكَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِآيَاتِ رَبِّهِ وَلِعَذَابِ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَى ﴿١٢٧﴾ أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسْكِنِهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لَأُولِي الْتَهْمِ ﴿١٢٨﴾ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَكَانَ لِزِمَامًا وَأَجَلٌ مُسَمًّى ﴿١٢٩﴾ فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافِ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَى ﴿١٣٠﴾ وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفِثَنَّهُمْ فِيهِ وَرَزَقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَى ﴿١٣١﴾ وَأَمْرٌ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَأَصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا تَسْأَلُكَ رِزْقًا نَحْنُ نَزَّرْنَاكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى ﴿١٣٢﴾ وَقَالُوا لَوْلَا يَأْتِينَا بِآيَةٍ مِنْ رَبِّهِ ؎ أَوَلَمْ تَأْتِهِمْ بَيِّنَةٌ مِمَّا فِي الصُّحُفِ الْأُولَى ﴿١٣٣﴾ وَلَوْ أَنَا أَهْلَكْنَاهُمْ بِعَذَابٍ مِنْ قَبْلِهِ لَقَالُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ نُنْذَلَ وَنُخْزَى ﴿١٣٤﴾ قُلْ كُلُّ مَتْرِبٍصٌ فَتَرَبِّصُوا فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ أَصْحَابُ الصِّرَاطِ السَّوِيِّ وَمَنِ اهْتَدَى ﴿١٣٥﴾

عَيْنِكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لَنَفِثَنَّهُمْ فِيهِ لَنُخْزِرَهُمْ بِذَلِكَ ﴿وَرَزَقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾ [أَي: ثَوَابُ اللَّهِ عَلَى الصَّبْرِ وَقَلَّةُ الْمَبَالَاةِ بِالدُّنْيَا أُولَى؛ لِأَنَّهُ يَبْقَى وَالدُّنْيَا تَفْنَى] ١٣٢: ﴿وَأَمْرٌ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَأَصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾ اسْتَنْقَذَهُمْ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ بِإِقَامِ الصَّلَاةِ وَاصْبِرْ أَنْتَ عَلَى فِعْلِهَا، ﴿لَا تَسْأَلُكَ رِزْقًا نَحْنُ نَزَّرْنَاكَ﴾ يَعْنِي: إِذَا أَقَمْتَ الصَّلَاةَ أَتَاكَ الرِّزْقُ مِنْ حَيْثُ لَا تَحْتَسِبُ، ﴿وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى﴾ وَحُسْنُ الْعَاقِبَةِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَهِيَ الْحِجَةُ لِمَنْ أَتَى اللَّهُ ١٣٣: ﴿وَقَالُوا لَوْلَا يَأْتِينَا بِآيَةٍ مِنْ رَبِّهِ﴾ يُخْبِرُ تَعَالَى عَنْ قَوْلِ الْكُفَّارِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: هَلَّا يَأْتِينَا بِعَلَامَةٍ دَالَّةٍ عَلَى صِدْقِهِ فِي أَنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ؟ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿أَوَلَمْ تَأْتِهِمْ بَيِّنَةٌ مِمَّا فِي الصُّحُفِ الْأُولَى﴾ يَعْنِي: الْقُرْآنَ الَّذِي أَنْزَلَهُ عَلَيْهِ، فِيهِ أَخْبَارُ الْأُولَى ١٣٤: ﴿وَلَوْ أَنَا أَهْلَكْنَاهُمْ بِعَذَابٍ مِنْ قَبْلِهِ لَقَالُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا﴾ لَوْ أَنَا أَهْلَكْنَا هَؤُلَاءِ الْمَكْذِبِينَ قَبْلَ أَنْ نُرْسِلَ إِلَيْهِمْ هَذَا الرَّسُولَ الْكَرِيمَ لَكَانُوا قَالُوا: ﴿رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا﴾ قَبْلَ أَنْ نُهْلِكَنَا حَتَّى نُؤْمِنَ بِهِ؟ ﴿فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ نُنْذَلَ وَنُخْزَى﴾؟ ثُمَّ قَالَ تَعَالَى: ١٣٥: ﴿قُلْ﴾ بِإِحْمَادِ مُحَمَّدٍ لِمَنْ كَذَّبَكَ وَخَالَفَكَ: ﴿كُلُّ مَتْرِبٍصٌ﴾ مَتَا وَمِنْكُمْ ﴿فَتَرَبِّصُوا﴾ فَانْتَظِرُوا ﴿فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ أَصْحَابُ الصِّرَاطِ السَّوِيِّ﴾ الطَّرِيقِ الْمُسْتَقِيمِ ﴿وَمَنِ اهْتَدَى﴾ إِلَى الْحَقِّ وَالرَّشَادِ.

الآية: ١٣٢ روى ابن ماجه بإسناد صحيح عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: سمعت نبيكم ﷺ يقول: «من جعل الهوم ممتاً واحداً، هم للمعاد كفاه الله هم دنياه، ومن تشعبت به الهوم في أحوال الدنيا لم يبال الله في أي أوديته هلك». وفي الصحيح أن رسول الله ﷺ قال: «رأيت الليلة كاتاً في دار عقبة بن رافع، وأنا أتينا برطب من رطب ابن طاب؛ فأولت ذلك أن العاقبة لنا في الدنيا والرفعة، وأن ديننا قد طاب!!» / ابن كثير ج ١٧١/٣

١: ﴿اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مَعْرُضُونَ﴾ هذا تنبيه من الله تعالى على اقتراب الساعة وأن الناس في غفلة عنها لا يعملون لها ولا يستعدون من أجلها ٢:

﴿مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنْ رَبِّهِمْ مُحَدَّثٍ﴾ جديد إنزاله ﴿إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ﴾ [أي: وهم لأهون بالقدح فيه والاعتراض عليه] ٣: ﴿لَاهِيَةً قُلُوبِهِمْ﴾ [أي: معرضة عن ذكر الله]، ﴿وَأَسْرَوْا التَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ قائلين فيما بينهم خفية ﴿هَلْ هَذَا إِلَّا بَشْرٌ مِثْلُكُمْ﴾ يعنون محمداً صلى الله عليه وآله وسلم يستعدون كونه نبياً لأنه بشر مثلهم فكيف اختص بالوحي دونهم، ﴿أَفَأَسْرَتُونَ السَّحَرِ وَأَنْتُمْ تَبْصُرُونَ﴾ قال ربي يعلم القول في السماء والأرض وهو السميع العليم ﴿بَلْ قَالُوا أَضْغَتْ أَحْلَامٌ بَلْ أَفْتَرْتَهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بآيَةٍ كَمَا أُرْسِلَ الْأُولُونَ﴾ مآء أمنت قبلهم من قرية أهلكتها أفهم يؤمنون ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُوْحِي إِلَيْهِمْ فَتَشَاءُ أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لِتَعْلَمُونَ﴾ ﴿وَمَا جَعَلْنَاهُمْ جَسَداً لَيًّا كَلُونَ الطَّعَامَ وَمَا كَانُوا خَالِدِينَ﴾ ثم صدقناهم الوعد فأنجيناهم ومن نشاء وأهلكنا المسرفين ﴿لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابَ فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾

ويعسى ٦: ﴿وَمَا أَمَنْتُمْ قَبْلَهُمْ مِنْ قَرِيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَفَهُمْ يُؤْمِنُونَ﴾ ما أتينا قرية من القرى التي بعث فيها الرسل آية على يدي نبيها فآمنوا بها بل كذبوا فأهلكناهم بذلك، أفهؤلاء يؤمنون بالآيات لو رأوها دون أولئك؟ كلا، بل ﴿لَا يُؤْمِنُونَ وَلَوْ جَاءَتْهُمْ كُلُّ آيَةٍ حَتَّى يَبْرُؤَ الْعَذَابِ الْأَلِيمِ﴾ ٧: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُوْحِي إِلَيْهِمْ﴾ جميع الرسل الذين تقدموا كانوا رجلاً من البشر لم يكن فيهم أحد من الملائكة، ﴿فَأَسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لِتَعْلَمُونَ﴾ أسألوا أهل العلم من الأمم كالبيهود والنصارى هل كان الرسل الذين أتوهم ملائكة؟ أم كانوا بشرًا؟ ٨: ﴿وَمَا جَعَلْنَاهُمْ جَسَداً لَيًّا كَلُونَ الطَّعَامَ﴾ بل قد كانوا أجساداً يأكلون الطعام، كما قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا أَنْذَارًا لِلَّذِينَ هُمْ عَنْ آلِهَتِهِمْ كَارِهِينَ﴾ ٩: ﴿ثُمَّ صَدَقْنَاهُمُ الْوَعْدَ فَأَنْجَيْنَاهُمْ﴾ صدقهم الله وعددهم ليهلكن الظالمين، ﴿فَأَنْجَيْنَاهُمْ وَمَنْ نَشَاءُ﴾ من أتباعهم من المؤمنين ﴿وَأَهْلَكْنَا الْمُسْرِفِينَ﴾ المكذبين بما جاءت به الرسل ١٠: ﴿لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ﴾ فيه شرفكم وحديثكم ودينكم ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ هذه النعمة وتلقونها بالقبول، كما قال تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ﴾.

سُورَةُ الْأَنْبِيَاءِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١ اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مَعْرُضُونَ ﴿١﴾
 ٢ مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنْ رَبِّهِمْ مُحَدَّثٍ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴿٢﴾
 ٣ لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ وَأَسْرَوْا التَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا هَلْ هَذَا إِلَّا بَشْرٌ مِثْلُكُمْ أَفَأَسْرَتُونَ السَّحَرِ وَأَنْتُمْ تَبْصُرُونَ ﴿٣﴾
 ٤ قَالَ رَبِّي يَعْلَمُ الْقَوْلَ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٤﴾
 ٥ بَلْ قَالُوا أَضْغَتْ أَحْلَامٌ بَلْ أَفْتَرْتَهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بآيَةٍ كَمَا أُرْسِلَ الْأُولُونَ ﴿٥﴾
 ٦ مَاء أَمَنْتَ قَبْلَهُمْ مِنْ قَرِيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَفَهُمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾
 ٧ وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُوْحِي إِلَيْهِمْ فَتَشَاءُ أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لِتَعْلَمُونَ ﴿٧﴾
 ٨ وَمَا جَعَلْنَاهُمْ جَسَداً لَيًّا كَلُونَ الطَّعَامَ وَمَا كَانُوا خَالِدِينَ ﴿٨﴾
 ٩ ثُمَّ صَدَقْنَاهُمُ الْوَعْدَ فَأَنْجَيْنَاهُمْ وَمَنْ نَشَاءُ وَأَهْلَكْنَا الْمُسْرِفِينَ ﴿٩﴾
 ١٠ لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابَ فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٠﴾

١١: ﴿وَكَمْ قَصَمْنَا مِنْ قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً﴾؟
 هذه صيغة تكثير كما قال تعالى: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ الْقُرُونِ مِنْ بَعْدِ نُوحٍ﴾؟ ﴿وَأَنشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا آخَرِينَ﴾ أمة أخرى بعدهم ١٢: ﴿فَلَمَّا أَحْسَبُوا أَنبَاءَنَا﴾ تفقوا أن العذاب واقع بهم لاحتالة كما وعدهم بنبيهم ﴿إِذَا هُمْ مِنْهَا يَرْكُضُونَ﴾ يفرّون هارين ١٣: ﴿لَا يَرْكُضُوا وَارْجِعُوا إِلَى مَا تُرْتَفُونَ فِيهِ وَمَسَاكِنِكُمْ﴾ هذا تهمّت بهم ارجعوا إلى ماكنتم فيه من النعمة ﴿لَعَلَّكُمْ تَسْأَلُونَ﴾ عما كنتم فيه من أداء شكر النعم ١٤: ﴿قَالُوا يَا بُولِيسَ إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾ اعترفوا بذنوبهم حين لا ينعفهم ذلك ١٥: ﴿فَمَا زَالَتْ تِلْكَ دَعْوَاهُمْ﴾ تلك المقالة وهي الاعتراف بالظلم ﴿حتى جعلناهم حصيداً خاملين﴾ حتى حصدناهم حصداً وخمدت حركاتهم وأصواتهم خُموداً ١٦: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ﴾ خلق سبحانه السموات والأرض بالحق والعدل ليجزى الذي أسأؤوا بما عملوا ويجزي الذين أحسنوا بالحسنى ١٧: ﴿لَوْ أَرَدْنَا أَنْ نَتَّخِذَ لَهْوًا لَتَّخَذْنَا مِنْ لَدُنَّا﴾ يعني: من عندنا، أي: ما خلقنا جنةً ولاناراً ولا موتاً ولا بعثاً ولا حساباً، ﴿إِن كُنَّا فَاعِلِينَ﴾ ما كنا فاعلين. قال مجاهد: كل شيء في القرآن «إن» فهو إنكار ١٨: ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ﴾ نبيّن الحق فيدحض الباطل، ولهذا قال: ﴿فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ﴾ ذاهب مُضمحلٌ ﴿وَلَكُمْ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ﴾ أي: العذاب في الآخرة بسبب وصفكم الربّ بما

وَكَمْ قَصَمْنَا مِنْ قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا آخَرِينَ ﴿١١﴾ فَلَمَّا أَحْسَبُوا أَنبَاءَنَا إِذَا هُمْ مِنْهَا يَرْكُضُونَ ﴿١٢﴾ لَا تَرْكُضُوا وَارْجِعُوا إِلَى مَا أُتْرِفْتُمْ فِيهِ وَمَسَاكِنِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَسْأَلُونَ ﴿١٣﴾ قَالُوا يَا بُولِيسَ إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿١٤﴾ فَمَا زَالَتْ تِلْكَ دَعْوَاهُمْ حَتَّى جَعَلْنَاهُمْ حَصِيدًا خَامِلِينَ ﴿١٥﴾ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ ﴿١٦﴾ لَوْ أَرَدْنَا أَنْ نَتَّخِذَ لَهْوًا لَتَّخَذْنَا مِنْ لَدُنَّا إِن كُنَّا فَاعِلِينَ ﴿١٧﴾ بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمْ الْوَيْلُ مِمَّا نَصِفُونَ ﴿١٨﴾ وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ عِنْدَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ﴿١٩﴾ يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴿٢٠﴾ أَمْ اتَّخَذُوا إِلَهًا مِنْ دُونِ رَبِّهِمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢١﴾ لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٢٢﴾ لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ ﴿٢٣﴾ أَمْ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ هَذَا ذِكْرٌ مَن مَّعِيَ وَذِكْرٌ مَن قَبْلِي بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ فَهُمْ مُّعْرِضُونَ ﴿٢٤﴾

لا يجوز وصفه ١٩: ﴿وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ عِنْدَهُ﴾ يعني الملائكة ﴿لا يستكبرون عن عبادته﴾ كما قال تعالى: ﴿لَنْ يَسْتَكْفِرَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ﴾، ومن يستكف عن عبادته ويكفر فسبحهم إليه جميعاً، ﴿ولا يستحسرون﴾ لا يتعبون ٢٠: ﴿يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ﴾ فهم دائبون في العمل ليلاً ونهاراً، إنهم جعل لهم التسييح كما جعل لنا النفس ٢١: ﴿يُنكِرُ تَعَالَى عَلَى مَنْ اتَّخَذَ مِنْ دُونِهِ آلِهَةً﴾ أَمْ اتَّخَذُوا إِلَهًا مِنْ دُونِ رَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ؟ أي: لا يقبلون على شيء من ذلك فكيف جعلوا لله نداً وعبدوها معه؟! ٢٢: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا إِلَهٌ إِلَّا اللَّهُ﴾ في السموات والأرض ﴿لَفَسَدَتَا﴾ كما قال تعالى: ﴿مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذَا لَدَّهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَّ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سِبْحَانُ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾، ﴿فسبحان الله رب العرش عما يصفون﴾ عما يقولون إن له ولداً أو شريكاً ٢٣: ﴿لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾ لا تُعقَّبُ حُكْمُهُ ولا يعترض عليه أحدٌ لعظمته ﴿وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾ عما يعملون ٢٤: ﴿أَمْ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً قُلْ﴾ يا محمد ﴿هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ﴾ دليلكم على ما تقولون، ﴿هذا ذكرٌ من معي﴾ يعني القرآن ﴿وَذِكْرٌ مَن قَبْلِي﴾ يعني الكتب المتقدمة على خلاف ما تقولونه وترعّمونه، فكل كتاب أنزل ناطق بأنه لا إله إلا الله، ﴿بل أكثرهم لا يعلمون الحقَّ فهم مُّعْرِضُونَ﴾ .

وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾ وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَ اللَّهِ بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ ﴿٢٦﴾ لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنْ أَرَادَ وَهُمْ مِنْ حَشِيَّتِهِ مُشْفِقُونَ ﴿٢٨﴾ وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَهٌ مِنْ دُونِهِ فَذَلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ ﴿٢٩﴾ أَوْلَمِيرَالَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتْ رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٠﴾ وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِي أَنْ تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٣١﴾ وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرَضُونَ ﴿٣٢﴾ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٣٣﴾ وَما جَعَلْنَا لِلْبَشَرِ مِنْ قَبْلِكَ الْخَلْدَ أَفَإِنْ مِتَّ فَهُمْ الْخَالِدُونَ ﴿٣٤﴾ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبَلُّوكُم بِالْأَشْرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٣٥﴾

٢٥: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ نوحى بعثه الله يدعو إلى عبادة الله وحده لا شريك له، والفتنة شاهدة بذلك، والمشركون لا يزالون لهم وحببتهم داحضة
٢٦: ﴿وقالوا اتخذ الرحمن ولداً سبحانه بل عباد مكرمون﴾ هذا رد على زعم العرب أن الملائكة بنات الله، بل هم عباد الله، مكرمون عنده في المنازل، وهم له في غاية الطاعة قولاً وعملاً
٢٧: ﴿لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون﴾ لا يتقدمون بين يديه بأمر، ولا يخالفونه فيما أمرهم به، بل يسادرون إلى فعله
٢٨: ﴿يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم﴾ [أي: يعلم ما عملوا وما هم عاملون]، ﴿ولا يشفعون إلا لمن ارتضى﴾ [وهم أهل لإله إلا الله]، ﴿وهم من حشيتة مشفقون﴾ من خوفه ورهبتة مشفقون
٢٩: ﴿ومن يقل منهم إني إله من دونه﴾ من ادعى منهم أنه إله من دون الله، أي مع الله ﴿فذلك نجزيه جهنم كذلك نجزي الظالمين﴾
٣٠: ﴿أولم ير الذين كفروا أن السموات والأرض كانتا رتقاً ففتقناهما﴾ أي: تبيته تعالى على قدرته التامة وسلطانه العظيم في خلقه الأشياء وقهره لجميع المخلوقات؛ أي: ألم يعلم الجاحدون أن الله هو المستقل بالخلق ﴿وجعلنا من الماء كل شيء حي﴾ وهم يشاهدون المخلوقات أنها بحاجة إلى أصل كل الأحياء ﴿أفلا يؤمنون؟﴾
٣١: ﴿وجعلنا في الأرض رواسي أن تقيدهم﴾ جبلاً أرسى الأرض بها وثقلها

(١) رتقاً: أي مُنصفتين، لا يخرج منهما شيء. وقال مجاهد والسدي: كانت السموات مؤتلفة طبقة واحدة ففتقها فجعلها سبع سموات، وكذلك الأرضين كانت مرتتفة طبقة واحدة ففتقها فعملها سبعاً.

الآية: ٣٠ روى الإمام أحمد عن أبي هريرة قال: قلت يا رسول الله إني إذا رأيتك طابت نفسي، وقرت عيني، فأنبئي عن كل شيء، قال: «كل شيء خلق من ماء»، قال: قلت أنتبيني عن أمر إذا عملت به دخلت الجنة؟ قال: «أفش. السلام، وأطعم. الطعام، وصل الأرحام، وقم بالليل والناس نيام، ثم ادخل الجنة بسلام». / ابن كثير ج ٣/ ١٧٧

٣٦: ﴿وَإِذَا رَأَى الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ يعني كفار قريش ﴿إِنْ يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا﴾ يستهزئون بك ويتقصصونك يقولون: ﴿أَهَذَا الَّذِي يَذُكُرُ أَهْتَكُمْ﴾ يسب أهتكم ويسفه أحملاكم، قال تعالى: ﴿وَهُمْ يَذُكُرُ الرَّحْمَنَ هُم كَافِرُونَ﴾ وهم كافرون بالله ومع هذا يستهزئون برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ٣٧: ﴿خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ﴾ أي: آدم، خلق الله آدم بعد كل شيء من آخر النهار من يوم خلق الخلائق، [فَرَكِبَ عَلَى الْعَجَلَةِ فَخُلِقَ عَجُولًا]، قال تعالى: ﴿وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا﴾، ﴿سَأُورِيكُمْ آيَاتِي فَلَا تَسْتَعْجِلُونَ﴾ تقمي وحكمي واقتداري على من عصاني فلا تستعجلون ٣٨: ﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ يستعجلون بوقوع العذاب بهم تكذيباً وجموداً وكفراً وعناداً ٣٩: ﴿لَوْ يَعْلَمُ الَّذِينَ كَفَرُوا حِينَ لَا يَكْفُونَ عَنْ وُجُوهِهِمُ النَّارَ وَلَا عَنْ ظُهُورِهِمْ وَلَا أَنَّهُمْ رَاقِعَةٌ لَمَنِاعٌ لَهَا وَإِنَّهُمْ لَيَعْلَمُونَ حِينَ يَفْشَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَمَنْ تَحْتَ أَرْجُلِهِمْ﴾ كما قال تعالى: ﴿لَهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِنَ النَّارِ وَمِنْ تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ﴾، ﴿لَهُمْ مِنْ جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمَنْ فَوْقَهُمْ غَوَاشُ﴾، ﴿سَرَابِيلُهُمْ مِنْ قَطَرِائِنٍ وَتَغْشَى وَجُوهُهُمُ النَّارُ﴾، فالعذاب محيط بهم من جميع جهاتهم ٤٠: ﴿وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ﴾ لاناصر لهم ٤١: ﴿بَلْ تَأْتِيهِمْ بَغْتَةً﴾ فجأة ﴿فَنُفِثَتْهُمْ﴾ وتُدعَرهم، فيستسلمون لها حائرين لا يدرون ما يصنعون

وَإِذَا رَأَى الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَذَا الَّذِي يَذُكُرُ أَهْتَكُمْ وَهُمْ بِذِكْرِ الرَّحْمَنِ هُمْ كَافِرُونَ ﴿٣٦﴾ خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ سَأُورِيكُمْ آيَاتِي فَلَا تَسْتَعْجِلُونَ ﴿٣٧﴾ وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٣٨﴾ لَوْ يَعْلَمُ الَّذِينَ كَفَرُوا حِينَ لَا يَكْفُونَ عَنْ وُجُوهِهِمُ النَّارَ وَلَا عَنْ ظُهُورِهِمْ وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ ﴿٣٩﴾ بَلْ تَأْتِيهِمْ بَغْتَةً فَتَبْهَتُهُمْ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ رَدَّهَا وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ ﴿٤٠﴾ وَلَقَدْ اسْتَهْزَأَ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٤١﴾ قُلْ مَنْ يَكْلُؤُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ مِنَ الرَّحْمَنِ بَلْ هُمْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِمْ مُعْرِضُونَ ﴿٤٢﴾ أَمْ لَهُمْ آلِهَةٌ تَمْنَعُهُمْ مِنْ دُونِنَا لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ أَنفُسِهِمْ وَلَا هُمْ مِمَّا يُصْحَبُونَ ﴿٤٣﴾ بَلْ مَنَعْنَا هَؤُلَاءَ وَآبَاءَهُمْ حَتَّى طَالَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَفِهَا أَفَهُمُ الْغَالِبُونَ ﴿٤٤﴾

﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ رَدَّهَا﴾ ليس لهم حيلة في ذلك ﴿وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ﴾ ولا يؤخر عنهم ساعة واحدة ٤١: ﴿وَلَقَدْ اسْتَهْزَأَ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ من العذاب الذي كانوا يستعبدون وقوعه ٤٢: ﴿قُلْ مَنْ يَكْلُؤُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ مِنَ الرَّحْمَنِ﴾ أي بدل الرحمن؟ ﴿بَلْ هُمْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِمْ مُعْرِضُونَ﴾ لا يعترفون بنعمة الله عليهم وإحسانه إليهم، بل يعرضون عن آياته وآلائه ٤٣: ﴿أَمْ لَهُمْ آلِهَةٌ تَمْنَعُهُمْ مِنْ دُونِنَا؟﴾ استفهام إنكاري وتقريع وتوبيخ، أي: ألمه آله تمنعهم وتكلوهم غيرنا؟ ليس الأمر كما توهموا ولا كما زعموا، ولهذا قال تعالى: ﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ أَنفُسِهِمْ﴾ هذه الآلهة لا يستطيعون نصر أنفسهم، ﴿وَلَا هُمْ مِمَّا يُصْحَبُونَ﴾ يجارون ٤٤: ﴿بَلْ مَنَعْنَا هَؤُلَاءَ وَآبَاءَهُمْ حَتَّى طَالَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ﴾ إنهم متعمروا في الحياة الدنيا وتعموا وطال عليهم العُمُرُ فَمَا هُمْ فِيهِ، فاعتقدوا أنهم على شيء، ثم قال تعالى وإعظماً لهم ﴿أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَفِهَا﴾ يعني بذلك ظهور الإسلام على الكفر، والمعنى: أفلا يعتبرون بنصر الله لأوليائه على أعدائه، وإهلاكه الأمم المكذبة وإنجائه لعباده المؤمنين ولهذا قال تعالى: ﴿أَفَهُمُ الْغَالِبُونَ؟﴾ يعني: هم المغلوبون الأخسرون الأردلون.

الآية: ٣٧ الحكمة في ذكر عجلة الأنسان هاتنا: أنه لما ذكر المستهزئين بالرسول صلوات الله وسلامه عليه، وقع في النفوس سرعة الانتقام منهم، واستعجلت ذلك، فقال الله تعالى: ﴿خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ﴾ لأنه تعالى يُعَلِّمُ لِلظَّالِمِ حَتَّى إِذَا أَخَذَ لِمِ بَغْلِهِ، يُؤْجَلُ ثُمَّ يُعْجَلُ، وَيُنْظَرُ ثُمَّ لَا يُؤْتَرُ، ولهذا قال: ﴿سَأُورِيكُمْ آيَاتِي﴾ أي تقمي وحكمي واقتداري على من عصاني. / ابن كثير ج ٣/ ١٧٩

٤٥: ﴿قُلْ إِنَّمَا أُنذِرُكُمْ بِالْوَحْيِ﴾ إِنَّمَا أَنَا مَبْلَغٌ عَنِ اللَّهِ مَا أُنذِرْتُكُمْ بِهِ مِنَ الْعَذَابِ وَالنَّكَالِ لَيْسَ ذَلِكَ إِلَّا عَمَّا أَوْحَاهُ اللَّهُ إِلَيَّ، ﴿وَلَا يَسْمَعُ الصُّمُّ الدُّعَاءَ إِذَا مَا يُنذَرُونَ﴾ ولكن لا يجدي هذا عَمَّنْ أَعَمَّى اللَّهُ بَصِيرَتَهُ وَخَمَّ عَلَى سَمْعِهِ وَقِيلَ ٤٦: ﴿وَلَنْ مَسْتَهْمُ نَفْعَةٌ مِنْ عَذَابِ رَبِّكَ لِيَقُولَنَّ يَوْمَ يُنَادِيْنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾ وَنَضَعَ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ ﴿٤٧﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ وَضِيَاءً وَذِكْرًا لِّلْمُنْتَقِينَ ﴿٤٨﴾ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ وَهُمْ مِنَ السَّاعَةِ مُشْفِقُونَ ﴿٤٩﴾ وَهَذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنْزَلْنَاهُ أَفَأَنْتُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ ﴿٥٠﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ ﴿٥١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ ﴿٥٢﴾ قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ ﴿٥٣﴾ قَالَ لَقَدْ كُنْتُمْ أَتَمُّ عِبَادًا لِّأَبَائِكُمْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٥٤﴾ قَالُوا أَجِئْنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنْتَ مِنَ اللَّاعِبِينَ ﴿٥٥﴾ قَالَ بَلْ رَبُّكُمْ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُنَّ وَأَنَا عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴿٥٦﴾ وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ ﴿٥٧﴾

التعريف

٣٢٦

الآية: ٤٧: روى الإمام أحمد عن عبدالله بن عمرو بن العاص أنه قال: «إن الله عز وجل يستخلص رجلاً من أمته على رؤوس الخلائق يوم القيامة، فينشر عليه تسعة وتسعين سجلاً، كل سجل مئ البصر، ثم يقول: أتتكر من هذا شيئاً؟ أظلمتلك كتيبتي الحافظون؟ قال: لا يا رب، قال: أقلت عنك أو حسنت؟ قال: فبُهِت الرجل، فيقول: لا يا رب، فيقول: بل إن لك عندنا حسنة واحدة، لا ظلم عليك اليوم، فتخرج له بطاقة فيها «أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله!!» فيقول: أحضروه، فيقول: يارب ما هذه البطاقة مع هذه السجلات؟ فيقول: إنك لا تظلم، قال: فوضع السجلات في كفة والبطاقة في كفة، قال: فطاشت السجلات وثقلت البطاقة!! قال: ولا يثقل شيء مع بسم الله الرحمن الرحيم» ورواه الترمذي وابن ماجه والحاكم بإسناد صحيح. / ابن كثير ج ٣ / ١٨٠

٥٨: ﴿فَجَعَلَهُمْ جُدُذًا إِلَّا كَبِيرًا لَهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ﴾ فجعَلَهُم جُدُذًا إِلَّا كَبِيرًا لَهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ كَلَّمَهَا إِلَّا كَبِيرَ الْأَصْنَامِ، وَضَعَ الْقُدُومَ فِي يَدَيْهِ لَعَلَّهُمْ يَعْتَقِدُونَ أَنَّهُ هُوَ الَّذِي غَارَ عَلَى نَفْسِهِ وَأَنْفَ أَنْ تَعْبُدَ مَعَهُ هَذِهِ الْأَصْنَامَ الصَّغَارَ
٥٩: ﴿قَالُوا مَنْ فَعَلَ هَذَا بِآبَتِنَا إِنَّهُ لَكَيْنَ الظَّالِمِينَ﴾ حِينَ رَأَوْا الْإِهَانَةَ بِأَصْنَامِهِمْ ٦٠: ﴿قَالُوا سَمِعْنَا﴾ قَالَ مَنْ سَمِعَهُ يَحْلِفُ أَنَّهُ لَيْكِدْتَهُمْ ﴿سَمِعْنَا فَقِي يَذْكُرُهُمْ﴾ [أَي: يَعْيُبُهُمْ وَيَسُبُّهُمْ] ﴿يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ﴾ ٦١: ﴿قَالُوا فَأَتُوا بِهِ عَلَى أَعْيُنِ النَّاسِ﴾ عَلَى رُؤُوسِ الْأَشْهَادِ فِي الْمَلَأَ مِنَ النَّاسِ ﴿لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ﴾ وَهَذَا هُوَ الْمَقْصُودُ الْأَكْبَرُ لِإِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنْ يُبَيِّنَ فِي هَذَا الْحِفْلِ الْعَظِيمِ كَثْرَةَ جَهْلِهِمْ وَقَلَّةَ عَقْلِهِمْ فِي عِبَادَةِ هَذِهِ الْأَصْنَامِ ٦٢: ﴿قَالُوا أَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِآبَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ؟﴾ ٦٣: ﴿قَالَ بَلْ فَعَلْتُهُ كَيْرُهُمْ هَذَا﴾ يَعْنِي الَّذِي تَرَكَهُ وَلَمْ يُكْسِرْ ﴿فَأَنسَأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ﴾ وَإِنَّمَا أَرَادَ بِهَذَا أَنْ يُبَادِرُوا مِنْ تَلْقَاءِ أَنْفُسِهِمْ فَيَعْتَرِفُوا أَنَّهُمْ لَا يَنْطِقُونَ، وَأَنَّ هَذَا لَا يَصْدُرُ عَنِ هَذَا الصَّنَمِ لِأَنَّهُ جَمَادٍ ٦٤: ﴿فَرَجَعُوا إِلَى أَنْفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنْتُمْ الظَّالِمُونَ﴾ لِأَمَّا أَنْفُسَهُمْ فِي عَدَمِ احْتِرَازِهِمْ وَحِرَاسَتِهِمْ لِأَنْفُسِهِمْ ٦٥: ﴿ثُمَّ نَكَسُوا عَلَى رُؤُوسِهِمْ﴾ ثُمَّ أَطْرَقُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا: ﴿لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا هَؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ﴾ فَكَيْفَ تَقُولُ لَنَا: سَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ وَأَنْتَ تَعْلَمُ أَنَّهُ لَا تَنْطِقُ؟ فَعِنْدَهَا: ٦٦: ﴿قَالَ﴾ لَهُمْ إِبْرَاهِيمُ لَمَّا اعْتَرَفُوا بِذَلِكَ:

فَجَعَلَهُمْ جُدُذًا إِلَّا كَبِيرًا لَهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ
٥٨: ﴿قَالُوا مَنْ فَعَلَ هَذَا بِآبَتِنَا إِنَّهُ لَكَيْنَ الظَّالِمِينَ﴾
٥٩: ﴿قَالُوا سَمِعْنَا فَقِي يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ﴾ ٦٠: ﴿قَالُوا فَأَتُوا بِهِ عَلَى أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ﴾ ٦١: ﴿قَالُوا أَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِآبَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ﴾ ٦٢: ﴿قَالَ بَلْ فَعَلْتُهُ كَيْرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ﴾ ٦٣: ﴿فَرَجَعُوا إِلَى أَنْفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنْتُمْ الظَّالِمُونَ﴾ ٦٤: ﴿ثُمَّ نَكَسُوا عَلَى رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا هَؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ﴾ ٦٥: ﴿قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ﴾ ٦٦: ﴿أَفِي لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ ٦٧: ﴿قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلَ الْهَتَكُمُ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ﴾ ٦٨: ﴿قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ﴾ ٦٩: ﴿وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ﴾ ٧٠: ﴿وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ﴾ ٧١: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً وَكُلًّا جَعَلْنَا صَالِحِينَ﴾ ٧٢

﴿أَفَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ﴾ إِذَا كَانَتْ لَا تَنْطِقُ وَهِيَ لَا تَنْفَعُ وَلَا تَضُرُّ فَلِمَ تَعْبُدُونَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ؟ ٦٧: ﴿أَفِي لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ؟﴾! أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ مَا أَنْتُمْ فِيهِ مِنَ الضَّلَالِ وَالْكَفْرِ الْغَلِيظِ الَّذِي لَا يَرُوجُ إِلَّا عَلَى جَاهِلٍ ظَالِمٍ فَاجِرٍ، فَأَقَامَ عَلَيْهِمُ الْحُجَّةَ فِي هَذَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ﴾ ٦٨: ﴿وَمَا دُحِضَتْ حُجَّتُهُمْ وَظَهَرَ بَاطِلُهُمْ عَدَلُوا إِلَى اسْتِعْمَالِ جَاهِ مَلِكِهِمْ، ﴿قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلَ الْهَتَكُمُ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ﴾، فَجَمَعُوا حَطْبًا كَثِيرًا جَدًّا، وَأَصْرَمُوهَا نَارًا ثُمَّ قَدَفُوهُ فِيهَا بِالْمَنْجَنِيقِ ٦٩: ﴿قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ﴾ فَلَمْ تَحْرِقْ سُوَى وَثَاقِهِ، وَلَمْ تَبْقِ نَارًا فِي الْأَرْضِ إِلَّا طِفْثٌ ٧٠: ﴿وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ﴾ الْمَغْلُوبِينَ الْأَسْفَلِينَ، فَكَادَهُمُ اللَّهُ وَجَاءَهُ مِنَ النَّارِ، فَغَلِبُوا هُنَاكَ ٧١: ﴿وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ﴾ إِلَى بِلَادِ الشَّامِ [وَكَانَ فِي الْعِرَاقِ، وَكَانَ إِبْرَاهِيمُ عَمَّ لُوطَ. وَبِرَكَةِ الشَّامِ لِكَثْرَةِ خَصْبِهَا وَأَنْهَارِهَا وَثَمَارِهَا. وَبِالرَّكَّةِ: ثَبُوتُ الْحَيْرِ] ٧٢: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً﴾ النَّافِلَةُ: وَلَدُ الْوَالِدِ، يَعْنِي: يَعْقُوبُ وَلَدُ إِسْحَاقَ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿فَبَشِّرْنَا نَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ﴾، ﴿وَكُلًّا جَعَلْنَا صَالِحِينَ﴾ الْجَمِيعَ أَهْلَ خَيْرٍ وَصَلَاحٍ.

الآية: ٦٨ روى البخاري عن عبدالله بن عباس رضي الله عنهما قال: «حسبي الله ونعم الوكيل، فالها إبراهيم حين ألقى في النار، وقالها محمد عليهما الصلاة والسلام، حين قالوا: إن الناس قد جمعوا لكم فاختشوم فزادهم إيماناً، وقالوا: حسبي الله ونعم الوكيل».

/ابن كثير ج/ ١٨٤/٣

الآية: ٦٩ قال الصَّحَّاحُ «كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ» قَالَ: صَنَعُوا لَهُ حِطْرَةً مِنْ حَطْبِ جَزَلٍ، وَأَشْعَلُوا فِيهِ النَّارَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ، فَأَصْبَحَ وَلَمْ يُصِبْهُ مِنْهَا شَيْءٌ حَتَّى أَحْمَدَهَا اللَّهُ.

/ابن كثير ج/ ١٨٤/٣

٧٣: ﴿وجعلناهم أئمة يهتدون بأمرنا﴾ جعلناهم أئمة يقتدى بهم، يدعون إلى الله بإذنه، ﴿وأوحينا إليهم فعل الخيرات وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة﴾ [هذا] من باب عطف الخاص على العام. ﴿وكانوا لنا عابدين﴾ فاعلين لما يأمرون الناس به. ثم عطف بذكر لوط، وكان قد آمن بآبراهيم واتبعه وهاجر معه كما قال تعالى: ﴿فآمن له لوط وقال إني مهاجر إلى ربي﴾ فاتاه الله حكماً وأوحى إليه وجعله نبياً وبعثه إلى سدوم، ولهذا قال تعالى: ٧٤: ﴿ولوطاً أتيناه حكماً وعلماً ونجيتاه من القرية التي كانت تعمل الحياث﴾ [أي: اللواط المستخث] ﴿إنهم كانوا قوم سوء فاسقين﴾ [أي: خارجين عن طاعة الله] ٧٥: ﴿وآدخلناهم في رحمتنا﴾ [أي: في النبوة] ﴿إنه من الصالحين﴾ ٧٦: ﴿ونوحاً إذ نادى من قبل فاستجبنا له﴾ [أي: واذكر نوحاً إذ دعا على قمه من قبل إبراهيم ولوط] لما كذبوه، ﴿فاستجبنا له فنجيناه وأهله من الكرب العظيم﴾ [وذلك حين دعا ربّه أني مغلوب فانتصر] ٧٧: ﴿ونصرناه من القوم الذين كذبوا بآياتنا إنهم كانوا قوم سوء فاغرقتناهم أجمعين﴾ أهلكهم الله بعامة، ولم يبق على وجه الأرض منهم أحد كما دعا عليهم نبيهم، بعد أن لبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاماً يدعوهم إلى الله عز وجل، فلم يؤمن به منهم إلا القليل، فدعا عليهم فقال: ﴿رب لا تذّر على الأرض من الكافرين ذبّاراً﴾ ٧٨: ﴿وداود

وجعلناهم أئمة يهتدون بأمرنا وأوحينا إليهم فعل الخيرات وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وكانوا لنا عابدين ﴿٧٣﴾ ولوطاً ءآتيناه حكماً وعلماً ونجيتاه من القرية التي كانت تعمل الحياث إنهم كانوا قوم سوء فاسقين ﴿٧٤﴾ وآدخلناه في رحمتنا إنه من الصالحين ﴿٧٥﴾ ونوحاً إذ نادى من قبل فاستجبنا له فنجيتاه وأهله من الكرب العظيم ﴿٧٦﴾ ونصرناه من القوم الذين كذبوا بآياتنا إنهم كانوا قوم سوء فاغرقتناهم أجمعين ﴿٧٧﴾ وداود وسليمان إذ يحكمان في الحرب إذ نفثت فيه غم القوم وكنا لحكمهم شهدين ﴿٧٨﴾ ففهمناها سليمان وكلاء آتينا حكماً وعلماً وسخرنا مع داود الجبال يسبحن والطير وكنا فاعلين ﴿٧٩﴾ وعلّمناه صنعة لبوس لكم لنحصنكم من بأسكم فهل أنتم شاكرون ﴿٨٠﴾ ولسليمان الريح عاصفة تجرى بأمره إلى الأرض التي بركنا فيها وكنا بكل شيء علمين ﴿٨١﴾

وسليمان إذ يحكمان في الحرب إذ نفثت فيه غم القوم﴾ [أي: واذكرهما إذ يحكمان]، ﴿في الحرب إذ﴾ رعث فيه ﴿غم القوم﴾ ليلاً، فأفسدته، ففضى داود بالغم لأصحاب الحرب ﴿وكنّا لحكمهم شاهدين﴾ ٧٩: ﴿ففهمناها سليمان﴾ وذلك أن داود أعطى أصحاب الحرب رقاب الغنم، فقال سليمان: لا بل تؤخذ الغنم فيعطاهم أهل الكرم، فيكون لهم لبنها ونفعها، ويُعطى أهل الغنم الكرم فيعمروه ويُصلحوه حتى يعود كالذي كان ليلة نفثت فيه الغنم، ثم يُعطى أهل الغنم غنمهم، وأهل الكرم كرمهم. ﴿وكنّا آتينا حكماً وعلماً﴾ [أخبر سبحانه بأنه أعطى كل واحد منهما هذين الأمرين] ﴿وسخرنا مع داود الجبال يسبحن والطير﴾ وذلك لطيب صوته بتلاوة الزبور، وكان إذا ترتّم به تقف الطير في الهواء فتجاوبه وتردّ عليه الجبال تاديباً، ﴿وكنّا فاعلين﴾ ٨٠: ﴿وعلّمناه صنعة لبوس لكم﴾ يعني صنعة الدروع كما قال تعالى: ﴿وأنزلنا له الحديد أن يعمل سبغات وقدّر في السرد﴾ لاتوسع الحلقة ﴿لنحصنكم من بأسكم﴾ في القتال ﴿فهل أنتم شاكرون﴾ بعمّ الله؟ ٨١: ﴿ولسليمان الريح عاصفة﴾ وسخرنا لسليمان الريح العاصفة ﴿تجري بأمره إلى الأرض التي باركنا فيها﴾ يعني أرض الشام ﴿وكنّا بكل شيء عالمين﴾ وذلك أنه كان له بساط تحمله قرفعه وتسيره به إلى حيث يشاء من الأرض فيتزل وتوضع آلاته وحشمه، كما قال تعالى: ﴿فسخرنا له الريح تجري بأمره رخاء حيث أصاب﴾.

الآية: ٧٨ ثبت في صحيح البخاري عن عمرو بن العاص أنه قال: قال رسول الله ﷺ: ﴿إذا اجتهد الحاكم فأصاب، فله أجران، وإن اجتهد فأخطأ فله أجر﴾. وفي صحيح البخاري ومسلم عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: ﴿بيننا امرأتان معهما ابنان هما، إذ جاء ذئب فأخذ أحد الابنين، فحكا إلى داود ففضى به للكبرى، فخرجنا، فدعاهما سليمان، فقال: هاتوا السكين أشقعه بينكما، فقالت الصغرى: يرحمك الله هو ابنها لانشقه، ففضى به للصغرى﴾.

٨٢: ﴿وَمِنَ الشَّيَاطِينِ مَنْ يَغُوصُونَ لَهُ﴾ في الماء يستخرجون اللآلئ والجواهر وغير ذلك، ﴿ويعملون عملاً دون ذلك﴾ غير ذلك، كما قال تعالى: ﴿والشياطين كل بناء وغواص وآخرين مقرنين في الأصفاد﴾. ﴿وَكُنَّا لَهُمْ حَافِظِينَ﴾ يجرسه الله أن يناله أحد من الشياطين بسوء ٨٣: ﴿وَأَيُّوبَ﴾ [أي: واذكر أيوب] ﴿إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ﴾ ما كان به من البلاء في ماله وولده وجسده ﴿وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ قال صلى الله عليه وآله وسلم: «أشدُّ الناس بلاءَ الأنبياء ثم الصالحون ثم الأمتل فالأمتل» وقد كان نبيُّ الله أيوب عليه السلام غاية في الصبر، وبه يضرب المثل في ذلك ٨٤: ﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرِّهِ﴾ [وما كان منه ليس من باب الشكاية وإنما كان دعاءً، والإجابة تتعقب الدعاء لا الاشتكاء] ﴿وَأَتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ﴾ وردَّ عليه ماله وولده عياناً، ومثلهم معهم [وكان بثوه قد ماتوا فأحيوا له، وولده له مثلهم معهم]، ﴿رَحْمَةً مِنَّا عُنْدَنَا وَذَكَرَى لِلْعَابِدِينَ﴾ رحمة من الله وجعلناه في ذلك قدوةً لئلا يظن أهل البلاء أننا فعلنا بهم ذلك طويهم علينا، وليتأسوا به في الصبر على مقدرات الله وابتلائه، وله الحكمة في ذلك ٨٥: ﴿وَإِسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ﴾ [أي: واذكرهم] ﴿كُلٌّ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾ [أي: على أمر الله والقيام بطاعته واجتناب معاصيه] ٨٦: ﴿وَأَدْخَلْنَاهُمْ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُمْ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ ٨٧: ﴿وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ

بصبره
٣٣

وَمِنَ الشَّيَاطِينِ مَنْ يَغُوصُونَ لَهُ وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَلِكَ وَكُنَّا لَهُمْ حَافِظِينَ ﴿٨٢﴾ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴿٨٣﴾ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرِّهِ وَأَتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنَّا عُنْدَنَا وَذَكَرَى لِلْعَابِدِينَ ﴿٨٤﴾ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ كُلٌّ مِنَ الصَّابِرِينَ ﴿٨٥﴾ وَأَدْخَلْنَاهُمْ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُمْ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٨٦﴾ وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغْضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٨٧﴾ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَجَعَلْنَاهُ مِنَ الْغُرِّ وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾ وَذَكَرْنَا إِذْ نَادَى رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ ﴿٨٩﴾ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَى وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْأَرَعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رِعَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَادِعِينَ ﴿٩٠﴾

مغاضباً﴾ هذه القصة مذكورة في (الصفات) و(ن)، وذلك أن يونس بن متى عليه السلام بعثه الله إلى أهل قرية يبتوى من أرض الموصل، فدعاهم إلى الله فأبوا عليه، فخرج مغاضباً ووعدهم بالعذاب بعد ثلاث فلما تحققوا من ذلك تضرعوا إلى الله عز وجل، فرجع الله عنهم العذاب، كما قال تعالى: ﴿..إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّا آمَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا..﴾ وأما يونس فذهب فركب مع قوم في سفينة فلججت بهم وخافوا أن يغرقوا فاقترعوا على رجل يلقونه من بينهم يتخففون منه فوقع القرعة على يونس، كما قال تعالى: ﴿فَسَاءَ مَا كَانُوا مِنَ الْمُنْذِرِينَ﴾؛ ﴿فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ﴾، أي: لئن نصيقت عليه من قوله تعالى: ﴿وَمَنْ قَدِرْ عَلَيْهِ رِزْقُهُ﴾ فألقى في البحر فالتقمه الحوت ليكون له سجنًا، ﴿فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [يريد فيما خالف فيه من ترك مداومة قومه والصبر عليهم] ٨٨: ﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَجَعَلْنَاهُ مِنَ الْغُرِّ﴾ أخرجناه من بطن الحوت وتلك الظلمات، ﴿وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ﴾ إذا كانوا في الشدائد ودعونا بهذا الدعاء في حال البلاء ٨٩: ﴿وَذَكَرْنَا زَكَرِيَّا﴾ [أي: واذكر زكريا] ﴿إِذْ نَادَى رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا﴾ لا ولد لي ولا وارث يقوم من بعدي في الناس ﴿وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ﴾ دعاءً وثناءً مناسباً للمسألة، قال الله تعالى: ٩٠: ﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَى وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ﴾ امرأته، وكانت عاقراً لا تلد فولدت. ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْأَرَعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ﴾ في عمل القربات والطاعات ﴿وَيَدْعُونَنَا رِعَبًا وَرَهَبًا﴾ فيما عندنا ﴿وَوَهَبْنَا﴾ [وكانوا لنا خاشعين] متذللين لله عز وجل..

٩١: ﴿وَالَّذِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا﴾ ففخنا فيها من رُوحنا وجعلناها وابنها آية للعالمين ﴿ يعني مريم وعيسى عليهما السلام، وفي هذا دلالة على أن الله تعالى على كل شيء قدير، وأنه يخلق ما يشاء، وإتما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له: كُنْ فيكون ٩٢: ﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ إن دينكم دين واحد، وستتكم سنة واحدة، وهذه شريعتكم التي بينت لكم ووضحت لكم؛ ﴿أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ نصب على الحال ولهذا قال تعالى: ﴿وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُون﴾ أي: وحده لا شريك له ٩٣: ﴿وَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ﴾ اختلفت الأمم على رسلها فمن بين مصدق لهم ومكذب، ولهذا قال تعالى: ﴿كُلُّ الْإِنسَانِ رَاجِعُونَ﴾ يوم القيامة فيجازى كلٌ بحسب عمله إن خيراً فخير وإن شراً فشر، ولهذا قال تعالى: ٩٤: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾ قلبه مُصَدِّقٌ وعملٌ عملاً صالحاً ﴿فَلَكَرَّانٌ لِسَعِيهِ﴾ لا يكفر سعيه بل يشكر فلا يظلم بشيء ذرة ولهذا قال تعالى: ﴿وَأَنَا لَهُ كَاتِبُونَ﴾ يكتب جميع عمله فلا يضيع عليه منه شيء ٩٥: ﴿وَحَرَامٌ عَلَىٰ أَهْلِهَا أَنَّهُمْ لَازِحُونَ﴾ قد قدر أن أهل كل قرية أهلوا أنهم لا يرجعون إلى الدنيا قبل يوم القيامة ٩٦: ﴿حَتَّىٰ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُمْ يَشْرِذُونَ مِنْ سَلَاةِ آدَمَ تَرَكُوا مِنْ وَّرَاءِ السُّدِّ الَّذِي بَنَاهُ ذُو الْقُرَيْنِ﴾ وهم من كل حذب ينسلون الحذب من الأرض: المرتفع منها، ينسلون: أي يسرعون

وَالَّذِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا ففخنا فيها من رُوحنا وجعلناها وابنها آية للعالمين ﴿٩١﴾ إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ ﴿٩٢﴾ وَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ كُلُّ إِلَهِنَا يَجْعُوتَ ﴿٩٣﴾ فَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ لِسَعِيهِ وَإِنَّا لَهُ كَاتِبُونَ ﴿٩٤﴾ وَحَرَامٌ عَلَىٰ قَرِيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿٩٥﴾ حَتَّىٰ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُمْ مِّنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ ﴿٩٦﴾ وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَرُ الَّذِينَ كَفَرُوا يُؤْيَلِنَا قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا بَلْ كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿٩٧﴾ إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَرِدُونَ ﴿٩٨﴾ لَوْ كَانَ هَؤُلَاءَ آلَ اللَّهِ مَا وَرَدُوا هَؤُلَاءَ وَكُلٌّ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٩٩﴾ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ ﴿١٠٠﴾ إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴿١٠١﴾

في المشي إلى الفساد ٩٧: ﴿واقترَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ﴾ يعني يوم القيامة إذا حصلت هذه الأحوال أُرْفَتِ السَّاعَةُ واقتربت ﴿فإذا هي شاخِصَةٌ أَبْصَرُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ من شدة ما يشاهدونه من الأمور العظام يقولون: ﴿يا ويلىٰنا قد كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا﴾ في الدنيا ﴿بل كُنَّا ظَالِمِينَ﴾ يعترفون بظلمهم لأنفسهم حيث لا ينفعهم ذلك ٩٨: ﴿إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم﴾ وقودها الذي يرمى به فيها ﴿أنتم لها وارِدُونَ﴾ داخلون ٩٩: ﴿لو كان هؤلاء الأصبان والأنداد﴾ أمة ماوردوها ﴿لما دخلوا النار﴾ ﴿وكل في خالِدُونَ﴾ العابدون ومعبوداتهم كلهم في النار خالدون ١٠٠: ﴿هم فيها زفير﴾ كما قال تعالى: ﴿هم فيها زفير وشهيق﴾ والزفير: خروج أنفاسهم، والشهيق: ولوج أنفاسهم ﴿وهم فيها لا يسمعون﴾ [لأنهم في توابيت من نار] ١٠١: ﴿إن الذين سبقتم منّا الحسنىٰ أولئك عنها مبعدون﴾ الرحمة ﴿أولئك عنها مبعدون﴾.

(١) إن المراد بالفرج: فرج القميص؛ أي: لم تعلق رية بفرجها. أي: إنها طاهرة أكمل الطهارة. وفرج القميص أربعة: الكمان والأعلى والأسفل. قال السهيلي: فلا يذهبن وهنك إلى غير هذا؛ فإنه من لطف الكتابة، لأن القرآن أنزه معنى، وأوزن لفظاً، وألطف إشارة، وأحسن عبارة، من أن يؤيد ما يذهب إليه وهم الجاهل لاسياً والنفع من روح القدس بأمر القدوس، فأصنّف القدوس إلى القدوس، ونزه المقدسة الطاهرة عن الظن الكاذب والحسد.

الآية: ٩٦ روى مسلم في صحيحه حديث نزول عيسى عليه السلام بعد خروج الدجال: .. فطلبه حتى يدركه بباب لُدِّ فيقتله، ثم يأتي عيسى ابن مريم قوم قد عصمهم الله منه، فيمسح عن وجوههم، ويحدّثهم بدرجاتهم في الجنة، فبينما هو كذلك إذ أوحى الله إلى عيسى: أتني قد أخرجت عبداً لي، لا يهدان لأحدٍ بقتلهم، فحرّز عبادي إلى الطور رأي ضميم واجعله لهم حرزاً] ويصيح الله بأجوج ومأجوج، وهم من كل حذب ينسلون، فيمرّ أوائلهم على بحيرة طبرية فيشربون مائها، ويغرّ آخرهم فيقولون: لقد كان بهذه مرة ماءً، ويخصر نبي الله عيسى وأصحابه، حتى يكون رأس النور لأحدهم خيراً من مائة دينار لأحدكم اليوم، فيرغب نبي الله عيسى وأصحابه؛ فيرسل الله عليهم التفتّ [دود يكون في أنوف الإبل والغنم] في رهاقهم، =

١٠٢: ﴿لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا﴾ حريقها في الأجساد، ﴿وهم فيما اشتت أنفسهم خالِدُونَ﴾ فَسَلَّمَهُمْ مِنَ الْمَخْذُورِ وَحَصَلَ لَهُمُ الْمَطْلُوبُ ١٠٣: ﴿لَا يَحْزَنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ﴾ الموتُ والنَّفخةُ في الصور، وحين تُطْبِقُ النَّارُ عَلَى أَهْلِهَا، ﴿وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ﴾ وهي تقول لهم: ﴿هَذَا يَوْمُكُمْ الَّذِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ تُبَشِّرُهُمْ يَوْمَ مَعَادِهِمْ إِذَا خَرَجُوا مِنْ قُبُورِهِمْ؛ أَي: فَأَمَلُوا مَا يَسُرُّكُمْ ١٠٤: ﴿يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجْلِ لِلْكِتَابِ﴾ كَطَيِّ السِّجْلِ لِلْكِتَابِ؛ بِمَعْنَى الْمَكْتُوبِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾. ﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعَدْنَا عَلَيْكَ؛ بِمَعْنَى: هَذَا كَأَنَّ لِمَا عَلِمْنَا أَنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ﴾ يَوْمَ نُعِيدُ اللَّهُ الْخَلَائِقَ خَلْقًا جَدِيدًا، كَمَا بَدَأَهُمْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى إِعَادَتِهِمْ ١٠٥: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرْثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾ هَذَا خَبْرٌ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى عَمَّا حَتَمَهُ وَقَضَاهُ لِعِبَادِهِ الصَّالِحِينَ مِنَ السَّعَادَةِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَوَرَاثَةِ الْأَرْضِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ. وَالزَّبُورُ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَهُ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ١٠٦: ﴿إِنَّ فِي هَذَا لَبَلَاغًا لِقَوْمٍ عَابِدِينَ﴾ إِنَّ فِي هَذَا الْقُرْآنِ الَّذِي أَنْزَلْنَاهُ عَلَى عَبْدِنَا مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ لِبَلَاغًا لِنَفْعِهِمْ وَكَفَايَةِ لِقَوْمٍ عَابِدِينَ، وَهَمُ الَّذِينَ عُبِدُوا اللَّهُ بِمَا شَرَعَهُ وَأَحَبَّهُ وَرَضِيَهُ،

لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا وَهُمْ فِي مَا اشْتَتَتْ أَنفُسُهُمْ خَالِدُونَ ﴿١٠٢﴾ لَا يَحْزَنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ وَنَتَلَقَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ﴿١٠٣﴾ هَذَا يَوْمُكُمْ الَّذِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿١٠٤﴾ يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجْلِ لِلْكِتَابِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعَدْنَا عَلَيْكَ إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ ﴿١٠٥﴾ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرْثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ ﴿١٠٦﴾ إِنَّ فِي هَذَا لَبَلَاغًا لِقَوْمٍ عَابِدِينَ ﴿١٠٧﴾ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴿١٠٨﴾ قُلْ إِنَّمَا يُوحِي إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٠٩﴾ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ آذَنْتُكُمْ عَلَى سَوَاءٍ وَإِنْ أَدْرِي أَقْرَبُ أَمْ بَعِيدُ مَا تُوعَدُونَ ﴿١١٠﴾ إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ مِنَ الْقَوْلِ وَيَعْلَمُ مَا تَكْتُمُونَ ﴿١١١﴾ وَإِنْ أَدْرِي لَعَلَّ فِتْنَةٌ لَّكُمْ وَمَنْعٌ إِلَى حِينٍ ﴿١١٢﴾ قُلْ رَبِّ احْكُم بِالْحَقِّ وَرَبُّنَا الرَّحْمَنُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا نَتَصِفُونَ ﴿١١٣﴾

سُورَةُ الْحَجِّ

وَأَثَرًا طَاعَةَ اللَّهِ عَلَى طَاعَةِ الشَّيْطَانِ وَشَهَوَاتِ أَنفُسِهِمْ ١٠٧: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ فَمَنْ قَبِلَ هَذِهِ الرَّحْمَةَ وَشَكَرَ هَذِهِ النِّعْمَةَ سَعِدَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَمَنْ رَدَّهَا وَجَحَدَهَا خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَةَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا وَيُخْسِرُونَ الْقَرَارَ﴾. وَفِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّمَا أَنَا رَحْمَةٌ مُهْدَاةٌ» فَمَنْ تَبِعَهُ كَانَ لَهُ رَحْمَةٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ١٠٨: ﴿قُلْ إِنَّمَا يُوحِي إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾ بِأَمْرِ اللَّهِ تَعَالَى رَسُولُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أَنْ يَقُولَ هَذَا لِلْمُشْرِكِينَ. ﴿فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ مُتَّبِعُونَ عَلَى ذَلِكَ، مُتَّقِدُونَ لَهُ؟ ١٠٩: ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا﴾ تَرَكُوا مَا دَعَوْتَهُمْ إِلَيْهِ ﴿فَقُلْ آذَنْتُكُمْ عَلَى سَوَاءٍ﴾ أَعْلَمْتُكُمْ أَنِّي حَرَبْتُ لَكُمْ كَمَا أَنْتُمْ حَرَبْتُمْ لِي، وَأَنَا بَرِيءٌ مِنْكُمْ كَمَا أَنْتُمْ بَرَاءٌ مِنِّي، ﴿وَإِنْ أَدْرِي أَقْرَبُ أَمْ بَعِيدُ مَا تُوعَدُونَ﴾؟ هُوَ وَاقِعٌ لِمَا عَلِمْنَا لِي بِقُرْبِهِ وَلَا بِبَعِيدِهِ ١١٠: ﴿إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ مِنَ الْقَوْلِ وَيَعْلَمُ مَا تَكْتُمُونَ﴾ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ الْغَيْبَ جَمِيعَهُ وَيَعْلَمُ مَا يُظَاهِرُهُ الْعِبَادُ وَمَا يُسِرُّونَ، وَيَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى ١١١: ﴿وَإِنْ أَدْرِي لَعَلَّ فِتْنَةٌ لَّكُمْ﴾ لَعَلَّ تَأْخِيرُ ذَلِكَ عَنْكُمْ فِتْنَةٌ لَكُمْ ﴿وَمَنْعٌ إِلَى حِينٍ﴾ أَي: النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: ﴿رَبِّ احْكُم بِالْحَقِّ﴾ أَفْضَلُ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا الْمَكْدِينِ، ﴿وَرَبُّنَا الرَّحْمَنُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا نَتَصِفُونَ﴾ عَلَى مَا تَفْتَرُونَ مِنَ الْكُذْبِ وَالْإِفْكِ. [وَبِذَلِكَ خَتَمَ اللَّهُ السُّورَةَ بِتَفْوِيزِ الْأَمْرِ إِلَيْهِ سُبْحَانَهُ].

فَيَصْبُحُونَ فَرَسًا [أَي قَتْلًا] كَمَوْتِ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ، ثُمَّ يَهْطِلُ نَبِيُّ اللَّهِ عِيسَى وَأَصْحَابُهُ إِلَى الْأَرْضِ، فَيَلْجِدُونَ مَوْضِعَ شَرِّ الْأَمَلَةِ [رَهْمَتُهُمْ وَنَشْتُهُمْ [الرَّهْمُ]: الدَّم] فَيُرْغَبُ نَبِيُّ اللَّهِ عِيسَى وَأَصْحَابُهُ إِلَى اللَّهِ، فَيُرْسَلُ اللَّهُ طَيْرًا كَأَعْتَاقِ الْبَحْتِ [وهي الإبل الحمرانية] فتحملمهم فتنظروهم حيث شاء الله، ثم يرسل مطراً لا يكون منه يمدٌ ولا وقي، فيسبل الأرض حتى يتركها كالرقيقة [أي كالمرأة في صفاتها] الحديث بطوله من صحيح مسلم ج ٤/٢٢٥٤/ رقم الحديث ٤٢٣٧.

١: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ﴾ يأمر تعالى عباده بتقواه لما يستقبلونه من أهوال يوم القيامة وزلازلهما وأحوالها. وزلازلهما هذا في الدنيا قبل يوم القيامة

٢: ﴿يَوْمَ تَوْنَمَا تَنْزَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَرَىٰ وَهِيَ عَابِدَةُ رَبِّهَا وَلَا تُؤْنَسُ بِتَعَدُّهَا أُولَٰئِكَ ضَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ﴾

٣: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَّرِيدٍ﴾

٤: ﴿كُتِبَ عَلَيْهِ﴾ على الشيطان كتابة قدرته ﴿أَنَّهُ مَن تَوَلَّاهُ﴾ اتبعه وقلده ﴿فَأَنَّهُ يُضِلُّهُ﴾ ويهديه إلى عذاب السعير ﴿يُضِلُّهُ فِي الدُّنْيَا﴾ ويقوده في الآخرة إلى عذاب السعير

٥: ﴿لَمَّا ذَكَرَ تَعَالَى الْخَالِفَ لِلْبَيْتِ الْمَكِينِ﴾ لما ذكر تعالى الخائف للبيت المنكر للمعاد ذكر تعالى الدليل على قدرته على المعاد بما يشاهد من بدئه للمخلوق فقال: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ كُتُمَ فِي رَبِّكُمْ﴾ في شك من

للجن

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ﴿١﴾ يَوْمَ تَوْنَمَا تَنْزَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَرَىٰ وَمَاهُمُ بِسُكَرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ ﴿٢﴾ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَّرِيدٍ ﴿٣﴾ كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مَن تَوَلَّاهُ فَآتَهُ يُضِلُّهُ وَيَهْدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ السَّعِيرِ ﴿٤﴾ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّن تَرَابٍ ثُمَّ مِّن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِّن عِلْقَةٍ ثُمَّ مِّن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنَبِّئَنَّكُمْ وَنُقَرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لَتَبَلَّغُوا أَشَدَّكُمْ وَمِنْكُمْ مَّن يَتُوفَّىٰ وَ مِنْكُمْ مَّن يَرُدُّ إِلَىٰ أَرْدَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِن بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَّتْ وَأَنْبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴿٥﴾

٣٣٢

البعث وهو المعاد، وقيام الأرواح والأجساد يوم القيامة ﴿فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّن تَرَابٍ﴾ الذي خلق منه آدم عليه السلام، ﴿ثُمَّ مِّن نُّطْفَةٍ﴾ ثم جعل نسله من سُلالةٍ من ماءٍ مهين ﴿ثُمَّ مِّن عِلْقَةٍ ثُمَّ مِّن مُّضْغَةٍ﴾ وذلك إذا استقرت النطفة في الرحم أربعين يوماً، فتصير قطعة من لحم لاشكل فيها ﴿مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ﴾ ثم يُشْرَع فيها التشكيل والنخيط ﴿لِّنَبِّئَنَّكُمْ﴾ [كآل قدرتنا بتصرفنا أطوراً خلقكم]، ﴿وَنُقَرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ وتارة تستقر في الرحم لالتقيها المرأة وهي المخلفة، وغير المخلفة وهي السقط مخلوق وغير مخلوق، فإذا بلغت مضغة نكست في الخلق الرابع فكانت نسمة، ﴿ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا﴾ ضعيفاً في بدنه وسمعه وبصره وعقله، ثم يعطيه الله القوة شيئاً فشيئاً، ﴿ثُمَّ لَتَبَلَّغُوا أَشَدَّكُمْ﴾ من القوة وعنفوان الشباب، ﴿وَمِنْكُمْ مَّن يَتُوفَّىٰ﴾ في حال شبابه ﴿وَمِنْكُمْ مَّن يَرُدُّ إِلَىٰ أَرْدَلِ الْعُمُرِ﴾ وهو الشيخوخة والهرم وضعف القوة والعقل، ﴿لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِن بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا﴾ [ولهذا كان من دعاء النبي صلى الله عليه وآله وسلم: .. وأعوذ بك أن أزدل إلى أزدل العُمُر]. ﴿وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً﴾ مُفْجَلَةً لَانبَتَ فِيهَا ﴿فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ﴾ بالنبات ﴿وَرَبَّتْ﴾ بالزروع والثمار ﴿وَأَنْبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍ﴾ أي: [لون] ﴿بَهِيجٍ﴾ حسن المنظر طيب الرائحة.

الآية: ٢ روى البخاري عن أبي سعيد الخدري قال: قال النبي ﷺ: «يقول الله تعالى يوم القيامة: يآدم، فيقول: لبيك ربنا وسعديك، فينادي بصوت: إن الله يأمرك أن تخرج من ذريتك بعاً إلى النار، قال: يارب! وما بُعِثَ النَّارُ؟ قال: من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعون، فحينئذ تضع الحمل حملها ويشيب الوليد ﴿وترى الناس سُكَرَىٰ ومَاهُم بِسُكَرَىٰ ولكن عذاب الله شديد﴾ فشئ ذلك على الناس حتى تغرّب وجوههم، قال النبي ﷺ: «من يأجوج ومأجوج تسعمائة وتسعة وتسعون ومنكم واحد، أنتم في الناس كالشعرة السوداء في جنب الثور الأبيض أو كالشعرة البيضاء في الثور الأسود، وإني لأرجح أن تكونوا رابع أهل الجنة، فكبرنا، ثم قال: شطر أهل الجنة أي نصفها.

٦: ﴿ذَلِكَ بَأْنِ اللَّهِ هُوَ الْحَقُّ﴾ ذلك دليل قدرة الخالق المدبر الفعال لما يشاء ﴿وَأَنَّهُ يُحْيِي الْمَوْتَى﴾ كما أحيأ الأرض الميتة وأنبث منها هذه الأنواع كما قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِي الْمَوْتَى﴾، ﴿وَأَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ٧: ﴿وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَّارِبِّ فِيهَا﴾ كائنة لاشكَّ فيها ولامرية، ﴿وَأَنَّ اللَّهَ يَعِثُ مِنَ فِي الْقُبُورِ﴾ يعيدهم بعد العدم ٨: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ﴾ بلا عقل صحيح، ولا نقل صريح، بل بمجرد الرأي والهوى ٩: ﴿ثَانِي عَطْفِهِ﴾ لآوي رقبته مستكبراً عن الحقَّ ﴿لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ اللام لام العاقبة رأى: يُجادلُ يُضِلُّ، ﴿لَهُ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ﴾ وهو الإهانة والذل كما استكبر عن آيات الله ﴿وَنَذِيْقُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾ ١٠: ﴿ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتَ يَدَكَ﴾ يُقال له هذا تقريباً وتوبيخاً، كقوله تعالى: ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ﴾، ﴿وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾ ١١: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ﴾ على شكَّ قال ابن عباس: كان الرجل يقدم المدينة، فإن ولدت امرأة غلاماً وتنجت خيلاً، قال: هذا دين صالح، وإن لم تلد امرأة ولم تنتج خيلاً قال: هذا دين سوء. فأنزل الله هذه الآية. ﴿فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ﴾ بلاء، انقلب فلا يقيم على العبادة ورجع إلى الكفر ﴿خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ﴾ فلا هو حصل من الدنيا وفي

ذَلِكَ بَأْنِ اللَّهِ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُحْيِي الْمَوْتَى وَأَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ٦ وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَّارِبِّ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَعِثُ مِنَ فِي الْقُبُورِ ٧ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ ٨ ثَانِي عَطْفِهِ ٩ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِي الْمَوْتَى ١٠ ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتَ يَدَكَ ١١ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ ١٢ يَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَمَا لَا يَنْفَعُهُمْ ذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ ١٣ يَدْعُوا مَنْ أَقْرَبَ مِنْ تَفَعُّلٍ لَيْسَ الْمَوْلَى وَكَيْسَ الْعَشِيرِ ١٤ إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ١٥ مَنْ كَانَ يَظُنُّ أَنْ لَنْ يَنْصُرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى السَّمَاءِ ثُمَّ لِيَقْطَعْ فَلْيَنْظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدَهُ مَا يَغِيظُ ١٥

الآخرة الشقاء والإهانة، ﴿ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾ ١٢: ﴿يَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَمَا لَا يَنْفَعُهُمْ﴾ من الأصنام والأنداد يستغيث بها ويستترزقها ﴿ذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ﴾ ١٣: ﴿يَدْعُوا لِمَنْ ضَرُّهُ أَقْرَبُ مِنْ نَفْعِهِ﴾ ضرره في الدنيا قبل الآخرة أقرب من نفعه فيها، وأما في الآخرة فضرره محقق متيقن. ﴿لَيْسَ الْمَوْلَى﴾ الوثن، يعني: يفس هذا الذي دعاه من دُونِ اللَّهِ مولىً وناصرًا، ﴿وَلَيْسَ الْعَشِيرُ﴾ الذي عاشره وصاحبه [أي: هذا الوثن] ١٤: لما ذكر تعالى أهل الضلالة الأشقياء عطف بذكر الأبرار السعداء فقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ من جميع أنواع القرابات، وتركوا المنكرات، فأورثهم الله الجنات العاليات ﴿جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ ١٥: ﴿مَنْ كَانَ يَظُنُّ أَنْ لَنْ يَنْصُرَهُ اللَّهُ﴾ محمداً صلى الله عليه وآله وسلم ﴿فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ﴾ يجمل ﴿إِلَى السَّمَاءِ﴾ سماء بيته ﴿ثُمَّ لِيَقْطَعْ﴾ ثم ليحتمق ﴿فَلْيَنْظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدَهُ مَا يَغِيظُ﴾؟ من كان يظن أن الله ليس بناصر محمداً صلى الله عليه وآله وسلم وكتابه ودينه فليذهب فليقتل نفسه إن كان ذلك غائظاً، فإن الله تعالى ناصر نبيه للاحالة، قال الله تعالى: ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ﴾.

الآية: ٧ روى الإمام أحمد وأبو داود وابن ماجه عن لقيط بن عامر أنه قال: يا رسول الله! أكلنا يرى ربّه عزّ وجلّ يوم القيامة؟ وماية ذلك في خلقه؟ فقال رسول الله ﷺ: «أليس كلكم ينظر إلى القمر غلباً به؟» قلنا: بلى، قال: «فإنه أعظم!» قلت: يا رسول الله! كيف يحيي الله الموتى؟ وماية ذلك في خلقه؟ قال: «أما مررت بوادي أمهلك ممجلاً؟» قال: بلى، قال: «ثم مررت به بهيئت خضر؟» قال: بلى، قال: «فكذلك يحيي الله الموتى، وذلك آية في خلقه». / ابن كثير ج ٣ / ٢٠٨ / ٣

وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَأَنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يُرِيدُ
 ﴿١٦﴾ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِغِينَ وَالنَّصْرَى
 وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ
 يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿١٧﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ
 يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ
 وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالْدُّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ
 وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَمَنْ يُنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُكْرِمٍ
 إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ﴿١٨﴾ هَذَانِ خَصْمَانِ أَخْتَصَمُوا
 فِي رَيْبٍ فَأَلَّذِينَ كَفَرُوا قُطِعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِنْ نَارٍ يُصَبُّ
 مِنْ فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ ﴿١٩﴾ يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ
 وَالْجُلُودُ ﴿٢٠﴾ وَهُمْ مَقْمَعٌ مِنْ حَدِيدٍ ﴿٢١﴾ كُلَّمَا أَرَادُوا
 أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ
 ﴿٢٢﴾ إِنَّ اللَّهَ يَدْخُلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ
 جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يُحْكَمُونَ فِيهَا مِنْ
 أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿٢٣﴾

١٦: ﴿وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ﴾ القرآن ﴿آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ﴾ واضحات في لفظها ومعناها، حجة من الله على الناس ﴿وَأَنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يُرِيدُ﴾، وله الحكمة والحجة في ذلك ١٧: يخرج تعالى عن أهل الأديان المختلفة من سوى المؤمنين من اليهود والنصارى والمجوس والذين أشركوا فيقول: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِغِينَ وَالنَّصَارَى وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ يحكم بينهم بالعدل، فيدخل من آمن به الجنة ومن كفر به النار، فإن الله على أفعالهم وأقوالهم وضمايرهم شهيد ١٨: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ﴾ المستحق للعبادة وحده لا شريك له فإنه يسجد لعظمته كل شيء طوعاً وكرهاً وسجود كل شيء بما يختص به سبحانه ﴿والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب﴾ وكثير من الناس وكثير حق عليه العذاب ﴿ومن ين الله فما له من مكرم﴾ إن الله يفعل ما يشاء ﴿١٨﴾ هذان خصمان اختصموا في ريب فالذين كفروا قطعت لهم ثياب من نار يصب من فوق رؤوسهم الحميم ﴿١٩﴾ يصهر به ما في بطونهم والجلود ﴿٢٠﴾ وهم مقمع من حديد ﴿٢١﴾ كلما أرادوا أن يخرجوا منها من غم أعيدوا فيها وذوقوا عذاب الحريق ﴿٢٢﴾ إن الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الأنهار يحكمون فيها من أساور من ذهب ولؤلؤا ولباسهم فيها حرير ﴿٢٣﴾

سورة التوبة
 سجدة

١٩: ﴿هَذَانِ خَصْمَانِ أَخْتَصَمُوا﴾ المؤمنين والكافرون، فإن المؤمنين يريدون نصره دين الله عز وجل، والكافرون يريدون إطفاء نور الإيمان وخذلان الحق وظهور الباطل، ﴿فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِنْ نَارٍ﴾ فصلت لهم مقطعات من النار، من نحاس، ﴿يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ﴾ ٢٠: ﴿يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ﴾ إذا صب على رؤوسهم الحميم أذاب ما في بطونهم، وكذلك تذوب جلودهم ٢١: ﴿وَهُمْ مَقْمَعٌ مِنْ حَدِيدٍ﴾ قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ﴿لَوْ أَنَّ مَقْمَعًا مِنْ حَدِيدٍ وَضِعَ فِي الْأَرْضِ فَاجْتَمَعَ لَهُ الثَّقَلَانُ مَا أَقْلَوْهُ مِنَ الْأَرْضِ﴾ ٢٢: ﴿كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا﴾ يرفعهم ههنا وتردهم مقامعها، ﴿وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾ إنهم يهائون بالعذاب قولاً وفعلاً ٢٣: لما أخبر تعالى عن حال أهل النار عياداً بالله من حاهم ذكر حال أهل الجنة نسأل الله من فضله وكرمه أن يجعلنا من أهلها، فقال: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَدْخُلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ تتحرك في أكثافها وأرجائها وجوانبها وتحت أشجارها وقصورها؛ يصرفونها حيث شاؤوا وأين أرادوا، ﴿يُحْكَمُونَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ﴾.

الآية: ٢٠ روى ابن جرير والترمذي وقال: حسن صحيح عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: ﴿إن الحميم ليصب على رؤوسهم فينفذ الجمجمة حتى يخلص إلى جوفه، فيسلب ما في جوفه، حتى يبلغ قدميه، وهو الشُّهُرُ، ثم يُعَادُ كما كان﴾ [اللهم أجرنا من النار برحمتك يا أرحم الراحمين]. /ابن كثير ج ٣/٢٦٢

٢٤: ﴿وَهُدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ﴾ إلى القرآن، وإلى إلهة إلا الله، وإلى الأذكار ﴿وَهُدُوا إِلَى صِرَاطِ الْحَمِيدِ﴾ إلى الطريق المستقيم في الدنيا. وفي الجنة هُدُوا إلى الذي يحمدون فيه ربهم على ما أحسن إليهم وأنعم به وأسدها إليهم كما جاء في الحديث الصحيح: وإنهم يلهمون التسييح والتحميد كما يلهمون النفس، ٢٥: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ الَّذِي جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ سَوَاءً الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ﴾ ينكر تعالى على الكفار في صددهم المؤمنين عن آتيان المسجد الحرام وقضاء مناسكهم فيه؛ أي: يمنعون الناس عن الوصول إلى المسجد الحرام وقد جعله الله شعراً سواءً لافرق فيه بين المقيم فيه والتأني عنه البعيد الدار منه، وبذلك يستوى الناس في مكة في المنازل، من احتاج سكن، ومن استغنى أسكن، وعن عبد الله بن عمرو أنه قال: لا يجملُ بيع دور مكة ولا كراؤها. وقال: من أكل كبراء بيوت مكة أكل ناراً. ﴿وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِالْحَادِ بِظِلْمٍ نَذِقْهُ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ﴾ يُهْمُ فيه بأمر فظيع من المعاصي، أو يستجلبُ محارم الله من إساءة، قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «احتكار الطعام بمكة إحداء» ٢٦: ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَلا تَشْرِكْ بِي شَيْئاً﴾ هذا فيه تفرغ وتوبيخ لمن عبد غير الله وأشرك به من قريش في البقعة التي أسست من أول يوم على توحيد الله وعبادته وحده لا شريك له، ﴿وَطَهَّرْ بَيْتِي لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ

وَهُدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ وَهَدُوا إِلَى صِرَاطِ الْحَمِيدِ ﴿٢٤﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ الَّذِي جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ سَوَاءً الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِالْحَادِ بِظِلْمٍ نَذِقْهُ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ ﴿٢٥﴾ وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَنْ لا تُشْرِكْ بِي شَيْئاً وَطَهَّرْ بَيْتِي لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴿٢٦﴾ وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالاً وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾ لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِّنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعَمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ ﴿٢٨﴾ ثُمَّ لِيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلِيُوفُوا نَدْوَرَهُمْ وَلِيَطُوفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ ﴿٢٩﴾ ذَلِكَ وَمَنْ يَعْظَمْ حُرْمَتَ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَأَحَلَّتْ لَكُمْ الْأَنْعَامَ إِلَّا مَا يَتْلَى عَلَيْكُمْ فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ ﴿٣٠﴾

وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾ اجعله خالصاً لهؤلاء الذين يعبدون الله وحده لا شريك له ٢٧: ﴿وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ﴾ ناد في الناس داعياً لهم إلى الحج إلى هذا البيت، فقال: يارب كيف أبلغ الناس وصوتي لا ينفذهم؟ فقال: ناد وعلينا البلاغ، فقام على الصفا وقال: يا أيها الناس إن ربكم قد اتخذ بيتاً فحجوه، فبلغ الصوت أرجاء الأرض، وأسمع من في الأصلاب والأرحام. ﴿يَأْتُوكَ رِجَالاً﴾ ماشياً ﴿وعلى كل ضامر﴾ ركباً، ﴿يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾ طريق بعيد ٢٨: ﴿لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ﴾ منافع الدنيا في التجارات، ومنافع الآخرة في رضوان الله تعالى. ﴿ويذكروا اسم الله في أيام معلومات على ما رزقهم من بهيمة الأنعام﴾، الأيام المعلومات أيام العشر من أول ذي الحجة، وتشتمل يوم النحر وهو يوم الحج الأكبر. ﴿فكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعَمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ﴾ من ذبائح يوم النحر والأضاحي والنذور ٢٩: ﴿ثُمَّ لِيَقْضُوا تَفَثَهُمْ﴾ هو وضع الإحرام، [أي: لتحلل منه] بخلق الرأس ولبس الثياب وقص الأظافر ونحو ذلك. ﴿وليوفوا نذورهم﴾ نذر الحج والهدى وما نذر الإنسان، ﴿وليطوفوا بالبيت العتيق﴾ سمي عتيقاً لأنه لم يظهر عليه جبار قط ٣٠: ﴿ذلك ومن يعظم حرمات الله﴾ يجتنب معاصيه كلها. والحُرْمَةُ: مكة والحج والعمرة. ﴿فهو خير له عند ربه﴾ له على ذلك ثواب جزيل. ﴿وأحلَّتْ لكم الأنعام إلا ما يَتْلَى عَلَيْكُمْ﴾ من تحريم الميتة ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به ﴿فاجتنبوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ﴾ الشرك بالله ﴿واجتنبوا قول الزور﴾ ومنه شهادة الزور.

الآية: ٢٦ البيت العتيق هو أول بيت بُني في الأرض، وأنه لم يَبْنِ قبله شيء، كما ثبت في الصحيح عن أبي ذرٍّ ثلث: يارسول الله! أتى مسجد وضع أوله قال: «المسجد الحرام»، ثلث: ثم أتى قال: «بيت المقدس»، ثلث: كم بينهما؟ قال: «أربعون سنة». وقد قال الله تعالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا أَلَيْسَ. / ابن كثير ج ٣/ ٢٦٥/

حَفَاءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ ۚ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخَطَفَهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوَى بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴿٣١﴾
 ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظَمِ شَعْبَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ ﴿٣٢﴾
 لَكُمْ فِيهَا مَنْفَعٌ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ مَحْمِلُهَا إِلَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ ﴿٣٣﴾ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا لِيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ ۗ فَإِنَّهُمْ كَالَّذِينَ لَمْ يَرْزُقُوهُمْ إِلَّا وَقَدَّحُوا ۗ فَالذِّكْرُ لِلَّهِ وَحْدَهُ ۗ فَلَهُ ۗ أَسْلَمُوا ۗ وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ ﴿٣٤﴾ الَّذِينَ إِذَا ذَكَرُوا اللَّهَ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ وَالصَّابِرِينَ عَلَىٰ مَا أَصَابَهُمْ وَالْمُقِيمِي الصَّلَاةِ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴿٣٥﴾ وَالْبُدْنَ جَعَلْنَاهَا لَكُمْ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ ۗ فَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا صَوَافٍ ۗ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعَمُوا الْقَانِعَ ۗ وَالْمَعْتَرَةَ كَذَلِكَ سَخَّرْنَاهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٣٦﴾ لَنْ نَبَالَ اللَّهُ لَحُومَهَا وَلَا دِمَاؤها وَلَنْ يَكُن يِنَالَهُ التَّقْوَىٰ مِنْكُمْ كَذَلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتَكْبُرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَيْكُمْ ۗ وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ ﴿٣٧﴾ ۗ إِنَّ اللَّهَ يُدْفِعُ عَنِ الَّذِينَ ءَامَنُوا ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ ﴿٣٨﴾

٣١: ﴿حَفَاءَ لِلَّهِ﴾ مخلصين له الدين منحرفين قصداً عن الباطل إلى الحق ﴿غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ﴾ ثم ضرب للمشرك مثلاً في هلاكه فقال: ﴿وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخَطَفَهُ الطَّيْرُ﴾ سقط منها ﴿فَتَخَطَفَهُ الطَّيْرُ﴾ تُقَطِّعُهُ الطيور في الهواء ﴿أَوْ تَهْوَى بِهِ الرِّيحُ﴾ في مكان سحيق ﴿بَيْتِ الْعَتِيقِ﴾ بعيد مهلك لمن هوى فيه ﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظَمِ شَعَائِرَ اللَّهِ﴾ وأمره ﴿فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾ وتعظيمها استحسانها، ومن ذلك تعظيم الهدايا إلى الحرم، وذلك باستئذانها ٣٣: ﴿لَكُمْ فِيهَا مَنْفَعٌ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ من ألبانها وصفوها وأوبارها وأشعارها وركوبها، ﴿ثُمَّ مَحْمِلُهَا إِلَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾ محل الهدى وانتهاؤه إلى البيت العتيق وهو الكعبة، كما قال تعالى: ﴿مَهْدِيًا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾ ٣٤: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا﴾ المنسك: الذبح وإراقة الدماء على اسم الله، أي: لم يزل ذبح المناسك مشروعاً على اسم الله في جميع الملل. ﴿لِيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ﴾ أي: على ذبح ما رزقهم، فإنه تعالى أمر بذكر اسمه عند الذبح وأن يكون له، روى الإمام أحمد: قالوا: يارسول الله ما هذه الأضاحي؟ قال: «سنة أبيكم إبراهيم» قالوا: مالنا منها؟ قال: «بكل شعرة حسنة». ﴿فَالذِّكْرُ لِلَّهِ وَحْدَهُ﴾ أسلموا ﴿معبودكم واحد، وجميع الأنبياء يدعون إلى عبادة الله وحده لا شريك، فله أخلصوا واستسلموا لحكمته وطاعته، ﴿وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ﴾ المتواضعين الوجِلين الراضين بقضاء

الله، وفسره بما بعده فقال: ٣٥: ﴿الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ﴾ خافت منه قلوبهم ﴿وَالصَّابِرِينَ عَلَىٰ مَا أَصَابَهُمْ﴾ من المصائب ﴿وَالْمُقِيمِي الصَّلَاةِ﴾ حذفت النون ههنا تحفيظاً، أي: المؤدِّين حقَّ الله فيها يجب عليهم من أداء فرائضه ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾ من طيب الرزق على أهلهم وقراتهم ٣٦: ﴿وَالْبُدْنَ جَعَلْنَاهَا لَكُمْ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ﴾ يمتنَّ الله تعالى على عباده فيما خلق لهم من البُدن وجعلها من شعائره تُهدى إلى بيته الحرام، والبُدن: البقر والبعر، واحدها يُجزة عن سبعة. ﴿لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ﴾ ثواب في الدار الآخرة، ﴿فَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا صَوَافٍ﴾ يعني خالصة لله عز وجل ليس فيها شرك. ﴿فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا مِنْهَا﴾ سقطت وبردت حركتها ﴿فَكُلُوا مِنْهَا﴾ أمر بإباحة ﴿وَأَطْعَمُوا الْقَانِعَ﴾ المستغني بما أعطيته ﴿وَالْمَعْتَرَةَ﴾ الذي يتعرَّض لك لتعطيه. ﴿كَذَلِكَ سَخَّرْنَاهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ ذللتها لكم لتشكروها على نعمه ٣٧: ﴿لَنْ نَبَالَ اللَّهُ لَحُومَهَا وَلَا دِمَاؤها﴾ فإن الله هو الغني عما سواه ﴿وَلَنْ يَكُن يِنَالَهُ التَّقْوَىٰ مِنْكُمْ﴾ يتقبل ذلك ويجزي عليه، ﴿كَذَلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ﴾ من أجل ذلك ﴿لِتَكْبُرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ﴾ لتعظموها الله كما هداكم لدينه وشرعه ﴿وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ﴾ في عملهم المتبعين ما شرع لهم ٣٨: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدْفِعُ عَنِ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ الذين توكَّلوا عليه وأتابوا إليه يدفع عنهم شرَّ الفجار ويكلِّوهم وينصِّرهم، ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ﴾ لا يحب من عباده من اتصف بالخيانة وكفر النعم.

٣٩: ﴿أَذَنَ لِلَّذِينَ يُقَاتِلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا﴾
هذه أول آية نزلت في الجهاد، حين أخرجوا
من مكة، ﴿وَإِنَ اللَّهُ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾
هو قادر على نصر عباده المؤمنين من غير
قتال، ولكن يريد من عباده أن يبذلوا جهدهم
في طاعته ٤٠: ﴿الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ
بِغَيْرِ حَقٍّ﴾ أخرجوا من مكة إلى المدينة بغير
ذنب ﴿إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ﴾ إلا أنهم
وحدوا الله وعبدوه لاشريك له. ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ
اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ﴾ لولا أنه تعالى
يدفع بقوم عن قوم ويكف شرور أناس عن
غيرهم بما خلقه من الأسباب ويُقدِّره لفسدت
الأرض، ولأفلسك القوي الضعيف،
﴿لَهُدِّمَتْ صَوَامِعُ﴾ وهي المعابد الصغيرة
للرهبان ﴿وَبُيُوعٌ﴾ وهي أوسع منها وأكثر
عابدين فيها ﴿وَصَلَوَاتُ﴾ كنائس أهل
الكتاب ﴿وَمَسَاجِدُ﴾ أهل الإسلام ﴿يُذَكَّرُ فِيهَا
اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا﴾ وهي مساجد المسلمين،
وهي أكثر عُساراً وأكثر عُباداً وهم ذوو
القصص الصحيح، ﴿وَلْيُنْصَرْنَ اللَّهُ مِنْ
بِصْرِهِ﴾ وكما قال تعالى: ﴿إِن تَنْصُرُوا اللَّهَ
يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ ﴿إِنَ اللَّهُ لَقَوِيٌّ
عَزِيزٌ﴾ وصف نفسه بالقوة فلا يقهره قاهر
ولا يغلبه غالب بل كل شيء ذليل لديه فقير
إليه ٤١: ﴿الَّذِينَ إِن مَكَتَاهُمْ فِي الْأَرْضِ
أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ﴾ هؤلاء هم
أصحاب محمد صلى الله عليه وآله وسلم
﴿وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ﴾
عاقبة الأمور ﴿عند الله ثواب ما صنعوا﴾ ٤٢:

أَذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتِلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا وَإِنَ اللَّهُ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ
لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ
يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهْدِمَتْ
صَوَامِعُ وَبُيُوعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذَكَّرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ
كَثِيرًا وَلْيُنْصَرْنَ اللَّهُ مِنْ بِصْرِهِ إِن تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ
وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴿٤٠﴾ الَّذِينَ إِن مَكَتَاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ
وَأَتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ
وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ﴿٤١﴾ وَإِن يَكْذِبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ
قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادُ وَثَمُودُ ﴿٤٢﴾ وَقَوْمُ إِبْرَاهِيمَ وَقَوْمُ لُوطٍ ﴿٤٣﴾
وَأَصْحَابُ مَدْيَنَ وَكَذَّبَ مُوسَىٰ فَأَمَلَيْتَ لِلْكَافِرِينَ ثُمَّ
أَخَذْتَهُمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٤٤﴾ فَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ
أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا
وَبُيُوتٌ مُّعْتَظَلَةٌ وَقَصْرِ مَشِيدٍ ﴿٤٥﴾ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ
فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا
لَاتَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴿٤٦﴾

﴿وَإِن يَكْذِبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادُ وَثَمُودُ﴾ ٤٣: ﴿وَقَوْمُ إِبْرَاهِيمَ وَقَوْمُ لُوطٍ﴾ ٤٤: ﴿وَأَصْحَابُ مَدْيَنَ وَكَذَّبَ مُوسَىٰ﴾ يقول
تعالى هذا مسلماً لنبيه محمد صلى الله عليه وآله وسلم في تكذيب من خالفه من قومه، أي: أن أنبياءهم مع ماجأوا به من الآيات البينات والدلائل
الواضحات ﴿فَأَمَلَيْتَ لِلْكَافِرِينَ﴾ أنظرهم وأخرتهم ﴿ثُمَّ أَخَذْتَهُمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾ كيف كان إنكارهم عليهم ومعاقبتهم لهم؟ ٤٥: ﴿فَكَأَيِّنْ
مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا﴾ وكم من قرية أهلكتها ﴿وَهِيَ ظَالِمَةٌ﴾ مكذبة لرسولها ﴿فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا﴾ قد خربت منازلها وتعطلت حواضرها،
﴿وَبُيُوتٌ مُّعْتَظَلَةٌ﴾ لا تستقى منها ولا يردها أحد بعد كثرة وإرديها ﴿وَقَصْرِ مَشِيدٍ﴾ يعني: المبيض بالحصن، والمنيح الحصين [أي: فأين عُمارها
وأصحابها؟ أهلكتهم الله بكفرهم وعنادهم] ٤٦: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ﴾ بأبدانهم وبفكرهم ﴿فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا﴾ فيتعظوا بما
حلَّ بالأأم المكذبة من النقم والنكال ﴿أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا﴾ أو آذانٌ يسمعون بها ﴿فَإِنَّهَا لَاتَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾
ليس العمى عمى البصيرة إن كانت القوة الباصرة سليمة فإنها لاتنفذ إلى العبر ولاتدرى ما الخير، وما أحسن مقاله بعض الشعراء في هذا المعنى:

فإن كنت لاتسمع الذكري ففيم ترى
فيس الأصم ولا الأعشى سوى رجل

فإن كنت لاتسمع الذكري ففيم ترى
فيس الأصم ولا الأعشى سوى رجل

وَيَسْتَعِجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ وَإِنَّ يَوْمًا
عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴿٤٧﴾ وَكَأَيِّنْ مِنْ
قَرْيَةٍ أَمَلَيْتُ لَهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذْنَا إِلَى الْمَصِيرِ
﴿٤٨﴾ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا أَنَا كُنْزٌ نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴿٤٩﴾ فَالَّذِينَ
ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٥٠﴾
وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعْجِزِينَ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ
﴿٥١﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى
أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ
ثُمَّ يُصَحِّحُ اللَّهُ ءَايَاتِهِ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٢﴾ لِيَجْعَلَ
مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْقَاسِيَةَ
قُلُوبِهِمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ ﴿٥٣﴾ وَلِيَعْلَمَ
الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ
فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادِ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِلَى صِرَاطٍ
مُسْتَقِيمٍ ﴿٥٤﴾ وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي مَرِيَّةٍ مِّنْهُ حَتَّى
تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ يَوْمٍ عَقِيمٍ ﴿٥٥﴾

٤٧: ﴿وَيَسْتَعِجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ﴾ هؤلاء الكفار المكذِّبون بالله وكتابه ورسوله ﴿وَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ﴾ الذي وعد من إقامة الساعة والانتقام من أعدائه، والإكرام لأوليائه. ﴿وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾ هو تعالى لا يعجل، فإن متدار ألف سنة عند حلقه كيوم واحد عنده بالنسبة إلى حلمه، لعلمه بأنه قادر على الانتقام وأنه لا يفوته شيء وإن أجل وأمل، ولهذا قال بعد هذا: ٤٨: ﴿وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ أَمَلَيْتُ لَهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذْنَا إِلَى الْمَصِيرِ﴾ أي: أهلتها مع عتوها ثم أخذتها بالعذاب [٤٩]: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا أَنَا كُنْزٌ نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾ إنما أرسلني الله إليكم نذيراً لكم بين يدي عذاب شديد، وليس إلي حسابكم، بل أمركم إلى الله إن شاء عجل لكم العذاب وإن شاء أخره عنكم، وإن شاء تاب على من يتوب إليه ٥٠: ﴿فَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ لهم مغفرة لما سلف من سيئاتهم، ومجازاة على حسناتهم ورزق كريم في الجنة ٥١: ﴿وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعْجِزِينَ﴾ الذين يتبطون الناس عن متابعة النبي صلى الله عليه وآله وسلم ﴿أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾ ٥٢: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ﴾ قد ذكر كثير من المفسرين هنا قصة الغرائق، ولم أرها مسندة من وجه صحيح. (١) ﴿إِذَا تَمَنَّى﴾ إذا تلا ﴿أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ﴾ الله ما يلقي

الـشـيـطـانُ نـسـخَ جـوـرِـلُ ما لـقـى الشـيـطـانُ — والنـسـخُ الرـفـعُ والإزـالـةُ — وأحـكـمَ اللـه آيـاتـه. قال ابن عباس: ﴿فِي أُمْنِيَّتِهِ﴾ إِذَا حَدَّثَ النَّاسَ أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي حَدِيثِهِ (١)، فَيُطِلُّ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ. ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ﴾ بما يكون من الأمور لا تخفى عليه خافية ﴿حَكِيمٌ﴾ في تقديره وأمره ٥٣: ﴿لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾ شرك وكفر ونفاق ﴿وَالْقَاسِيَةَ قُلُوبِهِمْ﴾ وهم المشركون واليهود ﴿وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَفِي شِقَاقٍ﴾ ضلال وعناد ﴿بَعِيدٍ﴾ من الحق ٥٤: ﴿وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ﴾ وليعلم الذين أُوتوا العلم الحق أن ما أوحيناه إليك هو الحق من ربك الذي أنزله بعلمه وحفظه أن يختلط به غيره، بل هو كتاب عزيز، ﴿فَيُؤْمِنُوا بِهِ﴾ وينقادوا له ﴿فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ﴾ تخضع وتذل له قلوبهم، ﴿وَإِنَّ اللَّهَ هَادِ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ في الدنيا والآخرة ٥٥: ﴿وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي مَرِيَّةٍ مِنْهُ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ﴾ لا يزال الكفار في شك من هذا القرآن حتى تأتيهم الساعة عند سكرتهم وغرهم فجأة، فلا يغتروا بالله إنه لا يغير بالله إلا القوم الفاسقون، ﴿أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ يَوْمٍ عَقِيمٍ﴾ وهو يوم القيامة.

(١) قصة الغرائق من وضع الزنادقة. قاله الإمام ابن خزيمة.

(٢) أي: يلقي الشيطان في مسامع الناس.

الآية: ٤٧ روى ابن أبي حاتم عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «يدخل فقراء المسلمين الجنة قبل الأغنياء بنصف يوم خمسمائة عام». ورواه الترمذي وقال: حسن صحيح. وروى ابن جرير عن أبي هريرة قال: يدخل فقراء المسلمين الجنة قبل الأغنياء بمقدار نصف يوم، قيل: وما مقدار نصف يوم؟ قال: «أوماً تقرأ القرآن؟ قال: بلى، قال: ﴿وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾. / ابن كثير ج ٣/ ٢٢٨/٣

٥٦: ﴿الْمَلِكُ يَوْمَئِذٍ اللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ﴾ [يعني يوم القيامة] كقوله تعالى: ﴿الْمَلِكُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ لِلرَّحْمَنِ وَكَانَ يَوْمًا عَلَى الْكَافِرِينَ عَسِيرًا﴾ [ثم بين تعالى حكمه]: ﴿فَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ آمنت قلوبهم بالله ورسوله وعملوا بمقتضى ما علموا وتوافق قلوبهم وأقوالهم وأعمالهم، ﴿فِي جَنَّاتٍ النَّعِيمِ﴾ المقيم الذي لا يحول ولا يزول ٥٧: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾ كفرت قلوبهم بالحق واستكبروا عن اتباعه ﴿فَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾ مقابلة استكبارهم وإبائهم عن الحق ٥٨: يُخَيَّرُ تَعَالَى عَمَّنْ خَرَجَ مُهَاجِرًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِهِ وَطَلِبًا لِمَا عِنْدَهُ وَتَرْكِ الْأَوْطَانِ، وَفَارِقِ بِلَادَهُ فِي اللَّهِ وَرَسُولِهِ: ﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوا أَوْ مَاتُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ مَاتُوا مِنْ غَيْرِ قِتَالٍ فَقَدْ حَصَلُوا عَلَى الْأَجْرِ الْجَزِيلِ وَالنَّوَاءِ الْجَمِيلِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكُهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾. ﴿لَيَرْزُقَنَّهُمُ اللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا﴾ أَي لَيَجْرِيَنَّ عَلَيْهِمْ مِنْ فَضْلِهِ وَرِزْقِهِ مِنَ الْجَنَّةِ مَا تَقَرُّ بِهِ أَعْيُنُهُمْ، ﴿وَإِنَّ اللَّهَ هُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ ٥٩: ﴿لَيُدْخِلَنَّهُمْ مُدْخَلًا يَرْضَوْنَهُ﴾ الْجَنَّةَ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقْرَبِينَ فَرَوْحٌ وَرِيحَانٌ وَجَنَّةٌ نَعِيمٌ﴾، فَأَخْبَرَ أَنَّهُ يَحْصُلُ لَهُ الرَّاحَةُ وَالرِّزْقُ وَجَنَّةُ النَّعِيمِ. ﴿وَإِنَّ اللَّهَ لَعَلِيمٌ﴾ بِمَنْ يُهَاجِرُ وَيُجَاهِدُ فِي سَبِيلِهِ وَبِمَنْ يَسْتَحِقُّ ذَلِكَ ﴿حَلِيمٌ﴾ يَحْلُمُ وَيَصْفَحُ وَيَغْفِرُ لَهُمُ الذُّنُوبَ وَيُكْفِرُهَا عَنْهُمْ بِهَجْرَتِهِمْ إِلَيْهِ

الجزء الثاني

الْمَلِكُ يَوْمَئِذٍ اللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي جَنَّاتٍ النَّعِيمِ ﴿٥٦﴾ وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴿٥٧﴾ وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوا أَوْ مَاتُوا لَيَرْزُقَنَّهُمُ اللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴿٥٨﴾ لَيُدْخِلَنَّهُمْ مُدْخَلًا يَرْضَوْنَهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ ﴿٥٩﴾ ذَلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوِّقَ بِهِ ثُمَّ بَغِيَ عَلَيْهِ لَيَنْصُرْنَهُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَعَفُوفٌ غَفُورٌ ﴿٦٠﴾ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴿٦١﴾ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴿٦٢﴾ الْمَتَرَاتُ اللَّهُ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَصَبَّحُ الْأَرْضُ مُخْضَرَّةً إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿٦٣﴾ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْعَنُفُ الْحَمِيدُ ﴿٦٤﴾

وتوكلهم عليه ٦٠: ﴿ذَلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوِّقَ بِهِ ثُمَّ بَغِيَ عَلَيْهِ لَيَنْصُرْنَهُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَعَفُوفٌ غَفُورٌ﴾ نزلت هذه الآية في سرية من الصحابة لَقُوا جَمْعًا مِنَ الْمُشْرِكِينَ فِي شَهْرِ حَرَمٍ، فَنَاشَدَهُمُ الْمُسْلِمُونَ لئَلَّا يُقَاتِلُوهُمْ فِي الشَّهْرِ الْحَرَامِ، فَأَبَى الْمُشْرِكُونَ إِلَّا قِتَالَهُمْ وَبَغَوْا عَلَيْهِمْ، فَقَاتَلَهُمُ الْمُسْلِمُونَ فَنَصَرَهُمُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ٦١: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ﴾ [أي: ذلك الذي قصصت عليك من نصره المظلوم بأني أنا الذي أُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ، فَلَيَقْدِرُ أَحَدٌ عَلَى مَا قَدَّرَ عَلَيْهِ؛ أَي: مَنْ قَدَرَ عَلَى هَذَا قَدَرَ عَلَى أَنْ يَنْصُرَ عَبْدَهُ] ﴿وَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ ٦٢: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ﴾ الْإِلَهَ الْحَقُّ الَّذِي لَا تَبْغِي الْعِبَادَةَ إِلَّا لَهُ لِأَنَّهُ ذُو السُّلْطَانِ الْعَظِيمِ ﴿وَإِنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ﴾ مِنَ الْأَصْنَامِ وَالْأَنْدَادِ، وَكُلُّ مَا عُبِدَ مِنْ دُونِ اللَّهِ تَعَالَى فَهُوَ بَاطِلٌ، ﴿وَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾ ٦٣: ﴿الْمَتَرَاتُ اللَّهُ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَصَبَّحُ الْأَرْضُ مُخْضَرَّةً﴾ هَذَا مِنَ الدَّلَائِلِ عَلَى قُدْرَتِهِ تَعَالَى وَعَظِيمِ سُلْطَانِهِ، ﴿إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ﴾ عَلِيمٌ بِمَا فِي أَرْجَاءِ الْأَرْضِ مِنَ الْحَبِّ فَيُوصِلُ إِلَى كُلِّ مَنْهُ قَسْطَهُ مِنَ الْمَاءِ فَيَنْبُتُهُ ٦٤: ﴿لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ مُلْكُهُ جَمِيعُ الْأَشْيَاءِ، وَهُوَ غَنِيٌّ غَنَمًا سِوَاهُ، وَكُلُّ شَيْءٍ فَقِيرٌ إِلَيْهِ عَبْدٌ لَدَيْهِ، ﴿إِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْعَنُفُ الْحَمِيدُ﴾.

الآية ٥٨ - ٥٩ روى ابن أبي حاتم عن ابن عثمة قال: قال شرحبيل بن السميط: طال رباطنا وإقامتنا على حصن بأرض الروم، فمر في سلمان الفارسي، قال: إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «مَنْ مَاتَ مُرَابِطًا أَجْرَى اللَّهُ عَلَيْهِ مِثْلَ ذَلِكَ الْأَجْرِ، وَأَجْرِي عَلَيْهِ الرِّزْقُ، وَأَمِنْ مِنَ الْفِتْنَتَيْنِ، وَاقْرَأُوا إِنْ شِئْتُمْ: ﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوا أَوْ مَاتُوا لَيَرْزُقَنَّهُمُ اللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا، وَإِنَّ اللَّهَ هُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ، لَيُدْخِلَنَّهُمْ مُدْخَلًا يَرْضَوْنَهُ، وَإِنَّ اللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ﴾. / ابن كثير ج ٣ / ٢٣١ - ٢٣٢ /

٦٥: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَآئِ الْأَرْضِ﴾ من حيوان وجماد وزروع وثمار، وهذا من إحسانه وفضله وامتنانه، ﴿وَالْفَلَكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ﴾ بتسخيره وتسييره الفلك بأهلها في البحر فيحملون فيها ماشأوا مما يحتاجون إليه من بلد إلى بلد، وقطر إلى قطر. ﴿وَيُمسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ لو شاء لأذن للسما فسقطت على الأرض فهلك من فيها، ولكن من لطفه ورحمته وقدرته يمكس السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه، ولهذا قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرُؤُوفٌ رَحِيمٌ﴾ مع ظلمهم، كما قال تعالى: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَى ظَلْمِهِمْ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ ٦٦: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَكَفُورٌ﴾ ٦٦ ﴿لِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ فَلَا يُنْزِعُ عَنْكَ فِي الْأَمْرِ وَاذْعًا إِلَىٰ رَبِّكَ إِنَّكَ لَعَلَىٰ هُدًى مُّسْتَقِيمٌ﴾ ٦٧ ﴿وَإِنْ جَادَلُوكَ فَقُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ ٦٨ ﴿اللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ ٦٩ ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ ٧٠ ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَمْ يَنْزِلْ بِهِ سُلْطَانٌ وَمَا لَيْسَ لَهُمْ بِهِ عِلْمٌ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن نَّصِيرٍ﴾ ٧١ ﴿وَإِذْ أَنْتَلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا بَيْنَتْ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِ الَّذِينَ كَفَرُوا الْمُنْكَرَ يَكَادُونَ يَسْطُونَ بِالَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا قُلِ أَفَأَنْتُمْ بِبَشَرٍ مِّن دَلِكُمُ التَّارُوعَدَهَا اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَبَشَرٍ الْمَصِيرُ﴾ ٧٢

٣٤٠

هذا تهديد شديد ووَعِيدٌ أكيدٌ، ولهذا قال تعالى: ٦٩: ﴿اللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ [تعملون حينئذ الحق من الباطل] ٧٠: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ﴾ يُخبر تعالى عن كمال قدرته وعلمه بخلقه وأنه محيط بما في السموات وما في الأرض فلا يعزب عنه مثقال ذرة في الأرض ولا في السموات، وأنه تعالى عَلِمَ الكائنات كلها قبل وجودها، وكتب ذلك في اللوح المحفوظ، ﴿إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ سهل عليه يسير ٧١: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ﴾ المشركون ﴿مَا لَمْ يَنْزِلْ بِهِ سُلْطَانًا وَمَالِيْسَ لَهُمْ بِهِ عِلْمٌ﴾ لاجحة ولا برهان ولا علم، بل اتفقوه وزينه الشيطان لهم، ولهذا توعدهم تعالى بقوله: ﴿وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن نَّصِيرٍ﴾ ينصرهم من النكال [يوم القيامة] ٧٢: ﴿وَإِذْ أَنْتَلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا بَيْنَتْ﴾ إذا ذكرت لهم آيات القرآن ﴿تَعْرِفُ فِي وُجُوهِ الَّذِينَ كَفَرُوا الْمُنْكَرَ يَكَادُونَ يَسْطُونَ﴾ يبادرون ﴿بِالَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا﴾ من القرآن، ويسطون إليهم أيديهم وألسنتهم بالسوء، ﴿قُلِ﴾ يا محمد هؤلاء ﴿أَفَأَنْتُمْ بِبَشَرٍ مِّن دَلِكُمُ التَّارُوعَدَهَا﴾ ونكأها أشد وأعظم مما تخوفون به أولياء الله المؤمنين في الدنيا ﴿وَعَدَهَا اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَبَشَرٍ الْمَصِيرُ﴾ وبشس النار مقبلا ومنزلا ومرجعاً.

الآية: ٧٠ ثبت في صحيح مسلم عن عبد الله بن عمرو قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ قَدَّرَ مَقَادِيرَ الْخَلَائِقِ قَبْلَ خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ، وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ». وفي السنن من حديث جماعة من الصحابة أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «أَوَّلُ مَا خَلَقَ اللَّهُ الْقَلَمَ، قَالَ لَهُ: اكْتُبْ، قَالَ: وَمَا أَكْتُبُ؟ قَالَ: اكْتُبْ مَا هُوَ كَاتِبٌ، فَجَرَى الْعِلْمُ بِمَا هُوَ كَاتِبٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ». ابن كثير ج٣/٢٣٤٤

٧٣: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ ضُرْبَ مَثَلٍ فَاستَمِعُوا لَهُ﴾ يُنَبِّهُ تعالى على حقارة الأصنام وسخافة عقول عابديها فيقول: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ﴾ لو اجتمع جميع الأنداد على خلق ذبابة ما قدرُوا على ذلك ﴿وَإِنْ يَسْأَلِيهِمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَفِيدُوهُ مِنْهُ﴾ هم عاجزون عن مقاومته والانتصار منه لو سلها شيئاً من الذي عليها. والذباب من أضعف مخلوقات الله وأحقرها ولهذا قال: ﴿ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ﴾ الصنم والذباب ٧٤: ﴿مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾ ما عرفوا قدر الله وعظمته حين عبدوا معه غيره، ﴿إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ هو القوي الذي بقدرته خلق كل شيء، وقد عز كل شيء فقهره فلا يمانع ولا يغالب لعظمته وسلطانه، وهو الواحد القهار، سبحانه وتعالى ٧٥: ﴿اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ﴾ يُخْبِرُ تعالى أَنَّهُ يختار من الملائكة رسلاً فيما يشاء من شرعه وقدره، ومن الناس لإبلاغ رسالاته ﴿وَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ سميع لأقوال عباده بصير بهم علم بمن يستحق ذلك منهم كما قال تعالى: ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾ ٧٦: ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ يعلم ما يفعل برسله فيما أرسلهم به فلا يخفى عليه شيء من أمورهم ﴿وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾ ٧٧: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ﴾ [أي: امتثلوا أمره] ﴿وَافْعَلُوا الْخَيْرَ﴾ [هذا نداء فيما عدا الواجبات]،

ستة

يَأْتِيهَا النَّاسُ ضُرْبَ مَثَلٍ فَاستَمِعُوا لَهُ ﴿٧٣﴾ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْأَلِيهِمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَفِيدُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ ﴿٧٤﴾ مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٧٥﴾ اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴿٧٦﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٧٧﴾ وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلِ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ ﴿٧٨﴾

سُورَةُ الْمُؤْمِنُونَ

﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ ٧٨: ﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ﴾ بأموالكم وأنفسكم ﴿هُوَ اجْتَبَاكُمْ﴾ ياهذه الأمة الله اصطفاكم واختاركم على سائر الأمم وفضلكم وشرّفكم وخصّكم بأكرم رسول وأكمل شرع، ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ ما كلفكم مالا تطيقون، وما ألزمكم بشيء يشقّ عليكم إلا جعل لكم فرجاً ومخرجاً، ﴿مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ﴾ [الخطاب لجميع المسلمين وإن لم يكن الجميع من ولده؛ لأنّ حُرْمَةَ إِبْرَاهِيمَ عَلَى المسلمين كحرمة الوالد على الولد]، ﴿هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلِ﴾ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ فِي الْكُتُبِ الْمُتَقَدِّمَةِ، ﴿وَفِي هَذَا﴾ بَيِّنَةُ الْقُرْآنِ [كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمِينَ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ﴾]. ﴿لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾ إِنَّمَا جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا عَدُولًا خِيَارًا مَشْهُودًا بَعْدَ التَّكْمِ عِنْدَ جَمِيعِ الْأُمَمِ لِتَكُونُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴿شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾ لِأَنَّ جَمِيعَ الْأُمَمِ مَعْرُوفَةٌ بِفَضْلِكُمْ، فَلِهَذَا تُقْبَلُ شَهَادَتُهُمْ عَلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي أَنَّ الرُّسُلَ بَلَّغْتُمْ رِسَالَةَ رَبِّهِمْ، وَالرَّسُولُ يَشْهَدُ عَلَى هَذِهِ الْأُمَّةِ أَنَّهُ بَلَّغْتُمْ ذَلِكَ. ﴿فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾ قَابِلُوا هَذِهِ النِّعْمَةَ الْعَظِيمَةَ بِالْقِيَامِ بِشُكْرِهَا؛ فَادَّوْا حَقَّ اللَّهِ عَلَيْكُمْ فِي آدَاءِ مَا اقْتَرَضَ وَطَاعَةَ مَا أَوْجَبَ، ﴿وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ﴾ اعْتَصِمُوا بِاللَّهِ وَاسْتَعِينُوا بِهِ وَتَوَكَّلُوا عَلَيْهِ ﴿هُوَ مَوْلَاكُمْ﴾ حَافِظُكُمْ وَنَاصِرُكُمْ عَلَى أَعْدَائِكُمْ ﴿فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ﴾.

الآية: ٧٣ روى الإمام أحمد عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ قال الله تعالى: «ومَنْ أَظْلَمُ مَن ذَهَبَ بِمَخْلُوقِي، فَلِيَخْلُقُوا مِثْلَ خَلْقِي ذَرَّةً أَوْ ذَبَابَةً أَوْ حَبَّةً وَفِي الصَّحِيحِينَ: قَالَ: قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: «ومَنْ أَظْلَمُ مَن ذَهَبَ بِمَخْلُوقِي، فَلِيَخْلُقُوا ذَرَّةً، فَلِيَخْلُقُوا شَعِيرَةً؟!!» [ابن كثير ج ٢٣٥/٣]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴿٢﴾
وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ
فَاعِلُونَ ﴿٤﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ﴿٥﴾ إِلَّا عَلَى
أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٦﴾
فَمَنْ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ﴿٧﴾ وَالَّذِينَ هُمْ
لَأَمْنَتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ﴿٨﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ
يَحْفَظُونَ ﴿٩﴾ أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ يَرِثُونَ
الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١١﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ
سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ
خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا
الْمُضْغَةَ عِظْمًا فَكَسَوْنَا الْعِظْمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا
آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴿١٤﴾ ثُمَّ إِنكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ
لَمَيْتُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ ﴿١٦﴾ وَلَقَدْ
خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَائِقَ وَمَا كُنَّا عَنِ الْخَلْقِ غَافِلِينَ ﴿١٧﴾

١: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾ قد فازوا وسعدوا وحصلوا على الفلاح، وهم المؤمنون المتصفون بهذه الأوصاف: ٢: ﴿الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾ خاشعون ساكنون [يقولهم إلى ربهم] ٣: ﴿والذين هم عن اللغو معرضون﴾ عن الباطل، وهو يشتمل الشرك والمعاصي ٤: ﴿والذين هم للزكاة فاعلون﴾ زكاة الأموال، وزكاة النفوس من الشرك والدنس، كقوله تعالى: ﴿قد أفلح من زكَّاهها وقد خاب من دساها﴾ ٥: ﴿والذين هم لفروجهم حافظون﴾ قد حفظوا فروجهم من الحرام فلا يقعون فيها نهاهم الله عنه من زنى ولواط، ولا يقربون سوى أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم ٦: ﴿إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فإنهم غير ملومين﴾ فمن تعاطى ما حله الله له فلا لوم عليه ولا حرج، ولهذا قال سبحانه: ﴿فإنهم غير ملومين﴾ ٧: ﴿فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون﴾ العادون [في فعل الزنا واللواط]، [والاستمناة يُجوزُهُ الإمام أحمد، ويحتج بأنه إخراج فضلة من البدن فجاز عند الحاجة] ٨: ﴿والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون﴾ إذا أؤتمنوا لم يخونوا بل يؤدونها إلى أهلها، وإذا عاهدوا أو عاقدوا أوفوا بذلك، لا كصفات المنافق: إذا وعد أخلف وإذا أؤتمن خان ٩: ﴿والذين هم على صلواتهم يحافظون﴾ يواظبون عليها في مواقيتها، كما قال ابن مسعود: سألت رسول الله صلى الله عليه

وآله وسلم: أي العمل أحب إلى الله؟ قال: «الصلاة على وقتها» ١٠: ﴿أولئك هم الوارثون﴾ ١١: ﴿الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون﴾ ثبت في الصحيحين: «إذا سألتهم الله الجنة فاسألوه الفردوس، فإنه أعلى الجنة، وأوسط الجنة» ١٢: ﴿ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين﴾ وهذا آدم خلقه الله من صفوة الماء والتراب ١٣: ﴿ثم جعلناه نطفة في قرار مكين﴾ يعني الرحم معد ذلك مهياً له ١٤: ﴿ثم خلقنا النطفة علقة﴾ ثم صيرنا النطفة، وهي الماء الدفق الذي يخرج من صلب الرجل، على شكل العلقة وهي دم ﴿فخلقنا العلقة مضغة﴾ وهي قطعة من اللحم لا شكل فيها ولا تحيطط، ﴿فخلقنا المضغة عظما﴾ شكلناها ذات رأس ويدين ورجلين، ﴿فكسونا العظام لحما﴾ جعلنا على ذلك ما يستره ويشده، ﴿ثم أنشأناه خلقا آخر﴾ ثم نفخنا فيه الروح فصار خلقا آخر، ﴿فتبارك الله أحسن الخالقين﴾ [أي: أنقى الصانعين، فاستحق التعظيم والشأن] ١٥: ﴿ثم إنكم بعد ذلك لميئون﴾ تصيرون إلى العدم ١٦: ﴿ثم إنكم يوم القيامة تبعثون﴾ حين ينشئ الله النشأة الآخرة ١٧: ﴿ولقد خلقنا فوقكم سبع طرائق﴾ سبع سموات ﴿وما كنا عن الخلق غافلين﴾ لا نتعجب عنه سماء سماء، ولأرض أرضاً، وهو بما تعملون بصير.

(١) قال الإمام ابن حزم: قد تكلم الناس في هذا، فكهنته طائفة، وأباحه أخرى. قال الحسن بن علي بن الجواليقي: كانوا يفعلونه في المغازي. وعن جابر بن زيد أبي الشعثاء قال: هو ماؤك فأهرقه - يعني الاستمناة. وعن مجاهد قال: كان من معنى يأمرون شبابهم بالاستمناة يستعقون بذلك وعن عمرو بن دينار: ما أرى بالاستمناة بأساً. [المجلد ١١/٣٩٣].

الآية: ١ روى الإمام أحمد عن عمر بن الخطاب يقول: كان إذا نزل على رسول الله ﷺ الوحي يُسمع عند وجهه كدوي كدوي النحل، فلينا ساعة فاستقبل القبلة ورفع يديه وقال: «اللهم زدنا ولا تنقصنا، وأكرمنا ولا تهنا، وأعطنا ولا تحرمنا، وآتينا ولا تؤثر علينا، وارض عنا وأرضنا - ثم قال - لقد أنزل علي عشر آيات من أقاتهن دخل الجنة، ثم قرأ: ﴿قد أفلح﴾

١٨: ﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ﴾ يذكر تعالى نعمه على عبده في إنزاله القطر بقدر الحاجة للزرع والشرب والانتفاع به ﴿فَأَسْكَنَاهُ فِي الْأَرْضِ﴾ يخلد في الأرض، ﴿وَوَاتَا عَلَى ذَهَابٍ بِهِ لِقَادِرُونَ﴾ لو شئنا أن لا تَطْرُق السماء لفلعلنا، ولو شئنا لفلعلنا لا ينتفع به لشرب ولا لسقي لفلعلنا، ولو شئنا لفلعلناه يغور إلى مدى لا يصلون إليه لفلعلنا، ولكن بلطفه ورحمته يُنْزِلُ عليكم الماء من السحاب عذبا فَرَاتًا ذَلَالًا فَيَسْكَنُهُ فِي الْأَرْضِ وَيُسَلِّكُهُ بِنَائِبٍ وَأَهَارًا ١٩: ﴿فَأَنْشَأْنَا لَكُمْ بِهِ جَنَّاتٍ مِنْ نَجِيلٍ وَأَعْنَابٍ لَكُمْ فِيهَا فَوَاكِهُ كَثِيرَةٌ﴾ أنزلنا من السماء ماء فأخرجنا به بساتين وحدائق ذات منظر حسن فيها كثير من الثمار، نعمة من الله عليكم ﴿وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ ٢٠: ﴿وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِنْ طُورِ سَيْنَاءَ﴾ يعني: الزيتون. وطور سيناء هو الجبل الذي كلم الله عليه موسى عليه السلام، ومحاوله من الجبال التي فيها شجر الزيتون، ﴿تَنْبُتُ بِالذَّهْنِ﴾ تخرج بالدهن [معنى الآية: تعديد نعمة الزيت على الإنسان، وهي من أركان النعم التي لا تحصى بالصحة عنها]، ﴿وَصَيْغٍ﴾ إدام ﴿لِلْأَكْلِينَ﴾ روى الإمام أحمد: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «كلوا الزيت وادهنوا به فإته من شجرة مباركة» ٢١: ﴿وَأَنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ﴾ [وهي الإبل والبقر والغنم] ﴿لِعِبْرَةً نَسِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهَا وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ ٢٢: ﴿وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلْكِ

وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَتْهُ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّا عَلَى ذَهَابٍ بِهِ لِقَادِرُونَ ﴿١٨﴾ فَأَنْشَأْنَا لَكُمْ بِهِ جَنَّاتٍ مِنْ نَجِيلٍ وَأَعْنَابٍ لَكُمْ فِيهَا فَوَاكِهُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿١٩﴾ وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِنْ طُورِ سَيْنَاءَ تَنْبُتُ بِالذَّهْنِ وَصَيْغٍ لِلْأَكْلِينَ ﴿٢٠﴾ وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لِعِبْرَةً نَسِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهَا وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٢١﴾ وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ ﴿٢٢﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ لِقَوْمِهِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ الْمَلَأُو الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُرِيدُ أَنْ يَفْضَلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً مَّا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الْأُولِينَ ﴿٢٤﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ يُدْعَى فَإِنَّمَا يَكْفُرُ بِنَفْسِهِ إِنَّهُ لَأَكْبَرُ مِنْ أَنْ يُدْعَى إِلَهُ إِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لِلْأَسْفَلِينَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ فَقَالُوا آلِهَتُنَا كَأَلِهَتِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٢٥﴾ فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَنْ اصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحَيْنَا فَإِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُورَ فَاسْلُكْ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَئِينٍ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ مِنْهُمْ وَلَا تُخَاطَبُ فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُعْرِضُونَ ﴿٢٧﴾

تَحْمَلُونَ﴾ يذكر تعالى ماجعل لخلقهم من الأنعام من المنافع؛ وذلك أنهم بشرؤون من ألبانها الخارجة من بين قرث [وهو ما كان في الأمعاء ودم، ويأكلون من لحمها ويركبون ظهورها وينتفعون من أصوافها وأوبارها وأشعارها] ٢٣: ﴿ولقد أرسلنا نوحاً إلى قومه﴾ لينذرهم عذاب الله لمن أشرك به وكذب رسله ﴿فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ ألا تخافون من الله في إشراككم به؟ ٢٤: ﴿فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ﴾ وهم السادة منهم: ﴿مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُرِيدُ أَنْ يَفْضَلَ عَلَيْكُمْ﴾ يترفع عليكم ويتعاطم بدعوى النبوة ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً﴾ لو أراد أن يعيث نبياً لبعث ملكاً ﴿مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الْأُولِينَ﴾ في الدهور الماضية ٢٥: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ يُدْعَى إِلَهُ إِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لِلْأَسْفَلِينَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ فَقَالُوا آلِهَتُنَا كَأَلِهَتِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ دعا ربه ليستصره على قومه، فعند ذلك أمره تعالى بصنعة السفينة ٢٦: ﴿فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَنْ اصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ [أي: متلبساً بحفظنا وكلاءتنا] ﴿وَوَحَيْنَا فَإِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُورَ﴾ فَرَّ الْمَاءُ مِنَ التَّنَائِبِ الَّتِي هِيَ مَكَانُ النَّارِ [إيذاناً بما سيحصل من أمرنا] ﴿فَأَسْلُكْ فِيهَا﴾ [أي: اجعل فيها] ﴿مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَئِينٍ﴾ من ذكر وأُنثى ﴿وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ مِنْهُمْ﴾ كابنه وزوجته، ﴿وَلَا تُخَاطَبُ فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُعْرِضُونَ﴾ لا تأخذك رافة ولا شفقة بقولك فاتني قد قضيت أنهم معرّفون على ما هم عليه من الكفر والطغيان. وقد تقدم في سورة هود قصة نوح [من الآية ٢٥-٤٩].

فَإِذَا اسْتَوَيْتَ أَنْتَ وَمَعَكَ عَلَى الْفُلِكِ فَقُلْ أَلْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي بَجَّعَنَا مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٣٨﴾ وَقُلْ رَبِّ أَنْزِلْنِي مُنزَلاً مُبَارَكاً وَأَنْتَ خَيْرُ الْمُنزِلِينَ ﴿٣٩﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ وَإِنْ كُنَّا لَمُبْتَلِينَ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ أَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ ﴿٣١﴾ فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهِ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣٢﴾ وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِإِيقَاءِ الْآخِرَةِ وَأَتْرَفْنَاهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مَا هَذَا إِلَّا بَشْرٌ مِّثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ ﴿٣٣﴾ وَلَئِنْ أَطَعْتُمْ بَشْرًا مِّثْلَكُمْ إِذِ الْخُسُوفُونَ ﴿٣٤﴾ أَعْبُدْكُمْ أَنْتُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنْتُمْ تُرَابًا وَعِظْماً أَنْتُمْ تَخْرُجُونَ ﴿٣٥﴾ هِيَ هِيَ هِيَ مَا تَوَعَّدُونَ ﴿٣٦﴾ إِنَّ هِيَ إِلَّا حَيَاةُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴿٣٧﴾ إِنَّ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا وَمَا نَحْنُ لَهُ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٣٨﴾ قَالَ رَبِّ انصُرْنِي بِمَا كُذِّبْتُ ﴿٣٩﴾ قَالَ عَمَّا قَلِيلٍ لِيُصِيعَنَ نَادِمِينَ ﴿٤٠﴾ فَأَخَذْتَهُمُ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ فَجَعَلْنَاهُمْ عِثَاءً فَبَعْدَ اللَّقْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٤١﴾ ثُمَّ أَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ ﴿٤٢﴾

٢٨: ﴿فَإِذَا اسْتَوَيْتَ أَنْتَ وَمَعَكَ عَلَى الْفُلِكِ﴾ [أي: راكبين على السفينة] ﴿فَقُلْ أَلْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي بَجَّعَنَا مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾، وقد امتثل نوح عليه السلام كما قال تعالى: ﴿وقال اركبوا فيها بسم الله مجراها ومرساها﴾، فذكر الله تعالى عند ابتداء سيره وعند انتهائه ٢٩: ﴿وقال رب أنزلني منزلاً مباركاً وأنت خير المنزلين﴾ [وهذا حين خرج من السفينة] ٣٠: ﴿إن في ذلك لآيات﴾ في هذا الصنيع، وهو إنجاء المؤمنين وإهلاك الكافرين لِحُجَجٍ ودلالات على صدق الأنبياء فيما جاؤوا به عن الله تعالى ﴿وإن كنا لُمبتلين﴾ مختبرين للعباد بإرسال المرسلين ٣١: ﴿ثم أنشأنا من بعدهم قرناً آخرين﴾ من بعد قوم نوح، والمراد بهم عاد فإتهم كانوا مستخلفين بعدهم ٣٢: ﴿فأرسلنا فيهم رسولاً منكم أن أعبدوا الله﴾ [وهو هود عليه السلام] ﴿ما لكم من إله غيره أفلا تتقون﴾؟ دعاهم إلى عبادة الله وحده لا شريك له ٣٣: ﴿وقال الملأ من قومه الذين كفروا وكذبوا ببقاء الآخرة﴾ السادة الذين استنكفوا عن اتباع رسولهم وكذبوا ببقاء الله في القيامة وأنكروا المعاد الجنائي، ﴿وأترفناهم في الحياة الدنيا﴾ [أي: وسعنا عليهم نعم الدنيا حتى يطروا]: ﴿ما هذا إلا بشر مثلكم ياكل مما تاكلون منه ويشرب مما تشربون﴾ [أي: لا فضل له عليكم لأنه محتاج إلى الطعام والشراب كأنتم] ٣٤: ﴿ولئن أطعتم بشراً مثلكم إنكم إذا لحاميرون﴾ [بترككم اهتكم واتباعكم إياه] ٣٥: ﴿أعبدكم أنكم إذا متم وكنتم تراباً وعظاماً أنكم مخرجون﴾، [أي: مبعوثون من قبوركم] ٣٦: ﴿هي هيات هي هيات لما توعدون﴾؟ أي: بعيد بعيد ذلك ٣٧: ﴿إن هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا﴾ [ثم صرَّحوا بنفي البعث افتراءً على الله فقالوا]: ﴿وما نحن بمبعوثين﴾. ٣٨: ﴿إن هو إلا رجل افترى على الله كذباً﴾ أي: فيما جاءكم به من الرسالة والإخبار بالمعاد ﴿وما نحن له بمؤمنين﴾. ٣٩: ﴿قال رب انصُرْنِي بِمَا كُذِّبْتُ﴾ استفتح عليهم الرسول واستنصر بالله عليهم، فأجاب دعاءه ٤٠: ﴿قال عَمَّا قَلِيلٍ لِيُصِيعَنَ نَادِمِينَ﴾ بمخالفتك وعنادك فيما جنتهم به ٤١: ﴿فأخذتهم الصيحة بالحق﴾ وكانوا يستحقون ذلك من الله بكفرهم وظفائهم، والظاهر أنه اجتمع عليهم صيحة مع الريح الصَّوْصِرِ العاصف القوي البارد، كما قال تعالى: ﴿ثندم كل شيء بأمر ربها فأصبحوا لا يرى إلا مساكنهم﴾، ﴿فجعلناهم عثاء﴾ أي: صرعى هلكى كعثاء السيل، ﴿فبعداً للقوم الظالمين﴾ كما قال تعالى: ﴿وما ظلمناهم ولكن كانوا هم الظالمين﴾ بكفرهم وعنادهم ومخالفتهم رسول الله، فليحذر السامعون أن يكذبوا رسولهم ٤٢: ﴿ثم أنشأنا من بعدهم قرناً آخرين﴾ [يريد: بني إسرائيل].

الآية: ٣٠ ﴿إن في ذلك لآيات﴾ قال القرطبي: أي في أمر نوح والسفينة وإهلاك الكافرين ﴿لآيات﴾ أي دلالات على كمال قدرة الله تعالى، وأنه ينصر أنبياءه ويهلك أعداءهم، ﴿وإن كنا لُمبتلين﴾ أي ما كنا إلا مبتلين الأمم قبلكم؛ أي مختبرين هم بإرسال الرسل إليهم، ليظهر المطيع والعاصي، فيتبين للملائكة حالهم، لأن يستجيب الرب [سبحانه وتعالى] علماً. الآية: ٣٧ ﴿إن هي إلا حياتنا الدنيا﴾ أي مالهياة إلا ما نحن فيه الهياة الآخرة التي تعدنا بعد البعث ﴿نموت ونحيا﴾ أي حياتنا الدنيا نحيا فيها ونموت، أي يموت الآباء ويحي الأبناء. /القرطبي ج ١٢٠/ ١٢٤/

٤٣: ﴿مَاتَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجْلَهَا وَمَا يَسْتَأْخِرُونَ﴾ يعني: بل يُؤَخِّدُونَ على حسب ما قَدَّرَ لهم تعالَى في كتابه المحفوظ
 ٤٤: ﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرًا﴾ يتبع بعضهم بعضاً، وهذا كقوله تعالَى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولاً أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الصَّاطِغَاتِ﴾، ﴿كُلٌّ مَاجَاءَ أُمَّةٍ رَسولُهَا كَذَبُوهُ﴾ يعني: جمهورهم وأكثرهم، ﴿فَاتَّبَعْنَا بَعْضَهُمْ بَعْضًا﴾ أهلكتناهم، كما قال تعالَى: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ الْقُرُونِ مِنْ بَعْدِ نُوحٍ﴾، ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ﴾ أخباراً وأحاديثَ للناس ٤٥: ﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَى وَأَخَاهُ هَارُونَ﴾ إلى فرعون وملئِهِ ﴿بِآيَاتِنَا﴾ الحجج الدامِغَات والبراهين القاطِعات، ﴿وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ﴾ ٤٦: ﴿إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَاسْتَكْبَرُوا﴾ عن اتباعهما والانقياد لأمرهما ﴿وَكَانُوا قوماً عَالِينَ﴾ أي: متكبرين ظالمين [٤٧]: ﴿فَقَالُوا أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِكَ وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَابِدُونَ؟﴾ أي: منقادون مطيعون [٤٨]: ﴿فَكَذَّبُوهُمَا فَكَانُوا مِنَ الْمُهْلَكِينَ﴾ [٤٩]: ﴿أَيُّ بِالْفِرْعَوْنَ بِالْبَحْرِ﴾ ٤٩: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ﴾ أنزل الله عليه التوراة فيها أحكامه وأوامره ونواهيهِ ٥٠: ﴿وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً﴾ عيسى بن مريم جعلهما الله للناس آيةً وَحِجَّةً قاطِعةً على قدرته على ما يشاء، فإنه خلق آدم من غير أب ولا أم، وخلق حواء من ذكر بلا أنثى، وخلق عيسى من أنثى بلا ذكر، وخلق بقية الناس من ذكر وأنثى. ﴿وَآوَيْنَاهُمَا إِلَى رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ﴾ إلى مكان مرتفع من الأرض، وهو أحسن ما يكون فيه النبات، ومعين: أي ماء ظاهر أجاجاً. قال سعيد بن المسيَّب: هي دمشق، وقال مجاهد: غوطة دمشق وما حولها ٥١: ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا﴾ يأمر الله تعالَى عباده المرسلين بالأكل من الحلال والقيام بالصالح من الأعمال ﴿إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾، قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ اللَّهَ طَيِّبٌ لَا يَقْبَلُ إِلَّا طَيِّبًا، وَإِنَّ اللَّهَ أَمَرُ الْمُؤْمِنِينَ بِأَمْرِ بِهِ الْمُرْسَلِينَ﴾ ثم تلا هذه الآية ٥٢: ﴿وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ دينكم بامعشر الأنبياء دين واحد وملة واحدة، وهو الدعوة إلى عبادة الله وحده ﴿وَإِنَّا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونُ﴾ ٥٣: ﴿فَقَطَّعُوا﴾ الأم الذين بعثت إليهم الأنبياء ﴿أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ زُبُرًا﴾ كلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فِرْحُونٌ ﴿يَفْرَحُونَ بِمَا هُمْ فِيهِ مِنَ الضَّلَالِ﴾ لأنهم يحبسون أنفسهم مهتدون ٥٤: ﴿فَلَذَرَهُمْ فِي غَمَرَتِهِمْ﴾ في غيهم وضلالهم ﴿حَتَّىٰ حِينٍ﴾ إلى حين هلاكهم ٥٥: ﴿أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِ مِنْ مَالٍ وَبَنِينٍ﴾ ﴿نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَلَّ لَا يَشْعُرُونَ﴾ يظنون هؤلاء أن ما نعطهم من الأموال والأولاد لكرامتهم علينا كلاً إنا نفعل بهم ذلك استدراجاً ٥٦: ﴿وَإِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ﴾ مع إيمانهم وإحسانهم خائفون من الله، فجمعوا إحساناً وشفقةً، والكافر جمع إساءةً وأماً ٥٨: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ﴾ يؤمنون بآياته الكونية والشرعية ٥٩: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ﴾ لا يعبدون معه غيره، بل يعبدونه وحده لا شريك له.

مَاتَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجْلَهَا وَمَا يَسْتَأْخِرُونَ ﴿٤٣﴾ ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرًا كُلٌّ مَاجَاءَ أُمَّةٍ رَسولُهَا كَذَبُوهُ فَاتَّبَعْنَا بَعْضَهُمْ بَعْضًا وَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ فَبَعَدَ الْقَوْمَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٤٤﴾ ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَى وَأَخَاهُ هَارُونَ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ ﴿٤٥﴾ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قوماً عَالِينَ ﴿٤٦﴾ فَقَالُوا أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِكَ وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَابِدُونَ ﴿٤٧﴾ فَكَذَّبُوهُمَا فَكَانُوا مِنَ الْمُهْلَكِينَ ﴿٤٨﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٤٩﴾ وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً وَآوَيْنَاهُمَا إِلَى رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ ﴿٥٠﴾ يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٥١﴾ وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَإِنَّا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ ﴿٥٢﴾ فَاقْطَعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ زُبُرًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فِرْحُونٌ ﴿٥٣﴾ فَذَرَهُمْ فِي غَمَرَتِهِمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٥٤﴾ أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِ مِنْ مَالٍ وَبَنِينٍ ﴿٥٥﴾ نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَلَّ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٦﴾ إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ ﴿٥٧﴾ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٨﴾ وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾

٥١: الحلال: هو الكسب المشروع. وفي الصحيح قال رسول الله ﷺ: ﴿وما من نبي إلا رعى الغنم﴾ قالوا: وأنت يا رسول الله؟ قال: «نعم، وأنا كنت أرعاهم على قراريط لأهل مكة». ابن كثير ج ٣/٢٤٦

٥١: الحلال: هو الكسب المشروع. وفي الصحيح قال رسول الله ﷺ: ﴿وما من نبي إلا رعى الغنم﴾ قالوا: وأنت يا رسول الله؟ قال: «نعم، وأنا كنت أرعاهم على قراريط لأهل مكة». ابن كثير ج ٣/٢٤٦

٦٠ ﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجَلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ﴾ يُعْطُونَ العطاء وهم خائفون أَن لا يُقبل منهم؛ خوفاً أَن يكونوا قد قَصُرُوا، وهذا من باب الإشفاق والاحتياط ٦١: ﴿أُولَٰئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ﴾ [أي: يُسارعون في الطاعات، وهم من أجل الخيرات سَابِقُونَ] ٦٢: ﴿وَلَا تُكَلِّفْ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ أي: لا تُكلف قلباً عمله والقيام به، ﴿وَلَدِينَا كِتَابٌ يُبَيِّنُ بِالْحَقِّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ وهم لا يُظلمون ﴿حين يُحاسِبهم ٦٣: ﴿بَلْ قُلُوبُهُمْ فِي غَمْرَةٍ﴾ في غملةٍ وضلالٍ ﴿من هذا﴾ القرآن ﴿وهم أعمالٌ من دُونِ ذَلِكَ هم لها عاملون﴾ لهم أعمال سيئة من دون الشرك، لا يَدُّ أَن يعملوها قبل موتهم لتحقَّ عليهم كلمة العذاب ٦٤: ﴿حَتَّىٰ إِذَا أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِم بِالْعَذَابِ إِذَا هُمْ يَجْرُونَ﴾ يعني حتى إذا جاء مترفيهم وهم المنعمون في الدنيا عذاب الله وبأسه ونقمته بهم ﴿إِذَا هُمْ يَجْرُونَ﴾ يصرخون ويستغيثون ٦٥: ﴿لَا تَجْأَزُوا يَوْمَ يَنْفَعُكُم مِّنَ الْأَمْثَلِ إِلَّا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ أي: لا يجزئكم أحدٌ مما حلَّ بكم ٦٦: ﴿قَدْ كَانَتْ آيَاتِي تُلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنْتُمْ عَلَىٰٰ أَعْقَابِكُمْ تَنْكُصُونَ﴾ إذا دُعِيتُم أسيتم، وإن طُلبتم امتنعتم، كما قال تعالى: ﴿ذَلِكُمْ بِأَنَّهُ إِذَا دُعِيَ اللَّهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ وَإِنْ يُشْرَكُ بِهِ تُؤْمِنُوا فَالْحُكْمُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ﴾ ٦٧: ﴿مُسْتَكْبِرِينَ بِهِ سَامِرًا تَهْجُرُونَ﴾ كانوا يذكرون القرآن بالهجر من الكلام: إنه سحر، إنه شعر، إنه كهانة، إلى غير ذلك من

وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجَلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ ﴿٦٠﴾
 أُولَٰئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ ﴿٦١﴾ وَلَا تُكَلِّفْ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَلَدِينَا كِتَابٌ يُبَيِّنُ بِالْحَقِّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَهُمْ لَهَا صَادِقُونَ ﴿٦٢﴾ بَلْ قُلُوبُهُمْ فِي غَمْرَةٍ مِّنْ هَذَا وَهُمْ أَعْمَلُ مِنْ دُونِ ذَلِكَ هُمْ لَهَا عَمَلُونَ ﴿٦٣﴾ حَتَّىٰ إِذَا أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِم بِالْعَذَابِ إِذَا هُمْ يَجْرُونَ ﴿٦٤﴾ لَا تَجْعَلُوا الْيَوْمَ الْأَكْمَرُ مِنَّا إِنْ كُنْتُمْ لَا تَنْصُرُونَ ﴿٦٥﴾ فَذَكَرْنَاكَ آيَاتِي نُنْتَلِنَ عَلَيْكُمْ فَكُنْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ تَنْكُصُونَ ﴿٦٦﴾ مُسْتَكْبِرِينَ بِهِ سَامِرًا تَهْجُرُونَ ﴿٦٧﴾ أَفَلَمْ يَذَّبُوا الْقَوْلَ إِذْ جَاءَهُمْ مَا لَمْ يَأْتِ آبَاءَهُمُ الْأَوَّلِينَ ﴿٦٨﴾ أَفَلَمْ يَعْرِفُوا بِرُسُولِهِمْ فَهُمْ لَكُمُ الْمَكْرُوتُونَ ﴿٦٩﴾ أَمْ يَقُولُونَ بِهِ جِنَّةٌ بَلْ جَاءَهُم بِالْحَقِّ وَأَكْثَرُهُم لِلْحَقِّ كَارِهُونَ ﴿٧٠﴾ وَلَوْ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ بَلْ أَتَيْنَهُمْ بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَنِ ذِكْرِهِمْ مُعْرِضُونَ ﴿٧١﴾ أَمْ تَسْأَلُهُمْ خُرُوجًا خَيْرٌ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴿٧٢﴾ وَإِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٧٣﴾ وَإِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ عَنِ الصِّرَاطِ لَنُكَيِّبُونَ ﴿٧٤﴾

الأقوال الباطلة ٦٨: ﴿أَفَلَمْ يَذَّبُوا الْقَوْلَ﴾ يُنكر الله على المشركين في عدم تفهمهم للقرآن العظيم، ﴿أَمْ جَاءَهُمْ مَا لَمْ يَأْتِ آبَاءَهُمُ الْأَوَّلِينَ﴾ إنهم قد خُصُّوا بهذا الكتاب الذي لم يُزل الله على رسولٍ أكمل منه ولا أشرف، لاسيما أبائهم الذين ماتوا في الجاهلية حيث لم يبلغهم كتاب ولأنهم نذير، أي: كان اللائق بهم أن يقابلوا هذه النعمة بشكرها وتفهمها ٦٩: ﴿أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُ مَكْرُوتُونَ﴾ أفهم لا يعرفون محمداً صلى الله عليه وآله وسلم وصدقه وأمانته؟ أيقدرتون على إنكار ذلك؟ ٧٠: ﴿أَمْ يَقُولُونَ بِهِ جِنَّةٌ بَلْ جَاءَهُم بِالْحَقِّ﴾ يقولون به جنون، فتحداهم وجميع من في الأرض أن يأتوا بمثل ما استطاعوا، ولهذا قال تعالى: ﴿بَلْ جَاءَهُم بِالْحَقِّ وَأَكْثَرُهُم لِلْحَقِّ كَارِهُونَ﴾ ٧١: ﴿وَلَوْ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ﴾ لو أجابهم الله إلى ما في نفوسهم من الهوى ﴿لَفَسَدَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ﴾ بل آتيناهم بذكرهم ﴿فَهُمْ عَنِ ذِكْرِهِمْ مُعْرِضُونَ﴾ ٧٢: ﴿أَمْ تَسْأَلُهُمْ خُرُوجًا﴾ أجراً وجنلاً ﴿فَخُرُوجٌ رَّبُّكَ خَيْرٌ﴾ أنت في ذلك تحسب عند الله جزيل ثوابه، ﴿وهو خيرُ الرَازِقِينَ﴾ [أي: ليس يقدر أحدٌ أن يرزق مثل رزقك] ٧٣: ﴿وَإِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [أي: إلى الدِّين القويم، وهو الإسلام] ٧٤: ﴿وَإِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ عَنِ الصِّرَاطِ لَنُكَيِّبُونَ﴾ لغادلون حائزون منحرفون. ونكب فلان عن الطريق: إذا زاعغ عنها.

الآية: ٦٠ روى الإمام أحمد عن عائشة أنها قالت: يا رسول الله ﴿الَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجَلَةٌ﴾ هو الذي يسرق ويزني ويشرب الخمر، وهو يخاف الله عز وجل؟ قال: لا يا بن الصديق؟ ولكنه الذي يصلي ويصوم ويتصدق، هو خلاف ذلك، قال: لا يا بن الصديق، ولكنه الذي يصلون ويصومون ويتصدقون وهم يخافون الله يُقبل منهم. // ابن كثير ج ٣/ ٢٤٨/٢

٧٥: ﴿وَلَوْ رَجَعْنَاهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِمْ مِنْ ضُرٍّ لَلْجَوَا فِي طغيانهم يعمهون﴾ يخبر تعالى عن غلظتهم في كفرهم بأنه لو أراح عنهم الضرّ وأفهمهم القرآن لما انقادوا له ولا استمروا على كفرهم وعنادهم، وهذا من باب علمه تعالى ٧٦: ﴿ولقد أخذناهم بالعذاب﴾ ابتليانهم بالمصائب والشدائد ﴿فما استكانوا لرهبهم وما يبضرعون﴾ فمأزدهم ذلك عما كانوا فيه من الكفر ٧٧: ﴿حتى إذا فتحنا عليهم باباً ذا عذاب شديد إذا هم فيه مبلسون﴾ حتى إذا جاءهم أمرٌ الله وجاءتهم الساعة بغتة فأخذهم من عذاب الله ما لم يكونوا يمتسبون فعند ذلك أبلسوا من كلٍّ وأبلسوا من كلِّ راحة ٧٨: ﴿وهو الذي أنشأ لكم السمع والأبصار والأفئدة قليلاً ما تشكرون﴾ جعل تعالى نعمته على عباده من السمع والأبصار والأفئدة، وهي العقول والفهوم، التي يعتبرون بها بما في الكون من الآيات الدالة على وحدانية الله، وما أفل شكركم الله على ما أنعم به عليكم ٧٩: ﴿وهو الذي ذرأكم في الأرض وإليه تحشرون﴾ هو الذي ذرأ الخليقة في سائر أقطار الأرض ثم يوم القيامة يجمع الأولين منهم والآخرين ٨٠: ﴿وهو الذي يحيي ويميت﴾ يحيي الرميم، ويميت الأمم، ﴿وله اختلاف الليل والنهار﴾ وعن أمره تسخير الليل والنهار، كلٌّ منهما يطلب الآخر طلباً حثيثاً يتعاقبان لا يفتران ﴿أفلا تعقلون﴾؟ أفليس لكم عقول تدلكم على العزيز العليم؟ ثم قال تعالى مخبراً عن

﴿وَلَوْ رَجَعْنَاهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِمْ مِنْ ضُرٍّ لَلْجَوَا فِي طغيانهم يعمهون﴾
 ﴿٧٥﴾ ﴿ولقد أخذناهم بالعذاب﴾
 ﴿٧٦﴾ ﴿حتى إذا فتحنا عليهم باباً ذا عذاب شديد إذا هم فيه مبلسون﴾
 ﴿٧٧﴾ ﴿وهو الذي أنشأ لكم السمع والأبصار والأفئدة قليلاً ما تشكرون﴾
 ﴿٧٨﴾ ﴿وهو الذي ذرأكم في الأرض وإليه تحشرون﴾
 ﴿٧٩﴾ ﴿وهو الذي يحيي ويميت وله اختلاف الليل والنهار﴾
 ﴿٨٠﴾ ﴿بل قالوا مثل ما قال الأولون﴾
 ﴿٨١﴾ ﴿قالوا أءذا متنا وكنا تراباً وعظاماً أئنا لمبعوثون﴾
 ﴿٨٢﴾ ﴿لقد وعدنا نحن وآباؤنا هذا من قبل إن هذا إلا أساطير الأولين﴾
 ﴿٨٣﴾ ﴿قل لمن الأرض ومن فيها إن كنتم تعلمون﴾
 ﴿٨٤﴾ ﴿سيقولون لله قل أفلا تذكرون﴾
 ﴿٨٥﴾ ﴿قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم﴾
 ﴿٨٦﴾ ﴿سيقولون لله قل أفلا نتقون﴾
 ﴿٨٧﴾ ﴿قل من يديه ملكوت كل شيء وهو يجير ولا يجار عليه إن كنتم تعلمون﴾
 ﴿٨٨﴾ ﴿سيقولون لله قل فإني تسحرون﴾
 ﴿٨٩﴾

منكري البعث الذين أشبهوا من قبلهم من المكذابين: ٨١: ﴿بل قالوا مثل ما قال الأولون﴾ ٨٢: ﴿قالوا أئذا متنا وكنا تراباً وعظاماً أئنا لمبعوثون﴾؟ يستبعدون وقوع ذلك بعد صيرورتهم إلى البلى ٨٣: ﴿لقد وعدنا نحن وآباؤنا هذا من قبل إن هذا إلا أساطير الأولين﴾ يعنون: الإعادة مُحالَة، إنما يخبر بها من تلقاها عن كتب الأولين، وهذا إنكارٌ وتكذيبٌ منهم ٨٤: ﴿قل لمن الأرض ومن فيها إن كنتم تعلمون﴾؟ ٨٥: ﴿سيقولون لله قل أفلا تذكرون﴾؟ ٨٦: ﴿قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم﴾؟ ٨٧: ﴿سيقولون لله قل أفلا نتقون﴾؟ يُمرّرُ تعالى وحدانيته واستقلاله بالخلق والتصرف والملك ليرشد إلى أنه الله الذي لا إله إلا هو، ولا ينبغي العبادة إلا له وحده لا شريك له؛ أي: إذا كنتم تعترفون بأنه ربُّ السموات وربُّ العرش العظيم، أفلا تتخافون عقابه وتحذرون عذابه في عبادتكم معه غيره وإشراككم به؟! ٨٨: ﴿قل من يديه ملكوت كل شيء وهو يجير ولا يجار عليه﴾ [أي: يمنع ولا يمنعه منه] وهو السيد العظيم الذي لا أعظم منه [إن كنتم تعلمون]؟! ٨٩: ﴿سيقولون لله﴾ سيعترفون أن السيد العظيم الذي يجير ولا يجار عليه هو الله تعالى وحده لا شريك له ﴿قل فإني تسحرون﴾؟ فكيف تذهب عقولكم في عبادتكم معه غيره مع اعترافكم وعلمكم بذلك!؟

الآية: ٨٦ العرش: سقف المخلوقات، كما جاء في الحديث الذي رواه أبو داود عن رسول الله ﷺ أنه قال: «شأن الله أعظم من ذلك، إن عرشه على سماواته هكذا وأشار بيده مثل القبّة. وفي الحديث الآخر: «مجالس السبع والأرضون السبع وما بينهنّ وما بينهنّ، في الكرسيّ، إلا كحلقة بأرضٍ فلاة، وإن الكرسيّ بما فيه بالنسبة إلى العرش كذلك الحلقة في تلك الكلافة. / ابن كثير ج ٣/٢٥٢/٣

٩٠: ﴿بَلْ آتَيْنَاهُم بِالْحَقِّ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾
 أعلمناهم بأنه لا إله إلا الله وأقمنا الأدلة
 الصحيحة الواضحة القاطعة على ذلك،
 وإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ في عبادتهم مع الله غيره
 ولادليل لهم على ذلك ٩١: ﴿مَا تَخَذَ اللَّهُ مِنْ
 وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذْ لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَّ
 بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سَبْحَنَ اللَّهُ عَمَّا يُصِفُونَ﴾ ٩١ ﴿عَلِيمَ
 الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَتَعَلَّى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ ٩٢ ﴿قُلْ رَبِّ
 إِمَاتِرِيَّ مَا يُوْعَدُونَ﴾ ٩٣ ﴿رَبِّ فَلَا تَجْعَلْنِي فِي الْقَوْمِ
 الظَّالِمِينَ﴾ ٩٤ ﴿وَإِنَّا عَلَىٰ أَنْ نُرِيكَ مَا نَعِدُهُمْ لَقَدِيرُونَ﴾ ٩٥
 ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السِّيئَةِ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يُصِفُونَ﴾ ٩٦
 وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيْطَانِ﴾ ٩٧ ﴿وَأَعُوذُ بِكَ
 رَبِّ أَنْ يَحْضُرُونَ﴾ ٩٨ ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ
 ارْجِعُونِ﴾ ٩٩ ﴿لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ
 هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ ١٠٠ ﴿فَإِذَا نُفِخَ
 فِي الصُّورِ فَلَا أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ﴾ ١٠١
 فَمَنْ تَقَلَّتْ مُوزَنُهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ ١٠٢ ﴿وَمَنْ
 خَفَّتْ مُوزَنُهُ فَأُولَٰئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ
 خَالِدُونَ﴾ ١٠٣ ﴿تَلْفَحُ وُجُوهُهُم نَارًا وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ﴾ ١٠٤

٩٠: ﴿بَلْ آتَيْنَاهُم بِالْحَقِّ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾
 أعلمناهم بأنه لا إله إلا الله وأقمنا الأدلة
 الصحيحة الواضحة القاطعة على ذلك،
 وإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ في عبادتهم مع الله غيره
 ولادليل لهم على ذلك ٩١: ﴿مَا تَخَذَ اللَّهُ مِنْ
 وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذْ لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَّ
 بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سَبْحَنَ اللَّهُ عَمَّا يُصِفُونَ﴾ ٩١ ﴿عَلِيمَ
 الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَتَعَلَّى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ ٩٢ ﴿قُلْ رَبِّ
 إِمَاتِرِيَّ مَا يُوْعَدُونَ﴾ ٩٣ ﴿رَبِّ فَلَا تَجْعَلْنِي فِي الْقَوْمِ
 الظَّالِمِينَ﴾ ٩٤ ﴿وَإِنَّا عَلَىٰ أَنْ نُرِيكَ مَا نَعِدُهُمْ لَقَدِيرُونَ﴾ ٩٥
 ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السِّيئَةِ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يُصِفُونَ﴾ ٩٦
 وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيْطَانِ﴾ ٩٧ ﴿وَأَعُوذُ بِكَ
 رَبِّ أَنْ يَحْضُرُونَ﴾ ٩٨ ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ
 ارْجِعُونِ﴾ ٩٩ ﴿لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ
 هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ ١٠٠ ﴿فَإِذَا نُفِخَ
 فِي الصُّورِ فَلَا أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ﴾ ١٠١
 فَمَنْ تَقَلَّتْ مُوزَنُهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ ١٠٢ ﴿وَمَنْ
 خَفَّتْ مُوزَنُهُ فَأُولَٰئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ
 خَالِدُونَ﴾ ١٠٣ ﴿تَلْفَحُ وُجُوهُهُم نَارًا وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ﴾ ١٠٤

وبغضه عبة فقال تعالى ٩٦: ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السِّيئَةِ﴾ عاملهم بالجميل مع إسدائهم إليك القبيح ﴿نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يُصِفُونَ﴾ ٩٧: ﴿وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيْطَانِ﴾ أمره تعالى أن يستعيذ من الشياطين لأنهم لا تنفع معهم الحيل ولا ينفقون بالمعروف ٩٨: ﴿وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ يَحْضُرُونَ﴾ في شيء من أمري. ولهذا أمر صلى الله عليه وآله وسلم بذكر الله في ابتداء الأمور لطرد الشيطان ٩٩: ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ﴾ يُخَيَّرُ تَعَالَىٰ عَنْ حَالِ الْكَافِرِ الْمُحْتَضِرِ عِنْدَ الْمَوْتِ وَسُؤَالِهِ الرَّجْعَةَ إِلَى الدُّنْيَا لِيُصَلِّحَ مَا كَانَ أَفْسَدَهُ، وَهَذَا يَقُولُ: ﴿رَبِّ ارْجِعُونِ﴾ ١٠٠: ﴿لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ﴾ [أي: فَمَا ضَيَّعْتُ مِنْ طَاعَةِ رَبِّي، فَيُجِيبُهُ] «كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا» كَلَّا: حرف ردع وزجر؛ أي لا يجيبه إلى ما طلب، ﴿إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا﴾ لا يبدؤا أن يقولها لامحالة كلُّ محضّر ظالم. ﴿وَمِنْ وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ أي: من أمامهم البرزخ الحاجز ما بين الدنيا والآخرة. فيه تهنيدٌ هؤلاء المحضّرين الظلمة بعباد البرزخ ١٠١: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ لَا تَنفَعُ الْأَنْسَابَ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ﴾ ١٠٢: ﴿فَمَنْ تَقَلَّتْ مُوزَنُهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ الذين فازوا وفتحوا من النار وأدخلوا الجنة ١٠٣: ﴿وَمَنْ خَفَّتْ مُوزَنُهُ﴾ تَقَلَّتْ سَيِّئَاتُهُ عَلَى حَسَنَاتِهِ ﴿فَأُولَٰئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ﴾ خَابُوا وَهَلَكُوا ﴿فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ﴾ ١٠٤: ﴿تَلْفَحُ وُجُوهُهُم نَارًا وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ﴾ عَابِسُونَ.

الآية: ٩٨ روى أبو داود أن رسول الله ﷺ قال: «اللهم إني أعوذ بك من العدم، وأعوذ بك من العدم، وأعوذ بك من العدم، وأعوذ بك من أن يتخبطني الشيطان عند الموت». وروى الإمام أحمد عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال: كان رسول الله ﷺ يعلمنا كلمات يقولهن عند النوم من الفزع: «بسم الله أعوذ بكلمات الله التامة من غضبه وعقابه، ومن شر عباده، ومن همزات الشياطين وأن يحضرون». / ابن كثير ج ٣/ ٢٥٤ - ٢٥٥ /

١٠٥: ﴿أَلَمْ تَكُنْ آيَاتِي تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ﴾؟ هذا تفرغ من الله وتوبيخ لأهل النار على ما ارتكبوه من الكفر ١٠٦: ﴿قَالُوا رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ﴾ قد قامت علينا الحجة ولكن كنا أشقى من أن نفضا لها وتتبعها فضلنا عنها ١٠٧: ﴿رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ﴾ اردنا إلى الدنيا، فإن عدنا إلى ما سلف منا فنحن مستحقون للعقوبة ١٠٨: ﴿قَالَ اخْسَرُوا فِيهَا وَلا تُكَلِّمُون﴾ هذا جوابهم من الله تعالى إذا سألو الخروج من النار، فليس لهم بعدها كلمة واحدة، وما هو إلا الزفير والشهيق في النار ١٠٩: ﴿إِنَّهٗ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ﴾ فكأنوا يستهزئون بعباده المؤمنين ١١٠: ﴿فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا﴾ فسخرتم منهم في دعائهم إياي وتضرعهم إليّ ﴿حتى أنسؤم ذكري﴾ حملكم بعضهم على أن نسيئهم معاملي ﴿وكنتم منهم تضحكون﴾ من صنعهم وعبادتهم، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ أُجْرِمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامِرُونَ﴾ يلمزونهم استهزاء ثم أخرج تعالى عما جازى به أوليائه فقال: ١١١: ﴿إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا﴾ على إذا تم لهم واستهزأكم بهم ﴿أنهم هم الفائزون﴾ بالسعادة والجنة والتجاة من النار ١١٢: ﴿قَالَ كَمْ لَبِثْتُمْ فِي الْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ﴾ كم كانت إقامتكم في الدنيا؟ ١١٣: ﴿قَالُوا لَبِثْنَا

أَلَمْ تَكُنْ آيَاتِي تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿١٠٥﴾ قَالُوا رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ ﴿١٠٦﴾ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ ﴿١٠٧﴾ قَالَ اخْسَرُوا فِيهَا وَلا تُكَلِّمُون ﴿١٠٨﴾ إِنَّهٗ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ ﴿١٠٩﴾ فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا حَتَّىٰ أَنْسَوَكُمُ ذِكْرِي وَكُنْتُمْ مِنْهُمْ تَضْحَكُونَ ﴿١١٠﴾ إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا إِنَّهُمْ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴿١١١﴾ قُلْ كَمْ لَبِثْتُمْ فِي الْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ ﴿١١٢﴾ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَسَأَلَ الْعَادِينَ ﴿١١٣﴾ قُلْ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا لَّوْ أَتَاكُمْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١٤﴾ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾ فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَبِيرِ ﴿١١٦﴾ وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ ﴿١١٧﴾ وَقُلْ رَبِّ اغْفِرْ وَارْحَمْ وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ ﴿١١٨﴾



يوماً أو بعض يومٍ فاسأل العادين﴾ أي: الحاسبين ١١٤: ﴿قَالَ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا﴾ مدة يسيرة على كل تقدير، ﴿لو أنكم كنتم تعلمون﴾ كما أثرت الفاني على الباقي ١١٥: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا﴾ أفظنتم أنكم مخلوقون عبثاً بلا قصد ولا حكمة منا؟ ﴿وأنكم إلينا لا ترجعون﴾ لا تعودون في الآخرة؟! ١١٦: ﴿فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ﴾ تقدس أن يخلق شيئاً عبثاً فإنه الملك الحق المتزه عن ذلك ﴿لا إله إلا هو ربُّ العرش الكريم﴾ فذكر العرش لأنه سقف جميع المخلوقات ووصفه بأنه كريم، أي: حسن المنظر بهي الشكل ١١٧: ﴿وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ﴾ بحاسبه الله على ذلك. وتوعد من أشرك به غيره وعبد معه سواه، ﴿إِنَّهٗ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ﴾ لا فلاح لهم يوم القيامة ولا نجاة. قال قتادة: ذكر لنا أن نبي الله صلى الله عليه وآله وسلم قال لرجل: «ماتعب؟» قال: «أعبد الله وكذا وكذا، حتى عدت أصناماً، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «فأيهم إذا أصابك ضرر فدعوته كشفه عنك؟» قال: «الله عز وجل». قال: «فأيهم إذا كانت لك حاجة فدعوته أعطاكها؟» قال: «الله عز وجل». قال: «فما يجعلك على أن تعبد هؤلاء معه؟ أم حسبت أن تغلب عليه؟!» قال: أردت شكره بعبادة هؤلاء معه، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «تعلمون ولا تعلمون؟! فأسلم الرجل. ورواه الترمذي نحواً من هذا ١١٨: ﴿وَقُلْ رَبِّ اغْفِرْ وَارْحَمْ وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ﴾ هذا إرشاد من الله تعالى إلى هذا الدعاء. فالغفر إذا أطلق معناه محو الذنب وستره على الناس. والرحمة معناها أن يسدده ويوقفه في الأقوال والأفعال.

الآية: ١١٨ كان رسول الله ﷺ يقول في سجوده: «اللهم إني أعوذ برضاك من سخطك، ومعافاتك من عقوبتك، وأعوذ بك منك لأحصي ثناءً عليك أنت كما أثنيت على نفسك» رواه مسلم رقم ٤٨٦.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سُورَةٌ أَنْزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا وَأَنْزَلْنَا فِيهَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١﴾
 الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَيْشَهِدَ عَذَابُهُمَا طَافِةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾ الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكَةٌ وَحُرْمٌ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾ وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا يَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةٌ أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٤﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥﴾ وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُن لَّهُمْ شَهَادَةٌ إِلَّا أَنْفُسُهُمْ فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٦﴾ وَالْخَامِسَةُ أَنْ لَعْنَتُ اللَّهِ عَلَيْهِ إِنْ كَانَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٧﴾ وَيَدْرَأُ عَنْهَا الْعَذَابَ أَنْ تَشْهَدَ أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٨﴾ وَالْخَامِسَةُ أَنْ غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهَا إِنْ كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٩﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾

تفسير سورة الزَّانِيَةِ

١: ﴿سورة أنزلناها﴾ فيه تنبيه على الاعتناء بها ﴿وفرضناها﴾ بيتا الحلال والحرام والأمر والنهي والحدود. ﴿وأنزلنا فيها آيات بيِّنات﴾ مفسرات واضحة ﴿لعلكم تذكرون﴾ ٢: ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ﴾ وهو يكر لم يتزوج، وأما المتزوج المحصن فحكمه الرجم. ﴿ولأناخذكم بهما رأفة في دين الله﴾ شدتوا الضرب ولكن ليس مبرحا، ليرتدع هو ومن يصنع مثله بذلك ﴿إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر﴾ وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين ليكون أبلغ في زجرهما، فإن في ذلك تقييما وتوبيخا وفضيحة إذا كان الناس حُضُورًا ٣: ﴿الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً﴾ لا يطاقعه على مراده من الزنا إلا زانية عاصية ﴿أو مشركة﴾ لا ترى حُرمة ذلك. وكذلك ﴿الزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ﴾ عاصر بزناه ﴿أو مشرك﴾ لا يعتقد تحريمه، ﴿وحُرْمٌ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ تعاطيه والتزوج بالبعيا والفقار. فإن حصلت توبة فإِنَّه يحلُّ التزوج ٤: ﴿والَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً﴾ هذا حكم القاذف للمحصنة والمحصن ﴿ولأناقبولوا لهم شهادة أبداً وأولئك هم الفاسقون﴾ فأوجب على القاذف إذا لم يُقَمِّ البينة على صحة ماقالهُ ثلاثة أحكام: أن يُجلد ثمانين جلدة. وأن تُردَّ شهادته أبداً. وأنه يكون فاسقاً ليس يعذر. ٥: ﴿إلا الذين تابوا من بعد ذلك

وأصلحوا﴾ فيرتفع الفسق بالتوبة، ويبقى مردود الشهادة، إلا أن يعترف على نفسه أنه قد قال البهتان، فهذا تُقبل شهادته، ﴿فإن الله غفورٌ رحيمٌ﴾ ٦: ﴿والَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُن لَّهُمْ شَهَادَةٌ إِلَّا أَنْفُسُهُمْ فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ﴾، هذا مخرج إذا قذف أحدهم زوجته وتعسر عليه إقامة البينة أن يُلاعنها، فيُحلف الحاكم أربع شهادات بالله في مقابلة أربعة شهادته لئن الصادقين فيما رماها ٧: ﴿والخامسة أن لعنة الله عليه إن كان من الكاذبين﴾ فإذا قال ذلك بانت منه زوجته وحرمت عليه أبداً ٨: ﴿ويَدْرَأُ عَنْهَا الْعَذَابَ أَنْ تَشْهَدَ أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ ولا يدرأ عنها العذاب إلا أن تُلاعنَ فتشهد أربع شهادات بالله إنه لَمِنَ الكاذبين، أي: فيما رماها به ٩: ﴿والخامسة أن غضب الله عليها إن كان من الصادقين﴾ فخصها بالغضب، كما أن الغالب أن الرجل لا يتجسَّم فضيحة أهله ورميها بالزنا إلا وهو صادقٌ معذور، وهي تعلم صدقه فيما رماها به، ولهذا كانت الخامسة في حَقِّها أن غضب الله عليها، والمغضوب عليه هو الذي يعلم الحق ثم يجيد عنه. ثم ذكر تعالى رأفته ولفظه بهم فيما شرع لهم من الفرج والمخرج من شدة ما يكون بهم من الضيق فقال تعالى: ١٠: ﴿ولولا فضل الله عليكم ورحمته﴾ لَحُرِّجْتُمْ عَلَيْكُمْ كَثِيرٌ مِنْ أَمْوَالِكُمْ ﴿وَأَنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ﴾ على عبادته ﴿حَكِيمٌ﴾ فيما يشرعه ويأمر به وينهى عنه.

الآية: ٢ ثبت في الصحيحين أن عمر بن الخطاب خطب فقال: «أنا بعد أيها الناس، فإن الله تعالى بعث محمداً ﷺ بالحق وأنزل عليه الكتاب فكان فيما أنزل عليه آية الرجم، فقرأناها ووعيناها، ورجم رسول الله ﷺ ورجمنا بعده، فأخشي أن يطول بالناس زمان أن يقول قائل: لا نجد آية الرجم في كتاب الله، فيضلوا بترك فريضة قد أنزلها الله، فالرجم في كتاب الله حق على من زنى إذا أحصن من الرجال ومن النساء، إذا قامت البينة أو حمل الاعتراف». /ابن كثير ج ٣/ ٢٦٠/

١١: «إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ لَا تحْسَبُوهُ شَرًّا لَكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لِّكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ مَا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ» هذه العشر الآيات كلها نزلت في شأن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها حين رماها أهل الإفك والبهتان من المنافقين بما قالوه من الكذب والفرية التي غار الله عز وجل لها فأنزل الله تعالى براءتها صيانة لعرض رسوله صلى الله عليه وآله وسلم. ﴿لَا تحْسَبُوهُ شَرًّا لَكُمْ﴾ يآل أبي بكر ﴿بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ﴾ بإظهار شرفكم باعتناء الله تعالى بأم المؤمنين عائشة حيث أنزل الله براءتها في القرآن العظيم. ﴿لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ﴾ ممن رمى أم المؤمنين بالفاحشة نصيب عظيم من العذاب ﴿مَا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ﴾ «والذي تولى كبره» إشاعته وإذاعته ﴿لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ وهو عبدالله بن أبي ابن سلول لعنه الله ١٢: ﴿لَوْلَا﴾ مَلَأَ ﴿إِذْ سَمِعْتُمُوهُ﴾ ذلك الكلام على أم المؤمنين ﴿ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنْفُسِهِمْ خَيْرًا﴾ مَلَأَ ظَنُّوا الخير بأم المؤمنين ﴿وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ﴾ كذب ظاهر على أم المؤمنين ١٣: ﴿لَوْلَا﴾ مَلَأَ ﴿جَاءُوا عَلَيْهِ﴾ على ما قالوه «بأربعة شهداء»؟ يشهدون على ما جاؤوا به «فإذ لم يأتوا بالشهداء فأولئك عند الله هم الكاذبون» الفاجرون ١٤: ﴿لَوْلَا فَضَّلَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتَهُ وَأَنَّ اللَّهَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ في شأن عائشة بأن قيل توبتكم ﴿لَمَسَّكُمْ﴾ في ما أفضتكم فيه عذاب عظيم ﴿فِي قَضِيَةِ الْإِفْكِ﴾. وهذا فيمن عنده إيمان أما المنافقين فليس أولئك مرادين في هذه الآية ١٥: ﴿إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِالسَّتِيكَةِ﴾ «تلقونه» من ولق اللسان، وهو الكذب الذي يستمر صاحبه عليه، ﴿وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ﴾ تقولون ما لاتعلمون، ﴿وَتَحْسَبُونَهُ هَيئًا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ﴾ كيف يكون هذا في سيده نساء الأنبياء وزوجة سيد ولد آدم على الإطلاق؟! ١٦: ﴿لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ﴾ هذا تأديب آخر بعد الأول بظن الخير؛ أي: ما ينبغي لنا أن نفوه بهذا الكلام ولانذركه، سبحانه أن يقال هذا البهتان على زوجة رسولك! ١٧: ﴿يَعْظُمُكُمْ اللَّهُ أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ «إن كنتم مؤمنين» بالله وتعلمون رسوله صلى الله عليه وآله وسلم ١٨: ﴿وَيُؤَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ﴾ يوضح لكم الأحكام الشرعية ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ عليم بما يصلح عباده، حكيم في شرعه وقدره ١٩: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ «الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا لهم عذاب أليم» هذا تأديب ثالث لمن سمع شيئاً من الكلام السيء فقام بذهنه شيء منه، فلا يُشيعه ولا يذيعه، ﴿لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا﴾ بالخذ ﴿وَالْآخِرَةِ﴾ بالعذاب الأليم، ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ فردوا الأمور إليه تُرشدوا. روى الإمام أحمد: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «لا تؤذوا عباد الله ولا تفتروهم، ولا تظلموا عورتهم، فإنه من طلب عورة أخيه المسلم طلب الله عورته حتى يفضحه في بيته» ٢٠: ﴿لَوْلَا فَضَّلَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتَهُ﴾ لكان أمر آخر ﴿وَأَنَّ اللَّهَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ ولكنه تعالى رؤوف بعباده رحيم بمن تاب إليه.

إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ لَا تحْسَبُوهُ شَرًّا لَكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لِّكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ مَا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١﴾ لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنْفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ ﴿١٢﴾ لَوْلَا جَاءَ وَعَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاءِ فَأُولَئِكَ عِنْدَ اللَّهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ ﴿١٣﴾ لَوْلَا فَضَّلَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتَهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِي مَا أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٤﴾ إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِالسَّتِيكَةِ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيئًا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾ لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ ﴿١٦﴾ يَعْظُمُكُمْ اللَّهُ أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٧﴾ وَيُؤَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٨﴾ إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٩﴾ لَوْلَا فَضَّلَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتَهُ وَأَنَّ اللَّهَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿٢٠﴾

١٥: الآية: ١٥ ثبت في الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال: «إِنَّ الرَّجُلَ لِيَتَكَلَّمَ بِالْكَلِمَةِ مِنْ سَخَطِ اللَّهِ لِابْدَرِي مَا تَبْلَغُ يَهْوِي بِهَا فِي النَّارِ أَعْدُ تَمَّا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ» (ابن كثير ج ٣/٢٧٤)

٢١: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطَوَاتِ الشَّيْطَانِ﴾ يعني طرائقه ومسالكه وما يأمر به، ﴿وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطَوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾ هذا تفسير وتحذير من الشيطان بأفصح عبارة وأبلغها وأجزها وأحسنها، ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا﴾ لولا هو يرزق من يشاء التوبة ويزكي النفوس من شركها وفجورها وما فيها من أخلاقي رديئة لما حصل أحد لنفسه زكاة ولا خيراً ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ من خلقه ﴿وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ بمن يستحق منهم الهدى والضلال ٢٢: ﴿وَلَا يَأْتَلُ﴾ لا يخلف ﴿أَوْ لَوْ الْفَضْلُ مِنْكُمْ﴾ الإحسان ﴿وَالسَّعَةِ﴾ أن يؤتوا أولي القربى والمساكين والمهاجرين في سبيل الله ﴿لَا تَحْلِفُوا أَنْ لَا تَتَّصِلُوا قُرَابَاتِكُمُ الْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ﴾ وهذا في غاية الترفق والعطف على صلة الأرحام، ولهذا قال تعالى: ﴿وَلْيَغْفُوا﴾ ويغفروا ﴿وَلْيَصْفَحُوا﴾ عما تقدم منهم من الإساءة والأذى، ﴿أَلَا تَتُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ﴾ فإن الجزء من جنس العمل؛ فكما تغفروا ذنب من أذنب إليك يغفر الله لك، وكما تصفح يصفح عنك، ﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ ٢٣: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَسْرُمُونَ الْمُحْسِنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لَأُنْفِقَنَّ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾ هذا وعيد من الله للذين يرمون المحسنات الغافلات ﴿وَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [وهذا خاص بمن رمى أم المؤمنين، وعام فيمن رمى المؤمنات]، وقد أجمع العلماء رحمهم الله قاطبة

﴿يَتَّيِبُهَا لِلَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطَوَاتِ الشَّيْطَانِ وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطَوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَوْ لَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ (٢١) وَلَا يَأْتَلُ أَوْ لَوْ الْفَضْلُ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَى وَالْمَسْكِينِ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (٢٢) إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْسِنَاتِ الْمُحْسِنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لَعُنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ (٢٣) يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَسِنَّتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (٢٤) يَوْمَ يُؤْتِيهِمْ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ﴾ (٢٥) الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ وَالْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ أُولَئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ (٢٦) يَتَّيِبُهَا لِلَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا وَتَسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ (٢٧)

على أن رمى أم المؤمنين عائشة بنت الصديق رضي الله عنهما فإنه كافر؛ لأنه معاند للقرآن ٢٤: ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَسِنَّتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾؛ كما ورد في الحديث: «كفى بنفسك عليك شهيداً، وبالكرام عليك شهوداً، فيحتم على فيء، ويُقال لأركان: انطقي، فتنطق بعمله» الحديث. وقد رواه مسلم والنسائي ٢٥: ﴿يَوْمَ يُؤْتِيهِمْ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ﴾ حسابهم، ﴿وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ﴾ وعدة ووعيده وحسابه، هو العدل الذي لا جور فيه ٢٦: ﴿الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ وَالْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ﴾ نزلت في أهل الإفك؛ أي: الخبيثات من القول للخبيثين من الرجال، والخبيثون من الرجال للخبيثات من القول. ﴿وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ﴾، نزلت في عائشة؛ أي: والطيبات من القول للطيبين من الرجال، والطيبون من الرجال للطيبات من القول. أي: الكلام الفتيح أولى بأهل الفتيح من الناس، والكلام الطيب أولى بالطيبين من الناس، فما نسبة أهل النفاق إلى عائشة من كلامهم أولى به، وهي أولى بالبراءة والنزاهة منهم، ولهذا قال تعالى: ﴿أُولَئِكَ مُرَرَّونَ مِمَّا يَقُولُونَ﴾ أهل الإفك والعُدوان، ﴿لَهُمْ مَغْفِرَةٌ﴾ بسبب ما قبل فيهم من الكذب ﴿وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ في جنات النعم ٢٧: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا﴾ الاستئناس؛ هو الاستئذان ثلاثاً، ﴿وَتَسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ﴾ للمستأذنين ولأهل البيت ﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾.

الآية: ٢٤ روى مسلم والنسائي أن رسول الله ﷺ قال: (من مجادلة العبد لربه يقول: يارب الم تجزي من الظلم؟ فيقول: بلى، فيقول: لأجز عليّ إلا شأداً من نفسي، فيقول: كفى بنفسك عليك شهيداً وبالكرام عليك شهوداً، فيحتم على فيء، ويُقال لأركان: انطقي فتنطق بعمله، ثم يخلى بينه وبين الكلام، فيقول: بُعْدًا لَكِنَّ وَسَحَقًا فَعَنْكَرُ كَثَّ أَنْضِلُ).

٢٨: ﴿فَإِنْ لَمْ يَجِدُوا فِيهَا أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّى يُؤْذَنَ لَكُمْ﴾ وذلك لما فيه من التصرف في ملك الغير بغير إذنه، فإن شاء أذن وإن شاء لم يأذن ﴿وَإِنْ قِيلَ لَكُمْ ارْجِعُوا فَارْجِعُوا هُوَ أَزْكَى لَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ ٢٩: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ﴾ ليس فيها أحد كالبيت الممد للضيف إذا أذن له فيه أول مرة كفى، وكان لكم ﴿فِيهَا مَتَاعٌ﴾ وكذا منازل الأسفار وببوت مكة، وببوت التجار كالخانات. ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ﴾ ٣٠: ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ﴾ هذا أمر من الله تعالى للمؤمنين أن يغضوا من أبصارهم عما حرم عليهم. [وَمِنْ] للتبعض، لأن من النظر ما يباح؛ كنظر الحاكم والشاهد والبايع، والكالظرة المفاجئة. والبصر هو الباب الأكبر إلى القلب، ولما كان النظر داعية إلى فساد القلب أمر الله بحفظ البصر، كما أمر بحفظ الفرج: ﴿وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ﴾ وحفظ الفرج يكون نبعه من الزنا، ومن النظر إليه كما جاء في الحديث في مسند أحمد والسُّنن: «احفظ عورتك إلا من زوجتك». ﴿ذَلِكَ أَزْكَى لَكُمْ﴾ أظهر لقلوبهم وأتقى لدينهم، كما قيل: من حفظ بصره أورثه الله نوراً في بصرته. ﴿وَإِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ ٣١: ﴿وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ﴾ وهذا أمر من الله تعالى للمؤمنات بغض بصرهن عما حرم الله عليهن من النظر

فَإِنْ لَمْ يَجِدُوا فِيهَا أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّى يُؤْذَنَ لَكُمْ وَإِنْ قِيلَ لَكُمْ ارْجِعُوا فَارْجِعُوا هُوَ أَزْكَى لَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٢٨﴾ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَاعٌ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ ﴿٢٩﴾ قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾ وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلَا يَضْرِبْنَ خُمْرَهُنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءَ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءَ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانَهُنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهُ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣١﴾

إلى غير أزواجهن، غيرة منه تعالى لأزواجهن المؤمنات. ﴿وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ﴾ أن لا يراها أحد، ﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا﴾ لا يظهرن شيئاً من الزينة للأجانب إلا ما لا يمكن إخفاؤه [أي: على المرأة أن تجتهد في الإخفاء لكل ما هو زينة، ووقع الاستثناء فيما يظهر بحكم ضرورة حركة فيها لا بد منه، فهو معفو عنه]، ﴿وَلَا يَضْرِبْنَ خُمْرَهُنَّ﴾ الخمار هو ما يغطي به الرأس ﴿على جُيُوبِهِنَّ﴾ [الجيب هنا شقة الثوب من العنق] أي: على صدورهن؛ لتوازي ما تحتها من صدرها وترايبها، ليخالفن نساء الجاهلية، فإنهن لم يكن يفعلن ذلك، بل كانت المرأة منهن تمر بين الرجال مفسحة بصدرها لأبوابه شيء، وتظهر عنقها وشعرها وأقراطها أذنانها، فأمر الله المؤمنات أن يستترن في هياتهن وأحوالهن، كما قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لَأَزْوَاجِكُمْ وَبَنَاتِكُمْ وَنِسَاءَ الْمُؤْمِنِينَ يُبْدِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَنَ﴾. ﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ﴾ أزواجهن ﴿أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءَ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءَ بُعُولَتِهِنَّ﴾ أبناء أزواجهن ﴿أَوْ إِخْوَانَهُنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ﴾ كل هؤلاء حرام للمرأة يجوز لها أن تظهر بزينة من غير تبرج، أما الزوج فإتماً كل ذلك من أجله. ﴿أَوْ نِسَائِهِنَّ﴾ المسلمات ﴿أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ﴾ رقيقها من الرجال والنساء، ﴿أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ﴾ من الذين في عقولهم ولة، كأجراء ومن لا هم لهم إلى النساء ولا يشترطن، ﴿أَوْ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ﴾ لصغرهم لا يفهمون أحوال النساء من كلامهن وحركاتهن وسكناتهن، فإن كان مراهقاً فلا. ﴿وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهُ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾.

٣٢: ﴿وَأَنكِحُوا الْأَيَامَىٰ مِنكُمْ وَالصَّالِحِينَ

من عبادكم وإمائكم﴾ هذا أمر بالتزويج، قال عليه الصلاة والسلام: «يامعشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج؛ فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج»، والأيامى: جمع أيم، وهو الذي لازوجه له، ولازوج. ﴿إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُعْطِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ رغبهم الله بالتزويج ووعدهم عليه العنتى، قال أبو بكر الصديق: أطعموا الله فيما أمركم به من النكاح يُنجز لكم ما وعدكم من العنتى. ﴿وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ ٣٣: ﴿وَلِيَسْتَعْفِفَ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّى يُعْطِيَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ هذا أمر

من الله تعالى لمن لا يجد تزويجاً بالتعفف عن الحرام. ﴿وَالَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الْكِتَابَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا وَآتُوهُم مِّن مَّالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ وَلَا تَكْرَهُوا فَنَيْتُكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْتُمْ تَحَصِّنَ اللَّيْبُغُوا عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَن يُكْرِهِنَّ فَإِنَّ اللَّهَ مِن بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ ﴿٣٤﴾ ﴿وَلَقَدْ أَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ آيَاتٍ مُّبِينَاتٍ وَمَثَلًا مِّنَ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُمْ وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾ ﴿٣٥﴾ ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ ﴿٣٥﴾ ﴿فِي يُوتِ أذنَ اللَّهِ أَن ترفعَ وَيذكرَ فيها أسمهُ يسبحُ له فيها بالغدو والآصال﴾ ﴿٣٦﴾

المتقين

لدينا﴾ من خراجهن ومهورهن وأولادهن ﴿وَمَن يُكْرِهِنَّ فَإِنَّ اللَّهَ مِن بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ هن؛ أي: إن فعلتم فإن الله غفور لإيهن، وإيهن على من أكرههن، وفي الحديث عن رسول صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: «رفع عن أمي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه» ٣٤: ﴿وَلَقَدْ أَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ آيَاتٍ مُّبِينَاتٍ﴾ يعني القرآن ﴿وَمَثَلًا مِّنَ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُمْ﴾ خير ما حل بهم في مخالفتهم أوامر الله تعالى، ﴿وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾ لمن اتقى الله وحافه ٣٥: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ هادي أهل السموات والأرض، ومدبر الأمر فيها؛ ونوره: هدهة. ﴿مَثَلُ نُورِهِ﴾ في المؤمن الذي جعل الله الإيمان والقرآن في صدره ﴿كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ﴾ فنبه قلب المؤمن وما فيه من الهدى وما يتلقاه من القرآن في صفائه في نفسه بالتعديل من الزجاج الشفاف ﴿فِيهَا مِصْبَاحٌ﴾ وهو الزبالة التي تضىء، ﴿الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ﴾ هذا الضوء في زجاجة صافية، نظيره قلب المؤمن ﴿الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ﴾ كأنها كوكب من درر ﴿يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَارَكَةٍ﴾ يستمد من زيت ﴿زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ﴾ هي شجرة بالصحراء لا يظلمها شجر ولا جبل ولا يوربها شيء، وهو أجود لزيتها وأصفى، ﴿يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ﴾ [مبالغة في حسبه وصفائه] ﴿نُورٌ عَلَى نُورٍ﴾ كذلك نور القرآن ونور الإيمان حين اجتماعهما، ﴿يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ﴾ يرشد لهذابته من يختاره ﴿وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ ٣٦: ﴿فِي يُوتِ أذنَ اللَّهِ أَن ترفعَ﴾ أمر الله تعالى بتعاهدها وتطهيرها تماماً ليليق بها من الدنس واللعو، ﴿وَيذكرَ فيها أسمهُ يسبحُ له فيها بالغدو والآصال﴾ يعني الصلاة.

٣٧: ﴿رَجَالٌ﴾ فيه إشعارٌ بهمهم السامية وعزائمهم العالية التي صاروا بها عمّاراً لبيوت الله، ﴿لأنّهم﴾ تجارةً ولابيع عن ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة﴾ لا تشغلهم الدنيا وزينتها وملاذ بيعها وريحها عن ذكر خالقهم ورازقهم؛ أي: يقدّمون طاعته سبحانه ومراده ومحبته على مرادهم ومحبّتهم، ﴿يخافون يوماً تنقلب فيه القلوب والأبصار﴾ يوم القيامة، الذي تنقلب فيه القلوب والأبصار من شدّة الفزع وعظمة الأهمال ٣٨: ﴿ليجزئهم الله أحسن ما عملوا﴾ هؤلاء من الذين يتقبل حسناتهم ويتجاوز عن سيئاتهم ﴿ويزيدهم من فضله والله يرزق من يشاء بغير حساب﴾ ويزيدهم الشفاعة لمن وجبت له الشفاعة لمن صنع لهم المعروف في الدنيا، [ويرزق من يشاء من غير أن يُحاسبه عليه] ٣٩: ﴿والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة﴾ هذا مثل ضربه الله تعالى للكفار الدعاة إلى كفرهم، فمثلهم في ذلك كالسراب الذي يرى في القيعان من الأرض عن بُعد، كأنه بحر طام، والقيعة: جمع قاع، وهي الأرض المستوية المتسعة وفيها يكون السراب، يرى كأنه ماء، ﴿حتى إذا جاءه﴾ ليشرّب منه ﴿لم يجدّه شيئاً﴾ فكذلك الكافر يحسب أنّه قد عمل عملاً وأنّه قد حصل شيئاً فإذا وافى الله يوم القيامة، لم يجد له شيئاً، لعدم الإخلاص له سبحانه ولعدم سلوك الشرع، ﴿ووجد الله عنده فوفاه حسابه﴾ والله سريع الحساب﴾ كما قال

رَجَالٌ لَأَنَّهُمْ تَحَرُّوا وَلَا بَعَّ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَنْقَلِبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ ﴿٣٧﴾
 لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ ۗ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٨﴾
 بَقِيْعَةً يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَقًّا إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيْعُ الْحِسَابِ ﴿٣٩﴾
 أَوْ كَظَلْمَتٍ فِي بَحْرٍ لُّجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ ۗ سَحَابٌ ظَلَمَتْ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَكِدُ لَهُ لَمْ يَكْدِرْ بِهَا وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ ﴿٤٠﴾
 أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْخَرُ لَهُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرِ صَفَتْ كُلُّ قَدِّعِلْمٍ صِلَاتُهُ وَتَسْبِيحُهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٤١﴾
 وَاللَّهُ مَلِكٌ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ ﴿٤٢﴾
 أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَخْرِجُ مَن يَشَاءُ مَاتُيْنَهُ ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُنَّ مَا يَكُونُ لِنَفْسِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٤٣﴾
 أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَخْرِجُ مَن يَشَاءُ مَاتُيْنَهُ ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُنَّ مَا يَكُونُ لِنَفْسِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٤٤﴾

تعالى: ﴿وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباءً منثوراً﴾ ٤٠: ﴿أو كظلمات في بحر لّجّي﴾ هذا مثل ضربه للكفار. واللّجّي: العميق، ﴿يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب﴾؛ ثمّثل لهم النار كأنها سرابٌ يحطم بعضها بعضاً، فينطلقون فيتهاوتون فيها. وهذا المثال لذوي الجهل المركب فأما أصحاب الجهل البسيط وهم الأغشام المقلدون لأئمة الكفر الصمّ البكم، فمثلهم ﴿ظلمات بعضها فوق بعض إذا أخرج يده لم يكد يراها﴾ من شدّة الظلام، فهذا مثل قلب الكافر المقلد لا يعرف حال من يقرّده ولا يدري أين يذهب به ﴿ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور﴾ من لم يهتد به الله فهو هالك بائر ٤١: ﴿ألّم تر أنّ الله يسخّر له من في السموات والأرض﴾ من الملائكة والإنس والجن، ﴿والطيور صافات﴾ في حال طيراتها تسبح ربها، ﴿كلّ قد علم صلاته وتسبيحه﴾ كل [مخلوق] قد أرشده إلى طريقته ومسلكه في عبادة الله عز وجل، ﴿والله عليم بما يفعلون﴾ ٤٢: ﴿والله ملّك السموات والأرض﴾ فهو الحاكم المتصرف، الذي لا تنبغي العبادة إلاّ له ولا معقب لحكمه ﴿ورأى الله المصير﴾ يوم القيامة فيحكم فيه بما يشاء. ٤٣: ﴿ألّم تر أنّ الله يزجي سحاباً ثم يؤلف بينه﴾ يذكر تعالى أنّه يسوق السحاب بقدرته أول ما ينشأ وهي ضعيفة، وهو الإرجاء ﴿ثم يؤلف بينه﴾ يجمعه بعد تفرقه ﴿ثم يجعله ركاماً﴾ يركب بعضه بعضاً ﴿فقرى الودق﴾ أي: [رُذاذ] المطر ﴿يخرج من خلاله﴾ أي: من خلله، ﴿ويُنزل من السماء من جبال﴾ [من الأولى لابتداء الغاية، ومن] الثانية للتبعيض ﴿فيها من برد﴾ [ومن] الثالثة لبيان الجنس. معناه أنّ في السماء جبالاً [من السحاب] يُنزل الله منها البرد، ﴿فيصيب به من يشاء﴾ رحمةً لهم ﴿ويصرفه عن من يشاء﴾ نعمةً عليهم. ﴿يكاد سنا برقه يذهب بالأبصار﴾ من شدّة ضوء برقه.

يَقْلِبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ ﴿٤٤﴾
وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِّن مَّاءٍ فَمِنْهُمْ مَّن يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ وَمِنْهُمْ مَّن
يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ وَمِنْهُمْ مَّن يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ
إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤٥﴾ لَقَدْ أَنْزَلْنَا آيَاتٍ مُّبِينَاتٍ
وَاللَّهُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤٦﴾ وَيَقُولُونَ
ءَأَمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِّنْهُمْ مِّن بَعْدِ
ذَلِكَ وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ
لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ مُّعْرِضُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِن يَكُن لَّهُمُ الْحَقُّ
يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ ﴿٤٩﴾ أَفِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ أَمْ جَاؤُوا أَتَى
أَن يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولَهُ بَلْ أُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٥٠﴾
إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ
أَن يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٥١﴾ وَمَن
يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشِ اللَّهَ وَيَتَّقْهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ
﴿٥٢﴾ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِن أُمِرُوا لِيُخْرِجَنَّ قُل
لِّتَقْسِمُوا طَاعَةَ مَعْرُوفَةٍ إِنَّ اللَّهَ خَيْرٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٥٣﴾

٤٤: ﴿يَقْلِبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ﴾ يتصَّرف
فيهما فيأخذ من طول هذا في قصر هذا حتى
يعتدلان، ثم يأخذ من هذا في هذا فيطول
الذي كان قصيراً، ويقصر الذي كان طويلاً،
والله هو المتصَّرف في ذلك ﴿وَإِنَّ فِي ذَلِكَ
لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ﴾ دليلاً على عظمته
سبحانه ٤٥: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ
مَّاءٍ﴾ هذا من قدرته تعالى في خلقه أنواع
المخلوقات على اختلاف أشكالها من ماء (وهو
النفثة) ﴿فَمِنْهُمْ مَّن يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ﴾ كالحية
وما شاكلها، ﴿وَمِنْهُمْ مَّن يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ﴾
كالإنسان والطير، ﴿وَمِنْهُمْ مَّن يَمْشِي عَلَى
أَرْبَعٍ﴾ كالأنعام وسائر الحيوانات. ﴿يَخْلُقُ
اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾ بقدرته ﴿وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ
قَدِيرٌ﴾ ٤٦: ﴿لَقَدْ أَنْزَلْنَا آيَاتٍ مُّبِينَاتٍ﴾
يُفَرِّقُ اللَّهُ تَعَالَى أَنَّهُ أَنْزَلَ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنَ
الْحُكْمِ وَالْحُكْمِ وَالْأَمْثَالِ الْبَيِّنَةِ الْحَكْمَةَ كَثِيراً
جَدّاً، وَأَنَّهُ يُرْشِدُ إِلَى تَفْهِيمِهَا وَتَعْقُلِهَا أُولَى
الْأَكْيَابِ وَالْبَصَائِرِ، وَهَذَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَاللَّهُ
يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ ٤٧:
﴿وَيَقُولُونَ ءَأَمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا﴾
يُخْبِر تَعَالَى عَنِ صِفَاتِ الْمُنَافِقِينَ الَّذِينَ
يُظْهِرُونَ بِأَلْسِنَتِهِمْ خِلَافَ مَا يُعْطِنُونَ ﴿ثُمَّ
يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِنْهُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ﴾ يُخَالِفُونَ
أَقْوَالَهُمْ بِأَعْمَالِهِمْ فَيَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ، وَهَذَا
قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ﴾ ٤٨:
﴿وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ إِذَا طَلِبُوا إِلَى
اتِّبَاعِ الْهُدَى الَّذِي أَنْزَلَهُ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ
﴿لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ﴾ أَعْرَضُوا وَاسْتَكْبَرُوا عَنِ

اتِّبَاعِهِ ﴿إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ مُّعْرِضُونَ﴾ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ﴾ إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ
عَنكَ صُدُودًا﴾ ٤٩: ﴿وَإِن يَكُن لَّهُمُ الْحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ﴾ وَإِذَا كَانَتِ الْحُكْمَةُ لَهُمْ لِأَعْلِيهِمْ جَاؤُوا سَامِعِينَ مُطِيعِينَ، وَإِن كَانَتِ الْحُكْمَةُ
عَلَيْهِمْ أَعْرَضُوا ٥٠: ﴿أَفِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ﴾ شَكٌّ فِي الدِّينِ، أَوْ يَخَافُونَ أَن يَجُورَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ عَلَيْهِمْ فِي الْحُكْمِ، وَأَيَّامًا كَانَ فَهُوَ كَفْرٌ مُحَضَّرٌ، ﴿أَمْ
ارْتَابُوا أَمْ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولَهُ؟﴾ ﴿بَلْ أُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ الْفَاجِرُونَ ٥١: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ
وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾ سَمَعْنَا وَطَاعْنَا، وَهَذَا وَصَفَهُمْ تَعَالَى بِالْفَلَاحِ ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾، وَهُوَ نَيْلُ الْمَطْلُوبِ وَالسَّلَامَةُ
مِنَ الرَّهْبِ ٥٢: ﴿وَمَن يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ فِيمَا أَمَرَهُ بِهِ وَتَرَكَ مَا نَهَى عَنْهُ، ﴿وَيَخْشِ اللَّهَ﴾ فِيمَا مَضَى مِنْ ذُنُوبِهِ ﴿وَيَتَّقْهُ﴾ فِيمَا يَسْتَقْبِلُ
﴿فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾ بِكُلِّ خَيْرٍ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ. ٥٣: ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِن أُمِرُوا لِيُخْرِجَنَّ قُل
الَّذِينَ كَانُوا يَخْلِفُونَ لِلرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ لَئِن أُمِرُوا بِالْخُرُوجِ فِي الْغَزْوِ لِيُخْرِجَنَّ، قَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ لِّتَقْسِمُوا﴾ لِأَخْلَفُوا، ﴿طَاعَةَ
مَعْرُوفَةٍ﴾ قَدْ عَلِمَ طَاعَتَكُمْ إِنَّمَا هِيَ قَوْلُ لِفَعْلٍ مَعَهُ وَكَلَّمَا حَلَفْتُمْ كَذِبْتُمْ، ﴿وَإِنَّ اللَّهَ خَيْرٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ﴾ لِأَيُّوجِ عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنَ التَّنْذِيلِ.

الآية: ٥٠: كان الرجل من المنافقين إذا كان بينه وبين الرجل منازعة فدعى إلى النبي ﷺ وهو محق أذن، وعلم أن النبي ﷺ سيقضي له بالحق، وإذا أراد أن يظلم فدعى إلى
النبي ﷺ أعرض وقال: انطلق إلى فلان، فأنزله الله هذه الآية، فقال النبي ﷺ: «مَن كَانَ بَيْنَ يَدَيْهِ وَبَيْنَ أَخِيهِ شَيْءٌ فَدَعَى إِلَى حُكْمٍ مِنْ أَحْكَامِ الْمُسْلِمِينَ فَأَبَى أَنْ يُجِيبَ، فَهُوَ ظَالِمٌ لِّأَخِي لَهُ».

٥٤: ﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾
 اتَّبِعُوا كِتَابَ اللَّهِ وَسُنَّةَ رَسُولِهِ، ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا﴾
 تَوَلَّوْا عَنْهُ وَتَرَكُوا مَاجَاءَكُمْ بِهِ ﴿فَإِنَّمَا عَلَيْهِ﴾
 مَاحْمُولٌ ﴿إِبْلَاجُ الرِّسَالَةِ وَأَدَاءُ الأَمَانَةِ﴾
 ﴿وَعَلَيْكُمْ مَا حَمَلْتُمْ﴾ بَقَبُولِ ذَلِكَ وَتَعْظِيمِهِ
 وَالْقِيَامَ بِمَقْتَضَاهُ، ﴿وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا﴾ لِأَنَّهُ
 يَدْعُو إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ، ﴿وَمَا عَلَى الرَّسُولِ﴾
 إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَإِنَّمَا﴾
 عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ ٥٥: ﴿وَوَعَدَ﴾
 اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ
 لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ
 مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى
 لَهُمْ، هَذَا وَعَدَّ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى لِرَسُولِهِ صَلَوَاتِ
 اللَّهِ وَسَلَامِهِ عَلَيْهِ بِأَنَّهُ سَيَجْعَلُ أُمَّتَهُ خَلْفَاءَ
 الأَرْضِ؛ أَيْ: أُمَّةَ النَّاسِ وَالْوِلَاةَ عَلَيْهِمْ،
 ﴿وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا﴾ وَقَدْ فَعَلَ
 تَبَارَكَ وَتَعَالَى وَهُوَ الْحَمْدُ وَالْمُنَّةُ؛ فَإِنَّهُ صَلَّى اللَّهُ
 عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ لَمْ يَمِتْ حَتَّى فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِ
 مَكَّةَ وَخَيْبَرَ وَالْبَحْرَيْنِ وَسَائِرَ جَزِيرَةِ الْعَرَبِ
 وَأَرْضَ الْيَمَنِ بِكَمَالِهَا، وَأَخَذَ الْجَزِيرَةَ مِنْ مَجُوسِ
 هَجْرًا، وَمِنْ بَعْضِ أَطْرَافِ الشَّامِ، ثُمَّ بَعْدَ وَفَاتِهِ
 صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ تَبَاعَدَ الْفَتْحُ إِلَى أَقْصَى
 مَشَارِقِ الأَرْضِ وَمَغَارِبِهَا. ﴿يَعْبُدُونَنِي﴾
 لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا، وَفِي الصَّحِيحِينَ مِنْ
 حَدِيثِ مَعَاذٍ قَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
 وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «هَلْ تَدْرِي مَا حَقُّ اللَّهِ عَلَى
 الْعِبَادِ؟ قُلْتُ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ قَالَ: «حَقُّ
 اللَّهِ عَلَى الْعِبَادِ أَنْ يَعْبُدُوهُ وَلَا يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا»
 ثُمَّ قَالَ: «فَهَلْ تَدْرِي مَا حَقُّ الْعِبَادِ عَلَى اللَّهِ إِذَا

قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُمْ مَا حَمَلْتُمْ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ٥٤ ﴿ وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ٥٥ ﴿ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ٥٦ ﴿ لَاتُحْسِنَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَا وَدَّعُهُمُ النَّارُ وَلَيْسَ الْمَصِيرُ ٥٧ ﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِيَسْتَأْذِنَكُمْ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنْكُمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ مِنْ قَبْلِ صَلَاةِ الْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُمْ مِنَ الظَّهِيرَةِ وَمِنْ بَعْدِ صَلَاةِ الْعِشَاءِ ثَلَاثُ عَوْرَاتٍ لَكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْكُمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ٥٨ ﴿ وَإِنَّمَا اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ٥٩ ﴿

فَعَلُوا ذَلِكَ؟ قُلْتُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «فَإِنَّ حَقَّ الْعِبَادِ عَلَى اللَّهِ أَنْ لَا يُعَذِّبَهُمْ». ﴿وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ فَمَنْ خَرَجَ
 عَنِ طَاعَتِي بَعْدَ ذَلِكَ فَقَدْ خَرَجَ عَنِ أَمْرِ رَبِّي، وَكَفَى بِذَلِكَ ذَنْبًا عَظِيمًا ٥٦: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾ أَمَرَ تَعَالَى الْمُؤْمِنِينَ بِإِقَامَةِ الصَّلَاةِ وَهِيَ
 عِبَادَةُ اللَّهِ وَخِدَّةُ لِشَرِيكٍ لَهُ، وَإِتْيَاءُ الزَّكَاةِ، وَهِيَ الْإِحْسَانُ إِلَى الْخَالِقِينَ ضَعْفَانِمْ وَفَرَاتِهِمْ ﴿وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ كَوْنُوا سَالِكِينَ
 وَرَاعَةً فِيهَا أَمْرٌ بِهِ، وَتَرَكَ مَا جَزَرَ عَنْهُ، لَعَلَّ اللَّهُ يَرْحَمَكُمْ بِذَلِكَ، وَلَا شَكَّ أَنَّ مَنْ فَعَلَ هَذَا أَنَّ اللَّهَ سَيَرْحَمُهُ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ﴾
 ٥٧: ﴿لَاتُحْسِنَنَّ﴾ أَيْ: لَا تَنْظُرِي بِإِحْسَانٍ أَنَّ ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ خَالِقُوكُمْ وَكَذَّبُوكُمْ ﴿مُعْجِزِينَ فِي الأَرْضِ﴾؟! لَا يَعْجِزُونَ اللَّهَ، بَلِ اللَّهُ قَادِرٌ عَلَيْهِمْ
 وَسَيُعَذِّبُهُمْ عَلَى كُفْرِهِمْ، ﴿وَمَا وَادَّعُهُمُ﴾ فِي الأَخْرَةِ ﴿النَّارُ وَلَيْسَ الْمَصِيرُ﴾ بِسِ الْقَرَارِ وَالْمَالِ. ٥٨: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِيَسْتَأْذِنَكُمْ الَّذِينَ مَلَكَتْ
 أَيْمَانُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنْكُمْ﴾ أَمَرَ اللَّهُ تَعَالَى الْمُؤْمِنِينَ أَنْ يَسْتَأْذِنَهُمْ خُدَمَهُمْ وَأَطْفَالَهُمْ الَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ فِي ثَلَاثَةِ أَحْوَالٍ: ﴿ثَلَاثَ
 مَرَّاتٍ: مِنْ قَبْلِ صَلَاةِ الْفَجْرِ لِأَنَّهُمْ يَكُونُونَ نِيَامًا ﴿وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُمْ مِنَ الظَّهِيرَةِ﴾ وَقَتِ الْقِيَلُولَةِ، لِأَنَّ الْإِنْسَانَ قَدْ يَكُونُ فِي حَالٍ مَعَ
 أَهْلِهِ [لَا يَصِحُّ أَنْ يَرَاهُ فِيهَا أَحَدٌ] ﴿وَمِنْ بَعْدِ صَلَاةِ الْعِشَاءِ﴾ لِأَنَّهُ وَقْتُ النَّوْمِ، وَلِيَمَا يُخْشَى أَنْ يَكُونَ الرَّجُلُ عَلَى أَهْلِهِ أَوْ نَحْوِ هَذَا ﴿ثَلَاثَ عَوْرَاتٍ
 لَكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَهُنَّ﴾ إِذَا دَخَلُوا فِي غَيْرِ هَذِهِ أَحْوَالٍ وَإِنْ رَأَوْا شَيْئًا مِنْ غَيْرِ تِلْكَ أَحْوَالٍ، لِأَنَّهُمْ ﴿طَوَّافُونَ عَلَيْكُمْ﴾ فِي
 الخِدْمَةِ وَغَيْرِ ذَلِكَ، ﴿بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ [أَيْ: يَطُوفُ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ] ﴿كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾.

٥٩: ﴿وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنْكُمُ الْحُلُمَ

فَلْيَسْتَأْذِنُوا كَمَا اسْتَأْذَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾

يعني: إذا بلغ الأطفال الحلم [وهو سن

النكاح] وجب عليهم أن يستأذنوا على كل

حال، ﴿كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ

حَكِيمٌ﴾ ٦٠: ﴿وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ﴾

اللواتي انقطع عنهن الحيض ويكسبن من الولد

﴿اللاتي لا يرجون نكاحاً﴾ لم يبق هن

تشوف إلى التزوج ﴿فليس عليهن جناح أن

يضعن ثيابهن غير متبرجات بزينة﴾ أي:

ليس عليهن من الحرج في التستر كما على

غيرهن من النساء ﴿غير متبرجات بزينة﴾

لا يتبرجن بوضع الجلباب ليرى ما عليهن من

الزينة. قالت أم المؤمنين عائشة: يامعشر

النساء قصتن كلهن واحدة؛ أحل الله لكن

الزينة غير متبرجات، أي: لا يجلب لكن أن يروا

منكن محرماً. [أي: ينكشفن لغير المحارم]،

﴿وَأَنْ يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لهنَّ﴾ وترك وضعهن

لثيابهن، وإن كان جائزاً خيراً وأفضل هن

﴿والله سميعٌ عَلِيمٌ﴾ ٦١: ﴿لَيْسَ عَلَى

الْأَعْمَى حَرْجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرْجٌ وَلَا عَلَى

الْمَرْبُوعِ حَرْجٌ وَلَا عَلَى الْأَنْفُسِكُمْ أَنْ تَأْكُلُوا

مِنْ بُيُوتِكُمْ﴾ كان الرجل يذهب بالأعمى أو

بالأعرج أو بالمرضى إلى بيت أبيه أو أخيه أو

أخته أو بيت عمته أو بيت خالته، فكان

الزمنى يتحرجون من ذلك، يقولون: إنما

يذهبون بنا إلى بيوت عشيرتهم، فنزلت هذه

الآية رخصة لهم. وكان الرجل يدخل بيت

أبيه أو أخيه أو ابنه فتتحفه المرأة بشيء من

الطعام، فلا يأكل من أجل أن رب البيت ليس ثم، قال تعالى: ﴿وَلَا عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَنْ تَأْكُلُوا مِنْ بُيُوتِكُمْ﴾؛ إنما ذكر هذا وهو معلوم ليعطف

عليه غيره في اللفظ، وليساويه مابعدته في الحكم، وتضمن هذا بيوت الأبناء، لأنه لم ينص عليهم، ولهذا استدلت بهذا من ذهب إلى أن مال الولد

بمنزلة مال أبيه، وقد جاء في المسند والسنن عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: «أنت ومالك لأبيك»، وقوله تعالى: ﴿أَوْ بُيُوتِ آبَائِكُمْ

أَوْ بُيُوتِ امهاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَانِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخْوَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَعْمَامِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَّاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخْوَالِكُمْ أَوْ بُيُوتِ خَالَاتِكُمْ﴾؛

يُستدل به على وجوب نفقة الأقارب بعضهم على بعض، كما هو مذهب الإمام أبي حنيفة والإمام أحمد. ﴿أَوْ مَمْلُوكِكُمْ مَفَاتِحَهُ﴾ خادم الرجل،

فلا بأس أن يأكل مما استودعته من الطعام المعروف، ﴿أَوْ صَدِيقِكُمْ﴾ بيوت أصدقائكم وأصحابكم، فلا جناح عليكم في الأكل منها، ﴿لَيْسَ

عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَأْكُلُوا جَمِيعاً أَوْ أَشْتَاتاً﴾ فهذه رخصة من الله تعالى في أن يأكل الرجل وحده ومع الجماعة، وإن كان الأكل مع الجماعة أربك

وأفضل، ﴿فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتاً فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ﴾ يعني: فليسلم بعضكم على بعض، ﴿تَحِيَّةً مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُبَارَكَةً طَيِّبَةً كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ

الآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ ليتدبروها ويتعقلوها.

الآية: ٥٩: روى ابن أبي حاتم عن ابن عباس أن رجلين سألاه عن الاستئذان في الثلاث عورات التي أمر الله بها في القرآن؟ فقال: «إن الله ستر يحب الستر، كان الناس ليس لهم

ستور على أبوابهم ولا حججال في بيوتهم، فرما فاجأ الرجل خادماً أولاده أو يتيمة في حجره، وهو على أهله، فأمرهم الله أن يستأذنوا في تلك العورات التي ستمى الله، ثم جاء الله بقُدِّ بالسُّتور، فبسط الله عليهم الرزق، فاجتهدوا السُّتور واتخذوا الحججال، فرأى الناس أن ذلك قد كفاهم من الاستئذان الذي أمروا به». وهذا إسناد صحيح إلى ابن عباس.

وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنْكُمُ الْحُلُمَ فَلْيَسْتَأْذِنُوا كَمَا اسْتَأْذَنَ
الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ وَاللَّهُ
عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٩﴾ وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ الَّتِي لَا يَرْجُونَ
نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَنْ يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ
غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ وَأَنْ يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لِهِنَّ وَاللَّهُ
سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٦٠﴾ لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرْجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ
حَرْجٌ وَلَا عَلَى الْمَرْبُوعِ حَرْجٌ وَلَا عَلَى الْأَنْفُسِكُمْ أَنْ تَأْكُلُوا
مِنْ بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ آبَائِكُمْ أَوْ بُيُوتِ امهاتِكُمْ
أَوْ بُيُوتِ إِخْوَانِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخْوَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ
أَعْمَامِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَّاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخْوَالِكُمْ
أَوْ بُيُوتِ خَالَاتِكُمْ أَوْ مَا مَلَكَتْهُنَّ مَفَاتِحُهُ
أَوْ صَدِيقِكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَأْكُلُوا
جَمِيعاً أَوْ أَشْتَاتاً فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتاً فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ
تَحِيَّةً مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُبَارَكَةً طَيِّبَةً كَذَلِكَ
يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٦١﴾

٦٢: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ لَمْ يَذْهَبُوا حَتَّى يَسْتَأْذِنُوهُ﴾ هذا أدب أرشد الله تعالى المؤمنين إليه، فكما أمرهم بالاستئذان عند الدخول كذلك أمرهم بالاستئذان عند الانصراف، لاسيما إذا كانوا في أمر جامع مع الرسول صلوات الله وسلامه عليه، من صلاة جمعة أو عيد أو اجتماع في مشورة ونحو ذلك أمرهم الله تعالى أن لا ينفرقوا عنه والحالة هذه إلا بعد استئذانه ومشاورته. ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ﴾ من يفعل ذلك ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ فإنه من المؤمنين الكاملين، ﴿فَإِذَا اسْتَأْذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ﴾ ثم أمر تعالى رسوله صلوات الله وسلامه عليه إذا استأذنه أحد منهم في ذلك أن يأذن له إن شاء فقال تعالى: ﴿فَأَذِّنْ لِمَنْ شِئْتَ مِنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾ [أي: لخروجهم عن الجماعة إن علمت لهم عذراً] ﴿إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ ٦٣: ﴿لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا﴾، كانوا يقولون: يَا أَبَا الْقَاسِمِ، فَهَاهُمْ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَنْ ذَلِكَ إِعْظَامًا لِنَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، أَيْ: فَقُولُوا: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، يَا رَسُولَ اللَّهِ؛ أَمْرٌ تَعَالَى أَنْ يُهَابَ نَبِيُّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وَأَنْ يُجَلَّ وَيُعْظَمَ. ﴿قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَسْتَلْئُونَ مِنْكُمْ لَوْ إِذَا﴾ هم المنافقون كان يتقل عليهم الحديث في يوم الجمعة، فيلوثون ببعض الصحابة حتى يخرجوا من المسجد، وكان لا يصح للرجل أن يخرج من المسجد إلا بعد

إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَى أَمْرٍ جَامِعٍ لَمْ يَذْهَبُوا حَتَّى يَسْتَأْذِنُوهُ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ أُولَئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِذَا اسْتَأْذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأَذِّنْ لِمَنْ شِئْتَ مِنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٦٣﴾ لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَسْتَلْئُونَ مِنْكُمْ لَوْ إِذَا فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم ﴿٦٤﴾ أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قَدْ يَعْلَمُ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ وَيَوْمَ يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا عَمِلْتُمْ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٦٥﴾

سُورَةُ الْفُرْقَانِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا ﴿١﴾ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمَلِكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَرَهُ نَقْدِيرًا ﴿٢﴾

إذن من النبي صلى الله عليه وآله وسلم وكان أحدهم إذا أراد الخروج من المسجد أشار بأصبعه إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فيأذن له من غير أن يتكلم الرجل ﴿فليحذر الذين يخالفون عن أمره﴾ أمر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وهو منهاجته وستته وشريعته ﴿أن تصيبهم فتنة﴾ في قلوبهم من نفاق أو بدعة ﴿أو يصيبهم عذاب أليم﴾ ٦٤: ﴿ألا إن لله ما في السموات والأرض﴾ ملك له سبحانه ﴿قد يعلم ما أنتم عليه﴾ ﴿قد﴾ للتحقيق، أي: هو عالم بـ ﴿ما أنتم عليه﴾ لا يعزب عنه مثقال ذرة، ﴿ويوم يرجعون إليه فينبئهم بما عملوا﴾ من خير وشر ﴿والله بكل شيء عليم﴾، كما قال تعالى: ﴿سواء منكم من أسر القول ومن جهر بده﴾، ﴿كل في كتاب مبين﴾.

تفسير سورة الفرقان

١: ﴿تبارك الذي نزل الفرقان على عبده﴾ [أي: تقدس وكثر خيره ودام إنعامه] ﴿على عبده﴾ هذه صفة مدح وثناء لأنه أضافه إلى عبوديته، ﴿ليكون للعالمين نذيراً﴾ أي: إنما خصه بهذا الكتاب المفصل العظيم المبين المحكم الذي ﴿لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد﴾ الذي جعله فرقاناً عظيماً ليخصه بالرسالة إلى العالمين، كما قال صلى الله عليه وآله وسلم: «بعثت إلى الأحمر والأسود» ٢: ﴿الذي له ملك السموات والأرض ولم يتخذ ولداً ولم يكن له شريك في الملك﴾ نزه سبحانه نفسه عن الولد والشريك، ﴿وخلق كل شيء فقدره تقديراً﴾ كل شيء مخلوق له وهو وليكته وإمته، وكل شيء تحت قهره وتدييره وتسخيره وتقديره، سبحانه.

وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ
وَلَا يَمْلِكُونَ أَنْفُسَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا
وَلَا حَيَاةً وَلَا نُشُورًا ﴿٣﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا آفَاكُ
أَفْتَرْتَهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ فَقَدْ جَاءُوا ظُلْمًا وَزُورًا
﴿٤﴾ وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ أَكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمَلَّى
عَلَيْهِ بِكُرَّةٍ وَأَصِيلًا ﴿٥﴾ قُلْ أَنْزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ
فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٦﴾ وَقَالُوا
مَا لَ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ
لَوْلَا أَنْزَلْنَا إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونُ مَعَهُ نَذِيرًا ﴿٧﴾ أَوْ يَلْقَى
إِلَيْهِ كَنْزًا أَوْ تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا وَقَالَ
الظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا ﴿٨﴾ انظُرْ
كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ
سَبِيلًا ﴿٩﴾ تَبَارَكَ الَّذِي إِنْ شَاءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِنْ ذَلِكَ
جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَيَجْعَلُ لَكَ قُصُورًا ﴿١٠﴾ بَلْ
كَذَّبُوا بِالسَّاعَةِ وَأَعْتَدْنَا لِمَنْ كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيرًا ﴿١١﴾

٣: ﴿وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا
وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾ يُخبر تعالى عن جهل
المشركين في اتخاذهم آلهة من دُون الله الخالق
لكل شيء، من الأصنام التي لم تقدر على
خلق جناح بعوضة، بل هم مخلوقون
﴿وَلَا يَمْلِكُونَ أَنْفُسَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا﴾
فكيف يملكون لعابديهم؟! ﴿وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا
وَلَا حَيَاةً وَلَا نُشُورًا﴾ ليس لهم من ذلك شيء،
بل ذلك كله مرجعه إلى الله عز وجل الذي
يُحيي ويميت ٤: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ
هَذَا إِلَّا آفَاكُ افتراه وأعانه عليه قوم
آخرون﴾ يخبر تعالى عن سخافة عقول
الكفار في قوبهم عن القرآن ﴿إِنْ هَذَا إِلَّا
آفَاكُ﴾ كذب افتراه، يعنون النبي صلى الله
عليه وآله وسلم، واستعان على جمعه بقوم
آخرين، فقال الله تعالى: ﴿فَقَدْ جَاءُوا ظُلْمًا
وَزُورًا﴾ فقد افترواهم قولاً باطلاً، وهم
يعلمون أنه باطل ويعرفون كذب أنفسهم فيها
زعموه ٥: ﴿وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا﴾
يعنون كتب الأوائل، أي: استنسخها ﴿فَهِيَ
تُمَلَّى عَلَيْهِ﴾ أي: نُقرأ عليه ﴿بِكُرَّةٍ
وَأَصِيلًا﴾ في أول النهار وآخره، وهذا الكلام
لسخافته وكذبه وبُهته أن رسول الله صلى الله
عليه وآله وسلم لم يكن يُعاني شيئاً من الكتابة
ولا في أول عمره ولا في آخره، فقال تعالى في
جواب ما عاندوا وافتروا: ٦: ﴿قُلْ أَنْزَلَهُ الَّذِي
يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ أنزل
القرآن الذي يعلم غيب السموات والأرض،
ويعلم السرائر كعلمه بالظواهر، ﴿إِنَّهُ كَانَ

غَفُورًا رَحِيمًا﴾ دعاء لهم إلى التوبة بأن رحمته واسعة وأن حلمه عظيم، وَأَنْ مَنْ تَابَ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِ. ٧: ﴿وَقَالُوا﴾ أي: الكفار ﴿مَا لَ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ﴾ يتردد فيها للتكسب والتجارة ﴿لَوْلَا أَنْزَلْنَا إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونُ مَعَهُ نَذِيرًا﴾؟ هَلَا أَنْزَلْنَا إِلَيْهِ مَلَكٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ فَيَكُونُ لَهُ شَاهِدًا عَلَى صَدْقِ مَا يَدَّعِيهِ ٨: ﴿أَوْ يَلْقَى إِلَيْهِ كَنْزًا﴾ يُنْفَقُ مِنْهُ ﴿أَوْ تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا﴾ تسير معه حيث سار؟ وهذا كله يسير على الله ولكن له الحكمة في ترك ذلك، ﴿وَقَالَ الظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا﴾ قال الله تعالى: ٩: ﴿انظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ فَضَلُّوا﴾ جاؤوا بما يقذفونك به، من أقوال باطلة ﴿فَضَلُّوا﴾ عن طريق الهدى ﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا﴾ وذلك أَنْ كُلَّ مَنْ خَرَجَ عَنِ الْحَقِّ وَطَرِيقِ الْهُدَى، فَإِنَّهُ ضَالٌّ حَيْثُما تَوَجَّهَ، لِأَنَّ الْحَقَّ وَاحِدٌ وَمِنْهُجُهُ مَحْدٌ يَصْدَقُ بَعْضُهُ بَعْضًا. ثُمَّ قَالَ تَعَالَى مَخْبِرًا نَبِيَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ إِنَّهُ إِنْ شَاءَ لَأَتَاهُ خَيْرًا مِمَّا يَقُولُونَ فِي الدُّنْيَا وَأَفْضَلَ وَأَحْسَنَ فَقَالَ: ١٠: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي إِنْ شَاءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِنْ ذَلِكَ﴾ فِي الدُّنْيَا ﴿جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَيَجْعَلُ لَكَ قُصُورًا﴾ [فاختار عليه الصلاة والسلام الآخرة] فقال: «اجمعوها لي في الآخرة» ١١: ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِالسَّاعَةِ﴾ إِنَّمَا يَقُولُ هؤُلاءِ هَكَذَا تَكْذِيبًا وَعِنَادًا، ﴿وَأَعْتَدْنَا لِمَنْ كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيرًا﴾ فِي نار جهنم، وهو وادٍ مِنْ قَبْلِ جَهَنَّمَ. [أجارنا الله تعالى منها].

الآية: ١٠ روى سفيان الثوري عن حبيب بن أبي ثابت عن خيشمة، قيل للنبي ﷺ: إن شئت أن نُعطيك خزائن الأرض ومفاتيحها، ما لم نُعطيه نبيًا قبلك، ولا نُعطِي أحدًا من بعدك، ولا ينقص ذلك مما لك عند الله؟ فقال: «اجمعوها لي في الآخرة»، فأذن الله عز وجل في ذلك هذه الآية. / ابن كثير ج ٣/ ٣١٠

١٢: ﴿إِذَا رَأَيْتَهُمْ﴾ جهنم ﴿مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ﴾ في الحشر ﴿سَمِعُوا لَهَا تَغِيظًا وَزَفِيرًا﴾
 حُفًا عَلَيْهِمْ، تَكَادُ تَنْفَصِلُ بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ
 مِنْ شِدَّةِ غِيظِهَا عَلَى مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ ١٣:
 ﴿وَإِذَا أَلْقَا مِنْهَا مَكَانًا سَبِيحًا﴾ كَالْوَتْدِ فِي
 الْحَائِطِ ﴿مَقْرَتَيْنِ﴾ مَكْتَتَيْنِ ﴿دَعَا هُنَالِكَ
 ثُبُورًا﴾ دَعَا بِالْوَيْلِ وَالْحَسْرَةِ وَالْخِيبَةِ ١٤:
 ﴿لَا تَدْعُوا الْيَوْمَ ثُبُورًا وَاحِدًا وَادْعُوا ثُبُورًا
 كَثِيرًا﴾ لَاتَدْعُوا الْيَوْمَ وَيْلًا وَاحِدًا وَادْعُوا وَيْلًا
 كَثِيرًا، وَالثُّبُورُ: يَجْمَعُ الْهَلَاكَ وَالْوَيْلُ وَالْحَسْرَةُ
 وَالْدَمَارُ ١٥: ﴿قُلْ أُوذِيَ خَيْرَ أُمَّةٍ خَلِدَ
 الَّتِي وَعَدَ الْمُتَّقُونَ﴾ هَذَا الَّذِي وَصَفْنَاهُ مِنْ
 حَالِ الْأَشْقِيَاءِ، أُمَّةٌ خَيْرٌ أُمَّةٍ خَلِدَ الَّتِي وَعَدَهَا اللَّهُ
 الْمُتَّقِينَ مِنْ عِبَادِهِ؟ ﴿كَانَتْ لَهُمْ جَزَاءً
 وَمَصِيرًا﴾ ١٦: ﴿لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ﴾ مِنْ
 الْمَلَأِ مِنْ مَأْكَلٍ وَمَشَارِبٍ وَمَلَابِسٍ وَمَسَاكِنٍ
 وَمَرَاقِبٍ وَمَنَاطِرٍ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا لَا عَيْنٌ رَأَتْ
 وَلَا أَدُنٌ سَمِعَتْ وَلَا حَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ،
 ﴿كَانَ عَلَى رَبِّكَ وَعْدًا مُسْوُولًا﴾ لَا يَدُّ أَنْ
 يَقَعَ وَأَنْ يَكُونَ، فَاسْأَلُوا الَّذِي وَعَدْتَكُمْ،
 تُنْجِزُهُ ١٧: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ
 مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ يُخَيِّرُ تَعَالَى عَمَّا يَقَعُ يَوْمَ
 الْقِيَامَةِ مِنْ تَقْرِيعِ الْكُفَّارِ فِي عِبَادَتِهِمْ مِنْ عِبَادُوا
 مِنْ دُونِ اللَّهِ، ﴿فَيَقُولُ أَأَنْتُمْ أَضَلَلْتُمْ عِبَادِي
 هَؤُلَاءِ؟﴾ أَنْتُمْ دَعَوْتُمْ هَؤُلَاءِ إِلَى عِبَادَتِكُمْ مِنْ
 دُونِي؟ ﴿أَمْ هُمْ ضَلُّوا السَّبِيلَ؟﴾ أَمْ هُمْ
 عَبَدُوكُمْ مِنْ تَلْقَاءِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ غَيْرِ دَعْوَةِ مَنْكُمْ
 لَهُمْ؟ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ
 مَرْيَمَ أَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّي إِهْنِينَ

إِذَا رَأَيْتَهُمْ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغِيظًا وَزَفِيرًا ﴿١٢﴾ وَإِذَا
 أَلْقَا مِنْهَا مَكَانًا سَبِيحًا مَقْرَتَيْنِ دَعَا هُنَالِكَ ثُبُورًا ﴿١٣﴾
 لَا تَدْعُوا الْيَوْمَ ثُبُورًا وَاحِدًا وَادْعُوا ثُبُورًا كَثِيرًا ﴿١٤﴾ قُلْ
 أُوذِيَ خَيْرَ أُمَّةٍ خَلِدَ الَّتِي وَعَدَ الْمُتَّقُونَ كَانَتْ
 لَهُمْ جَزَاءً وَمَصِيرًا ﴿١٥﴾ لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ خَلِدِينَ
 كَانَتْ عَلَى رَبِّكَ وَعْدًا مَسْوُولًا ﴿١٦﴾ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا
 يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَقُولُ أَأَنْتُمْ أَضَلَلْتُمْ عِبَادِي
 هَؤُلَاءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا السَّبِيلَ ﴿١٧﴾ قَالُوا سُبْحَانَكَ مَا كَانَ
 يَنْبَغِي لَنَا أَنْ نَتَّخِذَ مِنْ دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَاءَ وَلَكِنْ مَتَّعْتَهُمْ
 وَءَابَاءَهُمْ حَتَّى نَسُوا الذِّكْرَ وَكَانُوا قَوْمًا بُورًا ﴿١٨﴾ فَقَدْ
 كَذَّبْتُمْ بِمَا تَقُولُونَ فَمَا تَسْتَطِيعُونَ صَرْفًا وَلَا
 نَصْرًا وَمَنْ يظَلِمَ مِنْكُمْ نَذِقْهُ عَذَابًا كَبِيرًا ﴿١٩﴾
 وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لِيَأْكُلُونَ
 الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ
 لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا ﴿٢٠﴾

مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ إِلَى قَوْلِهِ ﴿مَأْكَلْتُمْ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ﴾ الْآيَةُ، وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى مَخْرَبًا عَمَّا يُجِيبُ الْمُتَّبِعُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: ١٨: ﴿قَالُوا سُبْحَانَكَ
 مَا كَانَ يَنْبَغِي لَنَا أَنْ نَتَّخِذَ مِنْ دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَاءَ﴾ مَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ أَنْ يَعْبُدَنَا فَإِنَّا عِبِيدٌ لَكَ فَقَرَأَ إِلَيْكَ، ﴿وَلَكِنْ مَتَّعْتَهُمْ وَأَبَاءَهُمْ﴾ طَالَ عَلَيْهِمُ
 الْعُمُرُ ﴿حَتَّى نَسُوا الذِّكْرَ﴾ نَسُوا مَا أَنْزَلْتَهُ إِلَيْهِمْ عَلَى أَلْسِنَةِ رَسَلِكَ مِنَ الدَّعْوَةِ إِلَى عِبَادَتِكَ وَحَدِّكَ لِأَشْرِيكَ لَكَ، ﴿وَكَانُوا قَوْمًا بُورًا﴾ هَلَكَى.
 ١٩: ﴿فَقَدْ كَذَّبْتُمْ بِمَا تَقُولُونَ﴾ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ الَّذِينَ عِبَدْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَمَا زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ لَكُمْ أَوْلِيَاءُ وَأَنْتُمْ يُقْرَبُونَكُمْ إِلَى اللَّهِ زُلْفَى، ﴿فَمَا
 تَسْتَطِيعُونَ صَرْفًا وَلَا نَصْرًا﴾ لَا يَقْدِرُونَ عَلَى صَرْفِ الْعَذَابِ عَنْهُمْ وَلَا الْإِتِّصَارِ لِأَنْفُسِهِمْ، ﴿وَمَنْ يظَلِمَ مِنْكُمْ﴾ يُشْرِكُ بِاللَّهِ ﴿نَذِقْهُ عَذَابًا كَبِيرًا﴾
 ٢٠: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لِيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ﴾ يُخَيِّرُ تَعَالَى عَنْ جَمِيعِ مَنْ بَعَثَهُ مِنَ الرُّسُلِ الْمُتَّقِدِّمِينَ أَنَّهُمْ
 كَانُوا يَحْتَاجُونَ إِلَى التَّغْذِي بِالطَّعَامِ وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ لِلتَّكْسِبِ وَالتَّجَارَةِ، وَلَيْسَ ذَلِكَ بِنَائِفٍ لِحَالِهِمْ وَمَنْصَبِهِمْ، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى جَعَلَ لَهُمْ مِنْ
 السَّمَاتِ الْحَسَنَةَ، وَالْأَعْمَالَ الْكَامِلَةَ وَالْأَدَبَةَ الْقَاهِرَةَ مَا يَسْتَدَلُّ بِهِ عَلَى صِدْقِ مَا جَاؤُوا بِهِ مِنَ اللَّهِ، ﴿وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ﴾
 اخْتَبَرْنَا بَعْضَكُمْ بِبَعْضٍ لِنَعْلَمَ مَنْ يَطِيعُ مَنْ يَعْصِي، وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى: ﴿أَتَصْبِرُونَ؟﴾ ﴿وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا﴾ بَمَنْ يَسْتَحِقُّ أَنْ يُوحَى إِلَيْهِ، وَمَنْ
 يَسْتَحِقُّ أَنْ يَهْدِيَهُ وَمَنْ لَا يَسْتَحِقُّ ذَلِكَ.

الآية: ١٤ روى الإمام أحمد عن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ قال: «أول من يكسى حلّة من النار إبليس، فيضعها على حاجبيه ويسحبها من خلفه، وذريته من بعده وهو ينادي يا ثوراه، وينادي يا ثوراه، حتى يلقوا على النار فيقول: يا ثوراه، فيقال لهم، فيقولون: يا ثوراهم، لا تدعوا اليوم ثوراً واحداً وادعوا ثوراً كثيراً». ابن كثير ج/٣/٣١١.

٢١: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا﴾ يُخْبِر تعالى عن تَعَنَّتِ الكفار في قلوبهم: ﴿لَوْلَا أَنْزَلَ عَلَيْنَا الْمَلَائِكَةَ﴾ بالرسالة كما تنزل على الأنبياء، ﴿أَوْ نَرَى رَبَّنَا﴾ قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ اسْتَكْبَرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ وَعَتَوْا عُتْوًا كَبِيرًا﴾ ٢٢: ﴿يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلَائِكَةَ لَا بُشْرَى لَكُمْ هُنَّ يَبْسُطْنَ أَيْدِيَهُنَّ إِلَى السَّمَاءِ لِيُظَاهِرْنَ مِنْهَا سَمْعَهُنَّ بِالْعَنَاءِ﴾ هم لا يرون الملائكة إلا وقت الاحتضار حين تبشرهم الملائكة بالنار والغضب من الجبار، كما قال تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَى إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةَ يَضْرِبُونَ وَجوهَهُمْ وَأذنَهُمْ﴾ الآية، وكما قال تعالى: ﴿أَخْرَجُوا أَنْفُسَكُمْ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ﴾ بما كنتم تقولون على الله غير الحق الآية. ﴿وَيَقُولُونَ حِجْرًا مَحْجُورًا﴾ وتقول الملائكة للكافرين: حرام محرمة عليكم الفلاح اليوم ٢٣: ﴿وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا﴾ هذا يوم القيامة حين يحاسب الله تعالى العباد على ما عملوه من خير وشر، فأخبر أنه لا يحصل لهؤلاء المشركين من الأعمال التي ظنوا أنها منجاة لهم شيء. والهباء هو الرماد إذا ذرته الريح. وذلك إتهم عملوا أعمالاً اعتقدوا أنها على شيء، فلما عرضت على المليك الحكم العدل الذي لا يجور ولا يظلم أحداً؛ إذ أنها لا شيء بالكليّة، كما قال تعالى: ﴿مِثْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ﴾ الآية ٢٤: ﴿أَصْحَابُ الْحِجَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا﴾ بما عملوه من الأعمال المتقبلة، نالوا مانالاً وصاروا إلى

﴿وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا لَوْلَا أَنْزَلَ عَلَيْنَا الْمَلَائِكَةَ﴾ ٢١
 ﴿أَوْ نَرَى رَبَّنَا لَقَدْ اسْتَكْبَرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ وَعَتَوْا عُتْوًا كَبِيرًا﴾
 ﴿يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلَائِكَةَ لَا بُشْرَى لَكُمْ هُنَّ يَبْسُطْنَ أَيْدِيَهُنَّ إِلَى السَّمَاءِ لِيُظَاهِرْنَ مِنْهَا سَمْعَهُنَّ بِالْعَنَاءِ﴾ ٢٢
 ﴿وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا﴾ ٢٣
 ﴿أَصْحَابُ الْحِجَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا﴾ ٢٤
 ﴿وَيَوْمَ تَشْقُقُ السَّمَاءُ بِالْغَمِّمِ وَنَزَلَ الْمَلَائِكَةُ تَنْزِيلًا﴾ ٢٥
 ﴿الْمَلِكُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ لِلرَّحْمَنِ وَكَانَ يَوْمًا عَلَى الْكَافِرِينَ عَسِيرًا﴾ ٢٦
 ﴿وَيَوْمَ يَعْضُ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَلَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا﴾ ٢٧
 ﴿يَتَوَلَّى لَيْتَنِي لِمَ اتَّخَذْتُ فَلَانًا خَلِيلًا﴾ ٢٨
 ﴿لَقَدْ أَصَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا﴾ ٢٩
 ﴿وَقَالَ الرَّسُولُ يَرْبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا﴾ ٣٠
 ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ وَكَفَى بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا﴾ ٣١
 ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا﴾ ٣٢

ما صاروا إليه بخلاف أهل النار، فإنهم ليس لهم عمل يقتضي نجاتهم من النار [والمستقر والمقبل: هو المأوى والمنزل] ٢٥: ﴿وَيَوْمَ تَشْقُقُ السَّمَاءُ بِالْغَمِّمِ﴾ يُخْبِر تعالى عن هول يوم القيامة وما يكون فيه من الأمور العظيمة من انشقاق السماء بالغمام وهو ظلل التور العظيم الذي يُبهر الأبصار، ﴿وَنُزُلُ الْمَلَائِكَةَ تَنْزِيلًا﴾ فيحيطون بالخلاتق في مقام المحشر ٢٦: ﴿الْمَلِكُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ لِلرَّحْمَنِ﴾ كما قال تعالى: ﴿لَمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ؟ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾، وكان يوماً على الكافرين عسيراً شديداً صعباً لأنه يوم عدل وقضاء فصل ٢٧: ﴿وَيَوْمَ يَعْضُ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ﴾ لندمه على فراق طريق الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، حيث لا ينفعه الندم، ﴿يَقُولُ يَلَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا﴾ نزلت في عقبه بن أبي مُعِطٍ وغيره من الأشقياء ٢٨: ﴿يَا وَيْلَتَا لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فَلَانًا خَلِيلًا﴾ يعني من صرفه عن الهدى وعدل به إلى طريق الضلالة، وهو أمية بن خلف ٢٩: ﴿لَقَدْ أَصَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ﴾ وهو القرآن ﴿بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي﴾ بعد بلوغه إلى، ﴿وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا﴾ يخذله عن الحق ٣٠: ﴿وَقَالَ الرَّسُولُ﴾ صلى الله عليه وآله وسلم ﴿يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا﴾ وذلك أن المشركين كانوا لا يصغون إلى القرآن ولا يستمعونه ٣١: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ﴾ كما حصل لك يا محمد في قومك من الذين هجروا القرآن كذلك كان في الأمم الماضية لكل نبي عدو. ﴿وَكَفَى بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا﴾ لمن اتبع رسوله وآمن بكتابه ٣٢: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً﴾ كالتيوراة والإنجيل، وهذا تعنت من الكفار، فأجابهم الله تعالى عن ذلك بأنه إنما نزل منجماً في ثلاث وعشرين سنة ﴿لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا﴾، بيناه تبييناً، وفسرناه تفسيراً.

٣٣: ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ﴾
 لا يقولون قولاً يُعارضون به الحقَّ إلا أجبناهم
 بما هو الحق ﴿وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾ أفصح
 وأوضح من مقالته. ثم أخبر تعالى عن سوء
 حال الكفار يوم القيامة فقال تعالى: ٣٤:
 ﴿الَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ
 أُولَٰئِكَ سُرًّا مَكَانًا وَأَضَلُّ سَبِيلًا﴾ وفي
 الصحيح: أن رجلاً قال: يا رسول الله كيف
 يُحشر الكافر على وجهه يوم القيامة؟ فقال:
 «إن الذي أمشاه على رجليه قادرٌ أن يُمشيه
 على وجهه يوم القيامة» ٣٥: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا
 مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَا مَعَهُ أَخَاهُ هَارُونَ
 وَزَيْرًا﴾ بعث الله موسى وجعل معه أخاه
 هارون مؤازراً ومؤيداً وناصراً، فكذبتهما
 فرعون وجنوده ٣٦: ﴿فَقُلْنَا أَذْهَبَا إِلَى
 الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَدَرَبْنَاهُمْ
 تَدْمِيرًا﴾؛ فدمر الله عليهم وللكافرين
 أمثالها، وكذلك فعل قوم نوح ٣٧:
 ﴿وَقَوْمِ نُوحٍ لَّمَّا كَذَّبُوا الرَّسُولَ أَغْرَقْنَاهُمْ﴾
 وقد لبث فيهم نوح ألف سنة إلا خمسين عاماً
 يدعوهم إلى الله عز وجل، ﴿فَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا
 قَلِيلٌ﴾ ولهذا أغرقهم الله جميعاً، ﴿وَجَعَلْنَا
 لِلنَّاسِ آيَةً وَأَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا﴾
 جعلهم عبرة يعتبرون بها ٣٨: ﴿وَعَادًا
 وَثَمُودًا وَأَصْحَابَ الرَّسِّ﴾ وهم أهل قرية من
 قري ثمود، حفروا لنبيهم بئراً فألقوه فيها، ثم
 أطبقوا عليه بجر أصم، ﴿وَقُرُونًا بَيْنَ ذَلِكَ
 كَثِيرًا﴾ وأما أضعاف من ذكر أهلكتهم،
 ولهذا قال تعالى: ٣٩: ﴿وَكُلًّا ضَرَبْنَا لَهُ

وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾ ٣٣
 الَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ أُولَٰئِكَ سُرًّا
 مَكَانًا وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٣٤﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ
 وَجَعَلْنَا مَعَهُ أَخَاهُ هَارُونَ وَزَيْرًا ﴿٣٥﴾ فَقُلْنَا أَذْهَبَا إِلَى
 الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَدَرَبْنَاهُمْ تَدْمِيرًا ﴿٣٦﴾ وَقَوْمَ
 نُوحٍ لَّمَّا كَذَّبُوا الرَّسُولَ أَغْرَقْنَاهُمْ وَجَعَلْنَا لَهُمُ لِلنَّاسِ
 آيَةً وَأَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٣٧﴾ وَعَادًا وَثَمُودًا
 وَأَصْحَابَ الرَّسِّ وَقُرُونًا بَيْنَ ذَلِكَ كَثِيرًا ﴿٣٨﴾ وَكُلًّا ضَرَبْنَا
 لَهُ الْأَمْثَالَ وَكُلًّا تَبَّرْنَا تَتْبِيرًا ﴿٣٩﴾ وَلَقَدْ آتَوْنَا عَلَى الْقَرْيَةِ
 الَّتِي آمَطْرَتْ مَطَرًا سَوِيًّا أَفْكَمَ يَكُونُوا يُرْوَاهَا بَلَّ
 كَانُوا لَا يَرْجُونَ نُشُورًا ﴿٤٠﴾ وَإِذَا رَأَوْكَ إِن يَتَّخِذُونَكَ
 إِلَّا هُزُوعًا أَلْهَذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا ﴿٤١﴾ إِن كَادَ
 لَيُضِلُّنَا عَنْ آلِهَتِنَا لَوْلَا أَن صَبَرْنَا عَلَيْهَا وَسَوْفَ
 يَعْلَمُونَ حِينَ يَرَوْنَ الْعَذَابَ مَنْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٢﴾ أَرَأَيْتَ
 مَنِ اتَّخَذَ لِلْهَيْهَاتَ هُوَ لَهُ أَفَانَتْ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكَيْلًا ﴿٤٣﴾

الأمثال ﴿بَيَّنَّا لَهُمُ الْحَجَجَ وَوَضَحْنَا لَهُمُ الْأَدْلَةَ﴾ [فلم يؤمنوا] ﴿وَكُلًّا تَبَّرْنَا تَتْبِيرًا﴾ أهلكتنا إهلاكاً ٤٠: ﴿وَلَقَدْ آتَوْنَا عَلَى الْقَرْيَةِ الَّتِي آمَطْرَتْ مَطَرًا
 السَّوِيًّا﴾ يعني قرية قوم لوط وهي سدوم التي أهلكتها الله تعالى بالقلب والمطر من الحجارة التي من سجيل، ﴿أَفْكَمَ يَكُونُوا يُرْوَاهَا﴾ فيعتبروا بما
 حلَّ بأهلها من العذاب والنكال بسبب تكذيبهم بالرسول وبمخالفتهم أوامر الله، ﴿بَلَّ كَانُوا لَا يَرْجُونَ نُشُورًا﴾ المارين بها من الكفار ولا يعتبرون
 لأنهم لا يرجون معاداً يوم القيامة ٤١: ﴿وَإِذَا رَأَوْكَ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوعًا أَلْهَذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا﴾؟ على سبيل التنقص والإزدراء قبحهم
 الله ٤٢: ﴿إِن كَادَ لَيُضِلُّنَا عَنْ آلِهَتِنَا﴾ يعنون: أنه كاد يفتنهم عن عبادة الأصنام لولا أن تجلّدوا عليها، ولهذا قال الله تعالى متوعداً لهم ومتهدداً:
 ﴿وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حِينَ يَرَوْنَ الْعَذَابَ مَنْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ ٤٣: ﴿أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ لِلْهَيْهَاتَ هُوَ لَهُ أَفَانَتْ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكَيْلًا﴾؟ قال ابن عباس:
 نفسيه كان دينه ومذهبه، كما قال تعالى: ﴿أَتَمَنَّ زَيْنٌ لَهُ سُوءَ عَمَلِهِ فَرَأَهُ حَسَنًا﴾؟ ولهذا قال تعالى: ﴿أَفَانَتْ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكَيْلًا﴾؟ قال ابن عباس:
 كان الرجل في الجاهلية يعبد الحجر الأبيض زماناً، فإذا رأى غيره أحسن منه عبده الثاني وترك الأول.

الآية: ٣٤: وفي صحيح الترمذي عن أبي هريرة وأبي سعيد قالا: قال رسول الله ﷺ: «يُؤْتَى بِالْعَبْدِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فيقول له: ألم أجعل لك سمعاً وبصراً ومالاً وولداً، وسخرت
 لك الأنعام والحراث، وتركتك ترأساً وترزقاً؟ فكنت تظن أنك ملأيت يومك هذا؟ فيقول: لا، فيقول له: اليوم أنساك كما نسيتي». قال أبو عيسى: ومعنى قوله: «اليوم أنساك»:
 اليوم أنكرت في العذاب. / صحيح الترمذي للشيخ ناصر الدين ج/ ٢٩٢/٣.

٤٤: ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا يَعْضَلُونَ﴾؟ ﴿إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ هم أسوأ حالاً من الأنعام، فإن تلك تفعل ما خلقت له، وهؤلاء تخلقوا لعبادة الله وحده لا شريك له، فلم يفعلوا، وهم يعبدون غيره ٤٥: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا ﴿٤٥﴾ ثُمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا ﴿٤٦﴾ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ اللَّيْلَ لِبَاسًا وَالنَّوْمَ سُبَاتًا وَجَعَلَ النَّهَارَ نُشُورًا ﴿٤٧﴾ وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ بُشْرًا يَبْتَغِي رَحْمَتَهُ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا ﴿٤٨﴾ لِنُحْيِيَ بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا وَنُسْقِيَهُ مِمَّا خَلَقْنَا أَنْعَامًا وَأَنَا سَيِّ كَثِيرًا ﴿٤٩﴾ وَلَقَدْ صَرَّفْنَاهُ بَيْنَهُمْ لِيَذَّكَّرُوا فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴿٥٠﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَذِيرًا ﴿٥١﴾ فَلَا تَطِيعُ الْكٰفِرِينَ وَجَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا ﴿٥٢﴾ وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَحْجُورًا ﴿٥٣﴾ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا ﴿٥٤﴾ وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُهُمْ وَلَا يَضُرُّهُمْ وَكَانَ الْكَافِرُ عَلَى رَبِّهِ ظَهِيرًا ﴿٥٥﴾

٤٤: ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا يَعْضَلُونَ﴾؟ ﴿إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ هم أسوأ حالاً من الأنعام، فإن تلك تفعل ما خلقت له، وهؤلاء تخلقوا لعبادة الله وحده لا شريك له، فلم يفعلوا، وهم يعبدون غيره ٤٥: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا ﴿٤٥﴾ ثُمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا ﴿٤٦﴾ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ اللَّيْلَ لِبَاسًا وَالنَّوْمَ سُبَاتًا وَجَعَلَ النَّهَارَ نُشُورًا ﴿٤٧﴾ وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ بُشْرًا يَبْتَغِي رَحْمَتَهُ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا ﴿٤٨﴾ لِنُحْيِيَ بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا وَنُسْقِيَهُ مِمَّا خَلَقْنَا أَنْعَامًا وَأَنَا سَيِّ كَثِيرًا ﴿٤٩﴾ وَلَقَدْ صَرَّفْنَاهُ بَيْنَهُمْ لِيَذَّكَّرُوا فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴿٥٠﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَذِيرًا ﴿٥١﴾ فَلَا تَطِيعُ الْكٰفِرِينَ وَجَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا ﴿٥٢﴾ وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَحْجُورًا ﴿٥٣﴾ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا ﴿٥٤﴾ وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُهُمْ وَلَا يَضُرُّهُمْ وَكَانَ الْكَافِرُ عَلَى رَبِّهِ ظَهِيرًا ﴿٥٥﴾

أنزلنا عليها الماء اهترت وربت، ﴿ونُسْقِيَهُ لَمَّا خَلَقْنَا أَنْعَامًا وَأَنَا سَيِّ كَثِيرًا﴾ وليشرب منه الحيوان [والإنسان] ٥٠: ﴿ولقد صرَّفناه بينهم لِيَذَّكَّرُوا﴾ أمطرنا هذه الأرض دون هذه لِيَذَّكَّرُوا نعم الله، ويعلموا أن الذي أنعم بها لا يجوز أن يُشْرَكَ به شيئاً، ﴿فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا﴾ يعني الذين يقولون: مُطَرْنَا بِنُوءٍ كَذَا وَكَذَا. ٥١: ﴿ولَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَذِيرًا﴾ يدعُوهم إلى الله عزَّ وجلَّ، ولكننا خصصناك يا محمد بالبعثة إلى جميع أهل الأرض، وأمرناك أن تَبَلِّغَهُمُ الْقُرْآنَ ٥٢: ﴿فَلَا تَطِيعُ الْكٰفِرِينَ وَجَاهِدْهُمْ بِهِ﴾ يعني بالقرآن ﴿جِهَادًا كَبِيرًا﴾ ٥٣: ﴿وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ﴾ خلطهما فهما يلتقيان ﴿هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ﴾ حلوٌ عذبٌ ﴿وهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ﴾ أي: فيه ملح ومراره، ﴿وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا﴾ حاجزاً، ﴿وَحِجْرًا مَحْجُورًا﴾ مانعاً من أن يصل أحدهما إلى الآخر، فالخلو كالأنهار والآبار والعيون وهذا هو البحر العذب الزلال ٥٤: ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا﴾ خلق الإنسان من نطفة فسواه وخلقته ذكراً وأنثى ﴿فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا﴾ فهو في ابتداء أمره وُلِدَ نَسِيبٌ، ثم يتزوج فيصير صهراً، ثم يصير له أصهار وقربات، ﴿وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا﴾ ٥٥: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُهُمْ وَلَا يَضُرُّهُمْ﴾ المشركون ﴿وَكَانَ الْكَافِرُ عَلَى رَبِّهِ ظَهِيرًا﴾ عوناً في سبيل الشيطان على حزب الله، وحزب الله هم الغالبون.

الآية: ٥٠ وفي صحيح مسلم عن رسول الله ﷺ أنه قال لأصحابه يوماً على إثر سماء أصابهم من الليل: «أتدرون ماذا قال ربكم؟» قالوا: «الله ورسوله أعلم»، قال: «أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر، فأما من قال: مُطَرْنَا بِفَضْلِ اللَّهِ وَرَحْمَتِهِ، فَذَلِكَ مُؤْمِنٌ بِي كَافِرٌ بِالْكَوَاكِبِ، وَأَمَّا مَنْ قَالَ: مُطَرْنَا بِنُوءٍ كَذَا وَكَذَا فَذَلِكَ كَافِرٌ بِي مُؤْمِنٌ بِالْكَوَاكِبِ». ابن كثير ج ٣/٣٢١.

٥٦: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾
بشيراً للمؤمنين بالجنة، ونذيراً للكافرين
بعذاب الله ٥٧: ﴿قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ
أَجْرٍ﴾ عن هذا البلاغ، وإنما أفعل ذلك
ابتغاء وجه الله تعالى، ﴿إِلَّا مَنْ شَاءَ أَنْ يَتَّخِذَ
إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا﴾ طريقاً ومنهجاً يقتدي فيها بما
جئت به. ثم قال تعالى: ٥٨: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى
الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ﴾ في أمورك كلها كُنْ
متوكلاً على الله أبداً، ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ﴾ اقرن
بين حمده وتسبيحه، ولهذا كان صلى الله عليه
وآله وسلم يقول: «سبحان الله وبحمده»،
﴿وَكَفَىٰ بِهِ بَذْنُوبٍ عِبَادَهُ خَيْرًا﴾ بعلمه
التام الذي لا تخفى عليه خافية ٥٩: ﴿الَّذِي
خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ هذه في ارتفاعها
وإتساعها، وهذه في سفوها وكتافتها ﴿فِي سِتَّةِ
أَيَّامٍ﴾ ثم استوى على العرش ﴿يُدَبِّرُ الْأَمْرَ﴾
ويقضي الحق وهو خير الفاصلين، ﴿ثُمَّ
اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمَنُ فَاسْأَلْ بِهِ
خَيْرًا﴾ استعلم عنه من هو خير به عالم به
فاتبعه واقتد به، [أي: فاسأل عنه محمداً صلى
الله عليه وآله وسلم] فإنه لأحد أعلم بالله ولا
أخبر به على الإطلاق من عبده ورسوله محمد
صلى الله عليه وآله وسلم. ٦٠: ﴿وَإِذَا قِيلَ
لَهُمْ اسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ قَالُوا وَمَا الرَّحْمَنُ؟
لَا نَعْرِفُهُ وَلَا نَتَّقُهُ بِهِ، ﴿أَسْجُدْ لِمَا تَأْمُرُنَا﴾
مجرد قولك؟ ﴿وَزَادَهُمْ نَفُورًا﴾، فأما
المؤمنون فإنهم يعبدون الله الذي هو الرحمن
الرحيم ويُفردونه بالإلهية ويسجدون له ٦١:
﴿تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا﴾

﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ ٥٦ ﴿قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ
مِنْ أَجْرٍ إِلَّا مَنْ شَاءَ أَنْ يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا﴾ ٥٧ ﴿وَتَوَكَّلْ
عَلَىٰ الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ وَكَفَىٰ بِهِ بَذْنُوبٍ
عِبَادَهُ خَيْرًا﴾ ٥٨ ﴿الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا
فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمَنُ فَسْأَلْ بِهِ
خَيْرًا﴾ ٥٩ ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ اسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ قَالُوا وَمَا الرَّحْمَنُ
أَسْجُدْ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نَفُورًا﴾ ٦٠ ﴿تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ
فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُنِيرًا﴾ ٦١ ﴿وَهُوَ
الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ
شُكُورًا﴾ ٦٢ ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ
هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾ ٦٣ ﴿وَالَّذِينَ
يَبْتَغُونَ لِرَبِّهِمْ سُجْدًا وَقِيَامًا﴾ ٦٤ ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ
رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا
﴿إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا﴾ ٦٥ ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا
لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا﴾ ٦٦

الله تعالى نفسه ويُعظمها على جميل ما خلق في السموات من بُرُوج، وهي الكواكب العظام ﴿وجعل فيها سراجاً﴾ وهي الشمس المنيرة ﴿وقمراً
منيراً﴾ مشرقاً مضيئاً ٦٢: ﴿وهو الذي جعل الليل والنهار خِلْفَةً﴾ يخلف كل واحد منهما صاحبه يتعاقبان لا يفترقان، ﴿لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذَّكَّرَ أَوْ
أَرَادَ شُكُورًا﴾ جعلهما يتعاقبان توقيتاً لعبادة عباده له عز وجل، فَمَنْ فاته عملٌ في الليل استدركه في النهار، وَمَنْ فاته عملٌ في النهار استدركه في
الليل ٦٣: ﴿وعباد الرحمن الذي يمشون على الأرض هَوْنًا﴾ بسكينة ووقار ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾ إذا سفه عليهم الجاهل
بالقول السيء لم يقابلوه عليه بمثله، بل يعفون ولا يقولون إلا خيراً ٦٤: ﴿والذين يبتغون لربهم سُجْدًا وَقِيَامًا﴾ في طاعته وعبادته ٦٥:
﴿والذين يقولون ربنا اصرف عنا عذاب جهنم إن عذابها كان غراماً﴾ ملازماً دائماً ٦٦: ﴿إنها ساءت مستقراً﴾ بئس المنزل، ﴿ومقاماً﴾
وبئس المقيلاً ٦٧: ﴿والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا﴾ ليسوا بمبذرين في إنفاقهم؛ فيصرفون فوق الحاجة، ولا يتخلوا على أهلهم؛ فيقتصرون
في حتهم، ﴿وكان بين ذلك قواماً﴾ أي: عدلاً، كما قال تعالى: ﴿ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط﴾ الآية. وروى
الإمام أحمد أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: «من فق الرجل قصده في معيشته»، وروى أيضاً أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
قال: «مَاعَالٍ مِّنْ اقْتِصَادٍ». وروى الزرار من حديث حذيفة: «مَأْحَسَنَ الْقَصْدِ فِي الْعَتَىٰ، وَمَأْحَسَنَ الْقَصْدِ فِي الْفَقْرِ».

الآية: ٦٠ روى ابن حاتم عن شهر بن حوشب قال: لقي سلمان النبي ﷺ في بعض فيجاج المدينة فسجد له، فقال ﷺ: «لا تسجد لي يا سلمان، واسجد للحى
الذي لا يموت»، وهذا حديث مرسل حسن. / ابن كثير ج ٣/ ٣٢٥ - ٣٢٦.
الآية: ٦٧ روى الزرار عن حذيفة قال قال رسول الله ﷺ: «مَأْحَسَنَ الْقَصْدِ فِي الْعَتَىٰ، وَمَأْحَسَنَ الْقَصْدِ فِي الْفَقْرِ» / ابن كثير ج ٣/ ٣٢٥ - ٣٢٦.

وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ
الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ
أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضْعَفُ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدُ فِيهِ
مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا
فَأُولَئِكَ يَدْعُلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا
رَحِيمًا ﴿٧٠﴾ وَمَنْ تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ
مَتَابًا ﴿٧١﴾ وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ
مَرُّوا كِرَامًا ﴿٧٢﴾ وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ
لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا ﴿٧٣﴾ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا
هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا
لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٤﴾ أُولَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا
صَبَرُوا وَيُلْقَوْنَ فِيهَا قُحُوفًا ﴿٧٥﴾ خَالِدِينَ
فِيهَا حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٧٦﴾ قُلْ مَا يَعْبَأُ بِكُمْ رَبِّي
لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا ﴿٧٧﴾

سُورَةُ الشُّعَرَاءِ

٦٨: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ﴾
[إخراج لعباده المؤمنين من صفات الكفرة]،
روى الإمام أحمد أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
قال: «أن الذنب أكبر؟ قال: «أن تجعل
تجعل لله نبأ وهو خلقك»، ﴿وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ
الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ [أي: بما يحق
أن تقتل به النفس؛ من كفر بعد إيمان، أو
زنى بعد إحصان] ﴿وَلَا يَزْنُونَ﴾ روى ابن أبي
الدنيا أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
قال: «ما من ذنب أعظم عند الله من نطفة
وضعتها رجل في رجم لا يجزئ له»، ﴿وَمَنْ
يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا﴾ نكالا وجزاء ٦٩:
﴿يُضَاعَفُ لَهُ الْعَذَابُ﴾ يكرر عليه ويغظ
﴿يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدُ فِيهِ مُهَانًا﴾ حقيقاً ذليلاً
٧٠: ﴿إِلَّا مَنْ تَابَ﴾ في الدنيا إلى الله عز
وجل من جميع ذلك فإن الله يتوب عليه، وقد
قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ
وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾، ﴿وَأَمَّنْ
وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُدْعُلُ اللَّهُ
سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ﴾ أبدلوا مكان عمل
السيئات بعمل الحسنات؛ أبدلهم بالعمل
السيء العمل الصالح، وأبدلهم بالشرك
إخلاصاً، وبالفسجور إحصاناً، وبالكفر
إسلاماً. [وللآية معنى ثانٍ]: أن تلك السيئات
الماضية تنقلب بنفس التوبة النصوح
حسناً، وما ذاك إلا لأنه كلما تذكر
مامضى ندم واستغفر؛ فينقلب الذنب طاعة
بهذا الاعتبار ٧١: ﴿وَمَنْ تَابَ وَعَمِلَ
صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا﴾ فَإِنَّ اللَّهَ

يقبل توبته ٧٢: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ﴾ وهو الكذب متعمداً على غيره، وفي الصحيحين قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: «ألا
أنبئكم بأكبر الكبائر؟» — ثلاثاً — قلنا: بلى يا رسول الله، قال: «الشرك بالله، وعقوق الوالدين» — وكان متكئاً فجلس — فقال: «ألا وقول الزور
ألا وشهادة الزور» فما زال يكررها حتى قلنا: ليته سكت. ﴿وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ﴾ [اللغو: هو كل سقط من قول أو فعل]، ﴿مَرُّوا كِرَامًا﴾
[الكرام من القوم الذين لا يدخلون في الباطل] ٧٣: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا﴾ هذه صفات المؤمنين،
بخلاف الكافر فإنه إذا سمع كلام الله لا يؤثر فيه ٧٤: ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ﴾ أن يعبدوا الله وحده
لا شريك له؛ يعملون بطاعة الله، فتقر أعينهم في الدنيا والآخرة. ﴿وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ دعاء هداة إلى الخير، يُقَدِّسُ بِنَا فِي الْخَيْرِ ٧٥: ﴿أُولَئِكَ
يُجْزَوْنَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ الْغُرْفَةَ﴾ وهي الجنة ﴿بِمَا صَبَرُوا﴾ على القيام بذلك ﴿وَيُلْقَوْنَ فِيهَا﴾ في الجنة ﴿قُحُوفًا وَسَلَامًا﴾ يتبدرون بالتوقير والاحترام
٧٦: ﴿خَالِدِينَ فِيهَا﴾ لا يزولون عنها ولا يموتون ﴿حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا﴾ حسنت منظرًا وطابت مقبلاً ومنزلاً ٧٧: ﴿قُلْ مَا يَعْبَأُ بِكُمْ رَبِّي
لَا يَأْتِي وَلَا يَكْتَرُ بِكُمْ إِذَا لَمْ تَعْبُدُوهُ؛ فَإِنَّهُ إِنَّمَا خَلَقَ الْخَلْقَ لِيَعْبُدُوهُ، ﴿لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ﴾ لولا إيمانكم، ﴿فَقَدْ كَذَّبْتُمْ﴾ أيها الكافرون ﴿فَسَوْفَ
يَكُونُ لِزَامًا﴾ هلاككم ودماركم في الدنيا والآخرة.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

طَسَّرَ ﴿١﴾ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ ﴿٢﴾ لَعَلَّكَ بَنِيعٌ نَفْسَكَ
 أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾ إِنْ نَشَأْ نُزِّلْ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ آيَةٌ فَظَلَّتْ
 أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ ﴿٤﴾ وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنَ الرَّحْمَنِ مُحَدِّثٍ
 إِلَّا كَانُوا عَنْتَهُ مُعْرِضِينَ ﴿٥﴾ فَقَدْ كَذَّبُوا فَسَيَأْتِيهِمْ أَنْبَاءُ مَا كَانُوا
 بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٦﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الْأَرْضِ كَرِهْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ
 كَرِيمٍ ﴿٧﴾ إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَةٌ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ وَإِنَّ
 رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٩﴾ وَإِذْ نَادَى رَبُّكَ مُوسَى أَنْ آتِ الْقَوْمَ
 الظَّالِمِينَ ﴿١٠﴾ قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَلا يَتَّقُونَ ﴿١١﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي أَخَافُ
 أَنْ يُكَذِّبُونِ ﴿١٢﴾ وَيَضِيقُ صَدْرِي وَلَا يَنْطَلِقُ لِسَانِي فَأَرْسِلْ
 إِلَى هَارُونَ ﴿١٣﴾ وَهُمْ عَلَى ذَنْبٍ فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ ﴿١٤﴾ قَالَ
 كَلَّا فَادْهَبَا بِآيَاتِنَا إِنَّا مَعَكُمْ مُسْتَمِعُونَ ﴿١٥﴾ فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ
 فَقُولَا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦﴾ أَنْ أَرْسِلَ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ
 ﴿١٧﴾ قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ ﴿١٨﴾
 وَفَعَلْتَ فَعَلْتَكِ الْتِي فَعَلْتِ وَأَنْتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿١٩﴾

٣٦٧

١: ﴿طَسَّرَ﴾ (١) ٢: ﴿تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ﴾ هذه آيات القرآن البين الواضح الذي يفصل بين الحق والباطل ٣: ﴿لَعَلَّكَ بَاخِعٌ بِمَا كُنْتَ تَقْرَأُ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ تَتْلُو آيَةً أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ هذه تسلية للنبي صلى الله عليه وآله وسلم في عدم إيمان الكفار ٤: ﴿إِنْ نَشَأْ نُزِّلْ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ آيَةٌ فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ﴾ لو نشاء لأنزلنا آية تضطربهم إلى الإيمان قهراً، ولكن لا نفعل ذلك لأننا نريد الإيمان اختيارياً ٥: ﴿وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنَ الرَّحْمَنِ مُحَدِّثٍ إِلَّا كَانُوا عَنْتَهُ مُعْرِضِينَ﴾ كلما جاءهم كتاب من السماء أعرض عنه أكثر الناس ٦: ﴿فَقَدْ كَذَّبُوا فَسَيَأْتِيهِمْ أَنْبَاءُ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ فقد كذبوا بما جاءهم من الحق فسيعلمون نأ هذا التكذيب بعد حين. ثم نبه تعالى على عظمة سلطانه فقال: ٧: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الْأَرْضِ كَرِهْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ﴾ من زروع وثمار وحيوان ٨: ﴿إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَةٌ دَلَّالَةٌ عَلَى قُدْرَةِ الْخَالِقِ لِلْأَشْيَاءِ الَّذِي بَسَطَ الْأَرْضَ وَرَفَعَ السَّمَاءَ وَمَعَ هَذَا وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ فكذبوا به وبرسله وكتبه وخالفوا أمره وارتكبوا نهبه ٩: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ الذي قهر كل شيء وغلبه الرحيم بخلقه، فلا يعجز على من عصاه بل يؤجله، ثم يأخذ أخذ عزيز مقتدر ١٠: ﴿وَإِذْ نَادَى رَبُّكَ مُوسَى﴾ من جانب الطور الأمين ﴿أَنْ آتِ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ ١١: ﴿قَوْمِ فِرْعَوْنَ﴾ فأخبر من هم. ﴿أَلَا يَتَّقُونَ﴾؟ ﴿أَلَا يَتَّقُونَ﴾؟ ﴿أَلَا يَتَّقُونَ﴾؟ [أي: في النبوة والرسالة] ١٣: ﴿وَيَضِيقُ صَدْرِي﴾ [لتكذيبهم إياي] ﴿وَلَا يَنْطَلِقُ لِسَانِي﴾ [أي: في مجادلة فرعون، وكان في لسانه عقدة، من أثر الجمرة التي تناولها بدل القرية]، ﴿فَأَرْسِلْ إِلَى هَارُونَ﴾ أرسل إليه جبريل بالوحي، واجعله رسولا معي ليؤازري ويعاونني ١٤: ﴿وَهُمْ عَلَى ذَنْبٍ فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ﴾ بسبب قتل القبطي الذي كان سبب خروجه من بلاد مصر ١٥: ﴿قَالَ﴾ الله ﴿كَلَّا﴾ لا تخف من شيء من ذلك ﴿فَادْهَبَا بِآيَاتِنَا إِنَّا مَعَكُمْ مُسْتَمِعُونَ﴾ إني معكما محفظي وتأيدي ١٦: ﴿فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [أي: إنا ذوو رسالة من رب العالمين] ١٧: ﴿أَنْ أَرْسِلَ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ أطلقهم من أسارك وقبضتك وقهرك وتعذيبك، فاتهم عباد الله المؤمنين، فلما قال له موسى ذلك أعرض فرعون هنالك بالكيفية، ونظر إليه بعين الغصص فقال: ١٨: ﴿.. أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا﴾ أما أنت الذي ربيناه فينا وفي بيتنا ﴿وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ﴾؟ ١٩: ﴿وَفَعَلْتَ فَعَلْتَكِ الْتِي فَعَلْتِ﴾ ثم بعد هذا قابلت ذلك الإحسان أن جحدت نعمتنا عليك، ولهذا قال: ﴿وَأَنْتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ الجاحدين [أي: لنعمة فرعون].

(١) تقدم الكلام على هذه الحروف المقطعة في أول سورة البقرة.

الآية: ٧٤ وفي صحيح مسلم قال رسول الله ﷺ: «إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: ولد صالح يدعو له، أو علم ينتفع به من بعده، أو صدقة جارية». / ابن كثير ج ٣/ ٣٣٠.

٢٠: ﴿قَالَ فَعَلْتُهَا إِذَا﴾ في تلك الحال ﴿وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ﴾ قبل أن يُوحى الله على بالرسالة والنبوة. أي: الجاهلين ٢١: ﴿فَفَرَرْتُ مِنْكُمْ لَمَّا خِفْتُمْ﴾ من بينكم إلى مدين [فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ] ﴿وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدتَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ وما أحسنت إلي وريبتني مقابل ما سألت إلى بني إسرائيل فجعلتهم عبيداً وخدماً! ٢٣: ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَارِبُ الْعَالَمِينَ﴾ ومن هذا الذي تزعم أنه رب العالمين غيري؟ لأنه كان يقول لقومه: ﴿مَاعَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي﴾ ٢٤: ﴿قَالَ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ خالق جميع ذلك ولا شريك له، وهو الله، ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ﴾ إن كانت لكم قلوب موقنة وأبصار نافذة ٢٥: ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ﴾ لمن حوله ﴿عَلَى سَبِيلِ التَّهْكُمِ﴾ ألا تستمعون؟ أي: ألا تعجبون من قول هذا أن لكم إلهاً غيري؟ فقال له موسى: ٢٦: ﴿رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأُولِينَ﴾ خالقكم وخالق آبائكم الذين كانوا قبل فرعون ٢٧: ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ﴾ إن رسولكم الذي أرسل إليكم مجنون؟ ٢٨: ﴿قَالَ﴾ موسى لأولئك الذين أوغر إليهم فرعون ما أوغر من الشبهة ﴿رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ إن كنتم تعقلون ﴿الَّذِي جَعَلَ الْمَشْرِقَ مُشْرِقًا وَالْمَغْرِبَ مَغْرِبًا﴾ ولهذا لما انقطعت حجة فرعون عدل إلى استعمال

قَالَ فَعَلْتُهَا إِذَا وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ ﴿٢٠﴾ فَفَرَرْتُ مِنْكُمْ لَمَّا خِفْتُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٢١﴾ وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدتَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿٢٢﴾ قَالَ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ ﴿٢٤﴾ قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ أَلَا تَسْتَمْعُونَ ﴿٢٥﴾ قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأُولِينَ ﴿٢٦﴾ قَالَ إِنْ رَسُولُكُمْ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ﴿٢٧﴾ قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢٨﴾ لَيْنِ أَخَذتَّ إِلَهًا غَيْرِي لِأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُودِينَ ﴿٢٩﴾ أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُبِينٍ ﴿٣٠﴾ قَالَ فَاتِّبِعْنِي أَكُنْتُ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٣١﴾ فَالْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ ﴿٣٢﴾ وَنَزَعَ يَدَهُ إِذَا هِيَ بِيضَاءٌ لِلنَّظِيرِينَ ﴿٣٣﴾ قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُ إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾ يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴿٣٥﴾ قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَبْعَثْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ ﴿٣٦﴾ يَا تَوَكُّلْ بِكُلِّ سَحَابٍ عَلِيمٍ ﴿٣٧﴾ فَجُمِعَ السَّحَرَةُ لِمِيقَاتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿٣٨﴾ وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنْتُمْ مُجْتَمِعُونَ ﴿٣٩﴾

سلطانه: ٢٩: ﴿قَالَ لَيْنِ أَخَذتَّ إِلَهًا غَيْرِي لِأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُودِينَ﴾ وعند ذلك قال له موسى: ٣٠: ﴿أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُبِينٍ﴾؟ أي: بيهان قاطع واضح؟ ٣١: ﴿قَالَ فَاتِّبِعْنِي أَكُنْتُ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ ٣٢: ﴿فَالْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ﴾ ظاهر غاية الجلاء، وبشكل هائل مرعج ٣٣: ﴿وَنَزَعَ يَدَهُ إِذَا هِيَ بِيضَاءٌ لِلنَّظِيرِينَ﴾ نزع يده من جيبه تتلألأ كقطعة من القمر، فبادر فرعون إلى التكذيب والعداوة ٣٤: ﴿قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُ إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ عَلِيمٌ﴾ بارع في السحر، ثم هيجهم وحرّضهم على مخالفته والكفر به فقال: ٣٥: ﴿يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِ﴾ أراد أن يذهب بقلوب الناس معه بسبب هذا فيكره أنصاره ويغلبكم على دولتكم فيأخذ البلاد منكم ﴿فَمَاذَا تَأْمُرُونَ﴾؟ فأشيروا على فيه ماذا أصنع به؟ ٣٦: ﴿قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ﴾ أخره وأخاه حتى تجمع له من مدائن مملكته كل ساحرٍ عليهم ﴿وَأَبْعَثْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ﴾ ٣٧: ﴿يَا تَوَكُّلْ بِكُلِّ سَحَابٍ عَلِيمٍ﴾ وتكون لك النضرة والتأييد، فأجابهم إلى ذلك ٣٨: ﴿فَجُمِعَ السَّحَرَةُ لِمِيقَاتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ﴾ ليُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ، فأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون ٣٩: ﴿وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنْتُمْ مُجْتَمِعُونَ﴾ [حقاً لهم على الاجتماع ليشاهدوا ما يكون من موسى والسحرة، ولن تكون العلبة].

٤٠: ﴿لَعَلْنَا نَبْعِثَ السَّحْرَةَ إِنْ كَانُوا هُمْ الْعَالِينَ﴾ ولم يقولوا تتبع الحق سواء كان من السحرة أو من موسى، بل الرعية على دين ملكهم ٤١: ﴿فَلَمَّا جَاءَ السَّحْرَةَ قَالُوا لِفِرْعَوْنَ يَطْلُبُونَ مِنْهُ الْإِحْسَانَ إِلَيْهِمْ وَالتَّقَرُّبَ إِلَيْهِ: ﴿أَتِنَّا لَنَا لِأَجْرٍ إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْعَالِينَ؟ ٤٢: ﴿قَالَ نَعَمْ وَإِنَّمَا إِذَا لَمِنَ الْمُقْرَبِينَ وَأَخْصَىٰ تَمَّ تَطْلُبُونَ أَجْمَلَكُمْ جِلْسَانِي ٤٣: ﴿قَالَ لَهُمْ مُوسَىٰ أَلْقُوا مَا أَنْتُمْ مُلْقُونَ ٤٤: ﴿فَأَلْقُوا جِهَالَهُمْ وَعِصْيَهُمْ وَقَالُوا بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ الْعَالِيُونَ﴾ [أفسسوا بعظمة فرعون] ٤٥: ﴿فَأَلْقَىٰ مُوسَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ﴾ تحطفه وتجمعه من كل بقعة، وتبتلعه فلم تدع منه شيئاً، قال الله تعالى: ﴿فَوَقَعَ الْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ ٤٦: ﴿فَأَلْقَى السَّحْرَةَ سَاجِدِينَ﴾ فكان هذا أمراً عظيماً جداً وبرهاناً قاطعاً للعنبر وحجة دامغة، فكان الذين استنصر بهم آمنوا بموسى في الساعة الراهنة وسجدوا لرب العالمين ٤٧: ﴿قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالِينَ﴾ ٤٨: ﴿رَبِّ مُوسَىٰ وَهَارُونَ﴾ ٤٩: ﴿قَالَ أَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ أَدْنَىٰ لَكُمْ؟﴾ كان ينبغي أن تستأذني فيما فعلت فإن أذنت لك فعلت وإن منعتكم امتنعت فإني أنا الحاكم المطاع ﴿إِنَّهُ لَكَبِيرُكَمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السَّحْرَ﴾ وهذه مكابرة يعلم كل أحد بطلانها، فإنهم لم يجتمعوا بموسى قبل ذلك اليوم، فكيف يكون كبيرهم الذي أفادهم صناعة السحر؟! ثم توعدهم فقال:

لَعَلْنَا نَبْعِثَ السَّحْرَةَ إِنْ كَانُوا هُمُ الْعَالِينَ ﴿٤٠﴾ فَلَمَّا جَاءَ السَّحْرَةَ قَالُوا لِفِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ الْعَالِينَ ﴿٤١﴾ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّمَا إِذَا لَمِنَ الْمُقْرَبِينَ ﴿٤٢﴾ قَالَ لَهُمْ مُوسَىٰ أَلْقُوا مَا أَنْتُمْ مُلْقُونَ ﴿٤٣﴾ فَأَلْقُوا جِهَالَهُمْ وَعِصْيَهُمْ وَقَالُوا بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ الْعَالِيُونَ ﴿٤٤﴾ فَأَلْقَىٰ مُوسَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴿٤٥﴾ فَأَلْقَى السَّحْرَةَ سَاجِدِينَ ﴿٤٦﴾ قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالِينَ ﴿٤٧﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَارُونَ ﴿٤٨﴾ قَالَ آمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ أَدْنَىٰ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكَمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السَّحْرَ فَلَسَوْفَ نَعْتَمِدُ لَأَقْطَعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خَلْفٍ وَلَأَصْلَبْنَكُمْ أجمعين ﴿٤٩﴾ قَالُوا لَاضْئِرُّنَا إِلَىٰ رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ ﴿٥٠﴾ إِنَّا نَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطِيئَتَنَا أَنْ كُنَّا أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٥١﴾ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي إِنَّكَ مُتَّبَعُونَ ﴿٥٢﴾ فَأَرْسَلْنَا فِرْعَوْنَ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ ﴿٥٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا شَرٌّ مُّذْمَعٌ قَالِيلُونَ ﴿٥٤﴾ وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَائِظُونَ ﴿٥٥﴾ وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَادِرُونَ ﴿٥٦﴾ فَأَخْرَجْنَاهُمْ مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٧﴾ وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٥٨﴾ كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿٥٩﴾ فَاتَّبَعُوهُمْ مُشْرِقِينَ ﴿٦٠﴾

﴿فَلَسَوْفَ نَعْتَمِدُ لَأَقْطَعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خَلْفٍ وَلَأَصْلَبْنَكُمْ أجمعين﴾ ٥٠: ﴿قَالُوا لَاضْئِرُّنَا ذَلِكَ وَلَا تَبَالِي بِهِ﴾ ﴿إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ﴾ المرجع إلى الله عز وجل وهو لا يضيع أجر من أحسن عملاً، ولهذا قالوا: ٥١: ﴿إِنَّا نَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطِيئَاتِنَا﴾ ما قارفناه من الذنوب وما أكرهتنا عليه من السحر ﴿أَنْ كُنَّا أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ بسبب أننا بادرنا قومنا من القبط إلى الإيمان، فقتلهم كلهم ٥٢: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي﴾ أمره الله تعالى أن يخرج بني إسرائيل ليلاً من مصر إلى حيث يؤمر، ﴿إِنَّكُمْ مُتَّبَعُونَ﴾، فلما أصبحوا وليس في ناديتهم داع ولا جيب غاظ ذلك فرعون ٥٣: ﴿فَأَرْسَلْنَا فِرْعَوْنَ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ﴾ من بمشخر الخند [يتبع موسى وقومه] ٥٤: ﴿وَأَدْنَىٰ فِيهِمْ﴾ ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا شَرٌّ مُّذْمَعٌ قَالِيلُونَ﴾ يعني بني إسرائيل ﴿لَشَرٌّ مُّذْمَعٌ لَطَائِفَةٌ قَالِيلُونَ﴾ ٥٥: ﴿وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَائِظُونَ﴾ كل وقت يصل منهم إلينا ما يغيظنا ٥٦: ﴿وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَادِرُونَ﴾ نحن كل وقت نحذر من غائلتهم، وإني أريد أن أستأصل شأفتهم وأبهد خضراءهم، فجزوي في نفسه وجنده بما أراد لهم، قال الله تعالى: ٥٧: ﴿فَأَخْرَجْنَاهُمْ مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ﴾ ٥٨: ﴿وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ﴾ خرجوا من هذا النعيم إلى الجحيم ٥٩: ﴿كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ أي: بعد أن رجع بنو إسرائيل إلى مصر بعد هلاك فرعون وقومه، وورثوا ما استعاروه من جلي آل فرعون ٦٠: ﴿فَاتَّبَعُوهُمْ مُشْرِقِينَ﴾ وصلوا إليهم عند شروق الشمس.

٦١: ﴿فَلَمَّا تَرَأَى الْجَمْعَانَ﴾ رأى كل من الفريقين صاحبه فعند ذلك ﴿قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرِكُونَ﴾ وذلك أنهم انتهى بهم السير إلى سيف البحر، وهو بحر القلزم [أي: البحر الأحمر] فصار أمامهم البحر وقد أدركهم فرعون بجنوده ٦٢: ﴿قَالَ﴾ موسى ﴿كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾ لا يصل إليكم شيء مما تخذرون ٦٣: ﴿فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ﴾ فضربه بها ﴿فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ﴾ كالجليل الكبير، وصار البحر اثني عشر طريقاً لكل سبط طريق ٦٤: ﴿وَأَرْزَقْنَا ثَمَّ الْآخِرِينَ﴾ قربنا من البحر فرعون وجنوده ٦٥: ﴿وَأَنْجَيْنَا مُوسَى وَمَنْ مَعَهُ أَجْمَعِينَ﴾ فلم يهلك منهم أحد ٦٦: ﴿ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخِرِينَ﴾ فرعون وجنوده فلم يبق منهم رجل إلا هلك ٦٧: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً﴾ [أي: علامة على قدرة الله] ﴿وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [إلا مؤمن آل فرعون وهو حزقيل وابنته امرأة فرعون آسية] ٦٨: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهِوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ ٦٩: ﴿وَأَتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ﴾ أمر الله رسوله محمداً صلى الله عليه وآله وسلم أن يتلو على أمته خير إبراهيم عليه السلام ليقتدوا به في الإخلاص والتوكل على الله، وعبادة الله وحده لا شريك له ٧٠: ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ؟ فَإِنَّهُ مِنْ وَاقِفٍ مُدْبِرٍ﴾ ٧١: ﴿أَنْكُرُ عَلَى قَوْمِهِ عِبَادَةَ الصُّنَمِ مَعَ اللَّهِ﴾ ٧٢: ﴿قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنفِطُلُهَا عَاكِفِينَ﴾ مقيمين على عبادتها ودعاتها ٧٣: ﴿قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمُ إِذْ تَدْعُونَ؟ أَوْ يَنفَعُونَكُمُ أَوْ يَضُرُّونَ؟﴾ [أي: هل تترزقهم إن عبدتموها أو تضركم إن عصيتموها؟] ٧٤: ﴿قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ﴾ ٧٥: ﴿قَالَ أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ؟ أَنْتُمْ وَعَبَاؤُكُمْ أَفْقَادُونَ﴾ ٧٦: ﴿فَاتَّبَعْتُمُ عِدْوِيَّ الْإِلَهَ الْعَالَمِينَ﴾ ٧٧: ﴿الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ﴾ ٧٨: ﴿وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ﴾ ٧٩: ﴿وَالَّذِي هُوَ يُمِسِّئُنِي ثُمَّ يُغَيِّبُنِي﴾ ٨٠: ﴿وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ﴾ ٨١: ﴿رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَالْحَقِّي بِالصَّالِحِينَ﴾ ٨٢: ﴿رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَالْحَقِّي بِالصَّالِحِينَ﴾ ٨٣: ﴿رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَالْحَقِّي بِالصَّالِحِينَ﴾ ٨٤: ﴿رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَالْحَقِّي بِالصَّالِحِينَ﴾

٣٧٠

يستمعونكم إذ تدعون؟ أو ينفعونكم أو يضرون؟ [أي: هل تترزقهم إن عبدتموها أو تضركم إن عصيتموها؟] ٧٤: ﴿قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ﴾ اعترفوا بأن أصنامهم لاتفعل شيئاً، فعند ذلك قال إبراهيم: ٧٥: ﴿قَالَ أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ؟ أَنْتُمْ وَالْآبَاءُ وَالْأَقْدَامُونَ﴾ [فإنهم عدو لي إلا رب العالمين] إني عدو لها ولآبالي بها ولأفكر فيها ٧٨: ﴿الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ﴾ يعني لأعبد إلا الذي خلقني، وهو الذي يضل من يشاء ويهدي من يشاء. ٧٩: ﴿وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ﴾ أعبد خالقي ورازقي بما سخر وبسر من الأسباب السهوية والأرضية، فساق المزن وأنزل الماء وأحيا به الأرض بعد موتها وأخرج به من كل الثمرات رزقاً للعباد ٨٠: ﴿وإذا مرضت فهو يشفين﴾ أسند المرض إلى نفسه وإن كان عن قدر الله وقضائه ولكن أضافه إلى نفسه أدباً ٨١: ﴿وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ﴾ هو الذي يحيي ويميت، لا يقدر على ذلك أحد سواه، فإنه هو الذي يبدئ ويعيد ٨٢: ﴿وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ﴾ لا يقدر على غفران الذنوب إلا الله وهو الفعال لما يشاء ٨٣: ﴿رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَالْحَقِّي بِالصَّالِحِينَ﴾ وهذا سؤال من إبراهيم أن يؤتبه ربه النبوة، وأن يجعله من الصالحين في الدنيا والآخرة.

الآية: ٨٢ وفي صحيح مسلم عن عائشة، قلت يا رسول الله! ابن جدعان كان في الجاهلية يصل الرحم، ويُطعم المسكين، فهل ذلك نافع؟ قال ﷺ: «لا ينفعه، إنه لم يقل يوماً: ﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ﴾». // القرطبي ج ١٣/١١٢.

٨٤: ﴿وَجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ﴾ و اجعل لي ذكراً جميلاً بعدي،
 الآخريين ﴿و اجعل لي ذكراً جميلاً بعدي،
 أذكر به ويفتدى بي في الحشر ٨٥:
 ﴿و اجعلني من ورثة جنة النعيم﴾ أنعم علي في
 الدنيا ببقاء الذكر الجميل بعدي وفي الآخرة
 بأن تجعلني ﴿من ورثة جنة النعيم﴾ ٨٦:
 ﴿و اغفر لأبي إنه كان من الضالين﴾ قال
 تعالى: ﴿وما كان استغفار إبراهيم لأبيه إلا عن
 موعدة وعده إياه﴾ الآية، وهذا لما رجع عنه
 إبراهيم [حين تبين له أنه عدو لله] ٨٧:
 ﴿ولا تخزيني يوم يُعْتَدُونَ﴾ أجري من الخزي
 يوم يُعْتَد الخلاق ٨٨: ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ
 وَلَا بَنُونَ﴾ لا يقي المرء من عذاب الله ماله ولو
 افتدى بملء الأرض ذهباً ولا ينفع إلا الإيمان
 بالله ٨٩: ﴿إِلَّا مَنْ أتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾
 سالم من الشرك والذنس والفساق ٩٠:
 ﴿وَأَزَلَّتْ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ قُرب وأديت
 من أهلها مرحفة مريسة ٩١: ﴿وَبُرُزَّتِ
 الْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ﴾ أظهرت وكشفت عنها
 ٩٢: ﴿وَقِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تُعْبَدُونَ﴾ قيل
 لأهلها تقريباً وتوبيخاً: ﴿أين ما كنتم
 تعبدون؟﴾ ٩٣: ﴿مِن دُونِ اللَّهِ هَلْ
 يَنْصُرُونَكُمْ أَوْ يَنْصُرُونَ﴾ ليست الآلهة التي
 عبدتموها من دون الله لتغني عنكم اليوم شيئاً
 ولا تدفع عن نفسها ٩٤: ﴿فَكَبِّبُوا فِيهَا هُم
 وَالْغَاوُونَ﴾ هَوُوا فيها [هم وأصنامهم
 وطواغيتهم] ٩٥: ﴿وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ﴾
 ألقوا فيها عن آخرهم ٩٦: ﴿قَالُوا وَهَمَّ فِيهَا
 يَخْتَصِمُونَ﴾ ٩٧: ﴿تَاللَّهِ إِنْ كُنَّا لَفِي

وَأَجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ ﴿٨٤﴾ وَأَجْعَلْنِي مِنْ وَرَثَةِ جَنَّةِ
 النَّعِيمِ ﴿٨٥﴾ وَأَغْفِرْ لِأَبِي إِنَّهُ كَانَ مِنَ الضَّالِّينَ ﴿٨٦﴾ وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ
 يُبْعَثُونَ ﴿٨٧﴾ يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ
 سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾ وَأَزَلَّتْ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٩٠﴾ وَبُرُزَّتِ الْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ
 ﴿٩١﴾ وَقِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تُعْبَدُونَ ﴿٩٢﴾ مِنْ دُونِ اللَّهِ هَلْ يَنْصُرُونَكُمْ
 أَوْ يَنْصُرُونَ ﴿٩٣﴾ فَكَبِّبُوا فِيهَا هُمْ وَالْغَاوُونَ ﴿٩٤﴾ وَجُنُودُ إِبْلِيسَ
 أَجْمَعُونَ ﴿٩٥﴾ قَالُوا وَهَمَّ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ ﴿٩٦﴾ تَاللَّهِ إِنْ كُنَّا لَفِي
 ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٩٧﴾ إِذْ نَسُوا اللَّهَ رَبَّهُمْ أَلْعَلِمِينَ ﴿٩٨﴾ وَمَا أَضَلَّنَا
 إِلَّا الْأُمُجِرُونَ ﴿٩٩﴾ فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ ﴿١٠٠﴾ وَلَا صَديقٍ حَمِيمٍ ﴿١٠١﴾
 فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٢﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ
 أَكْثَرَهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾ وَإِنْ رَبُّكَ لَهْوَ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ ﴿١٠٤﴾ كَذَّبَتْ
 قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٠٥﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٠٦﴾
 إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٠٧﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا أَمْرَهُمْ وَمَا أَسْأَلُكُمْ
 عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٠٨﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ
 وَأَطِيعُوا أَمْرَهُمْ ﴿١٠٩﴾ قَالُوا أَنُؤْمِنُ لَكَ وَاتَّبَعَكَ الْأَرْذَلُونَ ﴿١١٠﴾

ضلال مبين ﴿يقول الضملاء للذين استكبروا ٩٨: ﴿إِذْ نَسُوا اللَّهَ رَبَّهُمْ أَلْعَلِمِينَ﴾ تجعل أمرهم مطاعاً كما يُطاع أمرُ ربِّ العالمين ٩٩: ﴿وَمَا أَضَلَّنَا إِلَّا الْمُجْرِمُونَ﴾ مادعنا إلى ذلك إلا المجرمون ١٠٠: ﴿فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ﴾ من الملائكة ١٠١: ﴿وَلَا صَديقٍ حَمِيمٍ﴾ قريب يشفع لنا، لأنَّ الحميم إذا كان صالحاً شفع ١٠٢: ﴿فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ وذلك أنهم يمتنون أن يُردُّوا إلى الدنيا ليعملوا بطاعة الله فيما يزعُمون، والله تعالى يعلم أنهم لو رُدُّوا لعادوا إلى ما نُهوا عنه وإنهم لكاذبون ١٠٣: ﴿وَإِنْ رَبُّكَ لَهْوَ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ﴾ إن في حجة إبراهيم لقومه في التوحيد آية أي علامة واضحة جلية على أن لا إله إلا الله ١٠٤: ﴿وَإِنْ رَبُّكَ لَهْوَ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ﴾ كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ ﴿هم كذبوا نوحاً، ولفظ الجمع هنا يدل على أن من كذب رسولاً فقد كذب الرسل﴾ ١٠٥: ﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ﴾؟ أَلَا تخافون الله في عبادتكم غيره ١٠٧: ﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾ فيا بعني الله به ١٠٨: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا أَمْرَهُمْ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ لا أطلب منكم جزاءً على نصحي لكم بل أَدخِر ثواب ذلك عند الله ١٠٩: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا أَمْرَهُمْ﴾ نصحي لكم ١١٠: ﴿قَالُوا أَنُؤْمِنُ لَكَ وَاتَّبَعَكَ الْأَرْذَلُونَ﴾ لا نُؤمن لك ولا نتبعك وتناسى في ذلك بهؤلاء الأردلين؟.

الآية ٨٩: وفي صحيح مسلم من حديث أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: « يدخل الجنة أقوامٌ أفئدتهم مثل أفئدة الطير [أي مثلها خالية من كل ذنب سليمة من كل عيب] ٢. وفي الحديث الصحيح عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: « أكثر أهل الجنة البله » أي: البله عن معاصي. قال الأزهري: الأبله هنا هو الذي طبع على الخير، وهو غافل عن الشر لا يعرف. وقال القسبي: البله هم الذين غلبت عليهم سلامة الصدور وحسن الظن بالناس. /القرطبي ج١٣/ ١١٥.

قَالَ وَمَا عَلِمِي بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١١٢﴾ إِنَّ حَسَابَهُمْ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّي لَوَ تَشْعُرُونَ ﴿١١٣﴾ وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٤﴾ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿١١٥﴾ قَالُوا لَيْنَ لَمْ تَنْتَهَ بِنُوحٍ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمَرْجُومِينَ ﴿١١٦﴾ قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوْمِي كَذَّبُونِ ﴿١١٧﴾ فَافْتَحْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا وَبِخَيِّ وَمَنْ مَعِيَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٨﴾ فَأَنْجِنَهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ ﴿١١٩﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدَ الْبَاقِينَ ﴿١٢٠﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴿١٢١﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿١٢٢﴾ كَذَّبَتْ عَادَ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٢٤﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٢٥﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ﴿١٢٦﴾ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِي إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٢٧﴾ أَتُتُونَ بِكُلِّ رِيحٍ آيَةً تَعْبَثُونَ ﴿١٢٨﴾ وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلَدُونَ ﴿١٢٩﴾ وَإِذَا بَطِشْتُمْ بَطِشْتُمْ جَبَّارِينَ ﴿١٣٠﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ﴿١٣١﴾ وَأَتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُمْ بِمَا تَعْلَمُونَ ﴿١٣٢﴾ أَمَدَّكُمْ بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ ﴿١٣٣﴾ وَحَنَّتْ وَعَيُونٌ ﴿١٣٤﴾ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٣٥﴾ قَالُوا سَوَاءٌ عَلَيْنَا أُوَعِّظْتَ أَمْ لَمْ تَكُنْ مِنَ الْوَاعِظِينَ ﴿١٣٦﴾

١١٢: ﴿قَالَ وَمَا عَلِمِي بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ لا يلزمني التفتيح عنهم وإنما علي أن أقبل منهم تصديقهم إياي ١١٣: ﴿إِنَّ حَسَابَهُمْ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّي لَوَ تَشْعُرُونَ﴾ [أي: لو تعلمون أن حسابهم على الله لما عيبتهم بصناعتهم] ١١٤: ﴿وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [أي: لحساسة حالهم وأشغالهم] ١١٥: ﴿إِنَّ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ إنما بعثت نذيراً فمن أطاعني كان مني وأنا منه سواء كان شريفاً أو ضيعاً ١١٦: ﴿قَالُوا لَيْنَ لَمْ تَنْتَهَ بِنُوحٍ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمَرْجُومِينَ﴾ لئن لم تنته عن دعوتك إيانا إلى دينك لدرجمتك، فعند ذلك دعا عليهم: ١١٧: ﴿قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوْمِي كَذَّبُونِ﴾ ١١٨: ﴿فَافْتَحْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا﴾ [الفتح: الحكم؛ أي: احكم بيني وبينهم]، [وذلك لما يقس منهم] [وتخني ومن معي من المؤمنين] ١١٩: ﴿فَأَنْجِنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ﴾ [أي: في السفينة] والمشحون: المملوء بالأمثلة والأزواج ١٢٠: ﴿ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدَ الْبَاقِينَ﴾ ممن كفر، كلهم أجمعين ١٢١: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُّؤْمِنِينَ﴾ [وإن ربك هو العزيز الرحيم] ١٢٢: ﴿كَذَّبَتْ عَادَ الْمُرْسَلِينَ﴾ [كذبت عاد المرسلين] وهم قوم هود، وكانوا يسكنون الأحقاف قرب حضرموت من جهة اليمن ١٢٣: ﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾ [أي: أأمر الله] ١٢٤: ﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾ [أي: أأمر الله] ١٢٥: ﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾ [أي: أأمر الله] ١٢٦: ﴿وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِي إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [أي: أأمر الله] ١٢٧: ﴿أَتُتُونَ بِكُلِّ رِيحٍ آيَةً تَعْبَثُونَ﴾ [أي: أأمر الله] ١٢٨: ﴿وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلَدُونَ﴾ [أي: أأمر الله] ١٢٩: ﴿وَإِذَا بَطِشْتُمْ بَطِشْتُمْ جَبَّارِينَ﴾ [أي: أأمر الله] ١٣٠: ﴿فَإَتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا﴾ [أي: أأمر الله] ١٣١: ﴿وَأَتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُمْ بِمَا تَعْلَمُونَ﴾ [أي: أأمر الله] ١٣٢: ﴿أَمَدَّكُمْ بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ﴾ [أي: أأمر الله] ١٣٣: ﴿وَحَنَّتْ وَعَيُونٌ﴾ [أي: أأمر الله] ١٣٤: ﴿إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [أي: أأمر الله] ١٣٥: ﴿قَالُوا سَوَاءٌ عَلَيْنَا أُوَعِّظْتَ أَمْ لَمْ تَكُنْ مِنَ الْوَاعِظِينَ﴾ [أي: أأمر الله] ١٣٦: ﴿قَالُوا سَوَاءٌ عَلَيْنَا أُوَعِّظْتَ أَمْ لَمْ تَكُنْ مِنَ الْوَاعِظِينَ﴾ [أي: أأمر الله]

﴿وما أسألكم عليه من أجر إن أجري إلا على رب العالمين﴾ أذخر ثواب ذلك عند الله ١٢٨: ﴿أَتُتُونَ بِكُلِّ رِيحٍ آيَةً﴾ ينون عند جواد الطرق والأماكن المرتفعة نبياً محكماً هائلاً باهراً مشهوراً ﴿تعبثون﴾ لالاحتياج إليه بل مجرد اللعب واللهو وإظهار القوة، وهذا تضييع للزمان وإتباع للأبدان في غير فائدة ولهذا أنكر عليهم نبيهم ذلك. [والريغ: المكان المرتفع] ١٢٩: ﴿وتتخذون مصانع﴾ البروج المشيدة والبيان الخلد ﴿لعلكم تخلصون﴾ لكي تقيموا فيها أبداً ١٣٠: ﴿وإذا بطشتم بطشتم جبارين﴾ يصفهم بالقوة والغلظة والجبروت ١٣١: ﴿فاتقوا الله وأطيعوا﴾ اعبدوا ربكم وأطيعوا رسولكم ١٣٢: ﴿واتقوا الله الذي أمدكم بما تعلمون﴾ [يذكرهم بما أنعم الله عليهم من الخيرات] ١٣٣: ﴿أمدكم بأنعام وبنين﴾ [أي: سخر ذلك وتفضل بها عليكم] ١٣٤: ﴿إني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم﴾ إن كذبتم وخالفتم، فدعاهم إلى الله بالترغيب والترهيب فما نفع فيهم ١٣٥: ﴿فكان جواب قوم هود بعدما حذرهم وأندرهم ورجعهم وهم أن: قالوا سواء علينا أوعظت أم لم تكن من الواعظين﴾ لا نرجع عما نحن عليه.

الآية: ١١٢ والمعنى: وما علمي بما يعملون أي لم أكلّف العلم بأعمالهم، إنما كلّف أن أدعوهم إلى الإيمان، والاعتبار بالإيمان لا بالحرف والصنّاع.

الآية: ١١٨ كان رسول الله ﷺ يدعو في الصلاة: «اللهم إني أعوذ بك من عذاب القبر، وأعوذ بك من فتنة المسيح الدجال، وأعوذ بك من فتنة المخيا والممات، اللهم إني أعوذ بك من اللأثم والمغرم» متفق عليه/الوابل الطيب/٢٣٢/.

الآية: ١٢٨ أي: ينون بكل مكان مرتفع آية علماً لتعبون بها وتعبثون، وتشرفوا على السابلة فسخرها منهم. /القرطبي ج١٣/١٢٣

١٣٧: ﴿إِنَّ هَذَا إِلَّا خُلُقُ الْأُولِينَ﴾ يعنون: دينهم وما هم عليه هو دين الأولين من الآباء والأجداد ونحن تابعون لهم نعيش كما عاشوا أو نموت كما ماتوا، ولا بعث ولا معاد ولهذا قالوا: ١٣٨: ﴿وَمَا نَحْنُ بِمُعَذِّبِينَ﴾ ١٣٩: ﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَهْلَكْنَاهُمْ﴾ استمرروا على تكذيب بني الله هود فأهلكهم الله ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [أسلم بعضهم وهلك باقهم] ١٤٠: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ ١٤١: ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ الْمُرْسَلِينَ﴾ وهؤلاء كانوا عرباً يسكنون مدينة الحجر التي بين واد القرى وبلاد الشام ١٤٢: ﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَالِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ؟﴾ فدعاهم نبئهم إلى عبادة الله وحده لا شريك ١٤٣: ﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾ فأبوا عليه وكذبوه، فقال لهم: ١٤٤: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا﴾ ١٤٥: ﴿وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ﴾ أخرجهم أنه لا ينبغي بدعوتهم أجراً منهم ﴿إِنَّ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾، ثم ذكرهم آلاء الله عليهم فقال: ١٤٦: ﴿أَنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ ما هاهنا آمينين ﴿حَذَّرَهُمْ نَقَمَ اللَّهِ أَنْ تَجْلِبَ بِهِمْ، وَذَكَرَهُمْ بِأَنْعَمِ اللَّهِ فِيهِمْ رِزْقَهُمْ مِنَ الْأَرْزَاقِ﴾ ١٤٧: ﴿فِي جَنَاتٍ وَغِيَوِينَ﴾ ١٤٨: ﴿وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ﴾ كثير الثمر. والهضيم: الرطب اللين ١٤٩: ﴿وَتَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا فَارِهِينَ﴾ حاذقين شريهين أشربين، كانوا يتخذون تلك البيوت المنحوتة في الجبال أشراً ويطراً ١٥٠: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا﴾ أقبلوا

إِنَّ هَذَا إِلَّا خُلُقُ الْأُولِينَ ﴿١٣٧﴾ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذِّبِينَ ﴿١٣٨﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَهْلَكْنَاهُمْ ﴿١٣٩﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٤٠﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿١٤١﴾ كَذَّبَتْ ثَمُودُ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٤٢﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَالِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٤٣﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٤٤﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ﴿١٤٥﴾ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٤٦﴾ أَنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿١٤٧﴾ وَتَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا فَارِهِينَ ﴿١٤٨﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ﴿١٤٩﴾ وَلَا تَطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ ﴿١٥٠﴾ الَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴿١٥١﴾ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ ﴿١٥٢﴾ مَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا فَأْتِ بآيَةٍ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿١٥٣﴾ قَالَ هَذِهِ نَاقَةٌ لَهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَعْلُومٍ ﴿١٥٤﴾ وَلَا تَمْسُوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥٥﴾ فَعَقَرُوهَا فَاصْبَحُوا نَادِمِينَ ﴿١٥٦﴾ فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٥٧﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿١٥٨﴾

على ما يعود نفعه عليكم في الدنيا والآخرة من عبادة ربكم الذي خلقكم ورزقكم ١٥١: ﴿وَلَا تَطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ﴾ ١٥٢: ﴿الَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ﴾ يعني رؤساءهم وكبراءهم الدعوة لهم إلى الشرك والكفر ومخالفة الحق ١٥٣: ﴿قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ﴾ هذا جوابهم لنبئهم صالح حين دعاهم إلى عبادة ربهم ١٥٤: ﴿مَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا فَأْتِ بآيَةٍ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ كيف أوحى إليك دوننا؟ ثم اقترحوا عليه آية يأتيهم بها ليعلموا صدقه، وطلبوا منه أن يخرج لهم الآن من هذه الصخرة ناقة عشاء، وأشاروا إلى صخرة عندهم، فقام نبي الله صالح عليه السلام فصلى ثم دعا الله عز وجل، فانفطرت الصخرة عن ناقة عشاء ١٥٥: ﴿قَالَ هَذِهِ نَاقَةٌ لَهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَعْلُومٍ﴾ ترد ماءً يوماً وتردونه أنتم يوماً ١٥٦: ﴿وَلَا تَمْسُوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ فحذّرهم نعمة الله إن أصابوها بسوء، فمكثت الناقة حيناً تأكل وتشرب، وينفقون بلبنها شرباً ورياً، فلما طال عليهم الأمد تمالأوا على قتلها ١٥٧: ﴿فَعَقَرُوهَا فَاصْبَحُوا نَادِمِينَ﴾ ١٥٨: ﴿فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ﴾ وهو أن أرضهم زلزالاً شديداً وجاءتهم صيحة عظيمة اقتلعت القلوب من محلها وأتاهم من الأمر ما لم يكونوا يمتسبون وأصبحوا في ديارهم جائئين ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ ١٥٩: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾

الآية: ١٥٠: عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ أَطَاعَنِي فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ، وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ عَصَى اللَّهَ، وَمَنْ يَطْعُ الْأَمِيرَ [أَمِيرَ السَّرِيَّةِ فِي الْجِهَادِ] فَقَدْ أَطَاعَنِي، وَمَنْ يَعْصِ الْأَمِيرَ فَقَدْ عَصَانِي» متفق عليه/رياض الصالحين/٣٠٢.

الآية: ١٥٧: ﴿فَأَصْبَحُوا نَادِمِينَ﴾ أي على عقربها لما أيقنوا بالعذاب، وذلك أنه أنظرهم ثلاثاً فظهرت عليهم العلامة في كل يوم، وندموا ولم ينفعهم الندم عند معاينة العذاب. لم ينفعهم الندم لأنهم لم يتوبوا. /الفرطحي ج/١٣١.

١٦٥: ﴿كَذَبَتْ قَوْمٌ لُوطَ الْمُرْسَلِينَ﴾ لوطٌ هو ابن أخي إبراهيم الخليل عليهما السلام وكان الله قد أرسله إلى سدوم إلى ١٦٦: ﴿إِذْ قَالَ لَهُمُ أَخُوهُمْ لُوطٌ أَلَا تَتَّقُونَ﴾ ١٦٦: ﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾ فدعاهم إلى الله عز وجل أن يعبدوه وحده لا شريك له، ونهاهم عن معصية الله وارتكاب ما كانوا قد ابتدعوه في العالم ما لم يسبقهم أحدٌ من الخلائق إلى فعله من إتيان الذكور دون الإناث ١٦٣: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا﴾ ١٦٤: ﴿وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾، ثم نهاهم نبي الله عن ارتكاب الفواحش وغشيان الذكور فقال: ١٦٥: ﴿أَتَأْتُونَ الذَّكَرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ؟﴾ ١٦٦: ﴿وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا﴾ أرشدهم إلى إتيان نساءهم اللاتي خلقهن الله لهم ﴿بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ﴾ ١٦٧: ﴿قَالُوا لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ يَا لُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمُخْرَجِينَ﴾ جوابهم له: أننا ننفيك من بين أظهرنا، فلما رأى أنهم لا يرتدعون عنهم فيه تبرأ منهم: ١٦٨: ﴿قَالَ إِنِّي لِعَمَلِكُمْ مِنَ الْقَالِينَ﴾ والمبغضين، وإني بريء منكم، ثم دعا الله فقال: ١٦٩: ﴿رَبِّ نَجِّنِي وَأَهْلِي مِمَّا يَعْمَلُونَ﴾ ١٧٠: ﴿فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ﴾ ١٧١: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَأَمَرُوا بِالْقِسْطِ﴾ وهي امرأته، وكانت عجوزٌ سوء بقت فهلكت مع قومها ١٧٢: ﴿ثُمَّ دَمَّرْنَا الْآخَرِينَ﴾ ١٧٣: ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنْذَرِينَ﴾ ١٧٤: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً﴾

كذبت قوم لوط المرسلين ﴿١٦٦﴾ إذ قال لهم أخوهم لوط ألا تتقون ﴿١٦٦﴾ إني لكم رسول أمين ﴿١٦٣﴾ فاتقوا الله وأطيعون ﴿١٦٣﴾ وما أسألكم عليه من أجر إن أجرى إلا على رب العالمين ﴿١٦٤﴾ أتأتون الذكران من العالمين ﴿١٦٥﴾ وتذرون ما خلق لكم ربكم من أزواجكم بل أنتم قوم عادون ﴿١٦٦﴾ قالوا لئن لم تنته يا لوط لتكونن من المخرجين ﴿١٦٧﴾ قال إني لعملكم من القالين ﴿١٦٨﴾ رب نجني وأهلي مما يعملون ﴿١٦٩﴾ فنجيناه وأهله أجمعين ﴿١٧٠﴾ إلا عجوزاً في الغابرين ﴿١٧١﴾ ثم دمّرنا الآخرين ﴿١٧٢﴾ وأمطرنا عليهم مطراً فساء مطر المنذرين ﴿١٧٣﴾ إن في ذلك لآية وما كان أشركهم مؤمنين ﴿١٧٤﴾ وإن ربك هو العزيز الرحيم ﴿١٧٥﴾ كذب أصحاب لئكة المرسلين ﴿١٧٦﴾ إذ قال لهم شعيب ألا تنفون ﴿١٧٧﴾ إني لكم رسول أمين ﴿١٧٨﴾ فاتقوا الله وأطيعون ﴿١٧٩﴾ وما أسألكم عليه من أجر إن أجرى إلا على رب العالمين ﴿١٨٠﴾ أوفوا الكيل ولا تكونوا من المخسرين ﴿١٨١﴾ وزنوا بالقسطاس المستقيم ﴿١٨٢﴾ ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تعثوا في الأرض مفسدين ﴿١٨٣﴾

[أي: في قصة قوم سدوم] التي أهلكتها الله تعالى، وجعل مكانها - أي: مكان قريتهم - بحيرةً منتنةً خبيثةً، وهي مشهورة ببلاد الغور بناحية جبال بيت المقدس، بينها وبين بلاد الكرك والشوبك، [وهو ما يعرف اليوم بالبحر الميت، ماؤه خبيث لا تعيش فيه الأحياء] ﴿١٦٦﴾، ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [أي: لم يكن فيها مؤمنٌ إلا بيت لوط وابتناه] ١٧٥: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ [أي: هو القاهر لأعدائه الرحيم بأوليائه] ١٧٦: ﴿كَذَّبَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ الْمُرْسَلِينَ﴾ وهم أهل مدين ١٧٧: ﴿إِذْ قَالَ لَهُمُ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ﴾ كانوا يعبدون شجرة يُقال لها الأيكة، فكذبوه فقال لهم: ١٧٨: ﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾ ١٧٩: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا﴾ ١٨٠: ﴿وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ أخبرهم أنه لا يتبعي بدعوتهم أجرًا منهم، وإنما يطلب ثواب ذلك من الله عز وجل ١٨١: ﴿وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ﴾ أمرهم عليه السلام بإبقاء المكيال والميزان ونهاهم عن التطفيف؛ أي: إذا دفعتم للناس فكمّلوا الكيل لهم ولا تبخسوا الكيل فتعطلوهم ناقصاً وتأخذوه تاماً وأفياً ١٨٢: ﴿وَزِنُوا بِالْقِسْطِ الْمُسْتَقِيمِ﴾ القسطاس: هو الميزان والقياس [أي: زنوا فيه بالعدل] ١٨٣: ﴿وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ﴾ لا تنقصوهم أموالهم ﴿وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مَفْسِدِينَ﴾ يعني قطع الطريق.

(١) انظر تفسير الآية ٧٦/ من سورة الحجر .

الآية: ١٧٦ قال ابن جرير عن الضحاك: خرج أصحاب الأيكة - يعني حين أسابهم الحر - فانضمو إلى الغضة والشجر، فأرسل الله عليهم سحابة فاستظلوا تحفا، فلما تكاملوا تحفا أحرقوا. والأيكة الغضة والشجر. ولا خلاف بين أهل اللغة في ذلك. / القرطبي ج ١٣/ ١٣٥.

١٨٤: ﴿وَاتَّقُوا الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالْجِيلَةَ الْأُولِينَ﴾ يُخَوِّفُهُمْ بِأَسْمَاءِ اللَّهِ الَّذِي خَلَقَهُمْ وَخَلَقَ آبَاءَهُمُ الْأَوَّلِينَ ﴿وَالْجِيلَةَ الْأُولِينَ﴾ الْخَلْقَ الْأَوَّلِينَ ١٨٥: ﴿قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ﴾ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ، مِثْلَ مَا أَجَابَتْ ثَمُودُ رَسُولُهَا: ١٨٦: ﴿وَمَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا وَإِنْ نَظُنُّكَ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ يَتَعَمَدُ الْكُذْبَ فِيمَا يَقُولُهُ ١٨٧: ﴿فَأَسْقَطْنَا عَيْنَا كِسْفًا مِنَ السَّمَاءِ﴾ جَانِبًا مِنَ السَّمَاءِ ﴿وَإِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ هَكَذَا قَالَ هُوَلَاءُ الْكُفَّارِ الْجَهْلَةِ! ١٨٨: ﴿قَالَ رَبِّي أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ﴾ اللَّهُ أَعْلَمُ بِكُمْ فَإِنْ كُنْتُمْ تَسْتَحِقُّونَ ذَلِكَ جَزَاءً بِهِ وَهُوَ غَيْرُ ظَالِمٍ لَكُمْ ١٨٩: ﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابَ يَوْمِ الظُّلَّةِ﴾ هَكَذَا وَقَعَ بِهِمْ، وَهَذَا مِنْ جِنْسِ مَا سَأَلُوهُ مِنْ إِسْقَاطِ الْكِسْفِ عَلَيْهِمْ، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى جَعَلَ عَقُوبَتَهُمْ سَحَابَةً أَظْلَمَتْهُمْ بَعْدَ أَنْ أَصَابَهُمْ حَرٌّ عَظِيمٌ مَدَّةَ سَبْعَةِ أَيَّامٍ، فَلَمَّا اجْتَمَعُوا كُلَّهُمْ تَحْتَهَا أَرْسَلَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِمْ مِنْهَا شَرًّا مِنْ نَارٍ وَلَهَبًا عَظِيمًا وَرَجَفَتْ بِهِمُ الْأَرْضُ وَجَاءَتْهُمْ صَيْحَةٌ عَظِيمَةٌ أَزْهَقَتْ أَرْوَاحَهُمْ وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّهُ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ ١٩٠: ﴿وَإِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَةٌ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ ١٩١: ﴿وَإِنْ رَبُّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ﴾ فِي انتِقَامِهِ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿الرَّحِيمُ﴾ بِعِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ ١٩٢: ﴿وَإِنَّهُ لَنَزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ الْقُرْآنَ، أَنْزَلَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ وَأَوْحَاهُ إِلَيْكَ ١٩٣: ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ﴾ وَهُوَ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ ١٩٤: ﴿عَلَى قَلْبِكَ لَتَكُونَ مِنَ الْمُنذَرِينَ﴾ نَزَلَ بِهِ مَلَكٌ كَرِيمٌ أَمِينٌ ذُو مَكَانَةٍ عِنْدَ اللَّهِ مَطَاعٌ فِي الْمَلَأِ الْأَعْلَى ﴿عَلَى قَلْبِكَ﴾ يَأْمُرُ سَالِمًا مِنَ الزِّيَادَةِ وَالنَّقْصِ، لَتُنذِرَ بِهِ بِأَسْمَاءِ اللَّهِ وَنَقَمَتِهِ عَلَى مَنْ خَالَفَهُ وَكَذَّبَهُ ١٩٥: ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾ هَذَا الْقُرْآنَ أَنْزَلْنَاهُ بِاللِّسَانِ الْعَرَبِيِّ الْفَصِيحِ؛ لِيَكُونَ بَيِّنًا وَاضِحًا لِلْعَذْرَاءِ مَقْبُولًا لِلْحَجَّةِ. وَقَالَ سَفِيانُ الثَّوْرِيُّ: لَمْ يَنْزَلْ وَحْيِي إِلَّا بِالْعَرَبِيَّةِ، ثُمَّ تَرَجَمَ كُلُّ نَبِيٍّ لِقَوْمِهِ ١٩٦: ﴿وَإِنَّهُ لَقَوْلِي زُبُرِ الْأُولِينَ﴾ هَذَا الْقُرْآنَ مَوْجُودٌ فِي كُتُبِ الْأُولِينَ الْمَأْتُورَةِ عَنْ أُنْبِيَائِهِمُ الَّذِينَ بَشَّرُوا بِهِ فِي قَدِيمِ الدَّهْرِ وَحَدِيثِهِ [مِنَ التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ] ١٩٧: ﴿أَوَّلُ يَكُنُّ هُمْ آيَةٌ أَنْ يَعْلَمَهُ عُلَمَاءُ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ كَعْبِدَ اللَّهُ بِنِ سَلَامٍ وَسَلْمَانَ الْفَارِسِيِّ عَمَّنْ أَدْرَكَهُ مِنْهُمْ وَمَنْ شَاكَلَهُمْ ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ﴾ ١٩٨: ﴿وَلَوْ أَنْزَلْنَاهُ عَلَى بَعْضِ الْأَعْجَمِينَ﴾ لَوْ نَزَلَ الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْأَعْجَمِ ١٩٩: ﴿فَقَرَأَهُ عَلَيْهِمْ مَا كَانُوا بِهِ مُؤْمِنِينَ﴾ وَهَذَا إِخْبَارٌ عَنْ كُفْرِ قَرِيشٍ وَعِنَادِهِمْ لِهَذَا الْقُرْآنِ ٢٠٠: ﴿كَذَلِكَ سَلَكْنَاهُ الْكُفْرَ﴾ سَلَكْنَا التَّكْذِيبَ وَالْكَفْرَ ﴿فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ﴾ ٢٠١: ﴿لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ﴾ بِالْحَقِّ ﴿حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾ حَيْثُ لَا يَنْفَعُ الظَّالِمِينَ مَعْرِضُهُمْ ٢٠٢: ﴿فِي آيَاتِهِمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [بِآيَاتِنَا الْعَذَابِ] ٢٠٣: ﴿فَيَقُولُوا هَلْ نَحْنُ مُنْظَرُونَ﴾ يَتَمَتَّعُونَ حِينَ يُشَاهِدُونَ الْعَذَابَ أَنْ لَوْ أَنْظَرُوا قَلِيلًا لَيَعْمَلُوا فِي زَعْمِهِمْ بِطَاعَةِ اللَّهِ ٢٠٤: ﴿أَفِعْدَابُنَا يَسْتَعْجِلُونَ؟﴾ إِنْكَارًا عَلَيْهِمْ وَتَهْدِيدًا لَهُمْ فَإِنَّهُمْ كَانُوا يَقُولُونَ لِلرَّسُولِ تَكْذِيبًا وَاسْتِعْجَادًا: إِنَّمَا بَعْدَابُ اللَّهِ. ثُمَّ قَالَ تَعَالَى: ٢٠٥: ﴿أَفَرَأَيْتَ إِنْ مَتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ﴾ مِنَ الزَّمَانِ ٢٠٦: ﴿ثُمَّ جَاءَهُمْ مَا كَانُوا يُوعَدُونَ﴾ ثُمَّ جَاءَهُمْ أَمْرُ اللَّهِ أَيُّ شَيْءٍ يَجْرِي عَنْهُمْ مَا كَانُوا فِيهِ مِنَ النِّعَمِ! ٢٠٤: الْآيَةُ مِنْ دَعَاءِ النَّبِيِّ ﷺ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ زَوَالِ نِعْمَتِكَ وَتَحَوُّلِ عَافِيَتِكَ، وَمِنْ فُجَاءَةِ نِقْمَتِكَ، وَمِنْ جَمِيعِ سَخَطِكَ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ رَقْمَ ٢٧٣٩/الْبَابِ الطَّيْبِ/٣٢٣.

وَاتَّقُوا الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالْجِيلَةَ الْأُولِينَ ﴿١٨٤﴾ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ ﴿١٨٥﴾ وَمَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا وَإِنْ نَظُنُّكَ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿١٨٦﴾ فَأَسْقَطْنَا عَيْنَا كِسْفًا مِنَ السَّمَاءِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿١٨٧﴾ قَالَ رَبِّي أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨٨﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابَ يَوْمِ الظُّلَّةِ إِنَّهُ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٨٩﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٩٠﴾ وَإِنْ رَبُّكَ هُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿١٩١﴾ وَإِنَّهُ لَنَزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَى قَلْبِكَ لَتَكُونَ مِنَ الْمُنذَرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ ﴿١٩٥﴾ وَإِنَّهُ لَفِي زُبُرِ الْأُولِينَ ﴿١٩٦﴾ أَوَّلُ يَكُنُّ هُمْ آيَةٌ أَنْ يَعْلَمَهُ عُلَمَاءُ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿١٩٧﴾ وَلَوْ أَنْزَلْنَاهُ عَلَى بَعْضِ الْأَعْجَمِينَ ﴿١٩٨﴾ فَقَرَأَهُ عَلَيْهِمْ مَا كَانُوا بِهِ مُؤْمِنِينَ ﴿١٩٩﴾ كَذَلِكَ سَلَكْنَاهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ ﴿٢٠٠﴾ لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴿٢٠١﴾ فَيَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٠٢﴾ فَيَقُولُوا هَلْ نَحْنُ مُنْظَرُونَ ﴿٢٠٣﴾ أَفِعْدَابُنَا يَسْتَعْجِلُونَ ﴿٢٠٤﴾ أَفَرَأَيْتَ إِنْ مَتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ ﴿٢٠٥﴾ ثُمَّ جَاءَهُمْ مَا كَانُوا يُوعَدُونَ ﴿٢٠٦﴾

لَتَكُونَ مِنَ الْمُنذَرِينَ ﴿١٩٤﴾ نَزَلَ بِهِ مَلَكٌ كَرِيمٌ أَمِينٌ ذُو مَكَانَةٍ عِنْدَ اللَّهِ مَطَاعٌ فِي الْمَلَأِ الْأَعْلَى ﴿عَلَى قَلْبِكَ﴾ يَأْمُرُ سَالِمًا مِنَ الزِّيَادَةِ وَالنَّقْصِ، لَتُنذِرَ بِهِ بِأَسْمَاءِ اللَّهِ وَنَقَمَتِهِ عَلَى مَنْ خَالَفَهُ وَكَذَّبَهُ ١٩٥: ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾ هَذَا الْقُرْآنَ أَنْزَلْنَاهُ بِاللِّسَانِ الْعَرَبِيِّ الْفَصِيحِ؛ لِيَكُونَ بَيِّنًا وَاضِحًا لِلْعَذْرَاءِ مَقْبُولًا لِلْحَجَّةِ. وَقَالَ سَفِيانُ الثَّوْرِيُّ: لَمْ يَنْزَلْ وَحْيِي إِلَّا بِالْعَرَبِيَّةِ، ثُمَّ تَرَجَمَ كُلُّ نَبِيٍّ لِقَوْمِهِ ١٩٦: ﴿وَإِنَّهُ لَقَوْلِي زُبُرِ الْأُولِينَ﴾ هَذَا الْقُرْآنَ مَوْجُودٌ فِي كُتُبِ الْأُولِينَ الْمَأْتُورَةِ عَنْ أُنْبِيَائِهِمُ الَّذِينَ بَشَّرُوا بِهِ فِي قَدِيمِ الدَّهْرِ وَحَدِيثِهِ [مِنَ التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ] ١٩٧: ﴿أَوَّلُ يَكُنُّ هُمْ آيَةٌ أَنْ يَعْلَمَهُ عُلَمَاءُ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ كَعْبِدَ اللَّهُ بِنِ سَلَامٍ وَسَلْمَانَ الْفَارِسِيِّ عَمَّنْ أَدْرَكَهُ مِنْهُمْ وَمَنْ شَاكَلَهُمْ ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ﴾ ١٩٨: ﴿وَلَوْ أَنْزَلْنَاهُ عَلَى بَعْضِ الْأَعْجَمِينَ﴾ لَوْ نَزَلَ الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْأَعْجَمِ ١٩٩: ﴿فَقَرَأَهُ عَلَيْهِمْ مَا كَانُوا بِهِ مُؤْمِنِينَ﴾ وَهَذَا إِخْبَارٌ عَنْ كُفْرِ قَرِيشٍ وَعِنَادِهِمْ لِهَذَا الْقُرْآنِ ٢٠٠: ﴿كَذَلِكَ سَلَكْنَاهُ الْكُفْرَ﴾ سَلَكْنَا التَّكْذِيبَ وَالْكَفْرَ ﴿فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ﴾ ٢٠١: ﴿لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ﴾ بِالْحَقِّ ﴿حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾ حَيْثُ لَا يَنْفَعُ الظَّالِمِينَ مَعْرِضُهُمْ ٢٠٢: ﴿فِي آيَاتِهِمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [بِآيَاتِنَا الْعَذَابِ] ٢٠٣: ﴿فَيَقُولُوا هَلْ نَحْنُ مُنْظَرُونَ﴾ يَتَمَتَّعُونَ حِينَ يُشَاهِدُونَ الْعَذَابَ أَنْ لَوْ أَنْظَرُوا قَلِيلًا لَيَعْمَلُوا فِي زَعْمِهِمْ بِطَاعَةِ اللَّهِ ٢٠٤: ﴿أَفِعْدَابُنَا يَسْتَعْجِلُونَ؟﴾ إِنْكَارًا عَلَيْهِمْ وَتَهْدِيدًا لَهُمْ فَإِنَّهُمْ كَانُوا يَقُولُونَ لِلرَّسُولِ تَكْذِيبًا وَاسْتِعْجَادًا: إِنَّمَا بَعْدَابُ اللَّهِ. ثُمَّ قَالَ تَعَالَى: ٢٠٥: ﴿أَفَرَأَيْتَ إِنْ مَتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ﴾ مِنَ الزَّمَانِ ٢٠٦: ﴿ثُمَّ جَاءَهُمْ مَا كَانُوا يُوعَدُونَ﴾ ثُمَّ جَاءَهُمْ أَمْرُ اللَّهِ أَيُّ شَيْءٍ يَجْرِي عَنْهُمْ مَا كَانُوا فِيهِ مِنَ النِّعَمِ!

٢٠٧: ﴿مَا أَعْنَىٰ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَمْتَعُونَ﴾ لو
أخبرناهم برهةً من الزمان وإن طال ثم جاءهم
أمر الله أي شيء يُجدي عنهم؟! ٢٠٨: ﴿وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا لَهَا مُنْذِرُونَ﴾ هذا
من عدله سبحانه في خلقه أنه ما أهلك أمةً
من الأمم إلا بعد الإعدار إليهم ببعثة الرسل
إليهم، كما قال تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ
نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ ٢٠٩: ﴿ذُكِّرُوا﴾ [أي: في
تعليمهم حيث قدّمنا الحجّة عليهم وإنذارنا
إليهم ٢١٠: ﴿وَمَا تَزَلَّتْ بِهِ الشَّيَاطِينُ﴾
يُخبر تعالى عن كتابه العزيز الذي لا يأتيه
الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيلٌ من
حكيم حميد؛ أن هذا القرآن نورٌ وهدىً فيبينه
وبين الشياطين منافاة عظيمة؛ لأنّ من
سجايهم الفساد وإضلال العباد، ولهذا قال
تعالى: ٢١١: ﴿وَمَا يَنْبَغِي لَهُمْ
وَمَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ ثم أخبر تعالى أنّهم بمعزلٍ
عن استماع القرآن حال نزوله ١١٢: ﴿إِنَّهُمْ
عَنِ السَّمْعِ لَمَعْزُونَ﴾ لأنّ السَّمْعَ مَلَقَتْ
حرساً شديداً في مُدَّةِ إِنْزَالِ الْقُرْآنِ، فلم يخلص
أحدٌ من الشياطين إلى استماع حرف، وهذا
من رحمة الله بعباده، وحفظه لشرعه وتأييده
لرسوله ١١٣: ﴿فَلَا تُدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ
فَتَكُونَ مِنَ الْمُعَذِّبِينَ﴾ يأمر تعالى عباده
بعبادته وحده لا شريك له، وأخبر أنّ من
أشرك به عدوّته، ثم قال لرسوله صلى الله عليه
وآله وسلم: ١١٤: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ
الْأَقْرَبِينَ﴾ وآته لا يخلص أحداً منهم إلا إيمانهُ

مَا أَعْنَىٰ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَمْتَعُونَ ﴿٢٠٧﴾ وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا
لَهَا مُنْذِرُونَ ﴿٢٠٨﴾ وَذُكِّرُوا ﴿٢٠٩﴾ وَمَا تَزَلَّتْ بِهِ
الشَّيَاطِينُ ﴿٢١٠﴾ وَمَا يَنْبَغِي لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٢١١﴾ إِنَّهُمْ
عَنِ السَّمْعِ لَمَعْزُونَ ﴿٢١٢﴾ فَلَا تُدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَكُونَ
مِنَ الْمُعَذِّبِينَ ﴿٢١٣﴾ وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾ وَأَخْفِضْ
جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢١٥﴾ فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنَّي
بِرِيءٍ مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢١٦﴾ وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ ﴿٢١٧﴾ الَّذِي
يُرِيدُكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقَلِّبُكَ فِي السَّجْدِينَ ﴿٢١٩﴾ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ
الْعَلِيمُ ﴿٢٢٠﴾ هَلْ أَنْتُمْ كُمْ عَلَىٰ مَنْ نَزَّلَ الشَّيَاطِينُ ﴿٢٢١﴾ نَزَّلَ عَلَىٰ
كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٢٢٢﴾ يَلْقَوْنَ السَّمْعَ وَأَكْثُهُمْ كَذِبُونَ ﴿٢٢٣﴾
وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ ﴿٢٢٤﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ
يَهِيمُونَ ﴿٢٢٥﴾ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴿٢٢٦﴾ إِلَّا الَّذِينَ
آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَانْتَصَرُوا مِنْ
بَعْدِ مَا ظَلَمُوا وَسِعَعِلْمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ ﴿٢٢٧﴾

سُورَةُ التِّمُّكِ

بربه عز وجل ١١٥: ﴿واخفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ أمره تعالى أن يَلينَ جانبَهُ لِمَنِ اتَّبَعَهُ من عباد الله من المؤمنين ١١٦: ﴿فَإِنْ
عَصَوْكَ فَقُلْ إِنَّي بِرِيءٍ مِّمَّا تَعْمَلُونَ﴾ لما نزلت هذه الآية دعا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قريشاً، فعمَّ وخصَّ فقال: [يامعشر قريش أنقذوا
أنفسكم مِنَ النَّارِ... يامعشر بني هاشم أنقذوا أنفسكم مِنَ النَّارِ... يافاطمة بنت محمد أنقذي نفسك مِنَ النَّارِ؛ فَإِنِّي وَاللَّهِ لَا أَمْلِكُ لَكُمْ مِنَ اللَّهِ
شَيْئًا إِلَّا أَنْ لَكُمْ رَحْمًا سَأَلْتُهَا بِبِلَالِهَا] [أي: أصلكم في الدنيا ولا أعني عنكم من الله شيئاً] ١١٧: ﴿وتوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ﴾ في جميع أمورك
فإنه حافظك وناصرك ١١٨: ﴿الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ﴾ هو مُعْتَنٍ بِكَ ١١٩: ﴿وتَقَلِّبُكَ فِي السَّجْدِينَ﴾ في الجمع [في المصلين] ٢٢٠: ﴿إنه هو السميعُ
الْعَلِيمُ﴾ لأفوال عباده [العلم] بمركاتهم ٢٢١: ﴿هَلْ أَنْتُمْ كُمْ عَلَىٰ مَنْ نَزَّلَ الشَّيَاطِينُ﴾؟ ٢٢٢: ﴿نَزَّلَ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ﴾ على
الكدوب الفاجر مِنَ الكَهَنَةِ الْفَسَقَةِ ٢٢٣: ﴿يَلْقَوْنَ السَّمْعَ﴾ يسترقون السمعَ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ عِلْمِ الْغَيْبِ، فيزيدون معها مائة كذبة ثم يلقونها
إلى أوليائهم ﴿وَأَكْثُهم كاذِبُونَ﴾ ٢٢٤: ﴿والشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ﴾ من ضلال الإنس ٢٢٥: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ
يَهِيمُونَ﴾ في كل فنٍ مِنَ الكلام، ويمدح بباطل ويدم بباطل ٢٢٦: ﴿وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ﴾ أكثر قولهم يكذبون فيه ٢٢٧: ﴿إِلَّا الَّذِينَ
آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ [كأمثال حسان بن ثابت وعبد الله بن رواحة الذين ينتصرون بشعرهم للإسلام] ﴿وذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا﴾ في شعرهم
﴿وانتصروا﴾ للحق ﴿من بعد ما ظلموا وسيعلم الذين ظلموا أيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ﴾ [وفي هذا تهديدٌ ووعيدٌ لكل ظالم.]

١: ﴿طَسَ تَلْكَ آيَاتُ الْقُرْآنِ وَكِتَابٍ مُبِينٍ﴾
تقدم الكلام عن الحروف المقطعة في سورة البقرة ﴿تلك﴾ هذه آيات القرآن بينة واضحة
٢: ﴿هُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ إنما تحصل الهداية والبشارة من القرآن لمن آمن به واتبعه
٣: ﴿الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾ أقام الصلاة المكتوبة وآتى الزكاة المفروضة وأيقن بالدار الآخرة
٤: ﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ يَكذِبُونَ بِهَا وَيَسْتَعْبِدُونَ وَقَوْعَهَا ﴿زَيْتًا لَمْ أَعْمَلْهُمْ فَعَمَّهَ يَوْمَهُمْ﴾ حسناً لهم ما هم فيه ومددنا لهم في غيهم فهم ينيهون في صلاتهم، وهذا جزاء ما كذبوا من الدار الآخرة ٥: ﴿أولئك الذين لهم سوء العذاب﴾ في الدنيا والآخرة ﴿وهم في الآخرة هم الأخسرون﴾ يخسرون أنفسهم [يَكْفُرُهُمْ] ٦: ﴿وَأَنَّكَ يَا مُحَمَّد ﴿لَتَلْقَى﴾ لتأخذ ﴿القرآن من لَدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ﴾ من عند حكيم في أمره ونهيه، علم بالأمور جليلها وحقيقها. فخير الصدق وحكمه العدل ٧: ﴿إِذْ قَالَ مُوسَى لِأَهْلِهِ إِنِّي آنستُ ناراً حين سار موسى بأهله فأضل الطريق في ظلام الليل فأنس من جانب الطور ناراً تأجج، فقال لأهله ﴿سَأْتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ بَشِيرٍ أَوْ نَذِيرٍ﴾ فسار موسى لعلكم تَصْطَلُونَ﴾ تستدفنون به ٨: ﴿فلما جاءها نودي أن بورك من في النار ومن حولها﴾ فلما انتهى إليها النار تضطرم في شجرة خضراء لاتزداد النار إلا توقداً ولاتزداد الشجرة إلا خضرةً ونضرةً، ثم رفع رأسه فإذا نورها متصل بعنان السماء. وتلك النار هي نور يتوهج، ﴿وسبحان الله رب العالمين﴾ الذي يفعل ما يشاء ٩: ﴿يا موسى إنه أنا الله العزيز الحكيم﴾ أعلمه أن الذي يخاطبه ويتأججه هو ربُّه الله العزيز الحكيم، ثم أمره أن يلقي عصاه من يده ليظهر له دليلاً واضحاً على أنه القادر على كل شيء فقال تعالى: ١٠: ﴿وَأَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رآها تهتراً كأنها جَانٌ﴾ انقلبت في الحال حية عظيمة هائلة، والجآن: ضربٌ من الحيات أسرع حركة وأكثره اضطراباً، فلما عاين موسى ذلك ﴿ولم يعقب﴾ لم يلتفت من شدة فرقه ﴿يا موسى لا تخف إني لا يخاف لدي المرسلون﴾ لا تخف مما ترى فإني أريد أن أصطفيك رسولاً ١١: ﴿إِلَّا مَنْ ظَلَمَ﴾ ثم بدل حسناً بعد سوء ﴿هذا استثناء منقطع، وفيه بشارة عظيمة للبشر ﴿فإني غفور رحيم﴾، وذلك أن من كان على عمل شيء ثم تاب فإن الله يتوب عليه ١٢: ﴿وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ﴾ في تسع آيات من تسع آيات، ﴿وَأُوتِيكَ مِنْهَا حَبْلًا وَأَجْعَلَنَّ مِنْهَا لَكِ نَارًا مِثْلَ النَّارِ﴾ ﴿إلى فرعون وقومه إنهم كانوا قوماً فاسقين﴾ ١٣: ﴿فلما جاءتهم مبصرة﴾ بيئة واضحة ﴿قالوا هذا سحرٌ مبين﴾ وأرادوا معارضته بسحرهم فغلبوا وانقلبوا صاغرين .

التبين
٣٨

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

طَسَ تَلْكَ آيَاتُ الْقُرْآنِ وَكِتَابٍ مُبِينٍ ﴿١﴾ هُدًى وَبُشْرَى
لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ
بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٣﴾ إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ زَيَّنَّا لَهُمْ
أَعْمَالَهُمْ فَهُمْ يَعْمَهُونَ ﴿٤﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَهُمْ سُوءُ الْعَذَابِ
وَهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْآخَسِرُونَ ﴿٥﴾ وَإِنَّكَ لَتَلْقَى الْقُرْآنَ مِنْ
لَدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ ﴿٦﴾ إِذْ قَالَ مُوسَى لِأَهْلِهِ إِنِّي آنستُ ناراً سَأْتِيكُمْ
مِنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ بَشِيرٍ أَوْ نَذِيرٍ فَسَبَّحْتَ بِحَمْدِ اللَّهِ رَبِّكَ
وَأَلْقَيْتَ عَصَاكَ فَالْحَكِيمُ الْعَلِيمُ ﴿٧﴾ فَلَمَّا
جَاءَهَا نُودِيَ أَنْ بُورِكَ مَنْ فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسَبَّحَ اللَّهُ رَبَّ
الْعَالَمِينَ ﴿٨﴾ يَمْوَسِي إِنَّهُ أَنَا اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٩﴾ وَأَلْقِ عَصَاكَ
فَلَمَّا رَأَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَّى يُعَقِّبُ يَمْوَسِي لَاتَخَفْ
إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَى الْمَرْسُولِ ﴿١٠﴾ إِلَّا مَنْ ظَلَمَ ثُمَّ بَدَلْ حَسَنًا بَعْدَ
سُوءٍ فَإِنِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١١﴾ وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ
مِنْ غَيْرِ سُوءٍ فِي تِسْعِ آيَاتٍ إِلَى فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ
﴿١٢﴾ فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ آيَاتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ ﴿١٣﴾

حيث انتهى إليها النار تضطرم في شجرة خضراء لاتزداد النار إلا توقداً ولاتزداد الشجرة إلا خضرةً ونضرةً، ثم رفع رأسه فإذا نورها متصل بعنان السماء. وتلك النار هي نور يتوهج، ﴿وسبحان الله رب العالمين﴾ الذي يفعل ما يشاء ٩: ﴿يا موسى إنه أنا الله العزيز الحكيم﴾ أعلمه أن الذي يخاطبه ويتأججه هو ربُّه الله العزيز الحكيم، ثم أمره أن يلقي عصاه من يده ليظهر له دليلاً واضحاً على أنه القادر على كل شيء فقال تعالى: ١٠: ﴿وَأَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رآها تهتراً كأنها جَانٌ﴾ انقلبت في الحال حية عظيمة هائلة، والجآن: ضربٌ من الحيات أسرع حركة وأكثره اضطراباً، فلما عاين موسى ذلك ﴿ولم يعقب﴾ لم يلتفت من شدة فرقه ﴿يا موسى لا تخف إني لا يخاف لدي المرسلون﴾ لا تخف مما ترى فإني أريد أن أصطفيك رسولاً ١١: ﴿إِلَّا مَنْ ظَلَمَ﴾ ثم بدل حسناً بعد سوء ﴿هذا استثناء منقطع، وفيه بشارة عظيمة للبشر ﴿فإني غفور رحيم﴾، وذلك أن من كان على عمل شيء ثم تاب فإن الله يتوب عليه ١٢: ﴿وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ﴾ في تسع آيات من تسع آيات، ﴿وَأُوتِيكَ مِنْهَا حَبْلًا وَأَجْعَلَنَّ مِنْهَا لَكِ نَارًا مِثْلَ النَّارِ﴾ ﴿إلى فرعون وقومه إنهم كانوا قوماً فاسقين﴾ ١٣: ﴿فلما جاءتهم مبصرة﴾ بيئة واضحة ﴿قالوا هذا سحرٌ مبين﴾ وأرادوا معارضته بسحرهم فغلبوا وانقلبوا صاغرين .

وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانظُرْ كَيْفَ
 كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ﴿١٤﴾ وَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا
 وَقَالَ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلْنَا عَلَى كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥﴾
 وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عِلْمَنَا مِثْقَ الطَّيْرِ
 وَأُوتِينَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ ﴿١٦﴾ وَحِشْرَ
 لِّسَلِيمَانَ جُنُودَهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٧﴾
 حَتَّىٰ إِذَا تَوَاتَوْا عَلَىٰ وَادِ النَّعْمِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّعْمُ ادْخُلُوا
 مَسَكِنَكُمْ لَا يَحْطُمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٨﴾
 فَنَبَسًا ضَاحِكًا مِّنْ قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ
 نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا
 تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ ﴿١٩﴾
 وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ
 الْغَائِبِينَ ﴿٢٠﴾ لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ
 أَوْ لَأَأْتِيَنِّي بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴿٢١﴾ فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ
 أَحَطْتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَأٍ يَقِينٍ ﴿٢٢﴾

٢٧٨

١٤: ﴿وَجَحَدُوا بِهَا﴾ في ظاهر أمرهم ﴿وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ﴾ علموا في أنفسهم أنها حق من عند الله ولكن جحدوها وعاندوها ﴿ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾ استكباراً عن اتباع الحق، ولهذا قال تعالى: ﴿فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾ كيف كان عاقبة أمرهم في إهلاك الله إياهم وإغراقهم عن آخرهم. وفحوى الخطاب: احذروا أيها المكذَّبون لمحمد أن يصيبكم مآصياتهم، فإن محمداً أشرف وأعظم من موسى ١٥: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا﴾ يُخبر تعالى عما أنعم به على عبديه وسبيبه داود وابنه سليمان من النعم الجلييلة ﴿وَقَالَ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلْنَا عَلَى كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ بالملك التام والنبوة والرسالة في الدين ١٦: ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ﴾ في الملك والنبوة ﴿وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عِلْمَنَا مِثْقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ﴾ أخبرهم سليمان بنعم الله عليه فيها وبهبه له من الملك التام والتحكين العظيم، حتى إنه سخر له الإنسَ والجنَّ والطيرَ وسائر المخلوقات، وكان الله قد أفهم سليمان ما يخاطب الطيور في الهواء وامتدح به الحيوانات على اختلاف أصنافها، ﴿إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ﴾ الظاهر البين لله علينا ١٧: ﴿وَحِشْرَ لِّسَلِيمَانَ جُنُودَهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ وَالطَّيْرِ﴾ جمع له هؤلاء؛ يعني ركب فيهم في أبهة وعظمة كبيرة، والطير فوق رأسه، أطلت بأجنحتها، ﴿فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾ يكفأ أولهم على آخرهم لئلا يتقدم أحد عن منزلته التي هي مرتبة له، كما يفعل

الملوك اليوم ١٨: ﴿حَتَّىٰ إِذَا تَوَاتَوْا عَلَىٰ وَادِ النَّعْمِ﴾ بمن معه من الجنود ﴿قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّعْمُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ﴾ خافت على النمل ﴿لَا يَحْطُمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ ففهم سليمان عليه السلام ذلك منها: ١٩: ﴿فَنَبَسًا ضَاحِكًا مِّنْ قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ﴾ ألهمني أن أشكر نعمتك التي مننت بها عليّ والديّ بالإسلام لك والإيمان بك، وأن أعمل عملاً ترضاه وتبته ﴿وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ﴾ إذا توفيتني فألحقني بالصالحين من عبادك، والرفيق الأعلى من أوليائك ٢٠: ﴿وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهُدْهُدَ﴾ وكان الهدهد مهندساً يدلّ سليمان عليه السلام على الماء في تخوم الأرض ويعرف كم مساحة بُعده من وجه الأرض، فإذا دلّهم عليه أمر سليمان الجنّ فحفروا ذلك المكان حتى يستنبط الماء من قراره. فنزل سليمان يوماً بفلاة من الأرض فنفقده الهدهد ﴿فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ﴾؟ أخطأه بصري أم غاب فلم يحضر؟ ٢١: ﴿لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا﴾ يعني نشف ريشه ﴿أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ﴾ أقتله ﴿أَوْ لَأَأْتِيَنِّي بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ﴾ وبعذر واضح ٢٢: ﴿فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ﴾ غاب يسيراً، ثم جاء فقال سليمان: ﴿أَحَطْتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ﴾ أنت ولا جنودك ﴿وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَأٍ يَقِينٍ﴾ بخبر صدقٍ حقّ اليقين. وسبأ: هم حمير، وهم ملوك اليمن.

الآية: ١٩ وقد ثبت في الصحيح عند مسلم عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «قرصت نبيّاً من الأنبياء نملّة، فأمر بقرية النمل فأحرقّت، فأخى الله إليه: أي في قرصتك نملّة أهلكت أنة من الأمم تُنسَخ، فهلا نملّة واحدة؟!» /ابن كثير ج ٣/ ٣٥٩
 الآية: ٢٠ روى الإمام أحمد بإسناد صحيح وأبو داود عن أبي هريرة قال: نبى النبي ﷺ عن أربع من الدواب: النملة والنحلة والهدهد، والصدرد. /ابن كثير ج ٣/ ٣٦١

٢٣: ﴿إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ﴾ وهي بلقيس كانت من بيت مملكة على اليمن ﴿وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ﴾ من متاع الدنيا مما يحتاج إليه الملك التمكن ﴿ولها عرش عظيم﴾ يعني: سرير تجلس عليه عظيم هائل مزخرف بالذهب والجواهر ٢٤: ﴿وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَزَيْنُ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ﴾ عن طريق الحق ﴿فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ﴾ ٢٥: ﴿أَلَا يَسْجُدُونَ لِلَّهِ﴾ معناه: ﴿وَزَيْنُ لَهُمُ الشَّيْطَانُ.. أَلَا يَسْجُدُوا لِلَّهِ﴾ لا يعرفون سبيل الحق التي هي إخلاص السجود لله وحده دون ما خلق من الكواكب وغيرها. ﴿الذي يخرج الحباء في السموات والأرض﴾ يعلم كل حبيبة في السماء والأرض، وهو ما جعل فيها من الأرزاق؛ المطر والنبات والماء في تخوم الأرض. ﴿ويعلم ما تخفون وما يعلنونه﴾ يعلم ما يخفيه العباد وما يعلنونه من الأقوال والأفعال ٢٦: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾ هو المدعو وهو الله الذي ليس في المخلوقات أعظم منه. ولما كان المهدد داعياً إلى الخير وعبادة الله نهي عن قتله ٢٧: ﴿قَالَ سَنَنْظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ في خبرك لتتخلص من الوعيد الذي أوعدتك؟ ٢٨: ﴿أَذْهَبْ بِكِتَابِي هَذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَانظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ﴾؟ أعطاه ذلك فحمله فجاء إلى قصر بلقيس فألقاه إليها، فتحيرت مما رأت وهاهنا ذلك، ثم عمدت

سورة النمل
٢٨
سجدة

إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَزَيْنُ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٢٤﴾ أَلَا يَسْجُدُونَ لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبَاءَ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿٢٥﴾ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴿٢٦﴾ قَالَ سَنَنْظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٢٧﴾ أَذْهَبْ بِكِتَابِي هَذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَانظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾ قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ ﴿٢٩﴾ إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿٣٠﴾ أَلَا تَعْلَمُونَ عَلِيَّ وَأُتُونِي مُسْلِمِينَ ﴿٣١﴾ قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنتُ قاطِعَةً أَمْرًا حَتَّى تَشْهَدُونِ ﴿٣٢﴾ قَالُوا نَحْنُ أَوْلُوا قُوَّةً وَأُولُوا بَأْسٍ شَدِيدٍ وَالْأَمْرُ لِلَّهِ فَانظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ ﴿٣٣﴾ قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعْرَاجَ أَهْلِهَا آذِلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٣٤﴾ وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ ﴿٣٥﴾

إلى الكتاب فأخذته وقرأته ٢٩: ﴿قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ﴾ ٣٠: ﴿إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ ٣١: ﴿أَلَا تَعْلَمُونَ عَلِيَّ وَأُتُونِي مُسْلِمِينَ﴾ فجمعت عند ذلك أمراءها ووزراءها وكبراء دولتها ومملكتها، فأخبرتهم بما رأته من عجب أمره، كون طاير جاء به فألقاه إليها ثم تولى عنها أذبا، وهذا أمر لا يقدر عليه أحد من الملوك، ولا سبيل لهم إلى ذلك، ثم قرأته عليهم، فعرفوا أنه من نبي الله سليمان عليه السلام، وأنه لا يقبل لهم به، وهذا الكتاب في غاية البلاغة والوجازة والفصاحة، فإنه حصل المعنى بأيسر عبارة وأحسنها ﴿أَلَا تَعْلَمُونَ عَلِيَّ﴾ لانتجيبوا ولانتكبروا، ﴿وَأُتُونِي مُسْلِمِينَ﴾ مطيعين ٣٢: ﴿قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنتُ قاطِعَةً أَمْرًا حَتَّى تَشْهَدُونِ﴾ تحضرون وتُشهيرون ٣٣: ﴿قَالُوا نَحْنُ أَوْلُوا قُوَّةً وَأُولُوا بَأْسٍ شَدِيدٍ وَالْأَمْرُ لِلَّهِ فَانظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ﴾؟ نحن ليس لنا عاقبة إن شئت أن نقصديه وتحاربه، فلما قالوا لها ما قالوا كانت هي أحزم رأياً منهم وأعلم بأمر سليمان، وأنه لا يقبل لها بجنوده وجيوشه، ولهذا قالت: ٣٤: ﴿قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً﴾ بلدة عنوة ﴿أَفْسَدُوهَا﴾ خربوها ﴿وَجَعَلُوا أَعْرَاجَ أَهْلِهَا آذِلَّةً﴾ من فيها من الولاة والجنود فأهانوهم بالقتل والأسر ﴿وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ﴾، ثم عدلت إلى المصالحة والمصانعة فقالت: ٣٥: ﴿وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ﴾ سأبعث إليه هدية تليق بمثله وأنظُرُ ماذا يكون جوابه بعد ذلك، فلعله يقبل ويكف عتاً .

الآية: ٢٣ روى البخاري من حديث ابن عباس أن النبي ﷺ لما بلغه أن أهل فارس قد ملكوا بنت كسرى، قال: «لن يفلح قوم ولّوا أمرهم امرأة»، قال القاضي أبو بكر ابن العربي: هذا نص في أن المرأة لا تكون خليفة. وقال أبو حنيفة: لا تكون قاضية على الإطلاق. / القرطبي ج ١٣/ ١٨٢.

فَلَمَّا جَاءَ سَلِيمَنَ قَالَ أُنْمِدُ وَنِ بِمَالٍ فَمَا آتَنِي اللَّهُ خَيْرٌ مِمَّا آتَاكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بِهَدْيَتِكُمْ تَفْرَحُونَ ﴿٣٦﴾ أَرْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَهُمْ بِجُودٍ لَّا قَبِيلَ لَهُمْ يَا لَنُجْرَجَهُمْ مِّنْهَا آذَلَّةٌ وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴿٣٧﴾ قَالَ يَتَأَيَّأُ الْمَلَأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ ﴿٣٨﴾ قَالَ عَفْرَيْتُ مِنَ الْجِنِّ أَنَاءَ إِلَيْكَ بِهِ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيَّ أَمِينٌ ﴿٣٩﴾ قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ قَالَ هَذَا مِن فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ ﴿٤٠﴾ قَالَ تَكَرُّوا لَهَا عَرْشَهَا نَنظُرْ أَتَنْهَدِي أَمْ تَكُونُ مِنَ الَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٤١﴾ فَلَمَّا جَاءَتْ قِيلَ أَهَكَذَا عَرْشُكَ قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ وَأُوَيْدِنَا الْعَلَمُ مِن قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ ﴿٤٢﴾ وَصَدَّهَا مَا كَانَتْ تَعْبُدُ مِن دُونِ اللَّهِ إِنَّهَا كَانَتْ مِن قَوْمٍ كَافِرِينَ ﴿٤٣﴾ قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَن سَاقِيهَا قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرٍ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سَلِيمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٤﴾

٣٦: ﴿فَلَمَّا جَاءَ سَلِيمَانَ﴾ من الهدية العظيمة ﴿قَالَ أُنْمِدُ وَنِ بِمَالٍ﴾ أُنصَابُونِي بِمَالٍ لِأَتُرَكِّمَ عَلَى شُرَكَكُمْ وَمُلُوكِكُمْ؟ ﴿فَمَا آتَانِي اللَّهُ خَيْرٌ مِمَّا آتَاكُمْ﴾ الَّذِي أَعْطَانِي اللَّهُ مِنَ الْمُلْكِ وَالْمَالِ وَالْجَنُودِ خَيْرٌ مِمَّا أَنْتُمْ فِيهِ ﴿بَلْ أَنْتُمْ بِهَدْيَتِكُمْ تَفْرَحُونَ﴾ أَنْتُمْ تَتَقَادُونَ لِلْهَدَايَا وَالتَّحْفِ ، أَمَا أَنَا فَلَأَقْبِلُ مِنْكُمْ إِلَّا الْإِسْلَامَ أَوْ السِّيفَ ٣٧: ﴿أَرْجِعْ إِلَيْهِمْ﴾ بِهَدْيَتِهِمْ ﴿فَلَنَأْتِيَهُمْ بِجُودٍ لَّا قَبِيلَ لَهُمْ﴾ لِإِطَاقَةِ لَهُمْ بِقِسْمِهِمْ ، وَلِنُجْرَجَهُمْ مِّنْهَا آذَلَّةٌ وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴿وَلِنُجْرَجَهُمْ مِّنْ بِلَدَّتِهِمْ آذَلَّةٌ مَّدْحُورِينَ﴾ فَلَمَّا رَجَعَتْ إِلَيْهَا رُسُلُهَا بِهَدْيَتِهَا وَمَا قَالَ سَلِيمَانَ سَمِعْتُ وَأَطَاعْتُ هِيَ وَقَوْمُهَا ، وَلَمَّا تَحَقَّقَ سَلِيمَانَ قَدُومَهُمْ سُرَّ بِذَلِكَ ٣٨: ﴿قَالَ يَأْتِيهَا الْمَلَأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ﴾؟ فَتَحْرَمُ عَلَيَّ أَمْوَالَهُمْ بِإِسْلَامِهِمْ ، كَرِهَ أَن يَأْخُذَهُ بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ ٣٩: ﴿قَالَ عَفْرَيْتُ مِنَ الْجِنِّ﴾ مَارَدٌ مِنَ الْجِنِّ كَأَنَّهُ جَبَلٌ : ﴿أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ﴾ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِنْ جَمْعِكَ ، وَكَانَ يَجْلِسُ لِلْقَضَاءِ ، ﴿وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيَّ أَمِينٌ﴾ قَوِيٌّ عَلَى حَمَلِهِ أَمِينٌ عَلَى مَا فِيهِ مِنَ الْجَوْهَرِ ، فَقَالَ سَلِيمَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ : أُرِيدُ أَعْجَلَ مِنْ ذَلِكَ ، وَأُرَادُ بِإِحْضَارِ هَذَا السَّرِيرِ إِظْهَارَ عِظَمَةِ مَا وَهَبَ اللَّهُ لَهُ مِنَ الْمُلْكِ وَمَا سَخَّرَ لَهُ ، لِيَتَّخِذَ ذَلِكَ حُجَّةً عَلَى نَبُوتِهِ عِنْدَ بَلْقَيْسَ وَقَوْمِهَا ٤٠: ﴿قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ﴾ وَكَانَ صَدِيقًا يَعْلَمُ الْاسْمَ الْأَعْظَمَ ﴿أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ﴾

ارفع بصرك وانظر مُدَّ بصرِكَ ، فَلَا يَبْلُغُ مَدَاهُ حَتَّى آتِيكَ بِهِ ، فَدَعَا فَقَالَ : يَا لِهَذَا وَآلِهَ كُلِّ شَيْءٍ لَهَا وَاحِدًا لِإِلَهِةٍ إِلَّا أَنْتَ إِنِّي بِعَرْشِهَا ، فَمُتَّلِّ بِبَيْنِ يَدَيْهِ ﴿فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ قَالَ هَذَا مِن فَضْلِ رَبِّي﴾ مِنْ نَعْمِ رَبِّي الَّذِي أَنْعَمَ عَلَيَّ ﴿لِيَبْلُوَنِي﴾ لِيُخْتَبِرَنِي ﴿أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ﴾ هُوَ غَنِيٌّ عَنِ الْعِبَادِ ، وَعِظْمَتُهُ لَيْسَتْ مَفْتَقَرَةً إِلَى أَحَدٍ ٤١: ﴿قَالَ تَكَرُّوا لَهَا عَرْشَهَا﴾ أَمْرٌ أَنْ يُغَيَّرَ بَعْضُ صِفَاتِهِ لِيُخْتَبِرَ مَعْرِفَتَهَا وَثَبَاتَهَا عِنْدَ رُؤْيَيْهِ ﴿نَنظُرْ أَتَنْهَدِي أَمْ تَكُونُ مِنَ الَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ﴾ ٤٢: ﴿فَلَمَّا جَاءَتْ قِيلَ أَهَكَذَا عَرْشُكَ﴾ عَرْضَ عَلَيْهَا عَرْشِهَا ﴿قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ﴾ يُشْبِهُهُ أَوْ يُقَابِرُهُ ﴿وَأُوَيْدِنَا الْعَلَمُ مِن قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ﴾ أَي : أُوَيْدِنَا الْعِلْمَ بِصِحَّةِ نَبُوتِ سَلِيمَانَ مِنْ قَبْلِ هَذِهِ الْآيَةِ ، وَكُنَّا مُنْقَادِينَ لِأَمْرِهِ ٤٣: ﴿وَصَدَّهَا مَا كَانَتْ تَعْبُدُ مِن دُونِ اللَّهِ﴾ وَمَنْعَهَا سَلِيمَانَ عَمَّا كَانَتْ تَعْبُدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ ﴿إِنَّهَا كَانَتْ مِن قَوْمٍ كَافِرِينَ﴾ فَأَظْهَرَتْ الْإِسْلَامَ ٤٤: ﴿قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَن سَاقِيهَا﴾ ذَلِكَ أَنَّ سَلِيمَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَمَرَ الشَّيَاطِينَ فَنَبَّؤُوا لَهَا قِصْرًا عَظِيمًا مِنْ قَوَارِيرٍ ، أَي : مِنْ زَجَاجٍ ، وَأَجْرَى تَحْتَهُ الْمَاءَ فَالَّذِي لَا يَعْرِفُ أَمْرَهُ يَحْسِبُهُ أَنَّهُ مَاءٌ ، وَلَكِنَّ الزَّجَاجَ يَحْوِلُ بَيْنَ الْمَاشِي وَبَيْنِهِ ، ﴿قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرٍ﴾ ثُمَّ دَعَا سَلِيمَانَ إِلَى عِبَادَةِ اللَّهِ وَحْدَهُ ﴿قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سَلِيمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ فَاسْلَمْتُ وَحَسَّنَ إِسْلَامُهَا .

الآية : ٤٠ : وفي صحيح مسلم قال رسول الله ﷺ : « يقول الله تعالى : يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أتقى قلب رجل منكم ما زاد ذلك في ملكي شيئاً ، يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أفجر قلب رجل منكم ما نقص ذلك من ملكي شيئاً ، يا عبادي إنما هي أعمالكم أحصيها لكم ثم أوفيتكم إياها ، فمن وجد خيراً فليحمد الله ، ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه » . / ابن كثير ج ٣ / ٣٦٤ .

٤٥: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ قَوْمِ آدَمَ صَالِحًا﴾ أخبر تعالى أنه بعث صالحاً إلى قوم فدعاهم إلى عبادة الله وحده ﴿أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ﴾ وحده لا شريك له ﴿فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ﴾ مؤمن وكافر ﴿يَخْتَصِمُونَ﴾ ٤٦: ﴿قَالَ يَا قَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ﴾ لِمَ تدعون بحضور العذاب ولا تطلبون من الله رحمة؟ ولهذا قال: ﴿لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ ٤٧: ﴿قَالُوا أَطِيرْنَا بِكَ وَبِمَنْ مَعَكَ﴾ ما رأينا على وجهك ووجهه أتباعك خيراً، وإنتهم لشقائهم كان لا يصيب أحداً منهم سوءٌ إلا قال هذا من قبل صالح وأصحابه، ﴿قَالَ طَائِفٌ مِّنْكُمْ عِنْدَ اللَّهِ اللَّهُ يُجَازِيكُمْ عَلَىٰ ذَلِكَ﴾، ﴿بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ﴾ تُستدرجون فيما أنتم فيه من الضلال ٤٨: يُخبر تعالى عن طغاة قوم فيقول: ﴿وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ﴾ مدينة قوم رَهْطٌ ﴿تَسْعَةٌ﴾ تسعة نفر ﴿يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ﴾ ٤٩: ﴿قَالُوا تَقَاسَمُوا بِاللَّهِ لَنُقَاتِلَنَّهُ إِن لَّمْ يُؤْتِنَا بُرْهَانًا مِّنْ رَبِّهِ﴾ ثم تلقون لوليه ما شهدنا مهلك أهله وإنا لصادقون ﴿تَوَاتَفَوْا عَلَىٰ أَن يَأْخُذَهُ لَيْلًا فَيَقْتُلُوهُ﴾ ثم ينكروا قوله ٥٠: ﴿وَمَكْرُوا مَكْرًا﴾ وهم الذين عقروا الناقة ﴿وَمَكْرُوا مَكْرًا﴾ وهم لا يشعرون ﴿وَذَلِكَ أَنَّ صَالِحًا قَالَ لَهُمْ لَمَّا عَقَرُوا النَّاقَةَ: ﴿تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ذَلِكَ وَعَدَّ غَيْرَ مَكْدُوبٍ﴾، وكان لصالح مسجد يُصلي فيه في الحجر، فخرجوا إلى غار هناك ليلاً فقالوا إذا جاء يصلي قتلناه ثم رجعنا

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ قَوْمِ آدَمَ صَالِحًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ ﴿٤٥﴾ قَالَ يَا قَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٤٦﴾ قَالُوا أَطِيرْنَا بِكَ وَبِمَنْ مَعَكَ قَالَ طَائِفٌ مِّنْكُمْ عِنْدَ اللَّهِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ ﴿٤٧﴾ وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ سَعَةٌ رَهْطٌ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴿٤٨﴾ قَالُوا تَقَاسَمُوا بِاللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُ وَأَهْلَهُ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ﴿٤٩﴾ وَمَكْرُومًا كَرًّا وَمَكْرُومًا كَرًّا وَهُمْ لَا يُشْعُرُونَ ﴿٥٠﴾ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْرِمِينَ ﴿٥١﴾ فَبِمَا ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ وَبِمَا ظَلَمُوا رَبَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ ﴿٥٢﴾ وَأَنجَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿٥٣﴾ وَلَوْ طَافَ أَلْفٌ مِّنْ قَوْمِ عَادٍ ظَانِفًا لِمِثْلِهِ مَا عَلِمَهَا إِلَّا هُودٌ ثَمِيمٌ ﴿٥٤﴾ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ﴿٥٥﴾ وَأَنجَيْنَا لُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ إِنَّكُمْ لَأَنْتُمْ أَتَىٰكُمُ الْمَوْتُ مِن دُونِ الرِّجَالِ شَهْوَةً مِّن دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ بِجَهَلُونَ ﴿٥٥﴾

إلى أهله ففرغنا منهم، فبعث الله عليهم صخرةً فانطبقت عليهم وهم في ذلك الغار، فلا يدري قومهم أين هم، فعذب الله هؤلاء هاهنا وهؤلاء هاهنا وأنجى الله صالحاً ومن معه ٥١: ﴿فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْرِمِينَ﴾ ٥٢: ﴿فَبِمَا ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ وَبِمَا ظَلَمُوا رَبَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ﴾ ٥٣: ﴿وَأَنجَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾ [أي: يتقون الله ويخافون عذابه. وكان من آمن بصالح قدر أربعة آلاف رجل. والباقي خرج في أبدانهم خراجاً مثل الحمص، فبقيت فيهم ثلاثة أيام ففقت تلك الخراجات، وصاح بهم جبريل صيحةً فخذلوا. وخرج صالح بمن آمن معه إلى حضرموت، فلما دخلها مات صالح عليه السلام] ٥٤: يُخبر تعالى عن رسوله لوط عليه السلام أنه أُنذر قومه نعمة الله بهم في فعلهم الفاحشة وهي إتيان الذكور دون الإناث وذلك فاحشة عظيمة، فقال: ﴿أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ﴾؟ يرى بعضكم بعضاً ٥٥: ﴿أَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ بِجَهَلُونَ﴾ لا تعرفون شيئاً لاطبعاً ولا شرعاً كما قال تعالى في الآية الأخرى: ﴿أَتَأْتُونَ الذِّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ. وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ﴾.

الآية: ٥٥: روى ابن ماجه والترمذي بإسناد حسن والحاكم بإسناد صحيح عن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن أخوف ما أخاف على أمتي من عمل قوم لوط» وروى الحاكم بإسناد صحيح عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «لَعَنَ اللَّهُ سَبْعَةَ مِنْ خَلْقِهِ مِنْ فَوْقِ سَبْعِ سَمَوَاتِهِ، وَرَدَّدَ اللَّعْنَةَ عَلَىٰ وَاحِدٍ مِنْهُمْ ثَلَاثًا... قَالَ: مَلْعُونٌ مِنْ عَمَلِ قَوْمِ لُوطٍ، مَلْعُونٌ مِنْ عَمَلِ قَوْمِ لُوطٍ، مَلْعُونٌ مِنْ عَمَلِ قَوْمِ لُوطٍ، مَلْعُونٌ مِنْ ذِيغِ لُوطٍ... الْحَدِيثُ بِطَوَلِهِ. / التَّرْغِيبُ ج/ ٢٨٥ - ٢٨٧.

٥٦: ﴿لَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِّن قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أَنَاسٌ يَّتَطَهَّرُونَ﴾ يتحرجون من فعل ما تفعلونه، ومن إقراركم على صنعكم فأخرجوهم من بين أظهركم فإنهم لا يصلحون لمجاورتكم، فدمر الله عليهم وللكافرين أمثالها ٥٧: ﴿فَأَنجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ قَدَرْنَا مِنَ الْغَابِرِينَ﴾ من الهالكين مع قومها؛ لأنها كانت زدها لهم على دينهم وعلى طريقتهم في رضاها بأفعالهم القبيحة لا أنها كانت تفعل الفواحش ٥٨:

﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا﴾ حجارة من سجيل منضود مسومة عند ربك وما هي من الظالمين ببتعيد، ولهذا قال تعالى: ﴿فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنذِرِينَ﴾ الذين قامت عليهم الحجة ووصل إليهم الإنذار فخالقوا الرسول وكذبوه وهموا بإخراجه من بينهم ٥٩: يقول تعالى لرسوله صلى الله عليه وآله وسلم أن يقول: ﴿قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى نِعْمِهِ عَلَى عِبَادِهِ، مِنَ النِّعَمِ الَّتِي لَا تُعَدُّ وَلَا تُحْصَى، وَعَلَى مَا اتَّصَفَ بِهِ مِنَ الصِّفَاتِ الْعُلَى وَالْأَسْمَاءِ الْحَسَنَى، وَاسْلَامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى﴾ وأن يُسَلِّمَ عَلَى عِبَادِ اللَّهِ الَّذِينَ اصْطَفَاهُمْ واختارهم، وهم رسله وأنبياؤه الكرام عليهم من الله أفضل الصلاة والسلام. ﴿اللَّهُ خَيْرٌ أَمْ مَا يُشْرِكُونَ؟!﴾ استفهام إنكار على المشركين في عبادتهم مع الله آلهة أخرى. ثم شرع تعالى يبين أنه المنفرد بالخلق والرزق والتدبير دون غيره فقال تعالى: ٦٠: ﴿أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ فِي رِفَاعِهَا﴾ والارض

﴿فَمَا كَانَتْ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِّن قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أَنَاسٌ يَّتَطَهَّرُونَ﴾ ٥٦ ﴿فَأَنجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ قَدَرْنَا مِنَ الْغَابِرِينَ﴾ ٥٧ ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنذِرِينَ﴾ ٥٨ ﴿قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى اللَّهُ خَيْرٌ أَمْ مَا يُشْرِكُونَ﴾ ٥٩ ﴿أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتِ بَهْجَةٍ مَّا كَانَتْ لَكُمْ أَنْ تَنْبِتُوا شَجَرَهَا أَلَيْسَ اللَّهُ بِلَهُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ﴾ ٦٠ ﴿أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيًا وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ٦١ ﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُ لَكُمْ خَلْفَاءَ الْأَرْضِ أَلَيْسَ اللَّهُ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ﴾ ٦٢ ﴿أَمَّنْ يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَنْ يُرْسِلِ الرِّيحَ بِشْرَابِينَ يَدَى رَحْمَتِهِ أَلَيْسَ اللَّهُ تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ ٦٣

وما فيها ﴿وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتِ بَهْجَةٍ﴾ بساتين ذات منظر حسن وشكل بهي ﴿مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا﴾ لم تكونوا تقدر على إنبات أشجارها ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ بعد؟! وقد تبين لكل ذي لب أن الله هو الخالق الرازق؟! ﴿بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ﴾ يجعلون لله عدلاً ونظيراً ٦١: ﴿أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا﴾ قارة ساكنة ثابتة لا تيمد بأهلها ولا ترجف بهم ﴿وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَارًا﴾ عذبة ﴿وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيًا﴾ جبالاً شامخة ترسي الأرض وتثبتها، ﴿وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا﴾ جعل بين المياه العذبة والمالحة حاجزاً، أي: مانعاً من الاختلاط، ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ مَعَ اللَّهِ؟﴾ فعل هذا؟! ﴿بَلْ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ في عبادتهم غيره ٦٢: يُنَبِّهُ تَعَالَى أَنَّهُ هُوَ الْمَدْعُوُّ عِنْدَ الشَّدَائِدِ وَهُوَ الْمَرْجُوُّ عِنْدَ النَّوَازِلِ فَقَالَ: ﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ﴾ مَنْ هُوَ الَّذِي لَا يَلْجَأُ الْمُضْطَرُّ إِلَّا إِلَيْهِ ﴿وَيَكْشِفُ السُّوءَ﴾ لَا يَكْشِفُ ضَرَّ الْمُضْطَرِّ سِوَاهُ سَبْحَانَهُ، ﴿وَيَجْعَلُ لَكُمْ خَلْفَاءَ الْأَرْضِ﴾ يُخَلِّفُ قَرْنًا لِقَرْنٍ قَبْلَهُمْ وَخَلْفَاءَ لِسَلْفِ ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ مَعَ اللَّهِ﴾ لَا يَقْدِرُ عَلَى ذَلِكَ إِلَّا اللَّهُ، فَهُوَ الْمُنْفَرِدُ بِفَعْلِ ذَلِكَ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، ﴿قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ﴾ مَا أَقَلَّ تَذَكُّرَهُمْ فَمَا يُرْشِدُهُمْ إِلَى الْحَقِّ ٦٣: ﴿أَمَّنْ يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾ بِمَا خَلَقَ مِنَ الدَّلَائِلِ السَّابِقَةِ وَالْأَرْضِيَّةِ ﴿وَمَنْ يُرْسِلِ الرِّيحَ بِشْرَابًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ﴾ بَيْنَ يَدَيْ السَّحَابِ الَّذِي يَغِيثُ اللَّهُ بِهِ عِبَادَهُ ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾

الآية: ٥٦ روى أحمد بإسناد صحيح عن سهل بن سعد أن رسول الله ﷺ قال: «إياكم ومحقرات الذنوب، فإنما مثل محقرات الذنوب كمثل قوم نزلوا بطن واد، فجاء ذا بعود، وجاء ذا بعود، حتى حملوا ما أنضجوا به خبزهم، وإن محقرات الذنوب متى يأخذ بها صاحبها تُهلكه». / الترغيب ج ٣١٢/٣.

٦٤: ﴿أَمَّنْ يَبْدُوا الْخَلْقَ﴾ هو الذي بقدرته وسلطانه يبدأ الخلق ﴿ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾ وهو أهون عليه، ﴿وَمَنْ يَرْزُقْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ بما ينزل من مطر السماء، وينبت من بركات الأرض، ﴿إِلَهًا مَعَ اللَّهِ﴾ فقل هذا؟! ﴿قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ﴾ على صحة ما تدعونه من عبادة إلهة أخرى ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ في ذلك ٦٥: ﴿قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ يُشْعُرُونَ﴾ لا يعلم أحد ذلك إلا الله عز وجل، فإنه المنفرد بذلك وحده لا شريك له، كما قال تعالى: ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ﴾، وما يشعر الخلاق بوقت الساعة ٦٦: ﴿بَلْ إِذْ أَرَاكَ عُلْمَهُمْ فِي الْآخِرَةِ﴾ غاب فلم ينفذ لهم علم في الآخرة، ﴿بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْهَا﴾ المراد: الكافرون ﴿بَلْ هُمْ مِنْهَا عُمُْونَ﴾ هم في عماية وجهل كبير في أمرها وشأنها ٦٧: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَتَمْنَا كُفْرًا أَبَاطًا وَأَبَاؤُنَا أَتَمْنَا كُفْرًا وَتَرَابًا﴾ إنهم استبعدوا إعادة الأجساد بعد صيرورتها رفاتاً وتراباً، ثم قال تعالى: ٦٨: ﴿لَقَدْ وَعِدْنَا هَذَا نَحْنُ وَآبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ﴾ ما زلنا نسمع بهذا نحن وآبائنا، ولا نرى له حقيقة ولا وقوعاً، ﴿إِنَّ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ أخذته قومٌ عمن قبلهم من كتبهم وليس له حقيقة ٦٩: ﴿قُلْ﴾ يا محمد هؤلاء ﴿سَيُرَوُّوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ حَلَّتْ بِهِمْ نِقْمَةُ اللَّهِ وَعَذَابُهُ وَتَكَالَهُ، وَتَجَّى اللَّهُ مِنْ بَيْنِهِمْ رُسُلُهُ الْكِرَامِ وَمَنْ اتَّبَعَهُمْ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ؛ فَدَلَّ عَلَى

أَمَّنْ يَبْدُوا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَنْ يَرْزُقْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَلَيْسَ مَعَ اللَّهِ قُلُوبٌ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٦٤﴾ قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿٦٥﴾ بَلْ إِذْ أَرَاكَ عُلْمَهُمْ فِي الْآخِرَةِ بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْهَا بَلْ هُمْ مِنْهَا عَمُونَ ﴿٦٦﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَءِذَا كُنَّا تُرَابًا وَءِذَا بَابُنَا آيِنًا لَمُخْرَجُونَ ﴿٦٧﴾ لَقَدْ وَعِدْنَا هَذَا نَحْنُ وَءِذَا بَابُنَا مِنْ قَبْلُ إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿٦٨﴾ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ ﴿٦٩﴾ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُنْ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ ﴿٧٠﴾ وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٧١﴾ قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ رَدِفٌ لَكُمْ بَعْضُ الَّذِي تَسْتَعْجِلُونَ ﴿٧٢﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَئِنْ أَكْثَرْتُمْ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٤﴾ وَمَا مِنْ غَابِيَةٍ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴿٧٥﴾ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَفُصُّ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٧٦﴾

صدق ما جاءت به الرسلُ وصحبه، ثم قال تعالى مسلماً لنبية صلى الله عليه وآله وسلم: ٧٠: ﴿وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ﴾ على المكذبين بما جئت به ﴿وَلَا تَكُنْ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ﴾ في كيدك فإن الله مؤيدك وناصرك ومظهر دينك في المشارق والمغرب ٧١: ﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾؟ قال الله تعالى مجيباً لهم: ٧٢: ﴿قُلْ﴾ يا محمد ﴿عَسَى أَنْ يَكُونَ رَدِفٌ لَكُمْ بَعْضُ الَّذِي تَسْتَعْجِلُونَ﴾ قَرَّبَ وَعَجَّلَ لَكُمْ [من العذاب في القبر] ٧٣: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ﴾ في إسباغهم نعمه عليهم مع ظلمهم لأنفسهم ﴿وَلَئِنْ أَكْثَرْتُمْ لَا يَشْكُرُونَ﴾ وهم مع ذلك لا يشكرونه على ذلك إلا القليل منهم ٧٤: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ يعلم ضمائرهم وسرائرهم كما يعلم الظواهر ﴿سَوَاءٌ مِنْكُمْ مَنْ أَسْرَ الْقَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ﴾ ٧٥: ﴿وَمَا مِنْ غَابِيَةٍ﴾ وما من شيء [غاب] ﴿فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ [أي: في اللوح المحفوظ الذي أثبت فيه ما أراد يُعلم بذلك من يشاء من ملائكته] ٧٦: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَفُصُّ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ كاختلافهم في عيسى وتباينهم فيه، فاليهود اقتصروا، والنصارى غلّوا، فجاء القرآن بالحق والعدل، وبين أنه عبدٌ من عباد الله وأنبيائه ورسله الكرام عليه أفضل الصلاة والسلام.

٧٧: ﴿وَإِنَّهُ لَهْدَىٰ وَرَحْمَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ القرآن
 هدَىٰ لقلوب المؤمنين به ورحمة لهم ٧٨:
 ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ﴾ يوم القيامة
 بحكمه وهو العزيز ﴿العليم﴾
 بأفعال عباده وأقوالهم ٧٩: ﴿فَتَوَكَّلْ عَلَى
 اللَّهِ﴾ في جميع أمورك، وبلغ رسالة ربك
 ﴿إِنَّكَ عَلَىٰ الْحَقِّ الْمُبِينِ﴾ أنت على الحق المبين
 وإن خالفك من خالفك ممن كتب عليه
 الشقاوة، ولهذا قال تعالى: ٨٠: ﴿إِنَّكَ
 لَا تَسْمَعُ الْكُفْرَانَ﴾ لا تسمع الكفر
 فكذلك هؤلاء على قلوبهم غشاوة وفي آذانهم
 وقْر الكفر ولهذا قال تعالى: ﴿وَلَا تَسْمَعُ
 الصُّمُّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ﴾ [يعني
 الكفار الذين هم بمنزلة الصم عن قبول
 المواعظ، فإذا دُفِعُوا إلى الخير أعرضوا وولَّوْا
 كأنهم لا يسمعون] ٨١: ﴿وَمَا أَنْتَ بِهَادِي
 الْعُمْيِ عَنْ ضَلَالَتِهِمْ إِنْ تُسْمِعُ إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ
 بِآيَاتِنَا فَهُمْ مُسْلِمُونَ﴾ إنما يستجيب لك
 من هو سميع بصير السمع والبصر النافع في
 القلب والبصيرة، الخاضع لله ولما جاء عنه
 على أسنة الرسل عليهم الصلاة والسلام ٨٢:
 ﴿وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً
 مِّنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ﴾ هذه الدابة تخرج في
 آخر الزمان عند فساد الناس وتركهم أوامر الله
 وتبديلهم اللذين، يُخرج الله لهم دابةً من
 الأرض تخاطبهم ﴿أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا
 لَا يُوقِنُونَ﴾ روى الإمام مسلم أن رسول الله
 صلى الله عليه وآله وسلم قال: «إِنَّ أَوَّلَ
 الآيات [أي: علامات الساعة الكبرى]

وَإِنَّهُ لَهْدَىٰ وَرَحْمَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٧٧﴾ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ
 بِحُكْمِهِ ۗ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ ﴿٧٨﴾ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّكَ عَلَى
 الْحَقِّ الْمُبِينِ ﴿٧٩﴾ إِنَّكَ لَا تَسْمَعُ الْكُفْرَانَ وَلَا تَسْمَعُ الدُّعَاءَ
 إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ ﴿٨٠﴾ وَمَا أَنْتَ بِهَادِي الْعُمْيِ عَنْ ضَلَالَتِهِمْ إِنْ
 تُسْمِعُ إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ مُسْلِمُونَ ﴿٨١﴾ وَإِذَا
 وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ
 النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ ﴿٨٢﴾ وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ
 فَوْجًا مِّمَّنْ يُكَذِّبُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿٨٣﴾ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُ
 قَالَ أَكَذَّبْتُمْ بِآيَاتِي وَلَمْ تُحِطُوا بِهَا عُلَمَاءُ مِمَّا ذَاكُمْ أَنْتُمْ تَعْمَلُونَ
 ﴿٨٤﴾ وَوَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ بِمَا ظَلَمُوا فَهُمْ لَا يَنْطِقُونَ ﴿٨٥﴾ أَلَمْ
 يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا آلِيلَ لَيْسَ كُونُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا آتٍ فِي
 ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٨٦﴾ وَيَوْمَ يُفْخَعُ فِي الصُّورِ فِزْرِعٌ
 مِّنَ فِي السَّمَوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ وَكُلٌّ أَتَوْهُ
 دَاخِرِينَ ﴿٨٧﴾ وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدًا وَهِيَ تَمْرٌ مَّرْسَحَاتٍ
 صُنِعَ اللَّهُ الَّذِي أَنْقَضَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَيْرٌ مِّمَّا تَفْعَلُونَ ﴿٨٨﴾

خروجاً طلوع الشمس من مغربها، وخروج الدابة على الناس ضحى، وأبثهما كانت قبل صاحبها فالأخرى على أثرها قريباً ٨٣: ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُ
 مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا﴾ يُخبر تعالى عن يوم القيامة وحشر الظالمين المكذبين بآيات الله ورسله، ليسألمهم عما فعلوه في الدنيا تقريباً وتوبيخاً وتحقيراً،
 من كل قوم جماعة ﴿مَنْ يُكَذِّبُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾ يُدْفَعُونَ، يُرَدُّ أولهم على آخرهم ٨٤: ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاؤُوا﴾ ووقفوا بين يدي الله عز وجل
 في مقام المسألة ﴿قَالَ أَكَذَّبْتُمْ بِآيَاتِي وَلَمْ تُحِطُوا بِهَا عُلَمَاءُ مِمَّا ذَاكُمْ أَنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾؟ فيسألون عن اعتقادهم وأعمالهم، فلما لم يكونوا من أهل
 السعادة وقامت عليهم الحجة لم يكن لهم عذر يعتدرون به ٨٥: ﴿وَوَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ بِمَا ظَلَمُوا فَهُمْ لَا يَنْطِقُونَ﴾ بهتوا فلم يكن لهم جواب،
 لأنهم كانوا في الدنيا ظلمة فسقة ٨٦: ﴿أَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا اللَّيْلَ لَيْسَ كُونُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا آتٍ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ ٨٧: ﴿وَيَوْمَ يُفْخَعُ فِي
 الصُّورِ﴾ في القرآن، ينفخ فيه إسرافيل بأمر الله ﴿فِزْرِعٌ مِّنَ فِي السَّمَوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ﴾ وهم الشهداء فإنهم أحياء عند
 ربهم، ﴿وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَاخِرِينَ﴾ صاغرين لا يتخلف أحد عن أمره ٨٨: ﴿وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدًا وَهِيَ تَمْرٌ مَّرْسَحَاتٍ﴾ تراها كأنها ثابتة
 وهي تزول عن أماكنها كما قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ نَسِّرَ الْجِبَالَ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً﴾ ﴿صُنِعَ اللَّهُ الَّذِي أَنْقَضَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ بقدرته العظيمة ﴿إِنَّهُ خَيْرٌ مِّمَّا
 تَفْعَلُونَ﴾ وسيجازيكم عليه أتم الجزاء.

٨٩: ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا﴾
 بالإخلاص وقول: لا إله إلا الله ﴿وهم من
 فَرَعَ يَوْمَئِذٍ أَمَنُونَ﴾، كما قال تعالى:
 ﴿لَا يُحِزُّهُمْ فَزَعُ الْأَكْبَرِ﴾ ٩٠: ﴿وَمَنْ
 جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وَجُوهُهُمْ فِي التَّارِ﴾ مَنْ
 لَقِيَ اللَّهَ مَسِيئاً لَا حَسَنَةَ لَهُ، أَوْ رَجَحَتْ
 سَيِّئَاتُهُ عَلَى حَسَنَاتِهِ كُلِّ بِحَسَبِهِ، وَهَذَا قَالَ
 تَعَالَى: ﴿هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾؟
 ٩١: يَقُولُ تَعَالَى أَمْرًا رَسُولُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
 وَآلِهِ وَسَلَّمَ أَنْ يَقُولَ: ﴿إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ
 رَبَّ هَذِهِ الْبَلَدَةِ الَّذِي حَرَّمَهَا﴾ الَّذِي إِنَّمَا
 صَارَتْ حَرَاماً شَرْعاً وَقَدْرًا بِتَحْرِيهِ (وَهِيَ مَكَّةُ
 الْمَكْرَمَةُ) ﴿وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ﴾ وَمَلِيكُهُ لَا إِلَهَ إِلَّا
 هُوَ، ﴿وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾
 الْمُوَحِّدِينَ الْمُخْلِصِينَ الْمُتَقَاتِلِينَ لِأَمْرِهِ الْمُطِيعِينَ لَهُ
 ٩٢: ﴿وَأَنْ أَتْلُو الْقُرْآنَ﴾ عَلَى النَّاسِ أَبْلَغُهُمْ
 إِيَّاهُ ﴿فَمَنْ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ
 ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَا أَنَا مِنَ الْمُنذِرِينَ﴾ الَّذِينَ أَنْذَرُوا
 قَوْمَهُمْ وَقَامُوا بِمَا عَلَيْهِمْ مِنْ آدَاءِ الرِّسَالَةِ، كَمَا
 قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا أَنْتَ نَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ
 شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ ٩٣: ﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ
 آيَاتِهِ فَعَرَفُونَهَا﴾ اللَّهُ الْحَمْدُ الَّذِي لَا يُعَدُّ
 أَحَدًا إِلَّا بَعْدَ قِيَامِ الْحُجَّةِ عَلَيْهِ وَالْإِنذَارِ إِلَيْهِ،
 وَهَذَا قَالَ تَعَالَى: ﴿سَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ
 فَعَرَفُونَهَا﴾، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي
 الْأَفْسَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ
 الْحَقُّ﴾، ﴿وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾
 بَلْ هُوَ شَهِيدٌ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ. رَوَى ابْنُ أَبِي
 حَاتِمٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ
 قَالَ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ لَا يَغْتَرَّنَ أَحَدُكُمْ بِاللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ لَوْ كَانَ غَافِلًا شَيْئاً لَأَغْفَلَ الْبَعُوضَةَ وَالْحَرْدَلَةَ وَالذَّرَّةَ».

مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وَجُوهُهُمْ فِي التَّارِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَذِهِ الْبَلَدَةِ الَّذِي حَرَّمَهَا وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٩١﴾ وَأَنْ أَتْلُو الْقُرْآنَ فَمَنْ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَا أَنَا مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴿٩٢﴾ وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَعَرَفُونَهَا وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾

سُورَةُ الْقِصَّةِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

طَسَمَ ﴿١﴾ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ ﴿٢﴾ تَتْلُو عَلَيْكَ مِنْ نَبَأِ مُوسَى وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٣﴾ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضَعِفُ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِ نِسَاءَهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴿٤﴾ وَتُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتَضَعَفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ ﴿٥﴾

تفسير سورة القصص

١: ﴿طَسَمَ﴾ قد تقدّم الكلام على الحروف المتقطعة ٢: ﴿تلك﴾ هذه ﴿آيات الكتاب المبين﴾ الواضح الجلي الكاشف عن حقائق الأمور وعلم ما قد كان وما هو كائن ٣: ﴿تتلو عليك من نبأ موسى وفرعون بالحق﴾ نذكر لك الأمر على ما كان عليه كأنت شاهد وحاضر ٤: ﴿إن فرعون علا في الأرض﴾ تكبر وتجبّر وطغى، ﴿وجعل أهلها شيعاً﴾ أصنافاً، قد صرف كلّ صنف فيما يريد من أمور دولته ﴿يستضعف طائفة منهم﴾ بني إسرائيل، وكانوا في ذلك الوقت خيار أهل زمانهم، ﴿يذبح أبناءهم ويستحي نساءهم﴾ [أي: يقتل الذكور، ويترك الإناث] إهانة لهم واحتقاراً، وخوفاً من أن يوجد منهم الغلام الذي كان قد تخوف هو وأهل مملكته منه؛ أن يوجد منهم غلام يكون سبب هلاكه وذهاب دولته على يديه، فاحترز فرعون من ذلك، ولن ينفع حذر من قدر؛ لأنّ أجل الله إذا جاء لا يؤخر. ﴿إنه كان من المفسدين﴾ ٥: ﴿وتريد أن تمنّ على الذين استضعفوا في الأرض﴾ [أي: تفضل عليهم]، ﴿ونجعلهم أئمةً ونجعلهم الوارثين﴾ [أي: لملك فرعون، يرثون ملكه، ويسكنون مساكن القبط بعد غرقهم].

= وخروج عيسى بن مريم، والدجال، وثلاثة خسوف: خسف بالمغرب، وخسف بالمشرق، وخسف بجزيرة العرب، ونار تخرج من قعر عدن تسوق أو تحشر الناس تبيّث معهم حيث بانوا وتقبّل معهم حيث قالوا، ورواه مسلم وأهل السنن. / ابن كثير ج ٣/ ٣٧٥.

٦: ﴿وَنُمَكِّنْ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ﴾ [أي: نجعلهم مقتدرين على الأرض] ﴿وَنُرِيْ فِرْعَوْنَ وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون﴾ [فأراهُم الله ما كانوا يحذرون، كما تقدم بيانه ٧: لما أكثر فرعون من قتل ذكور بني إسرائيل خافت القبط من بني إسرائيل [فأشاروا عليه أن يفعل ذلك عاماً ويتركه عاماً] فولد هارون في السنة التي يتكرر فيها الولدان، وولد موسى في السنة التي يقتلون فيها الولدان، فضاقت عليه أمه ذرعاً وخافت عليه خوفاً شديداً، فألممت في حُلدها كما قال تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خَفَتْ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي﴾ فاتخذت تابوتاً وجعلت ترضعه فإذا دخل عليها أحدٌ وضعت في ذلك التابوت وسيرته في البحر [أي: نهر النيل، يُسمى بحراً لكثرة مائه] وربطته بحبل عندها، فلما دخل عليها من تحافه وضعتته وذهلت أن تربطه، فذهب مع الماء، ولهذا قال تعالى: ﴿إِنَّا رَأَوُوهُ إِلَيْكَ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ ٨: ﴿فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدواً وحزناً﴾ اللام في ﴿ليكون﴾ لام العاقبة لا لام التعليل، لأنهم لم يريدوا بالتقاطه ذلك، ولهذا قال الله تعالى: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ﴾ ٩: ﴿وقالت امرأة فرعون قرة عين لي ولك لا تقتلوه﴾ إن فرعون لما رآه هم بقتله خوفاً من أن يكون من بني إسرائيل، فشرعت امرأته آسية تخاصم عنه وتُحبيه إلى فرعون فقالت: ﴿قرّة عين لي ولك﴾ فقال فرعون:

وَنُمَكِّنْ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِيْ فِرْعَوْنَ وَهَمَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ ﴿٦﴾ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خَفَتْ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَأَوُوهُ إِلَيْكَ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٧﴾ فَالتَّقِطُهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَمَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ ﴿٨﴾ وَقَالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتْ عَيْنِي لِي وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰ أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾ وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَرَاغًا إِن كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلَا أَنْ رَبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠﴾ وَقَالَتِ لِأَخْتِهِ فُصِّيهِ فَبَصُرَتْ بِهِ عَنْ جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١١﴾ وَحَرَمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِنْ قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَصْحُوتٌ ﴿١٢﴾ فَرَدَدْنَاهُ إِلَىٰ أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾

٢٨٦

أما لك فنعيم وأما لي فلا، فكان كذلك وهداها الله بسببه، وأهلكه الله على يديه، ﴿عسى أن ينفعنا﴾ وقد حصل لها ذلك ﴿أو نتخذهُ ولداً﴾ تبنياه، وذلك أنه لم يكن لها ولدٌ منه، ﴿وهم لا يشعرون﴾ لا يدرون ما أراد الله منه بالتقاطهم إياه من الحكمة العظيمة البالغة والحجة القاطعة ١٠: ﴿وأصبح فؤاد أم موسى فارغاً﴾ من كل شيء من أمور الدنيا إلا من موسى ﴿إن كادت لتبدي به﴾ من شدة وجدها وحزنها، لتظهر أنه ولدها وتُخبر بحاله ﴿لولا أن ربطنا على قلبها﴾ ثبثها وصبرها ﴿لتكون من المؤمنين﴾ [أي: المصدقين بوعده الله تعالى] ١١: ﴿وقالت لأخيه فُصِّيهِ﴾ أمرت أخته باتباع أثره وأخذ خبره فخرجت لذلك ﴿فبصرت به عن جُنُبٍ﴾ عن بُعدٍ ﴿وهم لا يشعرون﴾ ١٢: ﴿وحرمنا عليه المراضع من قبل﴾ تحريماً قديراً، وذلك لكرامته عند الله، وجعل ذلك سبباً إلى رجوعه إلى أمه لترضعه وهي آمنة ﴿فقال﴾ [أخنته] ﴿هل أدلكم على أهل بيت يكفلونه لكم وهم له ناصحون﴾ [أي: فيهم له شفقة ونصح] ١٣: ﴿فرددناه إلى أمه كي تقر عينها ولا تحزن﴾ عليه ﴿ولتعلم أن وعد الله حق﴾ فيما وعدنا من رده إليها وجعله من المرسلين، فحينئذ تحققت برده إليها أنه كائن منه رسول من المرسلين. ﴿ولكن أكثرهم لا يعلمون﴾ حكم الله في أفعاله وعواقبها المحمودة.

الآية: ١٢ كان موسى حين التقطه آل فرعون لم يأخذ ثدي مرضعة، فلما رد إليه أمه من بين المراضع أعطته ثديها فالتقمه، ففرحوا بذلك فرحاً شديداً، وذهب البشر إلى امرأة الملك فاستدعت أم موسى، فأحسنت إليها وأعطتها عطاءً جزيلاً وهي لا تعرف أنها أمه على الحقيقة. وقد جاء في الحديث: «مثل الذي يعمل ويحسب في صنعة الخير كمثل أم موسى تُرضع ولدها وتأخذ أجرها» !! / ابن كثير ج ٣ / ٣١١ - ٣٨٢.

١٤: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَى آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا﴾ النبوة، ﴿وكذلك نجزي المحسنين﴾ ١٥: ﴿ودخل المدينة على حين غفلةٍ من أهلها﴾ بين المغرب والعشاء، ﴿فوجد فيها رجلين يقتيلاً﴾ يتضاربان ويتنازعان ﴿هذا من شيعته﴾ إسرائيلي ﴿وهذا من عدوه﴾ قبطي، ﴿فاستغاثه الذي من شيعته على الذي من عدوه فوكزه موسى﴾ طعنه بجمع كفه ﴿ففضى عليه﴾ فمات، ﴿فقال﴾ موسى ﴿هذا من عمل الشيطان إنه عدوٌ مُضِلٌّ مبین﴾ ١٦: ﴿قال﴾ ربِّ إني ظلمت نفسي فاغفر لي ﴿[ندم على ذلك]﴾ ﴿فغفر له إنه هو الغفور الرحيم﴾ ١٧: ﴿قال ربِّ بما أنعمت علي﴾ بما جعلت لي من الجاه والعز والنعمة ﴿فلن أكون ظهيراً للمجرمين﴾ معيناً للكافرين ١٨: يُخبر تعالى عن موسى لما قتل القبطي فيقول: ﴿فأصبح في المدينة خائفاً﴾ من معرة مافعل، ﴿يترقب﴾ يلتفت ويتوقع ما يكون من هذا الأمر، فمرَّ في بعض الطرق ﴿فإذا الذي استصره بالأمس﴾ على ذلك القبطي يُقاتل آخر، فلما مرَّ عليه موسى، ﴿يستصرخه﴾ على الآخر، ﴿قال له موسى إنك لغويٌ مُبين﴾ ظاهر الغواية كثير الشر ١٩: ﴿فلما أزد أن يطش بالذي هو عدوٌ لهما﴾ ثم عزم على البطش بذلك القبطي، فاعتقد الإسرائيلي لحوفه وضعفه ودلته أن موسى إنما يريد قصده لما سمعه يقول ذلك، فقال يدفع عن نفسه: ﴿يا موسى أتريد أن

﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَى آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ ١٤: ﴿وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَى حِينٍ غَفْلَةٍ مِنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَذَا مِنْ شِيعَةِ هَذَا مِنْ شِيعَةِ هَذَا مِنْ عَدُوِّهِ فَاسْتَاغَاهُ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَزَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ﴾ ١٥: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ ١٦: ﴿قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِلْمُجْرِمِينَ﴾ ١٧: ﴿فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفًا يَتَرَقَّبُ فَإِذَا الَّذِي اسْتَصْرَخَ بِأَلَامِيسَ يَسْتَصْرِخُهُ قَالَ لَهُ مُوسَى إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُبِينٌ﴾ ١٨: ﴿فَلَمَّا أَنْ أَرَادَ أَنْ يَبْطِشَ بِالَّذِي هُوَ عَدُوٌّ لَهُمَا قَالَ يَا مُوسَى أَتُرِيدُ أَنْ نَقْتُلَ نَفْسًا بِأَلَامِيسَ إِنْ تَرِيدُ إِلَّا أَنْ تَكُونَ جَبَّارًا فِي الْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْمُصْلِحِينَ﴾ ١٩: ﴿وَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ يَسْعَى قَالَ يَا مُوسَى إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ﴾ ٢٠: ﴿فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ ٢١

تقتليني كما قتلت نفساً بالأمس﴾ الآية، وذلك لأنه لم يعلم به إلا هو وموسى، فلما سمعها ذلك القبطي لقفها من فمه ثم ذهب بها إلى باب فرعون، فعلم فرعون بذلك، فاشتد حنقه وعزم على قتل موسى، فطلبوه فبعثوا وراءه ليحضره لذلك ٢٠: ﴿وجاء رجل﴾ وصفه بالرجولية لأنه خالف الطريق فسلك طريقاً أقرب من طريق الذين بعثوا وراءه فسبق إلى موسى فقال له: ﴿يا موسى إن الملاء ياتمرون بك﴾ يتشاورون فيك ﴿ليقتلوك فاخرج﴾ من البلد ﴿إني لك من الناصحين﴾ ٢١: فلما أخبره ذلك الرجل بما تمالأ عليه فرعون ودولته في أمره خرج من مصر وحده، ولم يألف ذلك قبله بل كان في رفاهية ونعمة ورياسة. ﴿فخرج منها خائفاً يترقب﴾ يلتفت، ﴿قال ربِّ نجني من القوم الظالمين﴾ من فرعون ومأويه، فذكروا أن الله سبحانه وتعالى بعث إليه ملكاً فأرشده إلى الطريق [نحو مدين] (١).

الآية: ١٦ عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه أنه قال: يا رسول الله علمني دعاء أدعو به في صلاتي، فقال: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي ظُلْمًا كَثِيرًا، وَلَا يَغْفِرَ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ، فَاغْفِرْ لِي مَغْفِرَةً مِنْ عِنْدِكَ، وَارْحَمْنِي، إِنَّكَ أَنْتَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ متفق عليه/الروايل الطيب ص ١٨٦ و ٢٣٣.

(١) ولما خرج موسى عليه السلام فاراً بنفسه منفرداً خائفاً، لا شيء معه من زاد ولا راحلة، نحو مدين، لتسبب الذي بينه وبينهم؛ لأن مدين من ولد إبراهيم عليه السلام، وموسى من ولد يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم، ورأى حاله وعدم معرفته بالطريق وعدم الزاد؛ أسند أمره إلى الله تعالى وقال: (عسى ربى أن يهديني سواء السبيل)، فعندما جاءه الفرج من الله تعالى، وهذه حالة المضطر.

وَلَمَّا تَوَجَّهَ تَلْقَاءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَى رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴿٢٢﴾ وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ النَّكَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّى يُصَدَرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴿٢٣﴾ فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴿٢٤﴾ فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّكِ ابْنِي يَدْعُوكَ لِيجزِيكَ أَجْرًا مَسْقِيَتٍ لَنَا فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقِصَصَ قَالَ لَا تَحْزَنْ نَجُوتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٢٥﴾ قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَتَّابِتِ اسْتَعْرَجُهُ إِنَّكِ خَيْرٌ مِّنْ اسْتَعَجَرَتِ الْقَوَى الْأَمِينُ ﴿٢٦﴾ قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ بِكَ إِحْدَى ابْنَتِي هَاتَيْنِ عَلَى أَنْ تَأْجُرَنِي ثَمَانِي حَجَّاجٍ فَإِنِ اتَّمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِنْدِكَ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَسْأَلَكَ سِتْرًا فَإِنِ شَاءَ اللَّهُ مِنْ الصَّبْرِ وَالْحِلْمِ ﴿٢٧﴾ قَالَ ذَلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ أَيَّمَا الْأَجَلِينَ قَضَيْتَ فَلَا عُدْوَانَ عَلَيَّ وَاللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴿٢٨﴾

٣٨٨

٢٢: ﴿وَلَمَّا تَوَجَّهَ تَلْقَاءَ مَدْيَنَ﴾ أخذ طريقاً سالكاً فرح بذلك ﴿وَقَالَ عَسَى رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾ الطريق الأقوم، ففعل الله به ذلك وهداه إلى الصراط المستقيم في الدنيا والآخرة، فجعله هادياً مهدياً ٢٣: ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ﴾ لما وصل إلى مدين وورد ماءها، وكان لها بئر يرده رعاء الشاء ﴿وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ النَّكَّاسِ﴾ جماعة يسقون ووجد من دونهن امرأتين تذودان تكفكان غنهما أن ترد مع غن أولئك الرعاء لئلا يؤذيا، فلما رآهما موسى عليه السلام رق لهما ورحمهما، ﴿قَالَ مَا خَطْبُكُمَا؟﴾ ما خبركما لا تردان مع هؤلاء؟ ﴿قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّى يُصَدَرَ الرِّعَاءُ﴾ لا يحصل لنا سقى إلا بعد فراغ هؤلاء ﴿وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ﴾ فهذا الحال الملجئ لنا إلى ما ترى، قال الله تعالى: ٢٤: ﴿فَسَقَى لَهُمَا﴾ روى ابن أبي شيبة عن عمر بن الخطاب: (أن موسى عليه السلام لما ورد ماء مدين وجد عليه أمة من الناس يسقون، قال فلما فرغوا أعادوا الصخرة على البئر، ولا يطيق رفعها إلا عشرة رجال، فإذا هو بامرأتين تذودان قال ما خطبكما؟ فحدثناه، فأق الحجر فرغه ثم لم يستق إلا ذئوباً واحداً حتى زويت الغنم) وإسناده صحيح. ﴿ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾ لما قال موسى هذا أسمع المرأة ٢٥: ﴿فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ﴾ مشي الحرائر، مسترة

بكم ذرعها ﴿قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيجزِيكَ أَجْرًا مَا سَقَيْتَ لَنَا﴾ وهذا تأدب في العادة، لم يطلبه طلباً لئلا يتوهم رية؛ أي: ليكافئك على سقيك لغنمنا، ﴿فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقِصَصَ﴾ عن السبب الذي خرج من أجله من بلده ﴿قَالَ لَا تَحْزَنْ نَجُوتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ طب نفساً وفر عيناً. والمشهور عند كثير من العلماء أنه شعيب النبي عليه السلام، وعند بعضهم أنه ابن أخي شعيب، فالله أعلم ٢٦: ﴿قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوَى الْأَمِينُ﴾ قال لها أبوها: وما علمك بذلك؟ قالت: إنه رفع الصخرة التي لا يطيق حملها إلا عشرة رجال، وإني لما جئت معه تقدمت أمامه فقال كوني من ورأي فإذا اختلف علي الطريق فاذهبي لي بحصاة أعلم بها كيف الطريق لأهتدي إليه ٢٧: ﴿قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ بِكَ إِحْدَى ابْنَتِي هَاتَيْنِ﴾ طلب إليه أن يزوجه إحدى ابنتيه ﴿عَلَى أَنْ تَأْجُرَنِي ثَمَانِي حَجَّاجٍ فَإِنِ اتَّمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِنْدِكَ﴾ على أن ترعى ثمانين سنين فإن تبرعت بزيادة سنتين فهو إليك، ﴿وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَسْأَلَكَ عَلَيْكَ﴾ ولا أؤذيك ﴿سَتَجِدُنِي إِنِ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ ٢٨: ﴿قَالَ ذَلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ أَيَّمَا الْأَجَلِينَ قَضَيْتَ فَلَا عُدْوَانَ عَلَيَّ﴾ فأنما متى فعلت ألقهما فقد برئت من العهد فلا حرج علي ﴿وَاللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ﴾. روى ابن أبي حاتم: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ﴿إِنَّ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ أَجْرَ نَفْسِهِ بِعَقَّةٍ فَرَجَهُ وَطَعْمَةَ بَطْنِهِ﴾.

٢٩: ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ﴾ إلى بلاده، وكان قد قضى الأجل منهما، ﴿أَنَسَ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ نَارًا﴾ رأى نارا تضيء له على بُعد، ﴿قَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَّعَلِّي آتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ﴾ حتى أذهب إليها ﴿وَلَعَلِّي آتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ﴾ وذلك لأنه قد أضل الطريق، ﴿أَوْ جَذْوَةٍ مِنَ النَّارِ﴾ قطعة منها ﴿لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ﴾ تستدفئون بها من البرد، قال تعالى: ٣٠: ﴿فَلَمَّا أَنَاهَا نُودِيَ مِنْ شَاطِئِ الْوَادِي الْأَيْمَنِ﴾ من جانب الوادي مما يلي الجبل عن يمينه من ناحية الغرب، كما قال تعالى: ﴿وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الْغُرِيِّ إِذْ قَضَيْنَا إِلَىٰ مُوسَى الْأَمْرَ﴾، فهذا مما يرشد إلى أن موسى قصد النار إلى جهة القبلة والجبل الغربي عن يمينه، والنار وجدها تضطرم في شجرة خضراء في تحف الجبل مما يلي الوادي فوقها باهتا في أمرها، فناداه ربّه، ﴿فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَن يَا مُوسَى إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ الذي يخاطبك هو رب العالمين الفعّال لما يشاء ٣١: ﴿وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ﴾ التي في يدك، كما قرّره على ذلك في قوله تعالى: ﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى؟﴾ قال هي عَصَايَ أَنُوكَأُ عَلَيْهَا وَأَهْسُ بِهَا عَلَىٰ غَمِي وَلِي فِيهَا مَارَبٌ أُخْرَىٰ. ﴿فَلَمَّا رَأَاهَا تَهْتَزُّ تَضَطَّرِبُ﴾ كأنها جان ولي مُدْبِرٌ في حركتها السريعة مع عظم خلفتها ﴿وَلِي مُدْبِرٌ وَلَمْ يُعَقِّبْ﴾ لم يكن يلتفت، لأن طبع البشرية ينفر من ذلك، فلما قال الله له: ﴿يَا مُوسَى أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الْآمِنِينَ﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سورة القصص

سورة القصص

﴿فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ﴾ من جانب الطور نارا قال لأهله امكثوا إني آنست نارا لعلّي آتيتكم منها بخبر أو جذوة من النار لعلكم تصطلون ﴿٢٩﴾ ﴿فَلَمَّا أَنَاهَا نُودِيَ مِنْ شَاطِئِ الْوَادِي الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَن يَا مُوسَى إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ ﴿٣٠﴾ ﴿وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَأَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلِي مُدْبِرٌ وَلَمْ يُعَقِّبْ يَا مُوسَى أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الْآمِنِينَ﴾ ﴿٣١﴾ ﴿أَسْأَلُكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجُ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ وَأَضْمَمَ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ فَذَلَّكَ بِرُهْنَانٍ مِنْ رَبِّكَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾ ﴿٣٢﴾ ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ﴾ ﴿٣٣﴾ ﴿وَإِخِي هَارُونَ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسَلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ﴾ ﴿٣٤﴾ ﴿قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَانًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِآيَاتِنَا أَنْتُمْ وَمَنِ اتَّبَعَكُمَا الْغَالِبُونَ﴾ ﴿٣٥﴾

٣٨٩

رجع فوقف في مقامه الأول؛ فعرف وتحقق أن الذي يكلمه ويخاطبه هو الذي يقول للشيء كُن فيكون ٣٢: ﴿أَسْأَلُكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجُ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ﴾ إذا أدخلت يدك في جيبك، أي: درعك، ثم أخرجتها فإنها تخرج تتلأأ كأنها قطعة قمر في لمعان البرق ﴿من غير سوء﴾ من غير برص ﴿واضمم إليك جناحك من الرهب﴾ إذا خاف من شيء أن يضم يده إلى جناحه؛ فإذا فعل ذلك ذهب عنه ما يجده من الخوف، ﴿فذانك برهنان من ربك﴾ يعني إلقاء العصا وجعلها حية تسعى، وإدخاله يده في جيبه فتخرج بيضاء من غير سوء دليلان قاطعان واضحان على قدرة الفاعل المختار [سبحانه وتعالى] وصحة نبوة من جرى هذا الحارق على يديه، ولهذا قال تعالى ﴿إلى فرعون وملئيه وقومه من الرؤساء والكبراء والأتباع﴾ ﴿إنهم كانوا قوماً فاسقين﴾ خارجين عن طاعته ٣٣: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا﴾ ذلك القبطي ﴿فأخاف أن يقتلون﴾ إذا رأوني ٣٤: ﴿وَإِخِي هَارُونَ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا﴾ وذلك بسبب تناوله الحمرة حين خيّر بينها وبين القرة، فحصل له شدة في التعبير، ولهذا قال: ﴿واحلل عقدة من لساني يفقهوا قولي﴾، ﴿فأرسله معي رداءً وزيراً ومعيناً لأمرى﴾ ﴿يُصَدِّقُنِي إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ﴾ ٣٥: ﴿قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ﴾ سنقوي أمرك ويُعزّز جانبتك بأخيك، ﴿ونجعل لكما سلطاناً فلا يصلون إليكما بآياتنا﴾ لا سبيل لهم إلى أذاكم بسبب إبلاغكما آيات الله، ﴿أنتم ومن اتبعكما الغالبون﴾ بآياتنا.

الآية: ٣٤ قال بعض السلف: ليس أحد أعظم مئة على أخيه من موسى على هارون عليهما السلام، فإنه شفع فيه حتى جعله الله نبياً ورسولاً معه إلى فرعون وملئيه، ولهذا قال الله في حق موسى: ﴿وكان عند الله وجيباً﴾. / ابن كثير ج ٣/ ٣٨٩.

٣٦: ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ مُوسَى بِآيَاتِنَا يَنَابِتٍ قَالُوا مَا هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّفْتَرٍ﴾ مفتعل مصنوع، وأرادوا معارضته بالحيلة والجاه، ﴿وما سمعنا بهذا في آبائنا الأولين﴾ يعنون عبادة الله وحده لا شريك له، ما رأينا أحداً من آبائنا على هذا الدين ٣٧: ﴿وقال موسى﴾ جيباً لهم ﴿ربّي أعلم بمن جاء بالهدى من عنده﴾ منّي ومنكم، وسيفصل بيني وبينكم، ولهذا قال تعالى: ﴿ومن تكون له عاقبة الدار﴾ من النصرة والظفر والتأييد ﴿إنه لا يفلح الظالمون﴾ المشركون بالله عز وجل ٣٨: ﴿وقال فرعون﴾ [ما] استخفّت قومه فأطاعوه: ﴿يا أيها الملأ ما علمت لكم من إله غيري﴾ وقال تعالى إخباراً عنه ﴿فحشر فنادى فقال أنا ربكم الأعلى. فأخذة الله نكال الآخرة والأولى﴾، يعني أنه جمع قومه ونادى فيهم مصرحاً لهم بذلك، فأجابوه مطيعين، ولهذا انتقم منه، وحتى إنه واجه موسى بذلك فقال: ﴿لئن اتخذت إلهاً غيري لأجعلنك من المسجونين﴾، قال فرعون: ﴿فأؤذني يا هامان على الطين﴾ أمر وزيره هامان أن يتخذ له أجراً لبناء الصرح العالي، كما قال تعالى في الآية الأخرى: ﴿وقال فرعون يا هامان ابن لي صرحاً لعلي أبلغ الأسباب أسباب السموات فأطلع إلى إله موسى﴾، ﴿لعلي أطلع إلى إله موسى وأتي لأظنه من الكاذبين﴾ ٣٩: ﴿واستكبر هو وجنوده في الأرض بغير الحق، وظنوا أنهم إلهنا لا يرجعون﴾ طغوا وتجبروا واعتقدوا أنه

فَلَمَّا جَاءَهُمْ مُوسَى بِآيَاتِنَا يَنَابِتٍ قَالُوا مَا هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّفْتَرٍ وَمَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ ﴿٣٦﴾ وَقَالَ مُوسَى رَبِّي أَعْلَمُ بِمَنْ جَاءَ بِالْهُدَى مِنْ عِنْدِهِ وَمَنْ تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴿٣٧﴾ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَهْرَمُنُ عَلَى الطِّينِ فَأَجْعَلْ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لأظنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٣٨﴾ وَأَسْتَكْبِرُ هُوَ وَجُنُودُهُ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَظَنُّوا أَنَّهُم إِلَهُنَا لَا يَرْجِعُونَ ﴿٣٩﴾ فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ فَاَنْظُرْ كَيْفَ كَانَتْ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ ﴿٤٠﴾ وَجَعَلْنَاهُمْ آيَةً يُدْعَوْنَ إِلَى التَّكْوِينِ وَالْيَوْمِ الْقِيَامَةِ لِيُنْصَرُوا ﴿٤١﴾ وَاتَّبَعْنَاهُمْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لِنَعْتَبَهُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ هُمْ مِنَ الْمَقْبُوحِينَ ﴿٤٢﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِ مَا أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ الْأُولَى بَصَائِرَ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٤٣﴾

٣٩.

لا قيامة ولا معاد ٤٠: ﴿فأخذناه وجنوده فنبذناهم في اليم﴾ أغرقناهم في البحر في صبيحة واحدة فلم يبق منهم أحدٌ ﴿فانظر كيف كان عاقبة الظالمين﴾ [أي: آخر أمرهم] ٤١: ﴿وجعلناهم آية يدعون إلى التار﴾ لمن سلك وراءهم وأخذ بطريقتهم في تكذيب الرسل ﴿ويوم القيامة لا ينصرون﴾ فاجتمع عليهم حزبي الدنيا موصولاً بذل الآخرة ٤٢: ﴿واتبعناهم في هذه الدنيا لعنة﴾ وشرع الله لعنتهم ولعنة ملكهم فرعون على ألسنة المؤمنين من عباده المتبعين لرسله، كما أنهم في الدنيا ملعونون على ألسنة الأنبياء وأتباعهم كذلك ﴿ويوم القيامة هم من المقبحين﴾ وهذه الآية كقولها تعالى: ﴿واتبعوا في هذه لعنة﴾ ويوم القيامة ينس الرّفد المرفود، ﴿من المقبحين﴾ [أي: من المهلكين المقوتين] ٤٣: ﴿ولقد آتينا موسى الكتاب من بعد ما أهلكنا القرون الأولى﴾ يخبر تعالى عمّا أنعم به على عبده ورسوله موسى عليه السلام من إنزال التوراة عليه بعد ما أهلك فرعون وملأه؛ يعني أنه تعالى بعد إنزال التوراة لم يعذب أمة بعامّة بل أمر المؤمنين أن يقتاتلوا أعداء الله من المشركين. ﴿نصائر للناس وهدى ورحمة﴾ من العمى والعمى، وهدى إلى الحق ورحمة، أي: وإرشاداً إلى العمل الصالح ﴿لعلهم يتذكرون﴾ لعل الناس يتذكرون به ويتهدون بسببه.

الآية : ٣٦-٣٧ يخبر تعالى عن جىء موسى وأخيه هارون إلى فرعون وملء، وعرضه ماتا الله الله من المعجزات الباهرات والدلالات القاهرة على صدقهما فيما أخبرا به عن الله جلّ من توحده واتباع أوامره ، فلما عاين فرعون وملؤه ذلك وشاهدهه وتحققه ، وأيقنوا أنه من عند الله عدلوا بكفرهم وبغيهم إلى العناد والباهتة ، وذلك لطغيانهم وتكبرهم عن اتباع الحق ، فقالوا : ﴿ ما هذا إلا سحرٌ مُفترى ﴾ . / ابن كثير ج/ ٣٨٩ .

٤٤: ﴿وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَا إِلَىٰ مُوسَى الْأَمْرَ وَمَا كُنْتَ مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾ يُنْبَهُ تعالى على برهان نبوة محمد صلى الله عليه وآله وسلم حيث أحرر بالغيوب الماضية خيراً كأن سامعته شاهدٌ ورأي، وهو رجلٌ أمي لا يقرأ شيئاً من الكتب؛ يعني: ما كنت يا محمد بجانب الجبل الغربي الذي كلم الله موسى من الشجرة التي هي شرقيّة شاطئ الوادي ﴿وَمَا كُنْتَ مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾ لذلك ولكن الله سبحانه وتعالى أوحى إليك ذلك ليكون حجةً وبرهاناً على قرون قد تطاول عهدُها ونسوا حجاج الله عليهم وما أوحاه إلى الأنبياء المتقدمين: ٤٥: ﴿وَلَكِنَّا أَنْشَأْنَا قُرُونًا فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ وَمَا كُنْتَ نَاطِئًا فِي أَهْلِ مَدْيَنَ تَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا﴾ وما كنت مقياً في أهل مديّن تتلوا عليهم آياتنا حين أُخبرت عن نبيها شعيب، وما قال لقرمه وما ردّوا عليه ﴿وَلَكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ﴾ ولكن نحن أوحينا إليك ذلك وأرسلناك إلى الناس رسولاً ٤٦: ﴿وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا﴾ أحرر ههنا بصيغة أخرى أخصر من قوله تعالى: ﴿وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَا إِلَىٰ مُوسَى الْأَمْرَ﴾، كما قال تعالى: ﴿وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَى﴾ ﴿وَنَادَيْنَاهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا﴾ ﴿وَلَكِن رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ﴾ ولكن الله تعالى أوحاه إليك وأخبرك به رحمةً منه بك وبالعباد بإرسالك إليهم ﴿لَتُنذِرَ قَوْمًا مَا أَتَاهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ لعلهم يتدون بما جتتم به

وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَا إِلَىٰ مُوسَى الْأَمْرَ وَمَا كُنْتَ مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴿٤٤﴾ وَلَكِنَّا أَنْشَأْنَا قُرُونًا فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ وَمَا كُنْتَ نَاطِئًا فِي أَهْلِ مَدْيَنَ تَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا وَلَكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ﴿٤٥﴾ وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَكِن رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ لَتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أَتَاهُمْ مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٤٦﴾ وَلَوْلَا أَن تُصِيبَهُمْ مُّصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَيَقُولُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا لَوْلَا أُوتِيَ مِثْلَ مَا أُوتِيَ مُوسَىٰ أَوْ لَمَّا يَكْفُرُوا بِمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ مِنْ قَبْلِ قَالُوا سِحْرَانِ تَظَاهَرَا وَقَالُوا إِنَّا بِكُلِّ كَافِرُونَ ﴿٤٨﴾ قُلْ فَاتُوا بِكِتَابٍ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَا أَتَّبِعُهُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٤٩﴾ فَإِنْ لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٥٠﴾

من الله عز وجل ٤٧: ﴿وَلَوْلَا أَن تُصِيبَهُمْ مُّصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَيَقُولُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا﴾؟ الآية؛ وأرسلناك إليهم لتقيم عليهم الحجة ولينقطع عُذْرهم إذا جاءهم عذاب من الله بكفرهم فيحتجوا بأنهم لم يأتهم رسولٌ ولا نذير ٤٨: ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا﴾ [يعني: محمداً صلى الله عليه وآله وسلم] ﴿قَالُوا﴾ [يعني: كفار مكة] على وجه التعنت والعباد والكفر والجهل والإلحاد ﴿لَوْلَا أُوتِيَ مِثْلَ مَا أُوتِيَ مُوسَى﴾ من الآيات الكثيرة مثل العَصَا واليد والطوفان وقلق البحر والعمام إلى غير ذلك من الآيات الباهرات، ﴿أَوْ لَمَّا يَكْفُرُوا بِمَا أُوتِيَ مُوسَى مِنْ قَبْلِ﴾ أُولم يكفر البشر بما أُوتِيَ موسى من الآيات العظيمة؟ ﴿وقالوا سحران تظاهرا﴾^(١) تعانوا، ﴿وقالوا إِنَّا بِكُلِّ كَافِرُونَ﴾ بكل منهما كافرون، أي: التوراة والقرآن، لأنه قال بعده: ٤٩: ﴿قُلْ فَاتُوا بِكِتَابٍ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَا أَتَّبِعُهُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ وكثيراً ما يُقرن الله تعالى بين التوراة والقرآن، [أي: فاتوا بكتاب أهدى من كتابي موسى ومحمد عليهما السلام]، ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ فيما تدافعون به الحق من الباطل، قال الله تعالى: ٥٠: ﴿فَإِنْ لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ﴾ بلا دليل ولا حجة ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ﴾ بغير حجة مأخوذة من كتاب الله ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾.

(١) أي: كفار مكة، يعنون موسى ومحمداً صلى الله عليهما وآله وسلم.

الآية: ٥٠ كان من كلام ورقة بن نوفل عندما سمع أول ما نزل من القرآن: هذا الناموس الذي أنزل على موسى. وقد علم بالضرورة أن الله لم ينزل على أنبيائه ورسله أكمل ولا أشمل ولا أنصح ولا أعظم ولا أشرف من القرآن!! هـ / ابن كثير ج ٣/ ٣٩٣.

٥١: ﴿وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ يتذكرون ﴿يَتَأْتِي لِقَابِ الْقَوْلِ [أَي: الْقُرْآنِ، تَبِعَ بَعْضُهُ بَعْضًا: وَعَدَا وَعِيدًا وَنَصَاحًا وَمَوَاعِظَ إِرَادَةً أَنْ يَتَذَكَّرُوا فَيُحْلِلُوا] ٥٢: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِهِ هُمْ بِهِ يُؤْمِنُونَ﴾ يُخْبِرُ تَعَالَى عَنِ الْعُلَمَاءِ الْأَوْلِيَاءِ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أَنَّهُمْ يُؤْمِنُونَ بِالْقُرْآنِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِمْ خَاشِعِينَ لِلَّهِ﴾، [وَيَدْخُلُ فِي هَذَا مِنْ أَسْلَمَ مِنْ عُلَمَاءِ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى] ٥٣: ﴿وَإِذَا تَلَى عَلَيْهِمْ قَالُوا آمَنَّا بِهِ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّنَا﴾ [أَي: إِذَا قَرَأَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنَ قَالُوا صَدَقْنَا بِمَا فِيهِ] ﴿وَإِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ﴾ مِنْ قَبْلِ هَذَا الْقُرْآنِ كُنَّا مُسْلِمِينَ مَخْلِصِينَ لِلَّهِ ٥٤: ﴿أُولَئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا﴾ هَؤُلَاءِ الْمُتَصِفُونَ بِهَذِهِ الصِّفَةِ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْكِتَابِ الْأَوَّلِ ثُمَّ بِالثَّانِي، وَهَذَا قَالَ: ﴿بِمَا صَبَرُوا﴾ عَلَى اتِّبَاعِ الْحَقِّ، فَإِنَّ تَجَشُّمَ مِثْلِ هَذَا شَدِيدٌ عَلَى النَّفْسِ، ﴿وَيُؤْتَوْنَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةِ﴾ لَا يُقَابِلُونَ السَّيِّئَ بِمِثْلِهِ وَلَكِنْ يُعْفُونَ وَيَصْفَحُونَ ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾ مِنَ الْحِلَالِ يَنْفِقُونَ عَلَى أَهْلِهِمْ وَأَقْرَبِهِمْ، وَفِي الْقُرْبَاتِ ٥٥: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ﴾ لَا يُخَالِطُونَ أَهْلَهُ وَلَا يَعاشِرُونَهُمْ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا﴾ ﴿وَقَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْغِي الْجَاهِلِينَ﴾ إِذَا سَفِهَ عَلَيْكُمْ سَفِيهًا وَكَلَّمَهُمْ بِمَا لَا يَلِيقُ بِهِمُ الْجَوَابَ عَنْهُ

﴿وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ ٥١ ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِهِ هُمْ بِهِ يُؤْمِنُونَ﴾ ٥٢ ﴿وَإِذَا تَلَى عَلَيْهِمْ قَالُوا آمَنَّا بِهِ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ﴾ ٥٣ ﴿أُولَئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾ ٥٤ ﴿وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْغِي الْجَاهِلِينَ﴾ ٥٥ ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ ٥٦ ﴿وَقَالُوا إِن تَتَّبِعِ الْهْدَى مَعَكَ نُنْخِطُفُ مِنْ أَرْضِنَا أَوْلَمْ تُنْمِكِنْ لَهُمْ حَرَمَاءَ آمَنًا يُجِئِي إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ رِزْقًا مِنْ لَدُنَّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ٥٧ ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِكَ بِطَرَفِ مَعِيشَتِهَا فَنِئَالِكِ مَسَاكِينُ لَمْ تُسْكِنْ مِنْ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ﴾ ٥٨ ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى حَتَّى يَبْعَثَ فِي أُمَمٍ آخَرٍ لِيَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا وَما كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَى إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ﴾ ٥٩

أَعْرَضُوا عَنْهُ وَلَمْ يُعَابِلُوهُ بِمِثْلِهِ مِنَ الْكَلَامِ الْقَبِيحِ وَلَا يَصْدُرُ عَنْهُمْ إِلَّا كَلَامٌ طَيِّبٌ ٥٦: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ﴾ لَيْسَ إِلَيْكَ ذَلِكَ، إِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ، وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ مِنَ الْهَدَى وَخَالِفَانَا مِنْ حَوْلِنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ أَنْ يَقْصِدُونَا بِالْأَدَى وَالْحَارِبَةَ وَيَحْطِفُونَا أَيْنَا كُنَّا، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى جَبِيًّا لَهُمْ: ﴿أَوْلَمْ تُنْمِكِنْ لَهُمْ حَرَمًا آمَنًا﴾ مِنْذُ وَضِعَ فَكَيْفَ يَكُونُ هَذَا الْحَرَمُ آمَنًا لَهُمْ فِي حَالِ كُفْرِهِمْ وَشُرْكِهِمْ وَلَا يَكُونُ آمَنًا لَهُمْ وَقَدْ أَسْلَمُوا؟ ﴿يُجِئِي إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ مِنَ سَائِرِ الثَّمَرَاتِ مِمَّا حَوْلَهُ ﴿رِزْقًا مِنْ لَدُنَّا﴾ مِنْ عِنْدِنَا ﴿وَلَكِنْ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ٥٨: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِكَ بِطَرَفِ مَعِيشَتِهَا﴾ طَغَتْ وَأَشْرَكَتْ وَكَفَرَتْ نِعْمَةُ اللَّهِ ﴿فَنِئَالِكِ مَسَاكِينُ لَمْ تُسْكِنْ مِنْ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا﴾ دُبِّرَتْ دِيَارُهُمْ فَلَا تَرَى إِلَّا مَسَاكِينَهُمْ، ﴿وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ﴾ رَجَعَتْ خَرَابًا لَيْسَ فِيهَا أَحَدٌ ٥٩: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى حَتَّى يَبْعَثَ فِي أُمَمٍ آخَرٍ﴾ وَهِيَ مَكَّةُ ﴿رَسُولًا يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا﴾ وَهُوَ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿لَتَنْزِيلُ أُمِّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا﴾، ﴿وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَى إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ﴾ [أَي: كَافِرُونَ].

الآية : ٥٤ : ورد في الصحيح عن أبي موسى الأشعري قال : قال رسول الله ﷺ : « ثلاثة يؤتون أجْرهم مرتين ؛ رجلٌ من أهل الكتاب آمنَ بنبِيِّهم آمنَ نبي ، وعبدٌ مملوكٌ أدَّ حقَّ الله وحقَّ مولاه ، ورجلٌ كانت له أمةٌ فأذباها فأحسنَ تأديبها ثم اعتقها وتزوَّجها . » ابن كثير ج ٣ / ٣٩٢-٣٩٤ .

٦٠: ﴿وَمَا أُوْتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَمَتَاعِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَزِينَتِهَا﴾ بالنسبة لما أعدّه الله لعباده الصالحين في الدار الآخرة من النعم العظيم المقسم ﴿وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾ كما قال تعالى: ﴿مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ﴾، ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ أفلا يعقل من يقدم الدنيا على الآخرة! ٦١: ﴿أَفَمَنْ وَعَدْنَاهُ وَعَدَاً حَسَنًا فَهُوَ لَاقِيهِ كَمَنْ مَتَعْنَاهُ مَتَاعِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ هُوَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الْمُحْضَرِينَ!﴾ أفمن هو مؤمن مصدق بما وعده الله على صالح الأعمال من الثواب الذي هو صائر إليه لا محالة كمن هو كافر مكذب ببقاء الله ووعده ووعيدِهِ فهو تمتع في الدنيا أياماً قلائل ﴿ثُمَّ هُوَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الْمُحْضَرِينَ﴾ المعذنين؟ ٦٢: ﴿يَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ﴾ يخبر تعالى عما يُوبخ به الكفار يوم القيامة؛ يعني: أين الآلهة التي كنتم تعبدونها في الدنيا هل ينصرونكم؟ ٦٣: ﴿قَالَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ﴾ وهم الدعاة إلى الكفر: ﴿رَبَّنَا هَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَغْوَيْنَا كَمَا أَغْوَيْنَا تَرَىٰ أَنَّا إِلَيْكَ مَا كَانُوا إِلَّا نَجِسٌ فِطْرًا حَاسِرًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ فشهدوا عليهم أنهم أغووههم فاتبعوهم ثم تبرؤوا من عبادتهم، كما قال تعالى: ﴿وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لِيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا كَلَّا سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا﴾ ٦٤: ﴿وَقِيلِ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ﴾ ليخلصوكم مما أنتم فيه كما كنتم ترجون منهم في الدنيا ﴿فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَرَأَوُا الْعَذَابَ﴾ وتيقنوا أنهم صائرُونَ إلى النار لا محالة، ﴿لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا يَئْتَدُونَ﴾ فوَدَّوا حينَ عاتَبُوا العذابَ لو أَنَّهُمْ كَانُوا مِنَ الْمُتَّبِعِينَ فِي الدُّنْيَا ٦٥: ﴿يَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ﴾؟ النداء الأول عن سؤال التوحيد، وهذا فيه إثبات النبوات؛ ماذا كان جوابكم للمرسلين إليكم؟ وكيف كان حالكم معهم؟ ولا جواب لهم يوم القيامة غير السكوت؛ لأن من كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى وأضل سبيلاً، ولهذا قال تعالى: ٦٦: ﴿فَمَعِيتَ عَلَيْهِمُ الْآبَاءُ يَوْمَئِذٍ فَهُمْ لَا يَتَسَاءَلُونَ﴾ فمَعِيتَ عليهم الحجج فهم لا يتساءلون بالأسباب ٦٧: ﴿فَأَمَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا﴾ في الحياة الدنيا، ﴿فَعَسَىٰ أَنْ يَكُونَ مِنَ الْمُفْلِحِينَ﴾ يوم القيامة. وعسى من الله موجهة، فإن هذا واقع بفضل الله وميته لا محالة ٦٨: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ﴾ ما يشاء، فما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، فالأمر كلها مرجعها إليه تعالى، ﴿مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ﴾ في الخلق والتقدير والاختيار ﴿سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ من الأصنام والأنداد التي لا تخلق ولا تختار شيئاً ٦٩: ﴿وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ يعلم سبحانه ما تكن الصناديق وما تبديده الظواهر من سائر الخلائق ٧٠: ﴿هُوَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ هو المنفرد بالإلهية، فلا معبود سواه سبحانه، كما لا رب يخلق ما يشاء ويختار سواه، ﴿لَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَىٰ وَالْآخِرَةِ﴾ في جميع ما يفعله هو المحمود عليه بعذله وحكمته، ﴿وَلَهُ الْحُكْمُ﴾ الذي لا معقب له لقره وغلته وحكمته ورحمته ﴿وَالِيهِ تَرْجَعُونَ﴾ يوم القيامة، فيجزى كل عامل بعمله.

٦٥: ﴿وَمَا أُوْتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَمَتَاعِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَزِينَتِهَا وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ ٦٦: ﴿أَفَمَنْ وَعَدْنَاهُ وَعَدَاً حَسَنًا فَهُوَ لَاقِيهِ كَمَنْ مَتَعْنَاهُ مَتَاعِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ هُوَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الْمُحْضَرِينَ!﴾ ٦٧: ﴿أَفَمَنْ وَعَدْنَاهُ وَعَدَاً حَسَنًا فَهُوَ لَاقِيهِ كَمَنْ مَتَعْنَاهُ مَتَاعِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ هُوَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الْمُحْضَرِينَ!﴾ ٦٨: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ﴾ ٦٩: ﴿وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ ٧٠: ﴿هُوَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾

الآية: ٦٥ وإن العبد يسأل في قره، كما ثبت ذلك في الأحاديث الصحاح: مَنْ رَبُّكَ؟ وَمَنْ نَبِيُّكَ؟ وَمَا دِينُكَ؟ فَأَمَّا الْمُؤْمِنُ فَيَسْأَلُ اللَّهَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَأَمَّا الْكَافِرُ فَيَقُولُ: هَاهَا لَا أُدْرِي، وَهَذَا لَا جَوَابَ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ غَيْرَ السُّكُوتِ، لِأَنَّ مَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَى وَأَضَلَّ سَبِيلًا. / ابن كثير ج ٣/ ٣٩٧.

٧١: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ لأضّر ذلك بهم؛ يمتن الله تعالى على عباده بما سخر لهم من الليل والنهار، ﴿مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بضياء﴾ يُبصرون به وتستأنسوا بسببه ﴿أفلا تسمعون﴾؟ ثم أخبر تعالى أنه لو جعل النهار سَرْمَدًا لأضّر بهم: ٧٢: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا﴾ دائماً مستمراً ﴿إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بليل﴾ تسكنون فيه ﴿تستريحوا من حركاتكم وأشغالكم﴾ ﴿أفلا تبصرون﴾؟ ٧٣: ﴿ومن رحمته﴾ بكم ﴿جعل لكم الليل والنهار﴾ خلق لكم هذا وهذا ﴿لتسكنوا فيه﴾ في الليل ﴿ولتبتغوا من فضله﴾ في النهار بالأسفار والترحال والحركات والأشغال، وهذا من باب اللَّف والنشر^(١). ﴿ولعلمكم تشكرون﴾ الله بأنواع العبادات في الليل والنهار، ومن فائده شيء بالليل استدركه بالنهار، أو بالنهار استدركه بالليل، كما قال تعالى: ﴿وهو الذي جعل الليل والنهار خلفةً لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَنْذَكِرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا﴾ ٧٤: ﴿ويوم يُناديهم فيقول أَيْنَ شركائي الذين كنتم تزعمون﴾؟ وهذا أيضاً نداءً ثان على سبيل التوبيخ والتفريع لمن عبد مع الله لهاً آخر، يُناديهم الربُّ تعالى على رؤوس الأشهاد: ٧٥: ﴿ونزعنا من كل أمة شهيداً﴾ نبيّاً ورسولاً، ﴿فقلنا هاتوا بُرْهَانَكُمْ﴾ على صحة ما ادّعيتموه من أن الله شركاء ﴿فعلِمُوا أَنَّ الْحَقَّ لِلَّهِ﴾ لا إله غيره فلم

قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بضياءً أفلا تسمعون ﴿٧١﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بليلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أفلا تبصرون ﴿٧٢﴾ وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَاءِ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٧٤﴾ وَنَزَعْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا فَقُلْنَا هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ فَعَلِمُوا أَنَّ الْحَقَّ لِلَّهِ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٧٥﴾ إِنْ قَرُونَ كَانَتْ مِنْ قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ وَآيَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولَى الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ ﴿٧٦﴾ وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفُسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴿٧٧﴾

ينطقوا، ولا تحيروا جواباً، ﴿وضل عنهم ما كانوا يفترون﴾ ذهبوا فلم ينفعوهم ٧٦: ﴿إِنْ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ﴾ كان ابن عمّ موسى، لكن عدو الله نافق كما نافق السامري فأهلكه البغي لكثرة ماله، ﴿وآتيناه من الكنوز ما إن مفاتحه لتنوء بالعصبة أولي القوة﴾ ليقتل حملها الفئام من الناس لكثرتها، ﴿إذ قال له قومه لا تفرح إن الله لا يحب الفرحين﴾ وعظه صالحو قومه، فقالوا على سبيل النصيح والإرشاد: لا تفرح بما أنت فيه، يعنون: لا تنظر بما أنت فيه من المال إن الله لا يحب المرحين الذين لا يشكرون الله على ما أعطاهم ٧٧: ﴿وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا﴾ استعمل ما وهبك الله من المال والنعمة في طاعة ربك والتقرب إليه بأنواع القربات التي يحصل لك بها الثواب في الدنيا والآخرة، ولا تنس نصيبك مما أباح الله من المأكول والمشرب والملابس والمسكن والمنكح، ﴿وأحسن كما أحسن الله إليك﴾ أحسن إلى خلقه ﴿ولا تبغ الفساد في الأرض﴾ بأن تسيء إلى خلق الله ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾.

الآية: ٧١ كان من دعاء النبي ﷺ وهو ساجد: «اللهم إني أعوذ برضاك من سخطك، وبمعافاتك من عقوبتك، وأعوذ بك منك، لأحصي نداء عليك أنت كما أثبتت على نفسي»، رواه مسلم / الوابل الطيب: لابن قيم الجوزية/ ٢٣٠.

وكان ﷺ يقول في ركوعه وسجوده: «سبحان ذي الجبوت والملكوت، والكبرياء والعظمة» رواه أبو داود رقم ٨٧٢.

(١) اللَّفُّ والنَّشْرُ: هو أن يُلَفَّ شيان أولاً ثم يُردفان بتفسيرهما، أو بما يناسبهما جملة، اعتماداً على أن السامع الفطن يردُّ إلى كل منهما ما هو له. وفي هذه الآية ذكر تعالى الليل والنهار على التفصيل ثم ذكر ما لليل وهو السكون فيه، وما للنهار وهو الابتغاء من فضل الله. وهذا هو اللَّفُّ والنشر المرتب.

٧٨: ﴿قَالَ إِنَّمَا أُوتِيْتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي﴾
 إِنَّمَا أُعْطَانِي اللَّهُ هَذَا الْمَالَ لَعَلَّمَهُ بَأْتِي أُسْتَحِقُّهُ
 [لَمَّا عِنْدِي مِنَ الْعِلْمِ بِوُجُوهِ التِّجَارَاتِ
 وَالْمَكَاسِبِ]، ﴿أَوْ لَمْ يَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ
 مِنْ قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً
 وَأَكْثَرُ جَمْعًا﴾ قد كَانَ مَنْ هُوَ أَكْثَرُ مِنْهُ مَالًا
 وَمَا كَانَ ذَلِكَ عَنْ حِجَّةٍ مِثْلَهُ، وَقَدْ أَهْلَكَهُمُ
 اللَّهُ مَعَ ذَلِكَ بِكُفْرِهِمْ، وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَا
 يُسْأَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ﴾ لكثرة ذنوبهم
 ٧٩: ﴿فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ﴾ زينة
 عَظِيمَةٌ وَتَمَّحَّلَ بِأَهْرَاقٍ مِنْ مَلَابِسٍ وَمَرَاكِبٍ
 ﴿قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ الَّذِينَ
 يَمِيلُونَ إِلَىٰ زَخْرَفِهَا وَزِينَتِهَا: ﴿يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ
 مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ تَمَتَّنَا أَنْ
 لَوْ كَانَ لَهُمْ مِثْلُ الَّذِي أُعْطِيَ، فَلَمَّا سَمِعَ
 مَقَالَتَهُمْ أَهْلَ الْعِلْمِ النَّافِعَ قَالُوا لَهُمْ: ﴿وَيْلَكُمْ﴾
 [زَجَرُوهُمْ عَلَىٰ قَوْلِهِمْ ذَلِكَ] ٨٠: ﴿وَقَالَ
 الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيَلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِمَنْ
 آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا﴾ جَزَاءُ اللَّهِ لِعِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ
 الصَّالِحِينَ فِي الدَّارِ الْآخِرَةِ خَيْرٌ مِمَّا تَرَوْنَ.
 ﴿وَلَا يُلْقَاهَا﴾ الْجَنَّةُ ﴿إِلَّا الصَّابِرُونَ﴾ عَنْ
 حِجَّةِ الدُّنْيَا الرَّابِعُونَ فِي الدَّارِ الْآخِرَةِ ٨١:
 ﴿فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ﴾، كَمَا ثَبَتَ
 عِنْدَ الْبُخَارِيِّ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ
 وَسَلَّمَ قَالَ: «بَيْنَا رَجُلٌ يَجْرُ إِزَارَهُ إِذْ خَسِفَ بِهِ
 فَهُوَ يَتَجَلَّجَلُ فِي الْأَرْضِ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ»،
 ﴿فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِتْنَةٍ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ
 وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنتَصِرِينَ﴾ مَا أَعْنَى عَنْهُ مَالَهُ وَلَا
 جَمْعُهُ وَلَا خِدْمَتُهُ وَحَشْمَتُهُ، وَلَا دَفَعُوا عَنْهُ

قَالَ إِنَّمَا أُوتِيْتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي أَوْ لَمْ يَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ
 مِنْ قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا
 وَلَا يُسْأَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ ﴿٧٨﴾ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِ
 فِي زِينَتِهِ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا لَيْتَ لَنَا
 مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٧٩﴾ وَقَالَ
 الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيَلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِمَنْ آمَنَ
 وَعَمِلَ صَالِحًا وَلَا يُلْقَاهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ ﴿٨٠﴾ فَخَسَفْنَا
 بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِتْنَةٍ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ
 اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنتَصِرِينَ ﴿٨١﴾ وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَتَّنُوا
 مَكَانَهُمْ بِالْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيَكَابُ اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ
 يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَوْ لَا أَنْ مِنَ اللَّهِ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا
 وَيَكُنَّا لَمْ يَفْلَحِ الْكٰفِرُونَ ﴿٨٢﴾ تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا
 لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فِسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ
 ﴿٨٣﴾ مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا
 يُجْزَى الَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٨٤﴾

نِقْمَةَ اللَّهِ وَعَذَابِهِ، وَلَا كَانَ هُوَ فِي نَفْسِهِ مُنْتَصِرًا لِنَفْسِهِ؛ فَلَا نَاصِرَ لَهُ مِنْ نَفْسِهِ وَلَا مِنْ غَيْرِهِ ٨٢: ﴿وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَتَّنُوا مَكَانَهُ بِالْأَمْسِ﴾ الَّذِينَ
 قَالُوا: يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ، فَلَمَّا خَسِفَ بِهِ أَصْبَحُوا ﴿يَقُولُونَ وَيَكَابُ اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ
 وَيَقْدِرُ﴾ لَيْسَ الْمَالُ بَدَلًا عَلَىٰ رِضَا اللَّهِ عَنْ صَاحِبِهِ، فَإِنَّ اللَّهَ يُعْطِي وَيَمْنَعُ وَيُضَيِّقُ وَيُوسِّعُ وَيُخْفِضُ وَيَرْفَعُ، وَلَهُ الْحِكْمَةُ التَّامَّةُ وَالْحِجَّةُ الْبَالِغَةُ، وَهَذَا كَمَا
 فِي الْحَدِيثِ: «إِنَّ اللَّهَ قَسَمَ بَيْنَكُمْ أَخْلَاقَكُمْ كَمَا قَسَمَ أَرْزَاقَكُمْ، وَإِنَّ اللَّهَ يُعْطِي الْمَالَ مَنْ يُحِبُّ وَمَنْ لَا يُحِبُّ، وَلَا يُعْطِي الْإِيمَانَ إِلَّا مَنْ يُحِبُّ»،
 ﴿لَوْ لَا أَنَّ مَنْ اللَّهُ عَلَيْنَا خَسَفَ بِنَا﴾ لَوْلَا لَطْفُ اللَّهِ بِنَا وَإِحْسَانُهُ لَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا كَمَا خَسَفَ بِهِ، لِأَنَّا وَدَدْنَا أَنْ نَكُونَ مِثْلَهُ، ﴿وَيَكُنَّا لَمْ يَفْلَحِ
 الْكٰفِرُونَ﴾ إِنَّهُ كَانَ كَافِرًا، وَلَا يَفْلَحُ الْكٰفِرُ عِنْدَ اللَّهِ لَا فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي الْآخِرَةِ ٨٣: ﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي
 الْأَرْضِ وَلَا فِسَادًا﴾ يُخْبِرُ اللَّهُ تَعَالَى أَنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَنَعِيمَهَا الْمَقِيمَ الَّذِي لَا يَحُولُ وَلَا يَزُولُ جَعَلَهَا لِعِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ الْمُتَوَاضِعِينَ الَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ
 تَرْفَعًا عَلَىٰ خَلْقِ اللَّهِ وَتَجَبُّرًا عَلَيْهِمْ وَلَا فِسَادًا فِيهِمْ، ﴿وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ ٨٤: ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ﴾ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴿فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا﴾ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ مِنْ
 حَسَنَةِ الْعَبْدِ، فَكَيْفَ وَاللَّهُ يَضَاعِفُهُ أَضْعَافًا كَثِيرًا؟! وَهَذَا مَقَامُ الْفَضْلِ، ثُمَّ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى الَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ إِلَّا
 مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ وَهَذَا مَقَامُ الْعَدْلِ.

الآية ٨١: روى الإمام أحمد عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: «بيننا رجلٌ نحنُ كان قبلكم خرج في بُرْدَيْنِ أَحْضَرَيْنِ يَخْتَالُ فِيهِمَا، أَمَرَ اللَّهُ الْأَرْضَ فَأَخَذَتْهُ، فَاتَّهَتْ لِيَتَجَلَّجَلَ فِيهَا إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ» وإسناده حسن. / ابن كثير ج ٣/ ٤٠٠.

٨٥: ﴿إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ لِرَادِّكَ

إِلَى مَعَادٍ﴾ الذي أَمَرَكَ بِإِبْلَاغِ الْقُرْآنِ وَتِلَاوَتِهِ عَلَى النَّاسِ سِرِّدَكَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ فَيَسْأَلُكَ عَمَّا اسْتَرَكَ مِنْ أَعْيَاءِ الرِّسَالَةِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿فَلِنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلِنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ﴾. ﴿قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ مِنْ جَاءِ الْهَادِي وَمَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ قُلْ لِمَنْ خَالَفَكَ وَكَذَبَكَ يَا مُحَمَّدُ: رَبِّي أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِي مِنْكُمْ وَمَنِّي، وَسَتَعْلَمُونَ لِمَنْ تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ وَلِمَنْ تَكُونُ عَاقِبَةُ النَّصْرِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، ثُمَّ قَالَ تَعَالَى مَذْكَرًا لِنَبِيِّهِ نِعْمَتُهُ الْعَظِيمَةُ عَلَيْهِ وَعَلَى الْعِبَادِ إِذْ أَرْسَلَهُ إِلَيْهِمْ: ٨٦: ﴿وَمَا كُنْتَ تَرْجُو أَنْ يُلْقَى إِلَيْكَ الْكِتَابُ﴾ مَا كُنْتَ تَنْظُرُ قَبْلَ أَنْزَالِ الْوَحْيِ إِلَيْكَ أَنَّ الْوَحْيَ يَنْزِلُ عَلَيْكَ ﴿إِلَّا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ﴾ إِنَّمَا أَنْزَلَ

إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَى مَعَادٍ قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ مَنْ جَاءَ بِالْهُدَى وَمَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٨٥﴾ وَمَا كُنْتَ تَرْجُو أَنْ يُلْقَى إِلَيْكَ الْكِتَابُ إِلَّا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا لِلْكَافِرِينَ ﴿٨٦﴾ وَلَا يَصُدُّكَ عَنْ آيَاتِ اللَّهِ بَعْدَ إِذْ أَنْزَلَتْ إِلَيْكَ وَأَدْعُ إِلَى رَبِّكَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٨٧﴾ وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٨﴾

سُورَةُ الْعَنْكَبُوتِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْم ١ أَحْسِبَ النَّاسَ أَنْ يَتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴿١﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ ﴿٢﴾ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ أَنْ يَسْبِقُونَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٣﴾ مَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ اللَّهِ فَإِنْ أَجَلَ اللَّهُ لَاتٍ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٤﴾ وَمَنْ جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴿٥﴾

٣٩٦

الْوَحْيَ عَلَيْكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ رَحْمَتِهِ بِكَ وَبِالْعِبَادِ بِسَبِّكَ، فَإِذَا مَنَّكَ بِهَذِهِ النِّعْمَةِ الْعَظِيمَةِ ﴿فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا﴾ مُعِينًا ﴿لِلْكَافِرِينَ﴾ وَلَكِنْ فَارْقِهِمْ وَنَابِذِهِمْ وَخَالَفِهِمْ [الخطاب مُوجَّهٌ لِلْأُمَّةِ مِنْ خِلَالِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ] ٨٧: ﴿وَلَا يَصُدُّكَ عَنْ آيَاتِ اللَّهِ بَعْدَ إِذْ أَنْزَلَتْ إِلَيْكَ﴾ لَا تَتَأَثَّرْ لِخَالَفَتِهِمْ لَكَ وَصَدَّهُمُ النَّاسَ عَنْ طَرِيقِكَ، فَإِنَّ اللَّهَ مُعَلِّمُ كَلِمَتِكَ وَمُؤَيِّدُ دِينِكَ، وَمُظْهِرُ مَا أُرْسَلْتَ بِهِ عَلَى سَائِرِ الْأَدْيَانِ، وَهَذَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ دُعِيَ إِلَى رَبِّكُ﴾ إِلَى عِبَادَةِ رَبِّكَ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ﴿وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [هَذَا الْخَطَابُ مُوجَّهٌ لَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وَالْمُرَادُّ بِهِ أَفْرَادُ أُمَّتِهِ] ٨٨: ﴿وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ

لِإِلَهٍ إِلَّا هُوَ﴾ لَا تَلِيَقُ الْعِبَادَةُ إِلَّا لَهُ وَلَا تَنْبَغِي الْإِلَهِيَّةُ إِلَّا لِعَظَمَتِهِ، ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ هَذَا إِخْبَارٌ بِأَنَّهُ الدَّائِمُ الْبَاقِي الْحَيُّ الْقَيُّومُ، وَعَبَّرَ بِالرُّجُوعِ عَنِ الذَّاتِ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾، ﴿لَهُ الْحُكْمُ﴾ الْمَلِكُ وَالتَّصَرَّفُ وَلَا مُعْتَقَبَ لِحُكْمِهِ ﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ يَوْمَ مَعَادٍ كَمَا فِي جَزَائِكُمْ بِأَعْمَالِكُمْ إِنْ كَانَ خَيْرًا فَخَيْرٌ، وَإِنْ كَانَ شَرًّا فَشَرٌّ.

تفسير سورة العنكبوت

١: ﴿الْم﴾ ٢: ﴿أَحْسِبَ النَّاسَ أَنْ يَتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾ هَذَا اسْتِفْهَامٌ إِنْكَارٌ وَمَعْنَاهُ: أَنَّ اللَّهَ سَبَّحَانَهُ لَا يَدُّ أَنْ يَبْتَغِي الْمُؤْمِنِينَ بِحَسَبِ مَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْإِيمَانِ كَمَا جَاءَ فِي الصَّحِيحِ: «أَشَدُّ النَّاسِ بِلَاءَ الْأَنْبِيَاءِ ثُمَّ الصَّالِحُونَ ثُمَّ الْأَمْثَلُ فَالْأَمْثَلُ» الْحَدِيثُ ٣: ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا﴾ فِي دَعْوَى الْإِيمَانِ، ﴿وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَافِرِينَ﴾ فِي قَوْلِهِمْ وَدَعْوَاهُمْ ٤: ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ أَنْ يَسْبِقُونَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ لَا يَحْسِبَنَّ الَّذِينَ لَمْ يَدْخُلُوا فِي الْإِيمَانِ أَنَّهُمْ يَتَخَلَّصُونَ مِنْ هَذِهِ الْفِتْنَةِ وَالْإِمْتِحَانِ؟ فَإِنَّ مِنْ وَرَائِهِمُ الْعُقُوبَةُ وَالتَّكَالُ [لِحَالَةٍ] «سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ» بِئْسَ مَا يَنْظُرُونَ ٥: ﴿مَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ اللَّهِ﴾ فِي الْآخِرَةِ ﴿فَإِنَّ أَجَلَ اللَّهِ لَاتٌ﴾ فَإِنَّ اللَّهَ سَبَّحَانَهُ لَرَجَاءِهِ وَتَوْفِيهِ عَمَلَهُ كَامِلًا ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ ٦: ﴿وَمَنْ جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ﴾ [أَي: وَمَنْ جَاهَدَ فِي الدُّنْيَا، وَصَبَرَ عَلَى قِتَالِ الْكُفَّارِ وَأَعْمَالِ الطَّاعَاتِ؛ فَإِنَّمَا يَسْعَى لِنَفْسِهِ، أَي: ثَوَابَ ذَلِكَ كُلِّهِ لَهُ، وَلَا يَرْجِعُ إِلَى اللَّهِ نَفْعَ ذَلِكَ]، ﴿إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ إِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ أَعْمَالِ الْعِبَادِ كُلِّهِمْ.

١٥: ﴿فَاتَّخَذْنَا وَأَصْحَابَ السَّفِينَةِ﴾ الذين آمنوا بِنُوحٍ عليه السلام، وقد تقدم ذكر ذلك مفصلاً في سورة هود [من الآية ٢٥-٤٧]، ﴿وجعلناهم﴾ السفينة ﴿آيةً للعالمين﴾ باقية بعينها. قال قتادة: بقيت إلى أول الإسلام على الجودي ١٦: ﴿وإبراهيم إذ قال لقوميه اعبدوا الله واتقوه﴾ يُخبر تعالى عن إبراهيم خليله إمام الخفاء أنه دعَا قَوْمَهُ إلى عبادة الله وحده لا شريك له، والإخلاص له في التقوى، ﴿ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون﴾ إذا فعلتم ذلك حصل لكم الخير في الدنيا والآخرة، واندفع عنكم الشر، ثم أخبر تعالى عن أصنامهم التي يعبدونها فقال: ١٧: ﴿إنما تعبدون من دون الله آثاناً وتَحْلِقُونَ إفكاً﴾ [أي: إنما تعبدون آثاناً وأنتم تصنعونها] ﴿إن الذين تعبدون من دون الله لا يملكون لكم رزقاً﴾ لا تضُرُّ ولا تنفع، وإنما اختلقتم أنتم لها أسماء فسميتموها آهةً والرزق ﴿فإن غيره لا يملك شيئاً﴾ ﴿واعبدوه واشكروا له﴾ كلوا من رزقه واعبدوه وحده واشكروا له على ما أنعم به عليكم ﴿إليه ترجعون﴾ يوم القيامة فيجازي كل عامل بعمله ١٨: ﴿وإن تكذبوا فقد كذب أتم من قبلكم﴾ هذا كلام إبراهيم عليه السلام يحتج عليهم لإثبات المعاد، [أي: التكذيب عادة الكفار، وليس على الرسل إلا التبليغ]، ﴿وما على الرسول إلا البلاغ المبين﴾ ١٩: ﴿وإن تكذبوا فقد كذب أتم من قبلكم﴾ هذا كلام إبراهيم عليه السلام

فَاتَّخَذْنَا وَأَصْحَابَ السَّفِينَةِ وَجَعَلْنَاهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ ﴿١٥﴾ وَإِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٦﴾ إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكَاتٍ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ ۗ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَإِنْ تَكْذِبُوا فَقَدْ كَذَّبْتُمْ أَمْرًا مِّن قَبْلِكُمْ وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴿١٨﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ۗ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿١٩﴾ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾ يَعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَيَرْحَمُ مَن يَشَاءُ ۗ وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ ﴿٢١﴾ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٢٢﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِشْرَايَتِ اللَّهِ وَلِقَائِهِ ۗ أُولَٰئِكَ يَكْفُرُونَ بِرَحْمَتِي وَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٣﴾

إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿﴾ أرشدَهُم الخليل عليه السلام إلى إثبات المعاد الذي يُنكرونه بما يُشاهدونه في أنفسهم من خلق الله إياهم بعد أن لم يكونوا شيئاً مذكوراً؛ فالذي بدأ هذا قادرٌ على إعادته، فإنه سهل عليه سيرٌ لده، ثم أرشدهم إلى الاعتبار بما في الآفاق: ٢٠: ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ﴾ يوم القيامة ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ٢١: ﴿يَعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَيَرْحَمُ مَن يَشَاءُ﴾ هو الحاكم المنصرف الذي يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد لا معقب لحكمه، ولا يُسأل عما يفعل وهم يُسألون، فله الخلق وإليه الأمر، ﴿وإليه تُقْلَبُونَ﴾ إليه ترجعون يوم القيامة ﴿وما أنتم بمعجزين في الأرض ولا في السماء﴾ لا يعجزه أحدٌ من أهل سمواته وأرضه بل هو القاهر فوق عباده، فكل خائف منه فقيرٌ إليه وهو الغنيُّ عما سواه، سبحانه ﴿وما لكم من دون الله من وليٍّ ولا نصيرٍ﴾ ٢٣: ﴿والذين كفروا بآيات الله ولقائه﴾ جحدوها وكفروا بالمعاد ﴿وأولئك يكفرون من رحمتي﴾ لا نصيب لهم فيها ﴿وأولئك لهم عذابٌ أليمٌ﴾ موجع شديد في الدنيا والآخرة.

ما زادهم ذلك إلا فراراً عن الحق وإعراضاً عنه . نسأل الله تعالى العافية من كل ما يُسخطه، ووفقنا وجميع المسلمين إلى طاعته وعبادته ورضوانه .
الآية: ٢١ كما جاء في الحديث الذي رواه أهل السنن: أن رسول الله ﷺ قال: «إن الله لو عذب أهل سمواته وأهل أرضه، لَعَذَّبَهُمْ وهو غير ظالم لهم» أي: إذا عذب الله تعالى حداً من خلقه عذبه بما يستحقه من العقاب من غير ظلم .
وروى مسلم في صحيحه والترمذي وابن ماجه عن أبي ذر عن النبي ﷺ فيما يروي عن ربه عز وجل أنه قال: «يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرماً، فلا تظالموا» . وروى مسلم أيضاً عن جابر أن رسول الله ﷺ قال: «اتقوا الظلم، فإن الظلم ظلمات يوم القيامة ..» الحديث /التزويج ج/ ١٨٣/٣ - ١٨٤ .

٢٤: ﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا اقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ﴾ يُخْرِجُ تَعَالَى عَنْ قَوْمِ إِبْرَاهِيمَ فِي كُفْرِهِمْ وَعِنَادِهِمْ وَمُكَابَرَتِهِمْ وَدَفْعِهِمُ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ أَنَّهُمْ مَا كَانَ لَهُمْ جَوَابٌ ﴿إِلَّا أَنْ قَالُوا اقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ﴾ وَذَلِكَ لِأَنَّهُمْ قَامَتْ عَلَيْهِمُ الْحُجَّةُ فَعَدَّلُوا إِلَى اسْتِعْمَالِ قُوَّةِ مَلِكِهِمْ ﴿فَقَالُوا ابْنُوا لَهُ بُيُوتًا فَأَلْقُوهُ فِي الْجَحِيمِ﴾ ﴿فَلَمَّا نَجَّى اللَّهُ مِنَ النَّارِ﴾ فَجَعَلَهَا اللَّهُ عَلَيْهِ بَرْدًا وَسَلَامًا، وَخَرَجَ مِنْهَا سَالِمًا بَعْدَ مَا مَكَتَ فِيهَا أَيَّامًا، وَلِهَذَا جَعَلَهُ اللَّهُ لِلنَّاسِ إِمَامًا، فَإِنَّهُ بَدَّلَ نَفْسَهُ لِلرَّحْمَنِ، وَجَسَدَهُ لِلنَّسْرِانِ، وَسَخَا بَوْلُهُ لِلقُرْبَانِ، وَجَعَلَ مَالَهُ لِلضُّيْفَانِ، وَلِهَذَا اجْتَمَعَ عَلَى عِبَادَتِهِ جَمِيعُ أَهْلِ الْأَدْيَانِ. ﴿إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ ٢٥: ﴿وَقَالَ إِنَّمَا اتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا مَوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ يَقُولُ لِقَوْمِهِ مُقَرَّعًا لَهُمْ وَمَوْتِخًا عَلَى سُوءِ صَنِيعِهِمْ فِي عِبَادَتِهِمُ لِلْأَوْثَانِ: إِنَّمَا اتَّخَذْتُمْ هَذِهِ لِتَجْتَمِعُوا عَلَى عِبَادَتِهَا فِي الدُّنْيَا صِدَاقَةً وَأَلْفَةً مِنْكُمْ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ، ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُمْ بِبَعْضٍ ﴿تَجَاحَدُونَ مَا كَانَ بَيْنَكُمْ، وَيُؤْمِنُونَ بِبَعْضِكُمْ بِبَعْضٍ﴾ يَلْمِزُ الْأَتْبَاعُ الْمُتَّبِعِينَ، وَالْمُتَّبِعُونَ الْأَتْبَاعَ ﴿وَمَا أَوَّاهَكُمْ النَّارَ﴾ وَمَصِيرَكُمْ وَمَرْجِعَكُمْ بَعْدَ عَرَضَاتِ الْقِيَامَةِ إِلَى النَّارِ ﴿وَمَا لَكُمْ مِنْ نَاصِرِينَ﴾ مَا لَكُمْ مِنْ نَاصِرٍ يَنْصُرُكُمْ وَلَا مُنْقِذٍ يُنْقِذُكُمْ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ، وَهَذَا حَالُ الْكَافِرِينَ، أَمَّا الْمُؤْمِنُونَ فَيُخَلِّفُ ذَلِكَ ٢٦: ﴿فَأَمَّنْ لَهُ﴾ لِإِبْرَاهِيمَ ﴿لُوطًا﴾ وَهُوَ ابْنُ أُخْتِي إِبْرَاهِيمَ، يَحْنِي: وَلَمْ

فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا اقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ فَأَنْجَاهُ اللَّهُ مِنَ النَّارِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٢٤﴾ وَقَالَ إِنَّمَا اتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا مَوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ تَطَّيَّرْتُمْ بِالْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُمْ بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُمْ بَعْضًا وَمَأْوَأَتُكُمْ النَّارُ وَمَأْوَأَتُكُمْ مِنَ النَّاصِرِينَ ﴿٢٥﴾ ﴿فَأَمَّنْ لَهُ لُوطًا وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَى رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ ﴿٢٦﴾ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ وَعَاقِبْتَهُ أَجْرًا فِي الدُّنْيَا وَآوَيْنَاهُ فِي الْآخِرَةِ لِمَنِ الصَّالِحِينَ ﴿٢٧﴾ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ إِنَّكُمْ لَأَنْتَوْنَ الْفَاحِشَةُ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ ﴿٢٨﴾ أَيُّنْكُمْ لَأَنْتَوْنَ الرِّجَالُ وَتَقَطُّعُونَ السَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمْ الْمُنْكَرَ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَأَتَيْنَا بِعَذَابِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٢٩﴾ قَالَ رَبِّ انصُرْنِي عَلَى الْقَوْمِ الْمُفْسِدِينَ ﴿٣٠﴾

يُؤْمِنُ بِهِ مِنْ قَوْمِهِ سِوَاهُ وَسَارَةَ امْرَأَةَ إِبْرَاهِيمَ ﴿وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَى رَبِّي﴾ وَهَاجَرَ مَعَهُ لُوطٌ إِلَى بِلَادِ الشَّامِ، ثُمَّ أُرْسِلَ فِي حَيَاةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَى أَهْلِ سَدُومَ وَأَقَامَ بِهَا وَكَانَ مِنْ أَمْرِهِ مَا تَقَدَّمَ. ﴿إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ لَهُ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ، الْحَكْمُ فِي أَقْوَالِهِ وَأَفْعَالِهِ وَأَحْكَامِهِ ٢٧: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ﴾ مَعْنَاهُ أَنَّ وَلَدَ الْوَلَدِ بِمَنْزِلَةِ الْوَلَدِ [فَإِنَّ يَعْقُوبَ ابْنَ إِسْحَاقَ] ﴿وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ﴾ هَذِهِ خِلْعَةٌ سَنِيَّةٌ عَظِيمَةٌ مَعَ اتِّخَاذِ اللَّهِ إِيَّاهُ خَلِيلًا وَجَعَلَهُ لِلنَّاسِ إِمَامًا، فَجَمِيعُ الْأَنْبِيَاءِ مِنْ سَلَاتِهِ ﴿وَأَتَيْنَاهُ أَجْرَهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لِمَنِ الصَّالِحِينَ﴾ جَمَعَ اللَّهُ لَهُ بَيْنَ سَعَادَةِ الدُّنْيَا الْمَوْصُولَةِ بِسَعَادَةِ الْآخِرَةِ، وَهُوَ الشَّاءُ الْجَمِيلُ فِيهَا ٢٨: ﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ إِنَّكُمْ لَأَنْتَوْنَ الْفَاحِشَةُ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ﴾ يُخْرِجُ تَعَالَى عَنْ نَبِيِّ لُوطٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنَّهُ أَنْكَرَ عَلَى قَوْمِهِ سُوءَ صَنِيعِهِمْ وَمَا كَانُوا يَفْعَلُونَهُ مِنْ قَبِيحِ الْأَعْمَالِ فِي إِيْتَانِهِمُ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ وَلَمْ يَسْبِقَهُمْ إِلَى هَذِهِ الْفِعْلَةِ أَحَدٌ مِنْ بَنِي آدَمَ قَبْلَهُمْ، مَعَ كُفْرِهِمْ بِاللَّهِ وَتَكْذِيبِ رَسُولِهِ ٢٩: ﴿أَنْتُمْ لَأَنْتَوْنَ الرِّجَالُ﴾ [أَي: عَوْضُ النِّسَاءِ] ﴿وَتَقَطُّعُونَ السَّبِيلَ﴾ [أَي: اسْتَفْتَوْا بِالرِّجَالِ عَنِ النِّسَاءِ، وَفِي هَذَا قَطْعُ النَّسْلِ] ﴿وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمْ الْمُنْكَرَ﴾ كَانُوا يَأْتُونَ بِبَعْضِهِمْ بَعْضًا فِي الْمَلَأِ، ﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا إِنَّمَا إِنَّمَا بَعَذَابِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ وَهَذَا مِنْ كُفْرِهِمْ وَعِنَادِهِمْ وَاسْتِهْزَائِهِمْ، وَلِهَذَا اسْتَنْصَرَ عَلَيْهِمُ نَبِيَّ اللَّهِ فَقَالَ: ﴿٣٠: رَبِّ انصُرْنِي عَلَى الْقَوْمِ الْمُفْسِدِينَ﴾.

٣١: لَمَّا اسْتَنْصَرَ لُوطٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِاللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ بَعَثَ لِنَصْرَتِهِ مَلَائِكَةً فَمَرُّوا عَلَى إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبَشْرَى قَالُوا إِنَّا مَهْلِكُوا أَهْلَ هَذِهِ الْقَرْيَةِ إِنْ أَهْلَهَا كَانُوا ظَالِمِينَ ﴿٣١﴾ قَالَ إِنِّي فِيهَا لُوطٌ قَالُوا نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَنْ فِيهَا لَنُنَجِّيَنَّهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا أُمَّرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ ﴿٣٢﴾ وَلَمَّا أَنْ جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِوَى بِيهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالُوا لَا تَحْفَ وَلَا تُحْنَنَّ إِنَّا مُنْجُوكَ وَأَهْلَكَ إِلَّا أُمَّرَأَتَكَ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ ﴿٣٣﴾ إِنَّا مُنْزِلُونَ عَلَى أَهْلِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿٣٤﴾ وَلَقَدْ تَرَكْنَا مِنْهَا آيَةً بَيِّنَةً لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٣٥﴾ وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا فَقَالَ يَقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَارْجُوا الْيَوْمَ الْأَخِيرَ وَلَا تَعْتَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٣٦﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جِثْمِينَ ﴿٣٧﴾ وَعَادًا وَثَمُودًا وَقَدْ تَبَيَّنَ لَكُمْ مِنْ مَسْكَنِهِمْ وَزِينَتِهِمْ الشَّيْطَانُ أَعْمَلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ ﴿٣٨﴾

٤٠٠

بخبر تعالى عن عبده ورسوله شعيب عليه السلام أنه أنذر قومه أهل مدين فأمروهم فقالوا يا قوم اعبدوا الله وارجوا اليوم الآخر واخشوا اليوم الآخر، ﴿وَلَا تَعْتَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ ناهم عن العيث في الأرض بالفساد، وهو السعي فيها والبخي على أهلها، وذلك أنهم كانوا ينقصون لكيال والميزان ويقطعون الطريق على الناس، هذا مع كفرهم بالله ورسوله ٣٧: ﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ﴾ فأهلكهم الله برجفة عظيمة زلزلت عليهم بلادهم، وصيحة أخرجت القلوب من حناجرها، ﴿فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جِثْمِينَ﴾ التي بعضهم على بعض ميتين ٣٨: ﴿وَعَادًا وَثَمُودًا﴾ بخبر تعالى عن هؤلاء الأمم المكذبة للرسول كيف أبادهم وأخذهم بالانتقام، فعاد قوم هود كانوا يسكنون الأحقاف وهي قرية من حضرموت بلاد اليمن. وثمود قوم صالح كانوا يسكنون الحجر قريباً من وادي القرى، ﴿وَقَدْ تَبَيَّنَ لَكُمْ مِنْ مَسْكَنِهِمْ وَزِينَتِهِمْ الشَّيْطَانُ أَعْمَلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ﴾ أي: عن طريق الحق ﴿وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ﴾ أي: قد عرفوا الحق بن الباطل يظهر البراهين؛ فكفروا استكباراً وعناداً.]

(١) انظر تفسير الآية ١٧٢ - ١٧٣ من سورة الشعراء، والمقصود من البحيرة المنتنة: البحر الميت.

الآية: ٣٦: روى ابن ماجه والبراز والبيهقي والحاكم بإسناد صحيح عن ابن عمر قال: أقبل علينا رسول الله ﷺ فقال: يا معشر المهاجرين! خمس خصال إذا ابتليتم بهن، أعود بالله أن تدركوهن: لم تظهر الفاحشة في قوم قط حتى يُعْلِنُوا بها إلا فُتِنُوا فيها الطاعون والأوجاع التي لم تكن مضت في أسلافهم الذين مضوا، ولم ينقصوا المكيال والميزان إلا أُجِدُوا بالسنين [القطط] وشدة المرقنة [الهموم والأحزان] وجور السلطان عليهم، ولم يعموا زكاة أموالهم إلا مُبْعُوا القطر من السماء، ولولا الهبالم لم يظفروا. ولم ينقصوا عهد الله وعهده رسوله إلا سلب الله عليهم عدواً من غيرهم فأخذوا بعض ما في أيديهم، وما لم تحكم أتهمم بكتاب الله تعالى، ويخبروا فيها أنزل الله، إلا جعل الله بأسهم بينهم. . /التزغيب ج ١٤٨/١٤٩ - ١٤٨/١٤٩ .

٣٩: ﴿وَقَارُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَامَانَ﴾ [أي: وأهلكنا هؤلاء بعد أن جاءتهم الرسل، كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مُوسَىٰ بِالْبَيِّنَاتِ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانُوا سَابِقِينَ﴾ [أي: فاتين من عبدنا] ٤٠: ﴿فَكَلَّا أَخَذْنَا بِذُنُوبِهِ﴾ كانت عقوبته بما يناسبه ﴿فَمِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا﴾ وهم عاد، وذلك أنهم قالوا: من أشدُّ مِنَّا قوَّةً؟ فجاءتهم ريحٌ صرصرٌ باردة شديدة البرد عاتية شديدة الهبوب، تحمل الرجل إلى عنان السماء ثم تنكسه على أم رأسه، فيبقى بدنًا بلا رأس، ﴿ومِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ﴾ وهم قوم ثمود، جاءتهم صيحة أخذت الأصوات منهم والحركات، ﴿ومِنْهُمْ مَنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ﴾ وهو قارون الذي طغى وبعى، ﴿ومِنْهُمْ مَنْ أَغْرَقْنَا﴾ وهو فرعون ووزيره هامان وجنودهما عن آخرهم أغرقوا في صيحة واحدة فلم ينج منهم مخرَّبٌ ﴿وما كان الله لِيُظْلِمَهُمْ﴾ فيا فعل بهم ﴿ولكن كانوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ إنما فعلنا بهم جزاءً وفاقاً بما كسبت أيديهم ٤١: ﴿مِثْلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ﴾ كمثل العنكبوت التي اتخذت بيتاً وإن أوهن البيوت بيت العنكبوت لو كانوا يعلمون ٤٢: ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ لِنُظْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ﴾ كمثل العنكبوت اتخذت بيتاً وإن أوهن البيوت بيت العنكبوت لو كانوا يعلمون ٤٣: ﴿خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ﴾ في ذلك لآية للمؤمنين ٤٤: ﴿اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ﴾ تنهى عن الفحشاء والمنكر ولذكر الله أكبر والله يعلم ما تصنعون ٤٥: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون ٤٦: ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ لِنُظْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ﴾ كمثل العنكبوت اتخذت بيتاً وإن أوهن البيوت بيت العنكبوت لو كانوا يعلمون هذا مثل ضربه الله تعالى للمشركين في اتخاذهم الهة من دُونِ اللَّهِ يرجون نفعهم ورزقهم، فهم في ذلك كبيت العنكبوت في ضعفه ووهنه، فليس في أيدي هؤلاء من ألفتهم إلا كمن يتمسك ببيت العنكبوت، فإنه لا يُجدي عنه شيئاً ٤٧: ﴿ثُمَّ قَالَ تَعَالَىٰ

وَقُرُونٍ وَفِرْعَوْنَ وَهَمَانَ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مُوسَىٰ بِالْبَيِّنَاتِ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانُوا سَابِقِينَ ﴿٣٩﴾ فَكَلَّا أَخَذْنَا بِذُنُوبِهِ فَمِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٠﴾ مِثْلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمِثْلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٤٢﴾ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ لِنُظْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ ﴿٤٣﴾ خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٤﴾ اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴿٤٥﴾

متوعداً لمن عبد غيره وأشرك به أنه تعالى يعلم ما هم عليه من الأعمال ويعلم ما يشركون به من الأنداد: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ﴾ وسيجزئهم وصفهم ﴿وهو العزيز الحكيم﴾ ٤٣: ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ﴾ وما يفهمها ويتدبرها إلا الراسخون في العلم المتضلعون منه. قال عمرو بن مرة: ما مررت بآية من كتاب الله لا أعرفها إلا أحرقتني، لأني سمعتُ الله تعالى يقول: ﴿وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون﴾ ٤٤: ﴿خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ﴾ لا على وجه العبث واللعب [تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً]، ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ للدلالة واضحة على أنه تعالى المتفرد بالخلق والتدبير. ثم قال تعالى أمراً رسوله صلى الله عليه وآله وسلم والمؤمنين بتلاوة القرآن وهو قراءته وإبلاغه للناس. ٤٥: ﴿اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ﴾ [أي: القرآن] ﴿وأقم الصلاة إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر﴾ أن الصلاة تشتمل على شيئين؛ على ترك الفواحش والمنكرات، أي: المواظبة عليها تحمل على ترك ذلك، وقد جاء في الحديث: ﴿من لم تنه صلته عن الفحشاء والمنكر لم تزدّه من الله إلا بُعداً﴾ قال ابن عباس: فمن لم تأمره صلته بالمعروف وتنهه عن المنكر لم يزد صلته من الله إلا بُعداً. ﴿ولذكرُ الله أكبر﴾ ولذكرُ الله لعباده أكبر، وذلك أنه تعالى إذا ذكره ذكرهم، كما قال تعالى: ﴿فادكروني أدكركم﴾، ﴿والله يعلم ما تصنعون﴾ [هذا حثٌ على المراقبة].

الآية: ٤١ قال الله تعالى في سورة الإسراء آية ٢٢: ﴿لا تجعل مع الله إلهاً آخر فتضع مذبذباً مضطرباً﴾ وقال سبحانه: ﴿ولا تجعل مع الله إلهاً آخر فقلقى في جهنم ملوماً مذموراً﴾ الاسراء آية ٣٩/ وقال سبحانه في سورة النساء آية ٣٦: ﴿واعبدوا الله ولاشركوا به شيئاً﴾.

﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأَنْزَلَ إِلَيْكُمُ وَاللَّهُنَا وَاللَّهُكُمْ وَحَدِّثْهُمْ لَهُمْ مَسْلُومًا ﴿٤٦﴾ وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمِنْ هَؤُلَاءِ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الْكَافِرُونَ ﴿٤٧﴾ وَمَا كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذًا لِآرْتَابِ الْمُبِطِلُونَ ﴿٤٨﴾ بَلْ هُوَ آيَاتٌ مُبِينَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الظَّالِمُونَ ﴿٤٩﴾ وَقَالُوا لَوْلَا أَنْزَلَ عَلَيْهِ آيَاتٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴿٥٠﴾ أَوْ لَمْ يَكْفِهِمْ أَنَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتٌ فِي ذَلِكَ لِرَحْمَةٍ وَذِكْرَى لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾ قُلْ كَفَى بِاللَّهِ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ شَهِيدًا يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالَّذِينَ آمَنُوا بِالْبَاطِلِ وَكَفَرُوا بِاللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٥٢﴾

٤٦: ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ هي أحسن ﴿وذلك لمن أراد الاستبصار منهم في الدين فيجادل بالتي هي أحسن ليكون أنجع فيه﴾ كما قال تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾ ﴿إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ﴾ حدثوا عن وجه الحق وكابروا فحينئذ ينتقل من الجدال إلى الجلاذ ويقاثلون بما يمنعهم ويردعهم، وهم أهل الحرب ومن امتنع عن أداء الجزية. ﴿وقولوا آمنا بالذي أنزل إلينا وأنزل إليكم﴾ إذا أخبروا بما لا نعلم صدقه ولا كذبه فهذا لا تقدم على تكذيبه لأنه قد يكون حقاً، ولا تصديقه فلعلمه أن يكون باطلاً. روى البخاري: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ﴿لَا تُصَدِّقُوا أَهْلَ الْكِتَابِ وَلَا تَكْذِبُوهُمْ﴾، ﴿وقولوا آمنا بالذي أنزل إلينا وأنزل إليكم، وإلينا وإلهمك واحد ونحن له مسلمون﴾ ٤٧: ﴿وكذلك أنزلنا إليك﴾ يا محمد ﴿الكتاب فالذين آتيناهم الكتاب يؤمنون به﴾ أحبارهم العلماء الأذكياء كعبد الله بن سلام وسلمان الفارسي وأشباههما، ﴿ومن هؤلاء من يؤمن به﴾ العرب من قريش وغيرهم ﴿وما يجحد بآياتنا إلا الكافرون﴾ ثم قال تعالى: ٤٨: ﴿وما كنت تتلوا من قبله من كتاب ولا تحطه بيمينك﴾ لقد لبثت في قومك يا محمد من قبل أن تأتي بهذا القرآن غمراً لا تقرأ كتاباً ولا تكتب، وهكذا صفته في الكتب المتقدمة، ولهذا اتخذ كتاباً يكتبون بين يديه الوحي

والرسائل إلى الأقاليم. ﴿إذا لارتاب المبطلون﴾ لو كنت تحسنها لارتاب بعض الجهلة من الناس، فيقول: إنما تعلم هذا من كتب قبله مأثورة عن الأنبياء ٤٩: ﴿بل هو آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم﴾ هذا القرآن آيات بيّنة واضحة الدلالة على الحق، ﴿وما يجحد بآياتنا إلا الظالمون﴾ ما يكذب بها ويبخس حقها ويردّها إلا المعتدون المكابرون الذين يعلمون الحق ويحيدون عنه ٥٠: ﴿وقالوا لولا أنزل عليه آيات من ربّه﴾ يخبر تعالى عن تعنت المشركين في طلبهم آية ترشدهم إلى أن محمداً صلى الله عليه وآله وسلم رسول الله كما أتى صالح بناتقته، ﴿قل﴾ يا محمد ﴿إنما الآيات عند الله﴾ أمر ذلك إلى الله، فإنه تعالى لو علم أنكم تهتدون لأجابكم إلى ذلك، ولكنه علم منكم التعنت فلا يجيبكم إلى ذلك، ﴿وإنما أنا نذير مبين﴾ إنما بعثت نذيراً لكم بين النذارة، فعلى أن أبلغكم رسالة الله تعالى ٥١: ﴿أولم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم﴾ أولم يكفهم آية هذا القرآن العظيم الذي فيه الحق الواضح البين الخلق؟ ﴿إن في ذلك﴾ في هذا القرآن ﴿لرحمة وذكرى لقوم يؤمنون﴾ يينا للحق وإزاحة للباطل، وذكرى بما فيه من حلول النعمات ونزول العذاب بالمكذبين، ثم قال تعالى: ٥٢: ﴿قل كفى بالله بيني وبينكم شهيداً﴾ هو أعلم بما تفيضون فيه من التكذيب، ﴿يعلم ما في السموات والأرض﴾ لا تخفى عليه خافية ﴿والذين آمنوا بالباطل وكفروا بالله أولئك هم الخاسرون﴾ يوم القيامة، سيجزبهم على ما فعلوا في تكذيبهم الحق واتباعهم الباطل.

الآية: ٤٨: روى مسلم قال رسول الله ﷺ: «يقول الله تعالى: إني مبتليكم ومثلي بك، ومثلي عليك كتاباً لا يغسله الماء، تقرأه نائماً ويقطاناً»، فهذا القرآن محفوظ بالصدور ميسر على الألسنة مهيم على القلوب، معجز في لفظه ومعناه، قال رسول الله ﷺ: «ما من نبي إلا وقد أعطي ما آمن على مثله البشر، وإنما كان الذي أوتيته وحياً أوحاه الله إلي، فأرجو أن أكون أكثرهم تابعاً». ابن كثير ج ٤١٧/٣.

٦٤: ﴿وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا هُوَ
وَلَعَبٌ﴾ يُخبر تعالى عن حقارة الدنيا وزوالها،
وأنها لا دوام لها، ﴿وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ
الْحَيَوَانُ﴾ الحياة الدائمة التي لا زوال لها ولا
انقضاء، وهي مستمرة أبد الآباد، ﴿لَوْ كَانُوا
يَعْلَمُونَ﴾ لأنروا ما يبقى على ما يقضى. ثم
أخبر تعالى عن المشركين أنهم عند الاضطراب
يدعونه وحده لا شريك له، فهلاً يكون هذا
منهم دائماً: ٦٥: ﴿فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلِكِ
دَعَاُ اللّٰهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى
الْبَرِّ إِذَا هُمْ مُشْرِكُونَ﴾ كقوله تعالى: ﴿وَإِذَا
مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلُّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا
إِيَّاهُ فَلَمَّا تَجَاكَم إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ﴾ الآية
﴿لِيُكْفَرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ وَلِيَتَمَتَّعُوا﴾ [أي:
ليكون ثمرة شركهم أن يجحدوا بغير الله
ويتمتعوا بالدنيا]، ﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ [معناه
التهديد والوعيد]: ٦٧: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا
حَرَمًا مَّأْمُورًا؟ يَتَمَنَّوْنَ أَن يَبْعَثُوا
أَحْلَاهُمْ مِنْ حَرَمِهِ الَّذِي جَعَلَهُ مَّأْمُورًا
﴿وَيُخِطَفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ﴾ والأعراب
حوله ينهب بعضهم بعضاً ويقتل بعضهم
بعضاً، كما قال تعالى: ﴿إِلَّا يَلَافُ قَرِيشٌ﴾ إلى
آخر السورة، ﴿أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَنِعْمَةَ اللّٰهِ
يَكْفُرُونَ؟! أَفَكَانَ شُكْرُهُمْ عَلَى هَذِهِ النِّعْمَةِ
العظيمة أن أشركوا بالله وعبدوا معه غيره من
الأصنام والأنداد؟ ٦٨: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ
افْتَرَى عَلَى اللّٰهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِالْحَقِّ لَمَّا
جَاءَهُ﴾ لا أحد أشدَّ عقوبةً ممن كذب على
الله فقال: إن الله أوحى إليه ولم يُوحَ إليه

وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهُوَ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ
لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿٦٤﴾ فَإِذَا رَكِبُوا فِي
الْفُلِكِ دَعَاُ اللّٰهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا
هُمْ يُشْرِكُونَ ﴿٦٥﴾ لِيُكْفَرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ وَلِيَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ
يَعْلَمُونَ ﴿٦٦﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا مَّأْمُورًا وَيُخِطَفُ
النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَنِعْمَةَ اللّٰهِ يَكْفُرُونَ
﴿٦٧﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللّٰهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِالْحَقِّ
لَمَّا جَاءَهُ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ ﴿٦٨﴾ وَالَّذِينَ
جَاهَدُوا فِيْنَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللّٰهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾

سُورَةُ الرَّحْمٰنِ

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

الْم ﴿١﴾ غَلَبَتِ الرُّومُ ﴿٢﴾ فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ
غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ﴿٣﴾ فِي بَضْعِ سِنِينَ لِلّٰهِ الْأَمْرُ
مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ وَيَوْمَ يُفْرَخُ الْمُؤْمِنُونَ ﴿٤﴾
يَنْصُرُ اللّٰهُ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٥﴾

٤٠٤

شيء، وهكذا لا أحد أشدَّ عقوبةً ممن كذب بالحقِّ لَمَّا جَاءَهُ؛ فالأول مفتر والثاني مُكذِّب، ولهذا قال تعالى: ﴿أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى
لِّلْكَافِرِينَ؟!﴾ أي: مستقر [وهو استفهام تقرير] ٦٩: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِيْنَا﴾ يعني الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه وأتباعه إلى يوم
الدِّينِ ﴿لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ لنصرتهم طرفنا في الدنيا والآخرة، ﴿وَإِنَّ اللّٰهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ الذين يعملون بما يعلمون، يهديهم الله لِمَا لا يعلمون.

تفسير سورة الرُّوم

١: ﴿الْم﴾ ٢: ﴿غَلَبَتِ الرُّومُ﴾ حين غلب سَابُورُ ملك الفرس على بلاد الشام وما والاها من بلاد الجزيرة وأقاصي بلاد الروم، فاضطر هرقل
ملك الروم حتى ألجأه إلى القسطنطينية، ثم عادت الدولة لهرقل. قال ابن عباس: كان المشركون يُحبون أن تظهر فارس على الروم؛ لأنهم أصحاب
أوثان، وكان المسلمون يحبون أن تظهر الروم على فارس؛ لأنهم أهل الكتاب ٣: ﴿فِي أَدْنَى الْأَرْضِ﴾ بين أذربايجان وبصرى، وهي طرف بلاد
الشام تما يلي بلاد الحجاز، ﴿وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ﴾ [أخبر سبحانه أن الروم ستغلب فارس] ٤: ﴿فِي بَضْعِ سِنِينَ﴾ والبضْع ما بين
ثلاث إلى تسع. وكانت نصرة الروم على فارس يوم وقعت بدر، ﴿اللّٰهُ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ﴾ [أي: كل ما في العالم بإرادته وقدرته] ﴿وَيَوْمَ يُفْرَخُ
يُفْرَخُ الْمُؤْمِنُونَ﴾ ٥: ﴿يَنْصُرُ اللّٰهُ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ في انتصاره وانتقامه من أعدائه ﴿الرَّحِيمُ﴾ بالمؤمنين. [وقد كان كل ذلك في
خمس عشرة سنة.

٦: ﴿وَعَدَ اللَّهُ لَا يَخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ﴾ هذا الذي أخبرناك به يا محمد من أنا سننصر الروم على فارس خير صدق لا بد من كونه ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ بحكم الله في كونه جارياً على وفق العدل. ٧: ﴿يَعْلَمُونَ ظَاهِراً مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ﴾ أكثر الناس ليس لهم علم إلا بالدنيا وشؤونها وما فيها، فهم خذاق أذكىء في تحصيلها وهم غافلون في أمور الدين وما ينفعهم في الدار الآخرة ٨: ﴿أُولَئِكَ يَتفَكَّرُوا فِي أَنفُسِهِمْ مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنِّي تَعَالَى عَلَى التَّفَكُّرِ فِي مَخْلُوقَاتِهِ الدَّالَّةِ عَلَى وُجُودِهِ وَإِنْفِرَادِهِ بِمَخْلَقِهَا ﴿مَا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ من العالم العلوي والسفلي وما بينهما من المخلوقات المتنوعة ﴿إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ فيعلموا أنها ما خلقت سدى ولا باطلاً بل بالحق ﴿وَأَجَلَ مُسَمًّى﴾ يوم القيامة، ولهذا قال تعالى: ﴿وَإِنَّ كَثِيراً مِنَ النَّاسِ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ لَكَافِرُونَ﴾ ثم نهبهم على صدق رسله فيما جاؤوا به من الدلائل الواضحات من إهلاك من كفر بهم ونجاة من صدقهم فقال: ٩: ﴿أُولَئِكَ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ﴾ بأفهامهم وعقولهم وسماعهم أخبار الماضين، ولهذا قال: ﴿فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً﴾ كانت الأمم الماضية أشد قوة منكم أيها المبعوث إليهم محمد صلى الله عليه وآله وسلم، وما أوتيتهم معشار ما أوتوا، ﴿وَأَنذَرُوا الْأَرْضَ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا﴾ واستغلوها

وَعَدَ اللَّهُ لَا يَخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦﴾
 ﴿٧﴾ أُولَئِكَ يَتفَكَّرُوا فِي أَنفُسِهِمْ مَا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلَ مُسَمًّى وَإِنَّ كَثِيراً مِنَ النَّاسِ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ لَكَافِرُونَ ﴿٨﴾ أُولَئِكَ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَنذَرُوا الْأَرْضَ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٩﴾ ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ اسْتَوُوا السُّوَأَى أَن كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَكَانُوا بِهَا يَسْتَهْزِءُونَ ﴿١٠﴾ اللَّهُ يَبْدُوا الْخَلْقَ ثُمَّ يَعِيدُهُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١١﴾ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُبْلِسُ الْمُجْرِمُونَ ﴿١٢﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُمْ مِّنْ شُرَكَائِهِمْ شُفَعَاءٌ وَكَانُوا إِشْرَاكِيهِمْ كَافِرِينَ ﴿١٣﴾ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُومِئذٍ يَنْفِرُ قَوْمٌ فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ ﴿١٥﴾

أكثر من استغلالكم ومع هذا فلما جاءتهم رسلكم بالبينات [وَكفروا بها] أخذهم الله بذنوبهم وما كان لهم من الله من وافي، ﴿فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُظْلِمَهُمْ﴾ في أحل بهم من العذاب ﴿وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ حيث كذبوا بآيات الله واستهزؤوا بها ولهذا قال تعالى: ١٠: ﴿ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ اسْتَوُوا السُّوَأَى أَن كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَكَانُوا بِهَا يَسْتَهْزِءُونَ﴾ كانت السُّوَأَى عاقبتهم لأنهم كذبوا بآيات الله وكانوا به يستهزئون [والسُّوَأَى: تأنيب الأسوأ وهو الأبيح] ١١: ﴿اللَّهُ يَبْدُوا الْخَلْقَ ثُمَّ يَعِيدُهُمْ﴾ كما هو قادرٌ على بداعته فهو قادرٌ على إعادته ﴿ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ يوم القيامة فيجازي كلٌ بعمله. ثم قال تعالى: ١٢: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُبْلِسُ الْمُجْرِمُونَ﴾ يأس المجرمون ١٣: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُمْ مِّنْ شُرَكَائِهِمْ شُفَعَاءٌ﴾ ما شفعت فيهم الآلهة التي كانوا يعبدونها من دون الله تعالى وكفروا بهم، ﴿وَكَانُوا بِشُرَكَائِهِمْ كَافِرِينَ﴾. ثم قال تعالى: ١٤: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُومِئذٍ يَنْفِرُ قَوْمٌ﴾ الفرقة التي لا اجتماع بعدها؛ يعني: أنه إذا رفع هذا إلى عليين، وحفض هذا إلى أسفل سافلين، فذلك آخر العهد بينهما. ولهذا قال تعالى: ١٥: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ﴾ يُنعمون. وأما الذين كفروا... فأولئك في العذاب مُحضرون.

= لا يُحسِنون الوضوء، فمن شهد منكم فلْيُحسِن الوضوء قال الحافظ ابن كثير ج ٤٤١/٣: وهذا إسناد حسنٌ ومثنٌ حسنٌ، وفيه سيرٌ عجيب، ونياً غريب، وهو أنه ﷺ تأثر بنقصان وضوء من التمس به، فدل ذلك على أن صلاة المأموم متعلقة بصلاة الإمام.

الآية: ١٠ وفي حديث عياض المجاشعي أن رسول الله ﷺ قال ذات يوم في خطبته: «الْإِن رَّبِّي أَمْرُنِي أَنْ أَعْلَمَكُمْ مَا جَهَلْتُمْ مِمَّا عَلَّمَنِي، يَوْمِي هَذَا. كُل مَالٍ نَخَلْتُهُ عَبْدًا [أي كل رزق أعطيتُه عبداً] خَلالاً [وهذا ردُّ على المشركين في تحريمهم ما أحلَّ الله] وَإِنِّي خَلَقْتُ عِبَادِي خُفَاءَ كَلِمَةٍ، وَإِنَّهُمْ أَتَمُّهُمُ الشَّيْطَانِ فَاجْتَالْتُمْ عَنْ دِينِهِمْ، وَحَرَمْتُمْ عَلَيْهِمْ مَا أَحَلَّتْ لَهُمْ، وَأَمْرَتُهُمْ أَن يَشْرِكُوا فِي مَا لَمْ أَنْزَلْ بِهِ سُلْطَانًا» الحديث بطوله في صحيح مسلم ج ٤/٢١٩٧، رقم ٢٨٦٥.

١٦: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ فَأُولَئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ﴾ [أي: مجموعون مقيمون] ١٧: ﴿فَسَبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ﴾ هذا تسييح منه تعالى لنفسه المقدسة، وإرشاد لعباده إلى تسييحه وتحميدِهِ في هذه الأوقات المتعاقبة الدالة على كمال قدرته وعظيم سلطانه عند هذا المساء وهو إقبال الليل بظلامه، وعند الصباح وهو إسفار النهار بضياءه. ثم اعترض بحمديه مناسبة للتسييح وهو التحميد، فقال تعالى: ١٨: ﴿وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ هو الحمد على ما خلق في السموات والأرض، ﴿وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ﴾ العشاء: هو شدة الظلام، والإظهار: هو قوة الضياء، فسبحان خالق هذا وخالق هذا، روى الطبراني: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَنْ قَالَ حِينَ يُصْبِحُ: سُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ، وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ، الْآيَةَ بِكَمَالِهَا، أَدْرَكَ مَا فَاتَهُ فِي يَوْمِهِ وَمَنْ قَالَهَا حِينَ يُمَسِّي أَدْرَكَ مَا فَاتَهُ فِي لَيْلَتِهِ»، إسناده جيد ورواه أبو داود ١٩: ﴿يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ﴾، هو ما نحن فيه من قدرته على خلق الأشياء المتقابلة، يذكر تعالى خلقه الأشياء وأضدادها ليدل خلقه على كمال قدرته، فمن ذلك إخراج النبات من الحب، والحب من النبات، والإنسان من النطفة والنطفة من الإنسان، ﴿وَيُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ

وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ فَأُولَئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ ﴿١٦﴾ فَسَبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ﴿١٧﴾ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ ﴿١٨﴾ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَيُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَكَذَلِكَ تُخْرَجُونَ ﴿١٩﴾ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ ﴿٢٠﴾ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَخْلَفَ الْمَسِينِ وَالْوُنُكُمُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِلْعَالَمِينَ ﴿٢٢﴾ وَمِنْ آيَاتِهِ مَا مَأْتِكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَابْتِغَاءُكُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٢٣﴾ وَمِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيُحْيِي بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٢٤﴾

موتها﴾ كقوله تعالى: ﴿وترى الأرض هامدة فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج - إلى قوله - وأن الله يعث من في القبور﴾ ولهذا قال ههنا: ﴿وكذلك تخرجون﴾ ٢٠: ﴿ومن آياته﴾ الدالة على عظمته ﴿أن خلقكم من تراب﴾ أباكم آدم ﴿ثم إذا أنتم بشرٌ تنتشرون﴾ من ماء مهين على شكل الإنسان ٢١: ﴿ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً﴾ خلق لكم من جنسكم إنانا تكون لكم أزواجاً؛ ﴿لتسكنوا إليها﴾ كما قال تعالى: ﴿هو الذي خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها ليسكن إليها﴾، [أي: لتألفوها وتقبلوا إليها]، ﴿وجعل بينكم مودةً ورحمةً﴾ وهذا من تمام رحمته سبحانه أن جعل بينهم المحبة والرأفة ﴿إن في ذلك لآياتٍ لقوم يتفكرون﴾ ٢٢: ﴿ومن آياته خلق السموات والأرض﴾ من آياته الدالة على قدرته العظيمة، ﴿واختلاف السنن﴾ يعني اللغات ﴿وألوانكم﴾ فليس يشبه أحد أحداً، فالأبدان واحدة وهيئاتها وسماتها لا تشبه الأخرى، ولو توافق جماعة في صفة فلا بد من فارق بين كل واحدٍ منهم وبين الآخر؛ ﴿إن في ذلك لآياتٍ للعالمين﴾ ٢٣: ﴿ومن آياته ما مأتكم بالليل والنهار﴾ لتحصيل الراحة، ﴿وابتغاءكم من فضله﴾ في النهار ﴿إن في ذلك لآياتٍ لقوم يسمعون﴾ ٢٤: ﴿ومن آياته يريكم البرق خوفاً وطمعاً﴾ خوفاً من صواعقه، وطمعاً في المطر، ولهذا قال تعالى: ﴿ويُنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيُحْيِي بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لآياتٍ لقوم يعقلون﴾.

الآية: ٢٠ روى الإمام أحمد وأبو داود والترمذي عن أبي موسى الأشعري قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الأرض، فجاء بنو آدم على قدر الأرض، جاء منهم الأبيض والأحمر والأسود، وبين ذلك، والخبث والطيب، والشهل الحزن، وبين ذلك». (ابن كثير ج ٣/٤٢٩).

٢٥: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ﴾ هي قاعة ثابتة بأمره لها وتسخيره إيّاها، ثم إذا كان يوم القيامة بَدَلَتِ الأرض غير الأرض والسماوات، وخرجت الأموث من قبورها بأمره ودعائه إيّاها، ولهذا قال تعالى: ﴿ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِنَ الْأَرْضِ إِذَا أَنْتُمْ تَخْرُجُونَ﴾ من الأرض ٢٦: ﴿وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ ملكه وعبئده ﴿كُلُّ لُهُ قَائِنُونَ﴾ خاضعون خاشعون طوعاً وكرهاً. ﴿وَالْقُنُوتُ فِي الْقُرْآنِ: الطَّاعَةُ﴾ ٢٧: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾ أسر على الخالق من البداء، والبداءة عليه هيبة، ﴿وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَى فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ مثله [فيهما] أنه لا إله إلا هو ولا رب سواه. ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ الَّذِي لَا يُعَالَبُ وَلَا يُمَانَعُ بِلِ قَدْ غَلَبَ كُلَّ شَيْءٍ وَقَهَرَ بِقُدْرَتِهِ وَسُلْطَانِهِ، الْحَكِيمُ﴾ في أقواله وأفعاله شرعاً وقدرراً. وعن مالك في تفسيره: ﴿وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَى﴾ قال: لا إله إلا الله ٢٨: ﴿ضَرَبَ لَكُمْ مَثَلًا مِنْ أَنْفُسِكُمْ هَلْ لَكُمْ مِنْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ شُرَكَاءَ فِي مَا رَزَقْنَاكُمْ فَأَنْتُمْ فِيهِ سَوَاءٌ﴾ هذا مثل ضربه الله تعالى للمشركين الجاعلين له شركاء كما كانوا يقولون: لبيك لا شريك لك إلا شريكاً هو لك، تملكه وما ملك، أي: يرضى أحدكم أن يكون عبده شريكاً له في ماله، فهو وهو فيه على السواء ﴿تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ﴾ تخافون أن يقاسموكم الأموال، والمعنى: أن أحدكم يأنف من ذلك فكيف

وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِنَ الْأَرْضِ إِذَا أَنْتُمْ تَخْرُجُونَ ﴿٢٥﴾ وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلُّ لُهُ قَائِنُونَ ﴿٢٦﴾ وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَى فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٧﴾ ضَرَبَ لَكُمْ مَثَلًا مِنْ أَنْفُسِكُمْ هَلْ لَكُمْ مِنْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ شُرَكَاءَ فِي مَا رَزَقْنَاكُمْ فَأَنْتُمْ فِيهِ سَوَاءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ كَذَلِكَ نَفْصِلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٢٨﴾ بَلِ اتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَهْوَاءَ هُمْ بَغِيرَ عِلْمٍ فَمَنْ يَهْدِي مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ ﴿٢٩﴾ فَأَقِمَّ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ مُبِينِينَ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٣١﴾ مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِعَابًا كُلَّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٣٢﴾

تجعلون لله الأنداد من خلقه؟ وهذا كقولته تعالى: ﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ﴾، ﴿كَذَلِكَ نَفْصِلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ ٢٩: ﴿بَلِ اتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَهْوَاءَ هُمْ بَغِيرَ عِلْمٍ﴾ اتبع المشركون أهواءهم في عبادتهم الأنداد بغير علم ﴿فَمَنْ يَهْدِي مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ؟﴾ فلا أحد يهديهم إذا كتب الله ضلالتهم، ﴿وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ﴾ ليس لهم منقذ ولا مجير من قدرة الله ٣٠: ﴿فَأَقِمَّ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا﴾ فسدد وجهك واستمير على الدين الذي شرعه الله لك من الحنيفية ملة إبراهيم الذي هدانا الله لها، وكنها لك، ﴿فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾ وأنت مع ذلك لازم فطرتك السليمة التي فطر الله الخلق عليها؛ فإنه تعالى فطر خلقه على معرفته وتوحيده وأنه لا إله غيره كما قال تعالى: ﴿وَأَشْهَدُهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ؟﴾ قالوا بلى، ﴿لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ﴾ لدين الله، والدين والقطرة: الإسلام، ﴿ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ﴾ المستقيم ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [أي]: لا يتفكرون فيعلمون أن لهم خالقاً وجبت عبادته عليهم] فلهاذا أكثر الناس عنه تاجبون ٣١: ﴿مُبِينِينَ إِلَيْهِ﴾ راجعين إليه، ﴿وَاتَّقُوهُ﴾ خافوه وراقبوه ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾ وهي الطاعة العظيمة، ﴿وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ كونوا من الموحد المخلصين له العبادة ٣٢: ﴿مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِعَابًا﴾ لا تكونوا من المشركين الذين فرقوا دينهم؛ أي: بدلوه وغيروه كاليهود والنصارى، ﴿كُلَّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ [أي: مُعْجِبُونَ].

الآية: ٢٧ روى البخاري عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «يقول الله تعالى: كذبني ابن آدم ولم يكن له ذلك، وشتمني ولم يكن له ذلك؛ فأنا تكذبه إبني فقول له: ليس أول الخلق بأهون علي من إعادته، وأما شتمه إبني فقولته اتخذ الله ولداً، وأنا الأحد الصمد الذي لم يولد، ولم يكن له كفواً أحد». ابن كثير ج/٣: ٤٣١.

٣٣: ﴿وَإِذَا مَسَّ النَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا رَبَّهُمْ مُبِينِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا أَذَقَهُمْ مِنْهُ رَحْمَةً إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ﴾ يخبر تعالى عن الناس أنهم في حال الاضطراب يدعون الله وحده لا شريك له، وأنه إذا أسبغ عليهم النعم إذا فريق منهم في حالة الاختيار يشركون بالله ويعبدون معه غيره ٣٤: ﴿لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ﴾ [فيه معنى التهديد] ثم توعدهم بقوله تعالى: ﴿فَتَمْتَعُوا بِسَوْفٍ تَعْلَمُونَ﴾، ثم قال تعالى منكراً على المشركين فيما اختلفوا فيه من عبادة غيره بلا دليل ولا حجة: ٣٥: ﴿أَمْ أَنْزَلْنَا عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا﴾ حُجَّةٌ ﴿فَهُوَ يَتَكَلَّمُ﴾ ينطق ﴿بِمَا كَانُوا بِهِ يُشْرِكُونَ﴾ هذا استفهام إنكار؛ أي: لم يكن لهم من شيء من ذلك؟! ثم قال تعالى: ٣٦: ﴿وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً فَرِحُوا بِهَا وَإِنْ تُصَبِّهُمُ سَيْئَةٌ بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيَهُمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ﴾ هذا إنكار على الإنسان حيث هو إلا من عصمته الله ووقفه، فإن الإنسان إذا أصابته نعمة بطير، وإذا أصابه شدة قط وأيس أن يحصل له بعد ذلك خير بالكليّة ٣٧: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ﴾ وهو المتصرف الفاعل لذلك بحكمته وعدله فيوسع على قوم ويضيق على آخرين ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ ٣٨: ﴿فَاتَّ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ﴾ يأمر الله تعالى بإعطاء ذي القربى حقه من البر والصلة، ﴿وَالْمَسْكِينُ﴾ وهو الذي لا شيء له يُنفق عليه أو له شيء لا يقوم بحاجته ﴿وَابْنُ السَّبِيلِ﴾ وهو المسافر المحتاج

وَإِذَا مَسَّ النَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا رَبَّهُمْ مُبِينِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا أَذَقَهُمْ مِنْهُ رَحْمَةً إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾ لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ فَتَمْتَعُوا بِسَوْفٍ تَعْلَمُونَ ﴿٣٤﴾ أَمْ أَنْزَلْنَا عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا فَهُوَ يَتَكَلَّمُ بِمَا كَانُوا بِهِ يُشْرِكُونَ ﴿٣٥﴾ وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً فَرِحُوا بِهَا وَإِنْ تُصَبِّهُمُ سَيْئَةٌ بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيَهُمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ ﴿٣٦﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٣٧﴾ فَاتَّ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمَسْكِينُ وَابْنُ السَّبِيلِ ذَلِكَ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٣٨﴾ وَمَا آتَيْتُم مِّن رَّبًّا لَّيْرَبُوا فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلَا يَرِبُوا عِنْدَ اللَّهِ وَمَا آتَيْتُم مِّن زَكَاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ ﴿٣٩﴾ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَن يَفْعَلُ مِنْ ذَلِكُمْ مَن شَيْءٍ سَبَّحْنَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٤٠﴾ ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤١﴾

إلى نفقة، ﴿ذَلِكَ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ﴾ النظر إليه يوم القيامة، وهو الغاية القصوى ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ في الدنيا والآخرة، ثم قال تعالى: ٣٩: ﴿وَمَا آتَيْتُمْ مِّن رَّبًّا لَّيْرَبُوا فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلَا يَرِبُوا عِنْدَ اللَّهِ﴾ من أعطى عطية يريد أن يرده عليه الناس أكثر مما أهدى لهم؛ فهذا لا ثواب له عند الله. ﴿وَمَا آتَيْتُمْ مِّن زَكَاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ﴾ الذين يُضاعف الله لهم الثواب والجزاء، كما جاء في الصحيح: ﴿وما تصدق أحدٌ بعدل تمرة من كسبٍ طيبٍ إلا أخذها الرحمن بيمينه قريباً لصاحبها كما يربي أحدكم فلوه أو فصيلة حتى تصير التمرة أعظم من أحد﴾ ٤٠: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ﴾ هو الخالق الرازق يخرج الإنسان من بطن أمه عرياناً لا علم له ولا سمع ولا بصر ولا قوى، ثم يرزقه جميع ذلك بعد ذلك، والمال والأموال والمكاسب ﴿ثم رزقكم ثم يميتكم هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شيء﴾ الذين تعبدونهم من دون الله لا يقدر أحدٌ على فعل شيء من ذلك، بل الله سبحانه هو المستقل بالخلق والرزق والإماتة والإحياء يوم القيامة، ولهذا قال تعالى: ﴿سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ تقدس وتزه وتعاظم عن أن يكون له شريك ٤١: ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾ المراد بالبر ههنا: الفياضي، والبحر: الأمصار والقرى. والفساد: انقطاع المطر الذي يعقبه القحط ﴿بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ يتلهم بنقص الأموال والزرع والثمار بسبب المعاصي مجازاة على صنيعهم لعلهم يرجعون عن المعاصي.

٤٢: ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ
 كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلُ﴾ [أي: قُلْ يَا مُحَمَّد
 لَهُمْ سِيرُوا] فانظروا ما حل بالذين قبلكم من
 المشركين ما حلّ بهم من تكذيب الرسل
 وكفر النعم، ﴿كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُشْرِكِينَ﴾
 [فأهلِكُوا] ٤٣: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ
 الْقَيِّمِ﴾ يأمرُ تعالى عباده بالمبادرة إلى
 الاستقامة في طاعته والمبادرة إلى الخيرات
 ﴿مِن قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ﴾
 يوم القيامة إذا أراد كونه فلا راد له ﴿يَوْمَئِذٍ
 يَصُدُّونَ﴾ يتفرقون، فريق في الجنة وفريق في
 السعير، ولهذا قال تعالى: ٤٤: ﴿مَنْ كَفَرَ
 فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلَأَنفُسِهِمْ
 يَمْهَدُونَ﴾ [أي: يُوطَّئُونَ لأنفسهم في الآخرة
 قراراً بالعمل الصالح] ٤٥: ﴿لِيَجْزِيَ الَّذِي
 آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْ فَضْلِهِ﴾
 يُجازيهم بمجازة الفضل؛ الحسنة عشر أمثالها
 إلى سبعمائة ضعف إلى ما يشاء الله ﴿إِنَّهُ
 لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ﴾ ومع هذا هو العادل
 فيهم الذي لا يجر ٤٦: ﴿وَمِن آيَاتِهِ أَنْ
 يُرْسِلَ الرِّيحَ مُبَشِّرَاتٍ﴾ بين يدي رحمته
 بمجيء الغيث عقبها، ولهذا قال تعالى:
 ﴿وَلِيذِيقَكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ﴾ المطر الذي يُزَلُّه
 فيُحيي به العباد والبلاد، ﴿وَلِيَجْزِيَ الْفُلُكُ
 بِأَمْرِهِ﴾ في البحر وأما سيرها بالريح
 ﴿وَلِيَتَّبِعُوا مِنْ فَضْلِهِ﴾ في التجارات
 والمعاش والسير من قطر إلى قطر ﴿وَلَعَلَّكُمْ
 تَشْكُرُونَ﴾ تشكرون الله على ما أنعم به
 عليكم من النعم الظاهرة والباطنة التي لا تُعدُّ

قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلُ
 كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُشْرِكِينَ ﴿٤٢﴾ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ الْقَيِّمِ
 مِن قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ يَوْمَئِذٍ يَصُدُّونَ ﴿٤٣﴾
 كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلَأَنفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ ﴿٤٤﴾
 لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ
 الْكَافِرِينَ ﴿٤٥﴾ وَمِن آيَاتِهِ أَنْ يُرْسِلَ الرِّيحَ مُبَشِّرَاتٍ وَلِيَذِيقَكُمْ
 مِنْ رَحْمَتِهِ وَلِيَجْزِيَ الْفُلُكُ بِأَمْرِهِ وَلِيَتَّبِعُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ
 تَشْكُرُونَ ﴿٤٦﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَى قَوْمِهِمْ فَجَاءَهُمْ
 بِالْبَيِّنَاتِ فَانْتَقَمْنَا مِنَ الَّذِينَ أَجْرَمُوا وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ
 الْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيحَ فَتُبْرِسُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُ
 فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ وَيَجْعَلُهُ كِسْفًا فَنَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ
 خِلَالِهِ فَإِذَا أَصَابَ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبِشِرُونَ ﴿٤٨﴾
 وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ يُنْزَلَ عَلَيْهِمْ مِنَ قَبْلِهِ لَمُبْسِلِينَ ﴿٤٩﴾
 فَأَنْظُرْ إِلَى آثَارِ رَحْمَتِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ
 مَوْتِهَا إِنَّ ذَلِكَ لَمُحْيِي الْمَوْتَى وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾

ولأتحصى. ثم قال تعالى: ٤٧: ﴿ولقد أرسلنا من قبلك رُسُلًا إلى قومهم فجاؤوهم بالبينات فانتقمنا من الذين أجرموا﴾ هذه تسليية من الله تعالى لعبده ورسوله محمد صلى الله عليه وآله وسلم بأنه وإن كذبه كثيرٌ من قومه ومن الناس فقد كُذِّبَت الرسلُ المتقدِّمون مع ما جاؤوا أمهم به من الدلائل الواضحات ﴿فانتقمنا من الذين أجرموا﴾ بمن كذبهم وخالفهم وأبغى المؤمنين بهم، ﴿وكان حقاً علينا نصر المؤمنين﴾ هو حقٌ أوجبته على نفسه الكريمة تكراً وتفضلاً ٤٨: ﴿الله الذي يرسل الرياح فتثير سحاباً﴾ إما من البحر وإما مما يشاء الله عز وجل ﴿فيسقطه في السماء كيف يشاء ويجعله كسفاً﴾ يمدّه فيكثُرُه ويُنميه ويجعل من القليل كثيراً يُنشئُ سحابة تُرى في رأي العين مثل الترس ثم يسقطها حتى تملأ أرجاء الأفق ﴿فترى الودق يخرج من خلاله﴾ تترى القطر يخرج من بين السحاب ﴿فإذا أصاب به من يشاء من عباده إذا هم يستبشرون﴾ بتزوله عليهم ووصوله إليهم ٤٩: ﴿وإن كانوا من قبل أن يُنزل عليهم من قبله لمبلسين﴾ كانوا محتاجين إليه قبل نزوله فتأخر عليهم ثم جاءهم بغتة بعد إلياس منه، ولهذا قال تعالى: ٥٠: ﴿فانظر إلى آثار رحمة الله المطر، كيف يحيي الأرض بعد موتها﴾ ثم تَبَّه بذلك على إحياء الأجساد بعد موتها فقال: ﴿إن ذلك محيي الموتى﴾ الذي فعل ذلك لتقادر على إحياء الأموات ﴿وهو على كل شيء قدير﴾ [استدلال بالشاهد على الغائب].

الآية: ٤٧: روى ابن أبي حاتم عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ما من امرئ مسلم برد عن عرض أخيه إلا كان حقاً على الله أن يردَّ عنه نار جهنم يوم القيامة» ثم تلا هذه الآية: ﴿وكان حقاً علينا نصر المؤمنين﴾. / ابن كثير ج ٣/ ٤٣٦.

٥١: ﴿وَلئن أَرْسَلْنَا رِيحًا قَرَأُوهُ مُصْفَرًا لظَلُّوا مِن بَعْدِهِ يَكْفُرُونَ﴾ لئن أرسنا ريحاً يابسةً على الزرع فأروه قد اصفرَّ وشرع في الفساد لظلُّوا من بعده، أي: من بعد هذا الحال يحدون ما تقدم إليهم من النعم ٥٢: ﴿فإنك لا تُسمع الموتى﴾ ليس في مقدورك أن تسمع الأموات في أجدائها ﴿ولا تُسمع الصُّمَّ الدعاء﴾ ولا تبلغ كلامك الصُّمَّ الذين لا يسمعون، وهم مع ذلك مُدبرون عنك، كذلك لا تقدر على هدايتهم ﴿إذا ولَّوا مُدبرين﴾، ولهذا قال تعالى: ﴿إن تُسْمِعْ إلاَّ مَنْ يُؤْمِنُ بِآياتِنَا فَهَم مُسْلِمُونَ﴾ ٥٣: ﴿وما أنتَ بهادِرُ العُميِّ عن ضلالتهم إن تُسْمِعْ إلاَّ مَنْ يُؤْمِنُ بِآياتِنَا فَهَم مُسْلِمُونَ﴾ خاضعون مستجيبون مُطيعون، فأولئك هم الذين يسمعون الحقَّ ويتبعونه وهذا حال المؤمنين ٥٤: ﴿الله الذي خلقكم من ضعفٍ ثم جعل من بعد ضعفٍ قُوَّةً ثم جعل من بعد قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ﴾ ٥٥: ﴿وقال الذين أوتوا العلم والأيمن كذلك كانوا يؤفكون﴾ وقال الذين أوتوا العلم والأيمن لقد ليثتم في كذب الله إلى يوم البعث فهذا يوم البعث ولكنكم كنتم لا تعلمون ﴿فيومئذ لا ينفع الذين ظلموا معذرتهم ولا هم يستعتبون﴾ ٥٦: ﴿وقال الذين أوتوا العلم والأيمن كذلك كانوا يؤفكون﴾ ٥٧: ﴿وقال الذين أوتوا العلم والأيمن لقد ليثتم في كذب الله إلى يوم البعث فهذا يوم البعث ولكنكم كنتم لا تعلمون﴾ ٥٨: ﴿وقال الذين أوتوا العلم والأيمن لقد ليثتم في كذب الله إلى يوم البعث فهذا يوم البعث ولكنكم كنتم لا تعلمون﴾ ٥٩: ﴿وقال الذين أوتوا العلم والأيمن لقد ليثتم في كذب الله إلى يوم البعث فهذا يوم البعث ولكنكم كنتم لا تعلمون﴾ ٦٠: ﴿وقال الذين أوتوا العلم والأيمن لقد ليثتم في كذب الله إلى يوم البعث فهذا يوم البعث ولكنكم كنتم لا تعلمون﴾

سورة الزمر

وَلئن أَرْسَلْنَا رِيحًا قَرَأُوهُ مُصْفَرًا لظَلُّوا مِن بَعْدِهِ يَكْفُرُونَ ﴿٥١﴾ فَإِنَّكَ لَا تَسْمِعُ الْمَوْتَى وَلَا تَسْمِعُ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ ﴿٥٢﴾ وَمَا أَنْتَ بِهَادِرِ الْعُمَىٰ عَن ضَلَالَتِهِمْ إِنْ تُسْمِعُ إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهَم مُسْلِمُونَ ﴿٥٣﴾ ﴿٥٤﴾ وَاللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ ﴿٥٥﴾ وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ كَذَلِكَ كَانُوا يُؤْفَكُونَ ﴿٥٦﴾ وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كَذِبِ اللَّهِ إِلَىٰ يَوْمِ الْبَعْثِ فَهَذَا يَوْمُ الْبَعْثِ وَلَكِنَّكُمْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٥٧﴾ فَيَوْمَئِذٍ لَا يُنْفَعُ الَّذِينَ ظَلَمُوا مُعْذِرَتُهُمْ وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴿٥٨﴾ وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ وَلَئِن جِئْتَهُمْ بِآيَةٍ لَيَقُولُنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا مُبْطِلُونَ ﴿٥٩﴾ كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦٠﴾ فَأَصْبِرْ إِنَّا وَعَدَدُ اللَّهِ حَقٌّ وَلَا يَسْتَخْفَنَّكَ الَّذِينَ لَا يُؤْقِنُونَ ﴿٦١﴾

ما لبثوا غير ساعة كذلك كانوا يؤفكون يُخبر تعالى عن جهل الكفار في الدنيا والآخرة، ففي الدنيا عبدوا الأوثان، وفي الآخرة يُقسِمون بالله أنهم ما لبثوا غير ساعة واحدة في الدنيا، ومقصودهم بذلك عدم قيام الحجة عليهم وأنهم لم ينظروا حتى يعذر إليهم ٥٦: ﴿وقال الذين أوتوا العلم والإيمان لقد ليثتم في كذب الله إلى يوم البعث﴾ فبرد عليهم المؤمنون العلماء في الآخرة: لقد ليثتم في كذب الأعمال إلى يوم البعث أي: من يوم خلقتكم إلى يوم بعثتم، قال الله تعالى: ﴿فهذا يوم البعث ولكنكم كنتم لا تعلمون﴾ [أي: إن كنتم منكرين البعث فهذا هو يوم البعث] ٥٧: ﴿فيومئذ لا ينفع الذين ظلموا معذرتهم﴾ يوم القيامة لا ينفعهم اعتذارهم ﴿ولا هم يستعتبون﴾ ولا هم يرجعون إلى الدنيا ٥٨: ﴿ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل﴾ قد بيَّنا لهم الحقَّ ووضحناه لهم ﴿ولكن جنتهم بأية ليقولنَّ الذين كفروا إن أنتم إلا مبطلون﴾ لو رأوا أي آية كانت لا يؤمنون بها ويعتقدون أنها سحر وباطل ٥٩: ﴿كذلك يطبع الله على قلوب الذين لا يعلمون﴾ [أي: كما طبخ الله على قلوبهم حتى لا يفهموا الآيات عن الله كذلك يطبع الله على قلوبهم حتى لا يعلموا أدلة التوحيد] ٦٠: ﴿فاصبر إن وعد الله حق﴾ اصبر على مخالفتهم وعنادهم، فإن الله تعالى منجز لك ما وعدك من نصره إياك عليهم ﴿ولا يستخفك الذين لا يؤقنون﴾ بل اثبت على ما بعثك الله به فإنه الحق الذي لا مرية فيه.

الآية: ٥٢: إن الله تعالى إذا شاء أسمعهم، وإذا لم يشأ لم يسمعوا، ومن هذا إسماع الله تعالى كلام رسوله ﷺ لقتل المشركين في (بدر)، وإسماع الله تعالى لأموات المسلمين سلام المسلمين عليهم، فقد علم رسول الله ﷺ أنه إذا أرادوا زيارة القبور أن يُسَلِّمُوا على أهلها؛ أن يقولوا: (السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين، وإنا إن شاء الله بكم لاحقون، يرحم الله المستقيمين منا ومنكم والمستأجرين، نسأل الله لنا ولكم العافية)، فهذا مما يُسمعه الله تعالى أموات المسلمين رحمهم الله تعالى جميعاً. / ابن كثير ج ٣/٤٣٩.

سُورَةُ الْقَمَانَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْم ﴿١﴾ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ ﴿٢﴾ هُدًى وَرَحْمَةً
لِّلْمُحْسِنِينَ ﴿٣﴾ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ
بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَئِكَ
هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٥﴾ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ
لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا أُولَئِكَ لَهُمْ
عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٦﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ آيَاتُنَا وَنَسِيَ أَلَمْ يَأْتِ
كَانَ لَمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِي أُذُنَيْهِ وَقْرًا فَبَسَّرَهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٧﴾
إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتُ النَّعِيمِ ﴿٨﴾
خَالِدِينَ فِيهَا وَعَدَّ اللَّهُ حَقًّا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٩﴾ خَلَقَ
السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرْوَاهَا وَالْقِي فِي الْأَرْضِ رَوْسًا أَن تَمِيدَ
بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَأْنَا فِيهَا
مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴿١٠﴾ هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا
خَلَقَ الَّذِينَ مِن دُونِهِ ۗ بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿١١﴾

٤١١

١: ﴿الْم﴾ تقدم في أول سورة البقرة الكلام على ما يتعلق بصدر هذه السورة ٢: ﴿تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ﴾ [أي: القرآن المحكم الذي لا خلل فيه ولا تناقض] ٣: ﴿هُدًى وَرَحْمَةً لِّلْمُحْسِنِينَ﴾ جعل تعالى هذا القرآن هدىً وشفاءً ورحمةً للذين أحسنوا العمل في اتباع الشريعة ٤: ﴿الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ﴾ في أوقاتها وما يتبعها من نوافل راتبية ﴿وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ﴾ المفروضة عليهم إلى مستحقيها، ﴿وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾ وأقنوا بالجزاء في الدار الآخرة فرغبوا إلى الله في ثواب ذلك لم يُرَاوُوا به ولا أرادوا جزءاً من الناس وشكوراً ٥: ﴿أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ﴾ على بصيرة وبيّنة ومنهج واضح جلي ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ في الدنيا والآخرة ٦: لما ذكر تعالى حال السعداء وهم الذين يبتدون بكتاب الله ويتفنون بسماعه كما قال تعالى: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَابِهًا مَّثَابِيًا تَقْشَعُرُ مِنْهُ جُلُودٌ الَّذِينَ يُحْشِنُونَ رُبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ﴾ الآية؛ عطف بذكر حال الأشقياء الذين أعرضوا عن الانتفاع بسماع كلام الله، وأقبلوا على استماع المزامير والغناء بالألحان وآلات الطرب: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾، قال ابن مسعود: هو والله الغناء، يردّها ثلاث مرات. ﴿لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا﴾ يتخذ آيات الله هُزُوًا ﴿وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ يوم القيامة في العذاب الدائم المستمر ٧: ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ آيَاتُنَا وَنَسِيَ أَلَمْ يَأْتِ كَأَنَّ لَمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِي أُذُنَيْهِ وَقْرًا﴾ هذا المقل على اللهو والطرب إذا تليت عليه الآيات القرآنية ولّى عنها وأعرض كأنه ما سمعها ﴿فَبَسَّرَهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ يوم القيامة، يؤلمه كما تألم بسماع كتاب الله وآياته ٨: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتُ النَّعِيمِ﴾ هذا ذكر مال الأبرار في الدار الآخرة ﴿لَهُمْ جَنَّاتُ النَّعِيمِ﴾ يتعمون فيها بأنواع الملاذ وهم في ذلك مقيمون ٩: ﴿خَالِدِينَ فِيهَا وَعَدَّ اللَّهُ حَقًّا﴾ هذا كائن لا محالة، لأنه من وعد الله، والله لا يُخلف الميعاد، لأنه كرم منان ﴿وهو العزيز﴾ الذي قهر كل شيء ودان له كل شيء ﴿الحكيم﴾ في أقواله وأفعاله ١٠: ﴿خلق السموات بغير عمد ترونها﴾ بين سبحانه بهذا قدرته العظيمة على خلق السموات والأرض وما فيها وما بينهما، ﴿بغير عمد ترونها﴾ لها عمد لا ترونها ﴿وَالْقِي فِي الْأَرْضِ رَوَاسِي﴾ الجبال أُرْسَتْ الأرض وثقلتها لتلا تضطرب بأهلها؛ ﴿أَن تَمِيدَ بِكُمْ﴾ لتلا تميد بكم. ﴿وبث فيها من كل دابة﴾ وذرأ فيها من أصناف الحيوانات ممّا لا يعلم عدد أشكالها إلا الذي خلقها. ﴿وأنزلنا من السماء ماءً فأنبأنا فيها من كل زوج كريم﴾ من النبات الحسن المنظر ١١: ﴿هذا خلق الله﴾ هذا الذي ذكره تعالى صادر عن فعل الله وخلقته وتقديره وحده لا شريك له ﴿فأروني ماذا خلق الذين من دونه﴾ ممّا تعبدون من الأنداد؟ ﴿بل الظالمون﴾ يعني المشركين ﴿في ضلالٍ﴾ في جهل وعمى ﴿مبين﴾ ظاهر واضح لا خفاء به.

الآية: ٩ عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: (قال الله تعالى: أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر) وقرؤوا إن شئتم: ﴿فلا تعلم نفس ما أخفهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون﴾ السجدة ١٧/ متفق عليه /رياض الصالحين/ ٧١٨/.

١٢: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ﴾ كان

لقمان عبداً صالحاً من السودان مصر أعطاه الله الحكمة ومنعه النبوة، و﴿الحكمة﴾ هي الفهم والعلم والتعبير، ﴿أَنِ اشْكُرْ لِلَّهِ﴾ أمرناه أن يشكر الله عز وجل على ما آتاه الله وهبته من الفضل الذي خصصه به عمن سواه من أبناء جنسه وأهل زمانه، ثم قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ﴾، ﴿وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَفِيٌّ حَمِيدٌ﴾ غني عن العباد لا يتضرر بذلك ولو كفر أهل الأرض كلهم جميعاً فإنه الغني عمن سواه؛ فلا إله إلا الله ولا نعبد إلا إيَّاه ١٣: ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يُعْطِيهِ يَا بُنَيَّ لَا تَشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ هذه الوصية التي منحها ولده هي من أفضل ما يعرف من الحكمة، ثم قال محذراً له: ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ هو أعظم الظلم ١٤: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ﴾ قرن بوصيته إيَّاه بعبادة الله وحده البر بالوالدين، كما قال تعالى: ﴿وقضى ربك أن لا تعبدوا إلا إِيَّاهُ بالوالدين إِحْسَانًا﴾، ﴿هَلْئَلَيْتُمُ الْكُفَّارَ لَمَنَ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَرَبِّهِ﴾ أمه وهنأ على وهن وفصله في عامين أن يشكر لي ولوالديك اشكر لي ولوالديك حملته جهداً على جهد، ثم أرضعته بعد وضعه في عامين، وإتما ذكر تعالى الولادة لتعبها في سرها ليلاً ونهاراً ليذكر الولد بإحسانه المتقدم إليه، ولهذا قال: ﴿أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ﴾ كما قال تعالى: ﴿وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيراً﴾، ﴿إِلَى الْمَصِيرِ﴾ لأجزيك على ذلك أوفر الجزاء

وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنْ اشْكُرْ لِلَّهِ وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَفِيٌّ حَمِيدٌ ﴿١٢﴾ وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يُعْطِيهِ يَا بُنَيَّ لَا تَشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾ وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصْلَهُ فِي عَامَيْنِ أَنْ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَى الْمَصِيرِ ﴿١٤﴾ وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَنَا تَكَرُّبٌ مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِيهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿١٦﴾ يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴿١٧﴾ وَلَا تَصْعَقْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمَسَّ فِي الْأَرْضِ مَرْحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿١٨﴾ وَأَقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَأَعْصُصْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ ﴿١٩﴾

١٥: ﴿وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا﴾ إن حرصاً عليك كل الحرص على أن تتبع دينهما فلا تقبل منهما ذلك، ولا يمنعك ذلك من أن تصاحبهما كما قال تعالى: ﴿وصاحبهما في الدنيا معروفاً﴾ محسناً إليهما، ﴿واتبع سبيل من أناب إلي﴾ المؤمنين ﴿ثم إلي مرجعكم فأنبئكم بما كنتم تعملون﴾ ١٦: ﴿يا بُنَيَّ إِنِّي أَنَا تَكَرُّبٌ مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِيهَا اللَّهُ﴾ أحضرها الله يوم القيامة حين يضع الموازين القسط ويجازي عليها إن خيراً أو خيراً وإن شراً فشر ﴿إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ﴾ فلا تخفى عليه الأشياء وإن دقت ١٧: ﴿يا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ﴾ بجدودها وفروضها وأوقاتها، ﴿وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ بحسب جهدك ﴿وَأَصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ﴾ [هذا إشعار] بأن المنكر لا بد أن يناله من الناس أذى، فأمره بالصبر، ﴿إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ إن الصبر على أذى الناس لمن عزم الأمور ١٨: ﴿وَلَا تَصْعَقْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ﴾ لا تتكبر فتحقر عباد الله ﴿وَلَا تَمَسَّ فِي الْأَرْضِ مَرْحًا﴾ خيلاء متكرراً ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ﴾ معجب في نفسه ﴿فخور﴾ على غيره ١٩: ﴿وأقصد في مشيك﴾ امش مشياً مقتصداً وسطاً بين بين ﴿وأعصص من صوتك﴾ لا تتبغ في الكلام ولا ترفع صوتك فيما لا فائدة فيه، ﴿إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ﴾ من رفع صوته شبهة بالحمير في علوه ورفع، وهذا التشبيه يقتضي تحريمه.

الآية: ١٣ روى الإمام مسلم أنه لما نزلت ﴿الذي آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم﴾ شق ذلك على أصحاب رسول الله ﷺ وقالوا: أئنا لم نلبس إيمانهم بظلم؟ فقال رسول الله ﷺ: «إته ليس بذلك، ألا تسمع لقول لقمان: ﴿يا بُنَيَّ لَا تَشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ عَظِيمٌ﴾».

الآية: ١٤ روى البخاري ومسلم أن رسول الله ﷺ سئل أي العمل أحب إلى الله؟ قال: «الصلاة على وقتها»، قال: «نم أي؟ قال: «بر الوالدين»، قال: «ثم أي؟ قال: =

٢٠: ﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ يُنَبِّهُ تَعَالَى خَلْقَهُ عَلَى نِعْمَةِ عَلَيْهِمْ فِي الدُّنْيَا مِنْ جَعَلِهِ السَّمَاءَ لِهَمِّ سَقْفًا مَحْفُوظًا، وَمَا خَلَقَ فِيهَا مِنْ سَحَابٍ وَأَمْطَارٍ، وَمَا خَلَقَ لِهَمِّ فِي الْأَرْضِ مِنْ قَرَارٍ وَأَنْهَارٍ وَأَشْجَارٍ وَزُرُوعٍ وَثَمَارٍ، ﴿وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعْمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾ مِنْ إِرْسَالِ الرِّسَالِ وَإِنزَالِ الْكُتُبِ، ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ﴾ وَمَعَ إِسْبَاغِهِ نِعْمَتِهِ عَلَيْهِمْ مَا آمَنَ النَّاسُ كُلَّهُمْ بِلِ مَنَّهُمْ مَنْ يُجَادِلُ فِي تَوْحِيدِ اللَّهِ مِنْ غَيْرِ حُجَّةٍ وَلَا كِتَابٍ مَأْتُونَ صَاحِحَ ٢١: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ هَؤُلَاءِ الْجَادِلِينَ فِي تَوْحِيدِ اللَّهِ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾ عَلَى رَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ مِنَ الشَّرَائِعِ الْمَطْهُرَةِ ﴿قَالُوا بَلِ تَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا﴾ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ حُجَّةٌ إِلَّا اتِّبَاعُ الْآبَاءِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ؟﴾ فَمَا ظَنَنْتُمْ أَيُّهَا الْمُخْتَبِرُونَ بَصْنِيعِ آبَائِكُمْ أَنَّهُمْ كَانُوا عَلَى ضَلَالَةٍ؟ وَأَنْتُمْ لَهُمْ خَلْفٌ! وَهَذَا قَالَ تَعَالَى: ﴿أَوَلَوْ كَانَ الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ﴾ ٢٢: ﴿وَمَنْ يُسَلِّمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ﴾ أَحْلَصَ لَهُ الْعَمَلَ وَانْقَادَ لِأَمْرِهِ وَاتَّبَعَ شَرْعَهُ ﴿وَهُوَ مُخْسِنٌ﴾ فِي عَمَلِهِ بِاتِّبَاعِ مَا بِهِ أَمْرٌ وَتَرْكِ مَا عَنْهُ زَجْرٌ، ﴿فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى﴾ فَقَدْ أَخَذَ مَوْثِقًا مِنَ اللَّهِ مَتِينًا أَنَّهُ لَا يُعَذِّبُهُ، ﴿وَإِلَى اللَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾ [أَي: مُصِيرَهَا] ٢٣: ﴿وَمَنْ كَفَرَ فَلَا يَحْزَنُكَ كُفْرُهُ﴾ لَا يَحْزَنُ عَلَيْهِمْ يَا مُحَمَّدٌ فِي كُفْرِهِمْ

﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعْمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلِ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ ﴿٢١﴾ وَمَنْ يُسَلِّمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى وَإِلَى اللَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ﴿٢٢﴾ وَمَنْ كَفَرَ فَلَا يَحْزَنُكَ كُفْرُهُ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ فَنُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٢٣﴾ نَمْنَعُهُمْ قَلِيلًا ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَى عَذَابِ غَلِيظٍ ﴿٢٤﴾ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٥﴾ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿٢٦﴾ وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَمٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةَ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٧﴾ مَا خَلَقَكُمْ وَلَا يَعْصِمُكُمْ إِلَّا الْكَنَفُوسُ وَاحِدَةٌ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴿٢٨﴾

﴿إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ فَنُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا﴾ فَيَجْزِيهِمْ عَلَيْهِ، ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ فَلَا تَخْفَى عَلَيْهِ خَافِيَةٌ ٢٤: ﴿نَمْنَعُهُمْ قَلِيلًا﴾ فِي الدُّنْيَا ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَى عَذَابِ غَلِيظٍ ﴿ثُمَّ لَنَجْئَنَّهُمْ إِلَى عَذَابِ فُظِيحٍ ٢٥: ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾ يُخْبِرُ تَعَالَى عَنِ الْمُشْرِكِينَ أَنَّهُمْ يَعْرِفُونَ أَنَّ اللَّهَ خَالِقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَمَعَ هَذَا يَعْذُبُونَ مَعَهُ شُرَكَاءَ يَعْتَرِفُونَ أَنَّهَا خَلَقَتْ لَهُ وَمُلْكٌ لَهُ، ﴿قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ إِذْ قَامَتْ عَلَيْكُمْ الْحُجَّةُ بِاعْتِرَافِكُمْ ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [أَي: لَا يَنْظُرُونَ وَلَا يَتَذَكَّرُونَ] ٢٦: ﴿لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ هُوَ خَلَقَهُ وَمَلِكُهُ ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ الْغَنِيُّ عَمَّا سِوَاهُ، وَكُلُّ شَيْءٍ فَقِيرٌ إِلَيْهِ، الْحَمِيدُ فِي جَمِيعِ مَا خَلَقَ وَشَرَعَ، وَهُوَ الْحَمِيدُ فِي الْأُمُورِ كُلِّهَا ٢٧: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةَ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ﴾ يُخْبِرُ تَعَالَى عَنْ عَظَمَتِهِ أَنْ لَوْ كَانَتْ جَمِيعُ أَشْجَارِ الْأَرْضِ جُعِلَتْ أَقْلَامًا وَجُعِلَ الْبَحْرُ مِدَادًا وَأَمَدُهُ سَبْعَةَ أَبْحُرٍ مَعَهُ فَكُتِبَتْ بِهَا كَلِمَاتُ اللَّهِ، لَنُكْسِرَتْ الْأَقْلَامُ وَنَفِدَ مَاءُ الْبَحْرِ وَلَوْ جَاءَ أَمْثَالُهَا مِدَادًا، وَإِنَّمَا ذُكِرَتِ السَّبْعَةُ عَلَى وَجْهِ الْمَبَالِغَةِ وَلَمْ يُرِدِ الْحَصْرَ. ﴿إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ عَزِيزٌ: قَدْ فَهَرَ كُلَّ شَيْءٍ وَغَلِبَهُ، حَكِيمٌ: فِي خَلْقِهِ وَأَمْرِهِ وَشَرْعِهِ ٢٨: ﴿مَا خَلَقَكُمْ وَلَا يَعْصِمُكُمْ إِلَّا الْكَنَفُوسُ وَاحِدَةٌ﴾ مَا خَلَقَ جَمِيعَ النَّاسِ وَيَعْصِمُهُمْ يَوْمَ الْمَعَادِ بِالنَّسْبَةِ إِلَى قُدْرَتِهِ إِلَّا كَنَسْبَةَ خَلْقِ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ، وَالْجَمِيعَ هَبْنِ عَلَيْهِ ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾، ﴿إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ﴾ لِأَقْوَامِهِمْ ﴿بَصِيرٌ﴾ بِأَعْمَالِهِمْ.

= «الجهاد في سبيل الله». / التزوير ج/ ٣١٤/٣.

الآية: ١٨ روى الطبراني أنه ذكر الكثير عند رسول الله ﷺ، فشدّ فيه فقال: ﴿إن الله لا يحب كل مختال فخور﴾ فقال رجل من القوم: والله يا رسول الله إني لأغسل ثيابي فبعجنني بياضها، وتبعجنني ثعلبي، وعلاقة سوطي؟ فقال: «ليس ذلك الكثير، إنما الكثير أن تسفّه الحق وتغيب الناس». / ابن كثير ج/ ٤٤٦/٣.

٢٩: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُوَلِّجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ﴾ يأخذ منه في النهار، فيطول ذلك ويقصر هذا ﴿وَيُوَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ﴾ وهذا يكون زمن الصيف يطول النهار إلى الغاية، ثم يشرع في النقص فيطول الليل ويقصر النهار، وهذا يكون زمن الشتاء، ﴿وَيَسْخَرُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلَّ يَجْرِي إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ إلى غاية محددة، وهو إلى يوم القيامة، ﴿وَأَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ ٣٠: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾ ٣١: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ نَبَعْتَ اللَّهُ لِيُرِيكُمْ مِّنْ آيَاتِهِ إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ ٣٢: ﴿وَإِذَا غَشِيَهُمْ مَّوْجٌ كَالظُّلَلِ دَعَوْا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ فَمِنْهُمْ مُّقْتَصِدٌ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ﴾ ٣٣: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ آتِفًاؤُا رَبِّكُمْ وَأَخْشَوُا يَوْمًا لَا يَجْزِي وَالِدٌ عَن وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِ شَيْئًا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغْرِبْكُمْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغْرِبْكُمْ بِاللَّهِ الْغُرُورُ﴾ ٣٤: ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنزِلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾

أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُوَلِّجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُوَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلَّ يَجْرِي إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَأَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٩﴾ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴿٣٠﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ نَبَعْتَ اللَّهُ لِيُرِيكُمْ مِّنْ آيَاتِهِ إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٣١﴾ وَإِذَا غَشِيَهُمْ مَّوْجٌ كَالظُّلَلِ دَعَوْا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ فَمِنْهُمْ مُّقْتَصِدٌ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ ﴿٣٢﴾ يَتَأْتِيهَا النَّاسُ آتِفًاؤُا رَبِّكُمْ وَأَخْشَوُا يَوْمًا لَا يَجْزِي وَالِدٌ عَن وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِ شَيْئًا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغْرِبْكُمْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغْرِبْكُمْ بِاللَّهِ الْغُرُورُ ﴿٣٣﴾ إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنزِلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿٣٤﴾

سُورَةُ السَّبْحِ

تجاههم إلى البرِّ إذا هم يُشركون ﴿بعد تلك الأهوال والأمور العظام والآيات الباهرات في البحر﴾، ﴿وما يجحد بآياتنا إلا كلُّ ختارٍ كفورٍ﴾ الختار: هو الغدار، وهو الذي كلما عاهد نقض عهده، والكفور: الجحود للنعم، لا يشكرها بل يتناساها ولا يذكرها ٣٣: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ وَأَخْشَوْا يَوْمًا﴾ يُنذر تعالى الناس من يوم المعاد، ويأمرهم بتقواه والخوف منه والخشية من يوم القيامة ﴿وَأَخْشَوْا يَوْمًا لَا يَجْزِي وَالِدٌ عَن وَلَدِهِ﴾ لو أراد أن يفديه بنفسه لما قبل منه، وكذلك الولد لو أراد فداء والده بنفسه لم يقبل منه ﴿وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِ شَيْئًا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ﴾ ثم عاد بالموعظة عليهم بقوله: ﴿فَلَا تَغْرِبْكُمْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا﴾ لا تُلهيكم بالطمأنينة فيها عن الدار الآخرة ﴿وَلَا يَغْرِبْكُمْ بِاللَّهِ الْغُرُورُ﴾ الشيطان فإنه يغرِّب ابن آدم ٣٤: ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنزِلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ﴾ هذه مفاتيح الغيب التي استأثرت الله تعالى بعلمها، فلا يعلمها أحدٌ إلا بعد إعلامه تعالى بها [من الملائكة والأنبياء، ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾

الآية: ٢٤ روى الإمام أحمد عن عبد الله بن بريدة قال: سمعت أبي بريدة يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «حسن لا يعلمهن إلا الله عز وجل»: «إن الله عنده علم الساعة، ويُنزِلُ الغيث، ويعلم ما في الأرحام، وما تدرى نفس بأبي أرض تموت، إن الله علم خبير» هذا حديث صحيح الإسناد. / ابن كثير ج ٣/ ٥٣٣. وإن ما يُدعى في هذا العصر من معرفة نزول الأمطار ومعرفة ما في الأرحام من الأجنة، فكله قائم على الظن بأمور وعلامات لا تثبت دائما، فكم كان من تكهنات لنزول الأمطار فلا تنزل، وكم من تكهنات لمعرفة نوع الجنين، ذكرا أم أنثى، فلم تنطبق على الواقع.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْم ﴿١﴾ تَنْزِيلُ الْكِتَابِ لَأَرِيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ
 ﴿٢﴾ أَمْ يَقُولُونَ أَفْتَرَنَاهُ بَلْ هُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا
 مَّا أَتَاهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٣﴾ اللَّهُ
 الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ
 ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ مَا لَكُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ أَفَلَا
 تَتَذَكَّرُونَ ﴿٤﴾ يَدْبُرُ الْأُمُورَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يُعْرِجُ
 إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ ﴿٥﴾ ذَلِكَ
 عَلِيمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٦﴾ الَّذِي أَحْسَنَ
 كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ ﴿٧﴾ ثُمَّ جَعَلَ
 نَسْلَهُ مِنْ سُلَالَةٍ مِّنْ مَّاءٍ مَّهِينٍ ﴿٨﴾ ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ
 مِنْ رُّوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا
 مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٩﴾ وَقَالُوا أَمْ دَاخِلُنَا فِي الْأَرْضِ أَمْ نَأْتِي
 خَلْقَ جَدِيدٍ بَلْ هُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ كَافِرُونَ ﴿١٠﴾ قُلْ يَتَوَقَّعُكُمْ
 مَلِكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴿١١﴾

عام وضوؤه في خمسمائة عام، ولكنه يقطعها في طرفة عين، ولهذا قال تعالى: ﴿في يوم كان مقداره ألف سنة مما تعدون﴾ ﴿٦﴾: ذلك عالم الغيب والشهادة المدبر لهذه الأمور الذي هو شهيد على أعمال عباده يرفع إليه جليلها وحقيها، وصغيرها وكبيرها، وهو ﴿العزیز﴾ الذي قهر كل شيء وغلبه ودانت له العباد، ﴿الرحيم﴾ بعباده المؤمنين ﴿٧﴾: الذي أحسن كل شيء خلقه أحسن خلق الأشياء وأتقنها وأحكمها، ﴿وبدأ خلق الإنسان﴾ أبو البشر آدم ﴿من طين﴾ ﴿٨﴾: ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين يتناسلون كذلك من نطفة تخرج من بين صلب الرجل وترائب المرأة ﴿٩﴾: ثم سواه آدم لما خلقه من تراب، خلقه سوا مستقماً ﴿ونفخ فيه من روحه وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة﴾ العقول ﴿قليلًا ما تشكرون﴾، فالسعيد من استعمل القوى التي رزقها الله له في طاعته عز وجل ﴿١٠﴾: يخبر تعالى عن المشركين في استبعادهم المعاد حيث ﴿وقالوا أنذا ضللتنا في الأرض﴾ تمزقت أجسامنا وتفرقت في أجزاء الأرض وذهبت ﴿أتنا لفي خلق جديد﴾؟ أتنا لنعود بعد تلك الحال؟ يستبعدون ذلك بالنسبة إلى قدرهم العاجزة، لا بالنسبة إلى قدرة الذي إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون، ﴿بل هم بلقاء ربهم كافرون﴾ [أي: بيوم القيامة] ﴿١١﴾: ﴿قل يتوقاكم ملك الموت الذي وُكِّلَ بكم﴾ وقد سُمِّيَ في بعض الآثار بعزرائيل. وقد حُوت له الأرض. ﴿ثم إلى ربكم ترجعون﴾ يوم معادكم.

سورة السجدة: روى البخاري في كتاب الجمعة عن أبي هريرة قال: كان النبي ﷺ يقرأ في الفجر يوم الجمعة ﴿السم تنزيل﴾ السجدة، و﴿هل أتى على الإنسان﴾. ورواه مسلم أيضاً. وروى الإمام أحمد عن أبي الزبير عن جابر قال: كان النبي ﷺ لا ينام حتى يقرأ ﴿السم﴾ تنزيل السجدة، و﴿تبارك الذي بيده الملك﴾. / ابن كثير ج ٣/ ٥٠٦.

وَلَوْ تَرَى إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُو أَرْؤُسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ
رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ ﴿١٣﴾
وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدًى وَلا كُنْ حَقَّ الْقَوْلِ
مَنَى لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٤﴾
فَذُوقُوا يَمَانِسِيَّتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا إِنَّا نَسِيْتَكُمْ
وَذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾ إِنَّمَا يُؤْمِنُ
بِشَايَتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ
رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿١٦﴾ نَتَجَافَى جُنُوبَهُمْ
عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ
يُنْفِقُونَ ﴿١٧﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءُ
بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾ أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا
لَا يَسْتَوُونَ ﴿١٩﴾ أَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَالَهُمْ
جَنَّاتُ الْمَأْوَى نُزُلًا بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٠﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا
فَمَا وَهُمْ نَارُ النَّارِ كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا وَقِيلَ
لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّتِي كُنْتُمْ بِهِ تَكْذِبُونَ ﴿٢١﴾

١٢: يُخْبِرُ تَعَالَى عَنْ حَالِ الْمُشْرِكِينَ يَوْمَ
الْقِيَامَةِ يَقُولُ: ﴿وَلَوْ تَرَى إِذِ الْمُجْرِمُونَ
نَاكِسُوا رُؤُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ حَقِيرِينَ ذَلِيلِينَ
يَقُولُونَ: ﴿رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا﴾ نَحْنُ الْآنَ
نَسْمَعُ قَوْلَكَ وَنَطِيعُ أَمْرَكَ ﴿فَارْجِعْنَا﴾ إِلَى
الدُّنْيَا ﴿نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ﴾ قَدْ أَيقَنَّا
وَتَحَقَّقْنَا فِيهَا أَنَّ وَعْدَكَ حَقٌّ وَلِقَاءَكَ حَقٌّ، وَقَدْ
عَلِمَ الرَّبُّ تَعَالَى مِنْهُمْ أَنَّهُ لَوْ أَعَادَهُمْ إِلَى الدُّنْيَا
لَكَانُوا كَمَا كَانُوا فِيهَا كَفَارًا يَكْذِبُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ
١٣: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدًى﴾
[أَي: لَوْ شَاءَ اللَّهُ لَهْدَى النَّاسَ جَمِيعًا فَلَمْ
يَتَخَلَّفْ مِنْهُمْ أَحَدٌ]، ﴿وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي
لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ مِنَ
الصَّنْفَيْنِ، فَدَارَهُمُ النَّارُ لَا عَمِيدَ لَهُمْ عِنْدَ وَلَا
مَحِيصَ، نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ ذَلِكَ ١٤: ﴿فَذُوقُوا
بِمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا﴾ يُقَالُ لِأَهْلِ النَّارِ
عَلَى سَبِيلِ التَّفْرِيعِ وَالتَّوْبِيخِ: ذُوقُوا هَذَا
العَذَابَ بِسَبَبِ تَكْذِيبِكُمْ بِهِ وَتَنَاسِيكُمْ لَهُ
﴿إِنَّا نَسِينَاكُمْ﴾ سَنَعَامَلُكُمْ مَعَامَلَةَ النَّاسِ؛
لَأَنَّهُ تَعَالَى لَا يَنْسِي شَيْئًا وَلَا يَضِلُّ عَنْهُ شَيْءٌ،
بَلْ هُوَ مِنَ بَابِ الْمَقَابَلَةِ، ﴿وَذُوقُوا عَذَابَ
الْخُلْدِ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ بِسَبَبِ كُفْرِكُمْ
وَتَكْذِيبِكُمْ ١٥: ﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ
إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا﴾ اسْتَمَعُوا هَا
وَأَطَاعُوهَا قَوْلًا وَفِعْلًا، ﴿وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ
وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ عَنِ اتِّبَاعِهَا وَالتَّنَادِي
لَهَا. [وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ أَي: قَالُوا فِي
سُجُودِهِمْ: سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ] ١٦:
﴿نَتَجَافَى جُنُوبَهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ﴾ يَعْنِي

بِذَلِكَ قِيَامَ اللَّيْلِ ﴿يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾ خَوْفًا مِنْ وَبَالَ عِقَابِهِ وَطَمَعًا فِي جَزِيلِ ثَوَابِهِ ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾ ١٧: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ
مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءُ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ فَلَا يَعْلَمُ أَحَدٌ عَظَمَةَ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ فِي الْجَنَّاتِ مِنَ التَّعْجِيمِ الْمُقِيمِ وَالتَّلَذُّاتِ الَّتِي لَمْ يَطَّلِعْ عَلَيْهَا
أَحَدٌ جَزَاءً لَهُمْ. رَوَى الْبُخَارِيُّ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: أَعَدَدْتُ لِعِبَادِي الصَّالِحِينَ مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ وَلَا أُذُنٌ
سَمِعَتْ وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ» ١٨: ﴿أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَا يَسْتَوُونَ﴾ يُخْبِرُ تَعَالَى عَنْ عَدْلِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَنَّهُ لَا يُسَاوِي مَنْ
كَانَ مُؤْمِنًا مَن كَانَ فَاسِقًا كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿أَخْسِبِ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ
مَا يَحْكُمُونَ؟!﴾ ١٩: ﴿أَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ صَدَقَتْ قُلُوبُهُمْ بِآيَاتِ اللَّهِ وَعَمِلُوا بِمُقْتَضَاهَا ﴿فَلَهُمْ جَنَّاتُ الْمَأْوَى﴾ الَّتِي فِيهَا
الْمَسَاكِنُ الْعَالِيَةُ ﴿نُزُلًا﴾ ضِيَاءٌ وَكَرَامَةٌ ﴿بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ ٢٠: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا﴾ خَرَجُوا عَنِ الطَّاعَةِ ﴿فَمَا وَهُمْ نَارُ النَّارِ كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ
يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا﴾ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿كَلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا﴾، وَإِنَّ الْأَيْدِيَ لَمُوثِقَةٌ وَالأَرْجُلَ لَمُقَدَّةٌ، وَإِنَّ اللَّهَبَ
لِيرْفَعُهُمُ وَالتَّلَاطِئَةَ لَتَقْمَعُهُمْ [فَأَنَّى يَخْرُجُونَ مِنْهَا؟ أَجَارَنَا اللَّهُ مِنْهَا]، ﴿وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّتِي كُنْتُمْ بِهِ تَكْذِبُونَ﴾ يُقَالُ لَهُمْ ذَلِكَ تَقْرِيعًا
وَتَوْبِيخًا.

الآية: ١٧ روى البخاري عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ قال: «قال الله تعالى: أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر»، قال أبو هريرة: «فروا إن شئتم» ﴿فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة عين﴾. / ابن كثير ج ٤٦٠/٣.

مصائب الدنيا وأسقامها وآفاتها وما يحل بأهلها مما يبئلي الله به عباده ليتوبوا إليه ،

وكانت سنين أصابهم ، ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾

[أي: قبل أن يحل بهم العذاب الأكبر يوم

القيامة] ٢٢ : ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا﴾؟! لا أظلم ممن ذكره

الله بآياته وبينها له ووضحها ثم بعد ذلك

تركها وجحدها وأعرض عنها كأنه لا يعرفها ،

﴿إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ﴾ سأنتقم ممن

فعل ذلك أشد الانتقام ٢٣ : ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا

مُوسَى الْكِتَابَ﴾ يخبر تعالى عن رسوله

موسى عليه السلام أنه آتاه الكتاب وهو

التوراة ، ﴿فَلَا تَكُنْ فِي مِرْيَةٍ مِنْ لِقَائِهِ﴾ ليلة

الإسراء [أي: لا تكن في شك من أنك لقيته

ليلة الإسراء ، وفي حديث الإسراء]: «أريث

ليلة أسري بي موسى بن عمران» الحديث .

﴿وجعلناه هُدًى﴾ الكتاب الذي آتينا

﴿لبنِي إِسْرَائِيلَ﴾ كما قال تعالى : ﴿وآتينا موسى

الكتاب وجعلناه هُدًى لِبَنِي إِسْرَائِيلَ أَنْ

لا تتخذوا من دوني وكيلاً﴾ ٢٤ : ﴿وجعلنا

منهم أُمَّة يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا

بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾ لما كانوا صابرين على أوامر

الله وترك زواجه وتصديق رسله واتباعهم فيما

جاؤهم به كان منهم أمة يهدون إلى الحق بأمر

الله ويدعون إلى الخير ، ثم لما بدلوا وحرّفوا

سُلبوا ذلك المقام وصارت قلوبهم قاسية

يُحرّفون الكلم عن مواضعه ، فلا عمل صالحاً

ولا اعتقاداً صحيحاً ٢٥ : ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ من الاعتقادات والأعمال ٢٦ : ﴿أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ

أهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْقُرُونِ﴾ أَوْلَمْ يَهْدِ لَهُمْ هَؤُلَاءِ الْمَكذِبِينَ بِالرَّسْلِ مَا أَهْلَكَ اللَّهُ قَبْلَهُمْ مِنَ الْأُمَمِ الْمَاضِيَةِ بِتَكْذِيبِهِمُ الرَّسْلَ وَمَخَالَفَتِهِمْ إِيَّاهُمْ فِيمَا

جاؤهم به من قويم السُّبُلِ فلم يبق منهم باقية ولا أثر ، ولهذا قال تعالى : ﴿يَمْشُونَ فِي مَسَاكِمِهِمْ﴾ في مساكن أولئك المكذِبين ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ

لآيَاتٍ﴾ فيما حلّ بهم لدلائل ومواعظ ﴿أَفَلَا يَسْمَعُونَ﴾ أخبارهم؟ ٢٧ : ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ﴾؟ يَبَيِّنُ تَعَالَى لَطْفَهُ بِخَلْقِهِ وَإِحْسَانِهِ لَهُمْ فِي إِسْرَالِهِ مَاءَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي لَا نَبَاتَ فِيهَا ﴿فَتُخْرَجُ بِهِ زُرْعَا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَامُهُمْ وَأَنْفُسُهُمْ أَفَلَا يُبْصِرُونَ﴾؟ كَمَا قَالَ تَعَالَى : ﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ أَنَا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبَابًا﴾ الآية ، ولهذا قال تعالى ههنا : ﴿أَفَلَا يُبْصِرُونَ﴾؟! ٢٨ : ﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْفَتْحُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ يُخْبِرُ تَعَالَى عَنِ اسْتِعْجَالِ الْكُفَّارِ وَقَوْلِهِمْ بِأَسْ اللَّهِ بِهِمْ وَحُلُولِ نَقْمَتِهِ عَلَيْهِمْ اسْتِعْجَادًا وَتَكْذِيبًا وَعِنَادًا أَي: مَتَى تُنْصِرُ عَلَيْنَا يَا مُحَمَّدُ؟ مَا تَرَكَ أَنْتَ وَأَصْحَابُكَ إِلَّا خَائِفِينَ مَخْتَفِينَ ، قَالَ تَعَالَى : ٢٩ : ﴿قُلْ يَوْمَ الْفَتْحِ﴾ إِذَا حَلَّ بِكُمْ بِأَسْ اللَّهِ وَغَضَبِهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ﴿لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِيمَانُهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ﴾ وَالْمُرَادُ بِالْفَتْحِ : هُوَ الْقَضَاءُ وَالْفَصْلُ ٣٠ : ﴿فَأَعْرَضَ عَنْهُمْ وَانْتَظَرِ إِنَّهُمْ مُنْتَظَرُونَ﴾ فَأَعْرَضَ عَنْ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ وَبَلَغَ مَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ ، وَانْتَظَرِ فَإِنَّ اللَّهَ سَيَنْصُرُكَ عَلَى مَنْ خَالَفَكَ ، إِنَّهُمْ يَرْتَضُونَ بِكُمْ الدَّوَاتِرَ ، وَسَتَرَى أَنْتَ عَاقِبَةَ صِرْكَ عَلَيْهِمْ .

وَلَنذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَذْيِ ذُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ

لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢١﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ

أَعْرَضَ عَنْهَا إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ ﴿٢٢﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا

مُوسَى الْكِتَابَ فَلَا تَكُنْ فِي مِرْيَةٍ مِنْ لِقَائِهِ وَجَعَلْنَاهُ

هُدًى لِبَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿٢٣﴾ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ

بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ﴿٢٤﴾ إِنَّ رَبَّكَ

هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ

﴿٢٥﴾ أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْقُرُونِ

يَمْشُونَ فِي مَسَاكِمِهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ أَفَلَا يَسْمَعُونَ

﴿٢٦﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ فَتُخْرَجُ

بِهِ زُرْعَاتٌ تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَامُهُمْ وَأَنْفُسُهُمْ أَفَلَا يُبْصِرُونَ ﴿٢٧﴾

وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْفَتْحُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٨﴾

قُلْ يَوْمَ الْفَتْحِ لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِيمَانُهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ

﴿٢٩﴾ فَأَعْرَضَ عَنْهُمْ وَانْتَظَرِ إِنَّهُمْ مُنْتَظَرُونَ ﴿٣٠﴾

سُورَةُ الْأَنْعَامِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ إِنْ اتَّكَفَرَ اللَّهُ
كَانَ عَلَيْهِمْ حَكِيمًا ﴿١﴾ وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ مِنْ
رَبِّكَ إِنْ اتَّكَفَرَ اللَّهُ كَانَ يَمَّا تَعْمَلُونَ خَيْرًا ﴿٢﴾ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ
وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴿٣﴾ مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي
جَوْفِهِ ۖ وَمَا جَعَلَ أَزْوَاجَكُمُ اللَّائِي تُظَاهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَاتِكُمْ
وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ قَوْلُكُمْ بِأَفْوَاهِكُمْ وَاللَّهُ
يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ ﴿٤﴾ ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ
هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ فَإِنْ لَمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ فَاِخْوَانُكُمْ
فِي الدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ
بِهِ ۚ وَلَكِنْ مَا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا
﴿٥﴾ اللَّيْنِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ
وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ
مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ إِلَّا أَنْ تَفْعَلُوا إِلَىٰ أَوْلِيَائِكُمْ
مَعْرُوفًا كَانَ ذَٰلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا ﴿٦﴾

٤١٨

تفسير سورة الاحزاب

١: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ﴾ هذا تنبيه بالأعلى على الأدنى، فإنه تعالى إذا كان يأمر عبده ورسوله بهذا فلأن يأمر من دونه بذلك بطريق الأولى. ﴿وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ﴾ لا تسمع منهم ولا تستشرهم، ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ فهو أحق أن تتبع أوامره وتطيعه فإنه علم بعواقب الأمور، حكيم في أوامره وأفعاله، ولهذا قال تعالى: ٢: ﴿وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾ من قرآن وسنة ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ يَمَّا تَعْمَلُونَ خَيْرًا﴾ فلا تحفى عليه خافية ٣: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾ في جميع أمورك وأحوالك، ﴿وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾ لمن توكل عليه وأتاب إليه ٤: ﴿مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ﴾ يقول تعالى موطأً قبل المقصود المعنوي أمراً معروفاً حسياً، وهو أنه كما لا يكون للشخص الواحد قلبان في جوفه، ولا تصوير زوجته التي يظهر منها بقوله: أنت علي كظهر أمي أمأ له؛ كذلك لا يصير الداعي ولداً للرجل إذا تبناه فدعاه ابناً له: ﴿مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ وَمَا جَعَلَ أَزْوَاجَكُمُ اللَّائِي تُظَاهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَاتِكُمْ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ﴾ وهذا هو المقصود بالنفي، فإنها نزلت في شأن زيد بن حارثة مولى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، الذي تبناه قبل النبوة، فكان يقال له: زيد بن محمد، فأراد الله تعالى أن يقطع هذا الإلحاق وهذه النسبة بقوله: ﴿وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ﴾ كما قال في أثناء السورة:

﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾ وقال ههنا: ﴿ذَلِكَ قَوْلُكُمْ بِأَفْوَاهِكُمْ﴾ تبيينكم لهم قول لا يقتضي أن يكون حقيقياً فإنه مخلوق من صلب رجل آخر ﴿وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ﴾ يقول العدل ﴿وهو يهدي السبيل﴾ الصراط المستقيم ٥: ﴿ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ﴾ أمر تبارك وتعالى برّد نسبهم إلى آباءهم في الحقيقة وأن هذا هو العدل والقسط والبر. ﴿فَإِنْ لَمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ فَاِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ﴾ أمر تعالى برّد أنساب الأذعياء إلى آباءهم إن عرفوا، فإن لم يعرفوا، فهم إخوانكم في الدين ومواليكم، أي: عوضاً عما فاتهم من النسب. ﴿وليس عليكم جناح فيما أخطأتم به﴾ إذا نسبتهم بعضهم إلى غير أبيه في الحقيقة خطأ بعد الاجتهاد فإن الله تعالى قد رفع إثمهُ، كما في الحديث: ﴿إِنَّ اللَّهَ رَفَعَ عَنِّي الْخَطَا وَالنِّسْيَانَ، وَالْأَمْرَ الَّذِي يُكْرَهُونَ عَلَيْهِ﴾، ﴿ولكن ما تعمدت قلوبكم وكان الله غفوراً رحيمًا﴾ إنما الإثم على من تعمد الباطل ٦: ﴿النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ﴾ روى البخاري أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: «ما من مؤمن إلا وأنا أولى الناس به في الدنيا والآخرة» الحديث. وهذا من شفقتة بأتمته، ﴿وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ﴾ في الحرمة والاحترام. ﴿وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾ في حكم الله ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ﴾ في القرابات أولى بالتوارث ﴿إِلَّا أَنْ تَفْعَلُوا إِلَىٰ أَوْلِيَائِكُمْ مَعْرُوفًا﴾ من البر والصلة والوصية، ﴿كَانَ ذَٰلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا﴾ هذا الحكم مقدر مكتوب في الكتاب الأول [عند الله تعالى].

٧: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ﴾ يُخبر تعالى عن أولى العزم الخمسة وبقية الأنبياء أنه أخذ عليهم العهد والميثاق في إقامة دين الله تعالى وإبلاغ رسالته والتعاون والتناصر والاتفاق ﴿وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ﴾ بدأ بالخاتم لشرفه صلوات الله عليه وعليهم، ثم رتبهم بحسب وجودهم، ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا﴾ [أي: عهداً وثيقاً عظيماً على الوفاء بما التزموا من تبليغ الرسالة]. والميثاق الغليظ: العهد ٨: ﴿لِيَسْأَلَ الصَّادِقِينَ عَنْ صِدْقِهِمْ﴾ المُبلِّغين المُؤدِّين عن الرسل، ﴿وَأَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ﴾ من أيهمم ﴿عَذَابًا أَلِيمًا﴾، فنحن نشهد أن الرسل قد بلغوا رسالات ربهم ونصحو الأمم ٩: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ يُذكر تعالى عباده المؤمنين بنعمته وفضله في صرفة أعداءهم عام تأليبا عليهم وتحريبا، وذلك عام الخندق، ﴿إِذْ جَاءَكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا﴾. [وقد كانت وقعة الخندق سنة خمس] ١٠: ﴿إِذْ جَاؤُكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ﴾ الأحزاب [أي: قريش ومن معهم من كنانة وأهل تهامة وغطفان بمن معها من أهل نجد، نزلوا إلى جانب أحد]، ﴿وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ﴾ وهم بنو قريظة ﴿وَإِذْ زَاغَتِ الْبَصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ﴾ من شدة الخوف والفرع ﴿وَتَطَّنُونَ بِاللَّهِ الظُّنُونًا﴾، ظنَّ بعض من كان مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن الدائرة على المؤمنين، وأن

وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا ﴿٧﴾
 لَيْسَ لَ الصَّادِقِينَ عَنْ صِدْقِهِمْ وَأَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٨﴾
 يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٩﴾
 إِذْ جَاءَكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْبَصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونًا ﴿١٠﴾ هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزَلْزِلُوا زَلْزَلًا شَدِيدًا ﴿١١﴾ وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢﴾ وَإِذْ قَالَتْ طَائِفَةٌ مِّنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مَقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا ﴿١٣﴾ وَلَوْ دَخَلَتْ عَلَيْهِمْ مِّنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سَأَلُوا الْفِتْنَةَ لَأْتَوْهَا وَمَا تَلَبَّثُوا فِيهَا إِلَّا بَرًّا ﴿١٤﴾ وَلَقَدْ كَانُوا عَاهِدُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُؤْتُوا الْآدَبَ وَكَانَ عَهْدُ اللَّهِ مَسْئُولًا ﴿١٥﴾

الله سيفعل ذلك. ظنَّ المنافقون أن محمداً وأصحابه يُستأصلون. وأيقن المؤمنون أن ما وعدَّ الله ورسوله حق، وأنه سيظهره على الدين كله ولو كره المشركون ١١: ﴿هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ﴾ حين نزلت الأحزاب حول المدينة ﴿وَوَزَلْزِلُوا زَلْزَلًا شَدِيدًا﴾، والمسلمون محضون في غاية الجهد والضييق، فحينئذٍ ظهر النفاق وتكلم الذين في قلوبهم مرض بما في أنفسهم ١٢: ﴿وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾ شبهة: ﴿مَا وَعَدْنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا﴾ ١٣: ﴿وَإِذْ قَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ﴾ [أي: من المنافقين]: ﴿يَا أَهْلَ يَثْرِبَ﴾ [أي: يا أهل المدينة] روى الإمام أحمد أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: «من سعى المدينة يثرب فليستغفر الله، إنما هي طابة هي طابة»، ﴿لَا مَقَامَ لَكُمْ﴾ يعنون في مقام المرافعة عند النبي صلى الله عليه وآله وسلم ﴿فَارْجِعُوا﴾ إلى بيوتكم. ﴿وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِنْهُمُ النَّبِيَّ﴾ وهم بنو حارثة ﴿يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ﴾ ليس دونها ما يحجبها من العدو ﴿وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ﴾ ليست كما يزعمون ﴿إِنْ يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا﴾ هرباً من الزحف ١٤: ﴿وَلَوْ دَخَلَتْ عَلَيْهِمْ مِنْ أَقْطَارِهَا﴾ لو دخل عليهم العدو من كل جانب من جوانب المدينة ﴿ثُمَّ سَأَلُوا الْفِتْنَةَ﴾ وهي الدخول في الكفر ﴿لَأَتَوْهَا﴾ لكفروا سريعاً ﴿وَمَا تَلَبَّثُوا فِيهَا إِلَّا بَرًّا﴾ فهم لا يحافظون على الإيمان. وهذا ذمُّ لهم في غاية الذم. ثم يذكُرهم تعالى بما كانوا عاهدوا الله من قبل هذا الخوف أن لا يُؤتوا الأذبار ولا يفرون من الزحف فقال تعالى: ١٥: ﴿وَلَقَدْ كَانُوا عَاهِدُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُؤْتُوا الْآدَبَ وَكَانَ عَهْدُ اللَّهِ مَسْئُولًا﴾ إن الله سيسألهم عن ذلك العهد، لا بُدَّ من ذلك.

الآية ١٣ روى الإمام أحمد عن البراء قال: قال رسول الله ﷺ: «من سعى المدينة يثرب فليستغفر الله تعالى، إنما هي طابة، هي طابة»، وفي إسناده ضعف [فيه عبد الرحمن بن أبي ليل]. / ابن كثير ج ٤/٣/٤٧٣.

١٦: ﴿قُلْ لَنْ يَنْفَعَكُمْ الْفِرَارُ إِنْ فَرَرْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ﴾ أخرهم أن فرارهم ذلك لا يؤخر أجالهم ولا يطول أعمارهم، بل ربما كان ذلك سبباً في تعجيل أخذهم غرة، ولهذا قال تعالى: ﴿وَإِذَا لَا تُمْتِنُونَ إِلَّا قِتَالًا﴾ بعد فراركم ١٧: ﴿قُلْ مَنْ ذَا الَّذِي يَعْصِمُكُم مِّنَ اللَّهِ؟ يَعْصِمُكُم مِّنَ اللَّهِ؟ إِنِّي أَخَذْتُ بَكْمٍ سُوءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾ ليس لهم ولا لغيرهم من الله مُجِرٌّ ولا مغيث ١٨: ﴿قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمَعْرُوفِينَ مِنْكُمْ﴾ يُخبر تعالى عن إحاطة علمه بالمعروفين لغيرهم عن شهود الحرب ﴿وَالْقَاتِلِينَ إِخْوَانَهُمْ﴾ أصحابهم ﴿هَلُمَّ إِلَيْنَا﴾ إلى ما نحن فيه من الإقامة في الظلال والثمار، وهم مع ذلك ﴿لَا يَأْتُونَ الْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [أي: خوفاً من الموت] ١٩: ﴿أَشْحَثَ عَلَيْكُمْ﴾ بخلاء بالموثة والشفقة عليكم ﴿فَإِذَا جَاءَهُمُ الْحُوفُ رَأَيْتَهُمْ يُنظِرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْتَشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ﴾ من شدة خوفه وجزعه. ﴿فَإِذَا ذَهَبَ الْحُوفُ سَلَفُوكُمْ بِالسِّنَةِ جِدَادًا﴾ فإذا كان الأمن تكلموا كلاماً بليغاً وادعوا لأنفسهم المقامات العالية في الشجاعة والنجدة، وهم يكذبون في ذلك. وسَلَفُوكُمْ: أي استقبلوكم. ﴿أَشْحَثَ عَلَى الْخَيْرِ﴾ ليس فبهم خير، قد جمعوا الجبن والكذب وقلة الخير. ﴿أَوْلَكُم لَمْ يُؤْمِنُوا﴾ [يعني: بقلوبهم وإن كان ظاهرهم الإيمان] ﴿فَأَحْبَطَ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ﴾ فلم يُثبِتْهم عليها ﴿وَكَانَ ذَلِكَ

قُلْ لَنْ يَنْفَعَكُمْ الْفِرَارُ إِنْ فَرَرْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ وَإِذَا لَا تُمْتِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٦﴾ قُلْ مَنْ ذَا الَّذِي يَعْصِمُكُم مِّنَ اللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٧﴾ قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمَعْرُوفِينَ مِنْكُمْ وَالْقَاتِلِينَ إِخْوَانَهُمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا وَلَا يَأْتُونَ الْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٨﴾ أَشْحَثَ عَلَيْكُمْ فَإِذَا جَاءَ الْحُوفُ رَأَيْتَهُمْ يُنظِرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْتَشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَإِذَا ذَهَبَ الْحُوفُ سَلَفُوكُمْ بِالسِّنَةِ جِدَادًا أَشْحَثَ عَلَى الْخَيْرِ أَوْلَيْكُمْ لَمْ يُؤْمِنُوا فَأَحْبَطَ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ﴿١٩﴾ يَحْسَبُونَ الْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا وَإِنْ يَأْتِ الْأَحْزَابَ يَوَدُّوا لَوْ أَنَّهُمْ بَادُونَ فِي الْأَعْرَابِ يَسْأَلُونَ عَنْ أَنبِيَائِكُمْ وَلَوْ كَانُوا فِيكُمْ مَا قَاتَلُوا إِلَّا قَلِيلًا ﴿٢٠﴾ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا ﴿٢٢﴾

٤٢٠

على الله يسيراً ﴿٢٠﴾ سهلاً حيناً عنده ٢٠: وهذه من صفاتهم القبيحة في الجبن والخور: ﴿يَحْسَبُونَ الْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا﴾ وَأَنْ لَهُمْ عَوْدَةٌ إِلَيْهِمْ ﴿وَإِنْ يَأْتِ الْأَحْزَابَ﴾ [أي: للقتال] ﴿يَوَدُّوا لَوْ أَنَّهُمْ بَادُونَ فِي الْأَعْرَابِ﴾ يَوَدُّونَ أَلَّا يَكُونُوا حَاضِرِينَ مَعَكُمْ فِي الْمَدِينَةِ بَلْ فِي الْبَادِيَةِ ﴿يَسْأَلُونَ عَنْ أَنبِيَائِكُمْ﴾ وما كان من أمركم مع عدوكم، ﴿وَلَوْ كَانُوا فِيكُمْ مَا قَاتَلُوا إِلَّا قَلِيلًا﴾ لكثرة جبنهم وضعف يقينهم بالله تعالى ٢١: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ هذه الآية الكريمة أصلٌ كبير في التأسى برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في أقواله وأفعاله وأحواله، ولهذا أمر تعالى بذلك يوم الأحزاب في صبره ومصابرته ومرابطته وانتظاره الفرج من ربّه عز وجل. ثم قال تعالى عن عباده المصدقين بوعد الله: ٢٢: ﴿وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ﴾ من الابتلاء والاختبار الذي يعقبه النصر القريب؛ يعنون قوله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخِلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسْتَهْتَمُ الْبِأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَرُبُّوْا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ؟ أَلَا يَنْصُرُ اللَّهُ قَرِيبًا﴾ ﴿وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا﴾ إيماناً بالله وانقياداً لأوامره وطاعة رسوله صلى الله عليه وآله وسلم.

الآية: ١٦ روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: « اجتنبوا السبع الموبقات »، قالوا: يا رسول الله وما هن؟ قال: « الإشراف بالله، والسحر، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، وأكل الربوا، وأكل مال اليتيم، والتولي يوم الزحف، وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات ». / الترغيب ج ٢/ ٣٠٢-٣٠١.

٢٣: ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ﴾ لَمَّا ذَكَرَ تَعَالَى عَنِ الْمُنَافِقِينَ أَنَّهُمْ نَقَضُوا الْعَهْدَ، وَصَفَ الْمُؤْمِنِينَ أَنَّهُمْ اسْتَمَرُّوا عَلَيْهِ ﴿فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَىٰ نَجْبَهُ﴾ أَجَلُهُ فِي عَهْدِهِ، ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ﴾ [أَي: الشَّهَادَةَ]، ﴿وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا﴾ وَمَا غَيَّرُوا عَهْدَ اللَّهِ وَلَا نَقَضُوهُ وَلَا بَدَّلُوهُ ٢٤: ﴿لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِنْ شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنْ شَاءَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيُغَيِّظُهُمْ لَمَّا بَدَّلُوا أَمْرًا وَكَفَىٰ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيمًا ٢٥: وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوا مِنْهُمْ أَهْلَ الْكِتَابِ مِنْ صِيَّاصِهِمْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا ٢٦: وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضًا لَمْ تَطْعُوهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا ٢٧: يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لَأَزْوَاجِكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَرْضَوْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعِكُنَّ وَأَسْرَحِكُنَّ سَرَّاحًا جَمِيلًا ٢٨: وَإِنْ كُنْتُمْ تَرْضَوْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالْدارَ الْآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنْكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا ٢٩: يَنْسَاءُ النَّبِيُّ مِنْ يَدَيْكَ بِفَاحِشَةٍ مُبِينَةٍ يُضَعَفُ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ٣٠: ﴿وَمَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ﴾ لَمَّا ذَكَرَ تَعَالَى عَنِ الْمُنَافِقِينَ أَنَّهُمْ نَقَضُوا الْعَهْدَ، وَصَفَ الْمُؤْمِنِينَ أَنَّهُمْ اسْتَمَرُّوا عَلَيْهِ ﴿فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَىٰ نَجْبَهُ﴾ أَجَلُهُ فِي عَهْدِهِ، ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ﴾ [أَي: الشَّهَادَةَ]، ﴿وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا﴾ وَمَا غَيَّرُوا عَهْدَ اللَّهِ وَلَا نَقَضُوهُ وَلَا بَدَّلُوهُ ٢٤: ﴿لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِنْ شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنْ شَاءَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيُغَيِّظُهُمْ لَمَّا بَدَّلُوا أَمْرًا وَكَفَىٰ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيمًا ٢٥: وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوا مِنْهُمْ أَهْلَ الْكِتَابِ مِنْ صِيَّاصِهِمْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ مِنْكُمُ الْمَجَاهِدِينَ وَالصَّابِرِينَ وَنَبَلُوا أَعْيُنَكُمْ ﴿فَهَذَا عِلْمٌ بِالشَّيْءِ بَعْدَ كَوْنِهِ وَإِنْ كَانَ الْعِلْمُ السَّابِقَ حَاصِلًا بِهِ قَبْلَ وُجُودِهِ. ﴿وَإِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ فَرَحْمَتُهُ وَرَأْفَتُهُ يَخْلُقُهُ هِيَ الْغَالِبَةُ ٢٥: يُخَيَّرُ تَعَالَى عَنِ الْأَحْزَابِ لَمَّا أَجْلَاهُمْ عَنِ الْمَدِينَةِ يَقُولُ: ﴿وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِصِدْقِهِمْ لَمَّا يَسْأَلُوا خَيْرًا﴾ بِمَا أُرْسِلَ عَلَيْهِمْ مِنَ الرِّيحِ وَالْجُنُودِ الْإِلَهِيَّةِ، فَفَرَّقَ جَمَاعَتَهُمْ وَرَدَّهُمْ خَائِبِينَ خَاسِرِينَ بَغِيظُهُمْ وَجَنَقَهُمْ لَمَّا بَدَّلُوا خَيْرًا لَا فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي الْآخِرَةِ بِمَا تَحْمَلُوهُ مِنَ الْآثَامِ. ﴿وَكَفَىٰ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ﴾ لَمْ يَجْتَاجُوا إِلَىٰ مُنَازَلَتِهِمْ وَمِبَارَزَتِهِمْ حَتَّىٰ يُجْلُوهُمْ عَنِ بِلَادِهِمْ؛ بَلْ كَفَىٰ اللَّهُ وَحْدَهُ نَصْرَ عِبْدِهِ وَأَعَزَّ جُنْدَهُ، وَهَذَا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ

مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَىٰ نَجْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾ لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِنْ شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنْ شَاءَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٢٤﴾ وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيُغَيِّظُهُمْ لَمَّا بَدَّلُوا أَمْرًا وَكَفَىٰ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيمًا ﴿٢٥﴾ وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوا مِنْهُمْ أَهْلَ الْكِتَابِ مِنْ صِيَّاصِهِمْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا ﴿٢٦﴾ وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضًا لَمْ تَطْعُوهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا ﴿٢٧﴾ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لَأَزْوَاجِكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَرْضَوْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعِكُنَّ وَأَسْرَحِكُنَّ سَرَّاحًا جَمِيلًا ﴿٢٨﴾ وَإِنْ كُنْتُمْ تَرْضَوْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالْدارَ الْآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنْكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٩﴾ يَنْسَاءُ النَّبِيُّ مِنْ يَدَيْكَ بِفَاحِشَةٍ مُبِينَةٍ يُضَعَفُ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ﴿٣٠﴾

وَسَلَّمَ يَقُولُ: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ، صَدَقَ وَعَدَّهُ، وَنَصَرَ عِبْدَهُ، وَأَعَزَّ جُنْدَهُ، وَهَزَمَ الْأَحْزَابَ وَجَدَّهُ، فَلَا شَيْءَ قَبْلَهُ وَلَا شَيْءَ بَعْدَهُ﴾، ﴿وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيمًا﴾ ٢٦: ﴿وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوا مِنْهُمْ أَهْلَ الْكِتَابِ﴾ بَنِي قُرَيْظَةَ مِنَ الْيَهُودِ الَّذِينَ عَاوَنُوا الْأَحْزَابَ وَسَاعَدُوهُمْ عَلَىٰ حَرْبِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، ﴿مِنَ صِيَّاصِهِمْ﴾ حَصُونَتِهِمْ. وَذَلِكَ بَعْدَ حَصَارِهِمْ خَمْسًا وَعِشْرِينَ يَوْمًا، فَلَمَّا طَالَ عَلَيْهِمُ الْحَالُ نَزَلُوا عَلَىٰ حَكَمِ سَعْدِ بْنِ مَعَاذٍ، وَحَكَمَ فِيهِمْ أَنْ تُقْتَلَ مُقَاتِلَتُهُمْ وَتُسَبَّى ذُرِّيَّتُهُمْ وَأَمْوَالُهُمْ، فَقَالَ لَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «لَقَدْ حَكَمْتَ بِحُكْمِ اللَّهِ تَعَالَى»، ﴿وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا﴾ ٢٧: ﴿وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ﴾ جَعَلَهَا لَكُمْ مِنْ قِتْلِكُمْ لَهُمْ ﴿وَأَرْضًا لَمْ تَطْعُوهَا﴾ [وَهِيَ كُلُّ أَرْضٍ تَفْتَحُ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ]، ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا﴾ ٢٨: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لَأَزْوَاجِكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَرْضَوْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعِكُنَّ وَأَسْرَحِكُنَّ سَرَّاحًا جَمِيلًا﴾ هَذَا أَمْرٌ مِنَ اللَّهِ لِرَسُولِهِ بِأَنْ يُخَيَّرَ نِسَاءَهُ بَيْنَ أَنْ يَفَارِقَهُنَّ وَيُعْطِيَهُنَّ حَقُوقَهُنَّ، وَبَيْنَ الصَّيرِ عَلَىٰ مَا عِنْدَهُ مِنْ ضَيْقِ الْحَالِ ٢٩: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ تَرْضَوْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالْدارَ الْآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنْكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [فَاخْتَرَنَ اللَّهُ وَرَسُولَهُ وَالْدارَ الْآخِرَةَ] وَكُنَّ تَسَعُ نِسْوَةٌ خَمْسٌ مِنْ قُرَيْشٍ: عَائِشَةُ وَحَفْصَةُ وَأُمُّ حَبِيبَةَ وَسُودَةُ وَأُمُّ سَلَمَةَ، وَصَفِيَّةُ النَّضِيرِيَّةُ، وَمَيْمُونَةُ الْهَلَالِيَّةُ، وَزَيْنَبُ الْأَسَدِيَّةُ، وَجُورِيَّةُ الْمُصَلِّقِيَّةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُنَّ ٣٠: يَقُولُ تَعَالَى وَاعْظَمُ نِسَاءِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ﴿يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ مَنْ يَأْتِ مِنْكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبِينَةٍ يُضَاعَفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ﴾ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَذَلِكَ صِيَانَةٌ لِجَنَابَتِ الرَّفِيعِ، وَهَذَا تَخْصِيسٌ لَهُنَّ دُونَ سَائِرِ النِّسَاءِ. ﴿وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا﴾ سَهْلًا هَيِّنًا.

٣١: ﴿وَمَنْ يَقْتُمْ مِنَكَنْ لِلّٰهُ وَرَسُوْلَهُ﴾ تطع الله ورسوله ﴿تُؤْتِيْهَا اَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَاَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيْمًا﴾ في الجنة، فإتهن في منازل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في أعلى عليين فوق منازل جميع الخلائق في الجنة ٣٢: ﴿يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ اِنِ اتَّقَيْتُنَّ﴾ في هذه الآية آداب أمر الله تعالى بها نساء النبي صلى الله عليه وآله وسلم ونساء الأمة تبع هن، ﴿فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ﴾ يعني بذلك ترقيق الكلام إذا خاطبهن الرجال ﴿فَيَطْمَعُ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا﴾ ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوْتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْاُولَى وَاَقِمْنَ الصَّلٰوةَ وَاَتَيْنَ الزَّكٰوةَ وَاَطَعْنَ اللّٰهَ وَرَسُوْلَهُ اِنَّمَا يُرِيْدُ اللّٰهُ لِيُذْهَبَ عَنكُمْ الرِّجْسَ اَهْلِ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ ﴿٣٣﴾ ﴿وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِي بُيُوْتِكُنَّ مِّنْ اٰيٰتِ اللّٰهِ وَالْحِكْمَةِ اِنَّ اللّٰهَ كَانَ لَطِيْفًا خَبِيْرًا﴾ ﴿٣٤﴾ ﴿اِنَّ الْمُسْلِمِيْنَ وَالْمُسْلِمٰتِ وَالْمُؤْمِنِيْنَ وَالْمُؤْمِنٰتِ وَالْقٰنِتِيْنَ وَالْقٰنِتٰتِ وَالصّٰدِقِيْنَ وَالصّٰدِقٰتِ وَالصّٰبِرِيْنَ وَالصّٰبِرٰتِ وَالْخٰشِعِيْنَ وَالْخٰشِعٰتِ وَالْمُتَّصِدِّقِيْنَ وَالْمُتَّصِدِّقٰتِ وَالْحٰفِظِيْنَ وَالْحٰفِظٰتِ فِرُوْجَهُمْ وَالْحٰنِظٰتِ وَالذّٰكِرِيْنَ اللّٰهَ كَثِيْرًا وَالذّٰكِرٰتِ اَعَدَّ اللّٰهُ لَهُمْ مَّغْفِرَةً وَّاَجْرًا عَظِيْمًا﴾ ﴿٣٥﴾

نصف في دخول أزواج النبي صلى الله عليه وآله وسلم في أهل البيت ههنا؛ لأنهن سبب نزول هذه الآية، قال عكرمة وابن عباس: نزلت في نساء النبي صلى الله عليه وآله وسلم خاصة ٣٤: ﴿وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِي بُيُوْتِكُنَّ مِّنْ اٰيٰتِ اللّٰهِ وَالْحِكْمَةِ﴾ واملن بما يُتْلَى الله تبارك وتعالى على رسوله صلى الله عليه وآله وسلم في بيوتكن من الكتاب والسنة. وهذه نعمة خصصن بها من بين الناس؛ أن الوحي ينزل في بيوتهن. وإذا كان أزواجه من أهل بيته صلى الله عليه وآله وسلم فقرابته أحق بهذه التسمية، كما في الحديث: «أذكركم الله في أهل بيته، ثلاثاً». ﴿اِنَّ اللّٰهَ كَانَ لَطِيْفًا خَبِيْرًا﴾ بكن، وأكنن أهل لذلك ٣٥: روى النسائي عن أم سلمة رضي الله عنها أنها قالت للنبي صلى الله عليه وآله وسلم: يا نبي الله مالي أسمع الرجال يذكرون في القرآن والنساء لا يذكرن؟ فأذن الله تعالى: ﴿اِنَّ الْمُسْلِمِيْنَ وَالْمُسْلِمٰتِ وَالْمُؤْمِنِيْنَ وَالْمُؤْمِنٰتِ﴾ بدأ تعالى بذكر الإسلام، لأنه يعم الإيمان، والإسلام عمل الجوارح، والإيمان عمل القلب، وذكره تخصيصاً له وتنبهياً على أنه عظم الإسلام ودعامته، ﴿وَالْقَانِتِيْنَ وَالْقَانِتٰتِ﴾ القنوت: هو الطاعة في سكن، ﴿وَالصّٰدِقِيْنَ وَالصّٰدِقٰتِ﴾ في الأقوال، وهو علامة الإيمان، ﴿وَالصّٰبِرِيْنَ وَالصّٰبِرٰتِ﴾ على المصائب، لأن المقدّر كائن لا محالة، ﴿وَالْحٰشِعِيْنَ وَالْحٰشِعٰتِ﴾ الخشوع: السكون والتواضع، ﴿وَالْمُتَّصِدِّقِيْنَ وَالْمُتَّصِدِّقٰتِ﴾ الصدقة: الإحسان إلى الخواص، ﴿وَالصّٰمِتِيْنَ وَالصّٰمِتٰتِ﴾ الصوم: زكاة البدن، يطهره ويؤكبه ويقويه من الأخلاط الرديئة، ﴿وَالْحٰفِظِيْنَ فِرُوْجَهُمْ وَالْحٰفِظٰتِ﴾ عن الحرام، ﴿وَالذّٰكِرِيْنَ اللّٰهَ كَثِيْرًا وَالذّٰكِرٰتِ اَعَدَّ اللّٰهُ لَهُمْ مَّغْفِرَةً وَّاَجْرًا عَظِيْمًا﴾.

الآية: ٣٥ كان رسول الله ﷺ يعلم أصحابه يقول: «إذا أصبح أحدكم فليقل: اللهم بك أصبحنا، وبك أمسينا، وبك نحيا، وبك نموت، وإليك النشور، وإذا أمسى فليقل: اللهم بك أمسينا، وبك أصبحنا، وبك نحيا، وبك نموت، وإليك النشور»، رواه الترمذي وصححه/الوابل الطيب/١٩٤ - ١٩٥.

٣٦: خطب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم زينب لزيد فاستنكفت منه وقالت: أنا خير منه، وكانت امرأة فيها جدة فأزل الله تعالى: ﴿وما كان للمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم﴾ ثم أجابت. والآية عامة في جميع الأمور، وذلك أنه إذا حكم الله ورسوله بشيء فليس لأحد مخالفته، ولا اختيار لأحد ههنا ولا رأي ولا قول، كما قال تعالى: ﴿فلا وربك لا يؤمنون حتى يُحكّموك فيما شجر بينهم، ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسألوا تسليماً﴾ وفي الحديث: «والذي نفسي بيده لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به»، ﴿ومن يعص الله ورسوله فقد ضلّ ضلالاً مبيناً﴾ ٣٧: يقول تعالى مخبراً عن نبيه صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال لمولاه زيد الذي أنعم الله عليه بالإسلام: ﴿وإذ تقول للذي أنعم الله عليه وأنعمت عليه: بالعتق من الرق، وكان سيّداً كبيراً، يُقال له: الحب، ولابنه أسامة: الحب ابن الحب، أمسيك عليك زوجك﴾ وقد زوجته بابتة عمته زينب، فمكثت عنده سنة، ثم وقع بينهما، فجاء زيد يشكوها إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فجعل يقول له: ﴿أمسيك عليك زوجك واتق الله﴾ قال الله تعالى: ﴿وتخفي في نفسك ما الله مبديه﴾ من أنها ستكون من أزواجه ﴿وتخشى الناس﴾ أي: تسحيبهم لئلا يقولوا تزوج مطلقة متبناه، ﴿والله أحق أن تخشاه﴾

وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا ﴿٣٦﴾ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتُخْفِي النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا وَرَجَعَهَا إِلَيْكَ لِأَنَّكَ لَمْ يَكُنْ عَلَيْهِ حَرَجٌ مِنْهُ فَبَدَّلَ اللَّهُ زَوْجَكَ لَهَا زَوْجًا بَدَّلَ اللَّهُ مَا تَشَاءُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿٣٧﴾ وَمَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللَّهُ لَهُ سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَقْدُورًا ﴿٣٨﴾ الَّذِينَ يَلْبِغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا ﴿٣٩﴾ مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴿٤٠﴾ يَتَأَيَّمُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَدْخُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾ هُوَ الَّذِي يُصَلِّيْ عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُ اللَّهِ يَخْرُجُكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴿٤٣﴾

أي: والله أحق أن تستحي منه، ﴿فلما قضى زيد منها وطراً﴾ لما فارقتها وانقضت عدتها ﴿زوجناكها﴾ وكان الذي ولي تزويجها منه هو الله عز وجل، ﴿لكي لا يكون على المؤمنين حرج في أزواج أدعيانهم إذا فضوا منهن وطراً﴾ فعلنا ذلك لئلا يبقى حرج على المؤمنين في تزويج المطلقات الأدعياء، فإن ذلك كان كثيراً فنبههم ﴿وكان أمر الله مفعولاً﴾ كأننا لا محالة، وكانت زينب من أزواج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ٣٨: ﴿ما كان على النبي من حرج فيما فرض الله له﴾ فيما أحل له من تزويج زينب التي طلقها عنه زيد، ﴿سنة الله في الذين خلوا من قبلك﴾ هذا حكم الله تعالى في الأنبياء قبله، لم يكن ليأمرهم تعالى بشيء وعليهم في ذلك حرج، ﴿وكان أمر الله قدراً مقدوراً﴾ كأننا وواقعاً لا محالة ٣٩: ﴿الذين يلبغون رسالات الله﴾ يؤدونها إلى خلقه ﴿ويخشونه﴾ يخافونه ﴿ولا يخشون أحداً إلا الله﴾ فلا تمنعهم سطوة أحد عن إبلاغ رسالة الله ﴿وكفى بالله حسيباً﴾ ناصرًا ومعيناً ٤٠: ﴿ما كان محمدٌ أباً أحدٍ من رجالكم﴾ نهي سبحانه أن يقال بعد هذا: زيد بن محمد، أي: لم يكن أباه، وإن كان قد تبناه، ولم يعش له صلى الله عليه وآله وسلم ذكرٌ حتى بلغ الحلم، وقد وُلد له من خديجة القاسم والطيب والظاهر، ومن مارية إبراهيم، وماتوا صغاراً. ﴿ولكن رسول الله وخاتم النبيين﴾ فلا نبي بعده ﴿وكان الله بكل شيء علياً﴾ ٤١: ﴿يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكراً كثيراً﴾ يأمر تعالى عباده بكثرة ذكره، المنعم عليهم بأنواع النعم وجزيل الثواب وجميل المآب ٤٢: ﴿وسبحوه بكرة وأصيلاً﴾ صباح مساء ٤٣: ﴿هو الذي يصلي عليكم وملائكته﴾ هذا تبيح إلى الذكر أي: أنه سبحانه يذكركم فاذكروه أنتم، ﴿ليخرجكم من الظلمات إلى النور، وكان بالمؤمنين رحيماً﴾.

٤٤: ﴿تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ﴾ تحييتهم

من الله يوم يلقونه سلام، أي: يُسلم عليهم، كما قال تعالى: ﴿سَلَامٌ قَوْلًا مِنْ رَبِّ رَحِيمٍ﴾.

﴿وَأَعَدُّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا﴾ الجنة وما فيها مما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ٤٥: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ

شَاهِدًا﴾ على أمتك ﴿ومبشراً﴾ لهم بالجنة ﴿ونذيراً﴾ من النار ٤٦: ﴿وداعياً إلى الله﴾

إلى شهادة أن لا إله إلا الله ﴿بإذنه وسراجاً منيراً﴾ بالقرآن، كما قال تعالى: ﴿لنكونوا

شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً﴾. ﴿وسراجاً منيراً﴾ وأمرك ظاهر فيما

جئت به من الحق كالشمس في إشرافها وإضاءتها لا يحدها إلا مُعانِد ٤٧: ﴿وبشيراً

المؤمنين بأن لهم من الله فضلاً كبيراً﴾ [أمره تعالى أن يُبشِّرَ المؤمنين بالفضل الكبير من الله

تعالى] ٤٨: ﴿ولا تطع الكافرين والمنافقين ودع أذاهم﴾ لا تطعمهم وتسع كلامهم

الذي يقولونه، ﴿ودع أذاهم﴾ اصفح وتجاوز عنهم، وكل أمرهم إلى الله تعالى، فإن

فيه كفاية لهم، ولهذا قال تعالى: ﴿وتوكل على الله وكفى بالله وكيلاً﴾ [أمره بالتوكل

عليه وأنه سيقوله: ﴿وكفى بالله وكيلاً﴾، وفي قوة الكلام وعد نصره. والوكيل: الحافظ

القائم على الأمر] ٤٩: ﴿يا أيها الذين آمنوا إذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن من قبل

أن تمسوهن فما لكم عليهن من عدة تعتدونها﴾ إن المرأة إذا طلقت قبل الدخول

بها لا عدة عليها، فتذهب فتتزوج في فورها

من شاءت، إلا المتوفى عنها زوجها، فإنها تعتد منه أربعة أشهر وعشراً وإن لم يكن دخل بها، بإجماع العلماء. ﴿فمتعتوهن﴾ المتعة هنا إن لم يكن

سعى لها صداقاً وأمتعها على قدر يسره، وإن كان سعى لها صداقاً فليس لها إلا النصف، كما قال تعالى: ﴿وان طلقتموهن من قبل أن تمسوهن وقد

فرضتم لهن فريضة فنصف ما فرضتم﴾، ﴿وسرحوهن سراحاً جميلاً﴾ [أي: بلا إضرار بهن] ٥٠: ﴿يا أيها النبي إِنَّا أَعْلَمْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ اللَّاتِي

آتَيْنَ أَجُورَهُنَّ﴾ خاطب الله تعالى بأنه قد أحل له من النساء أزواجه اللاتي أعطاهن مهرهن، ﴿وما ملكت يمينك مما أفاء الله عليك﴾ وأباح

لك التسري مما أخذت من الغنائم، وقد ملكت صفة وجورية فأعتقهما وتزوجهما، وملك ربحانة النضرية ومارية القبطية، وكانتا من السراري

رضي الله عنهم جميعاً. ﴿وبنات عمك وبنات عماتك وبنات خالاتك اللاتي هاجرن معك﴾ اللاتي أسلمن معك، ﴿وامرأة مؤمنة إن وهبت نفسها للنبي إن أراد النبي أن يستنكحها خالصة لك﴾

لا يحل للموهبة لغيرك، حتى يُعطيها شيئاً. وإذا فوضت المرأة نفسها إلى رجل فإنه متى دخل بها -أي: بعد العقد- وجب لها مهر مثلها. ﴿قد علمنا ما فرضنا عليهم في أزواجهم وما ملكت أيماهم﴾ من حصصهم أربع نسوة حرائر وما شأوا من الإماء ﴿لكيلا يكون عليك حرج وكان الله

تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا ﴿٤٤﴾ يَتَأَيُّهَا

النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِيدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا

إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا ﴿٤٦﴾ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُمْ

مِنَ اللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا ﴿٤٧﴾ وَلَا تَطْعِ الْكُفْرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ

وَدَعْ أَذْنَهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴿٤٨﴾

يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَقْتُمُوهُنَّ

مِن قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُونَهَا

فَمَتَّعُوهُنَّ وَسَرَّحُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٤٩﴾ يَتَأَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا

أَعْلَمْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ اللَّاتِي آتَيْنَ أَجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ

يَمِينُكَ مِمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْكَ وَبَنَاتِ عَمَتِكَ وَبَنَاتِ عَمَّتِكَ

وَبَنَاتِ خَالَاتِكَ وَبَنَاتِ خَالَاتِكَ اللَّاتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ وَامْرَأَةً

مُؤْمِنَةً إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَهَا

خَالِصَةً لَكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا

عَلَيْهِمْ فِي أَزْوَاجِهِمْ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ لِكَيْلَا

يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٥٠﴾

الآية: ٥٠. روى الإمام أحمد والشيخان في صحيحهما عن سهل بن سعد الساعدي أن رسول الله ﷺ جاءته امرأة فقالت: يا رسول الله إني قد وهبت نفسي لك، فقامت قياماً طويلاً، فقام رجل فقال: يا رسول الله زوجنيها إن لم يكن لك بها حاجة، فقال رسول الله ﷺ: «هل عندك من شيء تُصدقها إياه؟» فقال: ما عندي إلا إزارِي هذا، فقال: «إن أعطيته إزارك جلست لا إزار لك، فالتمس شيئاً.» فقال: لا أجد شيئاً، فقال: «التمس ولو خاتماً من حديد» فالتمس فلم يجد شيئاً، فقال له النبي ﷺ: «هل معك من القرآن =

٥١: ﴿تُرْجِي مَنْ تَشَاءُ مِنْهُنَّ﴾ تُؤَخَّرُ مِنْ تَشَاءُ مِنَ الْوَاهِبَاتِ ﴿وَتُؤَيِّدُ إِلَيْكَ مَنْ تَشَاءُ﴾ مَنْ شِئْتَ قَبْلَهَا وَمَنْ شِئْتَ رَدَدْتَهَا، وَمَنْ رَدَدْتَهَا أَنْتَ فِيهَا بِالْخِيَارِ، وَهَذَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ ابْتِغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ﴾ وَالآيَةُ عَامَّةٌ فِي الْوَاهِبَاتِ وَفِي النِّسَاءِ اللَّاتِي عِنْدَهُ أَنَّهُ مَخَّرَ فِيهِنَّ إِنْ شَاءَ قَسَمَ بَيْنَهُنَّ وَإِنْ شَاءَ لَمْ يَقْسَمْ، وَهَذَا قَالَ تَعَالَى: ﴿ذَلِكَ أَذْنَى أَنْ تَقْرَأَ عَيْنَهُنَّ وَلَا يُخْرَنَ وَيَرْضَيْنَ بِمَا آتَيْتَهُنَّ كُلَّهُنَّ﴾ إِذَا عَلِمْتَ أَنَّ اللَّهَ قَدْ وَضَعَ عِنكَ الْحَرْجَ فِي الْقِسْمِ، فَإِنْ شِئْتَ قَسَمْتَ وَإِنْ شِئْتَ لَمْ تَقْسَمْ لَا جُنَاحَ عَلَيْكَ فِي أَيِّ ذَلِكَ فَعَلْتَ. ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمْ﴾ مِنَ الْمِيلِ إِلَى بَعْضِهِنَّ دُونَ بَعْضٍ وَمِمَّا لَا يُمْكِنُ دَفْعُهُ. وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ يَقْسِمُ بَيْنَ نِسَائِهِ فَيُعْدِلُ ثُمَّ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ هَذَا فَعَلِي فِيمَا أَمْلِكُ فَلَا تَلْمَنِي فِيمَا تَمْلِكُ وَلَا أَمْلِكُ» رَوَاهُ أَصْحَابُ السُّنَنِ. ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ﴾ بِضَمَائِرِ السَّرَائِرِ ﴿حَلِيمٌ﴾ يَحْلُمُ وَيَغْفِرُ ٥٢: ﴿لَا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِنْ بَعْدِ وَلَا أَنْ تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ﴾ نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ مَجَازَةً لِأَزْوَاجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وَرَضًا عَنْهُنَّ عَلَى حُسْنِ صَنِيعِهِنَّ فِي اخْتِيَارِهِنَّ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالِدَارَ الْآخِرَةَ لَمَّا خَيَّرَهُنَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وَكَانَ جَزَائِهِنَّ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَصَرَهُ عَلَيْهِنَّ وَحَرَّمَ عَلَيْهِ أَنْ يَتَزَوَّجَ بغيرهنَّ أَوْ يَسْتَبَدِلَ أَزْوَاجًا غَيْرَهُنَّ، ﴿إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ﴾ فَلَا حَرْجَ عَلَيْهِ فِيهِنَّ. ثُمَّ إِنَّهُ سَبَّحَنَاهُ

﴿تُرْجِي مَنْ تَشَاءُ مِنْهُنَّ وَتُؤَيِّدُ إِلَيْكَ مَنْ تَشَاءُ وَمِنْ ابْتِغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ ذَلِكَ أَذْنَى أَنْ تَقْرَأَ عَيْنَهُنَّ وَلَا يُخْرَنَ وَيَرْضَيْنَ بِمَا آتَيْتَهُنَّ كُلَّهُنَّ﴾ وَإِنْ شَاءَ لَمْ يَقْسَمْ، وَهَذَا قَالَ تَعَالَى: ﴿ذَلِكَ أَذْنَى أَنْ تَقْرَأَ عَيْنَهُنَّ وَلَا يُخْرَنَ وَيَرْضَيْنَ بِمَا آتَيْتَهُنَّ كُلَّهُنَّ﴾ إِذَا عَلِمْتَ أَنَّ اللَّهَ قَدْ وَضَعَ عِنكَ الْحَرْجَ فِي الْقِسْمِ، فَإِنْ شِئْتَ قَسَمْتَ وَإِنْ شِئْتَ لَمْ تَقْسَمْ لَا جُنَاحَ عَلَيْكَ فِي أَيِّ ذَلِكَ فَعَلْتَ. ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمْ﴾ مِنَ الْمِيلِ إِلَى بَعْضِهِنَّ دُونَ بَعْضٍ وَمِمَّا لَا يُمْكِنُ دَفْعُهُ. وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ يَقْسِمُ بَيْنَ نِسَائِهِ فَيُعْدِلُ ثُمَّ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ هَذَا فَعَلِي فِيمَا أَمْلِكُ فَلَا تَلْمَنِي فِيمَا تَمْلِكُ وَلَا أَمْلِكُ» رَوَاهُ أَصْحَابُ السُّنَنِ. ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ﴾ بِضَمَائِرِ السَّرَائِرِ ﴿حَلِيمٌ﴾ يَحْلُمُ وَيَغْفِرُ ٥٢: ﴿لَا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِنْ بَعْدِ وَلَا أَنْ تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ﴾ نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ مَجَازَةً لِأَزْوَاجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وَرَضًا عَنْهُنَّ عَلَى حُسْنِ صَنِيعِهِنَّ فِي اخْتِيَارِهِنَّ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالِدَارَ الْآخِرَةَ لَمَّا خَيَّرَهُنَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وَكَانَ جَزَائِهِنَّ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَصَرَهُ عَلَيْهِنَّ وَحَرَّمَ عَلَيْهِ أَنْ يَتَزَوَّجَ بغيرهنَّ أَوْ يَسْتَبَدِلَ أَزْوَاجًا غَيْرَهُنَّ، ﴿إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ﴾ فَلَا حَرْجَ عَلَيْهِ فِيهِنَّ. ثُمَّ إِنَّهُ سَبَّحَنَاهُ

رَفَعَ حُكْمَ هَذِهِ الْآيَةِ عَنْهُ وَأَبَاحَ لَهُ التَّزْوِجَ، وَلَكِنْ لَمْ يَقْعُ مِنْهُ بَعْدَ ذَلِكَ تَزْوِجَ لَتَكُونَ الْبَيْتَةَ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ عَلِيمًا، قَالَتْ عَائِشَةُ: مَا مَاتَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ حَتَّى أَحَلَّ اللَّهُ لَهُ النِّسَاءَ. ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ رَقِيبًا﴾ ٥٣: هَذِهِ آيَةُ الْحِجَابِ، وَفِيهَا أَحْكَامٌ وَأَدَابٌ شَرْعِيَّةٌ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ﴾ هَذَا حَظْرٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَنْ يَدْخُلُوا مَنَازِلَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بغير إذنٍ كَمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ حَتَّى غَارَ اللَّهُ عَلَى هَذِهِ الْأُمَّةِ فَأَمَرَهُمْ بِذَلِكَ، وَذَلِكَ مِنْ إِكْرَامِهِ تَعَالَى هَذِهِ الْأُمَّةَ، وَهَذَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «إِيَّاكُمْ وَالدَّخُولَ عَلَى النَّسَاءِ» الْحَدِيثُ. ثُمَّ اسْتَشَى مِنْ ذَلِكَ فَقَالَ تَعَالَى: ﴿إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرِ نَاطِرٍ مِنْهُنَّ﴾ غَيْرِ مُتَحَيِّينَ نُضَجَهُ وَاسْتَوَاهُ، أَيُّ: إِذَا قَارَبَ الِاسْتِوَاءَ تَعَرَّضْتَ لِلدَّخُولِ، ﴿وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا﴾ هَذَا دَلِيلٌ عَلَى تَحْرِيمِ النَّظَرِ. ﴿فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا﴾ فَخَفَّفُوا عَنِ أَهْلِ الْبَيْتِ ﴿وَلَا مُسْتَأْنِسِينَ لِحَدِيثٍ﴾ إِنَّ ذَلِكَ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنْكُمْ، فَكَانَ يَكْرَهُ أَنْ يَنْهَاهُمْ عَنْ ذَلِكَ مِنْ شِدَّةِ حَيَاتِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ﴿وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ﴾ وَهَذَا نَهَاهُمْ عَنْ ذَلِكَ وَزَجَرَهُمْ عَنْهُ، ثُمَّ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا سَأَلْتَهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ﴾ لَوْ كَانَ لِأَحَدِكُمْ حَاجَةٌ يَرِيدُ تَنَاوُلَهَا مِنْهُنَّ فَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِنَّ وَلَا يَسْأَلُهُنَّ إِلَّا مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ، ﴿ذَلِكَ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ﴾ هَذَا الَّذِي شَرَعْتَهُ لَكُمْ مِنَ الْحِجَابِ أَطْهَرُ وَأَطْيَبُ، ﴿وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَنْ تُنْكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ ذَلِكَ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمًا﴾ ٥٤: ﴿إِنْ تُبْدُوا شَيْئًا أَوْ يُخْفَوْهُ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾ فَإِنَّهُ تَعَالَى لَا تَخْفَى عَلَيْهِ خَافِيَةٌ.

٥٥: ﴿لَا جُنَاحَ عَلَيْنَ فِي آبَائِهِنَّ وَلَا أَبْنَائِهِنَّ وَلَا إِخْوَانِهِنَّ وَلَا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ وَلَا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ وَلَا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ﴾ لَمَّا أَمَرَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى بِالْحِجَابِ مِنَ الْأَجَانِبِ بَيْنَ أَنْ هُوَ لَاءِ الْأَنْصَارِ لَا يَجِبُ الْإِحْتِجَابُ مِنْهُمْ، كَمَا اسْتَنَاهُمْ فِي سُورَةِ النَّوْرِ عِنْدَ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلَا يَبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ﴾ الآية. وَقَوْلُهُ تَعَالَى ﴿وَلَا نَسَاءَهُنَّ﴾ عَدَمُ الْإِحْتِجَابِ مِنَ النِّسَاءِ الْمُؤْمِنَاتِ [عَدَا الْكِنَايَاتِ]، ﴿وَلَا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ﴾ أَرْقَائَهُنَّ مِنَ الذُّكُورِ وَالْإِنَاثِ. ﴿وَأَتَقِينَ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا﴾ وَاحْتِشَاتِهِ فِي الْحُلُوفِ وَالْعَلَانِيَةِ، فَإِنَّهُ لَا تَخْفَى عَلَيْهِ خَافِيَةٌ ٥٦: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ﴾ صَلَاةُ اللَّهِ تَعَالَى ثَنَائُهُ عَلَيْهِ، وَصَلَاةُ الْمَلَائِكَةِ الدُّعَاءِ، يُرَكُّونَ. وَالْمَقْصُودُ مِنْ هَذِهِ الْآيَةِ أَنَّ اللَّهَ سَبَّحَانَهُ أَحَبُّ عِبَادَتِهِ بِمَنْزِلَةِ عِبَادَةِ وَنَبِيِّهِ عِنْدَهُ فِي الْمَلَأِ الْأَعْلَى بِأَنَّهُ بَنِي عَلَيْهِ، ثُمَّ أَمَرَ اللَّهُ تَعَالَى بِالصَّلَاةِ وَالتَّسْلِيمِ عَلَيْهِ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ قَدْ عَلِمْنَا السَّلَامَ عَلَيْكَ فَكَيْفَ الصَّلَاةُ عَلَيْكَ؟ قَالَ: «قُولُوا: اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ، وَبَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ كَمَا بَارَكْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ» [وَالصَّلَاةُ عَلَيْهِ مِنَ الْأُمَّةِ الدُّعَاءِ الْجَامِعِ لِمَعَانِي الْخَيْرِ، وَالتَّعْظِيمِ لِأَمْرِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ] ٥٧: يَقُولُ تَعَالَى مُتَهَدِّدًا وَمَتَوَعِّدًا مَنْ

لَا جُنَاحَ عَلَيْنَ فِي آبَائِهِنَّ وَلَا أَبْنَائِهِنَّ وَلَا إِخْوَانِهِنَّ وَلَا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ وَلَا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ وَلَا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ ﴿٥٥﴾ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾ إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا ﴿٥٧﴾ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بَغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا ﴿٥٨﴾ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لَأَزْوَاجِكُمْ وَبَنَاتِكُمْ وَنِسَاءَ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلْبَابِهِنَّ ذَلِكَ آدْنَى أَنْ يَعْرِفَنَ فَلَا يُؤْذِينَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٥٩﴾ لَئِن لَّمْ يَنْهَ الْأُنْفِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِبَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُحَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٠﴾ مَلْعُونِينَ أَيْنَمَا ثَقِفُوا أَخْدُوا وَقُتِلُوا نَفْتِيلًا ﴿٦١﴾ سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا ﴿٦٢﴾

أَذَاهُ بِمُخَالَفَتِهِ وَارْتِكَابِ زَوَاجِرِهِ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا﴾ نَزَلَتْ فِي الَّذِينَ طَعَنُوا عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ [فَمَا قَالَ أَوْ فَعَلَ] ٥٨: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بَغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا﴾ يَنْسُبُونَ إِلَيْهِمْ مَا هُمْ بِرَاءٍ مِنْهُ لَمْ يَعْمَلُوهُ وَلَمْ يَفْعَلُوهُ ﴿فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا﴾ وَهَذَا هُوَ الْبُهْتَانُ الْكَبِيرُ؛ أَنْ يُحْكَى أَوْ يُنْقَلُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ عَلَى سَبِيلِ الْعَيْبِ وَالتَّنْقِصِ لَهُمْ، وَأَكْثَرُ مَنْ يَدْخُلُ فِي هَذَا الْوَعِيدِ الرَّافِضَةُ الَّذِينَ يَنْقِصُونَ الصَّحَابَةَ وَيَعْبُوهُمْ بِمَا قَدْ بَرَّاهُمْ اللَّهُ مِنْهُ وَيَصِفُوهُمْ بِنَقِضِ مَا أَحْرَجَ اللَّهُ عَنْهُمْ ٥٩: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لَأَزْوَاجِكُمْ وَبَنَاتِكُمْ وَنِسَاءَ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلْبَابِهِنَّ﴾ لِتَمَيِّزِ عَنْ سَمَاتِ نِسَاءِ الْجَاهِلِيَّةِ. وَالْجَلْبَابُ هُوَ الرَّدَاءُ فَوْقَ الْخِمَارِ. أَمَرَ اللَّهُ نِسَاءَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ يُعْطِينَ وَجُوهَهُنَّ مِنْ فَوْقِ رُؤُوسِهِنَّ بِالْجَلْبَابِ، وَيُؤَدِّينَ عَيْنًا وَاحِدَةً، ﴿ذَلِكَ آدْنَى أَنْ يَعْرِفَنَ فَلَا يُؤْذِينَ﴾ إِذَا فَعَلْنَ ذَلِكَ عَرَفْنَ أَنَّهُنَّ حَرَائِرُ لَا عَوَاهِرَ، ﴿وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ لِمَا سَلَفَتْ أَيَّامُ الْجَاهِلِيَّةِ. ثُمَّ قَالَ تَعَالَى مُتَوَعِّدًا الْمُنَافِقِينَ: ٦٠: ﴿لَئِن لَّمْ يَنْتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَهُمْ الزَّانَةُ هُنَا وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ﴾ الَّذِينَ يَقُولُونَ جَاءَتِ الْأَعْدَاءُ كَذِبًا لَئِن لَمْ يَنْتَهِوا عَنْ ذَلِكَ لَنُغْرِبَنَّكَ بِهِمْ ﴿ثُمَّ لَا يُحَاوِرُونَكَ فِيهَا﴾ فِي الْمَدِينَةِ ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ ٦١: ﴿مَلْعُونِينَ﴾ مَطْرُودِينَ ﴿أَيْنَمَا ثَقِفُوا أَخْدُوا وَجُدُوا﴾ لَقَاتِهِمْ ﴿وَقُتِلُوا نَفْتِيلًا﴾ ٦٢: ﴿سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ﴾ هَذِهِ سُنَّةُ اللَّهِ فِي الْمُنَافِقِينَ إِذَا تَمَرَّدُوا أَنَّ أَهْلَ الْإِيمَانِ يَقَهَرُونَهُمْ لَنَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا لَا تُبَدَّلُ وَلَا تُغَيَّرُ.

٦٣: ﴿يَسْأَلُكَ النَّاسُ عَنِ السَّاعَةِ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ﴾ يُخْبِر تَعَالَى أَنَّ رَسُولَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ لَا عِلْمَ لَهُ بِالسَّاعَةِ، وَأَمْرُهُ أَنْ يردَّ عِلْمَهَا إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، لَكِنَّهُ سَبَّحَانَهُ أَحْبَبَهُ أَنَّهَا قَرِيبَةٌ يَقُولُ: ﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا﴾ [أي: في زمان قريب]؟

٦٤: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكَافِرِينَ﴾ أَعْبَدَهُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ ﴿وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا﴾ فِي الْآخِرَةِ ٦٥: ﴿وَخَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾ مَا كُنْتُمْ فَلَاحِرُوجَ لَهُمْ مِنْهَا وَلَا زَوَالَ لَهُمْ عَنْهَا ﴿لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾ لَيْسَ لَهُمْ مَغِيثٌ يُنْقِذُهُمْ مِمَّا هُمْ فِيهِ

٦٦: ﴿يَوْمَ تَقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ﴾ وَهُمْ كَذَلِكَ ﴿يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَ﴾ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ عَلَى جِهَتِهِمْ وَهُمْ يَتَمَثَّلُونَ أَنَّ لَوْ كَانُوا فِي الدُّنْيَا يَمْتَنُّونَ أَطَاعُوا اللَّهَ وَأَطَاعُوا الرَّسُولَ كَمَا أَخْبَرَ اللَّهُ عَنْهُمْ فِي حَالِ الْعَرَصَاتِ يَقُولُهُ تَعَالَى: ﴿يَوْمَ يَعْزُزُ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَيْلًا يَا وَيْلَتَا لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا﴾ ٦٧: ﴿وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكِرَاءَنَا فَاضْلَمْنَا النَّبِيَّ الْأُمَّرَاءَ وَالْكَرِيءَ مِنَ الْمَشِيخَةِ وَخَالَفْنَا الرَّسُولَ، وَاعْتَدْنَا أَنَّ عِنْدَهُمْ شَيْئًا وَأَنْهَمُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ إِذَا هُمْ لَيْسُوا عَلَى شَيْءٍ ٦٨: ﴿رَبَّنَا أَنْتَ ضَافِقِينَ مِنَ الْعَذَابِ﴾ بِكُفْرِهِمْ وَإِعْوَابِهِمْ إِنَّا نَا وَالْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا﴾ [أي: لعناً كبيراً]

٦٩: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَى فَبَرَّاهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا﴾ رَوَى الْبِخَارِيُّ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ

يَسْأَلُكَ النَّاسُ عَنِ السَّاعَةِ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا ﴿٦٣﴾ إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكَافِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا ﴿٦٤﴾ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٦٥﴾ يَوْمَ تَقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَ ﴿٦٦﴾ وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكِرَاءَنَا فَاضْلَمْنَا النَّبِيَّ الْأُمَّرَاءَ وَالْكَرِيءَ مِنَ الْمَشِيخَةِ وَخَالَفْنَا الرَّسُولَ ﴿٦٧﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَى فَبَرَّاهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهًا ﴿٦٨﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَفُؤُولًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يَصْلَحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِغِ اللَّهُ وَرَسُولَهُ فَعْدْفَارًا فَوَرَّا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾ لِيُعَذِّبَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ وَيَتُوبَ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٧٣﴾

وَسَلَّمَ قَالَ: «إِنَّ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ كَانَ رَجُلًا حَيِّيًا سَتِيرًا لَا يُرَى مِنْ جِلْدِهِ شَيْءٌ اسْتَحْيَاءً مِنْهُ، فَآذَاهُ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ فَقَالُوا مَا يَسْتَرُ هَذَا التَّسْتَرُ إِلَّا مِنْ عَيْبٍ فِي جِلْدِهِ إِمَّا بَرَصٌ وَإِمَّا أَدْرَةٌ - وَهِيَ نَفْخَةٌ فِي الْخَصِيَّتَيْنِ - وَإِمَّا آفَةٌ، وَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ أَرَادَ أَنْ يُبْرِئَهُ مِمَّا قَالُوا... فَأَرَاهُ عَرِيانًا أَحْسَنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ، وَأَبْرَاهُ...» الْحَدِيثُ. ﴿وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهًا﴾ لَهُ جَاءَ عِنْدَ اللَّهِ، كَانَ مُسْتَجَابَ الدَّعْوَةِ ٧٠: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ﴾ اِعْتَدُوا ﴿وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ مُسْتَقِيمًا لَا انْحِرَافَ فِيهِ ٧١: ﴿يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ﴾ وَعَدَّهُمْ أَنْ يُوقِفَهُمْ لِلْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ ﴿وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ الْمَاضِيَةَ وَالْمُسْتَقْبَلِيَةَ بِأَنْ تُبَلِّغَهُمُ التَّوْبَةَ، ﴿وَمَنْ يُطِغِ اللَّهُ وَرَسُولَهُ فَعْدْفَارًا فَوَرَّا عَظِيمًا﴾ وَذَلِكَ أَنَّهُ يُجَارُ مِنْ نَارِ الْحَجِيمِ وَيَصِيرُ إِلَى النِّعَمِ الْمَقِيمِ ٧٢: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ قَبْلَ عَرَضِهَا عَلَى آدَمَ ﴿وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا﴾ تَعْظِيمًا لِلدِّينِ اللَّهُ أَلَّا يَقُومُوا بِهَا، ثُمَّ عَرَضَهَا عَلَى آدَمَ قَبْلُهَا ﴿فَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ﴾ فَقَالَ لَهُ: خُذْهَا بِمَا فِيهَا فَإِنَّهَا أَطْعَمَتْ غُرْفَتَ لَكَ، وَإِنْ عَصَيْتَ عَذَبْتُكَ، قَالَ: قَبِلْتُ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: فَمَا كَانَ إِلَّا مَقْدَارُ مَا بَيْنَ الْعَصْرِ إِلَى اللَّيْلِ حَتَّى أَصَابَ الْخَطِيئَةَ. ﴿إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا﴾ [أي: لنفسه فيما أَصَابَ مِنَ الذَّنْبِ] ﴿جَهُولًا﴾ فِي عَاقِبَةِ أَمْرِهِ ٧٣: ﴿لِيُعَذِّبَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ﴾ إِنَّمَا حَمَلَ نَبِيَّ آدَمَ الْأَمَانَةَ وَهِيَ التَّكْلِيفُ لِيُعَذِّبَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ مِنْهُمْ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ [أي: الَّذِينَ خَانُوا الْأَمَانَةَ]، ﴿وَيَتُوبَ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ [أي: الَّذِينَ حَافَظُوا عَلَيْهَا وَرَعَوْا حَقَهَا] فَأَمَنُوا بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَكَتَبَهُ عَامِلِينَ بِطَاعَتِهِ، ﴿وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ [أي: بِهَم].

= ﴿قُولُوا: اللَّيْلَمُ صَلُّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ﴾. ابن كثير ج ٣/٥٠٧.

٩: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ

وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ يُخْبِرُ تَعَالَى عَنْ نَفْسِهِ الْكَرِيمَةِ

أَنَّ لَهُ الْحَمْدَ الْمَطْلُوقَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، لِأَنَّهُ

الْمُنْعَمُ الْمُنْفَضِلُ عَلَى أَهْلِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، الْمَالِكُ

لِجَمِيعِ ذَلِكَ ﴿وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الْآخِرَةِ﴾ فَهُوَ

الْمُعْبُودُ أَبَدًا، الْمَحْمُودُ عَلَى طَوْلِ الْمَدَى، ﴿وَهُوَ

الْحَكِيمُ﴾ فِي أَقْوَالِهِ وَأَفْعَالِهِ وَشُرْعِهِ وَقَدْرِهِ

﴿الْحَبِيرُ﴾ الَّذِي لَا تَخْفَى عَلَيْهِ خَافِيَةٌ وَلَا

يُغِيبُ عَنْهُ شَيْءٌ، وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى: ٢: ﴿يَعْلَمُ

مَا يَلْجَأُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا﴾ يَعْلَمُ

عَدَدَ النَّازِلِ فِي الْأَرْضِ مِنَ الْقَطْرِ وَالْحَبِّ

وَالكَّامِنِ فِيهَا، وَيَعْلَمُ مَا يَخْرُجُ مِنْ ذَلِكَ عَدَدَهُ

وَكَيْفِيَّتَهُ وَصِفَاتِهِ ﴿وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ﴾ مِنْ

قَطْرِ وَرِزْقٍ، ﴿وَمَا يَعْرَجُ فِيهَا﴾ مِنَ الْأَعْمَالِ

الصَّالِحَةِ وَغَيْرِ ذَلِكَ ﴿وَهُوَ الرَّحِيمُ﴾ بِعِبَادِهِ

فَلَا يَعَاجِلُ عَصَاتِهِمْ بِالْعُقُوبَةِ ﴿الْغَفُورُ﴾ عَنِ

ذُنُوبِ التَّائِبِينَ إِلَيْهِ الْمُتَوَكِّلِينَ عَلَيْهِ ٣: ﴿وَقَالَ

الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي

لَتَأْتِيَكُمْ﴾ أَمَرَ اللَّهُ تَعَالَى رَسُولَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ

وآلِهِ وَسَلَّمَ أَنْ يُقَسِّمَ بَرَبُّهُ الْعَظِيمُ عَلَى وَقُوعِ

الْمَعَادِ، لَمَّا أَنْكَرَهُ مَنْ أَنْكَرَهُ مِنْ أَهْلِ الْكُفْرِ

وَالْعِنَادِ، ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ لَا يَغْرُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ

ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرُ

مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابِ مُبِينٍ﴾

الْجَمِيعُ مُنْدَرِجٌ تَحْتَ عِلْمِهِ فَلَا يَنْفِي عَلَيْهِ

شَيْءٌ، ثُمَّ بَيَّنَّ حِكْمَتَهُ فِي إِعَادَةِ الْأَبْدَانِ وَقِيَامِ

السَّاعَةِ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ٤: ﴿لِيَجْزِيَ الَّذِينَ

آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ

وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ لِيُنْعِمَ السَّعْدَاءُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ٥: ﴿وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ﴾ سَعَوْا فِي الصَّدِّ عَنِ سَبِيلِ اللَّهِ تَعَالَى وَتَكْذِيبِ رِسَالِهِ ﴿أُولَٰئِكَ

لَهُمْ عَذَابٌ مِنْ رِجْزِ أَلِيمٍ﴾ [الرَّجْزُ هُوَ الْعَذَابُ] ٦: ﴿وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ هُوَ الْحَقُّ وَيَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ

الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ٦﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ نُنَدِّكُمْ عَلَىٰ رِجْلِ

يُبْتَسِكُمْ إِذَا مَرَّ قَوْمٌ كُلٌّ مُمْرِقٌ لَكُمْ لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ ٧﴾

سُورَةُ السَّبْأِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَهُ الْحَمْدُ

فِي الْآخِرَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ ﴿١﴾ يَعْلَمُ مَا يَلْجَأُ فِي الْأَرْضِ

وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرَجُ فِيهَا وَهُوَ

الرَّحِيمُ الْغَفُورُ ﴿٢﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ

قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأْتِيَكُمْ عِلْمُ الْغَيْبِ لَا يُعْزَبُ عَنْهُ مِثْقَالُ

ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرُ مِنْ ذَلِكَ

وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابِ مُبِينٍ ﴿٣﴾ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ

آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ

كَرِيمٌ ﴿٤﴾ وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ أُولَٰئِكَ

لَهُمْ عَذَابٌ مِنْ رِجْزِ أَلِيمٍ ﴿٥﴾ وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ

الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ هُوَ الْحَقُّ وَيَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ

الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴿٦﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ نُنَدِّكُمْ عَلَىٰ رِجْلِ

يُبْتَسِكُمْ إِذَا مَرَّ قَوْمٌ كُلٌّ مُمْرِقٌ لَكُمْ لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿٧﴾

وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ لِيُنْعِمَ السَّعْدَاءُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ٥: ﴿وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ﴾ سَعَوْا فِي الصَّدِّ عَنِ سَبِيلِ اللَّهِ تَعَالَى وَتَكْذِيبِ رِسَالِهِ ﴿أُولَٰئِكَ

لَهُمْ عَذَابٌ مِنْ رِجْزِ أَلِيمٍ﴾ [الرَّجْزُ هُوَ الْعَذَابُ] ٦: ﴿وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ هُوَ الْحَقُّ﴾ هَذِهِ حِكْمَةٌ أُخْرَى

مَعْرُوفَةٌ عَلَى الَّتِي قَبْلُهَا وَهِيَ أَنَّ الْمُؤْمِنِينَ بِمَا أَنْزَلَ عَلَى الرَّسُولِ إِذَا شَاهَدُوا قِيَامَ السَّاعَةِ وَمَجَازَةَ الْأَبْرَارِ وَالْفَجَارِ بِالَّذِي كَانُوا قَدْ عُلِمُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ

تَعَالَى فِي الدُّنْيَا رَأَوْهُ حِينَئِذٍ عَيْنَ الْيَقِينِ، وَيَقُولُونَ: ﴿لَقَدْ جَاءَتْ رُسُلٌ رَبَّنَا بِالْحَقِّ﴾، ﴿وَيَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾ [أَي: يَهْدِي الْقُرْآنَ إِلَى

طَرِيقِ الْإِسْلَامِ، الَّذِي هُوَ دِينُ اللَّهِ] ٧: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ نُنَدِّكُمْ عَلَىٰ رِجْلِ رَجُلٍ يَبْتَسِكُمْ إِذَا مَرَّ قَوْمٌ كُلٌّ مُمْرِقٌ لَكُمْ لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ!؟

هَذَا إِخْبَارٌ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ عَنِ اسْتِعْبَادِ الْكُفْرَةِ لِلْمَلْحَدِينَ قِيَامَ السَّاعَةِ وَاسْتِهْزَاءِهِم بِالرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فِي إِخْبَارِهِ بِذَلِكَ، ﴿يَبْتَسِكُمْ إِذَا

مَرَّ قَوْمٌ كُلٌّ مُمْرِقٌ﴾ تَفَرَّقَتْ أَجْسَادُكُمْ فِي الْأَرْضِ، وَذَهَبَتْ فِيهَا كُلُّ مَذْهَبٍ [وَتَفَرَّقَتْ كُلُّ تَفْرِيقٍ] ﴿إِنكُمْ﴾ بَعْدَ هَذَا الْحَالِ ﴿لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾

تَعْوَدُونَ أَحْيَاءَ بَعْدَ ذَلِكَ!؟

الآيات: ٣-٦ هذه إحدى الآيات الثلاث التي لا رابع لها مما أمر الله تعالى ورَسُولُهُ ﷺ أَنْ يُقَسِّمَ بَرَبُّهُ الْعَظِيمُ عَلَى وَقُوعِ الْمَعَادِ، لَمَّا أَنْكَرَهُ مِنْ أَهْلِ الْكُفْرِ وَالْعِنَادِ، فَاجْتَدَاهُنَّ فِي سُورَةِ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَهِيَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَيَسْتَبِشِرُونَكَ أَحَقُّ هُوَ قُلْ إِنِّي وَرَبِّي إِلَهُ سَلْبٌ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾ وَالثَّانِيَةُ هَذِهِ: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأْتِيَكُمْ﴾ وَالثَّلَاثَةُ فِي سُورَةِ التَّغَابُنِ، وَهِيَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْتَسِرْنَا قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَيُبْتَسِرُنَّ ثُمَّ لَيُنْبِئُونَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾.

٨: ﴿أَفَرَأَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَمْ بِهِ جِنَّةٌ﴾ هذا الإخبار لا يخلو أمره إما أن يكون تعمد الكذب أنه أوجي إليه ذلك، أو أنه ليس عليه كما يليس على المعنوه والمجنون، فردّ الله عليهم: ﴿بل الذين لا يؤمنون بالآخرة في العذاب والضلال البعيد﴾ ليس الأمر كما زعموا بل محمد صلى الله عليه وآله وسلم هو الصادق البارّ الراشد الذي جاء بالحقّ وهم الكذّبة في الضلال في الدنيا [وفي الآخرة في النار]. ثم قال تعالى منها لهم على قدرته: ٩: ﴿أَقَلَّمُ يَرَوْا إِلَى مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ حيثما توجهوا وذهبوا فالسما مظة عليهم والأرض تحتهم؛ إنك إن نظرت عن يمينك أو عن شمالك [أو من فوقك أو من تحيك] أو من بين يديك أو من خلفك رأيت السماء والأرض، ﴿إن نشأ نخسف بهم الأرض أو نسقط عليهم كسفاً من السماء﴾ لو شئنا لفعلنا بهم ذلك بظلمهم ولكن تؤخر ذلك لحلمنا، ﴿إن في ذلك لآية لكل عبد منيب﴾ تائب لبيب راجع إلى الله ١٠: ﴿ولقد آتينا داود منا فضلاً﴾ يخبر تعالى عمّا أنعم به على عبده ورسوله داود عليه السلام من الفضل في جمعه له بين النبوة والملك، ﴿يا جبال أوبي معه﴾ وما منحه من الصوت العظيم الذي إذا سبح به تسبح معه الجبال الراسيات ﴿والطير﴾ تقف وتجابه بأنواع اللغات، ﴿وأنا له الحديده﴾ فكان لا يحتاج أن يدخله ناراً ولا يضره بمطرقة، بل كان يفتله بيده مثل الخيط، ولهذا

سورة الشعراء
١٢

أَفَرَأَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَمْ بِهِ جِنَّةٌ بَلِ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ فِي الْعَذَابِ وَالضَّلَالِ الْبَعِيدِ ﴿٨﴾ أَفَلَرَى إِلَى مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنْ نَشَأْ نُخَسِفْ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ نُسْقِطَ عَلَيْهِمْ كِسْفًا مِنَ السَّمَاءِ إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَةٌ لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ ﴿٩﴾ ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ مِنَّا فَضْلًا يَجِبَالُ أَوْبَىٰ مَعَهُ وَالطَّيْرَ وَأَنَّا لَهُ الْحَدِيدُ ﴿١٠﴾ أَنْ أَعْمَلَ سَبْعًا وَقَدَّرَ فِي السَّرْدِ وَعَمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١﴾ وَلَسَلِمَنَّ الرِّيحُ عُدُوها شَهْرًا وَرَوَّاحها شَهْرًا وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقَظْرِ وَمَنْ الْجِنِّ مَنْ يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَمَنْ يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نَذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ ﴿١٢﴾ يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحْرِبٍ وَتَمَثِيلٍ وَجَفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَاسِيَتٍ أَعْمَلُوا آلَ دَاوُدَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّاكِرِينَ ﴿١٣﴾ فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَاتَهُ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أَنْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ ﴿١٤﴾

قال تعالى: ١١: ﴿إِنْ أَعْمَلَ سَابِغَاتٍ﴾ وهي الدروع، ﴿وقدّر في السرد﴾ هذا إرشاد من الله تعالى لنبيه داود في تعليمه صنعة الدروع، ﴿واعملوا صالحاً﴾ في الذي أعطاكم الله تعالى من النعم ﴿إني بما تعملون بصير﴾ مراقب لكم بصير بأعمالكم وأقوالكم ١٢: لما ذكر تعالى ما أنعم به على داود عطف بذكر ما أعطى ابنه سليمان عليهما السلام: ﴿ولسليمان الريح غدوها شهر ورواحها شهر﴾ كان يغدو على بساطه من دمشق فينزل باصطخر يتعدى بها، ويذهب راحاً من اصطخر فيبيت بكابل. ﴿وأسلنا له عين القطر﴾ النحاس، وكانت باليمن، ﴿ومن الجن من يعمل بين يديه بإذن ربه﴾ وسخرنا له الجن يعملون بين يديه بقدر ربه ما يشاء من البتاتيات وغير ذلك، ﴿ومن يزغ منهم عن أمرنا﴾ ومن يعدل ويخرج منهم عن الطاعة ﴿نذيقه من عذاب السعير﴾ وهو الحريق ١٣: ﴿يعملون له ما يشاء من محارِبٍ وتَمَثِيلٍ﴾ المحارِب: أشرف شيء في المسكن ﴿وتَمَثِيلٍ﴾ من نحاس وطين وزجاج، [وهذا يدل على أنها كانت مباحة، ثم نسخت بشريعة محمد صلى الله عليه وآله وسلم]، ﴿وجفان كالجواب﴾ جمع جابية وهي الحوض للئام ﴿وقدور راسيات﴾ أي: نُتحت من الجبال الصم، من عمل الشياطين [اعملوا آل داود شكراً] على ما أنعم الله به عليكم في الدين والدنيا ﴿وقليل من عبادي الشكور﴾ هذا إخبار عن الواقع ١٤: ﴿فلما قضينا عليه﴾ على سليمان ﴿الموت ما دلهم﴾ الجن ﴿على موته إلا دابة الأرض﴾ وهي الأرسنة ﴿تأكل منسأته﴾ عصاه ﴿فلما خر تبئت الجن أن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين﴾، مكتوا يدبثون له من بعد موته حولاً كاملاً، فتبين أن الجن لا تعلم الغيب.

لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكِنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ
كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ بَلَدَهُ طَيِّبَةً وَرَبُّ غَفُورٌ
﴿١٥﴾ فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ
جَنَّتَيْنِ ذَوَاتِي أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثَلٍ وَشَيْءٍ مِنْ سِدْرٍ قَلِيلٍ
﴿١٦﴾ ذَلِكَ جَزَاءُ يَنْفَعُهُمْ بِمَا كَفَرُوا وَهُمْ لَنْ يُجْزَى إِلَّا الْكُفُورَ ﴿١٧﴾
وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَرَكْنَا فِيهَا قَرْيَ ظَهْرَةَ
وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سِيرُوا فِيهَا لِيَالِي وَأَيَّامًا آمِنِينَ ﴿١٨﴾
فَقَالُوا رَبَّنَا بَعْدَ بَيْنِ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَجَعَلْنَاهُمْ
أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ
شَكُورٍ ﴿١٩﴾ وَلَقَدْ صَدَقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا
فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَمَا كَانَ لَهُ عَلَيْهِمْ مِنْ سُلْطَانٍ
إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يُوْمِنُ بِالْآخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِي شَكٍّ وَرَبُّكَ
عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ ﴿٢١﴾ قُلْ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ
اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي
الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِنْ شِرْكٍَ وَمَا لَهُمْ مِنْ ظَهِيرٍ ﴿٢٢﴾

٤٢٠

١٥: ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكِنِهِمْ آيَةٌ﴾
كانت سبأ ملوك اليمن، وأهلها التبايعه وبلقيس
منهم، كانوا في نعمة وغبطة في بلادهم
واتساع أرزاقهم ﴿جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ﴾
[أي: عن يمين الوادي وعن شماله]، ﴿كُلُوا
مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ﴾ بتوحيده
وعبادته ﴿بَلَدَهُ طَيِّبَةً وَرَبُّ غَفُورٌ﴾ [جمع لهم
بين مغفرته وطيب بلادهم] ١٦:
﴿فَأَعْرَضُوا﴾ عما أمرُوا به ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ
سَيْلَ الْعَرِمِ﴾ ففوقوا بإرسال السيل والتفرق
في البلاد. وسيل العرم: ماء الوادي الغزير،
بسبب خراب السدِّ ﴿وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ
جَنَّتَيْنِ ذَوَاتِي أُكُلٍ خَمْطٍ﴾ شجر الأراك [له
حمل يؤكل]، ﴿وَأَثَلٍ﴾ وهو شجر يشبه
الطرفاء ﴿وَشَيْءٍ مِنْ سِدْرٍ قَلِيلٍ﴾ وهو ذو
الشوك الكثير والثر القليل، أي: صار أمر
الختين إلى هذا، وذلك بسبب كفرهم
وتكذيبهم الحق ١٧: ﴿ذَلِكَ جَزَاءُ يَنْفَعُهُمْ
بِمَا كَفَرُوا﴾ عاقبتهم بكفرهم ﴿وَهُمْ لَنْ يُجْزَى
إِلَّا الْكُفُورَ﴾ لا يعاقب بمثل فعله إلا الكفور
[وذلك أن المؤمن يُكْفَرُ عنه سيئاته، والكافر
يُجَازِيه بسوء عمله] ١٨: يذكرُ تعالى
ما كانوا فيه من النعمة والعيش الرغد والقرى
المتواصلة مع كثرة أشجارها وغارها بحيث أن
مسافرهم لا يحتاج إلى حمل زاد ولا ماء:
﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا﴾
وهي ما بين صنعاء إلى الشام، كانوا يسرون
من اليمن إلى الشام ﴿قَرْيَ ظَهْرَةَ﴾ متواصلة
﴿وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ﴾ جعلناها بحسب

ما يحتاج المسافرون إليه ﴿سِيرُوا فِيهَا لِيَالِي وَأَيَّامًا آمِنِينَ﴾ الأمن حاصل لهم في سيرهم ليلاً ونهاراً ١٩: ﴿فَقَالُوا رَبَّنَا بَعْدَ بَيْنِ أَسْفَارِنَا﴾ وذلك
أنهم بطروا هذه النعمة ﴿وظلموا أنفسهم﴾ [ولم يصيروا على العافية وتمتوا] مفاروق يحتاجون في قطعها إلى الزاد والسير في الحرور والمخاوف
﴿فجعلناهم أحاديث﴾ للناس وسمرًا يتحدثون به من خبرهم ﴿ومزقناهم كل ممزق﴾ بكفرهم فرق شملهم ﴿إن في ذلك لآيات لكل
صبار﴾ على المصائب، ﴿شكور﴾ على النعم ٢٠: ﴿ولقد صدق عليهم إبليس ظنه﴾ في قوله: ﴿لأحتكن ذريته إلا قليلاً﴾، ﴿فاتبعوه إلا
فريقاً من المؤمنين﴾ ٢١: ﴿وما كان له عليهم من سلطان﴾ من حجة، وما أكرههم على شيء، وما كان إلا أماني دعاهم إليها فأجابوه، ﴿إلا
لنعلم من يؤمن بالآخرة﴾ إنما سلطانه عليهم ليظهر أمر من هو مؤمن بالآخرة ﴿ممن هو منها في شك﴾، ﴿وربك على كل شيء حفيظ﴾
بحفظه سلم من سلم من المؤمنين من ضلال إبليس ٢٢: ﴿قل ادعوا الذين زعتم من دون الله﴾ من الآلهة التي عُبدت من دونه ﴿لا يملكون
مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهَا مِنْ شِرْكٍَ﴾ لا يملكون شيئاً مستقلاً ولا على سبيل الشركه ﴿وما له منهم من ظهير﴾
وليس لله من هذه الأنداد من ظهير يستظهر به في الأمور، بل الخلق كلهم قراء إليه عبيد لديه.

الآية: ١٥ روى الإمام أحمد عن عبد الرحمن بن وعلة قال: سمعت ابن عباس يقول: إن رجلاً سأل رسول الله ﷺ عن سبأ ما هو؟ أ رجل أم امرأة أم أرض؟ قال ﷺ: «بل هو رجل، وُلد له عشرة فسكن اليمن منهم ستة، وبالشام منهم أربعة، فأما الجاهليون فمذبح وكندة والأزد والأشعريون وأمار وجحتر، وأما الشامية فلخم وجذام وعاملة وشسانه. وإنسانه حسن. ابن كثير ٣/٥٣٠

٢٣: ﴿وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ﴾ لعظمته وجلاله وكرميته لا يجترى أحد أن يشفع عنده تعالى في شيء إلا بعد إذنه له، كما قال تعالى: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ ﴿حتى إذا فرغ عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم؟﴾ إذا زال الفرع عنهم سأل بعضهم بعضاً ماذا قال ربكم؟ فيخبرهم حملة العرش فـ ﴿قالوا الحق﴾ من غير زيادة ولا نقصان ﴿وهو العلي الكبير﴾ فله أن يحكم في عبادته بما يريد [٢٤]: ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ؟ قُلْ اللَّهُ﴾ يُفَرِّزُ تعالى تفرده بالخلق والرزق ليعلموا أنه لا إله إلا هو، ﴿وَإِنَّا أَوْ يَتَاكُمْ عَلَيَّ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ هذا من باب اللف والنشر^(١)، أي: واحد من الفريقين مبطل والآخر مُحِقٌّ، ونحن قد أقننا البرهان على توحيد الله فدل على بطلان ما أنتم عليه من الشرك ٢٥: ﴿قُلْ لَا تَسْأَلُونَ عَمَّا أَجْرَمْنَا وَلَا نَسْأَلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ التبري منهم، أي: لسئتم منا ولا نحن منكم، بل ندعوكم إلى الله وإلى توحيدهِ، فإن أجبتُم فأنتم منا ونحن منكم، وإن كذبتُم فنحن براء منكم ٢٦: ﴿قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا﴾ يوم القيامة ﴿ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ﴾ يحكم بيننا بالعدل فيجزي كل عامل بعمله ﴿وهو الفتح العليم﴾ الحاكم العادل العالم بمقائق الأمور ٢٧: ﴿قُلْ أَرُونِي الَّذِينَ أَلْحَقْتُمْ بِهِ شُرَكَاءَ﴾ أروني هذه الآفة التي جعلتموها لله أندادا، ﴿كَلَّا﴾ ليس له نظير ولا شريك ﴿بل هو الله الواحد الأحد

وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ حَتَّىٰ إِذَا فَرَغَ عَنْ قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقُّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴿٢٣﴾ قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلْ اللَّهُ وَإِنَّا أَوْ يَتَاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٢٤﴾ قُلْ لِمَنْ أَشْأَلُونَ عَمَّا أَجْرَمْنَا وَلَا نَسْأَلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٥﴾ قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَهُوَ الْفَتَّاحُ الْعَلِيمُ ﴿٢٦﴾ قُلْ أَرُونِي الَّذِينَ أَلْحَقْتُمْ بِهِ شُرَكَاءَ كَلَّا بَلْ هُوَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٧﴾ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَذَا الْوَعْدُ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٩﴾ قُلْ لَكُمْ مِيعَادُ يَوْمٍ لَا تَسْتَجِرُونَ عَنْهُ سَاعَةً وَلَا تَسْتَغِيثُونَ ﴿٣٠﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ نُؤْمِنَ بِهَذَا الْقُرْآنِ وَلَا بِالَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ الْقَوْلَ يَقُولُ الَّذِينَ اسْتُضِعِفُوا لِّلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لَوْلَا أَنْتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ ﴿٣١﴾

﴿العزیز﴾ الذي قهر كل شيء ﴿الحكيم﴾ في أفعاله وأقواله وشرعه، تعالى وتقدّس عما يقولون ٢٨: ﴿وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيراً ونذيراً﴾ إلى جميع الخلائق من المكلفين كما قال تعالى: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ ﴿ولكن أكثر الناس لا يعلمون﴾ (أي: ما لهم من النفع بإرسال الرسل) ٢٩: ﴿ويقولون متى هذا الوعد إن كنتم صادقين﴾ (فأجابهم تعالى): ٣٠: ﴿قُلْ لَكُمْ مِيعَادُ يَوْمٍ لَا تَسْتَجِرُونَ عَنْهُ سَاعَةً وَلَا تَسْتَغِيثُونَ﴾ لكم ميعاد مؤجل معدود لا يزد ولا ينقص فإذا جاء فلا يؤخر ساعة ولا يقدم، كما قال تعالى: ﴿إِنْ أَجَلَ اللَّهُ إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُ﴾، ﴿وما تؤخّروا إلا لأجل معدود﴾ ٣١: ﴿وقال الذين كفروا لن نؤمن بهذا القرآن﴾ يخبر تعالى عن تمادي الكفار في طغيانهم وعنادهم وإصرارهم على عدم الإيمان بالقرآن، ﴿ولا بالذي بين يديه﴾ (أي: التوراة والإنجيل)، ثم قال تعالى متهدداً وموعداً ومخبراً عن موقفهم بين يديه في حال تخصمهم: ﴿ولو ترى إذ الظالمون موقوفون عند ربهم يرجع بعضهم إلى بعض القول يقول الذين استضعفوا: اللهم الأتباع للذين استكبروا﴾ منهم وهم قادتهم وسادتهم: ﴿لولا أنتم لكاننا مؤمنين﴾ لولا أنتم تصدونا لكاننا اتبعنا الرسل وأمتنا بما جاؤونا به، فقال لهم القادة والسادة وهم الذين استكبروا: أنحن صدّدناكم!؟

(١) انظر التعليق على تفسير الآية ٧٣ من سورة القصص.

الآية: ١٩ روى الإمام أحمد عن سعد بن أبي وقاص قال: قال رسول الله ﷺ: «عجبت من قضاء الله تعالى للمؤمن إن أصابه خير حمد ربّه وشكره، وإن أصابه مصيبة حمد ربّه وصبره، يؤخر المؤمن في كل شيء حتى في اللقمة يرفعها إلى في امرأته». ابن كثير ج ٣/٥٣٥/١

٣٢: ﴿قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لِلَّذِينَ اسْتَضِعِفُوا أَنَحْنُ صَدَدْنَاكُمْ عَنِ الْهُدَىٰ بَعْدَ إِذْ جَاءَكُمْ بِبَلٍ كُنْتُمْ مُجْرِمِينَ﴾ نحن ما فعلنا بكم أكثر من أننا دعوناكم فاتبعتمونا لشهوتكم واختياركم لذلك، ولهذا قالوا: ﴿بَلْ كُنْتُمْ مُجْرِمِينَ﴾ ٣٣: ﴿وقال الذين استضعفوا للذين استكبروا بل مكر الليل والنهار إذ كنتم تمكرون بنا ليلاً نهاراً، وتُفَرِّقُونَا وتُخْبِرُونَا أَنَا عَلَىٰ هُدًىٰ وَأَنَا عَلَىٰ شَيْءٍ، فَإِذَا جَمِيعَ ذَلِكَ بَاطِلٌ وَكَذِبٌ، وَمَكْرَمٌ﴾ ٣٤: ﴿إِذْ تَأْمُرُونَا أَنْ نَكْفُرَ بِاللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُ أَنْدَادًا﴾ نُظَرَاءَ وَآهَةَ مَعَهُ، وَتُقْبِلُونَا لَنَا شُبُهًا تُضِلُّونَا بِهَا، ﴿وَأَسْرُوا الْقَدَامَةَ لَمَّا رَأَوْا الْعَذَابَ﴾ ٣٥: ﴿الجميع من السادة والأتباع كل نديم على ماسلف منه، ﴿وجعلنا الأغلال في أعناق الذين كفروا﴾ وهي السلاسل التي تجمع أيديهم مع أعناقهم، ﴿هل يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ ٣٦: ﴿وما أرسلنا في قبيلة من نذير إلا قال مترفوها إنا بما أرسلناكم لا يعلمون﴾ ٣٧: ﴿وما أموالكم ولا أولادكم بالتي تُقْرَبُكُمْ عِنْدَنَا زُلْفَىٰ إِلَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ لَهُمْ جِزَاءٌ ضَعِيفٌ بِمَا عَمِلُوا وَهُمْ فِي الْعُرْفَاتِ ءَامِنُونَ﴾ ٣٨: ﴿والذين يسعون في أيتنا معجزين أولئك في العذاب محضرون﴾ ٣٩: ﴿قل إن ربي يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر له وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه وهو خير الرزقين﴾ ٤٠: ﴿وقالوا نحن أكثر أموالاً وأولاداً وما نتعبدون﴾ ٤١: ﴿وما أرسلنا من قبلك من نذير إلا قال مترفوها إنا بما أرسلناكم لا يعلمون﴾ ٤٢: ﴿وما أموالكم ولا أولادكم بالتي تُقْرَبُكُمْ عِنْدَنَا زُلْفَىٰ إِلَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ لَهُمْ جِزَاءٌ ضَعِيفٌ بِمَا عَمِلُوا وَهُمْ فِي الْعُرْفَاتِ ءَامِنُونَ﴾ ٤٣: ﴿والذين يسعون في أيتنا معجزين أولئك في العذاب محضرون﴾ ٤٤: ﴿وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه وهو خير الرزقين﴾ ٤٥: ﴿وقالوا نحن أكثر أموالاً وأولاداً وما نتعبدون﴾ ٤٦: ﴿وما أرسلنا من قبلك من نذير إلا قال مترفوها إنا بما أرسلناكم لا يعلمون﴾ ٤٧: ﴿وما أموالكم ولا أولادكم بالتي تُقْرَبُكُمْ عِنْدَنَا زُلْفَىٰ إِلَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ لَهُمْ جِزَاءٌ ضَعِيفٌ بِمَا عَمِلُوا وَهُمْ فِي الْعُرْفَاتِ ءَامِنُونَ﴾ ٤٨: ﴿والذين يسعون في أيتنا معجزين أولئك في العذاب محضرون﴾ ٤٩: ﴿وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه وهو خير الرزقين﴾ ٥٠: ﴿وقالوا نحن أكثر أموالاً وأولاداً وما نتعبدون﴾ ٥١: ﴿وما أرسلنا من قبلك من نذير إلا قال مترفوها إنا بما أرسلناكم لا يعلمون﴾ ٥٢: ﴿وما أموالكم ولا أولادكم بالتي تُقْرَبُكُمْ عِنْدَنَا زُلْفَىٰ إِلَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ لَهُمْ جِزَاءٌ ضَعِيفٌ بِمَا عَمِلُوا وَهُمْ فِي الْعُرْفَاتِ ءَامِنُونَ﴾ ٥٣: ﴿والذين يسعون في أيتنا معجزين أولئك في العذاب محضرون﴾ ٥٤: ﴿وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه وهو خير الرزقين﴾ ٥٥: ﴿وقالوا نحن أكثر أموالاً وأولاداً وما نتعبدون﴾ ٥٦: ﴿وما أرسلنا من قبلك من نذير إلا قال مترفوها إنا بما أرسلناكم لا يعلمون﴾ ٥٧: ﴿وما أموالكم ولا أولادكم بالتي تُقْرَبُكُمْ عِنْدَنَا زُلْفَىٰ إِلَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ لَهُمْ جِزَاءٌ ضَعِيفٌ بِمَا عَمِلُوا وَهُمْ فِي الْعُرْفَاتِ ءَامِنُونَ﴾ ٥٨: ﴿والذين يسعون في أيتنا معجزين أولئك في العذاب محضرون﴾ ٥٩: ﴿وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه وهو خير الرزقين﴾ ٦٠: ﴿وقالوا نحن أكثر أموالاً وأولاداً وما نتعبدون﴾ ٦١: ﴿وما أرسلنا من قبلك من نذير إلا قال مترفوها إنا بما أرسلناكم لا يعلمون﴾ ٦٢: ﴿وما أموالكم ولا أولادكم بالتي تُقْرَبُكُمْ عِنْدَنَا زُلْفَىٰ إِلَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ لَهُمْ جِزَاءٌ ضَعِيفٌ بِمَا عَمِلُوا وَهُمْ فِي الْعُرْفَاتِ ءَامِنُونَ﴾ ٦٣: ﴿والذين يسعون في أيتنا معجزين أولئك في العذاب محضرون﴾ ٦٤: ﴿وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه وهو خير الرزقين﴾ ٦٥: ﴿وقالوا نحن أكثر أموالاً وأولاداً وما نتعبدون﴾ ٦٦: ﴿وما أرسلنا من قبلك من نذير إلا قال مترفوها إنا بما أرسلناكم لا يعلمون﴾ ٦٧: ﴿وما أموالكم ولا أولادكم بالتي تُقْرَبُكُمْ عِنْدَنَا زُلْفَىٰ إِلَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ لَهُمْ جِزَاءٌ ضَعِيفٌ بِمَا عَمِلُوا وَهُمْ فِي الْعُرْفَاتِ ءَامِنُونَ﴾ ٦٨: ﴿والذين يسعون في أيتنا معجزين أولئك في العذاب محضرون﴾ ٦٩: ﴿وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه وهو خير الرزقين﴾ ٧٠: ﴿وقالوا نحن أكثر أموالاً وأولاداً وما نتعبدون﴾ ٧١: ﴿وما أرسلنا من قبلك من نذير إلا قال مترفوها إنا بما أرسلناكم لا يعلمون﴾ ٧٢: ﴿وما أموالكم ولا أولادكم بالتي تُقْرَبُكُمْ عِنْدَنَا زُلْفَىٰ إِلَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ لَهُمْ جِزَاءٌ ضَعِيفٌ بِمَا عَمِلُوا وَهُمْ فِي الْعُرْفَاتِ ءَامِنُونَ﴾ ٧٣: ﴿والذين يسعون في أيتنا معجزين أولئك في العذاب محضرون﴾ ٧٤: ﴿وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه وهو خير الرزقين﴾ ٧٥: ﴿وقالوا نحن أكثر أموالاً وأولاداً وما نتعبدون﴾ ٧٦: ﴿وما أرسلنا من قبلك من نذير إلا قال مترفوها إنا بما أرسلناكم لا يعلمون﴾ ٧٧: ﴿وما أموالكم ولا أولادكم بالتي تُقْرَبُكُمْ عِنْدَنَا زُلْفَىٰ إِلَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ لَهُمْ جِزَاءٌ ضَعِيفٌ بِمَا عَمِلُوا وَهُمْ فِي الْعُرْفَاتِ ءَامِنُونَ﴾ ٧٨: ﴿والذين يسعون في أيتنا معجزين أولئك في العذاب محضرون﴾ ٧٩: ﴿وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه وهو خير الرزقين﴾ ٨٠: ﴿وقالوا نحن أكثر أموالاً وأولاداً وما نتعبدون﴾ ٨١: ﴿وما أرسلنا من قبلك من نذير إلا قال مترفوها إنا بما أرسلناكم لا يعلمون﴾ ٨٢: ﴿وما أموالكم ولا أولادكم بالتي تُقْرَبُكُمْ عِنْدَنَا زُلْفَىٰ إِلَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ لَهُمْ جِزَاءٌ ضَعِيفٌ بِمَا عَمِلُوا وَهُمْ فِي الْعُرْفَاتِ ءَامِنُونَ﴾ ٨٣: ﴿والذين يسعون في أيتنا معجزين أولئك في العذاب محضرون﴾ ٨٤: ﴿وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه وهو خير الرزقين﴾ ٨٥: ﴿وقالوا نحن أكثر أموالاً وأولاداً وما نتعبدون﴾ ٨٦: ﴿وما أرسلنا من قبلك من نذير إلا قال مترفوها إنا بما أرسلناكم لا يعلمون﴾ ٨٧: ﴿وما أموالكم ولا أولادكم بالتي تُقْرَبُكُمْ عِنْدَنَا زُلْفَىٰ إِلَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ لَهُمْ جِزَاءٌ ضَعِيفٌ بِمَا عَمِلُوا وَهُمْ فِي الْعُرْفَاتِ ءَامِنُونَ﴾ ٨٨: ﴿والذين يسعون في أيتنا معجزين أولئك في العذاب محضرون﴾ ٨٩: ﴿وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه وهو خير الرزقين﴾ ٩٠: ﴿وقالوا نحن أكثر أموالاً وأولاداً وما نتعبدون﴾ ٩١: ﴿وما أرسلنا من قبلك من نذير إلا قال مترفوها إنا بما أرسلناكم لا يعلمون﴾ ٩٢: ﴿وما أموالكم ولا أولادكم بالتي تُقْرَبُكُمْ عِنْدَنَا زُلْفَىٰ إِلَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ لَهُمْ جِزَاءٌ ضَعِيفٌ بِمَا عَمِلُوا وَهُمْ فِي الْعُرْفَاتِ ءَامِنُونَ﴾ ٩٣: ﴿والذين يسعون في أيتنا معجزين أولئك في العذاب محضرون﴾ ٩٤: ﴿وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه وهو خير الرزقين﴾ ٩٥: ﴿وقالوا نحن أكثر أموالاً وأولاداً وما نتعبدون﴾ ٩٦: ﴿وما أرسلنا من قبلك من نذير إلا قال مترفوها إنا بما أرسلناكم لا يعلمون﴾ ٩٧: ﴿وما أموالكم ولا أولادكم بالتي تُقْرَبُكُمْ عِنْدَنَا زُلْفَىٰ إِلَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ لَهُمْ جِزَاءٌ ضَعِيفٌ بِمَا عَمِلُوا وَهُمْ فِي الْعُرْفَاتِ ءَامِنُونَ﴾ ٩٨: ﴿والذين يسعون في أيتنا معجزين أولئك في العذاب محضرون﴾ ٩٩: ﴿وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه وهو خير الرزقين﴾ ١٠٠: ﴿وقالوا نحن أكثر أموالاً وأولاداً وما نتعبدون﴾

قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لِلَّذِينَ اسْتَضِعِفُوا أَنَحْنُ صَدَدْنَاكُمْ عَنِ الْهُدَىٰ بَعْدَ إِذْ جَاءَكُمْ بِبَلٍ كُنْتُمْ مُجْرِمِينَ ﴿٣٢﴾ وَقَالَ الَّذِينَ اسْتَضِعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَا أَنْ نَكْفُرَ بِاللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُ أَنْدَادًا وَأَسْرُوا الْقَدَامَةَ لَمَّا رَأَوْا الْعَذَابَ وَجَعَلْنَا الْأَغْلَالَ فِي أَعْنَاقِ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٣٣﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّنْ نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ ﴿٣٤﴾ وَقَالُوا أَنَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿٣٥﴾ قُلْ إِنْ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٦﴾ وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ بِالَّتِي تُقْرَبُكُمْ عِنْدَنَا زُلْفَىٰ إِلَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ لَهُمْ جِزَاءٌ ضَعِيفٌ بِمَا عَمِلُوا وَهُمْ فِي الْعُرْفَاتِ ءَامِنُونَ ﴿٣٧﴾ وَالَّذِينَ يَسْعَوْنَ فِي آيَاتِنَا مُعْجِزِينَ أُولَٰئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ ﴿٣٨﴾ قُلْ إِنْ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴿٣٩﴾

٤٢٢

ثم يُعَذِّبُهُمْ فِي الْآخِرَةِ، وَهِيَاتُ لَهُمْ ذَلِكَ، وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى هُنَا: ٣٦: ﴿قُلْ إِنْ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ﴾ يعطي المال لمن يحب ومن لا يحب، وله الحكمة في ذلك ﴿ولكن أكثر الناس لا يعلمون﴾، ثم قال تعالى: ٣٧: ﴿وما أموالكم ولا أولادكم بالتي تُقْرَبُكُمْ عِنْدَنَا زُلْفَىٰ﴾ ليست هذه دليلاً على محبتنا لكم ولا اعتنائنا بكم، ﴿إلا من آمن وعمل صالحاً﴾، إنما يُقْرَبُكُمْ عِنْدَنَا زُلْفَىٰ الإيمان والعمل الصالح ﴿فأولئك لهم جزاء الضعيف بما عملوا﴾ تُضَاعَفُ لَهُمُ الْحَسَنَةُ بَعَثَةً أَمْثَالِهَا إِلَى سَبْعِمِائَةِ ضِعْفٍ ﴿وهم في العُرْفَاتِ آمِنُونَ﴾ في منازل الجنة العالية آمِنُونَ من كل بأس وخوف وشئ ٣٨: ﴿والذين يسعون في آياتنا معجزين﴾ يسعون في الصّدِّ عن سبيل الله واتباع رسله والتصديق بآياته ﴿أولئك في العذاب محضرون﴾ جميعهم مجزون بأعمالهم فيها بحسبهم ٣٩: ﴿قُلْ إِنْ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ﴾ بحسب ما له في ذلك من الحكمة؛ يسقط على هذا ويُضَيِّقُ عَلَىٰ هَذَا كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿انظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَلِلْآخِرَةِ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا﴾، ﴿وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه﴾ عليكم في الدنيا بالبدل، وفي الآخرة بالثواب، ﴿وهو خير الرازقين﴾ [يرزق من خزائن لا تفتى ولا تنهاها].

الآية: ٣٧ روى ابن أبي حاتم عن النعمان بن سعد عن علي قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ فِي الْجَنَّةِ لَعُرْفًا تُرَى ظُهُورُهَا مِنْ بُطُونِهَا وَيُطَوَّنُ مِنْ ظُهُورِهَا!!» فقال أعرابي: لمن هي؟ قال ﷺ: «لن طيب الكلام وأطعم الطعام وأدام الصيام وصلى بالليل والناس نيام». وقال رسول الله ﷺ: «قد أفلح من أسلم وزرقي كفافاً وقمعه الله بما آتاه» رواه مسلم.

٤٠: ﴿يَوْمَ يُحْشَرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ أَهْلُوا هَؤُلَاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ﴾ يُخْبِرُ تَعَالَى أَنَّهُ يُقَرِّعُ الْمُشْرِكِينَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى رُؤُوسِ الْخَلَائِقِ فَيَسْأَلُ الْمَلَائِكَةَ: أَلَمْ أَمُرْكُمْ هَؤُلَاءِ بِعِبَادَتِكُمْ كَمَا قَالَ فِي سُورَةِ الْفِرْقَانِ: ﴿أَلَمْ أَنْتُمْ أَصْلَلْتُمْ عِبَادِي هَؤُلَاءِ أَمْ هُمْ صَلَّلُوا عَلَيْكُمْ؟﴾ تَقُولُ الْمَلَائِكَةُ: ٤١: ﴿قَالُوا سُبْحَانَكَ﴾ تَعَالَيْتَ وَتَقَدَّسْتَ عَنْ أَنْ يَكُونَ مَعَكَ إِلَهٌ [يُعْبَدُ] ﴿أَنْتَ وَلِيْنَا مِنْ دُونِهِمْ بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ﴾ نَحْنُ عِبِيدُكَ وَنَتَّبِعُكَ إِلَيْكَ مِنْ هَؤُلَاءِ ﴿بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ﴾ يَعْنُونَ الشَّيَاطِينَ لِأَنَّهُمْ هُمُ الَّذِينَ زَيَّنُوا لَهُمْ عِبَادَةَ الْأَوْثَانِ وَأَضَلُّوهُمْ ﴿أَكْثَرُهُمْ بِهِمْ مُؤْمِنُونَ﴾ ٤٢: ﴿فَالْيَوْمَ لَا يَمْلِكُ لَكُمْ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ نَفَعًا وَلَا ضَرًّا﴾ لَا يَقَعُ لَكُمْ نَفْعٌ وَمِنْ كِتْمَتِ تَرْجُونِ نَفْعِهِ الْيَوْمَ مِنَ الْأَنْدَادِ الَّتِي آذَرْتُمْ عِبَادَتَهَا لِشِدَائِكُمْ وَكَرْبِكُمْ، الْيَوْمَ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ نَفَعًا وَلَا ضَرًّا، ﴿وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ وَهُمُ الْمُشْرِكُونَ ﴿ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّتِي كُتِمَ بِهَا تَكْذُوبُكُمْ﴾ يُقَالُ لَهُمْ ذَلِكَ تَقْرِيعًا وَتَوْبِيخًا ٤٣: ﴿وَإِذَا تَنَسَّلْنَا عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا يَتَّبِعُونَ﴾ يَسْمَعُونَهَا غَضَبَةً طَرِيقَةً مِنْ لِسَانِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ﴿قَالُوا مَا هَذَا إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَنْ يَصُدَّكُمْ عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤَكُمْ﴾ يَعْنُونَ أَنَّ دِينَ آبَائِهِمْ هُوَ الْحَقُّ ﴿وَقَالُوا مَا هَذَا إِلَّا إِنْكَارٌ مِمَّا كَفَرْنَا بِهِ قَبْلَ هَذَا أَذْنًا﴾ يَعْنُونَ الْقُرْآنَ، عَلَيْهِمْ لَعْنَتُنَا اللَّهُ، ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾، قَالَ تَعَالَى: ٤٤: ﴿وَمَا آتَيْنَاهُمْ مِنْ كِتَابٍ يَدْرُسُونَهَا وَمَا أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِنْ نَذِيرٍ﴾ وَكَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَمَا بَلَّغُوا مَعْشَارَ مَا آتَيْنَاهُمْ فَكَذَّبُوا رُسُلِي فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٤٥﴾ ﴿قُلْ إِنَّمَا أَعْظَمُكُمْ بِوَحْدَةِ أَنْ تَقُولُوا اللَّهُ مَثْنَى وَفِرَادَى ثُمَّ تَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِكُمْ مِنْ جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾ ٤٦: ﴿قُلْ مَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ إِنْ أَجْرِي إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ ٤٧: ﴿قُلْ إِنْ رَبِّي يَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَٰمَ الْغُيُوبِ﴾ ٤٨

٤٠: ﴿يَوْمَ يُحْشَرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ أَهْلُوا هَؤُلَاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ﴾ ٤١: ﴿قَالُوا سُبْحَانَكَ أَنْتَ وَلِيْنَا مِنْ دُونِهِمْ بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ أَكْثَرُهُمْ بِهِمْ مُؤْمِنُونَ﴾ ٤٢: ﴿فَالْيَوْمَ لَا يَمْلِكُ لَكُمْ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ نَفَعًا وَلَا ضَرًّا وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّتِي كُتِمَ بِهَا تَكْذُوبُكُمْ﴾ ٤٣: ﴿وَإِذَا تَنَسَّلْنَا عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا يَتَّبِعُونَ﴾ ٤٤: ﴿وَمَا آتَيْنَاهُمْ مِنْ كِتَابٍ يَدْرُسُونَهَا وَمَا أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِنْ نَذِيرٍ﴾ ٤٥: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَعْظَمُكُمْ بِوَحْدَةِ أَنْ تَقُولُوا اللَّهُ مَثْنَى وَفِرَادَى ثُمَّ تَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِكُمْ مِنْ جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾ ٤٦: ﴿قُلْ مَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ إِنْ أَجْرِي إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ ٤٧: ﴿قُلْ إِنْ رَبِّي يَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَٰمَ الْغُيُوبِ﴾ ٤٨

كُتِبَ يَدْرُسُونَهَا وَمَا أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِنْ نَذِيرٍ﴾ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى الْعَرَبِ مِنْ كِتَابٍ قَبْلَ الْقُرْآنِ، وَمَا أَرْسَلَ إِلَيْهِمْ نَبِيًّا قَبْلَ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وَقَدْ كَانُوا يَدْرُسُونَ ذَلِكَ وَيَقُولُونَ: لَوْ جَاءَنَا نَذِيرٌ وَأَنْزَلَ عَلَيْنَا كِتَابًا لَكُنَّا أَهْدَى مِنْ غَيْرِنَا، فَلَمَّا مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ بِذَلِكَ كَذَّبُوهُ وَعَانَدُوهُ ٤٥: ﴿وَكَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ مِنَ الْأُمَمِ، ﴿وَمَا بَلَّغُوا مَعْشَارَ مَا آتَيْنَاهُمْ﴾ مِنَ الْقُرْآنِ فِي الدُّنْيَا ﴿فَكَذَّبُوا رُسُلِي فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾؟ وَمَا دَفَعُ ذَلِكَ عَنْهُمْ عَذَابَ اللَّهِ وَلَا رَدَّهُ، بَلْ دَمَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ لَمَّا كَذَّبُوا رُسُلَهُ ٤٦: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَعْظَمُكُمْ﴾ قُلْ يَا مُحَمَّدُ لِلْكَافِرِينَ إِنَّمَا أَمْرُكُمْ ﴿بِوَحْدَةِ﴾ وَهِيَ: ﴿أَنْ تَقُولُوا اللَّهُ مَثْنَى وَفِرَادَى﴾ أَنْ تَقُولُوا قِيَامًا خَالِصًا لِلَّهِ مِنْ غَيْرِ هَوِيٍّ وَلَا عَصِيَّةٍ ﴿ثُمَّ تَفَكَّرُوا﴾ فَيَسْأَلُ بَعْضُكُمْ بَعْضًا ﴿مَا بِصَاحِبِكُمْ مِنْ جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾ ٤٧: ﴿قُلْ مَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ﴾ لَا أُرِيدُ مِنْكُمْ عَطَاءً عَلَى أَدَاءِ رِسَالَةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ إِلَيْكُمْ ﴿إِنْ أَجْرِي إِلَّا عَلَى اللَّهِ﴾ إِنَّمَا أُطْلِبُ ثَوَابَ ذَلِكَ عِنْدَ اللَّهِ ﴿وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ عَالِمٌ بِجَمِيعِ الْأُمُورِ بَمَا أَنَا عَلَيْهِ، وَمَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ ٤٨: ﴿قُلْ إِنْ رَبِّي يَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَٰمَ الْغُيُوبِ﴾ يُرْسِلُ الْمَلَكُ [بِالْوَحْيِ] عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ، وَهُوَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ فَلَا تَخْفَى عَلَيْهِ خَافِيَةٌ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ.

الآية: ٤٦ روى الإمام أحمد أن رسول الله ﷺ خرج على أصحابه يوماً فنادى ثلاث مرات فقال: «أيها الناس أتدرون ما منكم وما عليكم؟» قالوا: الله ورسوله أعلم، قال ﷺ: «إنما منكم وما عليكم مثل قوم خافوا عدوياً بأنهم، فبحوا رجلاً يترأى لهم فيها هو كذلك أبصر العدو، فأقبل لينذرهم، وخشى أن يدركه العدو، قبل أن يُنذر قومه، فأهوى بثوبه، أيها الناس أوتيتم أيها الناس أوتيتم» ثلاث مرات. / ابن كثير ج ٥/٤٣/٣

٤٩: ﴿قُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَمَا يُبَدِّلُ الْبَاطِلَ وَمَا

يُعِيدُ﴾ جاء الحق من الله والشرع العظيم، وذهب الباطل وزهق واضمحَلَّ، كقوله تعالى: ﴿بَلْ تَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ﴾، ﴿وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ ٥٠: ﴿قُلْ إِنْ صَلَّيْتُكُمْ فَاتِمًا أَصِلُّ عَلَى نَفْسِي وَإِنْ اهْتَدَيْتُمْ فَمَا يُوجِي إِلَيَّ رَبِّي﴾ الخير كله من عند الله، وفيما أنزله الله عز وجل من الوحي والحق المبين فيه الهدى والبيان والرشاد ٥١:

﴿وَلَوْ تَرَىٰ﴾ يا محمد ﴿إِذْ فَرَعُوا فَلَا قُوَّةَ﴾ إذا فرغ هؤلاء المكذِبون يوم القيامة فلا مفر لهم ولا ملجأ، ﴿وَأَخَذُوا مِنْ مَّكَانٍ قَرِيبٍ﴾ لم يَمَكَّنُوا أَنْ يَمْتَنِعُوا فِي الْهَرَبِ بَلْ أَخَذُوا مِنْ أَوَّلِ وَهْلَةٍ ٥٢: ﴿وَقَالُوا آمَنَّا بِهِ﴾ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَقُولُونَ: آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرَسُولِهِ ﴿وَأَنَّى لَهُمُ التَّنَاشُوتُ﴾ مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ﴾ كيف لهم تعاطي الإيمان وقد بُعِدُوا عَنْ مَحَلِّ قَبُولِهِ مِنْهُمْ وَصَارُوا إِلَى الدَّارِ الْآخِرَةِ، وَهِيَ دَارُ الْجَزَاءِ لَا دَارَ الْإِبْتِلَاءِ؛ فَلَوْ آمَنُوا فِي الدُّنْيَا لَكَانَ ذَلِكَ نَافِعَهُمْ ٥٣: ﴿وَقَدْ كَفَرُوا بِهِ مِنْ قَبْلٍ﴾ كيف يحصل لهم الإيمان في الآخرة وقد كفروا بالحق في الدنيا ﴿وَيَقْدِفُونَ بِالْغَيْبِ مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ﴾ يُكْذِبُونَ بِالْبَعْثِ وَالنَّشُورِ وَالْمَعَادِ [أي: يرمون بالظن، وهذا تمثيل لمن يرمج ولا يصيب] ﴿وَيَقُولُونَ إِنْ نَظَرْنَا إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ﴾ ٥٤:

﴿وَجِئِلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ﴾ الإيمان والتوبة فَمُنِعُوا مِنْهَا، فَإِنَّهُ قَدْ جِئِلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ

شهواتهم في الدنيا وبين ما طُوبُوهُ فِي الْآخِرَةِ فَمُنِعُوا مِنْهُ، ﴿كَأَفْعَلُ بِأَشْيَاعِهِمْ مِنْ قَبْلٍ﴾ كما جرى للأمم الماضية المكذبة بالرسول لما جاءهم بأسُ الله تَمَتُّوا أَنْ لَوْ آمَنُوا فَلَمْ يُقْبَلْ مِنْهُمْ ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا فِي شَكٍّ مُرِيبٍ﴾ لم يُتَقَبَلْ مِنْهُمْ الْإِيمَانُ عِنْدَ مَعَابَةِ الْعَذَابِ؛ لِأَنَّهُمْ كَانُوا فِي شَكٍّ وَرَيْبَةٍ. قَالَ قَتَادَةُ: يُتَاكَمُ وَالشَّكُّ فَإِنَّ مَنْ مَاتَ عَلَى شَكٍّ بُعِثَ عَلَيْهِ، وَمَنْ مَاتَ عَلَى يَقِينٍ بُعِثَ عَلَيْهِ.

تفسير سورة فاطر

١: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [تثناء من الله تعالى على نفسه في إبداعه وخلق السموات والأرض] ﴿جَاعِلِ الْمَلَكِئِكَةِ رُسُلًا﴾ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَنْبِيَائِهِ ﴿أُولَىٰ أَجْنَحَةٍ﴾ يَطِيرُونَ بِهَا لَيْلِفُوا مَا أَمُرُوا بِهِ سَرِيعًا ﴿مُتَنَفِّئَاتٍ وَرُبَاعٍ﴾ مِنْهُمْ مَنْ لَهُ جَنَاحَانِ، وَمِنْهُمْ مَنْ لَهُ ثَلَاثَةٌ، وَمِنْهُمْ مَنْ لَهُ أَرْبَعَةٌ، وَمِنْهُمْ مَنْ لَهُ أَكْثَرُ كَمَا لَجْرِيلٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَهُ سِتَّةُ جَنَاحٍ، ﴿يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ﴾ فِي الْأَجْنَحَةِ وَخَلْقِهِمْ [وفي كل شيء] ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ٢: ﴿مَا يَفْتَحُ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يَمَسُّكُ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ﴾ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢﴾ يَا أَيُّهَا النَّاسُ أذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَلْقٍ غَيْرِ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَىٰ يُؤَفِّكُونَ﴾ ٣: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَلْقٍ غَيْرِ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ يَرْشُدُ تَعَالَى عِبَادَهُ إِلَى الْإِسْتِدْلَالِ عَلَى تَوْحِيدِهِ فِي إِفْرَادِهِ بِالْعِبَادَةِ كَمَا أَنَّهُ الْمُسْتَقَلُّ بِالْخَلْقِ وَالرِّزْقِ، فَكَذَلِكَ فَلْيَفْرُدْ بِالْعِبَادَةِ وَلَا يُشْرِكْ بِهِ غَيْرَهُ، ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَىٰ يُؤَفِّكُونَ﴾؟! فَكَيْفَ تُؤَفِّكُونَ [أي: تُصرفون] بَعْدَ هَذَا الْبَيَانِ وَوُضُوحِ الْبُرْهَانِ!؟

سُورَةُ فَاطِرٍ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَكِئِكَةِ رُسُلًا أُولَىٰ أَجْنَحَةٍ مُتَنَفِّئَاتٍ وَرُبْعٌ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ مَا يَفْتَحُ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يَمَسُّكُ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢﴾ يَا أَيُّهَا النَّاسُ أذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَلْقٍ غَيْرِ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَىٰ يُؤَفِّكُونَ ﴿٣﴾

٤ : ﴿وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ﴾ يا محمد هؤلاء المشركون ويخالفوك ﴿فَقَدْ كُذِّبَتْ رَسَلٌ مِنْ قَبْلِكَ﴾ فلك فيمن سلف قبلك من الرسل أسوة، فإنهم كذلك جاؤوا قومهم بالبينات فكذبوهم، ﴿وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾ وسيجزئهم على ذلك أوفر الجزاء ٥ : ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ﴾ المعاد كائن لا محالة، ﴿فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا﴾ العيشة الدنيئة بالنسبة إلى ما أعد الله لأوليائه، فلا تلهو عن ذلك الباقي بهذه الزهرة الفانية، ﴿وَلَا يَغُرَّنَّكُمُ بِاللَّهِ الْغُرُورُ﴾ وهو الشيطان؛ أي لا يفتنكم الشيطان عن تصديق كلماته واتباع رسله ٦ : ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا﴾ مبارز لكم بالعداوة، فعادوه أنتم أشد العداوة وخالفوه وكذبوه فيما يفرم به، ﴿إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ إنما يقصد أن يضلكم حتى تدخلوا معه إلى عذاب السعير ٧ : ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾ لما ذكر تعالى أن أتباع إبليس مصيرهم إلى السعير ذكر بعد ذلك أن الذين كفروا لهم عذاب شديد لأنهم أطاعوا الشيطان وعصوا الرحمن. ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ﴾ إما كان منهم من ذنب ﴿وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ على ما عملوا من خير، ثم قال تعالى: ٨ : ﴿أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا﴾ كالكفار والفجار يعملون أعمالاً سيئة وهم في ذلك يعتقدون ويحسبون أنهم يحسنون صنعا؛ أي أفمن

وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ رَسَلٌ مِنْ قَبْلِكَ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴿٤﴾ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُمُ بِاللَّهِ الْغُرُورُ ﴿٥﴾ إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴿٦﴾ الَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿٧﴾ أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَتٌ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٨﴾ وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَاهُ إِلَى بَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَحْيَيْنَاهُ بِالْأَرْضِ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَلِكَ النُّشُورُ ﴿٩﴾ مَنْ كَانَ يَرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَكْرُ أُولَئِكَ هُوَ يُنَوَّرُ ﴿١٠﴾ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى وَلَا تَضَعُ إِلَّا يَعْلَمُهُ وَمَا يَعْمُرُ مِنْ مُعَمَّرٍ وَلَا يُنْقِصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿١١﴾

كان هكذا قد أضله الله لك فيه حيلة؟ لا حيلة لك فيه ﴿فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ بقدره كان ذلك، ﴿فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَتٌ﴾ لا تأسف على ذلك فإن الله حكيم في قدره، وله الحجة البالغة والعلم التام، ولهذا قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ ٩ : ﴿وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَاهُ إِلَى بَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَحْيَيْنَاهُ بِالْأَرْضِ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَلِكَ النُّشُورُ﴾ كثيراً ما يستدلُّ تعالى على المعاد بإحيائه الأرض بعد موتها، يُبْنِ عبادَه أن يعتقدوا بهذا على ذلك، فإن الأرض تكون ميتة هامة لا نبات فيها، فإذا أرسل إليها السحاب وأنزل الماء عليها: ﴿اهْتَزَّتْ وَرَبَّتْ وَأُنْبِتَتْ مِنْ كُلِّ رُوحٍ﴾ كذلك الأجساد إذا أراد الله تعالى بعثها ونشورها أنزل من تحت العرش مطراً تُنبِتُ الأجساد من قبورها، ﴿كَذَلِكَ النُّشُورُ﴾ ١٠ : ﴿مَنْ كَانَ يَرِيدُ الْعِزَّةَ﴾ أن يكون عزيزاً في الدنيا والآخرة ﴿فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا﴾ فليلزم طاعة الله، فإنه يحصل له المقصود، ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ﴾ الذكر والتلاوة والدعاء، ﴿وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾ أداء الفريضة. ﴿وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ﴾ وهم المراؤون بأعمالهم، يوهمون أنهم في طاعة الله وهم بغضاء إلى الله ﴿لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَكْرُ أُولَئِكَ هُوَ يُنَوَّرُ﴾ يبطل ويظهر زيفهم ١١ : ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ﴾ ابتداء خلق أبيضكم آدم من تراب ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين، ﴿ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا﴾ ذكر وأنثى، لطفاً منه ورحمة أن جعل لكم من جنسكم أزواجاً لتسكنوا إليها. ﴿وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى وَلَا تَضَعُ إِلَّا يَعْلَمُهُ﴾ هو عالم بذلك لا يخفى عليه من ذلك شيء بل ﴿مَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا﴾ الآية. ﴿وَمَا يُعْمَرُ مِنْ مُعَمَّرٍ وَلَا يُنْقِصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ ليس أحدٌ قضيت بطول العمر أو قدرته له أنه قصير العمر؛ وإنما ينتهي إلى الكتاب الذي قدرته.

١٢: ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذَبٌ

فَرَاتٍ سَائِعٌ شَرَابُهُ﴾ يُنْبَهُ تَعَالَى عَلَى قَدْرَتِهِ الْعَظِيمَةِ فِي خَلْقِ الْبَحْرَيْنِ: الْعَذْبُ الزَّلَالُ، وَهُوَ هَذِهِ الْأَمْهَارُ السَّارِحَةُ بَيْنَ النَّاسِ بِحَسَبِ الْحَاجَةِ فِي الْأَمْصَارِ، وَهِيَ عَذْبَةٌ سَائِعٌ شَرَابُهَا لَمَنْ أَرَادَ، ﴿وَهَذَا مَلْحٌ أَجَاجٌ﴾ وَهُوَ الْبَحْرُ السَّاكِنُ، تَكُونُ مِيَاهُهُ مَالِحَةً زَعْفَافًا

مَرَّةً، [وَالْأَجَاجُ: الْمَرَّةُ] ثُمَّ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمِنْ كُلِّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا﴾ السَّمَكُ، ﴿وَتَسْتَخْرِجُونَ حَيْلَةً تَلْبَسُونَهَا﴾ اللَّؤْلُؤُ

وَالْمَرْجَانُ، ﴿وَتَرَى الْفُلْكَ فِيهِ مَوَاجِرَ﴾ تَمَحَّرُهُ وَتَشَقُّهُ، ﴿تَلْبَسُونَهَا مِنْ فَضْلِهِ﴾ بِأَسْفَارِكُمْ

بِالتَّجَارَةِ مِنْ قَطْرِ إِلَى قَطْرِ، ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ تَشْكُرُونَ رَبَّكُمْ عَلَى تَسْخِيرِهِ لَكُمْ هَذَا الْخَلْقَ الْعَظِيمَ، وَهُوَ الْبَحْرُ تَصَرَّفُونَ فِيهِ كَيْفَ شِئْتُمْ وَتَذْهَبُونَ أَيْنَ أَرَدْتُمْ، وَهَذَا مِنْ فَضْلِهِ وَرَحْمَتِهِ ١٣: ﴿يُولِجُ اللَّيْلُ فِي النَّهَارِ﴾

وَهَذَا مِنْ قَدْرَتِهِ التَّامَّةِ وَسُلْطَانِهِ الْعَظِيمِ فِي تَسْخِيرِهِ اللَّيْلَ بِظُلَامِهِ، وَالنَّهَارَ بِضِيَائِهِ، وَيَأْخُذُ مِنْ طَوْلِ هَذَا فِيزِيدُهُ فِي قَصْرِ هَذَا

فِيَعْتَدِلَانِ، ثُمَّ يَأْخُذُ مِنْ طَوْلِ هَذَا فِي هَذَا فَيَطْوِلُ هَذَا وَيَقْصُرُ هَذَا ثُمَّ يَتَقَارَبَانِ صَيْفًا

وَشِتَاءً ﴿وَيُولِجُ النَّهَارُ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ﴾ بِأَضْوَاهُنَّ أَجْرَامِ السَّمَوَاتِ، الْجَمِيعِ يَسِيرُونَ بِمَقْدَارِ مُعَيَّنٍ، وَعَلَى مَنَاجِ مَقْتَنٍ، تَقْدِيرًا مِنْ عَزِيزٍ عَلِيمٍ، ﴿كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى﴾ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ﴾ الَّذِي فَعَلَ هَذَا

هُوَ الرَّبُّ الْعَظِيمُ الَّذِي لَا إِلَهَ غَيْرُهُ، ﴿وَالَّذِينَ

تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ﴾ مِنَ الْأَنْدَادِ ﴿مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ﴾ الْقَطْمِيرُ: اللَّفَافَةُ الَّتِي تَكُونُ عَلَى نَوَاةِ التَّمْرَةِ، أَيْ: لَا يَمْلِكُونَ مِنَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ شَيْئًا

وَلَا بِمَقْدَارِ هَذَا الْقَطْمِيرِ ١٤: ﴿إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ﴾ الْآلِهَةُ الَّتِي تَدْعُونَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ، لِأَنَّهَا حَمَادٌ، ﴿وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ﴾ لَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِمَّا تَطْلُبُونَ مِنْهَا، ﴿يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ﴾ يَتَرَوُونَ مِنْكُمْ ﴿وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾ وَلَا يُخْبِرُكَ بِعَوَاقِبِ الْأُمُورِ وَمَالِهَا مِثْلُ خَبِيرٍ بِهَا، يَعْنِي نَفْسَهُ تَعَالَى، فَإِنَّهُ أَحْبَبَ بِالْوَاقِعِ لَا بِحَالَةٍ ١٥: يُخَبِّرُ تَعَالَى بِنَعَانِهِ عَمَّا سِوَاهُ، وَيَافِقُ الْخُلُوقَاتِ كُلَّهَا إِلَيْهِ فَقَالَ سُبْحَانَ: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمْ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ الْخَلْقُ جَمِيعًا حَتَّى جَاحِدُونَ إِلَيْهِ وَهُوَ الْغَنِيُّ عَنْهُمْ بِالذَّاتِ، وَهُوَ الْحَمِيدُ فِي جَمِيعِ مَا يَفْعَلُهُ وَيَقْدِرُهُ وَيَشْرَعُهُ ١٦: ﴿إِنْ يَشَاءُ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ لَوْ شَاءَ لِأَذْهِبْكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ وَأَتَى بِقَوْمٍ غَيْرِكُمْ وَمَا هَذَا عَلَيْهِ بِمَمْتَنٍ، وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى: ١٧: ﴿وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ﴾ ١٨: ﴿وَلَا تَرَوْا زُرَّةً وَزُرَّةً أُخْرَى﴾ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴿وَأَنْ تَدْعُ مَثْقَلَةً إِلَى حِمْلِهَا﴾ وَإِنْ تَدْعُ نَفْسٌ مَثْقَلَةً بِأَوْزَارِهَا إِلَى حِمْلِ مَا عَلَيْهَا مِنَ الْأَوْزَارِ أَوْ بَعْضُهُ ﴿لَا يُحْمَلُ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى﴾ وَإِنْ كَانَ قَرِيبًا إِلَيْهَا، كُلٌّ مَشْغُولٌ بِنَفْسِهِ وَحَالِهِ. ﴿إِنَّمَا تُنذِرُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ﴾ إِنَّمَا تَنْذِرُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ ﴿إِنَّمَا يَتَعَطَّى بِمَا جِئَتْ بِهِ الْخَائِفُونَ مِنْ رَبِّهِمُ الْفَاعِلُونَ مَا أَمَرَهُمْ بِهِ، ﴿وَمَنْ تَرَكَى فَاِنَّمَا يَتْرِكْ لِنَفْسِهِ﴾ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ﴾ الْمَرْجِعُ وَالْمَأْتَبُ.

وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذَبٌ فَرَاتٍ سَائِعٌ شَرَابُهُ وَهَذَا مَلْحٌ أَجَاجٌ وَمِنْ كُلِّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حَيْلَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ فِيهِ مَوَاجِرَ لَتَلْبَسُونَهَا مِنْ فَضْلِهِ

وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢﴾ يُولِجُ اللَّيْلُ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارُ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾ إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ

وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ

﴿١٤﴾ يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمْ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿١٥﴾ إِنْ يَشَاءُ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٦﴾

وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴿١٧﴾ وَلَا تَرَوْا زُرَّةً وَزُرَّةً أُخْرَى وَإِنْ تَدْعُ مَثْقَلَةً إِلَى حِمْلِهَا لَا يُحْمَلُ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى

﴿١٨﴾ إِنَّمَا تُنذِرُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَمَنْ تَرَكَى فَاِنَّمَا يَتْرِكْ لِنَفْسِهِ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ ﴿١٨﴾

تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾ إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ

وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ

﴿١٤﴾ يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمْ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿١٥﴾

إِنْ يَشَاءُ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٦﴾

وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴿١٧﴾ وَلَا تَرَوْا زُرَّةً وَزُرَّةً أُخْرَى وَإِنْ تَدْعُ مَثْقَلَةً إِلَى حِمْلِهَا لَا يُحْمَلُ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى

﴿١٨﴾ إِنَّمَا تُنذِرُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَمَنْ تَرَكَى فَاِنَّمَا يَتْرِكْ لِنَفْسِهِ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ ﴿١٨﴾

١٩: ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ﴾ كما لا يستوي الأعمى والبصير لما بينهما من فرق كبير ٢٠: ﴿وَلَا الظُّلُمَاتُ وَلَا النُّورُ﴾ وكما لا تستوي الظلمات ولا النور ٢١: ﴿وَلَا الظُّلُّ وَلَا الْحَرُورُ﴾ [الظل: الجثة، والحُرور: التسار] كما لا تستوي هذه الأشياء المختلفة كذلك لا تستوي الأحياء ولا الأموات: ٢٢: ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ﴾ هذا مَثَلٌ ضربه الله تعالى للمؤمنين، وهم الأحياء، وللكافرين، وهم الأموات، كقوله تعالى: ﴿أَوْ مَنْ كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا؟﴾ [لا يستويان مثلاً] فالْمُؤْمِنُ بصيرٌ يسمع في نور الله يمشي على صراطٍ مستقيم في الدنيا والآخرة، حتى يستقرَّ به الحال في الجنات، والكافرُ أعمى وأصمٌ يمشي في الظلمات، وبيته في غيِّه وضلاله في الدنيا والآخرة حتى يُفضي إلى الحميم. ﴿وَمَا أَنْتَ بِمُسْمَعٍ مَنْ فِي الْقُبُورِ﴾ كما لا ينتفع الأموات بعد موتهم بالدعوة إلى الهداية كذلك هؤلاء المشركين لا تستطيع هدايتهم ٢٣: ﴿إِنَّ أَنْتَ إِلَّا نَذِيرٌ﴾ ٢٤: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ بشيراً للمؤمنين ونذيراً للكافرين ﴿وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾ وما من أمةٍ خلَّتْ من بني آدم إلا وقد بعث الله تعالى إليهم النذير ٢٥: ﴿وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ﴾ وهي المعجزات الباهرات والدلالات القاطعات ﴿وَالزُّبُرِ﴾

وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ ﴿١٩﴾ وَلَا الظُّلُمَاتُ وَلَا النُّورُ ﴿٢٠﴾ وَلَا الظُّلُّ وَلَا الْحَرُورُ ﴿٢١﴾ وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ ﴿٢٢﴾ إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَنْ يَشَاءُ وَمَا أَنْتَ بِمُسْمَعٍ مَنْ فِي الْقُبُورِ ﴿٢٣﴾ أَنْتَ إِلَّا نَذِيرٌ ﴿٢٤﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴿٢٥﴾ وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالزُّبُرِ وَبِالْكِتَابِ الْمُنِيرِ ﴿٢٦﴾ ثُمَّ أَخَذْتُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٢٧﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بَيضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ ﴿٢٨﴾ وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَأَلْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَنْ تَبُورَ ﴿٣٠﴾ لِيُؤْتِيَهُمْ أَجْرَهُمْ وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣١﴾

وهي الكتب ﴿وبالكتاب المنير﴾ الواضح البين ٢٦: ﴿ثم أخذت الذين كفروا﴾ ومع هذا كله كذب أولئك رسلهم فيما جاؤوهم به فأخذتهم بالعقاب ﴿فكيف كان نكير﴾؟ إنكارى عليهم ٢٧: ﴿ألم تر أن الله أنزل من السماء ماءً فأخرجنا به ثمراتٍ مختلفاً ألوانها؟﴾ يُنبئُ تعالى على كمال قدرته في خلقه الأشياء المتنوعة المختلفة من الشيء الواحد، وهو الماء الذي يُنزله من السماء، كما قال تعالى: ﴿وفي الأرض قطعٌ متجاوراتٍ وحبّاتٌ من أنسابٍ ورزقٌ وتخيّلٌ صنوانٌ وغيرُ صنوانٍ يُسقى بماءٍ واحدٍ ويُفصلُ بعضها على بعضٍ في الأكل﴾، ﴿ومِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بَيضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا﴾ وخلق الجبال كذلك مختلفة الألوان، والجدد: الطريق، مختلفة الألوان أيضاً ﴿وغرابيب سود﴾ جبالٌ طولاً سُود ٢٨: ﴿ومِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَأَلْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ﴾ تبارك الله أحسن الخالقين. ﴿إنما يخشى الله من عباده العلماء﴾ إنَّما يخشاه حقُّ خشيتِهِ العلماء العارفون بصفات الكمال [الذين يخافون قدرته] ﴿إنَّ الله عزيزٌ غفورٌ﴾ [عزيزٌ في عقابه، غفورٌ لأهل طاعته] ٢٩: ﴿إنَّ الذين يتلون كتابَ الله وأقاموا الصلاةَ وأنفقوا مما رزقناهم سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَنْ تَبُورَ﴾ يرجون ثواباً عند الله لا بُدَّ من حصوله ٣٠: ﴿ليؤتيهم أجورهم ويزيدهم من فضله﴾ ليؤتيهم ثواب ما عملوه ويُضاعفه لهم بزيادة لم تخطر لهم ﴿إنَّه غفورٌ﴾ لذنوبهم ﴿شكورٌ﴾ لأعمالهم.

الآية: ٢٨ قال ابن عباس: العالِمُ بالرحمن من عباده؛ مَنْ لم يشرك به شيئاً، وأحلَّ حلاله وحرم حرامه، وحفظ وصيته وأيقن أنه ملاقيه ومحاسبٌ بعمله. وقال سعيد بن جبیر: الخشية هي التي تحول بينك وبين معصية الله عزَّ وجلَّ. وقال الحسن البصري: العالمُ مَنْ حشي الرحمن بالغب، ورغب فيما رغب الله فيه، وزهد فيما سخط الله فيه، ثم تلا هذه الآية.

٣١: ﴿وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾ يا محمد ﴿مِنَ الْكِتَابِ﴾ وهو القرآن ﴿هُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ من الكتب المتقدمة؛ بصديقها، كما هي شهدت له بالنبوة، ﴿إِنَّهُ بَعَادُهُ لِحَيْرٍ﴾ بهم ﴿بَصِيرٍ﴾ بمن يستحق ما يفصله به على من سواه ٣٢: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾ ثم جعلنا القائم بالكتاب العظيم المصدق لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكُتُبِ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا وَهُمْ هَذِهِ الْأُمَّةُ، ثُمَّ قَسَمَهُمْ إِلَى ثَلَاثَةِ أَنْوَاعٍ: فَقَالَ تَعَالَى: ﴿فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ﴾ وهو المفرط في بعض الواجبات المرتكب لبعض المحرمات، ﴿وَمِنْهُمْ مَقْتَصِدٌ﴾ هو المؤدّي للواجبات التارك للمحرمات، وقد يترك بعض المستحبات ويفعل بعض المكروهات، ﴿وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ إِذِ ابْتَدَأَ اللَّهُ﴾ وهو الفاعل للواجبات والمستحبات التارك للمحرمات والمكروهات وبعض المباحات، ﴿ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ﴾ [أي: إيتاننا الكتاب لهم، وذلك الاصطفاء مع علمنا بعيوبهم] ٣٣: ﴿جَنَّاتٌ عَدْنٌ يَدْخُلُونَهَا﴾ هؤلاء المصطفين الذين أُوْرثُوا الْكِتَابَ مَا وَاهِمُ جَنَّاتِ الْإِقَامَةِ يَدْخُلُونَهَا يَوْمَ مَعَادِهِمْ، ﴿يَدْخُلُونَ فِيهَا مِنْ أَسْوَارٍ مِنْ ذَهَبٍ وَلَوْ لُؤْلُؤًا﴾ وفي الصحيح: «تبلغ الحليلة من المؤمن حيث يبلغ الوضوء»، ﴿وَلِبَاسِهِمْ فِيهَا حَرِيرٌ﴾ وفي الصحيح: «من لبس الحرير في الدنيا لم يلبسه في الآخرة» ٣٤: ﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ﴾ وهو الخوف من المحذور،

وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ هُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ إِنَّ اللَّهَ بَعَادُهُ لَخَيْرٌ بِبَصِيرٍ ﴿٣١﴾ ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ إِذِ ابْتَدَأَ اللَّهُ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ ﴿٣٢﴾ جَنَّاتٌ عَدْنٌ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسْوَارٍ مِنْ ذَهَبٍ وَلَوْ لُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿٣٣﴾ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٤﴾ الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ مِنْ فَضْلِهِ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ ﴿٣٥﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فِيمَوْتُورًا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا كَذَلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ ﴿٣٦﴾ وَهُمْ يَصْطَرِحُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَدَقَاتٍ غَيْرِ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ فَذَوْقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ ﴿٣٧﴾ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ غَيْبِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٣٨﴾

٤٢٨

أَي: أَزَاحَهُ عَنَّا وَأَرَاخْنَا مِمَّا كُنَّا نَخَوْفُهُ مِنْ هَوَمِ الْآخِرَةِ، ﴿إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ﴾، [غفورٌ لمن تاب إليه، شكورٌ لمن أطاعه] ٣٥: ﴿الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ مِنْ فَضْلِهِ﴾ يقولون: الذي أعطانا هذه المنزلة وهذا المقام من فضله ورحمته، لم تكن أعمالنا تُساري ذلك، ﴿لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ﴾، النصب واللغوب كلُّ منهما يستعمل في التعب؛ أي: أنهم لا تعب على أبدانهم ولا أرواحهم، ويدخلوها صاروا في راحة دائمة مستمرة ٣٦: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فِيمَوْتُورًا﴾ لما ذكر تعالى حال السعداء شرع في بيان مآل الأشقياء، كما قال تعالى: ﴿وَنَادُوا يَا مَلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُمْ مَا كُنْتُمْ﴾ فهم في حالهم ذلك يرون موتهم راحة لهم، فهم ﴿لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فِيمَوْتُورًا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا كَذَلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ﴾ ٣٧: ﴿وَهُمْ يَصْطَرِحُونَ فِيهَا﴾ ينادون فيها يجأرون إلى الله عز وجل بأصواتهم ﴿رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ﴾ يسألون الرجعة إلى الدنيا ليعملوا غير عملهم الأول، فلا يُعَيِّبُهُمْ إِلَى ذَلِكَ، ويقول لهم: ﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم﴾ أو ما عشتم في الدنيا أعماراً لو كنتم ممن ينتفع بالحق لانفتحت به في مدة عمركم، ﴿مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ﴾ قال قتادة: اعلموا أنّ طول العُمُر حُجَّةٌ فَنَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ نَعْتَرَّ بِطُولِ الْعُمُرِ. وعن مسروق أنّه كان يقول: إذا بلغ أحدكم أربعين سنة فليأخذ جذره من الله عز وجل. ﴿وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ﴾ الشَّيْبُ ﴿فَذَوْقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ﴾ ينقدكم مما أنتم فيه ٣٨: يُخَيِّرُ تَعَالَىٰ بَعْلَمَهُ غَيْبِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَأَنَّهُ يَعْلَمُ مَا تَكْتُمُ السَّرَائِرُ وَمَا تَنْتَوِي عَلَى الْضَائِرِ ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ غَيْبِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ وسيجازي كلَّ عاملٍ بعمله.

الآية: ٣٤ روى ابن حاتم عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «ليس على أهل لا إله إلا الله وحشة في قبورهم، ولا في نشورهم، وكأني بأهل لا إله إلا الله ينفضون التراب عن رؤوسهم ويقولون: الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن».

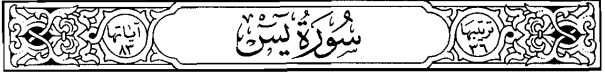
٣٩: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ﴾ يخلف قوم لآخرين قبلهم، وجيل لجيل قبلهم، كما قال تعالى: ﴿وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ﴾، ﴿فَمَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ﴾ فإنما يعود وبال ذلك على نفسه دون غيره ﴿وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرَهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ إِلَّا مَقْتًا﴾، وكلما استمروا على كفرهم أبغضهم الله تعالى، ﴿وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرَهُمْ إِلَّا خَسَارًا﴾، وكلما استمروا على كفرهم خسروا أنفسهم وأهلهم يوم القيامة بخلاف المؤمنين، فإنهم كلما طال عُمرُ أحدهم وحسن عمله ارتفعت درجته في الجنة ٤٠: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ شُرَكَاءَ كُمُ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَوَاتِ؟ لَيْسَ لَهُمْ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ﴾، ﴿أَمْ أَنبَاءُهُمْ كِتَابًا فَهُمْ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْهُ؟ أَمْ أَنْزَلْنَا عَلَيْهِمْ كِتَابًا يَتَّبِعُوهُ مِنَ الشَّرْكِ وَالْكَفْرِ؟ لَيْسَ الْأَمْرُ كَذَلِكَ﴾، ﴿بَلْ إِنْ يَعِدُ الظَّالِمُونَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا إِلَّا غُورًا﴾، بل إنما اتبعوا في ذلك أهواءهم وآراءهم وأمانهم التي تمنوها لأنفسهم وهي غرور باطل وزور. ثم أخبر تعالى عن قدرته العظيمة التي بها تقوم السماء والأرض: ٤١: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا﴾، أن تضطربا عن أماكنهما، كما قال تعالى: ﴿وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾، ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ﴾، ﴿وَلَكِنْ زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ﴾ لا يقدر على إبقائها إلا

عَنْ
الْحَبِيبِ
٤١

هُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ ٤٢: ﴿فَمَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرَهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ إِلَّا مَقْتًا وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرَهُمْ إِلَّا خَسَارًا﴾ ٣٩: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ شُرَكَاءَ كُمُ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَوَاتِ أَمْ أَمَاتْنَاهُمْ كُنُوزًا فَهُمْ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْهُ بَلْ إِنْ يَعِدُ الظَّالِمُونَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا إِلَّا غُورًا﴾ ٤٠: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا وَلَئِنْ زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ ٤١: إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ ٤١: ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ جَاءَهُمْ نَذِيرٌ لَيَكُونُنَّ أَهْدَىٰ مِنْ إِحْدَى الْأُمَمِ فَلَمَّا جَاءَهُمْ نَذِيرٌ مَّا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا﴾ ٤٢: ﴿أَسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ وَمَكْرُ السَّيِّئِ وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئِ إِلَّا بِأَهْلِهِ فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ الْأَوَّلِينَ فَلَنْ يَحْدِلْ سُنَّتَ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَنْ يَحْدِلْ سُنَّتَ اللَّهِ تَحْوِيلًا﴾ ٤٣: ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَكَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُمْ مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا﴾ ٤٤

هو، ﴿إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا﴾ بعباده، يعصونه وهو يعلم فيؤخر ولا يُعجل [لهم بالعقوبة] ﴿غُفُورًا﴾ [لن تاب منهم] ٤٢: ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ جَاءَهُمْ نَذِيرٌ لَيَكُونُنَّ أَهْدَىٰ مِنْ إِحْدَى الْأُمَمِ﴾ يُخبر تعالى عن فريش والعرب أنهم أقسموا بالله قبل إرسال الرسول إليهم لئن جاءهم نذير لَيَكُونُنَّ أَهْدَىٰ مِنْ جَمِيعِ الْأُمَمِ، ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ نَذِيرٌ مَّا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا﴾ ٤٣: ﴿أَسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ﴾ استكبروا عن اتباع آيات الله ﴿وَمَكْرُ السَّيِّئِ﴾ ومكروا بالناس في صددهم إياهم عن سبيل الله، ﴿وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ﴾ وما يعود وبال ذلك إلا عليهم أنفسهم دون غيرهم. ﴿فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ الْأَوَّلِينَ﴾ عقوبة الله لهم على تكذيبهم رسله ومخالفتهم أمره ﴿وَلَنْ يَحْدِلْ سُنَّتَ اللَّهِ تَبْدِيلًا﴾، بل هي جارية كذلك في كل مكذب لا تغير ولا تبدل، ﴿فَلَنْ يَحْدِلْ سُنَّتَ اللَّهِ تَحْوِيلًا﴾، ﴿وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءَ فَلَا مَرَدَ لَهُ﴾ لا يكشف ذلك عنهم ويحوّله عنهم أحد إلا الله ٤٤: ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ﴾ قُلْ يَا مُحَمَّدُ لَوْلَا الْمَكْدِينُ: سيروا في الأرض فانظروا كيف دمر الله عليهم ﴿فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَكَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُمْ مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ﴾ [أي: إذا أَرَادَ اللَّهُ إِنْزَالَ عَذَابٍ بِقَوْمٍ لَمْ يُعْجِزَهُ ذَلِكَ] ﴿إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا﴾ علم بجميع الكائنات، قدير على مجموعها.

٤٥: ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهَا مِنْ دَابَّةٍ﴾ لو أخذهم بجميع ذنوبهم لأهلك جميع أهل السموات والأرض، ولما سقاهم المطر فماتت جميع الدواب، ﴿ولكن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ ولكن يُنظِرُهُمْ إلى يوم القيامة فيحاسبهم يومئذ، فيجازي بالثواب أهل الطاعة، وبالعقاب أهل المعصية، ولهذا قال تبارك وتعالى: ﴿فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَابِدَهُ بَصِيرًا﴾.



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يس ﴿١﴾ وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ ﴿٢﴾ إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٣﴾ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٤﴾ تَنْزِيلِ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ ﴿٥﴾ لِنُنذِرَ قَوْمًا مَّا أُنذِرُوا أَبَاؤَهُمْ فَهُمْ غَافِلُونَ ﴿٦﴾ لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَى أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٧﴾ إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلًا فَهِيَ إِلَى الْأَذْقَانِ فَهُمْ مُّقْمَحُونَ ﴿٨﴾ وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴿٩﴾ وَسَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠﴾ إِنَّمَا نُنذِرُ مِنَ اتَّبَعِ الذِّكْرَ وَخَشِيَ الرَّحْمَنَ الْعَلِيمَ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ ﴿١١﴾ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَى وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَرَهُمْ وَكُلُّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ ﴿١٢﴾

٤٤٠

الكتاب أنهم لا يؤمنون ﴿فهم لا يؤمنون﴾ بالله ولا يُصدِّقون رُسُلَهُ ٨: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلًا﴾ إِنَّا جَعَلْنَا هَؤُلَاءِ الْمُخْتوم عَلَيْهِمْ بِالشَّقَاءِ نَسِيَتَهُمْ إِلَى الْوَصُولِ إِلَى الْهُدَى كَنَسِيَةِ مَنْ جُعِلَ فِي عُنُقِهِ غَلٌّ فَصَارَ مُقْمَحًا، ﴿فهي إلى الْأَذْقَانِ فَهُمْ مُّقْمَحُونَ﴾ رافعي رؤوسهم وأيديهم مغلولة عن كل خير ٩: ﴿وجعلنا من بين أيديهم سدًّا ومن خلفه سدًّا﴾ عن الحق، فهم متردِّدون في الضلالات ﴿فأغشيناهم﴾ أغشينا أبصارهم عن الحق ﴿فهم لا يبصرون﴾ لا يتفقهون بخير ولا يهتدون إليه ١٠: ﴿وسواءٌ عليهم أأنذرتهم أم لم تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ قد حتم الله عليهم بالضلالة فما يُعِيدُ فيهم الإنذار ولا يتأثرون به ١١: ﴿إنما تُنذِرُ مَنْ اتَّبَعَ الذِّكْرَ﴾ إِنَّمَا يَنْتَفِعُ بِإِنذَارِكَ الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ يُتَّبِعُونَ الْقُرْآنَ ﴿وخشي الرحمن الغيب﴾ حيث لا يراه أحدٌ إلا الله تعالى، يعلم أن الله مطلعٌ عليه وعالمٌ بما يفعل ﴿فبشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ﴾ مغفرة لذنوبه وأجر كثير واسع حسن جميل ١٢: ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَى﴾ يوم القيامة، ﴿ونكتبُ ما قدَّمُوا﴾ من الأعمال ﴿وآثارَهُمْ﴾ من بعدهم فنجزهم عليها إن خيرا فخير وإن شرا فشر، وفي صحيح مسلم: ﴿من سنَّ في الإسلام سنةً حسنةً كان له أجرُها وأجرُ من عملَ بها من بعده من غير أن ينقص من أجورهم شيء﴾ الحديث. ﴿وكُلُّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ﴾ مسطور في لوح محفوظ .

سورة يس روى الحافظ أبو يعلى عن الحسن قال: سمعتُ أبا هريرة رضي الله عنه يقول: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ قرأ يسَ في ليلةٍ أصبحَ مغفورا له، ومَنْ قرأَ تَمَّ التي يذكر فيها الدخان أصبحَ مغفورا له» وإسناده جيد. وروى ابن جبان في صحيحه عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ قرأَ يسَ في ليلةٍ ابتغاه وجهَ الله عزَّ وجلَّ غفرَ له».

ابن كثير ج ٣/٥٦٣/

الآية: ١٢ روى الإمام أحمد أن بني سلمة أرادوا أن يتنقلوا قُربَ المسجد، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فقال لهم: «إني بلغني أنكم تريدون أن تنقلوا قربَ المسجد؟ قالوا: نعم =

١٣: ﴿واضرب﴾ بإحمد ﴿لهم﴾ لقومك الذين كذبوك ﴿مثلاً أصحاب القرية إذ جاءها المرسلون﴾، وهي مدينة أنطاكية

١٤: ﴿إذ أرسلنا إليهم اثنين فكذبوهما﴾ بادروها بالكذب ﴿فقرزنا بنات﴾ قويتها وشددنا أزرهما برسول ثالث، ﴿فقالوا﴾ لأهل تلك القرية: ﴿إنا إليكم مرسلون﴾ من ربكم الذي خلقكم يأمركم بعبادته وحده لا شريك له. وكانوا رُسل المسيح عليه السلام إلى أهل أنطاكية ١٥: ﴿قالوا ما أنتم إلا بشر مثلهما﴾ فكيف أوجي إليكم وأنتم بشر؟ لو كنتم رسلاً لكنتم ملائكة ﴿ومأنزل الرحمن من شيء إن أنتم إلا تكذبون﴾ فأجابهم الرسل: ١٦: ﴿قالوا ربنا يعلم إنا إليكم لمرسلون﴾ فلو كنا كذبة عليه لانتقم منا، ولكنه سينصرننا عليكم وستعلمون لمن تكون عاقبة الدار ١٧: ﴿وما علينا إلا البلاغ المبين﴾ إنما علينا أن نبلغكم ما أرسلنا به إليكم ١٨: ﴿قالوا إنا تطيرنا بكم﴾ قال أهل القرية لهم: لم تر على وجوهكم خيراً في عيشنا، ﴿لئن لم تنتهوا لرجنكم﴾ بالشم والحجارة، ﴿وليمسكنكم منا عذاب أليم﴾ عقوبة شديدة، فقالت لهم رسلهم: ١٩: ﴿طائركم معكم﴾ مردود عليكم ﴿أنن ذكرتم بل أنتم قوم مسرفون﴾ من أجل أننا ذكرناكم وأمرناكم بتوحيد الله وإخلاص العبادة له فابلتمونا بهذا الكلام تودعنا وتهدقونا، بل أنتم قوم مسرفون (في كفركم) ٢٠: ﴿وجاء من أقصى المدينة رجل يسعى﴾

وَأَضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ ﴿١٣﴾

إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ ﴿١٤﴾ قَالُوا مَا أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا وَمَا أَنْزَلَ الرَّحْمَنُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ ﴿١٥﴾ قَالُوا رَبَّنَا عَلِّمْنَا لِيكُم مَّرْسَلُونَ ﴿١٦﴾ وَمَا عَلَّمْنَا إِلَّا الْبَلَاغَ الْمُبِينِ ﴿١٧﴾ قَالُوا إِنَّا تَطِيرُنَا بِكُمْ لَيِّنٌ لَمْ نَتَّهُوا لِرَجْمِكُمْ وَوَلَيْمَسِّنَاكُمْ مِنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٨﴾ قَالُوا طَائِرُكُم مَّعَكُمْ أَئِن ذُكِّرْتُم بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴿١٩﴾ وَجَاءَ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ ﴿٢٠﴾ اتَّبِعُوا مَنْ لَا يَسْتَكْبِرُ أَجْرًا لَهُمْ مُّهِتَدُونَ ﴿٢١﴾ وَمَالِيَ لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٢﴾ أَأَتَّخِذُ مِنْ دُونِهِ آلِهَةً إِنْ يُرِدْنِ الرَّحْمَنُ بِضُرٍّ لَا تُغْنِي عَنِّي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا وَلَا يُنْقِذُونِ ﴿٢٣﴾ إِنِّي إِذًا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٢٤﴾ إِنِّي أَمِنْتُ رَبِّي كَمَا فِئْتُمُومٌ فَاسْمَعُونَ ﴿٢٥﴾ قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ قَالَ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ ﴿٢٧﴾

لينصروهم من قومه ﴿قال يا قوم اتبعوا المرسلين﴾ يحض قومه على اتباع الرسل الذين أتوهم ٢١: ﴿اتبعوا من لا يسألكم أجراً﴾ على إبلاغ الرسالة ﴿وهم مهتدون﴾ فيما يدعونكم إليه من عبادة الله وحده لا شريك له ٢٢: ﴿ومالي لا أعبد الذي فطرنى﴾ وما يعني من إخلاص العبادة للذي خلقني ﴿وإليه ترجعون﴾ يوم المعاد فيجازيكم على أعمالكم ٢٣: ﴿أأخذ من دونه آهة؟﴾ استفهام إنكار وتوبيخ وتقرع، ﴿إن يردن الرحمن بضرًا لا تغن عني شفاعتهم شيئاً ولا ينفقون﴾ هذه الآهة التي تعبدونها من دونه لا يملكون من الأمر شيئاً، فإن الله تعالى لو أرادني بسوء ﴿فلا كاشف له إلا هو﴾ وهذه الأصنام لا تملك دفع ذلك ولا منعه، ولا ينفقونى مما أنا فيه ٢٤: ﴿إني إذا لفي ضلال مبين﴾ إن اتخذتها آهة من دون الله ٢٥: ﴿إني آمننت بربي كما فيئتمون﴾ فاسمعوا قولي لتشهدوا لي عند ربي: إني آمننت بربيكم واتبعتكم، فلما قال ذلك وثبوا عليه فقتلوه ٢٦: ﴿قيل ادخل الجنة﴾ قال الله له: ادخل الجنة فدخلها فهو يرزق فيها، فلما رأى الثواب ﴿قال يا ليت قومي يعلمون﴾ ٢٧: ﴿بما غفر لي ربي وجعلني من المكرمين﴾ تمتى أن يعلم بما عاين من كرامة الله. قال ابن عباس: نصح قومه في حياته بقوله: ﴿يا قوم اتبعوا المرسلين﴾، وبعد مماته في قوله: ﴿يا ليت قومي يعلمون بما غفر لي ربي وجعلني من المكرمين﴾، ومقصوده: أنهم لو اطاعوا على ما حصل لي من الثواب والجزاء والنعيم لقادهم ذلك إلى اتباع الرسل، فرحمه الله ورضي عنه، فلقد كان حريصاً على هداية قومه.

٢٨: ﴿وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى قَوْمِهِ مِنْ بَعْدِهِ مِنْ جُنْدٍ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا كُنَّا مُنْزِلِينَ﴾ يُخْبِرُ تَعَالَى أَنَّهُ انْتَقَمَ مِنْ قَوْمِهِ بَعْدَ قَتْلِهِمْ إِيَّاهُ غَضَبًا مِنْهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، وَأَنَّهُ مَالِحْتَاجٌ فِي إِهْلَاكِهِ إِيَّاهُمْ إِلَى إِنْزَالِ جُنْدٍ مِنَ السَّمَاءِ، بَلِ الْأَمْرُ كَانَ أَسْرَعَ مِنْ ذَلِكَ ٢٩: ﴿إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَامِدُونَ﴾ فَأَهْلَكَ اللَّهُ تَعَالَى أَهْلَ انْطَاكِيَّةَ، فَلَمْ يَبْقَ مِنْهُمْ بَاقِيَةٌ ٣٠: ﴿يَا حَسْرَةَ عَلَى الْعِبَادِ﴾ يَأْوِيلُ الْعِبَادِ عَلَى مَا ضَيَّعْتَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ وَفَرَّطْتَ فِي جَنْبِ اللَّهِ، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ رَسُولُ اللَّهِ إِلاَّ كَانُوا بِهِ يَسْتَرْزِقُونَ، يُكَذِّبُونَهُ وَيَحْتَدُونَ مَا أُرْسِلَ بِهِ مِنْ الْحَقِّ، ثُمَّ قَالَ تَعَالَى: ٣١: ﴿أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ أَلَمْ يَعْظُمُوا عَنِ أَهْلِكَ اللَّهُ قَبْلَهُمْ مِنَ الْمَكْذِبِينَ لِلرَّسْلِ كَيْفَ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ إِلَى هَذِهِ الدُّنْيَا كَرَّةٌ وَلَا رَجْعَةٌ ٣٢: ﴿وَإِنْ كُلُّ لَمَّا جَمِيعٌ لَدُنَّا مُحْضَرُونَ﴾ وَأَنَّ جَمِيعَ الْأُمَمِ الْمَاضِيَةِ وَالآتِيَةِ سَتُحْضَرُ لِلْحِسَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بَيْنَ يَدَيْ اللَّهِ فَيُجَازِيهِمْ بِأَعْمَالِهِمْ ٣٣: ﴿وَأَيُّهُمْ﴾ دَلَالَةٌ لَهُمْ عَلَى وُجُودِ الصَّانِعِ وَقُدْرَتِهِ السَّامَةِ وَإِحْيَاءِ الْمَوْتِ، ﴿الْأَرْضِ الْمَيْتَةِ﴾ لِأَنْبَاتِ فِيهَا، ﴿أَحْيَيْنَاهَا﴾ أَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهَا الْمَاءَ أَهْتَزَتْ وَرَبَّتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهيجٍ، وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى: ﴿أَحْيَيْنَاهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهَا يَأْكُلُونَ﴾ جَعَلْنَا رِزْقًا لَهُمْ وَأَنْعَامَهُمْ ٣٤: ﴿وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّاتٍ مِنْ نَجِيلٍ وَأَعْنَابٍ وَفَجْرْنَا فِيهَا مِنَ الْعُيُونِ﴾ جَعَلْنَا فِيهَا أَنْهَارًا سَارِحَةً فِي أَمْكِنَةٍ يَحْتَاجُونَ إِلَيْهَا ٣٥: ﴿لِيَأْكُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ﴾ لَمَّا أَمْتَنَ تَعَالَى

﴿وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى قَوْمِهِ مِنْ بَعْدِهِ مِنْ جُنْدٍ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا كُنَّا مُنْزِلِينَ﴾ (٢٨) إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَامِدُونَ (٢٩) يَحْسِرَةَ عَلَى الْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ (٣٠) أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ (٣١) وَإِنْ كُلُّ لَمَّا جَمِيعٌ لَدُنَّا مُحْضَرُونَ (٣٢) وَأَيُّهُمْ لَمَّا الْأَرْضُ الْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَاهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ (٣٣) وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّاتٍ مِنْ نَجِيلٍ وَأَعْنَابٍ وَفَجْرْنَا فِيهَا مِنَ الْعُيُونِ (٣٤) لِيَأْكُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ أَفَلَا يَشْكُرُونَ (٣٥) سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ (٣٦) وَأَيُّهُمْ لَمَّا اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُمْ مُظْلِمُونَ (٣٧) وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ (٣٨) وَالْقَمَرَ قَدَرْنَا مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ (٣٩) لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ (٤٠)

عَلَى خَلْفِهِ بِإِجَادِ الزُّرُوعِ لَهُمْ، عَطَفَ بِذِكْرِ النَّارِ وَتَوَعَّاهَا وَأَصْنَفَهَا، ﴿وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ﴾ وَمَا ذَاكَ كَلَهُ إِلاَّ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ تَعَالَى لِأَسْعِيهِمْ وَلَا كَدِّهِمْ وَلَا بِجَوْلِهِمْ وَقَوْلِهِمْ ﴿أَفَلَا يَشْكُرُونَ﴾ فَهَلَّا يَشْكُرُونَهُ عَلَى مَا أَنْعَمَ بِهِ عَلَيْهِمْ مِنَ النِّعَمِ الَّتِي لَا تُعَدُّ وَلَا تُحْصَى ٣٦: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ﴾ مِنَ الزُّرُوعِ وَنَارِ وَنَبَاتٍ ﴿وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ﴾ فَجَعَلَهُمْ ذَكَرًا وَأُنْثَى، ﴿وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ﴾ مِنْ مَخْلُوقَاتِ شَيْءٍ لَا يَعْرِفُونَهَا كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ ٣٧: ﴿وَأَيُّهُمْ لَمَّا اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُمْ مُظْلِمُونَ﴾ وَمِنْ الدَّلَالَةِ عَلَى قُدْرَتِهِ تَعَالَى خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ، وَجَعَلَهُمَا يَتَعَاقَبَانِ ﴿يُعْشِي اللَّيْلُ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا﴾ ٣٨: ﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ الْمُرَادُ بِمُسْتَقَرِّهَا: هُوَ مَتْنِي سِيرِهَا وَهُوَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فِيهِ تَسِيرُ لَوْقَتِهَا وَأَلْجُلُ لِأَنْعَادِهَا ٣٩: ﴿وَالْقَمَرَ قَدَرْنَا مَنَازِلَ﴾ جَعَلْنَاهَا يَسِيرَ سِيرًا آخَرَ يُسْتَدَلُّ بِهِ عَلَى مُضِيِّ الشُّهُورِ، فَقَدَرَهُ تَعَالَى مَنَازِلَ يَطْلُعُ فِي أَوَّلِ لَيْلَةٍ مِنَ الشُّهُورِ ضَعِيفًا قَلِيلَ النُّورِ ثُمَّ يَزِيدُ وَيَرْتَفِعُ حَتَّى يَتَكَمَّلَ نُورُهُ فِي اللَّيْلَةِ الرَّابِعَةِ عَشْرَةَ، ثُمَّ يَنْقُصُ إِلَى آخِرِ الشُّهُورِ ﴿حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ﴾ كَالْعَدْقِ الْيَابِسِ إِذَا انْحَنَى ٤٠: ﴿لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ﴾ كُلٌّ مِنْهَا لَا يَعُدُّ وَاحِدَةً ﴿وَاللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ﴾ يُطْلَبَانِ حَثِيثَيْنِ، يُسْلَخُ أَحَدُهُمَا مِنَ الْآخَرِ، أَي: لِأَفْرَاقَةِ بَيْنِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، بَلِ كُلُّ مِنْهُمَا يَعْقِبُ الْآخَرَ، ﴿وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ يَدُورُونَ فِي فَلَكِ السَّمَاءِ.

الآية: ٣١ قال الدهريون: ﴿إِنْ هِيَ إِلاَّ حَيَاتَانِ نَمُوتُ وَنُحْيَى﴾ يَقُولُونَ بِالذُّورِ، وَهُمْ يَعْتَقِدُونَ جَهْلًا مِنْهُمْ أَنَّهُمْ يَعُودُونَ إِلَى الدُّنْيَا كَمَا كَانُوا فِيهَا، فَردَّ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِمْ بِاطْلَاقِهِمْ فَقَالَ: ﴿أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾.

٤١: ﴿وَأَيَّةٌ لَهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي الْفَلَكِ الْمَشْحُونِ﴾ وَدَلَالَةٌ لَهُمْ أَيْضاً عَلَى قُدْرَتِهِ تَعَالَى تَسْخِيرَهُ الْبَحْرَ لِجَحْلِ السَّفِينِ الْمَمْلُوءَةِ مِنَ الْأَمْتَعَةِ وَالْحَيَوَانَاتِ مَعَ ذُرِّيَّةِ نَبِيِّ آدَمَ ٤٢: ﴿وَوَحَلْنَا لَهُمْ مِنْ مِثْلِهِ مَا يَرْكَبُونَ﴾ يَعْنِي بِذَلِكَ الْإِبِلَ، فَإِنَّهَا سُفُنُ الْبَرِّ يُحْمَلُونَ عَلَيْهَا وَيَرْكَبُونَهَا ٤٣: ﴿وَإِنْ نَشَاءُ نَغْرِقْهُمْ﴾ يَعْنِي: الَّذِينَ فِي السَّفِينِ ﴿فَلَا صَرِيخَ لَهُمْ﴾ فَلَا مُعِيثَ لَهُمْ مِمَّا هُمْ فِيهِ ﴿وَوَلَاهُمْ يُقْدُونَ﴾ وَمِمَّا أَصَابَهُمْ ٤٤: ﴿الْأَرْحَمَةَ مِنَّا﴾ وَهَذَا اسْتِنَاءٌ مَنْقُوعٌ تَقْدِيرُهُ: وَلَكِنْ بِرَحْمَتِنَا نَسِيرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَنَسْلِمُكُمْ إِلَى أَجْلِ مُسْتَمَى، وَهَذَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَتَاعًا إِلَى جِينٍ﴾ إِلَى وَقْتٍ مَعْلُومٍ عِنْدَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ٤٥: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ اتَّقُوا مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ﴾ مِنَ الذُّنُوبِ ﴿لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ لَعَلَّ اللَّهُ بِاتَّقَانِكُمْ ذَلِكَ يَرْحَمُكُمْ وَيُؤْتِمُّكُمْ مِنْ عَذَابِهِ؛ وَتَقْدِيرُ الْكَلَامِ: أَنَّهُمْ لَا يُجِيبُونَ إِلَى ذَلِكَ بَلْ يُعْرِضُونَ عَنْهُ، وَانْكَفَى عَنْ ذَلِكَ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ٤٦: ﴿وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ﴾ عَلَى التَّوْحِيدِ وَصَدَقَ الرَّسُلُ ﴿إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ﴾ لَا يَتَأَمَّلُونَهَا وَلَا يَقْبَلُونَهَا وَلَا يَنْتَفِعُونَ بِهَا ٤٧: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقَكُمْ اللَّهُ﴾ وَإِذَا أَمَرُوا بِالْإِنْفَاقِ مِمَّا رَزَقَهُمُ اللَّهُ عَلَى الْفُقَرَاءِ وَالْحَاوِجِ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا: ﴿قَالُوا لِمَنْ أَمْرُهُمْ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ بِالْإِنْفَاقِ حَاجِّينَ لَهُمْ فِيهَا أَمْرُهُمْ بِهِ﴾ أَنْطَعِمُ مَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ أَطْعَمَهُمْ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَمَرْتُمُونَا بِالْإِنْفَاقِ عَلَيْهِمْ لَوْ شَاءَ اللَّهُ لِأَعْنَاهُمْ مِنْ رِزْقِهِ،

وَأَيَّةٌ لَهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي الْفَلَكِ الْمَشْحُونِ ٤١ وَخَلَقْنَا لَهُمْ مِنْ مِثْلِهِ مَا يَرْكَبُونَ ٤٢ وَإِنْ نَشَاءُ نَغْرِقْهُمْ فَلَا صَرِيخَ لَهُمْ وَلَا هُمْ يُقْدُونَ ٤٣ إِلَّا أَرْحَمَةً مِنَّا وَامْتِعْنَا إِلَى حِينٍ ٤٤ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ اتَّقُوا مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ٤٥ وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ ٤٦ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقَكُمْ اللَّهُ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْطَعِمُ مَنْ لَوْ شَاءَ اللَّهُ أَطْعَمَهُ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ٤٧ وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ٤٨ مَا يَنْظُرُونَ إِلَّا الصَّيْحَةَ وَاحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ ٤٩ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ ٥٠ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ ٥١ قَالُوا يَا بُولَيْلَنا مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ ٥٢ إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ ٥٣ قَالُوا لِمَ لَا تُنْزَلُ عَلَيْنَا نَفْسٌ شَيْئًا وَلَا تُنْزَلُ عَلَيْنَا نَفْسٌ شَيْئًا وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ٥٤

فَحُرٌّ نَوَافِقٌ مَشِيئَةُ اللَّهِ تَعَالَى فِيهِمْ ﴿إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ فِي أَمْرِكُمْ لَنَا بِذَلِكَ ٤٨: ﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ﴾؟ اسْتِعْبَادًا لِقِيَامِ السَّاعَةِ ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ٤٩: ﴿مَا يَنْظُرُونَ﴾ مَا يَنْظُرُونَ ﴿إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً تَأْخُذُهُمْ﴾ الصَّيْحَةُ: نَفْخَةُ الْفَرْعِ ﴿وَهُمْ يَخِصِّمُونَ﴾ يَخِصِّمُونَ وَيَشَاجِرُونَ عَلَى عَادَتِهِمْ فِيمَا بَيْنَهُمْ كَذَلِكَ إِذْ أَمَرَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ إِسْرَافِيلَ أَنْ يُنْفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةً فَلَيَقْبِىٰ عَلَيْهِمْ وَجْهَ الْأَرْضِ إِلَّا أَصْفَىٰ لَيْتًا وَرَفَعَ لَيْتًا — وَهِيَ صَفْحَةُ الْعُنُقِ — يَسْمَعُ الصَّوْتُ مِنْ قِبَلِ السَّمَاءِ، ثُمَّ يُسَاقُ النَّاسُ إِلَىٰ مَحْشَرِ الْقِيَامَةِ، وَهَذَا قَالَ تَعَالَى: ٥٠: ﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً﴾ لِأَنَّ الْأَمْرَ أَمَّهُمْ مِنْ ذَلِكَ ﴿وَلَا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ﴾ ثُمَّ يَكُونُ بَعْدَ هَذَا نَفْخَةُ الصَّمْعِ الَّتِي تَمُوتُ بِهَا الْأَحْيَاءُ كُلُّهُمْ، ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ نَفْخَةُ الْبَيْتِ ٥١: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ﴾ هَذِهِ هِيَ النَفْخَةُ الثَّلَاثَةُ وَهِيَ نَفْخَةُ الْقِيَامِ مِنَ الْقُبُورِ ﴿يَنْسِلُونَ﴾ [أَي: يَمْشُونَ سَرِيعًا] ٥٢: ﴿قَالُوا يَا بُولَيْلَنا مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا﴾ يَتَامُونَ نَوْمَةً قَبْلَ الْبَيْتِ فَلِذَلِكَ يَقُولُونَ: مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا؟ وَيُجِيبُهُمُ الْمَلَكَةُ وَالْمُؤْمِنُونَ: ﴿هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ﴾ ٥٣: ﴿إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ﴾ إِنَّمَا نَأْمُرُهُمْ أَمْرًا وَاحِدًا فَإِذَا الْجَمِيعُ مُحْضَرُونَ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ﴾ الْآيَةُ ٥٤: ﴿قَالُوا لِمَ لَا تُنْزَلُ عَلَيْنَا نَفْسٌ شَيْئًا﴾ مِنْ عَمَلِهَا ﴿وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾.

الآية: ٥١ روى مسلم في صحيحه عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «ما بين الفتنين أربعون» قالوا: بأبأ هريرة! أربعون يوماً؟ قال: أيُّ [أي أن أجزم بأن المراد يوماً أو شهراً أو سنة] قالوا: أربعون شهراً؟ قال: أيُّ، قالوا: أربعون سنة؟ قالوا: أيُّ، قال: «ثم ينزل الله من السماء ماءً فينبتون كما ينبت البقل» وليس من الإنسان شيء إلا يبل، إلا عظماً واحداً وهو عَجَبُ الذنْبِ [أي العظم الذي في أسفل الصلب] ومنه يُرْكَبُ الخَلْقُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ. صحيح مسلم رقم ٢٩٥٥.

إِنَّ أَصْحَابَ الْحَجَّةِ الْيَوْمِ فِي شُغْلٍ فَكِهِونَ ﴿٥٥﴾ هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلَالٍ عَلَى الْأَرَائِكِ مُتَكُونُونَ ﴿٥٦﴾ لَهُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ وَهُمْ مَائِدَعُونَ ﴿٥٧﴾ سَلَامٌ قَوْلًا مِنْ رَبِّ رَحِيمٍ ﴿٥٨﴾ وَأَمْتَرُوا الْيَوْمَ أَيُّهَا الْمُجْرِمُونَ ﴿٥٩﴾ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ بِبَنِي آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴿٦٠﴾ وَأَنْ أَعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾ وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنْكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ ﴿٦٢﴾ هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٦٣﴾ أَصْلَوْهَا الْيَوْمَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٦٤﴾ الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٦٥﴾ وَلَوْ نَشَاءُ لَطَمَسْنَا عَلَى أَعْيُنِهِمْ فَاسْتَبَقُوا الصِّرَاطَ فَأَنْ يَبْصُرُونَ ﴿٦٦﴾ وَلَوْ نَشَاءُ لَمَسَخْنَاهُمْ عَلَى مَكَانَتِهِمْ فَمَا اسْتَطَاعُوا مُضِيًّا وَلَا يَرْجِعُونَ ﴿٦٧﴾ وَمَنْ نَعُمَّرُهُ نُنَكِّسْهُ فِي الْخَلْقِ أَفَلَا يَعْقِلُونَ ﴿٦٨﴾ وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشُّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْءَانٌ مُبِينٌ ﴿٦٩﴾ لِيُنذِرَ مَنْ كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ الْقَوْلُ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٧٠﴾

٤٤٤

٥٥: ﴿إِنَّ أَصْحَابَ الْحَجَّةِ الْيَوْمِ فِي شُغْلٍ فَكِهِونَ﴾ يُخَيَّرُ تَعَالَى عَنْ أَهْلِ الْحَجَّةِ أَنَّهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِمَا هُمْ فِيهِ مِنَ النِّعَمِ وَالْفَوْزِ الْعَظِيمِ فَرِحُونَ مُتَّجِبُونَ بِهِ ٥٦: ﴿هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ﴾ حَالَتُهُمْ ﴿فِي ظِلَالٍ﴾ ظِلَالُ الْأَشْجَارِ ﴿عَلَى الْأَرَائِكِ مُتَكُونُونَ﴾ إِنْ أَحَدَهُمْ لِيَعَانِقَ الْخُورَاءَ سَبْعِينَ سَنَةً لِأَيْمَلِهَا وَلَا تَمَلَّهُ، وَكَلَّمَا أَنَا هَا وَجَدَهَا بِكَرَأٍ ٥٧: ﴿هُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ﴾ مِنْ جَمِيعِ أَنْوَاعِهَا ﴿وَهُمْ مَائِدَعُونَ﴾ مَهْمَا طَلَبُوا وَجَدُوا مِنْ جَمِيعِ أَصْنَافِ الْمَلَأَةِ ٥٨: ﴿سَلَامٌ قَوْلًا مِنْ رَبِّ رَحِيمٍ﴾ فَإِنَّهُ تَعَالَى سَلَامٌ عَلَى أَهْلِ الْحَجَّةِ، وَتَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ، وَإِذَا أَشْرَفَ عَلَيْهِمْ تَعَالَى قَالَ السَّلَامَ عَلَيْكُمْ يَا أَهْلَ الْحَجَّةِ، فَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿سَلَامٌ قَوْلًا مِنْ رَبِّ رَحِيمٍ﴾ ٥٩: ﴿وَأَمْتَرُوا الْيَوْمَ أَيُّهَا الْمُجْرِمُونَ﴾ يُخَيَّرُ تَعَالَى عَمَّا يُؤْرَلُ إِلَيْهِ حَالُ الْكُفَّارِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَنَّهُمْ يُبَيِّنُونَ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ فِي مَوْقِفِهِمْ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا مَكَانَكُمْ أَنْتُمْ وَشُرَكَاءُكُمْ فَزَلَّلْنَا بَيْنَهُمْ﴾ ٦٠: ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ هَذَا تَقْرِيعٌ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى لِلْكَفْرَةِ الَّذِينَ أَطَاعُوا الشَّيْطَانَ وَهُوَ عَدُوٌّ لَهُمْ مَبِينٌ، وَعَصَوْا الرَّحْمَنَ الَّذِي خَلَقَهُمْ وَرَزَقَهُمْ، وَهَذَا قَالَ تَعَالَى: ٦١: ﴿وَأَنْ أَعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾ قَدْ أَمَرْتَكُمْ فِي دَارِ الدُّنْيَا بِعِبَادَتِي وَهَذَا هُوَ الصِّرَاطُ الْمُسْتَقِيمُ فَاتَّبِعْتُمُ الشَّيْطَانَ، وَهَذَا قَالَ تَعَالَى: ٦٢: ﴿وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنْكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا﴾

الخلق الكثير ﴿أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ﴾ أَمَا كَانَ لَكُمْ عَقْلٌ فِي مَخَالَفَةِ رَبِّكُمْ فَمَا أَمَرَكُم بِهِ مِنْ عِبَادَتِهِ، وَعَدُولِكُمْ إِلَى اتِّبَاعِ الشَّيْطَانِ؟! ٦٣: ﴿هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾ هَذِهِ الَّتِي حَذَرْتُمْ الرِّسْلُ فَكَذَّبْتُمُوهُمْ، يُقَالُ هُمْ هَذَا تَقْرِيعًا وَتَوْبِيخًا ٦٤: ﴿أَصْلَوْهَا الْيَوْمَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿يَوْمَ يُدْعَوْنَ إِلَى نَارِ جَهَنَّمَ دَعَاً هَذِهِ النَّارُ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تَكْذِبُونَ﴾ ٦٥: ﴿الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ هَذَا حَالُ الْكُفَّارِ وَالْمُنَافِقِينَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حِينَ يَنْكُرُونَ مَا جَعَلُوا فِي الدُّنْيَا وَيَحْلِفُونَ مَا فَعَلُوهُ فَيَخْتِمُ اللَّهُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ وَيَسْتَنْطِقُ جَوَارِحَهُمْ بِمَا عَمِلَتْ ٦٦: ﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَطَمَسْنَا عَلَى أَعْيُنِهِمْ فَاسْتَبَقُوا الصِّرَاطَ فَأَنْ يَبْصُرُونَ﴾ لَوْ شَاءَ اللَّهُ لَطَمَسَ عَلَى أَعْيُنِهِمْ فَجَعَلَهُمْ عَمِيًّا يَتَرَدَّدُونَ، لَا يَبْصُرُونَ الْحَقَّ ٦٧: ﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَمَسَخْنَاهُمْ عَلَى مَكَانَتِهِمْ﴾ لَجَعَلْنَاهُمْ حِجَارَةً [وَالْمَسْخُ تَغْيِيرُ الْخَلْقِ] ﴿فَمَا اسْتَطَاعُوا مُضِيًّا﴾ إِلَى الْأَمَامِ ﴿وَلَا يَرْجِعُونَ﴾ إِلَى الْوَرَاءِ، بَلْ يَلْزَمُونَ حَالًا وَاحِدًا لَا يَتَقَدَّمُونَ وَلَا يَتَأَخَّرُونَ ٦٨: ﴿وَمَنْ نَعُمَّرُهُ نُنَكِّسْهُ فِي الْخَلْقِ﴾ كَلَّمَا طَالَ عَمْرُهُ رُدَّ إِلَى الضَّعْفِ بَعْدَ الْقُوَّةِ ﴿أَفَلَا يَعْقِلُونَ﴾ يَتَفَكَّرُونَ بِأَنَّ هَذِهِ الدَّارُ دَارُ زَوَالٍ وَاتِّقَالَ لِادَارٍ دَوَامٍ وَاسْتَقْرَارٍ ٦٩: ﴿وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشُّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ﴾ مَا هُوَ فِي طَبْعِهِ فَلَا يُحْسِنُهُ وَلَا تَقْضِيهِ جِبِلَّتُهُ، وَمَا يَصِلُحُ لَهُ ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْءَانٌ مُبِينٌ﴾ مَا هَذَا الَّذِي عَلَّمْنَاهُ إِلَّا قُرْءَانٌ وَاضِحٌ جَلِيٌّ ٧٠: ﴿لِيُنذِرَ مَنْ كَانَ حَيًّا﴾ مِنْ هُوَ حَيِّ الْقَلْبِ مُسْتَتِرٍ الْبَصِيرَةَ، ﴿وَيَحِقُّ الْقَوْلُ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ هُوَ رَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ، وَحُجَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ.

الآية: ٥٧ عن جابر قال: قال رسول الله ﷺ: «يأكل أهل الحجّة فيها ويشربون، ولا يتغوّطون، ولا يمتطخون، ولا يبولون، ولكنّ طعامهم ذلك جُشَاءً [أي تخرج فضلات الطعام بالتحشي] كرشح المسك، ليلهمون التسيب والتكبير، كما يلهمون النفس» رواه مسلم/رياض الصالحين/٧١٨.

٧١: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مَا عَمِلَتْ أَيْدِيهِمْ أَنْعَامًا﴾ يذكر تعالى ما نعم به على خلقه من هذه الأنعام التي سخرها لهم ﴿فهم لها مالِكُونَ﴾ لا تمتنع منهم ٧٢: ﴿وَدَلَّلْنَاَهَا وَلَلَّتْنَاَهَا﴾ جعلناها ذليلة مُقَادَة لهم ﴿فمنها رَكُوبُهُمْ﴾ منها ما يركبون في الأسفار ويحملون عليها الأثقال، ﴿ومنها يَأْكُلُونَ﴾ إن شأؤوا نحرُوا [فأكلوا من لحمها] ٧٣: ﴿ولهم فيها منافع﴾ من أصوافها وأوبارها وأشعارها أثاثًا ومتاعًا إلى حين ﴿ومشارب﴾ من ألبانها ﴿أفلا يشكرون﴾ أفلا يؤحدون خالق ذلك ومُسَخَّره ولا يشكرون به غيره؟ ٧٤: ﴿واتخذوا من دون الله آلهة لعلهم يُنصرون﴾ هذا إنكارٌ من الله على المشركين في اتخاذهم الأنداد آلهة مع الله يتعنون بذلك أن تنصرهم وتقربهم إلى الله زلفى، قال الله تعالى: ٧٥: ﴿لا يستطيعون نصرهم﴾ لا تقدر الآلهة على نصر عابديها بل هي أضعف من ذلك وأحقر، لأنها جماد لا تسمع ولا تعقل، ﴿وهم لهم جندٌ مُخَضَّرُونَ﴾ هذه الأصنام محشورة مجموعة يوم القيامة محضرة عند حساب عابديها ليكون ذلك أبلغ في حزنهم وأدلّ عليهم في إقامة الحجة ٧٦: ﴿فلا يخزنك قولهم﴾ تكذيبهم لك وكفرهم بالله، ﴿إنما نعلم ما يسرون وما يعلنون﴾ نحن نعلم جميع ما هم فيه وسنجزئهم وصفهم ونعاملهم على ذلك يوم لا يفقدون من أعمالهم جليلاً ولا حقيراً، ونعرض عليهم جميع ما كانوا يعملون ٧٧: ﴿أَوَلَمْ يَرَ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ إِذَا هُوَ حَصِيمٌ مَبِينٌ﴾؟ أي أولم يستدل من أنكر البعث بالبدء على الإعادة؛ فإن الله ابتداء خلق الإنسان من سُلالةٍ من ماءٍ مهين، فالذي خلقه من هذه النطفة قادرٌ على إعادته بعد موته ٧٨: ﴿وضرب لنا مثلاً﴾ الإنسان المنكر ﴿ونسبى خلقه قال من يحيى العظام وهي رميم﴾؟ استبعد إعادة الله تعالى للأجساد والعظام الرميمة، قال الله تعالى: ٧٩: ﴿قل يحيىها الذي أنشأها أول مرة وهو بكل خلقٍ عليم﴾ كيف يُبدى ويُعِيد؟ ٨٠: ﴿الذي جعل لكم من الشجر الأخضر ناراً﴾ الذي أخرج هذه النار من الشجر قادرٌ على أن يبعثه [نبهته] تعالى على كمال قدرته في إحياء الموتى بما يشاهدونه من إخراج المحرق اليابس من العود الندي الرطب، والشجر الأخضر: المراح والغفار، نبتت في أرض الحجاز، يُدح أحدها بالآخر فتتولد النار من بينهما، ﴿فاذا أنتم منه توقدون﴾ ٨١: ﴿أوليس الذي خلق السموات والأرض بقادرٌ على أن يخلق مثلهم﴾؟ نبه تعالى على قدرته العظيمة في خلق السموات بما فيها والأرض وما فيها، مرشداً إلى الاستدلال على إعادة الأجساد بخلق هذه الأشياء العظيمة، قال تعالى: ﴿أولم يروا أن الله الذي خلق السموات والأرض ولم يعي بخلقهن بقادرٌ على أن يحيى الموتى؟ بل إنّه على كل شيء قدير﴾، وقال تعالى ههنا: ﴿بل هو الخلاق العليم﴾ ٨٢: ﴿إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون﴾ أي: إنّما يأمر بالشيء أمراً واجداً لا يحتاج إلى تكرار وتأكيده ٨٣: ﴿فسبحان الذي بيده ملكوت كل شيء﴾ تنزيهه وتقديسه وتبرئته من السوء للحَيِّ القيوم الذي بيده مقاليد السموات والأرض ﴿والإله ترجعون﴾ فيجازي كلَّ عاملٍ بعمله .

أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مَا عَمِلَتْ أَيْدِيهِمْ أَنْعَامًا فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ ﴿٧١﴾ وَدَلَّلْنَاهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ ﴿٧٢﴾ وَهُمْ فِيهَا مِنْتَفِعٌ وَمَشَارِبٌ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾ وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لَعَلَّهُمْ يُنصَرُونَ ﴿٧٤﴾ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُمْ وَهُمْ لَهُمْ جُنْدٌ مُخَضَّرُونَ ﴿٧٥﴾ فَلَا يَخْزِنُكَ قَوْلُهُمْ إِنَّآ نَعْلَمُ مَا يَسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٦﴾ أَوَلَمْ يَرَ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ إِذَا هُوَ حَصِيمٌ مَبِينٌ ﴿٧٧﴾ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا إِذَا أَنْتُمْ مِنْهُ تُوقِدُونَ ﴿٨٠﴾ أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَدِيرٍ عَلَىٰ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ ﴿٨١﴾ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ فَسَبِّحْنَا الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾

سُورَةُ الصَّافَاتِ

٧٧: ﴿أَوَلَمْ يَرَ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ إِذَا هُوَ حَصِيمٌ مَبِينٌ﴾؟ أي أولم يستدل من أنكر البعث بالبدء على الإعادة؛ فإن الله ابتداء خلق الإنسان من سُلالةٍ من ماءٍ مهين، فالذي خلقه من هذه النطفة قادرٌ على إعادته بعد موته ٧٨: ﴿وضرب لنا مثلاً﴾ الإنسان المنكر ﴿ونسبى خلقه قال من يحيى العظام وهي رميم﴾؟ استبعد إعادة الله تعالى للأجساد والعظام الرميمة، قال الله تعالى: ٧٩: ﴿قل يحيىها الذي أنشأها أول مرة وهو بكل خلقٍ عليم﴾ كيف يُبدى ويُعِيد؟ ٨٠: ﴿الذي جعل لكم من الشجر الأخضر ناراً﴾ الذي أخرج هذه النار من الشجر قادرٌ على أن يبعثه [نبهته] تعالى على كمال قدرته في إحياء الموتى بما يشاهدونه من إخراج المحرق اليابس من العود الندي الرطب، والشجر الأخضر: المراح والغفار، نبتت في أرض الحجاز، يُدح أحدها بالآخر فتتولد النار من بينهما، ﴿فاذا أنتم منه توقدون﴾ ٨١: ﴿أوليس الذي خلق السموات والأرض بقادرٌ على أن يخلق مثلهم﴾؟ نبه تعالى على قدرته العظيمة في خلق السموات بما فيها والأرض وما فيها، مرشداً إلى الاستدلال على إعادة الأجساد بخلق هذه الأشياء العظيمة، قال تعالى: ﴿أولم يروا أن الله الذي خلق السموات والأرض ولم يعي بخلقهن بقادرٌ على أن يحيى الموتى؟ بل إنّه على كل شيء قدير﴾، وقال تعالى ههنا: ﴿بل هو الخلاق العليم﴾ ٨٢: ﴿إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون﴾ أي: إنّما يأمر بالشيء أمراً واجداً لا يحتاج إلى تكرار وتأكيده ٨٣: ﴿فسبحان الذي بيده ملكوت كل شيء﴾ تنزيهه وتقديسه وتبرئته من السوء للحَيِّ القيوم الذي بيده مقاليد السموات والأرض ﴿والإله ترجعون﴾ فيجازي كلَّ عاملٍ بعمله .

تفسير سورة الصافات

١: ﴿وَالصَّافَاتِ صَفًا﴾ هي الملائكة صفوف في السماء ٢: ﴿فَالزَّاجِرَاتِ زَجْرًا﴾ فالزاجرات زجرًا هي الملائكة تزرع السحاب ٣: ﴿فَالنَّالِيَاتِ ذِكْرًا﴾ هي الملائكة يجيئون بالكتاب والقرآن من عند الله إلى الناس ٤: ﴿إِنَّ إِلَهُكُمْ لَوَاحِدٌ﴾ إلهه إلا هو ٥: ﴿رُبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ من المخلوقات ﴿وَرُبُّ الْمَشَارِقِ﴾ هو المتصرف في الخلق بتسخيره بما فيه [حيث جعل لكل يوم مشرق ومغرب على عدد أيام السنة] ٦: ﴿إِنَّا زَيْنَا السَّمَاءِ الدُّنْيَا بِزِينَةِ الْكَوَاكِبِ﴾ للنظرين، ينقب ضوءها جرم السماء فضيء لأهل الأرض، كما قال تعالى ﴿وَلَقَدْ زَيْنَا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ﴾، ﴿وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّاظِرِينَ﴾ ٧: ﴿وَحَفِظْنَا كُلَّ شَيْءٍ فِيهَا﴾ حفظناها حفظاً شيطان مارد، يعني التمرد العاتبي الذي يسترق السمع ٨: ﴿لَا يَسْمَعُونَ إِلَى الْمَلَأِ الْأَعْلَى﴾ لئلا يسمعون إلى الملأ الأعلى وهي السموات ومن فيها من الملائكة إذا تكلموا بما يوجهه الله تعالى، ﴿وَيَقْدِفُونَ﴾ يرمون ﴿مِنْ كُلِّ جَانِبٍ﴾ من كل جهة يقصدون السماء منها ٩: ﴿ذُخْرًا﴾ رجماً يُدحرون به ويمنعون من الوصول إلى ذلك ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ﴾ دائم في الآخرة ١٠: ﴿إِلَّا مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ﴾ وهي الكلمة يسمعها من السماء فيلقها إلى الذي تحته ﴿فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ﴾ فيحرقه ١١: ﴿فَأَسْتَفْتِيهِمْ﴾ فسئل هؤلاء المنكرين للبعث ﴿أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمْ مَنْ خَلَقْنَا﴾ من السموات والأرض وما بينهما؟ ﴿إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ طِينٍ لَازِبٍ﴾ الطين الذي يلتصق ببعضه بعضاً ١٢: ﴿بَلْ عَجِبْتَ﴾ يا محمد من تكذيب هؤلاء المنكرين للبعث وأنت موقن بما أخبر الله، ﴿وَيَسْخَرُونَ مِنْكَ﴾ يستهزئون ١٣: ﴿وَإِذَا ذُكِّرُوا لَا يَذْكُرُونَ﴾ إذا وعظوا بالقرآن لا ينتفعون ١٤: ﴿وَإِذَا رَأَوْا آيَةً﴾ دلالة واضحة على ذلك ﴿يَسْتَسْخَرُونَ﴾ يستهزئون ١٥: ﴿وَقَالُوا إِن هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾ إن هذا الذي جئت به إلا سحر مبين ١٦: ﴿إِنَّمَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا﴾ أو أبأوأنا الأتولون ﴿يَسْتَعْبُدُونَ﴾ يستعبدون ذلك ويكذبون به ١٨: ﴿قُلْ نِعْمَ وَأَنْتُمْ دَاخِرُونَ﴾ قُلْ لهم يا محمد نعم تبعثون يوم القيامة وأنتم حقيرون ١٩: ﴿فَأِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ فَإِذَا هُمْ يَنْظُرُونَ﴾ فإتما هو أمر واحد من الله عز وجل يدعوهم دعوة واحدة فإذا هم قيام بين يديه ينظرون إلى أهوال يوم القيامة ٢٠: ﴿وَقَالُوا يَا وَيْلَنَا هَذَا يَوْمُ الدِّينِ﴾ يعترفون بأنهم كانوا ظالمين لأنفسهم، فيندمون كل الندم، فتقول لهم الملائكة: ٢١: ﴿هَذَا يَوْمُ الْفَصْلِ﴾ الذي كتبت به تكذبون ﴿يُقَالُ لَهُمْ هَذَا عَلَى وَجْهِ التَّعْرِيقِ وَالتَّوْبِيخِ﴾ قال تعالى: ﴿أَخْشَرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ﴾ أشباههم وأمثالهم، فالزناة مع الزناة [وهكذا] ﴿وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ﴾ من الأصنام والأنداد ﴿مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ من الأصنام والأنداد ﴿فَاهْذُوبُوا إِلَى صِرَاطِ الْحَيِّمِ﴾ أرشدوهم إلى طريق جهنم ٢٤: ﴿وَقَفُّوهُمْ إِنْهُمْ مَسْئُولُونَ﴾ أي: عن أعمالهم].

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالصَّافَاتِ صَفًا ﴿١﴾ فَالزَّاجِرَاتِ زَجْرًا ﴿٢﴾ فَالنَّالِيَاتِ ذِكْرًا ﴿٣﴾ إِنَّ إِلَهُكُمْ لَوَاحِدٌ ﴿٤﴾ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ الْمَشْرِقِ ﴿٥﴾ إِنَّا زَيْنَا السَّمَاءِ الدُّنْيَا بِزِينَةِ الْكَوَاكِبِ ﴿٦﴾ وَحَفِظْنَا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مَّارِدٍ ﴿٧﴾ لَا يَسْمَعُونَ إِلَى الْمَلَأِ الْأَعْلَى وَيَقْدِفُونَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ ﴿٨﴾ ذُخْرًا وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ ﴿٩﴾ إِلَّا مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ ﴿١٠﴾ فَاسْتَفْتِيهِمْ أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمْ مَنْ خَلَقْنَا إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ طِينٍ لَازِبٍ ﴿١١﴾ بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ ﴿١٢﴾ وَإِذَا ذُكِّرُوا لَا يَذْكُرُونَ ﴿١٣﴾ وَإِذَا رَأَوْا آيَةً يَسْتَسْخَرُونَ ﴿١٤﴾ وَقَالُوا إِن هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ ﴿١٥﴾ أءَا دَامْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أءَا نَأْتِلُكَمُوعُونَ ﴿١٦﴾ أَوءَا بَأُونَا أَلَوْنٌ ﴿١٧﴾ قُلْ نِعْمَ وَأَنْتُمْ دَاخِرُونَ ﴿١٨﴾ فَأِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ فَإِذَا هُمْ يَنْظُرُونَ ﴿١٩﴾ وَقَالُوا يَا وَيْلَنَا هَذَا يَوْمُ الدِّينِ ﴿٢٠﴾ هَذَا يَوْمُ الْفَصْلِ الَّذِي كُتِبَ بِهِ تَكْذِيبُكُمْ ﴿٢١﴾ أَخْشَرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ ﴿٢٢﴾ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَاهْذُوبُوا هُمْ إِلَى صِرَاطِ الْحَيِّمِ ﴿٢٣﴾ وَقَفُّوهُمْ إِنْهُمْ مَسْئُولُونَ ﴿٢٤﴾

الآية: ٦ روى ابن جرير عن ابن عباس قال: كان للشياطين مقاعد في السماء، قال: فكانوا يستمعون الوحي، فلما بُعث رسول الله ﷺ جعل الشيطان إذا قصد مقعده جاءه شهاب فلم يُخطئه حتى يحرقه، قال: فشكروا ذلك إلى إبليس لعنه الله، فقال: ما هو إلا من أمر حدث، قال: فبعث جنوده فإذا رسول الله ﷺ قائم يصلي بين جبلين نخله.

٢٥: ﴿مَالِكُمْ لَا تَنَاصِرُونَ﴾؟ يُقَالُ لَهُمْ هَذَا عَلَى سَبِيلِ التَّقْرِيعِ وَالتَّوْبِيخِ ٢٦: ﴿بَلْ هُمْ الْيَوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ﴾ مُنْفَادُونَ لِأَمْرِ اللَّهِ لِإِجْلَافِهِ ٢٧: ﴿وَأَقْبَلْ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ﴾ [أى: أَقْبَلِ الرُّسَاءَ وَالأَبْتَاعَ يُسْأَلُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا وَيُؤْبَخُهُ فِي أَنَّهُ أَضَلَّهُ] ٢٨: ﴿قَالُوا إِنَّكُمْ كُنْتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ الْيَمِينِ﴾ كُنْتُمْ تُقْهَرُونَنَا لِأَنَّنا كُنَّا أَذْلاءَ وَكُنْتُمْ أَعْرَاءَ ٢٩: ﴿قَالُوا بَلْ لَمْ تَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ بَلْ كَانَتْ قُلُوبِكُمْ مُنْكَرَةً لِلإِيمَانِ قَابِلَةً لِلْكَفْرِ وَالعِصْيَانِ ٣٠: ﴿وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ﴾ مِنْ حُجَّةٍ عَلَى صِحَّةِ مَا دَعَوْنَاكُمْ إِلَيْهِ ﴿بَلْ كُنْتُمْ قَوْمًا طَآغِينَ﴾ بَلْ كَانَ فِيكُمْ طَغْيَانٌ وَمَجَاوِزَةٌ لِلْحَقِّ؛ فَهَذَا اسْتَجِبَتْ لَنَا وَتَرَكْتُمْ الْحَقَّ الَّذِي جَاءَكُمْ بِهِ الأَنْبِيَاءُ ٣١: ﴿فَحَقَّقْنَا قَوْلَ رَبِّنَا إِنَّا لَلذَّاقُونَ﴾ لِلْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، يَقُولُ هَذَا الْكِبْرَاءُ لِلْمُسْتَضْعَفِينَ ٣٢: ﴿فَأَغْوَيْنَاكُمْ﴾ دَعَوْنَاكُمْ إِلَى الضَّلَالَةِ ﴿وَإِنَّا كُنَّا غَاوِينَ﴾ فَدَعَوْنَاكُمْ إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ فَاسْتَجِبْتُمْ لَنَا، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ٣٣: ﴿فَإِنَّهُمْ يَوْمَئِذٍ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ﴾ الْجَمِيعُ فِي النَّارِ كُلِّ بِحَسَبِهِ ٣٤: ﴿إِنَّا كَذَلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ﴾ [أى: الْمُشْرِكِينَ] ٣٥: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا فِي الدُّنْيَا﴾ إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ﴿يَسْتَكْبِرُونَ أَنْ يَقُولُوا﴾ ٣٦: ﴿وَيَقُولُونَ إِنَّا لَنَارِكُوا آهِنًا لِشَاعِرٍ مُجْتَوِّنٍ﴾ نَحْنُ نَتْرِكُ عِبَادَةَ الْهَيْئَةِ عَنْ قَوْلِ هَذَا الشَّاعِرِ الْمُجْتَوِّنِ، يَعْتُونَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى تَكْذِيبًا لَهُمْ وَرَدًّا عَلَيْهِمْ: ٣٧: ﴿بَلْ جَاءَهُ﴾ يَعْنِي رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ﴿بِالْحَقِّ﴾ فِي جَمِيعِ شَرَعَةِ اللَّهِ تَعَالَى ﴿وَصَدَّقَ الْمُرْسَلِينَ﴾ صَدَقَهُمْ فِيمَا أَخْبَرُوا عَنْهُ مِنَ الصِّفَاتِ الْحَمِيدَةِ وَالمَنَاجِحِ السَّدِيدَةِ ٣٨: ﴿إِنَّكُمْ لَلذَّاقُونَ الْعَذَابَ الأَلِيمَ﴾ ٣٩: ﴿وَمَا تَجْزُونَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [أى: إِلا بِمَا عَمَلْتُمْ مِنَ الشَّرْكِ] ثُمَّ اسْتَنْتَى مِنْ ذَلِكَ عِبَادَةَ الْمُخْلِصِينَ فَقَالَ تَعَالَى: ٤٠: ﴿إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلِصِينَ﴾ لَيْسُوا يَدْرُقُونَ الْعَذَابَ الأَلِيمَ وَلا يَنَاقِشُونَ الْحِسَابَ، بَلْ يَتَجَاوَزُ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ، وَيَجْزُونَ الْحَسَنَةَ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا إِلَى سَبْعِمِائَةِ ضِعْفٍ إِلَى أَضْعَافٍ كَثِيرَةٍ ٤١: ﴿أُولَئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَعْلُومٌ﴾ يَعْنِي فِي الْجَنَّةِ ٤٢: ﴿فَوَاكِهٌ﴾ مَتَّوَعَةٌ ﴿وَهُمْ مُكْرَمُونَ﴾ يُخْدَمُونَ وَيُرْفَهَوْنَ وَيُقِيمُونَ ٤٣: ﴿فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾ ٤٤: ﴿عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ﴾ لَا يَنْظُرُ بَعْضُهُمْ إِلَى قَفَا بَعْضٍ ٤٥: ﴿يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ﴾ يَحْمَرُ مِنْ أَنهَارٍ جَارِيَةٍ لِإِجْلَافِهَا وَلا يَفْرَاغُهَا ٤٦: ﴿يَبِضَاءَ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ﴾ طَعْمُهَا طَيِّبٌ كَلُونِهَا، بِخِلَافِ خَمْرِ الدُّنْيَا [المَحْرَمَةِ] فِي جَمِيعِ ذَلِكَ ٤٧: ﴿لَا فِيهَا عُذْلٌ﴾ يَعْنِي لِأَثْوَرٍ فِيهِمْ فَتَغْتَالِ عُقُولُهُمْ، وَلا فِيهَا أَذَى ﴿وَلَا لَهُمْ عَنْهَا يُؤْرَقُونَ﴾ لِأَنَّهُمْ غَفُوقٌ لِهَيْئَتِهِمْ. وَخَمْرُ الدُّنْيَا فِيهَا أَرْبَعُ حِصَالٍ: سُكْرٌ وَصُدَاعٌ وَقَيْءٌ وَبَوْلٌ، فَذَكَرَ اللَّهُ تَعَالَى خَمْرَ الْجَنَّةِ فَتَرَاهَا عَنْ هَذِهِ الْحِصَالِ ٤٨: ﴿وَعِنْدَهُمْ﴾ [أى: فِي الْجَنَّةِ] ﴿قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ﴾ عَفِيفَاتٌ لَا يَنْظُرْنَ إِلَى غَيْرِ أَرْوَاجِهِنَّ ﴿عَيْنٍ﴾ حِسَانُ الأَعْيُنِ ٤٩: ﴿كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَكْنُونٌ﴾ مَحْضُونَ لَمْ تَمْسَسْ الأَيْدِي ٥٠: ﴿فَأَقْبَلْ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ﴾ عَنْ أَحْوَالِهِمْ وَكَيْفِ كَانُوا فِي الدُّنْيَا وَمَا كَانُوا يُعَاتُونَ فِيهَا ٥١: ﴿قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ﴾، [أى: كَانَ لِي صَدِيقٌ مُلَازِمٌ لِي].

مَالِكُمْ لَا تَنَاصِرُونَ ﴿٢٥﴾ بَلْ هُمُ الْيَوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ ﴿٢٦﴾ وَأَقْبَلْ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴿٢٧﴾ قَالُوا إِنَّكُمْ كُنْتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ الْيَمِينِ ﴿٢٨﴾ قَالُوا بَلْ لَمْ تَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴿٢٩﴾ وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ بَلْ كُنْتُمْ قَوْمًا طَآغِينَ ﴿٣٠﴾ فَحَقَّقْنَا قَوْلَ رَبِّنَا إِنَّا لَلذَّاقُونَ ﴿٣١﴾ فَأَغْوَيْنَاكُمْ إِنَّا كُنَّا غَاوِينَ ﴿٣٢﴾ فَإِنَّهُمْ يَوْمَئِذٍ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴿٣٣﴾ إِنَّا كَذَلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ ﴿٣٤﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٣٥﴾ وَيَقُولُونَ إِنَّا لَنَارِكُوا آهِنًا لِشَاعِرٍ مُجْتَوِّنٍ ﴿٣٦﴾ بَلْ جَاءَهُ بِالْحَقِّ وَصَدَّقَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٣٧﴾ إِنَّكُمْ لَذَائِقُوا الْعَذَابِ الأَلِيمِ ﴿٣٨﴾ وَمَا تَجْزُونَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٣٩﴾ الإِعْبَادَ لِلَّهِ الْمُخْلِصِينَ ﴿٤٠﴾ أُولَئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَعْلُومٌ ﴿٤١﴾ فَوَاكِهٌ وَهُمْ مُكْرَمُونَ ﴿٤٢﴾ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴿٤٣﴾ عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ ﴿٤٤﴾ يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ ﴿٤٥﴾ بَيْضَاءَ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ ﴿٤٦﴾ لَا فِيهَا عُذْلٌ وَلَا لَهُمْ عَنْهَا يُؤْرَقُونَ ﴿٤٧﴾ وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ عَيْنٌ ﴿٤٨﴾ كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَكْنُونٌ ﴿٤٩﴾ فَأَقْبَلْ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴿٥٠﴾ قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ ﴿٥١﴾

ورداً عليهم: ٣٧: ﴿بَلْ جَاءَهُ﴾ يَعْنِي رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ﴿بِالْحَقِّ﴾ فِي جَمِيعِ شَرَعَةِ اللَّهِ تَعَالَى ﴿وَصَدَّقَ الْمُرْسَلِينَ﴾ صَدَقَهُمْ فِيمَا أَخْبَرُوا عَنْهُ مِنَ الصِّفَاتِ الْحَمِيدَةِ وَالمَنَاجِحِ السَّدِيدَةِ ٣٨: ﴿إِنَّكُمْ لَلذَّاقُونَ الْعَذَابَ الأَلِيمَ﴾ ٣٩: ﴿وَمَا تَجْزُونَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [أى: إِلا بِمَا عَمَلْتُمْ مِنَ الشَّرْكِ] ثُمَّ اسْتَنْتَى مِنْ ذَلِكَ عِبَادَةَ الْمُخْلِصِينَ فَقَالَ تَعَالَى: ٤٠: ﴿إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلِصِينَ﴾ لَيْسُوا يَدْرُقُونَ الْعَذَابَ الأَلِيمَ وَلا يَنَاقِشُونَ الْحِسَابَ، بَلْ يَتَجَاوَزُ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ، وَيَجْزُونَ الْحَسَنَةَ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا إِلَى سَبْعِمِائَةِ ضِعْفٍ إِلَى أَضْعَافٍ كَثِيرَةٍ ٤١: ﴿أُولَئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَعْلُومٌ﴾ يَعْنِي فِي الْجَنَّةِ ٤٢: ﴿فَوَاكِهٌ﴾ مَتَّوَعَةٌ ﴿وَهُمْ مُكْرَمُونَ﴾ يُخْدَمُونَ وَيُرْفَهَوْنَ وَيُقِيمُونَ ٤٣: ﴿فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾ ٤٤: ﴿عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ﴾ لَا يَنْظُرُ بَعْضُهُمْ إِلَى قَفَا بَعْضٍ ٤٥: ﴿يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ﴾ يَحْمَرُ مِنْ أَنهَارٍ جَارِيَةٍ لِإِجْلَافِهَا وَلا يَفْرَاغُهَا ٤٦: ﴿يَبِضَاءَ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ﴾ طَعْمُهَا طَيِّبٌ كَلُونِهَا، بِخِلَافِ خَمْرِ الدُّنْيَا [المَحْرَمَةِ] فِي جَمِيعِ ذَلِكَ ٤٧: ﴿لَا فِيهَا عُذْلٌ﴾ يَعْنِي لِأَثْوَرٍ فِيهِمْ فَتَغْتَالِ عُقُولُهُمْ، وَلا فِيهَا أَذَى ﴿وَلَا لَهُمْ عَنْهَا يُؤْرَقُونَ﴾ لِأَنَّهُمْ غَفُوقٌ لِهَيْئَتِهِمْ. وَخَمْرُ الدُّنْيَا فِيهَا أَرْبَعُ حِصَالٍ: سُكْرٌ وَصُدَاعٌ وَقَيْءٌ وَبَوْلٌ، فَذَكَرَ اللَّهُ تَعَالَى خَمْرَ الْجَنَّةِ فَتَرَاهَا عَنْ هَذِهِ الْحِصَالِ ٤٨: ﴿وَعِنْدَهُمْ﴾ [أى: فِي الْجَنَّةِ] ﴿قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ﴾ عَفِيفَاتٌ لَا يَنْظُرْنَ إِلَى غَيْرِ أَرْوَاجِهِنَّ ﴿عَيْنٍ﴾ حِسَانُ الأَعْيُنِ ٤٩: ﴿كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَكْنُونٌ﴾ مَحْضُونَ لَمْ تَمْسَسْ الأَيْدِي ٥٠: ﴿فَأَقْبَلْ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ﴾ عَنْ أَحْوَالِهِمْ وَكَيْفِ كَانُوا فِي الدُّنْيَا وَمَا كَانُوا يُعَاتُونَ فِيهَا ٥١: ﴿قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ﴾، [أى: كَانَ لِي صَدِيقٌ مُلَازِمٌ لِي].

الآية: ٣٥ روى ابن أبي حاتم عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله، فمن قال لا إله إلا الله، فقد عصم مني ماله ونفسه إلا بجهنم، وحسابه على الله عز وجل». ابن كثير ج ٤/٥

٥٢: ﴿يَقُولُ أَنتَ لِمَنِ الْمُصَدِّقِينَ﴾ أَنتَ

تصدَّق بآبعت والنشور والجزاء؟ يقول ذلك استبعاداً وكفراً ٥٣: ﴿إِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَاباً وَعِظَاماً أَنتَا لِمَدِينُونَ﴾ لحاسِبُونَ ومجزِبُونَ بأعمالنا؟ ٥٤: ﴿قَالَ هَلْ أَنتُمْ مُطَّلِعُونَ؟﴾

مُشرفُونَ، يقول لأصحابه من أهل الجنة ٥٥: ﴿فَاطْلِعْ فَرَأَاهُ فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ﴾

٥٦: ﴿قَالَ تَاللَّهِ إِنْ كِدْتَ لَتُرْدِينِ﴾ يقول المؤمن مخاطباً للكافر: والله إن كدثت

لتهلكيني لو أعطتك ٥٧: ﴿وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنْتُ مِنَ الْمُحْضَرِينَ﴾ ولولا فضل الله علي

لكنتُ مثلك في العذاب، ولكنه تفضل علي فهداني للإيمان والتوحيد ٥٨: ﴿أَمَّا نَحْنُ

بِمَتِّينِ﴾ ٥٩: ﴿إِلَّا مُؤْتَنَّا الْأُولَى وَمَا نَحْنُ بِمُعَدِّيْنَ﴾ هذا من كلام المؤمن مُعبطاً نفسه

بما أعطاه الله تعالى من الخلد في الجنة والإقامة في دار الكرامة بلا موت ولا عذاب، ولهذا قال

تعالى: ٦٠: ﴿إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ ٦١: ﴿لِمِثْلِ هَذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ﴾ هذا

من كلام الله تعالى [لأهل الدنيا] معناه: لمثل هذا النعيم وهذا الفوز فليعمل العاملون في

الدنيا ليصبروا إليه في الآخرة ٦٢: ﴿أَذَلِكْ خَيْرٌ تَرْتَلُوا أَمْ شَجَرَةُ الرَّقُومِ﴾ أهذه الجنة خيرٌ

أم شجرة الرقوم التي في جهنم ٦٣: ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِلظَّالِمِينَ﴾ فانتسب بها أهل

الضلالة، قالوا: صاحبكم يُبَيِّنُكُمْ أَنْ فِي النَّارِ شَجَرَةٌ وَالنَّارُ تَأْكُلُ الشَّجَرَ، فأنزل الله تعالى:

٦٤: ﴿إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ﴾ منها خلقت ومنها غذيت. وهي الشجرة

الملعونة في القرآن ٦٥: ﴿طَلَعَهَا كَأَنَّ رُؤُوسَ الشَّيَاطِينِ﴾ المراد بذلك صَرَبٌ من الحيات رؤوسها بشعة المنظر، وهي في غاية الفحاشة ٦٦:

﴿فَإِنَّهُمْ لَا يَكُونُونَ مِنْهَا فَمَا لَقُونُ مِنَ الْبُطُونِ﴾ يأكلون منها، فلا أشبع منها ولا أفتح من منظرها، وهم مضطرون إلى الأكل منها لأنهم لا يجدون إلا

إياها وما هو في معناها ٦٧: ﴿ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشُرْباً مِنْ حَمِيمٍ﴾ شرب الحميم على الرقوم ٦٨: ﴿ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لَإِلَى الْجَحِيمِ﴾ ثم إن مردمهم

بعد هذا الفصل لآلى نار تتأجج وحجم تتوقد وسعير تتوهج ٦٩: ﴿إِنَّهُمْ أَلفُوا﴾ وَجَدُوا ﴿أَبَاءَهُمْ ضَالِّينَ﴾ فاتبعوهم على الضلالة، ولهذا قال

تعالى: ٧٠: ﴿فَهُمْ عَلَى آثَارِهِمْ يُهْرَعُونَ﴾ [أي: يُسرِعُونَ] شبيه بالهرولة ٧١: ﴿وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ أَكْثَرُ الْأُولِينَ﴾ يُخبر تعالى عن الأمم الماضية

أَن أَكْثَرَهُمْ ضَالِّينَ، فدمرهم ٧٢: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيهِمْ مُنذِرِينَ﴾ [أي: رسلاً أُنذروهم العذاب فكفروا] فأهلكهم وتجي المؤمنين ونصرهم، ولهذا

قال تعالى: ٧٣: ﴿فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُتَدْرِبِينَ﴾ ٧٤: ﴿إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلِصِينَ﴾ [فأنجاهم برحمته] ٧٥: ﴿وَلَقَدْ نَادَانَا نُوحٌ﴾ بعد أن

لَبِثَ فِي قَوْمِهِ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَاماً وَاشْتَدَّ عَلَيْهِ تَكْذِيبُهُمْ، فدعا ربّه: إني مظلومٌ فانتصر ﴿فَلْيَنصُرِ الْمُجْتَبِينَ﴾ له ٧٦: ﴿وَنَجِّنَا وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ﴾ وهو التكذيب والأذى.

يَقُولُ أَنتَ لِمَنِ الْمُصَدِّقِينَ ﴿٥٢﴾ أَءَ ذَا مِنَّا وَكُنَّا تُرَاباً وَعِظَاماً أَءَ نَا لِمَدِينُونَ ﴿٥٣﴾ قَالَ هَلْ أَنتُمْ مُطَّلِعُونَ ﴿٥٤﴾ فَاطْلِعْ فَرَأَاهُ فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ ﴿٥٥﴾ قَالَ تَاللَّهِ إِنْ كِدْتَ لَتُرْدِينَ ﴿٥٦﴾ وَ لَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنْتُ مِنَ الْمُحْضَرِينَ ﴿٥٧﴾ أَمَّا نَحْنُ بِمَتِّينِ ﴿٥٨﴾ إِلَّا مَوْنَنَا الْأُولَى وَمَا نَحْنُ بِمُعَدِّيْنَ ﴿٥٩﴾ إِنْ هَذَا لَهُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٦٠﴾ لِمِثْلِ هَذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ ﴿٦١﴾ أَذَلِكْ خَيْرٌ تَرْتَلُوا أَمْ شَجَرَةُ الرَّقُومِ ﴿٦٢﴾ إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِلظَّالِمِينَ ﴿٦٣﴾ إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ ﴿٦٤﴾ طَلَعَهَا كَأَنَّ رُؤُوسَ الشَّيَاطِينِ ﴿٦٥﴾ فَإِنَّهُمْ لَا يَكُونُونَ مِنْهَا فَمَا لَقُونُ مِنَ الْبُطُونِ ﴿٦٦﴾ ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشُرْباً مِنْ حَمِيمٍ ﴿٦٧﴾ ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لَإِلَى الْجَحِيمِ ﴿٦٨﴾ إِنَّهُمْ أَلفُوا أَبَاءَهُمْ ضَالِّينَ ﴿٦٩﴾ فَهُمْ عَلَى آثَارِهِمْ يُهْرَعُونَ ﴿٧٠﴾ وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ أَكْثَرُ الْأُولِينَ ﴿٧١﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيهِمْ مُنذِرِينَ ﴿٧٢﴾ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُتَدْرِبِينَ ﴿٧٣﴾ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلِصِينَ ﴿٧٤﴾ وَلَقَدْ نَادَانَا نُوحٌ فَلَنصُرْ الْمُجْتَبِينَ ﴿٧٥﴾ وَنَجِّنَا وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ ﴿٧٦﴾

الآية: ٦٢ روى ابن أبي حاتم عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ تلا هذه الآية وقال: «اتقوا الله حتى تقناه، فلو أن قطرة من الرقوم قطرت في بحار الدنيا لأتسدت على الأرض عنايشهم، فكيف بمن يكون طعامه؟» ورواه الترمذي وقال صحيح، والنسائي وابن ماجه. /ابن كثير ج ١١/٤

٧٧: ﴿وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ﴾ لم تبق إلا ذرية نوح عليه السلام ٧٨: ﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ﴾ يذكر بالخير والثناء الحسن ٧٩: ﴿سَلَّمَ عَلَى نوحٍ فِي الْعَالَمِينَ﴾ يُسَلِّمُ عَلَيْهِ فِي جَمِيعِ الطَّوَائِفِ وَالْأُمَمِ ٨٠: ﴿إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ هكذا نجزي من أحسن في طاعة الله نجعل له لسان صدق يذكر به بعده بحسب مرتبته في ذلك ٨١: ﴿إِنَّهُ مِنَّا مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ﴾ المصدقين الموحدين المؤمنين ٨٢: ﴿ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخِرِينَ﴾ فلم يبق منهم عين تطرف ولا ذكر ولا أثر ٨٣: ﴿وَرِئَانٍ مِنْ شِيعَتِهِ إِبْرَاهِيمَ﴾ من أهل دينه وعلى مناهجه وسنته ٨٤: ﴿إِذْ جَاءَ رَبُّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ يعني شهادة أن لا إله إلا الله، فهو سليم من الشرك ٨٥: ﴿إِذْ قَالَ لِأبيه وَقَوْمِهِ مَاذَا تَعْبُدُونَ؟﴾ أنكر عليهم عبادة الأصنام والأنداد ٨٦: ﴿أَتُرِيدُونَ إِلَهَةً دُونَ اللَّهِ تَرِيدُونَ؟﴾! أي: أتريدون إفاكاً؟ والإفاك: أسوأ الكذب، بدل عبادة الله؛ أي: أتريدون آلهة من دون الله إفاكين؟ ٨٧: ﴿فَمَا ظَنَنْتُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾؟ فما ظننتم برب العالمين؟ فما ظننتم أنه فاعل بكم إذا لاقيتموه وقد عدتم غيره؟ ٨٨: ﴿فَنظَرَ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ﴾ [أي: نظر إلى نجم طالع] ٨٩: ﴿فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ﴾ [أي: فيما أستقبل، فتوهوا أنه سقيم في هذه الساعة، وهذا من معاريف الكلام] ٩٠: ﴿فَنُتِلُوا بِهِ مُذْبِرِينَ﴾ ذهبوا إلى عيدهم، فاختلى بالهتهم ٩١: ﴿فَفَرَّغَ إِلَى آلهِهِمْ فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ؟﴾ وذلك أنهم كانوا قد وضعوا بين

وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ ﴿٧٧﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ ﴿٧٨﴾ سَلَّمَ عَلَى نوحٍ فِي الْعَالَمِينَ ﴿٧٩﴾ إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿٨٠﴾ إِنَّهُ مِنَّا مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿٨١﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخِرِينَ ﴿٨٢﴾ وَإِذْ مِنْ شِيعَتِهِ لَإِبْرَاهِيمَ ﴿٨٣﴾ إِذْ جَاءَ رَبُّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٤﴾ إِذْ قَالَ لِأبيه وَقَوْمِهِ مَاذَا تَعْبُدُونَ ﴿٨٥﴾ أَفَكَاءَ إِلَهَةً دُونَ اللَّهِ تَرِيدُونَ ﴿٨٦﴾ فَمَا ظَنَنْتُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٨٧﴾ فَظَنَرَ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ ﴿٨٨﴾ فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ ﴿٨٩﴾ فَنُتِلُوا عَنْهُ مُذْبِرِينَ ﴿٩٠﴾ فَرَّغَ إِلَى آلهِهِمْ ضَرْبًا فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٩١﴾ مَا لَكُمْ لَا تَنْطِقُونَ ﴿٩٢﴾ فَرَّغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًا بِالْيَمِينِ ﴿٩٣﴾ فَأَقْبَلُوا إِلَيْهِ يَزْفُونَ ﴿٩٤﴾ قَالَ أَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ ﴿٩٥﴾ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ قَالُوا ابْنُوا آلَهُنَا فَأَقِمْوهُ فِي الْجَحِيمِ ﴿٩٧﴾ فَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَسْفَلِينَ ﴿٩٨﴾ وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي سَيِّدِينَ ﴿٩٩﴾ رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٠٠﴾ فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ ﴿١٠١﴾ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَبْنَئِي إِنِّي آرئِي فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُ فَأَنْظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ﴿١٠٢﴾ يَأْتِبُ أَفْعَلٌ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ ﴿١٠٣﴾

أيديهم طعاماً قرباناً لتبارك لهم فيه ٩٢: ﴿مَالِكُمْ لَا تَنْطِقُونَ؟﴾ ٩٣: ﴿فَرَّغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًا بِالْيَمِينِ﴾ ثم تركهم جذاذاً إلا كبيراً لهم ٩٤: ﴿فَأَقْبَلُوا إِلَيْهِ يَزْفُونَ﴾ يسرعون حين عرفوا أن إبراهيم عليه السلام هو الذي فعل ذلك، فلما جاؤوا ليُعَابِئُوهُ أَخَذَ فِي تَأْنِيهِمْ وَعَيْبِهِمْ فَقَالَ: ٩٥: ﴿قَالَ أَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ﴾ أتعبدون من دون الله من الأصنام ما أنتم تنحِتُونَ بأيديكم؟ ٩٦: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ والله خلقكم والذي تعملونه؟ فلما قامت عليهم الحجة عدلوا إلى أخذه بالقرع: ٩٧: ﴿قَالُوا ابْنُوا آلَهُنَا فَأَقِمْوهُ فِي الْجَحِيمِ﴾ وكان من أمره ما تقدم بيانه في سورة الأنبياء ٩٨: ﴿فَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَسْفَلِينَ﴾ فأنجاه الله [وجعلهم المهزومين الملعوبين] ٩٩: ﴿وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي سَيِّدِينَ﴾ يُخْبِرُ تَعَالَى عَنْ خَلِيلِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: إِنَّهُ بَعْدَمَا نَصَرَهُ اللَّهُ عَلَى قَوْمِهِ هَاجَرَ مِنْ بَيْنِ أَطْرَافِهِمْ [وهو أول من هاجر من الخلق مع لوط وسارة، إلى الأرض المقدسة وهي الشام، ثم هداة الله تعالى إلى مكة المكرمة] ١٠٠: ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ يعني أولاداً مطيعين يكونون عوضاً من قومه الذين فارقتهم، قال تعالى: ١٠١: ﴿فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ﴾ وهذا الغلام هو إسماعيل عليه السلام ١٠٢: ﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ﴾ كبر وصار مع أبيه، وارتحل وأطاق السعي والعمل ﴿قَالَ يَأْتِيَنِي إِنِّي آرئِي فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُ﴾؟ قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «رُؤْيَا الْأَنْبِيَاءِ فِي الْمَنَامِ وَحْيٌ»، أعلم ابنة ليختبر صبره وعزمه في صغره على طاعة الله، ﴿قَالَ يَأْتِبُ أَفْعَلٌ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾ سأصبر وأحتسب ذلك عند الله تعالى.

الآية: ١٠٢ عن عبدالله بن عمرو وعبدالله بن عمر قالوا: قال رسول الله ﷺ: «رضا الرُّبِّ في رضا الوالد، وسخطُ الرُّبِّ في سُخْطِ الوالد» رواه الترمذي والحاكم وصححاه. وفي رواية عند الطبراني: «رضا الرُّبِّ في رضا الوالدين، وسخطُ في سُخْطِهِمَا» صحيح الجامع الصغير ج ١/٦٥٨.

١٠٣: ﴿فَلَمَّا أَسْلَمَا﴾ استسلموا وانقادا لأمر الله تعالى ﴿وَتَلَّهُ لِلجَيْنِ﴾ ورتلته للجين صرعه على وجهه ليذبحه من قفاه ولا يشاهد وجهه عند ذبحه ليكون أهون عليه ١٠٤: ﴿وَنَادَيْتَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ﴾ ١٠٥: ﴿قَدْ صَدَقْتَ الرَّؤْيَا﴾ فالتفت إبراهيم فإذا بكبش ﴿إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ [أي: بالخلاص من الشدائد في الدنيا والآخرة] ١٠٦: ﴿إِنَّ هَذَا هُوَ الْبِلَاءُ الْمُبِينُ﴾ الاختبار الواضح الجلي، حيث أمر بذبح ولده فسارع إلى ذلك منقاداً لأمر الله تعالى ١٠٧: ﴿وَقَدِينَاهُ بِذَبْحٍ عَظِيمٍ﴾ بكبش قد رعا في الجنة أربعين خريفاً، فذبحه ١٠٨: ﴿وَوَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ﴾ [أي: على إبراهيم نداءً جميلاً في الأمم بعده، فما من أمة إلا تصلي عليه وتحميه] ١٠٩: ﴿سَلَامٌ عَلَى إِبْرَاهِيمَ﴾ ١١٠: ﴿كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ [أي: مثل ذلك الجزاء العظيم نجزي من انقاد لأمر الله] ١١١: ﴿إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ﴾ [أي: الذين أعطوا العبودية حقها، فاستحقوا الإضافة إلى الله تعالى] ١١٢: ﴿وَبَشِّرْنَا بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ هذا عطف بذكر البشارة بأخيه إسحاق ﴿نَبِيًّا﴾ بـشّر بنبوته ١١٣: ﴿وَبَارَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَى إِسْحَاقَ﴾ على إسماعيل وعلى أخيه إسحاق ﴿وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِنَفْسِهِ مُبِينٌ﴾ فالحسن الذي آمن بالله وبرسله وكتبه، والظالم لنفسه من كفر بالله أو برسله أو بكتبه ١١٤: ﴿وَلَقَدْ مَتَنَّا عَلَى مُوسَى وَهَارُونَ﴾ يذكر تعالى ما نعم به على

فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلجَيْنِ ﴿١٠٣﴾ وَتَدِينَهُ أَنْ يَتَّيَّرَ بِرَبِّهِمْ ﴿١٠٤﴾ قَدْ صَدَقْتَ الرَّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٠٦﴾ وَتَدِينَهُ بِذَبْحٍ عَظِيمٍ ﴿١٠٧﴾ وَوَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ ﴿١٠٨﴾ سَلَامٌ عَلَى إِبْرَاهِيمَ ﴿١٠٩﴾ كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١١٠﴾ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿١١١﴾ وَبَشِّرْنَا بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١١٢﴾ وَوَتَرَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَى إِسْحَاقَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِنَفْسِهِ مُبِينٌ ﴿١١٣﴾ وَلَقَدْ مَتَنَّا عَلَى مُوسَى وَهَارُونَ ﴿١١٤﴾ وَنَجَّيْنَاهُمَا وَقَوْمَهُمَا مِنَ الْكُرْبِ الْعَظِيمِ ﴿١١٥﴾ وَنَصَرْنَاهُمْ فَمَا كَانُوا هُمُ الْعَظِيمِينَ ﴿١١٦﴾ وَوَأَيَّنَاهُمَا الْكُتُبَ الْمُسْتَقِيمَةَ ﴿١١٧﴾ وَوَهَدَيْنَاهُمَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿١١٨﴾ وَوَتَرَكْنَا عَلَيْهِمَا فِي الْآخِرِينَ ﴿١١٩﴾ سَلَامٌ عَلَى مُوسَى وَهَارُونَ ﴿١٢٠﴾ إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٢١﴾ إِنَّهُمَا مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٢﴾ وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَلَأَنْتُمْ أَكْبَرُ مِنْ شَرِّ مَا تَعْبُدُونَ أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَلْقِينَ ﴿١٢٤﴾ اللَّهُ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأُولَى ﴿١٢٥﴾

موسى وهارون بالنبوة ١١٥: ﴿وَنَجَّيْنَاهُمَا وَقَوْمَهُمَا مِنَ الْكُرْبِ الْعَظِيمِ﴾ من قهر فرعون وقومه ١١٦: ﴿وَنَصَرْنَاهُمْ﴾ عليهم، فغلبوهم وأخذوا أرضهم وجمعوا من أموال ﴿فَكَانُوا هُمُ الْغَالِبِينَ﴾ ١١٧: ﴿وَأَيَّنَاهُمَا الْكُتُبَ الْمُسْتَقِيمَةَ﴾ الواضح الجلي، وهو التوراة، كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ وَضِيَاءً﴾ ١١٨: ﴿وَوَهَدَيْنَاهُمَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ في الأقوال والأفعال ١١٩: ﴿وَوَتَرَكْنَا عَلَيْهِمَا فِي الْآخِرِينَ﴾ أبقينا لهما من بعدها ذكراً جميلاً ونساءً حسناً، ثم فسره بقوله تعالى: ١٢٠: ﴿سَلَامٌ عَلَى مُوسَى وَهَارُونَ﴾ ١٢١: ﴿إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ [أي: مثل ذلك الجزاء العظيم نجزي من انقاد لأمر الله] ١٢٢: ﴿إِنَّهُمَا مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ﴾ [أي: الذين أعطوا العبودية حقها، فاستحقوا الإضافة إلى الله تعالى] ١٢٣: ﴿وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ بعثه الله تعالى في بني إسرائيل بعد حزقيل عليهما السلام، كان بنوا إسرائيل عبدوا صنماً يُقال له بعل^(١)، فدعاهم إلى الله تعالى ونهاهم عن عبادة ماسوي الله ١٢٤: ﴿إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَلَأَنْتُمْ أَكْبَرُ مِنْ شَرِّ مَا تَعْبُدُونَ أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَلْقِينَ﴾ [أي: أحسن من يُقال له خالق] ١٢٦: ﴿اللَّهُ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأُولَى﴾ هو المستحق للعبادة وحده لا شريك له.

الآية: ١٠٥ قال رسول الله ﷺ: «الرؤيا الصالحة من الله، فإذا رأى أحدكم ما يحب فلا يحدث به إلا من أحب، وإذا رأى ما يكره فلا يحدث به، وليغفل عن يساره [ثلاثاً] وليرعده بالله من الشيطان الرجيم، ومن شر ما رأى فإنها لا تضره» رواه الشيخان في صحيحهما/الروايل الطيب/٢١٣.
(١) وهم أهل بعلبك من بلاد الشام، وبه سُميت مدينتهم بعلبك. /القرطبي ج١٥/١١٧.

١٢٧: ﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَنهَمْ لِحَضْرُون﴾ للعداب يوم الحساب ١٢٨: ﴿إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلِصِينَ﴾ الموحدين منهم، وهذا استثناء منقطع من مثبت ١٢٩: ﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ﴾ نناء جميلاً ١٣٠: ﴿سَلَامٌ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ﴾ [أي: على إِبْرَاهِيمَ] كما يُقال في إسماعيل إسماعيلين ١٣١: ﴿إِنَّا كَذَلِكُمْ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ ١٣٢: ﴿إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ﴾، تقدم تفسيره ١٣٣: ﴿وَإِن لُّوطًا لَّمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ بعنه الله إلى قوم سدوم، فكذَّبوه فأهلكهم الله بأنواع العقوبات ١٣٤: ﴿إِذْ نَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ﴾ فنجَّاهُ اللهُ تعالى من بين أظهرهم هو وأهله إلا امرأته ١٣٥: ﴿إِلَّا عَجُوزًا فِي الْغَابِرِينَ﴾ امرأته فأبها هلكت مع مَنْ هلك من قومها ١٣٦: ﴿ثُمَّ دَمَّرْنَا الْآخَرِينَ﴾ أهلَكهم اللهُ وجعل من الأرض بحيرة منتنة قبيحة المنظر والطعم والريح (١٣٧) ١٣٧: ﴿وَإِنكُمْ تَقْرُونَ عَلَيْهِمْ مَصْبِحِينَ﴾ ١٣٨: ﴿وَبِاللَّيْلِ أَفْلا تَعْقِلُونَ﴾؟ أي: أفلا تتنبهون بهم كيف دمر الله عليهم، وتعلمون أن للكافرين أمثالها؟ [وكانوا يمرُّون عليها في رحلة الصيف إلى الشام] ١٣٩: ﴿وَإِن يُؤْمِنُوا لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ تقدمت قصة يونس عليه السلام في سورة الأنبياء ١٤٠: ﴿إِذْ أُنزِلَ إِلَيْكَ الْفُلُوكَ الْمُشْحُونُ﴾ [أي: خرج بغير أمر الله تعالى مستتراً من الناس، إلى السفينة المملوءة بالأمّعة] ١٤١: ﴿فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ﴾ المغلوبين، فسَاهَمُوا على مَنْ تقع

فَكَذَّبُوهُ فَأَنهَمْ لِحَضْرُون^{١٢٧} إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلِصِينَ^{١٢٨} وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ^{١٢٩} سَلَامٌ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ^{١٣٠} إِنَّا كَذَلِكُمْ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ^{١٣١} إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ^{١٣٢} وَإِن لُّوطًا لَّمِنَ الْمُرْسَلِينَ^{١٣٣} إِذْ نَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ^{١٣٤} إِلَّا عَجُوزًا فِي الْغَابِرِينَ^{١٣٥} ثُمَّ دَمَّرْنَا الْآخَرِينَ^{١٣٦} وَإِنكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِمْ مُّصْبِحِينَ^{١٣٧} وَبِاللَّيْلِ أَفْلا تَعْقِلُونَ^{١٣٨} وَإِن يُؤْمِنُوا لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ^{١٣٩} إِذْ أُنزِلَ إِلَيْكَ الْفُلُوكَ الْمُشْحُونُ^{١٤٠} فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ^{١٤١} فَالْقَمَمَةُ الْحَوْتُ وَهُوَ مَلِيمٌ^{١٤٢} فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ^{١٤٣} لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ^{١٤٤} فَنَبَذْنَاهُ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ سَقِيمٌ^{١٤٥} وَأَبْنَتَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّنْ يَقْطِينٍ^{١٤٦} وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَىٰ مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ^{١٤٧} فَآمَنُوا فَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَىٰ حِينٍ^{١٤٨} فَاسْتَفْتَاهُمُ الرَّبُّكَ الْبَنَاتُ وَلَهُمُ الْبَنُونَ^{١٤٩} أَمْ خَلَقْنَا الْمَلَائِكَةَ إِنثًا وَهُمْ شَاهِدُونَ^{١٥٠} أَلَا إِنَّهُمْ مِّنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ^{١٥١} وَكَلَّمَ اللَّهُ وَآلِهَهُمْ لِكَذِّبُونَ^{١٥٢} أَصْطَفَىٰ الْبَنَاتِ عَلَىٰ الْبَنِينَ^{١٥٣}

عليه القرعة، فَبَلَقَىٰ فِي الْبَحْرِ لِيَخْفَ بِهِمُ السَّفِينَةَ، فَوَقَعَتِ الْقِرْعَةُ عَلَىٰ نَبِيِّ اللَّهِ يُونُسَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ ١٤٢: ﴿فَالْقَمَمَةُ الْحَوْتُ﴾ بأمر الله تعالى ﴿وَهُوَ مَلِيمٌ﴾ [أي: أتى بما يُلَامُ عليه] والله أعلم بمقدار لبثه في بطن الحوت ١٤٣: ﴿فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ﴾ قام فصلي في بطن الحوت ودعا ربه ﴿وَالْمُسَبِّحِينَ﴾ أي: المصلين ١٤٤: ﴿لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ وفي الحديث: «تعرّف إلى الله في الرخاء تعرّفك في الشدة»، ﴿فَهَذَا فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾، فاستجبت له ونجيتاه من الغم وكذلك تنجي المؤمنين ١٤٥: ﴿فَنَبَذْنَاهُ بِالْعَرَاءِ﴾ ألقيناه بأرض لابيات بها (١٤٦) ﴿وَهُوَ سَقِيمٌ﴾ ضعيف البدن ١٤٦: ﴿وَأَبْنَتَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّنْ يَقْطِينٍ﴾ قرع، لما له من فوائد ١٤٧: ﴿وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَىٰ مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ﴾ [وهم أهل نينوى من أرض الموصل] ١٤٨: ﴿فَآمَنُوا﴾ آمن هؤلاء جميعهم ﴿فَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَىٰ حِينٍ﴾ إلى وقت آجالهم ١٤٩: ﴿فَاسْتَفْتَاهُمُ الرَّبُّكَ الْبَنَاتُ وَهُمْ الشَّاهِدُونَ﴾؟ كيف حكموا عليهم أنهم إناث وما شاهدوا خلقهم؟ ١٥١: ﴿أَلَا إِنَّهُمْ مِّنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ﴾ من كذبهم ١٥٢: ﴿وَكَالَّمَ اللَّهُ﴾ صدر منه الولد ﴿وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ ثم قال تعالى منكرًا عليهم: ١٥٣: ﴿أَصْطَفَىٰ الْبَنَاتِ عَلَىٰ الْبَنِينَ﴾ أي: أي شيء يحمل على أن يختار البنات دون البنين!؟

(١) وهذه البحيرة المنتنة: هي البحر الميت. انظر تفسير سورة هود الآية ٧٧ فباعدها، وسورة الأعراف الآية ٨٠ فما بعدها، وسورة النمل الآية ٥٤ فباعدها، وسورة العنكبوت الآية ٢٨ فما بعدها.

(٢) بساحل قرية من الموصل.

١٥٤: ﴿مَالِكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾؟ مالكم

عُقُولٌ تَدَّبَّرُونَ بِهَا مَا تَقُولُونَ ١٥٥:

﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ؟﴾ ١٥٦: ﴿أَمْ لَكُمْ سُلْطَانٌ مُّبِينٌ

مُبِينٌ﴾ حُجَّةٌ عَلَى مَا تَقُولُونَهُ؟ ١٥٧: ﴿فَأْتُوا

بِكِتَابِكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ هَاتُوا بَرهَانًا عَلَى

ذَلِكَ يَكُونُ مُسْتَدًّا إِلَى كِتَابٍ مُنَزَّلٍ مِنَ اللَّهِ!؟

١٥٨: ﴿وَجْعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجِنَّةِ نَسْبًا﴾ قَالَ

المشركون: الملائكة بنات الله، فقال أبو بكر:

فمن أمهاتهن؟ قالوا: بنات سرورات الجن.

﴿وَلَقَدْ عَلِمَتْ الْجِنَّةُ﴾ الَّذِينَ نَسَبُوا إِلَيْهِمْ

ذَلِكَ ﴿إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ﴾ إِنْ الَّذِينَ قَالُوا ذَلِكَ

لَمُحْضَرُونَ فِي الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَكُذِبِهِمْ فِي

ذَلِكَ ١٥٩: ﴿سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ﴾

تَعَالَى وَتَقَدَّسَ عَنْ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ ١٦٠:

﴿إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلِصِينَ﴾ وَهَمُّ الْمُتَّبِعُونَ لِلْحَقِّ

الْمُنَزَّلِ عَلَى كُلِّ نَبِيٍّ وَرَسُولٍ [فَأِنَّهُمْ نَاجُونَ مِنْ

النَّارِ] ١٦١: ﴿فَأَنكُمُ وَمَاتَعِدُونَ﴾ [أَي: هَذِهِ

الْأَصْنَافُ] ١٦٢: ﴿مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ

بِقَاتِبِينَ﴾ [أَي: مَا أَنْتُمْ بِمُضِلِّينَ أَحَدًا إِلَّا مَنْ

قَدَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِ أَنْ يَضِلَّ] ١٦٣: ﴿إِلَّا مَنْ هُوَ

صَالٍ الْحَجِيمِ﴾ أَي: إِنَّمَا يَنْقَادُ لِلْمَقَالِكَةِ

وَمَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ مِنَ الضَّلَالَةِ وَالْعِبَادَةِ الْبَاطِلَةِ مَنْ

هُوَ أَضَلُّ مِنْكُمْ مِمَّنْ ذَرَى النَّارَ ١٦٤:

﴿وَمَا مِمَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَعْلُومٌ﴾ [هَذَا مِنْ قَوْلِ

الملائكة] أَي: لِكُلِّ مَلَكٍ مَوْضِعٌ مَخْصُوصٌ فِي

السَّمَاوَاتِ لِلْعِبَادَةِ لِيَتَجَاوَزَهُ ١٦٥: ﴿وَإِنَّا

لَنَحْنُ الصَّافُّونَ﴾ [أَي: يَتَرَاوُونَ فِي الصَّفِّ]

رَوَى ابْنُ عَسَاكِرَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ

عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «أَطَّبَ النَّبَاءُ وَحَقٌّ لَهَا أَنْ

تَبْتَطَّ لَيْسَ فِيهَا مَوْضِعٌ قَدِمَ إِلَّا عَلَيْهِ مَلَكٌ رَاكِعٌ أَوْ سَاجِدٌ ١٦٦: ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ﴾ نُسَبِّحُ اللَّهَ وَنُعْجِدُهُ وَنُقَدِّسُهُ وَنُزَهَّهُ، فَنَحْنُ عِبِيدٌ لَهُ

[أَي: فَكَيْفَ يَعْبُدُنَا الْمُشْرِكُونَ؟] ١٦٧: ﴿وَإِنْ كَانُوا لَيَقُولُونَ﴾ [أَي: الْمُشْرِكُونَ] ١٦٨: ﴿لَوْ أَنَّ عِدَدَنَا ذِكْرًا مِنَ الْأَوَّلِينَ﴾ [أَي: لَوْ بَعَثَ

إِلَيْنَا نَبِيًّا بَيَّنَّ الشَّرَائِعَ] قَبْلَ مُحَمَّدٍ ١٦٩: ﴿لَكُنَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلِصِينَ﴾ تَمَتُّوا لَوْ كَانَ عِنْدَهُمْ مِنْ يُذَكِّرُهُمْ بِأَمْرِ اللَّهِ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَهُمْ مُحَمَّدٌ ١٧٠:

﴿فَكَفَرُوا بِهِ﴾ بِرَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ وَعَيْدٌ أَكِيدٌ وَتَهْدِيدٌ شَدِيدٌ عَلَى كُفْرِهِمْ ١٧١: ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا

لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ﴾ فِي الْكِتَابِ الْأَوَّلِ [وَهُوَ اللَّوحُ الْمُحْفَظُ] ١٧٢: ﴿إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ﴾ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ١٧٣: ﴿وَإِنْ جَدَدْنَا لَهُمُ

الْعَالِيُونَ﴾ تَكُونُ لَهُمُ الْعَاقِبَةُ ١٧٤: ﴿فَتَوَلَّوْا عَنْهُمْ حَتَّى حِينٍ﴾ اصْبِرْ عَلَى أَذَاهُمْ إِلَى وَقْتٍ مُؤَجَّلٍ ١٧٥: ﴿وَأَبْصِرْ لَهُمْ فُسُوفَ يُعْصِرُونَ﴾

انظُرْ لَهُمْ وَارْتَقِبْ مَاذَا يَجِلُّ بِهِمْ مِنَ الْعَذَابِ، وَهَذَا تَهْدِيدٌ وَوَعِيدٌ ١٧٦: ﴿أَفِعْدَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ﴾؟ إِنَّمَا يَسْتَعْجِلُونَ الْعَذَابَ لِتَكْذِيبِهِمْ وَكُفْرِهِمْ

بِكَ ١٧٧: ﴿فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ﴾ إِذَا نَزَلَ الْعَذَابُ بِدَارِهِمْ ﴿فَسَاءَ﴾ فَيَسَّ ﴿صَبَاحُ الْمُنْذَرِينَ﴾ وَوَحْصُ الصَّبَاحِ بِالذِّكْرِ لِأَنَّ الْعَذَابَ كَانَ

يَأْتِيهِمْ فِيهِ ١٧٨: ﴿فَتَوَلَّوْا عَنْهُمْ حَتَّى حِينٍ﴾ تَأَكِيدُ لِمَا تَقَدَّمَ مِنَ الْأَمْرِ بِذَلِكَ، [وَكُنَّا أَيْضًا قَوْلُهُ تَعَالَى:] ١٧٩: ﴿وَأَبْصِرْ فُسُوفَ يُعْصِرُونَ﴾

١٨٠: ﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ بِيَزَّةٍ تَعَالَى نَفْسَهُ وَيُقَدِّسُهَا عَمَّا يَقُولُهُ الظَّالِمُونَ ١٨١: ﴿وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ﴾ سَلَامٌ اللَّهُ

عَلَيْهِمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ لِسَلَامَةِ مَا قَالُوهُ فِي رَبِّهِمْ وَصِحَّتِهِ وَحَقِيقَتِهِ ١٨٢: ﴿وَالحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ لَهُ الْحَمْدُ فِي الْأَوَّلِيِّ وَالْآخِرَةِ فِي كُلِّ

حَالٍ.



١: ﴿ص﴾ والقرآن ذي الذكر ﴿والقرآن المشتمل على ما فيه ذكر للعباد ونفع لهم في المعاش والمعاد. [وأيضاً]: ﴿ذي الذكر﴾ ذي الشرف والشان والمكانة ٢: ﴿بل الذين كفروا في عزة﴾ استكبار عنه وحمية ﴿وشقاق﴾ ومخالفة له ومعاندة ومفارقة، ثم خوفهم سبحانه بما أهلك به الأمم المكذبة قبلهم بسبب مخالفتهم للرسل فقال تعالى: ٣: ﴿كم أهلكنا من قبلهم من قرن﴾ من أمة مكذبة ﴿فنادوا﴾ حين جاءهم العذاب استغاثوا وجازوا إلى الله تعالى ﴿ولات حين مناص﴾ ليس يجين ترؤوا لإقرار ولا إجابة ٤: ﴿وعجبوا أن جاءهم منذر منهم﴾ يخبر تعالى عن المشركين في تعجبهم من بعثة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بشيراً ونذيراً منهم، أي: بشر مثلهم ﴿وقال الكافرون هذا ساحر كذاب﴾ ٥: ﴿أجعل الآفة لها واحداً﴾ أزعج أن المعبود واحد؟ ﴿إن هذا لشيء عجاب﴾ أنكروا المشركون ذلك، وتعجبوا من ترك الشرك بالله ٦: ﴿وانطلق الملائم منهم﴾ وهم سادتهم وقادتهم وكبرائهم قائلين: امشوا واستمروا على دينكم ﴿واصبروا على آهتكم﴾ لا تستجيبوا لما يدعوكم إليه محمد من التوحيد، ﴿إن هذا لشيء يواد﴾ إن هذا الذي يدعونا إليه محمد صلى الله عليه وآله وسلم من التوحيد لشيء يُريد به الشرف عليكم ٧: ﴿ما سمعنا بهذا في الملة الآخرة﴾ يعنون النصرانية، قالوا لو كان

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

ص وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ ﴿١﴾ بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ ﴿٢﴾ كَرِهْنَا مَنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ فَنَادَوا وَولاتٍ حِينَ مَنَاصٍ ﴿٣﴾ وَعَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ وَقَالَ الْكٰفِرُونَ هَذَا سِحْرٌ كَذَّابٌ ﴿٤﴾ أَجْعَلِ الْاٰلِهَةَ الْاِلٰهَةً لِهَا وَجِدًا إِن هَذَا شَيْءٌ عَجَابٌ ﴿٥﴾ وَأَنْطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنْ امْشُوا وَاصْبِرُوا وَعَلَى الْاِهْتِكُمْ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ ﴿٦﴾ مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي الْمِلَّةِ الْاٰخِرَةِ إِن هَذَا اِلَّا اِخْتِلَاقٌ ﴿٧﴾ اَنْزَلَ عَلَيْهِ الذِّكْرَ مِنْ بَيْنِنَا بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْ ذِكْرِي بَلْ لَمَآ يَذُوقُوا عَذَابِ ﴿٨﴾ اَمْعِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ الْعَزِيْزِ الْوَهَّابِ ﴿٩﴾ اَمَلَهُمْ مُلْكُ السَّمٰوٰتِ وَالْاَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَلْيَرْتَقُوا فِي الْاَسْبَابِ ﴿١٠﴾ جُنْدٌ مَّا هُنَالِكَ مَهْزُومٌ مِنَ الْاَحْزَابِ ﴿١١﴾ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو الْاَوْنَادِ ﴿١٢﴾ وَتَمُوْدٌ وَقَوْمُ لُوطٍ وَاَصْحَابُ لَيْكَةِ الْاُولَيٰٓئِكَ الْاَحْزَابِ ﴿١٣﴾ اِنْ كُلُّ الْاِكْذٰبِ الرُّسُلِ فَحَقَّ عِقَابِ ﴿١٤﴾ وَمَا يَنْظُرُ هُوَ اِلَّا الصَّيْحَةَ وَاحِدَةً مَّا لَهَا مِنْ فَوَاقٍ ﴿١٥﴾ وَقَالُوْا رَبَّنَا مَجْعَلْ لَنَا قِطْنَآ قَبْلَ يَوْمِ الْحِسَابِ ﴿١٦﴾

هذا القرآن حقاً لأخبرتنا به النصارى ﴿إن هذا إلا اختلاق﴾ تخرّص ٨: ﴿أنزل عليه الذكر من بيننا﴾؟ يعني أنهم يستبعدون تخصيصه بإنزال القرآن عليه من بينهم، ﴿بل هم في شك من ذكري﴾ [أي: القرآن، أي: قد علموا أنك لم تزل صدوقاً، وإنما شكوا فيما أنزلته عليك هل هو من عندي أم لا]، ﴿بل لما يذوقوا عذاب﴾ إما يقولون هذا لأنهم ماذا أقروا إلى حين قولهم ذلك عذاب الله ونقمته ٩: ﴿أم عندهم خزائن رحمة ربك العزيز الوهاب﴾ لا يملكون شيئاً من الأمر، وليس إليهم ولا منتقال ذرة وما يملكون من قطمير ١٠: ﴿أم لهم ملك السموات والأرض وما بينهما فليترقا في الأسباب﴾؟ إن كان لهم ذلك فليصدوا في الأسباب؛ يعني طرق السماء، ثم قال تعالى: ١١: ﴿جند ما هنالك مهزوم من الأحزاب﴾ هؤلاء الجند المكذوبون سيهزمون ويغلبون ويكثبون كما كبت الذين من قبلهم من الأحزاب المكذبين ١٢: ﴿كذبت قبلهم قوم نوح وعاد وفرعون ذو الأوتاد﴾ ١٣: ﴿وتمود وقوم لوط وأصحاب الأيكة أولئك الأحزاب﴾ كانوا أكثر منكم وأشد قوة وأكثر أموالاً وأولاداً فما دفع ذلك عنهم من عذاب الله من شيء لما جاء أمر ربك، ولهذا قال عز وجل: ١٤: ﴿إن كل إلا كذب الرسل فحق عقاب﴾ فليحذر المخاطبون من ذلك أشد الخذر ١٥: ﴿وما ينظر هؤلاء إلا صيحة واحدة ما لها من فواق﴾ وهذه الصيحة هي نفخة الفزع [مالها من ترداد ورجوع] ١٦: ﴿وقالوا ربنا مجعل لنا قطناً قبل يوم الحساب﴾ سألوها تعجيل العذاب على وجه الاستهزاء والاستبعاد.

١٧: ﴿أَصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ﴾ على أذاهم [وهذا منسوخ بآية القتال]. ﴿وَأَذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُودَ ذَا الْأَيْدِ﴾ ذا القوة في العلم والعمل. ﴿إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ الأواب: الرجاع إلى الله عز وجل في جميع أموره وشؤونه ١٨: ﴿إِنَّا سَخَرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعِشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ﴾ أنه تعالى سخر الجبال تسبيح معه عند إشراق الشمس وآخر النهار ١٩: ﴿وَالطَّيْرَ مَحْشُورَةً﴾ وكذلك كانت الطيور تسبح بتسبيحه إذا مرت به وهو يترجم بقراءة الزبور، لاستطيع الذهب بل تقف في الهواء وتسبح معه وتحييه الجبال، ﴿كُلُّ لَهْ أَوَّابٌ﴾ مطيع يسبح تبعاً له ٢٠: ﴿وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ﴾ [أي: قويناه حتى ثبت] ﴿وَأَتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ﴾ يعني: الفهم والعقل والعدل والصلوابة، ﴿وَفَصَّلَ الْخُطَابَ﴾ الفصل في الكلام وفي الحكم ٢١: ﴿وَهَلْ أَتَاكَ نَبُؤُا الْخَضَمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ﴾ [أي: أتوه من أعلى سورته ونزلوا عليه] ٢٢: ﴿إِذْ دَخَلُوا عَلَى دَاوُدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ﴾ لأنه لم يشعر إلا بشخصين قد تساوروا عليه المحراب، يسألانه عن شأنهما ﴿فَالُوا لَاتَخَفْ﴾ [أي: أتياه ليلاً ودخلوا عليه بغير إذن] ﴿خَصْمَانِ﴾ [أي: نحن خصمان] [بغى بعضنا على بعض فاحكمم بيننا بالحق ولا تشطط] [أي: لا تجز في حكمك] ﴿وَاهْدِنَا إِلَى سَوَاءِ الصِّرَاطِ﴾ ٢٣: ﴿إِنَّ هَذَا أَيْحَى لَهُ تَسْعُ وَتَسْعُونَ نَجْمَةً﴾ [أي: الضأن] ﴿وَلِي نَجْمَةٌ وَاحِدَةٌ﴾ فقال أكفليتها [أي: ضمها إلي] ﴿وَعَزَّيْنِي فِي

أَصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَأَذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُدَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴿١٧﴾
 إِنَّا سَخَرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعِشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ ﴿١٨﴾ وَالطَّيْرَ
 مَحْشُورَةً كُلُّ لَهْ أَوَّابٌ ﴿١٩﴾ وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَأَتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ
 وَفَصَّلَ الْخُطَابِ ﴿٢٠﴾ وَهَلْ أَتَاكَ نَبُؤُا الْخَضَمِ إِذْ تَسَوَّرُوا
 الْمِحْرَابَ ﴿٢١﴾ إِذْ دَخَلُوا عَلَى دَاوُدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ قَالُوا لَا تَخَفْ
 خَصْمَانِ بَغَى بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ فَأَحْكُم بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ
 وَاهْدِنَا إِلَى سَوَاءِ الصِّرَاطِ ﴿٢٢﴾ إِنَّ هَذَا أَيْحَى لَهُ تَسْعُ وَتَسْعُونَ نَجْمَةً
 وَلِي نَجْمَةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفَلْتَنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخُطَابِ ﴿٢٣﴾ قَالَ
 لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْمِكَ إِلَى نَعَايِهِ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْخُلَطَاءِ لِيَبْغِيَ
 بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ
 مَا هُمْ وَظَنَّ دَاوُدُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ
 ﴿٢٤﴾ فَغَفَرْنَا لَهُ ذَلِكَ وَإِن لَّمْ عُنَدْنَا لَزُلْفَىٰ وَحَسَنَ مَّثَابٍ
 ﴿٢٥﴾ يٰدَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ
 بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ
 عَن سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ يَمَّا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ ﴿٢٦﴾

الخطاب ﴿غلبني﴾ ٢٤: ﴿قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْمِكَ إِلَى نَعَايِهِ﴾ [هنا وقعت المؤاخذه؛ إن أحد الخصمين ادعى والآخر سلم في الدعوى، فوقع بعد ذلك الحكم، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: [إذا جلس إليك الخصمان فلا تقض لأحدهما حتى تسمع من الآخر]، ﴿وإن كثيراً من الخلقاء يبغى بعضهم على بعض إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وقليل ما هم﴾ [هذا اعتراض تذييلي من كلام داود تنمة لما ذكره أولاً. ولم يحك القرآن اعتراف المدعى عليه، لأنه معلوم من الشرائع كلها أنه لا يحكم الحاكم إلا بعد إجابة المدعى عليه]، ﴿وظن داود أنما فتناه﴾ اختبرناه وابتليناه [وظن: معناه أيقن] ﴿فاستغفر ربه وخر راكعاً﴾ ساجداً ﴿وأناب﴾ [أي: رجع إلى ربه بالتوبة من ذنبه] ٢٥: ﴿ففغرنا له ذلك﴾ ما كان منه مما يقال فيه: إن حسنات الأبرار سيئات المقربين. ﴿وإن له عندنا لزلفى﴾ [أي: قرينة بعد الغفرة] ﴿وحسن مآب﴾ [أي: حسن المرجع وهو الجنة] ٢٦: ﴿يا داود إنا جعلناك خليفة في الأرض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله﴾ هذه وصية من الله عز وجل لولاة الأمور أن يحكموا بين الناس بالحق المنزّل من عنده سبحانه ولا يعدلوا عنه فيضلوا عن سبيل الله، ثم توعد تعالى بالعذاب الشديد من ضل عن سبيله فقال: ﴿إن الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب﴾ بما تركوا أن يعملوا ليوم الحساب.

(١) قال الحافظ ابن كثير: قد ذكر المفسرون ها هنا قصة أكثرها مأخوذة من الإسرائيليات [ولذلك لم يخض في الإسرائيليات في تفسير هذه الآيات الواردة في شأن داود عليه السلام كما فعل كثير من المفسرين في روايتهم الأخبار الإسرائيلية في تفسيرهم عند هذه الآيات] ولهذا قال: الأولى أن يقصر على مجرد تلاوة هذه القصة وأن يرد عليها إلى الله عز وجل، فإن القرآن حق ومانع من فهو حق. [ولذا جاء تفسيره لها مقتضباً جداً، وما ذكرناه ضمن هذا [....] فقد نقلناه عن القرطبي والألوسي والشوكاني].

٢٧: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلًا﴾ إِنَّمَا خَلَقَ الْخَلْقَ لِيُعْبَدَهُ وَيُوحَدَهُ، ﴿ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ الَّذِينَ لَا يَرُونَ بَعْنًا وَلَا مَعَادًا، وَإِنَّمَا يَعْتَقِدُونَ هَذِهِ الدَّارَ قَطُّ ﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ﴾ لَهُمُ الْوَيْلُ يَوْمَ مَعَادِهِمْ مِنَ النَّارِ، ثُمَّ بَيَّنَّ تَعَالَى عَدْلَهُ وَأَنَّهُ لَا يُسَاوِي بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْكَافِرِينَ ٢٨: ﴿أَمْ جَعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ جَعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفَجَّارِ؟﴾ لَانْفَعَلَ ذَلِكَ، وَلَا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللَّهِ ٢٩: ﴿كَتَبْنَا أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مَبَارَكًا لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [وَفِي هَذَا دَلِيلٌ عَلَى وَجُوبِ مَعْرِفَةِ مَعَانِي الْقُرْآنِ، وَدَلِيلٌ عَلَى أَنَّ التَّرْتِيلَ أَفْضَلُ مِنَ الْهَدْيِ، أَي: الْقِرَاءَةُ الْمُسْرِعَةُ، وَأُولُو الْأَلْبَابِ: ذُرُوءُ الْعُقُولِ ٣٠: ﴿وَوَهَبْنَا لِدَاوُدَ سُلَيْمَانَ نِعْمَ الْعَبْدُ﴾ يُخْبِرُ تَعَالَى أَنَّهُ وَهَبَ لِدَاوُدَ سُلَيْمَانَ نَبِيًّا، ﴿نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ نِشَاءً مِنَ اللَّهِ عَلَى سُلَيْمَانَ بِأَنَّهُ كَثِيرُ الْعِبَادَةِ وَالطَّاعَةِ وَالْإِنَابَةِ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ٣١: ﴿إِذْ غُرِضَ عَلَيْهِ بِالْعَاشِيِّ الصَّافِيَاتِ الْجُمُودِ﴾ غُرِضَتْ عَلَيْهِ فِي حَالِ سُلْطَانِهِ الْخَيْلِ الصَّافِيَاتِ، أَي: ذَاتِ أَحْنَجَةٍ، وَالْجُمُودِ: أَي: السَّرْعِ، رَوَى أَبُو دَاوُدَ: قَالَتْ عَائِشَةُ: (أَمَّا سَمِعْتُ أَنَّ سُلَيْمَانَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ كَانَتْ لَهُ خَيْلٌ لَهَا أَحْنَجَةٌ؟ فَضَحِكَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ حَتَّى رَأَيْتُ نَوَاجِذَهُ) ٣٢: ﴿فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّي حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ﴾ إِنَّهُ اشْتَغَلَ بِعَرْضِهَا حَتَّى فَاتَ وَقْتُ صَلَاةِ الْعَصْرِ، كَمَا شَغَلَ النَّبِيَّ صَلَّى

وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلًا ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ ﴿٢٧﴾ أَمْ جَعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ جَعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفَجَّارِ ﴿٢٨﴾ كَتَبْنَا أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مَبَارَكًا لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٢٩﴾ وَوَهَبْنَا لِدَاوُدَ سُلَيْمَانَ نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴿٣٠﴾ إِذْ غُرِضَ عَلَيْهِ بِالْعَاشِيِّ الصَّافِيَاتِ الْجُمُودِ ﴿٣١﴾ فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّي حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ ﴿٣٢﴾ رُدُّوهَا عَلَيَّ فَطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ ﴿٣٣﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَالْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ ﴿٣٤﴾ قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ﴿٣٥﴾ فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ ﴿٣٦﴾ وَالشَّيْطَانَ كُلَّ بِنَاءٍ وَعَوَاصٍ ﴿٣٧﴾ وَآخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ ﴿٣٨﴾ هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٩﴾ وَإِنْ لَهُ عِنْدَنَا لَزُقْفَى وَحَسَنٌ مَثَابٌ ﴿٤٠﴾ وَأَذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ وَآتَى مَسْنَى الشَّيْطَانِ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ ﴿٤١﴾ أَرْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ ﴿٤٢﴾

اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ الْخندقِ عَنِ صَلَاةِ الْعَصْرِ حَتَّى صَلَّاهَا بَعْدَ الْغُرُوبِ، كَمَا ثَبَتَ ذَلِكَ فِي الصَّحِيحَيْنِ ٣٣: ﴿رُدُّوهَا عَلَيَّ فَطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ﴾ فَجَعَلَ يَمْسَحُ أَعْرَافَ الْخَيْلِ وَعَرَاقِيهَا حُبًّا لَهَا، ٣٤: ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ﴾ اخْتَبَرْنَاهُ وَابْتَلَيْنَاهُ، [وَذَلِكَ مَا جَاءَ فِي الصَّحِيحَيْنِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: (قَالَ سُلَيْمَانُ: لِأَطْوَفِ اللَّيْلَةِ عَلَى تِسْعِينَ امْرَأَةً [أَيِ زَوَاجَاتِهِ] كُلُّهُنَّ تَأْتِي بِفَارِسٍ يَجَاهِدُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَرَسَانًا أَجْمَعُونَ)] ﴿وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَدًا﴾ (وَهُوَ ذَلِكَ الْوَحْدَةُ، جَاءَتْ بِشَقِّ رَجُلٍ [أَيِ مَوْلُودٍ نَاقِصٍ] وَائْتِمَ اللَّهُ لِقَوْلِهِ: إِنَّ شَاءَ اللَّهُ لَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَرَسَانًا أَجْمَعُونَ)] ﴿وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَدًا﴾ (وَهُوَ ذَلِكَ الَّذِي وَلَدَتْهُ زَوْجَتُهُ) ﴿ثُمَّ أَنَابَ﴾ رَجَعَ إِلَى اللَّهِ وَتَوَّابٌ [وَقَدْ ذَكَرَ ابْنُ كَثِيرٍ مَا ذَكَرَهُ الْمَفْسُورُونَ مِنْ حِكَايَاتِ سَلْبِ مَلِكِهِ ثُمَّ رَجُوعِهِ إِلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: فِي هَذَا السِّيَاقِ مَنكَرَاتٍ، فَلَمْ يَرْضَ بِتِلْكَ الْأَخْبَارِ] ٣٥: ﴿قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾ أَي: لَا يَصِلُحُ لِأَحَدٍ أَنْ يَسْلُبِيَنِيهِ بَعْدِي، وَأَنْ لَا يَكُونُ لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ مِنَ الْبَشَرِ مِثْلُهُ ٣٦: ﴿فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ﴾ [رُخَاءً: لَيَسَةً مَعَ قُوَّتِهَا وَشِدَّتِهَا، يُسَيِّرُهَا حَيْثُ أَرَادَ] ٣٧: ﴿وَالشَّيْطَانِينَ كُلَّ بِنَاءٍ﴾ بَيْنِي الْأَنْبِيَاءِ الْهَامِلَةِ الَّتِي لَا يَقْدِرُ عَلَيْهَا الْبَشَرُ ﴿وَعَوَاصٍ﴾ فِي الْبِحَارِ يَسْتَخْرِجُونَ مَا فِيهَا مِنَ اللَّائِي وَالْجُواهرِ ٣٨: ﴿وَآخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ﴾ مَوْتَقُونَ فِي الْأَغْلَالِ مِمَّنْ قَدِ تَمَرَّدَ وَعَصَى ٣٩: ﴿هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ هَذَا الْمَلِكُ وَالسُّلْطَانُ التَّامُ كَمَا سَأَلْتُنَا، فَاعْطِ مَنْ شِئْتَ وَاحْرَمِ مَنْ شِئْتَ لِاحْسَابِ عَلَيْكَ ٤٠: ﴿وَإِنْ لَهُ عِنْدَنَا لَزُقْفَى وَحَسَنٌ مَثَابٌ﴾ لَهُ النُّبُوَّةُ مَعَ الْمَلِكِ فِي الدُّنْيَا [وَفِي الْآخِرَةِ قَرِيبَةٌ وَحَسَنٌ مَرَجِعٌ] ٤١: ﴿وَأَذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسْنِي الشَّيْطَانَ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ﴾ أَي: مَا يَلْحَقُهُ مِنْ وَسْوَستِهِ لِأَغْرِبِهَا فِي أَصَابِهِ فِي بَدَنِهِ مِنَ الْبَلَاءِ ٤٢: ﴿أَرْكُضْ بِرِجْلِكَ﴾ اضْرِبْ الْأَرْضَ فَعْمَلُ فَعْمَلِ اللَّهِ لَهُ عَيْنًا ﴿هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ﴾ فَأَذْهَبَتْ مَا كَانَ بِهِ مِنَ السُّوءِ، وَتَكَامَلَتْ لَهُ الْعَافِيَةُ.

٤٣: ﴿وَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِّنَّا﴾ أحياناً الله تعالى له أولاده بأعيانهم وزادهم مثلهم معهم، رحمة به على صبره وثباته وإنابته وتواضعه واستكاثته ﴿وَذَكَرَى لِأُولَى الْأَبْوَابِ﴾ لذوي العقول ليعلموا أن عاقبة الصبر الفرج والخروج والراحة ٤٤: ﴿وَأَخَذَ يَدُكَ ضِعْفًا فَاضْرِبْ بِهِ وَلَا تَحْنَثْ﴾ وذلك أنه عليه السلام كان قد غضب على زوجته فحلف إن شفاه الله لضربتها مائة جلدة، فأفاته الله عز وجل أن يأخذ الشمراخ وفيه مائة قضيب فيضربها به ضربة واحدة، فيخرج من حثبه وقد وفى بنذره، وهذا الفرج لمن اتقى الله، ولهذا قال تعالى: ﴿إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ رجاء مئيب، أنى الله عليه ومدحه ٤٥: ﴿وَأَذْكُرْ عِبَادَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولَى الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ﴾ أصحاب العمل الصالح والعلم النافع والقوة في العبادة والبصيرة النافذة في الدين ٤٦: ﴿إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ ذَكَرْنَا الدَّارِ الْجَنَّةَ﴾ جعلناهم يعملون للآخرة ليس لهم هم غيرها ٤٧: ﴿وَأَنَّهُمْ عِندَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفِينَ الْأَخْيَارِ﴾ لئمن المختارين المجتبين الأخيار ٤٨: ﴿وَأَذْكُرْ إِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَذَا الْكِفْلِ سَورَةَ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ﴾ لقد تقدمت قصصهم في سورة الأنبياء عليهم السلام بما أغنى عن إعادته ٤٩: ﴿هَذَا ذِكْرٌ﴾ يعني القرآن العظيم، ﴿وَأَنَّ لِلْمُتَّقِينَ لِحُسْنِ مَآبٍ﴾ لهم في الآخرة حسن المرجع، ثم فسره تعالى بقوله: ٥٠: ﴿جَنَّاتٍ عِدْنٍ مَّفْتُوحَةٍ لَهُمْ

وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِّنَّا وَذَكَرَى لِأُولَى الْأَبْوَابِ ﴿٤٣﴾ وَأَخَذَ يَدُكَ ضِعْفًا فَاضْرِبْ بِهِ وَلَا تَحْنَثْ إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴿٤٤﴾ وَأَذْكُرْ عِبَادَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولَى الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ ﴿٤٥﴾ إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ ذَكَرْنَا الدَّارِ الْجَنَّةَ ﴿٤٦﴾ وَأَنَّهُمْ عِندَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفِينَ الْأَخْيَارِ ﴿٤٧﴾ وَأَذْكُرْ إِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَذَا الْكِفْلِ وَكُلٌّ مِنَ الْأَخْيَارِ ﴿٤٨﴾ هَذَا ذِكْرٌ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لِحُسْنِ مَآبٍ ﴿٤٩﴾ جَنَّاتٍ عِدْنٍ مَّفْتُوحَةٍ لَهُمْ الْأَبْوَابِ ﴿٥٠﴾ مُتَّكِنِينَ فِيهَا يُدْعَوْنَ فِيهَا بِفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ ﴿٥١﴾ وَعِنْدَهُمْ قَصْرَاتُ الْطَّرْفِ أُنْرَابٍ ﴿٥٢﴾ هَذَا مَا تُوَعَّدُونَ لِيَوْمِ الْحِسَابِ ﴿٥٣﴾ إِنَّ هَذَا لِرِزْقِنَا مَا لَهُ مِنْ نَفَادٍ ﴿٥٤﴾ هَذَا وَإِلَى اللَّطَّافِينَ لَشَرِّ مَآبٍ ﴿٥٥﴾ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا فَيَنسِفُ اللَّهُ إِلَيْهَا هَذَا فَلْيَذُقُوهُ فَوْهٌ حَمِيمٌ وَعَسَاقٌ ﴿٥٦﴾ وَآخَرٌ مِنْ شَكْلِهِ أَزْوَاجٌ ﴿٥٨﴾ هَذَا فَوْجٌ مُّقْتَحِمٌ مَعَكُمْ لَا مَرَجَ لَبِئْسَ مَا صَالُوا النَّارِ ﴿٥٩﴾ قَالُوا بَلْ أَنْتُمْ لَمُرْجَبُونَ أَنْتُمْ قَدَّمْتُمُوهُ لَنَا فَيَنسِفُ الْفَرَارِ ﴿٦٠﴾ قَالُوا رَبَّنَا مَنْ قَدَّمَ لَنَا هَذَا فَرَدَّهُ عَلَانًا ضِعْفًا فِي النَّارِ ﴿٦١﴾

الأبواب﴾ إذا جاؤوها فتحت لهم أبوابها ٥١: ﴿مُتَّكِنِينَ فِيهَا﴾ على سرر ﴿يُدْعَوْنَ فِيهَا بِفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ﴾ مهما طلبوا وجدوا، وأخضر كما أرادوا ﴿وشراب﴾ من أي أنواعه شاؤوا أتهم به الخدام ٥٢: ﴿وعندهم قاصرات الطرف أُنْرَابٍ﴾ فلا يلتفتن إلى غير بولتهن، ومتساويات في السن ٥٣: ﴿هذا ما توعدون ليوم الحساب﴾ هذا الذي ذكرنا من صفة الجنة هي التي وعدها سبحانه للمتقين التي يصيرون إليها بعد نشورهم ٥٤: ﴿إن هذا لريقنا ما له من نفاذ﴾ كقوله تعالى: ﴿أكلها دائم وظلها تلك عقبى الذين اتقوا﴾ ٥٥: ﴿هذا وإن للطاغين لشر مآب﴾ للخارجين عن طاعة الله سوء المنقلب والمرجع ٥٥: ﴿جهنم يصلونها﴾ يدخلونها ﴿فيس المهاد﴾ [يس ماهدوا لأنفسهم] ٥٧: ﴿هذا فليذوقوه حميم﴾ حار قد انتهى حره ﴿وعساق﴾ بارد لا يستطيع من شدة برده المولم، ولهذا قال عز وجل: ٥٨: ﴿وآخر من شكله أزواج﴾ وأشياء من هذا القبيل؛ الشيء وضده يعاقبون بها، وألوان من العذاب ٥٩: ﴿هذا فوج مقتحم﴾ داخل ﴿معكم لامرجأ بهم إنهم صالوا النار﴾ لأنهم من أهل جهنم، هذا قول الطائفة التي تدخل قبل الأخرى إذا أقبلت التي بعدها مع الزبانية، فيقول لهم الداخلون: ﴿بل أنتم لامرجأ بكم﴾ ٦٠: ﴿قالوا بل أنتم لامرجأ بكم أنتم قدّمتموه لنا﴾ أنتم الذين دعوتونا إلى ما أضى بنا إلى هذا المصير ﴿فيس القرار﴾ المنزل والمستقر ٦١: ﴿قالوا﴾ [يعني الأباغ] ﴿ربنا من قدّم لنا هذا فرده علينا ضعفاً في النار﴾ كما قال تعالى: ﴿قالت أحرأهم لأولأهم ربنا هولاء أضلونا فاتهم عذاباً ضعفاً من النار﴾

٦٢: ﴿وَقَالُوا مَا لَنَا لَنَرِي رَجُلًا كُنَّا نَعُدُّهُم
 مِنَ الْأَشْرَارِ؟ إِنَّ الْكُفَّارَ يَفْتَقِدُونَ رَجُلًا
 كَانُوا يَعْتَقِدُونَ أَنَّهُمْ عَلَى الضَّلَالَةِ وَهُمْ
 الْمُؤْمِنُونَ فِي زَعْمِهِمْ، قَالُوا: مَا لَنَا لَنَرَاهُمْ مَعَنَا
 فِي النَّارِ؟ ٦٣: ﴿اتَّخَذْنَاهُمْ سِخْرِيًّا﴾ فِي
 الدَّارِ الدُّنْيَا ﴿أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمْ الْأَبْصَارُ؟
 يُسْأَلُونَ أَنفُسَهُمْ بِالْحَالِ؛ أَمْ لَعَلَّهُمْ مَعَنَا فِي
 جَهَنَّمَ وَلَكِنْ لَمْ يَقِعْ بَصَرُنَا عَلَيْهِمْ ٦٤: ﴿إِنَّ
 ذَلِكَ لِحَقٌّ﴾ هَذَا الَّذِي أَحْبَبْنَاكَ بِهِ يَا مُحَمَّد
 ﴿تَخَاصُمُ أَهْلِ النَّارِ﴾ لِأَمْرِيَّةٍ فِيهِ وَلَا شَكَّ
 ٦٥: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا مُنذِرٌ﴾ [خَوْفٌ عِقَابِ
 اللَّهِ لِمَنْ عَصَاهُ] ﴿وَمَنْ إِلَهُ﴾ [مَعْبُودٍ] ﴿إِلَّا
 اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ الَّذِي قَدْ فَهَرَ كُلَّ شَيْءٍ
 وَغَلِبَهُ ٦٦: ﴿رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ
 وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ هُوَ مَالِكٌ جَمِيعِ ذَلِكَ وَمَتَّصِفٌ
 فِيهِ ﴿الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ﴾ غَفَّارٌ مَعَ عَظَمَتِهِ وَعِزَّتِهِ
 ٦٧: ﴿قُلْ هُوَ نَبَأٌ عَظِيمٌ﴾ إِرْسَالِ اللَّهِ تَعَالَى
 إِبْرَائِيْمَ الْبِكَمِ، خَيْرٌ عَظِيمٌ وَشَأْنٌ بَلِغٌ ٦٨:
 ﴿أَنْتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ﴾ غَافِلُونَ ٦٩:
 ﴿مَا كَانَ لِي مِنْ عِلْمٍ بِالْمَلَأِ الْأَعْلَى إِذْ
 يَخْتَصِمُونَ﴾ لَوْلَا الْوَحْيُ مِنْ أَيْنَ كُنْتُ أَدْرِي
 بِاخْتِلَافِ الْمَلَأِ الْأَعْلَى؟ يَعْنِي فِي شَأْنِ آدَمَ عَلَيْهِ
 السَّلَامُ وَامْتِنَاعِ إِبْلِيسَ مِنَ السُّجُودِ لَهُ،
 وَمُحَاجَّجَتِهِ رَبَّهُ فِي تَفْضُلِهِ عَلَيْهِ ٧٠: ﴿إِنَّ
 يُوْحَىٰ إِلَيَّ إِلَّا أَنْمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ ٧١: ﴿إِذْ
 قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَأِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ
 طِينٍ﴾ أَعْلَمَ اللَّهُ الْمَلَأِكَةَ قَبْلَ خَلْقِ آدَمَ عَلَيْهِ
 الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، بِأَنَّهُ سَيَخْلُقُ بَشَرًا مِنْ
 صَلْصَالٍ مِنْ حَمَأٍ مَسْنُونٍ، وَتَقَدَّمَ إِلَيْهِمْ

وَقَالُوا مَا لَنَا لَنَرِي رَجُلًا كُنَّا نَعُدُّهُم مِنَ الْأَشْرَارِ ﴿٦٢﴾ اتَّخَذْنَاهُمْ
 سِخْرِيًّا أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمْ الْأَبْصَارُ ﴿٦٣﴾ إِنَّ ذَلِكَ لِحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ
 النَّارِ ﴿٦٤﴾ قُلْ إِنَّمَا أَنَا مُنذِرٌ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴿٦٥﴾
 رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ ﴿٦٦﴾ قُلْ هُوَ نَبَأٌ
 عَظِيمٌ ﴿٦٧﴾ أَنْتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ ﴿٦٨﴾ مَا كَانَ لِي مِنْ عِلْمٍ بِالْمَلَأِ الْأَعْلَى
 إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴿٦٩﴾ إِنَّ يُوْحَىٰ إِلَيَّ إِلَّا أَنْمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٧٠﴾ إِذْ قَالَ رَبُّكَ
 لِلْمَلَأِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ طِينٍ ﴿٧١﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ
 مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ﴿٧٢﴾ فَسَجَدَ الْمَلَأِكَةُ كُلُّهُمْ
 أَجْمَعُونَ ﴿٧٣﴾ إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿٧٤﴾ قَالَ
 يَا بَلِيسَ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِإِيْدِي اسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ
 مِنَ الْعَالِينَ ﴿٧٥﴾ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ
 ﴿٧٦﴾ قَالَ فَأَخْرِجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴿٧٧﴾ وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَى يَوْمِ
 الدِّينِ ﴿٧٨﴾ قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٧٩﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ
 الْمُنظَرِينَ ﴿٨٠﴾ إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ ﴿٨١﴾ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ
 لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ﴿٨٣﴾

بِالْأَمْرِ ٧٢: ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾ إِكْرَامًا وَإِعْظَامًا وَاحْتِرَامًا، وَامْتِنَالًا لِأَمْرِ اللَّهِ ٧٣: ﴿فَسَجَدَ الْمَلَأِكَةُ كُلُّهُمْ
 أَجْمَعُونَ﴾ [لَمْ يَتَخَلَّفْ أَحَدٌ مِنْهُمْ عَنْ ذَلِكَ] ٧٤: ﴿إِلَّا إِبْلِيسَ﴾ سِوَى إِبْلِيسَ، وَلَمْ يَكُنْ مِنْهُمْ جِنْسًا، كَانَ مِنَ الْجِنِّ ﴿اسْتَكْبَرَ﴾ عَنِ السُّجُودِ
 لِآدَمَ ﴿وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ وَقَدْ خَاصَمَ رَبَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِيهِ ٧٥: ﴿قَالَ يَا بَلِيسَ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِإِيْدِي اسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ
 الْعَالِينَ؟!﴾ [اسْتَكْبَرْتَ عَنِ السُّجُودِ، أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ عَلِيًّا؟] ٧٦: ﴿قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾ [فَضَّلَ النَّارَ عَلَى
 الطِّينِ، وَهَذَا جَهْلٌ مِنْهُ] ٧٧: ﴿قَالَ فَأَخْرِجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ﴾ أَبْعَدَهُ اللَّهُ وَطَرَدَهُ عَنْ بَابِ رَحْمَتِهِ وَحَضْرَةِ قُدْسِيهِ، ﴿فَإِنَّكَ رَجِيمٌ﴾ [مَرْجُومٌ
 بِالْكَوَاكِبِ وَالشَّهْبِ] وَسَمَّاهُ إِبْلِيسَ إِعْلَامًا لَهُ بِأَنَّهُ قَدْ أَبْلِسَ مِنَ الرَّحْمَةِ ٧٨: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَى يَوْمِ الدِّينِ﴾ وَأَنْزَلَهُ مِنَ السَّمَاءِ مَذْمُومًا مَدْحُورًا
 إِلَى الْأَرْضِ، فَسَأَلَ النَّظْرَةَ إِلَى يَوْمِ الْبَعْثِ ٧٩: ﴿قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ ٨٠: ﴿قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ﴾ فَأَنْظَرَهُ الْحَلِيمَ الَّذِي
 لَا يَعْجَلُ عَلَى مَنْ عَصَاهُ [بِالتَّعْوِيقِ وَالْإِنْتِقَامِ] ٨١: ﴿إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ﴾ فَلَمَّا أَمِنَ مِنَ الْهَلَاكِ إِلَى الْقِيَامَةِ تَمَرَّدَ وَطَغَى ٨٢: ﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ
 لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [بِتَرْزِيهِ الشُّهَاتِ وَإِدْخَالِ الشُّبُهَةِ عَلَيْهِمْ، وَالْإِغْوَاءَ: الِاسْتِدْعَاءَ بِتَغْيِيرِ] ٨٣: ﴿إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ﴾ [الَّذِينَ أَخْلَصْتَهُمْ
 لِعِبَادَتِكَ، وَعَصَمْتَهُمْ مِنِّي] كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا﴾.

٨٤: ﴿قَالَ فَالْحَقُّ وَالْحَقُّ أَقُولُ﴾ أنا الحقُّ، وأقول الحقُّ ٨٥: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ﴾ كقوله عز وجل: ﴿وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ كقوله عز وجل: ﴿قَالَ يَا أُولَاءِ الْمَشْرِكِينَ﴾ يا محمد أخرجكم جزاء مؤفورا ٨٦: ﴿قَالَ﴾ يا محمد لؤلؤ المشركين: ﴿مَا سَأَلْتُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ﴾ على هذا البلاغ وهذا التصحیح ﴿وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ﴾ لأزيد على ما أرسلني به ولأنقص منه ٨٧: ﴿إِن هُوَ﴾ يعني القرآن ﴿إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ﴾ لجميع المكلفين من الإنس والجن ٨٨: ﴿وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ﴾ لتعلمن خبره وصدقه عن قريب؛ أي: عند الموت يأتيكم الخبر اليقين.

قَالَ فَالْحَقُّ وَالْحَقُّ أَقُولُ ﴿٨٥﴾ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٥﴾ قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ ﴿٨٦﴾ إِنَّ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ﴿٨٧﴾ وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ ﴿٨٨﴾

سُورَةُ الزُّمَرِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴿١﴾ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ ﴿٢﴾ أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ ﴿٣﴾ لَوْ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا لَأَصْطَفَىٰ مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ سُبْحَانَهُ هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴿٤﴾ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۗ أَلَا هُوَ الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ ﴿٥﴾

تفسير سورة الزمر
١: ﴿تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم﴾ يُخبر تعالى أن تنزيل هذا القرآن العظيم من عنده تعالى؛ فهو الحق الذي لا مرية فيه ولا شك، كما قال تعالى: ﴿وإنه لتنزيل من رب العالمين﴾ نزل به الروح الأمين. على قلبك لتكون من المنذرين ٢: ﴿إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق فأعبد الله مخلصاً له الدين﴾ فاعبد الله وحده لا شريك له، وأذع الخلق إلى ذلك، وأعلمهم أنه لا تصلح العبادة إلا له سبحانه ولهذا قال تعالى: ٣: ﴿ألا الله الدين الخالص﴾ لا يقبل من العمل إلا ما أخلص فيه العابد لله وحده لا شريك له. ﴿الدين الخالص﴾: شهادة أن لا إله إلا الله. ثم أخبر تعالى عن عبادة الأصنام من المشركين فقال: ﴿والذين اتخذوا من دونه أولياء

ما نعبدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ﴾ ليشفعوا لنا ويقربونا عنده منزلة ولهذا كانوا يقولون في جهنم: لبيك لا شريك لك إلا شريكاً هو لك تملكه وما ملك، وهذه الشبهة هي التي اعتمدها المشركون في قديم الدهر وحديثه، وجاءتهم الرسل بردها والنهي عنها، والدعوة إلى إفراد الله بعبادته وحده لا شريك له. ﴿إن الله يحكم بينهم﴾ يوم القيامة ﴿فيا هم فيه يختلفون﴾ سيفصل بين الخلائق يوم معادهم ويجزي كل عامل بعمله، ﴿إن الله لا يهدي من هو كاذب كفار﴾ لا يرشد إلى الهداية من قصده الكذب والإتراء على الله، وقلبه كافر بآياته. ثم بين تعالى أنه لا ولد له كما يزعمه جهلة المشركين في الملائكة، والمعاندون من اليهود في العزيز، والنصارى في عيسى فقال تعالى: ٤: ﴿لو أراد الله أن يتخذ ولداً لأصطفى مما يخلق ما يشاء﴾ لكان الأمر على خلاف ما تزعمون؛ علق الشرط على المستحيل لمقصد التكميم، ولهذا قال تعالى: ﴿سبحانه هو الله الواحد القهار﴾ تنزه وتقدس على أن يكون له ولد، فإنه الواحد الأحد الفرد الصمد ٥: ﴿خلق السماوات والأرض بالحق﴾ أي: هو القادر على الكمال المستغني عن الصاحبة والولد ﴿يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل﴾ سخرها بجزئان متعاقبان ﴿وسخر الشمس والقمر كلٌّ يجري لأجلٍ مُّسمى﴾ إلى يوم القيامة، ﴿ألا هو العزيز الغفار﴾ هو مع عظمته غفار لمن عصاه ثم تاب وأناب إليه.

لم يكن من جنس الملائكة، فاستنكف عن السجود لآدم فلعم الله وطرده عن باب رحمته، وكان من تمرده وعوته ما ذكر الله عنه في هذه الآيات وغيرها من العصيان والكفر.

ابن كثير - يتصرف ج ٤/٤٣

الآية: ٣ روى ابن ماجه والحاكم وصححه عن أنس بن مالك، عن رسول الله ﷺ قال: من فارق الدنيا على الإخلاص لله وحده لا شريك له، وأقام الصلاة، وآتى الزكاة فارقها والله عنه راضٍ. الترغيب ج ١/٥٣

٦: ﴿خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ خلقكم مع اختلاف أجناسكم وأصنافكم من نفس واحدة، وهو آدم عليه الصلاة والسلام، جعل منها زوجها، وهي حواء عليها السلام، ﴿وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ الْأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ﴾ وخلق لكم من ظهور الأنعام ثمانية أزواج، وهي المذكورة في سورة الأنعام؛ من الضأن اثنين ومن المعز اثنين ومن الإبل اثنين ومن البقر اثنين [أي: ذكر وأُنثى من كل نوع]، ﴿يَخْلُقْكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ﴾ تدرم في بطون أمهاتكم ﴿خَلْقًا مِنْ بَعْدِ خَلْقٍ﴾ يكون نطفة ثم علقة ثم مضغة، ثم يخلق فيكون لحماً وعظماً وعصباً، ويفخ فيه الروح فيصير خلقاً آخر، ﴿فِي ظِلْمَاتٍ ثَلَاثٍ﴾ في ظلمة الرحم، وظلمة المشيمة التي هي كالغشاوة والوقاية على الولد، وظلمة البطن، ﴿ذَلِكَمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ﴾ الذي خلق السماوات والأرض وخلقكم وآباءكم هو الربُّ ﴿لَهُ الْمُلْكُ﴾ والتصرف في جميع ذلك ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ الذي لا تنبغي العبادة إلا له وحده ﴿فَأَنى تُصْرَفُونَ﴾؟ فكيف تعبدون معه غيره؟ ٧: ﴿إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنْكُمْ﴾ يخبر تعالى عن نفسه أنه الغني عما سواه من المخلوقات ﴿وَلَا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ﴾ لا يحبُّه ولا يأمر به ﴿وَأَنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ﴾ يحبُّه لكم ويزدكم من فضله، ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾ لا تحمل نفس شيئاً بل كلُّ مُطالِبٍ بأمر نفسه ﴿ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾

الجنات
٦٤

خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنْ الْأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ يَخْلُقْكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِنْ بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلْمَاتٍ ثَلَاثٍ ذَلِكَمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنى تُصْرَفُونَ ﴿٦﴾ إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنْكُمْ وَلَا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٧﴾ وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا حَوَّلَهُ نِعْمَةً مِنْهُ نَسَى مَا كَانَ يَدْعُو إِلَيْهِ مِنْ قَبْلٍ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَنْدَادًا لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِهِ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ ﴿٨﴾ أَمْنَ هُوَ قَائِمٌ آتَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةً مِنْ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٩﴾ قُلْ يَعْبَادِ الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْفُسَكُمْ رَبُّكُمْ لَلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿١٠﴾

فلا تخفى عليه خافية ﴿إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ ٨: ﴿وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ﴾ عند الحاجة يتضرع ويستغيث بالله وحده لا شريك له، كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلُّوا مِنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِلَهًا فَلَمَّا تَجَمَّكُمُ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ الْإِنْسَانُ كُفُورًا﴾ ولهذا قال تعالى: ﴿ثُمَّ إِذَا حَوَّلَهُ نِعْمَةً مِنْهُ نَسَى مَا كَانَ يَدْعُو إِلَيْهِ مِنْ قَبْلٍ﴾ في حال الرفاهية ينسى ذلك الدعاء والتضرع، ﴿وَجَعَلَ لِلَّهِ أَنْدَادًا لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِهِ﴾ في حال العافية يشرك بالله ويجعل له أنداداً، ﴿قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ﴾ هذا تهديدٌ شديدٌ ووعيدٌ أكيد لمن تلك حاله وطريقته ٩: ﴿أَمْنَ هُوَ قَائِمٌ آتَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةً مِنْ رَبِّهِ﴾؟ أَمْنَ صفته كمن أشرك بالله وجعل له أنداداً؟ لا يستترون عند الله، ﴿يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةً مِنْ رَبِّهِ﴾ في حال عبادته خائفٌ راجح، ولا يبدئ في العبادة من هذا وهذا. ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾؟ هل يستوي هذا والذي قبله ومن جعل لله أنداداً ليضلَّ عن سبيله؟ ﴿إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ إنما يعلم الفرق بين هذا وهذا من له لب، وهو العقل ١٠: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْفُسَكُمْ رَبُّكُمْ﴾ يأمر تعالى عباده المؤمنين بالاستمرار على طاعته وتقواه، ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ﴾ لمن أحسن العمل في هذه الدنيا حسنة في دنياهم وأجراهم، ﴿وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ﴾ فهاجروا وجهادوا واعتزلوا الأوثان، وإذا دُعيتُم إلى المعاصي فاهربوا، ﴿إِنَّمَا يُوفَى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ في الجنة، بغير وزن ولا مكيال؛ [الصابرون على طاعة الله وترك معاصيه].

الآية: ٩ روى عبد بن حميد في مسنده عن أنس قال: دخل رسول الله ﷺ على رجل وهو في الموت، فقال له: «كيف تجدك؟» فقال: «أرجو وأخاف [أي أرجو الله وأخاف ذنوبي] فقال رسول الله ﷺ: «والجنتعنا في قلب عبد في مثل هذا الموضع إلا أعطاه الله عز وجل الذي يرجو وأمنته الذي يخافه». رواه الترمذي والنسائي وابن ماجه. / ابن كثير ج ٤٧/ ٤٧

قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ ﴿١١﴾ وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ
 أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٢﴾ قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ
 ﴿١٣﴾ قُلْ اللَّهُ أَعْبُدْ مُخْلِصًا لَهُ دِينِي ﴿١٤﴾ فَأَعْبُدُوا مَا شِئْتُمْ مِنْ دُونِهِ
 قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا
 ذَلِكَ هُوَ الْخَسِرَانُ الْمُئِمِّنُونَ ﴿١٥﴾ لَهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِنَ النَّارِ
 وَمِنْ تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ذَلِكَ يُخَوِّفُ اللَّهَ بِهِ عِبَادَهُ لِيُعَابَدُوا فَاتَّقُوا اللَّهَ
 وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَنْ يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَى
 فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ
 أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمْ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمُ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿١٨﴾
 أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْعَذَابِ أَفَأَنْتَ تُنقِذُ مَنْ فِي النَّارِ ﴿١٩﴾
 لَكِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ عُرفٌ مِّنْ فَوْقِهَا عُرفٌ مَّبْنِيَةٌ تَجْرِى
 مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَعَدَّ اللَّهُ لَا يَخْلِفُ اللَّهُ الْمِيعَادَ ﴿٢٠﴾ أَلَمْ تَرَ
 أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنْبِيعٌ فِي الْأَرْضِ ثُمَّ
 يُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ
 يَجْعَلُهُ حُطَامًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿٢١﴾

٤٦٠

١١: ﴿قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ﴾
 وحده لا شريك له ١٢: ﴿وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ﴾ يعني: من أمته صلى
 الله عليه وآله وسلم ١٣: ﴿قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ وهو يوم
 القيامة، وهذا شرط ومعناه التعريض بغيره
 بطريق الأولى والأحرى ١٤: ﴿قُلْ اللَّهُ أَعْبُدْ
 مُخْلِصًا لَهُ دِينِي﴾ [أي: طاعتي وعبادتي
 خالصة لله] ١٥: ﴿فَاعْبُدُوا مَا شِئْتُمْ مِنْ
 دُونِهِ﴾ هذا تهديد وتبرؤ منهم، ﴿قُلْ إِنَّ
 الْخَاسِرِينَ﴾ كل الخسران ﴿الذين خسروا
 أنفسهم وأهليهم يوم القيامة﴾ تفارقوا فلا
 التقاء لهم أبداً، وسواء ذهب أهلهم إلى
 الجنة، أو ذهبوا إلى النار، والجميع وإن سكنوا
 النار فلا اجتماع لهم ولا سرور، ﴿أَلَا ذَلِكَ هُوَ
 الْخَسِرَانُ الْمُئِمِّنُونَ﴾ البين الظاهر، ثم وصف
 حالهم في النار فقال تعالى: ١٦: ﴿لَهُمْ مِنْ
 فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِنَ النَّارِ وَمِنْ تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ﴾ كما
 قال تعالى: ﴿لَهُمْ مِنْ جَهَنَّمَ مِهَادٌ. وَمِنْ فَوْقِهِمْ
 غَوَاشٌ وَكَذَلِكَ نُجَزِي الظَّالِمِينَ﴾، ﴿ذَلِكَ
 يُخَوِّفُ اللَّهَ بِهِ عِبَادَهُ يَاعِبَادُ فَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ [أي:
 يا أوليائي فخافوني] واخلشوا بأسى وسطوتي
 ١٧: ﴿وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَنْ
 يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ﴾ نزلت فيمن اجتنب
 عبادة الأوثان وأناب إلى عبادة الرحمن،
 فهؤلاء ﴿لَهُمُ الْبُشْرَى﴾ [أي: الجنة]
 ﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ﴾ ١٨: ﴿الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ
 الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ﴾ يفهمونه ويعملون

بما فيه ﴿وأولئك الذين هداهم الله﴾ المتصفون بهذه الصفة هم الذين هداهم الله في الدنيا والآخرة ﴿وأولئك هم أولوا الأبواب﴾ ذُوو الْعُقُولِ
 الصحيحة والفطر السليمة. ١٩: ﴿أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْعَذَابِ﴾ أفمن كسب الله أنه شقي ﴿أَفَأَنْتَ تُنقِذُ مَنْ فِي النَّارِ﴾ تقرر أن تنقذه مما
 هو فيه من الضلال والهلاك؟ أي: لا يهديه أحد من بعد الله؛ لأنه من يضلله الله فلا هادي له، ومن يهده فلا مضل له. ثم أخبر تعالى عن عباده
 السعداء أن لهم عُرفاً في الجنة فقال تعالى: ٢٠: ﴿لَكِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ عُرفٌ مِّنْ فَوْقِهَا عُرفٌ مَّبْنِيَةٌ تَجْرِى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ لهم طباق
 فوق طباق مبنيات محكمات مزخرفات عاليات، تسلك الأنهار بين خلال ذلك كما يشاؤون وأين أرادوا، ﴿وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِي ذَكَرْنَاهُ وَعَدَّ
 وَعَدَّ اللَّهُ عِبَادَهُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ ﴿لَا يَخْلِفُ اللَّهُ الْمِيعَادَ﴾ ٢١: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنْبِيعٌ فِي الْأَرْضِ﴾ يُخْرِجُ تَعَالَى أَنْ أَصْلَ الْمَاءِ
 فِي الْأَرْضِ مِنَ السَّمَاءِ، ﴿ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ﴾ يخرج بالماء النازل من السماء والنباع من الأرض زرعاً مختلفاً بأشكاله وطعمه وروائح
 ومنافعه ﴿ثُمَّ يَهِيجُ﴾ يكهل بعد شبابه ﴿فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا﴾ قد خالطه اليبس ﴿ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطَامًا﴾ يعود يابساً يحترق، ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا لِأُولِي
 الْأَلْبَابِ﴾ الذين يتذكرون بهذا فيعتبرون أن هذه الدنيا هكذا تكون نصيرة حسنة ثم تعود عجزاً شوهاء.

الآية: ٢٠ روى الإمام أحمد والترمذي بإسناد حسن صحيح عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ لَيَرَاوُنَ فِي الْجَنَّةِ أَهْلَ الْعَرْفِ، كَمَا تَرَاوُنَ الْكَوْكَبُ الدَّرِّي
 الْغَارِبُ فِي الْأَفْقِ الطَّلَعُ فِي تَفَاضِلِ أَهْلِ الدَّرَجَاتِ، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَوْلَئِكَ النَّبِيُّونَ؟ فَقَالَ ﷺ: «بَلَى وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ وَأَقْرَابٌ آمَنُوا بِاللَّهِ وَصَدَّقُوا الرَّسُولَ». [ابن كثير ج ٤/٤٩]

على نورٍ من ربه؟ هل يسوي هذا ومن هو قاسي القلب بعيد عن الحق، كقولته تعالى: ﴿أَوْ مَنْ كَانَ مِثْلًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا؟﴾ ولهذا قال تعالى: ﴿قَوْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبِهِمْ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ﴾ فلا تلين عند ذكره ولا تخشع ولا تنهمج ﴿أولئك في ضلالٍ مبين﴾ ٢٣: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِيًّا﴾ هذا مدحٌ من الله لكتابه العظيم، ﴿متشابهًا مثنائيًا﴾ يعني القرآن كله متشابه مثنائي، الآية تشبه الآية [بالحق] والحرف يشبه الحرف [بالصدق]، فالقرآن يشبه بعضه بعضاً ويُرَدُّ بعضه على بعض، وإن سياقات القرآن تارة تكون في معنى واحد [وفي معنيين وأكثر، فإن القرآن ذو وجوه] ﴿تَشْعُرُ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ﴾ هذه صفة الأبرار عند سماع كلام الجبار، لما يفهمون منه الوعد والوعيد، والتخويف والتهديد، فتشعر منه جلودهم من الخشية والحوف ﴿ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله﴾ لما يرجون من رحمة الله ولطفه، ﴿ذلك هدى الله يهدي به من يشاء﴾ هذه صفة من هداة الله ومن كان على خلاف ذلك فهو ممن أضله الله ﴿ومن يضل الله فماله من هادٍ﴾ ٢٤: ﴿أَفَمَنْ يَتَّبِعِ بُوجْهَهُ سُوءَ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟﴾ ويُعْرَضُ فيقال له ولأمثاله من الظالمين: ﴿ذوقوا ما كنتم

أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِنْ رَبِّهِ؟ قَوْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبِهِمْ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ أَوْ لِيُكَلِّمَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٢٢﴾
اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِيًّا فَتَشْعُرُ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُضَلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴿٢٣﴾
أَفَمَنْ يَتَّبِعِ بُوجْهَهُ سُوءَ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَقِيلَ لِلظَّالِمِينَ ذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿٢٤﴾
كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَانْتَهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٥﴾
فَإِذَا قُهِمُ اللَّهُ الْحَزَنَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْعَذَابِ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾
وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾
قُرْءَانًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٢٨﴾
ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَكِّسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٩﴾
إِنَّكَ مِيتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ ﴿٣٠﴾
ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخَصُمُونَ ﴿٣١﴾

تَكْسِبُونَ﴾ كَمَنْ يَأْتِي أَمِتًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ ٢٥: ﴿كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَاتَاهُمْ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ﴾ يعني القرون الماضية المكذبة للرسول أهلكتهم الله بذنوبهم وما كان لهم من الله من وافي ٢٦: ﴿فَإِذَا قُهِمُ اللَّهُ الْحَزَنَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ فليحذر المخاطبون من ذلك فإنهم قد كذبوا أشرف الرسل صلى الله عليه وآله وسلم، ﴿والعذاب الآخرة أكبر﴾ وأعظم مما أصابهم من عذاب الدنيا ﴿لو كانوا يعلمون﴾ ٢٧: ﴿ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثلٍ لعلهم يتذكرون﴾ بيتاً للناس فيه بضرب الأمثال، فإن المثل يُقَرَّبُ المعنى إلى الأذهان ٢٨: ﴿قُرْءَانًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ﴾ هو قرآن بلسان عربي مبين لا عوج فيه ولا يس بل هو بيان واضح ﴿لعلهم يتقون﴾ ليحذروا ما فيه من الوعيد ٢٩: ﴿ضرب الله مثلاً رجلاً فيه شركاء متشاكسون﴾ يتنازعون في ذلك العبد المشترك بينهم، ﴿ورجلاً سَلَمًا﴾ سالماً ﴿لرجلٍ﴾ خالصاً لا يملكه أحدٌ غيره ﴿هل يستويان مثلاً؟﴾ لا يستوي هذا وهذا؛ وكذلك لا يستوي المشرك الذي يعبد آلهة مع الله والمؤمن الخالص الذي لا يعبد إلا الله وحده لا شريك له، فأين هذا من هذا؟! ﴿الحمد لله﴾ على إقامة الحجّة عليهم ﴿بل أكثرهم لا يعلمون﴾ فلماذا يُشركون بالله ٣٠: ﴿إِنَّكَ مِيتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ﴾ إنكم ستنتقلون من هذه الدار لاحالة، وستتجمعون عند الله في الدار الآخرة ٣١: ﴿ثم إنكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون﴾ فإيا أنتم فيه في الدنيا من التوحيد والشرك، فيفصل بينكم بالحق، فينجي المؤمنين الموحدين، ويُعَذِّبُ الكافرين والمشركين.

الآية: ٢٣ روى عبدالرزاق عن معمر قال: تلا قتادة رحمه الله ﴿تشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله﴾ قال: هذا نعت أولياء الله؛ نعمته الله عز وجل بأن تشعر جلودهم وتبكي أعينهم، وتطمئن قلوبهم إلى ذكر الله، ولم يعتهم بذهاب عقولهم والغشيان عليهم، إنما هذا في أهل البدع، وهذا من الشيطان.

٣٢: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ عَلَى اللَّهِ﴾ من المشركين الذين افتروا على الله وجعلوا معه آفة أخرى ﴿وَكَذَّبَ بِالْصِّدْقِ إِذْ جَاءَهُ﴾ بالحق؛ أي: وكذب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ﴿أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ؟﴾ وهم الجاحدون المكذبون. ثم قال تعالى: ٣٣: ﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ﴾ الذي جاء بالصدق هو رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، والذي صدق به: يعني المؤمنين، أصحاب القرآن، ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ الذين اتقوا الشرك والكفر ٣٤: ﴿لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ يعني في الجنة مهما طلبوا وجدوا ﴿ذَلِكَ جِزَاءُ الْمُحْسِنِينَ﴾ ٣٥: ﴿لِيُكَفِّرَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي عَمِلُوا﴾ ويجزيهم أحسن الذي كانوا يعملون ﴿قَالَ تَعَالَى﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ نَتَقَبَلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَتَتَجَاوَزُ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ فِي أَصْحَابِ الْجَنَّةِ وَعَدَّ الصِّدْقَ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ ٣٦: ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ؟﴾ يعني: أنه تعالى يكفي من عبده وتوكل عليه ﴿وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِنْ دُونِهِ﴾ يعني المشركين يخوفون رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ويتوعدونه بأضنامهم جهلاً منهم وضلالاً، ولهذا قال تعالى: ﴿وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَالَهُ مِنْ هَادٍ؟﴾ ٣٧: ﴿وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَمَالَهُ مِنْ مُضِلٍّ﴾ أي: الله تعالى لا يضل من يشاء ولا يهدي من يشاء، فإِنَّهُ الْعَزِيزُ الَّذِي لَا عَزَّ مِنْهُ وَلَا شِدَّةَ انْتِقَاماً مِنْهُ يَمَّنْ كَفَرُ بِهِ

﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ عَلَى اللَّهِ وَكَذَّبَ بِالْصِّدْقِ إِذْ جَاءَهُ﴾ ٣٢: ﴿أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ﴾ وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ ٣٣: ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ ٣٤: ﴿لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ جِزَاءُ الْمُحْسِنِينَ﴾ ٣٥: ﴿لِيُكَفِّرَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي عَمِلُوا وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ ٣٦: ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِنْ دُونِهِ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَالَهُ مِنْ هَادٍ﴾ ٣٧: ﴿وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَمَالَهُ مِنْ مُضِلٍّ﴾ ٣٨: ﴿لِيُكَفِّرَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ ٣٩: ﴿لِيُكَفِّرَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ ٤٠: ﴿مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾

وأشرك وعاند رسوله صلى الله عليه وآله وسلم ٣٨: ﴿وَلَيْنَ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ﴾ يعني المشركين كانوا يعترفون أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ هُوَ الْخَالِقُ لِلْأَشْيَاءِ كُلِّهَا، ومع هذا يعبدون معه غيره بما لا يملك لهم ضرراً ولا نفعاً، ولهذا قال تعالى: ﴿قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾ ٣٩: ﴿قُلْ يَأْقُومُ أَعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ﴾ أعملوا على طريقكم، وهذا تهديد ووعد ﴿إِنِّي عَامِلٌ﴾ على طريقتي ومنهجي ﴿فَسَوْفَ تَعْمَلُونَ﴾ ستعملون غب ذلك ووبأله ٤٠: ﴿مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾ مستمرٌ لا موجد عنه، وذلك يوم القيامة، أعاذنا الله منها.

الآية: ٣١ روى الإمام أحمد عن الزبير بن العوام قال: لما نزلت هذه الآية على رسول الله ﷺ: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ﴾ قال الزبير: أي رسول الله أكبر علينا ما كان بيننا في الدنيا مع خواص الذنوب؟ قال ﷺ: «نعم ليكرن عليكم حتى يؤذي إلى كل ذي حق حقه، قال الزبير: والله إن المر لشديد!! ورواه الترمذي وقال: حديث حسن صحيح. ابن كثير ج ٤/٥٧.

الآية: ٣٨ قال رسول الله ﷺ: «الطهور شطر الإيمان، والحمد لله تملأ الميزان، وسبحان الله والحمد لله تملآن ما بين السماوات والأرض، والصلاة نور، والصدقة برهان والصرير ضياء، والقرآن حجة لك أو عليك، كل الناس يغدو فبائع نفسه فمعتقها أو موبقها» رواه مسلم في صحيحه رقم ٢٢٢٣.

٤١: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ لِلنَّاسِ بِالْحَقِّ﴾ يعني القرآن، أنزله الله تعالى لجميع الخلق من الإنس والجن، ﴿فَمَنْ اهْتَدَىٰ فَلِنَفْسِهِ﴾ فإتباعه يعود نفع ذلك إلى نفسه ﴿وَمَنْ ضَلَّ فَاتِّمَامًا يَضِلُّ عَلَيْهَا﴾ إنما يرجع وبال ذلك على نفسه، ﴿وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ﴾ بموكل أن يهتدوا، ﴿إِنَّمَا أَنْتَ نَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ ٤٢: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا﴾ الله تعالى هو المتصرف في الوجود بما يشاء وهو الذي يتوفى الأنفس الوفاة الكبرى بما يرسل من الحفظة الذين يقبضونها من الأبدان، ﴿وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا﴾ وهذه هي الوفاة الصغرى عند المنام، كما قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقَاضَىٰ أَجَلٌ مُّسَمًّى﴾ الآية، ﴿ويرسل عليكم حفظة حتى إذا جاء أحدكم الموت توفته رسلنا

وهم لا يفرطون﴾ ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ ٤٣: ﴿أَمْ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ شُفَعَاءَ﴾ يذم تعالى المشركين في اتخاذهم الأصنام شفعاء من تلقاء أنفسهم، وهي لا تملك شيئاً من الأمر ﴿قُلْ أُولُو كَانُوا لَا يَمْلِكُونَ شَيْئاً وَلَا يَعْقِلُونَ﴾ ؟ ٤٤: ﴿قُلْ لِلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعاً لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ هو المتصرف في جميع ذلك ﴿ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ يوم القيامة فيحكم بعذله ويجزي كلاً بعمله، ثم قال تعالى دائماً للمشركين: ٤٥: ﴿وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ﴾ إذا قيل: لا إله إلا

إِنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ لِلنَّاسِ بِالْحَقِّ فَمَنْ اهْتَدَىٰ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ ﴿٤١﴾ اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فِيمَسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾ أَمْ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ شُفَعَاءَ قُلْ أُولُو كَانُوا لَا يَمْلِكُونَ شَيْئاً وَلَا يَعْقِلُونَ ﴿٤٣﴾ قُلْ لِلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعاً لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٤٤﴾ وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٤٥﴾ قُلِ اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ عَلِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِي مَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٤٦﴾ وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ مِنْ سُوءِ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَبَدَأَهُم مِّنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ ﴿٤٧﴾

الله وحده انقبضت ونفرت واستكبرت وكفرت [قلوب المشركين والكفار]، ﴿وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ﴾ من الأصنام والأنداد ﴿إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ يفرحون ويُسرُّون ٤٦: يقول تعالى بعدما ذكر عن المشركين ما ذمهم به من حبهم للشرك ونفرتهم عن التوحيد: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ عَلِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾ أدع أنت الله وحده لا شريك له الذي خلق السموات والأرض. ومعنى فطرها أي: جعلها على غير مثال سبق ﴿عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾ السر والعلاية ﴿أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فَمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ في دنياهم ستفصل بينهم يوم معادهم. روى مسلم في صحيحه: قالت عائشة: «كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إذا قام من الليل افتتح صلاته: اللهم رب جبريل وميكائيل وإسرافيل فاطر السموات والأرض، عالم الغيب والشهادة أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون اهديني لما اختلفت فيه من الحق بإذنك إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم» ٤٧: ﴿وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً وَمِثْلَهُ مَعَهُ﴾ ولو أن للمشركين جميع ما في الأرض وضعفه معه ﴿لَافْتَدَوْا بِهِ مِنْ سُوءِ الْعَذَابِ﴾ الذي أوجبه الله تعالى لهم ﴿يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ ومع هذا لا يقبل منهم الفداء ولو كان ملء الأرض ذهباً، كما قال تعالى: ﴿وَبَدَأَهُم مِّنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ﴾ ظهر لهم من الله من العذاب والنكال بهم ما لم يكن في باهم ولا في حسابهم.

الآية: ٤٢ وفي صحيح البخاري ومسلم أن رسول الله ﷺ قال: «إِذَا أَرَىٰ أَحَدُكُمْ إِلَىٰ فِرَاشِهِ فَلْيَنْضِضْهُ بِدَاجِلَةِ إِزَارِهِ، فَإِنَّهُ لَا يَدْرِي مَا خَلَقَهُ عَلَيْهِ، ثُمَّ يَقُلْ: بِسْمِ اللَّهِ وَرَبِّي وَضَعْتَنِي وَبِكَ أَرْفَعُهُ، إِنْ أَسْكَتَ نَفْسِي فَارْحَمْهَا، وَإِنْ أَرْسَلَتْهَا فَاحْفَظْهَا بِمَا تَحْفَظُهُ بِهِ عِبَادُكَ الصَّالِحِينَ.» / ابن كثير ج ٤/ ٥٥٠

الآية: ٤٦ روى الإمام أحمد عن عبدالله بن مسعود أن رسول الله ﷺ قال: «مَنْ قَالَ: اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا أَنِّي أَشْهَدُ =

وَبَدَأْتُمْ سَيِّئَاتٍ مَا كَسَبْتُمْ وَأَحَاقَتْ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِنَّ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٤٨﴾ فَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلْتَهُ نِعْمَةً مِمَّا قَالِ إِنَّمَا أُوتِيْتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٩﴾ فَقَالُوا الَّذِينَ مَنِ قَبْلَهُمْ فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٥٠﴾ فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتٌ مَا كَسَبُوا وَالَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ هَؤُلَاءِ سَيَّصِبُهُمْ سَيِّئَاتٌ مَا كَسَبُوا وَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ ﴿٥١﴾ أَوَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾

﴿قُلْ يَاعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ وَأَنِيبُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلَمُوا لِيَوْمٍ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمْ لَا تَنْصُرُونَ ﴿٥٤﴾ وَأَتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ مِّن قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٥٥﴾ أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ بِحَسْرَتِي عَلَىٰ مَا فَرَطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ وَإِنْ كُنْتُ لَمِنَ السَّخِرِينَ ﴿٥٦﴾

٤٨: ﴿وَبَدَأْتُمْ سَيِّئَاتٍ مَا كَسَبْتُمْ﴾ وظهور لهم جزء ما كسبوا في الدار الدنيا من الحرام والمآثم ﴿وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤون﴾ وأحاط بهم من العذاب والنكال ما كانوا يستهزؤون به في الدار الدنيا ٤٩: ﴿فَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلْتَهُ نِعْمَةً مِمَّا قَالِ إِنَّمَا أُوتِيْتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ﴾ في حال الضراء يتضرع إلى الله عز وجل ويئيب إليه ويدعوه، وإذا خولته نعمة منه سبحانه بعى وطغى وقال: ﴿إِنَّمَا أُوتِيْتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ﴾ على علم عندي، قال الله تعالى: ﴿بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ﴾ ليس الأمر كما زعم بل إنما أنعمنا عليه بهذه النعمة لنختبره فيما أنعمنا عليه أطيع أم يعصي، ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ فلماذا يقولون ما يقولون ويدعون ما يدعون ٥٠: ﴿قُلْ يَاعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ وَأَنِيبُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلَمُوا لِيَوْمٍ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمْ لَا تَنْصُرُونَ ﴿٥٤﴾ وَأَتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ مِّن قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٥٥﴾ أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ بِحَسْرَتِي عَلَىٰ مَا فَرَطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ وَإِنْ كُنْتُ لَمِنَ السَّخِرِينَ ﴿٥٦﴾

دعوة لجميع العصاة من الكفرة وغيرهم إلى التوبة، وإخبار بأن الله تعالى يغفر الذنوب جميعاً لمن تاب وإن كانت مثل زبد البحر. ولا يقنطن عبداً من رحمة الله وإن عظمت ذنوبه وكثرت، فإن باب الرحمة والتوبة واسع قال الله تعالى: ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ﴾ ٥٤: ﴿وَأَنِيبُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلَمُوا﴾ ارجعوا إلى الله واستسلموا ﴿لَهُ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمْ لَا تَنْصُرُونَ﴾ بادروا بالتوبة والعمل الصالح قبل حلول العقوبة ٥٥: ﴿وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ وهو القرآن العظيم ﴿مِن قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ من حيث لا تعلمون، ثم قال تعالى: ٥٦: ﴿أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَا عَلَىٰ مَا فَرَطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ﴾ يوم القيامة يتحسّر الجرم المفرط في التوبة والإجابة ويؤذ لو كان من المحسنين المطيعين لله عز وجل، ﴿وَإِنْ كُنْتُ لَمِنَ السَّخِرِينَ﴾ إنما كان عملي في الدنيا عمل ساحر مستهزئ غير مؤمن مُصدّق.

(١) روى الإمام أحمد أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: «والذي نفس محمد بيده لو أخطأتم حتى تمألوا خطاياكم ما بين السماء والأرض ثم استغفرتم الله تعالى لغفر لكم».

أن لا إله إلا أنت وحدك لا شريك لك، وأن محمداً عبدك ورسولك، فأنتك إن تكلي إلى نفسي تقررتي من الشر وتباعدني من الخير، وإني لأنتك إلا برحمتك، فأجل لي عندك توفيقه يوم القيامة لك لا تخلف المعاد؛ إلا قال الله عز وجل ملائكته يوم القيامة: إن عبيدي قد عهد إلي عهداً فأوفوه إياه، فيدخله الله الجنة!! / ابن كثير ج ٤/ ٥٦/

الآية: ٥٣ روى الإمام أحمد عن عمرو بن عبس قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ شيخ كبير، يدعوهم على غصاه له، فقال: يا رسول الله إن لي غدرات وفجرات، فهل يغفر لي؟ قال ﷺ: «الست تشبه أن لا إله إلا الله؟» قال: بلى، وأشهد أنك رسول الله! قال ﷺ: «قد غفر لك غدراتك وفجراتك».

/ ابن كثير ج ٤/ ٥٨/

٥٧: ﴿أَوْ تَقُولُ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنْتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ [أي: تقول هذه النفس لو أن الله أُرشدني إلى دينه لانتقيت الشرك والمعاصي]

٥٨: ﴿أَوْ تَقُولُ حِينَ تَرَى الْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ تَوَدُّ لو أعيدت إلى الدنيا لتحسن العمل. قال ابن عباس: أخبر تعالى مآل العباد قائلون قبل أن يقولوه، وعملهم قبل أن يعملوه. وقال الله تعالى: ﴿وَلَا يَنْبُتُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾ ٥٩: ﴿بَلِ قَدْ جَاءَتْكَ آيَاتِي فَكَذَّبْتَ بِهَا وَاسْتَكْبَرْتَ وَكُنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ قد جاءتك آياتها العبد النادم على ما كان منه آياتي في الدنيا فكذبت بها واستكبرت عن اتباعها وكتبت من الكافرين بها الجاحدين لها ٦٠: ﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وَجُوهَهُمْ مُسْوَدَّةٌ﴾ يُخبر تعالى عن الذين ادعوا له شريكاً وولداً أن وجوههم مسودة يوم القيامة بكنههم وإفترائهم، ﴿اليس في جهنم مثوى للمتكبرين﴾ أليست جهنم كافية لهم سجناً وموتلاً؟ لهم فيها الخزي والهوان بسبب تكبرهم وتجبرهم وإفترائهم عن الانقياد للحق ٦١: ﴿وَيُنَجِّي اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا بِمَفَازَتِهِمْ﴾ بما سبق لهم من السعادة والفوز عند الله ﴿لَا يَمَسُّهُمْ السُّوءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ ولا يجزئهم الفرع الأكبر بل هم آمنون من كل فرع ٦٢: ﴿اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ يُخبر تعالى أنه خالق كل الأشياء وهو المتصرف فيها ٦٣: ﴿لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ له مفاتيح خزائن السماوات

أَوْ تَقُولُ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنْتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴿٥٧﴾

أَوْ تَقُولُ حِينَ تَرَى الْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾ بَلَى قَدْ جَاءَتْكَ آيَاتِي فَكَذَّبْتَ بِهَا وَاسْتَكْبَرْتَ وَكُنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿٥٩﴾ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وَجُوهَهُمْ مُسْوَدَّةٌ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٦٠﴾ وَيُنَجِّي اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمْ السُّوءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦١﴾ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿٦٢﴾ لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٦٣﴾ قُلْ أَغْفِرَ اللَّهُ تَأْمُرُونِي أَنْ أَعْبُدَ أَيَّهَا الْجَاهِلُونَ ﴿٦٤﴾ وَلَقَدْ أَوْحَىٰ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكَتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٦٥﴾ بَلِ اللَّهُ فَاعْبُدْ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴿٦٦﴾ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾

والأرض، ﴿والذين كفروا آيات الله﴾ حججه وبراهينه ﴿أولئك هم الخاسرون﴾ ٦٤: ﴿قل اغفر الله تأمروني أعبد أيها الجاهلون﴾ نزلت هذه الآية حين دعا المشركون رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى عبادة آلهتهم، ويعبدون معه إلهه ٦٥: ﴿ولقد أوحى إليك وإلى الذين من قبلك﴾ [أي: من النبيين] ﴿لئن أشركت ليحبطن عملك وتكونن من الخاسرين﴾ [أي: أوحى إليك وإلى الأنبياء قبلك بالتوحيد] ٦٦: ﴿بل الله فاعبد﴾ وكن من الشاكرين ﴿أخلص العبادة لله وحده لا شريك له، أنت ومن اتبعك﴾ ٦٧: ﴿وما قدروا الله حق قدره﴾ ما قدر المشركون الله حق قدره حين عبدوا معه غيره، وهو العظيم الذي لأعظم منه، القادر على كل شيء وكل شيء تحت قهره وسلطانه. قال ابن عباس: هم الكفار الذين لم يؤمنوا بقدرته الله عليهم، فمن آمن أن الله على كل شيء قدير فقد قدر الله حق قدره، ومن لم يؤمن بذلك فلم يقدر الله حق قدره. ﴿والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة﴾ روى البخاري أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: «يقبض الله تعالى الأرض، ويطوي السماء بيمينه، ثم يقول: أنا الملك أين ملوك الأرض؟» ﴿والسماوات مطويات بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون﴾ [نزهة تعالى نفسه عن أن يكون ذلك بجارية. فليس كمثل شيء وهو السميع البصير].

الآية: ٦٧ روى الإمام أحمد والشيخان عن عقلمة عن عبد الله بن مسعود قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ من أهل الكتاب، فقال: يا أبا القاسم أبلغك أن الله تعالى يحمل الخلائق على أضعف السماوات على أضعف، والأرضين على أضعف، والشجر على أضعف، والماء والثرى على أضعف؟ قال: فضحك رسول الله ﷺ حتى بدت نواجذه [تصديقاً لقوله] وأنزل الله عز وجل: ﴿وما قدرُوا الله حق قدره﴾ إلى آخر الآية. وروى مسلم في صحيحه عن أبي هريرة قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يقبض الله تعالى الأرض ويطوي السماء بيمينه، ثم يقول: أنا الملك أين الملوك، وفي رواية: ﴿يُجَدُّ الرَّبُّ نَفْسَهُ﴾ أنا الجبار أنا المتكبر، أنا الملك أنا العزيز أنا الكريم» فرجع برسول الله ﷺ المنبر حتى قلنا ليخبرنَّ بؤا!! [ابن كثير ج ٤/٦٢/١]

٦٨: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ﴾
 هذه النفخة هي الثانية، وهي نفخة الصعق، التي يموت بها الأحياء؛ يُخبر تعالى عن هَوْلِ يوم القيامة، وما يكون فيه من الآيات العظيمة ﴿إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ﴾ [المستثنى جبريل وميكائيل وإسرافيل، وحملة العرش وخزنة الجنة والتار] ﴿ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى﴾ وهي النفخة الثالثة نفخة البعث ﴿فَإِذَا هُمْ يَقَامُونَ﴾ أحياء بعد ما كانوا رفاتاً، ينظرون إلى أهوال يوم القيامة ٦٩: ﴿وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا﴾ أضاعت يوم القيامة، إذا تجلّى الحقُّ جلَّ وعلاً للخلائق لفصل القضاء ﴿وَوُضِعَ الْكِتَابُ﴾ كتاب الأعمال، ﴿وُجِيَءَ بِالْيَتِيمِ﴾ يشهدون على الأمم بأنهم بلغوهم رسالات الله إليهم، ﴿وَالشَّهَادَةَ﴾ الشهداء من الملائكة الحفظة على أعمال العباد من خيرٍ وشرٍّ، ﴿وَوُضِعَ فِيهِمْ بِالْحَقِّ﴾ بالعدل ﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ ٧٠: ﴿وَوُضِعَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَ مَا عَمِلَتْ﴾ من خير أو شرٍّ ﴿وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾ ٧١: ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُرَّامًا﴾ يُخبر تعالى عن حال الأشقياء الكفار كيف يُساقون إلى النار، وإتْمَا يُساقون سوقاً عنيفاً، [الزُّرْمُ: الجماعات المنفرقة بعضها إثر بعض]، ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاؤُوهَا فَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا﴾ بمجرّد وصولهم إليها، لتعجل لهم العقوبة، ﴿وَقَالَ لَهُمْ خُزَنُوتُهَا﴾ من الزبانية الغلاظ الشداد على وجه التفرير والتوبيخ والتنكيل: ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ

وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ يَقَامُونَ ﴿٦٨﴾ وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجِئَ بِالْيَتِيمِ وَالشَّهَادَةِ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٦٩﴾ وَوُضِعَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَ مَا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٧٠﴾ وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُرَّامًا إِذْ جَاءُوهَا فَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خُزَنُوتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا قَالُوا بَلَىٰ وَلَٰكِن حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٧١﴾ قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَوَٰجِدَ الْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٧٢﴾ وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُرَّامًا حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خُزَنُوتُهَا سَلِّمُوا عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ ﴿٧٣﴾ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقْنَا وَعَدَّهُ وَأَوْثَقْنَا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ﴿٧٤﴾

رَبِّكُمْ﴾ يُقيمون عليكم الحجج والبراهين على صحة مادعوكم إليه ﴿وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا﴾ ويحذرونكم من شرِّ هذا اليوم؟ ﴿قَالُوا﴾ الكفار ﴿بَلَىٰ﴾ قد جاؤونا وأنذرونا وأقاموا علينا الحجج والبراهين، ﴿وَلَٰكِن حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ ولكن كذبناهم وخالفناهم وعدلنا عن الحق إلى الباطل؛ لما سبق لنا من الشقوة التي كنّا نستحقها ٧٢: ﴿قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا﴾ كلٌّ من رآهم وعلم حالهم يشهد عليهم بأنهم مستحقون للعذاب ﴿فَبِئْسَ مَوَٰجِدَ الْمُتَكَبِّرِينَ﴾ فبئس المصير والمقيل لكم بسبب تكبركم في الدنيا عن اتباع الحق ٧٣: ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُرَّامًا﴾ وهذا إخبارٌ عن حال السعداء المؤمنين حين يُساقون إلى الجنة، ﴿زُرَّامًا﴾ جماعة بعد جماعة: المقربون ثم الأبرار ثم الذين يلونهم، ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاؤُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا﴾ بعد مجاوزة الصراط، وفي المُسند: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ﴿إِنَّ مَا بَيْنَ مِصْرَاعَيْنِ فِي الْجَنَّةِ لَمَسِيرَةٌ أَرْبَعِينَ سَنَةً﴾، ﴿وَقَالَ لَهُمْ خُزَنُوتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ﴾ طابت أعمالكم وطاب سعيكم وطاب جزاؤكم، ﴿فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ﴾ فيها أبداً ٧٤: ﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقْنَا وَعَدَّهُ﴾ يقول المؤمنون إذا عابوا الجنة والثواب الوافر والعطاء العظيم: الحمد لله الذي صدقنا وعده الذي كان وعدنا على لسان رسوله الكرام ﴿وَأَوْثَقْنَا الْأَرْضَ﴾ أرض الجنة ﴿نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ﴾ أين شئنا حللنا ﴿فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ﴾ نعم الأجرُ أجرنا على عملنا.

الآية: ٧٣ وفي صحيح مسلم قال رسول الله ﷺ: «ممنكم من أحد يروضاً يُسبغ الوضوء، ثم يقول: أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً عبده ورسوله، إلا فُتِحَتْ له أبواب الجنة الثانية، يدخل من أيها شاء». وروى الحسن بن عرفة عن معاذ قال: قال رسول الله ﷺ: «مفتاح الجنة لا إله إلا الله!!». ابن كثير ج ٤/٦٧

٧٥: ﴿وترى الملائكة حافين من حول العرش يسبحون بحمد ربهم﴾ لما ذكر تعالى الحكمة في أهل الجنة والنار، وأنه أنزل كلاً في الخلق الذي يليق به ويصلح له وهو العادل في ذلك؛ أخبر عن ملائكته أنهم محذون من حول العرش المجيد يسبحون بحمد ربهم ويمجدونه ويعظمونه ويقُدسونه وقد فصل القضية وقضى الأمر وحكم بالعدل، ولهذا قال تعالى: ﴿وقضى بينهم﴾ بين الخلائق والعدل ﴿وقيل﴾، لم يسند هذا القول إلى قائل معين بل أطلقه، فدل على أن جميع المخلوقات شهدت له سبحانه بالحمد؛ أي: تطلق الكون أجمعه لله رب العالمين بالحمد، ﴿الحمد لله رب العالمين﴾.

تفسير سورة المؤمن - غافر

١: ﴿حم﴾ ٢: ﴿تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم﴾ تنزيل هذا القرآن من الله ذي العزة والعلم، فلا يُرام جنابه ولا يخفى عليه الدُّر وإن تكاتف حجابُه. ٣: ﴿غافر الذنب وقابل التوب﴾ يغفر ماسلف من الذنوب، ويقبل التوبة في المستقبل لمن تاب إليه، ﴿شديد العقاب﴾ لمن عمَدَ وطغى وأثر الحياة الدنيا وعنى عن أوامر الله تعالى ويعنى، ﴿ذي الطول﴾ ذي المنِّ والنعم والإِنعام ﴿إلا إله إلا هو﴾ لانظير له في جميع صفاته، فلا إله غيره ولا ربَّ سواه ﴿إليه المصير﴾ المرجع والمآب فيجازي كلَّ عاملٍ بعمله. ٤: ﴿ما يجادل في آيات الله إلا الذين كفروا﴾ ما يدفع الحقَّ ويُجادل فيه بعد ظهور البرهان إلا الجاحدون

التوبة

وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٧٥﴾

سُورَةُ الْغَاثِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حَمِّ ١) تَنْزِيلَ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ٢) غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطُّوْلِ لِإِلَهِ الْإِهْوِ إِلَيْهِ الْمَصِيرُ ٣) مَا يَجْدِلُ فِي آيَاتِ اللَّهِ إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَا يَغْرُرُكَ تَقْلُبُهُمْ فِي الْبَلَدِ ٤) كَذَبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَالْأَحْزَابِ مِنْ بَعْدِهِمْ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ وَجَدُوا بِآيَاتِنَا لِلْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ فَأَخَذْتَهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ٥) وَكَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ أَصْحَابُ النَّارِ ٦) الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ٧)

لآيات الله ﴿فلا يغررُكَ تقلُّبُهُمْ في البلاد﴾ في أموالها ونعيمها وزهرتها ٥: ﴿كذبت قبلهم قوم نوح والأحزاب من بعدهم﴾ من كل أمة، ﴿وهمَّت كل أمة برسولهم ليأخذوه﴾ حرصوا على قتله بكلِّ ممكن، ومنهم من قتل رسوله [كبنى إسرائيل الذين قتلوا كثيراً من الأنبياء]، ﴿وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الباطل﴾ ماحلوا بالشبهة ليردوا الحقَّ، ﴿فأخذتهم﴾ أهلكتهم على ماصنعوا من الآثام العظام ﴿فكيف كان عقاب﴾ فكيف بلغك عذابي ونكالي بهم؟ أي: كان شديداً. روى الطبراني: أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: «من أعان باطلاً يُدحض به حقاً فقد برئت منه ذمَّة الله تعالى، وذمَّة رسوله صلى الله عليه وآله وسلم». ٦: ﴿وكذلك حقت كلمة ربك على الذين كفروا أنهم أصحاب النار﴾ كما حقت كلمة العذاب على الذين كفروا من الأمم السالفة، كذلك حقت على المكذبين لك يا محمد بطريق الأولى. ٧: يُخبر تعالى عن الملائكة المقرَّبين من حملة العرش ومن حوله فيقول: ﴿الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم﴾ يتقبلون بين التسبيح الدالِّ على نفي النقص والتحميد المقتضي لإثبات صفات المدح، ﴿ويؤمنون به﴾ خاشعون له أدلأً بين يديه وأنهم ﴿يستغفرون للذين آمنوا﴾ من أهل الأرض بمن آمن بالغيب، فقيض الله تعالى ملائكته المقرَّبين أن يدعوا للمؤمنين بظهور الغيب، يقولون إذا استغفروا للذين آمنوا: ﴿ربَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا﴾ رحمتك تسع ذنوبهم وخطاياهم وعلمك يحيط بجميع أعمالهم ﴿فاغفر للذين تابوا﴾ فاصفح عن المسيئين إذا تابوا ﴿واتبعوا سبيلك وقِهِم عذاب الجحيم﴾ ورزحهم عن عذاب الجحيم.

٨: ﴿رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتٍ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ﴾ اجمع بينهم وبينهم لتقرّ بذلك أعينهم بالاجتماع في منازل متجاورة، كما قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَأْتِنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ﴾ ساوينا بين الكلّ في المنزلة لتقرّ أعينهم، ﴿إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ الذي لا يمانع ولا يغالب، الحكيم في أقوالك وأفعالك من شرعك وقدرك ٩: ﴿وَفِيهِمُ السِّيَّاتُ﴾ فعلها، ووبالها يمنّ وقعت منه، ﴿وَمَنْ تَقَرَّ السِّيَّاتُ يَوْمَئِذٍ﴾ [وبالها] يوم القيامة ﴿فَقَدْ رَحِمْتَهُ﴾ لطفت به ونجيتهُ مِنَ الْعُقُوبَةِ ﴿وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ ١٠: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُبَادُونَ لَمَقْتُ اللَّهِ أَكْبَرُ مِنْ مَقْتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ﴾ يُخْبِرُ تَعَالَى عَنِ الْكُفَّارِ وَهُمْ فِي غَمْرَاتِ النَّيرانِ يَتَلَطَّوْنَ، وذلك عندما باشروا مُرَّ عَذَابِ اللَّهِ تَعَالَى، فَمَقَّتُوا عِنْدَ ذَلِكَ أَنْفُسَهُمْ وَأَبْغَضُوهَا غَايَةَ الْبُغْضِ، فَأَخْبَرَهُمُ الْمَلَائِكَةُ بِأَنَّ مَقْتَ اللَّهِ تَعَالَى لَهُمْ فِي الدُّنْيَا حِينَ كَانَ يُعْرَضُ عَلَيْهِمُ الْإِيمَانُ فَيَكْفُرُونَ ﴿إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى الْإِيمَانِ فَكْفُرُوا﴾ فَمَقَّتَهُ أَشَدَّ مِنْ مَقْتِكُمْ أَيُّهَا الْمَعْدُوبُونَ أَنْفُسَكُمْ يَوْمَ فِي هَذِهِ الْحَالَةِ ١١: ﴿قَالُوا رَبَّنَا آمَنَّا آتِنَّا مِنَّا كِتَابًا يُخَيِّرُ بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ .. وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمَيِّتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿وَأُحْيِيَّتْنَا آتِنَّا آتِنَّا﴾ [أي: في الدنيا وفي الآخرة] فَانْتِ قَادِرٌ عَلَى مَا تَشَاءُ ﴿فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا﴾ بَأَنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ لِأَنْفُسِنَا فِي الدَّارِ

الدُّنْيَا ﴿فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ مِنْ سَبِيلٍ﴾ فَهَلْ أَنْتَ مُجِيبُنَا إِلَى الدَّارِ الدُّنْيَا فَإِنَّكَ قَادِرٌ عَلَى ذَلِكَ لِعَمَلِ غَيْرِ كُنَّا نَعْمَلُ؟ فَأَجِيبُوا: أَنْ لَا سَبِيلَ إِلَى عَوْدَتِكُمْ إِلَى الدُّنْيَا، ثُمَّ عَلَّلَ الْمَنَعَ مِنْ ذَلِكَ بِأَنَّ سَجَايَاكُمْ لَا تَقْبَلُ الْحَقَّ وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى: ١٢: ﴿ذَلِكُمْ بِأَنَّهُ إِذَا دُعِيَ اللَّهُ وَخُدَّهِ كَفَرْتُمْ وَإِنْ يُشْرَكْ بِهِ تُؤْمِنُوا﴾ أَنْتُمْ هَكَذَا تَكُونُونَ إِنْ رُدِدْتُمْ إِلَى الدُّنْيَا كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾، ﴿فَالْحُكْمُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ﴾ هُوَ الْحَاكِمُ فِي خَلْقِهِ الْعَادِلُ الَّذِي لَا يَجُورُ. ١٣: ﴿هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ آيَاتِهِ﴾ يُظْهِرُ قُدْرَتَهُ خَلْقَهُ بِمَا يُشَاءُ وَهُدُونَهُ مِنَ الْآيَاتِ الْعَظِيمَةِ الدَّالَّةِ عَلَى كَمَالِ خَالِقِهَا وَمُبْدِعِهَا، ﴿وَيُنزِلُ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ رِزْقًا﴾ وَهُوَ الْمَطَرُ الَّذِي يُخْرِجُ بِهِ مِنَ الزَّرْعِ وَالنَّمَارِ ﴿وَمَا يَنْزِلُكُمْ﴾ يَعْتَبَرُ وَيَتَفَكَّرُ فِي هَذِهِ الْأَشْيَاءِ وَيَسْتَدِلُّ بِهَا عَلَى عَظَمَتِهِ ﴿إِلَّا مَنْ يُنِيبُ﴾ مَنْ هُوَ بِصَبْرٍ مُنِيبٌ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى ١٤: ﴿فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ فَأَحْلِصُوا لِلَّهِ وَخُدَّهِ الْعِبَادَةَ وَالِدَعَاءَ وَخَالِفُوا الْمُشْرِكِينَ ١٥: ﴿رَفِيعَ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ لِيُنذِرَ يَوْمَ التَّلَاقِ﴾ يَوْمَ هُمْ بَارِزُونَ لَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ ﴿١٦﴾

٤٦٨

الدُّنْيَا ﴿فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ مِنْ سَبِيلٍ﴾ فَهَلْ أَنْتَ مُجِيبُنَا إِلَى الدَّارِ الدُّنْيَا فَإِنَّكَ قَادِرٌ عَلَى ذَلِكَ لِعَمَلِ غَيْرِ كُنَّا نَعْمَلُ؟ فَأَجِيبُوا: أَنْ لَا سَبِيلَ إِلَى عَوْدَتِكُمْ إِلَى الدُّنْيَا، ثُمَّ عَلَّلَ الْمَنَعَ مِنْ ذَلِكَ بِأَنَّ سَجَايَاكُمْ لَا تَقْبَلُ الْحَقَّ وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى: ١٢: ﴿ذَلِكُمْ بِأَنَّهُ إِذَا دُعِيَ اللَّهُ وَخُدَّهِ كَفَرْتُمْ وَإِنْ يُشْرَكْ بِهِ تُؤْمِنُوا﴾ أَنْتُمْ هَكَذَا تَكُونُونَ إِنْ رُدِدْتُمْ إِلَى الدُّنْيَا كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾، ﴿فَالْحُكْمُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ﴾ هُوَ الْحَاكِمُ فِي خَلْقِهِ الْعَادِلُ الَّذِي لَا يَجُورُ. ١٣: ﴿هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ آيَاتِهِ﴾ يُظْهِرُ قُدْرَتَهُ خَلْقَهُ بِمَا يُشَاءُ وَهُدُونَهُ مِنَ الْآيَاتِ الْعَظِيمَةِ الدَّالَّةِ عَلَى كَمَالِ خَالِقِهَا وَمُبْدِعِهَا، ﴿وَيُنزِلُ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ رِزْقًا﴾ وَهُوَ الْمَطَرُ الَّذِي يُخْرِجُ بِهِ مِنَ الزَّرْعِ وَالنَّمَارِ ﴿وَمَا يَنْزِلُكُمْ﴾ يَعْتَبَرُ وَيَتَفَكَّرُ فِي هَذِهِ الْأَشْيَاءِ وَيَسْتَدِلُّ بِهَا عَلَى عَظَمَتِهِ ﴿إِلَّا مَنْ يُنِيبُ﴾ مَنْ هُوَ بِصَبْرٍ مُنِيبٌ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى ١٤: ﴿فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ فَأَحْلِصُوا لِلَّهِ وَخُدَّهِ الْعِبَادَةَ وَالِدَعَاءَ وَخَالِفُوا الْمُشْرِكِينَ ١٥: ﴿رَفِيعَ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ لِيُنذِرَ يَوْمَ التَّلَاقِ﴾ يَوْمَ هُمْ بَارِزُونَ لَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ ﴿١٦﴾

الآية: ١٤ روى الإمام أحمد ومسلم وأبو داود والنسائي: أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ الزُّبَيْرِ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ فِي ذِكْرِ كُلِّ صَلَاةٍ جِئْتُ بِهَا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، لِأَحْوَالِ الْوَفَاةِ إِلَّا بِاللَّهِ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَلَا نَعْبُدُ إِلَّا إِيَّاهُ، لَهُ النِّعْمَةُ وَلَهُ الْفَضْلُ وَلَهُ الشُّكْرُ وَالْحَمْدُ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ.

١٧: ﴿الْيَوْمَ نَجْزِي كُلَّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ﴾ يُخَيَّرُ تَعَالَى عَنْ عَدْلِهِ فِي حَكِيمِهِ بَيْنَ خَيْرٍ وَلَا مَن شَرٍّ، بَلْ يَجْزِي بِالْحُسْنَةِ عَشْرَ أَمْثَالِهَا، وَبِالسَّيِّئَةِ وَاحِدَةً. ﴿إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ يُحَاسِبُ الْخَلَائِقَ كُلَّهُمْ كَمَا يُحَاسِبُ نَفْسًا وَاحِدَةً، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿مَّا خَلَقْتُكُمْ وَلَا بَعَثْتُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةً﴾ ١٨: ﴿وَأَنْذَرْتَهُمْ يَوْمَ الْأَرْزَاقِ﴾ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، [أَرْزَفَ: أَي قَرَّبَ. سُمِّيَتْ الْقِيَامَةُ بِذَلِكَ لِأَنَّهَا قَرِيبَةٌ، إِذْ كُلُّ مَا هُوَ آتٍ قَرِيبٌ]، إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْخُنَاجِرِ كَاطْمِينٍ وَقَفَتِ الْقُلُوبُ فِي الْخُنَاجِرِ مِنَ الْخَوْفِ، سَاكِبِينَ لَا يَتَكَلَّمُ أَحَدٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ، مَالِلِ الظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ لَيْسَ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ بِالشَّرِكِ [وَالْكَفْرِ] مِنْ قَرِيبٍ مِنْهُمْ يَنْفَعُهُمْ وَلَا شَفِيعَ يَشْفَعُ فِيهِمْ، بَلْ تَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ مِنْ كُلِّ خَيْرٍ ١٩: ﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ﴾ يُخَيَّرُ تَعَالَى عَنْ عِلْمِهِ التَّامِّ الْمَحِيطِ بِجَمِيعِ الْأَشْيَاءِ جَلِيلِهَا وَحَقِيرِهَا، صَغِيرِهَا وَكَبِيرِهَا، لِيَحْذَرَ النَّاسُ عِلْمَهُ فِيهِمْ؛ فَيَسْتَحْيُوا مِنْ اللَّهِ تَعَالَى حَقَّ الْحَيَاءِ ٢٠: ﴿وَاللَّهُ يَقْضِي بِالْحَقِّ﴾ بِحُكْمِ الْعَدْلِ ﴿وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ﴾ مِنَ الْأَنْدَادِ ﴿لَا يَقْضُونَ شَيْءًا﴾ لَا يَلْمِكُونَ شَيْئًا وَلَا يَحْكُمُونَ شَيْئًا ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ ٢١: ﴿أُولَئِكَ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ﴾ أُولَئِكَ يَسِيرُ هَؤُلَاءِ الْمَكْذُوبُونَ بِرِسَالَتِكَ يَا مُحَمَّدٌ ﴿فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ كَانُوا مِنَ الْأُمَمِ الْمَكْذُوبَةِ﴾

الْيَوْمَ نَجْزِي كُلَّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿١٧﴾ وَأَنْذَرْتَهُمْ يَوْمَ الْأَرْزَاقِ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْخُنَاجِرِ كَاطْمِينٍ مَّا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ ﴿١٨﴾ يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ ﴿١٩﴾ وَاللَّهُ يَقْضِي بِالْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَقْضُونَ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿٢٠﴾ أُولَئِكَ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ كَانُوا مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَءَانَارًا فِي الْأَرْضِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَاقٍ ﴿٢١﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَكَفَرُوا فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ إِنَّهُ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٢٢﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ إِلَى فِرْعَوْنَ وَهَمْلَانَ وَقُرُونَ فَقَالُوا سَاحِرٌ كَذَّابٌ ﴿٢٣﴾ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْحَقِّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا اقْتُلُوا أَبْنَاءَ الَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ وَاسْتَحْيُوا نِسَاءَهُمْ وَمَا كَيْدُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ ﴿٢٤﴾

بِالْأَنْبِيَاءِ مَا حَلَّ بِهِمْ مِنَ الْعَذَابِ وَالنَّكَالِ ﴿كَانُوا هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً﴾ مِنْ هَؤُلَاءِ ﴿وَءَانَارًا فِي الْأَرْضِ﴾ مِنَ الْبَنِيَّاتِ وَالْمَعَالِمِ وَالذِّبَارَاتِ مَا لَا يَقْدِرُ هَؤُلَاءُ عَلَيْهِ ﴿فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَاقٍ﴾ مَا دَفَعَ عَنْهُمْ عَذَابَ اللَّهِ أَحَدٌ وَلَا وَقَاهُمْ وَاقٍ ٢٢: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ﴾ الدَّلَائِلُ الْوَاضِحَاتِ ﴿فَكَفَرُوا﴾ مَعَ هَذَا الْبَيِّنِ وَالْبُرْهَانِ كَفَرُوا وَجَحَدُوا ﴿فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ﴾ أَهْلَكَهُمْ وَدَمَّرَهُمُ وَاللَّكَافِرِينَ أَمْثَالُهَا ﴿إِنَّهُ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ ٢٣: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ﴾ أَرْسَلَهُ بِالْآيَاتِ الْبَيِّنَاتِ وَالْحُجَّةِ وَالْبُرْهَانِ ٢٤: ﴿إِلَى فِرْعَوْنَ﴾ وَهُوَ مَلِكُ الْقِبْطِ بِمِصْرَ ﴿وَهَامَانَ﴾ وَهُوَ وَزِيرُهُ فِي مَمْلَكَتِهِ ﴿وَقَارُونَ﴾ وَكَانَ أَكْثَرَ النَّاسِ فِي زَمَانِهِ مَالًا وَتِجَارَةً، ﴿فَقَالُوا سَاحِرٌ كَذَّابٌ﴾ كَذَّبُوهُ وَجَعَلُوهُ سَاحِرًا جُنُونًا كَذَّابًا بِأَنَّ اللَّهَ أَرْسَلَهُ ٢٥: ﴿فَلَمَّا جَاءَهُم بِالْحَقِّ مِنْ عِنْدِنَا﴾ بِالْبُرْهَانِ الْقَاطِعِ الدَّالِّ عَلَى أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ أَرْسَلَهُ إِلَيْهِمْ ﴿قَالُوا اقْتُلُوا أَبْنَاءَ الَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ وَاسْتَحْيُوا نِسَاءَهُمْ﴾ وَهَذَا أَمْرٌ ثَانٍ مِنْ فِرْعَوْنَ بِقَتْلِ ذَكَورِ بَنِي إِسْرَائِيلَ، أَمَّا الْأَوَّلُ فَكَانَ لِأَجْلِ الْإِحْتِرَازِ مِنْ وُجُودِ مُوسَى، وَأَمَّا الثَّانِي فَلِإِهَانَةِ، وَلَكِي يَتَشَاءَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ وَهَذَا قَالُوا: ﴿أَوْ ذِينًا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَأْتِيَنَا وَمِنْ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا﴾ الْآيَةُ ﴿وَمَا كَيْدُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ﴾ وَمَا كَرَهُمْ وَقَصَدَهُمُ الَّذِي هُوَ تَقْلِيلُ عَدَدِ بَنِي إِسْرَائِيلَ لِئَلَّا يَنْصُرُوا عَلَيْهِمْ إِلَّا ذَاهِبٌ وَهَالِكٌ فِي ضَلَالٍ.

الآية: ١٧ كما ثبت في صحيح مسلم عن أبي ذر عن رسول الله ﷺ فيها يحكي عن ربه عز وجل أنه قال: «يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرماً فلا تظالموا، [إلى أن قال:] إنما هي أعمالكم أحصيا عليكم، ثم أوفيكُم إياها، فمن وجد خيراً فليحمد الله تبارك وتعالى، ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه». /ابن كثير ج ٤/٧٥٤

٢٦: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذُرِّيَّتِي أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ﴾ هذا عزم من فرعون على قتل موسى عليه السلام، ﴿وليدع ربه﴾ لأبالي منه، وهذا في غاية الجحد والعناد، ﴿إني أخاف أن يبدل دينكم أو يظفر في الأرض الفساد﴾ يخشى فرعون أن يضل موسى الناس، وهذا كما يقال في المثل: صار فرعون مذكراً ٢٧: ﴿وقال موسى إني غذت بربي وربكم﴾ أيها المخاطبون ﴿من كل متكبر﴾ عن الحق مجرم ﴿لا يؤمن يوم الحساب﴾، ولهذا جاء في الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان إذا خاف قوماً قال: «اللهم إنا نعوذ بك من شرورهم ونذرنا بك في نحورهم» ٢٨: ﴿وقال رجل مؤمن من آل فرعون يكتم إيمانه﴾ كان ابن عم فرعون ﴿أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم إن يك كاذباً فعليهِ كذبه وإن يك صادقاً يصيبكم بعض الذي يعدكم إن الله لا يهدي من هو مسرف كذاب﴾ ٢٩: ﴿وقال الذين آمنوا يوقم لكم الملك اليوم ظاهرين في الأرض فمن ينصرنا من بأس الله إن جاءنا قال فرعون ما أريكم إلا ما أرى وما أهديكم إلا سبيل الرشاد﴾ ٣٠: ﴿وقال الذي آمن يوقم إني أخاف عليكم مثل يوم الأحزاب﴾ ٣١: ﴿وقال فرعون راداً على هذا الرجل الصالح﴾ ٣٢: ﴿وقال فرعون راداً على هذا الرجل الصالح﴾ ٣٣: ﴿وقال فرعون راداً على هذا الرجل الصالح﴾ ٣٤: ﴿وقال فرعون راداً على هذا الرجل الصالح﴾ ٣٥: ﴿وقال فرعون راداً على هذا الرجل الصالح﴾ ٣٦: ﴿وقال فرعون راداً على هذا الرجل الصالح﴾ ٣٧: ﴿وقال فرعون راداً على هذا الرجل الصالح﴾ ٣٨: ﴿وقال فرعون راداً على هذا الرجل الصالح﴾ ٣٩: ﴿وقال فرعون راداً على هذا الرجل الصالح﴾ ٤٠: ﴿وقال فرعون راداً على هذا الرجل الصالح﴾ ٤١: ﴿وقال فرعون راداً على هذا الرجل الصالح﴾ ٤٢: ﴿وقال فرعون راداً على هذا الرجل الصالح﴾ ٤٣: ﴿وقال فرعون راداً على هذا الرجل الصالح﴾ ٤٤: ﴿وقال فرعون راداً على هذا الرجل الصالح﴾ ٤٥: ﴿وقال فرعون راداً على هذا الرجل الصالح﴾ ٤٦: ﴿وقال فرعون راداً على هذا الرجل الصالح﴾ ٤٧: ﴿وقال فرعون راداً على هذا الرجل الصالح﴾ ٤٨: ﴿وقال فرعون راداً على هذا الرجل الصالح﴾ ٤٩: ﴿وقال فرعون راداً على هذا الرجل الصالح﴾ ٥٠: ﴿وقال فرعون راداً على هذا الرجل الصالح﴾ ٥١: ﴿وقال فرعون راداً على هذا الرجل الصالح﴾ ٥٢: ﴿وقال فرعون راداً على هذا الرجل الصالح﴾ ٥٣: ﴿وقال فرعون راداً على هذا الرجل الصالح﴾ ٥٤: ﴿وقال فرعون راداً على هذا الرجل الصالح﴾ ٥٥: ﴿وقال فرعون راداً على هذا الرجل الصالح﴾ ٥٦: ﴿وقال فرعون راداً على هذا الرجل الصالح﴾ ٥٧: ﴿وقال فرعون راداً على هذا الرجل الصالح﴾ ٥٨: ﴿وقال فرعون راداً على هذا الرجل الصالح﴾ ٥٩: ﴿وقال فرعون راداً على هذا الرجل الصالح﴾ ٦٠: ﴿وقال فرعون راداً على هذا الرجل الصالح﴾ ٦١: ﴿وقال فرعون راداً على هذا الرجل الصالح﴾ ٦٢: ﴿وقال فرعون راداً على هذا الرجل الصالح﴾ ٦٣: ﴿وقال فرعون راداً على هذا الرجل الصالح﴾ ٦٤: ﴿وقال فرعون راداً على هذا الرجل الصالح﴾ ٦٥: ﴿وقال فرعون راداً على هذا الرجل الصالح﴾ ٦٦: ﴿وقال فرعون راداً على هذا الرجل الصالح﴾ ٦٧: ﴿وقال فرعون راداً على هذا الرجل الصالح﴾ ٦٨: ﴿وقال فرعون راداً على هذا الرجل الصالح﴾ ٦٩: ﴿وقال فرعون راداً على هذا الرجل الصالح﴾ ٧٠: ﴿وقال فرعون راداً على هذا الرجل الصالح﴾ ٧١: ﴿وقال فرعون راداً على هذا الرجل الصالح﴾ ٧٢: ﴿وقال فرعون راداً على هذا الرجل الصالح﴾ ٧٣: ﴿وقال فرعون راداً على هذا الرجل الصالح﴾ ٧٤: ﴿وقال فرعون راداً على هذا الرجل الصالح﴾ ٧٥: ﴿وقال فرعون راداً على هذا الرجل الصالح﴾ ٧٦: ﴿وقال فرعون راداً على هذا الرجل الصالح﴾ ٧٧: ﴿وقال فرعون راداً على هذا الرجل الصالح﴾ ٧٨: ﴿وقال فرعون راداً على هذا الرجل الصالح﴾ ٧٩: ﴿وقال فرعون راداً على هذا الرجل الصالح﴾ ٨٠: ﴿وقال فرعون راداً على هذا الرجل الصالح﴾ ٨١: ﴿وقال فرعون راداً على هذا الرجل الصالح﴾ ٨٢: ﴿وقال فرعون راداً على هذا الرجل الصالح﴾ ٨٣: ﴿وقال فرعون راداً على هذا الرجل الصالح﴾ ٨٤: ﴿وقال فرعون راداً على هذا الرجل الصالح﴾ ٨٥: ﴿وقال فرعون راداً على هذا الرجل الصالح﴾ ٨٦: ﴿وقال فرعون راداً على هذا الرجل الصالح﴾ ٨٧: ﴿وقال فرعون راداً على هذا الرجل الصالح﴾ ٨٨: ﴿وقال فرعون راداً على هذا الرجل الصالح﴾ ٨٩: ﴿وقال فرعون راداً على هذا الرجل الصالح﴾ ٩٠: ﴿وقال فرعون راداً على هذا الرجل الصالح﴾ ٩١: ﴿وقال فرعون راداً على هذا الرجل الصالح﴾ ٩٢: ﴿وقال فرعون راداً على هذا الرجل الصالح﴾ ٩٣: ﴿وقال فرعون راداً على هذا الرجل الصالح﴾ ٩٤: ﴿وقال فرعون راداً على هذا الرجل الصالح﴾ ٩٥: ﴿وقال فرعون راداً على هذا الرجل الصالح﴾ ٩٦: ﴿وقال فرعون راداً على هذا الرجل الصالح﴾ ٩٧: ﴿وقال فرعون راداً على هذا الرجل الصالح﴾ ٩٨: ﴿وقال فرعون راداً على هذا الرجل الصالح﴾ ٩٩: ﴿وقال فرعون راداً على هذا الرجل الصالح﴾ ١٠٠: ﴿وقال فرعون راداً على هذا الرجل الصالح﴾

وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذُرِّيَّتِي أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ ﴿٢٦﴾
وَقَالَ مُوسَى إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ مِنْ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ ﴿٢٧﴾ وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ وَإِنْ يَكُ كَذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِيبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدْكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَابٌ ﴿٢٨﴾ يَقَوْمُ لَكُمْ الْمَلِكُ الْيَوْمَ ظَاهِرِينَ فِي الْأَرْضِ فَمَنْ يَنْصُرُنَا مِنْ بَأْسِ اللَّهِ إِنْ جَاءَنَا قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ ﴿٢٩﴾ وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَاقَوْمُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ مِثْلَ يَوْمِ الْأَحْزَابِ ﴿٣٠﴾ مِثْلَ ذَابٍ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظَلْمًا لِلْعِبَادِ ﴿٣١﴾ وَيَقَوْمُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ ﴿٣٢﴾ يَوْمَ تَوَلَّوْنَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴿٣٣﴾

٤٧٠

من الحق؟ ثم تنزل معهم في المخاطبة فقال: ﴿وإن يك كاذباً فعليهِ كذبه وإن يك صادقاً يصيبكم بعض الذي يعدكم﴾ يعني إذا لم يظهر لكم صحة ما جاءكم به فمن الرأي التام أن تتركوه فلا تؤذوه، وإن يك كاذباً فإن الله سيجازيه على كذبه، وإن يك صادقاً وقد أذيتهمه يصيبكم بعض الذي يعدكم، فإنه يتوعدكم إن خالفتموه بعذاب في الدنيا والآخرة. ثم قال المؤمن: ٢٩: ﴿يا قوم لكم الملك اليوم ظاهرين في الأرض﴾ قد أنعم الله عليكم بهذا الملك، والظهور في الأرض بالكلمة النافذة والجاه، فرأعوا هذه النعمة بشكر الله، ﴿فمن ينصرنا من بأس الله إن جاءنا﴾ لا تخفي عنكم هذه الجنود ولا ترد عنا شيئاً من بأس الله، ﴿قال فرعون﴾ راداً على هذا الرجل الصالح: ﴿ما أريكم إلا ما أرى وما أهديكم إلا سبيل الرشاد﴾ ٣٠: ﴿وقال الذي آمن ياقوم إني أخاف عليكم مثل يوم الأحزاب﴾ كقوم نوح وعاد وثمود ٣١: ﴿مثل ذاب قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم﴾ من الأمم المكذبة كيف حل بهم بأس الله، ﴿وما الله يريد ظلماً للعباد﴾ إنما أهلكهم الله تعالى بذنوبهم وتكذيبهم رسله ٣٢: ﴿ويا قوم إني أخاف عليكم يوم التناد﴾ يوم القيامة، يُنادى كل قوم بأعمالهم ٣٣: ﴿يوم تولون مدبرين﴾ ذاهبين هاربين ﴿مالكم من الله من عاصم﴾ مالكم من موانع يمنعكم من بأس الله وعذابه، ﴿ومن يضل الله﴾ من أضله الله ﴿فماله من هادي﴾ فلا هادي له غيره تعالى.

الآية: ٢٨ وكذلك قالها أبو بكر الصديق، روى البخاري في صحيحه عن عبدالله بن عمرو بن العاص أنه قال: بينا رسول الله ﷺ يصلي بفناء الكعبة إذ أقبل عقبة بن أبي معيط، فأخذ يمتكح رسول الله ﷺ ولوى ثوبه في عنقه فحقتة خنقاً شديداً، فأقبل أبو بكر رضي الله عنه فأخذ يمتكحه ودفعه عن النبي ﷺ ثم قال: ﴿أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم؟!﴾

٣٤: ﴿وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِنْ قَبْلُ بِالْبَيِّنَاتِ﴾ يعني أهل مصر، قد بعث الله فيهم رسولاً من قبل موسى وهو يوسف عليه السلام، وكان عزيز أهل مصر وكان رسولاً يدعوهم إلى الله، فما أطاعوه إلا لجمرة الزنارة والجاه الدنيوي، ولهذا قال تعالى: ﴿فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكِّ مِمَّا جَاءَكُمْ بِهِ حَتَّى إِذَا هَلَكَ﴾ [توفاه الله] ﴿فَلْتُمْ لَنْ يَبْعَثَ اللَّهُ مِنْ بَعْدِهِ رَسُولًا﴾ أي يستم قتلتم ذلك لكفركم، ﴿كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُرْتَابٌ﴾ كذلك يضلُّ الله من هو مسرف مرتاب كحالكم هذا يكون حال من يضلُّه الله لإسرافه في أفعاله وارتباب قلبه، ثم قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ﴾ الذين يدفعون الحق بالباطل ويجادلون الحجة بغير دليل، فإن الله تعالى يمتق على ذلك أشدَّ المقت، ولهذا قال تعالى: ﴿كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ والمؤمنون أيضاً يغيضون من تكون هذه صفته، فإن من كانت هذه صفته يطبع الله على قلبه فلا يعرف بعد ذلك معروفاً، ولا يكر منكرًا ولهذا قال تعالى: ﴿كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبٍ مُتَكَبِّرٍ﴾ على اتساع الحق ﴿جِبَارٌ﴾، وآية الجبابة القتل بغير حق ٣٦: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا هَاهُمَانُ إِنِّي لَمُجْرِمٌ﴾ وأبلغ الأسباب يُخبر تعالى عن فرعون وعتوه وتمرده في تكذيبه موسى أنه أمر وزيره هَامَانَ أن يبني له قصرًا عاليًا شاهقًا من الآجر المشوي كما قال تعالى: ﴿فَأَوْقِدْ لِي يَا هَاهُمَانُ عَلَى الطينِ فَاجْعَلْ لِي صَرْحًا﴾ لعلِّي أبلغ

وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِنْ قَبْلُ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكِّ مِمَّا جَاءَكُمْ بِهِ حَتَّى إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَنْ يَبْعَثَ اللَّهُ مِنْ بَعْدِهِ رَسُولًا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُرْتَابٌ ﴿٣٤﴾ الَّذِينَ يَجْدُلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ الَّذِينَ ءَامَنُوا كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبٍ مُتَكَبِّرٍ جِبَارٍ ﴿٣٥﴾ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَهْمُنُ ابْنُ بَنِي صِرْحَانَ عَلَيَّ أَتَبْلُغُ الْأَسْبَابَ ﴿٣٦﴾ أَسْبَابَ السَّمَوَاتِ فَأَطَّلِعُ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لِأَظُنُّهُ كُذِبًا وَكَذَلِكَ زَيْنَ فِرْعَوْنَ سُوءَ عَمَلِهِ وَصُدَّ عَنِ السَّبِيلِ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبَابٍ ﴿٣٧﴾ وَقَالَ الَّذِي ءَامَنَ يَقَوْمِ اتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ ﴿٣٨﴾ يَقَوْمِ إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ ﴿٣٩﴾ مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنَّىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٤٠﴾

طرق السموات ٣٧: ﴿أسباب السموات فأطلع إلى إله موسى وإني لأظنه كاذباً﴾ وهذا من كفره وتمرده، ﴿وكذلك زين فرعون سوء عمله وصد عن السبيل﴾ بصنعه هذا الذي أراد أن يوهب به الرعية أنه يعمل شيئاً يتوصل به إلى تكذيب موسى عليه السلام، ولهذا قال تعالى: ﴿وما كيد فرعون إلا في تباب﴾ إلا في خسار ٣٨: ﴿وقال الذي آمن يا قوم اتبعون أهدكم سبيل الرشاد﴾ يقول المؤمن لقومه بمن تمرد وطغي: ﴿اتبعون أهدكم﴾ لا كما كذب فرعون في قوله: ﴿وما أهداكم إلا سبيل الرشاد﴾ ثم زهدهم في الدنيا فقال: ٣٩: ﴿يا قوم إنما هذه الحياة الدنيا متاع﴾ قليلة زائلة فانية عن قريب تذهب وتضمحل ﴿وإن الآخرة هي دار القرار﴾ الدار التي لازوال لها ولا انتقال منها^(١)، بل هي إنما نعيم وإما جحيم، ولهذا قال تعالى: ٤٠: ﴿من عمل سيئة فلا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا ومن عمل صالحاً من ذكرٍ أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ أي: لا يقدَّرُ جزاء، بل يثيبه الله عز وجل ثواباً كثيراً لا انقضاء له ولا تقاؤ.

(١) أخرجه ابن مردويه عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «إن الحياة الدنيا متاع، وليس من متاعها شيء أفضل من المرأة الصالحة؛ التي إن نظرت إليها سرتك، وإذا غبت عنها حفظتك في نفسها ومالها».

الآية: ٤٠: روى الترمذي من حديث أبي ثعلبة في حديث الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، أن رسول الله ﷺ قال: «...فإن ورائكم أيام الصبر، الصبر فيهن مثل القبض على الجمر، للعامل فيهن مثل أجر خمسين رجلاً يعملون مثل عمله»، قيل: يارسول الله! أجر خمسين رجلاً متاً أو منهم؟ قال: «بل أجر خمسين منكم» ورواه أبو داود بهذه الزيادة. وروى مسلم والترمذي وابن ماجه عن معقل بن يسار أن رسول الله ﷺ قال: «عبادة في الحج كحجرة إلى». / الترغيب ج ١٢٥/ ١٢٦

٤١: ﴿وَيَا قَوْمِ مَا لِي أَدْعُوكُمْ إِلَى النِّجَاةِ﴾
 ما بالي أدعوكم إلى عبادة الله وحده لا شريك له
 وتصديق رسوله ﴿وتدعونني إلى النار﴾؟
 ٤٢: ﴿تَدْعُونِي لَأَكْفُرَ بِاللَّهِ وَأَشْرِكَ بِهِ﴾
 ما ليس لي به علم ﴿على جهل بلا دليل﴾
 ﴿وَأَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَى الْعَزِيزِ الْغَفَّارِ﴾ هو في عزته
 وكبريائه يغفر ذنب من تاب إليه ٤٣:
 ﴿لَا جْرَمَ﴾ حقاً ﴿أَمَا تَدْعُونِي إِلَيْهِ﴾ من
 الأنداد ﴿ليس له دعوة في الدنيا ولا في
 الآخرة﴾ ليس له شيء ولا ينفع ولا ينصر،
 ولا يجيب داعيه، ﴿وَأَنْ مَرَدْنَا إِلَى اللَّهِ﴾ في
 الآخرة فيجازي كلأ بعمله، ولهذا قال تعالى:
 ﴿وَأَنْ الْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَابُ النَّارِ﴾ ٤٤:
 ﴿فَسَتَذْكُرُونَ مَا أَقُولُ لَكُمْ﴾ سوف تعلمون
 صدق ما أمرتكم به ونهيتكم عنه، ونصحتكم
 ووضحت لكم، وتذكرونه وتندمون حيث
 لا ينفَعكم الندم، ﴿وأفوض أمري إلى الله﴾
 وأتوكل على الله وأستعينه وأقاطعكم. ﴿إِنَّ اللَّهَ
 بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾ فهدي من يستحق الهداية
 ويضل من يستحق الإضلال وله الحجة
 البالغة. ﴿إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾
 فهدي من يستحق الهداية ويضل من يستحق
 الإضلال وله الحجة البالغة. ٤٥: ﴿فَوَقَاةُ
 اللَّهِ سَيِّئَاتٍ مَمَكْرُوءٍ﴾ في الدنيا والآخرة، أما
 في الدنيا فنجاه الله تعالى مع موسى عليه
 السلام، وأما في الآخرة فالجنة. ﴿وَحَاقَ بِآلِ
 فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ﴾ وهو الغرق في اليم ثم
 النقلة منه إلى الجحيم، فإن أرواحهم تُعرض
 على النار صباحاً ومساءً إلى قيام الساعة، فإذا

وَيَقَوْمِ مَا لِي أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجْوَةِ وَتَدْعُونِي إِلَى
 النَّارِ ﴿٤١﴾ تَدْعُونِي لِأَكْفُرَ بِاللَّهِ وَأَشْرِكَ بِهِ مَا لَيْسَ
 لِي بِهِ عِلْمٌ وَأَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَى الْعَزِيزِ الْغَفَّارِ ﴿٤٢﴾ لَأَجْرَمَ
 أَنَّمَا تَدْعُونِي إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُ دَعْوَةٌ فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي الْآخِرَةِ
 وَأَنْ مَرَدْنَا إِلَى اللَّهِ وَآيَاتُ الْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَابُ النَّارِ
 ﴿٤٣﴾ فَسَتَذْكُرُونَ مَا أَقُولُ لَكُمْ وَأَفْوُضُ أَمْرِي إِلَى
 اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴿٤٤﴾ فَوَقَاهُ اللَّهُ سَيِّئَاتٍ
 مَمَكْرُوءٍ وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ ﴿٤٥﴾ النَّارُ
 يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا
 آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ ﴿٤٦﴾ وَإِذْ يَتَحَاجُّونَ فِي
 النَّارِ فَيَقُولُ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا
 لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنْتُمْ مُعْتَنُونَ عَلَنَّا نَصِيبًا مِنَ النَّارِ
 قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُلٌّ فِيهَا إِنَّ اللَّهَ
 قَدَّحَكُمْ بَيْنَ الْعِبَادِ ﴿٤٧﴾ وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخِزْنَةِ
 جَهَنَّمَ ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَلَيْنَا يَوْمًا مِنَ الْعَذَابِ ﴿٤٨﴾

كان يوم القيامة اجتمعت أرواحهم وأجسادهم في النار، ولهذا قال تعالى: ٤٦: ﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا﴾ هذه الآية أصل كبير في
 استدلال أهل السنة على عذاب البرزخ في القبور، وروى أحمد أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: ﴿أيها الناس استعدوا بالله من عذاب
 القبر، فإن عذاب القبر حق﴾ وهذا إسناد صحيح. ﴿ويوم تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون أشد العذاب﴾. ٤٧: ﴿وَإِذْ يَتَحَاجُّونَ فِي النَّارِ﴾
 يُخبر تعالى عن تحاج أهل النار في النار وتخاصمهم وفرعون وقومه من جهنم ﴿فيقول الضعفاء﴾ وهم الأنبياء ﴿للذين استكبروا﴾ وهم القادة
 والسادة ﴿إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا﴾ أظنكم فيما دعوتنونا إليه في الدنيا من الكفر والضلال ﴿فهل أنتم مُعْتَنُونَ عَلَنَّا نَصِيبًا مِنَ النَّارِ﴾؟ تتحملون عنا
 قسطاً من النار؟ ٤٨: ﴿قال الذين استكبروا إِنَّا كُلٌّ فِيهَا﴾ لانتحمل عنكم شيئاً كفى ما عندنا وما حملنا من العذاب والنكال ﴿إِنَّ اللَّهَ قَدَّحَكُمْ بَيْنَ
 الْعِبَادِ﴾ قسم بيننا العذاب بقدر ما يستحقه كل منّا، كما قال تعالى: ﴿قال لكل ضعفت ولكن لا تعلمون﴾. ٤٩: ﴿وقال الذين في النار لخيرنة
 جهنم ادعوا ربكم يخفف عنا يوماً من العذاب﴾ لما علموا أن الله عز وجل لا يستجيب منهم ولا يسمع لدعائهم بل قد قال تعالى: ﴿اخسؤوا
 فيها ولا تكلمون﴾، سألو الخزنة وهم كالسجانين لأهل النار أن يدعوا لهم الله تعالى في أن يخفف عن الكافرين ولو يوماً واحداً من العذاب.

الآية: ٤٦: روى الإمام أحمد بإسناد صحيح أن رسول الله ﷺ خرج ذات يوم نصف النهار مشتملاً بفرقه، مُحَمَّرَةً عِيَانَهُ، وهو يُنادي بأعلى صوته: «الفرق قطع الليل المظلم، أيها
 الناس لو تعلمون ما أعلم بكيتكم كثيراً وضحكتكم قليلاً، أيها الناس استعدوا بالله من عذاب القبر، فإن عذاب القبر حق». وروى الإمام أحمد عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ
 أَحَدَكُمْ إِذَا مَاتَ عَرِضَ عَلَيْهِ مَقْعَدُهُ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ إِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَإِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ فَمِنْ أَهْلِ النَّارِ، فَيُقَالُ: هَذَا مَقْعَدُكَ حَتَّى يَبْعَثَكَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ إِلَيْهِ يَوْمَ
 الْقِيَامَةِ» وأخرجه في الصحيحين. /ابن كثير ج ٤/ ٨٢/

٥٠: ﴿قَالُوا أَوْلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رَسُولُكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ؟ أَوْ مَا قَامَتْ عَلَيْكُمْ الْحُجَجُ فِي الدُّنْيَا عَلَى أَلْسِنَةِ الرُّسُلِ؟﴾ قَالُوا بَلَى قَالُوا فَادْعُوا أَي: أَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ، فَنَحْنُ لَانْدَعُو لَكُمْ وَلَا نَسْمَعُ مِنْكُمْ وَلَا نَتَوَدُّ خِلَاصَكُمْ، وَنَحْنُ مِنْكُمْ بَرَاءٌ، ﴿وَمَا دَعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ﴾ إِلَّا فِي ذَهَابٍ لَا يُقْبَلُ وَلَا يُسْتَجَابُ، ٥١: ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ الْمُرَادُ بِالنَّصْرِ الْإِنْتِصَارَ لَهُمْ مِنْ أَدَاةٍ وَسِوَاهَا ذَلِكَ بِمُحْضَرَّتِهِمْ أَوْ فِي غَيْبَتِهِمْ أَوْ بَعْدَ مَوْتِهِمْ، وَهَذَا أَهْلَكَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ قَوْمَ نوح وَعَاد وَثَمُودَ وَأَصْحَابَ الرِّسِيِّ وَقَوْمَ لوط وَأَهْلَ مَدْيَنَ وَأَشْبَاهَهُمْ مِنْ كَذَبِ الرُّسُلِ وَخَالَفِ الْحَقَّ، وَأَنْجَى اللَّهُ تَعَالَى الْمُؤْمِنِينَ مِنْ بَيْنِهِمْ، فَلَمْ يُهْلِكْ مِنْهُمْ أَحَدًا، وَعَذَّبَ الْكَافِرِينَ فَلَمْ يُقْتَلْ مِنْهُمْ أَحَدًا. ﴿وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ﴾ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تَكُونُ النَّصْرَةُ أَعْظَمَ وَأَكْبَرَ وَأَجَلَ ٥٢: ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ الظَّالِمِينَ مَعَذَرَتُهُمْ﴾ وَهِيَ الْمَشْرُوكُونَ، لَا يُقْبَلُ اللَّهُ مِنْهُمْ عُذْرًا وَلَا نَدِيَّةً ﴿وَهُمْ اللَّعْنَةُ﴾ الْإِبْعَادُ وَالطَّرْدُ مِنَ الرَّحْمَةِ ﴿وَهُمْ سُوءُ الدَّارِ﴾ وَهِيَ النَّارُ، بِسَبَبِ النَّزْلِ وَالْمَقْبِلِ وَالْعَاقِبَةِ ٥٣: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْهُدَى﴾ وَهُوَ مَا بَعَثَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِهِ مِنَ الْهُدَى وَالنُّورِ ﴿وَأَوْرَثْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ الْكِتَابَ﴾ جَعَلْنَا لَهُمُ الْعَاقِبَةَ، وَأَوْرَثْنَا لَهُمْ بِلَادَ فِرْعَوْنَ وَأَمْوَالَهُ، بِمَا صَبَرُوا عَلَى طَاعَةِ اللَّهِ وَاتِّبَاعِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَالْكِتَابِ الَّذِي أَوْرَثُوهُ هُوَ التَّوْرَةُ ٥٤: ﴿هُدًى وَذِكْرًا لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ وَهِيَ الْعُقُولُ الصَّحِيحَةُ السَّلِيمَةُ

قَالُوا أَوْلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رَسُولُكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا بَلَى قَالُوا فَادْعُوا وَمَا دَعَا الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ ﴿٥٠﴾ إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ ﴿٥١﴾ يَوْمَ لَا يَنْفَعُ الظَّالِمِينَ مَعَذَرَتُهُمْ وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ ﴿٥٢﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْهُدَى وَأَوْرَثْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ الْكِتَابَ ﴿٥٣﴾ وَذِكْرًا لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿٥٤﴾ فَاصْبِرْ إِنَّا وَعَدَلُّهُ حَقٌّ وَأَسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ ﴿٥٥﴾ إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَتْهُمْ لِيَنْفَعُوا فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كَبْرٌ مَّا هُمْ بِبَالِغِيهِ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿٥٦﴾ لَخَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٧﴾ وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَلَا الْمُسِيءَ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٥٨﴾

٥٥: ﴿فَاصْبِرْ﴾ بِأَحْمَدٍ ﴿إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ﴾ وَعَدَدْنَاكَ أَنَا سَنُعَلِي كَلِمَتَكَ وَنَجْعَلُ الْعَاقِبَةَ لَكَ وَلِمَنْ أَتَيْتَكَ ﴿وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ﴾ هَذَا تَمْسِيحٌ لِلأَمَةِ عَلَى الْإِسْتِغْفَارِ ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَشِيِّ﴾ فِي آخِرِ النَّهَارِ ﴿وَالْإِبْكَارِ﴾ وَهِيَ آخِرُ اللَّيْلِ ٥٦: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ﴾ يَدْفَعُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ، وَيَرْتَوُونَ الْحُجَجَ الصَّحِيحَةَ بِالشَّبهِ الْفَاسِدَةِ ﴿إِنَّ فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كَبْرٌ مَّا هُمْ بِبَالِغِيهِ﴾ مَا فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كَبْرٌ عَلَى اتِّبَاعِ الْحَقِّ وَاحْتِقَارِ مَنْ جَاءَهُمْ بِهِ وَلَيْسَ مَا يَرْتَوُونَهُ مِنْ إِحْتِمَادِ الْحَقِّ وَإِعْلَاءِ الْبَاطِلِ بِمُحَاصِلِهِ لَهُمْ، بَلِ الْحَقُّ هُوَ الْمَرْفُوعُ، ﴿فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ﴾ مِنْ حَالٍ مِثْلِ هَؤُلَاءِ ﴿إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ ٥٧: ﴿لَخَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ﴾ بِنَيْهِ تَعَالَى عَلَى أَنَّهُ يُعِيدُ الْخَلَائِقَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَأَنَّ ذَلِكَ سَهْلٌ عَلَيْهِ، بَأَنَّهُ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ، وَخَلَقَهُمَا أَكْبَرَ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ بِدَأْءٍ وَإِعَادَةٍ، فَمَنْ قَدَّرَ عَلَى ذَلِكَ فَهُوَ قَادِرٌ عَلَى مَا دُونَهُ بِطَرِيقِ الْأُولَى ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ فَلِهَذَا لَا يَتَذَكَّرُونَ هَذِهِ الْحُجَّةَ وَلَا يَتَأَمَّلُونَهَا ٥٨: ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَالْمُسِيءَ﴾ كَمَا لَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى الَّذِي لَا يَبْصُرُ شَيْئًا وَالْبَصِيرُ الَّذِي يَرَى مَا نَتَهَى إِلَيْهِ بَصَرَهُ، بَلِ بَيْنَهُمَا فَرْقٌ عَظِيمٌ؛ كَذَلِكَ لَا يَسْتَوِي الْمُؤْمِنُونَ الْأَبْرَارَ وَالْكَافِرَةَ الْفُجَّارَ ﴿قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ مَا أَقَلَّ مَا يَتَذَكَّرُ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ؟!.

الآية: ٥١ الانتصار لهم ممن آذاهم إما محضرتهم أو في غيبتهم كما فعل الله بقتلة يحيى وزكريا وشعياً سلط الله عليهم من أعدائهم من أهانتهم وسفك دماهم، وأما الذين راموا صلب المسيح عليه السلام من اليهود فسلب الله عليهم الروم فأهانوهم وأذلهم وأظهرهم الله تعالى عليهم، ثم إن عيسى عليه السلام سيزل من السماء إماماً عادلاً فيقتل الدجال واليهود والنصارى الذي زعموا ألوهيته، وفي صحيح البخاري عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ قال: «يقول الله تبارك وتعالى: مَنْ عَادِيَ لِي وَلِيًّا فَقَدْ بَارَزَنِي بِالْحَرْبِ»، ولقد نصر الله تعالى رسوله محمداً وأصحابه على من خالفه وتوأده، وكذبه وعاداه، ففعل كلمته هي العليا ودينه هو الظاهر على سائر الأديان، فالحمد لله رب العالمين على ذلك. / ابن كثير ج/ ٨٣ - ٨٤ /

إِنَّ السَّاعَةَ لَأَيُّةٌ لَّارِيبَ فِيهَا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٦٠﴾ وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦١﴾ اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ لَيْلًا لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٦٢﴾ ذَلِكَ اللَّهُ رَبُّكُمْ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَى تَوْفُوكُونَ ﴿٦٣﴾ كَذَلِكَ يُؤَفِّكُ الَّذِينَ كَانُوا يَأْتُونَ اللَّهَ بِمُحَدِّثِينَ ﴿٦٤﴾ اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ قَرَارًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُورَكُمْ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ ذَلِكَ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَتَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٦٥﴾ هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦٦﴾ قُلْ إِنِّي نُهَيْتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَمَّا جَاءَنِي الْبَيِّنَاتُ مِنْ رَبِّي وَأُمِرْتُ أَنْ أُسَلِّمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦٧﴾

٤٧٤

٥٩: ﴿إِنَّ السَّاعَةَ لَأَيُّةٌ لَّارِيبَ فِيهَا﴾ إِنَّ السَّاعَةَ لَكَائِنَةٌ ووَاقِعَةٌ لَارِيبَ فِيهَا ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ لَا يُصَدِّقُونَ بِهَا بَلْ يَكْذِبُونَ بِبُجُودِهَا ٦٠: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ هَذَا مِنْ فَضْلِهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى وَكَرَّمَهُ أَنَّهُ نَذَّبَ عِبَادَهُ إِلَى دُعَائِهِ وَتَكَفَّلَ لَهُمْ بِالْإِجَابَةِ. قَالَ سَفِيَانُ الثَّوْرِيُّ: يَأْمَنُ أَحَبُّ عِبَادِهِ إِلَيْهِ مَنْ سَأَلَهُ فَأَكْفَرَ سُؤْلَهُ، وَيَأْمَنُ أْبْغَضُ عِبَادِهِ إِلَيْهِ مَنْ لَمْ يَسْأَلْهُ وَلَيْسَ أَحَدٌ كَذَلِكَ غَيْرُكَ يَا رَبِّ. ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾، وَرَوَى أَحْمَدُ وَأَصْحَابُ الشُّنَنِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: ﴿إِنَّ الدُّعَاءَ هُوَ الْعِبَادَةُ﴾ ثُمَّ قَرَأَ هَذِهِ الْآيَةَ. قَالَ التِّرْمِذِيُّ: حَسَنٌ صَحِيحٌ ٦١: ﴿اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهَا﴾ بِمَنْ تَعَالَى عَلَى خَلْقِهِ بِمَا جَعَلَ لَهُمْ مِنَ اللَّيْلِ مَا يَسْتَرْجِعُونَ فِيهِ مِنْ حَرَكَاتٍ تَرُدُّهُمْ فِي الْمَعِيشِ، وَجَعَلَ ﴿وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا﴾ مُضِيئًا؛ لِتَبْصُرُوا فِيهِ بِالْأَسْفَارِ وَالتَّمَكُّنِ مِنَ الصَّنَاعَاتِ ﴿إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾ لَا يُقِرُّونَ بِشُكْرِ نِعَمِ اللَّهِ عَلَيْهِمْ، ثُمَّ قَالَ تَعَالَى: ٦٢: ﴿ذَلِكَ اللَّهُ رَبُّكُمْ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ الَّذِي فَعَلَ هَذِهِ الْأَشْيَاءَ هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْأَحَدُ خَالِقُ الْأَشْيَاءِ الَّذِي لَا إِلَهَ غَيْرُهُ وَلَا رَبَّ سِوَاهُ ﴿فَاتَى تَوْفُوكُونَ﴾؟ فَيْكفُ تَعْبُدُونَ غَيْرَهُ مِنَ الْأَصْنَامِ الَّتِي لَا تَخْلُقُ شَيْئًا بَلْ هِيَ مَخْلُوقَةٌ مَنْحُوتَةٌ؟! ٦٣: ﴿كَذَلِكَ يُؤَفِّكُ الَّذِينَ كَانُوا يَأْتُونَ

اللَّهُ بِمُحَدِّثِينَ﴾ كَمَا ضَلَّ هَؤُلَاءَ بِعِبَادَةِ غَيْرِ اللَّهِ كَذَلِكَ أَفَكَ الَّذِينَ مِنْ قِبَلِهِمْ فَعَبَدُوا غَيْرَهُ بِمَجْرَدِ الْجَهْلِ وَالهُوَى، وَجَحَدُوا حُجَجَ اللَّهِ وَآيَاتِهِ ٦٤: ﴿اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ قَرَارًا﴾ جَعَلَهَا لَكُمْ مَسْتَقَرًّا بِسَاطِئِ مَهَادٍ تَعِيشُونَ عَلَيْهَا وَتَتَصَرَّفُونَ فِيهَا وَتَمْشُونَ فِي مَنَاجِبِهَا، وَأَرْسَاهَا بِالْجِبَالِ لِئَلَّا تَمِيدَ بِكُمْ، ﴿وَالسَّمَاءَ بِنَاءً﴾ سَقْفًا لِلْعَالَمِ مَحْفُوظًا، ﴿وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُورَكُمْ﴾ خَلَقَكُمْ فِي أَحْسَنِ الْأَشْكَالِ وَمَنْحَكَمِ أَكْمَلِ الصُّورِ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ، ﴿وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ﴾ مِنَ الْمَأْكَلِ وَالْمَشَارِبِ فِي الدُّنْيَا؛ فَذَكَرَ تَعَالَى أَنَّهُ خَلَقَ الدَّارَ وَالسَّكَانَ وَالْأَرْزَاقَ، فَهُوَ الْخَالِقُ الرَّازِقُ ﴿ذَلِكَ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَتَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ فَتَعَالَى وَتَقَدَّسَ وَتَبَزَّهَ رَبُّ الْعَالَمِينَ كُلِّهِمْ ثُمَّ قَالَ تَعَالَى: ٦٥: ﴿هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ هُوَ الْحَيُّ أَزْلًا وَأَبَدًا لَمْ يَزُلْ وَلَا يَزَالْ، وَهُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ لِأَنْظَرِ لَهُ وَلَا عَدِيلَ لَهُ، ﴿فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ مُوَجِّدِينَ لَهُ مَقَرِّينَ بِأَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ فَلْيَقُلْ عَلَى أُنْفُسِهِ: الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ٦٦: ﴿قُلْ إِنِّي نُهَيْتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ إِنَّ اللَّهَ سَمِيَ أَنْ يَعْبُدَ أَحَدٌ سِوَاهُ مِنَ الْأَصْنَامِ وَالْأَنْدَادِ، ﴿لَمَّا جَاءَنِي الْبَيِّنَاتُ مِنْ رَبِّي وَأُمِرْتُ أَنْ أُسَلِّمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾، قَدْ بَيَّنَّ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَنَّهُ لَا يَسْتَحِقُّ الْعِبَادَةَ أَحَدٌ سِوَاهُ.

الآية: ٦٠ روى الإمام أحمد وأصحاب السنن عن النعمان بن بشير رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح. وروى الإمام أحمد بإسناد لا بأس به عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ﴿مَنْ لَمْ يَدْعُ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ غَضِبَ عَلَيْهِ﴾. /ابن كثير ج ٤/ ٨٥

الآية: ٦٥ قال ابن جرير: كان جماعة من أهل العلم يأمرون من قال: لا إله إلا الله، أن يتبعها بالحمد لله رب العالمين، عملاً بهذه الآية. /ابن كثير ج ٤/ ٨٧/

٦٧: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ تَرَابٍ ثُمَّ مِنْ نَظْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عِلْقَةٍ ثُمَّ لِيَبْلُغُوا أَشَدَّكُمْ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ثُمَّ لِیَبْلُغُوا أَشَدَّكُمْ ثُمَّ لَتَكُونُوا شُيُوخًا﴾ هو الذي يُقَلِّبُكُمْ فِي هَذِهِ الْأَطْوَارِ كُلِّهَا وَحَدَّهُ لِاشْرِيكَ لَهُ وَعَنْ أَمْرِهِ وَتَدْبِيرِهِ وَتَقْدِيرِهِ يَكُونُ ذَلِكَ كَلِمَةً، ﴿وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى مِنْ قَبْلٍ﴾ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَخْرُجَ إِلَى هَذَا الْعَالَمِ بَلْ تُسْقِطُهُ أُمُّهُ، وَمِنْهُمْ مَنْ يُتَوَفَّى صَغِيراً وَشَاباً وَكِهْلاً قَبْلَ الشُّيُوخَةِ، ﴿وَلِيَبْلُغُوا أَجْلاً مُسَمًّى وَلِعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ تَتَذَكَّرُونَ الْبَيْتَ [وَالنَّشُورَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ]. ٦٨: ﴿هُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ﴾ هُوَ الْمُنْفِرُ بِذَلِكَ لَا يَقْدِرُ عَلَى ذَلِكَ أَحَدٌ سِوَاهُ، ﴿فَإِذَا قُضِيَ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ لَا يُخَالَفُ وَلَا يَمَانَعُ، بَلْ مَا شَاءَ كَانَ لِأَمْرِهِ ٦٩: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ أَنَّى يُضَرَّفُونَ﴾ أَلَا تَعْجَبُ بِأَعْمَدٍ مِنْ هَؤُلَاءِ الْمَكْذِبِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيُجَادِلُونَ فِي الْحَقِّ بِالْبَاطِلِ كَيْفَ تُضَرَّفُ عَقُولُهُمْ عَنِ الْهُدَى إِلَى الضَّلَالِ؟ ٧٠: ﴿الَّذِينَ كَذَّبُوا بِالْكِتَابِ وَمَا أُرْسِلْنَا بِهِ رُسُلُنَا﴾ مِنْ الْهُدَى وَالْبَيَانِ ﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ هَذَا تَهْدِيدٌ شَدِيدٌ، وَوَعْدٌ أَكِيدٌ مِنَ الرَّبِّ جَلَّ جَلَالُهُ هَؤُلَاءِ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَيَلَّ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾ ٧١: ﴿إِذِ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلَاسِلُ﴾ مُتَّصِلَةٌ بِالْأَغْلَالِ بِأَيْدِي الزَّبَانِيَةِ يَسْحَبُونَهُمْ عَلَى وَجْهِهِمْ تَارَةً إِلَى الْحَمِيمِ وَتَارَةً إِلَى الْحَمِيمِ، وَهَذَا قَالَ تَعَالَى: ﴿يَسْحَبُونَ﴾. ٧٢: ﴿فِي الْحَمِيمِ ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ﴾ كَمَا قَالَ تَبَارَكَ

هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ تَرَابٍ ثُمَّ مِنْ نَظْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عِلْقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ثُمَّ لِيَبْلُغُوا أَشَدَّكُمْ ثُمَّ لَتَكُونُوا شُيُوخًا وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى مِنْ قَبْلِ أَنْ يَبْلُغُوا أَجْلاً مُسَمًّى وَلِعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ هُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ فَإِذَا قُضِيَ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿٦٨﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ أَنَّى يُضَرَّفُونَ ﴿٦٩﴾ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِالْكِتَابِ وَمِمَّا أُرْسِلْنَا بِهِ رُسُلَنَا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٧٠﴾ إِذِ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلَاسِلُ يُسْحَبُونَ ﴿٧١﴾ فِي الْحَمِيمِ ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ ﴿٧٢﴾ ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ آيِنَ مَا كُنتُمْ تَشْرِكُونَ ﴿٧٣﴾ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا بَلْ لَمَّا نَكُنْ نَدْعُو مِنْ قَبْلُ شَيْئًا كَذَلِكَ يَضِلُّ اللَّهُ الْكَافِرِينَ ﴿٧٤﴾ ذَلِكَ بِمَا كُنتُمْ تَفْرَحُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَمِمَّا كُنتُمْ تَمْرَحُونَ ﴿٧٥﴾ أَدْخَلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوًى الْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٧٦﴾ فَأَصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَكَيْمَا نُرِيدُكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ تَتَوَفَّيْنَاكَ فَإِنَّا يَرْجِعُونَ ﴿٧٧﴾

وتعالى: ﴿هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي يُكَذِّبُ بِهَا الْمُجْرِمُونَ يَطُوفُونَ فِيهَا بَيْنَ حَمِيمٍ آناً﴾ وَقَالَ تَعَالَى بَعْدَ ذِكْرِ أَكْلِهِمُ الرِّقْمَ وَشَرِبِهِمُ الْحَمِيمَ: ﴿ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لَا إِلَى الْحَمِيمِ﴾. ٧٣: ﴿ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ آيِنَ مَا كُنتُمْ تَشْرِكُونَ﴾ ٧٤: ﴿مَنْ دُونِ اللَّهِ؟﴾ قِيلَ لَهُمْ آيِنَ الْأَصْنَامِ الَّتِي كُنتُمْ تَعْبُدُونَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ؟ هَلْ يَنْصُرُونَكَ الْيَوْمَ؟ ﴿قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا﴾ ذَهَبُوا فَلَمْ يَنْفَعُوا، ﴿تَلْ لَمْ نَكُنْ نَدْعُوا مِنْ قَبْلُ شَيْئًا﴾ جَحَدُوا عِبَادَتَهُمْ، ﴿كَذَلِكَ يَضِلُّ اللَّهُ الْكَافِرِينَ﴾ [أَي: كَمَا فَعَلَ يَهُودًا مِنَ الْإِضْطِلَالِ فَعَلُوا بِكُلِّ كَافِرٍ]. ٧٥: ﴿ذَلِكَ بِمَا كُنتُمْ تَفْرَحُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَمِمَّا كُنتُمْ تَمْرَحُونَ﴾ تَقُولُ لَهُمْ الْمَلَائِكَةُ: هَذَا الَّذِي أَنْتُمْ فِيهِ جَزَاءٌ عَلَى فَرَحِكُمْ فِي الدُّنْيَا بِغَيْرِ الْحَقِّ [وَسُرُورِكُمْ بِالْمَعَاصِي] وَمَرْحَتِكُمْ وَأَشْرَكُمْ وَبَطَرَكُم. ٧٦: ﴿أَدْخَلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوًى الْمُتَكَبِّرِينَ﴾ فَبِئْسَ الْمَنْزِلُ وَالْمَقِيلُ الَّذِي فِيهِ الْهَوَانُ وَالْعَذَابُ الشَّدِيدُ لِمَنْ اسْتَكْبَرَ عَنِ آيَاتِ اللَّهِ وَاتَّبَعَ دَلَالَتَهُ وَحَجَّجَهُ. ٧٧: ﴿فَأَصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ﴾ يَأْمُرُ اللَّهُ تَعَالَى رَسُولَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ عَلَى تَكْذِيبِ مَنْ كَذَّبَهُ مِنْ قَوْمِهِ، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى سَيُنْجِزُ لَكَ مَا وَعَدَكَ مِنَ النَّصْرِ وَالظَّفَرِ عَلَى قَوْمِكَ وَلَنْ أَتْبِعَكَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، ﴿فَإِنَّمَا نُرِيدُكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ﴾ فِي الدُّنْيَا؛ وَكَذَلِكَ وَقَعَ فِي يَوْمِ بَدْرٍ ثُمَّ فَتَحَ مَكَّةَ وَسَائِرَ جَزِيرَةِ الْعَرَبِ فِي حَيَاتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، ﴿أَوْ تَتَوَفَّيْنَاكَ فَإِنَّا يَرْجِعُونَ﴾ فَتَذِيقُهُمُ الْعَذَابَ الشَّدِيدَ فِي الْآخِرَةِ.

الآية ٧٦ روى مسلم في صحيحه عن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: «يُؤْتَى بِجَهَنَّمَ لَهَا سَبْعُونَ أَلْفَ زِمَامٍ، مَعَ كُلِّ زِمَامٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ يُحْرِقُونَهَا»، وَرَوَى أَيْضاً عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «نَارُكُمْ هَذِهِ الَّتِي يُوقَدُ بِهَا أَدَمُ، جِزْءٌ مِنْ سَبْعِينَ جِزْءًا مِنْ حَرِّ جَهَنَّمَ»، قَالُوا: «وَاللَّهِ إِنْ كَانَتْ لِكَايَةِ يَارَسُولَ اللَّهِ! قَالَ: «فَهَا هِيَ فَضَّلْتُ عَلَيْهَا بِسَبْعَةِ مِائَتَيْنِ جِزْءًا كُلِّهَا مِثْلَ حَرِّهَا». [اللَّهُمَّ اجْرِنَا مِنْهَا بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ]. [صحيح مسلم ج ٤/٢١٨٣ - ٢١٨٤]

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُمْ مَن قَصَصْنَا عَلَيْكَ
 وَمِنْهُمْ مَّن لَّمْ نَقْضُصْ عَلَيْكَ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ
 بِتَايَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ فُضِيَ بِالْحَقِّ وَخَسِرَ
 هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ ﴿٧٨﴾ اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَنْعَامَ
 لِتَرْكَبُوا مِنْهَا وَمَنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٧٩﴾ وَلَكُمْ فِيهَا
 مَنَافِعُ وَلِتَبَلَّغُوا عَلَيْهَا حَاجَةً فِي صُدُورِكُمْ وَعَلَيْهَا وَعَلَى
 الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ ﴿٨٠﴾ وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَأَيَّ آيَاتِ
 اللَّهِ تُنْكِرُونَ ﴿٨١﴾ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ
 كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا أَكْثَرُ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ
 قُوَّةً وَأَشَارَ فِي الْأَرْضِ فَمَا آغَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ
 ﴿٨٢﴾ فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا عِنْدَهُمْ
 مِنَ الْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٨٣﴾ فَلَمَّا
 رَأَوْا بِأَسْنَا قَالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَحَدَهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ
 مُشْرِكِينَ ﴿٨٤﴾ فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بِأَسْنَا سَدَّتْ
 اللَّهُ أَلْتِي قَدْ خَلَّتْ فِي عِبَادِهِ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكٰفِرُونَ ﴿٨٥﴾

٧٨: ﴿ولقد أرسلنا رُسُلًا من قبلك منهم
 من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص
 عليك﴾ منهم من أوحينا إليك خبرهم
 وقصصهم مع قومهم كيف كذبوهم ثم كانت
 للرسول العاقبة والنصرة، ﴿ومنهم من لم
 نقصص عليك﴾ وهم أكثر ممن ذكر
 بأضعاف أضعاف، ﴿وما كان لرسول أن
 يأتي بآية إلا بإذن الله﴾ ولم يكن لواحد من
 الرسل أن يأتي قومه بخارجي للعادات إلا أن
 يأذن الله له في ذلك، فبدل ذلك على صدقه
 فيما جاءهم به، ﴿فإذا جاء أمر الله﴾ وهو
 عذابه ونكاله المحيط بالكذابين ﴿فهيبي
 بالحق﴾ فينجي المؤمنين، ويهلك الكافرين،
 ولهذا قال عز وجل: ﴿وخسر هنالك
 المبطلون﴾ [أي: الذين يتبعون الباطل
 والشرك] ٧٩: ﴿الله الذي جعل لكم
 الأنعام لتركبوا منها وأكلون﴾ يمتن الله
 تعالى على عباده بما خلق لهم من الأنعام وهي
 الإبل والبقر والغنم فمنها ركوبهم ومنها يأكلون،
 فالإبل تُركب وتؤكل وتُحلب ويعمل عليها
 الأنتقال في الأسفار، والبقر تؤكل ويُشرب
 لبنها ويُحرث عليها الأرض، والغنم تؤكل
 ويُشرب لبنها، والجميع تُجرُ أصوافها
 وأشعارها وأوبارها فيُخذ منها الأثاث والثياب
 والأمتعة، ولهذا قال تعالى: ﴿لتركبوا منها
 ومنها تأكلون﴾ ٨٠: ﴿ولكم فيها منافع
 ولتبلغوا عليها حاجة في صدوركم وعليها وعلى
 الفلك تُحملون﴾ ٨١: ﴿ويريك آياته﴾
 حُججه وبراهينه في الآفاق وفي أنفسكم

﴿فأي آيات الله تُنكرون؟﴾ لا تقدرن على إنكار شيء من آياته إلا أن تُعاندوا وتكابروا ٨٢: ﴿أفلم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان
 عاقبة الذين من قبلهم كانوا أكثر منهم؟﴾ يُخبر تعالى عن الأمم المكذبة بالرسول في قديم الدهر وماذا حل بهم من العذاب الشديد مع قوتهم فما
 أغنى عنهم ذلك شيئاً ولا رد عنهم ذرة من بأس الله، وذلك لما جاءتهم الرسل بالبينات والحجج القاطعات لم يلتفتوا إليهم، واستغنوا بما عندهم من
 العلم في زعمهم عما جاءتهم به الرسل، ﴿كانوا أكثر منهم وأشدد قوة وأقاراً في الأرض فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون﴾ ٨٣: ﴿فلما جاءتهم
 رُسُلهم بالبينات فرحوا بما عندهم من العلم﴾ فاتاهم من بأس الله تعالى ما لا يقبل لهم به ﴿وحاق بهم﴾ أحاط بهم ﴿ما كانوا به يستهزئون﴾
 يكذبون ويستبعدون وقعه ٨٤: ﴿فلما رأوا بأسنا﴾ عابنوا وقوع العذاب بهم ﴿قالوا آمنا بالله وحدَهُ وكفروا بما كنا به مشركين﴾ وحدوا الله
 عز وجل وكفروا بالطاغوت، ولكن حيث لا يُقال العثرات ولا تنفع المعذرة ٨٥: ﴿فلم يك ينفعهم إيمانهم لما رأوا بأسنا سنة الله التي قد خلت
 في عباده﴾ هذا حكم الله في جميع من تاب عند معاينة العذاب أنه لا يقبل منه، ولهذا جاء في الحديث: ﴿إن الله يقبل توبة العبد ما لم يعرَّغ﴾ إذا
 عرَّغ وبلغت الروح الخنجره وعابن الملك فلا توبة حينئذ، ولهذا قال تعالى: ﴿وخسر هنالك الكافرون﴾ .

الآية: ٧٩ روى مسلم في صحيحه عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: ﴿إن الله لا يظلم مؤمناً حسنة، يُعطى بها في الدنيا ويُجزى بها في الآخرة، وأما الكافر فيظلمه
 بحسناته ما عمل بها لله في الدنيا، حتى إذا أفضى إلى الآخرة، لم يكن له حسنة يُجزى بها.﴾ روى أيضاً أن رسول الله قال: ﴿إن الكافر إذا عمل حسنة أطعم بها طعمة من الدنيا، وأما المؤمن
 فإن الله يدخر له حسناته في الآخرة ويُعقبه رزقاً في الدنيا على طاعته.﴾ صحيح مسلم ج/٤/٢١٦٦٢

سُورَةُ الْفَصْلِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حَمْدٌ ﴿١﴾ تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿٢﴾ كِتَابٌ فُصِّلَتْ
 آيَاتُهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٣﴾ بَشِيرًا وَنَذِيرًا عَرَضَ
 أَكْثَرَهُمْ فَهَمٌّ لَا يَسْمَعُونَ ﴿٤﴾ وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ
 مِمَّا نَدْعُونَآ إِلَيْهِ وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ وَمِن بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ
 فَأَعْمَلْنَا عَمَلُونا ﴿٥﴾ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ
 أَنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ وَحْدَهُ فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ وَوَيْلٌ
 لِلْمُشْرِكِينَ ﴿٦﴾ الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ
 هُمْ كَافِرُونَ ﴿٧﴾ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ
 أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٨﴾ قُلْ أَيُّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ
 الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ ءَآدَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٩﴾
 وَجَعَلَ فِيهَا رِوْاسِيًا مِّن فَوْقِهَا وَبَرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَامًا فِي
 أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سِوَاءَ اللَّسَالِيِّينَ ﴿١٠﴾ ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ
 فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ ﴿١١﴾

٤٧٧

﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا﴾ وقد خاب من دسهاها والمراد بالزكاة هنا طهارة النفس من الشرك والرذيلة، ﴿وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ﴾ ٨: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ هُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ غير مقطوع ولا منجوب، كقوله تعالى: ﴿عَطَاءٌ غَيْرٌ مَجْذُودٌ﴾ ٩: ﴿قُلْ أَيُّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ﴾ هذا إنكار من الله تعالى على المشركين الذي عبدوا معه غيره وهو الخالق لكل شيء المقتدر على كل شيء ﴿وَتَجْعَلُونَ لَهُ ءَآدَادًا﴾ نظراء وأمثالاً تعبدها معه، ﴿ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ الخالق للأشياء وهو رب العالمين كلهم ١٠: ﴿وَجَعَلَ فِيهَا رِوْاسِيًا مِّن فَوْقِهَا﴾ كما قال تعالى: ﴿وَالجبالُ أَرْسَاهَا﴾، ﴿وَبَرَكَ فِيهَا﴾ جعلها مباركة قابلة للخير والنماء ﴿وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَامًا﴾ وهو يحتاج أهلها إليه من الأرزاق ﴿فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ﴾ مع اليومين السابقين أربعة، ﴿سِوَاءَ اللَّسَالِيِّينَ﴾ لمن أراد السؤال عن ذلك ليُعلمه ١١: ﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ﴾ وهي دُخَانٌ بخار [وهو غاز مفكك؛ أي: ثم نقل السماء من صفة الدخان إلى حالة الكثافة] ﴿فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا﴾ أي: استجبيا لأمري وانفعليا لفعلي طائعتين أو مكرهتين ﴿قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾.

الآيات: ١ - ١٣ روى عبد بن حميد في مسنده عن جابر بن عبد الله قال: اجتمعت قريش يوماً فقالوا: انظروا أعلمكم بالسحر والكهانة والشعر فلبأت هذا الرجل الذي قد فرق جماعتنا وشئت أمرنا وعاب ديننا فليكلمه ولننظر ماذا يرده عليه، فقالوا: مانعلم أحداً غير عتبة بن ربيعة، فقالوا: أنت يا أبا الوليد فأثابه عتبة، [فقال للنبي ﷺ كلاماً طويلاً] فقال رسول الله ﷺ: «فرغت؟» قال: نعم، فقال رسول الله ﷺ: «بسم الله الرحمن الرحيم. حم تنزيل من الرحمن الرحيم - حتى بلغ - فإن عرضوا فقل أنذركم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود» فأسكت عتبة على فيه وناشده الرحم وقال: «حَسْبُكَ حَسْبُكَ مَاعِنْدَكَ غَيْرَ هَذَا؟» فقال رسول الله ﷺ: «لا»، فرجع إلى أهله ولم يخرج إلى قريش، واحتبس عنهم، فقال أبو جهل: يا معشر قريش والله منارى عتبة إلا قد صبا إلى محمد وأعجبه طعامه، وماذا إلا من حاجة إصابته، فانطلقوا بنا إليه، فانطلقوا إليه، فقال له أبو جهل ذلك.. فغضب عتبة وأقسم أن لا يكلم محمداً =

فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا
 وَزَيْنَا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصْبِيحٍ وَحِفْظًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ
 الْعَلِيمِ ﴿١٢﴾ فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ
 عَادٍ وَثَمُودَ ﴿١٣﴾ إِذْ جَاءَهُمُ الرُّسُلُ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ
 خَلْفِهِمْ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ قَالُوا لَوْ شَاءَ رَبُّنَا لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً
 فَأِنَّا بِنَا أَرْسَلْتُمْ بِهِ كُفْرُونَ ﴿١٤﴾ فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي
 الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مَقْوَةً أَوْلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ
 الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مَقْوَةً وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ
 ﴿١٥﴾ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي أَيَّامٍ نَحْسَاتٍ لِنَدْبِقَهُمْ
 عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلِعَذَابِ الْأَخِرَةِ أَخْزَىٰ وَهُمْ
 لَا يُنصَرُونَ ﴿١٦﴾ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَىٰ عَلَى
 الْهُدَىٰ فَأَخَذَتْهُمُ صَاعِقَةُ الْعَذَابِ الْهُونِ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ
 ﴿١٧﴾ وَبِخَيْنِنَا الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَنْقُوتُونَ ﴿١٨﴾ وَيَوْمَ يُحْشَرُ
 أَعْدَاءُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٩﴾ حَتَّىٰ إِذَا مَا جَاءَهُمْ شَهْدٌ
 عَلَيْهِمْ سَمِعَهُمْ وَأَبْصَرَهُمْ وَجَلَدُوهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٠﴾

١٢: ﴿فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ﴾
 فَفَرَّغَ مِنْ تَسْوِيَّتَيْنِ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ
 آخَرَيْنِ، ﴿وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا﴾
 وَرَتَّبَ مَقَرًّا فِي كُلِّ سَمَاءٍ مَا نَحْتَاجُ إِلَيْهِ مِنَ
 الْمَلَائِكَةِ وَمَافِيهَا مِنَ الْأَشْيَاءِ الَّتِي لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا
 هُوَ ﴿وَزَيْنَا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصْبِيحٍ﴾ وَهِيَ
 الْكَوَاكِبُ الْمُنِيرَةُ الْمَشْرِقَةَ عَلَى أَهْلِ الْأَرْضِ
 ﴿وَحِفْظًا﴾ حَرَسًا مِنَ الشَّيَاطِينِ أَنْ تَسْتَمِعَ
 إِلَى الْمَلَأِ الْأَعْلَى ﴿ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾
 الْعَزِيزِ الَّذِي قَدْ عَزَّ كُلَّ شَيْءٍ فَعَلْبَهُ وَقَهْرَهُ،
 الْعَلِيمِ بِجَمِيعِ حَرَكَاتِ الْمَخْلُوقَاتِ وَسُكُنَاتِهِمْ.
 ١٣: ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ﴾ بِأَعْمَدِ هَؤُلَاءِ
 الْمَشْرُوكِينَ ﴿أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ
 عَادٍ وَثَمُودَ﴾ أَنْذَرْتُكُمْ حُلُولَ نِقْمَةِ اللَّهِ بِكُمْ كَمَا
 حَلَّتْ بِالْأُمَمِ الْمَاضِيَةِ مِنَ الْمَكْذِبِينَ الْمُرْسَلِينَ
 ١٤: ﴿إِذْ جَاءَهُمُ الرُّسُلُ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ
 وَمِنْ خَلْفِهِمْ﴾ [أَي: إِلَيْهِمْ وَإِلَى مَنْ
 قَبْلِهِمْ]، ﴿أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ قَالُوا لَوْ شَاءَ رَبُّنَا
 لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً﴾ لَوْ أَرْسَلَ اللَّهُ رِسَالًا لِكُنُوتِ
 مَلَائِكَةٍ مِنْ عِنْدِهِ ﴿فَإِنَّا بِمَا أَرْسَلْتُمْ بِهِ﴾ أَيُّهَا
 الْبَشَرُ ﴿كَافِرُونَ﴾ لِاتَّبَعْتُمْكُمْ وَأَنْتُمْ بَشَرٌ مِثْلُنَا،
 قَالَ تَعَالَى: ١٥: ﴿فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي
 الْأَرْضِ﴾ بِعُتْوٍ وَعَتْوٍ وَعَصْوٍ ﴿وَقَالُوا مَنْ
 أَشَدُّ مَقْوَةً﴾ مَنُوتًا بِشِدَّةِ تَرْكِيبِهِمْ وَقَوَاهِمِ
 وَاعْتَدُوا أَنَّهُمْ يَمْتَنِعُونَ بِهَا مِنَ اللَّهِ، ﴿أَوْ لَمْ
 يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ
 قُوَّةً﴾؟ أَمَّا يَتَفَكَّرُونَ فِيمَنْ يُسَارِزُونَ
 بِالْعِدَاوَةِ؟! فَإِنَّهُ الْعَظِيمُ الَّذِي خَلَقَ الْأَشْيَاءَ
 كُلَّهَا وَأَنَّ بَطْشَهُ شَدِيدٌ، ﴿وَكَانُوا بِآيَاتِنَا

يَجْحَدُونَ﴾، فَبَارَزُوا الْجَبَّارَ بِالْعِدَاوَةِ، وَجَحَدُوا آيَاتِهِ، فَهَذَا قَالَ تَعَالَى: ١٦: ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا﴾ وَهِيَ الرِّيحُ الْهَبُوبُ الْبَارِدَةُ الَّتِي هَا
 صَوْتٌ شَدِيدٌ ﴿فِي أَيَّامٍ نَحْسَاتٍ﴾ مَتَابَعَاتٍ [مَشْوُمَاتٍ] ﴿لِنَدْبِقَهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلِعَذَابِ الْأَخِرَةِ أَخْزَى﴾ أَشَدُّ خِزْيًا لَهُمْ
 ﴿وَهُمْ لَا يُنصَرُونَ﴾ فِي الْأَخْرَى كَمَا لَمْ يُنصَرُوا فِي الدُّنْيَا. ١٧: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَىٰ عَلَى الْهُدَىٰ﴾ بَيْنَا لَهُمْ وَبَصُرْنَا لَهُمْ وَوَضَحْنَا
 لَهُمُ الْحَقَّ عَلَى لِسَانِ نَبِيِّهِمْ صَالِحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَخَالَفُوهُ وَكَذَّبُوهُ [وَاخْتَارُوا الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ] ﴿فَأَخَذَتْهُمُ صَاعِقَةُ الْعَذَابِ الْهُونِ﴾ بَعَثَ اللَّهُ
 عَلَيْهِمْ صَاعِقَةً وَرَجْفَةً وَذَلًّا وَهَوَانًا ﴿بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ مِنَ التَّكْذِيبِ وَالْجُحُودِ ١٨: ﴿وَبِخَيْنِنَا الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَنْقُوتُونَ﴾ مِنْ بَيْنِ أَظْهَرِهِمْ لَمْ يَسْمَعْهُ سُوءٌ
 ﴿وَكَانُوا يَنْقُوتُونَ﴾ ١٩: ﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾ أَذْكَرُهُ هَؤُلَاءِ الْمَشْرُوكِينَ يَوْمَ يُحْشَرُونَ إِلَى النَّارِ، وَتَجْتَمِعُ عَلَيْهِمُ الزَّبَانِيَةُ
 أَوْلَهُمْ عَلَى آخِرِهِمْ ٢٠: ﴿حَتَّىٰ إِذَا مَا جَاؤَهُمْ وَجَلَدُوهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ بِأَعْمَالِهِمْ تَمَّا قَدَّمُوهُ
 وَأَخْرَجُوهُ لَيْكُم مِّنْهُ حَرْفٌ وَاحِدٌ.

أبدأ، وقال: والله لقد علمت أي من أكثر قریش مالا، ولكنني أتيتُه وخصصت عليه القصة، فأجاني بشيء والله ما هو بشعر ولا كهانة ولا ساحر، وقرأ السورة إلى قوله تعالى: ﴿فإن أعرضوا فقل﴾
 أنذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود، فأسكت فيهِ وناشدته بالرحم أن يكف، وقد علمت أن محمدا إذا قال شيئا لم يكذب، فخشيت أن ينزل بكم العذاب.
 وفي رواية: قال بامعشر قریش أطعوني واجعلوا لي، خلوا بين الرجل وبين ما هو فيه، فاعتزلوه فوالله ليكونن لقوله الذي سمعت نبا... فقالوا: سحرك والله ياأبا الوليد بلسانه، فقال: هذا رأيي
 فيه فاصنعوا مايتأ لكم. / ابن كثير ج٤/ ٩٠ - ٩١ /

٢١: ﴿وَقَالُوا لَجُلُودِهِمْ لَمْ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا؟﴾

أعضاءهم وجلودهم حين شهدوا عليهم فعند ذلك أجابتهم الأعضاء: ﴿قَالُوا أَنْطَقْنَا الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَهُوَ لَا يَخَالُفُ وَلَا يَمَانَعُ ﴿٢١﴾ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٢﴾﴾

﴿وَمَا كُنتُمْ تَسْتَشِيرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ﴾ تقول لهم الأعضاء والجلود حين يلومونها على الشهادة عليهم:

ما كنتم تكتُمون مِنَّا الذي كنتم تفعلونه، بل وكنتم تجاهرون الله بالكفر والمعاصي، ولاتبالون منه في زعمكم، لأنكم كنتم تعتقدون أنه لا يعلم جميع أفعالكم، ولهذا قال تعالى: ﴿وَلَكِنَّا ظَنَّنُكُمْ أَنَّهُ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٣﴾﴾

﴿وَدَلَّكُمْ ظَنُّكُمْ الَّذِي ظَنَّنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ﴾ هذا الظن الفاسد وهو اعتقادكم أن الله تعالى لا يعلم كثيراً مما تعملون هو الذي أتلفكم وأرادكم عند ربكم ﴿فَأَصْبَحْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ في مواقف القيامة خسرتم أنفسكم وأهلكم

﴿فَإِن يَصْبِرُوا فَالنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ﴾ سواء عليهم صبروا أو لم يصبروا هم في النار لا يحميهم عنها ولا خروج لهم منها ﴿وَإِن يَسْتَعْجِبُوا فَمَا هُمْ مِنَ الْمُعْتَبِينَ﴾ وإن طلبوا أن يستعجبوا ويبدوا أعدارهم فما لهم أعدار، ولا تقال لهم عثرات ﴿٢٥﴾ ﴿وَقِيضْنَا لَهُمْ﴾ أي: هيئنا

وسلطنا عليهم من القرناء من شياطين الإنس والجن ﴿قَرْنَآءَ فَرَيْنَا لَهُمْ مَبِئِينَ أَيْدِيهِمْ﴾ حسنوا لهم أعمالهم في المستقبل ﴿وَمَا خَلَفَهُمْ﴾ في الماضي، فلم يروا أنفسهم

إلا مُحسبين، كما قال تعالى: ﴿وَمَنْ يُعْشِرْ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقِيضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ. وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ﴾، ﴿وَحَقَّقْ عَلَيْهِمُ الْقَوْلَ﴾ كلمة العذاب ﴿فِي أَمْرٍ قَدْ خَلَّتْ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ كما حَقَّ على أُمَّمٍ قَدْ خَلَّتْ مِنْ قَبْلِهِمْ مِمَّنْ فَعَلَ كَفْعَلِهِمْ ﴿مَنْ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ﴾ استوتوا هم وإياتهم في الخسار والدمار ﴿٢٦﴾ ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنَسْمَعُ هَذَا الْقُرْآنَ﴾ نواصوا فيما بينهم أن لا يطعموا للقرآن ولا يتقادروا لإمره ﴿وَالْغَوْا فِيهِ﴾ إذا ثُلِيَ لَنَسْمَعُوا لَهُ، وَعَبِيَهُ وَانكَرُوهُ وَعَادُوهُ ﴿لَعَلَّكُمْ تَعْلَمُونَ﴾ ﴿٢٧﴾ ﴿فَلَنُذِيقَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا عَذَابًا شَدِيدًا وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَشْوَأَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ ذلك جزاء أعداء الله النَّارُ لَهُمْ فِيهَا دَارُ الْخُلْدِ جَزَاءُ مَا كَانُوا يَأْتِينَا يَجْحَدُونَ ﴿٢٨﴾ ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا رَبَّنَا أَرْنَا اللَّهَ الَّذِينَ أَضَلَّآنَا مِنَ الْجِنِّ أَقْدَامِنَا﴾ أسفل مِنَّا في العذاب ﴿لِيَكُونَا مِنَ الْأَسْفَلِينَ﴾ في الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ.

الآية: ٢٢ روى عبد الرزاق عن ابن عباس عن أبيه عن جده عن النبي ﷺ في قوله تعالى: ﴿أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ﴾ قال: إنكم تدعون يوم القيامة مقدمًا على أنوآهكم بالفداه فأول شيء يبين عن أحدكم فخذه وكفه، قال معمر: وتلا الحسن ﴿وَدَلَّكُمْ ظَنُّكُمْ الَّذِي ظَنَّنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ﴾ ثم قال: قال رسول الله ﷺ: «قال الله تعالى: أنا مع عبدي عند ظنّه في وأنا معه إذا دعاني» ثم افتقر الحسن ينظر في هذا فقال: ألا إيتا عمل الناس على قدر ظنهم برهيم، فأما المؤمن فأحسن الظنّ برهيم فأحسن العمل، وأما الكافر والمنافق فأساء الظنّ بالله فأساء العمل، ثم قال: قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَمَا كُنتُمْ تَسْتَشِيرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ﴾ إلى قوله - وذلك ظنكم الذي ظننتم برّبكم أَرْدَاكُمْ الآية. وروى أحمد أن رسول الله ﷺ قال: «لا يمتحن أحد منكم إلا وهو يُحسِنُ بالله الظن، فإن قوماً قد أَرَدَاهُمْ سُوءَ ظَنِّهِمْ بِاللَّهِ» ثم تلا هذه الآية. /ابن كثير ج ٤/ ٩٧/

الآية: ٢٢ روى عبد الرزاق عن ابن عباس عن أبيه عن جده عن النبي ﷺ في قوله تعالى: ﴿أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ﴾ قال: إنكم تدعون يوم القيامة مقدمًا على أنوآهكم بالفداه فأول شيء يبين عن أحدكم فخذه وكفه، قال معمر: وتلا الحسن ﴿وَدَلَّكُمْ ظَنُّكُمْ الَّذِي ظَنَّنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ﴾ ثم قال: قال رسول الله ﷺ: «قال الله تعالى: أنا مع عبدي عند ظنّه في وأنا معه إذا دعاني» ثم افتقر الحسن ينظر في هذا فقال: ألا إيتا عمل الناس على قدر ظنهم برهيم، فأما المؤمن فأحسن الظنّ برهيم فأحسن العمل، وأما الكافر والمنافق فأساء الظنّ بالله فأساء العمل، ثم قال: قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَمَا كُنتُمْ تَسْتَشِيرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ﴾ إلى قوله - وذلك ظنكم الذي ظننتم برّبكم أَرْدَاكُمْ الآية. وروى أحمد أن رسول الله ﷺ قال: «لا يمتحن أحد منكم إلا وهو يُحسِنُ بالله الظن، فإن قوماً قد أَرَدَاهُمْ سُوءَ ظَنِّهِمْ بِاللَّهِ» ثم تلا هذه الآية. /ابن كثير ج ٤/ ٩٧/

٣٠: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا﴾

أَحْلَصُوا الْعَمَلَ لِلَّهِ وَعَمِلُوا بِطَاعَةِ اللَّهِ عَلَى مِشْرِعِ اللَّهِ لَهُمْ، رَوَى الْحَافِظُ أَبُو يَعْلَى عَنْ أَنَسٍ قَالَ: قَرَأَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ هَذِهِ آيَةَ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا﴾ «قَدْ قَالَهَا نَاسٌ ثُمَّ كَفَرُوا أَكْثَرُهُمْ، فَمَنْ قَالَهَا حَتَّى يَمُوتَ فَقَدْ اسْتَقَامَ عَلَيْهَا». قَالَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ: هُمُ الَّذِينَ لَمْ يُشْرِكُوا بِاللَّهِ شَيْعًا. وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: «اسْتَقَامُوا عَلَى شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ». وَرَوَى مُسْلِمٌ عَنْ سَفِيَانَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ أَنَّهُ قَالَ: يَارَسُولَ اللَّهِ قُلْ لِي فِي الْإِسْلَامِ قَوْلًا لِأَسْأَلَ عَنْهُ أَحَدًا بَعْدَكَ، قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «قُلْ آمَنْتُ بِاللَّهِ ثُمَّ اسْتَقِيمَ»، «تَنْزِلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ» عِنْدَ الْمَوْتِ قَائِلِينَ: «أَنْ لَا تَخْزُوا» مِمَّا تُقَدِّمُونَ عَلَيْهِ مِنْ عَمَلِ الْآخِرَةِ «وَلَا تَخْزُوا» عَلَى مَا خَلَّفْتُمُوهُ مِنْ أَمْرِ الدُّنْيَا مِنْ وَلَدٍ وَمَالٍ أَوْ دِينٍ فَإِنَّا نَخْلُفُكُمْ فِيهِ، «وَأَبِشْرُوا بِالْخَيْرِ الَّتِي كُنْتُمْ تَوَعِّدُونَ» فَيُشْرُونَ بِذَهَابِ الشَّرِّ وَحُصُولِ الْخَيْرِ، وَهَذَا كَمَا جَاءَ فِي حَدِيثِ الْبِرَاءِ: «إِنَّ الْمَلَائِكَةَ تَقُولُ لِرُوحِ الْمُؤْمِنِ أَخْرِجِي أَيْهَا الرُّوحُ الطَّيِّبَةُ فِي الْجَسَدِ الطَّيِّبِ كُنْتَ تَعْمُرِينَهُ، وَهَذَا كَمَا جَاءَ فِي حَدِيثِ وَرْبَانَ وَرَبِّ غَيْرِ غُضْبَانَ» ٣١: ﴿نَحْنُ أَوْلِيَاءُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾ تَقُولُ الْمَلَائِكَةُ لِلْمُؤْمِنِينَ عِنْدَ الْإِحْتِضَارِ: نَحْنُ كُنَّا أَوْلِيَاءُكُمْ؛ أَي: قَرْنَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا تُسَدِّدُكُمْ وَتُوقِّقُكُمْ وَتَحْفَظُكُمْ بِأَمْرِ اللَّهِ، وَكَذَلِكَ نَكُونُ مَعَكُمْ فِي الْآخِرَةِ نُؤْنِسُ مِنْكُمْ الْوَحْشَةَ فِي الْقُبُورِ وَعِنْدَ

إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٢﴾ نَحْنُ أَوْلِيَاءُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهُى أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدْعُونَ ﴿٣٣﴾ تَزَلُّوا مِنْ عَفْوَ رَبِّهِمْ ﴿٣٤﴾ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٣٥﴾ وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٦﴾ وَمَا يُلْقُوهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقُوهَا إِلَّا ذُو حِظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٧﴾ وَإِنَّمَا يَزْعُمُكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْعٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٣٨﴾ وَمِنَ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنْتُمْ رِيبَ كَيْ يَسْبِحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْأَمُونَ ﴿٣٩﴾

النَّفْخَةِ فِي الصُّورِ وَتُؤْمِنُكُمْ يَوْمَ الْبَعْثِ وَالنَّشُورِ وَتَجَاوَزُكُمْ عَلَى الصُّرَاطِ وَتُؤْصِلُكُمْ إِلَى جَنَّاتِ النَّعِيمِ، «وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهُى أَنْفُسُكُمْ» فِي الْجَنَّةِ «وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدْعُونَ» مَهْمَا طَلَبْتُمْ وَجَدْتُمْ ٣٢: ﴿تَزَلُّوا مِنْ عَفْوَ رَبِّهِمْ﴾ ضِيَاغَةٌ وَإِنْعَامٌ مِنْ عَفْوِ لَدُنْيَاكُمْ رَحِمَ بِكُمْ ٣٣: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ﴾ دَعَا عِبَادَ اللَّهِ إِلَيْهِ «وَعَمِلَ صَالِحًا» وَقَالَ إِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ هُوَ فِي نَفْسِهِ مُهْتَدِيًا بِمَا يَقُولُهُ ٣٤: ﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ﴾ فَرَقَ عَظِيمٌ بَيْنَ هَذِهِ وَهَذِهِ «ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ» مِنْ أَسَاءِ إِلَيْكَ فَادْفَعْنَا عَنْكَ بِالْإِحْسَانِ إِلَيْهِ «فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ» فَاحْسَنْتَ إِلَيْهِ فَادْفَعْنَا تِلْكَ الْحَسَنَةَ إِلَى حِمَّتِكَ حَتَّى يَصِيرَ «كَأَنَّهُ وَثِيٌّ حَمِيمٌ» قَرِيبٌ إِلَيْكَ مِنَ الشَّفَقَةِ عَلَيْكَ ٣٥: ﴿وَمَا يُلْقُوهَا وَمَا يَبْقَى هَذِهِ الْوَصِيَّةُ وَيَعْمَلُ بِهَا «إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا» عَلَى ذَلِكَ فَإِنَّهُ يَشْقَى عَلَى النَّفْسِ «وَمَا يُلْقُوهَا إِلَّا ذُو حِظٍّ عَظِيمٍ» ذُو نَصِيبٍ وَافِرٌ مِنَ السَّعَادَةِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ٣٦: ﴿وَإِنَّمَا يَزْعُمُكَ» [أَي: يُصَيِّبُكَ] «مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْعٌ» وَسُوسَةٌ «فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ» إِذَا تَجَنَّاتَ إِلَيْهِ كَفَهُ عَنْكَ «إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ» ٣٧: ﴿وَمِنَ آيَاتِهِ﴾ عَلَى قُدْرَتِهِ الْعَظِيمَةِ «اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ» تَقْدِيرُهُ وَتَسْخِيرُهُ هَا [لَمَّا يَنْفَعُكُمْ] ثُمَّ تَبَّهَ تَعَالَى عَلَى أَنَّ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ جُرْمَانِ مَخْلُوقَانِ فَقَالَ: «لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنْتُمْ رِيبَ كَيْ يَسْبِحُونَ لَهُ» ٣٨: ﴿فَإِنِ اسْتَكْبَرُوا﴾ عَنِ إِفْرَادِ الْعِبَادَةِ لَهُ سَبَّحَانَهُ «فَالَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُ» بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْأَمُونَ [لَا يَمَلُّونَ عِبَادَةَ اللَّهِ].

الآية: ٣٠ قال رسول الله ﷺ: «الميت تحضره الملائكة، فإذا كان الرجل صالحاً، قالوا: اخرجي أيتها النفس الطيبة كانت في الجسد الطيب، اخرجي حميدةً وأبشري بروح وريحان ورب غير غضبان، فلا يزال يقال لها حتى تخرج، ثم يخرج بها إلى السماء، فيفتح لها، فيقال: من هذا؟ فيقولون فلان، فيقال: مرحباً بالنفس الطيبة كانت في الجسد الطيب، أدخل حميدةً وأبشري بروح وريحان ورب غير غضبان» الحديث صحيح ابن ماجه ج ٢/٤٢٠.

٣٩: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ﴾ على قدرته على إعادة الموت ﴿أَنْتَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً﴾ هَامِدَةً لانبات فيها بل هي ميتة ﴿فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ﴾ أخرجت من جميع ألوان الزروع والثمار ﴿وَإِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَخَيُّ الْمَوْتِ إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ٤٠: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَلْحَدُونَ فِي آيَاتِنَا﴾ الإلحاد: وضع الكلام على غير مواضعه. وهو الكفر والعناد، ﴿لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَا﴾ فيه تهديد شديد ووعيد أكيد، أي: إنه عالم بمن يلحد في آياته وأسمائه وصفاته، وسيجزيه على ذلك بالعقوبة والنكال، ولهذا قال تعالى: ﴿أَفَمَنْ يَلْقَى فِي النَّارِ خَيْرًا أَمْ مَنْ يَأْتِي آمِنًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ أيسوي هذا وهذا؟ لا يستويان، ثم قال تعالى تهديداً للكفرة: ﴿اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ﴾ من خير أو شر إنه عالم بكم وبصير بأعمالكم، ولهذا قال: ﴿إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ ٤١: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمُ الْقُرْآنُ وَانَّهُمْ لَكُنُوتٌ عَزِيزٌ﴾ منبع الجانب لأيرام أن يأتي أحد بمثله ٤٢: ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ﴾ ليس للبطلان إليه سبيل لأنه منزل من رب العالمين، ولهذا قال ﴿تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ حكيم في أقواله وأفعاله، حميد في جميع ما يأمر به وينهى عنه. ٤٣: ﴿مَا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَد قِيلَ مِنْ قَبْلِكَ﴾ فكما كذبت كذبوا، وكما صبروا على أذى قوبهم لهم؛ فاصبر أنت على أذى قومك لك ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ﴾ لمن تاب إليه ﴿وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ﴾ لمن استمر على كفره وطغيانه

وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَخَيُّ الْمَوْتِ إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ يَلْحَدُونَ فِي آيَاتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَا أَفَمَنْ يَلْقَى فِي النَّارِ خَيْرًا أَمْ مَنْ يَأْتِي آمِنًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤٠﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَكُنُوتٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾ مَا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَد قِيلَ لِلرُّسُلِ مِنْ قَبْلِكَ إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ ﴿٤٣﴾ وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا لَقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ أَءَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقُرْءَانُهُمْ وَعَهُمْ عَلَيْهْمُ عَمًى أُولَئِكَ يَنَادُونَ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ ﴿٤٤﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَأَخْتَلَفَ فِيهِ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مِرْيَبٌ ﴿٤٥﴾ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ ﴿٤٦﴾

وعناده. روى ابن أبي حاتم: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «لولا عفو الله وتجاوزة ما هتأ أحد العيش، ولولا وعيده وعقابه لاتكل كل أحد». ٤٤: ﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا لَقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ﴾ لو أنزل القرآن كله بلغة العجم لقالوا على وجه التعنت والعناد؛ ﴿لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ أَءَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ؟﴾ لقالوا هلا أنزل مفضلاً بلغة العرب، ولأنكروا ذلك فقالوا: أأعجمي وعربي؟ كيف يُنزل كلام أعجمي على مخاطب عربي لا يفهمه؟ ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ﴾ قل يا محمد هذا القرآن لمن آمن به هدى لقلبه وشفاء لما في الصدور من الشكوك والريب، ﴿وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقُرْءَانُهُمْ وَعَهُمْ عَلَيْهْمُ عَمًى﴾ لا يتدلون إلى ما فيه من البيان كما قال تعالى: ﴿وَوُتِّرِلَ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾ ﴿أُولَئِكَ يَنَادُونَ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ﴾ يعني: بعيد من قلوبهم، أي: معناه كأن من يُخاطبهم يُناديهم من مكان بعيد لا يفهمون ما يقول ٤٥: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَأَخْتَلَفَ فِيهِ﴾ كذب، وأذي ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعِزْمِ مِنَ الرُّسُلِ﴾، ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى﴾ بتأخير العذاب إلى يوم المعاد ﴿لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ﴾ لعجل لهم العذاب، ﴿وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مِرْيَبٌ﴾ [أي: للقرآن] ٤٦: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ﴾ إنما يعود نفع ذلك عليه ﴿وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا﴾ إنما يرجع وبال ذلك عليه ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾ لا يعاقب أحداً إلا بذنبه بعد قيام الحجّة عليه، وإرسال الرسل إليه.

الآية ٤٦: روى الترمذي بإسناد حسن عن أبي ذرٍّ ومعاذ بن جبل رضي الله عنهما عن رسول الله ﷺ قال: «اتق الله حينما كنت، وأتبع السيئة الحسنة تمحها وخالف الناس بخلق حسن». وروى أحمد عن أبي الذرداء قال: «بارسول الله أوصني، قال: «إذا عملت سيئة فأتبعها حسنة تمحها» قال: «بارسول الله آمين الحسنة لا إله إلا الله؟ قال: «هي أفضل الحسنة». /الترغيب ج ١٠٩/ ١١١/

٤٧: ﴿إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ السَّاعَةِ﴾ لا يعلم ذلك أحدٌ سواه، كما قال سيّد البشر صلى الله عليه وآله وسلم لجبريل حين سأله عن الساعة: «ما المسؤول عنها بأعلم من السائل»، وكما قال تعالى: ﴿لَا يَجْلِسُ لُوقِيهَا إِلَّا هُوَ﴾، ﴿وَمَا تَخْرُجُ مِنْ ثَمَرَاتٍ مِنْ أَكْمَامِهَا وَمَاتَجَمَلُ مِنْ أُنثَى وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ﴾ الجميع يعلمه لا يعزب عن علمه مثقال ذرة، ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن قَبْلُ وَمَا يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَلَمْ نَكُنْ مَعَ الْبَاقِينَ﴾ يوم شركاؤي أين الشركاء الذين يدعون من غيري معي؟ ﴿قَالُوا أَذُنًا آلِهَتِكُمْ إِلَّا الصَّوْتُ الَّذِي نُنَادِيهِمْ﴾ ليس أحدٌ منا يشهد اليوم أن معك شريكاً
٤٨: ﴿وَضَلَّ عَنْهُمْ مَّا كَانُوا يُدْعُونَ مِن قَبْلُ وَمَا لَهُمْ فِي شُرَكَائِهِمْ مِن شَيْءٍ إِذْ أَذِنَ اللَّهُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ﴾ ضلّ عنهم ما كانوا يدعون من قبل وظنوا ما لهم من محيص قبل ذلك ذهبوا فلم يبقوهم ﴿وَضَلَّ عَنْهُمْ مَّا لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الْبَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ وأيقنوا ما لهم من محيد من عذاب الله تعالى ٤٩: ﴿لَا يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ﴾ لا يشفع الإنسان من دعاء الخير إلا على الإذن من دعاء ربّه بالخير وهو المال والصحة وغير ذلك ﴿وَإِن مِّن مَّسْئَلَةٍ مِّنْ شَيْءٍ فَعِظُوا بِهَا﴾ وإن مسأله أو الفقر ﴿فِي قُورَسٍ وَتَمِيمٍ﴾ يقع في ذهنه أنه لا يبيها له بعد هذا خير ٥٠: ﴿وَلَكِن أَدْبَاهُ رَحْمَةً مِنَّا مِنْ بَعْدِ ضَرَاءٍ مَسْتَهْزِئَةٍ﴾ إذا أصابه خير ورزق بعدما كان في شدة ﴿لَيَقُولُنَّ هَذَا لِي لِي﴾ كنت أستحقه عند ربّي ﴿وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً﴾ يكفر بقيام الساعة، أي: لأجل أنه حوّل نعمة يطر ويفخر ويكفر، كما قال تعالى: ﴿إِن الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَن كَفِرٌ﴾ الإنسان ليطغى أن رآه استغنى، ﴿وَلَكِن رَّجَعْتُ إِلَىٰ رَبِّي﴾ ولكن كان ثمّ معاداً فليحسبن إليّ ربّي كما أحسن إليّ في هذه

﴿إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ السَّاعَةِ وَمَا تَخْرُجُ مِنْ ثَمَرَاتٍ مِنْ أَكْمَامِهَا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ أَيْنَ شُرَكَائِيَ قَالُوا أَدْنَاكَ مَا مَنَّا مِن شَيْءٍ﴾ (٤٧) ﴿وَضَلَّ عَنْهُمْ مَّا كَانُوا يُدْعُونَ مِن قَبْلُ وَمَا لَهُمْ فِي شُرَكَائِهِمْ مِن شَيْءٍ إِذْ أَذِنَ اللَّهُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ﴾ (٤٨) ﴿لَا يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا مَن أَذِنَ لَهُ وَإِن مِّن مَّسْئَلَةٍ مِّنْ شَيْءٍ فَعِظُوا بِهَا﴾ (٤٩) ﴿وَلَكِن أَدْبَاهُ رَحْمَةً مِنَّا مِنْ بَعْدِ ضَرَاءٍ مَسْتَهْزِئَةٍ لَيَقُولُنَّ هَذَا لِي وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِن رُّجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّي إِنَّ لِي عِنْدَهُ لَلْحُسْبَىٰ فَلَنُنَبِّئَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾ (٥٠) ﴿وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَىٰ بِجَانِبِهِ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ فَذُو دُعَاءٍ عَرِيضٍ﴾ (٥١) ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُمْ بِهِ مَن أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ﴾ (٥٢) ﴿سَرَّيْنَهُمْ أَيْنَمَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَّبِعَنَّهُم أَنَّهُ أَحَقُّ أَوْلَمْ يَكْفُرُونَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ (٥٣) ﴿أَلَا إِنَّهُمْ فِي مِرْيَةٍ مِّن لِّقَاءِ رَبِّهِمْ أَلَا إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطٌ﴾ (٥٤)

الدار، يتمنى على الله عزّ وجلّ مع إساءته العمل وعدم اليقين ﴿إِن لِي عِنْدَهُ لَلْحُسْبَىٰ﴾ قال الله تعالى: ﴿فَلَنُنَبِّئَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ﴾ و﴿لَنُذِيقَنَّهُمْ مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾ يهدّد الله تعالى من كان هذا اعتقاده بالعذاب والنكال ٥١: ﴿وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَىٰ بِجَانِبِهِ﴾ أعرض عن الطاعة واستكبر عن الانقياد لأمر الله عزّ وجلّ ﴿وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ الشَّدَّةُ﴾ فذو دعاء عريض ﴿يُطِيلُ الْمَسْأَلَةَ فِي الشَّيْءِ الْوَاحِدِ﴾ فالكلام العريض مطال لفظه وقال معناه، والوجيز عكسه ٥٢: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُمْ بِهِ﴾ قل يا محمد للمشركين المكذبين بالقرآن أرايتهم كيف ترون حالكم عند الذي أنزله على رسوله؟ ولهذا قال عزّ وجلّ: ﴿مَن أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ﴾؟ في كفر وعناد ومشاققة للحقّ ومسلك بعيد من الهدى، ثم قال جلّ جلاله: ٥٣: ﴿سَرَّيْنَهُمْ أَيْنَمَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ﴾ سظهر لهم دلالتنا وحججنا على كون القرآن حقاً منزلاً من عند الله على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بدلائل خارجيّة ﴿فِي الْأَفَاقِ﴾ أي: آيات السماء ﴿وَفِي أَنفُسِهِمْ﴾ أي: حوادث الأرض ﴿حَتَّىٰ يَتَّبِعَنَّهُم أَنَّهُ أَحَقُّ أَوْلَمْ يَكْفُرُونَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ شهيدياً على أفعال عباده وأقوالهم وهو يشهد أن محمداً صلى الله عليه وآله وسلم صادق فيما أخبر به عنه ٥٤: ﴿أَلَا إِنَّهُمْ فِي مِرْيَةٍ مِّن لِّقَاءِ رَبِّهِمْ﴾ في شك من قيام الساعة، ولهذا لا يعملون له ولا يحذرون منه ﴿أَلَا إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطٌ﴾ المخلوقات كلها تحت قهره وفي قبضته، وهو المتصرّف فيها بحكمه فما شاء كان وما لم يشأ لم يكن لا إله إلا هو.

الآية: ٥٣ ﴿سَرَّيْنَهُمْ أَيْنَمَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ﴾ أي: سظهر لهم دلالتنا وحججنا على كون القرآن حقاً منزلاً من عند الله على رسول الله ﷺ بدلائل خارجيّة في الأفاق، من الفتوحات وظهور الإسلام على الأقاليم وسائر الأديان. ويحتمل أن يكون المراد من ذلك ما للإنسان مركب منه وفيه وعليه من المواد والأخلاق والقيّات العجيبة، كما هو مسبوط في علم

١: ﴿حَم﴾ ٢: ﴿عَسَق﴾ قد تقدم الكلام

على الحروف المقطعة في أول سورة البقرة ٣: ﴿كذلك يُوحى إليك وإلى الذين من قبلك

الله العزيز الحكيم﴾ كما أنزل الله إليك هذا

القرآن كذلك أنزل الكتب والصحف على

الأنبياء قبلك ﴿العزيز﴾ في انتقامه ﴿الحكيم﴾

في أقواله وأفعاله ٤: ﴿له ما في السموات

وما في الأرض﴾ الجامع عبده له وملك له

وتحت قهره وتصريفه ﴿وهو العلي العظيم﴾

٥: ﴿تكاد السموات يتفطرن من فوقهن﴾

فرقاً ﴿من قولهم: اتخذ الله ولداً﴾، ﴿والملائكة

يُسبحون بحمد ربهم ويستغفرون لمن في

الأرض﴾ [أي: يُزهون الله عما لا يجوز في

وصفه، ويستغفرون للمؤمنين] ﴿ألا إن الله

هو الغفور الرحيم﴾ إعلامٌ بذلك وتنويه به

سبحانه وتعالى ٦: ﴿والذين اتخذوا من دونه

أولياء﴾ يعني المشركين، ﴿الله حفيظ

عليهم﴾ شهد على أفعالهم يُحصيها ويعدّها

عداً، وسيجزئهم بها أوفر الجزاء، ﴿وما أنت

عليهم بوكيل﴾ إنما أنت نذيرٌ والله على كل

شيء وكيل ٧: ﴿وكذلك أوحينا إليك قرآناً

عريباً﴾ وكأ أوحينا إلى الأنبياء قبلك أوحينا

إليك قرآناً واضحاً جليلاً نبياً ﴿لتنذر أم

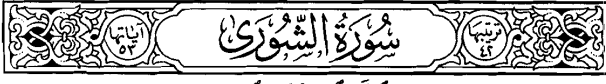
القرى﴾ وهي مكة ﴿ومن حولها﴾ من سائر

البلاد شرقاً وغرباً، وسُميت مكة أم القرى

لأنها أشرف من سائر البلاد ﴿وتنذر يوم

الجمع لاريب فيه﴾ لاشك في وقوعه وأنه

كائن لا محالة ﴿فريق في الجنة وفريق في



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حَم ١ عَسَق ٢ كذلك يُوحى إليك وإلى الذين من قبلك

الله العزيز الحكيم ٣ له ما في السموات وما في الأرض وهو

العلي العظيم ٤ تكاد السموات يتفطرن من فوقهن

والملائكة يسبحون بحمد ربهم ويستغفرون لمن في

الأرض ٥ ألا إن الله هو الغفور الرحيم ٥ والذين اتخذوا

من دونه أولياء الله حفيظ عليهم وما أنت عليهم بوكيل

٦ وكذلك أوحينا إليك قرآناً عربياً لتنذر أم القرى ومن

حولها وتنذر يوم الجمع لاريب فيه فريق في الجنة وفريق في

السعير ٧ ولو شاء الله لجمعهم أمة واحدة ولكن يدخل

من يشاء في رحمته والظالمون ما لهم من ولي ولا نصير ٨

أمر اتخذوا من دونه أولياء فالله هو الولي وهو يحيي الموتى وهو

على كل شيء قدير ٩ وما أخلفتم فيه من شيء فحكمه

إلى الله ذلكم الله ربي عليه توكلت وإليه أنيب ١٠

السعير﴾ [كلٌ يعمل] عدلٌ من الله عزوجل ٨: ﴿ولو شاء الله لجمعهم أمة واحدة﴾ إما على الهداية أو على الضلالة، ولكنه تعالى فاوت بينهم

فهدى من يشاء إلى الحق وأضلَّ من يشاء عنه وله الحكمة البالغة والحجة الدامغة، ولهذا قال عزوجل: ﴿ولكن يدخل من يشاء في رحمته﴾ [في

الإسلام]، ﴿والظالمون ما لهم من ولي ولا نصير﴾ ٩: ﴿أمر اتخذوا من دونه أولياء﴾؟ يُنكر الله تعالى على المشركين في اتخاذهم آلهة من دون الله

﴿فالله هو الولي﴾ هو الوليُّ الحقُّ الذي لا تنبغي العبادة إلا له وحده، فإنه هو القادر على إحياء الموتى ﴿وهو يحيي الموتى وهو على كل شيء

قدير﴾ ثم قال تعالى: ١٠: ﴿وما أخلفتم فيه من شيء﴾ [حكاية قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم للمؤمنين؛ أي: وما خالفكم فيه الكفار

من أهل الكتاب والمشركين من أمر الدين، فقولوا لهم: حكمه إلى الله، وقد حكم أن الدين هو الإسلام لا غيره. وأمور الشرائع إنما تُلقي من بيان

الله] ﴿فحكمه إلى الله﴾ هو الحاكم فيه بكتابه وسنة رسوله صلى الله عليه وآله وسلم، كقوله تعالى: ﴿إن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله

والرسول﴾، ﴿ذلكم الله ربي﴾ الحاكم في كل شيء ﴿عليه توكلت وإليه أنيب﴾ أرجع إليه في جميع الأمور.

١١: ﴿فَاطْرُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾

خالقهما وما بينهما ﴿جعل لكم من أنفسكم أزواجاً﴾ من جنسكم وشكلكم مئةً عليكم وتفصيلاً جعل من جنسكم ذكراً وأنثى، ﴿ومن الأنعام أزواجاً﴾ وخلق لكم من الأنعام ثمانية أزواج ﴿يدرؤكم فيه﴾ يخلقكم فيه؛ أي: في ذلك الخلق على هذه الصفة لا يزال يدرؤكم فيه ذكوراً وإناثاً خلقاً بعد خلق وجيلاً بعد جيل ونسلًا بعد نسل، من الناس والأنعام ﴿ليس كمثل شيء﴾ ليس كخالق الأزواج كلها شيء لأنه الفرد الصمد الذي لا نظير له ﴿وهو السميع البصير﴾ [فليس كذاته ذات، ولا كصفته صفة، جلّت الذات الإلهية أن يكون لها صفة حديثة] ١٢: ﴿لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ هو المنصرف الحاكم فيها ﴿يسيطر الرزق لمن يشاء ويقدر﴾ يُوسّع على من يشاء ويضيّق على من يشاء، وله الحكمة والعدل التام ﴿إنه بكل شيء عليم﴾ ١٣: ﴿شرح لكم من الدين ما وصّى به نوحاً والذي أوحينا إليك﴾ ذكر الله تعالى لهذه الأمة أول الرسل بعد آدم عليه السلام وهو نوح وآخهم وهو محمد صلى الله عليه وآله وسلم، ثم ذكر من بين ذلك من أولي العزم وهو إبراهيم وموسى وعيسى، فقال تعالى: ﴿وما وصّينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه﴾ أوصى الله تعالى جميع الأنبياء عليهم الصلاة والسلام [بتوحيده وعبادته وحده لا شريك له] وبالاتِّصاف والجماعة، ونهاهم عن الافتراق

الجن ١١

فَاطْرُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا يَذُرُّكُمْ فِيهِ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿١١﴾ لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٢﴾ ﴿شَرَحَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ ﴿١٣﴾ وَمَا تَفَرَّقُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَعْضًا مِنْهُمْ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى لَفُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ أُورِثُوا الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٌ ﴿١٤﴾ فَلِذَلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَقُلْ ءَأَمِنْتُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَا أَعْمَلْنَا وَلَكُمْ أَعْمَلْنَا لَكُمْ لِحَاجَةٌ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴿١٥﴾

٤٨٤

والاختلاف ﴿كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ﴾ شقّ عليهم وأنكروا ما تدعوهم إليه يا محمد من التوحيد، ﴿الله يجتبي إليه من يشاء ويهدي إليه من ينيب﴾ هو الذي يقدر الهداية لمن يستحقها ويكتب الضلالة على من أترها على طريق الرشد، ولهذا قال تعالى: ١٤: ﴿وما تفرقوا إلا من بعد ما جاءهم العلم بغياً بينهم﴾ إنما كان مخالفتهم للحق بعد بلوغه إليهم قيام الحجّة عليهم وماحلهم على ذلك إلا البغي والعناد والمشاقة، ثم قال عز وجل: ﴿ولولا كلمة سبقت من ربك إلى أجلٍ مُسَمًّى﴾ لولا الكلمة السابقة من الله تعالى بإنتظار العباد بإقامة حسابهم إلى يوم المعاد لتعجل عليهم العقوبة في الدنيا سريعاً، ﴿وإن الذين أورثوا الكتاب من بعدهم﴾ يعني الجيل المتأخر بعد القرن الأول المكذب للحق ﴿لفي شكٍّ منه مُرِيبٌ﴾ ليسوا على يقين من أمرهم وإيمانهم، وإتّما هم مقلدون لأبائهم وأسلافهم بلا دليل ولا برهان، وهم في حيرة من أمرهم ١٥: ﴿فلذلك فادع﴾ الآية، وقد اشتملت على عشر كلمات مستقلات كل منها حكم برأسه ﴿واستقم كما أمرت﴾ أنت ومن اتبعك على عبادة الله تعالى كما أمرك الله ﴿ولا تتبع أهواءهم﴾ يعني المشركين ﴿وقل آمنتم بما أنزل الله من كتاب﴾ صدقت بجميع الكتب المنزلّة من السماء على الأنبياء لا تفرّق بين أحدٍ منهم ﴿وأمرت لأعدل بينكم﴾ في الحكم كما أمرني الله ﴿الله ربنا وربكم﴾ هو المعبود لإله إلا هو ﴿لنا أعمالنا ولكم أعمالكم﴾ نحن برآء منكم ﴿لا حجة بيننا وبينكم﴾ لا خصومة بيننا وبينكم، ﴿الله يجمع بيننا﴾ يوم القيامة ﴿والإله المصير﴾ المرجع والمآب يوم الحساب.

الآية: ١٥ روى ابن ماجه بإسناد صحيح والحاكم وصححه عن ثوبان قال: قال رسول الله ﷺ: «استقيموا ولن تُحْضَوا، واعلموا أنّ خير أعمالكم الصلّاة، ولن يُحافظ على الوضوء إلا مؤمن». /الترغيب ج/ ١٦٦٢/

١٦: ﴿وَالَّذِينَ يُحَاجُّونَ فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا اسْتَجِيبَ لَهُ﴾ يُجَادِلُونَ الْمُؤْمِنِينَ الْمُسْتَجِيبِينَ لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ لِيَصُدُّوهُمْ عَمَّا سَلَكَهُ مِنْ طَرِيقِ الْهُدَى، ﴿حُجَّتْهُمْ دَاحِضَةٌ﴾ أَي بَاطِلَةٌ ﴿عِنْدَ رَبِّهِمْ وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ﴾ مِنَ اللَّهِ ﴿وَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ١٧: ﴿اللَّهُ الَّذِي أَنْزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ﴾ الْكِتَابَ الْمُنزَّلَ مِنْ عِنْدِهِ عَلَى أَنْبِيَائِهِ ﴿وَالْمِيزَانَ﴾ وَهُوَ الْعَدْلُ وَالْإِنصَافُ، ﴿وَمَا يُدْرِكُ لَعْلَ السَّاعَةِ قَرِيبٌ﴾ فِي هَذِهِ الْآيَةِ تَرْغِيبٌ وَتَرْهيبٌ وَتَزْهِيدٌ، [أَي: تَرْغِيبٌ فِي الْعَمَلِ لِلْآخِرَةِ، وَتَرْهيبٌ مِنْهَا، وَتَزْهِيدٌ فِي الدُّنْيَا] ١٨: ﴿يَسْتَعْجِلُ بِهَا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا﴾ يَقُولُونَ: مَتَى هَذَا الْوَعْدُ؟ وَإِنَّمَا يَقُولُونَ ذَلِكَ تَكْذِيبًا وَاسْتِعْجَادًا وَكُفْرًا وَعِجَادًا ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا مُشْفِقُونَ مِنْهَا﴾ خَائِفُونَ وَجُلُونَ مِنْ وَقُوعِهَا ﴿وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا الْحَقُّ﴾ كَانَتْ لِأَعَالَةِ فَهْمٍ مُسْتَعْتِدُونَ لَهَا عَامِلُونَ مِنْ أَجْلِهَا، ﴿أَلَا إِنَّ الَّذِينَ يُمَارُونَ فِي السَّاعَةِ﴾ يُجَادِلُونَ فِي وُجُودِهَا وَيَدْفَعُونَ وَقُوعَهَا ﴿لَفِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ﴾ فِي جَهْلٍ بَيْنَ، لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى: ﴿هُوَ الَّذِي بَدَأَ الْخَلْقَ لَمْ يُعِدَّهُ هُوَ أَهْوَنَ عَلَيْهِ﴾ ١٩: ﴿اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ﴾ يُخَبِّرُ تَعَالَى عَنْ لَطْفِهِ بِعِبَادِهِ فِي رِزْقِهِ إِيَّاهُمْ عَنْ آخِرِهِمْ لِيَنْسِيَ أَحَدًا مِنْهُمْ سِوَاءَ فِي رِزْقِهِ لِلرَّبِّ وَالْفَاجِرِ ﴿يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ﴾ لِيَعْبُرَهُ شَيْءٌ. وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا﴾ ٢٠: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ﴾ عَمَلِ الْآخِرَةِ ﴿تَرُدُّ لَهُ فِي

وَالَّذِينَ يُحَاجُّونَ فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا اسْتَجِيبَ لَهُمْ جُنْهُمُ دَاحِضَةٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴿١٦﴾ اللَّهُ الَّذِي أَنْزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَالْمِيزَانَ وَمَا يُدْرِكُ لَعْلَ السَّاعَةِ قَرِيبٌ ﴿١٧﴾ يَسْتَعْجِلُ بِهَا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا وَالَّذِينَ آمَنُوا مُشْفِقُونَ مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا الْحَقُّ أَلَا إِنَّ الَّذِينَ يُمَارُونَ فِي السَّاعَةِ لَفِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ ﴿١٨﴾ اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ ﴿١٩﴾ مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ ﴿٢٠﴾ أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ وَلَوْلَا كَلِمَةُ الْفَصْلِ لَفُضِّ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢١﴾ تَرَى الظَّالِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا كَسَبُوا وَهُوَ وَاقِعٌ بِهِمْ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي رَوْضَاتِ الْجَنَّاتِ لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ ﴿٢٢﴾

حَرْثِهِ﴾ نَفْوِيهِ وَنَعِيْنُهُ عَلَى مَا هُوَ بِصَدِيدِهِ وَنَكْرَتُهُ نَمَاءً وَنَجْوِيهِ بِالْحَسَنَةِ عَشْرَ أَمْثَالِهَا إِلَى سَبْعِمِائَةِ ضِعْفٍ إِلَى مَا يَشَاءُ اللَّهُ ﴿وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَالَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنَ النَّصِيبِ﴾ وَمَنْ كَانَ سَعْيُهُ إِنَّمَا لِيَحْصُلَ لَهُ شَيْءٌ مِنَ الدُّنْيَا وَلَيْسَ لَهُ فِي الْآخِرَةِ هَمُّ الْبَيْتَةِ بِالْكَالِيَةِ حَرَمَةُ اللَّهِ الْآخِرَةَ، وَالدُّنْيَا إِنْ شَاءَ أَعْطَاهُ مِنْهَا وَإِنْ لَمْ يَشَأْ لَمْ يَحْصُلْ لَهَا هَذَا وَلَا هَذَا ٢١: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ﴾ هُمْ لَا يَتَّبِعُونَ مَا شَرَعَ اللَّهُ لَكَ مِنَ الدِّينِ الْقَرِيمِ، بَلْ يَتَّبِعُونَ مَا شَرَعَ لَهُمْ شَيْطَانُهُمْ مِنَ الْجَنِّ وَالْإِنْسِ، مِنْ تَحْرِيمِ مَا حَرَّمَ عَلَيْهِمْ، وَتَحْلِيلِ مَا أَحْلَاهُمْ لَهُمْ مِنْ أَكْلِ الْمَيْتَةِ وَالْدَّمِ وَالْقَمَارِ، وَنَحْوِ ذَلِكَ مِنَ الضَّلَالَاتِ ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةُ الْفَصْلِ لَفُضِّ بَيْنَهُمْ﴾ لَتَوَجَّلُوا بِالْعُقُوبَةِ لَوْلَا مَا تَقَدَّمَ مِنَ الْإِنظَارِ إِلَى يَوْمِ الْمَعَادِ ﴿وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ فِي جَهَنَّمَ وَبِمَسِّ الْمَصِيرِ ٢٢: ﴿تَرَى الظَّالِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا كَسَبُوا﴾ فِي عُرْصَاتِ الْقِيَامَةِ ﴿وَهُوَ وَاقِعٌ بِهِمْ﴾ الَّذِي يَخَافُونَ مِنْهُ وَاقِعٌ بِهِمْ لِأَحْمَالِهِ، هَذَا حَالُهُمْ يَوْمَ مَعَادِهِمْ، وَهُمْ فِي هَذَا الْخَوْفِ وَالْوَجَلِ، ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي رَوْضَاتِ الْجَنَّاتِ لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ فَأَيْنَ هَذَا مِنْ هَذَا؟ أَيْ: أَيْنَ مَنْ هُوَ فِي الْعُرْصَاتِ فِي الدَّلِّ وَالْهَوَانِ وَالْخَوْفِ وَمَنْ هُوَ فِي رَوْضَاتِ الْجَنَّاتِ فَمَا يَشَاءُ مِنْ مَآكِلٍ وَمَشَارِبٍ وَمَلَادٍ مِمَّا لَأَعْيُنَ رَأَتْ وَلَأَأْذُنَ سَمِعَتْ وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ، ﴿ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ﴾ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ وَالْمَتَّةُ التَّامَّةُ السَّابِغَةُ الشَّامِلَةُ الْعَامَّةُ.

الآية: ١٨ وجاء في الصحاح أن رجلاً نادى رسول الله ﷺ فقال: يا محمد! فقال له رسول الله ﷺ نحواً من صوته: «هاؤم» فقال له: متى الساعة؟ فقال له رسول الله ﷺ: «ومعك إنها كائنة، فما أعددت لها؟» فقال: «حب الله ورسوله!!» فقال ﷺ: «أنت مع من أحببت!!»./ابن كثير ج ١١٠/٤

٢٣: ﴿ذَلِكَ الَّذِي يُبَشِّرُ اللَّهَ عِبَادَهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ هذا حاصل لهم كائن لامحالة ببشارة الله تعالى لهم ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾ قل يا محمد هؤلاء المشركين من كفار قريش لا أسألكم على هذا البلاغ والنصح لكم مالا تعطوني، وإنما أطلب منكم أن تكفوا شركم عني، وتذروني أبلغ رسالات ربي، إن لم تصروني فلا تؤذوني بما بيني وبينكم من القرباة، ﴿وَمَنْ يَقْتَرِفْ حَسَنَةً﴾ ومن يعمل حسنة ﴿تَزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا﴾ أجرًا وثوابًا ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكَ حَسَنَةً يَضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ إن من ثواب الحسنة الحسنة بعدها، ومن جزاء السيئة السيئة بعدها، ﴿إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾ يغفر الكثير من السيئات ويكثر القليل من الحسنات، ٢٤: ﴿أَمْ يَقُولُونَ قَلِيلٌ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَإِنْ يَشَأُ اللَّهُ يَخْتِمْ عَلَى قَلْبِكَ﴾ لو افترى على الله كذبًا كما يزعم هؤلاء الجاهلون ﴿يَخْتِمْ عَلَى قَلْبِكَ﴾ يطبع على قلبك، وسلبك ما أتاك من القرآن، ﴿وَيَمِخُ اللَّهُ الْبَاطِلَ﴾ يمح محرفوع على الابتداء، وليس معطوفًا على الجزوم ﴿يَخْتِمْ﴾ وحذفت الواو في رسم المصحف^(١) الإمام كما حذفت في قوله تعالى: ﴿سَدَّغُ الزَّيْنَبِ﴾ ﴿وَيَدْعُ الْإِنْسَانَ بِالشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ﴾ ﴿وَيُحِقُّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ﴾ يحققه ويثبته بحججه وبراهينه ﴿إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ بما تنطوي عليه السرائر ٢٥: ﴿وَهُوَ الَّذِي

ذَلِكَ الَّذِي يُبَشِّرُ اللَّهَ عِبَادَهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى وَمَنْ يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٢٣﴾ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَإِنْ يَشَأُ اللَّهُ يَخْتِمْ عَلَى قَلْبِكَ وَيَمْحُ اللَّهُ الْبَاطِلَ وَيُحِقُّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٢٤﴾ وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿٢٥﴾ وَيَسْتَجِيبُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَالْكَافِرُونَ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴿٢٦﴾ وَلَوْ سِطَّ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ وَلَكِنْ يُنْزِلُ بِقَدَرٍ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ ﴿٢٧﴾ وَهُوَ الَّذِي يُنْزِلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ ﴿٢٨﴾ وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا مِنْ دَابَّةٍ وَهُوَ عَلَى جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ ﴿٢٩﴾ وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبْتُمْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ ﴿٣٠﴾ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٣١﴾

يقبل التوبة عن عباده ﴿يَتَنُّ تَعَالَى عَلَى عِبَادِهِ يَقْبَلُ تَوْبَتَهُمْ إِلَيْهِ﴾ ﴿وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ﴾ وهذا من كرمه وحلمه أنه يعفو ويصفح ويستر ويغفر، ﴿وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾ ومع هذا يتوب على من تاب إليه ٢٦: ﴿وَيَسْتَجِيبُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ يستجيبون للحق ويتبعونه ﴿وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ﴾ يستجيب دعاءهم ويزيدهم فوق ذلك الشفاعة، ﴿وَالْكَافِرُونَ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾ يوم القيامة؛ لما ذكر حال المؤمنين ذكر حال الكافرين بأن لهم العذاب المثل يوم معادهم ٢٧: ﴿وَلَوْ سِطَّ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ﴾ لو أعطاهم فوق حاجاتهم من الرزق لحملهم ذلك على البغي والطغيان، ﴿وَلَكِنْ يُنْزِلُ بِقَدَرٍ مَا يَشَاءُ﴾ بما فيه صلاحهم ﴿إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ﴾ فيغي من يستحق الغنى ويفقر من يستحق الفقر ٢٨: ﴿وَهُوَ الَّذِي يُنْزِلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا﴾ من بعد إياس الناس من نزول المطر في وقت فقرهم ﴿وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ﴾ يعم بها الوجود ﴿وَهُوَ الْوَلِيُّ﴾ المتصرف لخلقهم بما ينفعهم في دنياهم وأخراهم ﴿الْحَمِيدُ﴾ في جميع ما يقدره ويفعله ٢٩: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ﴾ الدالة على عظمته ﴿خَلْقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا مِنْ دَابَّةٍ﴾ وهذا يشمل جميع المخلوقات ﴿وَهُوَ عَلَى جَمْعِهِمْ﴾ يوم القيامة ﴿إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ﴾ ٣٠: ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبْتُمْ أَيْدِيكُمْ﴾ من معصية ﴿وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ﴾ روى أحمد أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: ﴿مَنْ شَيْءٌ يَصِيبُ الْمُؤْمِنَ فِي جَسَدِهِ يُؤْذِيهِ إِلَّا كَفَّرَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ بِهِ مِنْ سَيِّئَاتِهِ﴾ ٣١: ﴿وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ﴾ ﴿بِفَاتِنِ اللَّهِ﴾ ﴿وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾.

٣٢: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ الْجَوَارِ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ﴾ ومن آياته الدالة على عظمته وقدرته الباهرة تسخيره البحر لتجري فيه الفلك بأمره ٣٣: ﴿إِنْ يَشَاءُ يُسَكِّنِ الرِّيحَ﴾ التي تسير في البحر لو شاء لسكنها حتى لا تتحرك السفن بل تبقى راكدة على ظهره ﴿فَيُظَلِّلْنَ رَوَاكِدَ عَلَى ظَهْرِهِ﴾ على وجه الماء ﴿إِنْ فِي ذَلِكَ آيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ فِي الشَّدَائِدِ﴾ شكور ﴿على نعمه تعالى في الرخاء ٣٤: ﴿أَوْ يُؤْفِقَهُنَّ بِمَا كَسَبُوا﴾ ولو شاء لأهلك السفن وأغرقها بذنوب أهلها فيها ﴿ويُفَعِّقُ عَنْ كَثِيرٍ﴾ من ذنوبهم، ولو أخذهم بجميع ذنوبهم لأهلك كل من ركب البحر ٣٥: ﴿ويُعَلِّمُ الَّذِينَ يَجَادِلُونَ فِي آيَاتِنَا﴾ [يعني الكفار] ﴿ما لهم من محصرٍ﴾ لا يحيد لهم عن بأسنا ونقمنا [إن أوبقت السفن رواكدها، علموا أنه لا ملجأ لهم سوى الله] ٣٦: يقول تعالى محقراً للشأن الدنيا وزينتها: ﴿فَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ مهما حصلتم وجمعتم فلا تتعزوا به فإنما هو متاع الحياة الدنيا، وهي دار فانية لا محالة ﴿وماعند الله خير وأبقى﴾ هو باقي سرمدى فلا تقدموا الفاني على الباقي، ولهذا قال تعالى: ﴿لِلَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ ليعينهم على الصبر على أداء الواجبات وترك الحرامات ٣٧: ﴿والَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كِبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشِ﴾ [كبائر الإثم: الشرك، وكبائر الفواحش: الزنى]، ﴿وإذا ما غضبوا هم يغفرون﴾ سحيتهم تقتضي الصفح والغفر

وَمِنْ آيَاتِهِ الْجَوَارِ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ ﴿٣٢﴾ إِنْ يَشَاءُ يُسَكِّنِ الرِّيحَ فَيَظَلِّلْنَ رَوَاكِدَ عَلَى ظَهْرِهِ ﴿٣٣﴾ إِنْ يَشَاءُ يُسَكِّنِ الرِّيحَ ﴿٣٤﴾ أَوْ يُؤْفِقَهُنَّ بِمَا كَسَبُوا وَيُفَعِّقُ عَنْ كَثِيرٍ ﴿٣٥﴾ وَيُعَلِّمُ الَّذِينَ يَجَادِلُونَ فِي آيَاتِنَا ﴿٣٦﴾ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى لِلَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٣٧﴾ وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كِبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشِ وَإِذَا مَا عَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ ﴿٣٨﴾ وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣٩﴾ وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنْتَصِرُونَ ﴿٤٠﴾ وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴿٤١﴾ وَلَمَنْ أَنْصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ ﴿٤٢﴾ إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤٣﴾ وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴿٤٤﴾ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ وَتِيٍّ مَنْ بَعْدَهُ وَتَرَى الظَّالِمِينَ لَمَّا رَأَوْا الْعَذَابَ يَقُولُونَ هَلْ إِلَى مَرَدٍّ مِنْ سَبِيلٍ ﴿٤٤﴾

عن الناس ٣٨: ﴿والَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ﴾ اتبعوا رسله وأطاعوا أمره واجتنبوا زجره ﴿وأقاموا الصلاة﴾ وهي أعظم العبادات لله عز وجل ﴿وأمرهم شورى بينهم﴾ لا يبرمون أمراً حتى يتشاوروا فيه ليتساعدوا بآرائهم، ﴿ومِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ ٣٩: ﴿والَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنْتَصِرُونَ﴾ فيهم قوة على الانتصار والانتقام، ومع هذا إذا قديروا عفوا ٤٠: ﴿وجزاء سيئة سيئة مثلها﴾ كقوله تعالى: ﴿فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم﴾ فشرع العدل وهو القصاص، وندب إلى العفو ﴿فمن عفا وأصلح فأجره على الله﴾ لا يضيع ذلك عند الله ﴿إنه لا يحب الظالمين﴾ المعتدين المبتدئين بالسيئة ٤١: ﴿ولمن انتصر بعد ظلمه فأولئك ما عليهم من سبيل﴾ ليس عليهم جناح في الانتصار ممن ظلمهم ٤٢: ﴿إنما السبيل﴾ الخرج والعنت ﴿على الذين يظلمون الناس ويغفون في الأرض بغير الحق﴾ يبدؤون الناس بالظلم ﴿وأولئك لهم عذاب أليم﴾ ثم إن الله تعالى لما ذم الظلم وأهله وشرع القصاص قال نادياً إلى العفو ٤٣: ﴿ولمن صبر وغفر﴾ صبر على الأذى وستر السيئة ﴿إن ذلك لمن عزم الأمور﴾ [من عزم] وحق الأمور التي أمر الله تعالى بها؛ أي: لمن الأمور المشكورة والأفعال الحميدة التي عليها ثواب جزيل وثناء جميل ٤٤: ﴿ومن يضلل الله فماله من وتي من بعده﴾ يخبر تعالى عن نفسه الكريمة أنه ماشاء كان وما لم يشأ لم يكن وأنه من هذه فلا مضيل له، ومن يضلل فلا هادي له، ﴿وترى الظالمين﴾ المشركين ﴿لما رأوا العذاب﴾ يوم القيامة ﴿يقولون هل إلى مردد من سبيل﴾ يظلمون أن يردوا إلى الدنيا ليعملوا بطاعة الله فلا يجابون إلى ذلك].

٤٥: ﴿وَتَرَاهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا﴾ على النار ﴿حاشعين من الذل﴾ الذي قد اعتراهم بما أسلفوا من عصيان الله تعالى، ﴿ينظرون من طرف خفي﴾ ينظرون مسارقةً خوفاً مما هو واقع بهم لاحالة ﴿وقال الذين آمنوا إن الحاسرين الذين خسروا أنفسهم﴾ الذين خسروا الخسار الأكبر هم الذين ذهب بهم إلى النار فعدموا لذتهم في دار الأبد، وخسروا ﴿وأهلهم﴾ فرق بينهم وبين قرايبهم، ﴿يوم القيامة إلا إن الظالمين في عذاب مقيم﴾ دائم سرمدي ٤٦: ﴿وما كان لهم من أولياء ينصرونهم من دون الله﴾ يتقدونهم بما هم فيه من العذاب والنكال ﴿ومن يضلل الله فما له من سبيل﴾ ليس له خلاص ٤٧: ﴿استجيبوا لربكم من قبل أن يأتي يوم لا مرد له من الله ما لكم من ملجأ يومئذ وما لكم من نكير﴾ فإن أعرضوا فما أرسلناك عليهم حفيظاً إن ألبغ وإننا إذا أذقنا الإنسان متاعاً رحمةً فرح بها وإن نصبهم سيئة بما قدمت أيديهم فإن الإنسان كفور ٤٨: ﴿لله ملك السموات والأرض يخلق ما يشاء يهب لمن يشاء إنشا ويهب لمن يشاء الذكور ٤٩: أو يزوجهم ذكرانا وإنثا ويجعل من يشاء عقيماً إنهم قدير ٥٠: وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحياً أو من وراء حجاب أو يرسل رسولا فيوحي بإذنيه ما يشاء إنهم على حكيمة ٥١﴾

٤٥: ﴿وَتَرَاهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَشِيعَاتٍ مِنَ الذَّلِيلِ يَنْظُرُونَ مِنْ طَرْفٍ خَفِيٍّ وَقَالَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ الْخَسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَّا إِنْ الظَّالِمِينَ فِي عَذَابٍ مُّقِيمٍ ٤٥﴾ وَمَا كَانَتْ لَهُمْ مِنْ أَوْلِيَاءَ يَنْصُرُونَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَهُوَ لَمْ يَسْبِلِ ٤٦﴾ أَسْتَجِيبُوا لِرَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ مَا لَكُمْ مِنْ مَلْجَأٍ يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُمْ مِنْ نَكِيرٍ ٤٧﴾ فَإِنْ أَعْرَضُوا فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا إِنْ أَلْبَغُوا وَإِنَّا إِذَا أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مَتَاعًا رَحِيمَةً فَرِحَ بِهَا وَإِنْ تُصِيبَهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَإِنَّ الْإِنْسَانَ كَفُورٌ ٤٨﴾ لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنثًا وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورَ ٤٩﴾ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذَكَرًا وَإِنثًا وَيَجْعَلُ مِنْ يَشَاءُ عَقِيمًا إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ٥٠﴾ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِي بآذنيه ما يشاء إنهم على حكيمة ٥١﴾

الإنسان كفور ٤٨: ﴿يخجلد ما تقدم من النعم، ولا يعرف إلا الساعة الراهنة، فإن أصابته نعمة أشتر وبطر، وإن أصابته محنة يس وقنط ٤٩: ﴿لله ملك السموات والأرض﴾ يعطي من يشاء ويمنع من يشاء ولا مانع لما أعطى ولا معطي لما منع وأنه يخلق ما يشاء ما يشاء يهب لمن يشاء إنثا ٤٩: ﴿يرزق البنات﴾ ويهب لمن يشاء الذكور ٥٠: ﴿أو يزوجهم ذكرانا وإنثا﴾ ويعطي لمن يشاء من الناس الزوجين الذكر والأنثى، أي: من هذا وهذا، ﴿ويجعل من يشاء عقيماً﴾ لا يؤلده ﴿إنهم قدير ٥٠:﴾ ﴿وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحياً أو من وراء حجاب أو يرسل رسولا﴾ هذه مقامات الوحي إلى جناب الله عز وجل، وهو أنه تعالى تارة يقذف في روع النبي صلى الله عليه وآله وسلم شيئاً لا يتأذى فيه أنه من الله عز وجل ﴿أو من وراء حجاب﴾ كما كلم الله موسى عليه السلام، ﴿أو يرسل رسولا﴾ كما ينزل جبريل عليه السلام ﴿فيوحي بإذنيه ما يشاء إنهم على﴾ متعال عن صفات النقص [حكيم] في أقواله وأفعاله وشرعه وقدره سبحانه وتعالى.

الآية: ٤٦: روى ابن جبان في صحيحه أن رسول الله ﷺ قال: «من التمس رضا الله بسخط الناس، ورضي الله عنه وأرضى عنه الناس، ومن التمس رضا الناس بسخط الله، بسخط الله عليه، وأسخط عليه الناس». وروى الطبراني بإسناد جيد قوتي عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «من أسخط الله في رضا الناس أسخط الله عليه، وأسخط عليه من أرضاه في سخطه، ومن أرضى الله في رضا الله، وأرضى عنه من أسخطه في رضا، حتى يُرْبِنَهُ، ويُرْبِنَ قَوْلُهُ عَمَلَةٌ فِي عَيْنِهِ». /الترغيب ج ٣/ ٢٠٠/

٥٢: ﴿وَكذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا﴾ يعني القرآن ﴿مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ﴾ على التفصيل الذي شرع الله لك في القرآن ﴿وَلَكِن جَعَلْنَاهُ﴾ القرآن ﴿نُورًا نُّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا﴾ كما قال تعالى: ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءً﴾ الآية. ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي﴾ بإِمامنا ﴿إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ وهو الحق القويم، ثم فسره بقوله تعالى: ٥٣: ﴿صِرَاطِ اللَّهِ﴾ شرعه الذي أمر الله به، ﴿الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ رُبُّهُمَا وَمَا لِكُهُمَا وَالتَّصَرَّفُ فِيهِمَا، ﴿أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ﴾ ترجع الأمور فيفصلها ويحكم فيها سبحانه وتعالى.

تفسير سورة الزُّخْرُفِ

١: ﴿حَم﴾ ٢: ﴿وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ﴾ [القرآن] البين الواضح الخلي المعاني والألفاظ ٣: ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ﴾ أنزلناه ﴿قُرْآنًا عَرَبِيًّا﴾ بلغة العرب فصيحاً واضحاً ﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ تفهمونه وتدبرونه كما قال عز وجل: ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾ ٤: ﴿وَإِنه﴾ القرآن ﴿فِي أُمِّ الْكِتَابِ﴾ اللوح المحفوظ ﴿لَدِينَا﴾ عندنا ﴿لَعَلِّي﴾ ذو مكانة عظيمة وشرف وفضل عظيم، ﴿حَكِيمٍ﴾ مُحْكَمٌ بَرِيءٌ مِنَ اللَّيْسِ وَالزَّيغِ، وهذا كله تبيين على شرفه وفضله، ٥: ﴿أَفَنَضْرِبُ عَنْكُمُ الذِّكْرَ صَفْحًا أَن كُنتُمْ قَوْمًا مُسْرِفِينَ﴾ من رحمة تعالى بخلقه أنه لم يتركهم من هدايته، بل دعاهم إليها وإن كانوا مسرفين معرضين عنه، والذكر هنا هو القرآن

وَكذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نُّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾ صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ ﴿٥٣﴾

سُورَةُ الزُّخْرُفِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حَم ﴿١﴾ وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ ﴿٢﴾ إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا نَّاعَرِبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٣﴾ وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدِينَا لَعَلِّي حَكِيمٌ ﴿٤﴾ أَفَنَضْرِبُ عَنْكُمُ الذِّكْرَ صَفْحًا أَن كُنتُمْ قَوْمًا مُسْرِفِينَ ﴿٥﴾ وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِن نَّبِيِّ فِي الْأَوَّلِينَ ﴿٦﴾ وَمَا يَأْتِيهِمْ مِّن نَّبِيٍّ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهزِئُونَ ﴿٧﴾ فَأَهْلَكْنَا أَشَدَّ مِنْهُمْ بَطْشًا وَمَضَىٰ مَثَلُ الْأَوَّلِينَ ﴿٨﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّن خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ ﴿٩﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَجَعَلَ لَكُمُ فِيهَا سُبُلًا لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠﴾

الحكيم ٦: ﴿وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِن نَّبِيِّ فِي الْأَوَّلِينَ﴾ في سَبْعِ الْأَوَّلِينَ ٧: ﴿وَمَا يَأْتِيهِمْ مِّن نَّبِيٍّ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهزِئُونَ﴾ يكذبونه ويسخرون به ٨: ﴿فَأَهْلَكْنَا أَشَدَّ مِنْهُمْ بَطْشًا﴾ أهلكتنا المكذبين بالرسول وقد كانوا أشدَّ بطشاً من هؤلاء المكذبين لك يا محمد، كما قال تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً﴾. ﴿وَمَضَىٰ مَثَلُ الْأَوَّلِينَ﴾ عقوبتهم التي جعلناها عبرة لمن بعدهم من المكذبين أن يصيبهم ما أصابهم، كما قال تعالى: ﴿فَجَعَلْنَاهَا سُلْفًا وَمَثَلًا لِلْآخِرِينَ﴾. ٩: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم﴾ يا محمد لهؤلاء المشركين ﴿مَّن خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾؟ ﴿لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ﴾ لَيَعْتَرِفْنَ أَنَّ الخَالِقَ لذلك هو الله وحده لا شريك له، وهم مع هذا يعبدون معه غيره من الأصنام والأنداد!؟ ١٠: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا﴾ فَرَأْسًا قَرَارًا ثَابِتَةً تَسِيرُونَ عَلَيْهَا وَتَقْوُمُونَ وَتَنَامُونَ، وَتَصْرِفُونَ، مع أنها مخلوقة على تيار الماء، لكنه أرساها بالجبال لئلا تميذ هكذا وهكذا ﴿وَجَعَلَ لَكُم فِيهَا سُبُلًا﴾ طرقاً بين الجبال والأودية ﴿لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ في سيركم من بلد إلى بلد، ومن قطر إلى قطر، ومن إقليم إلى إقليم، [ولعلكم تعرفون نعمة الله عليكم].

الآية: ٤ وهذا كله تبيين على شرف القرآن الكريم وفضله، كما قال الله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ فِي كِتَابٍ مَكُونٍ لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ. تَنْزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ﴾ وقال تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ. فَمَنْ شَاءَ ذَكَرْهُ. فِي صُحُفٍ مَكْرَمَةٍ. مَرْفُوعَةٍ مَّطَهَّرَةٍ. بِأَيْدِي مَسْفُورَةٍ كَرَامٍ بَرَّةٍ﴾، ولهذا استنبط العلماء رضي الله عنهم من هاتين الآيتين أن المحدث لا يمس المصحف، كما ورد به الحديث إن صحَّ، لأن الملائكة يُعْظَمُونَ المصاحف المشتملة على القرآن في المأ الأعلى، فأهل الأرض بذلك أولى وأحرى، لأنه نزل عليهم، وخطابه متوجه إليهم، فهم أحقُّ أن يُقابَلوه بالإكرام والتعظيم، والانقياد له بالقبول والتسليم، لقوله تعالى: ﴿وَوَاتِهِ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدِينَا لَعَلِّي حَكِيمٌ﴾!! / ابن كثير ج ٤/ ١٢٢/

وَالَّذِي نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَنْشَرْنَا بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا كَذَلِكَ تُخْرَجُونَ ﴿١١﴾ وَالَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ الْفُلْكِ وَالْأَنْعَامِ مَا تَرْكَبُونَ ﴿١٢﴾ لَيْسَتُوا عَلَى ظُهُورِهِ ثُمَّ تَذَكَّرُوا نِعْمَةً رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرْنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ ﴿١٣﴾ وَإِنَّا إِلَى رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ ﴿١٤﴾ وَجَعَلُوا لَهُ مِنْ عِبَادِهِ جُزْءًا إِنَّا لِلْإِنْسَانِ لَكَفُورٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ أَمْ اتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ وَأَصْفًا كُمْ بِالْبَنِينَ ﴿١٦﴾ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَنِ مَثَلًا ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿١٧﴾ أَوْ مِنْ يَدْنُو فِي الْحَلِيَّةِ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرَ مُبِينٍ ﴿١٨﴾ وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنثًا أَشْهَدُوا خَلْقَهُمْ سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ ﴿١٩﴾ وَقَالُوا لَوْ شَاءَ الرَّحْمَنُ مَا عَبَدْنَاهُمْ مَأْلَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿٢٠﴾ أَمْ أُنبِئْتُمْ كَيْتَابًا مِنْ قَبْلِهِ فَهُمْ بِهِ مُسْتَمْسِكُونَ ﴿٢١﴾ بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِمْ مُهْتَدُونَ ﴿٢٢﴾

١١: ﴿وَالَّذِي نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ﴾ بحسب الكفاية لزروعكم وتمارم وشربكم، ﴿فَأَنْشَرْنَا بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا﴾ أرضاً ميتة، فلما جاءها الماء اهتزت وربت وأنتت من كل زوج بهيج، ثم نبه تعالى بإحياء الأرض على إحياء الأجساد يوم المعاد بعد موتها فقال تعالى: ﴿كذلك تُخْرَجُونَ﴾. ثم قال تعالى: ١٢: ﴿وَالَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا﴾ مما ثبتت الأرض ومن سائر الأصناف من نبات وزروع وأزاهير وغير ذلك، ومن الحيوانات. ﴿وجعل لكم من الفلك والأنعام ما تركبون﴾ السفن، والأنعام ذللتها لكم لركوبها وسخرها وبسرها لأكلكم لحومها وشربكم ألبانها، ولهذا قال تعالى: ١٣: ﴿لَتَسْتَوُوا عَلَى ظُهُورِهِ﴾ لتستووا وتمكنين مرتفعين ﴿على ظُهُورِهِ﴾ على ظهور هذا الجنس ﴿ثم تذكروا نعمة ربكم﴾ فيا سخر لكم ﴿إذا استويتم عليه وتقولوا سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين﴾ مقامين ولولا تسخير الله لنا هذا ما قدرنا عليه، أي: ما كنا له مطبقين ١٤: ﴿وإننا إلى ربنا لمنقلبون﴾ لصائرنا إليه بعد مماتنا، وإليه سيرنا الأكبر، وهذا من باب التنبيه بسير الدنيا على سير الآخرة ١٥: ﴿وجعلوا له من عباده جزءاً﴾ يُخبر تعالى عن المشركين فيما افتروه في جعلهم بعض الأنعام لظواغيتهم وبعضها لله كما ذكر عز وجل في سورة الأنعام: ﴿وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والأنعام نصيباً فقالوا هذا لله بزعمهم وهذا لشركائنا﴾

الآية. ﴿إن الإنسان﴾ [يعني الكافر] ﴿لكفور مبين﴾ مظهر الكفر، يعد المصائب وينسى النعم [١٦: ﴿أم اتخذ مما يخلق بنات وأصفاكم بالبين﴾؟] هذا إنكار عليهم غاية الإنكار، ثم ذكر تمام الإنكار فقال تعالى: ١٧: ﴿وإذا بشر أحدهم بما ضرب للرحمن مثلاً ظل وجهه مسوداً وهو كظيم﴾ إذا بشر أحد هؤلاء بما جعلوه لله من البنات بأنث من ذلك غاية الأنفة وتعلوه كآبة من سوء ما بشر به، فكيف تنسبون إلى الله ما أنتم تأنفونه، ثم قال تعالى: ١٨: ﴿أو من ينشأ في الحلية وهو في الخصام غير مبين﴾؟ المرأة ناقصة يكمل نقصها بلبس الحلي منذ تكون طفلة، وإذا خاصمت فلا عبارة لها بل هي عاجزة عبيبة، أو من يكون هكذا ينسب إلى جناب الله العظيم؟ ١٩: ﴿وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إنثا﴾ اعتقدوا فيهم ذلك فأنكر عليهم فقال تعالى: ﴿أشهدوا خلقهم﴾ شاهده وقد خلقهم الله إنثا؟! ﴿ستكتب شهادتهم بذلك ويُسألون﴾ عن ذلك يوم القيامة وهذا تهديد شديد ووعيد أكيد ٢٠: ﴿وقالوا لو شاء الرحمن ما عبدناهم﴾ لو أراد الله لحال بيننا وبين عبادة الأصنام ﴿ما لهم بذلك من علم إن هم إلا يخرصون﴾ يكذبون ٢١: ﴿أم آتيناهم كتاباً من قبله﴾ من قبل شركهم ﴿فهم به مستمسكون﴾ ليس الأمر كذلك ٢٢: ﴿بل قالوا إننا وجدنا آباءنا على أمةٍ﴾ [على طريقة] ﴿وإننا على آثارهم مهتدون﴾ ليس هم مستند في شركهم سوى تقليد الآباء والأجداد.

الآية: ١٣ و ١٤ روى الإمام أحمد ومسلم وأبو داود والنسائي عن عبدالله بن عمر قال: إن النبي ﷺ كان إذا ركب راحلته كبر ثلاثاً ثم قال: «سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين وإننا إلى ربنا لمنقلبون» - ثم يقول - اللهم إني أسألك في سفري هذا البر والتقوى، ومن العمل ما ترضى، اللهم هون علينا السفر، وأطو لنا البعيد، اللهم أنت صاحب السفر والخليفة في الأهل، اللهم اصحبنا في سفرنا واخلفنا في أهلنا» وكان ﷺ إذا رجع إلى أهله قال: «أيون تاتون إن شاء الله عابدون لربنا حامدون».

٢٣: ﴿وَكذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِمْ مُقْتَدُونَ﴾ رأي: نتهدى بهم ونقتدي بهم، وفي هذه الآية دليل على إبطال التقليد في العقيدة [٢٤]: ﴿قُلْ﴾ يا محمد للمشركين ﴿أَوَلَوْ جِئْتُمْ بِأَهْدَىٰ مِمَّا وَجَدْتُمْ عَلَيْهِ آبَاءَكُمْ؟ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ﴾ لو علموا وتيقنوا صحة ما جئتم به لما اتقادوا لذلك؛ لسوء قصدهم ومكابرتهم للحق وأهله، قال تعالى: ٢٥: ﴿فَانتَقَمْنَا مِنْهُمْ﴾ من الأمم المكذبة بأنواع من العذاب كما فصله تعالى في قصصهم ﴿فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكذِبِينَ﴾ كيف بادؤوا وهلكوا، وكيف تحيى الله المؤمنين ٢٦: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ﴾ يُخبر تعالى عن عبده ورسوله وخليفه إمام الخفاء أنه تبرأ من أبيه وقومه في عبادتهم الأوثان [مع الله تعالى] فقال: ﴿إِنِّي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ﴾ ٢٧: ﴿إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيهِدُنِي﴾ [إلا الذي فطرني: استثناء متصل، لأنهم كانوا يعبدون الأصنام مع الله] ٢٨: ﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقْبِهِ﴾ هذه الكلمة، وهي عبادة الله وحده لا شريك له، وخلع ماسيوته من الأوثان، وهي لا إله إلا الله، أي: جعلها دائماً في ذرئته يُقتدى به فيها من هداة الله تعالى من ذرية إبراهيم عليه الصلاة والسلام، ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ إليها ٢٩: ﴿بَلْ مَتَّعْتُ هَؤُلَاءَ وَآبَاءَهُمْ حَتَّىٰ جَاءَهُمُ الْحَقُّ وَرَسُولٌ مُبِينٌ﴾ يعني المشركين ﴿وَأَبَاءَهُمْ﴾ فتناول عليهم في ضلالهم

العبادة

التي لا تليق بالعبادة

بِقَوْلِهِ الْخَوَاتِمَةُ

وَكذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِمْ مُقْتَدُونَ ﴿٢٣﴾ ﴿قُلْ﴾ قُلْ أَوَلَوْ جِئْتُمْ بِأَهْدَىٰ مِمَّا وَجَدْتُمْ عَلَيْهِ آبَاءَكُمْ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ ﴿٢٤﴾ فَانتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَنْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكذِبِينَ ﴿٢٥﴾ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيهِدُنِي ﴿٢٧﴾ وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقْبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾ بَلْ مَتَّعْتُ هَؤُلَاءَ وَآبَاءَهُمْ حَتَّىٰ جَاءَهُمُ الْحَقُّ وَرَسُولٌ مُبِينٌ ﴿٢٩﴾ وَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ وَإِنَّا بِهِ كَافِرُونَ ﴿٣٠﴾ وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴿٣١﴾ أَهْمُ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سَخِرِيًّا وَرَحْمَتَ رَبِّكَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٣٢﴾ وَلَوْلَا أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَجَعَلْنَا لِمَنْ يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقْفًا مِّنْ فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ ﴿٣٣﴾

٤٩١

﴿حَتَّىٰ جَاءَهُمُ الْحَقُّ وَرَسُولٌ مُبِينٌ﴾ بين الرسالة ٣٠: ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ وَإِنَّا بِهِ كَافِرُونَ﴾ كذبوه وعاندوه كفرًا وحسدًا وبغياً ٣١: ﴿وقالوا﴾ كالمعترضين على الذي أنزله تعالى ﴿لولا أنزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم﴾ هلا كان إنزال هذا القرآن على رجل كبير في أعينهم من مكة أو الطائف، فردَّ الله تعالى عليهم فقال: ٣٢: ﴿أهم يقسمون رحمة ربك﴾؟ ليس الأمر مردوداً إليهم بل إلى الله عز وجل، والله أعلم حيث يجعل رسالته، ﴿نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا﴾ هو تعالى أعطاهم الأموال والأرزاق، ﴿ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليخضع بعضهم بعضاً سخرياً﴾ ليسخَّر بعضهم بعضاً في الأعمال. ﴿ورحمة ربك خير مما يجمعون﴾ رحمة الله مخلقه خير لهم ممَّا بأيديهم من متاع الدنيا، ثم قال سبحانه: ٣٣: ﴿ولولا أن يكون الناس أمة واحدة﴾ لولا أن يعتقد كثير من الناس الجهلة أن عطائنا المال دليل على محبتنا لمن أعطيناه فيجتمعوا على الكفر لأجل المال، ﴿لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سُقفاً من فضةٍ ومعارجٍ﴾ سَلَامٌ وَدَرَجَاتٍ مِنْ فِضَّةٍ، ﴿عليها يظهرون﴾ يصعدون.

الآية: ٢٨ عبادة الله تعالى على أنواع: عبادات قلبية وعبادات قولية، وعبادات عملية، وعبادات مالية. أما العبادات القلبية فهي التي ترجع إلى القلب وحده، وأساسها عقيدة التوحيد، وفروعها: حبُّ الله تعالى، والخوف منه سبحانه، والإخلاص له تعالى، والتوكل عليه والرضا بما قدر الصبر. وأما العبادات القولية فهي كثيرة جداً، ورأسها الدعاء، بقسميه: دعاء ثناء وتمجيد، ودعاء طلب وسؤال. ومن العبادات القولية: الذكر والتسمية على كل شيء، والاستعاذة بالله من كل شر، والاستغاثة به سبحانه، والحلف به وحده. وأما العبادات البدنية العملية: فهي الصلوات والصيام والحج والجهاد. وأما العبادات المالية: فهي الزكاة المفروضة والصدقات المسنونة، والذبايح والندور. فهذه هي جمل أركان عبادة الله تبارك وتعالى وتوحيده بها. /عن كتاب دعوة التوحيد: للدكتور محمد خليل هراس، رحمه الله تعالى/.

٣٤: ﴿وَلِيُوتِبَهُمْ أَبْوَاباً وَسُرُوراً عَلَيْهَا

يَتَكُونُونَ﴾ [ولجعلنا ليوتبهم] أغلاقاً على

أبوابهم ﴿وسروراً﴾ جميع ذلك يكون من فضة

٣٥: ﴿وَوُزْخُرُفَاتٍ﴾ وذهباً، ﴿وإنَّ كُلَّ ذَلِكَ

لَمَّا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾. إنَّما ذلك من الدنيا

الفانية الزائلة؛ أي: يُعَجَّلُ لهم بحسناتهم التي

يعملونها في الدنيا مآكل ومشارب يُؤفِّقون

الآخرة وليس لهم عند الله تبارك وتعالى حسنة

يجزيهم بها، ﴿وَالْآخِرَةُ عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ﴾

هي لهم خاصة لا يشاركونهم فيها أحدٌ غيرهم

٣٦: ﴿وَمَنْ يَعِشْ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقِضْ

له شيطاناً﴾ من تغافل ويُعرض ﴿عن ذكر

الرحمن﴾ [أي: نسبٌ له شيطاناً جزاءً له على

كفره] أي: هذا الذي تغافل عن الهدى

نقض له من الشياطين من يُضِلُّه ويهديه إلى

صراط الحجيم، فإذا وافى الله عزَّ وجلَّ يوم

القيامة يتبرأ من الشيطان الذي وكلَّ به،

﴿فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ﴾ مقارن ٣٧: ﴿وَأَنَّهُمْ

لَيُضِلُّوهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ﴾ [أي:

وإنَّ الشياطين ليصدونهم عن سبيل الهدى]

﴿وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ﴾ ٣٨: ﴿حَتَّى

إِذَا جَاءَنَا﴾ الذي تغافل عن الهدى، يومَ

القيامة تبرأ من الشيطان و﴿قَالَ يَا لَيْتَ بَيْنِي

وَبَيْنَكَ بَعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ﴾ بُعد ما بين المشرق

والمغرب، ﴿فَبُئِسَ الْقَرِينُ﴾ ٣٩: ﴿وَلَنْ

يُنْفَعَكُمْ الْيَوْمَ﴾ [أي: قول الكافر: ياليت بيته

وَلِيُوتِبَهُمْ أَبْوَاباً وَسُرُوراً عَلَيْهَا يَتَكُونُونَ﴾ ٣٤

كُلُّ ذَلِكَ لَمَّا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةُ عِنْدَ رَبِّكَ

لِلْمُتَّقِينَ﴾ ٣٥ وَمَنْ يَعِشْ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقِضْ لَهُ شَيْطَاناً

فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ﴾ ٣٦ وَإِنَّهُمْ لَيُضِلُّوهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ

أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ﴾ ٣٧ حَتَّى إِذَا جَاءَنَا قَالَ يَا لَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ

بَعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ فَبُئِسَ الْقَرِينُ﴾ ٣٨ وَلَنْ يَنْفَعَكُمْ الْيَوْمَ

إِذْ ظَلَمْتُمْ أَتَاكُمْ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ﴾ ٣٩ أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ

الصَّمَّ أَوْ تَهْدِي الْعُمْىَ وَمَنْ كَانَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ ٤٠

فَإِنَّمَا نَذْرٌ لِيكَ فَإِنَّمَا مِنْهُمْ مَنْتَقِمُونَ﴾ ٤١ أَوْ نُرِيَنَّكَ الَّذِي

وَعَدْنَا لَهُمْ فَإِنَّا نَعْلِمُهُمْ مُقْتَدِرُونَ﴾ ٤٢ فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ

إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ ٤٣ وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ

وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ﴾ ٤٤ وَسَأَلَ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا

أَجْعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ إِلهًا يُعْبَدُونَ﴾ ٤٥ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا

مُوسَى بِآيَاتِنَا إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَقَالَ إِنِّي رَسُولُ

رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ٤٦ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بآيَاتِنَا إِذَا هُمْ مِنْهَا يَضْحَكُونَ﴾ ٤٧

واشتراكم في العذاب الأليم ٤٠: ﴿أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصَّمَّ أَوْ تَهْدِي الْعُمْىَ وَمَنْ كَانَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾؟ ليس ذلك إليك، إنَّما عليك البلاغ،

وليس عليك هُداهم ولكنَّ الله يُضِلُّ مَنْ يشاء ويهدي من يشاء وهو الحكم العدل في ذلك. ثم قال تعالى: ٤١: ﴿فَإِنَّمَا نَذْرٌ لِيكَ فَإِنَّمَا مِنْهُمْ

مَنْتَقِمُونَ﴾ لا بد أن ننتقم منهم ونعاقبهم، ولو ذهبت أنت ٤٢: ﴿أَوْ نُرِيَنَّكَ الَّذِي وَعَدْنَا لَهُمْ فَإِنَّا نَعْلِمُهُمْ مُقْتَدِرُونَ﴾ نحن قادرون على هذا وهذا،

ولم يقض الله تعالى رسوله صلى الله عليه وآله وسلم حتى أقرَّ عينه من أعدائه وحكَّمه في نواصيهم ٤٣: ﴿فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ

عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ أخذ بالقرآن المنزل على قلبك فإنه هو الحق وما يهدي إليه هو الحق المفضي إلى صراط الله المستقيم ٤٤: ﴿وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ

وَلِقَوْمِكَ﴾ لشرف لك ولقومك ﴿وسوف تُسألون﴾ عن هذا القرآن ٤٥: ﴿وسأَلَ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا أَجْعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ إِلهًا

يُعْبَدُونَ﴾ جميع الرسل دعوا إلى مادعوت النَّاسِ إليه من عباد الله وحده ٤٦: ﴿ولقد أرسلنا موسى بآياتنا إلى فرعون وملائته﴾ من الأمراء

والوزراء والقادة والأتباع ﴿فقال إني رسول رب العالمين﴾ ٤٧: ﴿فلما جاءهم بآياتنا إذا هم منها يضحكون﴾ والآيات هي: اليد والعصا

والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم، ونقص الزروع والثمار والأنفس، ومع هذا كله استكبروا وكذبوا وسخروا منها وضحكوا بمن جاءهم

بها.

الآية: ٣٥ روى الشيخان في صحيحهما أنَّ عمر بن الخطاب قال لرسول الله ﷺ حين رآه قد أترَّ الحصر بجنبه فبكى: يا رسول الله هذا كسرى وقصر فيها هما فيه، وأنت صفة الله من خلقه، وكان رسول الله ﷺ متكئاً فجلس، وقال: «أوفي شك أنت بائز الخطاب؟» ثم قال ﷺ: «أولئك قوم شُجِّلَتْ لهم طبيعتهم في حياتهم الدنيا، وفي رواية: «أما ترضى أن تكون لهم الدنيا ولنا الآخرة؟» وفي الصحيحين أيضاً وغيرهما أنَّ رسول الله ﷺ قال: «لا تشربوا في آنية الذهب والفضة، ولا تأكلوا في صحافها، فإنها لهم في الدنيا ولنا في الآخرة» وإنَّما =

٤٨: ﴿وَمَا تُرِيدُهُمْ مِنْ آيَةٍ إِلَّا هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا﴾ ومع هذا ما رجعوا عن غيبتهم وضلالهم، وجهلهم وخيالهم، وكلما جاءتهم آية من هذه الآيات يَصْرَعُونَ إلى موسى ويتلطفون له، ﴿وَأَخَذْنَاهُم بِالْعَذَابِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [عن كفرهم] ٤٩: ﴿وقالوا يا أيها السَّاحِرُ ﴿العالم، وكان علماء زمانهم هم السحرة، ﴿أدع لنا ربك بما عهدت عندك إنا لنمُتدُون﴾ يعدون موسى عليه السلام إن كشف عنهم هذا أن يؤمنوا به ويُرسِلُوا معه بني إسرائيل، وفي كل مرة يتكثرون ما عاهدوا عليه ٥٠: ﴿فلما كشفنا عنهم العذاب إذا هم ينكثون﴾ أي: ينقضون العهد الذي جعلوه على أنفسهم فلم يؤمنوا] ٥١: ﴿ونادى فرعون في قومه﴾ يُخبر تعالى عن فرعون وتمرده وكفره أنه جمع قومه فسادى فيهم: ﴿قال يا قوم أليس لي ملكٌ مُصَّرٌّ وهذه الأنهار تجري من تحتي﴾ وكانت له جنات وأنهار ﴿أفلا تبصرون﴾ ما أنا فيه من الملك والعظمة؛ يعني: وموسى وأتباعه فقراء ضعفاء ٥٢: ﴿أم أنا خيرٌ من هذا الذي هو مهين﴾ بل أنا خيرٌ من هذا، يعني لعنه الله أنه خيرٌ من موسى، وقد كذب في قوله هذا كذباً بيتاً، ﴿ولا يكادُ يبين﴾ يعني لا يكاد يُصحح عن كلامه، فلا يكاد يفهم. هكذا كان ينظر إلى موسى عليه السلام بعين كفرة شقية، وقد كان موسى عليه السلام من الجلالة والعظمة والبهاء في صورة يُبهر أبصارَ ذوي الألباب.

٥٣: ﴿فلولا ألقى عليه أسورة من ذهب﴾

وَمَا تُرِيدُهُمْ مِنْ آيَةٍ إِلَّا هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا وَأَخَذْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤٨﴾ وَقَالُوا يَا أَيُّهَا السَّاحِرُ ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ إِنَّا لَمُهْتَدُونَ ﴿٤٩﴾ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمْ الْعَذَابَ إِذَا هُمْ يَنْكُثُونَ ﴿٥٠﴾ وَنَادَى فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ لِي مَلِكٌ مُصَّرٌّ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٥١﴾ أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِمَّنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ ﴿٥٢﴾ فَلَوْلَا أَلْقَى عَلَيْهِ آسُورَةٌ مِّنْ ذَهَبٍ أَوْ جَاءَ مَعَهُ الْمَلَأِكَةُ مُقْتَرِنِينَ ﴿٥٣﴾ فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَاطَّاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴿٥٤﴾ فَلَمَّا آسَفُونَا انْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٥﴾ فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِّلْآخِرِينَ ﴿٥٦﴾ وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ ﴿٥٧﴾ وَقَالُوا أَلَيْهِنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصْمُونَ ﴿٥٨﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿٥٩﴾ وَلَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَا مِنْكُمْ مَلَائِكَةً فِي الْأَرْضِ يَخْلَفُونَ ﴿٦٠﴾

الحلي [وكانت علامة السيادة]، ﴿أو جاء معهُ الملائكة مقترنين﴾ يكتفونهُ خدمة له، ويشهدون بتصديقه، نظرٌ إلى الشكل الظاهر ولم يفهم السرَّ المعنوي الذي هو أظهرٌ مما نظر إليه لو كان يفهم، ولهذا قال تعالى: ٥٤: ﴿فاستخفَّ قومه فأطاعوه﴾ استخف عقولهم فدعاهم إلى الضلالة فاستجابوا له ﴿إنهم كانوا قوماً فاسقين﴾ [أي: خارجين عن طاعة الله] ٥٥: ﴿فلما أسفونا انتقمنا منهم فأغرقناهم أجمعين﴾ فلما أسخطونا وأغضبونا انتقمنا منهم. روى ابن أبي حاتم أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: ﴿إذا رأيتُ الله تبارك وتعالى يُعطي العبد ما يشاء وهو مقيم على معاصيه، فإنما ذلك استدراج منه له﴾ ثم تلا صلى الله عليه وآله وسلم هذه الآية. ٥٦: ﴿فجعلناهم سلفاً ومثلاً للآخرين﴾ عبرة لمن بعدهم ممن عمل بعملهم ٥٧: ﴿ولما ضرب ابن مريم مثلاً إذا قومك منه يصدون﴾ يُخبر تعالى عن تمتت قريش في كفرهم وتممدهم العناد، يعني لما قيل لهم: ﴿إنكم وماتعدون من دون الله حصَّب جهنم أنتم لها وارِدُونَ﴾ فقالت له قريش فما ابن مريم؟ قال: ﴿ذاك عبد الله ورسوله﴾ فقالوا: والله ما يُريد هذا إلا أن نتخذَهُ رباً كما اتخذتِ النصراني عيسى ابن مريم رباً فقال الله عز وجل: ٥٨: ﴿وقالوا ألهننا خير أم هو﴾ يعنون محمداً صلى الله عليه وآله وسلم ﴿ماضربوه لك إلا جدلاً﴾ وراءه، وهو قولهم: إن عيسى كان يُعبَدُ من دون الله، ﴿بل هم قوم خصمون﴾ [مجادلون بالباطل] ٥٩: ﴿إن هو إلا عبد أنعمنا عليه﴾ بالنبوة ﴿وجعلناه مثلاً لبني إسرائيل﴾ دلالةً وبرهاناً على قدرتنا على ما نشاء ٦٠: ﴿ولو نشاء جعلنا منكم﴾ بذلك ﴿ملائكة في الأرض يخلفون﴾ يخلف بعضهم بعضاً، كما يخلف بعضهم بعضاً.

= خوَّفه الله تعالى في الدنيا لحقارته، كما روى الترمذي وابن ماجه عن سهل بن سعد قال: قال رسول الله ﷺ: ﴿لو كانت الدنيا قرناً عند الله جناح بعوضة ماسقى منها كافراً شُرْبته ماءً أبدأه. وقال الترمذي: حديث حسن صحيح. /ابن كثير ج ٤/ ١٢٧/

وَإِنَّهُ لَعَلَّمَ لِّلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرْتِ بِهَا وَاتَّبِعُونَ هَذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾ وَلَا يَصُدُّكُمْ الشَّيْطَانُ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٦٢﴾ وَلَمَّا جَاءَ عِيسَى بِالْبَيِّنَاتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُمْ بِالْحِكْمَةِ وَلِأُبَيِّنَ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلَفُونَ فِيهِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦٣﴾ فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ عَذَابِ يَوْمِ الْيَوْمِ ﴿٦٤﴾ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٦٥﴾ الْأَخْلَاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ ﴿٦٦﴾ يَعْبَادِ لَا خَوْفَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ ﴿٦٧﴾ الَّذِينَ آمَنُوا بآيَاتِنَا وَكَانُوا مُسْلِمِينَ ﴿٦٨﴾ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنْتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ تُحْبَرُونَ ﴿٦٩﴾ يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِصِحَافٍ مِنْ ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ وَفِيهَا مَا نَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ وَأَنْتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٧٠﴾ وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورَثْتُمُوهَا إِيمَانَكُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٧١﴾ لَكُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٧٢﴾

٦١: ﴿وَإِنَّهُ لَعَلَّمَ لِّلسَّاعَةِ﴾ المراد عيسى ابن مريم، أي: أمانة ودليل على وقوع الساعة، أي: خروجه قبل يوم القيامة، ﴿فَلَا تَمْتَرْنَ بِهَا﴾ لاتشكوا فيها إنها واقعة لا محالة ﴿وَاتَّبِعُونَ﴾ فيما أحركم به ﴿هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾ ٦٢: ﴿وَلَا يَصُدُّكُمْ الشَّيْطَانُ﴾ عن اتباع الحق ﴿إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ ٦٣: ﴿وَلَمَّا جَاءَ عِيسَى بِالْبَيِّنَاتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُمْ بِالْحِكْمَةِ﴾ بالنبوة ﴿وَلِأُبَيِّنَ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلَفُونَ فِيهِ﴾ يعني: من الأمور الدينية ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ فيما أمركم به ﴿وَأَطِيعُوا﴾ فيما جئتكم به ٦٤: ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾ أنا وأنتم عبيد له فقراء إليه، مشتركون في عبادته وحده لا شريك له ﴿هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾ هذا الذي جئتكم به هو الصراط المستقيم، وهو عبادة الله جلّ وعلا وحده ٦٥: ﴿فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ﴾ اختلفت الفرق وصاروا شيعاً فيه، فمنهم من يُقرُّ بأنه عبدُ الله ورسوله، وهو الحق. ومنهم من يدعي أنه ولد الله، ومنهم من يقول إنه الله؛ تعالى الله عن قوهم علواً كبيراً، لهذا قال تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ عَذَابِ يَوْمِ الْيَوْمِ﴾ ٦٦: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ فإنها كاتئة لا محالة، وهؤلاء غافلون عنها غير مستعدين لها، فإذا جاءت إيماناً بجيء وهم لا يشعرون حينئذٍ يندمون كل الندم حيث لا ينفعهم ٦٧: ﴿الْأَخْلَاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾ كلُّ صداقةٍ وصحابةٍ لغير الله

الآية: ٦٥ روى ابن جرير عن أبي أمامة قال: إن رسول الله ﷺ خرج على الناس وهم يتنازعون في القرآن، فغضب غضباً شديداً حتى كأنما صبُّ على وجهه الحبل، ثم قال: «لا تضربوا كتاب الله ببعضه ببعض، فإنه ماضل قوم قط إلا أوتوا الحدل»، ثم تلا رسول الله ﷺ هذه الآية. / ابن كثير ج ٤ / ١٣٢ /
الآية: ٦١ وقد تواترت الأحاديث عن رسول الله ﷺ أنه أخبر بنزول عيسى عليه السلام قبل يوم القيامة، إماماً عادلاً وحكماً مقتصلاً.
الآية: ٧١ روى عبد الرزاق أن عكرمة مولى ابن عباس أخبره أن رسول الله ﷺ قال: «إن أدنى أهل الجنة منزلة وأسفلهم درجة لرجل لا يدخل الجنة بعده أحد، يُفسح له في بصره =

٧٤: ﴿إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي عَذَابٍ مُّهِينٍ﴾ لما ذكر تعالى حال السعداء نثى بذكر الأشقياء ٧٥: ﴿لَا يَفْتَرُ عَلَيْهِمْ﴾ ساعة واحدة ﴿وَهُمْ فِيهِ مُّسَلِّسُونَ﴾ آيسون من كل خير ٧٦: ﴿وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا هُمْ الظَّالِمِينَ﴾ بأعمالهم السيئة بعد قيام الحجة عليهم وإرسال الرسل إليهم، فكذبوا وعصوا، فمَجُوزُوا بذلك جزاءً وفاقاً، ومارتك بظلام للعبيد ٧٧: ﴿وَنَادُوا يَا مَلِكُ﴾ وهو خازن النار ﴿لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ﴾ يقض أرواحنا فيرجسنا فما نحن فيه، فإنهم كما قال تعالى: ﴿لَا يَقْضِي عَلَيْهِمْ فِيمُوتُوا وَلَا يَخْفَىٰ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا﴾، فلما سألو أن يموتوا أجابهم مالك: ﴿قَالَ إِنَّكُمْ مَا تُكُونُونَ﴾ لا خروج لكم منها ولا حميد لكم عنها. ثم ذكر سبب شقوتهم وهو مخالفتهم للحق، فقال تعالى: ٧٨: ﴿لَقَدْ جِئْنَاكُمْ بِالْحَقِّ﴾ بيانه لكم ووضحنه وفسرناه ﴿وَلَكِنْ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ﴾ ولكن كانت سجاياكم لا تقبله ولا تقبل إليه، وإنما تنقاد للباطل وتعظمه وتصد عن الحق وتأباه ويتغض أهله ٧٩: ﴿أَمْ أَتْرَمُوا أَمْ إِنَّا أَنبِئُكُمْ بِمُؤْمِنٍ كَبِيرٍ فَكُذَّبُوا﴾ كما قال تعالى: ﴿وَمَكْرُوا مَكْرًا وَمَكْرًا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ فكاذبهم الله تعالى ورد وبال ذلك عليهم، ولهذا قال تعالى: ٨٠: ﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ؟﴾ سِرَّهُمْ وعلانياتهم ﴿بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ﴾ نحن نعلم ما هم عليه والملائكة أيضاً يكتبون أعمالهم ٨١: ﴿قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ

إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي عَذَابٍ مُّهِينٍ ﴿٧٤﴾ لَا يَفْتَرُ عَلَيْهِمْ وَهُمْ فِيهِ مُّسَلِّسُونَ ﴿٧٥﴾ وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ ﴿٧٦﴾ وَنَادُوا يَا مَلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُمْ مَا تُكُونُونَ ﴿٧٧﴾ لَقَدْ جِئْنَاكُمْ بِالْحَقِّ وَلَكِنْ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ ﴿٧٨﴾ أَمْ أَتْرَمُوا أَمْ إِنَّا أَنبِئُكُمْ بِمُؤْمِنٍ كَبِيرٍ فَكُذَّبُوا ﴿٧٩﴾ أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ ﴿٨٠﴾ قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَالَمِينَ ﴿٨١﴾ سُبْحَانَ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٨٢﴾ فَذَرَهُمْ يَخُوضُوا وَيَلْعَبُوا حَتَّىٰ يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوْعَدُونَ ﴿٨٣﴾ وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌُ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌُ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ ﴿٨٤﴾ وَتَبَارَكَ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَعِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٥﴾ وَلَا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الشَّفْعَةَ إِلَّا مَنِ اتَّقَىٰ رَبَّهُ لِيَحْفَظَ مِنْ دُونِهِ مَنَاقِبَهُمْ ﴿٨٦﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴿٨٧﴾ وَقِيلَ لَهُمْ هَاتُوا بُرْهَانَ إِنْ أَنْتُمْ مِنَ الْمُتَكِينِينَ ﴿٨٨﴾ فَاصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَامٌ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٨٩﴾

وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَالَمِينَ﴾ لو فرضَ هذا لكان هذا، ولكن هذا ممنوع في حقه تعالى؛ والمعنى: لم يكن للرحمن ولدٌ فأنا أولُ الشاهدين، ولهذا قال تعالى: ٨٢: ﴿سُبْحَانَ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ تعالى الله وتقدس وتنزه خالق الأشياء عن أن يكون له ولد، فإنه فردٌ أحدٌ صمدٌ لا نظير له ولا كفء له ٨٣: ﴿فَذَرَهُمْ يَخُوضُوا وَيَلْعَبُوا حَتَّىٰ يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوْعَدُونَ﴾ وهو يوم القيامة؛ أي: فسوف يعلمون كيف يكون مصيرهم في ذلك اليوم ٨٤: ﴿وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌُ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌُ﴾ هو إله من في السماء، وإله من في الأرض يعبدُه أهلها، وكلهم خاضعون له. ﴿وَهُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ﴾ [الحكيم: في شرعه وقدره، العليم: بخلقه] ٨٥: ﴿وَتَبَارَكَ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ أي: تعاطفت خيراته وتكاثر [له ملكُ السموات والأرض وما بينهما] خالفهما والمتصرف فيما ﴿وعنده علمُ الساعة﴾ لا يُجَلِّبها لوقتها إلا هو ﴿والإله ترجعون﴾ ٨٦: ﴿وَلَا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ﴾ من الأصنام ﴿الشفاعه﴾ لا يقدرُونَ على الشفاعه لهم إلا من شهد بالحق وهم يعلمون هذا استثناء منقطع، أي: لكن من شهد بالحق فإنه تنفعه شفاعته عنده بإذنه له ٨٧: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ﴾ المشركين ﴿ليقولنَّ الله﴾ يعترفون أنه الخالق ويُشركون ﴿فأنى يُؤفكون؟﴾ فهم في سخافة العقل وغاية الجهل ٨٨: ﴿وقيلَ لربِّهم﴾ اشتكى محمد إلى ربه من قومه ﴿إن هؤلاء قومٌ لا يؤمنون﴾ فأجابه تعالى: ٨٩: ﴿فاصفح عنهم وقل سلام﴾ لا تجارهم بمثل ما يُخاطبونك به من الكلام السيء ﴿فسوف يعلمون﴾ هذا تهديدٌ من الله لهم.

سُورَةُ الدُّخَانِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حَمِّ (١) وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ (٢) إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبْرَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ (٣) فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ (٤) أَمْرًا مِنْ عِنْدِنَا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ (٥) رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (٦) رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِن كُنْتُمْ مُوقِنِينَ (٧) لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأُولِينَ (٨) بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ يَلْعَبُونَ (٩) فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ (١٠) يَغْشَى النَّاسَ هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ (١١) رَبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ (١٢) أَتَى لَهُمُ الذِّكْرَى وَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مُبِينٌ (١٣) ثُمَّ تَوَلَّوْا عَنْهُ وَقَالُوا مُعَلِّمٌ مِثْلُنَا عَدُوٌّ لِيَسُدَّ الْبَطْنَ أَمْ إِنَّا لَأَنفُسِقُونَ (١٤) إِنَّا كَاشِفُو الْعَذَابِ قَلِيلًا إِنَّكُمْ عَائِدُونَ (١٥) يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَى إِنَّا مُنتَقِمُونَ (١٦) وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ وَجَاءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ (١٧) أَنْ أَدَّوْا إِلَىٰ عِبَادَةِ اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ (١٨)

تفسير سورة الدخان
١: ﴿حَمِّ﴾ ٢: ﴿وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ﴾ يُخْبِر تعالى عن القرآن العظيم أنه أنزله في ليلة مباركة وهي ليلة القدر ٣: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبْرَكَةٍ﴾ كما قال تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾، ﴿إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ﴾ معلومين الناس ما ينفعهم وما يضرهم شرعاً لتقوم حجة الله على عباده ٤: ﴿فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾ في ليلة القدر يُفصل من اللوح المحفوظ على الكتابة أمر السنة ما يكون فيها إلى آخرها، ﴿حَكِيمٍ﴾ يحكم لا يبدل ولا يغير، ولهذا قال جلَّ جلاله: ٥: ﴿أَمْرًا مِنْ عِنْدِنَا﴾ جميع ما يُقدِّره الله وما يؤجبه فيأمره وعلمه ﴿إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ﴾ إلى الناس رسلاً ٦: ﴿رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [أي: الرسول من رحمة الله] ٧: ﴿رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ الذي أنزل القرآن هو رب السماوات والأرض وخالقهما ﴿إِن كُنْتُمْ مُوقِنِينَ﴾ إن كنتم متحققين ٨: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأُولِينَ﴾ [أي: لا يجوز أن يُشرك به أحد غيره لأنه لا يقدر على خلق أحدٍ ولا على إحيائه وإلماة] ٩: ﴿بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ يَلْعَبُونَ﴾ المشركون يمترون بما جاءهم من الحق، لا يصدقونه [وهم يلعبون بما ينهم بما يُعْن لهم] ثم قال تعالى متوعداً لهم ومُهدداً: ١٠: ﴿فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ﴾ وذلك لما دعا عليهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بسنين كسنتين يوسف، فأصابهم

الجهد والجوع حتى أكلوا العظام، وجعلوا يرفعون أبصارهم إلى السماء فلا يرون إلا الدخان، فقيل: يا رسول الله استسقى لهم فاستسقى لهم فسقوا فنزلت: ﴿إِنَّا كَاشِفُو الْعَذَابِ قَلِيلًا إِنَّكُمْ عَائِدُونَ﴾ ١١: ﴿يَغْشَى النَّاسَ﴾ يتغشاهم ويعصمهم ﴿هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ هذا تقرير لهم وتوبيخ ١٢: ﴿رَبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ﴾ وقد جاءهم رسولٌ مبينٌ ﴿ثُمَّ تَوَلَّوْا عَنْهُ وَقَالُوا مُعَلِّمٌ مِثْلُنَا عَدُوٌّ لِيَسُدَّ الْبَطْنَ أَمْ إِنَّا لَأَنفُسِقُونَ﴾ كيف لهم بالذكر ﴿وقد جاءهم رسولٌ مبينٌ﴾ تَوَلَّوْا عَنْهُ وَكَذَّبُوهُ؟ ١٤: ﴿ثُمَّ تَوَلَّوْا عَنْهُ﴾ فما وافقوه وكذبوه ﴿وَقَالُوا مُعَلِّمٌ مِثْلُنَا عَدُوٌّ لِيَسُدَّ الْبَطْنَ أَمْ إِنَّا لَأَنفُسِقُونَ﴾ [أي: نحن نؤمن] ١٥: ﴿إِنَّا كَاشِفُو الْعَذَابِ قَلِيلًا﴾ [أي: عنكم في الدنيا] ﴿إِنَّكُمْ عَائِدُونَ﴾ [أي: راجعون إليه يوم معادكم في نار جهنم إن لم تُؤمنوا] ١٦: ﴿يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَى﴾ يعني يوم القيامة [ومن دونه يوم بدر] ﴿إِنَّا مُنتَقِمُونَ﴾ [منهم يوم نبطش بهم] ١٧: ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ﴾ وهم قبط مصر ﴿وَجَاءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ﴾ يعني موسى كلمه عليه السلام ١٨: ﴿أَنْ أَدَّوْا إِلَىٰ عِبَادَةِ اللَّهِ﴾ [أي: أدوا إلي سماعكم حتى أبلغكم رسالة ربي] ﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾ مأمون على ما أبلغكموه.

شبهته في آخرها كشبهته في أولها، لو نزل به جميع أهل الأرض لوسع عليهم مما أعطى، لا ينقص ذلك مما أوتي شيئاً. / ابن كثير ج ٤/ ١٣٤

الآية: ٧٧ روى البخاري عن صفوان بن يحيى عن أبيه رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقرأ على المنبر: ﴿وَنَادَا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ﴾، أي يقض أرواحنا فيرجنا كما نحن فيه، فإنهم كما قال الله تعالى: ﴿لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فِيموتوا ولا يخفف عنهم من عذابها﴾، وقال عز وجل: ﴿وَيَجْثِيهَا الْأَشْقَى الَّذِي يَصِلُ النَّارَ الْكُبْرَى ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ﴾.

الآية: ١٠ روى ابن جرير عن أبي مالك الأشعري قال: قال رسول الله ﷺ: ﴿إِنْ رَبُّكُمْ أَنْزَلَ كَمَثَلِ الدُّخَانِ يَأْخُذُ الْمُؤْمِنَ كَالرَّكْمَةِ، وَيَأْخُذُ الْكَافِرَ فَيَنْفِخُ حَتَّىٰ يَخْرُجَ مِنْ كُلِّ مَسْجِدٍ مَخْرُجًا﴾.

١٩: ﴿وَأَنْ لَا تَعْلُوا عَلَى اللَّهِ﴾ لا تستكبروا عن اتباع آياته ﴿إِنِّي أَنزَلْتُ عَلَيْكُمْ بَصَائِرَ مُبِينًا﴾ بحجة واضحة ٢٠: ﴿وَأِنِّي عَذَّبْتُ بِرَبِّي رَبَّكُمْ أَنْ تَرْجُمُونَ﴾ الرجْم: الشتم باللسان، وبالجملة، أي: أعوذ بالله الذي خلقتي وخلقتكم من أن تصلوا إلي بسوء من قول أو فعل ٢١: ﴿وَأِنْ لَمْ تَتُوبُوا لِي فَأَعْرَبُونَ﴾ فلا تعرضوا لي ودعوا الأمر بيني وبينكم مسألة إلى أن يقضي الله بيننا، فلما طال مقامه بين أظهرهم وأقام عليهم حجاج الله، ومازادهم ذلك إلا كفراً وعناداً ٢٢: ﴿فَلَمَّا عَفَا رَبُّكَ أَنْ هَؤُلَاءِ قَوْمٌ مُّجْرِمُونَ﴾ فعند ذلك أمره الله أن يخرج بني إسرائيل من بين أظهرهم: ٢٣: ﴿فَأَسْرِبْ بَعَادِي لَيْلًا إِنَّكُمْ مُّتَعَبُونَ﴾ كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي فَاصْرَبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا لَتَمَخَّافَ ذُرَّكَ وَلَا تَخْشَى﴾ [والإسراء: السير بالليل] ٢٤: ﴿وَأَتْرَكَ الْبَحْرَ رَهْوًا إِنَّهُمْ جُنْدٌ مُّغْرَقُونَ﴾ وذلك أن موسى عليه السلام لما جاوز هو وبنو إسرائيل البحر أراد موسى أن يضره بعصاه حتى يعود كما كان ليصير حائلاً بينهم وبين فرعون فلا يصل إليهم، فأمره الله تعالى أن يتركه على حاله، وبشره بأنهم جند مغرقون. ﴿وَهُوَ﴾ يابساً كهيبته ٢٥: ﴿كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَبَاتٍ وَغِيُونَ﴾ ووزروع ومقام كريم. أماكن حسنة ٢٦: ﴿وَنِعْمَةً كَانُوا فِيهَا فَكَاهِينَ﴾ النعمة بالفتح: التمتع، والنعمة بالكسر: المنة والفضل وكانت

وَأَنْ لَا تَعْلُوا عَلَى اللَّهِ إِنِّي أَنزَلْتُ عَلَيْكُمْ بَصَائِرَ مُبِينًا ﴿١٩﴾ وَإِنِّي عَذَّبْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ أَنْ تَرْجُمُونَ ﴿٢٠﴾ وَإِنْ لَمْ تَتُوبُوا لِي فَأَعْرَبُونَ ﴿٢١﴾ فَلَئِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ رَبَّكُمْ لَأَنْزِلَنَّ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ بَرَكًا مَاءً ذَرِيًّا فَاشْرَبُوا ﴿٢٢﴾ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ الْمَنَّاءَ لَكُمْ دُونَ الْمَغْنَمِ إِذَا جَاؤُا مِنَ الْقُرْأَتِ فَاصْرَبُوا كَمَا اسْرَبْتُمْ إِذْ جَاؤُا مِنَ الْمَدِينِ ﴿٢٣﴾ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّاءَ وَاتْرَكْنَاهُمْ فِيكُمْ غُرَبًا يَأْكُلُونَ الْبُرُودَ ﴿٢٤﴾ وَاتْرَكْنَا آلَ مُوسَى إِذْ جَاؤُوا الْبَحْرَ لَمَّا كَانُوا فِي أَعْيُنِنَا فَوَجَدْنَا الْبَحْرَ يَمِيًّا فَنَهَبْنَا لَهُمُ الْيَمِينَ الْيَمِينَ الْبَيْتَ الْمَقْدِسَ ﴿٢٥﴾ وَأَنْزَلْنَا فِي الْقُرْآنِ الْحَكِيمِ ذِكْرًا وَمَا كُنَّا بِمُعْظِمْهُمْ وَأَضَلْنَا قُلُوبَهُمْ وَأَنزَلْنَا لَهُمُ الْقُرْآنَ يَلِيلًا يُرْجَمُونَ ﴿٢٦﴾ وَأَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْبُرْهَانَ كَذَّبُوا وَإِنَّمَا كُنَّا بِآيَاتِنَا أَكْبَرُ وَبَدَّلْنَاهُم مِّن دُونِ آلِ مَرْيَمَ إِذِ اتَّخَذُوا صُلَيْمَانَ ابْنًا وَنُوحًا إِذْ نَسُوا نَحْسَهُمَا وَتَمِيمًا وَثَوْدَةَ إِذِ اتَّخَذَتْ رَجُلًا مِّنْ دُونِهَا إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿٢٧﴾ وَأَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْبُرْهَانَ كَذَّبُوا وَإِنَّمَا كُنَّا بِآيَاتِنَا أَكْبَرُ وَبَدَّلْنَاهُم مِّن دُونِ آلِ مَرْيَمَ إِذِ اتَّخَذُوا صُلَيْمَانَ ابْنًا وَنُوحًا إِذْ نَسُوا نَحْسَهُمَا وَتَمِيمًا وَثَوْدَةَ إِذِ اتَّخَذَتْ رَجُلًا مِّنْ دُونِهَا إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿٢٨﴾ وَأَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْبُرْهَانَ كَذَّبُوا وَإِنَّمَا كُنَّا بِآيَاتِنَا أَكْبَرُ وَبَدَّلْنَاهُم مِّن دُونِ آلِ مَرْيَمَ إِذِ اتَّخَذُوا صُلَيْمَانَ ابْنًا وَنُوحًا إِذْ نَسُوا نَحْسَهُمَا وَتَمِيمًا وَثَوْدَةَ إِذِ اتَّخَذَتْ رَجُلًا مِّنْ دُونِهَا إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿٢٩﴾

جنانهم على حافتي النيل من أوله إلى آخره، ما بين أسوان إلى رشيد، فسلبوا ذلك جميعه في صبيحة واحدة وفارقوا الدنيا وصاروا إلى جهنم ٢٨: ﴿كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخَرِينَ﴾ بني إسرائيل ٢٩: ﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ﴾ لم تكن تصعد لهم أعمال صالحة فتبكي على فقدمهم ﴿وَالْأَرْضُ﴾ فلاهم فيها بقاع عبدا الله فيها. ﴿وَمَا كَانُوا مُنظَرِينَ﴾ مؤخرين بالغرق ٣٠: ﴿وَلَقَدْ جِئْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ مِنَ الْعَذَابِ الْمُهِينِ﴾ ٣١: ﴿مِن فِرْعَوْنَ إِنَّهُ كَانَ عَلِيًّا مِنَ الْمُسْرِفِينَ﴾ يمتن تعالى عليهم حيث أنقذهم من إهانة مستكبر جبار سخيف الرأي على نفسه ٣٢: ﴿وَلَقَدْ اخْتَرْنَا لَهُمْ عَلَى عِلْمٍ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ على من هم في زمانهم ٣٣: ﴿وَأَتَيْنَاهُم مِّنَ الْآيَاتِ﴾ من الحجج والبراهين ﴿مَافِيهِ بَلَاءٌ مُّبِينٌ﴾ اختبار ظاهر لمن اهدى به ٣٤: ﴿إِنَّ هَؤُلَاءِ لَيَقُولُونَ﴾ المشركون ٣٥: ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا مَوْتَتُنَا الْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُنشَرِينَ﴾ يُنكر تعالى عليهم إنكارهم البعث والمعاد ٣٦: واحتجوا بآياتهم الأولين فقالوا: ﴿فَأَتُوا بِآبَائِنَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ وهذه حجة باطلة فإن المعاد يوم القيامة لافي الدنيا ٣٧: ﴿أَهُمْ خَيْرٌ أَمْ قَوْمٌ تُبِعَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ أَهْلَكَانَهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ﴾ هذا تهديد ووعد للمتكبرين للبعث، أنهم كفوم تبع، وهم سبأ حيث أهلكتهم الله وخرّب بلادهم وكانوا عرباً من قحطان ٣٨: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ﴾ يُخبر تعالى عن عدله وتزيهه نفسه عن العبث والباطل ﴿فَمَا يَخْلُقُ وَيَفْعَلُ﴾ ٣٩: ﴿مَا خَلَقْنَاهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَاعِلْمُونَ﴾، كما قال تعالى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَهِنَا لَتُرجعون؟ فتعالى الله الملك الحق لا إله إلا هو رب العرش الكريم﴾.

٤٠: ﴿إِنَّ يَوْمَ الْفِصْلِ مِيقَاتُهُمْ أَجْمَعِينَ﴾
وهو يوم القيامة يفصل الله تعالى فيه بين
الخالق ٤١: ﴿يَوْمَ لَا يُغْنِي مَوْلَىٰ عَنْ مَوْلَىٰ
شَيْئًا﴾ لا ينفع قريب قريباً ﴿وَلَا هُمْ
يُنصَرُونَ﴾ ٤٢: ﴿إِلَّا مَنْ رَحِمَ اللَّهُ﴾
لا ينفع يومئذ إلا رحمة الله عز وجل بخلقه
﴿إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ هو سبحانه عزيز
ذو رحمة واسعة ٤٣: يُخبر تعالى عما يُعَذَّب
الكافرين فيقول: ﴿إِنَّ شَجَرَةَ الزُّقُومِ﴾ ٤٤:
﴿طَعَامُ الْأَثِيمِ﴾ الكافر والفاجر، أي: ليس له
طعام من غيرها. ولو وقعت قطرة منها إلى
الأرض لأفسدت على أهل الأرض معاشهم
٤٥: ﴿كَالْهَلْهِلِ﴾ كعكبر الزيت ﴿يَغِي فِي
الْبُطُونِ﴾ من حرارتها ورداءيتها ٤٦:
﴿كَغَلِي الْحَمِيمِ﴾ ٤٧: ﴿خُذُوهُ﴾ الكافر،
وقد ورد أنه تعالى إذا قال للزانية: خُذُوهُ،
ابتدره سبعون ألفاً منهم ﴿فَاغْتَلُوهُ﴾ سُوْقُوهُ
سحباً ودفعاً في ظهره، ﴿إِلَىٰ سِوَاءِ الْحَمِيمِ﴾
إلى وسطها ٤٨: ﴿ثُمَّ صُبُّوا فَوْقَ رَأْسِهِ مِنْ
عَذَابِ الْحَمِيمِ﴾ كقوله تعالى: ﴿يُصَّبُّ مِنْ
فَوْقِ رُؤُوسِهِمْ الْحَمِيمُ يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ
وَالْجُلُودِ﴾ ٤٩: ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ
الْكَرِيمُ﴾ قَوْلُوا لَهُ ذَلِكَ عَلَىٰ وَجْهِ التَّهْكُمِ
والتَّوْبِيخِ؛ أي: لست بعزيز ولا كريم ٥٠:
﴿إِنَّ هَذَا مَا كُنْتُمْ بِهِ تَمْتَرُونَ﴾ كقوله تعالى:
﴿يَوْمَ يُدْعَوْنَ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعَاً هَذِهِ النَّارُ
الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تُكْفَرُونَ. أَفَسِحْرٌ هَذَا أَمْ أَنْتُمْ
لَا تُبْصِرُونَ؟﴾ ٥١: لَمَّا ذَكَرَ تَعَالَىٰ حَالِ
الْأَشْقِيَاءِ عَطَفَ بِذِكْرِ السَّعْدَاءِ وَهَذَا سُمِّيَ

إِنَّ يَوْمَ الْفِصْلِ مِيقَاتُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٠﴾ يَوْمَ لَا يُغْنِي مَوْلَىٰ
عَنْ مَوْلَىٰ شَيْئًا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤١﴾ إِلَّا مَنْ رَحِمَ اللَّهُ
إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٤٢﴾ إِنَّ شَجَرَةَ الزُّقُومِ
طَعَامُ الْأَثِيمِ ﴿٤٣﴾ كَالْمُهْلِ يَغِي فِي الْبُطُونِ ﴿٤٤﴾ كَغَلِي
الْحَمِيمِ ﴿٤٥﴾ خُذُوهُ فَاعْتَلُوهُ إِلَىٰ سِوَاءِ الْحَمِيمِ ﴿٤٦﴾ ثُمَّ
صُبُّوا فَوْقَ رَأْسِهِ مِنْ عَذَابِ الْحَمِيمِ ﴿٤٧﴾ ذُقْ إِنَّكَ
أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ ﴿٤٨﴾ إِنَّ هَذَا مَا كُنْتُمْ بِهِ تَمْتَرُونَ
﴿٤٩﴾ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ ﴿٥٠﴾ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ
﴿٥١﴾ يَلْبَسُونَ مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَقَابِلِينَ ﴿٥٢﴾
كَذَلِكَ وَزَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ ﴿٥٣﴾ يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ
فَنَكْهَةٍ أَمِينَةٍ ﴿٥٤﴾ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ
إِلَّا الْمَوْتَ الْأُولَىٰ وَوَقَّاهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴿٥٥﴾ فَضَلًّا
مِّنْ ذَيْكَ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٥٦﴾ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ
لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٥٧﴾ فَارْتَقِبْ إِنَّهُمْ مُّرْتَبُونَ ﴿٥٨﴾

سُورَةُ الْجَاثِيَةِ

القرآن مثنائي، فقال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ﴾ في الدنيا ﴿في مقام أمين﴾ في الآخرة، وهو الجنة، قد أمثوا فيها من الموت والخروج، ومن كل هم
وحن ٥٢: ﴿في جناتٍ وَعُيُونٍ﴾ ٥٣: ﴿يَلْبَسُونَ مِنْ سُنْدُسٍ﴾ وهو رفيع الحرير كالقمصان ﴿وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَقَابِلِينَ﴾ الاستبرق: ما كان على
أعلى القماش، مما فيه بريق ولمعان، ومتقابلين: على السرر لا يجلس أحد منهم وظهره إلى غيره ٥٤: ﴿كَذَلِكَ وَزَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ﴾ هذا
العطاء مع ما قد منحناهم من الزوجات الحور العين الحسن الآتي ﴿لَمْ يَطْمِئِنُّنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ﴾ ﴿كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ﴾ ﴿هَلْ
جزاء الإحسان إلا الإحسان؟﴾ ٥٥: ﴿يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَاكْهَةٍ أَمِينَةٍ﴾ مهما طلبوا من أنواع الثمار أُخْضِرَ لهم وهم آمنون من انقطاعه
وامتناعه ٥٦: ﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَ الْأُولَىٰ﴾ هذا استثناء منقطع، ومعناه: أنهم لا يذوقون فيها الموت أبداً ﴿وَوَقَّاهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ﴾
مع هذا النعيم العظيم المقيم، فحصل لهم المطلوب والنجاة من المرهوب، ولهذا قال تعالى: ٥٧: ﴿فَضَلًّا مِنْ رَبِّكَ﴾ إنما كان هذا بفضلهم عليهم
وإحسانه إليهم، ﴿ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ ٥٨: ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ﴾ هذا القرآن أنزلناه سهلاً واضحاً بلسانك الذي هو أفصح اللغات
وأجلاها وأحلاها وأعلاها ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ يفهمون ويعلمون ٥٩: ﴿فَارْتَقِبْ﴾ فانتظر ﴿إِنَّهُمْ مُرْتَبُونَ﴾ سيعلمون لمن تكون النصرة وعلو
الكلمة في الدنيا والآخرة.

الآية ٥٦: روى عبد الرزاق عن أبي سعيد وأبي هريرة قالا: قال رسول الله ﷺ: «يقال لأهل الجنة: إن لكم أن تصحوا فلا تسقموا أبداً، وإن لكم أن تعيشوا فلا تموتوا أبداً، وإن
لكم أن تنعموا فلا تبأسوا أبداً، وإن لكم أن تشبوا فلا تهرموا أبداً» ورواه مسلم. / ابن كثير ج ٤/ ١٤٦/١

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حَمَّ ﴿١﴾ تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴿٢﴾ إِنَّ فِي السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾ وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِن دَابَّةٍ آيَاتٌ
لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ وَأَخْتَلَفَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ
مِن رَّزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ الرِّيْحِ آيَاتٌ لِّقَوْمٍ
يَعْقِلُونَ ﴿٥﴾ تَكَءُ بِأَنْفِكَ عَلَى يَدَيْكَ وَأَنْتَ عَلَى الْحَقِّ بِآيَاتِ حَدِيثِكَ
بَعْدَ اللَّهِ وَآيَاتِنَا ۖ يَوْمُونَ ﴿٦﴾ وَيَلْ لَّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٧﴾ يَسْمَعُ آيَاتِ
اللَّهِ تُنَلَّى عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ
﴿٨﴾ وَإِذْ أَعْلَمَ مِن آيَاتِنَا شَيْئًا اتَّخَذَهَا هُزُوًا أُوْلَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ
مُّهِينٌ ﴿٩﴾ مِّن رَّوَايِهِمْ جَهَنَّمَ وَلَا يُغْنِي عَنْهُمْ مَا كَسَبُوا شَيْئًا
وَلَا مَا اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ ۗ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠﴾ هَذَا
هُدًى وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رَّجْزٍ أَلِيمٍ ﴿١١﴾
﴿١٢﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رَّجْزٍ أَلِيمٍ ﴿١٣﴾
﴿١٤﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رَّجْزٍ أَلِيمٍ ﴿١٥﴾

٤٩٩

تعالى: ٨: ﴿يَسْمَعُ آيَاتِ اللَّهِ تُنَلَّى عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا﴾ يُصِرُّ عَلَى كَفْرِهِ وَجُحُودِهِ اسْتِكْبَارًا وَعِنَادًا بَعْدَ سَمَاعِهَا كَأَنَّهُ مَسْمَعُهَا ﴿فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ فَأُخْبِرُهُ أَنَّ لَهُ عِنْدَ اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٩﴾ ﴿وَإِذَا عَلِمَ مِن آيَاتِنَا شَيْئًا اتَّخَذَهَا هُزُوًا﴾ إِذَا حَفِظَ شَيْئًا مِنَ الْقُرْآنِ كَفَرَ بِهِ وَاتَّخَذَهُ سَخِرِيًّا وَهَزُوًا ﴿أُوْلَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ لِسِتَابَتِهِ بِالْقُرْآنِ ١٠: ﴿مِّن رَّوَايِهِمْ جَهَنَّمَ﴾ كُلٌّ مِّنْ أُنْتِصَفَ بِذَلِكَ سَيَصْرُونَ إِلَى جَهَنَّمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴿وَلَا يُغْنِي عَنْهُمْ مَا كَسَبُوا شَيْئًا وَلَا مَا اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ﴾ لِاتْتَفَعَهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَأَوْلَادُهُمْ، وَلا تَغْنِي عَنْهُمْ الْآلِهَةُ الَّتِي عِبَدُوهَا مِن دُونِ اللَّهِ شَيْئًا ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ ١١: ﴿هَذَا هُدًى﴾ يَعْنِي الْقُرْآنَ ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رَّجْزٍ أَلِيمٍ﴾ وَهُوَ الْعَذَابُ الْمَوْجِعُ ١٢: ﴿اللَّهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ الْبَحْرَ لَتَجْرِيَ فِيهِ الْفُلُكُ فِيهِ بِأَمْرِهِ﴾ وَتَلْتَبِعُوا مِن فَضْلِهِ ﴿فِي الْمَتَاجِرِ وَالْمَكَّاسِبِ﴾ وَتَلْتَبِعُوا مَن تَشْكُرُونَ ﴿عَلَى حَصُولِ الْمَنَافِعِ الْجُلُوبَةِ إِلَيْكُمْ ١٣: ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ مِنَ الْكَوَاكِبِ وَالْجِبَالِ وَالْبِحَارِ وَالْأَنْهَارِ وَجَمِيعِ مَا تَنْتَفِعُونَ بِهِ، فَالْجَمِيعُ مِنْ فَضْلِهِ وَإِحْسَانِهِ، وَلِهَذَا قَالَ: ﴿جَمِيعًا مِنْهُ﴾ مِنْ عِنْدِهِ وَحَدَهُ لِاشْرِيكَ لَهُ، ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [فَيَعْلَمُونَ الْحَقَّ فَيَتَّبِعُونَهُ].

الآيات: ١ - ٥ يُرْشِدُ تَعَالَى خَلْقَهُ إِلَى التَّفَكُّرِ فِي آيَاتِهِ وَنِعْمَةِ وَقَدْرَةِ الْعَظِيمَةِ الَّتِي خَلَقَ بِهَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا فِيهَا مِنَ الْمَخْلُوقَاتِ، مِنَ الْمَلَائِكَةِ وَالْجِنِّ وَالْإِنْسِ وَالذُّبَابِ وَالطُّيُورِ وَالْوَحْشِ وَمَا فِي الْبِحَارِ مِنَ الْأَصْنَافِ الْمُنْتَوِعَةِ، وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ فِي تَعاقُبِهَا دَائِلِينَ لَا يَفْتَرَانِ، هَذَا بظِلَامِهِ وَهَذَا بظِيَانِهِ، وَمَأْنَزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنَ الْأَمْطَارِ لِيَحْصَلَ بِهِ الرِّزْقُ [كُلُّ هَذَا بِقَدْرَتِهِ وَفَضْلِهِ وَكَرَمِهِ سَبْحَانَهُ وَتَعَالَى].

١٤: ﴿قُلْ لِلَّذِينَ آمَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ﴾ ليصْفَحُوا عنهم ولينحلموا الأذى منهم، وكان هذا في ابتداء الإسلام، ثم لما أصر الكفار على العناد شرع الله للمؤمنين الجهاد والجهاد. ﴿ليجزى قوماً بما كانوا يكسبون﴾ إذا صفحوا عنهم في الدنيا فإن الله تعالى مجازيهم بأعمالهم السيئة في الآخرة ١٥: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلِيَهَا ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾ ثم إلى ربكم ترجعون ﴿تعودون إليه يوم القيامة فتعرضون بأعمالكم عليه فيجزىكم بأعمالكم خيرا وشرها ١٦: يذكر تعالى ماأنعم به على بني إسرائيل فيقول: ﴿ولقد آتينا بني إسرائيل الكتاب﴾ [أي: التوراة] ﴿والحكم﴾ [يعني الفهم في الكتاب] ﴿والتنوير﴾ [يعني الأنبياء] ﴿ورزقناهم من الطيبات﴾ من المأكول والمشرب ﴿وفضلناهم على العالمين﴾ في زمانهم ١٧: ﴿وآتيناهم آيات من الأمر﴾ حججاً وبراهين وأدلة قاطعات فقامت عليهم الحجج، ثم اختلفوا بغياً منهم على بعضهم بعضاً ﴿فما اختلفوا إلا من بعد ما جاءهم العلم بغياً بينهم إن ربك يقضي بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون﴾ سيفصل بينهم بحكمه العدل، وهذا فيه تحذير لهذه الأمة أن تسلك مسلكهم، ولهذا قال جل وعلا: ١٨: ﴿ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها﴾ اتبع ما أوحى إليك من ربك لا إله إلا هو، ﴿ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون﴾ ١٩: ﴿إنهم لن يغفوا عنك من الله شيئاً وإن الظالمين بعضهم أولياء بعض والله ولي المتقين﴾

قُلْ لِلَّذِينَ آمَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ لِيَجْزِيَ قَوْمًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلِيَهَا ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴿١٥﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿١٦﴾ وَعَايَنَّا لَهُم مِّنَ الْأَمْرِ كُلِّهِمَا ائْتَلَفُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٧﴾ ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨﴾ إِنَّهُمْ لَنُغْفِرُوكَ مِنْ اللَّهِ شَيْئًا وَإِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ ﴿١٩﴾ هَذَا بَصِيرَةٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٢٠﴾ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مِّمَّنْ حَيَّاهُمْ وَمَمَاتَهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٢١﴾ وَخَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَلِيُجْزِيَ كُلَّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٢﴾

الظالمين بعضهم أولياء بعض﴾ وماذا تغني عنهم ولايتهم لبعضهم بعضاً، فإنهم لا يزيدونهم إلا خساراً ودماراً، ﴿والله ولي المتقين﴾، وهو تعالى يخرجهم من الظلمات إلى النور، والذين كفروا وأولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور إلى الظلمات، ثم قال تعالى: ٢٠: ﴿هذا بصائر للناس﴾ يعني القرآن ﴿وهدى ورحمة لقوم يوقنون﴾ ٢١: ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ﴾ عملوها وكسبوها ﴿أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم﴾ نساوهم في الدنيا والآخرة^(١)، وهذا كما قال تعالى: ﴿لا يستوي أصحاب النار وأصحاب الجنة أصحاب الجنة هم الفائزون﴾، ﴿سواء ما يحكمون﴾ سواء ما ظنوا بنا وبعد لنا أن نساوي بين الأبرار والفجار في الآخرة وفي هذه الدار ٢٢: ﴿وخلق الله السماوات والأرض بالحق﴾ بالعدل ﴿وليجزي﴾ [أي: لكي تجزي] [كل نفس بما كسبت] ﴿[أي: في الآخرة]﴾ وهم لا يظلمون﴾.

(١) ذكر محمد بن إسحاق في كتاب السيرة: أنهم وجدوا حجراً بمكة في رأس الكعبة مكتوب عليه: تعملون السيئات وترجون الحسنات، أجل كما يُجنى من الشوك العنب.

الآية: ١٥ روى الحاكم وصححه عن عبد الله بن عمرو عن النبي ﷺ قال: ﴿مَنْ حَالَتْ شَفَاعَتُهُ دُونَ حُدِّ مِنْ حُدُودِ اللَّهِ، فَقَدْ ضَادَّ اللَّهَ فِي أَمْرِهِ، وَمَنْ مَاتَ وَعَلَيْهِ ذَنْبٌ، فَلَيْسَ تَمَّ دِينًا وَلَا ذَرْبًا، وَلَكِنَّمَا الْحَسَنَاتُ وَالسَّيِّئَاتُ، وَمَنْ خَاصَمَ فِي بَاطِلٍ، وَهُوَ يَعْلَمُ لَمْ يَزَلْ فِي سُحُوطِ اللَّهِ حَتَّىٰ يَبْزُقَ، وَمَنْ قَالَ فِي مَوْءِنٍ مَا لَيْسَ فِيهِ حُسْنٌ فِي رَدِّعَةِ الْحَيَالِ [وهي طينة النار] حَتَّىٰ يَأْتِيَ بِالْخُرْجِ مِمَّا قَالَ. [الترغيب ٢/٦٠٤]

الآية: ٢١ روى أبو يعلى عن يزيد بن مرتد أنه قال: ﴿إِنَّ اللَّهَ تَعَالَىٰ بَنَىٰ دِينَهُ عَلَىٰ أَرْبَعَةِ أَرْكَانٍ، فَمَنْ صَبَرَ عَلَيْهِمْ وَلَمْ يَعْمَلْ بِهِمْ لَمَيَّ اللَّهُ مِنَ الْفَاسِقِينَ، قَبْلَ وَمَاهِنَ بِالْأَبَادَةِ؟ قَالَ: يُسَلِّمُ حَلَالَ اللَّهِ لِقَوْمِهِ، وَحَرَامَ اللَّهِ لِقَوْمِهِ، وَأَمَرَ اللَّهُ لِقَوْمِهِ، وَتَهَيَّأَ اللَّهُ لِقَوْمِهِ. [ابن كثير ج ٤/١٥٠]

٢٣: ﴿أَفَرَأَيْتَ مِنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ﴾ إِنَّمَا يَأْتِرُ هَوَاهُ، فَمَهْمَا رَأَهُ حَسَنًا فَعَلَهُ وَمَهْمَا رَأَهُ قَبِيحًا تَرَكَهُ؛ فَلَا يَهْوَى شَيْئًا إِلَّا عَبْدَهُ، ﴿وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ﴾ بَعْدَ بُلُوغِهِ الْعِلْمَ إِلَيْهِ وَيَقَامُ الْحِجَّةَ عَلَيْهِ، ﴿وَرَحِمْتَ عَلَى سَعَةِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً﴾ فَلَا يَسْمَعُ مَا يَنْفَعُهُ وَلَا يَبْصُرُ شَيْئًا يَهْتَدِي بِهِ وَلَا يَرَى حُجَّةً يَسْتَضِيءُ بِهَا، وَهَذَا قَالَ تَعَالَى: ﴿فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ ١٩: ٢٤: ﴿وَقَالُوا﴾ الدَّهْرِيُّونَ مِنَ الْكُفَّارِ فِي إِنْكَارِ الْمَعَادِ: ﴿مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا﴾ مَاتُمْ إِلَّا هَذِهِ الدَّارُ مَمُوتٌ قَوْمٌ وَيَعِيشُ آخَرُونَ وَمَاتُمْ مَعَادَ وَلَا قِيَامَةَ، ﴿وَمَا يَهْدِيكُمْ إِلَّا الدَّهْرُ﴾ قَالَ تَعَالَى رَدًّا عَلَيْهِمْ: ﴿وَمَا هُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾ يَتَوَهَّمُونَ وَيَتَخَلَّلُونَ ٢٥: ﴿وَإِذَا تَنَكَّلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ﴾ إِذَا بَيَّنَّ لَهُمُ الْحَقُّ وَأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَادِرٌ عَلَى إِعَادَةِ الْأَبْدَانِ بَعْدَ فَنَائِهَا وَتَفَرَّقَهَا ﴿مَا كَانَ حُجَّتُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا اتَّخَذُوا آبَاءَنَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ أَحِبُّوهُمْ إِنْ كَانَ مَا تَقُولُونَهُ حَقًّا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ٢٦: ﴿قُلِ اللَّهُ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ﴾ كَمَا تُشَاهِدُونَ ذَلِكَ يَخْرُجُكُمْ مِنَ الْعَدَمِ إِلَى الْوُجُودِ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ؟﴾ الَّذِي قَدَرَ عَلَى الْبِدَاءِ قَادِرٌ عَلَى الْإِعَادَةِ بِطَرِيقِ الْأَوَّلِ وَالْآخَرِ، ﴿ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَارِبِّ فِيهِ﴾ إِنَّمَا يَجْمَعُكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، لِأَيُّدِّكُمْ فِي الدُّنْيَا حَتَّى تَقُولُوا: ﴿اتَّخَذُوا آبَاءَنَا إِنْ كُنْتُمْ

أَفْرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَرَحِمْتَ عَلَى سَعَةِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٣﴾ وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْدِيكُمَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٢٤﴾ وَإِذَا تَنَكَّلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ مَا كَانَ حُجَّتَهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا اتَّخَذُوا آبَاءَنَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٥﴾ قُلِ اللَّهُ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَارِبِّ فِيهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُنْحَسِرُ الْمُبْطِلُونَ ﴿٢٧﴾ وَتَرَى كُلَّ أُمَّةٍ جَائِئَةٍ كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَى إِلَى كِتَابِهَا الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٨﴾ هَذَا كِتَابُنَا يَنْطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ إِنْ كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٩﴾ فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِي رَحْمَتِهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ ﴿٣٠﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا أَفَلَمْ تَكُنْ آيَاتِي تَتْلَى عَلَيْهِمْ فَأَسْتَكْبِرُوا ثُمَّ كُنْتُمْ قَوْمًا تُجْرِمِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَالسَّاعَةُ لَارِبِّ فِيهَا قُلْتُمْ مَا نَدْرِي مَا السَّاعَةُ إِنْ نَظُنُّ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمَسْتَبِقِينَ ﴿٣٢﴾

صَادِقِينَ، ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ فَلِهَذَا يَنْكُرُونَ الْمَعَادَ وَيَسْتَعْبِدُونَ قِيَامَ الْأَجْسَادِ ٢٧: ﴿وَاللَّهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ هُوَ تَعَالَى مَالِكُهُمَا وَالْحَاكِمُ فِيهِمَا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَهَذَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُنْحَسِرُ الْمُبْطِلُونَ﴾ وَهُمْ الْكَافِرُونَ بِاللَّهِ ٨: ﴿وَتَرَى كُلَّ أُمَّةٍ جَائِئَةٍ﴾ عَلَى رُكْبَتِهَا مِنَ الشَّدَةِ وَالْعِظْمَةِ ﴿كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَى إِلَى كِتَابِهَا﴾ يَعْنِي كِتَابَ أَعْمَالِهَا ﴿الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ تَجَاوَزُونَ بِأَعْمَالِكُمْ خَيْرَهَا وَشَرَّهَا ٢٩: ﴿هَذَا كِتَابُنَا يَنْطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ﴾ يَسْتَحْضِرُ جَمِيعَ أَعْمَالِكُمْ مِنْ غَيْرِ زِيَادَةٍ وَلَا نَقْصَانٍ ﴿إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ إِنَّا كُنَّا نَأْمُرُ الْخَفِظَةَ أَنْ تَكْتُبَ أَعْمَالَكُمْ ٣٠: يُخْبِرُ تَعَالَى عَنْ حُكْمِهِ فِي خَلْقِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَقُولُ: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِي رَحْمَتِهِ﴾ الَّذِينَ آمَنَتْ قُلُوبُهُمْ وَوَأَفَقَتْ أَعْمَالُهُمْ الشَّرْعَ سَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ ﴿ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ﴾ الْوَاضِحُ ٣١: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [يَقَالُ لَهُمْ] ﴿أَفَلَمْ تَكُنْ آيَاتِي تَتْلَى عَلَيْكُمْ فَأَسْتَكْبِرْتُمْ؟﴾ يُقَالُ لَهُمْ ذَلِكَ تَقْرِيعًا وَتَوْبِيخًا، ﴿وَكُنْتُمْ قَوْمًا تُجْرِمُونَ﴾ فِي أَنْفَعَالِكُمْ مَعَ مَا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ قُلُوبُكُمْ مِنَ التَّكْذِيبِ ٣٢: ﴿وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَالسَّاعَةُ لَارِبِّ فِيهَا﴾ إِذَا قَالَ لَكُمْ الْمُؤْمِنُونَ ذَلِكَ ﴿قُلْتُمْ مَا نَدْرِي مَا السَّاعَةُ﴾ لِأَنَّهَا لَمْ تَعْرِفْهَا ﴿إِنْ نَظُنُّ إِلَّا ظَنًّا﴾ إِنْ تَوَهَّمُوا وَقَوْعَهَا إِلَّا تَوَهَّمًا مَرْجُوحًا وَهَذَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا نَحْنُ بِمَسْتَبِقِينَ﴾ بِمُتَحَقِّقِينَ.

الآية: ٢٤ قال الإمام الشافعي وأبو عبيد وغيرهما من الأئمة في تفسير قوله ﷺ: «لَا تُسَبِّحُوا الدَّهْرَ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الدَّهْرُ»: كانت العرب في جاهليتها إذا أصابهم شدة أو بلاء أو نكبة قالوا: يا بئس الدهر، فيسندون تلك الأفعال إلى الدهر ويسبونه، وإنما فاعلها هو الله تعالى، فكانهم سبوا الله عز وجل؛ لأنه فاعل ذلك في الحقيقة، فلهاذه نهي عن سب الدهر بهذا الاعتبار؛ لأن الله تعالى هو الدهر الذي يعنونه ويُسندون إليه تلك الأفعال. هذا أحسن ما قبل في تفسيره، وهو المراد والله أعلم. / ابن كثير ج ٤/ ١٥١

٣٣: ﴿وَيْدَأُ لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا﴾ وظهر لهم عقوبة أعمالهم السيئة ﴿وَحَاقَ بِهِمْ﴾ أحاطَ بِهِمْ ﴿مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ من العذاب والكال ٣٤: ﴿وَقِيلَ الْيَوْمَ نَنسَاكُمْ﴾ نعاملكم معاملة التآسي لكم في نار جهنم ﴿كَمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا﴾ فلم تعملوا له لأنكم لم تصدقوا به ﴿وَمَا وَآمَنَّا النَّارَ وَمَالِكُمْ مِنْ نَاصِرِينَ﴾ ٣٥: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّكُمْ اتَّخَذْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ هُزُوًا وَعَرَّضْتُمْ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا قَالِيَوْمَ لَا يُخْرَجُونَ مِنْهَا وَلَا هُمْ يُسْعَبُونَ﴾ ٣٦: ﴿وَلَهُ الْكِبْرِيَاءُ فِي السَّمَوَاتِ وَرَبُّ الْأَرْضِ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ ٣٧: ﴿فَالْيَوْمَ لَا يُخْرَجُونَ مِنْهَا﴾ من النار ﴿وَالَهُمْ يُسْعَبُونَ﴾ لا يطلب منهم العتبي بل يُعَذَّبُونَ بغير حساب ولا عتاب، كما تدخل طائفة من المؤمنين الجنة بغير عذاب ولا حساب، ثم لما ذكر تعالى حكمه في المؤمنين والكافرين قال تعالى: ٣٦: ﴿فَلِلَّهِ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ﴾ المالك لهما وما فيها ﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ٣٧: ﴿وَلَهُ الْكِبْرِيَاءُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ يعني له السلطان العظيم، المجد الذي كل شيء خاضع لديه فقير إليه ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ﴾ الذي لا يعاب ولا يمانع ﴿الْحَكِيمُ﴾ في أقواله وأفعاله وشرعه وقدره سبحانه.

وَيَدَأُ لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٣٣﴾
 وَقِيلَ الْيَوْمَ نَنسَاكُمْ كَمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا وَمَا وَآمَنَّا النَّارَ وَمَا لَكُمْ مِنْ نَاصِرِينَ ﴿٣٤﴾ ذَلِكَ بِأَنَّكُمْ اتَّخَذْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ هُزُوًا وَعَرَّضْتُمْ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا قَالِيَوْمَ لَا يُخْرَجُونَ مِنْهَا وَلَا هُمْ يُسْعَبُونَ ﴿٣٥﴾
 فَلِلَّهِ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٣٦﴾ وَلَهُ الْكِبْرِيَاءُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٣٧﴾

سُورَةُ الْحَقِّفَاتِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حَمَّ ﴿١﴾ تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴿٢﴾ مَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى وَالَّذِينَ كَفَرُوا عَمَّا أُذِرُوا مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَوَاتِ أَتُنْفِئُونَ بِيَدِكُمْ مِنْ قَبْلِ هَذَا أَوْ أَنزَرْتُمْ مِنْ عِلْمٍ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٤﴾ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَن دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ ﴿٥﴾

تفسير سورة

تفسير سورة الأحقاف

١: ﴿حَمَّ﴾ ٢: ﴿تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾ يُخبر تعالى أنه أنزل الكتاب على عبده ورسوله محمد صلى الله عليه وآله وسلم، ووصف نفسه بالعزة والحكمة ثم قال تعالى: ٣: ﴿مَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ لاعلى وجه العتب والباطل، ﴿وَأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ وإلى مدة معينة مضروبة لاتزيد ولانقص ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا عَمَّا أُذِرُوا مُعْرِضُونَ﴾ لآهون عَمَّا يُرَادُ بِهِمْ، وقد أنزل الله تعالى إليهم كتاباً وأرسل إليهم رسولاً وهم معرضون عن ذلك كله؛ سيعلمون غب ذلك ٤: ﴿قُلْ﴾ هؤلاء المشركين ﴿أَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ؟ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَوَاتِ؟﴾ ولا يشرك لهم في السموات ولا في الأرض، وما يملكون من قاطير، إن الملك كله إلا لله عز وجل، فكيف يعبدون معه غيره وتشركون به؟ من أرشدكم إلى هذا؟ ومن دعاكم إليه؟ ولهذا قال تعالى: ﴿اتَّفُونِي بِكِتَابٍ مِنْ قَبْلِ هَذَا﴾ هاتوا كتاباً من كتب الله المنزلة على الأنبياء بأمركم بعبادة هذه الأصنام ﴿أَوْ آثَارَةٍ مِنْ عِلْمٍ﴾ دليل بين على هذا المسلك الذي سلكتموه ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ لآدليل لكم على ذلك ٥: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَن دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ؟﴾! لآضلُّ مِمَّن يدعوا من دُونِ اللَّهِ أصناماً ويطلب منها ما لا تستطيعه إلى يوم القيامة وهي لاتسمع ولا تبصر لآنها حمادٌ حجارة صم.

الآية: ٣٧ روى مسلم في صحيحه أن أبا سعيد الخدري وأبا هريرة قالوا: قال رسول الله ﷺ: «يقول الله عز وجل: العزة إزاري، والكبرياء رداي، فمن نازعي شيئاً منهما عدتته» وروى أبو داود وابن ماجه وابن حبان في صحيحه من حديث أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «قال الله تبارك وتعالى: الكبرياء رداي، والعظمة إزاري، فمن نازعي واحداً منهما قذفته في النار.» /الترغيب ج٣/٥٦٢

٦: ﴿وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ﴾ سيخوثونهم أوحج ما يكونون إليهم، كما قال تعالى: ﴿كَلَّا سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدَاءً﴾
 ٧: ﴿وَإِذَا تَنَلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ يخبر تعالى عن المشركين في كفرهم وعنادهم أنهم إذا تنلى عليهم آيات الله يقولون ﴿هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ ٨: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افترأف؟ يعنون محمداً صلى الله عليه وآله وسلم قال عز وجل: ﴿قُلْ إِنْ أَفْرَيْتُهُ فَلَا تَمْلِكُونَ لِي مِنَ اللَّهِ شَيْئاً﴾ لو كذبت عليه لعاقبني أشد العقوبة، ولم يقدر أحد من أهل الأرض أن يجبرني منه، ﴿هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِ﴾ [أي: تقولونه] ﴿كُفَىٰ بِهِ شَيْدًا بِنِي وَيُنِكُمْ﴾ هذا تهديد لهم ووعيد أكيد وترهيب شديد. ﴿هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ ترغيب لهم إلى التوبة والإجابة؛ أي: إن تبتم تاب عليكم وعفا عنكم ٩: ﴿قُلْ مَا كُنْتُ بِدَعَاٍ مِنَ الرُّسُلِ﴾ لست بأول رسول طرق العالم بل قد جاءت الرسل من قبلي، ﴿وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ﴾ [أي: يوم القيامة] ثم بين تعالى مايفعله به صلى الله عليه وآله وسلم فقال: ﴿لِيَغْفَرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكُمْ وَمَا تَأَخَّرَ﴾، ولما نزلت هذه الآية قال رجل من المسلمين: هذا قد بين الله ما هو فاعل بك يارسول الله فما هو فاعل بنا؟ فأنزل الله تعالى: ﴿لِيُذْخِلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾، ﴿إِنْ أَتَيْعَ

وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ ﴿٦﴾ وَإِذَا تَنَلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٧﴾ أَمْ يَقُولُونَ أَفَرَبَّهُ قُلْ إِنْ أَفْرَيْتُهُ فَلَا تَمْلِكُونَ لِي مِنَ اللَّهِ شَيْئاً هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِ كُفَىٰ بِهِ شَيْدًا بِنِي وَيُنِكُمْ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٨﴾ قُلْ مَا كُنْتُ بِدَعَاٍ مِنَ الرُّسُلِ وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ إِنْ أَتَيْعَ إِلَّا مَا يُوْحَىٰ إِلَيَّ وَمَا أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٩﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَكَفَرْتُمْ بِهِ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِ فَتَأْمَنُوا وَاسْتَكْبَرْتُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿١٠﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا لَوْ كَانَ خَيْرًا مَا سَبَقُونَا إِلَيْهِ وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا بِهِ فَسَيَقُولُونَ هَذَا أَفْكٌ قَدِيمٌ ﴿١١﴾ وَمِنْ قَبْلِهِ كَتَبَ مُوسَىٰ إِمَامًا وَرَحْمَةً وَهَذَا كِتَابٌ مُصَدِّقٌ لِسَانِ عَرَبِيٍّ لِيُنذِرَ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَبَشْرَىٰ لِلْمُحْسِنِينَ ﴿١٢﴾ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا فَالْآخِوْفُ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٣﴾ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾

إِلَّا مَا يُوْحَىٰ إِلَيَّ﴾ إنما أتبع ماينزله الله علي من الوحي ﴿وَمَا أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ أمرني ظاهر لكل ذي عقل ١٠: ﴿قُلْ﴾ يا محمد للمشركين الكافرين بالقرآن ﴿أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ﴾ هذا القرآن ﴿مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَكَفَرْتُمْ بِهِ﴾ فما ظنكم أن الله صانع بكم؟ ﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِ﴾ وقد شهد بصدقه وصحته الكتب المتقدمة المنزلة على الأنبياء قبل بشرته به وأخبرت بمثل ماأحر هذا القرآن به، ﴿فَأْمَنَ﴾ هذا الذي شهد بصدقه من بني إسرائيل لمعرفته بحقيقته ﴿وَاسْتَكْرَمْتُمْ﴾ أنتم عن اتباعه؟ ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ ١١: ﴿وقال الذين كفروا للذين آمنوا لو كان خيراً ما سبقونا إليه﴾ قالوا: لو كان القرآن خيراً ما سبقنا إليه هؤلاء، يعنون بلالاً وعماراً وضهيباً وأشباههم من المستضعفين، ﴿وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا بِهِ﴾ بالقرآن ﴿فَسَيَقُولُونَ هَذَا أَفْكٌ قَدِيمٌ﴾ فسيتقصون القرآن ١٢: ﴿ومن قبله كتاب موسى إماماً ورحمة﴾ وهو التوراة ﴿وهذا كتاب﴾ يعني القرآن ﴿مُصَدِّقٌ﴾ لما قبله من الكتب ﴿لساناً عربياً﴾ فصيحاً واضحاً ﴿لِيُنذِرَ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَبَشْرَىٰ لِلْمُحْسِنِينَ﴾ مشتمل على النذارة للكافرين والبشارة للمؤمنين ١٣: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا﴾ على شهادة أن لا إله إلا الله، وعلى طاعته، ﴿فَالْآخِوْفُ عَلَيْهِمْ﴾ فيما يستقبلون ﴿وَالَّذِينَ يَحْزَنُونَ﴾ على ماخلفوا ١٤: ﴿أولئك أصحاب الجنة خالدين فيها جزاء بما كانوا يعملون﴾ الأعمال سبب لنيل الرحمة لهم وسبوغها عليهم.

الآية: ١٠: روى الإمام مالك والشيخان في صحيحهما عن أبي الثَّوْر عن عامر بن سعد عن أبيه قال: مامعت رسول الله ﷺ يقول لأحد بني علي على وجه الأرض إنه من أهل الجنة لأعد الله بن سلام رضي الله عنه، قال: وفيه نزلت: ﴿وشهد شاهد من بني إسرائيل على مثله﴾!! / ابن كثير ج ٤/ ١٠٦١/

١٥: لما ذكر تعالى في الآية الأولى التوحيد له والإخلاص في عبادته والاستقامة إليه عطف بالوصية بالوالدين كما هو مقرون في غير مائة كقوله تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِلَهًا وَيَالِ الْوَالِدِينَ إِحْسَانًا﴾، وقال هاهنا: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا﴾ أمرناه بالإحسان إليهما والخوف عليهما ﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا﴾ بسبب مشقة حمله ﴿وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا﴾ أي: بمشقة أيضاً من الطلق وشدته، ﴿وَوَحَلَّهُ﴾ وفضاله ثلاثون شهراً حتى إذا بلغ أشده ﴿قوي وشبَّ وارتجَل﴾ وبلغ أربعين سنة ﴿تناهى عقله وكمل فهمه وجلَّته﴾ ﴿قَالَ رَبُّ أَوْزَعِي﴾ أهمني ﴿أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ﴾ في المستقبل ﴿وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي بُنْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ ﴿١٥﴾ أولئك الذين نتقبل عنهم أحسن ما عملوا وندجاور عن سيئاتهم في أصحاب الجنة وعد الصديق الذي كانوا يؤعدون ﴿١٦﴾ والذي قال لولديه أف لكما أتعدانني أن أخرج وقد خلت القرون من قبلي وهما يستغيثان الله ويلك آمن إن وعد الله حق فيقول ما هذا إلا أسطير الأولين ﴿١٧﴾ أولئك الذين حق عليهم القول في أمر قد خلت من قبلهم من الجن والإنس إنهم كانوا خسرين ﴿١٨﴾ ولكل درجات مما عملوا وليوفيهم أعمالهم وهم لا يظلمون ﴿١٩﴾ ويوم يعرض الذين كفروا على النار أذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا واستمتعتم بها فاليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تستكبرون في الأرض بغير الحق وبما كنتم تفسقون ﴿٢٠﴾

٥٠٤

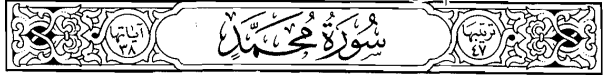
يُوعَدُونَ ﴿١٧﴾: ﴿والذي قال لولديه أف لكما أتعدانني أن أخرج﴾ هذا حال الأشيقاء العاقين للوالدين [أي: كيف حال هذا العاق يتضجر منهما حين يخرانه بالبعث بعد الموت فبرد عليهما:] ﴿أف لكما أتعدانني أن أخرج﴾ أبعث ﴿وقد خلت القرون من قبلي﴾ قد مضى الناس فلم يرجع منهم مخبر ﴿وهما يستغيثان الله﴾ يسألان الله فيه أن يهديه، ويقولان لولدهما: ﴿وَيْلَكَ آمِنَ إِنْ وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا فَيَقُولُ مَا هَذَا إِلَّا سَطِيرُ الْأُولِينَ﴾ ﴿١٨﴾ أولئك الذين حق عليهم القول في أمر قد خلت من قبلهم من الجن والإنس إنهم كانوا خاسرين ﴿دخلوا في زمة أشباههم من الكافرين الخاسرين يوم القيامة﴾ ﴿١٩﴾ ولكل درجات مما عملوا لكل عذاب بحسبٍ عليه ﴿وليوفيهم أعمالهم وهم لا يظلمون﴾ لا يظلمهم ومثال ذرة فما ذوبها ٢٠: ﴿ويوم يعرض الذين كفروا على النار أذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا واستمتعتم بها﴾ يقال لهم ذلك تقيحاً وتوبيخاً، ﴿فاليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تستكبرون في الأرض بغير الحق وبما كنتم تفسقون﴾، فجوزوا من جنس العمل؛ فكما استكبروا عن اتباع الحق جازاهم الله تعالى بعذاب الهون والخزي، أجازنا الله سبحانه وتعالى من ذلك كله.

الآية: ١٥ روى أبو داود في سننه عن ابن مسعود أن رسول الله ﷺ كان يعلمهم أن يقولوا: «اللهم آلف بين قلوبنا وأصلح ذات بيننا، واهدنا سبيل السلام، ونجنا من الظلمات إلى النور، وجننا الفواحش ما ظهر منها وما بطن، وبارك لنا في أسماعنا وأبصارنا وقلوبنا وأزواجنا وذرارياتنا، وثبت علينا إنك أنت التواب الرحيم، واجعلنا شاكرين لعمتك منين بها عليك، قايلاً، وأتمها علينا». وفي إسناده ضعف. /سنن أبي داود رقم ٩٦٩/

الآية: ١٧ روى الشيخان في صحيحهما عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: جاء رجل إلى نبي الله ﷺ فاستأذنه في الجهاد، فقال أحى والدك؟ قال: نعم؟! قال: «ففيما فجاهده أي جاهد في إكرامها وبرها والإحسان إليها. وقد جاء في الصحيحين: «أن أحب الأعمال إلى الله الصلاة على وقتها، ثم البر بالوالدين، ثم الجهاد في سبيل الله». /الترغيب ج/٣٤٣/

٢٩: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ﴾ وذلك بنخلة ورسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يصلي العشاء الآخرة ﴿كَأَدْوَىٰ يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا﴾ بعضهم على بعض، ﴿فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنصَبُوا﴾ استمعوا، وهذا أدب منهم ﴿فَلَمَّا قُضِيَ﴾ فرغ ﴿وَلَوْأَ إِلَىٰ قَوْمِهِمْ مُّذَرِّينَ﴾ رجعوا إلى قومهم فأنذروهم ماسمعوهُ من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ثم فسّر سبحانه إنذار الجن لقومهم فقال مخبراً عنهم: ٣٠: ﴿قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِن بَعْدِ مُوسَىٰ﴾ ولم يذكروا عيسى لأن عيسى عليه السلام أنزل عليه الإنجيل فيه مواضع وترقيقات وقليل من التحليل والتحرير، وهو في الحقيقة كالتَّمَسُّم لشرعية التوراة، فالعمدة هو التوراة، فلماذا قالوا: ﴿أُنزِلَ مِن بَعْدِ مُوسَىٰ مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ من الكتب المنزلة على الأنبياء قبله، ﴿يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ﴾ في الاعتقاد والأخبار ﴿وَأِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ في الأعمال ٣١: ﴿يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ﴾ في هذه الآية دليل على أنه تعالى أرسل محمداً صلى الله عليه وآله وسلم إلى الثقلين: الجن والإنس، ﴿وَأَمَنُوا بِهِ يَغْفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّن عَذَابِ أَلِيمٍ﴾ ويقيكم من عذابه الأليم ٣٢: ﴿وَمَن لَّا يُجِبْ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ﴾ بل قدرة الله شاملة له محيطَةٌ به، ﴿وَلَيْسَ لَهُ مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءُ﴾ لا يجيرهم منه أحدٌ، ﴿أُولَٰئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ وهذا مقام تهديد وترهيب، فدعوا

وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنصَبُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَوْأَ إِلَىٰ قَوْمِهِمْ مُّذَرِّينَ ﴿٢٩﴾ قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِن بَعْدِ مُوسَىٰ مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٣٠﴾ يَقَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَءَامَنُوا بِهِ يَغْفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّن عَذَابِ أَلِيمٍ ﴿٣١﴾ وَمَن لَّا يُجِبْ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُ مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءُ أُولَٰئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٣٢﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَعْزِ بِخَلْقِهِنَّ بِقَدْرِ عَلَىٰ أَن يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ بَلَىٰ إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٣﴾ وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَىٰ وَرَبِّنَا قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣٤﴾ فَأَصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرُونَ مَا يوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍ بَلِغْ لَهُم يَهْلِكُ إِلَّا الْقَوْمَ الْفَاسِقُونَ ﴿٣٥﴾



قومهم بهذا وهذا، فنجع في كثير منهم، وجاءوا إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وفوداً وفوداً ٣٣: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ [الرؤية هنا: العلم] ﴿وَلَمْ يَعْزِ بِخَلْقِهِنَّ﴾ ولم يُكْرَهُ خَلْقَهُنَّ، بل قال لها: كوني فكانت؛ أفليس الله ﴿بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ﴾؟ قال الله تعالى: ﴿بَلَىٰ إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾. ثم قال تعالى مهذداً ومتوعداً من كفر به: ٣٤: ﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ﴾؟ يقال لهم: أما هذا حق؟ أفسح هذا؟ أم أنتم لا تبصرون؟ ﴿قَالُوا بَلَىٰ وَرَبِّنَا﴾ لا يسعهم إلا الاعتراف ﴿قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾. ثم قال تعالى أمراً رسوله صلى الله عليه وآله وسلم بالصر على تكذيب قومهم من قومه: ٣٥: ﴿فَأَصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ﴾ على تكذيب قومهم لهم. وأولوا العزم من الرسل هم: نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد صلى الله عليه وآله وسلم. ﴿وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ﴾ حلول العقوبة بهم. ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرُونَ مَا يوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍ﴾ بل لثوا لبث بلاغ، وأيضاً: هذا القرآن بلاغ. ﴿فَهَلْ يُهْلِكُ إِلَّا الْقَوْمَ الْفَاسِقُونَ﴾؟ لا يهلك على الله إلا هالكاً، وهذا من عدله سبحانه أنه لا يعذب إلا من يستحق العذاب.

الآية: ٢٩: روى محمد بن إسحاق أن رسول الله ﷺ لما عاد من الطائف دعا هذا الدعاء الحسن: «اللهم إليك أشكو ضعف قوتي وقلة حيلتي وهواني على الناس بأرحم الراحمين، أنت أرحم الراحمين وأنت ربُّ المستضعفين، وأنت ربي إلى من تكلي؟ إلى عدو بعيد يصغيهم، أم إلى صديق قريب ملكته أمرى، إن لم يكن بك غضب على فلا أبالي، غير أن عافيتك أوسع لي، أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات، وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة أن ينزل بي غضبك أو يحل بي سخطك، ولك العني حتى ترض، ولا حول ولا قوة إلا بك» فلما انصرف بات بنخلة فقرأ تلك الليلة من القرآن فاستمعه الجن من أهل نصيبين. وهذا صحيح/ابن كثير ج/١٦٣/٤

صلى الله عليه وآله وسلم^(١)

١: ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ الذين كفروا بآيات الله وصدوا غيرهم عن سبيل الله ﴿أَصْلُ أَعْمَالِهِمْ﴾ أبطها وأذهبا ولم يجعل لها ثواباً ٢: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ آمنت قلوبهم وانقادت جوارحهم لشرع الله ﴿وَأَمَنُوا بِمَا نَزَّلَ عَلَى مُحَمَّدٍ﴾ هذا عطف خاص على عام، وهو الحق من ربهم ﴿جملة معترضة حسنة [يريد: أن إيمانهم هو الحق من ربهم] ﴿كَفَرَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ﴾ أمرهم وشأنهم وحالهم ٣: ﴿ذَلِكَ﴾ إنما أبطنا أعمال الكفار ﴿بأن الذين كفروا اتبعوا الباطل﴾ اختاروا الباطل على الحق، ﴿وأن الذين آمنوا﴾ [فكفر سيئاتهم وأصلح بالهم] ﴿اتبعوا الحق من ربهم﴾ [أي: الكافر اتبع الباطل، والمؤمن اتبع الحق] ﴿كذلك يضرب الله للناس أمثالهم﴾ يبين لهم مآل أعمالهم في معادهم ٤: ﴿فَإِذَا لَقِيتُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبِ الرِّقَابِ﴾ يرشد تعالى المؤمنين في حروبهم مع المشركين: أي إذا واجهتموهم فاخضوهم حصداً بالسيوف ﴿حتى إذا أنخستهم﴾ أهلكتهم قتلاً ﴿فشدوا الرزاق﴾ إذا أسرتهم فأنتم مخيرون في أمرهم ﴿فإما مناً بعد﴾ منتم عليهم فأطلقتم أسرارهم مجاناً ﴿وإما فداء﴾ وإن شئتم فاديتهم بمال تأخذونه منهم. وهذه الآية نزلت بعد وقعة بدر، ﴿حتى تضع الحرب

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ أَصْلُ أَعْمَالِهِمْ ١ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَآمَنُوا بِمَا نَزَّلَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ كَفَرَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ ٢ ذَلِكَ بِأَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا اتَّبَعُوا الْبَاطِلَ وَأَنَّ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّبَعُوا الْحَقَّ مِنْ رَبِّهِمْ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَالَهُمْ ٣ فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبِ الرِّقَابِ حَتَّى إِذَا أَنتَحْتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الرِّزْقَ فَمَا مَنَّا بَعْدُ وَإِنَّا فِدَاءٌ حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ذَلِكَ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَنُنَصِّرَهُمْ وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَ بَعْضَكُمْ بِبَعْضٍ وَالَّذِينَ قَبِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ ٤ سَيِّئَاتِهِمْ وَيُصْلِحَ بَالَهُمْ ٥ وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَفَهَا هُمْ ٦ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن نَّصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ٧ وَالَّذِينَ كَفَرُوا فَتَعْسَا لَهُمْ وَأَصْلُ أَعْمَالِهِمْ ٨ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا نَزَّلَ اللَّهُ فَأَحْبَطُ أَعْمَالَهُمْ ٩ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ دَمَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلِلْكَافِرِينَ أَمْثَالُهَا ١٠ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَى لَهُمْ ١١

٥٠٧

أوزارها﴾ حتى لا يبقى مشرك ويكون الدين لله، ﴿ذلك ولو يشاء الله لانتصر منهم﴾ هذا ولو شاء الله لانتقم من الكافرين بعقوبة ونكال من عنده ﴿ولكن ليبلوا بعضكم ببعض﴾ ولكن شرع لكم الجهاد ليختبركم كما قال تعالى: ﴿أم حسبكم أن تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين﴾، ﴿والذين قبلوا في سبيل الله فلن يضل أعمالهم﴾ لن يذهبها بل يضاعفها ٥: ﴿سيديهم﴾ إلى الجنة ﴿ويصلح بالهم﴾ أمرهم وحالهم ٦: ﴿ويدخلهم الجنة عرفها هم﴾ عرفهم بها وهداهم إليها كأنهم سآكتوها ٧: ﴿يا أيها الذين آمنوا إن نصرنا الله ينصركم ويثبت أقدامكم﴾، كما قال تعالى: ﴿ولننصرن الله من ينصره﴾ فإن الجزاء من جنس العمل، ولهذا قال تعالى: ﴿ويثبت أقدامكم﴾ [أي: عند القتال] ٨: ﴿والذين كفروا تعسوا لهم﴾ [التعس: الهلاك والحيلة والشقاء]، ﴿وأصل أعمالهم﴾ أحبطها وأبطها ٩: ﴿ذلك بأنهم كرهوا ما نزل الله﴾ لا يريدونه ولا يحبونه ﴿فأحبط أعمالهم﴾ ١٠: ﴿أفلم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم﴾ يعني المشركين ﴿دمر الله عليهم﴾ عاقبهم بتكذيبهم وكفرهم، ونجى المؤمنين من بين أظهرهم ﴿وللكافرين أمثالها﴾ ١١: ﴿ذلك بأن الله مولى الذين آمنوا وأن الكافرين لا مولى لهم﴾ [أي: الله ناصرهم، والكفار لاناصر لهم].

(١) وتسمى سورة القتال.

الآية: ٤ روى الإمام أحمد والنسائي أنه قبل لرسول الله ﷺ: لا قتال؟ فقال النبي ﷺ: «الآن جاء القتال، لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الناس، يُرْبِعُ اللَّهُ قلوب أقوام فيقاتلونهم، ويرزقهم الله حتى يأتي أمر الله، وهم على ذلك، ألا إن عُقر دار المؤمنين الشام، والحبل معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة.» /ابن كثير ج ٤/ ١٧٣

١٢: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ﴾ يوم القيامة ﴿تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ، وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ بِمَا كَانُوا يَكُونُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ﴾ في دنياهم يتمتعون بها، وليس لهم همة إلا في ذلك، وفي الصحيح: «المؤمن يأكل في معي واحد، والكافر يأكل في سبعة أمعاء»، ثم قال تعالى: ﴿وَالنَّارُ مَشْوَى لَهُمْ﴾ ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ يوم جزائهم ١٣: ﴿وَكَايُنَ مِنْ قَرِيبَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِنْ قَرِيبَتِكَ الَّتِي أَخْرَجْنَاكَ أَهْلَكْنَاهُمْ فَلَا تَأْصِرُ لَهُمْ﴾ ﴿١٤﴾ ﴿أَفَمَنْ كَانَ عَلَى بَيْتَةٍ مِنْ رَبِّهِ كَمَنْ زَيْنَ لَهُ سُوءَ عَمَلِهِ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ﴾؟ ﴿أَفَمَنْ كَانَ عَلَى بَصِيرَةٍ فِي أَمْرِ اللَّهِ وَدِينِهِ بِمَا أَنْزَلَ فِي كِتَابِهِ مِنَ الْهُدَى﴾ [كمن عبد الأصنام] أي: ليس هذا كهذا، كما قال تعالى: ﴿أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ مِنَ رَبِّكَ هُوَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَى﴾؟ ثم قال تعالى: ١٥: ﴿مِثْلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وَعَدَ الْمُتَّقُونَ﴾ ﴿تَعْنِي أَنَّهَا﴾ ﴿فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ﴾ غير متغير ولا متن ﴿وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ﴾ بل في غاية البياض والحلاوة والدسومة ﴿وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ﴾ ليست كربة الطعم والرائحة ﴿وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى﴾ هو في غاية الصفاء وحسن اللون والطعم والريح، ﴿وَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ﴾ كما قال تعالى: ﴿يُذْعَوْنَ فِيهَا بِكُلِّ فَاكِهَةٍ آمْنِينَ﴾، ﴿وَمَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ﴾ مع ذلك كله، ﴿كَمَنْ﴾

إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ بِمَا كَانُوا يَكُونُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَشْوَى لَهُمْ ﴿١٢﴾ وَكَأَيُنَ مِنْ قَرِيبَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِنْ قَرِيبَتِكَ الَّتِي أَخْرَجْنَاكَ أَهْلَكْنَاهُمْ فَلَا تَأْصِرُ لَهُمْ ﴿١٣﴾ أَفَمَنْ كَانَ عَلَى بَيْتَةٍ مِنْ رَبِّهِ كَمَنْ زَيْنَ لَهُ سُوءَ عَمَلِهِ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ ﴿١٤﴾ مِثْلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وَعَدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى وَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ ﴿١٥﴾ وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّى إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِنْدِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مَاذَا قَالَ آنِفًا أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ ﴿١٦﴾ وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَوَسَّعَتْ لَهُمْ نُفُوسَهُمْ ﴿١٧﴾ فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا فَأَنَّى لَهُمْ إِذَا جَاءَهُمْ ذِكْرُهُمْ ﴿١٨﴾ فَاَعْلَمُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرُوا لِذَنبِكُمْ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلِّبِكُمْ وَمُتَوَلِّكُمْ ﴿١٩﴾

هو خالد في النار؟! أهؤلاء الذين ذكرنا منزلتهم من الجنة كمن هو خالد في النار؟ أي: ليس هؤلاء كهؤلاء، ﴿وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ﴾ قطع أحشاءهم ١٦: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّى إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِنْدِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مَاذَا قَالَ آنِفًا﴾ يُخْبِرُ تَعَالَى عَنِ الْمُنَافِقِينَ فِي قَلَّةٍ فَهَمَّهُمْ حَيْثُ كَانُوا يَسْتَمِعُونَ كَلَامَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فَلَا يَفْهَمُونَ مِنْهُ شَيْئًا، فَإِذَا خَرَجُوا مِنْ عِنْدِهِ سَأَلُوا الصَّحَابَةَ عَمَّا قَالَ السَّاعَةَ، وَهُمْ لَا يَكْتَرُونَ لَهُ، قَالَ تَعَالَى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾ ﴿فَلَمْ يُؤْمِنُوا﴾ ﴿وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ﴾ فلا فهم صحيح ولا قصد صحيح، ثم قال تعالى: ١٧: ﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى﴾ والذين قصدوا الهداية وفقهم الله تعالى لها، فهداهم إليها وثبتهم عليها، ﴿وَأَتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ﴾ ألهمهم رشدهم ١٨: ﴿فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً﴾ وهم غافلون عنها ﴿فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا﴾ أماراتها، وقد أخبر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بأماراتها وأشراطها. ﴿فَأَنَّى لَهُمْ إِذَا جَاءَهُمْ ذِكْرُهُمْ﴾ كيف للكافرين بالتذكر إذا جاءتهم القيامة؟ حيث لا ينفعهم ذلك ١٩: ﴿فَاَعْلَمُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾ ﴿أَيُّ: فَاَعْلَمُوا ذَلِكَ يَقِينًا﴾ ﴿وَاسْتَغْفِرُوا لِذَنبِكُمْ﴾ [أي: ليعصمك الله من الذنوب] ﴿وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ (١) [هذا أمرٌ بالشفاعة] ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلِّبِكُمْ وَمُتَوَلِّكُمْ﴾ يعلم تصرفكم في نهاركم ومستقركم في لياليكم.

(١) روى أبو يعلى أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: «عليكم بلا إله إلا الله والاستغفار فأكثروا منهما، فإن إبليس قال أهلكك الناس بالذنوب وأهلكوني بلا إله إلا الله والاستغفار» الحديث.

الآية: ١٥ روى الإمام أحمد عن حكيم بن معاوية عن أبيه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «في الجنة بحر اللبن وبحر الماء وبحر العسل وبحر الخمر، ثم تُشَقُّقُ الْأَنْهَارُ مِنْهَا بَعْدَهُ. وَرَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ فِي صِفَةِ الْجَنَّةِ.»

٢٠: ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ﴾ تَمَنَّوْا شَرْعِيَّةَ الْجِهَادِ ﴿فَإِذَا أَنْزَلَتْ سُورَةٌ مَحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا الْقِتَالُ رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾ شَكَّ وَنَفَاقَ ﴿يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ الْمَغْشِيِّ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ﴾ مِنْ فِرْعَوْنِ وَجَنِّهِ مِنْ لِقَاءِ الْأَعْدَاءِ ﴿وَقَالُوا رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْقِتَالَ؟ لَوْلَا أَخَّرْتَنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ؟ قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِمُتَّقِيٍّ وَلَا تَنْظُرُوا لِلْعَيْبِ﴾، ﴿فَأُولَئِكَ لَهُمْ﴾ [تهديدٌ ووعيدٌ] ٢١: ﴿طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَعْرُوفٌ﴾ الْأَوَّلَى بِهِمْ أَنْ يَسْمَعُوا وَيُطِيعُوا، ﴿فَإِذَا عَزَمَ الْأَمْرُ﴾ جَدَّ الْحَالُ وَحَضَرَ الْقِتَالُ ﴿فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ﴾ أَخْلَصُوا لَهُ النَّيَّةَ ﴿لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ﴾ ٢٢: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ﴾ عَنِ الْجِهَادِ وَنَكَلْتُمْ عَنْهُ ﴿أَنْ تَفْسُدُوا فِي الْأَرْضِ وَتَقَطَّعُوا أَرْحَامَكُمْ؟﴾ تَعُدُّوْا إِلَى مَا كُنْتُمْ فِيهِ مِنَ الْجَاهِلِيَّةِ الْجَهْلَاءِ، تَسْفِكُونَ الدَّمَاءَ وَتَقَطَّعُونَ الْأَرْحَامَ، وَهَذَا قَالَ تَعَالَى: ٢٣: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعَمَّى أَبْصَارَهُمْ﴾ وَهَذَا نَبِيٌّ عَنِ الْإِنْسَانِ فِي الْأَرْضِ عَمُومًا، وَعَنْ قَطْعِ الْأَرْحَامِ مُخْصُوصًا ٢٤: يَقُولُ تَعَالَى أَمْرًا بِتَدْبِيرِ الْقُرْآنِ وَتَفْهَمِهِ وَنَاهِيًا عَنِ الْإِعْرَاضِ عَنْهُ: ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا؟﴾ بَلْ عَلَى قُلُوبٍ [الْكُفْرَ وَالْمُنَاقِقِينَ] أَقْفَالُهَا فِيهِمْ مَطْبَقَةٌ لِإِخْلَاصِ إِلَهِهَا شَيْءٌ مِنْ مَعَانِيهِ. ثُمَّ قَالَ تَعَالَى: ٢٥: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى﴾ فَارْقُوا الْإِيمَانَ وَرَجِعُوا إِلَى الْكُفْرِ

وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ فَإِذَا أَنْزَلَتْ سُورَةٌ مُحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا الْقِتَالُ رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ الْمَغْشِيِّ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَأُولَئِكَ لَهُمْ طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَعْرُوفٌ فَإِذَا عَزَمَ الْأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ ﴿٢١﴾ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تَفْسُدُوا فِي الْأَرْضِ وَتَقَطَّعُوا أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعَمَّى أَبْصَارَهُمْ ﴿٢٣﴾ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴿٢٤﴾ إِنْ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَى لَهُمْ ﴿٢٥﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَا نَزَّلَ اللَّهُ سَنَطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ ﴿٢٦﴾ فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ ﴿٢٧﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ اتَّبَعُوا مَا آسَخَطَ اللَّهُ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ فَاحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ ﴿٢٨﴾ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَنْ لَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ أَضْغَانَهُمْ ﴿٢٩﴾

﴿مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ﴾ زَيَّنَ لَهُمْ ذَلِكَ وَحَسَّنَهُ ﴿وَأَمْلَى لَهُمْ﴾ أَغْرَاهُمْ وَخَدَعَهُمْ ٢٦: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَا نَزَّلَ اللَّهُ سَنَطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ﴾ مَا لَوْوَهُمْ فِي الْبَاطِنِ عَلَى الْبَاطِلِ، وَهَذَا شَأْنُ الْمُنَاقِقِينَ يظهرون خلاف ما يبطنون، ولهذا قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ﴾ مَا يُسْرُونَ وَمَا يَخْفُونَ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَاللَّهُ يَكْتُبُ مَا يُبَيِّنُونَ﴾. ثُمَّ قَالَ تَعَالَى: ٢٧: ﴿فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ؟﴾ كَيْفَ حَالُهُمْ إِذَا جَاءَتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ لِقَبْضِ أَرْوَاحِهِمْ وَتَعَاصَتْ الْأَرْوَاحُ فِي أَجْسَادِهِمْ، وَاسْتَخْرَجَتْهَا الْمَلَائِكَةُ بِالْعَنْفِ وَالْقَهْرِ وَالضَّرْبِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَوْ تَرَى إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ﴾، ﴿وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمْرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيهِمْ﴾ بِالضَّرْبِ ﴿أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمْ الْيَوْمَ تَجْرُونَ عَذَابَ الْحُوتِ بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ﴾ ٢٨: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ اتَّبَعُوا مَا آسَخَطَ اللَّهُ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ فَاحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ﴾ [أَي: مَا عَمَلُوهُ مِنْ صَدَقَةٍ وَصَلَةٍ وَرَحْمٍ وَغَيْرِ ذَلِكَ؛ لِأَنَّهُ لَا يَنْفَعُ شَيْءٌ مَعَ الْكُفْرِ وَالنَّفَاقِ] ٢٩: ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَنْ لَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ أَضْغَانَهُمْ؟﴾ أَيْعْتَدُ الْمُنَاقِقِينَ أَنَّ اللَّهَ لَا يَكْشِفُ أَمْرَهُمْ لِعِبَادَتِهِ الْمُؤْمِنِينَ؟ بَلْ سَيُوضِحُ أَمْرَهُمْ وَيَجْلِيهِ وَيَفْضَحُهُمْ.

الآية: ٢٢ روى الإمام أحمد عن ثوبان رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: «مَنْ سَرَّهُ النَّسَاءُ فِي الْأَجْلِ وَالزِّيَادَةُ فِي الرِّزْقِ فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ»، وَهَذَا شَاهِدٌ فِي الصَّحِيحِ. وَرَوَى أَحْمَدُ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ الرَّحِمَ مَعْلُوقَةٌ بِالْعَرْشِ، وَلَيْسَ الْوَأَسِلُ بِالْمَكَافِءِ، وَلَكِنَّ الْوَأَسِلَ الَّذِي إِذَا قَطَعْتَ رَحِمَهُ وَصَلَهَا» وَرَوَاهُ الْبُخَارِيُّ. وَرَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «الرَّاحِمُونَ يَرْحَمُهُمُ الرَّحْمَنُ، أَرْحَمُوا أَهْلَ الْأَرْضِ يَرْحَمَهُمْ أَهْلُ السَّمَاءِ، وَالرَّحِمُ شَجْعَةٌ مِنَ الرَّحْمَنِ مِنْ وَصَلَهَا وَصَلَتْهُ، وَمَنْ قَطَعَهَا بَتَّهَتْهُ». / ابن كثير ج ٤/ ١٧٩٦

وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكُمْ فَلَعَرَفْتَهُمْ بِسَمِيحِهِمْ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ ﴿٣٥﴾ وَلَتَبْلُوَكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجْتَهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَتَبْلُواْ أَخْبَارَكُمْ ﴿٣٦﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَشَاقُّواْ الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَىٰ لَن يُضْرَبُواْ أَلَّا يَشْعَبُواْ وَسَيَحْطُ أَعْمَالَهُمْ ﴿٣٧﴾ يَتَأَيَّبُواْ الَّذِينَ ءَامَنُواْ أَطِيعُواْ اللَّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَلَا تَبْطُلُواْ أَعْمَالَكُمْ ﴿٣٨﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ مَاتُواْ وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ﴿٣٩﴾ فَلَا تَهْنُواْ وَتَدْعُوا إِلَى السَّلَامِ وَأَنْتُمْ بِالْأَعْلَانِ وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَن يَتَرَكُمْ أَعْمَالَكُمْ ﴿٤٠﴾ إِنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهُوَ إِنْ تَوَمَّنَا وَأَتَقْنَا نُؤْتِكُمْ أَجُورَكُمْ وَلَا يَسْأَلْكُمْ أَمْوَالَكُمْ ﴿٤١﴾ إِنْ سَأَلْتُمُوهُا فَيُحْفِكُمْ تَبْخُلُواْ وَيُخْرِجْ أَضْغَانَكُمْ ﴿٤٢﴾ هَآؤُنَّ هُنَّ ذُلَّةٌ تَدْعُونَ لِنُفِثُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَمِنْكُمْ مَنْ يَبْخُلُ وَمَنْ يَبْخُلْ فَإِنَّمَا يَخِلْ عَن نَّفْسِهِ وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ وَإِن تَتَوَلَّوْاْ يَسْتَبَدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَلَكُمْ ﴿٤٣﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٣٥: ﴿ولو نشاء لأريناكم فلعرفتهم﴾ يسألهم ﴿ولو نشاء يا محمد لأريناك أشخاصهم فعرفتهم عياناً، ولكن لم يفعل تعالى في جميع المناقن سراً منه على خلقه، ﴿ولتعرفقهم في لحن القول﴾ فيما يبدو من كلامهم الدال على مقاصدهم. قال عثمان بن عفان: ما أسر أحد سريرة إلا أبداها الله على صفحات وجهه وفتلات لسانه. ﴿والله يعلم أعمالكم﴾ ٣٦: ﴿ولتبلوكم﴾ لنتخيركم بالأوامر والنواهي ﴿حتى نعلم المجتهدين﴾ [أي: علم شهادة] ﴿منكم والصابرين﴾ [على طاعة الله] ﴿وتبلوا أخباركم﴾ [أي: نظهرها ونختبرها] ٣٧: يُخبر تعالى عمن كفر وصدّ عن سبيل الله وخالف الرسول وشاقه: ﴿إن الذين كفروا وصدّوا عن سبيل الله وشاقوا الرسول﴾ [أي: عادوه وخالفوه] ﴿ومن بعد ما تبين لهم الهدى﴾ وارتدوا عن الإيمان ﴿لن يضروا الله شيئاً﴾ وإنما يضرون أنفسهم ويحسرنها يوم معادهم ﴿وسيحط أعمالهم﴾ يحققها بالكتابة ٣٨: ﴿يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول﴾ أمر تعالى عباده المؤمنين بطاعته وطاعة رسوله التي هي سعادتهم في الدنيا والآخرة، ونهاهم عن الارتداد الذي هو مُبطل للأعمال، ولهذا قال تعالى: ﴿ولا تبطلوا أعمالكم﴾ بالردة، ولهذا قال تعالى بعدها: ٣٩: ﴿إن الذين كفروا وصدّوا عن سبيل الله ثم ماتوا وهم كفار فلن يغفر الله لهم﴾، كما قال تعالى: ﴿إن الله لا يغفر أن يُشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن

يشاء﴾ ٣٥: ﴿فلا تهنوا﴾ لاتضعفوا عن الأعداء ﴿وتدعوا إلى السلم﴾ المهادنة ووضع السلاح بينكم وبين الكفار في حال قوتكم ﴿وانتم الأعلون﴾، فإما إن كان الكفار فيهم قوة ورأى الإمام المهادنة مصلحةً فله ذلك، ﴿والله معكم﴾ فيه بشارة عظيمة بالنصر على الأعداء، ﴿ولن يترك أعمالكم﴾ ولن يحبطها ويبتلها بل يؤفيكم ثوابها ٣٦: ﴿إنما الحياة الدنيا لعبٌ وهو﴾ حاصلها ذلك إلا ما كان منها لله عزّ وجلّ، ولهذا قال تعالى: ﴿وان تؤمنوا وتتقوا يؤتكم أجوركم ولا يسألكم أموالكم﴾ هو غني عنكم لا يطلب منكم شيئاً، وإنما فرض عليكم الصدقات من الأموال موساة لإخوانكم الفقراء ليعود نفع ذلك عليكم ويرجع ثوابه إليكم ٣٧: ﴿إن يسألكم فاحفكهم﴾ [فيجهدكم بطلبها] تبخلوا ﴿ويخرج أضغانكم﴾ في إخراج الأموال إخراج الأضغان، فإن المال محبوب، وألا يُصرف إلا فيما هو أحبّ إلى الشخص منه ٣٨: ﴿هاأنتم هؤلاء تدعون لتنفقوا في سبيل الله فمنكم من يخل﴾ [ومن يخل فإنما يخل عن نفسه]، إنما نقص نفسه من الأجر، ﴿والله الغني﴾ عن كل ما سواه ﴿وانتم الفقراء﴾ بالذات إليه ﴿وان تتولوا﴾ عن طاعته ﴿يستبدل قوماً غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم﴾ يكونون مطيعين له.

الآية: ٣٨ روى مسلم وابن أبي حاتم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: إن رسول الله ﷺ تلا هذه الآية: ﴿وان تتولوا يستبدل قوماً غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم﴾ قالوا: يا رسول الله من هؤلاء الذين إن تولينا استبدل بنا ثم لا يكونوا أمثالنا؟ قال: ففرض بيده على كنف سلمان الفارسي رضي الله عنه ثم قال: «هذا وقومه ولو كان الذين عند التريا لتناول رجال من الفرس».

سُورَةُ الْفَتْحِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

۱ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا **۱** لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ
 وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا **۲**
 وَيَنْصُرَكَ اللَّهُ نَصْرًا عَزِيمًا **۳** هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ
 الْمُؤْمِنِينَ لِيُزَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَوَاتِ
 وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا **۴** لِيَدْخُلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ
 جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَيُكَفِّرُ عَنْهُمْ
 سَيِّئَاتِهِمْ وَكَانَ ذَلِكَ عِنْدَ اللَّهِ فَوْزًا عَظِيمًا **۵** وَيُعَذِّبُ
 الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ الظَّالِمَاتِ
 بِاللَّهِ ظَنِّ السَّوْءِ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ
 وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا **۶** وَلِلَّهِ جُنُودُ
 السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيمًا حَكِيمًا **۷** إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ
 شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا **۸** لِيُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ
 وَيُغْفِرَ لَهُمْ تَوْبَهُمْ وَيَنْصُرَهُمُ بِسِحْوَةِ الْكُفْرَةِ وَأَصِيلًا **۹**

۵۱۱

ما كتبت فيها أبداً **﴿ويُكْفِّرُ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ﴾** خطاياهم فلا يعاقبهم عليها، بل يغفو ويصفح ويرحم **﴿وكان ذلك عند الله فوزاً عظيماً﴾** ٦:
﴿ويُعَذِّبُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ الظَّالِمِينَ بِاللَّهِ ظَنِّ السَّوْءِ﴾ يتهمون الله تعالى في حكمه، ويظنون بالرسول صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه أن يقتلوا ويذهبوا بالكلية، ولهذا قال تعالى: **﴿عليهم دائرة السَّوْءِ وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾**، ثم قال عز وجل مؤكداً لقدرتي على الانتقام من الأعداء، أعداء الإسلام من الكفرة والمنافقين: ٧: **﴿وَاللَّهُ جُنُودُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيمًا حَكِيمًا﴾** ٨: **﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا﴾** على الخلق **﴿ومُبَشِّرًا﴾** للمؤمنين، **﴿ونذِيرًا﴾** للكافرين: ٩: **﴿لِيُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَيُغْفِرَ لَهُمْ تَوْبَهُمْ وَيَنْصُرَهُمُ بِسِحْوَةِ الْكُفْرَةِ وَأَصِيلًا﴾** هو الاحترام والإجلال والإعظام. **﴿وتَسْبِحُوهُ﴾** تُسَبِّحُونَ الله **﴿بِكُرَّةٍ وَأَصِيلًا﴾** أول النهار وآخره.

(١) وقال جابر: (ما كنتُ نَعُدُّ الفَتْحَ إِلَّا يَوْمَ الْحَدِيثِ). وقد جعل الله تعالى الصلحَ فتحاً باعتبار ما فيه من المصلحة، ومآل الأمر إليه.

سورة الفتح: روى البخاري والترمذي والنسائي أن رسول الله ﷺ قال: «نزل علي البارحة سورة هي أحب إلي من الدنيا وما فيها: ﴿إن فتحنا لك فتحاً مبيناً ليغفر الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر﴾».

الآية: ٢ روى الإمام أحمد عن المغيرة بن شعبة يقول: كان النبي ﷺ يُصَلِّي حتى ترم قدماه، فقيل له: أليس قد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ فقال ﷺ: «أفلا أكون عبداً شكوراً؟!». وروى مسلم عن عائشة قالت: كان رسول الله ﷺ إذا صلى قام حتى تنفطر رجلاه، فقالت: يا رسول الله أتضع هذا وقد غفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ فقال ﷺ: «يا عائشة أفلا أكون عبداً شكوراً». /ابن كثير ج ٤/ ١٨٣/

١٠: قال الله عز وجل لرسوله صلى الله عليه وآله وسلم تشریفاً له وتعظيماً وتكريماً: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُسَاءِلُونَكَ إِنَّمَا يُسْأَلُونَكَ عَنِ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ وَإِنَّمَا الْكِتَابُ وَالْحِكْمَةُ بِرِئَاسَةٍ وَسَاءَلُواكَ بِأَسْمَاءِ الْأَنْبِيَاءِ وَإِنَّمَا الْاسْمَاءُ بِأَسْمَاءٍ لَوْ كُنَّا نَعْلَمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ لَآتَيْنَاكَ مِنْ لَدُنَّا مِائَاتَ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ مِمَّا تَسْأَلُونَكَ وَإِنَّمَا تَسْأَلُونَكَ لِتَتَذَكَّرَ إِذَا أَذَى بِكَ عَصِيانُهُمْ فَإِذَا فَذَرْتَهُمْ وَمَا نَحَبُوا إِلَيْكَ إِنَّهُمْ بِغَفْوَةٍ مِمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾^(١)

١١: ﴿سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ الَّذِينَ نَبَذُوا فِيكَ مَوَالِيَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَنَبْتَغِيكَ وَاللَّهُ يَبْتَغِي الدِّينَ وَإِنَّهُ أَلْبَسَكَهُمُ فِي قُلُوبِهِمْ فَأَمَّا قَلْبُكَ فَمِنَ اللَّهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ﴾^(٢)

١٢: ﴿بَلْ ظَنَنْتُمْ أَنْ لَنْ يَنْقَلِبَ الرَّسُولُ وَالْمُؤْمِنُونَ إِلَى أَهْلِيهِمْ أَبَدًا وَزَيَّنَّ فِي قُلُوبِكُمْ وَظَنَنْتُمْ ظَنًّا سَوْءًا وَكُنْتُمْ قَوْمًا بُورًا﴾^(٣)

١٣: ﴿وَمَنْ لَمْ يُؤْمَرْ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَعِيرًا﴾^(٤)

١٤: ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَعْفُرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾^(٥)

١٥: ﴿سَيَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ إِذَا انطَلَقْتُمْ إِلَى مَغَائِمٍ لِتَأْخُذُوا هَذَا وَرَوْنَا نَبِيِّكُمْ يَرِيدُوكَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلِمَ اللَّهِ قُلْ لَنْ تَتَّبِعُونَا كَذَلِكُمْ قَالَكُمُ اللَّهُ مِنْ قَبْلُ فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا بَلْ كَانُوا لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾^(٦)

سُعِدْبِهِ فِي السَّعِيرِ، ﴿فَإِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَعِيرًا﴾ ١٤: بَيَّنَّ تَعَالَى أَنَّهُ الْحَاكِمُ الْمَلِكُ الْمُتَصَرِّفُ فِي أَهْلِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فَقَالَ: ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَعْفُرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ﴾ [هُوَ الْغَنِيُّ عَنِ عِبَادِهِ، وَإِنَّمَا اتَّيَلَّاهُمُ بِالْكَتَابِ لِيَتَّبِعَ مَنْ آمَنَ وَيُعَاقِبَ مَنْ كَفَرَ وَعَصَى] ﴿وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ لَمَّا تَابَ إِلَيْهِ وَأَنَابَ وَخَضَعَ لَدَيْهِ ١٥: ﴿سَيَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ﴾ مِنَ الْأَعْرَابِ الَّذِينَ تَخَلَّفُوا عَنِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فِي عَمْرَةِ الْحُدَيْبِيَّةِ إِذْ ذَهَبَ وَأَصْحَابُهُ إِلَى خَيْبَرَ يَفْتَحُونَهَا أَنَّهُمْ يُسْأَلُونَ أَنْ يَخْرُجُوا مَعَهُمْ إِلَى الْمَعْتَمِرِ، وَقَدْ تَخَلَّفُوا عَنِ وَقْتِ مَحَارِبَةِ الْأَعْدَاءِ، ﴿إِذَا انطَلَقْتُمْ إِلَى مَغَائِمٍ لِتَأْخُذُوا هَذَا وَرَوْنَا نَبِيِّكُمْ﴾ فَأَمَرَ اللَّهُ تَعَالَى رَسُولَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أَنْ لَا يَأْذَنَ لَهُمْ، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى وَعَدَّ أَهْلَ الْحُدَيْبِيَّةِ بِمَغَائِمِ خَيْبَرَ وَحُدْمِهِ لِأَشْرَاقِهِمْ فِيهَا غَيْرَهُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ الْمُتَخَلِّفِينَ، وَهَذَا قَالَ تَعَالَى: ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلِمَ اللَّهِ﴾ وَهُوَ الْوَعْدُ الَّذِي وَعَدَّ بِهِ أَهْلَ الْحُدَيْبِيَّةِ، ﴿قُلْ لَنْ تَتَّبِعُونَا كَذَلِكُمْ قَالَكُمُ اللَّهُ مِنْ قَبْلُ﴾ وَعَدَّ اللَّهُ أَهْلَ الْحُدَيْبِيَّةِ قَبْلَ سُؤَالِكُمْ الْخُرُوجَ مَعَهُمْ ﴿فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا﴾ أَنْ تَشْرِكَكُمْ فِي الْمَغَائِمِ ﴿بَلْ كَانُوا لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ لَيْسَ الْأَمْرُ كَمَا زَعَمُوا وَلَكِنْ لَافَهُمْ هُمْ.

(١) هم أعراب: غفار ومزينة وجبينة وأسلم وأشجع والدليل، وهم الأعراب الذين كانوا حول المدينة؛ تخلفوا عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حين أراد السفر إلى مكة عام الفتح، بعد أن كان استنفرهم ليخرجوا معه حذراً من قريش، وأحرم بمعزوم وساق معه الهدى، يُعَلِّمُ النَّاسَ أَنَّهُ لَا يُرِيدُ حَرْبًا، فَتَنَاقَلُوا عَنْهُ وَاعْتَلَوْا بِالشَّغْلِ، فَزَلَّتْ. / تفسير القرطبي.

الآية: ١٠ روى ابن أبي حاتم عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: ﴿مَنْ سَلَ سِفَةً فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَقَدْ بَايَعَ اللَّهَ﴾.

الآية: ١١ روى البخاري من حديث قتادة ثلث لسعيد بن المسيب: كم كان الذين شهدوا بيعة الرضوان؟ قال: خمس عشرة مائة. / ابن كثير ج ٤/ ١٨٥/

١٦: ﴿قُلْ لِلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ﴾ الذين

تخلّفوا عن الحديبية ﴿سَدْعُونَ إِلَى قَوْمِ أُولَى بِأَسِ شَدِيدٍ﴾ هم بنو حنيفة [قال رافع بن خديج: والله لقد كنّا نقرأ هذه الآية فيما مضى، فلا نعلم من هم حتى دعانا أبو بكر إلى قتال بني حنيفة، فعلمنا أنّهم هم]، ﴿تَقَاتِلُوا نَهْمُ أَوْ يُسَلِّمُونَ﴾ يعني شرع لكم جهادهم، فلا يزال ذلك مستمراً عليهم ولكم النصرة عليهم أو يُسَلِّمُونَ فيدخلون في دينكم بلا قتال، بل باختيار. ﴿فَإِنْ تَطِيعُوا﴾ تستحيوا وتنفروا في الجهاد وتؤدّوا الذي عليكم فيه ﴿يُؤْتِكُمْ اللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا وَإِنْ تَوَلَّوْا كَمَا تَوَلَّيْتُمْ مِنْ قَبْلُ﴾ يعني زمن الحديبية حيث دُعيتُم فتخلّفتُم ﴿يُعَذِّبُكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ ثم ذكر الأعداء في ترك الجهاد، فقال: ١٧: ﴿لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرْجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرْجٌ﴾ [العرج: أفة تعرض لرجل واحدة. أي: لا إثم عليهم في التخلّف عن الجهاد] ﴿وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرْجٌ﴾ الذي يطرأ عليه مرض أياماً ثم يزول، فهو في حال مرضه ملحق بدوي الأعداء اللازمة حتى يبرأ. ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يَدْخُلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَنْ يَتَوَلَّ﴾ ينكّل عن الجهاد ويقبل على المعاش ﴿يُعَذِّبُهُ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ في الدنيا بالندة وفي الآخرة بالنار ١٨: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ﴾ يُخْبِر تعالَى عن رضاه عن المؤمنين الذين بايعوا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بأرض الحديبية تحت الشجرة وكانت سمرّة [وهو نوع من شجر الطلع]، ﴿فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ﴾ من الصدق والوفاء والسمع والطاعة ﴿فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ﴾ وهي الطمأنينة ﴿عَلَيْهِمْ وَأَنْبَأَهُمْ فَتَحًا قَرِيبًا﴾ وهو ما أجرى الله عز وجل على أيديهم من الصلح بينهم وبين أعدائهم وما حصل بذلك من العز والنصر والرفعة في الدنيا والآخرة، وما حصل من فتح خيبر وفتح مكة ثم فتح سائر البلاد، ولهذا قال تعالى: ١٩: ﴿وَمَغَانِمَ كَثِيرًا يَأْخُذُونَهَا وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ ٢٠: ﴿وَعَدَّكُمْ اللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرًا تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَذِهِ وَكَفَّ أَيْدِيَ النَّاسِ عَنْكُمْ لِمَ يُنَالِكُمْ سُوءٌ مِمَّا كَانَ أَعْدَاؤُكُمْ أَضْمَرُوا لَكُمْ مِنَ الْحَارِبِ، ﴿وَلِتَكُونَ آيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ يعتبرون بذلك، فإن الله تعالَى حافظهم وناصرهم على سائر أعدائهم مع قلّة عددهم وليعلموا بصنيع الله هذا بهم أنّه العالم بعواقب الأمور، ﴿وَيَهْدِيكُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا﴾ بسبب انقيادكم لأمره واتباعكم طاعته ٢١: ﴿وَأُخْرَى لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْهَا قَدْ أَحَاطَ اللَّهُ بِهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا﴾ وغنيمة أخرى وفتحاً آخر ومعيناً لم تكونوا تقدرون عليها قد يسرها الله عليكم وأحاط بها لكم، فإنّه تعالَى يرزق المتقين من حيث لا يحسبون ٢٢: ﴿وَلَوْ قَاتَلَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوَلَّوْا الْأَذْيَارَ ثُمَّ لَا يَجِدُونَ لِيَاءً وَلَا نَصِيرًا﴾ هذه بشارة منه تعالَى بأنّه لو ناجزهم المشركون لنصر الله رسولَهُ والمؤمنين عليهم ولا يهزم جيش الكفر فاراً مدبراً لا يجدون ولياً ولا نصيراً؛ لأنّهم يجارّبون الله ٢٣: ﴿سَنَةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ حَلَّتْ مِنْ قَبْلُ﴾ هذه سنة الله وعادته في خلقه، ﴿وَلَنْ تَجِدَ لِسَنَةَ اللَّهِ الَّتِي تَبْدِيلًا﴾ أي: في نصره للمتقين].

الْحَجَّةُ الْمُبَارَكَةُ

بَيِّنَاتُ الْفَتْحِ

قُلْ لِلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ سَدْعُونَ إِلَى قَوْمِ أُولَى بِأَسِ شَدِيدٍ نَفَلْتُونَهُمْ أَوْ يُسَلِّمُونَ فَإِنْ تَطِيعُوا يُؤْتِكُمْ اللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا وَإِنْ تَوَلَّوْا كَمَا تَوَلَّيْتُمْ مِنْ قَبْلُ يُعَذِّبُكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٦﴾ لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرْجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرْجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرْجٌ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يَدْخُلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَنْ يَتَوَلَّ يُعَذِّبُهُ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٧﴾ لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَنْبَأَهُمْ فَتَحًا قَرِيبًا ﴿١٨﴾ وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٩﴾ وَعَدَّكُمْ اللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَذِهِ وَكَفَّ أَيْدِيَ النَّاسِ عَنْكُمْ وَلِتَكُونَ آيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ وَيَهْدِيكُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا ﴿٢٠﴾ وَأُخْرَى لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْهَا قَدْ أَحَاطَ اللَّهُ بِهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا ﴿٢١﴾ وَلَوْ قَاتَلَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوَلَّوْا الْأَذْيَارَ ثُمَّ لَا يَجِدُونَ لِيَاءً وَلَا نَصِيرًا ﴿٢٢﴾ سَنَةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ حَلَّتْ مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسَنَةَ اللَّهِ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾

١٨: روى ابن أبي حاتم عن إياس بن سلمة عن أبيه قال: بينا نحن قائلون إذ نادى منادي رسول الله ﷺ: أيها الناس! البيّنة البيّنة، نزل روح القدس، قال فرنا إلى رسول الله ﷺ وهو تحت شجرة سمرّة، فبايعناه، فذلك قول الله: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ﴾ قال: فبايع رسول الله ﷺ لعنان بن عفان بإحدى يديه على الأخرى.

الآية: ١٨ روى ابن أبي حاتم عن إياس بن سلمة عن أبيه قال: بينا نحن قائلون إذ نادى منادي رسول الله ﷺ: أيها الناس! البيّنة البيّنة، نزل روح القدس، قال فرنا إلى رسول الله ﷺ وهو تحت شجرة سمرّة، فبايعناه، فذلك قول الله: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ﴾ قال: فبايع رسول الله ﷺ لعنان بن عفان بإحدى يديه على الأخرى.

وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنْ
بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ ﴿٢٤﴾ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٢٥﴾ هُمُ
الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَالْهَدْيِ
مَعْكُوفًا أَنْ يَبْلُغَ حِمْلَهُ وَلَوْلَا رِجَالٌ مُؤْمِنُونَ وَنِسَاءٌ مُؤْمِنَاتٌ
لَرَعَتْنَهُمْ أَنْ تَطُوهُمْ فَتَضَيَّبَكُمْ مِنْهُمْ مَعْرَةً بغيرِ عِلْمٍ
لِيَدْخُلَ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ لَوْ تَزَيَّلُوا لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ
كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٢٥﴾ إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا
فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ
عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى
وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴿٢٦﴾
لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ آيَاتٍ بِالْحَقِّ لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ
الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ
لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ
فَتْحًا قَرِيبًا ﴿٢٧﴾ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ
الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴿٢٨﴾

٢٤: ﴿وهو الذي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ
وأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنْ بَعْدِ أَنْ
أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ﴾ هذا امتنانٌ من الله تعالى على
عباده المؤمنين حين كَفَّ أَيْدِيِ الْمُشْرِكِينَ
عَنْهُمْ فلم يَصَلُّوا إِلَيْهِمْ بِسُوءٍ، وَكَفَّ أَيْدِيِ
الْمُؤْمِنِينَ عَنِ الْمُشْرِكِينَ فلم يَقَاتِلُوهُمْ عند
المسجد الحرام بل صانَ كَلَامًا مِنَ الْفَرِيقَيْنِ،
وَأوجد بينهم صلحاً فيه خيرة للمؤمنين وعافية
في الدنيا والآخرة، ﴿وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ
بَصِيرًا﴾ ٢٥: ﴿هُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ مشركو
قريش وَمَنْ مَالَاهُمْ ﴿وَصَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ
الْحَرَامِ﴾ وَأَنْتُمْ أَحَقُّ بِهِ وَأَنْتُمْ أَهْلُهُ فِي نَفْسِ
الْأَمْرِ، ﴿وَالْهَدْيِ مَعْكُوفًا أَنْ يَبْلُغَ حِمْلَهُ﴾
وَصَدُّوا الْهَدْيَ أَنْ يَصِلَ إِلَى حِمْلِهِ، وَهَذَا مِنْ
بَغْيِهِمْ وَعِنَادِهِمْ، وَكَانَ الْهَدْيُ سَبْعِينَ بَدَنَةً.
﴿وَلَوْلَا رِجَالٌ مُؤْمِنُونَ وَنِسَاءٌ مُؤْمِنَاتٌ﴾
بَيْنَ أَظْهَرِهِمْ مِمَّنْ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ مِنْهُمْ خِيفَةَ عَلَى
أَنْفُسِهِمْ مِنْ قَوْمِهِمْ لَكُنَّا سُلْطَانَكُمْ عَلَيْهِمْ فَأَبْذَمَ
خَضِرَاءُ هُمْ وَلَكِنْ بَيْنَ أَنْفُسِهِمْ مُؤْمِنُونَ
وَمُؤْمِنَاتٌ لَانَعْرِفُوهُنَّ حَالَةَ الْقِتَالِ، وَهَذَا قَالَ
تعالى: ﴿لَمْ تَعْلَمُوهُمْ أَنْ تَطُوهُمْ فَتَضَيَّبَكُمْ
مِنْهُمْ مَعْرَةً﴾ أَيَّمْ وَغَرَامَةً ﴿بغيرِ عِلْمٍ لِيَدْخُلَ
اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ﴾ لِيَخْلَصَ مِنْ بَيْنِ
أَظْهَرِهِمُ الْمُؤْمِنِينَ وَلِيَرْجِعَ كَثِيرٌ مِنْهُمْ إِلَى
الْإِسْلَامِ، ﴿لَوْ تَزَيَّلُوا﴾ لَوْ تَمَيَّزَ الْكُفْرَانُ مِنْ
الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ بَيْنَ أَظْهَرِهِمْ ﴿لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ
كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ لَسُلْطَانًا كَمَ عَلَيْهِمُ
فَلَقَتْنَهُمْ قِتْلًا ذَرِيعًا ٢٦: ﴿إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ
كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ﴾

وذلك حين أبوا أن يكتبوا ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ [في أول صفحة الوثيقة] وأبو أن يكتبوا: هذا ما قضى عليه محمد رسول الله، [وكتبوا: محمد بن عبد الله]، ﴿فأنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين﴾ الطمأنينة ﴿وألزمهم كلمة التقوى﴾ وهي كلمة لا إله إلا الله محمد رسول الله ﴿وكانوا أحقَّ بها وأهلها﴾ واستكر المشركون عنها، ﴿وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾ هو عليم بمن يستحق الخير ممن يستحق الشر ٢٧: ﴿لقد صدق الله رسوله الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ﴾ كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قد رأى في المنام أنه دخل مكة وطاف بالبيت، فلما وقع ما وقع من قضية الصلح، وكان عليه الصلاة والسلام أخبر أصحابه بذلك، حتى سأل عمر رسول الله فقال: أفلم تخبرنا أننا سنأتي البيت ونطوف به؟ قال: «بلى، أفأخبرتك أنك تأتيه عامك هذا؟ قال: لا، قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: ﴿فإنك آتية ومطوف به﴾، ﴿لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ﴾ هذا لتحقيق الخبر وتوكيده [وقد شاء] ﴿آمين﴾ في حال دخولكم ﴿محلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ﴾ [أي: لتتحلَّل من العُمرة والحج] ﴿لَا تَخَافُونَ﴾ من أحد في حال استقرارهم في البلد الأمين. ﴿فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا﴾ من المصلحة في صرفكم عن مكة عام الحديبية ﴿فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ وهو الصلح ٢٨: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ﴾ بالعلم النافع والعمل الصالح [والتعقيد الصحيحة] ﴿لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾ على جميع الأديان من سائر أهل الأرض ﴿وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾ أنه رسولُهُ وَهُوَ نَاصِرُهُ سَبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

٢٩: يُخبر تعالى عن محمد صلى الله عليه وآله وسلم أنه رسوله حقاً بلا شك فقال تعالى: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ﴾ هذا مبتدأ وخبر وهو مشتمل على كلِّ وصفٍ جميل، ثم نثى بالثناء على أصحابه فقال: ﴿وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشْدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ هذه صفة المؤمنين أن يكون أحدهم شديداً على الكفار رحماً بالأخيار، ﴿تَرَاهُمْ رُكَّعاً سُجَّداً يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَاناً﴾ وصفهم بكثرة العمل وكثرة الصلاة وهي خير الأعمال، ووصفهم بالإخلاص فيها لله عزَّ وجلَّ. ﴿سَيَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ﴾ يعني السمت الحسن والخشوع والتواضع ﴿ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ﴾ فَرَأَخَهُ ﴿فَأَرْزَرَهُ﴾ شَدَّهُ ﴿فَاسْتَعْظَمَ﴾ شَبَّ وَطَالَ ﴿فَاسْتَوَى عَلَى سُوْقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ﴾ [فالزرع محمد، والشطء أصحابه] وكذلك أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم آزره وأيدوه ونصروه، فهم معه كالشطء مع الزرع. ﴿لِيُعْظِيبَهُمُ الْكُفَّارُ﴾ [أي: فعل الله هذا ل محمد صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه ليُعْظِيبَهُمُ الْكُفَّارَ] ومن هذه الآية انتزع الإمام مالك تكفير الذين يُعْضُونَ الصَّحَابَةَ رضي الله عنهم؛ لأنهم يغيظونهم، ومن غاظه الصحابة فهو كافر هذه الآية، وواقفه طائفة من العلماء. ﴿وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ﴾ من هذه لبيان الجنس ﴿مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيماً﴾ ثواباً جزيلاً ورزقاً كريماً، ووعَدَ اللهُ حَقًّا وَصَدَقَ لَا يُخْلَفُ وَلَا يَبْدُلُ.

﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشْدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعاً سُجَّداً يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَاناً سَيَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَتَازَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوْقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيُعْظِيبَهُمُ الْكُفَّارَ وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيماً﴾ (٢٩)

سُورَةُ الْحَجَرَاتِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْدُمُوا بَيْنَ يَدَيْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٢﴾ إِنَّ الَّذِينَ يَغْضُونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٣﴾ إِنَّ الَّذِينَ ينادونك من وراء الحجرات أكثرهم لا يعقلون ﴿٤﴾

تفسير سورة الحجرات

١: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْدُمُوا بَيْنَ يَدَيْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ هذه آدابٌ أدب بها الله تعالى المؤمنين فيما يُعَابِلُون به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من التوقير والاحترام والتبجيل والإعظام؛ أي: لا تسرعوا في الأشياء بين يديه قبله، بل كونوا تبعاً له في جميع الأمور، حتى يدخل في عموم هذا الأدب الشرعي حديث معاذ حيث قال له النبي صلى الله عليه وآله وسلم حين بعثه إلى اليمن: «بِم تحمك؟» قال: بكتاب الله، قال: «فإن لم تجد؟» قال: بسنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، قال: «فإن لم تجد؟» قال: أجتهد رأيي، فضرب في صدره وقال: «الحمد لله الذي وفق رسول رسول الله لما يرضي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم». رواه أحمد وأبو داود وابن ماجه. ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ فيما أمركم به ﴿إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ بنبأتكم ٢: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ﴾ هذا أدب ثانٍ أن لا يرفع المؤمنون أصواتهم بين يدي النبي صلى الله عليه وآله وسلم فوق صوته. ﴿وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ إنما نهيناكم عن رفع الصوت عنده خشية أن يغضب من ذلك، فيغضب الله لغضبه فيحبط عمل من أغضبه وهو لا يدري ٣: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَغْضُونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى﴾ أخلصها لها وجعلها أهلاً ومغلاً، ﴿لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ ٤: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ينادونك من وراء الحجرات أكثرهم لا يعقلون﴾ ذم الله تعالى الذين ينادونه صلى الله عليه وآله وسلم من وراء بيوت نساء كما يصنع أجلاف الأعراب، وقال: ﴿أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾.

٥: ثم أرشدكم تعالَى إلى الأدب في ذلك فقال: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّى تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ﴾ لكان لهم في ذلك الخيرة والمصلحة في الدنيا والآخرة، ﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ ٦: بأمر تعالَى بالثبوت في خير الفاسق ليحاط له فلا يحكم بقوله فيكون في نفس الأمر كاذباً أو مخطئاً، وقد نهى الله عزَّ وجلَّ عن اتباع سبيل المفسدين ﴿بِأَيِّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبِيٍّ فَبَيِّنُوا أَن تُصَيِّرُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصَيِّرُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾ ٧: ﴿وَاعْلَمُوا أَن فِيكُمْ رَسُولٌ مِنَ اللَّهِ﴾ فظنُّوه وقرُّوه وتأذُّوا معه وانقادوا لأمره فإنه أعلم بمصالحكم وأشفق عليكم منكم ورأى فيكم أتمَّ من رأيكم لأنفسكم، ﴿لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأُمْرِ لَعَسَ لَكُمْ أَنْ تُعَذَّبُوا بِمَا تَعَصَوْنَ مِنَ اللَّهِ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْأُمْرِ لَعَسَ لَكُم مِّنَ اللَّهِ فَضْلًا وَإِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ ٨: وإن طأفنا من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فإن بغت إحداهما على الأخرى فقتلوا التي تبغى حتى تفيء إلى أمر الله فإن فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا إن الله يحبُّ المقسطين ﴿٩﴾ إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم واتقوا الله لعلكم ترحمون ﴿١٠﴾ يتأبى الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيراً منهم ولا نساء من نساء عسى أن يكن خيراً منهن ولا تلمزوا أنفسكم ولا تنابزوا بالألقاب بئس الاسم الفسوق بعد الإيمان ومن لم يَبْ فاولئك هم الظالمون ﴿١١﴾

﴿وإن طائفان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما﴾ فسماهم مؤمنين مع الاقتال، وبهذا استدلال البخاري وغيره على أنه لا يخرج عن الإيمان بالمعصية وإن عظمت، لا كما يقوله الخوارج ومن تابعهم من المعتزلة ونحوهم. ﴿فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغى حتى تفيء إلى أمر الله﴾ حتى ترجع إلى أمر الله ورسوله وتسمع للحق وتطيعه، ﴿فإن فاءت﴾ أي: رجعت إلى الحق ﴿فأصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا﴾ اعيلوا بينهما فيما أصاب بعضهما لبعض بالقيسط وهو العدل، ﴿إن الله يحبُّ المقسطين﴾ ١٠: ﴿إنما المؤمنون إخوة﴾ الجميع إخوة في الدين وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «المسلم أخو المسلم لا يظلمه» والحديث في الصحيح، ﴿فأصلحوا بين أخويكم﴾ المتكلمين ﴿واتقوا الله﴾ في جميع أموركم ﴿لعلكم ترحمون﴾ وهذا تحقيق للرحمة منه تعالَى لمن اتقاه ١١: ﴿بأيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيراً منهم﴾ ينهى الله تعالَى عن السخرية بالناس، وهو احتقارهم والاستهزاء بهم، وهذا حرام، فإنه قد يكون المُحتقَر أعظمَ قدرًا عند الله تعالَى وأحبَّ إليه من السائر منه المحتقر له، ﴿ولا نساء من نساء عسى أن يكن خيراً منهن﴾ فنصَّ على نهي الرجال وعطف نهي النساء، ﴿ولا تلمزوا أنفسكم﴾ لا تلمزوا الناس، ﴿واللمز: العيب﴾ ﴿ولا تنابزوا بالألقاب﴾ لا تنداغوا بالألقاب التي يسوء الشخص سماعها، ﴿بئس الاسم الفسوق﴾ بئس الصفة التنابز بالألقاب ﴿بعد الإيمان﴾ أي: بعد إسلامه وتوبته ﴿ومن لم يَبْ فاولئك هم الظالمون﴾.

= يريدون غرة رسول الله ﷺ فدعا عليهم، فأخذوا، قال عفان: فمقا عنهم، ونزلت هذه الآية: ﴿وهو الذي كف أيديهم عنكم وأيديكم عنهم ببطن مكة من بعد أن أظفركم عليهم﴾. ابن كثير ج ٤/١٩٢

الآية: ٩: روى الإمام أحمد عن ابن عباس عن النبي ﷺ قال: «إن الهدى والصلاح والسلم والافتقار جزء من خمسة وعشرين جزءاً من النبوة»، ورواه أبو داود.

١٢: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ﴾ بنهى تعالى المؤمنين عن التهمة والتخون للأهل والأقارب والناس ﴿إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ﴾ فيجتنب كثير منه احتياطاً، قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ﴿يَا أَيُّهَا الظَّنُّ فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الْحَدِيثِ﴾، ﴿وَلَا تَجَسَّسُوا﴾ على بعضكم بعضاً، والتجسس في الشر والتجسس في الخير، قال يعقوب لبيسي: ﴿أَذْهَبُوا فَحَسَّسُوا مِّن يُّوسُفَ﴾، ﴿وَلَا يَغْتَبِ بَعْضُكُم بَعْضًا﴾ بنهى تعالى عن الغيبة، وقد فسرها صلى الله عليه وآله وسلم في الحديث الذي رواه أبو داود: ﴿ذَكَرْتُ أَحَاكُ مَا يَكْرَهُ﴾، ﴿أَيُّجِبُ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا؟﴾ هذا للتحريم الشديد شبهها ببارك وتعالى يأكل الإنسان اللحم من الميت، ﴿فَكَرِهْتُمُوهُ﴾ كما تكرهون هذا طبعاً فاكروهوا ذلك شرعاً، فإن عقوبته أشد من هذا. ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ فبا أمركم به ونهاكم عنه، فراقبوه واخشوه، ﴿إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ﴾ على من تاب ﴿رحيم﴾ من رجع إليه واعتمد عليه

١٣: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَرَمَّا آدَمَ وَحَوَّاءَ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَيَهُدَىٰ مِنَ الْقَبَائِلِ﴾ ﴿وقبائل﴾ [وهي أكبر من العشائر] ﴿لتعارفوا﴾ إن أكرمكم عند الله اتقاكم ﴿فجميع الناس من آدم وحواء سواء في الشرف، وإنما يتفاضلون في طاعة الله ومتابعة رسوله صلى الله عليه وآله وسلم﴾ ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ ١٤: ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ﴾ [وهم من بني أسد بن خزيمه قدموا على رسول

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبِ بَعْضُكُم بَعْضًا أَيُّجِبُ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴿١٣﴾ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٤﴾ قَالَتِ الْأَعْرَابُ ءَأَمَّنَّا قُلُوبًا لَمْ تَكُنْ تَدْرِي بِهَا شَيْئًا قَالَتْ أَتَقْتُونَ اللَّهَ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٥﴾ قُلْ أَعْمَلُمُونَ اللَّهُ بِدِينِكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٦﴾ يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَمَكُم بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٧﴾ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾

الله صلى الله عليه وآله وسلم في سنة جذب] ادعوا لأنفسهم الإيمان ولم يتمكن الإيمان في قلوبهم بعد قالوا: ﴿أمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الإيمان في قلوبكم﴾ لأنهم أظهروا الشهادتين ولم يكونوا مؤمنين في السرّ ﴿ولكن قولوا أسلمنا﴾ استسلمنا خوف القتل والسبي ﴿ولما يدخل الإيمان في قلوبكم﴾ لم تصلوا إلى حقيقة الإيمان بعد، ثم قال تعالى: ﴿وإن تطيعوا الله ورسوله لا يلتيكم من أعمالكم شيئاً﴾ [فإن تخلصوا الإيمان] لا ينقصكم من أجوركم شيئاً، ﴿إن الله غفور رحيم﴾ لمن تاب إليه وأتاب ١٥: ﴿إنما المؤمنون الكمل﴾ الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا، لم يشكوا، بل تبثوا على الصديق [وحققوا ذلك بالجهد والعمل الصالح] ولهذا قال سبحانه: ﴿وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله﴾ بذلوا أموالهم ومهجهم في طاعة الله ورضوانه ﴿وأولئك هم الصادقون﴾ في قولهم إنهم مؤمنون ١٦: ﴿قل أعملون الله بدينكم﴾ أخبرونه بما في ضائرهم ﴿والله يعلم ما في السموات وما في الأرض﴾ لا يخفى عليه مقال ذرة في الأرض ولا في السماء ﴿والله بكل شيء عليم﴾، ثم قال تعالى: ١٧: ﴿يؤمنون عليك أن أسلموا﴾؟! يعني الأعراب الذين يمتنون بإسلامهم، فرد الله تعالى عليهم: ﴿قل لا تمثوا علي إسلامكم﴾ فإن نفع ذلك إنما يعود عليكم والله المنة عليكم فيه؛ ﴿بل الله ين عليكم أن هذا ك للإيمان إن كنتم صادقين﴾ في دعواكم ذلك، روى البراز عن ابن عباس قال: جاءت بنو أسد إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقالوا: يا رسول الله أسلمنا وقاتلتك العرب ولم تقاتلك فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ﴿إن فقههم قليل، وإن الشيطان ينطق على ألسنتهم﴾، ونزلت هذه الآية.

= فالصحابة رضي الله عنهم خلصت نياتهم وحسنت أعمالهم، فكل من نظر إليهم أعجبوه في سنتهم وهدبهم. وقال مالك رضي الله عنه: بلغني أن النصارى كانوا إذا رأوا الصحابة رضي الله عنهم الذين فتحوا الشام يقولون: والله هؤلاء خير من الحواريين فيما بلغنا. وصدقوا في ذلك، فإن هذه الأمة معظمة في الكتب المتقدمة، وأعظمها وأفضلها أصحاب رسول الله ﷺ، وقد نوه =

١: ﴿ق﴾ قد أسلفنا الكلام على هذه الحروف في أول سورة البقرة ﴿والقرآن المجيد﴾ [الواو هي واو القسم، والإقسام بالقرآن فيه تبيين على شرف قدره وعلو محلّه] ﴿المجيد﴾ الكرم العظيم الذي ﴿لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلقه تنزيل من حكيم حميد﴾ ومضمون الكلام بعد القسم إثبات النبوة وإثبات المعاد وتقريره وتحقيقه ٢: ﴿بل عجبوا أن جاءهم منذر منهم﴾ تعجبوا من إرسال رسول إليهم من البشر ﴿فقال الكافرون هذا شيء عجيب﴾ وهذا ليس بعجيب، فإن الله تعالى يصطفي من الملائكة رسلاً ومن الناس ٣: ﴿أفئذ امتننا وكننا تراباً﴾ ذلك رجوع بعيد يقولون هذا لاستبعادهم لوقوعه أي: كيف يمكن الرجوع بعد أن بليتنا وصرنا تراباً؟! قال الله تعالى ردّاً عليهم: ٤: ﴿قد علمنا ما تنقص الأرض﴾ ما تأكل من أجسادهم في البلى، نعلم ذلك ولا يخفى علينا أين تفرقت الأبدان وأين ذهبت وإلى أين صارت ﴿وعندنا كتاب حفيظ﴾ حافظ لذلك ٥: ﴿بل كذبوا بالحق لما جاءهم فهم في أمر مريج﴾ وهذا حال كل من خرج عن الحق، مهما قال بعد ذلك فهو باطل، والمرج: المضطرب الملتبس المنكر ٦: ﴿أفلم ينظروا إلى السماء فوقهم كيف بيناها وزيناها﴾ بالمصابيح ﴿ومالها من فروج﴾ يعني من شقوق وفتوح؛ تبه تعالى على قدرته العظيمة التي أظهر بها ما هو أعظم مما تعجبوا



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

ق وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ ﴿١﴾ بَلْ عَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ فَقَالَ الْكَاْفِرُونَ هَذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ ﴿٢﴾ أَمْ دَامْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ذَلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ ﴿٣﴾ قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنْقُصُ الْأَرْضُ مِنْهُمْ وَعِنْدَنَا كَنْزٌ حَفِيفٌ ﴿٤﴾ بَلْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَهُمْ فِي أَمْرٍ مَرِيجٍ ﴿٥﴾ أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ ﴿٦﴾ وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴿٧﴾ تَبَصَّرَةٌ وَذَكَرَى لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ ﴿٨﴾ وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبْرَكًا فَأَنْبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ ﴿٩﴾ وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَهَا طَلْعٌ نَضِيدٌ ﴿١٠﴾ رِزْقًا لِلْعِبَادِ وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا كَذَلِكَ الْخُرُوجُ ﴿١١﴾ كَذَبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَابُ الرَّسِّ وَثَمُودُ ﴿١٢﴾ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ وَإِخْوَانُ لُوطٍ ﴿١٣﴾ وَأَصْحَابُ الْأَيْكَةِ وَقَوْمُ تُبَّعٍ كُلٌّ كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ ﴿١٤﴾ أَفَعَيْنَا بِالْحَلْقِ الْأَوَّلِ بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٥﴾

مستبعدين لوقوعه ٧: ﴿والأرض مددناها﴾ وسعناها ﴿والقينا فيها رواسي﴾ وهي الجبال لئلا تملأ بأهلها ﴿وأنبتنا فيها من كل زوج بهيج﴾ من جميع الزروع والثمار والنبات، ﴿بهيج﴾ حسن المنظر ٨: ﴿تبصرة وذكرى لكل عبد منيب﴾ دلالة وذكرى لكل عبد خاضع رجاع إلى الله عز وجل ٩: ﴿ونزلنا من السماء ماءً مباركاً﴾ نافعاً ﴿فأنبتنا به جئات﴾ حدائق وبساتين ونحوها ﴿وحبّ الحصيد﴾ وهو الحبّ الذي يراود ادخاره ١٠: ﴿والنخل باسقات﴾ طوال شاهقات ﴿لها طلع نضيد﴾ مترابك قد نضد بعضه على بعض [بعض] ١١: ﴿رزقاً للعباد﴾ للخلق ﴿وأحيينا به بلدة ميتاً﴾ وهي الأرض التي كانت هامدة فأنزلنا عليها الماء اهتزت وأنبتت من كل زوج بهيج ﴿كذلك الخروج﴾ هذا مثال للبعث بعد الموت؛ كذلك يحيي الله الموتى ١٢: ﴿كذبت قبلهم قوم نوح﴾ يقول تعالى منهذداً لكفار قريش بما أحله بأشياهم من المكذبين قبلهم من النعمات، ﴿وأصحاب الرسّ وثمود﴾ ﴿وعاد وفرعون وإخوان لوط﴾ ١٤: ﴿وأصحاب الأيكة وقوم تبع﴾ كل كذب الرسل فحق وعيد ﴿فحق عليهم ما وعدهم الله تعالى على التكذيب من العذاب والنكال، فليحذر المخاطبون أن يصيبهم ما أصابهم فإنهم قد كذبوا رسولهم كما كذب أولئك ١٥: ﴿أفعمينا بالخلق الأول﴾؟ أفأعجزنا ابتداء الخلق حتى هم في شك من الإعادة؟ ﴿بل هم في لبس من خلق جديد﴾ والمعنى أن ابتداء الخلق لم يعجزنا والإعادة أسهل منه.

(١) هذه السورة هي أول سور الفصل، وقيل من سورة الحجرات.

= الله تبارك وتعالى بذكرهم في الكتب المنزلة والأخبار المتداولة، ولهذا قال سبحانه وتعالى: ﴿ذلك مثلهم في التوراة﴾ ثم قال: ﴿ومثلهم في الإنجيل﴾. ابن كثير ج ٤/١٢٠٤
سورة ق روى الإمام أحمد ومسلم عن أم هشام بنت حارثة قالت: لقد كان ثورنا وتور النبي ﷺ واحداً سنتين أو سنة وبعض سنة، ومأخذت ﴿ق﴾ والقرآن المجيد، إلا على لسان رسول =

١٦: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسَّوِسُ بِهِ نَفْسُهُ﴾ يُخبر تعالى عن قدرته وعلمه المحيط بجميع أمور الإنسان، حتى إنه تعالى يعلم ماتوسوس به نفس بني آدم من الخير والشر. وفي الصحيح: «إن الله تعالى تجاوز لأمتي ما حدثت به أنفسها ما لم تقل أو تعمل»، ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾ يعني ملائكته تعالى أقرب إلى الإنسان من حبل وريده، كما قال تعالى في المختصر: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَلَكِنْ لَا تُبْصِرُونَ﴾ يعني ملائكته ١٧: ﴿إِذْ يَتَلَقَى الْمُتَلَقِيَانِ﴾ يعني الملكين اللذين يكتبان عمل الإنسان ﴿عَنِ اليمينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ﴾ مترصد ١٨: ﴿مَا يَلْفِظُ﴾ ابن آدم. ﴿مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ إلا ولها من يرقبها مُعدٌّ لذلك يكتبها لا يترك كلمة ولا حركة ١٩: ﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ﴾ كشفت لك عن اليقين الذي كنت تترى فيه ﴿ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ﴾ هذا الذي كنت تفر منه قد جاءك فلانمُحيدٌ ولا متناصٍ ولا خلاص، وقد نزل بساحتك ٢٠: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ﴾ ذلك يوم الوعيد ﴿يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ ٢١: ﴿وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ﴾ سائق يسوقها إلى الله تعالى وشاهد يشهد عليها بما عملت ٢٢: ﴿لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾ قوي لأن كل أحد يوم القيامة يكون مستبصراً ٢٣: ﴿وَقَالَ قَرِينُهُ﴾ الملك الموكل بعمل ابن آدم ﴿هَذَا مَا لَدَى عَتِيدٍ﴾ محضر

وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسَّوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ﴿١٦﴾ إِذْ يَتَلَقَى الْمُتَلَقِيَانِ عَنِ اليمينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴿١٧﴾ مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾ وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ ﴿١٩﴾ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ ذَلِكَ يَوْمَ الْوَعِيدِ ﴿٢٠﴾ وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ ﴿٢١﴾ لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ ﴿٢٢﴾ وَقَالَ قَرِينُهُ هَذَا مَا لَدَى عَتِيدٍ ﴿٢٣﴾ الْقِيَامَ فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَتِيدٍ ﴿٢٤﴾ مَتَاعٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ مُرِيبٍ ﴿٢٥﴾ الَّذِي جَعَلَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَأَلْقِيَاهُ فِي الْعَذَابِ الشَّدِيدِ ﴿٢٦﴾ قَالَ قَرِينُهُ رَبَّنَا مَا أَطْعَمْتَهُ وَلَا لَكِنْ كَانَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ ﴿٢٧﴾ قَالَ لَا تَخْضَعُوا لِدَيْ وَقد قَدَّمْتُ إِلَيْكُمْ بِالْوَعِيدِ ﴿٢٨﴾ مَا يُبَدِّلُ الْقَوْلَ لَدَى وَمَا أَنَا بِظَلَمٍ لَعِيدٍ ﴿٢٩﴾ يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأَتْ وَنَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ ﴿٣٠﴾ وَأُزْلِفَتْ الْجَنَّةُ لِلْمُنْفِقِينَ غَيْرِ بَعِيدٍ ﴿٣١﴾ هَذَا مَا تُوَعَّدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيفٍ ﴿٣٢﴾ مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ الْغَيْبَ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ ﴿٣٣﴾ ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُلُودِ ﴿٣٤﴾ لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴿٣٥﴾

بلا زيادة ولا نقصان ٢٤: ﴿الْقِيَامَ فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَتِيدٍ﴾ الخطاب إلى السائق والشهيد، أمرها الله تعالى بالقائه في نار جهنم، ﴿كُلَّ كَفَّارٍ﴾ كثير التكذيب ﴿عَتِيدٍ﴾ معاند للحق معارض له بالباطل ٢٥: ﴿مَتَاعٍ لِلْخَيْرِ﴾ لا يؤدي ما عليه من الحقوق ولا يبر فيه ولا صلة ولا صدقة ﴿مُعْتَدٍ﴾ متجاوز للحد ﴿مُرِيبٍ﴾ شاك لمن نظر في أمره ٢٦: ﴿الَّذِي جَعَلَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ﴾ أشرك بالله فعبد معه غيره ﴿فَأَلْقِيَاهُ فِي الْعَذَابِ الشَّدِيدِ﴾ ٢٧: ﴿قَالَ قَرِينُهُ﴾ الشيطان ﴿رَبَّنَا مَا أَطْعَمْتَهُ﴾ ما أسلته؛ يتبرأ منه شيطانه، ﴿وَلَكِنْ كَانَ﴾ هو في نفسه ﴿فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ﴾ قابل للباطل معاند للحق ٢٨: ﴿قَالَ لِاتَخَضَعُوا لِدَيْ وَقد قَدَّمْتُ إِلَيْكُمْ بِالْوَعِيدِ﴾ قد أعذرت إليكم على السنة الرسل، وأزلت الكتب، وقامت عليكم الحجج والبيئات ٢٩: ﴿مَا يُبَدِّلُ الْقَوْلَ لَدَى﴾ يعني قد قضيت ما أنا قاض ﴿وَمَا أَنَا بِظَلَمٍ لَعِيدٍ﴾ لسئت أعذب أحداً بذنوب أحد، لأعذب أحداً إلا بعد قيام الحجة عليه ٣٠: ﴿يَوْمَ نَقُولُ﴾ الرب عز وجل ﴿لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأَتْ وَنَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ﴾ هل بقي شيء تزودني؟ ٣١: ﴿وَأُزْلِفَتْ الْجَنَّةُ لِلْمُنْفِقِينَ﴾ أذويت وقربت ﴿غَيْرِ بَعِيدٍ﴾ ليس ذلك ببعيد لأنه واقع لا محالة ٣٢: ﴿هَذَا مَا تُوَعَّدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ﴾ رجاء تائب ﴿حَفِيفٍ﴾ للعهد فلا يقضه ٣٣: ﴿مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ الْغَيْبَ﴾ من خاف الله في سره ﴿وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ﴾ بقلب سليم إليه خاضع لديه ٣٤: ﴿ادْخُلُوهَا﴾ الجنة ﴿بِسَلَامٍ﴾ سلّموا من عذاب الله، وسلّم عليهم الملائكة ﴿ذَلِكَ يَوْمُ الْخُلُودِ﴾ يخلدون في الجنة فلا يموتون أبداً ٣٥: ﴿لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ فِيهَا﴾ من أصناف الملاذ ﴿وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾ وهو النظر إلى وجه الله الكريم.

﴿٣٦﴾ وَاَمْ أَمَلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِّن قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ

منهم بطشاً ﴿﴾ كان المكذبون قبلهم أكثر منهم
وأشدُّ قوَّة ﴿﴾ فَنَقَّبُوا فِي الْبِلَادِ هَلْ مِن مَّحِيصٍ ﴿﴾
ساروا في البلاد يتتفون الأرزاق والمكاسب
أكثر مما تحاطفتكم أنتم بها ﴿﴾ هَلْ مِن مَّحِيصٍ ﴿﴾
من مفرٍّ كان لهم من قضاء الله وقدره؟ وهل
نفعهم ما جمعوه وردَّ عنهم عذاب الله إذ
جاءهم لما كذبوا الرسل؟ فأنتم أيضاً لا مفرَّ
لكم ولا محيص ﴿٣٧﴾: ﴿﴾ إِنْ فِي ذَلِكَ
لِلذِّكْرِ لَعِبْرَةٌ ﴿﴾ لَّعِبْرَةٌ لِّمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ ﴿﴾ لِّبَّ
يعني به ﴿﴾ أَو أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴿﴾
استمع الكلام فوعاها بعقله وتفهمه بلهية ﴿٣٨﴾:
﴿﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا
فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ ﴿﴾ من إعياء
ولا تعب ولا تنصب ﴿٣٩﴾: ﴿﴾ فَاصْبِرْ عَلَىٰ
مَا يَقُولُونَ ﴿﴾ يعني المكذَّبين ﴿﴾ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ
رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ ﴿﴾
وكانت صلاة الفرض قبل الإسرائئ ثنتان: في
وقت الفجر، وفي وقت العصر ﴿٤٠﴾: ﴿﴾ وَمِن
اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ ﴿﴾ وقيام الليل كان واجباً على
النبي صلى الله عليه وآله وسلم وعلى أمته حولاً
ثم تُسبَّحُ في حق الأمَّة ﴿﴾ وَأَدْبَارَ السُّجُودِ ﴿﴾
التسبيح بعد الصلاة ﴿٤١﴾: ﴿﴾ وَاسْتَمِعْ يَوْمَ
يُنَادِيهِ مَن كَانَ قَرِيْبًا ﴿﴾ [أي: لصيحة
يوم القيامة، والمنادي جبريل] ﴿٤٢﴾: ﴿﴾ يَوْمَ
يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ ﴿﴾ يعني النفخة في
الصور التي تأتي بالحق الذي كان أكثرهم فيه
يتمنون ﴿﴾ ذَلِكَ يَوْمٌ مَّخْرُجٍ ﴿﴾ الأجدات
﴿٤٣﴾: ﴿﴾ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَإِنَّا الْمَصِيرُ ﴿﴾

وَكَم أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِّن قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُمْ بَطْشًا فَنَقَّبُوا فِي
الْبِلَادِ هَلْ مِن مَّحِيصٍ ﴿٣٦﴾ إِنْ فِي ذَلِكَ لَذِكْرٌ لِّمَن كَانَ
لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴿٣٧﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَا
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا
مِن لُّغُوبٍ ﴿٣٨﴾ فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ
قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ ﴿٣٩﴾ وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ
وَادْبُرَ السُّجُودِ ﴿٤٠﴾ وَاسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِي الْمُنَادِ مِن مَّكَانٍ قَرِيْبٍ
﴿٤١﴾ يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُرُوجِ ﴿٤٢﴾ إِنَّا
نَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَإِنَّا الْمَصِيرُ ﴿٤٣﴾ يَوْمَ تَشَقُّقُ الْأَرْضُ
عَنْهُمْ سِرَاعًا ذَلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ ﴿٤٤﴾ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ
وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ فَذُكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ ﴿٤٥﴾

سُورَةُ الدَّارَاتِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالذَّرِّيَّتِ ذَرْوًا ﴿١﴾ فَأَلْحَمْتِ وَقْرًا ﴿٢﴾ فَأَلْجَرَيْتِ سُورًا ﴿٣﴾
فَأَلْمَقْسَمَتِ أَمْرًا ﴿٤﴾ إِنَّمَا تُوْعَدُونَ لَصَادِقٌ ﴿٥﴾ وَإِن الدِّينَ لَوْفِعٌ ﴿٦﴾

٥٢٠

هو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه، وإليه مصير الخلاق فيجازي كلًّا بعمله ﴿٤﴾: ﴿﴾ يَوْمَ تَشَقُّقُ الْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا ﴿﴾ وذلك أَنَّ اللهَ
عَزَّ وَجَلَّ يُنَزِّلُ مطرًا من السماء يُنبِثُ به أجساد الخلاق في قبورها كما ينبِثُ الحب، فيقومون إلى الموقف للحساب سراعًا مبادرين إلى أمر الله عَزَّ
وَجَلَّ ﴿﴾ ذَلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ ﴿﴾ تلك إعادة سهلة علينا يسيرة لدينا، كما قال تعالى: ﴿﴾ وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلِمَةٍ بِالْبَصْرِ ﴿﴾ ﴿٤٥﴾: ﴿﴾ نَحْنُ أَعْلَمُ
بِمَا يَقُولُونَ ﴿﴾ لك من التأكيد، فلا جهولتك ذلك ﴿﴾ وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ ﴿﴾ ولست بالذي تُجرِبُ هؤلاء على الهدى والإيمان ﴿﴾ فَذُكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَن
يَخَافُ وَعِيدِ ﴿﴾ مَن يَخَافُ اللهَ وَوَعِيدَهُ، ويرجو وَعْدَهُ. اللهم اجعلنا ممن يخاف وعيدك ويرجو مَوْعِدَكَ يا رحيم.

تفسير سورة الدَّارَاتِ

١: ﴿﴾ وَالذَّرَائِبَاتِ ذَرْوًا ﴿﴾ الرِّيحِ [تذرو التراب ذَرْوًا؛ أقسم الله تعالى بها] ٢: ﴿﴾ فَأَلْحَمَلَاتِ وَقْرًا ﴿﴾ السحاب، تحمل الماء ٣: ﴿﴾ فَأَلْجَارِيَاتِ
يُسْرًا ﴿﴾ السُّفُنِ [التي يَسَّرَ سبحانه سيرها على الماء] ٤: ﴿﴾ فَأَلْمَقْسَمَاتِ أَمْرًا ﴿﴾ الملائكة، تنزل بأوامر الله الشرعية والكونية؛ وهذا قَسَمٌ من الله عَزَّ
وَجَلَّ على وقوع المعاد، ولهذا قال تعالى: ٥: ﴿﴾ إِنَّمَا تُوْعَدُونَ لَصَادِقٌ ﴿﴾ لخبر صدق ٦: ﴿﴾ وَإِن الدِّينَ لَوْاقِعٌ ﴿﴾ لكائن للاحتمال.

الآية: ٤٠ روى ابن حاتم عن ابن عباس قال: بكُّ ليلة عند رسول الله ﷺ ففصلى ركعتين خفيفتين اللتين قبل الفجر، ثم خرج إلى الصلاة، فقال: «يا ابن عباس ركعتين قبل
صلاة الفجر إديار النجوم، وركعتين بعد المغرب إديار السجود» ورواه الترمذي. /ابن كثير ج٤/ ٢٣٠/

٧: ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُكِ﴾ ذات الجمال والحسن والبهاء والاستواء ٨: ﴿إِنكُمْ لَفِي قَوْلٍ مُخْتَلِفٍ﴾ المشركون في قول مضطرب لا يلتزم ولا يجتمع في القرآن ٩: ﴿يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ﴾ إنما يروج على من هو ضال في نفسه، لأنه قول باطل ١٠: ﴿فَقِيلَ الْخِرَاصُونَ﴾ لعن المرتابون ١١: ﴿الَّذِينَ هُمْ فِي عُمْرَةِ سَاهُونَ﴾ في الكفر والشك غافلون لاهون ١٢: ﴿يَسْأَلُونَ أَيَّانَ يَوْمِ الَّذِينَ؟﴾ وإنما يقولون هذا تكديباً وعناداً وشكاً واستبعاداً ١٣: ﴿يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ﴾ يُعَذَّبُونَ كما يُفْتَنُ الذَّهَبُ عَلَى النَّارِ ١٤: ﴿ذُوقُوا فِتْنَتَكُمْ﴾ حريقكم وعذابكم ﴿هَذَا الَّذِي كُنتُمْ بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ﴾ يُقَالُ لَهُمْ ذَلِكَ تَقْرِيبًا وَتَوْبِيخًا وَتَحْقِيرًا ١٥: يَقُولُ تَعَالَى مَخْبِرًا عَنِ الْمُتَّقِينَ اللَّهُ أَنَّهُمْ يَوْمَ مَعَادِهِمْ: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ﴾ بخلاف ما أولئك الأشقياء فيه من العذاب والنكال ١٦: ﴿أَخْذِينَ مَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ﴾ عاملين بما آتاهم الله من الفرائض ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ﴾ كانوا في الدنيا محسنين في الأعمال ١٧: ﴿كَانُوا قَلِيلًا مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ﴾ فليلة لا تأتي عليهم إلا يصلون فيها لله عز وجل ١٨: ﴿وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ يصلون ويستغفرون الله من ذنوبهم، وهذا مدح ونسأء ١٩: ﴿وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ﴾ لما وصفهم بالصلاة نبي بوصفهم بالزكاة والبرِّ والصَّلَاةِ، أي: جزء مقسوم قد أفرزوه [من أموالهم]

وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُكِ ﴿٧﴾ إِنَّكُمْ لَفِي قَوْلٍ مُخْتَلِفٍ ﴿٨﴾ يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ ﴿٩﴾ قِيلَ الْخِرَاصُونَ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي عُمْرَةِ سَاهُونَ ﴿١١﴾ يَسْأَلُونَ أَيَّانَ يَوْمِ الَّذِينَ ﴿١٢﴾ يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ ﴿١٣﴾ ذُوقُوا فِتْنَتَكُمْ هَذَا الَّذِي كُنتُمْ بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ ﴿١٤﴾ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٥﴾ أَخْذِينَ مَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ ﴿١٦﴾ كَانُوا قَلِيلًا مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿١٨﴾ وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ ﴿١٩﴾ وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٢١﴾ وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴿٢٢﴾ فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِثْلَ مَا أَنَّكُمْ نَنْطِقُونَ ﴿٢٣﴾ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ ﴿٢٤﴾ إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلِّمْنَا قَالَ سَلِّمُوا فَوْمٌ مُنْكَرُونَ ﴿٢٥﴾ فَرَاغَ إِلَىٰ أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعِجَلٍ سَمِينٍ ﴿٢٦﴾ فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٢٧﴾ فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ ﴿٢٨﴾ فَأَقْبَلَتْ أَمْرَاتُهُ فِي صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ ﴿٢٩﴾ قَالُوا كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ إِنَّهُ هُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ ﴿٣٠﴾

للسائل والمحروم ٢٠: ﴿وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ﴾ فيها من الآيات الدالة على عظمة خالقها وقدرته الباهرة ٢١: ﴿وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ؟﴾ [من تفكر في نفسه علم أنه خلق ليعبد الله وحده] ٢٢: ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ﴾ المطر؛ ﴿وَمَا تُوعَدُونَ﴾ الجنة ٢٣: ﴿فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنْطِقُونَ﴾ يُقَسِّمُ تَعَالَى بِنَفْسِهِ الْكَرِيمَةِ أَنَّ مَا وَعَدَهُمْ بِهِ مِنْ أَمْرِ الْقِيَامَةِ وَالْبَعْثِ وَالْجَزَاءِ كَائِنْ لَا مَحَالَةَ فِيهِ كَمَا لَا تَشْكُوا فِيهِ كَمَا لَا تَشْكُوا فِي نَطْقِكُمْ حِينَ تَنْطِقُونَ، قَالَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ: بَلَّغَنِي أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «قَاتِلَ اللَّهُ أَقْوَامًا أَقْسَمَ لَهُمْ رَبُّهُمْ ثُمَّ لَمْ يُصَدِّقُوا» رواه ابن جرير ٢٤: ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ﴾ الذين أُرْصِدَ لَهُمُ الْكَرَامَةُ وَالضِّيَافَةُ ٢٥: ﴿إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا﴾ وهم جبريل وميكائيل وإسرافيل، قَدِمُوا عَلَيْهِ فِي صُورَةِ شَبَابٍ حَسَنٍ عَلَيْهِمْ مَهَابَةٌ عَظِيمَةٌ، وَهَذَا «قَالَ سَلَامٌ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ» [أي: غرباء لا نعرفكم] ٢٦: ﴿فَرَاغَ إِلَىٰ أَهْلِهِ﴾ انسلَّ خِيفَةً فِي سُرْعَةٍ «فَجَاءَ بِعِجَلٍ سَمِينٍ» مِنْ خِيَارِ مَالِهِ ٢٧: ﴿فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ﴾ أَذْنَاهُ مِنْهُمْ «قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ؟» تَلَطَّفَ فِي الْعِبَارَةِ وَعَرَضَ حَسَنًا ٢٨: ﴿فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً﴾ [أي: أَحْسَسَ فِي نَفْسِهِ خَوْفًا] «قَالُوا لَا تَخَفْ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ» [أي: بولد يُؤَلِّدُ لَهُمَا، أَي: مِنْ زَوْجَتِهِ سَارَةَ، وَهُوَ إِسْحَاقُ، عَلِيمٌ: أَي: مِنْ أَهْلِ النَّبِئَةِ] ٢٩: ﴿فَأَقْبَلَتْ أَمْرَاتُهُ فِي صَرَّةٍ﴾ فِي صَرِيحَةِ عَظِيمَةٍ «فَصَكَّتْ وَجْهَهَا» ضَرَبَتْ عَلَى جَبِينِهَا «وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ؟» كَيْفَ أَيْدٍ وَأَنَا عَجُوزٌ وَكُنْتُ حَالِ الصَّبَا عَقِيمًا؟! ٣٠: ﴿قَالُوا كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ﴾ [فَلَا تَشْكِي فِيهِ] «إِنَّهُ هُوَ الْحَكِيمُ» فِي أَقْوَالِهِ وَأَعْمَالِهِ «الْعَلِيمُ» بَمَنْ يَسْتَحِقُّ مِنَ الْكَرَامَةِ.

الآية: ١٩ روى الشيخان أن رسول الله ﷺ قال: «ليس المسكين بالطوفان الذي ترده والفقمتان والقرعة والقرتان، ولكن المسكين الذي لا يجد غنى يُغنيه ولا يظنُّ له فينصتُ عليه». ابن كثير ج ٢٢٤/٢

﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ﴾ (٣١) ﴿قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ﴾ (٣٢) ﴿لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ طِينٍ﴾ (٣٣) ﴿مُسَوَّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ﴾ (٣٤) ﴿فَأَخْرَجْنَا مَنْ كَانَ فِيهَا مِنْ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (٣٥) ﴿فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ (٣٦) ﴿وَتَرَكْنَا فِيهَا آيَةً لِلَّذِينَ يَخَافُونَ الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾ (٣٧) ﴿وَفِي مُوسَى إِذْ أَرْسَلْنَاهُ إِلَى فِرْعَوْنَ بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ﴾ (٣٨) ﴿فَتَوَلَّى بِرُكْنِهِ وَقَالَ سَحَرًا أَوْ مَجْنُونٌ﴾ (٣٩) ﴿فَأَخَذْنَاهُ وَجُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ وَهُوَ مُلِيمٌ﴾ (٤٠) ﴿وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ﴾ (٤١) ﴿مَا تَذُرُّ مِنْ شَيْءٍ أَنْتَ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلْتَهُ كَالرِّمِيمِ﴾ (٤٢) ﴿وَفِي ثَمُودَ إِذْ قِيلَ لَهُمْ تَمَتَّعُوا حَتَّى حِينٍ﴾ (٤٣) ﴿فَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ وَهُمْ يَنْظُرُونَ﴾ (٤٤) ﴿فَمَا اسْتَطَعُوا مِنْ قِيَامٍ وَمَا كَانُوا مُنْصَرِّينَ﴾ (٤٥) ﴿وَقَوْمِ نُوحٍ مِنْ قَبْلِ أَنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾ (٤٦) ﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾ (٤٧) ﴿وَالأَرْضَ فَرَشْنَاهَا فَنِعْمَ الْمَاهِدُونَ﴾ (٤٨) ﴿وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ (٤٩) ﴿فَقَرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ (٥٠) ﴿وَلَا تَجْعَلُوا مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ (٥١)

٣١: ﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ؟﴾ ما شأنكم وفيهم جنتهم ٣٢: ﴿قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ﴾ يعنون قوم لوط ٣٣: ﴿لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ طِينٍ﴾ مسومة معلمة عند ربك للمُسْرِفِينَ مكتسبة عنده بأسمائهم كل حجر عليه اسم صاحبه، قال إن فيها لوطاً؟ قالوا نحن أعلم من فيها؟ ٣٤: ﴿مُسَوَّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ﴾ وهم لوط وأهل بيته إلا امرأته ٣٥: ﴿فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ لوط وأهل بيته ٣٦: ﴿وَتَرَكْنَا فِيهَا آيَةً لِلَّذِينَ يَخَافُونَ الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾ جعلناها عبرة بما أنزلنا بهم من العذاب والنكال، وجعلنا محلتهم بحجرة منتنة خبيثة [وهي البحر الميت]، ففي ذلك عبرة للمؤمنين وللذين يخافون العذاب الأليم ٣٧: ﴿وَفِي مُوسَى إِذْ أَرْسَلْنَاهُ إِلَى فِرْعَوْنَ بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ﴾ باهرٍ وحجة قاطعة ٣٨: ﴿فَتَوَلَّى بِرُكْنِهِ﴾ فأعرض فرعون عما جاءه موسى من الحق المبين استكباراً وعناداً، وقال ساحراً أو مجنوناً لا يخلو أمرك فإني جنتي به من أن تكون ساحراً أو مجنوناً ٣٩: ﴿فَأَخَذْنَاهُ وَجُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ﴾ ألقيناهم في اليم وهو البحر [أي: البحر الأحمر] وهو ملِيم وهو ملوم كافر جاحد فاجر معاند ٤٠: ﴿وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ﴾ المسفدة التي لا تثبت شيئاً ٤١: ﴿مَا تَذُرُّ مِنْ شَيْءٍ أَنْتَ عَلَيْهِ﴾ مما تفسده الريح إلا جعلته كالرَّمِيم كالشيء الهالك البالي ٤٢: ﴿وَفِي ثَمُودَ إِذْ قِيلَ لَهُمْ تَمَتَّعُوا حَتَّى حِينٍ﴾ انتظروا العذاب ثلاثة أيام ٤٣: ﴿فَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ وَهُمْ يَنْظُرُونَ﴾ فجاءهم في صبيحة اليوم الرابع بكرة النهار ٤٤: ﴿فَمَا اسْتَطَعُوا مِنْ قِيَامٍ﴾ من هرب ولا نهوض، وما كانوا مُتَّصِرِينَ ولا يقدرين على أن ينتصروا مما هم فيه ٤٥: ﴿وَقَوْمِ نُوحٍ مِنْ قَبْلِ أَنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾ وكلُّ هذه القصص قد تقدمت مبسوطاً في أماكن كثيرة من سور متعددة ٤٦: ﴿فَقَرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ يئسوا بربهم ورجعوا ورجعناهم حتى استقبلت كما هي ٤٧: ﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ﴾ جعلناها سقفاً محفوظاً ربيعاً ٤٨: ﴿وَالأَرْضَ فَرَشْنَاهَا﴾ جعلناها فراشاً للمخلوقات ٤٩: ﴿فَنِعْمَ الْمَاهِدُونَ﴾ وجعلناها مهداً لأهلها ٥٠: ﴿وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ﴾ جميع المخلوقات أزواج، لتعلموا أن الخالق واحد لا شريك له ٥١: ﴿فَقَرُّوا إِلَى اللَّهِ﴾ الجؤوا إليه واعتمدوا في أموركم عليه ﴿إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ ﴿وَلَا تَجْعَلُوا مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ﴾ لا تشركوا به شيئاً ﴿إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾.

(١) انظر تفسير الآيات من سورة هود/ ٧٤ فما بعدها، والحجر/ ٥٩ فما بعدها، والثلج/ ٥٦ فما بعدها، والشعراء/ ١٦٠ فما بعدها.

الآية: ٤١ الريح العقيم: هي الريح الجنوب، وفي الصحيح عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «نُصِرْتُ بِالصَّبَا وَأَهْلِكْتُ عَادٌ بِالذَّبُورِ».

الآية: ٤٦ قال مجاهد: مامات مؤمنٌ إلا بكث عليه السماء والأرض، فقيل له: أتبيكي الأرض؟ فقال: أتعجب؟ وما للأرض لاتبيكي على عبد كان يعمرها بالركوع والسجود؟ وما للساء لاتبيكي على عبد كان لتكبيره وتسيحه فيها دوي كدوي التحل؟! /ابن كثير ج ٤/٤٢٧/

٥٢: يقول تعالى مسلماً لنبه صلى الله عليه وآله وسلم: ﴿كذلك ما أتى الذين من قبلهم من رسول إلا قالوا ساحر أو مجنون﴾ قال الله عز وجل: ٥٣: ﴿أتواصوا به﴾؟ أوصى بعضهم بعضاً بهذه المقالة؟ ﴿بل هم قوم طاغون﴾ لكن هم قوم طغاة تشابهت قلوبهم، فقال متأخرهم كما قال متقدمهم، قال تعالى: ٥٤: ﴿فهل عنهم﴾ فأعرض عنهم يا محمد ﴿فما أنت بلوم﴾ فما نلوك على ذلك ٥٥: ﴿وذكر فإن الذكري تنفع المؤمنين﴾ إنما تنتفع بها القلوب المؤمنة. ثم قال جل جلاله: ٥٦: ﴿وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون﴾ إنما خلقتهم لآمرهم بعبادتي لا لإحتياجهم ٥٧: ﴿ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون﴾ فهو سبحانه خلق العباد غير محتاج إليهم بل هم الفقراء إليه في جميع أحوالهم، فهو خالقهم ورازقهم ٥٨: ﴿إن الله هو الرزاق ذو القرة المتين﴾ [أي: الشديد القوي] ٥٩: ﴿فإن للذين ظلموا ذنوباً﴾ نصيباً من العذاب ﴿مثل ذنوب أصحابهم فلا يستعجلون﴾ إنه واقع لا محالة ٦٠: ﴿فويل للذين كفروا من يومهم الذي يوعدون﴾ يوم القيامة.

تفسير سورة الطور

١: ﴿والطور﴾ ٢: ﴿وكتاب مسطور﴾ يُقسم تعالى بمخلوقاته الدالة على عظيم قدرته، والطور هو الجبل الذي كلم عليه موسى، فيه أشجار كثيرة، وما لم يكن فيه شجر لا يُسمى طوراً وإنما يقال له جبل، والكتاب المسطور: هو اللوح المحفوظ، والكتب المنزلة ٣: ﴿في رزق منشور﴾ [الرزق بالفتح: ما يكتب فيه، وهو جلد رقيق] وهو الكتب المنزلة المكتوبة التي تقرأ على الناس جهاراً ٤: ﴿والبيت المعمور﴾ وفي الصحيحين في حديث الإسراء: «ثم رُفِعَ بي إلى البيت المعمور، وإذا هو يدخله كل يوم سبعون ألفاً لا يعدون إليه آخر ما عليهم» يعني يتعدون فيه ويطوفون به كما يطوف أهل الأرض بكنبهم، والبيت المعمور كعبة أهل السماء السابعة، وهو بجبال الكعبة، وفي كل سماء بيت يتعبد فيه أهلها ويصلون إليه، والذي في السماء الدنيا يقال له: بيت العزة ٥: ﴿والسقف المرفوع﴾ وهو بجبال الكعبة، قال تعالى: ﴿وجعلنا السماء سقفاً محفوظاً﴾ ٦: ﴿والبحر المسجور﴾ الذي أضرم وأوقد يوم القيامة، كقوله تعالى: ﴿وإذا البحار سجرت﴾ تأججت ناراً تحيط بأهل الموقف ٧: ﴿إن عذاب ربك لواقع﴾ هذا هو المقسم عليه؛ أي: لواقع بالكافرين ٨: ﴿ما له من دافع﴾ ليس له دافع يدفعه عنهم إذا أراد الله بهم ذلك ٩: ﴿يوم تمور السماء مورا﴾ تتحرك تحريكاً، وتوج موجاً ١٠: ﴿وتسير الجبال سيرا﴾ تذهب فتصير هباءً منبثاً ١١: ﴿فويل يومئذ للمكذبين﴾ ويل لهم ذلك اليوم من عذاب الله ١٢: ﴿الذين هم في خوض يلعبون﴾ يتخذون دينهم هزواً ولعباً ١٣: ﴿يوم يدعون إلى نار جهنم دعا﴾ يساقون إلى النار ويدفعون فيها دفعاً ١٤: ﴿هذه النار التي كنتم بها تكذبون﴾ تقول لهم الزبانية ذلك، تقريباً وتوبيخاً.

كذلك ما أتى الذين من قبلهم من رسول إلا قالوا ساحر أو مجنون ﴿٥٢﴾ أتواصوا به بل هم قوم طاغون ﴿٥٣﴾ فقول عنهم فما أنت بلوم ﴿٥٤﴾ وذكر فإن الذكري تنفع المؤمنين ﴿٥٥﴾ وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون ﴿٥٦﴾ ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون ﴿٥٧﴾ إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين ﴿٥٨﴾ فإن للذين ظلموا ذنوباً مثل ذنوب أصحابهم فلا يستعجلون ﴿٥٩﴾ فويل للذين كفروا من يومهم الذي يوعدون ﴿٦٠﴾

سُورَةُ الطُّورِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالطُّورِ ﴿١﴾ وَكِتَابٍ مَسْطُورٍ ﴿٢﴾ فِي رَقٍّ مَنشُورٍ ﴿٣﴾ وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ ﴿٤﴾ وَالسَّقْفِ الْمَرْفُوعِ ﴿٥﴾ وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ ﴿٦﴾ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوْ فِعٌّ ﴿٧﴾ مَا لَهُ مِنْ دَافِعٍ ﴿٨﴾ يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَورًا ﴿٩﴾ وَتَسِيرُ الْجِبَالُ سَيْرًا ﴿١٠﴾ فَوَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿١١﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي خَوْضٍ يَلْعَبُونَ ﴿١٢﴾ يَوْمَ يَدْعُوكَ إِلَى نَارٍ جَهَنَّمَ دَعَاً ﴿١٣﴾ هَذِهِ النَّارُ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تَكْذِبُونَ ﴿١٤﴾

المسطور: هو اللوح المحفوظ، والكتب المنزلة ٣: ﴿في رزق منشور﴾ [الرزق بالفتح: ما يكتب فيه، وهو جلد رقيق] وهو الكتب المنزلة المكتوبة التي تقرأ على الناس جهاراً ٤: ﴿والبيت المعمور﴾ وفي الصحيحين في حديث الإسراء: «ثم رُفِعَ بي إلى البيت المعمور، وإذا هو يدخله كل يوم سبعون ألفاً لا يعدون إليه آخر ما عليهم» يعني يتعدون فيه ويطوفون به كما يطوف أهل الأرض بكنبهم، والبيت المعمور كعبة أهل السماء السابعة، وهو بجبال الكعبة، وفي كل سماء بيت يتعبد فيه أهلها ويصلون إليه، والذي في السماء الدنيا يقال له: بيت العزة ٥: ﴿والسقف المرفوع﴾ وهو بجبال الكعبة، قال تعالى: ﴿وجعلنا السماء سقفاً محفوظاً﴾ ٦: ﴿والبحر المسجور﴾ الذي أضرم وأوقد يوم القيامة، كقوله تعالى: ﴿وإذا البحار سجرت﴾ تأججت ناراً تحيط بأهل الموقف ٧: ﴿إن عذاب ربك لواقع﴾ هذا هو المقسم عليه؛ أي: لواقع بالكافرين ٨: ﴿ما له من دافع﴾ ليس له دافع يدفعه عنهم إذا أراد الله بهم ذلك ٩: ﴿يوم تمور السماء مورا﴾ تتحرك تحريكاً، وتوج موجاً ١٠: ﴿وتسير الجبال سيرا﴾ تذهب فتصير هباءً منبثاً ١١: ﴿فويل يومئذ للمكذبين﴾ ويل لهم ذلك اليوم من عذاب الله ١٢: ﴿الذين هم في خوض يلعبون﴾ يتخذون دينهم هزواً ولعباً ١٣: ﴿يوم يدعون إلى نار جهنم دعا﴾ يساقون إلى النار ويدفعون فيها دفعاً ١٤: ﴿هذه النار التي كنتم بها تكذبون﴾ تقول لهم الزبانية ذلك، تقريباً وتوبيخاً.

الآية: ٥٨: روى الإمام أحمد [قال الله تعالى في الحديث القدسي]: «يا ابن آدم تفرغ لعبادتي أملأ صدرك غنى وأسأ فقرك، ولأ تفعل ملأك صدرك شغلاً ولم أسأ فقرك» ورواه الترمذي وابن ماجه.
الآية: ٤: روى الشيخان في صحيحهما أن رسول الله ﷺ قال في حديث الإسراء بعد مجازته إلى السماء السابعة: «ثم رُفِعَ بي إلى البيت المعمور، وإذا هو يدخله كل يوم سبعون

١٥: ﴿أَفَسِحْرٌ هَذَا أَمْ أَنْتُمْ لَا تُبْصِرُونَ؟﴾

[أي: هذا الذي ترون الآن بأعينكم] ١٦:

﴿اصْلَوْهَا﴾ ادخلوها دخولاً من تغمره من

جميع جهاته ﴿فاصْبِرُوا أَوْ لَا تَصْبِرُوا سَوَاءٌ

عليكم﴾ سواء صبرتم على عذابها ونكالها أم

لم تصبروا ولا موجد لكم عنها ولا خلاص

لكم منها ﴿إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾

ولا يظلم الله أحداً بل يجازي كلًّا بعمله

١٧: ثم أخبر تعالى عن حال السعداء فقال:

﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَعِيمٍ﴾ وذلك بضيء

ما أولئك فيه من العذاب ١٨: ﴿فَأَكْبَهِينَ بِمَا

آتَاهُمْ رَبُّهُمْ﴾ يتفكحون بما آتاهم الله من

النعيم من أصناف الملاذ ﴿وَوَقَّاهُمْ رَبُّهُمْ

عَذَابَ الْجَحِيمِ﴾ وقد تجاهم من عذاب النار،

وتلك نعمة مستقلة بذاتها مع ما أضيف إليها

من دخول الجنة ١٩: ﴿كَلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا

بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ بما أسلفتم في الأيام

الخالية أي: هذا بذاك تفضلاً منه وإحساناً

٢١: ﴿مُتَّكِنِينَ عَلَى سُرُرٍ مَصْفُوفَةٍ﴾ السُّرُرُ

في الحجال، روى ابن أبي حاتم أن رسول الله

صلى الله عليه وآله وسلم قال: «إن الرجل

ليتكئ المتكأ مقدار أربعين سنة ما يتحول عنه

ولا يملئه، يأتيه ما اشتبهت نفسه ولذت عينه»،

﴿وَزَوْجَانِهِم مَّجُورٍ عَيْنٍ﴾ وجعلنا لهم قرينات

صالحات، وزوجات حسنات من الحور العين

٢١: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَانٍ

أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ أن المؤمنين إذا اتبعتم

ذرياتهم في الإيمان يلحقهم بابائهم في المنزلة

﴿وَمَا أَلْتَنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ﴾ لا ينقص

ذلك من عملهم ولا من منزلتهم ﴿كُلَّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينَ﴾

فكل مرتبه بعمله لا يحمل عليه ذنب غيره ٢٢: ﴿وَأَمْدَدْنَاهُمْ﴾

ألحقناهم ﴿بِفَاكِهِةٍ وَلِحْمٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ﴾ ٢٣: ﴿يَتَنَزَّعُونَ فِيهَا كَأْسًا لَا لَغْوٌ

فيها وَلَا تَأْتِيهِمْ فِيهَا كَأْسٌ مِّنَ الْحَمْرِ، لَا هَذْيَانٌ وَلَا فُحْشٌ كَمَا يَتَكَلَّمُ بِهِ الشَّرْبَةُ مِنْ أَهْلِ الدُّنْيَا ٢٤: ﴿وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَّكُونٌ﴾

خدمتهم وحشمهم في الجنة كأنهم اللؤلؤ المكنون في حسنهم وبهائهم ٢٥: ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ﴾ أقبلوا

يتحدثون عن أعمالهم وأحوالهم في الدنيا ٢٦: ﴿قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ﴾ كنا في الدار الدنيا ونحن بين أهلينا خائفين من ربنا

مشفقين من عذابه وعقابه ٢٧: ﴿فَمَنْ لَّهِ عِلْمًا وَعِلْمًا عِلْمًا وَأَجَارَنَا مِمَّا نَخَافُ﴾ [والسُّومُ: اسم من أسماء النار،

وطبقة من طباق جهنم] ٢٨: ﴿إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلُ نَدْعُوهُ﴾ نتضرع إليه فاستجاب لنا وأعطانا سؤالنا ﴿إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ﴾ ٢٩: ﴿فَذَكَرْنَا فَمَا

أَنْتَ بِعَمَّةٍ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ﴾ يأمر تعالى رسوله صلى الله عليه وآله وسلم بأن يبلغ رسالته إلى عباده وأن يذكرهم بما أنزل الله عليه، ثم نفى

عنه ما يرميه به أهل البهتان والفجور، ثم قال تعالى منكرًا عليهم في قولهم في الرسول صلى الله عليه وآله وسلم: ٣٠: ﴿أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ الْمُنُونِ؟﴾ يقولون نصر عليه حتى يأتيه الموت فنستريح منه ومن شأنه ٣١: ﴿قُلْ تَرَبُّصُوا فَإِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُرْتَبِصِينَ﴾ انتظروا فإنني منتظر

معكم، وستعملون لمن تكون العاقبة والنصرة في الدنيا والآخرة.

أَفَسِحْرٌ هَذَا أَمْ أَنْتُمْ لَا تُبْصِرُونَ ﴿١٥﴾ اصْلَوْهَا فَاصْبِرُوا

أَوْ لَا تَصْبِرُوا سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾

إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَعِيمٍ ﴿١٧﴾ فَكَاهِنِينَ بِمَا أَنْهَم رَبُّهُمْ

وَوَقَّاهُمْ رَبُّهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴿١٨﴾ كَلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا

كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ مُتَّكِنِينَ عَلَى سُرُرٍ مَّصْفُوفَةٍ وَزَوَّجْنَاهُمْ

بِحُورٍ عِينٍ ﴿٢٠﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَأَتَّبَعَهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا

بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلْتَنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ

رَهِينٌ ﴿٢١﴾ وَأَمْدَدْنَاهُمْ بِفَاكِهِةٍ وَلِحْمٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٢٢﴾ يَتَنَزَّعُونَ

فِيهَا كَأْسًا لَا لَغْوَ فِيهَا وَلَا تَأْتِيهِمْ ﴿٢٣﴾ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ

لَهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَّكُونٌ ﴿٢٤﴾ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ

﴿٢٥﴾ قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ ﴿٢٦﴾ فَمَنْ لَّهِ

عِلْمًا وَوَقَّانَا عَذَابَ السَّمُومِ ﴿٢٧﴾ إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلُ

نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ ﴿٢٨﴾ فَذَكَرْنَا فَمَا نَبِعَمَّةٍ رَبِّكَ

بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ ﴿٢٩﴾ أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ

الْمُنُونِ ﴿٣٠﴾ قُلْ تَرَبُّصُوا فَإِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُرْتَبِصِينَ ﴿٣١﴾

= لافاً ليعودوا إليه، آخر ما عليهم، يعني يتعدون فيه ويظفون به كما يظف أهل الأرض بكميتهم، كذلك البيت المعمور كعبة أهل السماء السابعة، وهذا وجد إبراهيم عليه السلام مسنداً ظهره إلى البيت المعمور، لأنه باني الكعبة الأرضية، والجزء من جنس العمل. /ابن كثير ج ٤/ ٢٣٩

﴿٣٢﴾ **أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلَامُهُمْ بِهَذَا** عَقُولُهُمْ تَأْمُرُهُمْ بِهَذَا الَّذِي يَقُولُونَهُ فَيَكُفُّونَهُ مِنْ الْأَقْوَابِلِ الْبَاطِلَةِ الَّتِي يَعْلَمُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ أَنَّهَا كَذِبٌ وَزُورٌ ﴿٣٣﴾ **أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ** وَلَكِنْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ضَلَالٌ مُعَانِدُونَ، هَذَا الَّذِي يَحْمِلُهُمْ عَلَى مَا قَالُوهُ فِيكَ ﴿٣٣﴾ **﴿أَمْ يَقُولُونَ تَقَوْلُهُ بَلْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾** يَقُولُونَ اخْتَلَقَ الْقُرْآنَ وَافْتَرَاهُ مِنْ عِنْدِ نَفْسِهِ؛ بَلْ كَفَرَهُمْ هُوَ الَّذِي يَحْمِلُهُمْ عَلَى هَذِهِ الْمَقَالَةِ ﴿٣٤﴾ **﴿فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ﴾** إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ قَوْلُهُمْ تَقَوْلُهُ وَافْتَرَاهُ، فَلْيَأْتُوا بِمِثْلِ مَا جَاءَ بِهِ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ مِنْ هَذَا الْقُرْآنِ ﴿٣٥﴾ **﴿أَمْ خَلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمْ الْخَالِقُونَ﴾**؟ أَوْجَدُوا مِنْ غَيْرِ مُوجِدٍ؟ أَمْ هُمْ أَوْجَدُوا أَنْفُسَهُمْ؟ بَلِ اللَّهُ هُوَ الَّذِي خَلَقَهُمْ وَأَنْشَأَهُمْ ﴿٣٦﴾ **﴿أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بَلْ لَا يُوقِنُونَ﴾** وَهَذَا إِنْكَارٌ عَلَيْهِمْ فِي شِرْكِهِمْ بِاللَّهِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْخَالِقُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَلَكِنْ عَدَمُ إِيقَانِهِمْ هُوَ الَّذِي يَحْمِلُهُمْ عَلَى ذَلِكَ ﴿٣٧﴾ **﴿أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رِزْقِكُمْ أَمْ هُمْ الْمَصِيطِرُونَ﴾**؟ أَمْ هُمْ يَتَصَرَّفُونَ فِي الْمُلْكِ وَيَبْدَهُمْ مَفَاتِيحَ الْخَزَائِنِ؟ أَمْ هُمُ الْمُحَاسِبُونَ لِلْخَلَائِقِ؟ ﴿٣٨﴾ **﴿أَمْ لَهُمْ سُلَّمٌ يَسْتَمْعُونَ فِيهِ﴾**؟ مِرْقَاةٌ إِلَى الْمَلَأِ الْأَعْلَى **﴿فَلْيَأْتِ مُسْتَمْعُهُمْ بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ﴾** فَلْيَأْتِ الَّذِي يَسْتَمَعُ لَهُمْ بِحُجَّةٍ عَلَى صِحَّةِ مَا هُمْ فِيهِ مِنَ الْفِعَالِ؛ أَيُّ لَيْسَ لَهُمْ سَبِيلٌ إِلَى ذَلِكَ فَلْيَسْئَلُوا عَلَى شَيْءٍ. ثُمَّ قَالَ تَعَالَى مُنْكَرًا فَمَا نَسِوهُ إِلَيْهِ مِنَ الْبِنَاتِ ﴿٣٩﴾ **﴿أَمْ لَهُ الْبِنَاتِ وَلَكُمْ الْبَنُونَ﴾**؟ وَهَذَا تَهْدِيدٌ شَدِيدٌ وَوَعِيدٌ أَكِيدٌ ﴿٤٠﴾ **﴿أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا﴾** عَلَى إِبْلَاغِكِ إِيَّاهُمْ رِسَالَةَ اللَّهِ؟ **﴿فَهُمْ مِنْ مَّعْرَمٍ مُمْتَلُونَ﴾** لَسْتَ تَسْأَلُهُمْ عَلَى ذَلِكَ شَيْئًا ﴿٤١﴾ **﴿أَمْ عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُمُونَ﴾**؟ لَيْسَ الْأَمْرُ كَذَلِكَ فَإِنَّهُ لَا يَعْلَمُ مِنْ أَهْلِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ أَحَدٌ إِلَّا اللَّهُ ﴿أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا فَالَّذِينَ كَفَرُوا هُمْ الْمَكِيدُونَ﴾، إِنَّمَا يَرْجِعُ وَبِالْ كَيْدِهِمْ لِلرُّسُولِ وَأَصْحَابِهِ عَلَى أَنْفُسِهِمْ ﴿٤٣﴾ **﴿أَمْ لَهُمْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾** فَيُشْرِكُونَ ﴿٤٤﴾ **﴿وَإِنْ يَرَوْا كِسْفًا مِنَ السَّمَاءِ سَاقِطًا يَقُولُوا سَحَابٌ مَرْكُومٌ﴾** ﴿٤٤﴾ **﴿فَذَرَهُمْ حَتَّى يَلْقَئُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي فِيهِ يُصْعَقُونَ﴾** ﴿٤٥﴾ **﴿يَوْمَ لَا يُغْنِي عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾** ﴿٤٦﴾ **﴿وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا عَذَابًا دُونَ ذَلِكَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾** ﴿٤٧﴾ **﴿وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ﴾** ﴿٤٨﴾ **﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَارَ النُّجُومِ﴾** ﴿٤٩﴾

سُورَةُ النُّجُومِ

﴿٤٠﴾ **﴿أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا﴾** عَلَى إِبْلَاغِكِ إِيَّاهُمْ رِسَالَةَ اللَّهِ؟ **﴿فَهُمْ مِنْ مَّعْرَمٍ مُمْتَلُونَ﴾** لَسْتَ تَسْأَلُهُمْ عَلَى ذَلِكَ شَيْئًا ﴿٤١﴾ **﴿أَمْ عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُمُونَ﴾**؟ لَيْسَ الْأَمْرُ كَذَلِكَ فَإِنَّهُ لَا يَعْلَمُ مِنْ أَهْلِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ أَحَدٌ إِلَّا اللَّهُ ﴿أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا فَالَّذِينَ كَفَرُوا هُمْ الْمَكِيدُونَ﴾، إِنَّمَا يَرْجِعُ وَبِالْ كَيْدِهِمْ لِلرُّسُولِ وَأَصْحَابِهِ عَلَى أَنْفُسِهِمْ ﴿٤٣﴾ **﴿أَمْ لَهُمْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾** فَيُشْرِكُونَ ﴿٤٤﴾ **﴿وَإِنْ يَرَوْا كِسْفًا مِنَ السَّمَاءِ سَاقِطًا﴾** عَلَيْهِمْ يُعَذِّبُونَ بِهِ مَا أُقْتُوا بِهِ **﴿فَذَرَهُمْ حَتَّى يَلْقَئُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي فِيهِ يُصْعَقُونَ﴾** ﴿٤٥﴾ **﴿يَوْمَ لَا يُغْنِي عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا﴾** لَا يَنْفَعُهُمْ كَيْدُهُمُ الَّذِي اسْتَعْمَلُوهُ فِي الدُّنْيَا وَلَا يَجْزِي عَنْهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ شَيْئًا **﴿وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾**، ثُمَّ قَالَ تَعَالَى ﴿٤٧﴾ **﴿وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا عَذَابًا دُونَ ذَلِكَ﴾** قَبْلَ ذَلِكَ فِي الدَّارِ الدُّنْيَا، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: **﴿وَلَنَذِقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَلِيمِ الْكَبِيرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾** وَهَذَا قَالَ تَعَالَى: **﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾** تُعَذِّبُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَتَبْتَلِيهِمْ فِيهَا بِالْمَصَائِبِ لَعَلَّهُمْ يَنْبُيُونَ، وَلَكِنْ لَا يَفْهَمُونَ مَا يُرَادُ بِهِمْ ﴿٤٨﴾: **﴿وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾** اصْبِرْ عَلَى أَذَاهُمْ وَلَا تَبْتَهِمُ فَإِنَّكَ بِرَأْيِ رَبِّكَ وَمِنَ تَحْتِ كَلَامِنَا **﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ﴾** مِنْ مَجْلِسِكَ وَنَوْمِكَ، فَكَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ إِذَا قَامَ مِنْ مَجْلِسِهِ قَالَ: «سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ» ﴿٤٩﴾: **﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَارَ النُّجُومِ﴾** اذْكُرْهُ وَاعْبُدْهُ بِالتَّلَاوُحِ وَالصَّلَاةِ فِي اللَّيْلِ، **﴿وَإِدْبَارَ النُّجُومِ﴾** جُنُوحَهَا لِلْغَيْبِيَّةِ.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالْتَجَمَ إِذَا هَوَىٰ ﴿١﴾ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ﴿٢﴾ وَمَا يَنْطِقُ
عَنِ الْهَوَىٰ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾ عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ ﴿٥﴾
ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَىٰ ﴿٦﴾ وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَىٰ ﴿٧﴾ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ﴿٨﴾
فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ﴿٩﴾ فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ ﴿١٠﴾
مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ ﴿١١﴾ أَفَتَمَنُّونَهُ عَلَىٰ مَا بَرَىٰ ﴿١٢﴾ وَلَقَدْ رَآهُ
نَزَلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَىٰ ﴿١٤﴾ عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَىٰ ﴿١٥﴾
إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ﴿١٦﴾ مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴿١٧﴾ لَقَدْ رَأَىٰ
مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَىٰ ﴿١٨﴾ أَفَرَأَيْتُمْ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنْوَةَ
الْثَالِثَةَ الْآخْرَىٰ ﴿٢٠﴾ أَلَكُمُ الذَّكْرُ وَلَهُ الْأُنثَىٰ ﴿٢١﴾ تِلْكَ إِذْ أَسْمَاءُ
ضَيَّرَتْ ﴿٢٢﴾ إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءُ سَمِيَّتُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ
اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ
وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمْ الْهُدَىٰ ﴿٢٣﴾ أَمْ لِلإِنْسَانِ مَا تَمَنَّىٰ ﴿٢٤﴾ فَلِلَّهِ
الْآخِرَةُ وَالْأُولَىٰ ﴿٢٥﴾ وَكُم مِّن مَّلَكٍ فِي السَّمَوَاتِ لَا تُغْنِي
شَفَعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِمَّنْ بَعْدَ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَىٰ ﴿٢٦﴾

١: ﴿والتجم إذا هوى﴾ إذا رمى به
الشياطين ٢: ﴿ما ضل صاحبكم وما غوى﴾ هذا هو المقسم عليه، وهو الشهادة
للمرسول صلى الله عليه وآله وسلم بأنه تابع
للحق ليس بضال ٣: ﴿وما ينطق عن
الهوى﴾ ما يقول قولاً عن هوى وغرض ٤:
﴿إن هو إلا وحي يوحى﴾ إنما يقول ما أمر
به يُسلِّغه إلى الناس كاملاً من غير زيادة ولا
نقصان ٥: ﴿علمه شديد القوى﴾ وهو
جبريل عليه السلام ٦: ﴿ذو مِرَّة﴾ ذو قوة
شديدة ﴿فاستوى﴾ جبريل عليه السلام ٧:
﴿وهو بالأفق الأعلى﴾ في الأرض حين تدلى
٨: ﴿ثم دنا فتدلى﴾ فاقرب منه وهو على
الصورة التي خلقه الله عليها له ستائة جناح، ثم
راه بعد ذلك نزلة أخرى عند سدره المنتهى
٩: ﴿فكان قاب قوسين أو أدنى﴾ فاقرب
جبريل إلى محمد صلى الله عليه وآله وسلم لما
هبط عليه إلى الأرض ﴿أو أدنى﴾ هذه
صيغة لإثبات المخبر عنه ونفي ما زاد عليه
١٠: ﴿فأوحى إلى عبده ما أوحى﴾ جبريل
إلى عبد الله محمد ما أوحى [وهذا تفخيم
للوحي] ١١: ﴿ما كذب الفؤاد ما رأى﴾
ما كذب فؤاد محمد ما رآه ليلة المعراج ١٢:
﴿أفتمنونه على ما يرى﴾ أي: أتجادلونه
وتدافعونه في أنه رأى الله تعالى؟ فقد رآه
بقبله ليلة الإسراء ١٣: ﴿ولقد رآه نزلة
أخرى﴾ رأى جبريل في صورته مرتين: مرة
في الأرض والأخرى في السماء ١٤: ﴿عند

سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى﴾ وهي في السماء السابعة إليها ينتهي ما يُعْرَجُ به من الأرض ١٥: ﴿عندها جنة المأوى﴾ [تعريف بموضع الجنة، وأنها عند سِدْرَةِ
الْمُنْتَهَى] ١٦: ﴿إذ يغشى السدرة ما يغشى﴾ من فراش الذهب والملائكة، قال صلى الله عليه وآله وسلم: «وغشيتها نور الرب، وغشيتها ألوان
مأدري ماهي» ١٧: ﴿ما زاغ البصر وما طغى﴾ ماجاوز ما أمر به، وهذه صفة عظيمة في الثبات ١٨: ﴿لقد رأى من آيات ربه الكبرى﴾
الدالة على قدرتنا وعظمتنا ١٩: ﴿أفرأيتم اللات والعزى﴾ يقول تعالى ذلك مفرحاً للمشركين في عبادتهم الأصنام [التي سموها بهذه الأسماء]
٢٠: ﴿ومناة الثالثة الأخرى﴾؟ ٢١: ﴿ألكم الذكر وله الأنثى﴾؟ أتجعلون له ولداً أنثى وتجتارون لأنفسكم الذكر؟ ٢٢: ﴿تلك إذا قسمة
ضيزى﴾ في مقامسكم ربكم هذه القسمة؛ أي: هي جور وباطل وسفاهة، ثم قال تعالى منكرأ عليهم فيها ابتدغوه وأحدثوه من الكذب والكفر
من عبادة الأصنام وتسميتها آلهة: ٢٣: ﴿إن هي إلا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم﴾ من تلقاء أنفسكم ﴿ما أنزل الله بها من سلطان﴾ من حجة
﴿إن يتبعون إلا الظن وما تهوى الأنفس﴾ من سلوك مسلك الآباء الباطل، وتعظيم آباءهم الأقدمين ﴿ولقد جاءهم من ربهم الهدى﴾ لقد
أرسل الله إليهم الرسول بالحق ٢٤: ﴿أم للإنسان ما تمنى﴾؟ [أي: من شفاعة الأصنام] ٢٥: ﴿فليله الآخرة والأولى﴾ إنما الأمر إلى الله كله في
الدنيا والآخرة، فكيف ترجون أيها الجاهلون شفاعة هذه الأصنام والأنداد عند الله، وهو الذي لم يشرع عبادتها وقد نبهى عنها على ألسنة جميع
رسله؟! ٢٦: ﴿وكم من ملك في السموات لا تغني شفاعتهم شيئاً إلا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى﴾

الآية: ١٣ روى البخاري ومسلم أن رسول الله ﷺ سئل عن قوله تعالى: ﴿ولقد رآه نزلة أخرى﴾؟ فقال: «إنما ذلك جبريل، لم أره في صورته التي خلق عليها إلا مرتين؛ رآه منهبطاً
من السماء إلى الأرض ساداً أعظم خلقه ما بين السماء والأرض». / ابن كثير ج ٤/ ٢٥٧

٢٧: ﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ لَيُسَمُّونَ الْمَلَائِكَةَ تَسْمِيَةَ الْأُنثَىٰ﴾ يُنكر تعالى على المشركين في تسميتهم الملائكة تسمية الأنثى ٢٨: ﴿وَمَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ﴾ ليس لهم علم صحيح بصدق ما قالوه بل هو كذب وزور وافتراء وكفر ﴿إِنَّ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي عَنْهُ شَيْئًا﴾ لا يُجدي شيئاً ولا يقوم أبداً مقام الحق ٢٩: ﴿فَاعْرِضْ عَنْ مَنْ تَوَلَّىٰ مِنْ ذِكْرِنَا﴾ أَعْرِضْ عن الذي أَعْرِضَ عن الحقِّ وَهَجَرَهُ، ﴿وَلَمْ يُوَدِّ إِلَّا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ وإنما أكثر منه ومبلغ علمه الدنيا فذاك هو غاية ما لا يخبر فيه، ولهذا قال تعالى: ٣٠: ﴿ذَلِكَ مِبلَغُهُمْ مِنَ الْعِلْمِ﴾ طلب الدنيا والسعي لها هو غاية ما وصلوا إليه، ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ اهْتَدَىٰ﴾ هو الخالق لجميع المخلوقات والمعالِمُ بمصالح عباده، وهو الذي يهدي من يشاء، ويضلُّ من يشاء، وذلك كله عن قدرته وعلمه وحكمته، وهو العادل الذي لا يجوز أبداً لا في شرعه ولا في قدره ٣١: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ يُخبر تعالى أنه مالكُ السموات والأرض وأنه الغني عما سواهُ الحاكم في خلقه بالعدل ﴿ليجزى الذين أسأوا بما عملوا ويجزي الذين أحسنوا بالحسنى﴾ يجازي كلاً بعمله إن خيراً فخير وإن شراً فشر، ثم فسّر المحسنين بأنهم: ٣٢: ﴿الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كِبَائرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلَّا اللَّمَمَ﴾ لا يتعاطون المحرمات الكبائر وإن وقع منهم

إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ لَيُسَمُّونَ الْمَلَائِكَةَ تَسْمِيَةَ الْأُنثَىٰ ﴿٢٧﴾ وَمَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا ﴿٢٨﴾ فَاعْرِضْ عَنْ مَنْ تَوَلَّىٰ عَنْ ذِكْرِنَا وَلَمْ يُؤدِّ إِلَّا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿٢٩﴾ ذَلِكَ مِبلَغُهُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ اهْتَدَىٰ ﴿٣٠﴾ وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسْتَوُوا بِمَا عملُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحَسَنَىٰ ﴿٣١﴾ الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كِبَائرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلَّا اللَّمَمَ إِنَّ رَبَّكَ وَسِعَ الْمَغْفِرَةَ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَإِذْ أَنْتُمْ أجنةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ اتَّقَىٰ ﴿٣٢﴾ أَفَرَأَيْتَ الَّذِي تَوَلَّىٰ ﴿٣٣﴾ وَأَعْطَىٰ قَلِيلًا وَأَكْدَىٰ ﴿٣٤﴾ أَعِنْدَهُ عِلْمُ الْغَيْبِ فَهُوَ يَرَىٰ ﴿٣٥﴾ أَمْ لَمْ يَبْتَأِ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَىٰ ﴿٣٦﴾ وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّىٰ ﴿٣٧﴾ أَلَمْ نَزُرْ وَازِرَةً وَذُرَّ خُرَىٰ ﴿٣٨﴾ وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَنْ سَعِيَ سَوْفَ يَرَىٰ ﴿٤٠﴾ ثُمَّ يَجْزَاهُ الْجَزَاءَ الْأَوْفَىٰ ﴿٤١﴾ وَأَنْ إِلَىٰ رَبِّكَ الْمُنْتَهَىٰ ﴿٤٢﴾ وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَىٰ ﴿٤٣﴾ وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا ﴿٤٤﴾

بعض الصغائر، فإنه يغفر لهم ويستتر عليهم ﴿إِنَّ رَبَّكَ وَسِعَ الْمَغْفِرَةَ﴾ رحمته وسعت كل شيء ومغفرته تسع الذنوب كلها لمن تاب منها، ﴿هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ﴾ هو بصيرٌ بكم عليمٌ بأحوالكم حين أنشأكم أباًكم آدم من الأرض واستخرج ذريته من صلبه أمثال الذر، ﴿وَإِذْ أَنْتُمْ أجنةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ﴾ قد كتب الملك الذي يوكلُ بوزن رزقه وأجله وعمله وشقياً أم سعيداً، ﴿فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ﴾ تمدحوها وتشكروها ﴿هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ اتَّقَىٰ﴾ ٣٣: ﴿أَفَرَأَيْتَ الَّذِي تَوَلَّىٰ﴾؟ هذا ذمٌ لمن تولى عن طاعة الله، فلا صدق ولا صلي ولكن كذب وتولى ٣٤: ﴿وَأَعْطَىٰ قَلِيلًا وَأَكْدَىٰ﴾ قليلاً ثم قطعة ٣٥: ﴿أَعِنْدَهُ عِلْمُ الْغَيْبِ فَهُوَ يَرَىٰ﴾؟ أعند هذا الذي قد أمسك يده خشية الإنفاق أعنده علم الغيب أنه سينفذ ما في يده حتى أمسك عن معروفيه فهو يرى ذلك عياناً ٣٦: ﴿أَمْ لَمْ يَبْتَأِ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَىٰ﴾ ٣٧: ﴿وإبراهيم﴾ صحف إبراهيم ﴿الَّذي وفَّى﴾ بجميع الأوامر وترك جميع النواهي وبلغ الرسالة على تمام ٣٨: ﴿أَلَمْ نَزُرْ وَازِرَةً وَذُرَّ خُرَى﴾ كل نفس ظلمت نفسها بكفر أو شيء من الذنوب فإنما عليها وزرها ولا يحملها عنها أحد ٣٩: ﴿وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى﴾ لا يحصل من الأجر إلا ما كسب هو لنفسه ٤٠: ﴿وَأَنْ سَعِيَ سَوْفَ يَرَى﴾ يوم القيامة ٤١: ﴿ثُمَّ يَجْزَاهُ الْجَزَاءَ الْأَوْفَى﴾ الأوفر ٤٢: ﴿وَأَنْ إِلَىٰ رَبِّكَ الْمُنْتَهَى﴾ يوم القيامة ٤٣: ﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى﴾ خلق في عباده الضحك والبكاء وسببهما ومما مختلفان ٤٤: ﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا﴾ هو الذي خلق الموت والحياة.

الآية: ٣٢ عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «الصَّلَاةُ الْحَمْسُ، وَالْجُمُعَةُ إِلَى الْجُمُعَةِ، وَرَمَضَانُ إِلَى رَمَضَانَ، مُكْفَرَاتٌ لِمَا بَيْنَهُنَّ إِذَا اجْتَنَبَ الْكِبَائِرَ» صحيح مسلم كتاب الطهارة حديث رقم ١٦/ ورؤي أيضاً: «مَنْ تَوَضَّأَ لِلصَّلَاةِ فَأَسْبَغَ الوُضوءَ، ثُمَّ مَشَى إِلَى الصَّلَاةِ الْمَكْتُوبَةِ فَصَلَّاهَا مَعَ الْجَمَاعَةِ غَفَرَ اللَّهُ لَهُ ذُنُوبَهُ» رقم ١٣/.

٤٥: ﴿وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى﴾
 [أي: أولاد آدم] ٤٦: ﴿مِنْ نُطْفَةٍ إِذَا تُمْنَى﴾
 عليه النشأة الأخرى ﴿كَمَا خَلَقَ الْبَدَاءَةَ هُوَ قَادِرٌ عَلَى الْإِعَادَةِ فِي الْآخِرَةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ٤٨: ﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَغْنَىٰ وَأَقْنَىٰ﴾ مَلَكَ عِبَادَةَ الْمَالِ وَجَعَلَهُمْ قَتِيَةً مَقِيماً عِنْدَهُمْ ٤٩: ﴿وَأَنَّهُ هُوَ رَبُّ الشُّعْرَىٰ﴾ وَهُوَ النَّجْمُ الْوَقَادُ، كَانَتْ طَائِفَةٌ مِنَ الْعَرَبِ يَعْبُدُونَهُ ٥٠: ﴿وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَادًا الْأُولَىٰ﴾ وَهُمْ قَوْمٌ هُودٌ، وَعَاد: ابْنُ إِدْرِمَ بْنِ سَامَ بْنِ نُوحٍ، كَانُوا مِنْ أَشَدِّ النَّاسِ وَأَتَوَاهُمُ وَأَعْتَابَهُمْ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى ٥١: ﴿وَوَعَدَا فَمَا أَبْقَى﴾ مِنْهُمْ أَحَدًا ٥٢: ﴿وَقَوْمٌ نُوْحٍ مِنْ قَبْلِهَا﴾ مِنْ قَبْلِ هَؤُلَاءِ ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا هُمْ أَظْلَمَ وَأَقْفَى﴾ أَشَدَّ تَمَرْدًا مِنَ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ ٥٣: ﴿وَالْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَى﴾ مَدَائِنُ قَوْمِ لُوطٍ، قَلْبَهَا فَعَجَلَ عَلَيْهَا سَافِلَهَا وَأَمَطَرَ عَلَيْهَا جِحَارَةً مِنْ سَجِيلٍ مَنْضُودٍ وَهَذَا قَالَ تَعَالَى: ٥٤: ﴿فَغَشَّاهَا مَا عَشَى﴾ مِنَ الْحِجَارَةِ الَّتِي أُرْسِلَهَا عَلَيْهِمْ ٥٥: ﴿فِي أَيِّ آيَةٍ رَبِّكَ تَتَمَارَى﴾ الْإِنْسَانُ تَمَرَى؟ ٥٦: ﴿هَذَا نَذِيرٌ﴾ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ﴿مِنَ النَّذْرِ الْأُولَى﴾ مِنْ جِنْسِهِمْ ٥٧: ﴿أَزْفَتِ الْأَرْزَاقُ﴾ اقْتَرَبَتِ الْقَرِيبَةُ وَهِيَ الْقِيَامَةُ ٥٨: ﴿لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ كَاشِفَةٌ﴾ لَا يَدْفَعُهَا إِذَا وَقَعَتْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَحَدٌ ٥٩: ﴿أَقِيمَنَّ هَذَا الْحَدِيثَ تَعْجَبُونَ؟ يُنْكِرُ تَعَالَى عَلَى الْمُشْرِكِينَ فِي اسْتِعَاظِهِمْ لِلْقُرْآنِ وَإِعْرَاضِهِمْ عَنْهُ، [وَعَجَبِهِمْ]

وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى ﴿٤٥﴾ مِنْ نُطْفَةٍ إِذَا تُمْنَى ﴿٤٦﴾ وَأَنَّ عَلَيْهِ النُّشْأَةَ الْآخِرَى ﴿٤٧﴾ وَأَنَّهُ هُوَ أَغْنَىٰ وَأَقْنَىٰ ﴿٤٨﴾ وَأَنَّهُ هُوَ رَبُّ الشُّعْرَىٰ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَادًا الْأُولَىٰ ﴿٥٠﴾ وَتَمُودًا فَمَا أَبْقَى ﴿٥١﴾ وَقَوْمٌ نُوْحٍ مِنْ قَبْلِهَا إِنَّهُمْ كَانُوا هُمْ أَظْلَمَ وَأَقْفَىٰ ﴿٥٢﴾ وَالْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَىٰ ﴿٥٣﴾ فَغَشَّاهَا مَا عَشَىٰ ﴿٥٤﴾ فِي أَيِّ آيَةٍ آيَةٍ رَبِّكَ تَتَمَارَىٰ ﴿٥٥﴾ هَذَا نَذِيرٌ مِنَ النَّذْرِ الْأُولَىٰ ﴿٥٦﴾ أَزْفَتِ الْأَرْزَاقُ ﴿٥٧﴾ لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ كَاشِفَةٌ ﴿٥٨﴾ أَقِيمَنَّ هَذَا الْحَدِيثَ تَعْجَبُونَ ﴿٥٩﴾ وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ ﴿٦٠﴾ وَأَنْتُمْ سَمِيدُونَ ﴿٦١﴾ فَاسْتَجِدُوا لِلَّهِ وَأَعْبُدُوا ﴿٦٢﴾

سُورَةُ الْقَمَرِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
 اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ ﴿١﴾ وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرَضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمَرٌّ ﴿٢﴾ وَكَذَّبُوا وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ وَكُلُّ أَمْرٍ مُسْتَقَرٌّ ﴿٣﴾ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنَ الْأَنْبَاءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ ﴿٤﴾ حِكْمَةٌ بَالِغَةٌ فَمَا تُغْنِ النَّذِرُ ﴿٥﴾ فَتَوَلَّوْا عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعُ إِلَىٰ شَيْءٍ تُكْرَهُ ﴿٦﴾

أن يكون صحيحاً ٦٠: ﴿وتضحكون﴾ منه استهزاء وسخرية ﴿ولا تبكون﴾ كما يفعل المؤمنون به ٦١: ﴿وانتم سامدون﴾ معرضون غافلون؟! ٦٢: ﴿فاستجدوا لله واعبدوا﴾ فاحضروا له وأخلصوا، ووجدوه.

تفسير سورة القمر

١: ﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ﴾ يُخْبِرُ تَعَالَى عَنْ اقْتِرَابِ السَّاعَةِ وَفِرَاقِ الدُّنْيَا وَانْقِضَائِهَا ٢: ﴿وَإِنْ يَرَوْا آيَةً﴾ دَلِيلًا وَحُجَّةً وَبِرَهَانًا ﴿يُعْرَضُوا﴾ لَا يَنْقَادُوا لَهُ بَلْ يَتَرَكُونَهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ ﴿وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمَرٌّ﴾ يَقُولُونَ: هَذَا الَّذِي شَاهَدْنَاهُ مِنَ الْحُجَجِ سِحْرٌ سَحْرًا بَدِيًّا مَضْمَحَلٌّ لَا دَوَامَ لَهُ ٣: ﴿وَكَذَّبُوا وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ﴾ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ إِذْ جَاءَهُمْ وَاتَّبَعُوا آرَاءَهُمْ، وَهَذَا مِنْ جَهْلِهِمْ وَسَخَافَةِ عَقُولِهِمْ ﴿وَكُلُّ أَمْرٍ مُسْتَقَرٌّ﴾ الْخَيْرُ وَقَعَ بِأَهْلِ الشَّرِّ وَقَعَ بِأَهْلِ هُدَايِهِ تَعَالَى لِمَنْ هَدَاهُ، وَإِضْلَالَهُ لِمَنْ أَضَلَّهُ ﴿فَمَا تُغْنِي النَّذِرُ؟﴾ أَيُّ شَيْءٍ تُغْنِي النَّذِرُ عَمَّنْ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِ الشَّقَاوَةَ وَخَتَمَ عَلَى قَلْبِهِ؟ فَمَنْ الَّذِي يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ؟ ٤: ﴿وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنَ الْأَنْبَاءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ﴾ مِنَ الْأَخْبَارِ مَا فِيهِ وَعَاطَظَهُمْ عَنِ الشَّرِّ وَاتِّمَادِهِ عَلَى التَّكْذِيبِ ٥: ﴿حِكْمَةٌ بَالِغَةٌ﴾ فِي هِدَايَتِهِ تَعَالَى لِمَنْ هَدَاهُ، وَإِضْلَالَهُ لِمَنْ أَضَلَّهُ ﴿فَمَا تُغْنِي النَّذِرُ عَمَّنْ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِ الشَّقَاوَةَ وَخَتَمَ عَلَى قَلْبِهِ؟ فَمَنْ الَّذِي يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ؟ ٦: ﴿فَتَوَلَّوْا عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعُ إِلَىٰ شَيْءٍ تُكْرَهُ﴾ يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعُ إِلَىٰ شَيْءٍ تُكْرَهُ، إِلَىٰ شَيْءٍ مُنْكَرٍ فَظِيحٍ، وَهُوَ مَوْقِفُ الْحِسَابِ وَمَا فِيهِ مِنَ الْأَهْوَالِ.

٧: ﴿خُشَعًا أَبْصَارُهُمْ﴾ ذليلة أبصارهم ﴿يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ﴾ وهي القبور ﴿كَانَهُمْ جَرَادٌ مْتَشِرٌ﴾ كأنهم في انتشارهم وسرعة سيرهم إلى موقف الحساب إجابة للداعي جرادٌ منتشرٌ في الآفاق، ولهذا قال تعالى: ٨: ﴿مُهْطِعِينَ﴾ مُسرعين ﴿إِلَى الداعي﴾ لا يخالفون ولا يتأخرون، ﴿يقول الكافرون هذا يومٌ عسيرٌ﴾ يوم شديد الهول عسيرٌ قمتير ٩: ﴿كذبت قبلهم قوم نوح﴾ كذب قبل قومك يا محمد قوم نوح ﴿فكذبوا عبدنا﴾ صرخوا له بالكذب واتهموه بالجنون ﴿وقالوا جنونٌ وازدجر﴾ استطير جنونا، وتوعده ١٠: ﴿فدعا ربه أني مغلوبٌ فانتصر﴾ إني ضعيف عن مقاومة هؤلاء فانتصر أنت لدينيك ١١: ﴿فتفتحنا أبواب السماء بماء منهمر﴾ وهو الكثير ١٢: ﴿وفجرنا الأرض عُيُونًا﴾ نبعث جميع أرجاء الأرض حتى التنانير التي هي محال النيران نبعث عُيُونًا ﴿فالتقى الماء﴾ من السماء والأرض ﴿على أمرٍ قد قدر﴾ على أمرٍ مقدر ١٣: ﴿وحملناه على ذات ألواحٍ ودُسرٍ﴾ ذات أضلاع [مثنوي] بالمسامير ١٤: ﴿تجري بأعيننا﴾ بأمرنا برأى منا وتحت حفظنا وكلائتنا، ﴿جزاء لمن كان كافرًا﴾ جزاء لهم على كفرهم بالله وانتصاراً لنوح عليه السلام ١٥: ﴿ولقد تركناها آية﴾ أبى الله سفينة نوح حتى أدركها أول هذه الأمة ﴿فهل من مُدكرٍ﴾؟ فهل من يتذكر ويتعظ؟ ١٦: ﴿فكيف عذابي ونذري﴾؟ كيف كان عذابي

خُشَعًا أَبْصَارُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَانَهُمْ جَرَادٌ مْتَشِرٌ ﴿٧﴾
 مُهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ يَقُولُ الْكَافِرُونَ هَذَا يَوْمٌ عَسِيرٌ ﴿٨﴾ كَذَبَتْ
 قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِدُ
 رَبِّهِ أَنَّى مَغْلُوبٌ فَأَنْتَصِرَ ﴿٩﴾ فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ
 ﴿١٠﴾ وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ﴿١١﴾
 وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ أَلْوَحٍ وَدُسرٍ ﴿١٢﴾ تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَاءً لِمَنْ كَانَ
 كُفِرًا ﴿١٣﴾ وَلَقَدْ تَرَكْنَاهُ آيَةً فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ﴿١٤﴾ فَكَيْفَ كَانَ
 عَذَابِي وَنَذِيرٍ ﴿١٥﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ
 ﴿١٦﴾ كَذَبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنَذِيرٍ ﴿١٧﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ
 رِيحًا صَرْصَرًا فِي يَوْمٍ نَحْسٍ مُسْتَمِرٍّ ﴿١٨﴾ تَنْزِعُ النَّاسَ كَانَهُمْ أَعْجَازُ
 نَخْلٍ مَنفَعِرٍ ﴿١٩﴾ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنَذِيرٍ ﴿٢٠﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ
 لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ﴿٢١﴾ كَذَبَتْ ثَمُودُ بِالنُّذُرِ ﴿٢٢﴾ فَقَالُوا أَبَشْرًا
 مِمَّا وَجَدْنَا نَتَّبِعُهُ إِنَّا إِذَا لَفِيَ ضَلَالٍ وَسُعُرٍ ﴿٢٣﴾ أَلَيْقَى الذِّكْرِ عَلَيْهِ
 مِنْ يَبِينًا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌّ ﴿٢٤﴾ سَيَعْلَمُونَ عَذَابَ الْكُذَّابِ
 الْأَشِرِّ ﴿٢٥﴾ إِنَّا مَرْسَلُوا النَّاقَةَ فَنَتَّهَتْ لَهُمْ فَأَرْقَبَهُمْ وَأَصْطَبِرَ ﴿٢٦﴾

لمن كفر بي وكذب رُسُلِي ولم يتعظ بما جاءت به نُذُرِي؟ وكيف انتصرت لهم؟ ١٧: ﴿ولقد يسرنا القرآن للذكر﴾ سهلنا لفظه ويسرنا معناه لمن اراده ليتذكر الناس ﴿فهل من مُدكرٍ﴾ فهل من مُتذكرٍ بهذا القرآن الذي يسر الله حفظه ومعناه ١٨: ﴿كذبت عاد فكيف كان عذابي ونذري﴾؟ وهم قوم هود، كذبوا رسولهم فأرسل الله عليهم ريحاً: ١٩: ﴿إنا أرسلنا عليهم ريحاً صرصراً﴾ وهي الباردة الشديدة البرودة ﴿في يوم نحس مستمر﴾ عليهم نحسه ودماره، لأنه يوم اتصل فيه عذابهم الدنيوي بالأحروي ٢٠: ﴿تنزع الناس﴾ تأتي أحدهم فترفعه حتى تبعته عن الأبصار ثم تنكسه على رأسه ﴿كانهم أعجاز نخلٍ منفعير﴾ تلغ رأسه فيقى جثة بلا رأس ٢١: ﴿فكيف كان عذابي ونذري﴾؟ ٢٢: ﴿ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مُدكرٍ﴾؟ ٢٣: ﴿كذبت ثمود بالنذير﴾ كذبوا صالحاً ٢٤: ﴿فقالوا أبشراً مما وجدنا نتبعه إنا إذا لفي ضلال وسُعُرٍ﴾؟ يقولون: لقد جننا وخسرنا إن سلّمنا قيادنا لواحدٍ منا، ثم تعجبوا من إلقاء الوحي عليه خاصة من دونهم: ٢٥: ﴿ألقى الذكر عليه من بيننا بل هو كذاب أشير﴾ متجاوز في حدّ الكذب، قال الله تعالى: ٢٦: ﴿سيعلمون عذاباً من الكذاب الأشير﴾ وهذا تهديد لهم شديد ووعيد أكيد، ثم قال تعالى: ٢٧: ﴿إنا مرسلوا الناقة فتته لهم﴾ اختبأوا لهم؛ أخرج الله تعالى لهم ناقةً عَشْرَاءَ من صخرة صماء طبق ما سألوها لتكون حجةً الله عليهم في تصديق صالح عليه السلام، فجاءهم بها، ثم قال تعالى: ﴿فارق قبهم واصطبر﴾ انظر ما يُؤول إليه أمرهم، فإن العاقبة لك في الدنيا والآخرة.

٢٨: ﴿وَنِيَّهِمْ أَن الْمَاءَ قِسْمَةٌ بَيْنَهُمْ﴾ يوم لهم ويوم للتافة، وكانوا إذا غابت حضروا الماء، وإذا جاءت حضروا اللبن، ثم قال تعالى: ٢٩: ﴿فَنَادُوا صَاحِبَهُمْ﴾ وكان أشقى قومه ﴿فَعَقَرُ﴾ [الناقة] ٣٠: ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرِي﴾؟ كيف كان عقابي الذي عاقبتهم به على كفرهم بي وتكذيبهم رسولي؟ ٣١: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَاحِدَةً فَكَانُوا كَهَشِيمِ الْمُخْتَطِرِ﴾ ﴿وَلَقَدْ يَسْرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدْرِكٍ﴾ ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ بِالنَّذْرِ﴾ ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلَّا آلَ لُوطٍ نَجَّيْنَاهُمْ بِسَحَرٍ﴾ ﴿لَقَدْ أَنْذَرَهُمْ بَطْشَتَنَا فَتَمَارَوْا بِالنَّذْرِ﴾ ﴿وَلَقَدْ رَاوَدُوهُ عَنْ صَيْفِهِ فطمسنا أعينهم فذوقوا عَذَابِي وَنُذْرِي﴾ ﴿وَلَقَدْ صَبَّحَهُمْ بُكْرَةً عَذَابٌ مُسْتَقِرٌّ﴾ ﴿فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذْرِي﴾ ﴿وَلَقَدْ يَسْرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدْرِكٍ﴾ ﴿وَلَقَدْ جَاءَ آلَ فِرْعَوْنَ النَّذْرُ﴾ ﴿كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كُلِّهَا فَأَخَذْنَاهُمْ أَخَذَ عَزِيزٌ مُقْتَدِرٌ﴾ ﴿أَكْفَارُكُمْ خَيْرٌ مِنْ أُولَئِكُمْ أَمْ لَكُمْ بَرَاءَةٌ فِي الزُّبُرِ﴾ ﴿أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُنْتَصِرُونَ﴾ ﴿سَيَهْرَمُ الْجَمْعُ وَيُولُونَ الذُّبُرِ﴾ ﴿بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَذَىٰ وَآمُرُ﴾ ﴿إِنَّ الْمَجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ﴾ ﴿يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ﴾ ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾

٥٣.

أمرأة العجوز السوء إلى قومها فأعلمتهم بأضيافه، فأقبلوا بهرغون إليه، فأغلق لوط ذوتهم الباب، فجعلوا يحاولون كسر الباب، ولوط عليه السلام يُمانعهم دون أضيافه، فلما اشتد الحال وأبوا إلا الدخول، خرج عليهم جبريل عليه السلام فضرب أعينهم ﴿فطمسنا أعينهم﴾ فرجعوا على أديارهم يتحسسون بالحيطان ويتوعدون لوطاً عليه السلام إلى الصباح، قال الله تعالى: ٣٨: ﴿وَلَقَدْ صَبَّحَهُمْ بُكْرَةً عَذَابٌ مُسْتَقِرٌّ﴾ لا محيد لهم عنه ولا انفكاك لهم منه ٣٩: ﴿فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذْرِي﴾ ٤٠: ﴿وَلَقَدْ يَسْرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدْرِكٍ﴾؟ ٤١: ﴿وَلَقَدْ جَاءَ آلَ فِرْعَوْنَ النَّذْرُ﴾ جاءهم موسى وأخوه هارون بآيات متعدّدة قال تعالى: ٤٢: ﴿كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كُلِّهَا فَأَخَذْنَاهُمْ أَخَذَ عَزِيزٌ مُقْتَدِرٌ﴾ فأبأدهم الله ولم يبق منهم شجر ولا عين ولا أثر، ثم قال تعالى: ٤٣: ﴿أَكْفَارُكُمْ﴾ أي المشركون ﴿خَيْرٌ مِنْ أُولَئِكُمْ﴾ من الذين أهلكتوا بسبب تكذيبهم الرسل، أتم خير أم أولئك؟ ﴿أَمْ لَكُمْ بَرَاءَةٌ فِي الزُّبُرِ﴾ أمعكم من الله براءة؟ [منزلة في الكتب] أن لا ينالكم العذاب؟ ٤٤: ﴿أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُنْتَصِرُونَ﴾ إن جمعهم يُغني عنهم من أرادهم بسوء، قال تعالى: ٤٥: ﴿سَيَهْرَمُ الْجَمْعُ وَيُولُونَ الذُّبُرِ﴾ سيتفرق شملهم ويُعلون ٤٦: ﴿بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَذَىٰ وَآمُرُ﴾ أي: ممّا لحقهم يوم بدر] ٤٧: ﴿إِنَّ الْمَجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ﴾ [أي: في حيدة عن الحق] ممّا هم فيه من الشكوك ﴿وسُعُرٍ﴾ [أي: احتراق] ٤٨: ﴿يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ﴾ كما كانوا في شك وتردد، ويُقال لهم تقريباً وتوبيخاً: ﴿ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ﴾ ٤٩: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾، وفي صحيح مسلم قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ﴿إن الله كتب مقادير الخلق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة﴾.

الآية: ٣٢ قال رسول الله ﷺ: ﴿يُقَالُ لِصَاحِبِ الْقُرْآنِ: اقْرَأْ وَارْقُ وَرَتِّلْ كَمَا كُنْتَ تَرْتِّلُ فِي الدُّنْيَا، فَإِنَّ مَنْزِلَكَ عِنْدَ آخِرِ آيَةٍ تَقْرَأُ بِهَا﴾ رواه البخاري، وقال ﷺ: ﴿الْمَاهِرُ بِالْقُرْآنِ مَعَ الشُّعْرَةِ الْكِرَامِ الْبَرَّةِ، وَالَّذِي يَفْقَرُ الْقُرْآنَ وَيَتَعَتَّقُ فِيهِ وَهُوَ عَلَيْهِ شَاقٌّ، لَهُ أَجْرَانِ﴾ رواه الشيخان في صحيحهما. [جامع الأصول ج/٨ ٥٠٢-٥٠٣/٥٠٣].

٥٠: ﴿وَمَا أَمَرْنَا إِلَّا وَاحِدَةً كَلِمَةً

بالبصر﴾ هذا إخبار عن نفوذ المشيئة في خلقه كما أخبر بنفوذ قدره فيهم؛ أي: إنما أمر بالشيء مرة واحدة لا تحتاج إلى تأكيد ثانية، فيكون ذلك حاصلًا موجودًا كالمصباح لا يتأخر طرفه عين ٥١: ﴿ولقد أهلكنا أشياء عظمى﴾ أمثالكم وسلفكم من الأمم السابقة المكذبين بالرسول ﴿فهل من مذكور؟﴾ من متعظ بما أهلك الله أولئك وقد لهم من العذاب ٥٢: ﴿وكل شيء فعلة﴾ مكتوب ﴿في الزبور﴾ في الكتب التي بأيدي الملائكة عليهم السلام ٥٣: ﴿وكل صغير وكبير﴾ من أعمالهم ﴿مستطير﴾ مجموع عليهم ومستطير في صحائفهم، لا يُغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها ٥٤: ﴿إن المتقين في جنات ونهر﴾ بعكس ما الأشقياء فيه من الضلال والشعر، ﴿ونهر﴾ [يعني أنهار الماء والخمر والعسل واللبن] ٥٥: ﴿في مقعد صدقٍ عند مليك مقتدر﴾ عند الملك العظيم الخالق للأشياء كلها ومقدرها.

تفسير سورة الرحمن

١: ﴿الرحمن﴾ ٢: ﴿علم القرآن﴾ ٣: ﴿خلق الإنسان﴾ ٤: ﴿علمه البيان﴾ يُخبر تعالى عن فضله ورحمته بخلقه أنه أنزل على عباده القرآن وسر حفظه وفهمه على من رحمته، ﴿علمه البيان﴾ التلويح بتسهيل خروج الحروف من مواضعها من الخلق واللسان والشفتين على اختلاف مخارجها، وأنواعها وعلمه اللغات كلها. والحلال والحرام.

سورة الرحمن

سورة الرحمن

وَمَا أَمَرْنَا إِلَّا وَاحِدَةً كَلِمَةً بِالْبَصْرِ ﴿٥٠﴾ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا
أَشْيَاءَكُمْ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ﴿٥١﴾ وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ
فِي الزَّبْرِ ﴿٥٢﴾ وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُسْتَطَرٌّ ﴿٥٣﴾ إِنَّ الْمُتَّقِينَ
فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ ﴿٥٥﴾

سورة الرحمن

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الرَّحْمَنُ ﴿١﴾ عَلَّمَ الْقُرْآنَ ﴿٢﴾ خَلَقَ الْإِنْسَانَ ﴿٣﴾
عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ﴿٤﴾ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ ﴿٥﴾ وَالنَّجْمُ
وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ ﴿٦﴾ وَالسَّمَاءُ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ ﴿٧﴾
أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ ﴿٨﴾ وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ
وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ ﴿٩﴾ وَالْأَرْضُ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ ﴿١٠﴾
فِيهَا فَكَّهَةٌ وَالنَّخْلُ ذَاتُ الْأَكْمَامِ ﴿١١﴾ وَالْحَبُّ ذُو الْعَصْفِ
وَالرِّيحَانُ ﴿١٢﴾ فَيَأْتِيهِمْ آيَاتُ رَبِّهِمْ كَذَّبَانِ ﴿١٣﴾ خَلَقَ
الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ ﴿١٤﴾ وَخَلَقَ الْجَانَّ
مِنْ مَارِجٍ مِّن نَّارٍ ﴿١٥﴾ فَيَأْتِيهِمْ آيَاتُ رَبِّهِمْ كَذَّبَانِ ﴿١٦﴾

٥٣١

والهدى والضلال] ﴿علم القرآن﴾ علمه نبيه صلى الله عليه وآله وسلم حتى آذاه إلى جميع الناس ٥: ﴿الشمس والقمر بحسبان﴾ يجريان مُتَعَابِقِينَ بحساب متقن لا يختلف ولا يضطرب ﴿لا الشمس ينبغي لها أن تُدرك القمر ولا الليل سابق النهار﴾ ٦: ﴿والنجم والشجر يسجدان﴾ النجم: ما انبسط على وجه الأرض من النبات، والنجم الذي في السماء، قال تعالى: ﴿ألم تر أن الله يسجد له من في السموات ومن في الأرض والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب وكثير من الناس﴾ ٧: ﴿والسما رفعها ووضع الميزان﴾ العدل ٨: ﴿ألا تطغوا في الميزان﴾ بالحق والعدل؛ لتكون الأشياء كلها بالحق والعدل، ولهذا قال تعالى: ٩: ﴿وأقيموا الوزن بالقسط ولا تخسروا الميزان﴾ لا تبخسوا الوزن بل زنوا بالحق والقسط ١٠: ﴿والأرض وضعها للأنام﴾ مهدا وأرساها ليستقر على وجهها الأنام وهم الخلق المختلفة ١١: ﴿فيها فاكهة﴾ مختلفة الألوان والطعوم ﴿والنخل ذات الأكمام﴾ أفرد النخل لشرفه ونفعه رطباً وباساً، والأكام: أوعية الطلع الذي يطلع فيه العنقود ١٢: ﴿والحب ذو العصف والريحان﴾ كالفصح والشعير، والريحان: الورق الملتف على ساقها ١٣: ﴿فيا أي آيات ربكم تكذبان﴾؟ فيا أي نعم الله وأنتم مغمورون بها لا تستطيعون إنكارها؟ [وهو خطاب للإنس والجن] ونحن نقول كما قالت الجن المؤمنون: اللهم ولا بشيء من الآيات ربنا نكذب، فلك الحمد ١٤: ﴿خلق الإنسان من صلصال﴾ [أي: الطين اليابس] ﴿كالفخار﴾ [أي: الذي طبخ] ١٥: ﴿وخلق الجان من مارج﴾ [أي: من هب النار]، وخلق الملائكة من نور ١٦: ﴿فيا أي آيات ربكم تكذبان﴾؟ اللهم ولا بشيء من الآيات ربنا نكذب فلك الحمد.

الآية: ٢-١ عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «ما جمع قوم في بيت من بيوت الله تبارك وتعالى، يتلون كتاب الله عز وجل، ويذارسونه بينهم، إلا نزلت عليهم السكينة وعشيتهم الرحمة، وحفظتهم الملائكة، وذكرهم الله فيمن عنده» رواه أبو داود وإسناده صحيح / جامع الأصول ج ٨/ ٥٩٦/٨.

١٧: ﴿رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ﴾ مشرقى الصيف والشتاء ومغربيهما، وقال في الآية الأخرى: ﴿فَلَا أَسْمُ رَبِّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ﴾ وذلك باختلاف مطالع الشمس وتقلبها في كل يوم وبيرونها منه إلى الناس، وقال في الآية الأخرى: ﴿رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ كَيْلًا﴾ وهذا المراد منه جنس المشارق والمغرب، ولما كان في اختلاف هذه المشارق والمغرب مصالح للخلق من الجن والإنس قال تعالى: ١٨: ﴿فَبِأَيِّ آيَةٍ رَبِّكَمَا تُكَذِّبَانِ﴾؟ ١٩: ﴿مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ﴾ نعمهما أن يلتقيا بما جعل بينهما من البرزخ الحاجز بينهما، والمراد بالبحرين: الملح والحلو، قال تعالى: ﴿وهو الذي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَحْجُورًا﴾. والمراد بالبحرين: بحر السماء وبحر الأرض ٢٠: ﴿بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ﴾ وهو الحاجز لئلا يبغي هذا على هذا وهذا على هذا فيفسد كل منهما الآخر ويزيله عن صفته ٢١: ﴿فَبِأَيِّ آيَةٍ رَبِّكَمَا تُكَذِّبَانِ﴾؟ ٢٢: ﴿يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللَّوْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ﴾ قال ابن عباس: ما سقطت قطرة من السماء في البحر فوفعت في صدفة إلا صار منها لؤلؤة، والمرجان صغاره ٢٣: ﴿فَبِأَيِّ آيَةٍ رَبِّكَمَا تُكَذِّبَانِ﴾؟ ٢٤: ﴿وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنشآتُ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ﴾ السفن التي تجري في البحر كالجبال في كبرها، وما فيها من المتاجر المنقولة من قطر إلى قطر ٢٥:

رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ ﴿١٧﴾ فَبِأَيِّ آيَةٍ رَبِّكَمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٨﴾
 مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ﴿١٩﴾ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ ﴿٢٠﴾ فَبِأَيِّ آيَةٍ رَبِّكَمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢١﴾ يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللَّوْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ ﴿٢٢﴾ فَبِأَيِّ آيَةٍ رَبِّكَمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢٣﴾ وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنشآتُ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ ﴿٢٤﴾
 فَبِأَيِّ آيَةٍ رَبِّكَمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢٥﴾ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَلِ وَالْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾ فَبِأَيِّ آيَةٍ رَبِّكَمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢٨﴾ يَسْأَلُهُمْ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلُّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ ﴿٢٩﴾ فَبِأَيِّ آيَةٍ رَبِّكَمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٠﴾ سَنَفَعُ لَكُمْ أَيُّهُ الثَّقَلَانِ ﴿٣١﴾ فَبِأَيِّ آيَةٍ رَبِّكَمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٢﴾ يَمَعَشِرَ الْجَنِّ وَالْإِنْسِ إِنْ أَسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانْفُذُوا وَآلَافُ الْمُنْفُذِينَ ﴿٣٣﴾ فَبِأَيِّ آيَةٍ رَبِّكَمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٤﴾ يُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَاشِيَةً سَافِرًا مِنْ نَارٍ وَنَحَّاسًا فَلَا تَنْصِرَانِ ﴿٣٥﴾ فَبِأَيِّ آيَةٍ رَبِّكَمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٦﴾ فَإِذَا انشَقَّتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ ﴿٣٧﴾ فَبِأَيِّ آيَةٍ رَبِّكَمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٨﴾ فَيَوْمَئِذٍ لَا يُسْأَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَلَا جَانٌ ﴿٣٩﴾ فَبِأَيِّ آيَةٍ رَبِّكَمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٠﴾ فَبِأَيِّ آيَةٍ رَبِّكَمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤١﴾

﴿فَبِأَيِّ آيَةٍ رَبِّكَمَا تُكَذِّبَانِ﴾؟ ٢٦: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾ يُخبر تعالى أن جميع أهل الأرض سيذهبون ويموتون أجمعون ٢٧: ﴿وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَلِ وَالْإِكْرَامِ﴾ فالرَّبُّ تعالى وتقدس لا يموت، بل هو الحي الذي لا يموت أبداً، فهو ذو العظمة والكبرياء ٢٨: ﴿فَبِأَيِّ آيَةٍ رَبِّكَمَا تُكَذِّبَانِ﴾؟ ٢٩: ﴿يَسْأَلُهُمْ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلُّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ وهذا إخبار عن غناه عمَّا سِوَاهُ، وافتقار الخلائق إليه في جميع الآيات وأنهم يسألونه بلسان حاشم وقالم، وأنه كل يوم هو في شأن، بأن يجيب داعياً أو يعطي سائلاً، أو يفك عانياً أو يشفي سقيماً: ٣٠: ﴿فَبِأَيِّ آيَةٍ رَبِّكَمَا تُكَذِّبَانِ﴾؟ ٣١: ﴿سَنَفَعُ لَكُمْ أَيُّهُ الثَّقَلَانِ﴾ هذا وعيد من الله تعالى للعباد وليس بالله شغل وهو فارغ، لا يشغله شيء عن شيء، والثقلان: الجن والإنس ٣٢: ﴿فَبِأَيِّ آيَةٍ رَبِّكَمَا تُكَذِّبَانِ﴾؟ ٣٣: ﴿يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنْ أَسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانْفُذُوا وَآلَافُ الْمُنْفُذِينَ﴾ لا تستطيعون هرباً من أمر الله وقدره بل هو محيط بكم، ﴿إِلَّا بسلطان﴾ إلا بأمر الله ٣٤: ﴿فَبِأَيِّ آيَةٍ رَبِّكَمَا تُكَذِّبَانِ﴾؟ ٣٥: ﴿يُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَاشِيَةً سَافِرًا مِنْ نَارٍ﴾ هب النار الأخضر ﴿وَنَحَّاسًا﴾ دخان النار ﴿فَلَا تَنْصِرَانِ﴾ وهذا في مقام الحشر، [تردهم بهما الملائكة إذا هربوا] ٣٦: ﴿فَبِأَيِّ آيَةٍ رَبِّكَمَا تُكَذِّبَانِ﴾؟ ٣٧: ﴿فَإِذَا انشَقَّتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ﴾ يوم القيامة، تدوب كما تدوب الفضة في السبك وتتلون كما تتلون الأصباغ فتارة حمراء وصفراء وخضراء، وذلك من شدة هول يوم القيامة ٣٨: ﴿فَبِأَيِّ آيَةٍ رَبِّكَمَا تُكَذِّبَانِ﴾؟ ٣٩: ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَا يُسْأَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَلَا جَانٌ﴾ هذا بعد ما يؤمر بهم إلى النار، فذلك الوقت لا يسألون عن ذنوبهم، بل يقادون إليها ويلقون فيها ٤٠: ﴿فَبِأَيِّ آيَةٍ رَبِّكَمَا تُكَذِّبَانِ﴾؟ اللهم ولا بشيء من الآثك ربنا نكذب فلك الحمد.

الآية: ٢٦ عن ابن عمر قال: كتبت مع رسول الله ﷺ نجاءه رجل من الأنصار، فسلم على النبي ﷺ ثم قال: يا رسول الله أي المؤمنين أفضل؟ قال: وأحسنهم خلقاً، قال: فأبى المؤمنين أكين؟ قال: وأكثرهم الموت ذكراً، وأحسنهم لِمَا بَعْدَهُ استعداداً، أولئك الأكياس!! صحيح بن ماجه ج ٤١٩/٢ رقم ٢٤٣٥.

٤١: ﴿يُعْرِفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمْ﴾
 بعلاماتٍ تظهر عليهم؛ بأسوداد الوجوه
 وزرقة العيون ﴿فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي
 والأقدام﴾ يجمع الزبانية ناصيته مع قدميه
 ويلقونه في النار كذلك ٤٢: ﴿فَبِأَيِّ آيَةٍ
 رَبِّكُمَا تُكذِّبان؟﴾ ٤٣: ﴿هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي
 يُكَذِّبُ بِهَا الْمُجْرِمُونَ﴾ هذه النار التي كنتم
 تكذبون بوجودها، هاهي حاضرة تشاهدونها
 عياناً، يقال لهم ذلك تقريباً وتوبيخاً وتصغيراً
 وتحقيراً ٤٤: ﴿يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ
 آتٍ﴾ تارة يعدّون في الحميم وتارة يسقون
 من الحميم، وهو الشراب الذي هو كالنحاس
 المذاب يقطع الأمعاء والأحشاء، وهذه الآية
 كقوله تعالى: ﴿إِذْ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ
 وَالسَّلَاسِلُ يُسْحَبُونَ فِي الحَمِيمِ ثُمَّ فِي النَّارِ
 يُسْجَرُونَ﴾، و﴿آتٍ﴾ حار قد بلغ الغاية في
 الحرارة لا يستطيع من شدة ذلك ٤٥:
 ﴿فَبِأَيِّ آيَةٍ رَبِّكُمَا تُكذِّبان؟﴾ ٤٦:
 ﴿وَلَمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جِئْتَانٍ﴾ وقوله
 تعالى: ﴿وَمِنْ دُونِهِمَا جِئْتَانٍ﴾ جنتان من
 ذهب للمقربين، وجنتان من ورق لأصحاب
 اليمين ٤٧: ﴿فَبِأَيِّ آيَةٍ رَبِّكُمَا تُكذِّبان؟﴾
 ٤٨: ﴿ذَوَاتَا أَفْنَانٍ﴾ أغصان نضرة حسنة
 تحمل من كل ثمرة نضيجة فائقة ٤٩:
 ﴿فَبِأَيِّ آيَةٍ رَبِّكُمَا تُكذِّبان؟﴾ ٥٠:
 ﴿فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيانِ﴾ تسرحان لسقي
 تلك الأشجار والأغصان فتتمر من جميع
 الألوان ٥١: ﴿فَبِأَيِّ آيَةٍ رَبِّكُمَا تُكذِّبان؟﴾

عينان: إحداهما يقال لها تسميم، والأخرى
 السلسليل ٥٢: ﴿فِيهِمَا مِنْ كُلِّ فَاكِهَةٍ زُوجَانِ﴾ من جميع أنواع الثمار مما يعلمون وخير مما يعلمون، ومما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا
 خطر على قلب بشر ٥٣: ﴿فَبِأَيِّ آيَةٍ رَبِّكُمَا تُكذِّبان؟﴾ ٥٤: ﴿مُتَكَبِّرِينَ عَلَى قُرُوشٍ بَطَانِئِهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ﴾ أهل الجنة، والمراد بالاتكاء ههنا
 الاضطجاع، والاستبرق: ما غلظ من اللديح المزين بالذهب، هذه البطائن، والظواهر من نور، وعلى الظواهر الحامض ولا يعلم ما تحت الحامض
 إلا الله تعالى، ﴿وَجَنَّتِ الْجَنَّتَيْنِ دَانٍ﴾ ثمرهما قريب إليهم متى شاؤوا على أي صفة كانوا، كما قال تعالى: ﴿قَطُوفُهَا دَانِيَةٌ﴾، ﴿وَوَدَّلْتُ قَطُوفُهَا
 تذليلاً﴾ لا تمتنع ممن تناولها بل تنحط إليه من أغصانها ٥٥: ﴿فَبِأَيِّ آيَةٍ رَبِّكُمَا تُكذِّبان؟﴾ ٥٦: ﴿فِيهِنَّ فِي الْفُرَشِ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ﴾
 غضبيضات عن غير أزواجهن، فلا يرين في الجنة أحسن من أزواجهن، ﴿لَمْ يَطْمِئِنَّهُنَّ إِسْنَ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ﴾ بل هن أبكارٌ عُرُبٌ أترابٌ لم يظاهرن
 أحدٌ قبل أزواجهن من الإنس والجن ٥٧: ﴿فَبِأَيِّ آيَةٍ رَبِّكُمَا تُكذِّبان؟﴾ ٥٨: ﴿كَانَهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ﴾ في صفاء الياقوت وبياض
 المرجان، أي: اللؤلؤ ٥٩: ﴿فَبِأَيِّ آيَةٍ رَبِّكُمَا تُكذِّبان؟﴾ ٦٠: ﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ﴾ هل جزاء من أنعمت عليه بالتوحيد
 إلا الجنة؟ ٦١: ﴿فَبِأَيِّ آيَةٍ رَبِّكُمَا تُكذِّبان؟﴾ ٦٢: ﴿وَمِنْ دُونِهِمَا جِئْتَانٍ﴾ دون اللتين قبلهما في الرتبة ٦٣: ﴿فَبِأَيِّ آيَةٍ رَبِّكُمَا
 تُكذِّبان؟﴾ ٦٤: ﴿مُدْهَامَتَانِ﴾ قد أسودتا من الخضرة من شدة الري ٦٥: ﴿فَبِأَيِّ آيَةٍ رَبِّكُمَا تُكذِّبان؟﴾ ٦٦: ﴿فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاحَتَانِ﴾
 متلثتان لا تقطعان ٦٧: ﴿فَبِأَيِّ آيَةٍ رَبِّكُمَا تُكذِّبان؟﴾ اللهم لا شيء من الأئمة ربنا نكذب فلك الحمد.

يُعْرِفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمْ فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي وَالْأَقْدَامِ ﴿٤١﴾ فَبِأَيِّ
 آيَةٍ رَبِّكُمَا تُكذِّبان ﴿٤٢﴾ هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي يُكَذِّبُ بِهَا الْمُجْرِمُونَ
 يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ آتٍ ﴿٤٣﴾ فَبِأَيِّ آيَةٍ رَبِّكُمَا تُكذِّبان
 وَلَمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جِئْتَانٍ ﴿٤٤﴾ فَبِأَيِّ آيَةٍ رَبِّكُمَا تُكذِّبان
 ذَوَاتَا أَفْنَانٍ ﴿٤٥﴾ فَبِأَيِّ آيَةٍ رَبِّكُمَا تُكذِّبان فِيهِمَا عَيْنَانِ
 تَجْرِيانِ ﴿٤٦﴾ فَبِأَيِّ آيَةٍ رَبِّكُمَا تُكذِّبان فِيهِمَا مِنْ كُلِّ فَاكِهَةٍ
 زُوجَانِ ﴿٤٧﴾ فَبِأَيِّ آيَةٍ رَبِّكُمَا تُكذِّبان مُتَكَبِّرِينَ عَلَى قُرُوشٍ
 بَطَانِئِهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ وَجَنَّتِ الْجَنَّتَيْنِ دَانٍ ﴿٤٨﴾ فَبِأَيِّ آيَةٍ رَبِّكُمَا
 تُكذِّبان فِيهِنَّ قَصِرَاتُ الطَّرْفِ لَمْ يَطْمِئِنَّهُنَّ إِسْنَ قَبْلَهُمْ
 وَلَا جَانٌّ ﴿٤٩﴾ فَبِأَيِّ آيَةٍ رَبِّكُمَا تُكذِّبان كَانَهُنَّ الْيَاقُوتُ
 وَالْمَرْجَانُ ﴿٥٠﴾ فَبِأَيِّ آيَةٍ رَبِّكُمَا تُكذِّبان هَلْ جَزَاءُ
 الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ ﴿٥١﴾ فَبِأَيِّ آيَةٍ رَبِّكُمَا تُكذِّبان
 وَمِنْ دُونِهِمَا جِئْتَانِ ﴿٥٢﴾ فَبِأَيِّ آيَةٍ رَبِّكُمَا تُكذِّبان
 مُدْهَامَتَانِ ﴿٥٣﴾ فَبِأَيِّ آيَةٍ رَبِّكُمَا تُكذِّبان فِيهِمَا
 عَيْنَانِ نَضَّاحَتَانِ ﴿٥٤﴾ فَبِأَيِّ آيَةٍ رَبِّكُمَا تُكذِّبان ﴿٥٥﴾

الآية: عن أبي هريرة أن أعرابياً جاء إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله أدني على عمل إذا عملته دخلت الجنة؟ فقال: «أن تعبد الله ولا تشرك به شيئاً، وتقم الصلاة، وتؤتي الزكاة المفروضة، وتصوم رمضان»، قال: والذي نفسي بيده لأزيد على هذا شيئاً أبداً ولا أنقص منه، فلما ولى، قال: «من سره أن ينظر إلى رجل من أهل الجنة فلينظر إلى هذا» رواه البخاري ومسلم في صحيحهما.

٦٨: ﴿فِيهَا فَكْهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ﴾ [ذكر
الفاكهة] أعمّ وأكثر في الأفراد، ثم عطف
الخاصّ على العام، وإتّما أورد النخل والرمان
بالذكر لشرفهما على غيرها ٦٩: ﴿فَبِأَيِّ
آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ؟﴾ ٧٠: ﴿فَبَيْنَ
خَيْرَاتِ حَسَنٍ﴾ خيرات كثيرة حسنة في
الجنة [التي منها] المرأة الصالحة الخلق الحسنة
الوجه ٧١: ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ؟﴾
٧٢: ﴿حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ فِي الْحِيَامِ﴾ [حور]:
جمع حوراء، وهي الشديدة بياض العين
الشديدة سوادها ﴿مَقْصُورَاتٌ﴾ مستورات،
﴿فِي الْحِيَامِ﴾ [لسن بالطوافات في الطرق]
وعند البخاري: أنّ رسول الله صلى الله عليه
وآله وسلم قال: «إنّ في الجنة خيمة من لؤلؤة
مجوّفة عرضها ستون ميلاً، في كل زاوية منها
أهل ما يرون الآخرين، يطوف عليهم» ٧٣:
﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ؟﴾ ٧٤: ﴿لَمْ
يَطْمَئِنُّنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ﴾ بل هُنَّ
أبكار ٧٥: ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ؟﴾
٧٦: ﴿مُتَّكِنِينَ عَلَى رَقْرَفٍ خَضِرٍ﴾ رياض
الجنة ﴿وَعَبْقَرِيٍّ حَسَنٍ﴾ ديباج، وهي بسط
أهل الجنة، [والعقري: ثياب منقوشة تُبسّط،
فإذا قال خالق التّقوش: إنّها حسَنٌ فما
ظنّك بتلك العباقر]؟ ٧٧: ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ
رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ؟﴾ اللهم ولا بشيء من
آلائك ربّنا نكذبُ فلك الحمد ٧٨:
﴿تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾
هو أهل أن يُجلّ فلا يُعصى، وأن يُكرم
فُعبَد، ويُشكّر فلا يُكفر، وأن يُذكر فلا
ينسى، وذو الجلال: أي: ذي العظمة والكبرياء.

فِيهَا فَكْهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ ﴿٦٨﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٩﴾
فَبَيْنَ خَيْرَاتِ حَسَنٍ ﴿٧٠﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧١﴾
مَّقْصُورَاتٌ فِي الْحِيَامِ ﴿٧٢﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٣﴾
لَمْ يَطْمَئِنُّنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ ﴿٧٤﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٥﴾
مُتَّكِنِينَ عَلَى رَقْرَفٍ خَضِرٍ وَعَبْقَرِيٍّ حَسَنٍ ﴿٧٦﴾ فَبِأَيِّ
آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٧﴾ تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴿٧٨﴾

سُورَةُ الرَّحْمٰنِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

١ إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ ﴿١﴾ لَيْسَ لَوْعِنَهَا كَاذِبَةٌ ﴿٢﴾ خَافِضَةٌ رَافِعَةٌ ﴿٣﴾
٢ إِذَا رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجًا ﴿٤﴾ وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًا ﴿٥﴾
فَكَانَتْ هَبَاءً مُنْبَثًا ﴿٦﴾ وَكُنْتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً ﴿٧﴾ فَأَصْحَابُ
الْيَمِينَةِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينَةِ ﴿٨﴾ وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ مَا أَصْحَابُ
الْمَشْأَمَةِ ﴿٩﴾ وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ ﴿١٠﴾ وَأُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ ﴿١١﴾
فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴿١٢﴾ ثَلَاثَةٌ مِنَ الْأُولَئِينَ ﴿١٣﴾ وَقَلِيلٌ مِنَ الْآخِرِينَ ﴿١٤﴾
عَلَى سُرُرٍ مَوْضُونَةٍ ﴿١٥﴾ مُتَّكِنِينَ عَلَيْهَا مُتَقَابِلِينَ ﴿١٦﴾

تفسير سورة الواقعة

١: ﴿إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ﴾ الواقعة من أسماء يوم القيامة، سُميت بذلك لتحقق كونها ووجودها ٢: ﴿لَيْسَ لَوْعِنَهَا كَاذِبَةٌ﴾ إذا أراد الله كونها
لا دافع يدفعها ٣: ﴿خَافِضَةٌ رَافِعَةٌ﴾ تخفض أقواماً إلى أسفل سافلين إلى الجحيم وترفع آخرين إلى أعلى عِلين إلى النعيم المقيم ٤: ﴿إِذَا رُجَّتِ
الْأَرْضُ رَجًا﴾ حُرّكت تحريكاً فاهتزت واضطربت وزلزلت ٥: ﴿وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًا﴾ قُتّت قُتّاً ٦: ﴿فَكَانَتْ هَبَاءً مُنْبَثًا﴾ كرهج الغبار
يسطح ثم لا يبقى منه شيء ٧: ﴿وَكُنْتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً﴾ ينقسم الناس إلى ثلاثة أصناف ٨: ﴿فَأَصْحَابُ الْيَمِينَةِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينَةِ﴾ هم الذين
يُؤخذ بهم ذات اليمين إلى الجنة ٩: ﴿وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ﴾ هم الذين يُؤخذ بهم ذات الشمال إلى النار ١٠:
﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ﴾ هم الأنبياء عليهم السلام، [ومن معهم من السابقين إلى الإيمان] من كلّ أمة ١١: ﴿أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ﴾ [إلى جزيلا
ثواب الله وعظيم كرامته] ١٢: ﴿فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾ أي: مقرّبون عند الله في جنّات النعيم ١٣: ﴿ثَلَاثَةٌ مِنَ الْأُولَئِينَ﴾ جماعة من الأولين ١٤:
﴿وَقَلِيلٌ مِنَ الْآخِرِينَ﴾ من هذه الأمة، قال أبو هريرة: لما نزلت شقّ ذلك على أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم فنزلت: ﴿ثَلَاثَةٌ مِنَ الْأُولَئِينَ
وَقَلِيلٌ مِنَ الْآخِرِينَ﴾ فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «إني لأرجو أن تكونوا رُبْعَ أهل الجنة، ثلث أهل الجنة، بل أنتم نصف أهل الجنة،
وتقاسمونها النصف الثاني» رواه أحمد ١٥: ﴿عَلَى سُرُرٍ مَوْضُونَةٍ﴾ مضوّرة بالذهب واللآلي ١٦: ﴿مُتَّكِنِينَ عَلَيْهَا مُتَقَابِلِينَ﴾ وُجوه بعضهم إلى
بعض ليس أحد وراء أحد.

١٧: ﴿يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ﴾
 مُخَلَّدُونَ على صفة واحدة لا يكبرون ولا
 يشبّهون ولا يتغيرون ١٨: ﴿بِأَكْوَابٍ﴾
 الكيزان التي لا خراطيم لها ولا أذان
 ﴿وَأَبَارِيقٍ﴾ التي جمعت الوصفين ﴿وَكَأْسٍ﴾
 الجميع من خمر ﴿مِنْ مَعِينٍ﴾ ليس من أوعية
 بل من عُيُون سارحة ١٩: ﴿لَا يُصَدَّعُونَ
 عَنْهَا﴾ لا تصدّع رؤوسهم ﴿وَلَا يُزْفَرُونَ﴾
 لا تنزف عقولهم بل هي ثابتة مع الشدة
 المطربة ٢٠: ﴿وَفَاكِهِةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ﴾
 ويظفون عليهم بما يتخيرون من الثمار ٢١:
 ﴿وَوَلِحٍ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ﴾ روى أحمد أن
 رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: «إنَّ
 طَيْرَ الْجَنَّةِ كَأَمْثَالِ الْبَخْتِ يَرعى فِي شَجَرِ
 الْجَنَّةِ» ٢٢: ﴿وَحُورٌ عِينٌ﴾ ولم فيها حُورٌ
 عِين ٢٣: ﴿كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ﴾ [أي:
 الذي لم تمسه الأيدي ولم يقع عليه غبار فهو
 أشد ما يكون صفاءً وتألؤاً] ٢٤: ﴿جِزَاءَ
 بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ على ما أحسنوا من العمل
 ٢٥: ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا نغْوًا وَلَا نَاتِبًا﴾
 لا يسمعون في الجنة كلاماً غيباً ولا كلاماً فيه
 قبح ٢٦: ﴿إِلَّا قِيلًا سَلَامًا سَلَامًا﴾ إلا
 التسليم منهم بعضهم على بعض ﴿وَنَجْوَاهُمْ فِيهَا
 سَلَامٌ﴾ ٢٧: ﴿وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ
 مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ﴾ أي شيء أصحاب
 اليمين؟ وما حالهم؟ وكيف مآلهم؟ ثم فسّر
 ذلك فقال تعالى: ٢٨: ﴿فِي سِدْرٍ مَّخْضُودٍ﴾
 هو الموقر بالثر الذي لا شوك فيه ٢٩:
 ﴿وَوَطْلِحٍ مَّنْضُودٍ﴾ الطلح: الموز، منضود:

يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ ﴿١٧﴾ بِأَكْوَابٍ
 ﴿١٨﴾ لَا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُزْفَرُونَ ﴿١٩﴾ وَفَاكِهِةٍ مِّمَّا
 يَتَخَيَّرُونَ ﴿٢٠﴾ وَوَلِحٍ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٢١﴾ وَحُورٌ
 عِينٌ ﴿٢٢﴾ كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ ﴿٢٣﴾ جِزَاءَ
 بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا نغْوًا وَلَا
 نَاتِبًا ﴿٢٥﴾ إِلَّا قِيلًا سَلَامًا سَلَامًا ﴿٢٦﴾ وَأَصْحَابُ
 الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ ﴿٢٧﴾ فِي سِدْرٍ مَّخْضُودٍ ﴿٢٨﴾
 وَوَطْلِحٍ مَّنْضُودٍ ﴿٢٩﴾ وَظِلِّ مَّدْودٍ ﴿٣٠﴾ وَمَاءٍ مَّسْكُوبٍ ﴿٣١﴾
 وَفَاكِهِةٍ كَثِيرَةٍ ﴿٣٢﴾ لَا مَقْطُوعَةٍ وَلَا
 مَمْنُوعَةٍ ﴿٣٣﴾ وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ ﴿٣٤﴾ إِنَّا أَنشَأْنَهُمْ
 إِنشَاءً ﴿٣٥﴾ فَجَعَلْنَاهُمْ أَجْبَارًا ﴿٣٦﴾ عُرْبًا
 تَرَابًا ﴿٣٧﴾ لِأَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴿٣٨﴾ ثَلَاثَةٌ مِّنَ
 الْأُولَىٰ ﴿٣٩﴾ وَثَلَاثَةٌ مِّنَ الْآخِرِينَ ﴿٤٠﴾ وَأَصْحَابُ
 الشِّمَالِ فِي سُمُورٍ وَحَمِيمٍ ﴿٤١﴾ وَظِلِّ مِّنْ يَّحْمُومٍ ﴿٤٢﴾
 لَا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ ﴿٤٣﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ
 مُتْرَفِينَ ﴿٤٤﴾ وَكَانُوا يُصِرُّونَ عَلَى الْحِنثِ الْعَظِيمِ ﴿٤٥﴾
 وَكَانُوا يَقُولُونَ أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا
 وَعِظْمًا إِذْنَا لَمَبْعُوثُونَ ﴿٤٦﴾ أَوَءَا بَابُنَا
 وَالْأُولُونَ ﴿٤٧﴾ أَوْءَا بَابُنَا وَالْأُولُونَ ﴿٤٨﴾ قُلْ
 إِنِ الْآخِرِينَ وَالْأُولَىٰ ﴿٤٩﴾ لَمَجْمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَاتِ
 يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿٥٠﴾

مترام الثر ٣٠: ﴿وَوَظِلِّ مَّدْودٍ﴾ روى البخاري أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «إن في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها عام لا يقطعها» ٣١: ﴿وماء مسكوب﴾ يجري في غير أخدود ٣٢: ﴿وفاكهة كثيرة﴾ متنوعة الألوان والطعم والشكل ٣٣: ﴿لا مقطوعة ولا ممنوعة﴾ أكلها دائم مستمر أبدا مهما طلبوا وجدوا لا يمنع عليهم بقدرة الله شيء ٣٤: ﴿وفرش مرفوعة﴾ عالية وطبيعة ناعمة ٣٥: ﴿إننا أنشأناهم إنشاء﴾ في النشأة الأخرى بعدما كن عجاجر صيرن أبقارا ٣٦: ﴿فجعلناهم أبقارا﴾ بعد الثبوة عند أبقارا ٣٧: ﴿عربا﴾ متحبيات إلى أزواجهن بالخلاوة والظرافة والملاحة ﴿أتربا﴾ على ميلاد واحد ٣٨: ﴿لأصحاب اليمين﴾ أنشأناهم لأصحاب اليمين ٣٩: ﴿ثلاثة من الأولين﴾ ﴿وثلاثة من الآخرين﴾ جماعة من الأولين، وجماعة من الآخرين ٤٠: ﴿وأصحاب الشمال ما أصحاب الشمال﴾ لما ذكر تعالى أصحاب اليمين عطفت عليهم بذكر أصحاب الشمال؛ أي: أي شيء هم فيه من أصحاب الشمال؟ ثم فسّر ذلك فقال: ٤١: ﴿في سُمُورٍ وَحَمِيمٍ﴾ السُمُوم: الهواء الحار، والحميم: الماء الحار ٤٢: ﴿ووظل من يحموم﴾ وهو الدخان الأسود ٤٣: ﴿لا بارد ولا كريم﴾ ليس طيب الهبوب ولا حسن المنظر ٤٤: ﴿إنهم كانوا قبل ذلك مترفين﴾ كانوا في الدنيا منعين مقبلين على لذات أنفسهم لا يلبون على ما جاءتهم به الرسل ٤٥: ﴿وكانوا يصرون على الحنث العظيم﴾ وهو الكفر بالله والشرك ٤٦: ﴿وكانوا يقولون أئذا متنا وكنا ترابا وعظاما أئنا لمبعوثون﴾؟ ٤٧: ﴿أوابابنا الأولون﴾؟ إنهم يقولون ذلك مكذبين به مستبعدين لوقوعه ٤٨: ﴿قل إن الأولين والآخرين﴾ ٤٩: ﴿قل إن الأولين والآخرين﴾ ٥٠: ﴿لمجموعون إلى ميقات يوم معلوم﴾ أخبرهم يا محمد أن الأولين والآخرين من بني آدم سيجمعون إلى عرصات القيامة لا يُعَادِرُ منهم أحدا.

ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا الضَّالُّونَ الْمَكِيدُونَ ﴿٥١﴾ لَا تَكُونُونَ مِنْ شَجَرٍ مِنْ زُقُومٍ ﴿٥٢﴾
فَمَا لُونُ مِنْهَا الْبُطُونَ ﴿٥٣﴾ فَشَرِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ الْحَمِيمِ ﴿٥٤﴾ فَشَرِبُونَ
شُرْبَ الْهَيْمِ ﴿٥٥﴾ هَذَا نَزْلُهُمْ يَوْمَ الدِّينِ ﴿٥٦﴾ نَحْنُ خَلَقْنَاكُمْ فَلَوْلَا
تُصَدِّقُونَ ﴿٥٧﴾ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تُمْنُونَ ﴿٥٨﴾ أَأَنْتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ
الْمَخْلُقُونَ ﴿٥٩﴾ نَحْنُ قَدَرْنَا بَيْنَكُمْ الْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴿٦٠﴾
عَلَىٰ أَنْ يُبَدَّلَ أَمْثَلُكُمْ وَنُنشِئَكُمْ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾ وَلَقَدْ
عَلَّمَتِ النَّشَاءَ الْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ
﴿٦٣﴾ أَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ ﴿٦٤﴾ لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ
حُطًا مَّا فَطَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ ﴿٦٥﴾ إِنَّا لَمَغْرُمُونَ ﴿٦٦﴾ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ
﴿٦٧﴾ أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ ﴿٦٨﴾ أَأَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ
أَمْ نَحْنُ الْمُنزِلُونَ ﴿٦٩﴾ لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ أَمْحًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ
﴿٧٠﴾ أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ ﴿٧١﴾ أَأَنْتُمْ أَنْشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا أَمْ
نَحْنُ الْمُنشِئُونَ ﴿٧٢﴾ نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذَكُّرًا وَرَمْتَنَا لِلْمُقَوِّينَ
﴿٧٣﴾ فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾ * فَلَا أُقْسِمُ
بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ ﴿٧٥﴾ وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ﴿٧٦﴾

٥١: ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا الضَّالُّونَ الْمَكِيدُونَ﴾
٥٢: ﴿لَا تَكُونُونَ مِنْ شَجَرٍ مِنْ زُقُومٍ﴾ وذلك
أنهم يقضون ويُسجرون حتى يأكلوا من
شجر الزقوم ٥٣: ﴿فَمَا لُونُ مِنْهَا الْبُطُونَ﴾
يأكلوا منها بطونهم ٥٤: ﴿فَشَرِبُونَ عَلَيْهِ
مِنَ الْحَمِيمِ﴾ وهو الماء المغلي من صديد أهل
التار ٥٥: ﴿فَشَرِبُونَ شُرْبَ الْهَيْمِ﴾ وهي
الإبل العطاش الظماء ٥٦: ﴿هَذَا﴾ الذي
وصفنا ﴿نَزْلُهُمْ يَوْمَ الدِّينِ﴾ هو ضياتهم
عند ربهم يوم حسابهم ٥٧: ﴿نَحْنُ خَلَقْنَاكُمْ
فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ﴾ يقرر تعالى أنه هو الذي
ابتدأ خلقهم بعد أن لم يكونوا شيئاً مذكوراً؛
فهلأ تصدقون بأنه قادر على الإعادة بطريق
الأولى؟ ثم قال تعالى مستدلاً عليهم بقوله:
٥٨: ﴿أَفَرَأَيْتُمْ مَا تُمْنُونَ؟﴾ ٥٩: ﴿أَأَنْتُمْ
تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ؟﴾ أنتم تقرونه في
الأرحام وتخلقونه فيها؟ أم الله الخالق لذلك؟
ثم قال تعالى: ٦٠: ﴿نَحْنُ قَدَرْنَا بَيْنَكُمْ
الْمَوْتَ﴾ صرفناه بينكم، وسأوى فيه بين أهل
الأرض ﴿وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ﴾ وما نحن
بعاجزين ٦١: ﴿عَلَىٰ أَنْ يُبَدَّلَ أَمْثَلُكُمْ﴾
نُتَبِّرُ خَلْقَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴿وَنُنشِئَكُمْ فِي مَا
لَا تَعْلَمُونَ﴾ من الصفات والأحوال، ثم قال
تعالى: ٦٢: ﴿وَلَقَدْ عَلَّمْتُمُ النَّشَاءَ الْأُولَىٰ
فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ﴾ قد علمتم أن الله أنشأكم بعد
أن لم تكونوا شيئاً مذكوراً، فهلأ تذكرون
وتعرفون أن الذي قدر على هذه النشأة قادرٌ
على النشأة الأخرى؟ ٦٣: ﴿أَفَرَأَيْتُمْ
مَا تَحْرُثُونَ﴾ وهو شقُّ الأرض وإثارتها والبذر

الْمُقَوِّينَ

فيها ٦٤: ﴿أَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ؟﴾ تنبئونه في الأرض؟ ﴿أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ﴾؟ بل نحن الذي نقره قراره وثبته في الأرض، روى ابن جرير أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: «لَا يَقُولَنَّ أَحَدُكُمْ زَرَعْتُ وَلَكِنْ قُلْ حَرَثْتُ» ٦٥: ﴿لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَامًا﴾ نحن أنبتناه بلطفنا ورحمتنا وأبقيناه لكم رحمة بكم، ولو نشاء لأيسناه قبل استوائه ﴿فَطَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ﴾ [أي: تمتعبون بدهابها وتدمون مِمَّا حَلَّ بِكُمْ] ٦٦: ﴿إِنَّا لَمَغْرُمُونَ﴾ ٦٧: ﴿بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ﴾، فتتوعون كلامكم فتقولون: إِنَّا لَمَقْرُونَ إِنَّا لَمَوْعٌ بِنَاءِ إِنَّا لَمَعْدُونَ، بل نحن محرومون لا مال لنا ٦٨: ﴿أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ؟﴾ ٦٩: ﴿أَأَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ؟﴾ السحاب ﴿أَمْ نَحْنُ الْمُنزِلُونَ؟﴾ ٧٠: ﴿لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ أَمْحًا﴾ زعافاً مراً لا يصلح لشرب ولا زرع ﴿فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ﴾ فهلأ تشكرون نعمة الله عليكم في إنزاله المطر عليكم غدياً زلاً؟ ٧١: ﴿أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ؟﴾ تقدحون من الزناد وتستخرجونها من أصلها ٧٢: ﴿أَأَنْتُمْ أَنْشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنشِئُونَ؟﴾ بل نحن الذين جعلناها مودعة في موضعها. وللعرب شجرتان المرخ والغفار إذا حُكَّ أحدهما بالآخر تبان من بينهما سُرُّ النَّارِ ٧٣: ﴿نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذَكُّرًا﴾ تذكرة النار الكبرى ﴿وَمَتَاعًا لِلْمُقَوِّينَ﴾ للحاضر والمسافر وكل طعام لا يصلحه إلا النار، ومن لطفه تعالى أن أودعها في الحجارة وخالص الحديد يُتَدَخَّرُ في المنزل وفي امتعة السفر ٧٤: ﴿فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾ [أي: عظم ونزه وقُدْس] الذي بقدرته خلق هذه الأشياء مصلحة للعباد ٧٥: ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ﴾ [لا: زيادة لتأكيد القسم] تقديده: أقسم بمواقع النجوم ٧٦: ﴿وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ﴾ إن هذا القسم الذي أقسمت به لقسم عظيم لو تعلمون عظيمته. ومواقع النجوم: منازلها.

٧٧: ﴿إِنَّهٗ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ﴾ هذا القرآن الكريم الذي

أنزلته على محمد صلى الله عليه وآله وسلم
لكتاب عظيم ٧٨: ﴿فِي كِتَابٍ مَّكْنُونٍ﴾
معظم في كتاب محفوظ موقر ٧٩:

﴿لَا يَمَسُّهٗ إِلَّا الْمَطْهُرُونَ﴾ الذين في السماء،
يعني الملائكة، [وفي الأرض، يعني المصحف]،
لا يمسه إلا طاهر، روى مالك وأبو داود أن

رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال:
«لَا يَمَسُّ الْقُرْآنَ إِلَّا طَاهِرٌ» ٨٠: ﴿تَنْزِيلٌ مِنْ
رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ هذا القرآن منزل من الله رب

العالمين، كما قال تعالى: ﴿وَمَا تَنْزَلَتْ بِهِ
الشَّيَاطِينُ وَمَا يَنْبَغِي لَهُمْ وَمَا يَسْتطِيعُونَ أَنَّهُمْ
عَنِ السَّمْعِ لَمْعَزُولُونَ﴾ ٨١: ﴿أَفَبِهَذَا

الْحَدِيثِ أَنْتُمْ مُذْهَبُونَ﴾ مكذبون بالقرآن!
٨٢: ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنْتُمْ تُكذِّبُونَ﴾
تكذبون بدل الشكر [علي نعمة القرآن] ٨٣:

﴿فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْخُلُقُومَ﴾ الروح الخلق
حين الاحتضار ٨٤: ﴿وَأَنْتُمْ حِينِيذٍ
تَنْظُرُونَ﴾ إلى المختصر وما يكابذه من

سكرات الموت ٨٥: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ
مِنْكُمْ﴾ بلائكتنا ﴿وَلَكِنْ لَا تَبْصُرُونَ﴾
لا ترونهم ٨٦: ﴿فَلَوْلَا إِنْ كُنْتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ

تَرْجِعُونَهَا﴾ فهلاً ترجعون هذه النفس التي قد
بلغت الخلقوم إلى مكانها من الجسد إن كنتم
غير محاسبين! ٨٧: ﴿تَرْجِعُونَهَا إِنْ كُنْتُمْ

صَادِقِينَ﴾ [أي: ولن ترجعونها] ٨٨: ﴿فَأَمَّا
إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقْرَبِينَ﴾ هذه أحوال الناس عند

احتضارهم، ﴿مِنَ الْمُقْرَبِينَ﴾ الذين فعلوا
الواجبات والمستحبات وتركوا المحرمات

والمكروهات ٨٩: ﴿فَرُوحٌ وَرِيحَانٌ وَجَنَّةٌ نَعِيمٌ﴾
فلهم بشارة الملائكة بذلك عند الموت كما في حديث البراء أن ملائكة الرحمة تقول: «أيتها

الروح الطيبة في الجسد الطيب، اخرجي إلى روح وريحان ورب غير غضبان»، ﴿فَرُوحٌ﴾ راحة ﴿وَرِيحَانٌ﴾ مستراحة مسرورة ٩٠: ﴿وَأَمَّا إِنْ
كَانَ مِنَ أَصْحَابِ الْيَمِينِ﴾ وأما إن كان المختصر من أصحاب اليمين ﴿تَبَشِّرُهُمُ الْمَلَائِكَةُ بِذَلِكَ تَقُولُ

لأحدهم: سلام لك، أي لا بأس عليك أنت إلى سلامة أنت من أصحاب اليمين ٩٢: ﴿وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمَكْذِبِينَ الضَّالِّينَ﴾ وأما إن كان
المختصر من المكذبين بالحق الضالين عن الهدى ٩٣: ﴿فَقَرْوَلٌ﴾ ضياقة ﴿مِنْ حَمِيمٍ﴾ وهو اللذاب الذي يُصهر به ما في البطون والجلود ٩٤:

﴿وَتَصْلِيَةٌ جَهِيمٌ﴾ وتقديره له في النار التي تغمره من جميع جهاته ٩٥: ﴿إِنَّ هَذَا الْخَبْرَ لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ﴾ إن هذا الخبر هو حق اليقين الذي لا مزية
فيه ولا مجيد لأحد عنه ٩٦: ﴿فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾ لما نزلت قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «اجعلوها في ركوعكم»، ولما

نزلت ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ قال صلى الله عليه وآله وسلم: «اجعلوها في سجودكم»، سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم .
تفسير سورة الحديد

إِنَّهٗ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾ فِي كِتَابٍ مَّكْنُونٍ ﴿٧٨﴾ لَا يَمَسُّهٗ إِلَّا

الْمَطْهُرُونَ ﴿٧٩﴾ تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٨٠﴾ أَفَبِهَذَا الْحَدِيثِ

أَنْتُمْ مُذْهَبُونَ ﴿٨١﴾ وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنْتُمْ تُكذِّبُونَ ﴿٨٢﴾ فَلَوْلَا

إِذَا بَلَغَتِ الْخُلُقُومَ ﴿٨٣﴾ وَأَنْتُمْ حِينِيذٍ تَنْظُرُونَ ﴿٨٤﴾ وَنَحْنُ أَقْرَبُ

إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَلَكِنْ لَا تَبْصُرُونَ ﴿٨٥﴾ فَلَوْلَا إِنْ كُنْتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ

﴿٨٦﴾ تَرْجِعُونَهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٨٧﴾ فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقْرَبِينَ

﴿٨٨﴾ فَرُوحٌ وَرِيحَانٌ وَجَنَّةٌ نَعِيمٌ ﴿٨٩﴾ وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ أَصْحَابِ

الْيَمِينِ ﴿٩٠﴾ فَسَلِّمْ لَكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴿٩١﴾ وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ

الْمَكْذِبِينَ الضَّالِّينَ ﴿٩٢﴾ فَقَرْوَلٌ مِنْ حَمِيمٍ ﴿٩٣﴾ وَتَصْلِيَةٌ جَهِيمٍ

﴿٩٤﴾ إِنَّ هَذَا لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ ﴿٩٥﴾ فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴿٩٦﴾

سُورَةُ الْجِنِّ

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

سَبِّحْ لِلّٰهِ مَا فِی السَّمٰوٰتِ وَالْاَرْضِ وَهُوَ الْعَزِیْزُ الْحَكِیْمُ ﴿١﴾ اَلَمْ يَلْمِکْ

السَّمٰوٰتِ وَالْاَرْضَ یٰحِیُّ وَیُمِیْتُ وَهُوَ عَلٰی کُلِّ شَیْءٍ قَدِیْرٌ ﴿٢﴾

هُوَ الْاَوَّلُ وَالْاٰخِرُ وَالظَّهْرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِکُلِّ شَیْءٍ عَلِیْمٌ ﴿٣﴾

١: ﴿سَبِّحْ لِلّٰهِ مَا فِی السَّمٰوٰتِ﴾ [أي: مجد الله ونزهه عن السوء من الملائكة] ﴿وَالْاَرْضِ﴾ من الإنسان والحيوان والنبات ﴿وَهُوَ الْعَزِیْزُ﴾ الذي

قد خضع له كل شيء ﴿الْحَكِیْمُ﴾ في خلقه وأمره وشرعه ٢: ﴿اَلَمْ يَلْمِکْ السَّمٰوٰتِ وَالْاَرْضَ یٰحِیُّ وَیُمِیْتُ﴾ هو المالك المتصرف في خلقه فيحيي ويُميت ويُعطي مَنْ يشاء ما يشاء ﴿وَهُوَ عَلٰی کُلِّ شَیْءٍ قَدِیْرٌ﴾ ٣: ﴿هُوَ الْاَوَّلُ﴾ [لا شيء قبله] ﴿وَالْاٰخِرُ﴾ [لا شيء بعده] ﴿وَالظَّاهِرُ﴾ على

كل شيء ﴿وَالْبَاطِنُ﴾ [ليس دونه شيء] ﴿وَهُوَ بِکُلِّ شَیْءٍ عَلِیْمٌ﴾ [أي: بما كان أو يكون وما هو كائن، فلا يخفى عليه شيء].

٤: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ [هذا بيان لبعض خلقه سبحانه] ﴿ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ [الاستواء غير مجهول والكيف غير معلوم] وقد تقدم الكلام على هذه الآية في سورة الأعراف، ﴿يَعْلَمُ مَا يُلَاحِظُ فِي الْأَرْضِ﴾ يعلم عدد ما يدخل فيها من حَبٍّ وقَطْرٍ ﴿مَا يَخْرُجُ مِنْهَا﴾ من نبات وزرع وثمار ﴿وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ﴾ من الأمطار والأقنار ﴿وَمَا يَصْرَجُ فِيهَا﴾ من الملائكة والأعمال ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ رقيب عليكم شهيدٌ على أعمالكم حيث كنتم، والجميع في علمه على السواء وتحت بصره وسمعه فيسمع كلامكم ويرى مكانكم ويعلم سيركم ونجواكم

٥: ﴿لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ هو المالك للدينا والآخرة ﴿وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾ وهو المحمود على ذلك كما قال تعالى: ﴿وَهُوَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَى وَالْآخِرَةِ﴾ ٦: ﴿يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُؤَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ﴾ هو المتصرف في الخلق يُقَلِّبُ الليل والنهار، ويُقَدِّرُها بحكمته كما يشاء، فتارة يُطَوِّلُ الليل ويقصر النهار وتارة بالعكس، وتارة يتركهما معتدلين، وتارة يكون الفصل شتاءً ثم ربيعاً ثم قيظاً ثم خريفاً، وكل ذلك بحكمته وتقديره لما يريد بخلقه ﴿وَهُوَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ يعلم السرائر وإن دقت وإن خفيت ٧: ﴿آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ أمرٌ تبارك وتعالى بالإيمان به ورسوله على الوجه الأكمل، وبالذوام والنيات

هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ يَمَانَعُمُونَ بَصِيرٌ ﴿٤﴾ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴿٥﴾ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُؤَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَهُوَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٦﴾ ءَا مَنُؤَا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ءَا نَفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلِفِينَ فِيهِ فَالَّذِينَ ءَا مَنُؤَا مِنْكُمْ ءَا نَفِقُوا هُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿٧﴾ وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالرَّسُولِ يَدْعُوكُمْ لِتُؤْمِنُوا بِرَبِّكُمْ وَقَدْ أَخَذَ مِيثَاقَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ هُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ عَلَى عَبْدِهِ ءَايَاتٍ يُدَبِّرُ بِهَا شَأْنَكُمْ وَيُخْرِجُكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَإِنَّ اللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿٩﴾ وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنَ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَتْلَ أَوْلِيَّتِكُمْ أَكْثَرُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدِ وَقَتْلُوا وَكَلَّا وَعَدَّ اللَّهُ الْحَسَنَى وَاللَّهُ يَمَانَعُمُونَ خَيْرٌ ﴿١٠﴾ مَن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضْعِفُهُ لَهُ وَهُوَ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴿١١﴾

على ذلك ﴿وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلِفِينَ فِيهِ﴾ وحث سبحانه على الإنفاق مما جعلكم مستخلفين فيه، أي مما هو معكم على سبيل العارية فإنه قد كان في أيدي من قبلكم ثم صار إليكم، فأرشد تعالى إلى استعمال المال في طاعته ﴿فالذين آمنوا منكم وأنفقوا هم أجرٌ كبيرٌ﴾ ترغيب في الإيمان والإنفاق في الطاعة، ثم قال تعالى: ٨: ﴿وما لكم لا تؤمنون بالله والرسول يدعوكم لتؤمنوا بربكم﴾ وأي شيء يمنعكم من الإيمان والرسول بين أظهركم يدعوكم إلى ذلك وبين لكم البراهين على صحة ما جاءكم به؟! ﴿وقد أخذنا ميثاقكم﴾ ويعني بذلك بيعة الرسول ﷺ ﴿إن كنتم مؤمنين﴾ [أي: إذ كنتم مؤمنين] ٩: ﴿هو الذي يُنَزِّلُ عَلَى عَبْدِهِ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ حُجَجًا وَاضِحَاتٍ وَدَلِيلًا بَاهِرًا وَبِرَاهِينَ قَاطِعَاتٍ لِّيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ من ظلمات الجهل والكفر والآراء المتضادة إلى نور الهدى واليقين ﴿وإن الله بكم لرؤوفٌ رحيمٌ﴾ في إنزاله الكتاب وإرساله الرسل هداية الناس وإزالة الشبهة. ولما أمرهم أولاً بالإيمان والإنفاق ثم حثهم على الإيمان وبين أنه قد أزال عنهم موانعه حثهم أيضاً على الإنفاق فقال تعالى: ١٠: ﴿وما لكم ألا تنفقوا في سبيل الله﴾ أنفقوا ولا تحشوا فقراً وافتقاراً ﴿والله ميراثُ السموات والأرض﴾ [أي: إنهما راجعتان إليه بانقراض من فيهما كرجوع الميراث إلى المستحق له] ﴿لا يستوي منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل﴾ لا يستوي هذا ومن لم يفعل كفعله ﴿وأولئك أعظمُ درجةً من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا﴾ وذلك أن قبل فتح مكة كان الحال شديداً، وأما بعد الفتح فإنه ظهر الإسلام ﴿وكلاً وعدد الله الحسنى﴾ كلهم لهم ثوابٌ على ما عملوا ﴿والله بما تعملون خبيرٌ﴾ ١١: ﴿من ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ هو النفقة في سبيل الله؟ ﴿فيضاعفه له وله أجرٌ كريمٌ﴾ جزاءٌ جميل ورزق باهر، وهو الجنة يوم القيامة.

١٢: ﴿يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ﴾ يُخْرِجُ تَعَالَى عَنِ الْمُؤْمِنِينَ الْمُتَصَفِّينَ أَنَّ نُورَهُمْ يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ فِي عَرَصَاتِ الْقِيَامَةِ بِحَسَبِ أَعْمَالِهِمْ ﴿بُشْرَاكُمْ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ لَكُمْ الْبُشْرَا جَنَّاتٌ ﴿تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا﴾ مَا كُنْتُمْ فِيهَا أَبَدًا ﴿ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ ١٣: ﴿يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انظُرُونَا نَقْتِسِبَ مِنْ نُورِكُمْ﴾ وَهَذَا إِجْبَارٌ مِنْ تَعَالَى عَمَّا يَقَعُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي الْعَرَصَاتِ مِنَ الْأَهْوَالِ الْمُرْجَعَةِ وَالزَّلَازِلِ الْعَظِيمَةِ، وَإِنَّهُ لَا يَجُوزُ يَوْمَئِذٍ إِلَّا مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَعَمِلَ بِمَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ وَتَرَكَ مَا عَنْهُ زَجْرًا، ﴿قِيلَ﴾ قَالَ الْمُؤْمِنُونَ: ﴿ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ﴾ مِنْ حَيْثُ جِئْتُمْ مِنَ الظُّلْمَةِ فَاتَّبِعُوا هُنَالِكَ التَّوْرَةَ، ﴿فَاتَّبِعْتُمْسُوا نُورًا﴾ رَوَى الطَّبْرَانِيُّ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَدْعُو النَّاسَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِأَسْمَائِهِمْ سَتَرًا مِنْهُ عَلَى عِبَادِهِ، وَأَمَّا عِنْدَ الصَّرَاطِ فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يُعْطِي كُلَّ مُؤْمِنٍ نُورًا، وَكُلَّ مُنَافِقٍ نُورًا، فَإِذَا اسْتَوَوْا عَلَى الصَّرَاطِ سَلَبَ اللَّهُ نُورَ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ، فَقَالَ الْمُنَافِقُونَ انظُرُونَا نَقْتِسِبَ مِنْ نُورِكُمْ، وَقَالَ الْمُؤْمِنُونَ رَبَّنَا أَتَمَّ لَنَا نُورُنَا، فَلَا يَذُكُرُ عِنْدَ ذَلِكَ أَحَدٌ أَحَدًا، ﴿فَضْرَبَ بَيْنَهُمْ بَسُورًا﴾ لَهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ ﴿هُوَ حَائِطٌ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالتَّارِ، بَاطِنُهُ فِيهِ الْجَنَّةُ ﴿وَوَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ﴾ التَّارُ ١٤: ﴿يُنَادُوا وَهُمْ﴾ يُنَادِي الْمُنَافِقُونَ الْمُؤْمِنِينَ

بِسَبَبِ الْعَرَصَاتِ ٥١

يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ بِشْرَاكُمْ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٣﴾ يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انظُرُونَا نَقْتِسِبَ مِنْ نُورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا فَضْرَبَ بَيْنَهُمْ بَسُورًا لَهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ ﴿١٤﴾ ينادوا وهم ألم نكن معكم قالوا بلى ولكنكم فتنتم أنفسكم وتربصتم وارتبتم وغررتكم الأماني حتى جاء أمر الله وغرركم بالله الغرور ﴿١٥﴾ فالיום لا يؤخذ منكم فدية ولا من الذين كفروا ما أولئك إلا لئلا تحزنوا لئلا يحزنوا لئلا يحزنوا لئلا يحزنوا ﴿١٦﴾ ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق ولا يكونوا كالذين أوتوا الكتاب من قبل فطال عليهم الأمد فقست قلوبهم وكثير منهم فاسفون ﴿١٧﴾ اعلموا أن الله يحيي الأرض بعد موتها قد بينا لكم الآيات لعلكم تعقلون ﴿١٨﴾ إن المصدقين والمصدقات وأقرضوا الله قرضاً حسناً يضاعف لهم ولهم أجر كريم ﴿١٩﴾

﴿ألم نكن معكم﴾ فِي الدُّنْيَا نَشَهِدُ مَعَكُمْ الْجَمَاعَاتِ وَالْوَجِيبَاتِ؟ ﴿قَالُوا بلى﴾ قَدْ كُنْتُمْ مَعَنَا ﴿وَلَكِنْ كُنْتُمْ فَتَنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ﴾ فَتَنَّتْ أَنْفُسَكُمْ بِاللَّذَاتِ وَالْمَعَاصِي وَالشُّبُهَاتِ، وَتَرَبَّصَتْ بِالْحَقِّ وَأَهْلِهِ، وَارْتَبَتْ بِالْبَيْعِ بَعْدَ الْمَوْتِ، وَقَلْتُمْ سُبْحَانَ لَنَا ﴿حَتَّى جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ﴾ مَا زَلْتُمْ فِي هَذَا حَتَّى جَاءَ كَمْ الْمَوْتِ ﴿وَوَغَرَّتْكُمْ بِاللَّهِ الْغُرُورُ﴾ الشَّيْطَانُ، كَانُوا عَلَى خِدْعَةِ الشَّيْطَانِ ١٥: ﴿فَالْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنْكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ لَوْ جَاءَ أَحَدُكُمْ الْيَوْمَ بِمَلَأِ الْأَرْضَ ذَهَبًا لَيَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مَا قَبِلَ مِنْهُ ﴿مَا وَكُمُ التَّارُ﴾ هِيَ مَصِيرُكُمْ وَ﴿هِيَ مَوْلَاكُمْ﴾ هِيَ أَوْلَى بِكُمْ ﴿وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ ١٦: ﴿ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله﴾ أَمَا أَنَّ لِلْمُؤْمِنِينَ أَنْ تَلِينَ قُلُوبُهُمْ عِنْدَ الْمَوْعِظَةِ ﴿وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ﴾ الْقُرْآنَ عِنْدَ سَمَاعِهِ، ﴿وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ نَبَى اللَّهُ تَعَالَى الْمُؤْمِنِينَ أَنْ يَتَشَبَّهُوا بِالَّذِينَ حَمَلُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى لَمَّا طَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ بَدَّلُوا كِتَابَ اللَّهِ بِأَيْدِيهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا، ﴿وَكثيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾ فِي الْأَعْمَالِ، فَعَلُّوهُمُ فَاسِدَةٌ وَأَعْمَالُهُمْ بَاطِلَةٌ ١٧: ﴿اعلموا أن الله يحيي الأرض بعد موتها قد بينا لكم الآيات لعلكم تعقلون﴾ فِيهِ إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يُلَيِّنُ الْقُلُوبَ بَعْدَ قَسْوَتِهَا وَيَهْدِي الْحَيَارَى بَعْدَ ضَلَّتِهَا، كَمَا يَحْيِي الْأَرْضَ الْمَيِّتَةَ بِالغَيْثِ، كَذَلِكَ يَهْدِي الْقُلُوبَ الْقَاسِيَةَ بِالْقُرْآنِ ١٨: ﴿إِنَّ الْمُصَدِّقِينَ وَالْمُصَدِّقَاتِ وَأَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ يُخْرِجُ تَعَالَى عَمَّا يَتَّبِعُ هَوْلًا بِأَمْوَالِهِمْ لِأَهْلِ الْحَاجَةِ وَالْفَقْرِ وَالْمَسْكِنَةِ، وَدَفَعُوهُ بِنِيَّةِ خَالِصَةِ انْتِغَاءِ مَرْضَاتِ اللَّهِ، لَا يَرِيدُونَ جَزَاءً مِمَّنْ أَعْطَوْهُ وَلَا شُكْرًا ﴿يُضَاعَفُ لَهُمْ﴾ الْحَسَنَةُ بِعَشْرٍ أَمْثَالِهَا إِلَى سَبْعِمِائَةٍ ﴿وَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾ ثَوَابٌ جَزِيلٌ وَمَأْتٍ حَسَنٌ.

١٩: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ هذا وصف المؤمنين بالله ورُسُلِهِ بأنهم صادقون ﴿وَالشَّهَادَةُ عِنْدَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ﴾ ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْحَجِيمِ﴾ لما ذكر السعداء وآلمهم عطفَ بذكر الأشقياء وبين حالهم ٢٠: يقول تعالى موهناً أمر الحياة: ﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهُمْ زِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَسْفَلَ مِنْهُ حُمْقٌ مُبْتَلٍ لَمْ يَكُنْ لَهُ حِطْمٌ أَفْجَرًا ثُمَّ يَكُونُ حُطُمًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَمَتٌّ لِّلْغُرُورِ ﴿٢١﴾ سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٢٢﴾ مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلُ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٣﴾ لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مَحْتَالٍ فَخُورٍ ﴿٢٤﴾ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿٢٥﴾

٥٤٠

من الدنيا وما فيها» ٢١: ﴿سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ حثَّ اللهُ تعالى على المبادرة إلى الخيرات من فعل الطاعات وترك المنكرات التي تكفر عنه الذنوب والزلات وتُحصَلُ له الثواب والدرجات، ﴿عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ﴾ أي: جنس السماء كما قال تعالى: ﴿عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ﴾، ﴿أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ هذا الذي أَهْلَهُمُ اللهُ له هو من فضله ومَنِّه عليهم وإحسانه إليهم ٢٢: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ﴾ يُخْبِرُ تعالى عن قدره السابق في خلقه ﴿مَن قَبْلُ أَنْ نَبْرَأَهَا﴾ من قبل أن نبرأ النسمه؛ فكلُّ مُصِيبَةٍ بين السماء والأرض في كتاب الله [الأول] والمصيبة في الأرض هي السنون يعنى الجذب، وفي الأنفس الأوجاع والأمراض، روى أحمد أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: ﴿قَدَّرَ اللهُ الْمَقَادِيرَ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِمِائَتَيْ أَلْفِ سَنَةٍ﴾ رواه مسلم، ﴿إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ سهل على الله عز وجل لأنه يعلم ما كان، وما يكون، وما لم يكن لو كان كيف كان يكون ٢٣: ﴿لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ﴾ أعلمناكم بتقدم علمنا وسبق كتابتنا للأشياء قبل كونها وجودها؛ لتعلموا أن ما أصابكم لم يكن ليخطئكم وما أخطأكم لم يكن ليصيبكم فلا تأسوا على ما فاتكم لأنه لو قدر شيئاً لكان، ﴿وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ﴾ لا تفرحوا على الناس بما أنعم الله به عليكم ولهذا قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مَحْتَالٍ فَخُورٍ﴾ متكبر على غيره ٢٤: ﴿الَّذِينَ يَبْخُلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ﴾ يفعلون المنكر ويحضون الناس عليه ﴿وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾.

الآية: ١٩ وفي الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال: «إن أرواح الشهداء في حواصل طير خضر تنسرح في الجنة حيث شاءت، ثم تأتي إلى تلك القناديل، فاطلع عليهم ربك اطلاعة» =

لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنْفَعٌ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٢٥﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ فَمِنْهُمْ مُهْتَدٍ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَسِقُونَ ﴿٢٦﴾ ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰ عَائِدِهِمْ بِرُسُلِنَا وَفَقَيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَءَاتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهَابَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا فَآتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَسِقُونَ ﴿٢٧﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَأَنِسُوا إِلَىٰ رَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلَ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَعْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٢٨﴾ لَيْسَ لِلَّهِ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ أَهْلُ الْكِتَابِ لَا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَيْءٍ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَأَنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٢٩﴾

عليهم ذلك إنما كتبنا عليهم ابتغاء رضوان الله، ﴿فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا﴾ فما قاموا بما التزموه حق القيام، وهذا ذم لهم لا بتداعهم في دين الله ما لم يأمر به الله، ولعدم قيامهم بما التزموه بما زعموا أنه قرينة يُقرَّبهم إلى الله عز وجل. ﴿فَاتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ﴾ هم الذين آمنوا به صلى الله عليه وآله وسلم وصدقوه ﴿وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾ وهم الذين كذبوه صلى الله عليه وآله وسلم وخالفوه ٢٨: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَأَنِسُوا إِلَىٰ رَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ﴾ أجرين؛ بإيمانهم بعيسى ابن مريم، وبالتوراة والإنجيل وإيمانهم بمحمد صلى الله عليه وآله وسلم وتصديقهم، ﴿وَيَجْعَلَ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ﴾ القرآن واتباعهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم ﴿وَيَعْفِرْ لَكُمْ﴾ و﴿اللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ ٢٩: ﴿لَيْسَ لِلَّهِ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ أَهْلُ الْكِتَابِ لَا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَيْءٍ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ﴾ ليتحققوا أنهم لا يقدرون على رد ما أعطاه الله ولا إعطاء ما منع الله ﴿وَأَنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ﴾ [فضل الله: الإسلام]، ﴿وَأَنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ﴾ ليس بأيديهم، فيصرفون النبوة عن محمد صلى الله عليه وآله وسلم إلى من يُحبون، وله الفضل ﴿والله ذو الفضل العظيم﴾.

(١) تفسير تمة الآية: ﴿فمنهم﴾ أي: من التم إبراهيم ونوح ﴿مهتدي﴾ أي: من ذرئتهما مهتدون ﴿وكثيرٌ منهم فاسقون﴾ كفارون خارجون عن الطاعة. [عن تفسير القرطبي]. = فقال: ماذا تريدون؟ فقالوا: نحب أن نردنا إلى الدار الدنيا، فنقاتل فيك كما قاتلنا أول مرة، فقال: إني قد قضيت أنهم لايخرجون. / ابن كثير ج٤/ ٣١٢/ الآية: ٢٧ روى أبو يعلى أن رسول الله ﷺ قال: «لا تشددوا على أنفسكم فيشدد الله عليكم، فإن قوماً شددوا على أنفسهم فشدد الله عليهم، فلنك بقاياهم في الصوامع والديارات؛ رهابانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم». وروى أبو يعلى أيضاً: «لكل أمة رهابانية، ورهابانية هذه الأمة الجهاد في سبيل الله». / ابن كثير ج٤/ ٣١٦/

سُورَةُ الْمَحْذُورَاتِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ
وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرِكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴿١﴾ الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ
مِنْكُمْ مِنْ نِسَائِهِمْ مَا هُنَّ أُمَّهَاتُهُمْ إِلَّا الَّتِي
وَلَدْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنْكَرًا مِنَ الْقَوْلِ وَزُورًا وَإِنَّ
اللَّهَ لَعَفْوٌ غَفُورٌ ﴿٢﴾ وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ
لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسًا ذَلِكَ تُوعَطُونَ
بِهِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٣﴾ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامَ شَهْرَيْنِ
مُتَتَابِعَيْنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسًا فَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَاِطْعَامَ سِتِّينَ
مَسْكِينًا ذَلِكَ لَتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ
وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤﴾ إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ كِتَبُوا
كَمَا كُتِبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَقَدْ أَنْزَلْنَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَلِلْكَافِرِينَ
عَذَابٌ مُهِينٌ ﴿٥﴾ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا
عَمِلُوا أَحْصَاهُ اللَّهُ وَنَسُوهُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٦﴾

تفسير سورة المجادلة

١: ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا﴾ هي خولة بنت ثعلبة تشتكي زوجها أوساً بن الصامت إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهي تقول: يا رسول الله أكل مالي وأفنى شبابي ونثرته له بطني حتى إذا كبرت سني وانقطع ولدي ظاهر مني؟! اللهم إني أشكو إليك، فما برحت حتى نزل جبريل عليه السلام بهذه الآية: ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ ٢: ﴿الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْكُمْ مِنْ نِسَائِهِمْ﴾ يقول لها: أنت علي كظهر أمي، وكان الظاهر عند الجاهلية طلاقاً، فأرخص الله لهذه الأمة وجعل فيه كفارة ولم يجعله طلاقاً. ﴿مَا هُنَّ أُمَّهَاتُهُمْ إِنَّ أُمَّهَاتِهِمْ إِلَّا اللَّائِي وَلَدْنَهُمْ﴾ لا تصير المرأة بقول الرجل أنت علي كأمي أو مثل أمي وما أشبه ذلك، لا تصير أمه بذلك، ولهذا قال تعالى: ﴿وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنْكَرًا مِنَ الْقَوْلِ وَزُورًا﴾ كلاماً فاجشاً باطلاً ﴿وَإِنَّ اللَّهَ لَعَفْوٌ غَفُورٌ﴾ عما كان منكم في حال الجاهلية ٣: ﴿وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسًا﴾ أن يعود [المظاهر] إلى الجماع أو يعزم عليه، فلا تحل له حتى يكفر بهذه الكفارة، فمن ظاهر امرأته فقد حرّمها تحريماً لا يرفعه إلا الكفارة ﴿مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسًا﴾ المس: النكاح، وليس له أن يقبلها حتى يكفر، ﴿ذَلِكَ تُوَعِّظُونَ بِهِ﴾ تزجرون به ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾

خير بما يصلحكم، علم بأحوالكم ٤: ﴿فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامَ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ﴾ من قبل أن يتامس ﴿فَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَاِطْعَامَ سِتِّينَ مَسْكِينًا﴾ وهذا الترتيب في الصحيحين في قصة الذي جامع امرأته في رمضان ﴿ذَلِكَ لَتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ شرعنا هذا لهذا، ﴿وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ﴾ حارمة فلا تنتهكوها ﴿وَاللْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ الذين لم يؤمنوا ولا التزموا بأحكام هذه الشريعة لا تعتقدوا أنهم ناجون من البلاء، كلاً ليس الأمر كما زعموا، بل لهم عذاب أليم في الدنيا والآخرة ٥: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ الذين شاقوا الله ورسوله وعاندوا شرعه ﴿كُتِبُوا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ أهينوا ولعنوا وأخزوا كما فعل بمن أشبههم ﴿وَقَدْ أَنْزَلْنَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ﴾ واضحات لا يعاندها إلا كافر فاجر مكابر ﴿وَاللْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾ في مقابلة ما استكبروا عن اتباع شرع الله ٦: ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا﴾ وذلك يوم القيامة يجمع الله الأولين والآخرين في صعيد واحد، ﴿فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا﴾ من خير أو شر ﴿أَحْصَاهُ اللَّهُ وَنَسُوهُ﴾ ضبطه الله وحفظه عليهم، وهم قد نسوا ما كانوا يعملوا ﴿وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ لا يغيب عنه شيء ولا يخفى، ولا ينسى شيئاً، سبحانه وتعالى.

الآية: ٣ روى أصحاب السنن من حديث عكرمة عن ابن عباس أنّ رجلاً قال: يا رسول الله إني ظاهرت من امرأتي فومعت عليها قبل أن أكفر، فقال: «ما حملك على ذلك يرحمك الله؟» قال: «أرأيت خلخالها في ضوء القمر، قال: «فلا تقرّبها حتى تفعل ما أمرك الله عز وجل». وقال الترمذي: حسن صحيح. قال الحسن البصري: يعني الغشيان في الفرج، وكان لا يرى بأساً أن يغشاها فيما دون الفرج قبل أن يكفر. / ابن كثير ج ٤ / ٣٢١ /

٧: يقول تعالى مخبراً عن إحاطة علمه بخلقه وإطلاعه عليهم وسماعه كلامهم ورؤيته مكانهم حيث كانوا ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ مِنْ سِرٍّ ثَلَاثَةٍ﴾ ﴿إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةَ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَذْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَا كَانُوا﴾ مُطْلَعٌ عَلَيْهِمْ يَسْمَعُ كَلَامَهُمْ وَسِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ، وَرُسُلَهُ [أي: ملائكته] مع ذلك تَكْتُبُ مَا يَتَنَجَّوْنَ بِهِ مَعَ عِلْمِ اللَّهِ بِهِ وَتَسْمَعُهُ لَهُ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ وَأَنَّ اللَّهَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ﴾. وَهَذَا حَكِي غَيْرٌ وَاحِدٍ وَإِجْمَاعٌ عَلَى أَنَّ الْمُرَادَ بِهَذِهِ الْآيَةِ مَعِيَّةَ عِلْمِهِ تَعَالَى وَلَا شَكَّ فِي إِزَادَةِ ذَلِكَ. ﴿ثُمَّ يُبَيِّنُهُمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ ٨: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نُهُوا عَنِ التَّجْوَى ثُمَّ يُعَادُونَ لِمَا نُهُوا عَنْهُ﴾ هُمُ الْيَهُودُ؛ كَانَ بَيْنَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وَبَيْنَ الْيَهُودِ مُوَادَعَةٌ، وَكَانُوا إِذَا مَرَّ بِهِمُ الرَّجُلُ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ جَلَسُوا يَتَنَجَّوْنَ بَيْنَهُمْ حَتَّى يَظُنَّ الْمُؤْمِنُ أَنَّهُمْ يَتَنَجَّوْنَ بِقَتْلِهِ أَوْ بِمَا يَكْرَهُ الْمُؤْمِنُ، فَإِذَا رَأَى الْمُؤْمِنُ ذَلِكَ تَرَكَ طَرِيقَهُ عَلَيْهِمْ فَهَاهُمْ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ عَنِ التَّجْوَى فَلَمْ يَتَنَهَوْا وَعَادُوا إِلَى النَّجْوَى، فَأَنْزَلَ اللَّهُ هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نُهُوا عَنِ النَّجْوَى ثُمَّ يُعَادُونَ لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَيَتَنَجَّوْنَ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَةِ الرَّسُولِ﴾؟ يَتَحَدَّثُونَ فِيمَا بَيْنَهُمْ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ [أي: بالكذب والظلم]

أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا أَذْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَا كَانُوا ثُمَّ يَدَّبَّرُوا بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٧﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نُهُوا عَنِ التَّجْوَى ثُمَّ يُعَادُونَ لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَيَتَنَجَّوْنَ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَةِ الرَّسُولِ وَإِذْ أَوْحَىٰ رَبُّكَ بِمَا لَوْ يُحِبُّكَ بِهِ اللَّهُ وَيَقُولُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ حَسْبَهُمْ جَهَنَّمُ يَصَلُّونَهَا فَيَنْسِفُهَا فَالْأَرْضُ وَمَا عَلَيْهَا أَتَابُوا لِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ ﴿٨﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نُهُوا عَنِ النَّجْوَى ثُمَّ يُعَادُونَ لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّمَا التَّجْوَىٰ مِنَ الشَّيْطَانِ لِيَحْزَنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَيْسَ بِضَارِّهِمْ شَيْئًا إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿٩﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ تَسَفَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ وَإِذَا قِيلَ أَنْشُرُوا فَأَنْشُرُوا وَيَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١١﴾

ومخالفة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ويصرون عليها ويتواصون بها. ﴿وَإِذَا جَاؤُكَ حَيَّوكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللَّهُ﴾ يقولون: السلام عليك [والسَّامُ: الموت] وفي الصحيح قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ﴿إِذَا سَلَّمَ عَلَيْكُمْ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ فَقُولُوا: عَلَيْكَ﴾ وفي رواية: «وعليكم»، ﴿وَيَقُولُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ﴾ يفعلون هذا، وهو شتم في الباطن، ويقولون في أنفسهم: لو كان هذا نبياً لعذبنا الله بما نقول، فقال تعالى: ﴿حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ﴾ جهنم كفايتهم في الدار الآخرة ﴿يَصَلُّونَهَا فَيَنْسِفُهَا فَالْأَرْضُ وَمَا عَلَيْهَا أَتَابُوا لِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ﴾ كما يتناجى به الجهلة من كفر أهل الكتاب ﴿وَتَنَجَّوْا بِالْبُرِّ وَالتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ فيخبركم بجميع أعمالكم وأقوالكم التي أحصاها عليكم وسيجزيك بها ١٠: ﴿إِنَّمَا التَّجْوَى مِنَ الشَّيْطَانِ﴾ وهي المسارة حيث يتوهم المؤمن بها سوءاً ﴿مِنَ الشَّيْطَانِ﴾ من تسويله وتريبته ﴿لِيَحْزَنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ ليسوا هم ﴿وَلَيْسَ بِضَارِّهِمْ شَيْئًا إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ فمن أحسن من ذلك شيئاً فليستعذ بالله ولتوكل على الله فإنه لا يضره شيءٌ ياذن الله. روى مسلم أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: «إِذَا كُنْتُمْ ثَلَاثَةً فَلَا يَتَنَجَّى اثْنَانِ دُونَ الثَّلَاثِ إِلَّا بِإِذْنِهِ، فَإِنَّ ذَلِكَ يُحْزِنُهُ» ١١: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ تَسَفَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا﴾ يأمر تعالى المؤمنين بأن يُحْسِنَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ فِي الْمَجَالِسِ ﴿يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ﴾ وذلك أن الجزء من جنس العمل ﴿وَإِذَا قِيلَ أَنْشُرُوا فَأَنْشُرُوا﴾ انفضوا للصلاة والقتال فأجيبوا، ﴿يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ﴾ [أي: في الثواب والكرامة] ﴿وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾ فمن تواضع لله رفعه ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾.

١٢: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ

الرَّسُولَ ﴿سَارَزْتُمُوهُ فَمَا يَنْكُمُ وَبَيْنَهُ﴾
﴿فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةٌ تُطَهِّرُهُ
وَتُزَكِّيهِ، وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى: ﴿ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ
وَأَطْهَرُ فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا﴾ إِلَّا مَنْ عَجَزَ عَنْ ذَلِكَ
لِقَرَاهِ ﴿فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ فَمَا أَمْرُهَا إِلَّا
مَنْ قَلِبَرٌ عَلَيْهَا. ثُمَّ قَالَ تَعَالَى: ١٣: ﴿أَشْفَقْتُمْ
أَنْ تَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَاتٍ؟

أخفئتم من استمرار هذا الحكم عليكم من
وجوب الصدقة قبل مناجاة الرسول صلى الله
عليه وآله وسلم ﴿فَأَذَى لَمْ تَفْعَلُوا وَتَابَ اللَّهُ
عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا
اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ فَنَسَخَ
وَجُوبَ ذَلِكَ عَنْهُمْ. وَلَمْ يَعْمَلْ بِهَذِهِ الْآيَةِ قَبْلَ
نَسْخِهَا سِوَى عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ
عَنْهُ. ١٤: يَقُولُ تَعَالَى مُنْكَرًا عَلَى الْمُنَافِقِينَ فِي
مَوَالِيهِمُ الْكُفْرَانَ فِي الْبَاطِنِ وَهُمْ فِي نَفْسِ الْأَمْرِ
لَا مَعَهُمْ وَلَا مَعَ الْمُؤْمِنِينَ: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ
تَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ﴿الْيَهُودَ الَّذِينَ
كَانَ الْمُنَافِقُونَ يُؤْوِيهِمْ فِي الْبَاطِنِ ﴿مَا هُمْ
مِنْكُمْ وَلَا مِنْهُمْ﴾ هَؤُلَاءِ الْمُنَافِقُونَ لَيْسُوا فِي
الْحَقِيقَةِ مِنْكُمْ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ، وَلَا مِنَ الْيَهُودِ
الَّذِينَ يُؤْوِيهِمْ، ﴿وَيَحْلِفُونَ عَلَى الْكُذْبِ
وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ يَحْلِفُ الْمُنَافِقُونَ وَهُمْ عَلِيمُونَ
بِأَنَّهُمْ كَاذِبُونَ فِيمَا حَلَفُوا، وَهِيَ الْبَيْعَةُ الْعَمُوسُ
١٥: ﴿أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا إِنَّهُمْ سَاءَ
مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ أَرَصَدَ اللَّهُ لَهُمْ عَلَى هَذَا
الصَّنِيعِ الْعَذَابَ الْأَلِيمَ عَلَى أَعْمَالِهِمُ السَّيِّئَةِ
وَهِيَ مَوَالِيَةُ الْكَافِرِينَ وَمُعَادَاةُ الْمُؤْمِنِينَ ١٦:

الْحَجَّاتِ

يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَجَّيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ
صَدَقَةٌ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ وَأَطْهَرُ فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ
﴿١٢﴾ أَشْفَقْتُمْ أَنْ تَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَاتٍ فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا
وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا اللَّهَ
وَرَسُولَهُ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٣﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْمًا
غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مَا هُمْ مِنْكُمْ وَلَا مِنْهُمْ وَيَحْلِفُونَ عَلَى الْكُذْبِ
وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٤﴾ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا
يَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾ اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَلَهُمْ
عَذَابٌ مُهِينٌ ﴿١٦﴾ لَنْ نَغْنِي عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ
شَيْئًا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١٧﴾ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ
اللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُمْ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَى شَيْءٍ أَلَّا
إِنَّهُمْ هُمُ الْكَاذِبُونَ ﴿١٨﴾ اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنسَاهُمْ ذِكْرَ
اللَّهِ أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ
﴿١٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ يُحَادِّثُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ فِي الْأَذَلِّينَ ﴿٢٠﴾
كَتَبَ اللَّهُ لَأَعْلَبَكُمْ أَنَا وَرُسُلِي إِنْ أَلَّ اللَّهُ قَوْيَّ عَزِيزٌ ﴿٢١﴾

﴿اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ أَظْهَرُوا الْإِيمَانَ وَأَبْطَنُوا الْكُفْرَ، فَظَنَّ كَثِيرٌ مِمَّنْ لَا يَعْرِفُ حَقِيقَةَ أَمْرِهِمْ صِدْقَهُمْ فَاغْتَرَّ بِهِمْ، فَحَصَلَ
بِهَذَا صَدٌّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لِبَعْضِ النَّاسِ ﴿فَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾ ١٧: ﴿لَنْ نَغْنِي عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا﴾ لَنْ يَدْفَعُ ذَلِكَ عَنْهُمْ
بِأَسَاءَ إِذَا جَاءَهُمْ ﴿أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ ثُمَّ قَالَ تَعَالَى: ١٨: ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا﴾ يَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَنْ آخِرِهِمْ
﴿فَيَحْلِفُونَ لَهُمْ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا عَلَى الْهُدَى وَالِاسْتِقَامَةِ ﴿وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَى شَيْءٍ﴾ حَلَفَهُمْ ذَلِكَ لِرَبِّهِمْ عَزَّ وَجَلَّ، ثُمَّ قَالَ تَعَالَى
مُنْكَرًا عَلَيْهِمْ: ﴿أَلَّا إِنَّهُمْ هُمُ الْكَاذِبُونَ﴾ ١٩: ﴿اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ﴾ عَلَى قُلُوبِهِمْ ﴿فَأَنسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ﴾ الَّذِينَ
اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ ﴿أَلَّا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ ٢٠: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحَادِّثُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ الَّذِينَ يُعَابِدُونَ
اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيُجَانِبُونَ الْحَقَّ ﴿أُولَئِكَ فِي الْأَذَلِّينَ﴾ فِي الْأَشْيَاءِ الْمُبْعَدِينَ الْمَطْرُودِينَ ٢١: ﴿كَتَبَ اللَّهُ لَأَعْلَبِينَ أَنَا وَرُسُلِي﴾ قَدْ حَكَمَ وَكُتِبَ فِي
كِتَابِهِ الْأَوَّلِ، وَقُدْرَةُ الَّذِي لَا يُخَالَفُ وَلَا يُدْبَلُ بِأَنَّ النَّصْرَةَ لَهُ وَلِكِتَابِهِ وَرُسُلِهِ وَعِبَادَةِ الْمُؤْمِنِينَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ﴿إِنَّ اللَّهَ قَوْيٌّ عَزِيزٌ﴾.

الآية: ١٢: روى ابن أبي نجيح عن مجاهد قال: نهوا عن مناجاة النبي ﷺ حتى يتصدقوا، فلم يتناجوا إلا على بن أبي طالب، فقدم ديناراً صدقة تصدق به، ثم ناجى النبي ﷺ فسأله
عن عشر خصال، ثم أنزلت الرخصة. وقال ليث بن أبي سلمة عن مجاهد قال: قال علي رضي الله عنه: آية في كتاب الله عز وجل لم يعمل بها أحد قبلي ولا يعمل بها أحد بعدي، كان عندي
دينار فصرفته بعشرة دراهم، فكتبت إذا ناجيت رسول الله ﷺ تصدقت بدرهم، فسبحت ولم يعمل بها أحد قبلي ولا يعمل بها أحد بعدي، ثم تلا هذه الآية. /ابن كثير ج ٤/ ٣٢٦/

٢٢: ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ
الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ
كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ
عَشِيرَتَهُمْ﴾ لا يُؤَادُّونَ الْمُحَادِّينَ [لله ورسوله]
ولو كانوا من الأقربين، كما قال تعالى:
﴿لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ
الْمُؤْمِنِينَ، وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي
شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ
نَفْسَهُ﴾، ﴿أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ
وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِنْهُ﴾ مَنْ اتَّصَفَ بِأَنَّهُ لَا يُؤَادُّ
مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، وَلَوْ كَانَ أَبُوهُ أَوْ أَخَاهُ،
فَهَذَا وَمَنْ كَتَبَ اللَّهُ فِي قَلْبِهِ الْإِيمَانَ، أَيْ:
كَتَبَ لَهُ السَّعَادَةَ وَقَرَّبَهَا فِي قَلْبِهِ وَزَيْنَ الْإِيمَانَ
فِي بَصِيرَتِهِ، ﴿وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِنْهُ﴾ قَوَاهِمُ.
﴿وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ
خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾ فِي
هَذَا سِرٌّ بَدِيعٌ وَهُوَ أَنَّهُ لَمَّا سَخَطُوا عَلَى الْقَرَابِ
وَالْعَشَائِرِ فِي اللَّهِ تَعَالَى عَوَّضَهُمُ اللَّهُ بِالرِّضَا
عَنْهُمْ وَأَرْضَاهُمْ عَنْهُ، بِمَا أَعْطَاهُمْ مِنَ النِّعَمِ
الْمَقِيمِ وَالْفَوْزِ الْعَظِيمِ. ﴿أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا
إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ تَبْوِيءٌ بِفَلَاحِهِمْ
وَسَعَادَتِهِمْ وَنَصْرَتِهِمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، فَهَمُ
أَهْلُ كَرَامَتِهِ تَعَالَى.

تفسير سورة الحشر

١: ﴿سَبَّحَ اللَّهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي
الْأَرْضِ﴾ يُخْبِرُ تَعَالَى أَنَّ جَمِيعَ مَا فِي
السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَيْءٍ يُسَبِّحُ لَهُ
وَيُعْجِدُهُ وَيُقَدِّسُهُ وَيُصَلِّيُ لَهُ كَقَوْلِهِ تَعَالَى:
﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ

لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ
الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ
وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ
أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ
كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ
الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِنْهُ
وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي
مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا
عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ
حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٢٢﴾



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ
﴿١﴾ هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ
لِأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا وَظَنُوا أَنََّّهُمْ مَانِعَتُهُمْ
حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ فَأَنزَلَهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَدَفَ
فِي قُلُوبِهِمُ الرَّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ
فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِيَ الْأَبْصَارِ ﴿٢﴾ وَلَوْلَا أَنْ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ
الْجَلَاءَ لَعَذَّبَهُمْ فِي الدُّنْيَا وَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابُ النَّارِ ﴿٣﴾

فِيهِنَّ، وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾، ﴿هُوَ الْعَزِيزُ﴾ مُنِيعُ الْجَنَابِ ﴿الْحَكِيمُ﴾ فِي قَدَرِهِ وَشَرَعِهِ ٢: ﴿هُوَ الَّذِي
أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ﴾ يَهُودُ بَنِي النَّضِيرِ ﴿مِنْ دِيَارِهِمْ﴾ [أَيْ: مِنْ حَوْلِ الْمَدِينَةِ] ﴿لِأَوَّلِ الْحَشْرِ﴾ إِلَى بِلَادِ الشَّامِ، وَهِيَ أَرْضُ
مِشْرِمْ، ﴿مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا وَظَنُوا أَنََّّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ﴾ وَذَلِكَ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ لَمَّا قَدِمَ الْمَدِينَةَ هَادَتْهُمْ
وَأَعْطَاهُمْ ذِمَّةً عَلَى أَنْ لَا يَقَاتِلَهُمْ وَلَا يَقَاتِلُوهُ، فَفَضُّوا الْعَهْدَ، فَأَحَلَّ اللَّهُ بِهِمْ بَأْسَهُ الَّذِي لَا مَرَدَّ لَهُ ﴿فَأَنزَلَهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَدَفَ فِي
قُلُوبِهِمُ الرَّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ﴾ فَأَجْلَاهُمُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وَأَخْرَجَهُمْ مِنْ حُصُونِهِمُ الْحَصِينَةَ وَأَجْلَاهُمُ
مِنَ الْمَدِينَةِ إِلَى أَدْرَعَاتٍ مِنَ أَعْلَى الشَّامِ ﴿فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِيَ الْأَبْصَارِ﴾ تَمَكَّرُوا فِي عَاقِبَةِ مَنْ خَالَفَ أَمْرَ اللَّهِ وَخَالَفَ رَسُولَهُ وَكَذَّبَ كِتَابَهُ كَيْفَ يَجِلُّ
بَأْسَهُ الْخِزْيِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ٣: ﴿لَوْلَا أَنْ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجَلَاءَ لَعَذَّبَهُمْ فِي الدُّنْيَا﴾ لَوْلَا أَنْ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ هَذَا الْجَلَاءَ، وَهُوَ النَّفْيُ مِنْ
دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ لَكَانَ هُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَذَابُ آخِرٍ مِنَ الْقَتْلِ وَالسَّبْيِ، ﴿وَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابُ النَّارِ﴾ حَتَّى لَازِمٌ لَا يَدُّ لَهُمْ مِنْهُ.

الآية: ٢٢ ﴿أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ﴾ كتب أبو حازم الأعرج إلى الزهري: اعلم أن الحاة جاهلان: جاه يجره الله تعالى على أيدي أوليائه لأوليائه، وأنهم الخامل ذكرهم الخفية شخصوهم،
ولقد جاءت صفتهم على لسان رسول الله ﷺ: «إن الله يحب الأخفاء الأتقياء الأبرياء الذين إذا غابوا لم يُفقدوا، وإذا حضروا لم يُدعوا، قلوبهم مصابيح الهدى، يخرجون من كل فنة
سوداء مظلمة»، فهو لاء أولياء الله تعالى الذين قال عنهم: ﴿أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ وقال الحسن: قال رسول الله ﷺ: «اللهم لا تجعل لنا جراً ولا فاسقاً عندي يداً
ولانعة، فإني وجدت في أروحيته إني: ﴿لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله﴾. ابن كثير ج/٤ - ٣٢٩ - ٣٣٠/

ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَنْ يُشَاقِ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٤﴾ مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لِيْنَةٍ أَوْ تَرَكَتُمْوهَا قَائِمَةً عَلَىٰ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيْخْرِيِ الْفَاسِقِينَ ﴿٥﴾ وَمَا آفَاءَ اللَّهِ عَلَىٰ رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ وَلَكِنَّ اللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦﴾ مَا آفَاءَ اللَّهِ عَلَىٰ رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَاللرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَكُمُ عَنْهُ فَأَنْهَوْهُ وَأَتَقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٧﴾ لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴿٨﴾ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شَحْنًا نَفْسِهِ فَاُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾

٤: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ إتما فعل الله بهم وسلط عليهم رسوله وعباده المؤمنين لأنهم خالفوا الله وكذبوا رسوله وهم يعرفون [صدق نبوته] كما يعرفون أبناءهم، ثم قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَشَاقِ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ ٥: ﴿مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لِيْنَةٍ﴾ اللين نوع من التمر، وهو جيد ﴿أَوْ تَرَكَتُمْوهَا قَائِمَةً عَلَىٰ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيْخْرِيِ الْفَاسِقِينَ﴾ وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم نسا حاصرهم أمر بقطع نخيلهم إهانة لهم وإرهابا وإرعابا لقلوبهم ٦: ﴿وَمَا آفَاءَ اللَّهِ عَلَىٰ رَسُولِهِ مِنْهُمْ﴾ الفيء كل مال أخذ من الكفار من غير قتال ﴿فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ﴾ لم يقاتلوا الأعداء فيها بالمبارزة والمصالوة، بل نزل أولئك من الرعب الذي ألقى الله في قلوبهم من هيبه رسوله صلى الله عليه وآله وسلم فأفأه على رسوله، ولهذا تصرف فيه كما يشاء، فردّه على المسلمين في وجوه البر والمصالح التي ذكرها الله تعالى في هذه الآيات، ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ لا يُعَالَبُ ولا يُمانع بل هو القاهر لكل شيء ٧: ﴿مَا آفَاءَ اللَّهِ عَلَىٰ رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ﴾ جميع البلدان التي تُفتَح هكذا، فتحكمها حكم أموال بني النضير، ولهذا قال تعالى: ﴿فَلِلَّهِ وَاللرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ﴾ إلى آخرها والتي بعدها، فهذه مصارف أموال الفيء ووجوهه، ﴿كَيْلَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ

الأغنياء منكم﴾ جعلنا هذه المصارف كيلا يبقى المال مأكلة للأغنياء يتصرفون فيه بمحض الشهوات والآراء، ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ مهما أمركم به فافعلوه ومهما نهاكم عنه فاجتنبوه، فإنه يأمر بخير وينهى عن شر ﴿وَإَتَقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ اتقوه في امتثال أوامره وترك زواجه؛ فإنه شديد العقاب لمن عصاه وخالف أمره ٨: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ﴾ يبين تعالى حال الفقراء المستحقين مال الفيء أنهم خرجوا من ديارهم وخالفوا قومهم ابتغاء مرضاة الله ورضوانه ﴿يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ هؤلاء الذين صدقوا قولهم بفعلهم، وهؤلاء هم سادات المهاجرين، ثم قال تعالى مادحا للأنصار، ومبيناً فضلهم وشرفهم وكرمهم مع الحاجة: ٩: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ سكنوا دار الهجرة من قبل المهاجرين وآمنوا قبل كثير منهم، ﴿يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ﴾ من شرفهم وكرمهم يُحبون المهاجرين ويؤسسونهم بأموالهم، ﴿وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا﴾ ولا يجدون في أنفسهم حسدا للمهاجرين فيما فضلهم الله به من المنزلة والتقديم في الذكر والرتبة، ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ حاجة؛ أي: يُقدّمون الخواص على حاجة أنفسهم ويبدون بالناس قبلهم في حال احتياجهم إلى ذلك، ﴿وَمَنْ يُوقِ شَحْنًا نَفْسِهِ فَاُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ من سلّم من الشح فقد أفلح وأنجح.

الآية: ٦ أعطى النبي ﷺ أكثر فيء بني النضير للمهاجرين، قسمها بينهم، وقسم منها لرجلين من الأنصار، وكانا ذوي حاجة، ولم يقسم من الأنصار غيرهما، وبقي منها صدقة رسول الله ﷺ التي في أيدي بني فاطمة. / ابن كثير ج ٤/ ٣٣١/ وانظر عنده ملخص غزوة بني النضير على وجه الاختصار.

١٠: ﴿وَالَّذِينَ جَاؤُوا مِنْ بَعْدِهِمْ﴾ التابعون لهم بإحسان ﴿يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا﴾ بغضاً وحسداً ﴿لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ﴾، أمروا أن يستغفروا لهم فسبّوهم [يعني الروافض] ١١: يُخبر تعالى عن المنافيقين حين بعثوا إلى يهود بني النضير يعدونهم النصر من أنفسهم فقال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِنْ قُوتِلْتُمْ لَنَنْصُرَنَّكُمْ﴾ قال الله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ لكاذبون فيما وعدوهم به؛ لأنهم قالوا لهم قولاً ومن نبيهم أن لا يقوا لهم به، ولهذا قال تعالى: ﴿وَلَيْنَ قُوتِلُوا لَا يَنْصُرُونَهُمْ﴾ لا يقاتلون معهم، ﴿وَلَيْنَ نَصُرُونَهُمْ﴾ قاتلوا معهم ﴿لَيُؤْتِنَ الْأُدْبَارَ ثُمَّ لَا يَنْصُرُونَ﴾، وهذه بشارة مستقلة بنفسها، ولهذا قال تعالى: ١٢: ﴿لَئِن أُخْرِجُوا لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِن قُوتِلُوا لَا يَنْصُرُونَهُمْ وَلَئِن نَصُرُوهُمْ لَيُؤْتِنَ الْأُدْبَارَ ثُمَّ لَا يَنْصُرُونَ﴾ ١٣: ﴿لَأَنْتُمْ أَشَدُّ رَهَبَةً فِي صُدُورِهِمْ مِنَ اللَّهِ﴾ يخافون منكم أكثر من خوفهم من الله، كقوله تعالى: ﴿إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً﴾ ولهذا قال تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ﴾، ثم قال تعالى: ١٤: ﴿لَا يِقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قَرْيَةٍ مُحْصَنَةٍ أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ﴾ ١٥: ﴿كَمَثَلِ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَرِيبًا أَذَقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ ١٦: ﴿كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾

وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ ﴿١١﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِنْ قُوتِلْتُمْ لَنَنْصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿١٢﴾ لَئِن أُخْرِجُوا لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِن قُوتِلُوا لَا يَنْصُرُونَهُمْ وَلَئِن نَصُرُوهُمْ لَيُؤْتِنَ الْأُدْبَارَ ثُمَّ لَا يَنْصُرُونَ ﴿١٣﴾ لَأَنْتُمْ أَشَدُّ رَهَبَةً فِي صُدُورِهِمْ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ ﴿١٤﴾ لَا يِقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قَرْيَةٍ مُحْصَنَةٍ أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٥﴾ كَمَثَلِ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَرِيبًا أَذَقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٦﴾ كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿١٧﴾

لا يقدرّون على مواجهة جيش الإسلام بالمبارزة والمقاتلة، بل إما في حُصُون أو من وراء جُدُرٍ محاصرين فيقاتلون للدفع عنهم ضرورة، ثم قال تعالى: ﴿بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ﴾ عداوتهم فيما بينهم شديدة، كما قال تعالى: ﴿وَيُذَيِّقُ بَعْضُكُم بَأْسَ بَعْضٍ﴾، ولهذا قال تعالى: ﴿تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى﴾ تراهم مجتمعين فتحسبهم مؤتلفين وهم مختلفون غاية الاختلاف، يعني أهل الكتاب والمنافيقين، ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ﴾. ثم قال تعالى: ١٥: ﴿كَمَثَلِ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَرِيبًا﴾ كمثل ما أصاب كفار قريش يوم بدر، وكمثل الذين من قبلهم يهود بني قينقاع، وكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قد أجلاهم قبل هذا. [وبني قينقاع أمكن الله منهم قبل بني النضير، وبني النضير أمكن الله منهم قبل بني قريظة، وبنو قريظة ﴿ذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ﴾ في نزولهم على حكم سعد بن معاذ، فحكم فيهم بقتل المقاتلة وسبي الذرية، وكان بين النضير وقريظة ستان]، ﴿وَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ ١٦: ﴿كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكَ﴾ مثل هؤلاء اليهود في اغترارهم بالمنافيقين في قولهم: ﴿وَإِنْ قُوتِلْتُمْ لَنَنْصُرَنَّكُمْ﴾ ثم لما حَصَّتْ الحقائق تَخَلَّوْا عَنْهُمْ وَأَسْلَمُوهُمْ لِلْهَلَكَةِ، مثاهم في هذا كمثل الشيطان إذ سَوَّلَ لِلْإِنْسَانِ -والعياذ بالله- الكفر، فإذا دخل فيها سَوَّلَ له تبرأ منه وتصلّى وقال: ﴿إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾ [وهو في هذا كاذب].

الآية: ١٠ روى إسماعيل بن علية عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها قالت: «أمرتُم بالاستغفار لأصحاب عمدة ﷺ فسببُوهم، سمعت نبيكم ﷺ يقول: «لا تذهب هذه الأمة حتى يلعن آخرها أولها» ورواه البغوي.

١٧: ﴿فَكَانَ عَاقِبَتُهُمَا أَنَّهُمَا فِي النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا﴾، فكان الأمر بالكفر والفاعل له ومصيرهما إلى نار جهنم ﴿خالدين فيها وذلك جزاء الظالمين﴾ جزاء كل ظالم ١٨: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ﴾ هذا أمر بتقواه وهو يشمل فعل ما أمر به، وترك ما عنه زجر، ﴿وَلِتَنْظُرَ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ﴾ حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا وانظروا ماذا آخرتكم لأنفسكم من الأعمال الصالحة ليوم معادكم وعرضكم على ربكم ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ تأكيد ثانٍ ﴿إِنَّ اللَّهَ خَيْرٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ﴾ اعلموا أنه عالمٌ بجميع أعمالكم وأحوالكم لا تخفى عليه منكم خافية ١٩: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ﴾ لا تنسوا ذكر الله تعالى فينسيكم العمل الصالح الذي ينفعكم في معادكم، فإن الجزء من جنس العمل، ولهذا قال تعالى: ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ الخارجون عن طاعة الله الهالكون يوم القيامة الخاسرون يوم معادهم، كما قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنِ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ ٢٠: ﴿لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ﴾ لا يستوي هؤلاء وهؤلاء في حكم الله تعالى يوم القيامة، كما قال تعالى: ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَن نَّجْعَلَهُم كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَّحْيَاهُم وَمَمَاتِهِمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾؟! ﴿أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾ الناجون من عذاب

فَكَانَ عَاقِبَتُهُمَا أَنَّهُمَا فِي النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ ﴿١٧﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَتَنْظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَيْرٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ أُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿١٩﴾ لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴿٢٠﴾ لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾

سُورَةُ الْمُجْتَبَاتِ

الله عز وجل ٢١: يقول تعالى معظماً لأمر القرآن ومبيناً علو قدره وأنه ينبغي أن تخشع له القلوب وتتصدع عند سماعه لما فيه من الوعد والوعيد الأكيد: ﴿لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيتُه خاشعاً متصدعاً من خشية الله﴾ فإذا كان الجبل في غلظته وقساوته لو فهم القرآن خشع وتتصدع من خوف الله، فكيف يليق بالبشر أن لا تلين قلوبهم وتتصدع من خشية الله [عند سماع القرآن]؟! ﴿وتلك الأمثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون﴾ فأمر تعالى الناس أن يأخذوا القرآن بالخشية الشديدة والتخشع ٢٢: ﴿هو الله الذي لا إله إلا هو عالم الغيب والشهادة هو الرحمن الرحيم﴾ أخبر تعالى أنه لا رب غيره ولا إله للوجود سواه، وكل ما يُعبد من دونه باطل، وأنه يعلم المشاهدات لنا والغائبات عنا فلا يخفى عليه شيء ٢٣: ﴿هو الله الذي لا إله إلا هو الملك﴾ المالك لجميع الأشياء المتصرف فيها بلا ممانعة، ﴿القدوس﴾ الطاهر المبارك، ﴿السلام﴾ من جميع العيوب والنقائص لكماله في ذاته وصفاته وأفعاله، ﴿المؤمن﴾ آمن خلقه من أن يظلمهم، وصدق عباده المؤمنين في إيمانهم، ﴿المهيمن﴾ على خلقه بمعنى الرقيب عليهم، ﴿العزيز﴾ الذي لا يُنال جنباه لعظمته وكرامته، ﴿الجبار المتكبر﴾ الذي لا تليق الجبرية إلا له ولا التكبر إلا لعظمته، ﴿سبحان الله عما يشركون﴾ ٢٤: ﴿هو الله الخالق الباري المصور﴾ الذي إذا أراد شيئاً قال له كُنْ فيكون على الصفة التي يُريد ﴿له الأسماء الحسنى﴾ وفي الصحيحين: ﴿من أحصاها دخل الجنة﴾، ﴿يسبح له ما في السموات والأرض وهو العزيز الحكيم﴾ في شريعته وقدره.

الآية: ١٨: خطب رسول الله ﷺ فقراً: ﴿يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة﴾ إلى آخر الآية، ﴿ولتتنظر نفس ما قدمت لعدو﴾ الآية، فأخذ الناس بصدقهم، حتى روي ﷺ ينهل وجهه كأنه مذنب!! / ابن كثير ج ٤/ ٣٤١/

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ
 إِلَيْهِم بِالْمُودَةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ
 وَيَأْتِيَكُمْ أَنْ تُوْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ
 وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١﴾
 وَمَا أَعْلَنَتْكُمْ مِنْ مُنَادٍ وَمَنْ يَكْفُرْ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ إِنْ يَدْرَأُونَ ﴿٢﴾
 يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَفْصَلُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٣﴾
 كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ
 إِنَّا بَرَاءٌ لَكُمْ وَإِنَّا بِمَا عِبَادُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا
 وَبَيْنَكُمْ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحَدَهُ ۗ وَإِلَّا
 قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ ۗ
 رَبَّنَا عَلِّمْنَا لَكَ مَا هَدَيْتَنَا وَرَبَّنَا اشْكُرْ لَكَ وَلِأَوْلَادِكَ الَّذِينَ آمَنُوا
 وَرَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا الظَّالِمِينَ ﴿٤﴾
 فَتَنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَآخِرُ آيَاتِنَا لِقَوْمٍ كَافِرِينَ ﴿٥﴾

٥٤٩

لكم كآمنة وظاهرة فكيف تُوالون مثل هؤلاء؟ وهذا تبييح على عداوتهم أيضاً ٣: ﴿لَنْ تَنْفَعَكُمْ أَرْحَامَكُمْ وَلَا أَوْلَادَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَفْصَلُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ قرابتكم لا تنفعكم عند الله إذا أراد الله بكم سوءاً، ومن وافق أهله على الكفر ليرضهم فقد خاب وخسر عمله عند الله ولو كان قريباً إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم ٤: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ﴾ وأتباعه الذين آمنوا معه ﴿إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَاءٌ مِنْكُمْ﴾ تبرأنا منكم ﴿وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ﴾ بدينكم وطريقتكم ﴿وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا﴾ وقد شرعت العداوة والبغضاء من الآن بيننا وبينكم ما دُمتم على كفركم فنحن أبداً تبرأ منكم ونبغضكم ﴿حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحَدَهُ﴾ إلى أن تُوحِّدوا الله فتعبدوه وحده لا شريك له، وتخلعوا ما تعبدون معه من الأوثان والأنداد، ﴿إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ﴾ لكم في إبراهيم وقومه أسوة حسنة تتأسون بها إلا في استغفار إبراهيم لأبيه، فإنه كان عن موعدة وعدها إياه فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه، ﴿وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ﴾ أي: لا أدفع عنك عذاب الله إن أشركت ﴿رَبَّنَا عَلِّمْنَا لَكَ مَا هَدَيْتَنَا﴾ في جميع أمورنا ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾ وسلمنا أمورنا إليك ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا﴾ ﴿رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا الظَّالِمِينَ﴾ لا تظهرهم علينا فيرون أنهم على حق ﴿وَآخِرُ آيَاتِنَا لِقَوْمٍ كَافِرِينَ﴾

سورة الممتحنة: كان سبب نزول صدر هذه السورة الكريمة فضة حاطب بن أبي بلتعة، وذلك أن حاطباً هذا كان رجلاً من المهاجرين وكان من أهل بدر أيضاً، وكان له بمكة أولاد ومال، ولم يكن من قريش أنفسهم، بل كان حليفاً لعثمان، فلما عزم رسول الله ﷺ على فتح مكة لما تقضى أهلها العهد، فأمر النبي ﷺ المسلمين بالتجهيز لغزوه، وقال: «اللَّهُمَّ عَمَّ عَلَيْهِمْ خَيْرًا» فعمد حاطب هذا فكتب كتاباً وبعثه مع امرأة من قريش إلى أهل مكة يعلمهم بما عزم عليه رسول الله ﷺ من غزوهم لينخذ بذلك عندهم يداً، فأطلع الله تعالى على ذلك رسول الله ﷺ استجابة لدعائه، فبعث في إثر المرأة، فأخذ الكتاب منها، وهذا بين في الحديث المتفق على صحته. / ابن كثير ج ٤/ ٣٤٤ - ٣٤٥

عَنِ النَّبِيِّ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ
وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿٦﴾ عَسَى اللَّهُ أَن يَجْعَلَ
بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُم مِّنْهُم مَّوَدَّةَ اللَّهِ وَقَدِيرٌ بِاللَّهِ غَفُورٌ رَّحِيمٌ
﴿٧﴾ لَا يَنْهَى كُفْرَهُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقْبِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ
مِّن دِينِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ
﴿٨﴾ إِنَّمَا يَنْهَى كُفْرَهُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَتَلُواكُم فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُواكُم
مِّن دِينِكُمْ وظَهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوهُمْ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَٰئِكَ
هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٩﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ
مُهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ إِنَّهُنَّ لَعَالِمَاتٌ بِمَا بَيْنَهُنَّ فَإِن عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ
فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ لَأَنَّهُنَّ حُلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ وَءَاتُوهُم
مَّا أَنفَقُوا وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَن تَنكِحُوهُنَّ إِذَا ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أَجْرَهُنَّ
وَلَا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكُفَّارِ وَءَسْأَلُوا مَّا أَنفَقْتُمْ وَلَيْسَ لَكُم مَّا أَنفَقْتُمْ
ذَلِكُمْ حَكْمٌ مِنَ اللَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾ وَإِن فَاتَكُمْ
شَيْءٌ مِّنْ أَزْوَاجِكُمْ إِلَى الْكُفَّارِ فَعَاقِبْتُمْ فَتَأْتُوا الَّذِينَ ذَهَبَتْ
أَزْوَاجُهُمْ مِّثْلَ مَّا أَنفَقُوا وَءَاتُوا اللَّهَ الَّذِي ءَاتَيْتُمْ بِهِءَ مُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾

٥٥٠

٦: ﴿لقد كان لكم فيهم أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر﴾ هذا تأكيد لما تقدم، وتبيح إلى ذلك لكل مؤمن بالله والمعاد، ﴿ومن يتق الله﴾ عما أمر الله به ﴿فإن الله هو الغني الحميد﴾ كقوله تعالى: ﴿وإن تكفروا أنتم ومن في الأرض جميعاً فإن الله لغني حميد﴾ والحمد: المستحيد إلى خلقه؛ أي هو الحمود في جميع أقواله وأفعاله لا إله غيره ولا رب سواه ٧: ﴿عسى الله أن يجعل بينكم وبين الذين عاديتم منهم مودة﴾ حبة بعد البغضة ﴿والله قدير﴾ على ما يشاء من الجمع بين القلوب بعد العداوة والقسوة فتصبح جمعة متفقة كما قال تعالى ﴿مُتَنَّبِئًا عَلَى الْأَنْصَارِ﴾: ﴿واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخواناً، وكنتم على شفا حفرة من النار فأقذكم منها﴾، ﴿والله غفور رحيم﴾ كان ٨: ﴿لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم﴾ لا ينهاكم عن الإحسان إلى الكفرة الذين لا يقاتلونكم في الدين ولم يعاونوا على إخراجكم كالنساء والضعفاء منهم ﴿أن تبروهم﴾ تحسبوا إليهم ﴿وتقسطوا إليهم﴾ تعدلوا ﴿إن الله يحب المقسطين﴾ [أي: الذين يحكمون بالعدل الذي هو شرع الله] ٩: ﴿إنما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهرها على

إخراجكم أن تولوهم﴾ إنما ينهاكم عن مودة هؤلاء الذين ناصبوكم بالعداوة ﴿ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون﴾ ١٠: ﴿يا أيها الذين آمنوا إذا جاءكم المؤمنات مهاجرات فامتحنوهن﴾ وكان امتحانهن أن يشهدن أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله ﴿فإن علمتموهن مؤمنات فلا ترجعهن إلى الكفار﴾ هذا فيه دلالة على أن الإيمان يمكن الاطلاع عليه يقيناً، ﴿لا هنَّ حلٌّ لهم﴾ للمشركين ﴿ولا هم يحلون لهن﴾، هذه الآية حرمت المسلمات على المشركين. ﴿وأتوهن ما أنفقوا﴾ الأزواج المشركين، ادفعوا إليهم الذي غرموه عليهن من الأصدق. ﴿ولا جناح عليكم أن تنكِحوهن إذا آتيتهن أجورهن﴾ إذا أعطيتهن أسدقتهن فانكِحوهن بشرط انقضاء العدة، ﴿ولا تمسكوا بعصم الكوافر﴾ هذا تحريم من الله عز وجل على عباده المؤمنين نكاح المشركات والاستمرار معهن، ﴿واسألوا ما أنفقتم﴾ وطالبوا بما أنفقتم على أزواجكم اللاتي يذهبن إلى الكفار ﴿وليسألوا ما أنفقوا﴾ وليطالبوا بما أنفقوا على أزواجهم اللاتي هاجرن إلى المسلمين، ﴿ذلكم حكم الله يحكم بينكم﴾ في الصلح بين خلقه ﴿والله عليم حكيم﴾ عليم بما يصلح عباده حكيم في ذلك. ثم قال تعالى: ١١: ﴿وإن فاتكم شيء من أزواجكم إلى الكفار فعاقبتم فأتوا الذين ذهبت أزواجهم مثل ما أنفقوا﴾ فلو أنها ذهبت بعد هذه الآية امرأة من أزواج المؤمنين إلى المشركين رد المؤمنون إلى زوجها النفقة التي أنفق عليها من الدين بأيديهم للمشركين ثم ردوا إلى المشركين ما كان بقي من صداق نساء الكفار ﴿واتقوا الله الذي أتم به مؤمنون﴾

الآية: ١٠ روى ابن جرير عن ابن عباس وسئل كيف كان امتحان رسول الله ﷺ للنساء؟ قال: كان يمتحنهن بالله ما خرجت من بعض زوج، وبالله ما خرجت رغبة عن أرض إلى أرض، وبالله ما خرجت الخاسر، وبالله ما خرجت إلا شئاً له ورسوله!!./ ابن كثير ج ٤/٣٥٠

وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ بَنِي إِسْرَائِيلَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ ﴿٦﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكُذْبَ وَهُوَ يُدْعَى إِلَى الْإِسْلَامِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٧﴾ يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴿٨﴾ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴿٩﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تَحْوَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ ﴿١٠﴾ تُوْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١﴾ يَعْرِفَرِكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلِكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٢﴾ وَأُخْرَى تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَيُسِّرُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٣﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنْصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ فَأَمَّا مَنْ تَطَيَّفَ مِنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَكَفَرْتَ طَائِفَةٌ فَأَيْدِنَا اللَّهُ آمِنًا عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَاصْبِحُوا ظَاهِرِينَ ﴿١٤﴾

٥٥٢

٦: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ﴾ [لأن في التوراة صفتي، وأتي لم آتكم بشيء يخالف التوراة فتنفروا عني] ﴿وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ﴾ وهو النبي الأمي العربي المكِّي، فعيسى عليه السلام وهو خاتم الأنبياء والمرسلين الذين بأحمد وهو خاتم الأنبياء والمرسلين الذين لا رسالة بعده ولا نبوة. ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ أَحْمَدُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ﴾ [بِالْبَيِّنَاتِ] وهو المبشر به في الأعصار المتقدمة المنزه بذكره في القرون السابقة، فلما ظهر أمره وجاء بالبينات ﴿قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾ ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكُذْبَ وَهُوَ يُدْعَى إِلَى الْإِسْلَامِ؟﴾ لا أحد أظلم ممن يفترى الكذب على الله ويجعل له أندادا وهو يدعى إلى التوحيد والإخلاص، ولهذا قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾، ثم قال تعالى: ٨: ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ﴾ يُحاوِلُونَ أَنْ يَرُدُّوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ، ومثلهم في ذلك كمثل من يريد أن يطفىء شعاع الشمس بفيه، وكما هذا مستحيل كذلك ذلك مستحيل ولهذا قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ ٩: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ [على الدِّينِ كُلِّهِ: أي: جميع الأديان؛ أي الإسلام ظاهر عليها كلها] ١٠: سألو رسول الله صلى الله

عليه وآله وسلم عن أحب الأعمال إلى الله عز وجل ليفعلوه، فأنزل الله هذه الآيات: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ؟﴾ ثم فسّر هذه التجارة العظيمة التي لا تبور فقال تعالى: ١١: ﴿تُوْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ من تجارة الدنيا والكُدْ لها والتصدي لها وحدها، ثم قال تعالى: ١٢: ﴿يَعْرِفَرِكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ إن فعلتم ما أمرتكم به وادلتكم عليه غفرت لكم الزلات وأدخلتكم الجنات والمسكن الطيبات والدرجات العاليات، ولهذا قال تعالى: ﴿وَيُدْخِلِكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾، ثم قال تعالى: ١٣: ﴿وَأُخْرَى تُحِبُّونَهَا﴾ وأريدكم على ذلك زيادة تجبونها وهي ﴿نَصْرٌ مِنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ﴾ إذا قاتلتم في سبيله ونصرتم دينه تكفل الله بنصركم؛ قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَضَرُّوا مِنْ اللَّهِ نَضَرْكُمْ وَيُنْصِرْكُمْ وَأَقْدَامَكُمْ﴾، ﴿وَفَتْحٌ قَرِيبٌ﴾ عاجل فهذه الزيادة هي خير الدنيا موصول بنعيم الآخرة لمن أطاع الله ورسوله ﴿وَيُسِّرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ ١٤: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنْصَارَ اللَّهِ﴾ في أحوالكم بأقوالكم وأفعالكم ﴿كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ﴾ من معيني في الدعوة إلى الله؟ ﴿قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ﴾ نحن موازرونك على ذلك، ﴿فَأَمَّا مَنْ تَطَيَّفَ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ بما جاءهم به ﴿وَكَفَرْتَ طَائِفَةٌ﴾ من بني إسرائيل وهم اليهود عليهم لعائن الله ﴿فَأَيْدِنَا اللَّهُ آمِنًا عَلَى عَدُوِّهِمْ﴾ نصرناهم على من عاداهم ﴿فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ﴾ على دين الكفار.

الآية: ٦ روى البخاري أن رسول الله ﷺ قال: «إن لي أسماء: أنا محمد، وأنا أحمد، وأنا الماحي الذي يمحو الله به الكفر، وأنا الحاشر الذي يُحشر الناس على قدمي، وأنا العاقب».

١: يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ﴿١﴾ جميع المخلوقات ناطقها وجامدها، كما قال تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ﴾، ﴿الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ﴾ هو المقدس المزهة عن النقائص، الموصوف بصفات الكمال ﴿العزیز الحکیم﴾ ٢: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ﴾ الأميون هم العرب، وكانوا قديماً على دين إبراهيم عليه السلام فبدلوه بدين الشرك، فبعث الله تعالى محمداً صلى الله عليه وآله وسلم ﴿يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ﴾ [أي: القرآن] ﴿وَالْحِكْمَةَ﴾ [أي: السنة] ﴿وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ [أي: في ذهاب عن الحق] ٣: ﴿وَآخِرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ هم فارس والروم وغيرهم من الأمم، وهم ممن صدق النبي صلى الله عليه وآله وسلم من غير العرب، وهو العزيز ذو العزة الحکیم في شرعه وقدره ٤: ﴿ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ ما أعطاه الله محمداً صلى الله عليه وآله وسلم من النبوة العظيمة، وما خص به أمته من بعثته صلى الله عليه وآله وسلم ٥: يقول تعالى ذاماً لليهود الذين أعطوا التوراة وحملوها للعمل بها ثم لم يعملوا بها: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ ٦: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِنْ زَعَمْتُمْ أَنْكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ ولا يتمنونه أبداً بما قدمت أيديهم والله عليم بالظالمين ٧: ﴿قُلْ إِنْ أَلْمَأْتُوا الَّذِي تَفْرُونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عِلْمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ كمثل الحمار يحمل كتيبا لا يدري ما فيها فهو

البعث



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴿١﴾ هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٢﴾ وَآخِرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٣﴾ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٤﴾ مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٥﴾ قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِنْ زَعَمْتُمْ أَنْكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٦﴾ وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمْت أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿٧﴾ قُلْ إِنْ أَلْمَأْتُوا الَّذِي تَفْرُونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عِلْمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾

يحملها ولا يدري ما عليه، كذلك هؤلاء في حملهم الكتاب الذي أوثوه حفظوه لفظاً ولم يفهموه ولا عملوا بمقتضاه، بل أوثوه وحرّفوه وبدلوه، فهم أسوأ من الحمير، لأن الحمار لا يفهم له وهؤلاء لهم فهم لم يستعملوها، ولهذا قال تعالى: ﴿أولئك كالأنعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون﴾، وقال تعالى ههنا: ﴿بئس مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله والله لا يهدي القوم الظالمين﴾. روى الإمام أحمد: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «من تكلم يوم الجمعة والإمام يخطب، فهو كمثل الحمار يحمل أسفاراً، والذي يقول له أتصيت ليس له جمعة. ثم قال تعالى: ٦: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِنْ زَعَمْتُمْ أَنْكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ إن كنتم تزعمون أنكم على هدى فادعوا بالموت [على أنفسكم] إن كنتم صادقين فيما تزعمونه قال الله تعالى: ٧: ﴿وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمْت أَيْدِيهِمْ﴾ بما يعملون لهم من الكفر والظلم والفجور ﴿والله عليم بالظالمين﴾، وقال تعالى في سورة البقرة: ﴿قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمْ الدَّارُ الْآخِرَةُ عِنْدَ اللَّهِ خَالِصَةً مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ. وَلَنْ يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمْت أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾ ٨: ﴿قُلْ إِنْ أَلْمَأْتُوا الَّذِي تَفْرُونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عِلْمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ كما قال تعالى: ﴿أَيُّهَا تَكُونُوا يُدْرِكُكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشِيدَةٍ﴾.

سورة الجمعة: روى مسلم في صحيحه إن رسول الله ﷺ كان يقرأ في صلاة الجمعة بسورة الجمعة والناققين». كما كان يقرأ في صلاة الجمعة والعبدين بسورة سبح اسم ربك الأعلى، وسورة هل أتاك حديث الغاشية.

الآية: ٣ روى البخاري عن أبي هريرة قال: كنت جالساً عند النبي ﷺ فأنزلت عليه سورة الجمعة: ﴿وَآخِرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ﴾ قالوا: من هم يا رسول الله؟ فلم يراجعهم حتى سئل ثلاثاً، وفيها سلمان الفارسي، فوضع رسول الله ﷺ يده على سلمان الفارسي ثم قال: «لو كان الإيمان عند الثريا لتأه رجل من هؤلاء!!» رواه مسلم والترمذي والنسائي. /ابن كثير ج ١٣١٣/٤٦

٩: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٩﴾ فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٠﴾ وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ مَآئِةً مِنْهُمَا فَلْيَاجِرُوا وَلَا يَمْنُنَ الَّذِينَ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأُولَٰئِكَ لَا يَعْلَمُونَ الْيَوْمَ الْآخِرَ أَمْ نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا لَمَّا اتَّخَذْتُم مِمَّنْ لَا يَفْقَهُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَمَا كَانُوا يَحْكُمُونَ ﴿١١﴾﴾

سُورَةُ الْمُنَافِقِينَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ ﴿١﴾ اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٣﴾ وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعُ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشْبٌ مُسْنَدَةٌ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴿٤﴾

٥٥٤

تفْلِحُونَ ﴿٩﴾ حال بيعكم وشراكم ولا تشغلکم الدنيا عن الآخرة ١١: ﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ مَآئِةً مِنْهُمَا فَلْيَاجِرُوا وَلَا يَمْنُنَ الَّذِينَ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأُولَٰئِكَ لَا يَعْلَمُونَ الْيَوْمَ الْآخِرَ أَمْ نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا لَمَّا اتَّخَذْتُم مِمَّنْ لَا يَفْقَهُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَمَا كَانُوا يَحْكُمُونَ ﴿١١﴾﴾ من الثواب في الآخرة، ﴿وَاللَّهُ خَيْرٌ الرَّازِقِينَ﴾ لمن توكل عليه وطلب الرزق في وقته.

تفسير سورة المنافقين

١: يخبر تعالى عن المنافقين أنهم إنما يتفوهون بالإسلام وهم ليسوا كذلك فيقول: ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ﴾ إذا حضروا عندك واجهوك بذلك ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ﴾ فيما أخبروا به عن اعتقادهم [لأن اعتقادهم الباطن هو الكفر] ٢: ﴿اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ اتقوا الناس بالأيمان الكاذبة ليصدفهم، فاعتز بهم من لا يعرفهم فاعتقد أنهم مسلمون فرما اقتدى بهم، ﴿إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ ٣: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾ [أي: حُجِّمَ عليها بالكفر] ﴿فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ﴾ فلا يفتدون ٤: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعُ لِقَوْلِهِمْ﴾ وكانوا أشكالا حسنة وذوي فصاحة ﴿كَأَنَّهُمْ خُشْبٌ مُسْنَدَةٌ﴾ فهم جهامات بلا معاني ﴿يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ﴾ لخبثهم ﴿هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ كيف ينصرفون عن الهدى إلى الضلالة ١٩.

٥: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُم تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ﴾ [أي: اطلبوا أن يستغفر لكم] ﴿لَوْأَوْ رُؤُوسَهُمْ﴾ صَدُّوا وَأَعْرَضُوا عَمَّا قِيلَ لَهُم اسْتِكْبَارًا عَنْ ذَلِكَ وَاحْتِقَارًا لِمَا قِيلَ، ولهذا قال تعالى: ﴿وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ﴾، ثم جازاهم على ذلك فقال تعالى: ٦: ﴿سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ [يعني كل ذلك سواء، لا ينفع استغفارك شيئاً؛ لأن الله لا يغفر لهم. نظيرة: ﴿سواءٌ عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرتهم لا يؤمنون﴾، ﴿إن الله لا يهدي القوم الفاسقين﴾ من سبق في علم الله أنه يموت فاسقاً] ٧: ﴿هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تَنْفِقُوا عَلَى مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّى يَنْفَضُوا﴾ [أي: حتى ينفقوا عنه، فأعلمهم الله سبحانه أن ﴿الله خزائن السموات والأرض﴾ ينفق كيف يشاء، ﴿ولكن المنافقين لا يفقهون﴾ أنه إذا أراد أمراً يسره] ٨: ﴿يَقُولُونَ لَنْ نَرَجِعَ إِلَى الْمَدِينَةِ لِيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ﴾، وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم غزا غزوة، فاقتتل رجلان أحدهما من المهاجرين والآخر من بهز وهم حلفاء الأنصار، فاستعلى الرجل الذي من المهاجرين على البهزي، فقال البهزي: يا معشر الأنصار، فنصره رجال من الأنصار، وقال المهاجري: يا معشر المهاجرين فنصره رجال من المهاجرين حتى كان بين أولئك شيء من القتال، ثم حُجِرَ بينهم، فانكفأ كل منافق إلى عبد الله بن أبي ابن

وَإِذَا قِيلَ لَهُم تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّأَوْرَاءَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ ﴿٥﴾ سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿٦﴾ هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تَنْفِقُوا عَلَيَّ مِنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّى يَنْفَضُوا وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٧﴾ يَقُولُونَ لِنِ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لِيُخْرِجَنَا الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالِكُمْ وَلَا أَوْلَادِكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٩﴾ وَأَنْفِقُوا مِنْ مَّا رَزَقْنَاكُمْ مِّن قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقْتُ وَأَكُن مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٠﴾ وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١١﴾

سُورَةُ النَّازِعَاتِ

سلول فقال: كنت تُرَجِّي وتدفع فأصبحت لا تضر ولا تنفع، فقال عبد الله بن أبي -عدو الله- والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل، وقال مالك بن الدخشن وكان من المنافقين: ألم أقل لكم لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا، فلما قفلوا راجعين إلى المدينة، وقف عبد الله بن عبد الله بن أبي على باب المدينة واستل سيفه، فلما جاء أبوه عبد الله بن أبي قال له: والله لا تجور من ههنا حتى يأذن لك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فإنه العزيز وأنت الذليل، ثم أذن له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فقال: أما إذا أذن لك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فجز الآن، ولا تدخل المدينة حتى تقول: رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الأعز وأنا الأذل. ﴿لِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ٩: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالِكُمْ وَلَا أَوْلَادِكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ﴾ يأمر تعالى المؤمنين بكثرة ذكره، وبنهاهم عن أن تشغلهم الأموال والأولاد عن ذلك، ﴿وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ الذين خسروا أنفسهم وأهلبيهم يوم القيامة ثم حتهم سبحانه على الإنفاق في طاعته فقال: ١٠: ﴿وَأَنْفِقُوا مِنْ مَّا رَزَقْنَاكُمْ مِّن قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقْتُ وَأَكُن مِّنَ الصَّالِحِينَ﴾، فكل مفرط يندم عند الاحتضار ويسأل طول المدة ولو شيئاً يسيراً ليستردك ما فاتته وهيات، كان ما كان وأنى ما هو أت. ولهذا قال تعالى: ١١: ﴿وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ لا ينظر أحداً بعد حلول أجله، وهو أعلم وأخبر بمن يكون صادقاً في قوله وسؤاله.

الآية: ١١ روى أبي حاتم عن أبي الدرداء قال: ذكرنا عند رسول الله ﷺ الزيادة في العمر، فقال: «إن الله لا يؤخر نفساً إذا جاء أجلها إنما الزيادة في العمر أن يرزق الله العبد ذريةً سالحة يدعون له فيلحقه دعاؤهم في قبره». /ابن كثير ج ٤/ ٣٧٣

تفسير سورة التغابن

١: ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾، هذه السورة هي آخر المُسَبِّحات [من سور القرآن] ﴿لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ﴾ هو المتصَّرف في جميع الكائنات الحمود على جميع ما يخلق ويقدر، ﴿وهو على كلِّ شيءٍ قديرٌ﴾ مهما أراد كان بلا مُمانع ولا مُدافع، وما لم يشأ لم يكن ٢: ﴿هو الذي خلقكم فمنكم كافرٌ ومنكم مؤمنٌ﴾ هو الخالق لكم على هذه الصفة وأراد منكم ذلك فلا بُدَّ من وجود مؤمن وكافر، وهو البصير بمن يستحق الهداية ومن يستحق الضلال، ولهذا قال تعالى: ﴿والله بما تعملون بصيرٌ﴾ ٣: ﴿خلق السموات والأرض بالحق﴾ بالعدل والحكمة ﴿وصوركم فأحسن صوركم﴾ المرجع والمآب، ثم أخبر تعالى عن علمه بجميع الكائنات السائية والأرضية والنفسية فقال تعالى: ٤: ﴿يعلم ما في السموات والأرض ويعلم ما تسرون وما تعلنون والله عليم بذات الصدور﴾ ٥: يُخبر تعالى عن الأمم الماضية وما حلَّ بالملكيين منهم من العذاب والنكال، فقال تعالى: ﴿ألم يتكلم نأ الذين كفروا من قبل فذاقوا وبال أمرهم﴾؟ وخيم تكذيبهم ورديء أفعالهم، وهو ما حلَّ بهم في الدنيا من العقوبة والحزى ﴿ولهم عذاب أليم﴾ في الدار الآخرة، ثم علَّل ذلك فقال: ٦: ﴿ذلك بأنهم كانت تأتيهم رُسُلهم بالبينات﴾ بالحجج والدلائل والبراهين،

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْكُمْ كَافِرٌ وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢﴾ وَالْأَرْضُ بِالْحَقِّ وَصُورُكُمْ فَأَحْسَنَ صُورَكُمْ وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴿٣﴾ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُسْرُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بَدَاتِ الصُّدُورِ ﴿٤﴾ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ فَذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٥﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُ كَانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالُوا أَبَشِّرْهُدُونَا فَكَفَرُوا وَتَوَلَّوْا وَأَسْتَعْنَى اللَّهُ وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴿٦﴾ زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ وَرَبِّي لَتُبْعِنُنَّ ثُمَّ لَنُنْبِتَنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧﴾ فَتَأْمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِي أَنْزَلْنَا وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٨﴾ يَجْمَعُكُمْ يَوْمَ الْجَمْعِ ذَلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَعَمِلْ صَالِحًا يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٩﴾

﴿فقالوا أبشِّرْهُدُونَا؟﴾ استبعدوا أن تكون الرسالة في البشر وأن يكون هُداهم على يدي بشرٍ مثلهم ﴿فكفروا وتولَّوا﴾ كذَّبوا بالحق ونكلوا عن العمل ﴿واستغنى الله﴾ عنهم ﴿والله غنيٌّ حميدٌ﴾ ٧: ﴿زعم الذين كفروا أن لن يعذبوا قل بل بلَى وربِّي لتبعننَّ ثم لتنبون بما عملتم﴾ لتخبرنَّ بجميع أعمالكم جليلها وحقيرها صغيرها وكبيرها ﴿وذالك على الله يسيرٌ﴾ ٨: ﴿فأمنوا بالله ورسوله والنور الذي أنزلنا﴾ القرآن ﴿والله بما تعملون خبيرٌ﴾ فلا تخفى عليه أعمالكم من خافية ٩: ﴿يوم يجمعكم ليوم الجمع﴾ وهو يوم القيامة سَمِّيَ بذلك لأنه يُجمع فيه الأولون والآخرون في صعيدٍ واحدٍ يسمعون ويُفذهم البصر، كما قال تعالى: ﴿ذلك يومٌ مجموعٌ له الناسُ وذلك يومٌ مشهودٌ﴾، وقال تعالى: ﴿قل إنَّ الأولين والآخريين لمجموعون إلى ميقاتٍ يومٍ معلومٍ﴾، ﴿ذلك يومُ التغابن﴾ هذا من أسماء القيامة، وذلك أنَّ أهل الجنة يغتوبون أهل النار، ﴿ومن يؤمن بالله ويعمل صالحًا يُكفر عن سَيِّئَاتِهِ وَيُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾، ولا عُينَ أعظمُ من أن يدخلَ هؤلاء الجنةَ ويُذهب بأولئك إلى النار؟! ﴿ذلك﴾ [أي: دخول الجنة] ﴿الفوز العظيم﴾.

الآية: ١ - ٢ روى الشيخان في صحيحهما عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «كلماتان خفيفتان على اللسان، ثقيلتان في الميزان، حبيبتان إلى الرحمن: سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم». وعن أبي ذر قال: قال رسول الله ﷺ: «الأخبرك بأحب الكلام إلى الله؟ قلت: يا رسول الله أخبرني بأحب الكلام إلى الله؟ فقال: «إن أحب الكلام إلى الله: سبحان الله وبحمده» رواه مسلم. وفي رواية أخرى عنده: أن رسول الله ﷺ سئل أي الكلام أفضل؟ قال: ما صطفى الله للملائكة، أو لعباده: سبحان الله وبحمده!!! /ابن كثير ج٤/ ٤٢١/

١٠: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا﴾ [أي: الذين كفروا بالقرآن وكذبوا به ﴿وَبَشِّرِ الْمَصِيرِينَ﴾ فكنا ذكر ما للمؤمنين من النعم فيما تقدم؛ ذكر ما للكافرين من الجحيم] ١١: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ عن قدره ومشيئته، ﴿وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ اللَّهُ قَلْبَهُ﴾ والله بكل شيء عليم ﴿وَمَنْ أَصَابَتْهُ مُصِيبَةٌ فَعَلِمَ أَنَّهَا بِقِضَاءِ اللَّهِ وَقَدَرِهِ فَصَبَرَ وَاحْتَسَبَ وَاسْتَسَلَّمَ لِقِضَاءِ اللَّهِ هَدَى اللَّهُ قَلْبَهُ، وَعَوَّضَهُ عَمَّا فَاتَهُ مِنَ الدُّنْيَا هُدًى فِي قَلْبِهِ وَيَقِينًا صَادِقًا، وَقَدْ يُخَلِّفُ عَلَيْهِ مَا كَانَ آخِذًا مِنْهُ أَوْ خَيْرًا مِنْهُ. وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: يَهْدِي قَلْبَهُ لِلْيَقِينِ، فَيَعْلَمُ أَنَّ مَا أَصَابَهُ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَهُ، وَمَا أَحْطَاهُ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَهُ ١٢: ﴿وَاطِيعُوا اللَّهَ وَاطِيعُوا الرَّسُولَ﴾ أمر سبحانه بطاعته ورسوله فيما شرع، ﴿فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾ إن نكلتم عن العمل فإنما عليه ما حتمل من البلاغ وعليكم ما حتملتم من السمع والطاعة ١٣: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ أخبر تعالى أنه الأحد الصمد الذي لا إله غيره ﴿وَعَلَى اللَّهِ فليتوكل المؤمنون﴾ [فالقسم] الأول خير عن التوحيد ومعناه معنى الطلب؛ أي: وحدوا الإلهية له وأخلصوها لديه وتوكلوا عليه، كما قال تعالى: ﴿رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا﴾ ١٤: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ مِنْ أَرْوَاحِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عُدُوًّا لَكُمْ﴾ يلبسني [مهم] عن العمل الصالح، كقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا

وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا وَبَشِّرِ الْمَصِيرِينَ ﴿١٠﴾ مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ اللَّهُ قَلْبَهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١١﴾ وَاطِيعُوا اللَّهَ وَاطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴿١٢﴾ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَعَلَى اللَّهِ فليتوكل المؤمنون ﴿١٣﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ مِنْ أَرْوَاحِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عُدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ وَإِن تَعَفَّوْا وَتَصَفَّحُوا وَتَغْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٤﴾ إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَأَسْمَعُوا وَاطِيعُوا وَأَنْفِقُوا خَيْرًا لِأَنْفُسِكُمْ وَمَنْ يُوقِ شَحْنَ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٦﴾ إِنْ تَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يَضْعَفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ شَاكِرٌ حَلِيمٌ ﴿١٧﴾ عَلِيمٌ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١٨﴾

سُورَةُ النَّحْلِ

الذين آمنوا لا تلهمكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله الآية، ولهذا قال تعالى: ﴿فاحذروهم﴾ على دينكم، ﴿وَإِن تَعَفَّوْا وَتَصَفَّحُوا وَتَغْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [أي: عمن أساء إليكم بسبب الأهل والأولاد] ١٥: ﴿إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ﴾ إنما الأموال والأولاد فتنة واختبار وابتلاء من الله تعالى لخلقه ليعلم من يطيعه ممن يعصيه، ﴿وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ يوم القيامة، كما قال تعالى: ﴿زَيْنٌ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَاَبِ﴾ ١٦: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ جهدكم وطاقاتكم، كما ثبت في الصحيحين: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «إذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم وما نهيتكم عنه فاجتنبوه»، ﴿وَاسْمَعُوا وَاطِيعُوا﴾ كونوا منقادين بما يأمركم الله به ورسوله، ﴿وَإِنْفِقُوا خَيْرًا لِأَنْفُسِكُمْ﴾ وابتدلوا مما رزقكم الله على الأقارب والفقراء والمساكين، ﴿وَمَنْ يُوقِ شَحْنَ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ ١٧: ﴿إِنْ تَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يَضْعَفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ﴾ مهما أنفقتم من شيء فهو يُخْلِفُهُ ومهما تصدقتم من شيء فعليه جزاؤه، ونزل ذلك منزلة القرض ﴿وَيَغْفِرْ لَكُمْ﴾ السَّيِّئَاتِ ﴿وَاللَّهُ شَاكِرٌ حَلِيمٌ﴾ يجزي على القليل الكثير، ١٨: ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾، تقدم تفسيره غير مرة.

الآية: ١٠. وفي الحديث المتفق على صحته أن رسول الله ﷺ قال: «عجبا للمؤمن، لا يقضي الله له قضاء إلا كان خيرا له، إن أصابته ضراء صبر، فكان خيرا له، وإن أصابته سراء شكر، فكان خيرا له، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن». وروى الإمام أحمد عن عبادة بن الصامت: أن رجلا أتى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله! أتى العمل أفضل؟ قال: «إيمان بالله وتصديق به، وجهاد في سبيل الله» قال أريد أهون من هذا [أي الجهاد] يا رسول الله؟ قال: «لا تنهمم في شيء قضى لك به». /ابن كثير ج ٤/٣٧٥

تفسير سورة الطلاق

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا
 الْعِدَّةَ وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ لَا تَخْرُجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ
 وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفِدْحَةٍ مَبِينَةٍ وَتِلْكَ حُدُودُ
 اللَّهِ وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ لَا تَدْرِي لَعَلَّ
 اللَّهُ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا ﴿١﴾ فَإِذَا بَلَغَنَّ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ
 بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهِدُوا ذَوِي عَدْلٍ مِنْكُمْ
 وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ ذَلِكَ يُوَعِّظُ بِهِ مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ
 بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ
 مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ
 بَلِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ﴿٣﴾ وَالَّتِي بَلَغَتْ
 مِنَ الْحَيْضِ مِنْ نِسَائِكُمْ إِنْ أَرْبَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ
 وَالَّتِي لَمْ يَحِضْنَ وَأُولَتْ الْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ
 وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا ﴿٤﴾ ذَلِكَ أَمْرُ اللَّهِ أَنْزَلَهُ
 إِلَيْكُمْ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَكْفُرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا ﴿٥﴾

١: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ﴾ خُوطِبَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
 وآله وسلم أَوْلًا تَشْرِيفًا وَتَكْرِيمًا ثُمَّ خَاطَبَ
 الْأُمَّةَ تَبَعًا: ﴿إِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ
 لِعَدَّتِهِنَّ﴾ رَوَى الْبُخَارِيُّ: أَنَّ ابْنَ عَمْرِو طَلَّقَ
 امْرَأَتَهُ وَهِيَ حَائِضٌ، فَذَكَرَ عَمْرٌ لِرَسُولِ اللَّهِ
 صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فَتَغَيَّظَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
 وآله وسلم مِنْهُ، ثُمَّ قَالَ: «لِيَرْجِعَهَا ثُمَّ يَسْكُهَا
 حَتَّى تَطْهَرَ ثُمَّ تَحِيضَ فَتَطْهَرَ، فَإِنْ بَدَأَ لَهُ أَنْ
 يُطْلِقَهَا طَاهِرًا قَبْلَ أَنْ تَمْسُهَا، فَتِلْكَ الْعِدَّةُ الَّتِي
 أَمَرَ بِهَا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ»، «وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ»
 اعْرِفُوا ابْتِدَاءَهَا وَانْتِهَاءَهَا «وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ»
 فِي ذَلِكَ، «لَا تَخْرُجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلَا
 يَخْرُجْنَ» فِي مَدَّةِ الْعِدَّةِ، لَهَا حَقُّ السَّكْنَى
 عَلَى الزَّوْجِ مَا دَامَتْ مَعْتَدَةً مِنْهُ، فَلَيْسَ لِلرَّجُلِ
 أَنْ يَخْرِجَهَا وَلَا يَجُوزَ لَهَا أَيْضًا الْخُرُوجُ لِأَنَّهَا
 مُتَعَلِّقَةٌ لِحَقِّ الزَّوْجِ أَيْضًا، «إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ
 بِفِدْحَةٍ مَبِينَةٍ» الْفِدْحَةُ تَشْمَلُ الزَّنا
 وَالنَّشُوزَ، [مِنَ النَّشُوزِ إِذْ بَاءَ أَهْلَ الرَّجُلِ
 بِالْكَلامِ وَالْفِعَالِ] «وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ»
 شُرَائِعُهُ وَمَخَارِمُهُ «وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ»
 يَتَجَاوِزُهَا وَلَا يَأْتُرُ بِهَا «فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ»
 بِفِعْلِ ذَلِكَ، «لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ
 ذَلِكَ أَمْرًا» مِنْ رَجْعَتِهَا، فَيَكُونُ ذَلِكَ أَيْسَرَ
 وَأَسْهَلَ ٢: ﴿فَإِذَا بَلَغَنَّ أَجَلَهُنَّ﴾ شَارَفَنَّ عَلَى
 انْقِضَاءِ الْعِدَّةِ «فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ»
 الْإِمْسَاكُ هُوَ الْإِرْجَاعُ إِلَى عِصْمَةِ نِكَاحِهِ
 مُحْسِنًا لِبِهَا، «أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ» مِنْ غَيْرِ
 مُقَابَحَةٍ وَلَا مُشَاتَمَةٍ، «وَأَشْهِدُوا ذَوِي عَدْلٍ

مِنْكُمْ» عَلَى رَجْعَتِهَا «ذَلِكَ يُوعِظُ بِهِ مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ» هَذَا الَّذِي أَمْرَانَا بِهِ مِنْ الْإِشْهَادِ إِتْمَا يَأْتُرُ بِهِ مَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ
 الْآخِرِ، «وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا» مَنْ يَتَّقِ اللَّهَ فَيَا أَمْرَهُ بِهِ يَجْعَلُ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ [وَضِيْقَهُ] مَخْرَجًا ٣: «وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ» مِنْ
 جِهَةٍ لَا تَحْتَظَرُ بِإِيَّاهِ، «وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ» [أَي: مَنْ فَوَّضَ أَمْرَهُ إِلَيْهِ كَفَاءً مَا أَمَرَهُ] «إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ» مُنْفَذُ قَضَائِهِ وَأَحْكَامِهِ بِمَا
 يَشَاءُ، «قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا» [أَي: أَجَلًا يَنْتَهِي إِلَيْهِ]، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: «وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ» ٤: «وَالَّتِي بَلَغَتْ مِنَ الْحَيْضِ مِنْ
 نِسَائِكُمْ» الَّتِي قَدْ انْقَطَعَ عَنْهَا الْحَيْضُ كَثِيرًا «فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ وَالَّتِي لَمْ يَحِضْنَ» كَعِدَّةِ الْآيِسَةِ ثَلَاثَةَ أَشْهُرٍ، [وَقَوْلُهُ تَعَالَى: «إِنْ أَرْبَبْتُمْ»
 فِي حُكْمِ عِدَّتِهِنَّ وَ لَمْ تَعْرِفُوهُنَّ فَهِيَ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ كَمَا بَيَّنَّ سَبْحَانَهُ] «وَأُولَاتِ الْأَحْمَالِ» وَالْحَامِلُ «أَجَلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ» فَعِدَّتُهَا بُوْضُهُ وَلَوْ كَانَ
 بَعْدَ الطَّلَاقِ أَوْ الْمَوْتِ، «وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا» يُسْهَلُ لَهُ أَمْرُهُ وَيُسْرُهُ عَلَيْهِ وَيَجْعَلُ لَهُ فَرْجًا قَرِيبًا وَمَخْرَجًا عَاجِلًا ٥: «ذَلِكَ أَمْرُ
 اللَّهِ أَنْزَلَهُ إِلَيْكُمْ» حُكْمَهُ وَشَرَعَهُ أَنْزَلَهُ إِلَيْكُمْ بِوَاسِطَةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، «وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَكْفُرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا»
 يُدْهَبُ عَنْهُ الْمُحْذَرُ وَيَجْزَلُ لَهُ الثَّوَابُ عَلَى الْعَمَلِ الْيُسْرِيرِ.

الآية: ١ قال ابن عمر: «فَطَلِّقُوهُنَّ» فِي قَوْلِ «عِدَّتِهِنَّ»، وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: «فَطَلِّقُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ» قَالَ: الطَّهْرُ مِنْ غَيْرِ جَمَاعٍ. وَعَنْ ابْنِ عَمْرِو وَعَطَاءُ وَمُجَاهِدُ
 وَالْحَسَنُ وَابْنُ سَبْرِينَ وَقَتَادَةُ وَمِيمُونُ بْنُ مِهْرَانَ وَمِقَاتِلُ بْنُ حَبِيبَانَ مِثْلَ ذَلِكَ. وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: لَا يُطْلَقُهَا وَهِيَ حَائِضٌ وَلَا فِي طَهْرٍ قَدْ جَامَعَهَا فِيهِ، وَلَكِنْ يَتْرُكُهَا حَتَّى إِذَا حَاضَتْ وَطَهَرَتْ
 طَلَّقَهَا طَلِيقَةً. وَقَالَ عِكْرَمَةُ: الْعِدَّةُ: الطَّهْرُ، وَالْفَرْغُ الْحَيْضَةُ؛ أَنْ يُطْلَقَهَا مُجْلِيًّا مُسْتَبِينًا لِحَمْلِهَا، وَلَا يُطْلَقُهَا وَقَدْ طَافَ عَلَيْهَا وَلَا يَدْرِي حَيْثُ هِيَ أَمْ لَا. وَمِنْ هُنَا أَخَذَ الْفُقَهَاءُ أَحْكَامَ الطَّلَاقِ،
 وَقَسَّمُوهُ طَلَاقَ سَنَةِ وَطَلَاقَ بَدْعَةٍ، فَطَلَاقُ السَّنَةِ أَنْ يُطْلَقَهَا طَاهِرَةً مِنْ غَيْرِ جَمَاعٍ، أَوْ حَامِلًا قَدْ اسْتَبَانَ لِحَمْلِهَا، وَالدَّعْوَى هُوَ أَنْ يُطْلَقَهَا فِي حَالِ الْحَيْضِ أَوْ فِي طَهْرٍ قَدْ جَامَعَهَا فِيهِ. /ابن

٦: ﴿أَسْكِنُوهُمْ مِنْ حَيْثُ سَكَنْتُمْ مِنْ وَجْدِكُمْ﴾ يأمر تعالى عباده إذا طلق أحدهم المرأة أن يسكنها في منزل حتى تنقضي عدتها، ﴿مِنْ وَجْدِكُمْ﴾ من سعيتكم ﴿وَلَا تُضَارُّوهُمْ﴾ تضاروهم ﴿لِضْيَاقِهِمْ﴾ لضيقهم ﴿وَلَوْ أَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ لفتدي منه بما لها أو تخرج من مسكنه، ﴿وَلَوْ أَنَّ كُنَّ أَوْلَاتٍ حَمَلٌ فَأَنْفِقُوا عَلَيْهِنَّ حَتَّى يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾ هذه في [الطلاق] البائن إن كانت حاملاً حتى تضع حملها، فإن الحمل تطول مدته غالباً لئلا يتوهم أنه إنما تجب النفقة بمقدار مدة العدة. ﴿فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾ إذا وضعت حملهن وهن طوالق فقد ين بانقضاء عدتهن، وهن حينئذ أن ترضع الولد ولها أن تمتنع منه ولكن بعد أن تغذيه بياكورة اللبن الذي لا يوافق للمولود غالباً إلا به، فإن أرضعت استحققت أجر مثلها أو تعاقده أباه أو وليه، ولهذا قال تعالى: ﴿فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ وَاتَّمَرُوا بَيْنَكُمْ بِمَعْرُوفٍ﴾ ولتكن أموركم فيما بينكم من غير إضرار، ﴿وَلَوْ أَنَّ تَعَسَّرَ لَكُمْ فَمَا رَضَعْنَ لَهُ مِنْ حَمَلٍ﴾ وإن اختلف الرجل والمرأة في أجرة الرضاع فليسترضع له غيرها

أَسْكِنُوهُمْ مِنْ حَيْثُ سَكَنْتُمْ مِنْ وَجْدِكُمْ وَلَا تَضَارُّوهُمْ لِنَضْيِقِهِمْ عَلَيْهِمْ وَإِنْ كُنَّ أَوْلَاتٍ حَمَلٌ فَأَنْفِقُوا عَلَيْهِنَّ حَتَّى يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ وَاتَّمَرُوا بَيْنَكُمْ بِمَعْرُوفٍ وَإِنْ تَعَسَّرَ لَكُمْ فَمَا رَضَعْنَ لَهُ مِنْ حَمَلٍ ﴿٦﴾ لِيُنْفِقَ ذُو سَعَةٍ مِنْ سَعَتِهِ وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ لَا يَكْفُلُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَاءً آتَاهَا سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا ﴿٧﴾ وَكَانَ مِنْ قَرَابَةٍ عَثَتْ عَنْ أُمِّ رَبِّهَا وَرُسُلِهِ فَحَاسِبْنَهَا حَسَابًا شَدِيدًا وَعَدَبْنَاهَا عَذَابًا نَكْرًا ﴿٨﴾ فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا وَكَانَ عَاقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا ﴿٩﴾ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ الَّذِينَ آمَنُوا قَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا ﴿١٠﴾ رَسُولًا يَنْوَلُ عَلَيْكُمْ آيَاتِ اللَّهِ مُبَيِّنَاتٍ لِيُخْرِجَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا قَدْ أَحْسَنَ اللَّهُ لَهُ رِزْقًا ﴿١١﴾ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَنْزِلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴿١٢﴾

رُسُلُهُ، ﴿عَثَتْ﴾ طغت واستكبرت عن اتباع أمر الله ﴿فحاسبناها حساباً شديداً وعدبناها عذاباً نكراً﴾ منكرأ فظعاً ٩: ﴿فذاقت وبال أمرها﴾ غب مخالفتها، وندما حيث لا ينفعهم الندم ﴿وكان عاقبة أمرها خسراً﴾ ١٠: ﴿أعد الله لهم عذاباً شديداً فاتقوا الله يا أولي الألباب﴾ يا أولي الأفهام، فلا تكونوا مثلهم فيصيبكم ما أصابهم ﴿يا أولي الألباب الذين آمنوا﴾ بالله ورسوله ﴿قد أنزل الله إليكم ذكراً﴾ القرآن ١١: ﴿رسولاً ينزل عليكم آيات الله مبينات﴾ رسولاً [بين الآيات] في حال كونها بيّنة واضحة ﴿ليخرج الذين آمنوا وعملوا الصالحات من الظلمات إلى النور﴾، كقوله تعالى: ﴿كتاب أنزلناه إليك لتخرج الناس من الظلمات إلى النور﴾، ﴿ومن يؤمن بالله ويعمل صالحاً يُدخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا قَدْ أَحْسَنَ اللَّهُ لَهُ رِزْقًا﴾ [أي: وسع الله له في الحيات] ١٢: ﴿الله الذي خلق سبع سموات ومن الأرض مثلهن من الأرض طوفة من سبع أرضين﴾، وفي صحيح البخاري: ﴿حُصِفَ بِهِ إِلَى سَبْعِ أَرْضِينَ﴾، وكذا في الحديث الآخر: ﴿ما السموات السبع وما فيها وما بينهن والأرضون السبع وما فيها وما بينهما في الكرسي إلا كحلقة بارض فلاة﴾، ﴿يَنْزِلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ﴾ [أي: ينزل الأمر من السموات السبع إلى الأرضين السبع] ﴿لتعلموا أن الله على كل شيء قدير وأن الله قد أحاط بكل شيء علماً﴾ [فلا يخرج شيء عن علمه وقدرته].

الآية: ٧ روى ابن جرير عن أبي سنان قال: سألت عمر بن الخطاب عن أبي عبيدة قيل: إنه ليس الغليظ من اليباب، ويأكل أخشن الطعام، فيعث إليه بالث دينار، وقال للرسول: انظر ما صنعت بها إذا هو أخذها؟ فما لبث أن لبس اللين من اليباب، واكل أطيب الطعام، فجاءه الرسول فأخبره، فقال: رحم الله تعالى تناول هذه الآية: ﴿لِيُنْفِقَ ذُو سَعَةٍ مِنْ سَعَتِهِ، وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ﴾. / ابن كثير ج ٤/ ٣٨٢

سُورَةُ التَّحْرِيمِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَأْتِيهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحْرَمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبَغْيَ مَرْضَاتِ أَزْوَاجِكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١﴾ قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ وَاللَّهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿٢﴾ وَإِذَا أَسْرَ النَّبِيُّ إِلَى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَأَ بِهِ وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ عَرَفَ بَعْضَهُ وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ فَلَمَّا نَبَأَهَا بِهِ قَالَتْ مَنْ أَنْبَأَكَ هَذَا قَالَ نَبَأَنِي الْعَلِيمُ الْخَيْرُ ﴿٣﴾ إِنْ نُوْبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَعَتْ قُلُوبُكُمْ وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيْلٌ وَصَلِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةِ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ ﴿٤﴾ عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُبَدِّلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكُنَّ مُسْلِمَاتٍ مُؤْمِنَاتٍ قَانِتَاتٍ تَتَّبِعْتِ عِدَدَاتٍ سَدِّحَاتٍ تَثْبِيَتْ وَأَبْكَارًا ﴿٥﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَوْلًا أَنْفُسُهُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٦﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَعْنَدُوا الْيَوْمَ إِنَّمَا تَجْرُونَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٧﴾

٥٦.

تفسير سورة التحريم

١: ﴿يَأْتِيهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحْرَمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ﴾ الآية نزلت في شأن مارية، وكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قد حرّمها، ﴿تَبَغْيِي مَرْضَاةَ أَزْوَاجِكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [أي: تفعل ذلك طلباً لرضاها]. والله غفورٌ لما أوجب المعتابة، رحم برقع المواخذة] ٢: ﴿قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ﴾ فكفر صلى الله عليه وآله وسلم عن يمينه وأصاب جاريته. فصيّر التحريم ميمناً. ﴿وَاللَّهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ [أي: نصيركم ومتولي رعايتكم بإزالة الحظر فيما تحرمون على أنفسكم، وبالترخيص لكم في تحليل أيمانكم بالكفارة، وبالشواب على ما تُخرجنوه في الكفارة] ٣: ﴿وَإِذَا أَسْرَ النَّبِيُّ إِلَى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا﴾ لخصه، قال لها: «لا تخبري أحداً، وإن أم إبراهيم علي حرام»، ﴿فَلَمَّا نَبَأَتْ بِهِ وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ﴾ [أي: لما أخبرت به عائشة لمصافاة كانت بينهما، وكانتا متظاهرتين على نساء النبي صلى الله عليه وآله وسلم ﴿وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ﴾ أطلع الله على أنها قد نَبَأَتْ بِهِ] ﴿عَرَفَ بَعْضَهُ وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ فَلَمَّا نَبَأَهَا بِهِ قَالَتْ مَنْ أَنْبَأَكَ هَذَا؟﴾ [فظنت أن عائشة أخبرتته] ﴿قَالَ نَبَأَنِي الْعَلِيمُ الْخَيْرُ﴾ [أي: الذي لا يخفى عليه شيء] ٤: ﴿إِنْ نُوْبَا إِلَى اللَّهِ﴾ [يعني حفصة وعائشة، حبسنا على التوبة على ما كان منهما من الميل إلى خلاف محبة النبي صلى الله عليه وآله وسلم] ﴿فَقَدْ صَعَتْ قُلُوبُكُمْ﴾ [أي: قد

زاغت ومالت عن الحق]، ﴿وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ﴾ حفصة وعائشة ﴿فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيْلٌ﴾ [أي: وليه وناصره فلا يضروه ذلك الظاهر منهما] ﴿وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [أي: أبو بكر وعمر، لأنهما أبو حفصة وعائشة، وكانا عوناً له عليهما] ﴿وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ﴾ [أي: أعوان له] ٥: ﴿عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُبَدِّلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكُنَّ﴾ نزلت هذه الآية على لسان عمر بن الخطاب، وذلك أنه كان بين أمهات المؤمنين وبين النبي صلى الله عليه وآله وسلم شيء، فقال: لتكفرن عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أو لبيدته الله أزواجاً خيراً منكُنَّ، فأنزل الله هذه الآية. ﴿مُسْلِمَاتٍ مُؤْمِنَاتٍ قَانِتَاتٍ﴾ [أي: مطيعات] ﴿قَانِتَاتٍ عَابِدَاتٍ سَاهِتَاتٍ﴾ صامتات ﴿نِيَّاتٍ وَأَبْكَارًا﴾ منهن نيات، ومنهن أبكاراً، ليكون ذلك أشهى إلى النفس، فإن التنوع ييسط النفس ٦: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَوْلًا أَنْفُسُهُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا﴾ ﴿أَذْبُوهُمْ وَعَلْمُوهُمْ﴾ ليعملوا بطاعة الله، ويتقوا معاصي الله، وامروا أهليكم بالذكر بيمينكم الله من النار، قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «مروا الصبي بالصلاة إذا بلغ سبع سنين، فإذا بلغ عشر سنين فاضربوه عليها»، ﴿وَقُودُهَا﴾ حطبها ﴿النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾ الأصنام التي تُعبد، ﴿عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ﴾ قد نُزِعَتْ من قلوبهم الرحمة ﴿لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ همها أمرهم به تعالى يبادروا إليه لا يتأخرون عنه طرفة عين ٧: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَعْنَدُوا الْيَوْمَ﴾ يوم القيامة فإنه لا يُقبل منكم ﴿إِنَّمَا تَجْرُونَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾.

سورة التحريم: كان رسول الله ﷺ أقسم أن لا يدخل على نسائه شهراً من شدة موجدته عليهن حتى عاتبه الله عز وجل، وذلك أن أزواجه الطاهرات كن يراجن [أي بالكلام] وتجره إحداهن اليوم إلى الليل. فكان ماقصه الله تعالى في هذه السورة الكريمة.

٨: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تَوْبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا﴾ توبة صادقة جازمة تمحو ما قبلها من السيئات. والتوبة النصح: أن يتوب من الذنب ثم لا يعود فيه، ولا يريد أن يعود فيه، ﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُم جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ وَعَسَىٰ مِنْ اللَّهِ مَوْجِبَةٌ (وهو معنى قوله عليه الصلاة والسلام: «التائب من الذنب كمن لا ذنب له» ﴿يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ﴾ ولا يُخْزِيهم معه يوم القيامة ﴿نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ﴾ بينا نور المنافقين قد طُفِيَءَ ﴿يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا﴾ (هذا دعاء المؤمنين حين أطفأ الله نور المنافقين) ﴿وَأَغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ٩: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفْرَ وَالْمُنَافِقِينَ﴾ يأمر تعالى رسوله صلى الله عليه وآله وسلم بجهاد الكفار والمنافقين هؤلاء بالسلاح والقتال، وهؤلاء بإقامة الحدود عليهم ﴿وَأَغْطِ عَلَيْهِمُ﴾ في الدنيا ﴿وَمَا وَاهِمُ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ في الآخرة. ثم قال تعالى: ١٠: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَةٌ نُوحٍ وَامْرَأَةٌ لُوطٍ﴾ إن ذلك لا يجدي عنهم شيئاً ولا ينفعهم عند الله إن لم يكن الإيمان حاصلًا في قلوبهم، وذكر تعالى ﴿امْرَأَةٌ نُوحٍ وَامْرَأَةٌ لُوطٍ﴾ كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين ﴿نَبِيَّيْنِ﴾ رسولين عندهما في صحبتها ليلًا نهاراً يُعَاشِرَانِهِمَا ﴿فَخَانَتَاهُمَا﴾ في الإيمان، لم يُؤَافِقَاهُمَا عَلَى الْإِيمَانِ وَلَا صَدَقَاهُمَا فِي الرَّسَالَةِ

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تَوْبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُم جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَأَغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٨﴾ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفْرَ وَالْمُنَافِقِينَ وَأَغْطِ عَلَيْهِمُ وَمَا وَاهِمُ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿٩﴾ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحِينَ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يَغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّٰخِلِينَ ﴿١٠﴾ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿١١﴾ وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا وَصَدَقْتَ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتِبَ عَلَيْهَا مِنَ الْقَنِينِ ﴿١٢﴾

﴿فَلَمْ يَغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا﴾ لكفرهما، ﴿وَقِيلَ﴾ للمرأتين: ﴿ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّٰخِلِينَ﴾، وليس المراد بقوله تعالى: ﴿فَخَانَتَاهُمَا﴾ في فاحشة، بل في الدين، فإن نساء الأنبياء معصومات عن الوقوع في الفاحشة لحُرمة الأنبياء. قال ابن عباس: ما بغت امرأة نبي قط، إنما كانت خيانتها في الدين ١١: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَةٌ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ﴾ وهذا مثل ضربه الله للمؤمنين أنهم لا تضرهم مخالطة الكافرين إذا كانوا محتاجين إليهم، كما قال تعالى: ﴿وَلَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَقُوْا مِنْهُمْ ثَمَنًا﴾، قال قتادة: كان فرعون أعتى أهل الأرض وأكفرهم فوالله ما ضارَّ امرأته كفر زوجها حين أطاعت ربها، ليعلموا أن الله تعالى حكَّم عدلًا لا يُؤَاخِذُ أَحَدًا إِلَّا بِذُنُوبِهِ، ونجَّي من فرعون وعمله ونجَّي من القوم الظالمين فكانت امرأة فرعون تعذب في الشمس، فإذا انصرف عنها أظلتها الملائكة بأجنحتها، وكانت ترى بيتها في الجنة ١٢: ﴿وَمَرْيَمَ ابْنَةَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا﴾ (١) حفظته وصانته؛ والإحصان: هو العفاف والحرية ﴿فَنَفَخْنَا فِيهِ﴾ في جيب درعها ﴿مِنْ رُوحِنَا﴾ فكان منه الحمل بعبسى عليه السلام ﴿وَصَدَقْتَ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتِبَ﴾ بقدره وشرعه، ﴿وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ﴾ (أي: من المطيعين، المصلين).

(١) قال المفسرون: إنه أراد بالفرج هنا: الجيب، حيث أرادت منع جبريل من ذلك، فأخذت بمجامع ثوبها واستعاذت بالله منه، فارتعد عليه السلام فعاد إلى هيئته الملكية، فأيقنت أنه لا يريدنا بسوء، وتم قدر الله تعالى.

الآية: ١٢ وقد ثبت في الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال: «كُتِبَ مِنَ الرِّجَالِ كَثِيرٌ وَلَمْ يَكْمَلْ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا أَسِيَةُ امْرَأَةِ فِرْعَوْنَ، وَمَرْيَمُ ابْنَةُ عِمْرَانَ، وَخَدِيجَةُ بِنْتُ حُوَيْلِدٍ» وفي رواية عند أحمد: «أفضل نساء أهل الجنة: خديجة بنت حويلد، وفاطمة بنت محمد ﷺ» [ومريم ابنة عمران، وأسية بنت مزاحم امرأة فرعون]. /ابن كثير ج ٤/ ٣٩٤

تفسير سورة الممتك

١: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ يُمَجِّدُ اللهُ تَعَالَى نَفْسَهُ الْكَرِيمَةَ، وَيُخَيِّرُ أَنَّهُ بِيَدِهِ الْمُلْكُ، أَي: هُوَ الْمُتَصَرِّفُ فِي جَمِيعِ الْخُلُوقَاتِ بِمَا يَشَاءُ لَا مَعْقَبَ لِحُكْمِهِ، وَلَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ لِقَهْرِهِ وَحُكْمَتِهِ وَعَدْلِهِ، وَهَذَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾
 ٢: ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ﴾ [في هذه الآية دليل] على أَنَّ الْمَوْتَ أَمْرٌ وَجُودِي لِأَنَّهُ مَخْلُوقٌ، وَمَعْنَى الْآيَةِ أَنَّهُ أَوْجَدَ الْخُلَاقَ مِنَ الْعَدَمِ ﴿لِيَسْلُوكَهُ﴾ يُخْتَارُكُمْ ﴿أَيْكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ خَيْرَ عَمَلًا وَأَكْثَرَ عَمَلًا ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ الْعَفُورُ﴾ هُوَ الْعَظِيمُ الْمُنِيعُ الْجَانِبُ وَهُوَ مَعَ ذَلِكَ غَفُورٌ لِمَنْ تَابَ إِلَيْهِ وَأَتَابَ بَعْدَمَا عَصَاهُ
 ٣: ﴿الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا﴾ طَبَقَةٌ بَعْدَ طَبَقَةٍ، ﴿مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَاوُتٍ﴾ بَلْ هُوَ مُصْطَحَبٌ مُسْتَوٍ لَيْسَ فِيهِ اخْتِلَافٌ وَلَا تَنَافُؤٌ وَلَا عَيْبٌ وَلَا خِلَلٌ، وَهَذَا قَالَ تَعَالَى: ﴿فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ؟﴾ انظُرْ إِلَى السَّاءِ فَتَأْمَلْهَا هَلْ تَرَى فِيهَا عَيْبًا أَوْ نِقْصًا أَوْ خِلَلًا؟ ٤: ﴿ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ﴾ مَرَّتَيْنِ ﴿يَنْقَلِبُ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا﴾ ذَلِيلًا صَاحِرًا ﴿وَهُوَ حَسِيرٌ﴾ كَلِيلٌ مِنَ الْأَعْيَاءِ، وَمَعْنَى الْآيَةِ: أَنَّكَ لَوْ كَرَّرْتَ الْبَصَرَ مَهْمَا كَرَّرْتَ لَانْقَلَبَ إِلَيْكَ، أَي: لَرَجِعَ إِلَيْكَ الْبَصَرُ ﴿خَاسِئًا﴾ عَنِ أَنْ يَرَى عَيْبًا أَوْ خِلَلًا، قَدْ انْقَطَعَ مِنَ الْأَعْيَاءِ مِنْ كَثْرَةِ التَّكْرَارِ، وَمَا نَفَى عَنْهَا فِي خَلْقِهَا النِّقْصَ بَيْنَ زَيْنَتِهَا فَسَقَالَ تَعَالَى: ٥: ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ

سُورَةُ الْمَمْتَكِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْعَفُورُ ﴿٢﴾ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَاوُتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ ﴿٣﴾ ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنْقَلِبُ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ ﴿٤﴾ وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ ﴿٥﴾ وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا وَإِبْرَاهِيمَ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَيَسَّ الْمَصِيرُ ﴿٦﴾ إِذَا الْقُوفَى فِيهَا سَمِعُوا لَهَا شَهيقًا وَهِيَ تَفُورُ ﴿٧﴾ تَكَادُ تَمَيَّرُ مِنَ الْغَيْظِ كُلَّمَا أَلْقَى فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ﴿٨﴾ قَالُوا بَلَى قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ ﴿٩﴾ وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴿١٠﴾ فَاعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ فَسَحَقًا لِأَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴿١١﴾ إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿١٢﴾

الدنيا بمصابيح ﴿وهي الكواكب التي وضعت فيها من السيارات والثواب﴾ وجعلناها رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ ﴿بشبه منها﴾ وأعدنا لهم عذاب السعير ﴿جعلنا للشياطين هذا الخزي في الدنيا وهم عذاب السعير في الآخرة﴾ ٦: ﴿وللذين كفروا بإبراهيم عذاب جهنم ويس المصير﴾ يس المال والمنقلب ٧: ﴿إذا القوا فيها سمعوا لها شهيقاً﴾ صياحاً ﴿وهي تفور﴾ تغلي كما يغلي الحُبُّ القليل في الماء الكثير ٨: ﴿تَكَادُ تَمَيَّرُ مِنَ الْغَيْظِ﴾ يكاد ينفصل بعضها من بعض من شدة غيظها عليهم وحقها بهم ﴿كلما ألقى فيها فوج سألهم خزنتها ألم يأتكم نذير﴾ ٩: ﴿قالوا بلى قد جاءنا نذير فكذبنا وقلنا ما نزل الله من شيء﴾ فأجابتهم الملائكة ﴿إن أنتم إلا في ضلال كبير﴾ ١٠: ﴿ثم عادوا على أنفسهم باللامة وتدمؤا حيث لا تفهمهم الندامة﴾ وقالوا لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا في أصحاب السعير ﴿لو كانت لنا عقول لنتفح بها أو نسمع ما أنزله الله من الحق لما كنا على الكفر﴾ الذي متنا عليه ١١: ﴿فاعترفوا بذنوبهم فسحقاً لأصحاب السعير﴾ وفي الحديث: ﴿لا يدخل أحد النار إلا وهو يعلم أن النار أولى به من الجنة﴾ ١٢: ﴿يُخَيِّرُ تَعَالَى عَمَّنْ يَخَافُ مَقَامَ رَبِّهِ فِيمَا بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ إِذَا كَانَ غَائِبًا عَنِ النَّاسِ فَيُنَكِّفُ عَنِ الْمَعَاصِي﴾ ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ تُكْفِّرُ عَنْهُ ذُنُوبَهُ وَيُجَازِي بِالثَّوَابِ الْخَزِيلِ.

سورة الممتك: روى الإمام أحمد وأصحاب السنن عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ﴿إن سورة في القرآن ثلاثين آية شفعت ل صاحبها حتى غفر له؛ تبارك الذي بيده الملك!!﴾ وروى الترمذي عن جابر أن رسول الله ﷺ كان لا ينام حتى يقرأ ﴿آتم تنزيل﴾، و﴿تبارك الذي بيده الملك﴾. ابن كثير ج ٤/٣٩٥

١٣: ﴿وَأَسْرُوا قَوْلَكُمْ أَوْ اجْهَرُوا بِهِ﴾ تبه تعالى على أنه مطلع على الضمائر والسرائر ﴿إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ بما يختر في القلوب
١٤: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ لا يعلم وهو الذي يخلق مخلوقه؟ [أي: كيف نعمته على خلقه في تسخيرهم لهم الأرض وتذليله إياها لهم: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ ذُلُولًا فَأَمْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا﴾ فسافروا حيث شئتم من أقطارها وترددوا في أقاليمها وأرجائها في أنواع المكاسب والتجارات ﴿وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ﴾ فهو الذي يسره لكم، ﴿وَالِيَهُ النُّشُورُ﴾ المرجع يوم القيامة ١٦: ﴿أَأَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمْ الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ﴾؟ وهذا أيضاً من لطفه ورحمته تعالى بخلقهم أنه قادر على تعذيبهم بسبب كفرهم، وهو مع هذا يحلم ويصفح ويؤجل ولا يعجل، كما قال تعالى: ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرهَا مِنْ دَابَّةٍ وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى فَإِذَا جَاءَهُمْ أَجْلُهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بَعِيدًا بَصِيرًا﴾ ١٧: ﴿أَمْ أَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا﴾ ريحاً فيها حصاء تدمغكم ﴿فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرٍ﴾؟ أي: كيف يكون إنذاري وعاقبة من خالف وكذب؟ ١٨: ﴿وَلَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ من الأمم السالفة والقرون الحالية ﴿كَيْفَ كَانَ نَكِيرٍ﴾ فكيف كان إنكاري عليهم ومعاقبي لهم؟ أي: عظيماً شديداً أليماً. ثم

وَأَسْرُوا قَوْلَكُمْ أَوْ اجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿١٣﴾ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٤﴾ هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ ذُلُولًا فَأَمْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ ﴿١٥﴾ أَمْ أَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمْ الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ ﴿١٦﴾ أَمْ أَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرٍ ﴿١٧﴾ وَلَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرٍ ﴿١٨﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَفْتٍ وَيَقْبِضْنَ مَا يَمْسُكُهُنَّ إِلَّا أَلَمُ الرَّحْمَنِ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ ﴿١٩﴾ أَمْ هَذَا الَّذِي هُوَ جُنْدٌ لَكُمْ يَنْصَرُّكُمْ مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ إِنْ الْكَافِرُونَ إِلَّا فِي غُرُورٍ ﴿٢٠﴾ أَمْ هَذَا الَّذِي يَرِزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُ بَلْ لَجُوا فِي عُتُورٍ وَنُفُورٍ ﴿٢١﴾ أَمْ نَ يَمْشِي مُكِبًّا عَلَى وَجْهِهِ أَهْدَى أَمَّنْ يَمْشِي سَوِيًّا عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٢٢﴾ قُلْ هُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمْ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٢٣﴾ قُلْ هُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي الْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾ وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٥﴾ قُلْ إِنَّمَا الْعِلْمُ عِنْدَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴿٢٦﴾

قال تعالى: ١٩: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَفَاتٍ وَيَقْبِضْنَ﴾ تارة يصففن أجنحتن في الهواء، وتارة تجمع جناحاً وتنتشر جناحاً ﴿وَمَا يُمَسِّكُهُنَّ﴾ في الجوّ ﴿إِلَّا أَلَمُ الرَّحْمَنِ﴾ بما سخرهن من الهواء من رحمته ولطفه ﴿إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ﴾ بما يصلح مخلوقاته ٢٠: ﴿أَمْ نَ هَذَا الَّذِي هُوَ جُنْدٌ لَكُمْ يَنْصَرُّكُمْ مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ﴾؟ أي: ليس لكم من دون الله من ولي ولا وافي ولا ناصر لكم غيره، ولهذا قال تعالى: ﴿إِنَّ الْكَافِرُونَ إِلَّا فِي غُرُورٍ﴾ ثم قال تعالى: ٢١: ﴿أَمْ نَ هَذَا الَّذِي يَرِزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُ﴾؟ لا يعطي ولا يرزق إلا الله وحده لا شريك له، وهم يعلمون ذلك ومع هذا يعبدون غيره، ولهذا قال تعالى: ﴿بَلْ لَجُوا لِحُجُورٍ﴾ استمروا في طغيانهم وضلالهم ﴿فِي عُتُورٍ وَنُفُورٍ﴾ في معاندة واستكبار ٢٢: ﴿أَمْ نَ يَمْشِي مُكِبًّا عَلَى وَجْهِهِ أَهْدَى أَمَّنْ يَمْشِي سَوِيًّا عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾؟ هذا مثل ضربه الله للمؤمن الذي يمشي مستويًا والكافر الذي يمشي منكبًا على وجهه، هذا مثلهم في الدنيا، وكذلك يكونون في الآخرة ٢٣: ﴿قُلْ هُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ﴾ بعد أن لم تكونوا شيئاً مذكوراً ﴿وَجَعَلَ لَكُمْ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ﴾ العقول والإدراك ﴿قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾ فلما تستعملون هذه القوى التي أنعم الله بها عليكم في طاعته ٢٤: ﴿قُلْ هُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي الْأَرْضِ﴾ بئكم في أقطارها ﴿وَالِيَهُ تُحْشَرُونَ﴾ بعد هذا التفرق والشتات ٢٥: ﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ متى يقع هذا الذي نتجربنا بكونه من الاجتماع بعد هذا التفرق ٢٦: ﴿قُلْ إِنَّمَا الْعِلْمُ عِنْدَ اللَّهِ﴾ لا يعلم وقت ذلك إلا الله ﴿وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾ إنما على البلاغ وقد أدبته إليكم.

٢٧: ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سَيِّئَتْ وُجُوهُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ ﴿لَمَّا قَامَتِ الْقِيَامَةُ وَشَاهَدَهَا الْكَافِرُ، وَرَأَوْا أَنَّ الْأَمْرَ كَانَ قَرِيبًا، سَاءَ لَهُمْ ذَلِكَ لِمَا يَعْلَمُونَ مَا لَهُمْ هُنَاكَ مِنَ الشَّرِّ مَا لَمْ يَكُنْ لَهُمْ فِي بَالٍ وَلَا حِسَابٍ﴾ ﴿وَبَدَأَ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ، وَبَدَأَ لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾، ولهذا يُقال لهم على وجه التقرُّب والتوبيخ: ﴿وَقِيلَ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَدَّعُونَ﴾ تستعجلون ٢٨: ﴿قُلْ﴾ يا محمد لهؤلاء الجاحدين ﴿أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكْنِي اللَّهُ وَمَنْ مَعِيَ أَوْ رَحِمَنَا؟ فَمَنْ يَجْزِي الْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ﴾ خَلَّصُوا أَنْفُسَكُمْ فَإِنَّهُ لَا مَنقِذَ لَكُمْ مِنَ اللَّهِ إِلَّا التَّوْبَةُ وَالْإِنَابَةُ وَالرَّجُوعُ إِلَى دِينِهِ، وَلَا يَنْفَعُكُمْ مَا تَتَمَتَّنُونَهُ لَنَا مِنَ الْعَذَابِ، فَسَوءَ عَذَابِنَا أَوْ رَحْمَانَا فَلَا مَنَاصِرَ لَكُمْ مِنْ نِكَالِهِ وَعَذَابِهِ الْوَاقِعَ بِكُمْ. ثُمَّ قَالَ تَعَالَى: ٢٩: ﴿قُلْ هُوَ الرَّحْمَنُ أَمَّنَا بِهِ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا﴾ آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا فِي جَمِيعِ أُمُورِنَا، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ﴾، ولهذا قَالَ تَعَالَى: ﴿فَيَسْتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ مِنَّا وَمَعَكُمْ، وَلَمَّا تَكُونُ الْعَاقِبَةُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ. ثُمَّ قَالَ تَعَالَى: ٣٠: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا﴾ ذَاهِبًا فِي الْأَرْضِ غَائِرًا غَيْرَ نَائِعٍ؟ ﴿فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَعِينٍ﴾ نَائِعٍ سَائِحٍ جَارٍ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ؟ لَا يَقْدِرُ عَلَى ذَلِكَ إِلَّا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ، فَمَنْ فَضَّلَهُ أَنْ جَعَلَ لَكُمْ الْمِيَاهَ جَارِيَةً فِي سَائِرِ أَقْطَارِ الْأَرْضِ، فَلِلَّهِ الْحَمْدُ وَالْمِنَّةُ.

فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سَيِّئَتْ وُجُوهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَقِيلَ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَدَّعُونَ ﴿٢٧﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكْنِي اللَّهُ وَمَنْ مَعِيَ أَوْ رَحِمَنَا فَمَنْ يَجْزِي الْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ ﴿٢٨﴾ قُلْ هُوَ الرَّحْمَنُ أَمَّنَا بِهِ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا فَسْتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٢٩﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَعِينٍ ﴿٣٠﴾

سُورَةُ الْقَبْرِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
١: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ ٢: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ ٣: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ ٤: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ ٥: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ ٦: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ ٧: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ ٨: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ ٩: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ ١٠: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ ١١: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ ١٢: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ ١٣: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ ١٤: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ ١٥: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

تفسير سورة القلم^(١)

١: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ هذا قسمٌ منه تعالى وتبينةٌ لخلقهِ على ما أنعمَ به عليهم من تعليمِ الكتابة التي بها تُنالُ العلوم، ولهذا قال: ﴿وما يسطرون﴾ وما يكتبون ٢: ﴿ما أنت بنعمة ربك بمجنون﴾ لستُ والله الحمد بمجنون كما يقول المكذَّبون ٣: ﴿وإن لك لأجراً غير ممنون﴾ لا ينقطع ولا يبيد على إبلاغك رسالة ربك ٤: ﴿وإنك لعلى خلقٍ عظيم﴾ دين عظيم وأدب عظيم وهو الإسلام ﴿فستصبرون﴾ فستعلم يا محمد وسيعلم مكذَّبوك ٥: ﴿بأيِّكم المفتون﴾ الضال المجنون ٦: ﴿إن ربك هو أعلم بمن ضلَّ عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين﴾ هو يعلم تعالى أيَّ الفريقين هو المهتدي ويعلم الضالَّ عن الحق ٧: ﴿فلا تطع المكذِّبين﴾ كانوا دعوه ليكف عنهم فيكفوا عنه ٨: ﴿وإذا لو تدهن﴾ لو ترخَّص لهم ﴿فیدهنون﴾ فیرحسون لك ٩: ﴿ولا تطع كل حلاف مهين﴾ الكاذب الذي يجترأ على أسماء الله فيستعملها في غير محلها ١٠: ﴿هماز مغتاب﴾ مغتاب ﴿مشاء بنميم﴾ يمشي بين الناس ينقل الحديث لفساد ذات البين ١١: ﴿مناع للخير﴾ يمنع ما لديه من الخير ﴿معتد﴾ في الحدِّ المشروع ﴿أثم﴾ بتناول المحرمات ١٢: ﴿عقل بعد ذلك زميم﴾ العقل الغليظ، والزيم: الدَّعيُّ الملحَقُ النسب ١٣: ﴿أن كان ذا مالٍ وبنين﴾ هذا مقابلة ما أنعم الله عليه من المال والبنين ككفر آيات الله عزَّ وجلَّ ١٤: ﴿إذا تتلى عليه آياتنا قال أساطيرُ الأولين﴾ كفر آيات الله وأعرض عنها وزعم أنها كذب مأخوذ من أساطير الأولين.

١٦: ﴿سَنَسِمُهُ عَلَى الْخُرطوم﴾ بالسيف على أنفه ١٧: ﴿إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ﴾ اختبرناهم، يعني كفار قريش ﴿كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ﴾ وهي البستان المشتمل على الثمار ﴿إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرُنَّهَا مُصْبِحِينَ﴾ حلفوا ليجدن ثمرها ليلاً لئلا يعلم بهم فقير ١٨: ﴿وَلَا يَسْتَشْعِرُونَ﴾ فإيا حلفوا به، ولهذا حنثهم الله في أيمانهم فقال تعالى: ١٩: ﴿فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِنْ رَبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ﴾ أصابها آفة سماوية ٢٠: ﴿فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ﴾ كالليل الأسود ٢١: ﴿فَنَادُوا مُصْبِحِينَ﴾ نادى بعضهم بعضاً وقت الصبح ٢٢: ﴿أَنِ اغْدُوا عَلَى حُرَّتِكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ تريدون الجهاد ٢٣: ﴿فَانْطَلَقُوا وَهُمْ يَتَخَفَتُونَ﴾ يتناجون فيما بينهم بحيث لا يسمعون أحداً كلامهم ٢٤: ﴿أَن لَّا يَدْخُلَهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُمْ مَسْكِينٌ﴾ لا تمكثوا اليوم فقيراً يدخلها عليكم ٢٥: ﴿وَعَدُوا عَلَى حُرْدٍ﴾ قوة ويشدة وجدد ﴿فَادِيرِينَ﴾ عليها فيما يزعمون ٢٦: ﴿فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوا إِنَّا لَضَالُونَ﴾ فلما وصلوا إليها وأشرفوا عليها وقد استحالت عن تلك النضارة إلى أن صارت سوداء مدهمة لا يُتفَع بِشَيْءٍ مِنْهَا فَاعْتَقَدُوا أَنَّهُمْ قَدْ أَخْطَأُوا الطَّرِيقَ ﴿إِنَّا لَضَالُونَ﴾ قد سلكنا إليها غير الطريق ففتنا عنها، ثم رجعوا عما كانوا فيه فقالوا: ٢٧: ﴿بَلْ نَحْنُ مُحْرَمُونَ﴾ هي هذه ولكن نحن لا حظ لنا ولا نصيب ٢٨: ﴿قَالَ أَوْسَطُهُمْ﴾ أعددهم وأخبرهم ﴿أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ﴾

سَنَسِمُهُ عَلَى الْخُرطوم ﴿١٦﴾ إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرُنَّهَا مُصْبِحِينَ ﴿١٧﴾ وَلَا يَسْتَشْعِرُونَ ﴿١٨﴾ فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِنْ رَبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ ﴿١٩﴾ فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ ﴿٢٠﴾ فَنَادُوا مُصْبِحِينَ ﴿٢١﴾ أَنِ اغْدُوا عَلَى حُرَّتِكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٢﴾ فَنَاطَلَقُوا وَهُمْ يَخْتَفَتُونَ ﴿٢٣﴾ أَن لَّا يَدْخُلَهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُمْ مَسْكِينٌ ﴿٢٤﴾ وَعَدُوا عَلَى حُرْدٍ قَدِيرِينَ ﴿٢٥﴾ فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوا إِنَّا لَضَالُونَ ﴿٢٦﴾ بَلْ نَحْنُ مُحْرَمُونَ ﴿٢٧﴾ قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ ﴿٢٨﴾ قَالُوا سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿٢٩﴾ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَلَوْمُونَ ﴿٣٠﴾ قَالُوا يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا طَائِفِينَ ﴿٣١﴾ عَسَى رَبِّنَا أَنْ يَبْدِلَنَا خَيْرًا مِمَّا إِنَّا إِلَى رَبِّنَا رَاغِبُونَ ﴿٣٢﴾ كَذَلِكَ الْعَذَابُ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كُنَّا نَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾ إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٍ النَّعِيمِ ﴿٣٤﴾ فَتَجَعَلْنَا لِلْمُجْرِمِينَ ﴿٣٥﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٦﴾ أَمْ لَكُمْ كِتَابٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ ﴿٣٧﴾ إِنْ لَكُمْ فِيهِ لَمَّا خَيْرٌ ﴿٣٨﴾ أَمْ لَكُمْ أَيْمَانٌ عَلَيْنَا بَلِغَةَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ إِنَّ لَكُمْ لِمَا تَحْكُمُونَ ﴿٣٩﴾ سَلِّمُوا إِلَيْهِمْ بِذَلِكَ زَعِيمٌ ﴿٤٠﴾ أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ فَلْيَأْتُوا بِشُرَكَائِهِمْ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ ﴿٤١﴾ يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٤٢﴾

هَلَّا تُسَبِّحُونَ اللَّهَ وَتَشْكُرُونَهُ عَلَى مَا أَعْطَاكُمْ وَأَنْعَمَ بِهِ عَلَيْكُمْ ٢٩: ﴿قَالُوا سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾ أتوا بالطاعة حيث لا تنفع ولهذا قالوا: ﴿إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾ ٣٠: ﴿فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَلَوْمُونَ﴾ يلوم بعضهم بعضاً على ما كانوا أصرؤا عليه من منع المساكين ٣١: ﴿قَالُوا يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا طَائِفِينَ﴾ اعتدنا وبغينا وجاوزنا الحد حتى أصابنا ما أصابنا ٣٢: ﴿عَسَى رَبِّنَا أَنْ يَبْدِلَنَا خَيْرًا مِمَّا إِنَّا إِلَى رَبِّنَا رَاغِبُونَ﴾ فأبددهم الله غيرهما وقد كانوا من أهل اليمن قرب صنعاء ٣٣: ﴿كَذَلِكَ الْعَذَابُ﴾ هكذا عذاب من خالف أمر الله ويحل بما آتاه الله ﴿وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كُنَّا نَعْلَمُونَ﴾ ٣٤: ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٍ النَّعِيمِ﴾ لما ذكر حال من عصاه بين حال من اتقاه ٣٥: ﴿فَتَجَعَلْنَا لِلْمُجْرِمِينَ﴾ فسماوي بين هؤلاء وهؤلاء في الجزاء؟ كلا ٣٦: ﴿مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ كيف تظنون ذلك؟! ٣٧: ﴿أَمْ لَكُمْ كِتَابٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ﴾ ٣٨: ﴿إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَمَّا خَيْرٌ﴾ ألكم كتاب منزل من السماء تحفظونه مضمناً ما تدعونه؟ ٣٩: ﴿أَمْ لَكُمْ أَيْمَانٌ عَلَيْنَا بَلِغَةَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ إِنَّ لَكُمْ لِمَا تَحْكُمُونَ﴾ أم معكم عهد منا ومواثيق مؤكدة؟ ﴿إِنَّ لَكُمْ لِمَا تَحْكُمُونَ﴾ إته سيحصل لكم ما تريدونه؟ ٤٠: ﴿سَلِّمُوا إِلَيْهِمْ بِذَلِكَ زَعِيمٌ﴾ قل لهم: من هو المتكفل بهذا؟ ٤١: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ﴾ من الأصنام والأنداد ﴿فَلْيَأْتُوا بِشُرَكَائِهِمْ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ﴾ رأي: ليشهدوا على ما زعموا إن كانوا صادقين في دعواهم؟! ٤٢: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ﴾ يوم القيامة عما يكون فيه من الأهوال ﴿وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾

٤٣: ﴿خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرَاهُمْ ذَلَّةً﴾ في الدار الآخرة بإجرامهم وتكبرهم في الدنيا، فعوقبوا بنقيض ما كانوا عليه ﴿وقد كانوا يُدْعُونَ إِلَى السُّجُودِ﴾ في الدنيا ﴿وَهُمْ سَالِمُونَ﴾ فعوقبوا بعدم قدرتهم عليه في الآخرة إذا تجلَّى الربُّ عزَّ وجلَّ فيسجد له المؤمنون، ولا يستطيع أحدٌ من الكافرين والمانافقين أن يسجد ٤٤: ﴿فذرني ومن يكذب بهذا الحديث﴾ يعني القرآن، وهذا تهديدٌ شديدٌ أي: دعني وإياه مني ومنه أنا أعلم به ﴿سنستدرجهم من حيث لا يعلمون﴾ [سندٌ لهم في غيِّهم ثم أخذهم] أخذٌ عزيزٌ مقتدرٌ وهم لا يشعرون ٤٥: ﴿وأملِي لهم إن كيدي متين﴾ أؤخرهم وأنظرهم وأمدهم وذلك من كيدي ومكري بهم إن كيدي لمن خالف أمري عظيم ٤٦: ﴿أم تسألهم أجرًا فهم من مغرمٍ مُثْقَلُونَ﴾ أم عندهم الغيب فهم يكتبون ﴿فأصبر لحكم ربِّك ولا تكن كصاحبِ الحوتِ إذ نادى وهو مكظومٌ﴾ ٤٨: ﴿لولا أن تداركته نعمة من ربه لاندب العراء وهو مذمومٌ﴾ ٤٩: ﴿فاجنبه ربه فجعله من الصالحين﴾ وإن يكاد الذين كفروا ليرفونك بأبصرهم لَمَّا سمعوا الذِّكْرَ ويقولون إنه لمن جنونٌ ﴿وما هو إلا ذكرٌ للعالمين﴾ ٥٢:

سُورَةُ الْحَاقَّةِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١ الْحَاقَّةُ ٢ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحَاقَّةُ ٣ كَذَبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌ بِالْقَارِعَةِ ٤ فَأَمَّا ثَمُودُ فَأَهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ ٥ وَأَمَّا عَادٌ فَأَهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ٦ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَنِيَةً أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أُعْجَارٌ نَحْلٌ خَاوِيَةٌ ٧ فَهَلْ تَرَى لَهُمْ مِنْ بَاقِيَةٍ ٨

٥٦٦

بالعراء وهو مذموم ٥٠: ﴿فاجنبه ربه فجعله من الصالحين﴾ اصطفاه واختاره وأرسله إلى مائة ألف أو يزيدون ٥١: ﴿وإن يكاد الذين كفروا ليرفونك بأبصارهم﴾ يعثأونك [أي: يحسدونك] من شدة عداوتهم لك ﴿لَمَّا سمعوا الذِّكْرَ ويقولون إنه لمن جنونٌ﴾ يؤذونه بالسننهم ٥٢: ﴿وما هو إلا ذكرٌ للعالمين﴾ القرآن

تفسير سورة الحاقة

١: ﴿الحاقَّةُ﴾ اسمٌ من أسماء القيامة ٢: ﴿وما أدراك ما الحاقَّةُ﴾ تعظيمٌ لأمرها، ثم ذكر تعالى إهلاكه الأمم المكذبين بها فقال تعالى: ٤: ﴿كذبت ثمودٌ وعادٌ بالقارعة﴾ [ذكر تعالى من كذب بالقيامة، والقارعة القيامة، سميت بذلك لأنها تفرع الناس بأهوالها، يُقال: أصابتهم قوارعُ الدهر؛ أي: شدائده وأهواله] ٥: ﴿فأما ثمودٌ فأهلكوا بالطاغية﴾ وهي الصيحة التي أسكنتهم، والزلزلة [أي: أهلوك بالصيحة الطاغية على طغيانهم وكفرهم] ٦: ﴿وأما عادٌ فأهلكوا بريحٍ صرصرٍ عاتيةٍ﴾ شديدة أهبوب، عثت عليهم حتى نقتب أفئدتهم ٧: ﴿سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَنِيَةً أَيَّامٍ حُسُومًا﴾ كوامل متتابعات مشائم ﴿فترى القومَ فيها صرعى كأنهم أعجازٌ نخلٍ خاويةٍ﴾ كأصول النخل البالية [أي: جعلت الريح تضرب بأحدهم فيخترُ ميتاً على أم رأسه، وتبقى جسثه هامةً كأنها قائمة النخلة الخاوية] ٨: ﴿فهَلْ تَرَى لَهُمْ مِنْ بَاقِيَةٍ﴾ هل تحس منهم من أحدٍ من بقاياهم، أو ممن ينتسب إليهم؟ بل بأذوا عن آخرهم، ولم يجعل الله لهم خلفاً.

الآية: ٥١ روى مسلم في صحيحه عن ابن عباس قال: قال النبي ﷺ: «العين حقٌّ، ولو كان شيء سابق القدر سبقت العين، وإذا استغسلتم فاغسلوا» [أي إذا طلب من الحاسد أن يغتسل بحسوده فليفعل، فإن ذلك ينفع الحسود بإذن الله] وروى البخاري أن رسول الله ﷺ كان يعوذ الحسن والحسين فيقول: «أعذُكُمَا بكلمات الله التامة من كل شيطان =

٩: ﴿وجاء فرعون ومن قبله ومن قبلة﴾ أي: من الأمم المشبهين له ﴿والمؤتفكات﴾ وهي التكبذب بما المكذبون ﴿بالخاطئة﴾ وهي التكذيب بما أنزل الله ١٠: ﴿فقصوا رسول ربهم﴾ كل كذب رسول الله إليهم، ومن كذب برسول فقد كذب بالجميع، ﴿فأخذهم أخذة رابية﴾ عظيمة شديدة أمية ١١: ﴿إنا لما طغوا الماء﴾ بسبب دعوة نوح عليه السلام فارتفع على الوجود ﴿حملناهم في الجارية﴾ وهي السفينة الجارية على وجه الماء ١٢: ﴿لنجعلها لكم تذكرة﴾ أبقينا لكم من جنسها متركبون على تيار الماء في البحار، كما قال تعالى: ﴿وآية لهم أنا حملنا ذرتهم في الفلك المشحون﴾، ﴿وتعياها أذن واعي﴾ وتفهم هذه النعمة أذن عقلت عن الله فانفتحت بما سمعت من كتاب الله ١٣: يُخبر تعالى عن أهوال القيامة وأول ذلك نفخة الفزع ثم يعقبها نفخة الصعق ثم نفخة القيام لرب العالمين: ﴿فإذا فُفخ في الصور نفخة واحدة﴾ وهي النفخة الأخيرة ١٤: ﴿وحملت الأرض والجبال فدكتا دكة واحدة﴾ مَدَّتَا مَدَّ الأديم، وتبدل الأرض غير الأرض ١٥: ﴿فيومئذ وقعت الواقعة﴾ قامت القيامة ١٦: ﴿وانشقت السماء فهي يومئذ واهية﴾ [أي: ضعيفة جداً] ١٧: ﴿والملك على أرجائها﴾ يعني الملائكة على أطرافها وأبوابها [حين تنشق]، ﴿ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية﴾ يوم القيامة يحمل العرش ثمانية من الملائكة، ما بين موق

وجاء فرعون ومن قبله والمؤتفكات بالخاطئة ﴿٩﴾ فقصوا رسول ربهم فأخذهم أخذة رابية ﴿١٠﴾ إنا لما طغوا الماء حملناكم في الجارية ﴿١١﴾ لنجعلها لكم تذكرة وتعيها أذن واعي ﴿١٢﴾ فإذا فُفخ في الصور نفخة واحدة ﴿١٣﴾ وحملت الأرض والجبال فدكتا دكة واحدة ﴿١٤﴾ فيومئذ وقعت الواقعة ﴿١٥﴾ وانشقت السماء فهي يومئذ واهية ﴿١٦﴾ والملك على أرجائها ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية ﴿١٧﴾ يومئذ تعرضون لا تخفى منكم خافية ﴿١٨﴾ فأمّا من أوتي كتابه بيمينه فيقول هاؤم اقرأه أو كنيه ﴿١٩﴾ إني ظننت أني ملق حسايه ﴿٢٠﴾ فهو في عيشة راضية ﴿٢١﴾ في جنّة عالية ﴿٢٢﴾ فطوبها دانية ﴿٢٣﴾ كلوا واشربوا هنيئا بما أسلفتم في الأيام الخالية ﴿٢٤﴾ واما من أوتي كتابه بشماله فيقول يلبثني لراوت كنيه ﴿٢٥﴾ ولم أدر ما حسايه ﴿٢٦﴾ يلبثها كانت القاضية ﴿٢٧﴾ ما أغنى عني ماليه ﴿٢٨﴾ هلك عني سلطانيه ﴿٢٩﴾ خذوه فغلوه ﴿٣٠﴾ ثم الجحيم صلوه ﴿٣١﴾ ثم في سلسله ذرعا سبعون ذراعا فاسلكوه ﴿٣٢﴾ انه كان لا يؤمن بالله العظيم ﴿٣٣﴾ ولا يحض على طعام المسكين ﴿٣٤﴾

أحدهم إلى مؤخر عينه مسيرة مائة عام، قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «أذن لي أن أحدثكم عن ملك حملة العرش؛ بعد ما بين شحمة أذنيه وعنقه يخفق الطير سبعمائة عام» وإسناده جيد ١٨: ﴿يومئذ تعرضون لا تخفى منكم خافية﴾ تعرضون على عالم الأسرار ١٩: ﴿فأما من أوتي كتابه بيمينه فيقول﴾ من شدة فرحه لكل من لقيه: ﴿هاؤم اقرأوا كتابه﴾ هاكم كتابي حسنات؟! ٢٠: ﴿إني ظننت أني ظننت في الدنيا أني ملق حسايه﴾ في هذا اليوم لاخالة ٢١: ﴿فهو في عيشة راضية﴾ مرضية ٢٢: ﴿في جنّة عالية﴾ ربيعة قصورها، نعيمة دورها دائم حورها ٢٣: ﴿فطوبها دانية﴾ قرية يتناولها أحدهم وهو على سريره ٢٤: ﴿كلوا واشربوا هنيئا بما أسلفتم في الأيام الخالية﴾ يقال لهم ذلك تفضلا عليهم وامتنانا وإنعاما وإحسانا ٢٥: ﴿وأما من أوتي كتابه بشماله فيقول يلبثني لراوت كنيه﴾ لم أدر ما حسايه ٢٦: ﴿ولم أدر ما حسايه﴾ باليتها كانت ﴿يعني مودة الحياة لاحياة بعدها﴾ القاضية ٢٧: ﴿ما أغنى عني ماليه﴾ لم يدفع عني مالي عذاب الله ٢٨: ﴿هلك عني سلطانيه﴾ فلم ينفعني جاهي ٢٩: ﴿خذوه فغلوه﴾ بالأغلال في عنقه ٣٠: ﴿ثم الجحيم صلوه﴾ اغمره فيها ٣١: ﴿ثم في سلسله ذرعا سبعون ذراعا فاسلكوه﴾ انظموه فيها، فدخل في أسته ثم تخرج من فيه ٣٢: ﴿انه كان لا يؤمن بالله العظيم﴾ لايقوم بحق الله عليه من طاعته وعبادته ٣٣: ﴿ولا يحض على طعام المسكين﴾ ولاينفع خلقه، [ولايحسن إلى الفقير بالحض على إطعامه].

= وهامة، ومن كل عين لامة. /ابن كثير ج ٤/٤٠٩/

الآية ٢٢ ثبت في الصحيح عن رسول الله ﷺ أنه قال: «اعملوا وسددوا وقاربوا واعلموا أن أحدا منكم لن يدخله عمله الجنة» قالوا: ولأنت يا رسول الله؟ قال: «ولأنا إلا أن يتغمدني الله برحمته منه وفضل» وهذا هو الحق، فإن دخول الجنة بمحض فضل الله تعالى وكرمه، وأما الدرجات فعل قدر الحسنات والله أعلم.

٣٥: ﴿فليس له اليوم هاهنا حميم﴾ قريب ولاشفيع يُنقذه من عذاب الله ٣٦: ﴿ولا طعام إلا من غسيل﴾ وهو شرّ طعام أهل النار من صديد أهل النار ٣٧: ﴿لا يأكله إلا الخاطئون﴾ الذي يتخطون الحق إلى الباطل [٣٨]: ﴿فلا أقسم بمأثورون﴾ بما تشاهدونه من مخلوقاته الدالة على كاله ٣٩: ﴿ومالا تُبصرون﴾ من المغيبات ٤٠: ﴿إنه لقول رسول كريم﴾ يعني محمداً صلى الله عليه وآله وسلم ٤١: ﴿وما هو بقول شاعر﴾ لأن القرآن مبين لصنف الشعر والنثر [٤٢]: ﴿قليلاً ماتؤمنون﴾ ٤٢: ﴿ولا يقول كاهن قليلاً مائدكرون﴾ ٤٣: ﴿تنزيل من رب العالمين﴾ أي القرآن الكريم تنزيل من رب العالمين [٤٤]: ﴿ولو تقول علينا﴾ محمد ﷺ، لو كان كما زعموا [وحاشاه ذلك] ﴿بعض الأقاويل﴾ ٤٥: ﴿لأخذنا﴾ لانتمنا ﴿منه باليمين﴾ بأشدّ البطش ٤٦: ﴿ثم لقطعنا منه الوتين﴾ نياط القلب ٤٧: ﴿فما منكم من أحدٍ عنه حاجزين﴾ فما يقدر أحدٌ منكم على أن يحجز بيننا وبينه إذا أردنا به شيئاً من ذلك؛ والمعنى: بل هو صادق بارٌّ راشد لأن الله تعالى مؤيِّده بالمعجزات والدلالات الباهرات، ثم قال تعالى: [٤٨]: ﴿وإنه﴾ يعني القرآن ﴿لتذكرة للمتقين﴾ كما قال تعالى: ﴿قل هو للذين آمنوا هدىً وشفاء﴾، ثم قال تعالى: [٤٩]: ﴿وإننا لنعلم أن منكم مكذّبين﴾ مع هذا البيان والوضوح سيوجد منكم من

فليس له اليوم ههنا حميم ﴿٣٥﴾ ولا طعام إلا من غسيل ﴿٣٦﴾ لا يأكله إلا الخاطئون ﴿٣٧﴾ فلا أقسم بما تُبصرون ﴿٣٨﴾ وما لا تبصرون ﴿٣٩﴾ إنه لقول رسول كريم ﴿٤٠﴾ وما هو بقول شاعرٍ قليلاً ما تؤمنون ﴿٤١﴾ ولا يقول كاهنٍ قليلاً مائدكرون ﴿٤٢﴾ تنزيل من رب العالمين ﴿٤٣﴾ ولو تقول علينا بعض الأقاويل ﴿٤٤﴾ لأخذنا منه باليمين ﴿٤٥﴾ ثم لقطعنا منه الوتين ﴿٤٦﴾ فما منكم من أحدٍ عنه حاجزين ﴿٤٧﴾ وإنه لتذكرة للمتقين ﴿٤٨﴾ وإننا لنعلم أن منكم مكذّبين ﴿٤٩﴾ وإنه لحسرة على الكافرين ﴿٥٠﴾ وإنه لحق اليقين ﴿٥١﴾ فسبح باسم ربك العظيم ﴿٥٢﴾

سورة الماعز

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ﴿١﴾ لِلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُمْ دَافِعٌ ﴿٢﴾ مِّنَ اللَّهِ ذِي الْمَعَارِجِ ﴿٣﴾ تَعْرَجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴿٤﴾ فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا ﴿٥﴾ إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا ﴿٦﴾ وَرَوْنَهُ قَرِيبًا ﴿٧﴾ يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْهَلِّهِلِ ﴿٨﴾ وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ ﴿٩﴾ وَلَا يَسْأَلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا ﴿١٠﴾

يُكذِّب بالقرآن، ثم قال تعالى: [٥٠]: ﴿وإنه﴾ يعني التكذيب ﴿لحسرة على الكافرين﴾ لندامة على الكافرين يوم القيامة [٥١]: ﴿وإنه﴾ هذا الحبر ﴿لحق اليقين﴾ الذي لا مزية فيه ولا شك ولا ريب، ثم قال تعالى: [٥٢]: ﴿فسبح باسم ربك العظيم﴾ الذي أنزل هذا القرآن العظيم .

تفسير سورة الماعز

١: ﴿سَأَلَ سَائِلٌ﴾ استعجل سائل ﴿بعذاب واقع﴾ كقوله تعالى: ﴿ويستعجلونك بالعذاب ولن يخلف الله وعده﴾، وعذابه واقع لا محالة، وذلك سؤال الكفار عن عذاب الله، وهو واقع بهم ٢: ﴿للكافرين ليس له دافع﴾ مانع إذا أراد الله كونه، ولهذا قال تعالى: [٣]: ﴿ومن الله ذي المعارج﴾ معارج السماء ٤: ﴿تعرج الملائكة والروح إليه في يومٍ كان مقداره خمسين ألف سنة﴾ هو يوم القيامة، جعله الله تعالى على الكافرين مقدار خمسين ألف سنة، وقد زادت أحاديث في معنى ذلك، قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: والذي نفسي بيده إنه ليخف على المؤمن حتى يكون أخف عليه من صلاة مكتوبة يصلها في الدنيا ٥: ﴿فاصبر صبراً جميلاً﴾ اصبر يا محمد على تكذيب قومك لك واستعجالهم العذاب استبعاداً لوقوعه، ولهذا قال تعالى: [٦]: ﴿إنهم يرونه بعيداً﴾ وقوع العذاب، بمعنى مستحيل الوقوع ٧: ﴿ونراه قريباً﴾ المؤمنون يعتقدون كونه قريباً، وإن كان له أمد لا يعلمه إلا الله عز وجل؛ وكل ما هو آت فهو قريب ٨: ﴿يوم تكون السماء كالهلل﴾ كذّر دَرِي الزيت ٩: ﴿وتكون الجبال كالعهن﴾ كالصوف المنفوش ١٠: ﴿ولا يسأل حميم حميماً﴾ لا يسأل القريب قريبه عن حاله وهو يراه في أسوأ الأحوال فتشغله نفسه عن غيره .

١١: ﴿يُصْرَوْنَهُمْ﴾ يتعارفون ثم يفرُّ بعضهم من بعض ﴿يُؤَدُّ الْمُجْرِمَ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بِنِيهِ﴾ ١٢: ﴿وصاحبه وأخيه﴾ زوجته ١٣: ﴿وفصيلته التي تؤويه﴾ قبيلته وعشيرته ١٤: ﴿ومن في الأرض جميعاً ثم ينبجه﴾ ١٥: ﴿كلاً إنها لظي﴾ يصف تعالى النار وشدة حرها ١٦: ﴿نزاعة للشوى﴾ للجلود والهَامُ ما دون العظم واللحم ١٧: ﴿تدعوا من أدبر وتولى﴾ تدعو النار أبناءها إليها الذين خلقهم الله لها، تدعوهم يوم القيامة من بين أهل المحشر ١٨: ﴿وجمع فأوعى﴾ جمع المال بعضه إلى بعض فأوعاه ومنع حقَّ الله ١٩: ﴿إنَّ الإنسان خَلِقٌ هَلُوعٌ﴾ يُخِرُّ تعالى عما سُبِّلَ عليه الإنسان من الأخلاق النبوية، ثم فسَّره تعالى: ٢٠: ﴿إذا مسَّه الشرُّ جزوعاً﴾ إذا أصابه الضر فزع وجزع وانخلع قلبه من شدة الرُّعب وأيس له بعد ذلك خير، ٢١: ﴿وإذا مسَّه الخيرُ متوعاً﴾ حصلت له نعمة من الله مجلَّ بها على غيره ومنع حقَّ الله تعالى فيها ٢٢: ﴿إلا المصلين﴾ الإنسان من حيث هو متصف بصفات الذم إلا من عصمه الله ووقفه وهداه إلى الخير ويسَّر له أسبابه وهم المصلون ٢٣: ﴿الذين هم على صلاتهم دائمون﴾ يحافظون على أوقاتها وواجباتها ٢٤: ٢٥: ﴿والذين في أموالهم حق معلوم للسائل والمحروم﴾ في أموالهم نصيب مقرر لذوي الحاجات ٢٦: ﴿والذين يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ﴾ يُوقِنُونَ بالمعاد والحساب

يُصْرَوْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَوْمَئِذٍ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بِنِيهِ ﴿١١﴾
 وَصَحْبَتِهِ وَأَخِيهِ ﴿١٢﴾ وَفَصِيلَتِهِ الَّتِي تُؤْوِيهِ ﴿١٣﴾ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنَبِّئُهُ ﴿١٤﴾ كَلَّا إِنَّهَا لَأَنْهَا لَأُظْلَمُ ﴿١٥﴾ وَتَدْعُوا مِنْ أَدْبُرٍ وَتَوَلَّى ﴿١٦﴾ وَإِنَّا لَأَنسَنَ خَلْقَ هَلُوعًا ﴿١٧﴾ وَإِنَّا لَأَنسَنَ خَلْقَ هَلُوعًا ﴿١٨﴾ وَإِنَّا لَأَنسَنَ خَلْقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾ وَإِنَّا لَأَنسَنَ خَلْقَ هَلُوعًا ﴿٢٠﴾ وَإِنَّا لَأَنسَنَ خَلْقَ هَلُوعًا ﴿٢١﴾ وَإِنَّا لَأَنسَنَ خَلْقَ هَلُوعًا ﴿٢٢﴾
 وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ ﴿٢٣﴾ وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ ﴿٢٤﴾ لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ ﴿٢٥﴾ وَالَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ ﴿٢٦﴾ وَالَّذِينَ هُمْ مِنْ عَذَابِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ ﴿٢٧﴾ إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ ﴿٢٨﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ﴿٢٩﴾ إِلا عَلَىٰ أَرْجُلِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٣٠﴾ فَمَنْ ابْتغى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ﴿٣١﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمْتَانِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ﴿٣٢﴾ وَالَّذِينَ هُمْ بِشَهَادَاتِهِمْ قَائِمُونَ ﴿٣٣﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٣٤﴾ أُولَئِكَ فِي جَنَّاتٍ مُكْرَمُونَ ﴿٣٥﴾ فَالَّذِينَ كَفَرُوا قَبْلَكَ مُهْطِعِينَ ﴿٣٦﴾ عَنِ اليمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ عِزِينَ ﴿٣٧﴾ أَطِيعَ كُلُّ أَمْرٍ مِّنْهُمْ أَنْ يَدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ ﴿٣٨﴾ كَلَّا إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِّمَّا يَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾

والجزاء، فهم يعملون عمل من يرجو الثواب ويخاف العقاب ولهذا قال تعالى: ٢٧: ﴿والذين هم من عذاب ربهم مشفقون﴾ خائفون وجلون ٢٨: ﴿إنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ﴾ لا يأمنه أحد ممن عقل عن الله أمره إلا بأمان من الله تعالى ٢٩: ﴿والذين هم لفروجهم حافظون﴾ يحفظونها عن الحرام ويمنعونها أن توضع في غير ماذنَّ الله فيه، ولهذا قال تعالى: ٣٠: ﴿إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فإنهم غير ملومين﴾ من الزوجات والإماء ٣١: ﴿فمَنْ ابْتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون﴾ [أي: المعتدون المتجاوزون حدود ما شرع الله تعالى] ٣٢: ﴿والذين لأماناتهم وعهدهم راعون﴾ إذا أؤتمنوا لم يخونوا، وإذا عاهدوا لم يغدروا، وهذه صفات المؤمنين، وضدّها صفات المنافقين، كما في الحديث الصحيح: «آية المنافق ثلاث: إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا أؤتمن خان» ٣٣: ﴿والذين هم بشهاداتهم قانعون﴾ [أي: على من كانت عليه من قريب أو بعيد، يقومون بها عند الحاكم ولا يبدلون بها] ٣٤: ﴿والذين هم على صلاتهم يحافظون﴾ على مواقيتها وأركانها وواجباتها ومستحباتها ٣٥: ﴿أولئك في جناتٍ مكرمون﴾ بأنواع الملاذِّ والمسارِّ ٣٦: ﴿فمما للذين كفروا قبلك مهطعين﴾ كفار قريش، نافرين عنك مسرعين في تكذيبك؟ ٣٧: ﴿عن اليمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ عِزِينَ﴾ متفرقين شاردين فرقا فرقا عينا وشمالا ٣٨: ﴿أطِيعَ كُلُّ أَمْرٍ مِّنْهُمْ أَنْ يَدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ﴾؟ اطِيعَ هؤلاء والحالة هذه أن يدخلوا الجنة؟ ٣٩: ﴿كَلَّا﴾ بل ما أوهام نار جهنم ﴿إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِّمَّا يَعْلَمُونَ﴾ من النبي المهيمن.

٤٠: ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ﴾
الذي خلق السموات والأرض، وجعل مشرقها
ومغرباً، وسخر الكواكب تبدو من مشارقها
وتغرب في مغاربها، وتقدير الكلام: ليس الأمر
كما يزعمون أن لامعاد ولاحساب وانشور،
بل كل ذلك واقع للاحالة، ﴿إِنَّا لَقَادِرُونَ﴾
يوم القيامة نعيدهم ٤١: ﴿عَلَىٰ أَنْ نُبَدِّلَ
خَيْراً مِنْهُمْ﴾ نعيدهم بأبدانٍ خير من هذه
﴿وَمَنْحَنُ بِمَسْبُوقِينَ﴾ بعاجزين، كما قال تعالى:

﴿وَمَنْحَنُ بِمَسْبُوقِينَ﴾ بعاجزين، كما قال تعالى:
﴿أَجْحَسِبُ الْإِنْسَانُ أَنْ لَنْ نَجْمَعَ عِظَامَهُ﴾؟
﴿بَلَىٰ قَادِرِينَ عَلَىٰ أَنْ نَسُوِّي بَنَاتَهُ﴾ ٤٢:
﴿فَقَدَرْنَاهُمْ﴾ يا محمد ﴿يُخَوِّضُوا وَيَلْعَبُوا﴾
دعهم في تكذيبهم وكفرهم وعنادهم ﴿حَتَّىٰ
يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ﴾ فَسَيَعْلَمُونَ
غَبَّ ذَلِكَ وَيَذُوقُونَ وبأله ٤٣: ﴿يَوْمَ
يُخْرِجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ سِرَاعاً كَأَنَّهُمْ إِلَىٰ
نُصْبٍ يُوفُضُونَ﴾ يقومون من القبور إذا
دعاهم الرب تبارك وتعالى لموقف الحساب،
كأنهم في إسراعهم إلى الموقف كما كانوا في
الدنيا النُصْبُ: أي الأصنام ٤٤: ﴿خَاشِعَةً
أَبْصَارُهُمْ﴾ خاضعة ﴿تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ﴾ في
مقابلة ما استكبروا في الدنيا عن الطاعة
﴿ذَلِكَ الْيَوْمُ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ﴾.

تفسير سورة نوح

١: يُخبر تعالى عن نوح فيقول: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا
نُوحاً إِلَىٰ قَوْمِهِ أَنْ أَنْذِرْ قَوْمَكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ
يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ ٢: ﴿قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي
لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾ بين النذارة ظاهر الأمر
واضح ٣: ﴿أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ وَأَتَّقُوهُ
وَأَطِيعُونَ﴾ اتركوا حرام الله واجتنبوا مآثمه، وأطيعون فيما أمركم به وأنهاكم عنه ٤: ﴿يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ﴾ إذا فعلتم ما أمركم به، وصدقت ما أرسلت
به إليكم غفر الله لكم ذنوبكم، ﴿وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُسَمًّى﴾ يُمدد في أعماركم، ويدبر عنكم العذاب وإن لم تجتنبوا ما نهاكم عنه أوقعه بكم،
ويُستدل هذه الآية بأن الطاعة والبر وصلة الرحم يُزاد بها في العمر كما ورد به الحديث: «صلة الرحم تزيد في العمر»، ﴿إِنْ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاءَ
لَا يُؤَخَّرُ لَوْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ بادروا بالطاعة قبل حلول النقمة، فإنه إذا أمر تعالى يكون ذلك لا يُرد ولا يُيمان ٥: ﴿قَالَ﴾ نوح يشتكي إلى ربه
﴿رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلاً وَنَهَاراً﴾ في تلك المدة الطويلة وهي ألف سنة إلا خمسين عاماً ٦: ﴿فَلَمَّ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَاراً﴾ فرأوا من الحق
وحادوا عنه ٧: ﴿وَإِنِّي كَلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لَتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ﴾ سَدُّوا آذَانَهُمْ وَغَطُّوا رُؤُوسَهُمْ لئلا يسمعا
﴿وَأَصْرُوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَاراً﴾ عن الحق؛ أي: استنكفوا عنه ٨: ﴿ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنْتُ لَهُمْ﴾ جهرت بين الناس ٩: ﴿ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنْتُ لَهُمْ﴾
ظاهراً بصوت عالٍ ﴿وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَاراً﴾ فيما بيني وبينهم ١٠: ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ﴾ ارجعوا إلى ربكم ﴿إِنَّهُ كَانَ غَفَّاراً﴾ فإنه
سبحانه من تاب إليه تاب عليه.

فَلَا أُقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ إِنَّا لَقَادِرُونَ ﴿٤٠﴾ عَلَىٰ أَنْ نُبَدِّلَ خَيْراً مِنْهُمْ
وَمَنْحَنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴿٤١﴾ فَذَرَهُمْ يَخُوضُوا وَيَلْعَبُوا حَتَّىٰ يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي
يُوعَدُونَ ﴿٤٢﴾ يَوْمَ يُخْرِجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ سِرَاعاً كَأَنَّهُمْ إِلَىٰ نُصْبٍ يُوفُضُونَ
خَشِيعَةً أَبْصَرُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ذَلِكَ الْيَوْمُ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ ﴿٤٤﴾

سُورَةُ الزُّمَرِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحاً إِلَىٰ قَوْمِهِ أَنْ أَنْذِرْ قَوْمَكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُمْ
عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١﴾ قَالَ يَقَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴿٢﴾ أَنْ أَعْبُدُوا
اللَّهَ وَأَتَّقُوهُ وَأَطِيعُونَ ﴿٣﴾ يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرْكُمْ
إِلَىٰ أَجَلٍ مُسَمًّى إِنْ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُ لَوْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ
﴿٤﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلاً وَنَهَاراً ﴿٥﴾ فَلَمَّ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا
فِرَاراً ﴿٦﴾ وَإِنِّي كَلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لَتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ
فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَعْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصْرُوا وَاسْتَكْبَرُوا وَاسْتَكْبَرُوا
﴿٧﴾ ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَاراً ﴿٨﴾ ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنْتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ
لَهُمْ إِسْرَاراً ﴿٩﴾ فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّاراً ﴿١٠﴾

الآية ٣: روى الحاكم بإسناد صحيح عن معقل بن يسار رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يقول ربكم: يا ابن آدم تفرغ لعبادتي أملأ قلبك غنى، وأملأ يدك رزقاً، يا ابن آدم لا تباعد مني أملأ قلبك فقراً، وأملأ يدك شغلاً». وروى ابن ماجه وابن جبان في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: تلا رسول الله ﷺ: «مَنْ كَانَ يُرِيدُ خُرْتُ الْآخِرَةِ» الآية [الآية ٢٠ من سورة الشورى] قال: «يقول الله: ابن آدم تفرغ لعبادتي أملأ صدرك غنى، وأملأ فمك، وإلا تفعل ملأ صدرك شغلاً ولم أسد فمك». /الترغيب ج ٤/ ١١٧ - ١١٨.

١١: ﴿يُرْسِلُ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا﴾ متواصلة الأمطار ، ولهذا تستحب قراءة هذه السورة في صلاة الاستسقاء لأجل هذه الآية
 ١٢: ﴿وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا﴾ إذا ثبتتم إلى الله واستغفرتوه وأطعتموه كثر الرزق عليكم
 ١٣: ﴿مَالِكُمْ لَاتَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا؟﴾ عظمة ، ولا تخافون من بأسه؟ ١٤: ﴿وَقَدْ خَلَقْنَا أَطْوَارًا﴾ من نطفة ثم من علقه ثم من مضغة ١٥: ﴿أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا؟﴾ واحدة فوق واحدة، وهذا يتلقى من جهة السمع [أي: يعلم هذا بالخبر الصادق للمعانية] ١٦: ﴿وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسُ سِرَاجًا﴾ فآوت بينهما في الاستنارة فجعل كلاً منهما أمودجاً على جدوة ليُعرف الليل والنهار بمطلع الشمس ومغيبها، وقدر للقمع منازل وبروجاً وفاوت نوره ليبدل على مضي الشهور والأعوام ١٧: ﴿وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا﴾ [يعني آدم عليه السلام خلقه من آدم الأرض كلها]
 ١٨: ﴿ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا﴾ إذا متم ﴿ويخرجكم﴾ يوم القيامة يُعيدكم كما بدأكم أول مرة ﴿إِخْرَاجًا﴾ ١٩: ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ بِسَاطًا﴾ بسطها ومهدها وقررها بالجبال الراسيات ٢٠: ﴿لَتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا﴾ خلقها لكم لتستقروا عليها وتسلكوا فيها أين شئتم من نواحيها وأرجائها وأطرافها، وكل هذا مما ينههم به نوح عليه السلام على قدرة الله وعظمته في خلق السموات والأرض،

يُرْسِلُ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا ﴿١٢﴾ مَا لَكُمْ لَاتَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾ وَقَدْ خَلَقْنَا أَطْوَارًا ﴿١٤﴾ أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا ﴿١٥﴾ وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسُ سِرَاجًا ﴿١٦﴾ وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا ﴿١٧﴾ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ﴿١٨﴾ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ بِسَاطًا ﴿١٩﴾ لَتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا ﴿٢٠﴾ قَالَ نُوحٌ رَبِّ إِنِّي هُمْ عَصَوْنِي وَاتَّبَعُوا مَن لَّمْ يَزِدْهُ مَالَهُ وَوَلَدَهُ إِلَّا خَسَارًا ﴿٢١﴾ وَمَكَرُوا مَكْرًا كَبِيرًا ﴿٢٢﴾ وَقَالُوا لَا تَنْدَرْنَ آلَ الْهَتَمِ وَلَا تَنْدَرْنَ وَاوَا سَوَاعَا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴿٢٣﴾ وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا ﴿٢٤﴾ مِمَّا خَطَبْتُمْ نَهُمْ أَعْرَفُوا فَأَدْخَلُوا نَارًا فَالْتَمَعُوا مِنْهَا وَمَن دُونِ اللَّهِ أَنْصَارًا ﴿٢٥﴾ وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْنِي مِنَ الْكَافِرِينَ دِيَارًا ﴿٢٦﴾ إِنَّكَ إِذْ تَدَرَّهُمْ بِضُلُوْا عِبَادِكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا ﴿٢٧﴾ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدِي وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِي مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَارًا ﴿٢٨﴾

ونعمه عليهم فبما جعل لهم فيها من المنافع السواوية والأرضية، فهو سبحانه الخالق الرازق. ثم يخبر تعالى عن نوح أنه أتته [ماعليه] فيقول تعالى: ٢١: ﴿قَالَ نُوحٌ رَبِّ إِنِّي هُمْ عَصَوْنِي وَاتَّبَعُوا مَن لَّمْ يَزِدْهُ مَالَهُ وَوَلَدَهُ إِلَّا خَسَارًا﴾ ٢٢: ﴿وَمَكَرُوا مَكْرًا كَبِيرًا﴾ كبيراً وعظماً باتباعهم في تسويلهم لهم أنهم على حق ٢٣: ﴿وَقَالُوا﴾ [أي: لأتباعهم] ﴿لَا تَنْدَرْنَ آلَ الْهَتَمِ وَلَا تَنْدَرْنَ وَاوَا سَوَاعَا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا﴾ وهذه أسماء أصنامهم التي كانوا يعبدونها من دُونِ اللَّهِ. ٢٤: ﴿وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا﴾ الأصنام التي اتخذوها أضلوا بها خلقاً كثيراً، فإنه استمرت عبادتها في القرون إلى زماننا من صنوف بني آدم ٢٥: ﴿مِمَّا خَطَبْتُمْ نَهُمْ أَعْرَفُوا﴾ من كثرة ذنوبهم وعتوتهم ﴿أَعْرَفُوا فَأَدْخَلُوا نَارًا﴾ نقلوا من تيار البحار إلى حرارة النار ﴿فَلَمَّ يَجِدُوا لَمْ يَكُنْ لَهُمْ مَعِينٌ وَلَا مُمْسِكٌ بِعُصْبَتِهِمْ﴾ من كثرة ذنوبهم وعتوتهم ﴿وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْنِي مِنَ الْكَافِرِينَ دِيَارًا﴾ لا تترك على وجه الأرض منهم أحداً، ولا دياراً أي الذي يسكن الدار ٢٦: ﴿إِنَّكَ إِذْ تَدَرَّهُمْ بِضُلُوْا عِبَادِكَ﴾ الذين تحلقهم بعدهم، ﴿وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا﴾ فاجراً في الأعمال كافر القلب، وذلك لخبرته بهم ومكته بين أظهرهم ألف سنة إلا خمسين عاماً، ثم قال: ٢٧: ﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدِي وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِي مُؤْمِنًا﴾ مسجدي ﴿وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ [هذا منه عليه السلام] دعاء لجميع المؤمنين والمؤمنات [إلى يوم القيامة]، ﴿وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَارًا﴾ خساراً.

الآية: ١١-١٣ أي إذا ثبتتم إلى الله تعالى واستغفرتوه وأطعتموه كثر الرزق عليكم، وأسقاكم من بركات السماء، وأنت لكم من بركات الأرض، وأنت لكم الزرع وأدر لكم الضرع، وأمدكم بأموال وبنيين، أي أعطاكم الأموال والأولاد، وجعل لكم جنت في أنواع الثمر وخللها بالأنهار الجارية بينها، هذا مقام الدعوة بالترغيب، ثم عدل بهم إلى دعوتهم بالترهيب، فقال: ﴿مَالِكُمْ لَاتَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا﴾ أي مالكم لائمظنون الله حق عظمته، ولا تخافون من بأسه ونقمته؟ ﴿وَقَدْ خَلَقْنَا أَطْوَارًا﴾!! [ابن كثير ج ٤/٤٢٥].

سُورَةُ الْجِنِّ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الجن

قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ﴿١﴾ يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا ﴿٢﴾ وَأَنَّهُ تَعَلَّى جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا ﴿٣﴾ وَأَنَّهُ كَانَ يَفُولُ سَفِينًا عَلَى اللَّهِ شَطَطًا ﴿٤﴾ وَأَنَا ظَنُّنَا أَنَّ لَنْ تَقُولَ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ﴿٥﴾ وَأَنَّهُ كَانَ مِنْ الْإِنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ﴿٦﴾ وَأَتَمَّمُوا خَطْوَنَا كَمَا ظَنَنْتُمْ أَنْ لَنْ يَبْعَثَ اللَّهُ أَحَدًا ﴿٧﴾ وَأَنَا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَا مُلْأَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهَبًا ﴿٨﴾ وَأَنَا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقْعِدًا لِلسَّمْعِ فَمَنْ يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهُبًا رَصَدًا ﴿٩﴾ وَأَنَا لَا نَدْرِي أَشَرُّ أَرِيدَ يَمْنًا فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا ﴿١٠﴾ وَأَنَا مَتَّ الصَّالِحُونَ وَمِنَادُونَ ذَلِكَ كُنَّا طَرَائِقَ قَدَدًا ﴿١١﴾ وَأَنَا ظَنُّنَا أَنَّ لَنْ تَعْجِزَ اللَّهُ فِي الْأَرْضِ وَلَنْ تَعْجِزَهُ هَرَبًا ﴿١٢﴾ وَأَنَا لَمَّا سَمِعْنَا الْهُدَىٰ ءَامَنَّا بِهِ فَمَنْ يُؤْمِنُ بِرَبِّهِ فَلَا يَخَافُ بَحْسَ وَلَا رَهَقًا ﴿١٣﴾

٥٧٢

١: يأمر الله تعالى رسوله صلى الله عليه وآله وسلم أن يخبر قومه أن الجن استمعوا القرآن فآمنوا به وصدقوه وانقادوا له، فقال تعالى: ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا﴾ [أي: في فصاحته وبلاغته ومواعظه وبركته] ٢: ﴿يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ﴾ يهدي إلى السداد ﴿وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا﴾ [أي: لا نرجع إلى إبليس ولا نطيعه] ٣: ﴿وَأَنَّهُ تَعَلَّى جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا﴾ جَدُّ رَبِّنَا: أي الآؤه وقدرته ونعمته على خلقه، فتعالى عن اتخاذ الصاحبة والأولاد؛ قالت الجن حين أسلموا وآمنوا بالقرآن: تنزه الرب عن ذلك ٤: ﴿وَأَنَّهُ كَانَ يَقُولُ سَفِينًا﴾ يعني إبليس ﴿عَلَى اللَّهِ شَطَطًا﴾ جوراً وظلماً وباطلاً وزوراً، ولهذا قالوا: ٥: ﴿وَأَنَا ظَنُّنَا أَنَّ لَنْ تَقُولَ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ محاسبنا أن الإنسان والجن يتألون على الكذب على الله تعالى في نسبه لصاحبه والولد إليه، فلما سمعنا هذا القرآن وآمننا به علمنا أنهم كانوا يكذبون على الله في ذلك ٦: ﴿وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الْإِنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾ كئنا نرى أن لنا فضلاً على الإنسان لأنهم كانوا يعوذون بنا إذا نزلوا وإدباً أو مكاناً موحشاً من البراري، فلما رأيت الجن أن الإنسان يعوذون بهم من خوفهم منهم، زادوهم خوفاً وإرهاباً ودعراً ٧: ﴿وَأَتَمَّمُوا خَطْوَنَا كَمَا ظَنَنْتُمْ أَنْ لَنْ يَبْعَثَ اللَّهُ أَحَدًا﴾ لن يبعث

الله بعد هذه المدة رسولاً ٨: ﴿وَأَنَا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَا مُلْأَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهَبًا﴾ حين بعث الله رسوله محمداً ﷺ حفظ السماء من سائر أرجائها وطردت الشياطين عن مقاعدها ٩: ﴿وَأَنَا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَنْ يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهُبًا رَصَدًا﴾ من يروم أن يسترق السمع اليوم يجد له شهاباً مرصداً له لا يتخطاه ولا يتعداه، بل يحمقه ويهلكه ١٠: ﴿وَأَنَا لَا نَدْرِي أَشَرُّ أَرِيدَ يَمْنًا فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا﴾ ماندرى هذا الأمر الذي حدث في السماء لاندري أشرُّ أريد يمن في الأرض أم أراد بهم رشداً، والخير أضافوه إلى الله عز وجل ١١: ﴿وَأَنَا مَتَّ الصَّالِحُونَ وَمِنَادُونَ ذَلِكَ كُنَّا طَرَائِقَ قَدَدًا﴾ طرائق متعددة وآراء متفرقة ١٢: ﴿وَأَنَا ظَنُّنَا أَنَّ لَنْ تَعْجِزَ اللَّهُ فِي الْأَرْضِ وَلَنْ تَعْجِزَهُ هَرَبًا﴾ نعلم أن قدرة الله حاكمة علينا وأنا لانعجزه في الأرض، ولو أمعنا في الحرب فإنه علينا قادرٌ لا يعجزه أحدٌ منا ١٣: ﴿وَأَنَا لَمَّا سَمِعْنَا الْهُدَىٰ ءَامَنَّا بِهِ﴾ فمتخرون بذلك وهو مفخر لهم وشرف وصفة حسنة، ﴿فَمَنْ يُؤْمِنُ بِرَبِّهِ فَلَا يَخَافُ بَحْسًا وَلَا رَهَقًا﴾ فلا يخاف أن ينقص من حسناته، أي: يحمل عليه غير سيئاته، كما قال تعالى: ﴿فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا﴾.

الآية: ٨-١٠ وقد ورد في الصحيح أن رسول الله ﷺ قال: «والشُّرُّ ليس إليك» فليس في أسمائه ولا صفاته ولا أفعاله ما يعطي معنى الشُّرِّ. وأما الإيمان بالقدر خيره وشره من الله فهو يعني أن الله تعالى خالق كل شيء، ومن هذه الأشياء ما ينفع الخلق فيكون خيراً، ومنها ما يضرهم، فيكون شراً، ومنها ما تكون لوقوم خيراً ولا آخرين شراً، فهذا يعود لمقادير الأشياء التي قدرها الله تعالى ولصالح الخلق التي تنفع من تلك المقادير أو تنضر، ولهذا ينبغي على المؤمن أن يسأل الله تعالى ما ينفعه وأن يجنبه ما يضره. والسبب الذي حمل الجن أن يضره بمشارك الأرض ومغاربها هو بعثة رسول الله ﷺ، ولأنك أنه لما حدث هذا الأمر ورميت الجن بالشهب انزعجوا له وارتاعوا لذلك، فظنوا أن =

١٤: ﴿وَأَنَا مَنَا الْمُسْلِمُونَ وَمَنَا الْقَاسِطُونَ﴾
 مَنَا الْمُسْلِمُونَ وَمَنَا الْجَائِرُونَ عَنِ الْحَقِّ، ﴿فَمَنْ أَسْلَمَ
 فَأَوْلَتْكَ تَحَرَّوْا زَشَدَّ﴾ طَلَبُوا لَأَنْفُسِهِمْ
 النِّجَاتَ ١٥: ﴿وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ﴾ الْقَاسِطُ هُوَ
 الْجَائِرُ عَنِ الْحَقِّ النَّكَابُ عَنْهُ بِخِلَافِ الْمَقْسُطِ
 فَإِنَّهُ الْعَادِلُ، ﴿فَكَانُوا لِهَيْبَتِهِمْ حَطْبًا﴾ وَقَدْ
 تَسَعَّرَ بِهِمْ ١٦: ﴿وَأَلُّوْا اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ
 لِأَسْقِنَاهُمْ مَاءً غَدَقًا لَنَفْتِنَهُمْ فِيهِ﴾ وَأَنْ لَوْ
 اسْتَقَامَ الْقَاسِطُونَ عَلَى طَرِيقَةِ الْإِسْلَامِ وَعَدَلُوا
 إِلَيْهَا لِأَسْقِنَاهُمْ مَاءً كَثِيرًا، وَالْمُرَادُ بِذَلِكَ سَعَةِ
 الرِّزْقِ لَنَخْتَبِرُهُمْ [بِذَلِكَ] ١٧: ﴿لَنَفْتِنَهُمْ
 فِيهِ﴾ لِنَبْتَلِيَهُمْ بِهِ؛ نَزَلَتْ فِي كِفَارِ قَرِيشٍ حِينَ
 مُنِعُوا الْمَطَرَ سَبْعَ سِنِينَ ﴿وَمَنْ يُعْرِضْ عَنِ
 ذِكْرِ رَبِّهِ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا﴾ عَذَابًا مَشْقًا
 شَدِيدًا مُوجِعًا مَوْلاً ١٨: ﴿وَأَنْ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ
 فَلَاتَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾ أَمَرَ تَعَالَى بِعِبَادَةِ أَنْ
 يُوحَدَ فِي مَحَالِّ عِبَادَتِهِ وَلَا يَدْعَى مَعَهُ أَحَدٌ
 وَلَا يُشْرِكُ بِهِ. وَقَالَ الْأَعْمَشُ: قَالَتِ الْجَنُّ:
 يَا رَسُولَ اللَّهِ أَتُذِّنُ لَنَا نَشِدَ مَعَكَ الصَّلَوَاتِ فِي
 مَسْجِدِكَ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ هَذِهِ الْآيَةَ، يَعْنِي صَلُّوا
 لِتُخَالِطُوا النَّاسَ ١٩: ﴿وَأَنْهَ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ
 يَدْعُوهُ كَاذِبًا يُكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا﴾ تَلَبَّدَتْ
 الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى هَذَا الْأَمْرِ لِطِفْتِهِ فَأَبَى اللَّهُ
 إِلَّا أَنْ يَنْصُرَهُ وَيُضَيِّقَ وَيُظْهِرَهُ عَلَى مَنْ نَاوَاهُ
 وَهَذَا قَالَ تَعَالَى: ٢٠: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَدْعُوا
 رَبِّي﴾ قَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لَمَّا آذَوْهُ
 وَخَالَفُوهُ وَكَذَّبُوهُ لِيُطَلَّوْا مَجَاءً بِهِ: ﴿إِنَّمَا
 أَدْعُوا رَبِّي﴾ وَحَدَّهُ لِشَرِيكَ لَهُ وَأَتَوَكَّلُ عَلَيْهِ
 ﴿وَلَا أُشْرِكُ بِهِ أَحَدًا﴾ ٢١: ﴿قُلْ إِنِّي

وَأَنَا مَنَا الْمُسْلِمُونَ وَمَنَا الْقَاسِطُونَ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأَوْلَتْكَ
 تَحَرَّوْا زَشَدَّ ﴿١٤﴾ وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطْبًا ﴿١٥﴾
 وَأَلُّوْا اسْتَقَمُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لِأَسْقِنَاهُمْ مَاءً غَدَقًا ﴿١٦﴾ لَنَفْتِنَهُمْ
 فِيهِ وَمَنْ يُعْرِضْ عَنِ ذِكْرِ رَبِّهِ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا ﴿١٧﴾ وَأَنْ
 الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾ وَأَنْهَ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ
 يَدْعُوهُ كَاذِبًا يُكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا ﴿١٩﴾ قُلْ إِنَّمَا أَدْعُوا رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ
 بِهِ أَحَدًا ﴿٢٠﴾ قُلْ إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا ﴿٢١﴾ قُلْ إِنِّي
 لَنْ يُحِيرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا ﴿٢٢﴾ الْإِبْلَغَا
 مِنَ اللَّهِ وَرِسَالَتِهِ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ
 خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ﴿٢٣﴾ حَتَّىٰ إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ فَيَسْئَلِعْمُونَ
 مَنْ أَضَعَفَ نَاصِرًا وَأَقَلَّ عَدَدًا ﴿٢٤﴾ قُلْ إِنْ أَدْرِيَتْ أَقْرَبُ
 مَا تُوعَدُونَ أَمْ يَجْعَلُ لَهُ رَبِّي أَمَدًا ﴿٢٥﴾ عَلِيمُ الْغَيْبِ فَلَا
 يَظْهَرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنْ ارْتَضَىٰ مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ
 يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا ﴿٢٧﴾ لِيَعْلَمَ أَنْ قَدْ أَبْلَغُوا
 رِسَالَتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا ﴿٢٨﴾

لَأَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا﴾ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلَكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ، وَبَلِّغْ لِي مِنَ الْأَمْرِ شَيْئًا فِي هِدَايَتِكُمْ وَلَا غَايَتِكُمْ بَلِ الْمَرْجِعُ فِي ذَلِكَ إِلَى اللَّهِ عَزَّ
 وَجَلَّ، ثُمَّ أَخْبَرَ عَنْ نَفْسِهِ أَنَّهُ لَا يُحِيرُهُ أَحَدٌ مِنَ اللَّهِ لَوْ عَصَيْتَهُ: ٢٢: ﴿قُلْ إِنِّي لَنْ يُحِيرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا﴾ لِانصِبِ
 وَلَا مَلْجَأَ ٢٣: ﴿إِلَّا بِبَلَاغًا﴾ لِأَنِّي جِيئْتُ مِنْهُ وَيُخَلِّصُنِي إِلَّا بِبَلَاغِي الرِّسَالَةَ الَّتِي أَوْجِبُ آدَاءَهَا عَلَيَّ، ﴿مِنْ اللَّهِ وَرِسَالَاتِهِ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ
 فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾ أَنَا أَبْلَغُكُمْ رِسَالَةَ اللَّهِ فَمَنْ يَعْصِ بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ جَزَاءٌ عَلَىٰ ذَلِكَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ٢٤: ﴿حَتَّىٰ إِذَا
 رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ فَيَسْئَلِعْمُونَ مَنْ أَضَعَفَ نَاصِرًا وَأَقَلَّ عَدَدًا﴾؟ إِذَا رَأَىٰ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونَ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ مَا يُوعَدُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيَسْئَلِعْمُونَ
 يَوْمَئِذٍ مَنْ أَضَعَفَ نَاصِرًا هُمُ الْمُؤْمِنُونَ أَمْ الْمُشْرِكُونَ؟ أَيْ: بَلِ الْمُشْرِكُونَ لِأَنَّصَرُ لَهُمْ بِالْكَلْبَةِ وَهَمُّ أَقَلَّ عَدَدًا مِنْ جُنُودِ اللَّهِ ٢٥: ﴿قُلْ إِنْ أَدْرِي
 أَقْرَبُ مَا تُوعَدُونَ أَمْ يَجْعَلُ لَهُ رَبِّي أَمَدًا﴾ إِنِّي لِأَعْلَمُ بِوَقْتِ السَّاعَةِ وَلَا أَدْرِي أَقْرَبُ وَقْتُهَا أَمْ بَعِيدُ ٢٦: ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ
 أَحَدًا﴾ ٢٧: ﴿إِلَّا مَنْ ارْتَضَىٰ مِنْ رَسُولٍ﴾ [أَيْ: فَيُطَلِّعُ مَنْ يَشَاءُ عَلَىٰ غَيْبِهِ، لِيَكُونَ ذَلِكَ دَالًّا عَلَىٰ نُبُوَّتِهِ] ﴿فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ
 خَلْفِهِ رَصَدًا﴾ بِمُضَيِّقِهِ مَعْقِبَاتِ مِنَ الْمَلَائِكَةِ بِحِفْظُونِهِ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ ٢٨: ﴿لِيَعْلَمَ أَنْ قَدْ أَبْلَغُوا رِسَالَاتِ رَبِّهِمْ﴾ لِيَحْفَظَ رِسَالَةَ بِلَاغَتِكُمْ
 لِتَمَكِّنُوا مِنْ آدَاءِ رِسَالَاتِهِ، وَيَحْفَظُ مَا يُزَكِّهِ إِلَيْهِمْ مِنَ الْوَحْيِ، وَهَذَا قَالَ تَعَالَى بَعْدَ هَذَا: ﴿وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا﴾، [فَهُوَ
 سَبْحَانَهُ الْحَاصِي الْحَاطِطُ الْعَالِمُ الْحَافِظُ لِكُلِّ شَيْءٍ].

= ذَلِكَ خَرَابُ الْعَالِمِ كَمَا قَالَ السُّدِّيُّ: لَمْ تَكُنِ السَّيِّئَةُ تَحْرُسُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ فِي الْأَرْضِ نَبِيٌّ أَوْ دِينٌ لِلَّهِ ظَاهِرٌ، فَكَانَتِ الشَّيَاطِينُ قَبْلَ بَعَثَةِ مُحَمَّدٍ ﷺ قَدْ اتَّخَذَتِ الْمَقَاعِدَ مِنَ السَّيِّئَةِ الدُّنْيَا
 يَسْتَمْعُونَ بِمَاجِدَتِ فِي السَّيِّئَةِ مِنْ أَمْرِ، فَلَمَّا بَعَثَ اللَّهُ مُحَمَّدًا ﷺ نَبِيًّا رَسُولًا رُجِّمُوا. [ابن كثير ج ٤/٤٣٠].

تفسير سورة الزَّمَلِ

١: ﴿يَا أَيُّهَا الزَّمَلِيُّ﴾ يأمر تعالى رسوله صلى الله عليه وآله وسلم أن يترك الزَّمَلَ، وهو النعطي بالليل وينهض إلى القيام لرَبْوَةٍ وَجَلَّ ٢: ﴿قَمَّ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [استثنى منه القليل لراحة البدن، ثم وضع ذلك فقال تعالى]: ٣: ﴿نِصْفَهُ أَوْ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا﴾ نصفه: بدل من الليل؛ أمرنا أن نقوم نصف الليل بزيادة قليلة أو نقصان قليل لا حَرَجَ عليك في ذلك ٤: ﴿وَرَتَّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا﴾ اقرأه على تمهل فإنه يكون عوناً على فهم القرآن وتدبره. روى الإمام أحمد وأبو داود والترمذي عن أم سلمة أنها سئلت عن قراءة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقالت: كان يقطع قراءته آية آية ٥: ﴿إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا﴾ العمل به، وثقيل وقت نزوله من عظمته، كما روى الإمام أحمد عن عائشة قالت: «إن كان يُوحَى إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وهو على راحلته فتضرب بجرانها الجران: باطن العنق ٦: ﴿إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْأً وَأَقْوَمُ قِيلًا﴾ إن قيام الليل هو أشد مواطأة بين القلب واللسان، وأجمع على التلاوة، ولهذا قال تعالى: ﴿هِيَ أَشَدُّ وَطْأً وَأَقْوَمُ قِيلًا﴾ أجمع للخاطر في أداء القراءة وتفههما من قيام النهار لأنه وقت المعاش ٧: ﴿إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا﴾ فراغاً طويلاً، وبُغْيَةً ومقبلاً ٨: ﴿وَادْكُرْ اسْمَ رَبِّكَ﴾ أكثر من ذكره ﴿وتبتل إليه تبتيلاً﴾ وانقطع إليه وتفرغ لعبادته إذا فرغت من

سُورَةُ الزَّمَلِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا الزَّمَلِيُّ ١ ﴿قِرْ آيَاتِ الْكِتَابِ لِقِيلًا ٢﴾ نِصْفَهُ أَوْ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا ٣ ﴿أَوْزِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا ٤﴾ إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ٥ ﴿إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْأً وَأَقْوَمُ قِيلًا ٦﴾ إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا ٧ ﴿وَادْكُرْ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا ٨﴾ رَبِّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا ٩ ﴿وَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا ١٠﴾ وَذَرِنِي وَمُكَدِّبِينَ أُولِي النَّعْمَةِ وَمَهْلَهْهُمْ قَلِيلًا ١١ ﴿إِنَّ لَدَيْنَا أَنْكَالًا وَوَجِحِمًا ١٢﴾ وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا ١٣ ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَثِيبًا مَهِيلًا ١٤﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكَ رَسُولًا شَاهِدًا عَلَيْكَ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَى فِرْعَوْنَ رَسُولًا ١٥ ﴿فَعَصَى فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ فَأَخَذْنَاهُ أَخْذًا وَبِيلًا ١٦﴾ فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِنْ كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا ١٧ ﴿السَّمَاءُ مُنْفَطِرٌ بِهِ ١٨﴾ كَانَ وَعْدُهُ مَفْعُولًا ١٨ ﴿إِنَّ هَذِهِ تَذْكِرَةٌ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذْ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا ١٩﴾

أشغالك ومحتاج إليه من أمورك، كما قال تعالى: ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ﴾ في طاعته وعبادته ٩: ﴿رَبِّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا﴾ هو المالك المتصرف في المشرق والمغرب لا إله إلا هو، وكما أفردته بالعبادة فأفردته بالتوكل فاتخذهُ وَكِيلًا ١٠: ﴿وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا﴾ يأمره تعالى بالصبر على مَنْ كذبه من سفهاء قومه، والهجر الجميل: الذي لا عتاب فيه، ثم قال تعالى متهدداً للكفار: ١١: ﴿وَذَرِنِي وَمُكَدِّبِينَ أُولِي النَّعْمَةِ وَمَهْلَهْم قَلِيلًا﴾ دعني والمكذبين المترفين ومهلهم رويداً ١٢: ﴿إِنَّ لَدَيْنَا أَنْكَالًا﴾ وهي القيود ﴿وَوَجِحِمًا﴾ وهي السعير المضطربة ١٣: ﴿وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ﴾ ينشب في الخلق فلا يدخل ولا يخرج ﴿وعذاباً أليماً﴾ ١٤: ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَثِيبًا مَهِيلًا﴾ تصير ككتبان الرمل بعدما كانت حجارة صمماً، ثم إنها تنسف نفسها فلا يبقى منها شيء إلا ذهب. ثم يقول تعالى مخاطباً الكفار: ١٥: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكَ رَسُولًا شَاهِدًا عَلَيْكُمْ﴾ بأعمالكم ﴿كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا﴾ ١٦: ﴿فَعَصَى فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ فَأَخَذْنَاهُ أَخْذًا وَبِيلًا﴾ شديداً، فأخذوا أتم أن تكذبوا هذا الرسول فيصيبكم مآصبا فرعون، كما قال تعالى: ﴿فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَى﴾ ١٧: ﴿فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِنْ كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا﴾ كيف يحصل لكم أمان من هذا الفرع العظيم إن كفرتم؟ ١٨: ﴿السَّمَاءُ مُنْفَطِرٌ بِهِ﴾ بسببه وشدة هوله ﴿كَانَ وَعْدُهُ مَفْعُولًا﴾ واقعاً لا محالة ١٩: ﴿إِنَّ هَذِهِ تَذْكِرَةٌ﴾ هذه السورة يتذكر بها أولو الألباب ﴿فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذْ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا﴾ فمن شاء الله هدايته [سلك طريقاً إلى رضا].

الآية: ٤ عن عبد الله بن مسعود قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «مَنْ قَرَأَ حَرْفًا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ فَلَهُ بِهِ حَسَنَةٌ، وَالْحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا، لَا أَقُولُ (الهم) حرف، ولكن: ألف، حرف، ولام، حرف، وميم، حرف» رواه الترمذي وهو حديث صحيح /جامع الأصول ج ٨/ ٤٩٨٨.

٢٠: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثِي اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ وَطَائِفَةٌ مِّنَ الَّذِينَ مَعَكَ﴾ تارة هكذا وتارة هكذا، وذلك كله من غير قصد منكم، ولكن لاتقدرون على المواظبة على أمركم به من قيام الليل لأنه يشق عليكم، ولهذا قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَقْدَرُ اللَّيْلَ وَالتَّهَارُ﴾ تارة يعتدلان وتارة يأخذ هذا من هذا وهذا من هذا، ﴿عَلِمَ أَنَّ لَنْ تُحْصَوْهُ﴾ الفرض الذي أوجبه عليكم ﴿فَأَقْرَؤُوا مَا تيسَّر مِنَ الْقُرْآنِ﴾ من غير تحديد بوقت، أي: ولكن قوموا من الليل ما تيسر، وعبر عن الصلاة بالقراءة، كما قال تعالى: ﴿وَلَا تَجْهَرُ بِصَلَاتِكَ﴾ بقراءتك. ﴿عَلِمَ أَنَّ سَيَكُونُ مِنْكُمْ مَرْضَىٰ وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَتَّبِعُونَ مِّن فَضْلِ اللَّهِ وَأَخَرُونَ يَفْتَلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ علم أن سيكون من هذه الأمة ذؤو أعذار في ترك قيام الليل من مرضى لا يستطيعون ذلك، ومسافرين في الأرض يتبعون من فضل الله في المكاسب والمتاجر، وآخرين مشغولين في الغزو في سبيل الله، ﴿فَأَقْرَؤُوا مَا تيسَّرَ مِنْهُ﴾ قوموا بما تيسر عليكم منه. ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾ أقيموا صلاتكم الواجبة عليكم ﴿وَأَتُوا الزَّكَاةَ﴾ المفروضة عليكم ﴿وَأَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ يعني: من الصدقات، فإن الله يجازي على ذلك أحسن الجزاء وأوفره، كما قال تعالى: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً؟﴾ ﴿وَمَا تَقْدُمُوا لَأَنْفُسِكُمْ مِن خَيْرٍ مِّمَّا تُحَدِّثُونَ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ وَأَعْظَمُ أَجْرًا﴾ جميع ما تقدموه بين أيديكم فهو لكم حاصل وهو خير مما أقبتموه لأنفسكم في الدنيا. ﴿وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ﴾ أكثروا من استغفاره ﴿إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾.

﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثِي اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ وَطَائِفَةٌ مِّنَ الَّذِينَ مَعَكَ﴾ وَاللَّهُ يَقْدَرُ اللَّيْلَ وَالتَّهَارَ عَلِمَ أَنَّ لَنْ تُحْصَوْهُ فَنَابَ عَلَيْكُمْ فَاقْرَؤُوا مَا تيسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ إِنَّ عَلِمَ أَنَّ سَيَكُونُ مِنْكُمْ مَرْضَىٰ وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَتَّبِعُونَ مِّن فَضْلِ اللَّهِ وَآخَرُونَ يَقْتَلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَاقْرَؤُوا مَا تيسَّرَ مِنْهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِن خَيْرٍ مِّمَّا تُحَدِّثُونَ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ وَأَعْظَمُ أَجْرًا وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٠﴾

سُورَةُ الْمَدَّثَرِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَأْتِيهَا الْمَدَّثَرُ ﴿١﴾ قَوْمًا نَذِرُ ﴿٢﴾ وَرَبِّكَ فَكَبِّرُ ﴿٣﴾ وَيَا بَيْتَكَ فَطَهِّرُ ﴿٤﴾ وَالرُّجْزَ فَاهْجُرُ ﴿٥﴾ وَلَا تَمَنَّئَنَّ تَسْتَكْبِرُ ﴿٦﴾ وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرُ ﴿٧﴾ فَإِذَا نَقَرُ فِي النَّاقُورِ ﴿٨﴾ فَذَلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ ﴿٩﴾ عَلَى الْكَافِرِينَ عَيْرٌ لَّيْسَ يَسِيرٌ ﴿١٠﴾ ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ﴿١١﴾ وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَمْدُودًا ﴿١٢﴾ وَبَنِينَ شُهُودًا ﴿١٣﴾ وَمَهَّدْتُ لَهُ تَمْهِيدًا ﴿١٤﴾ ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ ﴿١٥﴾ كَلَّا إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِنَا عَنِيدًا ﴿١٦﴾ سَأَرْهَقُهُ صَعُودًا ﴿١٧﴾

تفسير سورة المدثر

١: ﴿يَأْتِيهَا الْمَدَّثَرُ﴾ هذه الآيات نزلت بعد ﴿أقرأ باسم ربك الذي خلق﴾ بعد فترة الوحي، ثم حجي الوحي وتتابع. [وقوله تعالى هذا ملاطفة في الخطاب من الكريم إلى الحبيب إذ ناداه بحاله، ليستشعر باللين والملاطفة من ربه تعالى] والمدثر: الذي تغشى بالثياب ٢: ﴿قَوْمًا نَذِرُ﴾ شمر عن ساق العزم وأندر الناس، وبهذا حصل الإرسال كما حصل بالأول النبوة ٣: ﴿وَرَبِّكَ فَكَبِّرُ﴾ عظيم ٤: ﴿وَيَا بَيْتَكَ فَطَهِّرُ﴾ عملك فأصلح، ونقى الثياب: الذي تطهر من الذنوب ٥: ﴿وَالرُّجْزَ فَاهْجُرُ﴾ المعصية فارتك ٦: ﴿وَلَا تَمَنَّئَنَّ تَسْتَكْبِرُ﴾ لا تطعم العطيبة تلمس أكثر منها ٧: ﴿وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرُ﴾ اجعل صبرك على أذاهم لوجه ربك عز وجل ٨: ﴿فَإِذَا نَقَرُ فِي النَّاقُورِ﴾ الصور ٩: ﴿فَذَلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ﴾ شديد ١٠: ﴿عَلَى الْكَافِرِينَ عَيْرٌ لَّيْسَ يَسِيرٌ﴾ غير سهل عليهم ١١: ﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا﴾ يتوعد تعالى الكافر الذي أنعم الله عليه بنعم الدنيا فكفر بها وقابلها بالبحرود، و﴿وَحِيدًا﴾ خرج من بطن أمه وحده لاملال له ولا ولد ثم رزقه الله تعالى ١٢: ﴿وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَمْدُودًا﴾ واسعاً كثيراً ١٣: ﴿وَبَنِينَ شُهُودًا﴾ حضوراً عنده ١٤: ﴿وَمَهَّدْتُ لَهُ تَمْهِيدًا﴾ مكنته من صنوف المال ١٥: ﴿ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ﴾ أي: في الآخرة؟ ١٦: ﴿كَلَّا إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِنَا عَنِيدًا﴾ معاند بكفره ١٧: ﴿سَأَرْهَقُهُ صَعُودًا﴾ يصعد جبلاً من نار سبعين خريفاً. [وهو الوليد ومن شاكله على الكفر].

١٨: ﴿إِنَّهُ فَكَّرَ﴾ في القرآن ﴿وقدر﴾ وتروى ١٩: ﴿فَقِيلَ كَيْفَ قَدَّرَ﴾ ٢٠: ﴿ثُمَّ قِيلَ كَيْفَ قَدَّرَ﴾ دَعَا عَلَيْهِ ٢١: ﴿ثُمَّ نَظَرَ﴾ أعَادَ النَّظْرَةَ ٢٢: ﴿ثُمَّ عَسَىٰ وَبَسَّرَ﴾ قبض بين عينيه وكَلَجَ ٢٣: ﴿ثُمَّ أَذْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ﴾ انصرف عن الحق واستكبر عن الانتقاد للقرآن ٢٤: ﴿فَقَالَ إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْتَرُ﴾ هذا سحر ينقله محمد عن غيره، ولهذا قال: ٢٥: ﴿إِنَّ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ﴾ [وقائل هذا] هو الوليد بن المغيرة أحد رؤساء قريش ٢٦: ﴿سَأْضِلِيهِ سَقَرٌ﴾ سأغمره فيها ٢٧: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرٌ؟﴾ هذا تمويل لأمرها ثم فسّر ذلك بقوله تعالى: ٢٨: ﴿لَا يُثَبِّتِي وَلَا مَتَدْرُجٌ﴾ تأكل لحومهم ثم تبدل غير ذلك، وهم في ذلك لا يموتون ٢٩: ﴿لَوْ أَحَاطَ بِالشَّرِّ لَجَعَلَهُ مِثْلَ الْحَبِّ﴾ من لآخه إذا غيره [٣٠: ﴿عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ﴾ من القدمى الزبانية، عظم تخلقهم غليظ تخلقهم ٣١: ﴿وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ لُحُوزًا إِلَّا مَلَائِكَةً﴾ زبانية غلاظا شداداً، ﴿وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً﴾ شديدي الخلق لا يفتاؤون ولا يعالون ﴿وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمُ إِلَّا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ إنما ذكرنا عِدَّتَهُمُ أَنَّهُمْ تِسْعَةَ عَشَرَ اخْتِبَارًا مَنَّا لِلنَّاسِ؛ ﴿لِيَسْتَيْقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾ يعلمون أن هذا الرسول الحق؛ فإنه نطق بمطابقة ما بأيديهم من الكتب ﴿ويزداد الذين آمنوا إيماناً﴾ إلى إيمانهم بما يشهدون من صدق إخبار نبيهم محمد ﷺ ﴿ولا يرتاب الذين

إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ﴿١٨﴾ فَقِيلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿١٩﴾ ثُمَّ قِيلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ نَظَرَ ﴿٢١﴾ ثُمَّ عَسَىٰ وَبَسَّرَ ﴿٢٢﴾ ثُمَّ أَذْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْتَرُ ﴿٢٤﴾ إِنَّ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ ﴿٢٥﴾ سَأْضِلِيهِ سَقَرٌ ﴿٢٦﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرٌ ﴿٢٧﴾ لَا تُثَبِّتِي وَلَا مَتَدْرُجٌ ﴿٢٨﴾ لَوْ أَحَاطَ بِالشَّرِّ لَجَعَلَهُ مِثْلَ الْحَبِّ ﴿٢٩﴾ عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ ﴿٣٠﴾ وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا لِيَسْتَيْقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَيَزِدَّ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا وَلَا يَرْتَابَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْمُؤْمِنُونَ وَلِيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْكَافِرُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْبَشَرِ ﴿٣١﴾ كَلَّا وَالْقَمَرِ ﴿٣٢﴾ وَاللَّيْلِ إِذَا أَدْبَرَ ﴿٣٣﴾ وَالصُّبْحِ إِذَا أَسْفَرَ ﴿٣٤﴾ إِنَّهَا إِلَّا حُدَىٰ الْكَبِيرِ ﴿٣٥﴾ نَذِيرٌ لِلْبَشَرِ ﴿٣٦﴾ لِمَن شَاءَ مِنْكُمْ أَن يَتَّقُوا أَوْ يَسْتَكْبِرُوا ﴿٣٧﴾ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهينَةٌ ﴿٣٨﴾ إِلَّا آلَ الْأَخْيَارِ ﴿٣٩﴾ فِي جَنَّاتٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴿٤٠﴾ عَنِ الْمَجْرَمِينَ ﴿٤١﴾ مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرٍ ﴿٤٢﴾ قَالُوا لَوْ نَدَّرْنَا مِنَ الْمَصْلَبِ ﴿٤٣﴾ وَلَوْ نَكُنَّا نَسْمَعُ مَعَ الْخَائِضِينَ ﴿٤٤﴾ وَكُنَّا نَكْذِبُ يَوْمَ الَّذِينَ ﴿٤٥﴾ حَتَّىٰ آتَيْنَا الْيَقِينَ ﴿٤٦﴾ حَتَّىٰ آتَيْنَا الْيَقِينَ ﴿٤٧﴾

أوتوا الكتاب والمؤمنون وليقول الذين في قلوبهم مرض من المنافقين، والكافرون ماذا أراد الله بهذا مثلاً يقولون: ما الحكمة في ذكر هذا ههنا؟ قال الله تعالى: ﴿كذلك يضلُّ اللهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ وله الحكمة البالغة والحجة الدامغة، ﴿وما يعلم جنود ربك إلا هو﴾ لكثرتهم ﴿وما هي إلا ذكري للبشر﴾ النار التي وصفت [هي عظة للبشر] ٣٢: ﴿كلا والقمر﴾ ٣٣: ﴿والليل إذا أدبر﴾ وتى ٣٤: ﴿والصبح إذا أسفر﴾ أشرق ٣٥: ﴿إنها لإحدى الكبر﴾ العظام، يعني النار ٣٦: ﴿نذيراً للبشر﴾ [يعني النار] ٣٧: ﴿لمن شاء منكم أن يتقدم أو يتأخر﴾ لمن شاء أن يتقدم أو ينادي أو يردد ٣٨: ﴿كل نفس بما كسبت رهينة﴾ متعلقة بعملها يوم القيامة ٣٩: ﴿إلا أصحاب اليمين﴾ فإنهم ٤٠: ﴿في جنات يتساءلون﴾ وهم في العرفات ٤١: ﴿عن المجرمين﴾ قائلين لهم: ٤٢: ﴿ما سلككم في سقر﴾؟ ٤٣: ﴿قالوا لم نك من المصلين﴾ ٤٤: ﴿ولم نك نطعم المسكين﴾ ماعيدنا ربنا ولا أحسننا إلى خلقه ٤٥: ﴿وكنا نخوض مع الخائضين﴾ نتكلم فيما لا نعلم، أي: كلما غوى غاوبنا معه ٤٦: ﴿وكنا نكذب يوم الدين﴾ ٤٧: ﴿حتى آتانا اليقين﴾ يعني الموت، كقوله تعالى: ﴿واعبد ربك حتى يأتيك اليقين﴾، قال رسول الله ﷺ: ﴿أما هو — يعني عثمان بن مظعون — فقد جاءه اليقين من ربه حين مات.

الآية: ١٨-٢٥ روى ابن جرير أن الوليد بن المغيرة جاء إلى النبي ﷺ فقرأ عليه القرآن، فكانت رق له، فبلغ ذلك أبا جهل [فغابته وعابه] فقال المغيرة: فوالله ما منكم رجل أعلم بالأشعار مني ولا أعلم برجزه ولا يقصيده ولا بأشعار الجن، والله ما يشبهه الذي يقول شيئاً من هذا! والله إن لقوله الذي يقوله خلوة، وإنه ليحطم ما تحته، وإنه ليعلم وما يبلغ!! قال أبو جهل: والله لا يرضى قومك حتى تقول فيه، فقال: دعني حتى أفكر فيه، فلما فكر قال: إن هذا إلا سحر يؤثره عن غيره، فنزلت: ﴿وذري ومن خلقك وحيداً — حتى بلغ — عليها تسعة عشر﴾. /ابن كثير — باختصار ج/٤٤٢/٤.

٤٨: ﴿لَمَا تَفْعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ﴾ مَنْ كَانَ مُتَصِفًا بِهَذِهِ الصِّفَاتِ لَا تَنْفَعُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ شَفَاعَةُ شَافِعٍ ٤٩: ﴿فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكَرَةِ مُعْرِضِينَ؟﴾ أَي: فَمَا لَهُوَلَاءِ الْكُفْرَةِ الَّذِينَ قَبَّلَتْ تَمَاتِدُغُوهُمْ إِلَيْهِ وَتَذَكَّرَهُمْ بِهِ مُعْرِضِينَ؟ ٥٠: ﴿كَانَهُمْ حُمْرٌ مُسْتَنْفِرَةٌ﴾ ٥١: ﴿فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ﴾ كَانَتْ فِيهِمْ تَفَارَهُمْ عَنِ الْحَقِّ وَإِعْرَاضَهُمْ عَنْهُ حُمْرٌ مِنْ حُمْرِ الْوَحْشِ إِذَا فَرَّتْ تَمَّنُّ يُرِيدُ صَيْدَهَا مِنْ أَسَدٍ ٥٢: ﴿بَلْ يُرِيدُ كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ أَنْ يُؤْتَى صُحُفًا مُنْشَرَةً﴾ بَلْ يَرِيدُ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُزَلَّ عَلَيْهِ كِتَابٌ كَمَا أَنْزَلَهُ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ٥٣: ﴿كَلَّا بَلْ لِيَاخِفُونَ الْآخِرَةَ﴾ إِنَّمَا أَفْسَدَهُمْ عَدَمُ إِيمَانِهِمْ بِهَا وَتَكْذِيبِهِمْ بِوَقْعِهَا ٥٤: ﴿كَلَّا إِنَّهُ تَذَكَّرٌ﴾ حَقًّا أَنَّ الْقُرْآنَ تَذَكْرَةٌ ٥٥: ﴿فَمَنْ شَاءَ ذَكَّرْهُ﴾ أَي: اتَّعَظْ بِهِ ٥٦: ﴿وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَمَا تَشَاؤُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾ هُوَ أَهْلُ الْقِيَامَةِ هُوَ أَهْلٌ أَنْ يُخَافَ مِنْهُ ﴿وَأَهْلُ الْمَغْفِرَةِ﴾ هُوَ أَهْلٌ أَنْ يَغْفَرَ ذَنْبَ مَنْ تَابَ إِلَيْهِ وَأَتَابَ. رَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قَرَأَ هَذِهِ الْآيَةَ وَقَالَ: «قَالَ رَبُّكُمْ أَنَا أَهْلٌ أَنْ أُتَقَى، فَلَا يُجْعَلُ مَعِيَ إِلَهٌ، فَمَنْ اتَّقَى أَنْ يُجْعَلَ مَعِيَ إِلَهًا كَانَ أَهْلًا أَنْ أَغْفَرَ لَهُ»، وَرَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَابْنُ مَاجَةَ.

فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ ﴿٤٨﴾ فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكَرَةِ مُعْرِضِينَ ﴿٤٩﴾ كَانَهُمْ حُمْرٌ مُسْتَنْفِرَةٌ ﴿٥٠﴾ فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ ﴿٥١﴾ بَلْ يُرِيدُ كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ أَنْ يُؤْتَى صُحُفًا مُنْشَرَةً ﴿٥٢﴾ كَلَّا بَلْ لِيَاخِفُونَ الْآخِرَةَ ﴿٥٣﴾ كَلَّا إِنَّهُ تَذْكِرَةٌ ﴿٥٤﴾ فَمَنْ شَاءَ ذَكَّرَهُ ﴿٥٥﴾ وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ هُوَ أَهْلُ الْقِيَامَةِ وَأَهْلُ الْمَغْفِرَةِ ﴿٥٦﴾

سُورَةُ الْقِيَامَةِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

لَا أَقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ ﴿١﴾ وَلَا أَقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ ﴿٢﴾ أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ نَجْمَعُ عِظَامَهُ ﴿٣﴾ بَلَى قَادِرِينَ عَلَى أَنْ نَسُوِّيَ بَنَانَهُ ﴿٤﴾ بَلْ يُرِيدُ الْإِنْسَانُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ ﴿٥﴾ نَسْأَلُ أَيَّانَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ ﴿٦﴾ فَإِذَا بَرِقَ الْبَصْرُ ﴿٧﴾ وَخَسَفَ الْقَمَرُ ﴿٨﴾ وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ ﴿٩﴾ يَقُولُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ الْمَفْرُغُ ﴿١٠﴾ كَلَّا لَا وَزَرَ ﴿١١﴾ إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ ﴿١٢﴾ يَتَّبِعُوا الْإِنْسَانَ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ ﴿١٣﴾ بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ ﴿١٤﴾ وَلَوْ أَلْقَى مَعَاذِرَهُ ﴿١٥﴾ لَأَحْرَبَ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْتَهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ إِنَّهُ ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ ﴿١٩﴾

تفسير سورة القيامة

١: ﴿لَا أَقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾؛ إِنَّ الْمَقْسَمَ عَلَيْهِ

إِذَا كَانَ مُتَتَفِيًّا جَازَ الْإِتْيَانَ (بَلَا) قَبْلَ الْقِسْمِ لِتَأْكِيدِ النَّفْيِ، وَالْمَقْسَمُ عَلَيْهِ هُنَا هُوَ إِثْبَاتُ الْمَعَادِ، وَالرَّدُّ عَلَى مَا يَزْعَمُهُ الْجَهْلَةُ مِنَ الْعِبَادِ مِنْ عَدَمِ بَعْثِ الْأَجْسَادِ، وَهَذَا قَالَ تَعَالَى: ﴿لَا أَقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ ٢: ﴿وَلَا أَقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ﴾ الْمُوْمَنُ يَلُومُ نَفْسَهُ: مَا أَرَدْتُ بِكَلِمَتِي؟ مَا أَرَدْتُ بِأَكْلِي؟ مَا أَرَدْتُ بِمَجْدِي نَفْسِي؟ وَالْفَاجِرُ يَعْضِي مَا يَعْتَابُ نَفْسَهُ ٣: ﴿أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ لَنْ نَجْمَعَ عِظَامَهُ؟﴾ أَيُّظُنُّ [الْكَافِرُ] أَنَا لَا تَقْدِرُ عَلَى إِعَادَةِ عِظَامِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ ٤: ﴿بَلَى قَادِرِينَ عَلَى أَنْ نَسُوِّيَ بَنَانَهُ﴾ قَدَرْنَا صَالِحَةً لْجَمْعِهَا وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا أَرِيدُ تَمَّا كَانَ ٥: ﴿بَلْ يُرِيدُ الْإِنْسَانُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ﴾ هُوَ الْكُفْرُ بِالْحَقِّ بَيْنَ يَدَيْ الْقِيَامَةِ، يَمْضِي أَمَامَهُ رَاكِبًا رَأْسَهُ وَهُوَ يُكْذِبُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ ٦: ﴿يَسْأَلُ أَيَّانَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ؟﴾ وَسْؤَالُهُ اسْتِعْجَادٌ لَوْقِعِ الْقِيَامَةِ ٧: ﴿إِذَا بَرِقَ الْبَصْرُ﴾ مِنْ شِدَّةِ أَهْوَالِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ ٨: ﴿وَخَسَفَ الْقَمَرُ﴾ ذَهَبَ صَوْرُهُ ٩: ﴿وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ﴾ كُوْرًا ١٠: ﴿يَقُولُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ الْمَفْرُغُ؟﴾ أَيْنَ الْمَلْجَأِ؟ إِذَا عَايَنَ أَهْوَالِ الْقِيَامَةِ ١١: ﴿كَلَّا﴾ لِانْحَاةٍ ﴿لَا وَزَرَ﴾ لِامْلَاجِ مِنَ النَّارِ ١٢: ﴿إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ﴾ الْمَرْجِعُ وَالْمَصِيرُ، ثُمَّ قَالَ تَعَالَى: ١٣: ﴿يَتَّبِعُوا الْإِنْسَانَ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ﴾ يُخَبِّرُ أَعْمَالَهُ قَدِيمًا وَحَدِيثًا وَصَغِيرًا وَكَبِيرًا ١٤: ﴿بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ﴾ شَهِدَ عَلَى نَفْسِهِ عَامٌ بِمَافَعَلَهُ: ١٥: ﴿لَوْ أَلْقَى مَعَاذِرَهُ﴾ لَوْ اعْتَذَرَ وَأَنْكَرَ ١٦: ﴿لَأَحْرَبَ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ﴾ بِالْقُرْآنِ [بَعْدَ إِجَاءِ إِلَيْكَ] كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ﴾ ١٧: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ﴾ فِي صَدْرِكَ ﴿وَقُرْآنَهُ﴾ أَنْ تَقْرَأَهُ ١٨: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَهُ﴾ تَلَاهُ عَلَيْكَ الْمَلَكُ عَنْ اللَّهِ تَعَالَى ﴿فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ﴾ قِرَاءَتَهُ كَمَا أَقْرَأَكَ ١٩: ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ﴾ بَعْدَ حِفْظِهِ نَبِيَّتَهُ لَكَ وَتَلْهَمَكَ مَعَانَهُ.

٢٠: ﴿كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ﴾ ٢١:

﴿وتذرون الآخرة﴾ إنما يحملهم على التكذيب بيوم القيامة ومخالفة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إنما همتهم إلى الدنيا العاجلة، وهم لأهون متشاغلون عن الآخرة، ثم قال تعالى: ٢٢: ﴿ووجوه يومئذ ناضرة﴾ حسنة بجهة مشرقة مسرورة ٢٣: ﴿إلى ربها ناضرة﴾ تراه عياناً، كما رواه البخاري في صحيحه: ﴿إنكم سترون ربكم عياناً﴾ ٢٤: ﴿ووجوه يومئذ باسرة﴾ وجوه الكفار يوم القيامة كالحة ٢٥: ﴿تظن أن يفعل بها فاقرة﴾ تستيقن أن يفعل بها داهية لأنها ستدخل النار ٢٦: ﴿كلا إذا بلغت التراقي﴾ حالة الاحتضار وبلغت الروح ما بين ثغرة النحر والعاتق ٢٧: ﴿وقيل من راق﴾؟ من طبيب شاف ٢٨: ﴿وطن أنه الفراق﴾ أي: فراق الدنيا ٢٩: ﴿والنفت الساق بالسيق﴾ آخر يوم من الدنيا وأول يوم من الآخرة، فلتفتي الشدة بالشدّة إلا من رحمه الله ٣٠: ﴿إلى ربك يومئذ المساق﴾ المرجع والمآب ٣١: ﴿فلاصدق ولاصلى﴾ الكافر الذي كان في الدنيا مكذباً للحق ٣٢: ﴿ثم ذهب إلى أهله يتمطى﴾ جذلاًناً أشرأ بطراً كسلاناً لاهمة له ولاعمل، يتخال ويتبختر ٣٤: ﴿أولى لك فأولى﴾ هذا تهديد ووعد من الله تعالى للكافر به المتبختر في مشيه ٣٦: ﴿أيحسب الإنسان أن يترك سدى﴾؟ يعني

سورة

كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ ﴿٢٠﴾ وَتَذَرُونَ الْآخِرَةَ ﴿٢١﴾ وَوَجْوهُ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَى رَبِّهَا نَاضِرَةٌ ﴿٢٣﴾ وَوَجْوهُ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ ﴿٢٤﴾ تَظُنُّ أَنْ يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ ﴿٢٥﴾ كَلَّا إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ ﴿٢٦﴾ وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ ﴿٢٧﴾ وَطَنَّ أَنَّهُ الْفِرَاقُ ﴿٢٨﴾ وَالنَّفْتِ السَّاقِ بِالسَّاقِ ﴿٢٩﴾ إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ ﴿٣٠﴾ فَلَا صَدَقَ وَلَا صَلَّى ﴿٣١﴾ وَلَكِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى ﴿٣٢﴾ ثُمَّ ذَهَبَ إِلَى أَهْلِهِ يَتَمَطَّى ﴿٣٣﴾ أَوْلَى لَكَ فَأَوْلَى ﴿٣٤﴾ ثُمَّ أَوْلَى لَكَ فَأَوْلَى ﴿٣٥﴾ أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى ﴿٣٦﴾ أَلَمْ يَكُنْ نُطْفَةً مِنْ مَنِيٍّ يُُمْتَى ﴿٣٧﴾ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّى ﴿٣٨﴾ فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى ﴿٣٩﴾ أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَدِرٍ عَلَيَّ أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى ﴿٤٠﴾

سُورَةُ الْاِنْسَانِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَّذْكُورًا ﴿١﴾ إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴿٢﴾ إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴿٣﴾ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَلَاسِلًا وَأَغْلَالًا وَسَعِيرًا ﴿٤﴾ إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ﴿٥﴾

٥٧٨

لايعت، ولا يؤمر ولا ينهى! ٣٧: ﴿ألم يك نطفة من مني يمتهى؟﴾ أما كان الإنسان نطفة من ماء مهين ٣٨: ﴿ثم كان علقة﴾ في رحم أمه ﴿فخلق فسوى﴾ فصار خلقاً آخر ٣٩: ﴿فجعل منه الزوجين الذكر والأنثى﴾ ٤٠: ﴿أليس ذلك﴾ هذا الذي أنشأ هذا الخلق ﴿بقادر على أن يحيي الموتى﴾ [اللهم بلى] ﴿وهو أهون عليه﴾.

تفسير سورة الإنسان

١: ﴿هل أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئاً مذكوراً﴾؟ يخبر تعالى عن الإنسان أنه أوجدته بعد أن لم يكن شيئاً يذكر، ثم بين ذلك فقال جل جلاله: ٢: ﴿إنا خلقنا الإنسان من نطفة أمشاج﴾ أخلاط، من ماء الرجل وماء المرأة، ثم ينتقل من طور إلى طور، وحال إلى حال [إلى أن يصبح إنساناً] ﴿نبتليه﴾ نخبه ﴿فجعلناه سمعاً بصيراً﴾ جعلنا له سمعاً وبصراً يتمكن بهما من الطاعة والمعصية ٣: ﴿إنا هدنا السبيل﴾ بيناه ووضحناه وبصرتنا به ﴿إما شاكراً﴾ سعيداً ﴿وإما كافوراً﴾ شقيماً ٤: ﴿إنا أعتدنا للكافرين سلاسل وأغلالاً وسعيراً﴾ في نار جهنم، كما قال تعالى: ﴿إذ الأغلال في أعناقهم والسلاسل يُسحبون﴾ في الحجيم ثم في النار يُسحبون، ولما ذكر تعالى ما أعدّه لهؤلاء الأشقياء من السعير قال بعده: ٥: ﴿إن الأبرار يشربون من كأس كان مزاجها كافوراً﴾ مما فيه من التبريد والرائحة الطيبة مع ما يضاف إلى ذلك من اللذات في الجنة .

٦: ﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا﴾ هذا الذي مزج لهؤلاء الأبرار من الكافور هو عين يشرب بها المقرَّبون من عباد الله ﴿يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا﴾ يصرفون فيها حيث شاؤوا وأين شاؤوا من قصورهم ومجالسهم، والتفجير: الإنباع ٧: ﴿يُوفُونَ بِالْقُدْرَةِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا﴾ يتعبَّدون الله فيما أوجبه عليهم من فعل الطاعات، ويتركون المحرَّمات التي نهاهم عنها خيفة من سوء الحساب يوم المعاد الذي شرُّه مُسْتَطِيرٌ؛ أي عام على الناس إلا من رحم الله ٨: ﴿وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ﴾ على حُبِّ الله تعالى ﴿مَسْكِينًا وَبَنِيًا وَأَسِيرًا﴾ ٩: ﴿إِنَّمَا نَطْعَمُكُمْ لُوحَةَ اللَّهِ﴾ رجاء ثواب الله ورضاه ﴿لَا نُزِيدُكُمْ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكْرًا﴾ لا نطلب منكم مجازةً تُكافئونها بها، ولا تشكروننا عند التماس ١٠: ﴿إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطِيرًا﴾ إِنَّمَا نَفْعَلُ هَذَا لَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يَرْحَمَنَا ويتلقتنا بلطفه في اليوم العبوس القمطير ١١: ﴿فَوَقَّاهُمْ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا﴾ آمَنهم بما خافوا منه، ولقاهم نضرة في وجوههم وسُروراً في قلوبهم ١٢: ﴿وَجَزَاهُمْ بِمَا صَبَرُوا﴾ بسبب صبرهم أعطاهم ونوَّهم ﴿جَنَّةً وَحَرِيرًا﴾؛ أي منزلاً رُحْباً وعيشاً رُغيداً؛ بما صبروا على ترك الشهوات ١٣: ﴿مُتَّكِنِينَ فِيهَا﴾ في الجنة ﴿عَلَى الْأَرَائِكِ﴾ على السُرر تحت الحجال ﴿لَا يَرُونَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا﴾ ليس عندهم حرٌّ مزعج ولا بردٌ مؤلم ١٤:

عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ﴿٦﴾ يُوفُونَ بِالْقُدْرَةِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا ﴿٧﴾ وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مَسْكِينًا وَبَنِيًا وَأَسِيرًا ﴿٨﴾ إِنَّمَا نَطْعَمُكُمْ لُوحَةَ اللَّهِ لَا نُزِيدُكُمْ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكْرًا ﴿٩﴾ إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطِيرًا ﴿١٠﴾ فَوَقَّاهُمْ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا ﴿١١﴾ وَجَزَاهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا ﴿١٢﴾ مُتَّكِنِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ لَا يَرُونَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا ﴿١٣﴾ وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلُّهَا وَذُلَّتْ قُطُوفُهَا نَذِيلًا ﴿١٤﴾ وَيُطَافُ عَلَيْهِمْ ثَانِيَةً مِّنْ فَضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرًا ﴿١٥﴾ قَوَارِيرًا مِّنْ فَضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا ﴿١٦﴾ وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنْجَبِيلًا ﴿١٧﴾ عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّى سَلْسَبِيلًا ﴿١٨﴾ وَيُطَافُ عَلَيْهِمْ وَلَدَانَ مُخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثورًا ﴿١٩﴾ وَإِذَا رَأَيْتَ شَمْرًا يَتَخَلَّى إِلَيْكُ فَهُوَ كَأْسٌ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجَبُ مِنْ أَجْلِ حَمِيمِهِمْ شَرَابًا طَهُورًا ﴿٢١﴾ إِنَّ هَذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً وَكَانَ سَعْيَكُمْ مَشْكُورًا ﴿٢٢﴾ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنْزِيلًا ﴿٢٣﴾ فَأَصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَطِعْ مَنَّهُمْ أَثْمًا أَوْ كُفُورًا ﴿٢٤﴾ وَأَذْكُرْ اسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٢٥﴾

﴿وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلُّهَا﴾ قريبة إليهم أغصانها متى تعاطاه دنا القطف إليه وتدلى ١٥: ﴿وَيُطَافُ عَلَيْهِمْ ثَانِيَةً مِّنْ فَضَّةٍ وَأَكْوَابٍ﴾ يطوف عليهم الخدم بأواني الطعام وهي من فضة وأكواب الشراب ﴿كَانَتْ قَوَارِيرًا﴾ ١٦: ﴿قَوَارِيرًا مِّنْ فَضَّةٍ﴾ لها بياض الفضة في صفاء الزجاج وهذا مما لا نظير له في الدنيا ﴿قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا﴾ على قدر ربيهم لا تزيد ولا تنقص ١٧: ﴿وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنْجَبِيلًا﴾ ويسقون الأبرار في هذه الأكواب ﴿كَأْسًا﴾ خمرًا ﴿كَانَ مِزَاجُهَا﴾ ترمج بالكافور وهو باردٌ وتارة بالزنجبيل وهو حارٌّ؛ ليعتدل الأمر، ﴿كَافُورًا﴾ [الكافور في بياضه وطيب رائحته وبرده] ١٨: ﴿عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّى سَلْسَبِيلًا﴾ سميت بذلك لسلامة سيلها وحده جزيها ١٩: ﴿وَيُطَافُ عَلَيْهِمْ وَلَدَانَ مُخَلَّدُونَ﴾ على حالة واحدة لا يتغيرون ﴿إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثورًا﴾ إذا انتشروا في قضاء حوائج السادة بكثرتهم وصباطة وجوههم وحسن ألوانهم كاللؤلؤ المنثور ٢٠: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجَبُ مِنْ أَجْلِ حَمِيمِهِمْ شَرَابًا طَهُورًا﴾ ٢١: ﴿عَالِيَهُمْ ثِيَابٌ سُنْدُسٌ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ﴾ لباس أهل الجنة فيها الحرير ومنه سندس، وهو رفيع الحرير القمصان تمللي البدن، والإسْتَبْرَقُ منه مافيه بريق وهو تمللي الظاهر، ﴿وَوُحِّلُوا أُسُورًا مِّنْ فَضَّةٍ﴾ وهم الأبرار ﴿وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا﴾ طَهَّرَ بواطنهم من سائر الأخلاق الرديئة ٢٢: ﴿إِنَّ هَذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً وَكَانَ سَعْيَكُمْ مَشْكُورًا﴾ يقال لهم: ذلك تكريمًا وإحسانًا ٢٣: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنْزِيلًا﴾ هذا امتنان منه سبحانه على رسوله بما أنزل عليه من القرآن ٢٤: ﴿فَأَصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ﴾ لقضائه وقدره ﴿وَلَا تَطِعْ مِنْهُمْ أَثْمًا أَوْ كُفُورًا﴾ إذا أرادوا صدَّ ما أنزل إليك ٢٥: ﴿وَأَذْكُرْ اسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ أول النهار وآخره.

٢٦: ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا﴾ كقوله تعالى: ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ مَمْدُودًا﴾ ٢٧: ﴿إِنَّ هَؤُلَاءِ يُجِبُونَ الْعَاجِلَةَ﴾ [هذا تقريع وتوبيخ، والعاجلة: الدنيا] ﴿وَيَذَرُونَ وِرَاءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا﴾ ٢٨: ﴿إِن هَذِهِ تَذَكُّرَةٌ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذْ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا﴾ ٢٩: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ ٣٠: ﴿يُدْخِلْ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ ٣١: ﴿ثُمَّ قَالَ تَعَالَىٰ: ٢٩: ﴿إِنَّ هَذِهِ تَذَكُّرَةٌ﴾ يعني هذه السورة تذكرة ﴿فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذْ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا﴾ طريقاً ومسلكاً؛ أي: مَنْ شَاءَ اهتدى بالقرآن ٣٠: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾ لا يقدر أحد أن يهدي نفسه ولا يدخل في الإيمان ﴿إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا ﴿بِمَنْ يَسْتَحِقُّ الْهَادِيَةَ فَيُسِّرْهَا لَهُ، وَمَنْ يَسْتَحِقُّ الْغَوَايَةَ فَيَصْرِفْهُ عَنِ الْهُدَىٰ، وَهُوَ الْحَكِيمُ الْبَالِغُ، حَكِيمًا﴾ [فيما قَدَّرَ وَشَرَعَ] ٣١: ﴿يُدْخِلْ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ يهدي مَنْ يَشَاءُ وَيُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ، فَمَنْ يَهْدِهِ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضِلُّ فَلَا هَادِيَ لَهُ.

تفسير سورة المرسلات

١: ﴿وَالْمُرْسَلَاتُ غُرَفًا﴾ الملائكة إذا أرسلت يتبع بعضها بعضاً، أو هي الرياح إذا هبت شيئاً فشيئاً ٢: ﴿فَالعَاصِفَاتُ عَصْفًا﴾ الرياح إذا هبت بتصويت ٣: ﴿وَالنَّاسِرَاتُ نَشْرًا﴾ أيضاً الرياح التي تنشر السحاب في آفاق السماء كيف يشاء الربُّ عز وجل ٤: ﴿فَالفَارِقَاتُ فَرَقًا﴾ ٥: ﴿فَالْمَلَقَاتُ ذِكْرًا﴾ ٦: ﴿عُذْرًا أَوْ نَذْرًا﴾ يعني الملائكة، فإنها تنزل بأمر الله على الرسل تفرق بين الحق والباطل والهدى والضلال، وتلقي إلى الرسل وخياً فيه إعدار إلى الخلق، وإنذارهم عقاب الله إن خالفوا أمره ٧: ﴿إِنَّمَا تُوَعَّدُونَ لَوَاقِعَ﴾ هذا هو المقسم عليه بهذه الأقسام؛ أي: ما وعدتم به من قيام الساعة والنفخ في الصور وبعث الأجساد، ومجازاة كل عامل بعمله إن خيراً فخير وإن شراً فشر، إن هذا كله لواقع، أي: لكائن لاحتماله. ثم قال تعالى: ٨: ﴿فَإِذَا التَّجُومُ طُمِسَتْ﴾ ذهب صَوْرُهَا ٩: ﴿وَإِذَا السَّمَاءُ فُرِجَتْ﴾ وانفطرت وانشقت وتدلَّت أرجاؤها وَوَهَّت أطرافها ١٠: ﴿وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّفَتْ﴾ ذهب بها فلا يبقى لها عين ولا أثر ١١: ﴿وَإِذَا الرُّسُلُ أُقْنِتْ﴾ جُمِعَتْ [لوقتها يوم القيامة] ١٢: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا يَوْمَ يُجْمَعُ النَّاسُ﴾؟ لآي يَوْمَ أُجْمِلَتْ؟ لآي يَوْمَ أُجْمِلَتْ الرُّسُلُ وَأُرْجِيءَ أَمْرُهَا حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ؟ ١٣: ﴿لِيَوْمِ الْفَصْلِ﴾ ثم قال تعالى معظماً لشأنه: ١٤: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمَ الْفَصْلِ﴾؟ ١٥: ﴿وَيَلْ يَوْمَ يُؤْمَدُ لِلْمَكْدِينِ﴾ ويل لهم من عذاب الله غداً ١٦: ﴿أَلَمْ نَهْلِكِ الْأَوَّلِينَ﴾ يعني من المكذبين للرسول ١٧: ﴿ثُمَّ تَبْعَهُمُ الْآخِرِينَ﴾ ثَمَّنْ أَشْبَهُهُمْ، وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى: ١٨: ﴿كَذَلِكَ نَفْعُ الْبَاطِلِ مِنَ الْحَقِّ﴾ كما فعلنا بمن تقدم من الأمم الماضية الذين كذبوا المرسلين، فنعل بمشركي قريش، إمَّا بالسيف، وإمَّا بالهلاك [١٩: ﴿وَيَلْ يَوْمَ يُؤْمَدُ لِلْمَكْدِينِ﴾

وَمِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا ﴿٦٦﴾ إِنَّ هَؤُلَاءِ يُجِبُونَ الْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وِرَاءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا ﴿٢٧﴾ مَخْنُ خَلَقْتَهُمْ وَشَدَدْنَا أَسْرَهُمْ وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَا أَمْثَلَهُمْ تَبْدِيلًا ﴿٢٨﴾ إِنَّ هَذِهِ تَذَكُّرَةٌ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذْ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا ﴿٢٩﴾ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٣٠﴾ يُدْخِلْ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٣١﴾

سُورَةُ الْمُرْسَلَاتِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالْمُرْسَلَاتُ غُرَفًا ﴿١﴾ فَالْعَاصِفَاتُ عَصْفًا ﴿٢﴾ وَالنَّاسِرَاتُ نَشْرًا ﴿٣﴾ فَالْفَارِقَاتُ فَرَقًا ﴿٤﴾ فَالْمَلَقَاتُ ذِكْرًا ﴿٥﴾ عُذْرًا أَوْ نَذْرًا ﴿٦﴾ إِنَّمَا تُوَعَّدُونَ لَوَاقِعَ ﴿٧﴾ فَإِذَا التَّجُومُ طُمِسَتْ ﴿٨﴾ وَإِذَا السَّمَاءُ فُرِجَتْ ﴿٩﴾ وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّفَتْ ﴿١٠﴾ وَإِذَا الرُّسُلُ أُقْنِتْ ﴿١١﴾ لآي يَوْمَ أُجْمِلَتْ ﴿١٢﴾ لِيَوْمِ الْفَصْلِ ﴿١٣﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمَ الْفَصْلِ ﴿١٤﴾ وَيَلْ يَوْمَ يُؤْمَدُ لِلْمَكْدِينِ ﴿١٥﴾ أَلَمْ نَهْلِكِ الْأَوَّلِينَ ﴿١٦﴾ ثَمَّنْ تَبْعَهُمُ الْآخِرِينَ ﴿١٧﴾ كَذَلِكَ نَفْعُ الْبَاطِلِ مِنَ الْحَقِّ ﴿١٨﴾ وَيَلْ يَوْمَ يُؤْمَدُ لِلْمَكْدِينِ ﴿١٩﴾

سورة المرسلات: روى البخاري عن عبد الله بن مسعود قال: «بينما نحن مع رسول الله ﷺ في غار بمنى إذ نزلت عليه ﴿والمُرسلات﴾ فإنه ليلتها، وإنى أنلقاها من فيه، وإن فاة لربط بها» الحديث ورواه مسلم. وروى أحمد عن ابن عباس عن أمه أنها سمعت رسول الله ﷺ يقرأ في المغرب ﴿والمُرسلات غُرَفًا﴾. /ابن كثير ج ٤/٤٥٨/.

٢٠: ﴿أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ؟﴾ ضعیف
 حقیر ٢١: ﴿فَجَعَلْنَاهُ فِي قَرَارٍ مَكِينٍ﴾ وهو
 الرحم المعد لذلك ٢٢: ﴿إِلَى قَدَرٍ مَعْلُومٍ﴾
 مدة معينة [أقصاها] تسعة أشهر ٢٣:
 ﴿فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ الْقَادِرُونَ﴾ [من كونه نظفة
 إلى ولادته] ٢٤: ﴿وَيَلِّقُ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾
 ٢٥: ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفَاتًا؟﴾ بطنها
 لأمواتكم وظهرها لأحيائكم ٢٦: ﴿أَحْيَاءُ
 وَأَمْوَاتًا؟﴾ ٢٧: ﴿وَجَعَلْنَا فِيهَا رِوَاسِي
 شَامِخَاتٍ﴾ يعني الجبال رسي بها الأرض لئلا
 تبتد وتضطرب ٢٨: ﴿وَيَلِّقُ يَوْمَئِذٍ
 لِلْمُكَذِّبِينَ﴾ ٢٩: ﴿انظِلُّوا إِلَى مَا كُتِبَ
 بِه تَكْذِبُونَ﴾ يعني النار ٣٠: ﴿انظِلُّوا إِلَى ظِلِّ
 ذِي ثَلَاثِ شُعَبٍ﴾ لِقْوَةَ هَبِ النَّارِ أَنْ لَهُ
 ثَلَاثُ شُعَبٍ ٣١: ﴿لَا ظَلِيلَ وَلَا يُغِي
 اللَّهْبُ﴾ ظل الدخان المقابل للهيب للظليل
 هو في نفسه ولا يغني من حرِّ اللهيب ٣٢:
 ﴿إِنهَا تَرْمِي بِشَرِّ كَالْقَصْرِ﴾ يتطاير الشرر
 لهما كالقصر والحصن ٣٣: ﴿كَأَنَّهُ
 جَمَالَاتٌ صُفْرٌ﴾ يعني حبال السفن تجمع
 حتى تكون كأوساط الرجال ٣٤: ﴿وَيَلِّقُ
 يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾ ٣٥: ﴿هَذَا يَوْمٌ
 لَا يَنْطِقُونَ﴾ لا يتكلمون ٣٦: ﴿وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ
 فَيَعْتَدُونَ﴾ لأنه قد قامت عليهم الحجة بما
 ظلموا فهم لا ينطقون ٣٧: ﴿وَيَلِّقُ يَوْمَئِذٍ
 لِلْمُكَذِّبِينَ﴾ ٣٨: ﴿هَذَا يَوْمٌ الْفَضْلِ
 جَعْنًا وَالْأُولِينَ﴾ ٣٩: ﴿فَإِنْ كَانَ لَكُمْ
 كَيْدٌ فِكِيدُونَ﴾ هذه مخاطبة من الخالق تعالى
 لعباده؛ يعني أنه جمعهم بقدرته في صعيد

أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ ﴿٢٠﴾ فَجَعَلْنَاهُ فِي قَرَارٍ مَكِينٍ ﴿٢١﴾ إِلَى قَدَرٍ
 مَعْلُومٍ ﴿٢٢﴾ فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ الْقَادِرُونَ ﴿٢٣﴾ وَيَلِّقُ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿٢٤﴾
 أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفَاتًا ﴿٢٥﴾ أَحْيَاءَ وَأَمْوَاتًا ﴿٢٦﴾ وَجَعَلْنَا فِيهَا رِوَاسِي
 شَامِخَاتٍ وَأَسْقَيْنَاكُمْ مَاءً فُرَاتًا ﴿٢٧﴾ وَيَلِّقُ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿٢٨﴾
 انظِلُّوا إِلَى مَا كُتِبَ بِهِ تَكْذِبُونَ ﴿٢٩﴾ انظِلُّوا إِلَى ظِلِّ ذِي ثَلَاثِ
 شُعَبٍ ﴿٣٠﴾ لَا ظَلِيلَ وَلَا يُغِي مِنَ اللَّهْبِ ﴿٣١﴾ إِنهَا تَرْمِي بِشَرِّ
 كَالْقَصْرِ ﴿٣٢﴾ كَأَنَّهُ جَمَالَاتٌ صُفْرٌ ﴿٣٣﴾ وَيَلِّقُ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٤﴾
 هَذَا يَوْمٌ لَا يَنْطِقُونَ ﴿٣٥﴾ وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَدُونَ ﴿٣٦﴾ وَيَلِّقُ يَوْمَئِذٍ
 لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٧﴾ هَذَا يَوْمٌ الْفَضْلِ جَعْنًا وَالْأُولِينَ ﴿٣٨﴾ فَإِنْ كَانَ
 لَكُمْ كَيْدٌ فِكِيدُونَ ﴿٣٩﴾ وَيَلِّقُ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٠﴾ إِنَّ الْمُنْفِقِينَ فِي
 ظِلَالٍ وَعِيُونَ ﴿٤١﴾ وَفَوَاكِهِ مِمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٤٢﴾ كُلُّوْا وَأَشْرِبُوا هَيْئًا
 بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾ إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿٤٤﴾ وَيَلِّقُ يَوْمَئِذٍ
 لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٥﴾ كُلُّوْا وَتَمَتَّعُوا قَلِيلًا إِنَّكُمْ مُجْرِمُونَ ﴿٤٦﴾ وَيَلِّقُ يَوْمَئِذٍ
 لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ارْكَعُوا لَا تِرْكَعُوكَ ﴿٤٨﴾ وَيَلِّقُ
 يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٩﴾ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٠﴾

واحدٍ يُسْمِعُهُم الدَّاعِيَ، وَيَنْفَذُهُمُ الْبَصْرَ، وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَإِنْ كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ فِكِيدُونَ﴾ تَهْدِيدٌ شَدِيدٌ وَوَعِيدٌ أَكِيدٌ؛ أَي: إِنْ قَدَرْتُمْ عَلَى أَنْ
 تَتَخَلَّصُوا مِنْ قَبْضَتِي وَتَنْجُوا مِنْ حُكْمِي فَافْعَلُوا؟ فَإِنَّكُمْ لَا تَقْدِرُونَ عَلَى ذَلِكَ ٤٠: ﴿وَيَلِّقُ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾ ٤١: ﴿إِنَّ الْمُنْفِقِينَ فِي ظِلَالٍ
 وَعِيُونَ﴾ وَهِيَ الَّذِينَ عَابَدُوا اللَّهَ بِأَدَاءِ الْوَاجِبَاتِ وَتَرَكَ الْحَرَمَاتِ ٤٢: ﴿وَفَوَاكِهِ نَمَا يَشْتَهُونَ﴾ وَمِنْ سَائِرِ أَنْوَاعِ الْبَخَارِ مَهْمَا ظَلَبُوا وَجَدُوا ٤٣:
 ﴿كُلُّوْا وَأَشْرِبُوا هَيْئًا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ يُقَالُ لَهُمْ ذَلِكَ عَلَى سَبِيلِ الْإِحْسَانِ إِلَيْهِمْ، ثُمَّ قَالَ تَعَالَى مَخْبِرًا خَيْرًا مُسْتَأْنَفًا: ٤٤: ﴿إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي
 الْمُحْسِنِينَ﴾ هَذَا جَزَاءُ مَنْ أَحْسَنَ الْعَمَلَ ٤٥: ﴿وَيَلِّقُ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾ ٤٦: ﴿كُلُّوْا وَتَمَتَّعُوا قَلِيلًا إِنَّكُمْ مُجْرِمُونَ﴾ هَذَا خَطَابٌ لِلْمُكَذِّبِينَ
 يَوْمَ الدِّينِ، وَأَمْرُهُمْ أَمْرٌ تَهْدِيدِيٌّ وَوَعِيدِيٌّ: ﴿كُلُّوْا وَتَمَتَّعُوا قَلِيلًا﴾ مُدَّةٌ قَلِيلَةٌ قَصِيرَةٌ ﴿إِنَّكُمْ مُجْرِمُونَ﴾ ثُمَّ تَسْأَلُونَ إِلَى نَارِ جَهَنَّمَ ٤٧: ﴿وَيَلِّقُ يَوْمَئِذٍ
 لِلْمُكَذِّبِينَ﴾، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿نَمَتَّعْتَهُمْ قَلِيلًا ثُمَّ نَضَّضْتَهُمْ إِلَى عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾ ٤٨: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ارْكَعُوا لَا يَرْكَعُونَ﴾ إِذَا أَمَرَ هُوَ لِأَجْلِ الْهَيْئَةِ مِنْ
 الْكُفَّارِ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُسْلِمِينَ امْتَعُوا مِنْ ذَلِكَ وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهُ، وَهَذَا قَالَ تَعَالَى: ٤٩: ﴿وَيَلِّقُ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾ ثُمَّ قَالَ تَعَالَى: ٥٠: ﴿فَبِأَيِّ
 حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ؟﴾ إِذَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْقُرْآنِ فَبِأَيِّ كَلَامٍ يُؤْمِنُونَ بِهِ؟! كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ اللَّهِ وَآيَاتِهِ يُؤْمِنُونَ؟﴾!

الآية: ٢٩-٣٣ روى البخاري ومسلم في صحيحهما عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «ناركم هذه التي توقدون؛ جزء من سبعين جزءاً من نار جهنم» قالوا: والله إن كانت
 لكافية يارسول الله؟! قال: «إنها فُضِّلَتْ عليها بتسعة وستين جزءاً، كلها مثل حرها».
 وروى الترمذي عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «إن الحميم ليُصب على رؤوسهم [رؤوس الكفار في الجحيم] فينفذ حتى يخلص إلى جوفه، فيسَلَّتْ ماني جوفه حتى يبرق من
 قديمه؛ وهو الصَّهْرُ، ثم يُعاد كما كان» وإسناده حسن. /جامع الأصول ج ١٠/٥١٢١٠ و ٤٠٠/.

تفسير سورة النبأ

١: ﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ﴾؟ عن أي شيء يتساءل الكفار من أمر القيامة؟ وهو النبأ العظيم ٢: ﴿عن النبأ العظيم﴾ يعني الخبر الهائل المفضع الباهر ٣: ﴿الذي هم فيه مختلفون﴾ من الناس مؤمن به وكافر، ثم قال تعالى متوعداً لمنكري القيامة: ٤: ﴿كَلَّا سَيَعْلَمُونَ﴾ ٥: ﴿ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ﴾ وهذا تهديد شديد ووعداً أكيد، ثم شرع تبارك وتعالى يبين قدرته العظيمة على خلق الأنبياء الغربية الدالة على قدرته فقال: ٦: ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا﴾؟ مهَّدة للخلائق، ذلولاً لهم قارة ساكنة ثابتة ٧: ﴿وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا﴾ جعلها لها أوتاداً أرساها بها وثبها وفرزها حتى سكنت ولم تضطرب بمن عليها ٨: ﴿وَجَعَلْنَاكُمْ أَزْوَاجًا﴾ يعني ذكراً وأنثى يتمتع كل منهما بالآخر ويحصل التناسل بذلك ٩: ﴿وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا﴾ قطعاً للحركة لتحصل الراحة من كثرة التردد والسعي في المعاش في عرض النهار ١٠: ﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِيَاسًا﴾ يغشى الناس ظلامه وسواده ١١: ﴿وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا﴾ جعلناه مشرقاً نيراً مضيئاً ليتمكن الناس من التصرف فيه ١٢: ﴿وَبَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا﴾ يعني السموات السبع في اتساعها وارتفاعها وإحكامها ١٣: ﴿وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَاجًا﴾ يعني الشمس المنيرة لأهل الأرض كلهم ١٤: ﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَاجًا﴾ من السحاب، ماءً ثجاجاً: متتابعاً كثيراً ١٥: ﴿لِنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا وَنَبَاتًا﴾

سُورَةُ النَّبَاِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ ﴿١﴾ عَنِ النَّبَاِ الْعَظِيمِ ﴿٢﴾ الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ ﴿٣﴾ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ﴿٤﴾ ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ﴿٥﴾ أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهْدًا ﴿٦﴾ وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا ﴿٧﴾ وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا ﴿٨﴾ وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا ﴿٩﴾ وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِيَاسًا ﴿١٠﴾ وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا ﴿١١﴾ وَبَيْنَنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا ﴿١٢﴾ وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَاجًا ﴿١٣﴾ وَأَنْزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَاجًا ﴿١٤﴾ لِنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا وَنَبَاتًا ﴿١٥﴾ وَجَعَلْنَا أَلْفَافًا ﴿١٦﴾ إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ كَانَ مِيقَتًا ﴿١٧﴾ يَوْمَ يُفْخِجُ فِي الصُّورِ فَيَأْتُونَ أَفْوَاجًا ﴿١٨﴾ وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ أَبْوَابًا ﴿١٩﴾ وَسُيِّرَتِ الْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا ﴿٢٠﴾ إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ﴿٢١﴾ لِلطَّغْيِينِ مَكَابًا ﴿٢٢﴾ لَيْسِينَ فِيهَا أَحْقَابًا ﴿٢٣﴾ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا ﴿٢٤﴾ إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا ﴿٢٥﴾ جَزَاءً وَفَاقًا ﴿٢٦﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ حِسَابًا ﴿٢٧﴾ وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذَابًا ﴿٢٨﴾ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ كِتَابًا ﴿٢٩﴾ فَذُوقُوا فَلَئِنْ تَزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا ﴿٣٠﴾

للأناسي والأنعام ١٦: ﴿وَجَنَاتٍ﴾ بساتين وحدائق من ثمرات متنوعة ﴿أَلْفَافًا﴾ مجتمعة في بقعة واحدة من الأرض ١٧: ﴿إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ﴾ وهو يوم القيامة ﴿كَانَ مِيقَاتًا﴾ مؤقت بأجل معدود لايزاد عليه ولا ينقص منه، ولا يعلم وقته إلا الله عز وجل ١٨: ﴿يَوْمَ يُفْخِجُ فِي الصُّورِ فَيَأْتُونَ أَفْوَاجًا﴾ زمرًا زمرًا، تأتي كل أمة مع رسولها ١٩: ﴿وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ أَبْوَابًا﴾ طُرقاً ومسالك لنزول الملائكة ٢٠: ﴿وَسُيِّرَتِ الْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا﴾ يُخِيلُ إِلَى النَّاطِرِ أَنَّهَا شَيْءٌ وَلَيْسَتْ بِشَيْءٍ، وبعد هذا تذهب بالكلية فلاعين ولأثر لها ٢١: ﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا﴾ مرصدة معدة ٢٢: ﴿لِلطَّغْيِينِ﴾ وهم المردة والعصاة المخالفون للرسول ﴿مَأْبَأً﴾ مرجعاً ومُنْقَلِبًا ٢٣: ﴿لَيْسِينَ فِيهَا أَحْقَابًا﴾ ماكينين أحقاباً، والحقب: بضع وثمانون سنة. كل يوم كلف سنة ٢٤: ﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا﴾ [البرد: النوم، والشراب: الماء] ٢٥: ﴿إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا﴾ الحميم: الحار الذي انتهى حره وحموه، والغساق: صديد أهل النار ٢٦: ﴿جَزَاءً وَفَاقًا﴾ وفق أعمالهم الفاسدة التي كانوا يعملونها في الدنيا ٢٧: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ حِسَابًا﴾ لم يكونوا يعتقدون أن ثم داراً يُجازون فيها ويُحاسبون ٢٨: ﴿وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذَابًا﴾ وكانوا يكذبون بحجج الله تكديباً ٢٩: ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ كِتَابًا﴾ أعمال العباد كلهم ٣٠: ﴿فَذُوقُوا فَلَئِنْ تَزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا﴾ يقال لأهل النار: ذُوقُوا ما أنتم فيه، فلن تزيدكم إلا عذاباً من جنسه، وآخر من شكله أزواج.

الآية: ٢١-٢٥ روى مسلم عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله ﷺ قال: «إِنَّ أَدْنَى أَهْلِ النَّارِ عَذَابًا، يَتَعَلَّقُ بِعَيْنَيْنِ مِنْ نَارٍ يُغْلِي مِنْهَا دِمَاغَهُ مِنْ حَرَارَةِ نَعْلِيهِ». وفي الصحيحين: «إِنَّ أَهْلَ النَّارِ عَذَابًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ لِرَجُلٍ يُوضَعُ فِي أَحْمَصِ قَدَمَيْهِ جَهْرَتَانِ؛ يُغْلِي مِنْهُمَا دِمَاغَهُ». /جامع الأصول ج ١٠/ ٥٣٨/.

٣١: ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا﴾ فازوا فنجوا من النار ٣٢: ﴿حَدَائِقَ وَأَعْنَابًا﴾ بساتين من النخيل والأعناب ٣٣: ﴿وَكُوَاعِبَ أْتْرَابًا﴾ حوراً كواعب، نواهد أبقاراً ٣٤: ﴿وَكُؤَاسًا دِهَاقًا﴾ مملوءة متتابعة، صافية ٣٥: ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِدَابًا﴾ ليس فيها كلام لا غر عار عن الفائدة ولا إثم كذب، بل هي دار السلام، وكل ما فيها سالم من النقص ٣٦: ﴿جَزَاءً مِّن رَّبِّكَ عَطَاءٌ حِسَابًا﴾ جازاهم الله بهذا فضله وإحسانه ٣٧: ﴿رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الرَّحْمَنُ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا﴾ الرحمن الذي شملت رحمته كل شيء، لا يقدر أحد على ابتداء مخاطبته إلا بإذنه، كما قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلِّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ ٣٨: ﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا﴾ جبريل وهو أعظم الملائكة خلقاً، والملائكة معه صفاً ٣٩: ﴿لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا﴾ حقاً، ومن الحق: لا إله إلا الله ٤٠: ﴿إِنَّا أَنْذَرْنَاكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا﴾ يعني يوم القيامة، لتأكد وقوعه صار قريباً، لأن كل ما هو آت أت ﴿يَوْمَ يَنْظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ﴾ يُعرض عليه جميع عمله خيراً وشرّاً، ﴿وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا﴾ كنت حيواناً، فأرجع إلى التراب، وذلك حين يحكم الله بين الحيوانات، فإذا فرغ من الحكم بينها قال لها: كوني تراباً فتصير تراباً، فعند ذلك يقول الكافر: ﴿يَا لَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا﴾.

إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ﴿٣١﴾ حَدَائِقَ وَأَعْنَابًا ﴿٣٢﴾ وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا ﴿٣٣﴾ وَكُؤَاسًا دِهَاقًا ﴿٣٤﴾ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِدَابًا ﴿٣٥﴾ جَزَاءً مِّن رَّبِّكَ عَطَاءٌ حِسَابًا ﴿٣٦﴾ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الرَّحْمَنُ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا ﴿٣٧﴾ يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا ﴿٣٨﴾ ذَلِكَ الْيَوْمَ الْحَقُّ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ مَآبًا ﴿٣٩﴾ إِنَّا أَنْذَرْنَاكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ يَنْظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا ﴿٤٠﴾

سُورَةُ النَّازِعَاتِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا ﴿١﴾ وَالتَّشَارِعَاتِ كَسَافًا ﴿٢﴾ فَالتَّسْبِغَاتِ سَبًّا ﴿٣﴾ فَالْمُدْبِرَاتِ أَمْرًا ﴿٤﴾ يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ ﴿٥﴾ تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ ﴿٦﴾ قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ ﴿٧﴾ أَبْصُرُهَا خَشِيعَةٌ ﴿٨﴾ يَقُولُونَ أَيْنَا لَمْرُدُّوْنَ فِي الْخَافِرَةِ ﴿٩﴾ أَيْنَا لَمْرُدُّوْنَ فِي الْخَافِرَةِ ﴿١٠﴾ أَيْنَا لَمْرُدُّوْنَ فِي الْخَافِرَةِ ﴿١١﴾ قَالُوا تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ ﴿١٢﴾ فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ ﴿١٣﴾ فَإِذَا هُم بِالسَّاهِرَةِ ﴿١٤﴾ هَلْ أُنثِيَ حَدِيثُ مُوسَىٰ ﴿١٥﴾

تفسير سورة النازعات

١: ﴿وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا﴾ الملائكة حين تنزع أرواح بني آدم، فمنهم من تأخذ رُوحَهُ بغير فتغرق في نزعها، ومنهم من تأخذ رُوحَهُ بسهولة، وكأنما حلته من نشاط وهو قوله: ٢: ﴿والتَّشَارِعَاتِ كَسَافًا﴾ هي الملائكة تنزل مسرعة لأمر الله: ٤: ﴿فالتَّسْبِغَاتِ سَبًّا﴾ هي الملائكة تنزل مسرعة لأمر الله: ٥: ﴿فالمُدْبِرَاتِ أَمْرًا﴾ الملائكة تدبر الأمر من السماء إلى الأرض بأمر ربها عز وجل: ٦: ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ﴾ ٧: ﴿تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ﴾ هما النفختان، الأولى والثانية ٨: ﴿قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ﴾ يعني خائفة ٩: ﴿أَبْصُرُهَا خَشِيعَةٌ﴾ ذليلة حقيرة مما عاينت من الأحوال ١٠: ﴿يَقُولُونَ أَيْنَا لَمْرُدُّوْنَ فِي الْخَافِرَةِ﴾ يعني مشركي قريش، يستبعدون وقوع البعث بعد المصير إلى القبور؟! ١١: ﴿أَيْنَا لَمْرُدُّوْنَ فِي الْخَافِرَةِ﴾؟ بالية، وهو العظم، أي: العظم إذا بلي ١٢: ﴿قَالُوا تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ﴾ الحياة بعد الموت، أي: لكن أحيانا الله بعد أن نموت لنخسرن ١٣: ﴿فإنما هي زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ﴾ صيحة واحدة، وهي النفخة الثانية ١٤: ﴿فإِذَا هُم بِالسَّاهِرَةِ﴾ أي: أرض المحشر] والساهرة المكان المستوي الخالي ١٥: ﴿هَلْ أُنثِيَ حَدِيثُ مُوسَىٰ﴾ أنه ابتعثه الله إلى فرعون وأبده بالمعجزات.

الآية: ٣١ روى الشيخان في صحيحهما عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «قال الله عز وجل: أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر» قال: أبو هريرة: «فرؤوا إن شئتم: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾ [سورة السجدة/١٧]. /جامع الأصول ج ١/٤٩٤/١٠٩٤.

١٦: ﴿إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى﴾

كلمه بالواد المطهر، واسمه طوى ١٧:

﴿أذهب إلى فرعون إنه طغى﴾ تَمَرَّدَ وَعَتَى

١٨: ﴿فَقُلْ هَلْ لَكَ إِلَهٌ إِلَّا أَنْ تَرْكَبَهُ﴾ تَجِيبُ

إلى طريقته ومسلكتك تزكى به ١٩:

﴿وَأَهْدِيكَ إِلَى رَبِّكَ﴾ أَدْلَكَ إِلَى عِبَادَةِ رَبِّكَ

﴿فَتَخَشَى﴾ فَيَصِيرُ قَلْبَكَ خَاضِعًا لَهُ خَاشِعًا

مطيعاً بعدما كان قاسياً خبيثاً بعيداً من الخير

٢٠: ﴿فَأَرَاهُ الْآيَةَ الْكُبْرَى﴾ يَعْنِي فَأَظْهَرَ لَهُ

موسى مع هذه الدعوة الحقَّ حُجَّةً قَوِيَّةً عَلَى

صدق ماجاءه به من عند الله ٢١:

﴿فَكَذَّبَ وَعَصَى﴾ فَكَذَّبَ بِالْحَقِّ وَخَالَفَ

مأمره من الطاعة ٢٢: ﴿ثُمَّ أَذْنَبَ يُسْعَى﴾

في مقابلة الحق، في جمع السحرة ليقابلوا

ما جاء به موسى من المعجزات الباهرات ٢٣:

﴿فَحَشَرَ فَنَادَى﴾ فِي قَوْمِهِ ٢٤: ﴿فَقَالَ أَنَا

رَبُّكُمْ الْأَعْلَى﴾ قَالَ فِرْعَوْنُ هَذِهِ الْكَلِمَةُ

بعدها قال لقومه: ﴿مَاعَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ

غَيْرِي﴾ بِأَرْبَعِينَ سَنَةً ٢٥: ﴿فَأَخَذَهُ اللَّهُ

نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَى﴾ انْتَقَمَ اللَّهُ مِنْهُ انْتِقَامًا

جعله الله به عبرة ونكالا لأمثاله المترددين

٢٦: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِمَنْ يَخْشَى﴾

[اعتباراً] وَعِظَةً لِمَنْ يَخَافُ اللَّهَ عَزَّوَجَلَّ ٢٧:

﴿أَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءِ بِنَاهَا﴾ يَعْنِي بِلِ

السَّاءِ أَشَدُّ خَلْقًا مِنْكُمْ، كَمَا قَالَ تَعَالَى:

﴿لَخَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ

النَّاسِ﴾ ٢٨: ﴿رَفَعَ سَمَكَهَا﴾ هَذَا تَفْسِيرُ

لقوله: ﴿بِنَاهَا﴾، ﴿فَسَوَّاهَا﴾ جَعَلَهَا عَالِيَةً

البناء، بعيدة الفناء، مستوية الأرجاء ٢٩:

﴿وَأَعْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا﴾ جَعَلَ لَيْلَهَا وَاضِحًا ٣٠:

﴿وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا﴾ فَسَّرَهُ بِقَوْلِهِ تَعَالَى ٣١: ﴿أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا

وَمَرْعَاهَا﴾ شَقَّ فِيهَا الْأَنْهَارَ، وَجَعَلَ فِيهَا الْجِبَالَ وَالسُّبُلَ وَالْأَكَامَ ٣٢:

﴿وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا﴾ قَرَّرَهَا وَأَثْبَتَهَا فِي أَمَاكِنِهَا ٣٣: ﴿مَتَاعًا لَكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ﴾

دَحَاهَا فَأَنْبَعُ عُيُونُهَا وَأَظْهَرُ مَكُونُوتِهَا وَأَجْرَى أَنْهَارُهَا وَأَبْنَتْ زُرُوعَهَا وَأَشْجَارُهَا، وَثَبَّتْ جِبَالَهَا لِتَسْتَقِرَّ، كُلُّ ذَلِكَ مَتَاعًا لَخَلْقِهِ وَلِمَا يَحْتَاجُونَ إِلَيْهِ مِنْ

الأنعام التي يأكلونها ويركبوها ٣٤: ﴿فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَةُ الْكُبْرَى﴾ وَهُوَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ ٣٥: ﴿يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ مَا سَعَى﴾ حَيْثُ يَتَذَكَّرُ ابْنُ

آدَمَ جَمِيعَ عَمَلِهِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ ٣٦: ﴿وَيُزْرَتُ الْجَحِيمُ لِمَنْ يَرَى﴾ أَظْهَرَتْ لِلنَّاطِقِينَ فِرَآءَ النَّاسِ عَيْنَانِ ٣٧: ﴿فَأَمَّا مَنْ طَغَى﴾ تَمَرَّدَ وَعَتَى ٣٨:

﴿وَأَثَرَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ قَدَّمَهَا عَلَى أَمْرِ دِينِهِ وَأَخْرَاهُ ٣٩: ﴿فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى﴾ مَصِيرُهُ إِلَى الْجَحِيمِ ٤٠: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ﴾ خَافَ

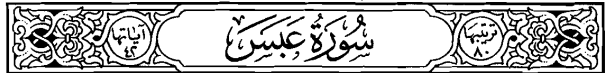
القيام بين يدي الله ﴿وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى﴾ وَرَدَّهَا إِلَى طَاعَةِ مَوْلَاهَا ٤١: ﴿فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى﴾ مَصِيرُهُ وَمَرْجَعُهُ إِلَى الْجَنَّةِ ٤٢:

﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا﴾ أَيُّ: سَأَلُوا عَنْهَا اسْتِزَاءً ٤٣: ﴿فِيمَ أَنْتَ مِنْ ذِكْرَاهَا﴾ لَمْ يَزَلِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ يَسْأَلُ

عَنِ السَّاعَةِ حَتَّى نَزَلَ ٤٤: ﴿إِلَى رَبِّكَ مَتَّهَاهَا﴾ لَيْسَ عِلْمُهَا إِلَيْكَ وَلَا إِلَى أَحَدٍ مِنَ الْخَلْقِ بَلْ مَرَدُّهَا إِلَى اللَّهِ ٤٥: ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ مِمَّنْ

يَخْشَاهَا﴾ تَحْذِرُ مَنْ يَخْشَى اللَّهَ ٤٦: ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرُونَهَا لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا﴾ إِذَا قَامُوا مِنْ قُبُورِهِمْ، كَأَنَّهَا كَانَتْ عِنْدَهُمْ عَشِيَّةً

– مابين الظهر إلى غروب الشمس، أو ضُحَاهَا – مابين طلوع الشمس إلى نصف النهار.



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

عَبَسَ وَتَوَلَّى ﴿١﴾ أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى ﴿٢﴾ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَكِي ﴿٣﴾ أَوْ
يَذْكُرُ فَتَنْفَعَهُ الذِّكْرَى ﴿٤﴾ أَمَا مِنْ اسْتَعْنَى ﴿٥﴾ فَأَنْتَ لَهُ تَصَدَّى ﴿٦﴾
وَمَا عَلَيْكَ الْأَيزِكِي ﴿٧﴾ وَأَمَا مِنْ جَاءَكَ يَسْعَى ﴿٨﴾ وَهُوَ يَخْشَى ﴿٩﴾ فَأَنْتَ
عَنْهُ لَهْفَى ﴿١٠﴾ كَلَّا إِنَّهَا لَأَنْذِكْرَةٌ ﴿١١﴾ لِمَنْ شَاءَ ذَكَرَهُ ﴿١٢﴾ فِي صُحُفٍ مُكَرَّمَةٍ ﴿١٣﴾
مَرْفُوعَةٍ مُطَهَّرَةٍ ﴿١٤﴾ يُأْتِيهَا سَفَرَةٌ ﴿١٥﴾ كَرَامٌ بَرَّةٌ ﴿١٦﴾ قُتِلَ الْإِنْسَانُ
مَا أَكْفَرَهُ ﴿١٧﴾ مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ ﴿١٨﴾ مِنْ نُطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَرَهُ ﴿١٩﴾ ثُمَّ
السَّبِيلَ يَسْرَهُ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ أَمَانَهُ فَأَقْبَرَهُ ﴿٢١﴾ ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنْشَرَهُ ﴿٢٢﴾ كَلَّا لَمَّا
يَقْبُضْ مَا أَمَرَهُ ﴿٢٣﴾ فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ ﴿٢٤﴾ أَنَا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا ﴿٢٥﴾
ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا ﴿٢٦﴾ فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ﴿٢٧﴾ وَعَبْنَا وَقَضْبًا ﴿٢٨﴾
وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ﴿٢٩﴾ وَحَدَائِقَ غُلْبًا ﴿٣٠﴾ وَفِكَهَةً وَأَبًّا ﴿٣١﴾ مَتَاعًا لَكُمْ
وَلِتَعْلَمِكُمْ ﴿٣٢﴾ فَإِذَا جَاءَتِ الصَّاخَةُ ﴿٣٣﴾ يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾
وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَحْبِهِ وَبَنِيهِ ﴿٣٦﴾ لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ
يُعِينُهُ ﴿٣٧﴾ وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ ﴿٣٨﴾ صَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ ﴿٣٩﴾ وَجُوهٌ
يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ ﴿٤٠﴾ تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ ﴿٤١﴾ أُولَئِكَ هُمُ الْكُفْرَةُ الْفَجْرَةُ ﴿٤٢﴾

خروجه من بطن أمه ﴿٢١﴾ ثم أماته فأقبره ﴿٢٠﴾ بعد خلقه [ونهاية أجله] أماته فأقبره ﴿٢٢﴾ ثم إذا شاء أنشره ﴿٢٢﴾ بعثه بعد موته [يوم القيامة] ﴿٢٣﴾ كلاً لما يقض ما أمره ﴿٢٣﴾ لم يؤد الكافر ما فرض الله عليه من الفرائض ﴿٢٤﴾ فلينظر الإنسان إلى طعامه ﴿٢٤﴾ فيه امتنان [من الخالق على خلقه] ﴿٢٥﴾ أنا صببنا الماء صباً ﴿٢٥﴾ أنزلناه من السماء على الأرض ﴿٢٦﴾ ثم شققنا الأرض شقاً ﴿٢٦﴾ أسكناه فيها فيتحلل في أجزاء الحب فينبت على وجه الأرض ﴿٢٧﴾ فأنبتنا فيها حباً ﴿٢٧﴾ وعبنا وقضباً ﴿٢٨﴾ ما تأكله الدواب رطباً ﴿٢٩﴾ وزيتوناً ونخلاً ﴿٣٠﴾ وحدائق غلباً ﴿٣١﴾ بساتين [ذات أشجار يستظل بها] ﴿٣١﴾ وفكهة وأباً ﴿٣١﴾ ما تأكله الدواب ﴿٣٢﴾ متاعاً لكم ولأنعامكم ﴿٣٢﴾ عيشة لكم ولأنعامكم في هذه الدار إلى يوم القيامة ﴿٣٣﴾ فإذا جاءت الصاخة ﴿٣٣﴾ من أسماء يوم القيامة، عظمه الله وحذر [منه] ﴿٣٤﴾ يوم يفر المرء من أخيه ﴿٣٤﴾ ووالديه وأبيه ﴿٣٥﴾ وصاحبه وبنيه ﴿٣٦﴾ يراهم ويفر منهم لأن الهول عظيم والخطب جليل ﴿٣٧﴾ لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه ﴿٣٧﴾ هو في شغل شاغل عن غيره ﴿٣٨﴾ وجوه يومئذ مسفرة ﴿٣٨﴾ صاحكة مستبشرة ﴿٣٩﴾ يكون هناك فريقان: وجوه مسرورة فرحة من السرور في قلوبهم وهؤلاء هم أهل الجنة ﴿٤٠﴾ وجوه يومئذ عليها غبرة ﴿٤١﴾ ترهقها قرة ﴿٤٠﴾ يعلوها وتغشاها قرة، أي: سواد ﴿٤٢﴾ أولئك هم الكفرة الفجرة ﴿٤٢﴾ أعمالهم.

سورة عبس: إن رسول الله ﷺ كان يوماً يخاطب بعض عظماء قريش، وقد طمع في إسلامهم، فبينما هو يخاطبه ويتناجيه إذ أقبل ابن أم مكتوم، وكان أسلم قديماً فجعل يسأل رسول الله ﷺ من شيء، ويلج عليه، وودَّ ﷺ أن لو كُتِّفَ ساعته ليتكلم من مخاطبة ذلك الرجل طمعاً في إسلامه، وعبس في وجه ابن أم مكتوم وأعرض عنه وأقبل على الآخر، فانزل الله هذه السورة. /ابن كثير ج٤/٤٧٠.

١: ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾ أظلمت واضمحلت وذهبَ صَوْرُهَا ٢: ﴿وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ﴾ انتشرت، كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انْتَشَرَتْ﴾ ٣: ﴿وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ﴾ أي: قُبِعَتْ من الأرض وسُيِّرَتْ في الهواء ٤: ﴿وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ﴾ أي: الثَّقُ الحوامل، ولا يعطلها أهلها إلا لأهوال يوم القيامة ٥: ﴿وَإِذَا الْوُحُوشُ حُضِرَتْ﴾ اختلطت [بعد أن جُمعت، ليقترن لبعضها من بعض] ٦: ﴿وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ﴾ تُسَعَّرُ وتصبح ناراً تأجج ٧: ﴿وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ﴾ زوجت الأرواح بالأبدان، ويقرن بين الرجل الصالح مع الرجل الصالح، ويُقرن الرجل السوء مع الرجل السوء في النار، فذلك تزوج الأنفس ٨: ﴿وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ﴾ ٩: ﴿بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ﴾؟ والموءودة: هي المدفونة [المقتولة حياةً بالدفن، كان أهل الجاهلية يكدون بناتهم خشبة الإملاق والسبي والاسترقاق، فحرمه الله تعالى أشدَّ التحريم] ١٠: ﴿وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ﴾ أعطى كل إنسان صحفته يمينه أو شماله، فينظر مافي صحيفته ١١: ﴿وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ﴾ اجتذبت وكسفت ١٢: ﴿وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِّرَتْ﴾ أحميت، ويُسَعَّرُها غضبُ الله وخطايا بني آدم [أجارتنا الله منها] ١٣: ﴿وَإِذَا الْجَنَّةُ أُنزِلَتْ﴾ قُرِبَتْ إلى أهلها ١٤: ﴿وَعَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا أَحْضَرَتْ﴾ هذا هو

سُورَةُ التَّكْوِيْنِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ ١ وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ ٢ وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ ٣ وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ ٤ وَإِذَا الْوُحُوشُ حُضِرَتْ ٥ وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ ٦ وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ ٧ وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ ٨ بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ ٩ وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ ١٠ وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ ١١ وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِّرَتْ ١٢ وَإِذَا الْجَنَّةُ أُنزِلَتْ ١٣ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا أَحْضَرَتْ ١٤ فَلَا أَقِيمُ بِالْخُسُفِ ١٥ الْجَوَارِ الْكُنُسِ ١٦ وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ ١٧ وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ ١٨ إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ١٩ ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ ٢٠ مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ ٢١ وَمَا صَاحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ ٢٢ وَقَدَرَهُ آهٌ بِأَلْفِ الْمِائِينَ ٢٣ وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ ٢٤ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ ٢٥ فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ ٢٦ إِنَّ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ٢٧ لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ ٢٨ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ٢٩

سُورَةُ الْاِنْفِطَارِ

الجواب؛ أي: إذا وقعت هذه الأمور جيئد تعلم كل نفس ما عملت وأحضر ذلك لها، كما قال تعالى: ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا﴾ ١٥: ﴿فَلَا أَقِيمُ بِالْخُسُفِ﴾ ١٦: ﴿الْجَوَارِ الْكُنُسِ﴾ وهي النُّجُوم تخنس بالنهار وتظهر بالليل ١٧: ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ﴾ أقبل بظلامه وغشى الناس، وأيضاً: إذا ذهب فتولى ١٨: ﴿وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ﴾ أضاء وأشرق ١٩: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾ يعني: إن هذا القرآن لتبليغ رسول كريم، أي: مَلِكٌ شريف حسن الخلق بهي المنظر، وهو جبريل عليه السلام ٢٠: ﴿ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ﴾ له مكانة عند الله عز وجل ومنزلة رفيعة ٢١: ﴿مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ﴾ مطاع في السموات، فهو من السادة والأشراف، انتخب لهذه الرسالة العظيمة، وصفته أمين، وهذا عظيم جداً أن الرب عز وجل يركي عبده جبريل ٢٢: ﴿وَمَا صَاحِبُكُمْ﴾ يعني محمداً صلى الله عليه وآله وسلم [حتى يُتِمَّ بِذَلِكَ. بل هو رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وهذا من جواب القسم] ٢٣: ﴿وَلَقَدْ رَأَى بِالْأَفْقِ الْمِينِ﴾ لجبريل، وهي الرؤية الأولى ٢٤: ﴿وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ﴾ وما محمد صلى الله عليه وآله وسلم على ما أنزله الله إليه بيتهم أو يخيل ٢٥: ﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ﴾ هذا القرآن لا يقدر شيطان رجيم على حمله، ولا يريده ولا ينبغي له ٢٦: ﴿فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ﴾؟ تذهب عقولكم في تكذيبكم هذا القرآن؟ ٢٧: ﴿إِنَّ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ﴾ هذا القرآن يتذكر به الناس ويتعظون ٢٨: ﴿لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ﴾ الهداية ﴿أَنْ يَسْتَقِيمَ﴾ فعليه بهذا القرآن، فإنه منجاة له وهداية ٢٩: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ كل ذلك تابع لمشيئة الله تعالى رب العالمين.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ ﴿١﴾ وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انْتَرَتْ ﴿٢﴾ وَإِذَا الْبِحَارُ
فُجِّرَتْ ﴿٣﴾ وَإِذَا الْقُبُورُ بُعِثَتْ ﴿٤﴾ عَلِمْتَ نَفْسٌ مَّا قَدِمْتَ
وَأَخَّرْتَ ﴿٥﴾ يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ ﴿٦﴾ الَّذِي
خَلَقَكَ فَسَوَّدَكَ فَعَدَدَكَ ﴿٧﴾ فِي أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَاءَ رَكَّبَكَ ﴿٨﴾
كَلَّا بَلْ تَكْذِبُونَ بِالَّذِينَ ﴿٩﴾ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا
كَثِيرِينَ ﴿١١﴾ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴿١٢﴾ إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ﴿١٣﴾ وَإِنَّ
الْفَجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ ﴿١٤﴾ يَصِلُونَهَا يَوْمَ الدِّينِ ﴿١٥﴾ وَمَاهُمْ عَنْهَا بِغَائِبِينَ
﴿١٦﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمَ الدِّينِ ﴿١٧﴾ ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمَ الدِّينِ
﴿١٨﴾ يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ ﴿١٩﴾

سُورَةُ الْمُطَفِّفِينَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ﴿١﴾ الَّذِينَ إِذَا كَانُوا عَلَى النَّاسِ سَتَوَفُونَ ﴿٢﴾
وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ﴿٣﴾ أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ
مَبْعُوثُونَ ﴿٤﴾ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥﴾ يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦﴾

٥٨٧

الذين قابله بالكفر والمعاصي] ثم ذكر تعالى ما يصير إليه الفجار من الجحيم فقال تعالى: ١٥: ﴿يَصِلُونَهَا يَوْمَ الدِّينِ﴾ يوم الحساب والجزاء، يوم القيامة ١٦: ﴿وما هم عنها بغائبين﴾ لا يغيبون عن العذاب ساعة واحدة ١٧: ﴿وما أدراك ما يوم الدِّين﴾؟ تعظم لشأن يوم القيامة، ثم أكد بقوله تعالى: ١٨: ﴿ثم ما أدراك ما يوم الدِّين﴾ ثم فسره بقوله: ١٩: ﴿يوم لا تملك نفس لنفس شيئاً﴾ لا يقدر أحد على نفع أحد ولا خلاصه مما هو فيه إلا بإذن الله لمن يشاء ويرضى، ﴿والأمر يومئذ لله﴾ لا يتنازع فيه أحد، والله الحمد والمئة وبه التوفيق والعصمة.

تفسير سورة المُطَفِّفِينَ

١: ﴿ويلٌ للمُطَفِّفِينَ﴾ الهلاك والخسارة [في الآخرة للمُطَفِّفِينَ] ثم فسره تعالى بقوله: ٢: ﴿الذين إذا كَانُوا على النَّاسِ﴾ من النَّاسِ ﴿يستوفون﴾ يأخذون حَقَّهُمْ زانداً ٣: ﴿وإذا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ﴾ يُخْسِرُونَ. وقد أمر الله تعالى بالوفاء في الكيل والميزان، فقال تعالى: ﴿وأوفوا الكيل إذا كَلَّمْتُمْ وَزَنُوا بِالْقِسْطِ الْمُسْتَقِيمِ﴾ ٤: ﴿ألا يَظُنُّ أولئك أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ﴾؟ ٥: ﴿ليومٍ عظيمٍ﴾ أما يخاف أولئك من البعث والقيام بين يدي من يعلم السرائر والضمائر في يوم السرائر والضمائر في يوم عظيم الهول كثير الفزع جليل الخطب، من خسر فيه أدخل النار ٦: ﴿يومٍ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ يقومون خفاة غرأة غرأة في موقف صعب حرج ضيق ضنك، يغشاهم من أمر الله ماتعجز عنه الخواس والقوى.

٧: ﴿كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْفَجَارِ لَفِي سِجِّينٍ﴾

مصريهم ومأواهم في ضيقٍ مقيمٍ وعذابٍ أليمٍ، والسَّجِينُ: تحت الأرض السابعة، فيه أرواح الكفار ٨: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا سِجِّينٌ﴾

[تعظيمٍ لشأنه] ٩: ﴿كِتَابٌ مَرْقُومٌ﴾ ليس تفسيراً [لما تقدم] وإنما هو تفسير لما كتب لهم من المصير إلى سِجِّينٍ؛ أي مرقومٌ مكتوبٌ مفروغٌ منه لا يُزاد فيه ولا ينقص منه ١٠:

﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾ إذا صاروا إلى يوم القيامة لهم الهلاك والدمار ١١: ﴿الَّذِينَ يَكْذِبُونَ يَوْمَ الْذِينِ﴾ لا يصدقون بوقوعه

١٢: ﴿وَمَا يَكْذِبُ بِهِ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ﴾ معتدٍ في أفعاله من تعاطي الحرام ١٣: ﴿إِذَا تَنَزَّلْنَا عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ إذا سمع كلام الله يكذب به ١٤: ﴿كَلَّا﴾ ليس الأمر كما زعموا ﴿بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمُ الرَّيْنُ﴾

يعتري قلوب الكافرين ﴿مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ من الذنوب والخطايا، حتى عميت ١٥: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ﴾

عن رؤية ربهم وخالفهم ١٦: ﴿ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا الْجَحِيمِ﴾ هم مع هذا الحرمان عن رؤية الرحمن من أهل النيران ١٧: ﴿ثُمَّ يُقَالُ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَكْذِبُونَ﴾ يُقال لهم ذلك على وجه التقرع والتوبيخ والتحقير ١٨:

﴿كَلَّا﴾ حقاً ﴿إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيْنَ﴾ يعني في الجنة، ثم قال تعالى معظماً أمره ومفخماً شأنه ١٩: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا عِلِّيُونَ﴾ ثم قال تعالى مؤكداً لما كتب لهم

٢٠: ٢١: ﴿كِتَابٌ مَرْقُومٌ﴾ يشهده

المقربون وهم الملائكة ٢٢: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ﴾ يوم القيامة هم في نعيمٍ مقيمٍ ٢٣: ﴿عَلَى الْأَرْثِكِ﴾ وهي السُّرُرُ ﴿يَنْظُرُونَ﴾ فيما أعطاهم الله تعالى من الخير والفضل ٢٤: ﴿تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ﴾ السرور والدعة والرياسة مما هم فيه من النعيم العظيم ٢٥: ﴿يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيقٍ مَخْتُومٍ﴾ الرحيق: من أسماء خمر الجنة ٢٦: ﴿خِتَامُهُ مِسْكٌ﴾ خلطه مسك، أي: طيب الله لهم الخمر ﴿وَفِي ذَلِكَ فُلَيْتَاقُفَسُ الْمَتَأْفِسُونَ﴾ في مثل هذا فليستبقوا إلى مثله المتساقفون، كما قال تعالى: ﴿لَمَثَلٌ هَذَا فليعمل العالمون﴾ ٢٧: ﴿وَمِزَاجُهُ مِنَ التَّسْنِيمِ﴾ ومزاج هذا الرحيق الموصوف من شراب يقال له التسنيم، وهو أشرف شراب أهل الجنة ٢٨: ﴿عَيْنَا يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ﴾ يشربها المقربون صبراً، وتزج لأصحاب اليمن مزجاً ٢٩: ﴿إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا فِي الدُّنْيَا﴾ من الذين آمنوا يضحكون ﴿يَسْتَهْزِئُونَ بِهِمْ وَيَحَقِّرُونَهُمْ﴾ ٣٠: ﴿وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ﴾ يتحقرن لهم ٣١: ﴿وَإِذَا انْقَلَبُوا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ انْقَلَبُوا فَكِهِينَ﴾ إذا رجع هؤلاء الجرمون إلى منازلهم اشتغلوا بالمؤمنين يحقرنهم ٣٢: ﴿وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ هَؤُلَاءِ لَضَالُونَ﴾ لكونهم على غير دينهم قال تعالى: ٣٣: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَافِظِينَ عَلَىٰ أَعْمَالِ الْمُؤْمِنِينَ وَأَقْوَامِهِمْ وَلَا كَلِّفُوا بِهِمْ﴾ ٣٤: ﴿فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ﴾ في مقابلة ماضحك بهم أولئك يضحكون منهم يوم القيامة.

الآية: ٧ السَّجِينُ: مأخوذ من السجج وهو الضيق، فإن المخلوقات كلما تسافل كلما تسافل منها ضائق، وكل متاعاً منها اتسع. [ولهذا كانت الجنة درجات في العلاء، والنار دركات إلى أسفل

سافلين].

الآية: ١٤ روى الترمذي بإسنادٍ حسنٍ صحيحٍ عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «إن العبد إذا أذنب ذنباً كانت نكته سوداء في قلبه، فإن تاب منها صُقل قلبه، فإن عاد =

٣٥: ﴿عَلَى الْأَرْكَانِ يُنظَرُونَ﴾ هم أولياء الله ينظرون إلى ربهم في دار كرامته ٣٦: ﴿هَلْ تُؤْتِبُ الْكُفَّارَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ؟﴾ هل يجوزي الكفار على ما كانوا يفعلون به المؤمنين من الاستهزاء والتفقيص أم لا؟ يعني: قد جوزوا أوفر الجزاء وأتمه وأكمله.

تفسير سورة الانشقاق

١: ﴿إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ﴾ وذلك يوم القيامة
 ٢: ﴿وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا﴾ استمعت لربها وأطاعت فيما أمرها من الانشقاق ﴿وَحَقَّتْ﴾ وحق لها أن تطيع أمره لأنه العظيم الذي لا يمانع وقد فهر كل شيء ٣: ﴿وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ﴾ بسطت وفرشت ووسعت ٤: ﴿وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا﴾ ما فيها من الأموات ﴿وَتَخَلَّتْ﴾ منهم ٥: ﴿وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحَقَّتْ﴾ ٦: ﴿يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا﴾ إنك ساع إلى ربك سعياً وعاملٌ عملاً ﴿فَمُلَاقِيهِ﴾ إنك ستلقى ماعملت من خير أو شر ٧: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ يَمِينًا﴾ ٨: ﴿فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾ سهلاً بلا تعسير، قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «مَنْ نُوقِشَ الْحِسَابَ عُذِّبَ» فالْمُؤْمِنُ [الذي يُؤْتَى كِتَابَهُ يَمِينًا] لَيُحَقَّقَ عَلَيْهِ جَمِيعَ دَقَائِقِ أَعْمَالِهِ، كَمَا قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «ذَاكَ الْعَرْضُ»
 ٩: ﴿وَيُنْقَلَبُ إِلَى أَهْلِهِ مَسْرُورًا﴾ إلى أهله في الجنة مغتبطاً بما أعطاه الله عز وجل ١٠: ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ﴾ بشماله من وراء ظهره ١١: ﴿فَسَوْفَ يَدْعُوا ثُبُورًا﴾ خساراً وهلاكاً ١٢: ﴿وَيَصِلَى سَعِيرًا﴾ ١٣: ﴿إِنَّهُ كَانَ فِي أَهْلِهِ مَسْرُورًا﴾ فرحاً [في الدنيا] لا يفكر في العواقب ولا يخاف [من الآخرة] فأعقبه ذلك الفرح السير الحزن الطويل ١٤: ﴿إِنَّهُ ظَنَّ أَنْ لَنْ يَحُورَ﴾ كان يعتقد أنه لا يرجع إلى الله ولا يعيده بعد موته. والحور: الرجوع ١٥: ﴿بَلَى إِنَّ رَبَّهُ كَانَ بِهِ بَصِيرًا﴾ ويجازيه على أعماله ١٦: ﴿فَلَا أَقْسَمُ بِالْشفقِ﴾ الشفق: هو حمرة الأفق قبل طلوع الشمس وبعد غروبها، أي: النهار كله ١٧: ﴿وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ﴾ أقسم الله بالنهار مدبراً وبالليل مقلباً، «وما وسق» وما جمع ١٨: ﴿وَالْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ﴾ إذا اجتمع واستوى ١٩: ﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَنْ طَبِقٍ﴾ حالاً بعد حال ٢٠: ﴿فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ؟﴾ ٢١: ﴿وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنُ لَا يَسْجُدُونَ﴾ فماذا يمنعهم من الإيمان بالله ورسوله واليوم الآخر؟ وما لهم إذا قرئت عليهم آيات الله وهو القرآن لا يسجدون إعظماً وإكراماً واحتراماً؟ ٢٢: ﴿بَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا يَكْذِبُونَ﴾ من سجيبتهم التكذيب والعداوة والمخالفة للحق ٢٣: ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ﴾ بما يكتمون في صدورهم ٢٤: ﴿فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ فأخبرهم يا محمد بأن الله عز وجل قد أعد لهم عذاباً أليماً ٢٥: ﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ بل الذين آمنوا بقلوبهم «وعمِلُوا الصالحات» بجوارحهم «لهم أجر» في الآخرة «غير ممنون» غير مقطوع.

تفسير سورة الانشقاق

تفسير سورة الانشقاق

عَلَى الْأَرْكَانِ يُنظَرُونَ ﴿٢٥﴾ هَلْ تُؤْتِبُ الْكُفَّارَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾

سورة الانشقاق

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ ﴿١﴾ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحَقَّتْ ﴿٢﴾ وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ ﴿٣﴾ وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ ﴿٤﴾ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحَقَّتْ ﴿٥﴾ يَتَأْتِيهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ ﴿٦﴾ فَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ يَمِينًا ﴿٧﴾ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴿٨﴾ وَيُنْقَلَبُ إِلَى أَهْلِهِ مَسْرُورًا ﴿٩﴾ وَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ ﴿١٠﴾ فَسَوْفَ يَدْعُوا ثُبُورًا ﴿١١﴾ وَيَصِلَى سَعِيرًا ﴿١٢﴾ إِنَّهُ كَانَ فِي أَهْلِهِ مَسْرُورًا ﴿١٣﴾ إِنَّهُ ظَنَّ أَنْ لَنْ يَحُورَ ﴿١٤﴾ بَلَى إِنَّ رَبَّهُ كَانَ بِهِ بَصِيرًا ﴿١٥﴾ فَلَا أَقْسَمُ بِالْشفقِ ﴿١٦﴾ وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ ﴿١٧﴾ وَالْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ ﴿١٨﴾ لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَنْ طَبِقٍ ﴿١٩﴾ فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٠﴾ وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنُ لَا يَسْجُدُونَ ﴿٢١﴾ بَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا يَكْذِبُونَ ﴿٢٢﴾ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ ﴿٢٣﴾ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٤﴾ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٢٥﴾

١٣: ﴿إِنَّهُ كَانَ فِي أَهْلِهِ مَسْرُورًا﴾ فرحاً [في الدنيا] لا يفكر في العواقب ولا يخاف [من الآخرة] فأعقبه ذلك الفرح السير الحزن الطويل ١٤: ﴿إِنَّهُ ظَنَّ أَنْ لَنْ يَحُورَ﴾ كان يعتقد أنه لا يرجع إلى الله ولا يعيده بعد موته. والحور: الرجوع ١٥: ﴿بَلَى إِنَّ رَبَّهُ كَانَ بِهِ بَصِيرًا﴾ ويجازيه على أعماله ١٦: ﴿فَلَا أَقْسَمُ بِالْشفقِ﴾ الشفق: هو حمرة الأفق قبل طلوع الشمس وبعد غروبها، أي: النهار كله ١٧: ﴿وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ﴾ أقسم الله بالنهار مدبراً وبالليل مقلباً، «وما وسق» وما جمع ١٨: ﴿وَالْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ﴾ إذا اجتمع واستوى ١٩: ﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَنْ طَبِقٍ﴾ حالاً بعد حال ٢٠: ﴿فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ؟﴾ ٢١: ﴿وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنُ لَا يَسْجُدُونَ﴾ فماذا يمنعهم من الإيمان بالله ورسوله واليوم الآخر؟ وما لهم إذا قرئت عليهم آيات الله وهو القرآن لا يسجدون إعظماً وإكراماً واحتراماً؟ ٢٢: ﴿بَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا يَكْذِبُونَ﴾ من سجيبتهم التكذيب والعداوة والمخالفة للحق ٢٣: ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ﴾ بما يكتمون في صدورهم ٢٤: ﴿فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ فأخبرهم يا محمد بأن الله عز وجل قد أعد لهم عذاباً أليماً ٢٥: ﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ بل الذين آمنوا بقلوبهم «وعمِلُوا الصالحات» بجوارحهم «لهم أجر» في الآخرة «غير ممنون» غير مقطوع.

زُيِّدَ فِيهَا حَتَّى تَعْلَمَ قَلْبُهُ، فَهُوَ الرَّانُ الَّذِي قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾. / ابن كثير ج ٤/ ٤٨٥/.

الآية: ٨ | روى الإمام أحمد عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ نُوقِشَ الْحِسَابَ عُذِّبَ» قالت: فقلت أليس قال الله تعالى: ﴿فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا؟﴾ قال: «ليس ذاك بالحساب، ولكن ذلك العرض، من نُوقِشَ الْحِسَابَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عُذِّبَ»، ورواه الشيخان في صحيحهما. / ابن كثير ج ٤/ ٤٨٨/.

أيضاً قالت: «مَنْ نُوقِشَ الْحِسَابَ عُذِّبَ» ثم قالت: «إنما الحساب اليسر عرض على الله تعالى وهو يراهم».

تفسير سورة البروج

١: ﴿والسما ذات البروج﴾ وهي النجوم العظام ٢: ﴿واليوم المؤعد﴾ يوم القيامة ٣: ﴿وشاهد ومشهود﴾ الشاهد يوم الجمعة، والمشهود يوم عرفة. قال ابن عباس: الشاهد محمد صلى الله عليه وآله وسلم، والمشهود يوم القيامة، ثم قرأ: ﴿ذلك يوم مجموع له الناس ذلك يوم مشهود﴾ ٤: ﴿قيل أصحاب الأعدود﴾ لعن أصحاب الأعدود، وهذا خير عن قوم من الكفار عمدوا إلى من عندهم من المؤمنين فحفروا لهم الأعدود وأججوا فيه ناراً فقتلهم فيها ٥: ﴿التار ذات الوفود﴾ [ذات الخطب] ٦: ﴿إذ هم عليها قعود﴾ قعدوا عليها فلقن فيها المؤمنين ٧: ﴿وهم على ما يفعلون بالمؤمنين شهود﴾ [حضور، يعني الكفار] ٨: ﴿ومانقمو منهم إلا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد﴾ ٩: ﴿الذي له ملك السموات والأرض﴾ [وحده لا شريك له] ﴿والله على كل شيء شهيد﴾ [عالم بأعمال خلقه لا تخفى عليه خافية] ١٠: ﴿إن الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات حرّوهم﴾ ثم لم يتوبوا. عما فعلوا، ولم يندموا على ما أسلفوا ﴿فلهم عذاب جهنم وهم عذاب الحريق﴾ وذلك أن الجزاء من جنس العمل. قال الحسن البصري: انظروا إلى هذا الكرم والجود قتلوا أوليائه وهو يدعوهم إلى التوبة والمغفرة ١١: ﴿إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم جنات تجري من

سورة البروج

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ ﴿١﴾ وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ ﴿٢﴾ وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ ﴿٣﴾ قِيلَ أَصْحَابُ الْأَعْدُدِ ﴿٤﴾ النَّارِ ذَاتِ الْوُفُودِ ﴿٥﴾ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ﴿٦﴾ وَهُمْ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ﴿٧﴾ وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴿٨﴾ الَّذِي لَهُ مَلِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ فَنَوْا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابٌ جَهَنَّمَ وَهُمْ فِيهَا فِي الْحَرِيقِ ﴿١٠﴾ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ ﴿١١﴾ إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ﴿١٢﴾ إِنَّهُ هُوَ بَدِيٌّ وَبَعِيدٌ ﴿١٣﴾ وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ ﴿١٤﴾ ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ ﴿١٥﴾ فَعَالَ لِمَا يُرِيدُ ﴿١٦﴾ هَلْ أَنْتَكَ حَدِيثُ الْجُنُودِ ﴿١٧﴾ فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ ﴿١٨﴾ بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي تَكْذِيبٍ ﴿١٩﴾ وَاللَّهُ مِنْ وَرَائِهِمْ مُحِيطٌ ﴿٢٠﴾ بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ ﴿٢١﴾ فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ ﴿٢٢﴾

سورة الطارق

٥٩.

تحتها الأنهار ذلك الفوز الكبير﴾ ١٢: ﴿إن بطش ربك لشديد﴾ من أعدائه الذين كذبوا رسله وخالفوا أمره لشديد [عذابه] عليهم ١٣: ﴿إنه هو يبدى ويعدى﴾ من قوته وقدرته التامة يبدأ الخلق ويبيده كما بدأه بلا مناع ولا مدافع ١٤: ﴿وهو الغفور﴾ يغفر الذنب لمن تاب إليه وخضع لديه، ولو كان الذنب آتياً كان ﴿الودود﴾ الحبيب ١٥: ﴿ذو العرش﴾ صاحب العرش العظيم العالي على جميع الخلائق ﴿المجيد﴾ المجتد: النهاية في الجود والفضل ١٦: ﴿فعال لما يريد﴾ مهما أراد فعله لا معقب لحكمه ولا يسأل عما يفعل لعظمته وقهره وحكمته وعدله ١٧: ﴿هل أنك حديث الجنود﴾ هل جاءك يا محمد حديث الجموع الكافرة؟ ١٨: ﴿فرعون وثمود﴾ [والمعنى: قد عرفت ما فعل الله بهم حين كذبوا أنبياءه ورسله] ١٩: ﴿بل الذين كفروا في تكذيب﴾ هم في شك وريب وكفر وعناد ٢٠: ﴿والله من وراءهم محيط﴾ هو قادر عليهم قاهر، لا يفوتونه ولا يعجزونه ٢١: ﴿بل هو قرآن مجيد﴾ عظيم كريم ٢٢: ﴿في لوح محفوظ﴾ هو في الملائ الأعلى محفوظ من الزيادة والنقصان والتحريف والتبديل. واللوح المحفوظ على عيين العرش. واللوح المحفوظ من ذرة بيضاء، قلمه نور. [وفيه أصناف الخلق والحليقة، وبيان أمورهم، وذكر آجالهم وأرزاقهم، وأعمالهم، وأول شيء كتب فيه: لا إله إلا الله].

الآية: ٤-١٠ قال الربيع بن أنس: إنهم كانوا قوماً في زمان الفترة، فلما رأوا ما وقع في الناس من الفتنة والشرك، اعتزلوا إلى قرية سكنوها، وأقاموا على عبادة الله مخلصين له الدين خفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة، فكان هذا أمرهم حتى سمع بهم جبار من الجبارين، وحكمت حديثهم، فأرسل إليهم، فأمرهم أن يعبدوا الأوثان، فأبوا عليه وقالوا: لا نعبد إلا الله وحده لا شريك له، فلما أبوا عليه حذ الأعدوداً من نار. / ابن كثير - باختصار ج ٤/٤٩٦.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ ﴿١﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ ﴿٢﴾ لَتَجْمَعُنَّ النَّاقِبُ ﴿٣﴾ إِنَّ كُلَّ نَفْسٍ لَمَّا عَلِيهَا حَافِظٌ ﴿٤﴾ فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ ﴿٥﴾ خَلِقَ مِنْ مَّاءٍ دَافِقٍ ﴿٦﴾ يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ ﴿٧﴾ إِنَّهُ عَلَى رَجْعِهِ لَقَادِرٌ ﴿٨﴾ يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ ﴿٩﴾ فَهَلْ لِمَنْ قُوَّةٌ وَلَا نَاصِرٍ ﴿١٠﴾ وَالسَّمَاءُ ذَاتِ الرَّجْعِ ﴿١١﴾ وَالْأَرْضُ ذَاتِ الصَّدْعِ ﴿١٢﴾ إِنَّهُ لَقَوْلُ فَصْلٍ ﴿١٣﴾ وَمَا هُوَ بِأَهْزَلٍ ﴿١٤﴾ إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ﴿١٥﴾ وَأَكِيدُ كَيْدًا ﴿١٦﴾ فَمَهْلِكُ الْكَافِرِينَ أَهْلَهُمْ رُؤِيدًا ﴿١٧﴾

سُورَةُ الْإِنشَاءِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سَبَّحَ اسْمُ رَبِّكَ الْأَعْلَى ﴿١﴾ الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى ﴿٢﴾ وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى ﴿٣﴾ وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَى ﴿٤﴾ فَجَعَلَهُ غَنَاءً أَحْوَى ﴿٥﴾ سَنُقَرِّثُكَ فَلَا تَنسَى ﴿٦﴾ إِلَّا مَآءَآءَ اللَّهِ إِنَّهُ يُعَلِّمُ الْبُحْرَ وَمَا يَخْفَى ﴿٧﴾ وَيُنسِرُكَ لِلْيُسْرَى ﴿٨﴾ فَذَكَرْ إِن نَّفَعْتَ الذِّكْرَى ﴿٩﴾ سَيَذَكُرُ مَنْ يَخْشَى ﴿١٠﴾ وَيَنْجِنُهَا الْأَسْفَى ﴿١١﴾ الَّذِي يَصَلِّي النَّارَ الْكُبْرَى ﴿١٢﴾ ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى ﴿١٣﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى ﴿١٤﴾ وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى ﴿١٥﴾

٥٩١

الكافرين ﴿١٦﴾ أنظرهم ولا تستعجل لهم ﴿١٧﴾ أمهلهم رويداً ﴿١٧﴾ قليلاً، وسترى ماذا أجلُّ بهم من العذاب

تفسير سورة الأعلى

١: ﴿سَبَّحَ اسْمُ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ لما نزلت قال صلى الله عليه وآله وسلم: «اجعلوها في سجودكم»، كما قال لما نزلت ﴿فَسَبَّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾ (اجعلوها في ركوعكم) ٢: ﴿الَّذِي خَلَقَ﴾ الخليفة ﴿فَسَوَّى﴾ كل مخلوق في أحسن الهيئات ٣: ﴿وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى﴾ قدر قادراً وهدى الخلائق إليه ٤: ﴿وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَى﴾ جميع صنوف النباتات والزرع ٥: ﴿فَجَعَلَهُ غَنَاءً أَحْوَى﴾ هشيأ متغيراً ٦: ﴿سَنُقَرِّثُكَ فَلَا تَنسَى﴾ هذا إخبار من الله تعالى لرسوله ووعد منه له بأنه سيقرئه قراءة لا ينساها ٧: ﴿إِلَّا مَآءَآءَ اللَّهِ﴾ لا ينسى شيئاً إلا ما شاء الله ﴿إِنَّهُ يُعَلِّمُ الْبُحْرَ وَمَا يَخْفَى﴾ فلا يخفى عليه شيء ٨: ﴿وَيُنسِرُكَ لِلْيُسْرَى﴾ تسهل عليك أفعال الخير، ونشر لك شرعاً سهلاً سجعاً مستقياً ٩: ﴿فَذَكَرْ إِن نَّفَعْتَ الذِّكْرَى﴾ ذكر حيث تنفع التذكرة ١٠: ﴿سَيَذَكُرُ مَنْ يَخْشَى﴾ سيعتظ بما تبغّه يا محمد من قلبه يخشى الله تعالى ١١: ﴿وَيَنْجِنُهَا الْأَسْفَى﴾ ﴿الَّذِي يَصَلِّي النَّارَ الْكُبْرَى﴾ ﴿ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا﴾ فيسترخ ﴿وَلَا يَحْيَى﴾ حياة تنفعه ١٢: ﴿قَدْ أَفْلَحَ﴾ قد صادف البقاء في الجنة ﴿مَنْ تَزَكَّى﴾ طهر نفسه [من الشرك] ١٣: ﴿وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى﴾ أقام الصلاة في أوقاتها ابتغاء رضوان الله، وطاعة لأمر الله.

١٦: ﴿بَلْ تُوْتِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ تقدمونها على أمر الآخرة ١٧: ﴿وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾ ثواب الله في الآخرة خير من الدنيا، فإن الدنيا دانية فانية والآخرة شريفة باقية، فكيف يُؤثر عاقل ما يفنى على ما يبقى؟ ١٨: ﴿إِنَّ هَذَا﴾ [سافي السورة من عظمات ومواعظ] [لفسي الصحف الأولى] [في كُتب الله السابقة] ١٩: ﴿صُحُفٍ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى﴾ [عليهما السلام].

سورة الغاشية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ ﴿١﴾ وَجُوهُ يَوْمٍ مِيدٍ خَشِيعَةٍ ﴿٢﴾
 عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ ﴿٣﴾ تَصَلِّي نَارًا حَامِيَةً ﴿٤﴾ تُسْقَى مِنْ عَيْنٍ آيَةٍ ﴿٥﴾
 لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ ضَرِيحٍ ﴿٦﴾ لَا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِنْ جُوعٍ ﴿٧﴾
 وَجُوهُ يَوْمٍ مِيدٍ نَاعِمَةٍ ﴿٨﴾ لِسَعِيرٍ رَاضِيَةٍ ﴿٩﴾ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿١٠﴾
 لَا تَسْمَعُ فِيهَا لِغِيَّةٍ ﴿١١﴾ فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ ﴿١٢﴾ فِيهَا سُرُرٌ مَرْفُوعَةٌ ﴿١٣﴾
 وَأَكْوَابٌ مَوْضُوعَةٌ ﴿١٤﴾ وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ ﴿١٥﴾ وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ ﴿١٦﴾
 أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾
 وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾ وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴿٢٠﴾
 فَذَكَرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكَّرٌ ﴿٢١﴾ لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيِّرٍ ﴿٢٢﴾ إِلَّا مَنْ تَوَلَّى وَكَفَرَ ﴿٢٣﴾ فَيُعَذِّبُهُ اللَّهُ الْعَذَابَ الْأَكْبَرَ ﴿٢٤﴾
 إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ ﴿٢٦﴾

٥٩٢

مبثوثة ﴿٢٠﴾ بسط ههنا وههنا ١٧: ﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ﴾؟ فإنها خلقٌ عجيب؛ فإنها في غاية القوة والشدة، وهي مع ذلك تلين للقائد الضعيف ١٨: ﴿وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ﴾؟ كما قال تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ﴾ ١٩: ﴿وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ﴾ ثابتة راسية لئلا تتمد الأرض بأهلها ٢٠: ﴿وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ﴾ كيف بسطت ومدت ومهدت؟ ٢١: ﴿فَذَكَرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكَّرٌ لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيِّرٍ﴾ فذكر يحمد الناس بما أرسلت به إليهم ﴿فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ﴾، ولهذا قال تعالى: ٢٢: ﴿لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيِّرٍ﴾ كما قال تعالى: ﴿لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ﴾ ٢٣: ﴿إِلَّا مَنْ تَوَلَّى وَكَفَرَ﴾ من تولى عن العمل بآركانه وكفر بالحق ٢٤: ﴿فَيُعَذِّبُهُ اللَّهُ الْعَذَابَ الْأَكْبَرَ﴾ [وهي جهنم الدائم عذابها] ٢٥: ﴿إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ﴾ مرجعهم ومقلبهم ٢٦: ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ﴾ نحن نحاسبهم على أعمالهم، ونجازهم بها إن خيراً فخير وإن شراً فشر .

(١) عن النعمان بن بشير أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان يقرأ بسبح اسم ربك الأعلى والغاشية في العيدين ويوم الجمعة. رواه مالك وأبو داود، ومسلم بنحوه.

الآية: ١٦ روى الإمام أحمد عن أبي موسى الأشعري أن رسول الله ﷺ قال: «من أحب دنياه أضُرَّ بآخرته، ومن أحب آخرته أضُرَّ بدنيته، فأثروا ما يبقى على ما يفنى». وروى ابن جرير أن عبد الله بن مسعود قرأ لأصحابه «سبح اسم ربك الأعلى» - فلما بلغ - ﴿بَلْ تُوْتِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ ترك القراءة، وأقبل على أصحابه، وقال: أثرتنا الدنيا على الآخرة، فسكنت القوم، فقال: أثرتنا الدنيا لأننا رأينا ربيتنا ونساءها وطعامها وشرابها، وزويت عنا الآخرة، فاختارتنا هذا العاجل وتركتنا الأجل. [وهذا منه على وجه الوعظ والتوبيخ]. /ابن كثير ج ٤/ ٥٠١.

سُورَةُ الْفَجْرِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالْفَجْرِ ﴿١﴾ وَلَيَالٍ عَشْرٍ ﴿٢﴾ وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ ﴿٣﴾ وَاللَّيْلِ إِذَا يَسِرُّ ﴿٤﴾ هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لِّذِي حَجْرِ ﴿٥﴾ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ﴿٦﴾ إِرْمَ ذَاتِ الْعِمَادِ ﴿٧﴾ الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ ﴿٨﴾ وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ ﴿٩﴾ وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ طَعَوْا فِي الْبِلَادِ ﴿١١﴾ فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ ﴿١٢﴾ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ﴿١٣﴾ إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ ﴿١٤﴾ فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ ﴿١٥﴾ وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهْنَنِ ﴿١٦﴾ كَلَّا بَلْ لَاتَكْرُمُونَ الْيَتِيمَ ﴿١٧﴾ وَلَا تَحْضُونَ عَلَى طَعَامِ الْمَسْكِينِ ﴿١٨﴾ وَتَأْكُلُونَ التَّرَاثِ أَكْلًا لَمًّا ﴿١٩﴾ وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا ﴿٢٠﴾ إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ﴿٢١﴾ وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾ وَجِئَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَنْذِرُ الْإِنْسَانَ وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرَى ﴿٢٣﴾

٥٩٣

١: ﴿والفجر﴾ وهو الصبح ٢: ﴿وليل﴾ عشر ذي الحجة. وفي صحيح البخاري: «ما من أيام العمل الصالح أحب إلى الله فبين من هذه الأيام» قالوا: ولا الجهاد في سبيل الله؟ قال: «ولا الجهاد في سبيل الله إلا رجلاً خرج بنفسه وماله ثم لم يرجع من ذلك بشيء» ٣: ﴿والشفع والوتر﴾ أقسم الله تعالى بخلقه، والخلق كلهم شفع ووتر ٤: ﴿والليل إذا يسر﴾ إذا ذهب ٥: ﴿هل في ذلك قسم لذي حجر﴾ لذي عقل ولُب ودين، وإنما سمي العقل حجراً لأنه يمنع الإنسان من تعاطي ما يليق به من الأفعال والأموال ٦: ﴿ألم تر كيف فعل ربك بعاد﴾ كيف أهلكتهم ودمرهم وجعلهم أحداث وعبراً؟ ٧: ﴿إرم ذات العماد﴾ هولاء عاد الأولى، وهم ولد عاد بن إرم بن عوض بن سام بن نوح. أرسل الله إليهم هوداً عليه السلام. فأهلكهم الله برح صرصر عاتية ٨: ﴿التي لم يخلق مثلها في البلاد﴾ لقوتهم وشدة عظم تركيبتهم ٩: ﴿وتمود الذين جابوا الصخر بالواد﴾ يعني يقطعون الصخر بالوادي، ينتحونها، كما قال تعالى: ﴿وتنتحون من الجبال نبوتاً فارحين﴾ ١٠: ﴿وفرعون ذي الأوتاد﴾ الأوتاد: الجنود الذين يشدون له أمره ١١: ﴿الذين طغوا في البلاد﴾ ١٢: ﴿فأكثروا فيها الفساد﴾ تمددوا وعتوا وعاثوا في الأرض بالفساد والأذى للناس ١٣: ﴿فصب عليهم ربك سوط عذاب﴾ أنزل

الله عليهم رجلاً من السماء وأحل بهم عقوبة لامرء لها ١٤: ﴿إن ربك بالمرصاد﴾ يعني: يرصد خلقه فيما يعملون ويجازي كلاً بسعيه ١٥: ﴿فأما الإنسان إذا ما ابتلاه ربه فأكرمه ونعمه فيقول ربِّي أَكْرَمَنِ﴾ ١٦: ﴿وأما إذا ما ابتلاه فقدر عليه رزقه فيقول ربِّي أَهْنَنِ﴾ يُنكر تعالى على الإنسان في اعتقاده إذا وسع الله عليه في الرزق ليختاره في ذلك، فيعتقد أن ذلك من الله إكرام له، وليس كذلك، بل هو ابتلاء وامتحان كما قال تعالى: ﴿يَحْسِبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِ مِنْ مَالٍ وَنَبِينٍ نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَلْ لَا يَشْعُرُونَ﴾، وكذلك في الجانب الآخر إذا ابتلاه وامتنحه وضيّق عليه في الرزق يعتقد أن ذلك من الله إهانة له، كما قال تعالى: ﴿كَلَّا﴾ ليس الأمر كما زعم لافي هذا ولا في هذا.. إنما المراد فيه على طاعة الله في الحالين: الشكر والصبر ١٧: ﴿كَلَّا بَلْ لَاتَكْرُمُونَ الْيَتِيمَ﴾ [في حالة غنم] ١٨: ﴿وَلَا تَحْضُونَ عَلَى طَعَامِ الْمَسْكِينِ﴾ لا يأمرؤن بالإحسان إلى الفقراء [في حالة قلّة المال في أيديكم] ١٩: ﴿وَتَأْكُلُونَ التَّرَاثِ أَكْلًا لَمًّا﴾ يعني من أي جهة حصل لهم من حلال أو حرام ٢٠: ﴿وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا﴾ كثيراً وفاجشاً ٢١: ﴿كَلَّا﴾ حقاً ﴿إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا﴾ وُطِئَتْ ومُهْدَتْ وسُوِّتْ، وقام الخلائق من قيوهم لربهم ٢٢: ﴿وجاء ربك﴾ يعني لفصل القضاء بين خلقه [وهذا من التشابه تُؤْمِنُ ونسلم بالكيف إلى الله تعالى] ﴿والمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ صفوفاً صفوفاً ٢٣: ﴿وجيء يومئذٍ بجهنم﴾ [ولها سبعون ألف زمام مع كل زمام سبعون ألف ملك يجزونها] رواه الترمذي ﴿يومئذٍ يندكر الإنسان﴾ عمله الذي أسلفه في [حياته] ﴿وأني له الذكري﴾ وكيف تنفعه الذكري؟

الآية: ٢ ثبت في صحيح البخاري أن رسول الله ﷺ قال: «ما من أيام العمل الصالح أحب إلى الله فبين من هذه الأيام!! يعني عشر ذي الحجة، قالوا: ولا الجهاد في سبيل الله؟ قال: «ولا الجهاد في سبيل الله، إلا رجلاً خرج بنفسه وماله ثم لم يرجع من ذلك بشيء». /ابن كثير ج ٤/ ٥٠٥.

٢٤: ﴿يَقُولُ يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي﴾ يعني:

يندم على كلِّ ماسلف منه من المعاصي إن كان عاصياً، ويودُّ لو كان ازداةً من الطاعات إن كان طائعاً ٢٥: ﴿فِيَوْمِئِذٍ لَا يُعَذِّبُ عَذَابُهُ أَحَدًا﴾ وليس أحدٌ أشدَّ عذاباً من تعذيب الله من عساه ٢٦: ﴿وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُ أَحَدًا﴾ وليس أحدٌ أشدَّ قبضاً ووثقاً من الزبانية لمن كفر برَّبهم عزَّ وجلَّ، وهذا في حقِّ المجرمين والظالمين، أمَّا النفس الزكية المطمئنة فيقال لها: ٢٧: ﴿يَا أَيُّهَا النَّفْسُ الْمَطْمَئِنَّةُ﴾ ارجعي إلى ربِّك ﴿إلى جواره وثوابه، وما أعدَّ لعباده في جنَّةه ٢٨: ﴿ارجعي إلى ربِّك راضية﴾ في نفسها مرضية﴾ قد رضيت عن الله، ورضي الله عنها وأرضاها ٢٩: ﴿فَاذْخُلِي فِي عِبَادِي﴾ في جملتهم ٣٠: ﴿وَاذْخُلِي جَنَّتِي﴾ وهذا يُقال لها عند الاحتضار، وفي يوم القيامة أيضاً، كما أنَّ الملائكة يشيرون المؤمن عند احتضاره وعند قيامه من قبره، فكذلك ههنا.

تفسير سورة التَّوْبَةِ

١: ﴿لَا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ﴾ هذا قسم من الله تعالى بمكة في حال كون الساكن فيها حلالاً، لينبئ على عظمة قدرها في حال إحرام أهلها ٢: ﴿وَأَنْتَ﴾ يا محمد ﴿حَلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ﴾ ما أصبت فيه فهو حلال لك، من غير حرج ولا إثم؛ أحلها الله له ساعة من نهار، ثم عادت حراماً ٣: ﴿وَالْوَالِدِ وَمَا وَلَدٌ﴾ يعني آدم أبا البشر وولده ٤: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ﴾ في نطفة ثم علقه ثم مضغة يتكبد في

يَقُولُ يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي ﴿٢٤﴾ فَيَوْمِئِذٍ لَا يُعَذِّبُ عَذَابُهُ أَحَدًا ﴿٢٥﴾ وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ يَا أَيُّهَا النَّفْسُ الْمَطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ارجعي إِلَى رَبِّكَ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾ فَاذْخُلِي فِي عِبَادِي ﴿٢٩﴾ وَادْخُلِي جَنَّتِي ﴿٣٠﴾

سُورَةُ التَّوْبَةِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

لَا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ ﴿١﴾ وَأَنْتَ حَلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ ﴿٢﴾ وَالْوَالِدِ وَمَا وَلَدٌ ﴿٣﴾ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ ﴿٤﴾ أَيْحَسِبُ أَنْ لَنْ يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ ﴿٥﴾ يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَا لَا لُبْدًا ﴿٦﴾ أَيْحَسِبُ أَنْ لَمْ يَرَهُ أَحَدٌ ﴿٧﴾ أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ ﴿٨﴾ وَلِسَانًا وَشَفْتَيْنِ ﴿٩﴾ وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ ﴿١٠﴾ فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ ﴿١١﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ ﴿١٢﴾ فَكُرْبَةٌ ﴿١٣﴾ أَوْ مِسْكِينٌ ﴿١٤﴾ وَإِطْعَمٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ ﴿١٥﴾ بَيْنَمَا ذَا مَقْرَبَةٍ ﴿١٦﴾ أَوْ مَسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ ﴿١٧﴾ ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالرَّحْمَةِ ﴿١٨﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَا لَيْتَنَاهُمْ أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ ﴿١٩﴾ عَلَيْهِمْ نَارٌ مُؤَصَّدَةٌ ﴿٢٠﴾

سُورَةُ الشُّمُسِ

الخلق، ثم في مكابدة الأمور ومشاقها ٥: ﴿أَيْحَسِبُ أَنْ لَنْ يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ﴾؟ أيظنُّ أن لن يُسأل عن هذا المال من أين اكتسبه وأين أنفقه؟ ٦: ﴿يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَا لَا لُبْدًا﴾ انفقْتُ ما لا كثيراً ٧: ﴿أَيْحَسِبُ أَنْ لَمْ يَرَهُ أَحَدٌ﴾ لم يره الله؟ ٨: ﴿أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ﴾ يُبصر بهما ٩: ﴿وَلِسَانًا﴾ ينطق به فيُعبر عما في ضميره، ﴿وشفتين﴾ يستعين بهما على الكلام والطعام وجمالاً لوجهه وفمه؟ ١٠: ﴿وهديناه النجدين﴾ الطريقين: الخير والشر ١١: ﴿فلا اقتحم﴾ أفلا سلكَ ﴿العقبة﴾ التي فيها النجاة والخير؟ ثم بينها فقال تعالى: ١٢: ﴿وما أدراك ما العقبة؟﴾ ١٣: ﴿فكُّ ربة﴾ [نكحها من أسر أو رق] ١٤: ﴿أو إطعام في يوم ذي مسغبة﴾ ذي جماعة ١٥: ﴿بينما﴾ أطلعهم في مثل هذا اليوم يتياً ﴿ذا مقربة﴾ ذا قرابة منه ١٦: ﴿أو مسكيناً ذا متربة﴾ فقيراً مدقماً الذي لا يثبت له ولا شيء يقيه من التراب ١٧: ﴿ثم كان من الذين آمنوا وتواصوا﴾ ثم هو مع هذه الأوصاف الطاهرة مؤمن بقلبه محتسب ثواب ذلك عند الله ﴿وتواصوا بالصبر وتواصوا بالرحمة﴾ من المتواصين بالصبر على أذى الناس، وعلى الرحمة بهم، كما في الحديث الشريف: [الراحمون يرحمهم الرحمن، ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء] ١٨: ﴿وأولئك أصحاب الميمنة﴾ المتصفون بهذه الصفات من أصحاب اليمين ١٩: ﴿والذين كفروا بآياتناهم أصحاب المشأمة﴾ أصحاب الشمال ٢٠: ﴿عليهم نارٌ مؤصدة﴾ مطبقة لا يحمد لهم عنها.

الآية: ٢ ثبت في الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال: وإن هذا البلد حرّمه الله يوم خلق السموات والأرض، فهو حرام بحرمة الله إلى يوم القيامة، لا يُضد شجره [لا يقطع] ولا يخلخل خلاه [أي لا يقطع نباته الرطب] وإنما أُجِلَّتْ لي ساعة من نهار، وقد عادت حرمتها اليوم كحرمتها بالأمس، ألا فيبلغ الشاهد الغائب. / ابن كثير ج ٤/ ٥١١/٤.

١: ﴿وَالشَّمْسُ وَضُحَاهَا﴾ وضوئها ٢:
 ﴿وَالْقَمَرُ إِذَا تَلَاهَا﴾ تبعها ٣: ﴿وَالنَّهَارُ إِذَا
 جَلَاهَا﴾ إذا غشينا النهار ٤: ﴿وَاللَّيْلُ إِذَا
 يَغْشَاهَا﴾ [يغشى العمورة بظلامه] ٥:
 ﴿وَالسَّمَاءَ وَمَابَنَاهَا﴾ وبانيها [سبحانه وتعالى]
 ٦: ﴿وَالْأَرْضَ وَمَطَحَاهَا﴾ ذحاهها، وخلق
 ما فيها ٧: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا﴾ خلقها على
 الفطرة القويمة ٨: ﴿فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا
 وَتَقْوَاهَا﴾ أرشدنا الخير والشر ٩: ﴿قَدْ أَفْلَحَ
 مَنْ زَكَّاهَا﴾ بطاعة الله، وطهرها من
 الأخلاق الدنيئة ١٠: ﴿وَقَدْ خَابَ مَنْ
 دَسَّاهَا﴾ أحمَلها عن الهدى حتى ركب
 المعاصي وترك طاعة الله عز وجل ١١:
 ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاهَا﴾ كذبت ثمود رسوهم
 بسبب ما كانوا عليه من الطغيان والبغي ١٢:
 ﴿إِذِ انبَعَثَ أَشْقَاهَا﴾ أشقى القبيلة، وهو
 الذي قال الله تعالى فيه: ﴿فنادوا صاحبهم
 فتعاطى فعقر﴾ ١٣: ﴿فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ
 اللَّهِ﴾ يعني صالحاً عليه السلام ﴿نَاقَةَ اللَّهِ﴾
 اخذروا ناقة الله أن تمسوها بسوء
 وسقياها﴾ لاتعتدوا عليها في سقياها، فإن
 لها شرب يوم ولكم شرب يوم معلوم، قال
 تعالى: ١٤: ﴿فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا﴾ كذبه فيها
 جاءهم به فأعقبهم ذلك أن عقروا الناقة التي
 أخرجها الله من الصخرة آية لهم وحنة عليهم
 ﴿فدمدم عليهم ربهم بذنبهم﴾ غضب الله
 عليهم فدمر الله عليهم ﴿فسواها﴾ فجعل
 العقوبة نازلة عليهم على السواء ١٥:
 ﴿وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا﴾ لا يخاف الله من أحدٍ تبعه [فالخلق خلقه، والعباد عباده].

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالشَّمْسُ وَضُحَاهَا ﴿١﴾ وَالْقَمَرُ إِذَا تَلَاهَا ﴿٢﴾ وَالنَّهَارُ إِذَا جَلَاهَا ﴿٣﴾
 وَاللَّيْلُ إِذَا يَغْشَاهَا ﴿٤﴾ وَالسَّمَاءَ وَمَا بَنَاهَا ﴿٥﴾ وَالْأَرْضَ وَمَا طَحَاهَا ﴿٦﴾
 وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴿٨﴾ قَدْ
 أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا ﴿١٠﴾ كَذَّبَتْ ثَمُودُ
 بِطَغْوَاهَا ﴿١١﴾ إِذِ انبَعَثَ أَشْقَاهَا ﴿١٢﴾ فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ
 نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا ﴿١٣﴾ فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ
 عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ بِذُنُوبِهِمْ فَسَوَّاهَا ﴿١٤﴾ وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا ﴿١٥﴾

سُورَةُ الشَّمْسِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَاللَّيْلُ إِذَا يَغْشَى ﴿١﴾ وَالنَّهَارُ إِذَا تَجَلَّى ﴿٢﴾ وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى ﴿٣﴾
 إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى ﴿٤﴾ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى ﴿٥﴾ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى ﴿٦﴾
 فَسَنِّيْسِرَهُ لِلْغَيْبِ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنْ كَبَلَ وَاسْتَعْتَى ﴿٨﴾ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى ﴿٩﴾
 فَسَنِّيْسِرَهُ لِلْغَيْبِ ﴿١٠﴾ وَمَا يَعْزُبُ عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّى ﴿١١﴾ إِنَّ عَلَيْنَا
 لَلْهُدَى ﴿١٢﴾ وَإِنَّ لَنَا لَلْآخِرَةَ وَالْأُولَى ﴿١٣﴾ فَأَنْذَرْتَكُمْ نَارًا تَلْظَى ﴿١٤﴾

تفسير سورة الليل

١: ﴿وَاللَّيْلُ إِذَا يَغْشَى﴾ [يُغْشَى الخلائق بظلمته] ٢: ﴿وَالنَّهَارُ إِذَا تَجَلَّى﴾ بضيائه وإشراقه ٣: ﴿وما خلق الذكر والأنثى﴾، ولما كان القسم
 بهذه الأشياء المتضادة كان المقسم عليه أيضاً متضاداً ولهذا قال تعالى: ٤: ﴿إن سعيكم لشتى﴾ أعمال العباد متضادة أيضاً ومتخالفة؛ فمن
 فاعل خيراً، ومن فاعل شراً ٥: ﴿فأما من أعطى واتقى﴾ أعطى ما أمر بإخراجه، واتقى الله في أموره ٦: ﴿وصدق بالحسنى﴾ بلائله إلا الله،
 (والحسنى الجنة) ٧: ﴿فسنيسره لليسرى﴾ يعني للجنة ٨: ﴿وأما من كبل واستعتى﴾ بما عنده ﴿واستعتى﴾ عن ربه عز وجل ٩: ﴿وكذب
 بالحسنى﴾ بالجزاء في الآخرة ١٠: ﴿فسنيسره لليسرى﴾ لطريق الشر ١١: ﴿وما يعزب عنده ماله إذا تردى﴾ إذا مات وتردى في النار؟! ١٢:
 ﴿إن علينا للهدى﴾ نبي الخلال والحرام ١٣: ﴿وإن لنا للآخرة والأولى﴾ الجميع ملكنا وأنا المتصرف فيهما ١٤: ﴿فأنذرتكم ناراً
 تلظى﴾ تتوهج. روى البخاري أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: ﴿إن أهون أهل النار عذاباً من له نعلان وشراكان من نار يغلي منهما
 دماغه كما يغلي المرجل، ما يرى أن أحداً أشد منه عذاباً، وإنه لأهونهم عذاباً.﴾

١٥: ﴿لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى﴾ لا يدخلها إلا الأشقى، ثم فسره فقال تعالى: ١٦: ﴿الَّذِي كَذَّبَ بِقَلْبِهِ﴾ وتولى ﴿وَتَوَلَّى﴾ أعرض عن العمل بجوارحه وأركانه ١٧: ﴿وَسِجِّتِهَا الْأَتْمَى﴾ وسيزحج عن النار التقي النقي، ثم فسره تعالى بقوله: ١٨: ﴿الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى﴾ يصرف ماله في طاعة الله يركي نفسه وماله وماوجهه من دين ودنيا ١٩: ﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى﴾ وما لأحد عنده من نعمة تجزي ليس بذله ماله في مكافأة من أسدى إليه معروفًا، فهو يعطي في مقابلة ذلك، وإنما دفعه ذلك ابتغاء وجه ربه ٢٠: ﴿إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى﴾ طمعاً في أن يحصل له رؤيته في رياض الجنات ٢١: ﴿وَلَسَوْفَ يَرْضَى﴾ ولسوف يرضى من اتصف بهذه الصفات.

تفسير سورة الضحى

١: ﴿والضحى﴾ هذا قسم منه تعالى بالضحى وما جعل فيه من الضياء ٢: ﴿والليل إذا سجي﴾ سكن فأظلم وادهم ٣: ﴿ما ودعك ربك﴾ ماتركك ﴿وما قلى﴾ وما أبغضك ٤: ﴿وللآخرة خير لك من الأولى﴾ وللدار الآخرة خير لك من هذه الدار، ولهذا كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أهدى الناس في الدنيا ٥: ﴿ولسوف يعطيك ربك فترضى﴾ يعني بذلك الشفاعة ٦: ﴿ألم يجدك يتيماً فآوى﴾ وذلك أن أباه توفي وهو في بطن أمه، ثم توفيت أمه وعمره ست سنين، ثم كان في كفالة جدّه عبد المطلب إلى أن توفي وعمره ثمان سنين، فكفله

عنه أبو طالب، ثم لم يزل يحوطه وينصره إلى أن توفي أبو طالب قبل الهجرة بقليل ٧: ﴿ووجدك ضالاً فهدى﴾ كما قال تعالى: ﴿وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان﴾ الآية ٨: ﴿ووجدك عائلاً فأغنى﴾ كنت ذا عيال فأغناك الله عن سواه ٩: ﴿فأما اليتيم فلاتقهر﴾ لاتذله وتبره ولكن أحسن إليه ١٠: ﴿وأما السائل فلاتنهر﴾ رد المسكين برحمة ولين ١١: ﴿وأما بنعمة ربك فحدث﴾ فمن شكر النعم أن يحدث بها، [أي: انشر ما أنعم الله عليك بالشكر والشانء].

تفسير سورة ألم نشرح

١: ﴿ألم نشرح لك صدرك﴾؟ نورناه [لك] ٢: ﴿ووضعنا عنك ووزرك﴾ بمعنى (ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر) ٣: ﴿الذي أنقض ظهرك﴾ أنقذك حمله ٤: ﴿ورفعنا لك ذكرك﴾ فلا تذكر إلا ذكرت معي: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله ٥: ﴿فإن مع العسر يسراً﴾ ٦: ﴿إن مع العسر يسراً﴾ أخير تعالى أن مع العسر يوجد اليسر، ثم أكد هذا الخبر، قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «لو جاء العسر فدخل هذا الحجر، لجاء اليسر حتى يدخل عليه فيخرج» ٧: ﴿فإذا فرغت﴾ أي من أمور الدنيا ﴿فانصب﴾ إلى العبادة ٨: ﴿وإلى ربك فارغب﴾ اجعل نيتك ورجعتك إلى الله عز وجل.

الآية: ١٨ روى الطبراني وابن خزيمة في صحيحه والحاكم وصححه عن جابر قال: قال رجل: يا رسول الله! أ رأيت إن أدى الرجل زكاة ماله؟ فقال رسول الله ﷺ: «مَنْ أَدَّى زَكَاةَ مَالِهِ، فَقَدْ ذَهَبَ عَنْهُ شُرُّهُ، فَلَا يَحْتَدُّ عَلَيْهِ إِنْ كَانَ قَدْ كَسَبَهُ مِنْ جُلُوءِ رُؤْيِ ابْنِ خُزَيْمَةَ وَابْنِ جَبَانَ فِي صَحِيحِهِمَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِذَا أَدَيْتَ الزَّكَاةَ فَقَدْ قَضَيْتَ مَا عَلَيْكَ، وَمَنْ جَمَعَ مَالاً حَرَامًا، ثُمَّ تَصَدَّقَ بِهِ لَمْ يَكُنْ لَهُ فِيهِ أَجْرٌ، وَكَانَ إِضْرَهُ عَلَيْهِ» أَي عَلَيْهِ ذَنْبُهُ وَإِمْه. /الترغيب ج/ ٥١٩/١ ٥٣٥.

لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى ﴿١٥﴾ الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّى ﴿١٦﴾ وَسِجِّتِهَا
الَّتَقَى ﴿١٧﴾ الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى ﴿١٨﴾ وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ
نِعْمَةٍ تُجْزَى ﴿١٩﴾ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى ﴿٢٠﴾ وَلَسَوْفَ يَرْضَى ﴿٢١﴾

سُورَةُ الضُّحَىٰ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَالضُّحَىٰ ﴿١﴾ وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى ﴿٢﴾ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ﴿٣﴾
وَلِلْآخِرَةِ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَىٰ ﴿٤﴾ وَلَسَوْفَ يَعْطِيكَ رَبُّكَ
فَتَرْضَىٰ ﴿٥﴾ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ ﴿٦﴾ وَوَجَدَكَ ضَالًّا
فَهَدَىٰ ﴿٧﴾ وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَىٰ ﴿٨﴾ فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ
﴿٩﴾ وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ ﴿١٠﴾ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴿١١﴾

سُورَةُ الشُّرُوحِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴿١﴾ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ﴿٢﴾ الَّذِي
أَنْقَضَ ظَهْرَكَ ﴿٣﴾ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴿٤﴾ فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٥﴾ إِنَّ
مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٦﴾ فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ ﴿٧﴾ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَبْ ﴿٨﴾

١: ﴿والتين والزيتون﴾ تينكم الذي تأكلون، وزيتونكم الذي تعصرون^(١) ٢: ﴿وطور سين﴾ الذي كلم الله عليه موسى عليه السلام ٣: ﴿وهذا البلد الأمين﴾ يعني مكة ٤: ﴿لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم﴾ هذا هو المقسم عليه؛ وهو أنه تعالى خلق الإنسان في أحسن صورة وشكل ٥: ﴿ثم رددناه أسفل سافلين﴾ إلى أرذل العمر، بعد الحسن والنضارة ٦: ﴿إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾ فمن جمع القرآن لم يرد إلى أرذل العمر، ﴿فلهم أجر غير ممنون﴾ غير مقطوع (وهذا في الآخرة، وتلك في الدنيا) ٧: ﴿فما يكذبك﴾ يابن آدم ﴿بعدم في الدين﴾؟ بالجزء في المعاد، ولقد عرفت البداية، وعرفت أن من قدر على البداية فهو قادر على الرجعة بطريق الأولى، فأني شيء يملك على التكذيب بالمعاد وقد عرفت هذا! ٨: ﴿أليس الله بأحكم الحاكمين؟﴾ الذي لا يجوز ولا يظلم أحداً، ومن عدله أن يُقيم القيامة فينتصف للمظلوم في الدنيا ممن ظلمه. وفي الحديث: «إذا قرأ أحدكم والتين والزيتون، فأني آخرها: ﴿أليس الله بأحكم الحاكمين﴾ فليقل: وأنا على ذلك من الشاهدين».

تفسير سورة اقرأ^(٢)

١: ﴿اقرأ باسم ربك الذي خلق﴾ ٢: ﴿خلق الإنسان من علق﴾ هذه الآيات المباركات أول رحمة رحم الله بها العباد، وأول نعمة أنعم الله بها عليهم، وفيها التنبيه على ابتداء خلق الإنسان ٣: ﴿اقرأ وربك الأكرم﴾ ٤: ﴿الذي علم بالقلم﴾ ٥: ﴿علم الإنسان ما لم يعلم﴾ وأن من كرمه تعالى أن علم الإنسان ما لم يعلم فشرّفه وكرّمه بالعلم، وهو القدر الذي امتاز به آدم على الملائكة ٦: ﴿كلا إن الإنسان ليطغى﴾ ٧: ﴿أن رآه استغنى﴾ إن الإنسان ذو بصر وطغيان إذا رأى نفسه قد كثر ماله، ثم توعدّه وعيّدّه وعظه: ٨: ﴿إن إلى ربك الرجعى﴾ المصير والمرجع إلى الله، وسيحاسبك على مالك من أين جمعته وفيم صرفته ٩: ﴿أرأيت الذي ينهى عبداً إذا صلى﴾ نزلت في أبي جهل، توعدّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم عند البيت، فوعظته أولاً فقال تعالى: ١١: ﴿أرأيت إن كان على الهدى؟ وأمر بالقوى؟ وأنت تزرجه وتتوعده على صلاته؟ ولهذا قال تعالى: ١٣: ﴿أرأيت إن كذب وتولى؟﴾ ١٤: ﴿ألم يعلم بأن الله يرى؟﴾ أما علم أن الله يراه ويسمع كلامه وسيجازيه على فعله أتم الجزاء؟ ثم قال تعالى متوعداً ومتهدداً: ١٥: ﴿كلا لئن لم ينته﴾ لئن لم يرجع عما هو فيه من العناد ﴿لنسفعاً بالناصية﴾ لتسمتها سواداً يوم القيامة، ثم قال: ١٦: ﴿ناصية كاذبة خاطئة﴾ يعني ناصية أبي جهل كاذبة في مقالها خاطئة في أفعالها ١٧: ﴿فليدع ناديه﴾ قومه ١٨: ﴿سندع الزبانية﴾ وهم ملائكة العذاب ١٩: ﴿كلا لا تطعه﴾ يا محمد فيما ينهاك عن العبادة ﴿واسجد واقترب﴾ أي: إلى الله عز وجل بالطاعة والعبادة.

سورة التين

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ ۝ (١) وَطُورِ سِينِينَ ۝ (٢) وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ ۝ (٣)
لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ۝ (٤) ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ ۝ (٥)
إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ۝ (٦)
فَمَا يَكْذِبُكَ بَعْدَ الْبَلَدَيْنِ ۝ (٧) أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمَ الْحَاكِمِينَ ۝ (٨)

سورة العلق

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۝ (١) خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ۝ (٢) أَقْرَأْ وَرَبُّكَ
الْأَكْرَمُ ۝ (٣) الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ۝ (٤) عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ۝ (٥) كَلَّا إِنَّ
الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَيطغى ۝ (٦) أَنْ رآه اسْتغنى ۝ (٧) إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الرُّجْعَىٰ ۝ (٨) أَرَأَيْتَ
الَّذِي يَنْهَىٰ ۝ (٩) عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰ ۝ (١٠) أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ عَلَىٰ الْهُدَىٰ ۝ (١١) أَوْ أَمَرَ
بِالتَّقْوَىٰ ۝ (١٢) أَرَأَيْتَ إِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ۝ (١٣) أَرَأَيْتَ إِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ۝ (١٤) كَلَّا لَئِنْ
لَمْ يَنْتَهِ لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ ۝ (١٥) نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ ۝ (١٦) فليدع ناديه ۝ (١٧)
سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ ۝ (١٨) كَلَّا لَا تَطَّعُهُ ۝ (١٩) وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ ۝ (٢٠)

نعمة أنعم الله بها عليهم، وفيها التنبيه على ابتداء خلق الإنسان ٣: ﴿اقرأ وربك الأكرم﴾ ٤: ﴿الذي علم بالقلم﴾ ٥: ﴿علم الإنسان ما لم يعلم﴾ وأن من كرمه تعالى أن علم الإنسان ما لم يعلم فشرّفه وكرّمه بالعلم، وهو القدر الذي امتاز به آدم على الملائكة ٦: ﴿كلا إن الإنسان ليطغى﴾ ٧: ﴿أن رآه استغنى﴾ إن الإنسان ذو بصر وطغيان إذا رأى نفسه قد كثر ماله، ثم توعدّه وعيّدّه وعظه: ٨: ﴿إن إلى ربك الرجعى﴾ المصير والمرجع إلى الله، وسيحاسبك على مالك من أين جمعته وفيم صرفته ٩: ﴿أرأيت الذي ينهى عبداً إذا صلى﴾ نزلت في أبي جهل، توعدّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم عند البيت، فوعظته أولاً فقال تعالى: ١١: ﴿أرأيت إن كان على الهدى؟ وأمر بالقوى؟ وأنت تزرجه وتتوعده على صلاته؟ ولهذا قال تعالى: ١٣: ﴿أرأيت إن كذب وتولى؟﴾ ١٤: ﴿ألم يعلم بأن الله يرى؟﴾ أما علم أن الله يراه ويسمع كلامه وسيجازيه على فعله أتم الجزاء؟ ثم قال تعالى متوعداً ومتهدداً: ١٥: ﴿كلا لئن لم ينته﴾ لئن لم يرجع عما هو فيه من العناد ﴿لنسفعاً بالناصية﴾ لتسمتها سواداً يوم القيامة، ثم قال: ١٦: ﴿ناصية كاذبة خاطئة﴾ يعني ناصية أبي جهل كاذبة في مقالها خاطئة في أفعالها ١٧: ﴿فليدع ناديه﴾ قومه ١٨: ﴿سندع الزبانية﴾ وهم ملائكة العذاب ١٩: ﴿كلا لا تطعه﴾ يا محمد فيما ينهاك عن العبادة ﴿واسجد واقترب﴾ أي: إلى الله عز وجل بالطاعة والعبادة.

(١) وفي قول كثير من المفسرين: المراد بهما مسجد دمشق، وبيت المقدس. وكان المراد موضع زرعهما.

(٢) وهي أول شيء نزل من القرآن.

تفسير سورة القدر

١: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ يخبر تعالى أنه أنزل القرآن ليلة القدر، وهي الليلة المباركة التي قال الله عز وجل: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ مَبْرُكَةٍ﴾، وهي ليلة القدر، وهي من شهر رمضان، كما قال تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ﴾، قال ابن عباس: أنزل الله القرآن جملة واحدة من اللوح المحفوظ إلى بيت العزة من السماء الدنيا، ثم نزل مفصلاً بحسب الوقائع في ثلاث وعشرين سنة على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم. ثم قال تعالى معظماً لشأن ليلة القدر التي اختصها بإنزال القرآن العظيم فيها: ٢: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ؟﴾ ٣: ﴿لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾ عملها وصيامها وقيامها خيرٌ من ألف شهر ٤: ﴿تَنْزِيلُ الْمَلَكَةِ وَالرُّوحِ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ ۗ سَلَّمَ هِيَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ الْفَجْرِ ۗ﴾ كل أمرٍ يكثر تنزُّلُ الملائكة في هذه الليلة، لكثرة بركتها، والملائكة يتزولون مع تنزُّل البركة والرحمة، وأما الرُّوحُ هنا فجبريل عليه السلام، ﴿مِنْ كُلِّ أَمْرٍ﴾ [أي: قد قدره وقضاه في تلك السنة إلى قابل] ٥: ﴿سَلَامٌ هِيَ﴾ هي سالمة لا يستطيع الشيطان أن يعمل فيها سوءاً أو أذى ﴿حَتَّىٰ مَطْلَعِ الْفَجْرِ﴾ تسلم الملائكة ليلة القدر على أهل المساجد حتى يطلع الفجر.

تفسير سورة البينة

١: ﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾ وهم اليهود والنصارى ﴿وَالْمُشْرِكِينَ﴾ من عبدة الأوثان والنيران من العرب والعجم ﴿مُنْفَكِينَ﴾ يعني منتهين حتى يتبين لهم الحق ﴿حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ﴾ هذا القرآن، ثم فسّر البينة فقال تعالى: ٢: ﴿رَسُولٌ مِنَ اللَّهِ يَتْلُو صُحُفًا مُطَهَّرَةً﴾ يعني محمداً صلى الله عليه وآله وسلم وما يتلوهُ من القرآن العظيم ٣: ﴿فِيهَا﴾ في الصحف ﴿كُتِبَ قِيمَةٌ﴾ مستقيمة معتدلة ٤: ﴿وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَةُ﴾ بعدما أقام الله عليهم الحجج، ففترقوا واختلفوا في الذي أرادَهُ اللهُ من كتبهم ٥: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ﴾ وهي أشرف عبادات البدن ﴿وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ﴾ وهي الإحسان إلى الفقراء ﴿وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ﴾ الملة القائمة العادلة ٦: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ﴾ المخالفين لكتب الله أنهم ﴿فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا﴾ لا يتجولون ولا يزولون ﴿أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ﴾ شر الخليفة التي برأها الله وذراها ٧: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ﴾ الأبرار الذين آمنوا بقلوبهم وعملوا الصالحات بأبدانهم هم خير البرية، وقد استدل بهذه الآية أبو هريرة وطائفة من العلماء على تفضيل المؤمنين من البرية على الملائكة، لقوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ﴾.

سورة القدر: روى الإمام أحمد أن رسول الله ﷺ سئل عن ليلة القدر: أي رمضان هي أم هي في غيره؟ فقال: «هل هي في رمضان». وروى مسلم في صحيحه عن أبي بن كعب عن رسول الله ﷺ أنها ليلة سبع وعشرين. وروى الإمام أحمد عن عباد بن الصامت أنه سأله عن ليلة القدر، فقال رسول الله ﷺ: «هي رمضان، فالتجسوها في العشر الأواخر، فإنها في وتر إحدى وعشرين، أو ثلاث وعشرين، أو خمس وعشرين، أو سبع وعشرين، أو تسع وعشرين، أو في آخر ليلة. / ابن كثير ج ٤/ ٥٣٣. / وروى الشيخان في صحيحهما عن أبي هريرة قال: قال النبي ﷺ: «مَنْ قَامَ لَيْلَةَ الْقَدْرِ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ الْحَدِيث. / الترمذ ج ٢/ ١٠٧٢. /

سُورَةُ الْقَدْرِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ١ وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ ٢
لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ ٣ نَزَّلَ الْمَلَكَةُ وَالرُّوحُ
فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ ٤ سَلَّمَ هِيَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ الْفَجْرِ ٥

سُورَةُ الْبَيِّنَةِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنْفَكِينَ
حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ ١ رَسُولٌ مِنَ اللَّهِ يَتْلُو صُحُفًا مُطَهَّرَةً ٢
فِيهَا كُتِبَ قِيمَةٌ ٣ وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ
بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَةُ ٤ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ
لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ
الْقِيَمَةِ ٥ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ
فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ ٦ إِنَّ
الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ ٧

٨: ﴿جَزَأُوهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَزَاءَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارِ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾
 بلا انقطاع ولا انقطاع ولاقوا ﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾ ومقام رضاه عنهم أعلى مما أوتوه من النعم المقيم، ﴿وَرَضُوا عَنْهُ﴾
 فيها منحهم من الفضل العظيم، ﴿ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ﴾ هذا الجزاء حاصل لمن خشي الله واتقاه حق تقواه.

تفسير سورة الزلزلة

١: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا﴾ تحركت من أسفلها ٢: ﴿وَأُخْرِجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا﴾ يعني أُلْقَتْ ما فيها من الموق، وهذه كقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ﴾ ٣: ﴿وَقَالَ الْإِنْسَانُ مَا لَهَا؟﴾ استكبر أمرها بعد ما كانت ساكنة ثابتة، أي: قد جاءها من أمر الله تعالى ما قد أعدّه لها من الزلزلة والقاء ما في بطنها من الأموات ٤: ﴿يَوْمَ يُنْفَخُ الْأَخْبَارُ﴾ تحدّث بما عمل العاملون على ظهرها، روى أحمد والترمذي بإسناد حسن صحيح: أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قرأ هذه الآية ثم قال: «أتدرون ما أخبرها؟» قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: «فإن أخبرها أن تشهد على كل عبد أو أمة بما عمل على ظهرها، أن تقول: عمل كذا وكذا يوم كذا وكذا، فهذه أخبارها» ٥: ﴿بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَى لَهَا﴾ أذن لها ٦: ﴿يَوْمَ يُنْفَخُ الْأَخْبَارُ﴾ يرجعون عن موقف الحساب أنواعاً وأصنافاً ما بين شقي وسعيد ﴿يُنْفَخُ الْأَخْبَارُ﴾ ليعلموا ويجازوا بما عملوه في الدنيا من خير وشر، ولهذا قال تعالى: ٧: ﴿لِمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾ ٨: ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ روى الإمام أحمد: أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: «إِيَّاكُمْ وَمِحْفَرَاتِ الذُّنُوبِ، فَإِنَّهِنَّ يَجْتَمِعْنَ عَلَى الرَّجُلِ حَتَّى يَهْلِكَهُ».

جَزَأُوهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَزَاءَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارِ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ ٨

سُورَةُ الزَّلْزَلَةِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
 إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ١ وَأُخْرِجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ٢
 وَقَالَ الْإِنْسَانُ مَا لَهَا ٣ يَوْمَ يُنْفَخُ الْأَخْبَارُ ٤
 بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَى لَهَا ٥ يَوْمَ يُنْفَخُ الْأَخْبَارُ ٥
 لِيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ ٦ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ٧
 وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ٨

سُورَةُ الْعَادِيَاتِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
 وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا ١ فَالْمُورِيَاتِ قَدْحًا ٢ فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحًا ٣
 فَأَثَرْنَ بِهِ نَقْعًا ٤ فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعًا ٥ إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ ٦
 وَإِنَّهُ عَلَىٰ ذَلِكٍ لَشَهِيدٌ ٧ وَإِنَّهُ لِحَبِطِ
 الْأَخْيَرِ لَشَدِيدٌ ٨ أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعِثَ رَافِعٌ فِي الْقُبُورِ ٩

تفسير سورة العاديات

١: ﴿وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا﴾ يُقَسَمُ اللهُ تَعَالَى بِالْخَيْلِ إِذَا أُجْرِيَتْ فِي سَبِيلِهِ فَعَدَتْ وَضَبِحَتْ، وَهُوَ صَوْتُهَا حِينَ تَعْلُو ٢: ﴿فَالْمُورِيَاتِ قَدْحًا﴾ يَعْنِي اصْطِكَكَ تَعَالَى لِلصَّخْرِ فَتَقْدَحُ مِنَ النَّارِ ٣: ﴿فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحًا﴾ يَعْنِي الْإِغَارَةَ وَقَدْ صَبَحَ ٤: ﴿فَأَثَرْنَ بِهِ نَقْعًا﴾ يَعْنِي غِبَارًا فِي مَكَانٍ مَعْرُوكِ الْخَيْلِ ٥: ﴿فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعًا﴾ [أَي: فَوَسَطْنَ بَرَكِبْنَهُنَّ الْعَدُوَّ] ٦: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ﴾ هَذَا هُوَ الْقَسَمُ عَلَيْهِ، يَعْنِي أَنَّهُ نَبِعٌ مِنْ رَبِّهِ لِكُفُورِهِ ٧: ﴿وَإِنَّهُ عَلَىٰ ذَلِكٍ لَشَهِيدٌ﴾ وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ ذَلِكَ لَشَهِيدٌ ٨: ﴿وَإِنَّهُ لِحَبِطِ الْأَخْيَرِ لَشَدِيدٌ﴾ [إِنَّ الْإِنْسَانَ] لِحَبِّ الْمَالِ لِشَدِيدِ قُوَى، وَهُوَ حَرَصُهُ عَلَيْهِ ٩: ﴿أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعِثَ رَافِعٌ فِي الْقُبُورِ؟﴾ أَخْرَجَ مَا فِيهَا مِنَ الْأَمْوَاتِ.

الآية: ٧-٨ وفي صحيح البخاري عن عدي بن حاتم قال: قال رسول الله ﷺ: «اتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ فَرْقَةٍ، وَلَوْ بِكَلِمَةِ طَبِيبٍ، وَهِيَ أَيْضًا فِي الصَّحِيحِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «لَا تَحْفَرُونَ مِنَ الْمَعْرُوفِ شَيْئًا وَلَوْ أَنَّ تَفْرَعُ مِنْ ذُلُوكِ فِي إِيَاءِ الْمَسْتَقِيِّ، وَلَوْ أَنَّ تَلْقَى أَخَاكَ وَوَجْهَكَ إِلَيْهِ مَبْسُطٌ» وَفِي الصَّحِيحِ أَيْضًا: «يَامَعْشَرَ نِسَاءِ الْمُؤْمِنَاتِ لَا تَحْفَرْنَ جَارَةَ جَارَتِهَا وَلَوْ فَرَسِينَ شَاةً» أَي ظَلْفَهَا. وَرَوَى أَحْمَدُ عَنْ عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «بَاعَاثَةُ اسْتَرْتِي مِنَ النَّارِ وَلَوْ بِشِقِّ فَرْقَةٍ، فَإِنَّهَا تُشَدُّ مِنَ الْجَالِحِ مَسْدُهَا مِنَ الشَّيْطَانِ». /ابن كثير ج ٤/٥٤٠.

وَحِصْلَ مَا فِي الصُّدُورِ ﴿١١﴾ إِنَّ رَبَّهُمْ بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ ﴿١١﴾

سُورَةُ الْقَارِعَةِ ﴿١١﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْقَارِعَةُ ﴿١﴾ مَا الْقَارِعَةُ ﴿٢﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ ﴿٣﴾

يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ ﴿٤﴾

وَتَكُونُ أَلْجَبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ ﴿٥﴾ فَأَمَّا

مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ ﴿٦﴾ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ

﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ ﴿٨﴾ فَأَمَّهُ هَوَايَةٌ

﴿٩﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَ ﴿١٠﴾ نَارَ حَامِيَةٍ ﴿١١﴾

سُورَةُ التَّكْوِينِ ﴿٨٠﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْهَنَاقُ التَّكَاثُرُ ﴿١﴾ حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ ﴿٢﴾ كَلَّا سَوْفَ

تَعْلَمُونَ ﴿٣﴾ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٤﴾ كَلَّا لَو تَعْلَمُونَ

عِلْمَ الْيَقِينِ ﴿٥﴾ لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ ﴿٦﴾ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا

عَيْنَ الْيَقِينِ ﴿٧﴾ ثُمَّ لَتَسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ ﴿٨﴾

١٠: ﴿وَحِصْلَ مَا فِي الصُّدُورِ﴾ يعني: أبرز وأظهر ما كانوا يُسِرُّونَ في نفوسهم ١١: ﴿وَإِنَّ رَبَّهُمْ بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ﴾ لَعَالِمٌ بِمَجْمِيعِ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ وَيَعْمَلُونَ، وَبِحَازِنِهِمْ عَلَيْهِ أَوْفَرَ الْجَزَاءِ، وَلَا يَظْلَمُ بِمِثْقَالِ ذَرَّةٍ، [سبحانه وتعالى].

تفسير سورة القارعة

١: ﴿الْقَارِعَةُ﴾ اسمٌ من أسماء القيامة، كالخافقة والطامة والصاخة والغاشية وغير ذلك، ثم قال تعالى معظماً أمرها ومهولاً لشأنها: ٢: ﴿مَا الْقَارِعَةُ﴾ ٣: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ؟﴾ ثم فسّر ذلك بقوله تعالى: ٤: ﴿يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ﴾ في انتشارهم وتفرقهم وذهابهم وبجيتهم من حيرتهم بما هم فيه، كما قال تعالى: ﴿كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُنْتَشِرٌ﴾ ٥: ﴿وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ﴾ كأنها الصفوف المنفوش الذي قد شرع في الذهاب والتمزق. ثم أخبر تعالى عما يُؤوّل إليه عملُ العاملين، وما يصيرون إليه من الكرامة والإهانة بحسب أعمالهم فقال تعالى: ٦: ﴿فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ﴾ رجحت حسنته على سيئاته ٧: ﴿فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ﴾ يعني في الجنة ٨: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ﴾ رجحت سيئاته على حسناته ٩: ﴿فَأَمَّهُ هَوَايَةٌ﴾ الهاوية هي ماواه التي يرجع إليها ويأوي إليها ١٠: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَ؟﴾ [مبهور لشأنها] ١١: ﴿نَارَ حَامِيَةٍ﴾ [اللهم أجربنا منها].

تفسير سورة التكاثر

١: ﴿الْهَنَاقُ التَّكَاثُرُ﴾ شغلكم حبُّ الدنيا ونعيمها عن طلب الآخرة وابتغائها ٢: ﴿حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ﴾ حتى جاءكم الموت وزرتم المقابر وضرمت من أهلها ٣: ﴿كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ ٤: ﴿ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ هذا وعيدٌ بعد وعيد، وهو للكفار ٥: ﴿كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ﴾ طلب الآخرة حتى صرتم إلى المقابر؟! ثم قال تعالى: ٦: ﴿لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ﴾ ٧: ﴿ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ﴾ عن الصحة والأمن والشعب، والمسكن، والأسماع والأبصار؛ يسأل الله تعالى العباد فيها استعملوها، وهو أعلم بذلك منهم، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾.

الآية: ٦ روى الترمذي بإسناد صحيح عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إِنَّ اللَّهَ سَيُخَلِّصُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي عَلَى رُؤُوسِ الْخَلَائِقِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيُنْفِثُ عَلَيْهِ نَسْمَةً وَتَسْمِينِ سَجَلًا، كُلُّ سَجَلٍ مِثْلُ مَدِّ الْبَصْرِ، ثُمَّ يَقُولُ: التَّكْرَمُ مِنْ هَذَا شَيْءٌ؟ أَطْلَمْتُ كَتَبِي الْهَافِظُونَ؟ يَقُولُ: لَا يَارِبُ، يَقُولُ: لَا يَارِبُ، يَقُولُ: بَلَى إِنَّ لَكَ عِنْدَنَا حَسَنَةً، وَإِنَّ لَأَظْلَمَ عَلَيْكَ الْيَوْمَ، فَيُخْرِجُ بِلَاطِقَةٍ فِيهَا أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، يَقُولُ: أَحْضِرْ وَزَنْكُ، يَقُولُ: يَارِبُ مَا هَذِهِ الْبِلَاطِقَةُ؟ مَا هَذِهِ السَّجَلَاتُ؟ قَالَ: فَوَازِنُكَ لِأَظْلَمَ. قَالَ: فَتُوضَعُ السَّجَلَاتُ فِي كِفَّةٍ وَبِلَاطِقَةٍ فِي كِفَّةٍ، فَطَاشَتْ السَّجَلَاتُ، وَثَقُلَتْ الْبِلَاطِقَةُ، وَلَا يَنْقُلُ بِهَا سَمِ اللَّهِ شَيْءٌ. / صحيح الترمذي ج ٢/٣٣٢ - ٣٣٤.

سورة التكاثر: روى الترمذي بإسناد صحيح عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ كَانَتِ الْآخِرَةُ هُمًّا جَعَلَ اللَّهُ عِثَّةً فِي قَلْبِهِ، وَجَمَعَ لَهُ سَمَلَهُ، وَآتَمَّتْ الدُّنْيَا وَهِيَ رَاضِعَةٌ، وَمَنْ كَانَتِ الدُّنْيَا هُمًّا جَعَلَ اللَّهُ فَقْرَهُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ، وَفَرَّقَ عَلَيْهِ سَمَلَهُ، وَبَلَغَ يَوْمَئِذٍ مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا مَا قَلَّ لَهُ». وروى أيضاً بإسناد صحيح عن أبي هريرة قال: قال النبي ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ يَقُولُ: يَا بَنِي آدَمَ! تَفَرَّقُوا لِعِبَادَتِي أَمَلًا صَدْرَكَ غِنَى وَأَسَدُ فَرْكَ، وَلَا تَفْعَلْ مَالًا يَدِيكَ سَجَلًا، وَلَمْ أَشُدَّ فَرْكَهَ». / صحيح الترمذي ج ٢/٣٠٠.

وروى مسلم في صحيحه أن رسول الله ﷺ قال: «يَقُولُ الْعَبْدُ: مَالِي مَالِي، وَإِنَّمَا لِي مِنْ مَالِهِ ثَلَاثٌ: مَا لِي فِي فَنَائِي، أَوْ لَيْسَ فَنَائِي، أَوْ تَصَدَّقَ فَأَمْضَى، وَمَا سِوَى ذَلِكَ فَذَاهِبٌ وَتَارِكٌ لِلنَّاسِ». / ابن كثير ج ٤/٥٤٤.

١: ﴿وَالْعَصْرِ﴾ العصر: الزمان الذي يقع فيه حركات بني آدم من خير وشر؛ أقسم تعالى بذلك على أن الإنسان لفي خسارة وهلاك: ٢: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِفِي خُسْرٍ﴾ ٣: ﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ فاستثنى من جنس الإنسان عن الخسران الذين آمنوا بقلوبهم، وعملوا الصالحات بجوارحهم ﴿وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ﴾ وهو أداء الطاعات، وترك المحرمات، ﴿وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ على المصائب والأقدار، وأذى من يؤذي مِمَّنْ يأمرونه بالمعروف وينهونه عن المنكر.

تفسير سورة الهمة

١: ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ﴾ [ويل: تهديد ووعيد] الهماز بالقول، واللماز بالفعل، يعني الذي يزدري الناس وينتقص منهم ٢: ﴿الَّذِي جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُ﴾ [الذي جمع مالا وعدده] جمعه بعضه على بعض وأحصى عدده، كقوله تعالى: ﴿وَجَمَعَ فَأَوْعَى﴾ ٣: ﴿يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ﴾ [يظن أن جمعه المال يُخلده في هذه الدار: ٤: ﴿كَلَّا﴾ ليس الأمر كما زعم ولا كما حسب. ثم قال تعالى: ﴿لَيُنَبِّدَنَّ فِي الْخُطْمَةِ﴾ [يَلْقَيْنَ هذا الذي جمع مالا فعده في الخطمة، وهي اسم طبقة من النار؛ لأنها تحطم من فيها، ولهذا قال تعالى: ٥: ﴿وَمَا أَذْرَاكَ مِنَ الْخُطْمَةِ﴾؟ ٦: ﴿نَارُ اللَّهِ الْمَوْقُودَةُ﴾ ٧: ﴿الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْئِدَةِ﴾ تحرقهم إلى الأفئدة وهم أحياء، تأكل كل شيء من جسده حتى إذا بلغت فؤاده حدو حلقه ترجع إلى جسده: ٨: ﴿إِنهَا عَلَيْهِمْ مُّوَصَّدَةٌ﴾ مطبقة: ٩: ﴿فِي عَمَدٍ مُمَدَّدَةٍ﴾ عمد من حديد، أي: يُعدّيون بعمدٍ في النار [اللهم أجزنا منها].

تفسير سورة الفيل

١: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ﴾؟ هذه من النعم التي امتن الله بها على قريش فيما صرف عنهم من أصحاب الفيل الذين كانوا قد عزموا على هدم الكعبة، فأبادهم الله وأرغم أنفهم وخبب سعيهم وردهم بشرّ خيبة، وطنا قال تعالى: ٢: ﴿أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضَلُّلٍ﴾ ٣: ﴿وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ﴾ هي الأفاطع كالإبل المؤبلة، خرجت من البحر، وهي طيور سود بحرية في مناقيرها وأظفارها الحجارة، أمثال الخطاطيف ٤: ﴿تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ﴾ فما يقع حجر على رأس رجل إلا خرج من دبره. [والسجّيل: الشديد الكثير. والسجّيل كل شديد صلب] ٥: ﴿فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ﴾ كالتبن الذي يُجرز للدواب.

سورة العصر: روى الطبراني عن ثابت بن عبيد الله بن حصن قال: كان الرجلان من أصحاب رسول الله ﷺ إذا التقيا لم يفترقا إلا على أن يقرأ أحدهما على الآخر سورة العصر إلى آخرها، ثم يسلم أحدهما على الآخر. وقال الإمام الشافعي: لو تدبر الناس هذه السورة لوسعتهم!! [ابن كثير ج ٤/٥٤٧].
سورة الهمة: روى مسلم في صحيحه أن رسول الله ﷺ قال: «المسلم أخو المسلم، لا يظلمه ولا يخذله، ولا يعقره، التقوى ها هنا، التقوى ها هنا - ويشير إلى صدره - بحسب امرئ من النثر» أن يعقر أخاه المسلم، كل المسلم على المسلم حرام: دمه وعرضه وماله. وروى أحمد عن أبي ذر أن النبي ﷺ قال له: «انظر فإنك لست بخير من أحمر ولا أسود، إلا أن تفضلت بقوى». [الترغيب ج ٣/٦٠٩، ٦١٢].

تفسير سورة قريش

١: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا قُرَيْشٌ﴾ اعجبوا لإيلاف قريش، ونعمتي عليهم في ذلك، ٢: ﴿إِيلافهم رحلة الشتاء والصيف﴾ لائتلافهم واجتماعهم في بلدهم آمين. وما كانوا يألفونه من الرحلة في الشتاء إلى اليمن، وفي الصيف إلى الشام في المتاجر، وغير ذلك، ثم يرجعون إلى بلدهم آمين. ثم أرشدهم إلى شكر هذه النعمة العظيمة فقال تعالى: ٣: ﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ﴾ فليؤخّذوه بالعبادة كما جعل لهم حرماً آمناً وبيتاً محرماً ٤: ﴿الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ﴾ هو رب البيت وهو الذي أطعمهم من جوع، و﴿وَأَمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ﴾ تفضل عليهم بالأمْن، فيفردوه بالعبادة وحده لا شريك له.

تفسير سورة الماعون

١: ﴿أَرَأَيْتَ﴾ يا محمد ﴿الَّذِي يُكَذِّبُ بِاللَّذِينَ﴾؟ وهو المعاد والجزاء والثواب ٢: ﴿فَذَلِكِ الَّذِي يَدْعُ الْيَتِيمَ﴾ هو الذي يقهر اليتيم؛ يظلمه حقّه ولا يطعمه ولا يحسن إليه ٣: ﴿وَلَا يَحْضُ عَلَى طَعَامِ الْمَسْكِينِ﴾ ولا يأمر باطعام الفقير؛ لخلعه وتكذيبه بالجزاء ٤: ﴿فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ﴾ الذين هم عن صلاتهم ساهون، يعني المنافقين، الذين يصلون في العلانية ولا يصلون في السر ٥: ﴿الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾ كما قال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كَسَالَى يُرَاوُونَ النَّاسَ وَلَا يذكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ ٧.

سُورَةُ قُرَيْشٍ

الْمَاعُونِ

سُورَةُ قُرَيْشٍ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
لَا إِلَهَ إِلَّا قُرَيْشٌ ١
إِلَيْهِمْ رِحْلَةُ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ ٢
فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ ٣
الَّذِي أَطْعَمَهُمْ ٤
مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ ٥

سُورَةُ الْمَاعُونِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالذِّينِ ١
فَذَلِكَ الَّذِي ٢
يَدْعُ الْيَتِيمَ ٣
وَلَا يَحْضُ عَلَى طَعَامِ الْمَسْكِينِ ٤
فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ ٥
الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ٦
الَّذِينَ هُمْ بِرِءَاؤُنِ ٧
وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ ٨

سُورَةُ الْكُوثِرِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكُوثَرَ ١
فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَنْحَرْ ٢
إِنَّ شَأْنَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ ٣

﴿وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ﴾ هم لأحسنوا عبادة ربهم ولا أحسنوا إلى خلقه، حتى ولا بإعارة ما يمتنع ويستعان به مع بقاء عينه ورُجوعه إليهم؛ فهو لاء منع الزكاة وأنواع القربات أولى وأولى.

تفسير سورة الكوثر

١: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكُوثَرَ﴾ قال رسول الله ﷺ: «هل تُدْرُونَ مَا الْكُوثَرُ؟» قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: «هو نهر أعطانيه ربي عز وجل في الجنة عليه خير كثير، ترد عليه أمتي يوم القيامة، أنبئه عدد الكواكب» الحديث ٢: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ﴾ كما أعطيناك الخير الكثير في الدنيا والآخرة، فأخلص لربك صلاتك المكتوبة والنافلة. ﴿وأنحرو﴾ على اسمه تعالى وحده لا شريك له، كما قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ ٣: ﴿إِنَّ شَأْنَكَ﴾ إن مبعضك يا محمد ومبعض ماجتت به من الهدى والحق ﴿هُوَ الْأَبْتَرُ﴾ هو الأقل الأذل المنقطع.

الآية: ٤: ﴿الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ﴾ كما قال تعالى: ﴿وَأَنْتُمْ تَرَوُنَّ أَنَّ جَعَلْنَا حَرَماً آمِناً، وَيُخَفِّطُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ﴾ ﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ﴾ كما قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَذِهِ الْبَلَدِ الَّذِي حَرَّمَهَا وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾.
الآية: ٢: ﴿فَذَلِكِ الَّذِي يَدْعُ الْيَتِيمَ﴾ روى البخاري وأبو داود والترمذي عن سهل بن سعد الساعدي قال: قال رسول الله ﷺ: «أنا وكافل اليتيم في الجنة، هكذا، وأشار بالسبابة والوسطى وفرج بينهما شيئاً». وكافل اليتيم: هو الذي يقوم بأمره ويعوله ويُرِيته. واليتيم من الناس: من مات أبوه. وسواء كان الكافل لليتيم من ذوي رحمه وأَسْبَابِهِ، كولد ولده ونحوه، أو كان أجنبياً لغیره تكفل به، فإن أجره واحد. / جامع الأصول ج ١/ ٤١٧ - ٤١٨.

١: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾ هذه السورة سورة البراءة من العمل الذي يعمله المشركون، وهي أمرة بالإخلاص. وهي تشمل كل كافر على وجه الأرض، ولكن المواجهون بهذا الخطاب كفار قريش. فإنهم من جهلهم دعوا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى عبادة أوثانهم سنة ويعبدون معبوده سنة، فأنزل الله هذه السورة، وأمر رسوله صلى الله عليه وآله وسلم فيها أن يترأ من دينهم بالكلية، فقال: ﴿لَا أُعْبُدُ مَا تُعْبُدُونَ﴾ يعني الأصنام والأنداد ٣: ﴿وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا نُعْبُدُ﴾ وهو الله وحده لا شريك له؛ أي: لأننا أتقدي بعبادتكم، ولأنتم تقتدون بأوامر الله وشرعه في عبادته، بل قد اخترعتم شيئاً من تلقاء أنفسكم، كما قال تعالى: ﴿إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمْ الْهُدَى﴾، فترأ منهم في جميع ما هم فيه، فإن العابد لا يبد له من معبود يعبده وعبادة يسلكها إليه؛ فالرسول صلى الله عليه وآله وسلم وأتباعه يعبدون الله بما شرعه، ولهذا كان كلمة الإسلام: لا إله إلا الله محمد رسول الله؛ أي: لا معبود إلا الله، ولا طريق إليه إلا ما جاء به الرسول صلى الله عليه وآله وسلم. ولهذا قال تعالى: ٤: ﴿وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُ مَا تُعْبُدُونَ﴾ ٥: ﴿وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا نُعْبُدُ﴾ ٦: ﴿لَكُمْ دِينِكُمْ﴾ الكفر ﴿وَلِي دِينِ﴾ الإسلام.

تفسير سورة النصر

١: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحِ﴾ المراد

بالنصر: نصر الرسول صلى الله عليه وآله وسلم على قريش، والفتح: فتح مكة ٢: ﴿وَرَأَيْتَ النَّاسَ﴾ [العرب وغيرهم] ﴿يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا﴾ [جماعات جماعات] ٣: ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ﴾ [إذا صليت فأكثر من الاستغفار] ﴿إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾ [على المسحوقين والمستغفرين، يتوب عليهم ويرحمهم]. وروى البزار والبيهقي أن هذه السورة نزلت على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أوسط أيام التشريق، فعرف أنه الوداع. ودعا فاطمة وقال: ﴿إِنَّهُ قَدْ نُعِيَ إِلَيَّ نَفْسِي﴾، [فعاش بعدها صلى الله عليه وآله وسلم ستة أشهر تقريباً].

تفسير سورة المسد

١: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾ نزلت حين نادى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قومه فاجتمعوا إليه، فقال: ﴿إِنِّي نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾ فقال أبو لهب: ألهذا دعوتنا؟ تباً لك، فأنزل الله هذه السورة. وقوله تعالى: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ﴾ خسير وخاب ﴿وَتَبَّ﴾ تحقق خساره وهلاكه ٢: ﴿مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ﴾ يعني ماله وما كسب ﴿بِئْسَ مَا لَمْ يَنْتَهِ عَنِ الْمَوْتِ وَأَنَّهُ لَمْ يُغْنِ عَنكَ مَا لَمْ يَكُنْ يُغْنِي عَنْكَ وَاللَّهُ يُدْخِلُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ فِي حَمَلَاتٍ خَالَطَ﴾ يعني تحمل الحطب فنلقي به على زوجها ليزداد عذاباً، فقد كانت عوناً لزوجها في معاداة النبي صلى الله عليه وآله وسلم ٥: ﴿فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ﴾ طوق من حديد. والمسد: الحبل من الليف أيضاً.

سورة الكافرون: جاء في صحيح مسلم أن رسول الله ﷺ كان يقرأ بها وقد ﴿قُلْ﴾ هو الله أحد في ركعتي الفجر. وأنه ﷺ قرأ بهما في ركعتي الطواف. وروى الطبراني أن رسول الله ﷺ كان إذا أخذ مضجعه قرأ ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾ حتى يمتنها. وروى الإمام أحمد عن الحارث بن جبلة قال: قلت يا رسول الله! علمني شيئاً أقوله عند منامي، قال: ﴿إِذَا أَخَذْتَ =

تفسير سورة الإخلاص

١: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ نزلت هذه السورة حين قال المشركون: يا محمد انسب لنا ربك، فأنزل الله: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ إلى آخرها. والأحد: هو الواحد الذي لا نظير له ولا وزير ولا نديد ولا شبيه ولا عدل، ولا يُطلق هذا اللفظ على أحد في الإثبات إلا على الله عز وجل؛ لأنه الكامل في جميع صفاته وأفعاله ٢: ﴿اللَّهُ الصَّمَدُ﴾ الصمد: السيد الذي قد انتهى سُودُده، والباقي بعد خلقه، والصمد: الحي القيوم الذي لا يزول. والصمد: الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد ٣: ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾ ليس له ولد، ولا والد، ولا صاحبة ٤: ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ لم يكن له شبيه ولا عدل، وليس كمثل شيء. روى البخاري: أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: «والذي نفسي بيده إنها [أي: هذه السورة] لتعدل ثلث القرآن».

تفسير سورة الفلق

١: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾ ربُّ الصبح ٢: ﴿مِنَ شَرِّ مَا خَلَقَ﴾ من شرِّ جميع ما خلق، أي: المخلوقات ٣: ﴿وَمِنَ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ﴾ إذا أقبل بظلامه ٤: ﴿وَمِنَ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ﴾ يعني السَّوْجَرِ إِذَا تَفَثْنَ﴾ في العُقَدِ ٥: ﴿وَمِنَ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾

تفسير سورة الناس

١: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾ ٢: ﴿مَلِكٍ النَّاسِ﴾ ٣: ﴿إِلَهِ النَّاسِ﴾ هذه ثلاث

صفات من صفات الربِّ عز وجل: الربوبية، والملك، والإلهية، فهو ربُّ كلِّ شيءٍ ومليكه وإلهه، فجميع الأشياء مخلوقة له، فأمر المستعبد أن يتعوذ بهذه الصفات من شرِّ الوسواس الخناس، وهو الشيطان الموكل بالإنسان ٤: ﴿مِنَ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ﴾ وهو القرين الذي يزير للإنسان الفواجش، ولا يألوه جهداً في الخبال ٥: ﴿الَّذِي يُوسَسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ﴾ هو الشيطان جائئ على قلب ابن آدم، فإذا سها وغفل وسوس، فإذا ذكر الله خَسَنَ ٦: ﴿مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ﴾ هذا تفسير للذي يُوسوس في صدور الناس من شياطين الإنس والجن، كما قال الله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا﴾.

روى الإمام أحمد: عن ابن عباس قال: جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فقال: يا رسول الله إني لأحدت نفسي بالشيء إلا أن أخرج من السوء أحب إلي من أن أتكلّم به؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «الله أكبر، الله أكبر، الحمد لله الذي ردّ كيده إلى الوسوسة». [وقد ثبت عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: «إن الله عز وجل تجاوز لأمتي عما حدّثت به أنفسها ما لم تعمل أو تتكلّم به» أخرجه مسلم].

مضجك من الليل فاقراً ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾ فإنها براءة من الشرك. / ابن كثير ج ٤ / ٥٦٠. وأقول: إن هذه السورة اشتملت على التوحيد العملي الذي يميّز به المسلم الصادق العبادة لله تعالى وحده عن أي عابد تدّاخل عليه شيء من الشرك الأكبر أو الشرك الأصغر، كما أن سورة الإخلاص قد اشتملت على التوحيد العلمي، الذي يُبَيِّر العقيدة ويجعلها صافية ناصعة خالصة من كل شائبة من شوائب الباطل وشبهات الضلالة. ومن هذا ندرك كبر عناية وإهتمام رسول الله ﷺ بهاتين السورتين، فكان ﷺ يفتح بهما صلاته قبل فريضة الفجر، كما كان يختم بهما صلاة اليوم حين كان يُواظب عليهما في صلاة الوتر آخر الليل!!.

سُورَةُ الْإِخْلَاصِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ١ اللَّهُ الصَّمَدُ ٢ لَمْ يَلِدْ
وَلَمْ يُولَدْ ٣ لَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ٤

سُورَةُ الْفَلَقِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ١ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ٢ وَمِن
شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ٣ وَمِن شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي
الْعُقَدِ ٤ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ٥

سُورَةُ النَّاسِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ١ مَلِكِ النَّاسِ ٢ إِلَهِ
النَّاسِ ٣ مِن شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ ٤ الَّذِي
يُوسَسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ ٥
مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ ٦

رُحْمَا خَيْرِ الْقِرَائِنِ

اللَّهُمَّ أَرْحَمْنِي بِالْقُرْآنِ وَأَجْعَلْهُ لِي إِمَامًا وَنُورًا وَهُدًى
وَرَحْمَةً اللَّهُمَّ ذَكِّرْنِي مِنْهُ مَا نَسِيتُ وَعَامِنِي مِنْهُ مَا جِهَلْتُ
وَأَزِدْنِي تِلَاوَتَهُ أَنَاءَ اللَّيْلِ وَأَطْرَافِ النَّهَارِ وَأَجْعَلْهُ لِي حُجَّةً يَدْرَبُ
الْعَالَمِينَ * اللَّهُمَّ أَصْلِحْ لِي دِينِي الَّذِي هُوَ عِصْمَةُ أَمْرِي وَأَصْلِحْ
لِي دُنْيَايَ الَّتِي فِيهَا مَعَاشِي وَأَصْلِحْ لِي آخِرَتِي الَّتِي فِيهَا مَعَادِي
وَأَجْعَلْ الْحَيَاةَ زِيَادَةً لِي فِي كُلِّ خَيْرٍ وَأَجْعَلِ الْمَوْتَ رَاحَةً لِي
مِنْ كُلِّ شَرٍّ * اللَّهُمَّ اجْعَلْ خَيْرَ عُمْرِي آخِرَهُ وَخَيْرَ عَمَلِي
خَوَاتِمَهُ وَخَيْرَ أَيَّامِي يَوْمَ الْقَاكَ فِيهِ * اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ عِيشَةً
هَنِيئَةً وَمِيتَةً سَوِيَّةً وَمَرَدًّا غَيْرَ مُخْزِيٍّ وَلَا فَاضِحٍ * اللَّهُمَّ إِنِّي
أَسْأَلُكَ خَيْرَ الْمَسْأَلَةِ وَخَيْرَ الدُّعَاءِ وَخَيْرَ التَّجَاحِ وَخَيْرَ الْعِلْمِ وَخَيْرَ
الْعَمَلِ وَخَيْرَ الثَّوَابِ وَخَيْرَ الْحَيَاةِ وَخَيْرَ الْمَمَاتِ وَثَبَّتْنِي وَثَقَّلْ مَوَازِينِي
وَحَقِّقْ إِيْمَانِي وَأَرْفَعْ دَرَجَتِي وَتَقَبَّلْ صَلَاتِي وَأَعْفِرْ خَطِيئَاتِي

وَأَسْأَلُكَ الْعُلَامَةَ مِنَ الْجَنَّةِ * اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ مُوجِبَاتِ رَحْمَتِكَ
وَعَرَائِجَ مَغْفِرَتِكَ وَالسَّلَامَةَ مِنْ كُلِّ إِثْمٍ وَالْغَنِيمَةَ مِنْ كُلِّ بَرٍّ وَالْفَوْزَ
بِالْجَنَّةِ وَالنَّجَاةَ مِنَ النَّارِ * اللَّهُمَّ أَحْسِنْ عَاقِبَتَنَا فِي الْأُمُورِ كُلِّهَا
وَأَجِرْنَا مِنْ خِزْيِ الدُّنْيَا وَعَذَابِ الْآخِرَةِ * اللَّهُمَّ اقْسِمْ لَنَا مِنْ
خَشْيَتِكَ مَا تَحُولُ بِهِ بَيْنَنَا وَبَيْنَ مَعْصِيَتِكَ وَمَنْ طَاعَتِكَ مَا نَبْلُغُنَا
بِهَا جَنَّتِكَ وَمَنْ يُقِيمُنَا مَا نُهَوُّنُ بِهِ عَلَيْنَا مَصَائِبَ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَا
بِأَسْمَاعِنَا وَأَبْصَارِنَا وَقُوَّتِنَا مَا أَحْيَيْتَنَا وَاجْعَلْهُ الْوَارِثَ مِنَّا وَاجْعَلْ
ثَأْرَنَا عَلَى مَنْ ظَلَمَنَا وَانصُرْنَا عَلَى مَنْ عَادَانَا وَلَا تَجْعَلْ مُصِيبَتَنَا فِي
دِينِنَا وَلَا تَجْعَلِ الدُّنْيَا أَكْبْرَهُمِنَّا وَلَا مَبْلَغَ عِلْمِنَا وَلَا تَسْلِطْ عَلَيْنَا
مَنْ لَا يَرْحَمُنَا * اللَّهُمَّ لَا تَدْعُ لَنَا ذَنْبًا إِلَّا اغْفِرْتَهُ وَلَا هَمًّا إِلَّا
فَرَّجْتَهُ وَلَا دَيْنًا إِلَّا أَقْضَيْتَهُ وَلَا حَاجَةً مِنْ حَوَائِجِ الدُّنْيَا
وَالْآخِرَةِ إِلَّا أَقْضَيْتَهَا يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ * رَبَّنَا آتِنَا فِي
الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ
وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ
الْأَخْيَارِ وَسَلَّمْ تَسْلِيمًا كَثِيرًا

السورة	آيات	الجزء	السورة	آيات	الجزء
الفاتحة	١	١	الرؤم	٣٠	٤٠٤
البقرة	٢	٢	لقمان	٣١	٤١١
آل عمران	٣	٥٠	السجدة	٣٢	٤١٥
النساء	٤	٧٧	الأحزاب	٣٣	٤١٨
المائدة	٥	١٠٦	سبا	٣٤	٤٢٨
الأنعام	٦	١٢٨	فاطر	٣٥	٤٣٤
الأعراف	٧	١٥١	يس	٣٦	٤٤٠
الأنفال	٨	١٧٧	الصفافات	٣٧	٤٤٦
التوبة	٩	١٨٧	ص	٣٨	٤٥٣
يونس	١٠	٢٠٨	الزمر	٣٩	٤٥٨
هود	١١	٢٢١	غافر	٤٠	٤٦٧
يوسف	١٢	٢٣٥	فصلت	٤١	٤٧٧
الزهد	١٣	٢٤٩	الشورى	٤٢	٤٨٣
إبراهيم	١٤	٢٥٥	الزخرف	٤٣	٤٨٩
الحجر	١٥	٢٦٢	الدخان	٤٤	٤٩٦
التحل	١٦	٢٦٧	الجاثية	٤٥	٤٩٩
الاسراء	١٧	٢٨٢	الأحقاف	٤٦	٥٠٢
الكهف	١٨	٢٩٣	محمد	٤٧	٥٠٧
مريم	١٩	٣٠٥	الفتح	٤٨	٥١١
طه	٢٠	٣١٢	الحجرات	٤٩	٥١٥
الأنبياء	٢١	٣٢٢	ق	٥٠	٥١٨
الحج	٢٢	٣٣٢	الذاريات	٥١	٥٢٠
المؤمنون	٢٣	٣٤٢	الطور	٥٢	٥٢٣
النور	٢٤	٣٥٠	التجم	٥٣	٥٢٦
الفرقان	٢٥	٣٥٩	القمر	٥٤	٥٢٨
الشعراء	٢٦	٣٦٧	الرحمن	٥٥	٥٣١
الثل	٢٧	٣٧٧	الواقعة	٥٦	٥٣٤
القصص	٢٨	٣٨٥	الحديد	٥٧	٥٣٧
العنكبوت	٢٩	٣٩٦	المجادلة	٥٨	٥٤٢

السورة	آيها	الصحيفة	السورة	آيها	الصحيفة
الحشر	٥٩	٥٤٥	الأعلى	٨٧	٥٩١
الممتحنة	٦٠	٥٤٨	العاشية	٨٨	٥٩٢
الصف	٦١	٥٥١	الفجر	٨٩	٥٩٣
الجمعة	٦٢	٥٥٣	البلد	٩٠	٥٩٤
المنافقون	٦٣	٥٥٤	الشمس	٩١	٥٩٥
التغابن	٦٤	٥٥٦	الليل	٩٢	٥٩٥
الطلاق	٦٥	٥٥٨	الضحى	٩٣	٥٩٦
التحريم	٦٦	٥٦٠	الشرح	٩٤	٥٩٦
الملك	٦٧	٥٦٢	الين	٩٥	٥٩٧
القلم	٦٨	٥٦٤	العلق	٩٦	٥٩٧
الحاقة	٦٩	٥٦٦	القدر	٩٧	٥٩٨
المعارج	٧٠	٥٦٨	البيته	٩٨	٥٩٨
نوح	٧١	٥٧٠	الزلزلة	٩٩	٥٩٩
الجن	٧٢	٥٧٢	العاديات	١٠٠	٥٩٩
المزمل	٧٣	٥٧٤	القارعة	١٠١	٦٠٠
المدثر	٧٤	٥٧٥	التكاثر	١٠٢	٦٠٠
القيامة	٧٥	٥٧٧	العصر	١٠٣	٦٠١
الإنسان	٧٦	٥٧٨	الهجرة	١٠٤	٦٠١
المزملات	٧٧	٥٨٠	الفيل	١٠٥	٦٠١
التبأ	٧٨	٥٨٢	قريش	١٠٦	٦٠٢
التازعات	٧٩	٥٨٣	الماعون	١٠٧	٦٠٢
عبس	٨٠	٥٨٥	الكوثر	١٠٨	٦٠٢
التكوير	٨١	٥٨٦	الكافرون	١٠٩	٦٠٣
الانفطار	٨٢	٥٨٧	التضر	١١٠	٦٠٣
المطففين	٨٣	٥٨٧	المسك	١١١	٦٠٣
الاشفاق	٨٤	٥٨٩	الإخلاص	١١٢	٦٠٤
البروج	٨٥	٥٩٠	الفلق	١١٣	٦٠٤
الطارق	٨٦	٥٩١	الناس	١١٤	٦٠٤

علامات الوقف وخصائصها القسطنطينية :

- م تقييد لزوم الوقف
لا تقييد النفي عن الوقف
عل تقييد بأن الوصل أولى مع جواز الوقف
قل تقييد بأن الوقف أولى
ج تقييد جواز الوقف
.. تقييد جواز الوقف بأحد الموضعين وليس في كليهما
• للدلالة على زيادة الحرف وعدم النطق به
• للدلالة على زيادة الحرف حين الوصل
- للدلالة على سكون الحرف
م للدلالة على وجود الإقلاب
= للدلالة على إظهار التنوين
= للدلالة على الإدغام والإخفاء
١ للدلالة على وجوب النطق بالحرف المتروكة
س للدلالة على وجوب النطق بالسين بدل الصاد
وإذا وضعت بالأسفل فالنطق بالصاد أشهر
~ للدلالة على لزوم المد الزائد
🕌 للدلالة على موضع السجود ، أمّا كلمة وجوب السجود
فقد وضع تحتها خط
☀ للدلالة على بداية الأجره والأحزاب وأنصافها وأرباعها
④ للدلالة على نهاية الآية ورقمها .

رقع
www.moswarat.com
بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بِعَوْنِ اللَّهِ وَتَوْفِيقِهِ وَبِحِفْظِهِ تَزِيدُ عَلَى سَرَائِبِ حَنِيسٍ وَجُهُودِ مُضْنَبَةٍ مِنَ الْكِتَابَةِ
وَالْمَرَاقِبَةِ وَالصَّبِيطِ وَالْتَدْقِيقِ تَمَّتْ كِتَابَةُ هَذِهِ النُّشْخَةِ الْقَرِيدَةِ مِنَ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ
بِمَا يُؤَافِقُ أَصْحَ الْأَقْوَالِ الَّتِي أَجْمَعَ عَلَيْهَا الْعُلَمَاءُ لِرَسْمِ الْمُصْحَفِ كَمَا أُرْعَى عَنْ سَيِّدِنَا
عُمَانَ رَضَفْتَانَ وَبِمَا تَعَارَفَ عَلَيْهِ الْخَطَّاطُ وَبِرِوَايَةِ حَفِصِ عَنْ عَاصِمٍ وَذَلِكَ بِإِشْرَافِ
هَيْئَةِ عُلَمَاءِ مِزْكَارِ عُلَمَاءِ بِلَادِ الشَّامِ :

سَمَاعَةَ الشَّيْخِ مُحَمَّدِ أَبِي الْيُسْرَى عَابِدِينَ رَحِمَهُ اللَّهُ .
فَضِيلَةَ الْأَسْتَاذِ كَرِيمِ رَاجِحِ .
فَضِيلَةَ الشَّيْخِ عَبْدِ الْعَزِيزِ عُمُونَ السُّودِ رَحِمَهُ اللَّهُ .
الْأَسْتَاذِ مَسْرُوانِ سُورِ .
الْأَسْتَاذِ عَزِيزِ عَابِدِينَ رَحِمَهُ اللَّهُ .

وَقَامَتْ بِتَدْقِيقِ هَذَا الْمُصْحَفِ الشَّرِيفِ وَمَنْحَتِ الْإِذْنَ بِطِبَاعَتِهِ :

- إِدَارَةُ الْإِمْتَاءِ الْعَامِ وَالتَّدْرِيسِ الدِّينِيِّ
بِرَقْمِ ١٤٤ تَارِخِ ١٩٧٧/٢/٥ .
- وَزَارَةُ الْإِعْلَامِ - مَدِيرَةِ الرِّقَابَةِ
رَقْمِ ٦٤٤٤ تَارِخِ ١٩٧٧/٢/٢٧ .
- إِدَارَةُ الْبُحُوثِ الْإِسْلَامِيَّةِ وَالتَّشْرِيبِ الْأَزْهَرِ
رَقْمِ ٣١٣ تَارِخِ ١٩٧٩/٦/٣ .
- رِئَاسَةُ إِدَارَاتِ الْبُحُوثِ الْعَامِيَّةِ وَالْإِفْتَاءِ وَالدَّعْوَةِ
وَالْإِرْشَادِ رَقْمِ ٥/١٠٠٩ تَارِخِ ١٣٩٨/١٠/٧ .
- وَزَارَةُ الْأَوْقَافِ وَالشُّؤُونَ وَالمَقْدَسَاتِ الْإِسْلَامِيَّةِ
رَقْمِ ١٩٧٩/٥/٩ - ١١/٢٨٩٢ .

طُبِعَ بِإِذْنِ حَاضِرِ مِنَ الْمَدَارِ الشَّامِيَّةِ لِتَعَارُفِ
بَدَشِيقِ

رقم
www.moswarat.com

تَشَرَّفَتْ بِإِصْدَارِ هَذِهِ الطَّبَعَةِ النَّفِيسَةِ مِنَ الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ

كِتَابُ ابْنِ عَصَاةٍ

لِطِبَّائِ عَمَلِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ وَالْعِلْمِ الْبَعِيدِ
فِي بَيْرُوتَ بَعْدَ جُهْدٍ مُتَوَاصِلٍ وَمُتَابَعَةٍ دَقِيقَةٍ مِنْ قِبَلِ مُدِيرِ الدَّارِ

مُحَمَّدِ عَمْرِوفِ عَصَاةٍ

خِلَالَ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ أَنْفَقَ فِيهِمَا كُلَّ مَا يَسْتَطِيعُهُ فِي سَبِيلِ
إِخْرَاجِ الطَّبَعَةِ بِهَذِهِ الحُلَّةِ القَشِيبَةِ مِنْ دِقَّةِ الطَّبِيعِ وَجَمَالِ
الرَّخْفَةِ وَأَنَاقَةِ التَّجْلِيدِ .

وَتَشْكُرُ الدَّارُ كُلَّ مَنْ سَاعَدَ وَسَاهَمَ فِي خِدْمَةِ كِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ،
وَتُخْتَصُّ مِنْهُمُ الخَطَّاطُ عُثْمَانُ طَاهٍ الَّذِي قَامَ بِكِتَابَةِ مَحْطُوطَةِ المَصْحَفِ
الشَّرِيفِ وَالسَّيِّدُ فَتْحِي نَصِيرِ الَّذِي قَامَ بِالتَّحْضِيرِ الطَّبَاعِيِّ وَالسَّيِّدُ زِيَادُ
سُرُوجِي الَّذِي قَامَ بِالتَّضْيِيدِ الصُّوْبِيِّ وَمَطْبَعَةُ نَصْرَ اللَّهِ الَّتِي عَمَّيَتْ بِعِيسَاءِ
تَامَةَ وَلِوَسَّاسَةِ سَمِيرِ عَبْدِهِ لِلتَّجْلِيدِ .. وَاللَّهُ نَسْأَلُ أَنْ يُوقِفَنَا لِخِدْمَةِ كِتَابِهِ الْكَرِيمِ .

رَفَعُ

عبد الرحمن النجدي

أسكنه الله الفردوس

www.moswarat.com

www.moswarat.com

رَفَع

عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

